تملكه العبد المفتقر الى الله الكبير
يعقوب بن علي الفقير

قيمه

الجلد الثاني من تفسير انوار الحقايق لشمس الدين الاصبهاني

[illegible] ٣٥

شرف بتملكه بفضل الله ومنه
العبد [illegible] حسن [illegible]
[illegible]
[illegible]

١٧٢

تم [illegible]
[illegible]
[illegible]

انتقل هذا المجلد الاخير مع الاول الى ملك احوج ...
الاحد مصطفى بن عبد الله بن العباس بن شيخ محمد ...
في تاريخ سنة ست و...

هذا من فضل الله علينا وعلى ...
الحمد لله على نعمه العامه والخاصه
وصلوه الله وسلامه على خير المرسلين
خاصه

ما حفيظ ما كبيكج

يونس	هود	يوسف	رعد	ابرهيم	حجر	نحل	
١	٢١	٤١	٦٧	٧٦	٨٥	٩٢	
اسرى	كهف	مريم	طه	انبياء	حج	قد افلح	
١١١	١٣٤	١٥٥	١٦٨	١٨٢	١٩٥	٢٠٦	
نور	فرقان	شعراء	نمل	قصص	عنكبوت		
٢١٥	٢٤٠	٢٥٠	٢٦٢	٢٧٦	٢٨٨		
روم	لقمان	الم السجده	احزاب	سباء	فاطر	يس	
٢٩٧	٣٠٥	٣١٠	٣١٣	٣٣٣	٣٤٥	٣٤٣	
والصافات	ص	زمر	حم المومن	حم السجده	شورى حم عسق		
٣٦١	٣٧٣	٣٨٢	٣٩٥	٤٠٥	٤١٤		
زخرف	دخان	جاثيه	احقاف	محمد	فتح	حجرات	
٤٢٣	٤٣١	٤٣٥	٤٣٩	٤٤٥	٤٤٩	٤٥٦	
ق	والذاريات	والطور	والنجم	القمر	الرحمن	الواقعه	
٤٦٦	٤٧١	٤٧٦	٤٨٠	٤٨٥	٤٨٩	٤٩٤	
حديد	مجادله	حشر	الممتحنه	صف	جمعه	منافقون	
٥٠١	٥٠٧	٥١٣	٥٢٠	٥٢٤	٥٢٥	٥٢٨	
تغابن	طلاق	تحريم	ملك	ن	الحاقه	معارج	
٥٢٩	٥٣١	٥٣٤	٥٣٨	٥٤١	٥٤٦	٥٤٩	
نوح	جن	مزمل	مدثر	القيمة	الدهر	والمرسلات	
٥٥٢	٥٥٤	٥٥٧	٥٦١	٥٦٦	٥٦٩	٥٧٣	
نباء	والنازعات	عبس	اذا الشمس كورت	انفطار	ويل للمطففين		
٥٧٤	٥٧٧	٥٨٠	٥٨٣	٥٨٥	٥٨٦		
انشقاق	بروج	طارق	سبح اسم	غاشيه	والفجر	بلد	
٥٨٩	٥٩٠	٥٩٢	٥٩٣	٥٩٤	٥٩٦	٥٩٩	
والشمس	والليل	والضحى	انشراح	تين	علق	قدر	
٦٠٠	٦٠١	٦٠٢	٦٠٣	٦٠٤	٦٠٥	٦٠٦	
بينة	زلزلت	والعاديات	القارعه	تكاثر	والعصر	همزه	
٦٠٨	٦٠٩	٦٠٩	٦١٠	٦١٠	٦١١	١١١	
فيل	قريش	ماعون	كوثر	كافرون	نصر	تبت	اخلاص
٦١١	٦١٢	٦١٢	٦١٣	٦١٣	٦١٤	٦١٦	٦١٧
	فلق		ناس				
	٦١٩		٦٢٠				

محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن ابي بكر بن علي العلامة شمس الدين ابو الثناء الاصبهاني
ينتسب الى علاء الدولة الهمداني وكان مولده باصبهان في شعبان سنة ٦٧٤ واشتغل
ومهر وتقدم في الفنون وقراء على والده وعلى جمال الدين ابن ابي الرجاء وغيرهما ثم حج
وقدم دمشق في صفر سنة ... فبهرت فضائله وسمع كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية
في تعظيمه قال مرة اسكتوا حتى نسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله وكان
بالجامع الاموي ليلا ونهارا مكبا على التلاوة وشغل الطلبة ودرس بعد الزملكاني بالرواحية
وفي يوم الاجلاس بالغ الفضلاء في الثناء عليه ثم طلب على البريد الى القاهرة في ربيع
سنة ٧٣٢ بسفارة الشيخ مجد الدين الاقصرائي شيخ خانقاه سرياقوس فنزل عنده
سماع فبنى له قوصون الخانقاه ورتبه شيخا بها قال الاسنوي كان بارعا في العقليات
الاعتقاد محبا لاهل الصلاح طارحا للتكلف مجموعا انتهى وصنف شرح مختصر ابن الحاجب
قبل ان يقدم البلاد وشرح المطالع للارموي وتجريد النصير الطوسي وصنف ناظر العين
وشرحه وشرح مقدمة ابن الحاجب وشرح بالقاهرة البديع لابن الساعاتي وطوالع البيضاوي
وعمل تفسيرا وكان بعض اصحابه يحكي انه يمتنع كثيرا من الاكل لئلا يحتاج الى الشرب فيحتاج الى
الخلاء فيضيع عليه الزمان وكان خطه قويا وقلمه سريعا قال الصفدي رايته في تفسيره يكتب
من غير مراجعة وانتفع الناس كثيرا اما دون الجماعة في بالافتاء بمصر والشام وكان نعم
من شغل باله بالتفكر في مسائل العلم وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ...
من درر الكامنه في اعيان المائة الثامنه
لابن حجر العسقلاني

١٧٧

من مسرات العبد الداعي الفقير الى رحمة ربه المعين السبحاني
عبد الكريم ابن المرحوم الشيخ ولي الدين عفي عنهما

٧١٥
٢٤٠

الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الر تلك آيات الكتاب الحكيم قرأ نافع وابن كثير وعاصم
بفتح الراء على التفخيم وابو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الراء على الامالة وروى نافع وابن عامر وحماد عن
عاصم بين الفتح والكسر واعلم ان كلها لغات صحيحة قال الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات
من نحو ما ولا لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء واما من امال فلان هذه الالفاظ اسما للحروف المخصوصة
فقصد بذكر الامالة التنبيه على انها اسما لاحروف واتفقوا على ان قوله الر وحده ليس آية واتفقوا على
ان قوله طه وحده آية قال الامام والفرق ان قوله الر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده بخلاف قوله طه
فانه يشاكل مقاطع الآي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل انا الرب لا رب غيري وقيل
الر وحم ونون حروف اسم الرحمن وقيل الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب قيل اشارة الى
ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن وقيل اشارة الى ما تضمنه هذه السورة من الآيات وقيل الكتاب
الحكيم هو القرآن وقيل هو الكتاب المخزون المكنون عند الله الذي منه نسخ كل كتاب كما قال تعالى انه لقرآن كريم
في كتاب مكنون وقال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل الكتاب السورة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمعنى
ان القصص المذكورة في هذه السورة موافقة للقصص المذكورة في التورية والانجيل مع ان محمدا صلى الله عليه
وسلم ما كان عالما بالتورية والانجيل فحصول هذه الموافقة لا يمكن الا اذا خص الله محمدا بانزال الوحي اليه
وقيل تلك اشارة الى حروف التهجي يعني ان تلك الحروف هي الاشيا التي جعلت آيات وعلامات لهذا الكتاب الذي
وقع به التحدي فلولا امتياز هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف المعجز والا كان اختصاصه بهذا النظم دون
ساير الناس القادرين على التلفظ بهذه الحروف محالا الحكيم قيل المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام
وقيل الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها وقيل وصف الكتاب بصفة من تكلم به قال الاعشى وغريبة
تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها وقيل الحكيم الحاكم فعيل بمعنى فاعل دليله قوله تعالى وانزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فان القرآن كالحاكم في الاعتقادات يميز حقها عن
باطلها وفي الافعال يميز صوابها عن خطاها وكالحاكم على ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق في دعوى النبوة
لان المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليست الا القرآن وقيل الحكيم المحكم والاحكام المنع من الفساد
والمراد منه انه لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور والمراد براءته عن الكذب والتناقض وعن الحسن
وصف الكتاب بالحكيم لانه تعالى حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
وحكم فيه بالجنة لمن اطاعه وبالنار لمن عصاه فعلى هذا الحكيم المحكوم فيه فعيل بمعنى المفعول وعن عطا حكيم
بما حكم فيه من الارزاق والآجال وبما شاء وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل
على هذه المعاني صار كانه هو الحكيم في نفسه **قوله تعالى** أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين
عن ابن عباس لما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا تعجبت كفار قريش من تخصيص الله محمدا

وصفه وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر والافترا
افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب كما استعمل قولهم اختلق فلان
هذا الحديث في الكذب والمعنى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه
مفترى ثم احتج على صحة هذه الدعوى بامور الاولى ولكن تصديق الذي بين يديه تقرير هذه الحجة
من وجوه منها ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا ما سافر الى بلد لاجل التعلم وما كانت مكة
بلدة العلماء وما كان فيها شيء من كتب العلم ثم انه عليه السلام اتى بهذا القرآن وكان هذا القرآن
مشتملا على اقاصيص الاولين والقوم كانوا في غاية العداوة له فلو لم تكن هذه الاقاصيص موافقة
لما في التورية والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا في الطعن فيه ولقالوا انك جئت بهذه الاقاصيص
لا كما ينبغي فلما لم يقل احد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه وعلى تقبيح صورته علمنا انه اتى بتلك
الاقاصيص مطابقة لما في التورية والانجيل مع انه ما طالعهما ولا تلمذ لاحد فيهما وذلك يدل على
انه عليه السلام انما اخبر بهذه الاشيا بوحي من عند الله ومنها ان كتب الله المنزلة دلت على مقدم
محمد صلى الله عليه وسلم وحينئذ كون مجيء محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لما في تلك الكتب من البشارة
بمجيئه صلى الله عليه وسلم فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه الثانية وتفصيل الكتاب
اي القرآن مشتمل على العلوم الدينية الاعتقادية التي هي معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله
ومعرفة صفات اكرامه ومعرفة صفات افعاله ومعرفة احكامه ومعرفة اسمائه وعلى دلايل
هذه المعارف وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب الالهية والعملية التي
هي علم التكاليف المتعلقة بالظواهر وهو علم الفقه فان الفقها انما استنبطوه عن القرآن وعلم
صفة الباطن ورياضة النفوس وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يكاد يوجد
في غيره كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فثبت ان القرآن مشتمل على تفاصيل
العلوم الشريفة عقليها ونقليها اشتمالا يمتنع حصوله في ساير الكتب وكان ذلك معجزا
واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب اي اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء وقيل معناه
وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم الثالثة لا ريب
فيه تقريره ان القرآن لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا
وريبا وحيث لم يكن فيه ريب وتناقض علم قطعا انه وحي من عند الله قيل لا ريب
فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا
منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وقيل يجوز ان يكون المراد ولكن كان تصديقا
من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ولما ذكر في اول
هذه الآية ان القرآن ما صح واستقام ان يكون في علو امره واعجازه مفترى على الله
واقام عليه الحجج المذكورة اعاده مرة اخرى بلفظ الاستفهام على سبيل الانكار فقال
ام يقولون افتراه اي بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار
لقولهم او استبعاد والمعنيان متقاربان ثم انه تعالى ذكر حجة اخرى على ابطال هذا
القول فقال قل يا محمد ان كان الامر كما تقولون من انه افتراه فاتوا انتم على وجه
الافترا بسورة مثله اي شبيهة بهذا المفترى في البلاغة وحسن النظم فانكم مثلي

في العربية والبلاغة والفصاحة وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة على الاتيان بمثله يعني
ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه وحده
ثم استعينوا بكل من دونه وقيل وادعوا من استطعتم ممن تعبدون من دون الله ليعينوكم على
ذلك وقيل وادعوا من استطعتم من الامم المخالفة له ليعينوكم وقيل من استطعتم اي ناسا يشهدون
لكم ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه ثم قال بل كذبوا اي سارعوا الى التكذيب بالقران وفاجوه
في بديهة قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه
وذلك لفرط نفورهم عما خالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم ومعنى التوقع في
قوله ولما ياتهم تاويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للابا
وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وراز واقواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا وعن الضحاك يعني عاقبة ما وعد الله عز وجل
في القران انه كائن من الوعيد والتاويل ما يؤول اليه الامر وقيل للحسين بن الفضل هل تجدون
في القران من جهل شيئا عاداه قال نعم موضعين قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله
واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من
قبلهم من كفار الامم الخالية يعني قبل النظر في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من
انفسهم ولكن قلدوا الابا وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار اي عاقبته حتى تبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيب فتسرعوا
الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا الاخبار بالمغيبات
وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين آخر امر المشركين المكذبين بالهلاك والعذاب
قوله تعالى ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل
لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لما ذكر في الاية المتقدمة قوله
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وكان المراد من ذلك تسليط العذاب عليهم في الدنيا اتبعه بقوله
ومنهم من يومن به منبها بذلك على ان الصلاح عنده كان في هذه التبقية دون الاستيصال
من حيث كان المعلوم ان فيهم من يومن به وقيل ومنهم اي ومن قومك من سيؤمن بالقران ومنهم
من لا يومن لعلم الله السابق فيهم وقيل ومنهم من يصدق بالقران في نفسه ويعلم انه حق ولكنه
يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
على ان لا يومنوا وان كذبوك يا محمد واصروا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقل لي عملي
عمل الايمان والطاعة ولكم عملكم الشرك انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون كقوله فان عصوك
فقل اني بريء وعن مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية الجهاد قال الامام وهذا بعيد
لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات
افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا ينافي وجوب الجهاد فلا تكون اية الجهاد رافعة لشيء من
مدلولات هذه الاية **قوله تعالى** ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون
ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون في الاية الاولى قسم المشركين قسمين منهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وفي هذه الاية

قسم

قسم من لا يومن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض له او نهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون
كذلك فوصف القسم الاول في هذه الاية فقال ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا
قرات القران وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق
واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ولا ينفعهم ذلك ولا يهتدون لارادة الله عز وعلا وعلمه
فيهم ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع الصمم وعدم العقل جميعا
فقد تحقق سلب الاسماع والحس اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمى سلب البصيرة
لان الاعمى الذي له بصيرة قد يتفطن ويدرك بالبصيرة واما عمى البصر مع عمى القلب فهو نهاية
في عدم الهداية يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا ابصار وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله كما لا يقدر على رد الاصم
والاعمى المسلوبي العقل حديدي البصر والسمع راجحي العقل الا هو وحده والاسماع انما يمكن باسماع الصوت
الدال على المعنى وفهم المعنى والمانع من الاول الصمم ومن الثاني عدم العقل والهداية نوعان هداية
الطريق الظاهر وهداية الطريق المعنوي والاولى لا يمكن الا بالبصر والاخرى لا يمكن الا بالبصيرة فلهذا ضم الى الصم
قوله ولو كانوا لا يعقلون وضم الى العمي قوله ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا
لانه متصرف في ملكه ومتفضل في جميع افعاله ومن كان كذلك لا يكون ظالما ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب
والمعصية قرا حمزة والكسائي بكسر النون مخففة ورفع الناس والباقون بفتح النون مشددة ونصب
الناس **قوله تعالى** ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد
على ما يفعلون لما وصف هولاء الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم قرا
حفص عن عاصم يحشرهم بالياء والباقون بالنون كان لم يلبثوا في موضع الحال مشابهين من لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا لانهم ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها لم ينتفعوا
بعمرهم وكان وجود ذلك العمر كالعدم فلذلك استقلوه وقيل قل ذلك عندهم لما شاهدوا من اهوال الاخرة
وقيل قل مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة يستقربون وقت لبثهم في القبور لهول ما يرون
قوله كان هي المخففة من الثقيلة التقدير كانهم لم يلبثوا يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا ثم ينقطع التعارف بينهم اذا عاينوا
اهوال يوم القيامة لشدة الامر عليهم وقوله يتعارفون متعلق بقوله ويوم يحشرهم وقيل مبين لقوله كان
لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون
بينهم قائلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فعلى هذا يكون قد خسر من كلامهم وقيل هو كلام الله وهي شهادة
من الله على خسرانهم والمعنى ان الذين باعوا الايمان بالكفر والاخرة بالدنيا قد خسروا في تجارتهم باعطاء
الشيء الشريف الكثير الباقي واخذ الخسيس القليل الفاني وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو
استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم قوله واما نرينك جوابه محذوف والتقدير
واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك جوابه فالينا مرجعهم واما
نتوفينك فالينا مرجعهم اي واما نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فنحن نريكه في الاخرة
ثم الله شهيد على ما يفعلون في الدنيا والاخرة معاقب عليه وقيل المراد ان الله مؤد شهادته على
افعالهم يوم القيامة حين تنطق جلودهم والسنتهم وارجلهم شاهدة عليهم **قوله تعالى** ولكل امة

رسول فاذا جاء رسولهم قضي بالقسط وهم لا يظلمون لما بين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم مع قومه
بين ان حال كل امة مع رسوله كذلك اي ولكل امة خلت رسول يبعث اليهم ليدعوهم على التوحيد ويدعوهم
الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي وبين مكذبيه بالعدل
وهم لا يظلمون لا يؤاخذون بغير حجة ولا يعذبون بغير ذنب ولا ينقصون ولا يزدادون على سيآتهم
وقيل لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم بالقسط هو قوله وجيء بالنبيين والشهداء وهم لا يظلمون فالتكرير لاجل التاكيد والمبالغة في
نفي الظلم **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما
شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي ويقول المشركون متى هذا
الوعد الذي تعدنا يا محمد من العذاب ان كنت يا محمد واتباعك صادقين استعجال لما وعدوا من العذاب
استبعاد له والظاهر انهم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسول فيما اخبرهم به من نزول العذاب
للاعداء والنصر للاولياء او على وجه الاستبعاد لكونه محقا في ذلك الاخبار وقيل هذا يدل على ان كل امة
قالت لرسولها مثل ذلك القول بدليل قوله ان كنتم صادقين وذلك لفظ جمع وهو موافق لقوله
ولكل امة رسول ثم انه تعالى امر رسول الله بان يجيب عن هذا القول بجواب يحسم المادة وهو قوله قل
لا املك اي قل يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا لا اقدر لها على ضر ولا نفع الا ما شاء الله ان املكه وقيل
الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب
لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت
انجز وعدكم لا محالة فلا يستاخرون لا يتاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتقدمون فلا تستعجلوا **قوله
تعالى** قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الآن
وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون هذا هو جواب
ثان عن قولهم متى هذا الوعد والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطلبون نزول العذاب بتقدير ان
يحصل هذا الموعود وينزل هذا العذاب ما الفائدة لكم فيه فان قلتم نؤمن عنده فذلك باطل
لان الايمان في ذلك الوقت لا ينفع فثبت ان هذا الذي تطلبونه لو حصل لم يحصل منه الا العذاب في الدنيا
ثم يحصل عقيبه يوم القيامة عذاب اشد منه وهو ان يقال للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد ثم يقرن
بذلك العذاب كلام يدل على الاهانة والتحقير وهو انه يقال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فحاصل
هذا الجواب ان هذا الذي يطلبونه هو محض الضرر العاري عن جهات النفع والعاقل لا يفعل
ذلك بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات وانما قال بياتا ولم يقل ليلا لان المراد ان اتاكم
عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش
والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون ماذا يستعجل منه من العذاب والمعنى ان العذاب
كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه موجب الاستعجال
ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من للبيان
في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى والاستفهام في ماذا متعلق بقوله ارايتم لان المعنى
اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف معناه ان اتاكم عذابه
بياتا او نهارا تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه
لانه اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب

٤

على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله وقيل يجوز ان يكون ماذا يستعجل منه
المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتاك زيد ماذا تفعل به وتتعلق الجملة بقوله ارايتم وان يكون اثم اذا
ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى
اوامن اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم
تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المضمر قبل الآن والتقدير قيل الآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب
الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون في الدنيا **قوله تعالى** ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه
لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون انه تعالى اخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعد واجاب عنه
بما تقدم فحكى عنهم انهم رجعوا الى الرسول مرة اخرى وقالوا احق هو ويستنبئونك اي ويستخبرونك
يا محمد فيقولون احق هو ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء
ثم انه تعالى امره بان يجيبهم بقوله قل اي وربي اي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في
الاستفهام خاصة قال صاحب الكشاف وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون
به وحده انه لحق كائن لا شك فيه وما انتم بمعجزين لمن وعدكم بالعذاب ان ينزله عليكم والغرض منه
التنبيه على ان احدا لا يجوز ان يمانع ربه ويدافعه عما اراد وقضى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في
الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع ما فيها على كثرتها لافتدت به لجعلته
فدية لها يوم القيمة يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة
واخفوا الندامة على كفرهم لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحسبوه ولم يخطر ببالهم
وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما
يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما
دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروها
الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها لان
اخفاءها اخلاصها واما من فوقهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص
الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وليس هنالك تجلد
وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل ذكر الظلم على ذلك **قوله تعالى** الا ان لله ما في
السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون
قيل ان تعلق هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى قال قبل هذه الاية ولو ان لكل نفس ظلمت ما في
الارض لافتدت به فلا جرم قال في هذه الاية ليس للظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء ملك الله وملكه
وقيل لما قال وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله المثيب المعاقب
وما وعد من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره
واليه ترجعون الى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر المغترون
قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة اي
كتاب جامع لهذه الفوائد موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قال

اسر كتمه لنفس صح

الامام وصف الله تعالى القران بهذه الامور الاربعه الاول الموعظه فنقول الارواح لما
تعلقت بالاجساد وكان ذلك التعلق بسبب حب غريزي للروح على الجسد والتذ الروح بمشتهيات
هذه الحيوة الدنيا وطيباتها بتوسط المشاعر الجسميه وتعود والف هذه الطريقه ولا يخفى ان نور العقل
انما يحصل في اخر الدرجه حين قويت العلائق الحسيه والروابط الجسديه وحينئذ حدث في الروح
عقايد باطله واخلاق ذميمه في الروح وهذه العقايد والاخلاق امراض روحانيه فان لم
يتفق لها طبيب حاذق يعالجها بعلاجات صحيحه مات لا محاله فان اتفق ان صادفه مثل هذا الطبيب
وكان الروح قابلا للعلاج فربما صح وزال المرض اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا عليه السلام كان
الطبيب الحاذق والقران فيه الادويه التي يعالج بها القلوب ثم الطبيب في المعالجه يبتدى بمنع المريض
عن تناول ما هو سبب للمرض وهذا هو الموعظه فانها زاجر عن كل ما يشغل القلب بغير الله وثانيها
الشفا وهو ان يسقيه ادويه تزيل عن باطنه تلك الاخلاط الفاسده المفضيه الى المرض ولذلك الانبيا
اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهره عن فعل ما لا ينبغي ثم يامرونهم بطهارة
البدن وذلك بالمجاهده في تخلية الروح عن الاخلاق الذميمه وتحليه بالاخلاق الحميده التي هي شفا لما
في الصدور وثالثها الهدى وهذا لا يحصل الا بعد الدرجه الثانيه لان الروح قابل للجلايا القدسيه
والمعارف الالهيه وفيض الرحمه غير منقطع على ما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات
الا فتعرضوا لها فالمنع انما يكون للعجز او الجهل او البخل والكل في حق الله ممتنع فالمنع ممتنع في حقه
فعلى هذا عدم حصول هذه الاضوا الروحانيه انما كان لاجل ان العقايد الفاسده والاخلاق
الذميمه طبعها طبع الظلمه وعند قيام الظلمه يمتنع حصول النور فاذا زالت تلك الاحوال فقد
زال العائق فلا بد وان يقع ضوء عالم القدس في النفس القدسيه ولا معنى لذلك الضوا الا الهدى
فعند هذه الحاله تصير هذه النفس بحيث قد انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت
واول هذه المرتبه قوله يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الى ربك راضيه مرضيه واوسطها قوله
ففروا الى الله واخرها قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ومجموعها قوله ولله غيب السموات والارض
واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وهذه المرتبه هي المراد بقوله
وهدى ورابعها ان تصير النفس الواصله الى هذه الدرجات الروحانيه والمعارج الربانيه
بحيث تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا
العالم وذلك هو المراد بقوله ورحمة للمومنين لان ارواح المعاندين لا تستضي بانوار ارواح
الانبيا عليهم السلام لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس هو الذي يكون وجهه مقابلا
لوجه الشمس فان لم يحصل هذه المقابله لم يقع ضوء الشمس عليه فكذلك كل روح لم يتوجه الى خدمة
ارواح الانبيا المطهرين لم ينتفع بانوارهم ولم يصل اليها اثار تلك الارواح المطهره المقدسه كما ان
الاجسام التي لا تكون مقابله لقرص الشمس تختلف في الدرجات والمراتب عن البعد عن هذه المقابله
ولا زالت تتزايد درجات هذا البعد حتى ينتهي الى ذلك الجسم وكمل بعده عن مقابلة قرص
الشمس فلا جرم بقي خالص الظلمه فكذلك تتفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الانوار عن
ارواح الانبيا ولا تزال تتزايد حتى ينتهي الى النفس التي كملت ظلمته وعظمت شقاوته وانتهت
في العقايد الفاسده والاخلاق الذميمه الى اقصى الغايات فالحاصل ان الموعظه اشاره
الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعه والشفا اشاره الى تطهير الباطن عن
العقايد الفاسده والاخلاق الذميمه وهو الطريقه والهدى اشاره الى ظهور نور الحق

٤

الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقه والرحمه اشاره الى كونها بالغة في الكمال والاشراق
الى حيث تصير مكمله للناقصين وهي النبوه فهذه درجات عقليه ومراتب برهانيه مدلول
عليها بهذه الالفاظ القرانيه لا يمكن تاخير ما تقدم ولا تقديم ما تاخر ذكره ولما نبه الله في
هذه الايات على هذه الاسرار الالهيه العاليه قال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون والمقصود منه ارشاد الانسان الى ما قرره حكما الاسلام من ان السعادات الروحانيه
افضل من السعادات البدنيه الجسمانيه وقيل قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظه
وتنبيه على التوحيد وهو شفا اي دوا لما في صدوركم من العقايد الفاسده ودعا الى الحق ورحمه
لمن امن به منكم وقيل الموعظه للنفوس والشفا للقلوب والهدى للاسرار والرحمه لمن
هذه صفته وقيل شفا لما في الصدور وراحه لما في السرائر وقيل لبعضهم شفا المعرفه والصفا
ولبعضهم شفا التسليم والرضا ولبعضهم شفا التوبه والوفا ولبعضهم شفا المشاهده واللقا
اصل الكلام قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمه بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة
المذكور عليه والفا داخله بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوا فضل الله ورحمته بالفرح
فانه لا مفروح به احق منهما وقيل يجوز ان يكون التقدير بفضل الله وبرحمته فبمجيئها فليفرحوا قيل فضل
الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله وقيل فضل الله الايمان ورحمته القران وقيل فضل الله القران
ورحمته وقيل فضل الله النعم الظاهره ورحمته النعم الباطنه وقيل فضل الله النعما وهو ما اعطى وحبا
ورحمته الالا وهو ما صرف وزوى وقيل فضل الله التوفيق ورحمته العصمه وقيل فضل الله الايمان
ورحمته الجنه وقيل فضل الله دخول الجنه ورحمته النجاه من النيران وقيل فضل الله كشف الغطا
ورحمته الرويه واللقا وقيل اسم ان يكون لهم شي عندهم بقوله قل بفضل الله وبرحمته
قرا ابن عامر يجمعون بالتا اي مما تجمعون من اذكاركم واعمالكم واقوالكم وقيل مما تومّلون على
الثواب على الافعال والباقون بالياء خبرا عن الكفار اي مما يجمعون من الاموال ومن متاع الدنيا

قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن
لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامه ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون لما ذكر الدلايل الكثيره على صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم وبين فساد سوالاتهم وشبهاتهم في انكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في
شرائعهم واحكامهم وبين ان التمييز بين هذه الاشيا بالحل والحرمه مع انه لم يشهد
بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل قل يا محمد ارايتم اخبروني ما انزل ما بمعنى الذي وهو منصوب
بانزل ويجوز ان ينتصب بارايتم في معنى اخبروني وانزل الله اي خلق الله لكم عبّر
عن الخلق بالانزال لان ما في الارض من رزق فما انزل الله من السما من زرع وضرع
فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال
وهذا حرام وهو ما حرموه من الحرث والانعام والبحيره والسايبه والوصيله والحام وعن
الضحاك هو قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وقيل وهذا حرام
كقولهم هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشا وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصه
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون اذن متعلق بارايتم وقل
تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك

باذنه ام تفترون تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه وهو قولهم والله امرنا بها ويجوز ان تكون
الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقرير للافترا وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيامة يعني اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم ايحسبون ان الله لا يواخذهم
به ولا يعاقبهم عليه ويوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع يوم القيامة وهو يوم الجزا بالاحسان
والاساة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
وارسال الرسل وانزال الكتب وبيان الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة حيث
لا يستعملون العقل في التامل في دلايل التوحيد ولا يقبلون دعوة الانبيا عليهم الصلوة والسلام
ولا يتبعون ما هدوا اليه قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من
عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين لما اطنب الكلام في امر الرسول بايراد الحجج على بطلان
ما عليه الكفار وفي امره بايراد الاجوبة عن شبهاتهم وفي امره بتحمل اذاهم وبالرفق معهم ذكر هذه
الاية ليحصل بها تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف للمذنبين وهو كونه عالما بعمل كل
احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف فان الانسان ربما اظهر من نفسه نسكا وطاعة
وزهدا وتقوى ويكون باطنه مملوا من الخبث وربما يكون بالعكس من ذلك فاذا كان الحق
سبحانه عالما بما في البواطن كان ذلك من اعظم انواع السرور للمطيعين ومن اعظم انواع التهديد للمذنبين
وما تكون ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر والفعل والخطب
واصله الهمز بمعنى القصد يقال شانت شانه قصدت قصده وما تتلو منه اي من الله من قران
وقيل من التنزيل كانه وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جز منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له
وقيل من شان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه
قوله وما تكون في شان وما تتلو فيه من افاض في الامر اذا اندفعوا فيه قيل تفيضون فيه اي
تاخذون وتدخلون فيه اي في العمل عن ابن عباس تفيضون تفعلون وقيل تكلمون وقيل تكرون
وقيل تخوضون وقيل تنشرون كما يقال حديث مستفيض وقيل تسعون وقيل تسعون في القران من
الكذب وما يعزب قرا الكسائي وما يعزب بكسر الزاي والباقون بالضم وما يبعد وما يغيب من
مثقال ذرة اي وزن ذرة هي النملة الصغيرة يقول العرب خذ هذا فانه اثقلهما مثقالا
واخفهما مثقالا اي وزنا في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قرا حمزة برفع
الرا عطفا على موضع المثقال قبل دخول من والباقون بفتحهما عطفا على الذرة اي ولا
مثقال اصغر واكبر قال صاحب الكشاف النصب على نفي الجنس والرفع على الابتدا ليكون كلاما
براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع
الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شي الا في كتاب مشكل واجيب عنه بانه اذا جعل
الاستثنا من باب قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يزول الاشكال والمعنى
لا يعزب عنه شي قط لا الصغير ولا الكبير الا ما في اللوح المحفوظ او في علمه ان عد ذلك من
العزوب فهو العزوب ومعلوم انه ليس من العزوب قطعا فاذن لا يعزب عنه شي قط لانه حينئذ
يلزم ان يكون ذلك الشي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه باطل واجاب بعضهم بان يجعل كلمة
الا فيه استثنا منقطعا اي لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله تعالى
لئلا يكون للناس على الله حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا وهذا الوجه فيه تعسف

وقيل

وقيل الاشكال انما جا اذا عطفنا قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر على قوله من مثقال ذرة في
الارض ولا في السما اما بحسب الظاهر او بحسب المحل لكنا لا نقول ذلك بل نقول الوجه في قراة
النصب في قوله ولا اصغر من ذلك الحمل على تفسير الجنس وفي القراة بالرفع الحمل على الابتدا وخبره قوله
الا في كتاب مبين فان قلت لم قدمت الارض على السما بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اجيب بان حق السما ان تقدم على الارض ولكنه
لما ذكر شهادته على احوال اهل الارض واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه ناسب ان
تقدم الارض على السما في هذا الموضع على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية قوله تعالى
الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم قد تبين ان قوله تعالى وما تكون في شان وما
تتلو منه من قران مما يقوي قلوب المطيعين ومما يكسر قلوب العاصين فاتبعه ببيان المخلصين الصادقين
الصديقين في هذه الاية اوليا الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر الله الاوليا
في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فقوله الذين امنوا اشارة الى كمال القوة العلمية وكانوا
يتقون اشارة الى كمال القوة العملية وقيل الايمان مجموع الاعتقاد والعمل والولي متق في
الكل اما التقوى في موقف العلم فلان جلال الله اعظم من ان يحيط به عقول البشر فالصديق
اذا وصف الله بصفة من صفات الجلال فهو يقدس الله عن ان يكون كماله وجلاله
مقتصرا على ذلك المقدار فيثبت انه يكون ابدا في مقام الخوف والتقوى عن سعيد بن جبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل من اوليا الله فقال هم الذين يذكر الله برويتهم يعني
السمت والهيبة وعن ابن عباس الاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا
يوم القيامة لمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم فقال
قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الاية وعن علي رضي الله عنه اوليا الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون
من العبر خمص البطون من الخوى وقيل هم الذين يتولى الله هداهم بالبرهان الذي اتاهم ويتولوا
القيام بحقه والدعا اليه وقيل الولي من لا يرائي ولا ينافق وما اقل صديق من كان هذا خلقه
وقيل قلوب اهل الولاية مصانة عن كل معنى لانها موارد الحق وقيل علامة الولي اربعة الاول
ان يحفظ سرايره التي بينه وبين ربه مما يرد على قلبه من المصايب فلا يشكو والثاني ان يصون كرامته
فلا يتخذها ريا وسمعة ولا يتغافل عنها تهاونا والثالث ان يحتمل اذى خلقه فلا يكافيهم والرابع
ان يداري عباده على تفاوت اخلاقهم وسيل بعضهم ما علامة الاوليا قال همومهم مع الله وشغلهم
بالله وفرارهم الى الله وقيل ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا
بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة ثم قال في صفتهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والخوف انما يكون في المستقبل اي لا يخافون حدوث شي في المستقبل من المكاره والحزن انما
يكون على الماضي اما لانه قد حصل في الماضي ما كرهه او لانه فات شي احبه فنفى الخوف
والحزن يكون في الاخرة لا في الدنيا وقال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب فاوليا الله
هم الذين يكونون في غاية القرب من الله وهذا القرب باستغراقهم في معرفة الله تعالى بحيث

الذى عرف عبد الله فهو كشف الحجب منه مستقلا

لا يخطر بباله في تلك اللحظة شيء سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه
الحالة حاصلة فان صاحبها لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شيء وكيف يعقل ذلك والخوف من الشيء
والحزن على الشيء لا يحصل الا بعد الشعور به والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله
فيمتنع ان يكون له خوف او حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذقها لم يعرفها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر الذين امنوا اما في محل النصب لكونه صفة للاولياء او على المدح
او في محل الرفع على المدح او على الابتداء وخبره لهم البشرى والبشرى الرؤيا الصالحة عن عبادة
بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل لهم البشرى قال صلى الله عليه وسلم
هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي الا المبشرات
قيل يا رسول الله وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وقيل البشرى محبة الناس له والذكر الحسن عن
ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات
والبشارة خبر سار يظهر اثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الاية ومجموع الامور
المذكورة مشتركة في هذه الصفة فيكون الكل داخلا فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل
تحت قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وكل ما يتعلق بالاخرة فهو داخل تحت قوله وفي الاخرة لما ذكر
صفة اولياء الله واحوالهم قال لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما
يبدل القول لدي ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض **قوله تعالى**
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون لما اوردوا الشبهات
التي حكاها الله عنهم فيما تقدم من هذه السورة واجاب الله عنها بالاجوبة الشافية الكافية عدلوا الى
طريق آخر بان هددوه وخوفوه وزعموا انا اصحاب التبع والمال فنسعى في قهرك وابطال امره
فاجاب الله عن هذا الطريق بقوله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك
وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك انه تعالى ازال الحزن الاخروي بقوله الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فكذلك ازال الحزن الدنيوي بقوله ولا يحزنك قولهم اي قول المشركين وتم الكلام هاهنا
ثم قال مبتدئا مستأنفا بمعنى التعليل ان العزة لله جميعا كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله
جميعا اي ان الغلبة والقهر لله يعطي ما يشاء لمن يشاء والمراد انه لا يعطي الكفار قدرة عليه بل يعطيه العزة
عليهم فآمنه الله بهذا القول من اضرار الكفار به بالقتل والايذاء ومثله قوله تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا هو السميع العليم بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك
الا ان لله من في السموات ذكر فيما تقدم الا ان لله ما في السموات اي كل ما لا يعقل فهو ملك لله تعالى
وهاهنا ذكر من هو مختص بمن يعقل فدل على ان كل العقلاء داخلون تحت ملك الله فيكون الاية
دالة على ان الكل ملكه وملكه وقيل انما خصهم بالذكر ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له في ملكيته فهم عبيده
كلهم وهو سبحانه ربهم لا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل
احق ان لا يكون له ندا او لا شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او
غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر وما يتبع الذين يدعون ما نفي وكلمة

لما يقولون

والمعنى

والمعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية
محال وقيل ما استفهام كانه قيل اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمراد تقبيح فعلهم اي انهم ليسوا
على شيء فعلى الاول شركاء نصب بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على
احدهما للدلالة وعلى الثاني نصب شركاء بيدعون ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه
الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء اي انما اتبعوا ظنونهم الباطلة
ثم بين ان هذا الظن لا حكم له وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا
قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون لما ذكر تعالى
ان العزة لله جميعا نبه في هذه الاية على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي تستحق بها ان يوحدوه بالعبادة
والمعنى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه مما تقاسون في نهاركم من التعب التردد في المعاش وجعل النهار
مبصرا مضيئا تبصرون فيه مطالب ارزاقكم ومكاسبكم والمبصر الذي يبصر والنهار يبصر فيه وانما جعله
مبصرا على طريق نقل الاسم من المسبب الى السبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع معتبر مذكر
اي يتدبرون ما يسمعون ويعتبرون **قوله تعالى** قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في
السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون هذا نوع اخر
من الاباطيل التي حكاها الله عنهم وهي قولهم اتخذ الله ولدا ويحتمل ان يكون المراد حكاية قول من يقول الملائكة
بنات الله ويحتمل ان يكون المراد قول من يقول الاوثان اولاد الله ويحتمل ان يكون قد كان فيهم قوم من النصارى
قالوا ذلك ثم استنكر هذا القول وقال بعده هو الغني له ما في السموات وما في الارض سبحانه تنزيه له
عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد اما انه هو الغني مطلقا فلانه لو كان محتاجا
لافتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ليس باله اما ان الغني يمتنع ان يكون له ولد فلان الغني فرد منزه عن الاجزاء
والابعاض وكل من كان كذلك فانه يمتنع ان ينفصل جزء من اجزائه والولد يقتضي انفصال جزء من اجزاء
الانسان ثم يتولد من ذلك الجزء مثله فاذا كان محالا ثبت انه لكونه غنيا يستحيل ان لا يكون له ولد
وان الغني ازلي باق وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء والولد انما يحصل للشيء الذي ينقضي
وينقرض فيكون ولده قائما مقامه فثبت ان كونه تعالى غنيا يدل على انه يمتنع ان يكون له ولد ولان
الغني استغنى عنه الحاجة ومن كان الحاجة عنه منتفية كان الولد عنه منتفيا لان الحاجة هي التي تكون سببا لطلب
الانسان الولد حتى يعينه ما بقي ويقوم مقامه اذا فني له ما في السموات وما في الارض اي ما سواه تعالى
ملك له فهو مستغن بملكه عن اتخاذ احد منهم ولدا ولان ما سوى الواحد الاحد الحق ممكن وكل ممكن يحتاج
وكل محتاج محدث وكل ما سوى الواحد الاحد الحق محدث والله محدثه وخالقه ولا يكون له
صاحبة ولا يكون له ولد واليه الاشارة بقوله بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له
صاحبة وخلق كل شيء ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الساطع امتناع ان يكون له ولد ذكر انه لا حجة
عندهم على ان يكون له ولد فقال ان عندكم اي ما عندكم من سلطان من حجة بهذا القول ومن صلة وسميت
الحجة سلطانا لقوتها واعتلاء يد المتمسك بها وعندكم الخبر وهذا حال من الضمير في الظرف
العائد الى سلطان ومن سلطان فاعل الظرف لانه اعتمد على النفي وبهذا ظرف والباء بمعنى في
اي ما حصل عندكم في هذا سلطان ثم بالغ في ذلك الانكار فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لما
نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم
قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون لما بين بالحجة البالغة ان قولهم اتخذ الله ولدا باطل

ثم بين انه ليس لهذا القايل حجه على هذا القول ظهر ان القول بانه تعالى اتخذ الولد افترا على الله الكذب
منفعه قليله في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم والتظاهر
به وقيل لا يفلحون لا يامنون وقيل لا ينجون وقيل لا يفوزون وقيل لا يبقون في الدنيا ولكن امتاع قليل
يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به الى وقت انقضا اجالهم ومتاع رفع على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا
خبره محذوف اي لهم متاع ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون **قوله تعالى**
واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا
امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا
على الله وامرت ان اكون من المسلمين انه تعالى بالغ في تقرير الدلايل وفي الجواب عن الشبه والسوالات شرع بعد
ذلك في قصص الانبيا ليكون للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه اسوة بمن سلف من الانبيا فان الرسول اذا
سمع ان عادة الكفار مع الانبيا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبه اذا عمت خفت ولان
الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذا الانبيا المتقدمين فقد نصرهم الله وايدهم
وقهر اعداهم ينكسر قلوبهم ويقع الخوف والوجل في قلوبهم وحينيذ يقللون من انواع الايذا والسفاهه واتل
عليهم واقرا يا محمد على اهل مكه نبا خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عظم وثقل وشق عليكم مقامي مكاني
اي نفسي كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لفلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان وقيل
مقامي اي طول مكثي بين اظهركم الف سنه الا خمسين عاما وقيل مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعه
قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه الصلوة والسلام انه كان يعظ
الحواريين قايما وهم قعود وتذكيري وعظي بايات الله بحججه وبرهانه فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت
وبالله وثقت ان كان كبر شرط قيل فعلى الله توكلت جزاوه والمعنى انه شق عليكم تحملكم على الاقدام على ايذاي وانا
لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله وقيل جواب الشرط قوله فاجمعوا امركم وشركاكم من اجمع الامر وازمع
اذا نواه وعزم عليه قال يا ليت شعري والمنى لا ينفع هل اغدون يوما وامري مجمع وشركاكم الواو بمعنى مع
اي فاجمعوا امركم مع شركاكم واسناد الاجماع الى الشركا على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاكم ثم كيدون
وقيل فيه اضمار اي وادعوا شركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي خفيا مظلما ملتبسا مبهما من قولهم
غم الهلال على الناس اذا اشكل عليهم فلم يتبينوه قال طرفه لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي
علي بسرمد وقيل غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والامر القصد الاول الى اهلاكه اي
فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة
مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا والامر الثاني فيه وجهان
احدهما ان يريد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديد عليهم المكروه عندهم يعني ثم اهلكوني
لئلا يكون عيشكم بسببي غصه وحالكم عليكم غمة غما وهما والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة
من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرايض الله اي لا تستر ولكن يجهر بها اي ولا يكن قصدكم
الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي اي امضوا الي ما في انفسكم
وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا اداه وفرغ منه وقيل ثم اقضوا الي ذلك
الامر الذي تريدون اي ادوا الي قطعه وتصحيحه لقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق
عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري
وقولي وابيتم ان تقبلوا نصيحتي فما سالتكم عليه الدعوه وتبليغ الرساله من اجر جعل وعوض فما عندكم
ما يغركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري ما اجري وجزاي وثوابي

ص

الذي يثيبني به في الاخره على سبيل التفضل بمقتضى وعده الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض
من اعراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين انكم سوا قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على
دين الاسلام او اني مامور بالاستسلام بكل ما يصل اليه وقيل المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين
شيا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور والمراد ان يجعل الحجه لازمه
لهم ويبري ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه
وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير **قوله تعالى** فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين انه تعالى لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح
عليه السلام وبين اوليك الكفار ذكر انه الى ماذا رجعت عاقبة تلك الواقعه اما في حق نوح واصحابه
فامران احدهما انه تعالى نجاهم من الكرب العظيم والثاني انه جعلهم خلايف واما في حق الكفار فهو انه تعالى
اغرقهم واهلكهم وهذه القصه زجر للمكذبين من حيث انهم يخافون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون
داعيه للمومنين الى الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقه في الترغيب
والتحذير اذا جرت على سبيل الحكايه عمن تقدم كانت ابلغ من الوعد والوعيد المبتدا وعلى هذا الوجه
ذكر تعالى اقاصيص الانبيا فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المده المتطاوله كتكذيبهم
في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلايف سكان الارض يخلفون
الهالكين بالغرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي اخر امر الذين انذرتهم الرسل فلم يومنوا
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسليه له **قوله
تعالى** ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل
كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا
وشعيبا فجاوهم بالحجج الواضحه المثبته لدعواهم فما كان ايمانهم الا ممتنعا لشدة شكيمتهم في الكفر
وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل اي انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهليه مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتيهم قبل بعثة الرسل وبعدها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع على قلوب
المعتدين **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين فلما جاهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون
للحق لما جاكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ثم بعثنا من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون
وملايه اي اشراف قومه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين بالايات التسع فاستكبروا واعظم الكبر
واعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعاظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترووا على ردها فلما جاهم فرعون وملاه
الحق من عندنا اي فلما عرفوا انه الحق من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لاستيلا الهوى
وحب الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شي من السحر الذي ليس الا تمويها
وباطلا وفيه سوال وهو ان فرعون وملاه قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه
سحر فكيف قال موسى لهم اتقولون للحق لما جاكم اسحر هذا على سبيل الاستفهام واجيب عنه
بان معنى قول موسى اتقولون للحق اتعيبونه الحق وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه
من قولهم فلان يخاف القاله وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوه ونحو القول
الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال موسى اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه

وبان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا السحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون
يعني قولهم ان هذا السحر مبين ثم قيل اسحر هذا وبان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون واما قلب العصا
حية وفلق البحر فمعلوم بالضرورة انه ليس من باب التمويه والتخييل فثبت انه ليس بسحر قوله
تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما
بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق
بكلماته ولو كره المجرمون انه تعالى حكى عن فرعون وملايه انهم لم يقبلوا دعوة موسى وعللوا عدم
القبول بامرين الاول قوله اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام والحاصل انهم قالوا
لا نترك الذي نحن عليه لانا وجدنا اباءنا عليه فقد تمسكوا بالتقليد ودفعوا الحجة الظاهرة بمجرد الاصرار
والسبب الثاني في عدم القبول قوله وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والسلطان لان الملوك
موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس واعلم ان السبب الاول
اشارة الى التمسك بالتقليد والسبب الثاني اشارة الى الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة
ولما ذكر القوم هذين السببين صرحوا بالحكم وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني لما ذكروا هذه المعاني حاولوا بعد ذلك ان يعارضوا معجز موسى عليه السلام
بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ان كنتم لا بد ملقين فلما القوا اي حبالهم وعصيهم
وخيلوا بها وظنوا انهم قد ظهروا قال لهم موسى ما جئتم به السحر قرا ابو عمرو السحر بمد الالف قبل
السحر استفهاما ما في ما جئتم استفهام رفع بالابتداء وجئتم به الخبر وهذا على جهة التقرير اي شي
اتيتم جئتم به السحر والباقون بالسحر فما في الرفع على الابتداء بمعنى الذي وصلته قوله جئتم والعائد
الضمير في به وخبرها السحر والتعريف في السحر لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا السحر فجاء هنا بلام
العهد كما تقول في اول الرسالة سلام عليك وفي اخرها والسلام عليك اي الذي جئتم به هو السحر لا ما
قلتم فيه ان هذا السحر مبين فانه من ايات الله ويجوز ان يكون ما استفهاما في موضع رفع
بالابتداء وجئتم به الخبر والسحر خبر ابتداء مضمر تقديره هو السحر ان الله سيبطله سيظهر للناس بطلانه
ويجعله هباء منثورا باظهار المعجز على الشعوذة ووجه استفهامه هذا هو التعجب والتوبيخ
ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بمضمر يفسره جئتم به على معنى اي شي اتيتم جئتم به والسحر مرتفع على
خبر المبتدا تقدير الكلام اي شي جئتم به هو السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يجعل
عملهم نافعا ولا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار يصح ان يكون من كلام موسى عليه السلام
ويصح ان يكون ابتداء اخبار من الله ويحق الله الحق اي يظهره ويثبته بكلماته السابقة الازلية
في الوعد بذلك وقيل بكلماته بقوله لا تخف انك انت الاعلى وقوله ويحق الله الحق يحتمل
ان يكون من كلام موسى عليه السلام ويجوز ان يكون من اخبار الله قيل لو كان ذلك كله من كلام
موسى عليه السلام اقرب وهو الذي ذكره الطبري ولو كره المجرمون ذلك قوله تعالى
فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايه ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض

وان

وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين انه تعالى بين فيما تقدم ما كان من موسى عليه
السلام من المعجزات القاهرة والايات الظاهرة وما ظهر من تلقف العصا ما يافكون ثم انه تعالى بين انهم مع
مشاهدة هذه المعجزات العظيمة ما امن به منهم الا ذرية من قومه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
فما امن لموسى اي فما صدق لموسى مع ما اتاهم به من الايات في اول امره الا طايفة من ذراري بني اسرايل
الذين ارسل اليهم موسى مات اباوهم لطول الزمان وامنوا هم قاله مجاهد وعن ابن زيد هم الذين نشاوا
مع موسى حين كف فرعون عن ذبح الغلمان وانما قيل لهم ذرية ولا ذرية لانهم الذين بعث اليهم موسى ان كانوا
بالغين وعن ابن عباس الا ذرية الا قليل وقيل ان الذرية قوم امهاتهم من بني اسرايل واباوهم من القبط
وانما سموا ذرية كما قيل لاولاد اهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس ابائهم
والذرية العقب من الصغار والكبار من قومه اي من قوم موسى وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف وقيل من قومه من قوم فرعون اي القبط والذرية
الاولاد والشبان من قوم فرعون وقيل الذرية مومن ال فرعون واسيه امراته وخازنه وامراة خازنه
وماشطته وعن ابن عباس ان الذرية سبعون لاهل بيت من القبط من ال فرعون امهاتهم من بني اسرايل
فجعل الرجل يتبع امه واخواله على خوف من فرعون وملايهم فمن جعل الضمير الذي اضيف اليه القوم لموسى
جعل الضمير الذي اضيف اليه الملا لفرعون وانما جمع وفرعون واحد لانه ذو اصحاب ياتمرون له
والملك اذا ذكر ذهب الوهم اليه والى اصحابه كما تقال قدم الخليفة يراد هو ومن معه وقيل معنى فرعون
ال فرعون كما تقال ربيعه ومضر ومن جعل الضمير في قومه لفرعون جعل الضمير في ملايهم للذرية
اي خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرايل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وقيل ان يقتلهم وانما لم يقل
يفتنوهم لان قومه كانوا على مثل ما كان عليه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر متكبر
وانه لمن المسرفين المتجاوزين الحد في الظلم والفساد والكبر والعتو لانه كان عبدا فادعى الربوبية
قوله وقال موسى لما شكى بنو اسرايل الى موسى ما يهددهم به فرعون من ذبح اولادهم واستحيا
نسائهم قال لهم يا قوم ان كنتم امنتم صدقتم بالله وباياته فعليه توكلوا في امركم في العصمة من فرعون
ولا توكلوا على الغير ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها سالمة لا حظ
للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط وجواب قوله ان كنتم امنتم قوله فعليه توكلوا وجزاء
قوله ان كنتم مسلمين محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم مسلمين اذ كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة ان ضربك زيد فاضربه فقالوا على الله توكلنا
اي لا توكلنا على الغير انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب
دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه
والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة اي لا تظهرهم علينا فيروا انهم
على الحق فيزدادوا طغيانا ويقولوا لو كان هولا على الحق لما اصيبوا وقيل لا تهلكنا بعذاب على ايدي
قوم فرعون ولا بعذاب من قبلك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر
بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المومنين روي ان بني اسرايل لا يصلون الا في
مساجدهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بمساجد بني اسرايل فخربت كلها

ومنعهم من الصلوة فاوحى الله الى موسى وهرون ان تبوا بوا وتبوا متعدي ان كوطنه وتوطنه وخلصته
وتخلصته وقيل بوات لنفسى منزلا وتبوات لغيرى منزلا بمصر قيل هو الاسكندريه ومصر ما بين البحر الى اسوان
والاسكندريه من ارض مصر وتبوا معناه تخيروا اتخذوا وهى لفظه مستعمله فى الاماكن تبوا المكان اتخذه
مباة لقولك توطنه اذا اتخذ وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه
للعباده والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة بدلا عن المساجد وعن بن عباس اجعلوا بيوتكم قبل القبله وعنه
قبل مكه عن مجاهد امروا ان يجعلوها مستقبلة الكعبه وعنه ايضا اجعلوا بيوتكم تقابل بعضها بعضا وقيل
اجعلوا بيوتكم التى بالشام قبلة لكم فى الصلوة فهى قبلة اليهود الى اليوم وقيل اجعلوا بيوتكم تلك قبله اى مساجد
متوجهه نحو القبله وهى الكعبه وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبه وكانوا فى اول امرهم مامورين بان
يصلوا فى بيوتهم فى خفيه من الكفره لئلا يظهروا عليهم فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون
على ذلك فى اول الاسلام بمكه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا
قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوا القومهما بيوتا ويختاراها للعباده وذلك مما يفوض الى الانبيا ثم
سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى
الله عليه وسلم بالبشاره التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقيل وبشر يا محمد المومنين بالنصر فى الدنيا والجنه
فى العقبى **قوله تعالى** وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد
اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون لما بالغ موسى فى اظهار المعجزات الباهره
وعرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا واورد عليهم النصايح والمواعظ زمانا طويلا
وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون
على اظهار المعجزات وعرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا اصرارا وعلم
بوحى من الله تعالى انهم لا يومنون اشتد غضبه عليهم اخذ يدعو عليهم فقدم على الدعا تقرير نعم الله
عليهم ولفرهم بها وقيل ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب اقدامه على تلك الجرايم
وكان جرمهم هو انهم بسبب حبهم للدنيا تركوا الدين فلهذا قال موسى عليه السلام ربنا انك اتيت
اعطيت وملات فرعون واشراف قومه زينة ما يتزين به من حلى ولباس وفرش واثاث ومراكب
وغير ذلك واموالا ذهبا وفضه وزبرجد وياقوت ربنا تكرير استغاثه كما يقول الداعي يا الله يا الله
ليضلوا قرا عاصم وحمزه والكساى ليضلوا بضم اليا على معنى ليضلوا غيرهم والباقون بفتح اليا
على معنى ليضلوا فى انفسهم قيل اللام لام الامر على وجه الدعا عليهم اى ليثبتوا على ما هم عليه من
الكفر والضلال والاضلال وقيل هى لام كى والاستفهام مقدر اى اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
لكى يضلوا عن سبيلك وقيل اتيتهم املا واستدراجا لكى يضلوا وقيل اتيتهم لتفتنهم بها فيضلوا
ويضلوا ابتلا منك وهذا كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقيل هى لام العاقبه
اى ليكون عاقبة ذلك الضلال والاضلال كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اى آل امرهم الى ان
صار لهم عدوا وحزنا لا انهم قصدوا ذلك وقيل لئلا يضلوا ولا مقدر ربنا اطمس على اموالهم
الطمس المحو والاذهاب قيل اهلكها وقيل امسخها وغيرها عن هيئتها عن مقاتل صارت دنانيرهم ودراهمهم
وزروعهم وسكرهم حجارة وبقى شكلها ونقشها واشدد على قلوبهم معنى الشد على القلوب الاستيثاق
منها حتى لا يدخلها الايمان وقيل اطبع على قلوبهم وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان وقيل اهلكهم كفارا وقيل
اشدد على قلوبهم ليصبروا على الاموال المطموسه ولا يفروا الى الخصب والسعه فلا يومنوا قيل هو منصوب

بالجواب

بالجواب للدعا الذى هو اشدد وقيل دعا بلفظ النهى كانه قيل اللهم فلا يومنوا وقيل عطف على قوله
ليضلوا على انهم جعلوا نعمة الله سببا فى الضلال والاضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فلا يومنوا وقوله
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعا معترض بين المعطوف والمعطوف عليه حتى يروا العذاب
الاليم هو الغرق قال قد اجيبت دعوتكما ثنى لان التقدير قال موسى وهرون ربنا وهما يدعوان وقيل
كان موسى يدعو وهرون يومن فلهذا نسب الدعا اليهما قال الله لموسى وهرون قد اجيبت دعوتكما
اى دعاكما مستجاب وما طلبتما واقع ولكن فى وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الرسالة والدعوة
وما امرتكما به والزياده فى الزام الحجه فقد لبث نوح فى قومه الف سنة الا خمسين عاما ولا تستعجلا
عن ابن جريج فمكث موسى بعد الدعا اربعين سنه وقيل فاستقيما على دينى وطاعتى واتباع امرى وقيل
فاستقيما فى دعائكما على فرعون وقومه ولا تتبعان قرا ابن عامر بتخفيف تا تتبعان والباقون بتشديدها
مع الاتفاق على تشديد نون تتبعان قال الزجاج محل تتبعان جزم الا ان النون لتشديده دخل للنهى
موكده وكسرت لسكونها وسكون النون التى قبلها واختير لها الكسر لانها بعد الالف فشبهت بنون الاثنين
والمعنى لا تتبعا طريق الجهلاء اى الكفار بعادة الله فى تعليقه الامور بالمصالح على سبيل التفضل ولا تعجلا
فان العجلة من الشيطان وقيل سبيل الذين لا يعلمون قضاى وان لا خلف فى وعدى وان وعيدى نازل
بفرعون وقومه **قوله تعالى** وجاوزنا ببنى اسرايل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين
الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس
عن اياتنا لغافلون لما اجاب الله تعالى دعا موسى وهرون امر بنى اسرايل بالخروج من مصر فى
الوقت المعلوم ويسر لهم اسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته
خرج على عقبهم وجاوزنا اى قطعنا ببنى اسرايل البحر حتى جاوزوه يقال جاز الشى وجاوزه فاجتاز
فارقه فصار قدامه وجاوز بغيره الشى جعله قدامه فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته
حتى اتبعته بغيا وعدوا اى باغيا عاديا اى مستكبرا ظالما وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل
حتى اذا ادركه الغرق اى احاط به الغرق اى لحقه الموت بالما قال امنت انه قرا حمزه والكساى
انه بالكسر على الاستيناف بدلا من امنت اى قال فرعون انه لا اله الا الذى وقيل باضمار
القول اى قال فرعون امنت وقلت انه لا اله الا الذى والباقون بالفتح على حذف البا
التى هى صلة الايمان كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول فلم
يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يك ينفعه ايمانه وكانت المرة الواحده كافيه فى وقته عند بقاء
التكليف الان اى قال جبريل وقيل قال الله الان تومن اى فى هذا الزمان الذى يقع الان فيه
اى حين ادركك الغرق وايست من نفسك ولم يبق التكليف وقد عصيت قبل اى كفرت
وكنت من المفسدين الضالين المضلين المانعين الناس من الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون روى ان جبريل اتاه
بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشا فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السياده
دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزا العبد الخارج على سيده
الكافر نعماه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك نبعدك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض اى مكان مرتفع ببدنك
بجسدك لا روح فيك ببدنك فى موضع الحال اى فى الحال التى لا روح فيك وانما انت

ولم يتغير صح

بدن وقيل ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء وقيل عريانا لست الا بدنا من غير لباس وقيل بدرعك وكانت
له درع من ذهب يعرف بها وقيل من لولو قيل ان موسى واصحابه لما خرجوا قال من بقي في المداين من قوم
فرعون ما غرق فرعون لكن هو واصحابه يتصيدون في جزاير البحر فاوحى الله الى البحر ان الفظ فرعون عريانا
فكانت نجاة عبرة وقيل ان اصحاب موسى قالوا انا نخاف ان يكون فرعون ما غرق ولا نومن بهلاكه فدعا
موسى ربه فاخرجه حتى تيقنوا بهلاكه وقيل انه كان يدعي انه رب وكان يعبده قوم فبين الله امره
فاغرقه واصحابه ثم اخرجه من بينهم لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنوا اسرايل وكان
في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يموت او يغرق وروي انهم قالوا اما مات فرعون ولا يموت
ابدا وقيل لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته ان ما كان
من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبريا الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه
ربه فما الظن بغيره او ليكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترءوا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا
بحالك وبهوانك على الله وقيل يجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين
المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثلك لا يغرق ولا يموت
اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك قوله
تعالى ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة عاقبة امر
فرعون وقومه وفي هذه الاية خاتمة امر بني اسرايل قيل قوم موسى مبوا صدق اي انزلناهم منزلا
صالحا مرضيا ومبوا نصب على انه مفعول ويجوز ان يكون مصدرا والمفعول محذوف وانما وصف
المبوا بكونه صدقا لان عادة العرب انها اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق يقول رجل صدق وثوب
صدق وقدم صدق وقال تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والسبب في ذلك ان الشيء اذا

ذلك صح

كان كاملا في فنه صالحا للغرض المطلوب يصدق ما يظن فيه من الخير فمعنى مبوا صدق اي يصدق فيه ظن قاصده
وساكنه واهله من الخير قيل هي الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة التي كتبها الله ميراثا لابراهيم
عليه السلام وذريته وقيل هي الشام وبيت المقدس وقيل هو مصر فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه
شعبا الا من بعد ما قرءوا التورية وكتبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة
وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وعن ابن عباس بنوا اسرايل هم قريظة والنضير وبني قينقاع بواناهم
مبوا صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات ما في تلك البلاد من الرطب والتمر ثم انهم
بقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم العلم اي القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم سمي القران
علما لانه سبب العلم تسمية للسبب باسم المسبب واختلافهم انهم كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه
وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته وذلك انه لما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم فالعلم بمعنى
المعلوم قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل والصديق من الزنديق وقيل فيما كانوا فيه يختلفون في امرك
يعني يدخل المصدقين الجنة والمكذبين النار قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسال
الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو جاءتهم
كل اية حتى يروا العذاب الاليم لما ذكر تعالى في الاية الاولى اختلافهم عند ما جاءهم العلم اورد على
الرسول عليه السلام في هذه الاية ما يقوي قلبه في صحة القران والنبوة وقد ذكر اكثر المفسرين في تاويل

هذه

هذه الاية عن مقاتل قالت كفار مكة انما يلقي هذا الوحي على لسان محمد شيطان فانزل الله هذه الاية
قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشاكين على عادة العرب في خطابهم للرجل
بالشيء ويريدون به غيره كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به المومنون يدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل وقيل ان الله تعالى
خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الخطاب شامل للكل والمعنى فان كنتم في شك فسلوا يدل على ذلك
قوله بعد هذا يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني عن ابن عباس لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يسال في
الله ولا فيما اوحي اليه ولكن يريد من آمن به وصدق فامرهم ان يسلوا لئلا يشكوا كما شك المنافقون عن رسول

الله

صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال
احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا
اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وتحت راية ذلك
الامير رعية واراد ان يامرهم بامر فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجهه الى الامير ليكون اقوى تاثيرا في قلوبهم
وقيل انه تعالى علم ان الرسول عليه السلام لم يشك في ذلك الا ان المقصود انه متى سمع هذا الكلام
فانه يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من اهل الكتاب بل يكفيني ما انزلته علي من البينات الظاهرة
والايات الباهرة ونظيره قوله تعالى لعيسى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله والمقصود
ان يصرح عيسى بالبراءة عن ذلك وقوله للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب
الحق ويقولوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وقيل اراد بالخطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم لا ينافي كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله
في الكفار وانهم لفي شك منه مريب لانا نقول فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم
على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك
مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فان قوله فان كنت في شك قضية شرطية لا اشعار فيها بان
الشرط وقع او لم يقع ولا بان الجزاء وقع او لم يقع بل لا اشعار لها بان الشرط ممكن الوقوع او غير ممكن الوقوع
ونظيره قوله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرايل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول

الله

صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يولد
عليهم بصحة القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا
وتقديرا وسبيل من اختلج بباله شبهة في الدين المبادرة الى حلها والمسارعة الى اماطتها اما بالرجوع
الى اصول الدين وبراهين العقل واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل الذين يقرءون الكتاب
يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض
وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات الساطعة
والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا ريب فيه وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول
العرب اذا عز اخوك فهن وقيل يحتمل ان يقال ليس هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم بل خطابه مضمر
تقديره قل يا محمد للشاك في نبوتك فان كنت في شك مما انزلنا اليك فان القران منزل الى كل احد لقوله
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وقيل ان ها هنا للنفي اي فما كنت في شك فسل اي لا نامرك بالسوال لانك شاك
ولكن لتزداد طمانينة ويقينا كما ازداد ابرهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فسال الذين يقرءون

الكتاب من قبلك اي مومني اهل الكتاب وهو منهم وقيل عبد الله بن سلام واضرابه ليخبروك
بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في شك في ضيق صدر فان الشاك في الشي يضيق به الصدر فيقال
لضيق الصدر شك يعني ان ضقت به ذرعا فاصبر واسال الذين يقروون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على
اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر والتمكين فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفا المرية عنك والتكذيب بايات الله وقيل هذا على طريقة التهييج
والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك قرا نافع وابن عامر كلمات على الجمع والباقون كلمة على لفظ الواحد اي ان الذين ثبت
عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ واخبر به الملايكة انهم يموتون كفارا وعن ابن عباس قول ربك بالسخط
عليهم وعن قتادة سخط ربك بما عصوه وعن مقاتل وجبت كلمة العذاب وقيل وجبت عليهم الوعيد
وقوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل كلمة لعنة في قوله الا لعنة الله على الظالمين
وقيل كلمة ربك اخباره انهم لا يومنون ربك به مشركي العرب ولو جاتهم كانوا يسالون رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالايات حتى يومنوا فقال تعالى لا يومنون ولو جاتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم
فلا ينفعهم حينيذ ايمانهم كما لم ينفع فرعون ايمانه حين ادركه الغرق قوله تعالى فلولا كانت قرية
امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى
حين لما بين الله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو جاتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم
اتبعه بهذه الاية لانها دالة على ان قوم يونس امنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وذلك يدل على ان
الكفار فريقان منهم من حكم عليهم بخاتمة الكفر ومنهم من حكم عليهم بخاتمة الايمان وكل ما قضى الله واقع فلولا
معناه النفي اي فما كانت قرية واحدة من القرى امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصب
قوم يونس على انه استثنا منقطع من القرى لكن المراد به اهاليها معنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز
ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه
على اصل الاستثنا وقيل لولا معناها هلا اي فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقا التكليف ولم توخر كما اخر فرعون الى ان اخذ
بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس فانهم لما راوا امارات
العذاب امنوا فنفعهم ايمانهم وهو كشفنا عنهم عذاب الخزي الهلاك والهوان في الحيوة الدنيا
ومتعناهم الى حين الى اجالهم وقيل كشفنا عنهم العذاب الى يوم القيامة فيجازون بالثواب
والعقاب وقيل انما نفعهم ايمانهم في وقت الياس لان اجالهم قد بقيت منها بقية فنجوا لما بقي من اجالهم
فاما ايمان من قد مضى اجله فغير نافع عند حضور العذاب قصة يونس عم ما ذكر المفسرون
ان يونس عليه السلام بعثه الله الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الاسلام وترك ما هم
عليه فابوا ثم دعاهم فابوا فاوحى الله اليه ان اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك
فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا ان العذاب
مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس عليه السلام من بين اظهرهم فلما اصبحوا غامت السما
غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلما راوا ذلك
ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد
بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واخلصوا النية واظهروا الايمان والتوبة
وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات

واختلطت

قصة يونس عم

واختلطت اصواتها باصواتهم وحنينها بحنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا امنا بما جاء به يونس
فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلهم وتدلى عليهم وذلك يوم عاشورا وعن
ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
وروي انه لما غشي قوم يونس العذاب خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما
ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم
العذاب ومتعوا الى حين وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قوله تعالى ولو شاء ربك لامن
من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يومنون قال الامام ان هذه السورة من اولها الى هذا الموضع في بيان حكايات
شبهات الكفار في انكار النبوة مع الجواب عنها وكانت احدى شبهاتهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم
بنزول العذاب على الكفار ويعد اتباعه بان الله ينصرهم ويعلي شانهم ويقوي جانبهم ثم ان الكفار
ما راوا ذلك فجعلوا ذلك شبهة في الطعن في نبوته وكانوا يبالغون في استعجال ذلك العذاب
على سبيل السخرية ثم ان الله سبحانه بين ان تاخير الموعود به لا يقدح في صحة الوعد ثم ضرب لهذا امثلة وهي
واقعة نوح وواقعة موسى وامتدت هذه البيانات الى هذا المقام ثم في هذه الاية بين ان جد
الرسول في دخولهم في الايمان لا ينفع ومبالغته في تقرير الدلايل وفي الجواب عن الشبهات لا يفيد لان
الايمان لا يحصل الا بمشية الله وخلقه وارشاده وهدايته واذا لم يحصل هذا المعنى لا يحصل
الايمان عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان جميع الناس فاخبره الله انه لا يومن
الا من سبقت له المشية والسعادة وقيل نزلت في ابي طالب ولو شاء ربك لو تفيد انتفا الشي لانتفا غيره
اي لو شاء ربك ايمان كل من في الارض لامن من في الارض كلهم جميعا لكن لم يشا ايمان من في الارض كلهم جميعا فلم يومن من
في الارض كلهم جميعا فعلم من ايمانه ان الله تعالى لو شاء ايمان الكفار لامنوا لكن لم يتحقق ايمان الكفار لانه لم يشا فدل
على انه لم يشا ايمان الكفار فهذه الاية حجة لنا على المعتزلة والتقييد بمشية الالجا على خلاف الظاهر من غير
دليل بل مع وجود الدليل على التقييد جا بقوله جميعا مع كل تاكيدا كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين
والمعنى لامن كل من في الارض على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون
فيه افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين المعنى انه لا قدرة لك على التصرف في احد والمقصود منه بيان ان
القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق وما كان وما ينبغي لنفس من النفوس ان تومن الا بامر الله
وقيل بقضا الله وقيل بمشية الله وقيل بعلم الله وقيل بتوفيق الله وقيل الا باذن الله لما فيه فلا تجهد
نفسك في هداها فان ذلك الى الله ويجعل الرجس العذاب وقيل الاثم والعدوان وقيل النتن والعذاب
وقيل الشيطان وقيل الغضب والسخط وقيل ما لا خير فيه قرا ابو بكر عن عاصم نجعل بالنون والباقون
بالياء على الذين لا يعقلون دلايل توحيده وحجج تنزيهه واوامره ونواهيه قوله تعالى قل انظروا ماذا
في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون قرا عاصم وحمزة قل انظروا
بكسر اللام لالتقا الساكنين والباقون بضمها بنقل ضمة الهمزة الى اللام لما بين في الاية المتقدمة ان
الايمان لا يحصل الا بمشية الله تعالى امر بالنظر في الدلايل حتى لا يعتقد ان الحق هو الجبر المحض فقال
قل انظروا قال الامام هذا يدل على مطلوبين الاول انه لا سبيل الى معرفة الله الا بالتدبر في الدلايل
كما قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والثاني ان الدلايل اما ان تكون من
عالم السموات او من عالم الارض اما الدلايل السماوية وهي حركات الافلاك ومقاديرها وارتفاعها

والكواكب وما يختص به كل واحد منهما من المنافع والفوايد واما الدلايل الارضيه وهي احوال العناصر
واحوال المعادن واحوال النبات واحوال الحيوان واحوال الانسان خاصه ثم ينقسم كل واحد من هذه الاجناس
الى انواع لا نهاية لها ولو ان الانسان يتفكر في كيفية حكمة الله تعالى في خلق جناح بعوضه لانقطع فكره قبل ان يصل
الى اول مرتبه من مراتب تلك الحكم والفوايد فلهذا ابهم قوله ماذا في السموات والارض ولم يذكر التفصيل
فكانه تعالى نبه على القاعدة الكليه حتى تنبه لاقسامها ثم انه تعالى لما امر بهذا التفكر والتامل بين بعد ذلك ان
هذا التفكر والتدبر في هذه الايات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى في الازل بالشقا والضلال وقيل يا محمد لهولا
المشركين الذين يطلبون منك الايات انظروا ماذا في السموات من الشمس والقمر والنجوم والارض من الجبال والانهار
والبحار والاشجار وغيرها من الايات وما تغني الايات والنذر الرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يومنون
اي علم الله انهم لا يومنون وحكم بكفرهم وما نافيه او استفهاميه اي اي شي تغني عنهم وهو استفهام بمعنى الانكار

قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين فهل ينتظرون
يعني مشركي مكة الا ايام مثل ايام الذين خلوا مضوا من قبلهم من مكذبي الامم يعني وقايع الله في قوم عاد وثمود
والعرب تسمي الوقايع اياما سوا كان وقايع خير او شر قل فانتظروا امثالها ان لم تومنوا اني معكم من المنتظرين
لذلك وقيل انتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم جواب لهم حين قالوا نتربص بكم الدوابر

قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المومنين ثم ننجي رسلنا معطوف على حكاية الاحوال
الماضيه اي كما اهلكنا الذين خلوا ثم ننجي رسلنا والذين امنوا معهم كذلك اي مثل ذلك الانجا ننجي محمدا صلى
الله عليه وسلم والمومنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا بحسب الوعد والحكم
لا وجوبا بحسب الاستحقاق وقع تاكيد الكلام اي حقا غير شك وقيل يجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف
اي انجا حقا قرا الكساي وحفص ننجي بالتخفيف من الانجا والباقون بالتشديد من التنجيه

قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
وامرت ان اكون من المومنين لما ذكر الادله على اقصى الغايات امر رسول الله باظهار دينه وانفصاله
عن المشركين قل يا محمد يا ايها الناس يا اهل مكه ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني
فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو
اني لا اعبد الحجاره التي لا تخلق ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيا من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون من لا يقدر على شي الذي
يتوفاكم يقدر ان يميتكم ويعذبكم واحكم وامرت ان اكون من المومنين بما دلت عليه الانبيا قيل يعني ان
الله امرني بذلك بما اوحي الي في كتابه وقيل ان كنتم لا تعرفون ما انا عليه فانا ابينه لكم وقيل ان كنتم في شك من
ديني فانا على يقين وقيل ان شككتم في ان ديني افضل ام دينكم فاسمعوا وجعلهم شاكين لاضطرابهم عند نزول
الايات وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه الثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال
ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلاله
على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون

قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان اقم
معطوف وفي المعطوف عليه وجهان احدهما ان قوله وامرت ان اكون وقيل الى ان مومنا ثم عطف عليه قوله
وان اقم وجهك وثانيهما ان قوله وان اقم وجهك قايم مقام قوله وامرت باقامة الوجه قال صاحب الكشاف
فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة اي المفسره
او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر اي ان المصدريه فلا يصح ان تكون التي للعبارة وان كان الامر يتضمن

معنى القول لان عطف ان اقم على الموصوله التي هي ان في قوله ان تكون تابى ذلك لانها متصله بالفعل مفيده
معها معنى المصدر وشرط ان المفسره ان لا يتصل بها شي من صلة الفعل الذي تفسره اذ لو اتصل بها صار في جملة ذلك
الفعل ولم يكن تفسيرا له فاذا عطفتها على الموصوله اتصلت به لان المعطوف في حكم المعطوف عليه فيقتضي الاتصال
والقول بكون ان في قوله ان اقم موصوله مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصله حقها ان تكون جمله
تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهي لانهما الان على المصدر لا له غيرهما
من الافعال وان اقم وجهك اي استقبل الكعبه في الصلوه وتوجه نحوها وقيل اخلص عملك وقيل استقم مقبلا
بوجهك على ما امر الله وقيل استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين الشرك الخفي لان الشرك الظاهر مذكور فلا اعبد الذين تعبدون ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ان دعوته واطعته ولا يضرك ان خذلته وعصيته اي لا تدع الهه كما تدعو المشركين الاوثان الهه وهذا
تحقير للاوثان وهوانها فان قلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك اذا اطعته ولا يضرك ان عصيته
فكنى عنه بالفعل ايجازا فان فعلت معناه فانك اذا من الظالمين لانفسهم الواضعين الدعوه في غير محلها فانك اذا من
الظالمين اذا جزا للشرط وجواب لسوال مقدر كان سايلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا
ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم اتبع النهي عن دعا غير الله وصفه
بانه لا ينفعك ولا يضرك ان الله هو الضار النافع الذي ان يمسسك اي يصبك بضر فلا كاشف له لذلك
الضر الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وان يردك بخير يرد بك خيرا يوصله
اليك فلا راد لفضله لا راد لمراده عبر عنه بالفضل تنبيها على ان ما يوصل اليه من الخير بفضله لا بالوجوب
فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا ان يعبد وحده وانما ذكر المس في احدهما والاراده في الاخر لانه اراد ان يذكرهما
جميعا الاراده والاصابه في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما
فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابه في احدهما والاراده في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر
الاصابه بالخير في قوله يصيب به اي بالخير من يشا من عباده واراد بالمشيه المشيه على الاطلاق لا مشية المصلحه
فان التقييد بها عدول عن الظاهر من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر هو الحق وهو
الغفور الرحيم فلا ييأس احد من غفرانه ورحمته

قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن
اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل قل يا ايها الناس يا اهل مكه
قد جاءكم الحق يعني محمدا او القران فمن اهتدى امن بمحمد وعمل بما في الكتاب فانما يهتدي فلنفسه ثواب اهتدايه
ومن ضل كفر بهما فانما يضل على نفسه وبال ضلاله واللام دل على معنى النفع وعلى دل على معنى الضر وفيه
حث على ايثار الهدى واطراح الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد
انما انا بشير لمن اهتدى ونذير لمن ضل

قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو
خير الحاكمين امره الله تعالى باتباع الوحي والتنزيل من التبليغ والتبشير والاعذار والصبر على تبليغ
الرساله ودعوتهم واحتمال المكاره والاذى واعراضهم حتى يحكم الله بالنصر عليهم والغلبه وهو خير
الحاكمين لانه المطلع على السراير

قوله تعالى بالاجماع وعن ابن عباس انها مكيه
الا اية واحدة هي قوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وعن مقاتل مكيه كلها الا ثلاث ايات قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اوليك يومنون به نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقوله
ان الحسنات يذهبن السيات نزلت في نبهان التمار وهذه الثلاث مدنيه قاله مقاتل على ان الاولى السبعه
المكي وهي مايه وثلاث وعشرون ايه والف وتسع مايه وخمس وعشرون كلمه وسبعة الاف وستمايه

وستة احرف روى انه قيل يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة
وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن
حكيم خبير قيل الر اسم كتاب او حروف كتاب على التقديرين مبتدا الكتاب خبره ومن تاول الر بغيره ذلك
قال كتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا الكتاب والكتاب القران والتنكير للتعظيم احكمت اياته عن الباطل
والاختلاف والتناقض والكذب وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها
الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وقيل جمعت وقيل
احكمت من ان تنسخ بكتاب سواه كما نسخ ساير الكتب وقيل احكمت ايات هذه السورة من النسخ فليس فيها
منسوخ وقيل احكمت اياته بالحجج والدلايل والامر والنهي وقيل احكمت فعيل بالمنع من حكم بضم الكاف
اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة لقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل احكمت اياته بنظم عجيب بليغ بديع رصين
محكم منيع لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المرصف المحكم وعم الايات بالاحكام هاهنا وخص بعضها به
في قوله ايات محكمات هن ام الكتاب اما لحمل العام على الخاص واما لان المراد بالاحكام هنا بلوغ نظمها
في البلاغة والفصاحة بحيث يمنع المعارضة ويعجز وبالتشابه واللبس واستوا السامعين في معرفتها
ثم فصلت الفصل ابانة احد الشيين عن الاخر حتى يكون بينهما فرجة ومنه قيل المفاصل والواحد مفصل
وفصل القوم عن مكان كذا فارقوه قال الله تعالى فلما فصلت العير ويستعمل في الافعال والاقوال
قال تعالى انه لقول فصل وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اي يفصل بين الناس بالحكم وفصل
الخطاب ما فيه قطع الحكم وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما يفصل القلايد بالفرايد من دلايل
التوحيد والنبوة والشرايع والاحكام والامر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد والثواب
والعقاب والمواعظ والقصص وتبيان كل شي مما يحتاج الناس اليه من امر الدنيا والاخرة
وقيل فرقت في التنزيل فصلا فصلا ونجما نجما ولم تنزل جملة واحدة او جعلت فصولا سورة سورة
واية اية ثم معناها التراخي في الحال لا في الوقت كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن
التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل من لدن الموضع الذي هو الغاية وهو ظرف غير متمكن بمنزلة
عند لكنها مختصة باقرب مكان وعند للقريب والبعيد ولهذا تقول عندي كذا لما تملكه حضرك او
غاب عنك ولا تقول لدي كذا الا لما هو بحضرتك وقد دخلوا عليها من وحدها من حروف الجر احكمت
صفة لكتاب ثم فصلت عطف على احكمت من لدن صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون
صلة لاحكمت وفصلت اي من لدن حكيم خبير احكامها وتفصيلها اي احكمها حكيم وفصلها خبير
عالم بكيفيات الامور وفيه طباق بليغ حسن وحكيم مخفوض باضافة لدن اليه وابهامه وتنكيره
ووصفه بالخبير على هذا الوجه يفيد التعظيم وانه لا يدرك كنهه **قوله تعالى** الا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم
وهو على كل شي قدير ان في محل نصب اما على اضمار فعل نحو كتب الا تعبدوا واما بنزع الخافض
اي فصلت بان لا تعبدوا الا الله واما انه مفعول له على معنى لئلا تعبدوا اي كتاب احكمت
اياته ثم فصلت لاجل الا تعبدوا الا الله وهذا التاويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب
الا المنع من عبادة غير الله والحث على عبادة الله فكل من صرف عمره الى ساير المطالب فقد خسر خسرانا
مبينا وضل ضلالا بعيدا وقيل يجوز ان يكون محله الرفع اي في الكتاب ان لا تعبدوا الا الله
او تفصيله ان لا تعبدوا الا الله وعلى التقادير ان مصدرية ويجوز ان تكون ان مفسرة

لان

السديد اضلوا غيرهم ومنعوهم عن الدين الحق ومنها ما كانوا يستطيعون السمع اي انهم لفرط عنادهم
عن استماع الحق وكراهتهم له كانوا لا يستطيعون السمع وعن قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعونه
وما كانوا يبصرون الهدى لقوله انهم عن السمع لمعزولون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تعالى منع المشركين
من الايمان في الدنيا والاخرة اما في الدنيا ففي قوله ما كانوا يستطيعون السمع استثقالهم له ونفورهم عنه
الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا امر يمجه سمعي وقيل يحتمل ان يراد بقوله
وما كان لهم من اوليا انهم جعلوا الهتهم اوليا من دون الله ولايتها ليست بشي فما كان لهم في الحقيقة من اوليا
ثم بين نفي كونهم اوليا بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض بوعيد ومنها قوله اولئك الذين خسروا اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله وكان خسرانهم
في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم والمعنى خسروا راحة انفسهم وسعادتها ومنها قوله وضل
عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها وقيل بطل سعيهم وخاب رجاوهم
وقيل لم ينتفعوا بكذبهم ومنها قوله لا جرم معناه حقا وقيل لا جرم معناه حق له وقيل في الاصل بمنزلة لا بد
ولا محالة فجرى على ذلك وكثر استعمالهم اياها حتى صارت بمنزلة حقا وقيل لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم
ذلك جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون اي كسب لهم ذلك الفعل الخسران وقيل لا رد لكلام سابق ومعنى جرم
كسب وفاعله مضمر تقديره كسب فعلهم انهم في الاخرة هم الاخسرون ولذلك قوله لا جرم ان لهم النار ومنه
قول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا وقيل معنى جرم قطع اي
لا قطع قاطع عن ذلك وقيل جرم اسم بني لا على الفتح كقوله لا بد ولا محالة فمحل لا جرم رفع مبتدا وقوله
انهم خبره وقيل انهم في الاخرة هم الاخسرون في محل رفع فاعل حق اي حق ووجب خسرانهم ومعنى لا جرم
انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم ضلوا واضلوا الا ترى احدا ابين خسرانا منهم **قوله تعالى** ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون لما ذكر عقوبة الكافرين
وخسرانهم اتبعه بذكر احوال المومنين الاخبات الخشوع والخضوع وهو ماخوذ من الخبت وهو
الارض المطمينة ومنه قيل للشي الدني الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث
وقيل التاء فيه بدل من الثا واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادة ربهم بالخشوع
والخضوع والى واقع موقع اللام لما بينهما من القرب وقيل قصدوا باخباتهم الى ربهم وقيل الى بمعنى من
اي اخبتوا من خوف ربهم وقيل انابوا الى ربهم وقيل تابوا الى ربهم وقيل اخلصوا وقيل انما ادرجت
على اللام والعادة جارية بان يقال اخبتوا لربهم لان المعنى وجهوا خوفهم وخشوعهم واخلاصهم
الى ربهم واطمانوا الى ربهم **قوله تعالى** مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلا افلا تذكرون لما ذكر الفريقين المشركين والمومنين ضرب للفريقين مثلا شبه فريق المشركين بالاعمى
والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان شبه الفريقين
بشبيهين اثنين كما شبه امرو القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان شبه بالذي جمع بين
العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في الاصم وفي والسميع لعطف الصفة
على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب هل يستويان اي الفريقان مثلا تشبيها وهو نصب على
التمييز افلا تذكرون فتنتفعوا بضرب المثل **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم بدا بذكر قصة نوح في سورة
يونس وقد اعادها في هذه السورة لما فيها من زوايد الفوايد قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي

انى بفتح الالف اى بانى لكم ومعناه ارسلنا نوحا الى قومه المرسل اليهم ملتبسا بانى لكم نذير مبين جعل الجار
والمجرور حالا لان المفعول والمعنى على الكسر لان قوله انى لكم نذير مبين فى الاصل مقول والكسر لازم
بعد القول فلما اتصل به الجار غير اللفظ دون المعنى بفتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
قال ابو البقا انى بالفتح على تقدير بانى وهو فى موضع نصب اى ارسلناه بالانذار اى منذرا والباقون بالكسر على
ارادة القول اى فاتاهم فقال انى لكم نذير مبين قيل المراد من النذير لانه مهددا للعصاة بالعقاب ومن
المبين لانه مبينا ما اعد الله للمطيعين من الثواب والاولى ان يكون المعنى انه نذير للعصاة من العقاب وانه مبين
بمعنى انه بين ذلك الانذار على طريق الاكمل والبيان الاقوى الاظهر الا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم نذير اى
ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون جزما على النهى ويجوز ان يكون فى محل النصب بان يكون مفعولا
لقوله مبين اى ابين لكم ان لا تعبدوا او يجوز ان يكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم
عذاب يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه واذا وصف به العباد فهو مجازى
مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيره قولك نهاره صايم وجد جده **قوله تعالى** فقال الملا
الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى وما نرى لكم
علينا من فضل بل نظنكم كاذبين لما حكى الله عن نوح انه دعى قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم انهم
طعنوا فى نبوته بثلاثة انواع من الشبهات والشبهة الاولى انه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين احاد
البشر يمتنع انتهاوه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين والشبهة الثانية لعله ما
اتبعك الا اراذل القوم كالحاكة واهل الصنايع الخسيسة ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس
والاشراف منهم ونظيره قوله تعالى انومن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة قوله تعالى وما
نرى لكم علينا من فضل اى لا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل اذ لم نشاهد فضلك
علينا فى شى من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا فى اشرف الدرجات واعلى المقامات
قال الامام الشبهة الاولى لا تليق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق واما
الشبهتان الباقيتان فيمكن ان تمسك بهما من اقر بنبوة ساير الانبيا الملا الاشراف من قومه ما نراك الا بشرا
مثلنا فقال الملا الذين كفروا من قومه الاشراف الذين كفروا من قومه ما نراك الا ادميا مثلنا سمى
الانسان بشرا لظهور بشرته خلافا للبهايم والطيور وغيرهما من الحيوانات قال صاحب الكشاف
تعريض بانهم احق بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فى احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من
الملا وموازيهم فى المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل او اراد وانه
كان ينبغى ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل وهو الناقص القدر وقيل جمع رذل على ارذل
ثم اراذل ككلب واكلب واكالب وهذا اظهر لان الفعل يقتضى الشركة اولا ثم الزيادة ومعنى
اراذلنا اخساءنا الذى لا شرف لهم ولا مال بادى الراى قرا ابو عمرو بادئ بالهمزة من بدا يبدو ويصح
ان يكون من بدا استهلالا والراى بترك الهمزة والباقون بادى بدون همزة والراى بهمزة والمعنى اتبعوك اول
الراى او ظاهر الراى وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم
فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شى لهم بديهة من غير روية
ونظر وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون
ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب احدا من الله عز

وص

احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين لما ثبت بالدليل المتقدم
كونه عالما بالمعلومات اثبت بهذا الدليل كونه تعالى قادرا على كل المقدورات وفى الحقيقة فكل واحد من هذين
الدليلين دليل على كمال علم الله تعالى وعلى كمال قدرته وكان عرشه على الماء اى فوق الماء اى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات
والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض عن كعب خلق الله عز وجل
ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء قيل معنى
قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالاخر وخلق
القلم مكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا
من الخلق والفايدة فى ذكر قوله وكان عرشه على الماء بيان جلال قدرته فان العرش مع كونه اعظم
من السموات والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك العرش العظيم بغير عمد لما صح ذلك وانه
امسك الماء لا على قرار وان العرش الذى هو اعظم المخلوقات قد امسكه تعالى فوق سبع سموات من غير
دعامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك يدل على كمال قدرته ليبلوكم قال صاحب الكشاف ليبلوكم متعلق بخلق
اى خلقهن لحكمة بالغة وهى ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات
واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل
بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فقوله ليبلوكم من الاستعارة التبعية الواقعة على طريق التمثيل شبه حال
المكلف الممتحن المختار مع تعلق علم الله تعالى بافعاله بحال المختبر ثم استعير لجانب المشبه ليبلوكم موضع ليعلم
وجعل قرينة الاستعارة علم العالم الخبير بما ظهر وما بطن قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز تعليق فعل
البلوى قلت لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم
احسن صوتا لان النظر والاستماع من طريق العلم قيل وفيه نظر لانه ذكر فى سورة الملك فى نظيره انه ليس
بتعليق وعلله بقوله انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت
ازيد منطلق ومعناه ان من شرط التعليق ان لا يذكر شى من المفعولين قبل الجملة وههنا سبق المفعول الاول
وهو الضمير المنصوب فلا يكون تعليقا قيل ويمكن ان يقال المراد بالتعليق ههنا ان قوله ليبلوكم سبب لما
علق عليه بالاستفهام وهو العلم وقد اكتفى بالسبب وهو الابتلاء عن المسبب وهو العلم وهو المراد من قوله
لانه طريق اليه كما ان النظر والسمع طريقان الى العلم فتقدير الكلام ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا قال الامام
اللام فى ليبلوكم يقتضى انه تعالى خلق السموات والارض لابتلاء المكلف فظاهر هذا يقتضى انه تعالى خلق
هذا العالم لمصلحة المكلفين وقد قال بهذا طوايف من العقلاء والذين قالوا ان افعاله تعالى واحكامه
غير معللة بالمصالح قالوا لام التعليل معناه ههنا ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز
عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما ذكر صيغة التفضيل لان الاختبار شامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبيح الحث على احاسن الاعمال والحث على الترقى دايما فى مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال
المومنين هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المومنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح
قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر
واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا فى
حيازة فضلهم وما ذكره حسن لولا قوله ما هو غرض الله من عباده تقرير المذهبه فانه تعالى منزه عن ان
يكون له غرض قوله ايكم احسن عملا اى احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله رواه
ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ايكم اعمل بطاعة الله وقيل ايكم اتقى الله وازهد

وقيل ان الله كان عرشه
على الماء قبل خلق السموات
والارض بكذا

في الدنيا واقوى لها تركا ولئن قلت انكم مبعوثون لما بين انه لما خلق هذا العالم لابتلا المكلفين وجب القطع بالحشر والنشر لان الابتلا يدل على تخصيص المحسن بالثواب والمسي بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالبعث بعد الموت فخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت اى انهم يستنكرون هذا الكلام ويحكمون بفساد القول بالبعث ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى يقول اى البعث بعد الموت الا باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له وقيل السحر هاهنا الخداع اى ان هذا الا خداع منكر وضعتما لتصرف وجوه الناس عن لذات الدنيا الى الانقياد لك والدخول تحت طاعتك وقيل اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا باطلا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره

قوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون انه تعالى في الاية الاولى انهم يكذبون الرسول في قوله انكم مبعوثون بعد الموت فحكى عنهم في هذه الاية نوعا اخر من اباطيلهم وهو قولهم ما يحبسه ولئن اخرنا عنهم اى عن اهل مكة العذاب اى عذاب الاخرة وقيل عذاب بدر الى امة معدودة اى الى جماعة من الاوقات معدودة محدودة معلومة قوله تعالى وادكر بعد امة اى جماعة من الزمان وقيل الى مجى امة وانقراض امة وقوله معدودة قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنع الوقوع من العذاب استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزا الا يوم ياتيهم العذاب ليس مصروفا خبر ليس عنهم في محل الرفع بانه اقيم مقام الفاعل ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزءون اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون على وجه الاستهزا وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم على وجه الاستهزا والمعنى ويحيق بهم الا انه جا على عادة الله في اخبار عن احوال القيامة بلفظ الماضي مبالغة في التاكيد والتقرير لتحقيق وقوعه

قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليوس كفور ولئن اذقناه نعما بعد ضرا مسته ليقولن ذهب السيات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة واجر كبير لما ذكر ان عذاب هولا الكفار يحيق به قطعا ذكر بعده ما يدل على كفرهم واستحقاقهم للعذاب ولئن اذقنا اعطينا الانسان للجنس رحمة نعمة وسعة من صحة وامن وجدة واذقناه حلاوتها ومكناه من التلذذ بها ثم نزعناها منه سلبناه تلك الرحمة منه انه ليوس شديد الياس من ان يعود اليه تلك الرحمة المسلوبة قانط من رحمة الله وفضله من غير صبر ولا تسليم لقضا الله ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسا له ولئن اذقناه نعما بعد ضرا مسته كصحة والمال بعد ضرا مسته كبعد الفقر الذى ناله والضر الفقر الذى يضر بالبدن لعدم المال ليقولن ذهب السيات عني اى المصيبات التى ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح عن الفخر عن الشكر الا الذين صبروا على الضرا وعملوا الصالحات وشكروا على النعما فان عادتهم ان زالت عنهم نعمة ان يصبروا وان نالتهم رحمة ان يشكروا اوليك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعنى الجنة والاستثنا صحيح ان الانسان اسم للجنس اى الانسان بهذه الصفة الا المومنين وقيل منقطع اى لكن الذين صبروا

قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جا معه ملك انما انت نذير والله على كل شي وكيل هذا نوع اخر من اباطيلهم كانوا يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جا به كافية في رشادهم وعن ابن عباس ان روسا مكة قالوا

يا

قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جا معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جا به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله تعالى منه وهيجه لادا الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزايهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وعن ابن عباس قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا وضايق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملايكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه قيل وضايق به صدرك غير مبلغه اياهم اللفظ خبر والمعنى نهي اى لا تركن الى كلامهم ولا يضيق صدرك باقتراحهم ولا يهتم ان لم يوت ما سالوه ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفعه او جا معه ملك يصدقه فهذا التفسير للضمير المجرور في به ثلاثة اوجه احدها ان يعود الى بعض ما يوحى والثاني الى التبليغ والثالث الى التكذيب ثم قال انما انت نذير اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا وليس عليك ان تاتيهم باقتراحهم من الايات والله على كل شي من غيظك وما يقصدونك به وكيل فتوكل عليه وكل امرك اليه وبلغ ما انزل اليك بقلب فسيح وصدر منشرح ولا تلتفت الى استكبارهم ولا تبال بسفههم واستهزايهم والعدول عن ضيق الى ضايق للمناسبة وليدل على انه عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم افسح الناس صدرا فلهذا قال فلعلك تارك

قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين اعلم ان القوم لما طلبوا منه المعجز قال معجزي هذا القران ولما حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة تعنتا وجهلا ثم قرر معجزا بان تحداهم بالمعارضة وام منقطعة بمعنى بل والف الاستفهام كانه اضرب عن الكلام الاول واستفهم في الثاني على معنى التقرير والضمير المنصوب في افتراه لما يوحى اليك اى يقولون ما يوحى اليك مفترى قل لهم فاتوا بعشر سور تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحا مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام وهذا يقتضي ان يكون هود متقدما في النزول على يونس وعن المبرد انكار نزول هود متقدما على يونس وقيل معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله في الخبر عن الغيب ونظمه ووعده ووعيده فعجزوا فقيل لهم في هذه السورة ان عجزتم عن الاتيان بمثله في الخبر والنظم والوعد والوعيد فاتوا بعشر مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة فهذا غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجي معارضة سورة بسورة مفتريات ولا ابالي عن تقديم نزول هذه الى هذه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى ويجوز ان يقال لمثله على زعمهم انه مفترى فان قيل كيف وحد القول في قوله قل فاتوا ثم جمع في قوله فان لم يستجيبوا لكم وقوله فاعلموا ففيه جوابان احدهما ان الخطاب للنبي عليه السلام في الموضعين فيكون الخطاب له بقوله لكم تعظيما لان خطاب الواحد بلفظ الجمع تعظيم والثاني معناه فان لم يستجيبوا لك وللمومنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم وقيل يجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير المرفوع في لم يستجيبوا

بسوره

لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم ايها المشركون من تدعونهم من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز
عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا ايها المشركون انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من
نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل للخلق اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب
والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة والبينة الساطعة وعلى
تقدير ان يكون الخطاب للمسلمين معناه فاثبتوا ايها المسلمون على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات
قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون واما وجه التعليق
بين الشرط المذكور في هذه الاية وبين الجزا فهو ان القوم ادعوا كون القران مفترى على الله فقالوا لو كان
مفترى لوجب ان يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم
الله كناية عن كونه من عند الله كما يقول الحاكم هذا الحكم ثبت بعلمي وتعلق قوله وان لا اله الا هو بعجزهم عن
المعارضة هو انه تعالى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار ان يستعينوا بالاصنام في تحقيق
المعارضة ثم ظهر عجزهم عنه فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا تضر في شي من المقاصد واذا كان كذلك فقد بطل
القول بانهم الهة فصار عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا الهية الاصنام ودليلا
على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قوله وان لا اله الا هو اشارة الى ما ظهر من فساد القول بالهية الاصنام
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون اعلم ان الكفار
كانوا اينما زعمون النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال وكانوا يظهرون من انفسهم ان محمدا مبطل ونحن
محقون ومنازعتنا له لتحقيق الحق وابطال الباطل وكانوا كاذبين فيه بل كان منازعتهم للحسد والاستنكاف
عن متابعته فانزل الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا بعمله واحسانه الى الناس كاطعام الفقير وكسوتهم والعدل
بين الناس ولم يومن بالاخرة نوف اليهم نوصل اليهم اجورهم العالية وافية كاملة في الدنيا وهم في الدنيا لا يبخسون لا ينقصون
اي وفاه الله جزا عمله في الدنيا بالحظ منها وبالجاه والرياسة من غير بخس ولا نقص وعن قتادة يقول الله من
كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الاخرة وليس له حسنة يعطى بها جزا
واما المومن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة قال صلى الله عليه وسلم من احسن فقد وقع
اجره على الله في اجل الدنيا واجل الاخرة قيل نزلت الاية في الكفار فاما المومن فانه يريد الدنيا والاخرة
وارادته الاخرة غالبة على ارادته الدنيا يدل عليه قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقيل هم اهل الريا روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة دعا العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية
فاول من يدعوه رجل جمع القران ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقاري
الم اعلمك ما انزلت على رسول الله قال بلى فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم انا الليل والنهار فيقول الله
له كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قاري فقد قيل ذلك ويوتى
بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فما
عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول
الله تبارك وتعالى بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل بذلك ويوتى بالذي قتل في سبيل الله
فيقال له فيماذا قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جري فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله اولئك
الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيمة وعن انس هم اليهود والنصارى ان اعطوا سايلا
او وصلوا رحما عجل لهم جزا ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا

من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون

من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنايم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
لانهم استوفوا اجزاهم في الدنيا وحبط ما صنعوا وصنعهم في الدنيا اي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به وجه
الله ولا الاخرة ولم يوسعوا بها انما ارادوا بها الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي
حبط لان اعمالهم كانت باطلة لانهم لم يعملوا بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له ونوف مجزوم لانه جواب الشرط
قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يومنون
به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون
قيل معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم وقيل
تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة او كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها فحذف
الجواب لظهوره على بينة اي بيان وحجة من ربه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والبينة هي القران
وقيل على بينة اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل وقيل يريد ان بين
الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ويتلوه شاهد
اي يتبعه من يشهد بصدقه وهو القران منه اي من الله او شاهد من القران وعن ابن عباس ويتلوه
ويقراه عليه شاهد جبريل منه من الله وقيل ويتلوه ويتبعه ملك يحفظه وعن الحسن شاهد
منه لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيكون معنى يتلوه يقروه وعن محمد بن الحنفية انه قال قلت لابي انت
التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله سبحانه ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه
لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما شاهد منه محمد عليه الصلوة والسلام
فيكون من كان هو المومن على بينة من ربه على بيان وبصيرة من دينه ويتلوه شاهد منه ويشهد
له محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيمة من قوله وجينا بك على هولا شهيدا وقيل يتلوه يتبع محمدا صلى
الله عليه وسلم شاهد منه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه روي انه قال علي رضي الله عنه
ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الاية والاثنان فقال له رجل فانت اي شي نزل فيك
فقال علي رضي الله عنه له اما تقرا الاية التي في هود ويتلوه شاهد منه وقيل شاهد منه
ابو بكر رضي الله عنه وقيل افمن كان على بينة من ربه بيان وبصيرة ويتلوه شاهد منه
عقله وقيل الشاهد هو صورة النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان كل من
كان له عقل ونظر اليه علم انه رسول الله وقيل هو ملك يحفظه ويسدده ومن قبله
كتاب موسى فيكون كتاب موسى عطفا على شاهد وقيل منه اي ومن قبله كتاب موسى
كذلك لان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم اماما اي ما ما ياتم به في الدين قدوة فيه ورحمة
للناس جميعا وقيل للمنزل اليهم اي لليهود اولئك اي من كان على بينة يومنون به
اي بالقران وقيل اصحاب موسى يومنون بكتاب موسى قيل نزلت في عبد الله بن سلام
وهذا ضعيف لان السورة مكية وقيل فيمن امن من اليهود بمكة ومن يكذب بمحمد
وقيل بالقران وقيل بكتاب موسى من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من الكفار
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وعلى عداوته فالنار موعده
مصيره ومورده فلا تك في مرية منه اي من ان موعده النار وقيل من القران قيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ويحتمل ان يكون التقدير قل للشاك في ذلك فلا تك في مرية منه

انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بما تقدم ذكره **قوله تعالى** ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة
هم كافرون اعلم ان الكفار لهم طرق مختلفة فمنها شدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها وقد
ابطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا الايه ومنها انكارهم نبوة الرسول صلى
الله عليه وسلم وقدحهم في معجزاته وقد ابطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا
الايه ومن اظلم اي اعتى واشد ظلما ممن افترى على الله كذبا انه له ولدا وشريكا ووصفه بما هو منزه
عنه وافترى عليه ما لم ينزله اولئك يعرضون على ربهم في المحشر للحساب يعني يحبسون في الموقف وتعرض
اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقيل الانبياء وقيل
الخلائق يعرفونهم بسيماهم وقيل السنتهم وايديهم وارجلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بانه اتخذ ولدا
او شريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين الكافرين على ربهم وهم الذين يصدون عن سبيل الله دين الله
ويبغونها عوجا عدولا عن طريق الصواب وهم بالاخرة هم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به
قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم
العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون وصف الله هؤلاء المتكبرين بصفات كثيرة في معرض
الذم منها كونهم مفترين على الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ومنها انهم يعرضون على ربهم في موقف
الخزي والخسار اولئك يعرضون على ربهم ومنها حصول الخزي والنكال ويقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم ومنها كونهم ملعونين من عند الله الا لعنة الله على الظالمين ومنها كونهم صادين
عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق الذين يصدون عن سبيل الله ومنها سعيهم في القاء الشبهات
وتعويج الدلايل ويبغونها عوجا ومنها كونهم كافرين وهم بالاخرة هم كافرون ومنها كونهم عاجزين عن
الفرار من عذاب الله اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا اي يعاقبهم
لو اراد عقابهم وقيل اولئك لم يكونوا معجزين في الارض فايتين هربا يقال اعجزه الشي اي فاته
واعجزت فلانا اي وجدته عاجزا وعن الواحدي الاعجاز المنع من تحصيل المراد يقال اعجزني
فلان اي منعني عن مرادي ومعنى لم يكونوا معجزين انه لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا فان هرب العبد
من عذاب الله محال لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد
والقوة والضعف ومنها انه ليس لهم اولياء يدفعون عذاب الله عنهم وما كان لهم من دون الله من اولياء فينصرهم منه
ويمنعهم من عقابه فجمع الله تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين ذلك انقطاع حيلهم في
الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل المراد لم يكونوا معجزين لله عما يريد انزاله عليهم من العذاب
في الاخرة او في الدنيا ولا يجدون وليا ينصرهم ويدفع ذلك عنهم وقيل اراد ان عدم نزول العذاب ليس
لاجل انهم قدروا على منع الله من انزال العذاب ولا لاجل ان لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب منهم
بل انما حصل ذلك الامهال لانه تعالى امهلهم حتى يتوبوا فيزولوا عن كفرهم فاذا ابوا الا الاصرار على
الكفر فلا بد من مضاعفة العذاب في الاخرة ومنها ان يضاعف لهم العذاب وقيل سبب تضعيف
العذاب لهم انهم كفروا بالله وكفروا بالبعث والمعاد وقيل سبب تضعيف العذاب انهم مع ضلالهم

الذين

تعالى فلذلك بعد الايه م

لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل امر الا تعبدوا الا الله او قال لا تعبدوا الا الله
والمفسر لا محل لها ويجوز ان يكون قوله الا تعبدوا اكلاما مبتدا منقطعا عما قبله من
حيث اللفظ متصلا به من حيث المعنى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على
اختصاص الله بالعبادة كانه لما قيل له انزل اليك كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم
خبير امنا قال عليه الصلوة والسلام فماذا يجب علي اذا فقيل ان تامر امتك ان لا تعبدوا الا الله
ويدل على هذا قوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير
وبشير اي اذا كان الا تعبدوا منقطعا فانه لا بد ان يكون مصدريه فهو بمعنى ترك عبادة
غير الله والاصل اتركوا عبادة غير الله تركا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه
واضيف الى المعمول نحو فضرب الرقاب لان اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم
المصدر وانيب مناب الفعل ثم اضيف الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التاكيد انني
لكم منه اي من الله اي انني لكم نذير وبشير من جهة الله كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم
منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم قوله الا تعبدوا الا الله نهي عن عبادة
غير الله وامر بعبادة الله وهو نذير على الاول بشير للثاني والرسول صلى الله عليه وسلم
ما بعث الا للانذار على فعل ما لا ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي وان استغفروا اعطف على قوله
الا تعبدوا اي امركم الا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ربكم ثم توبوا
اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها لقوله ثم استقاموا وقيل معنى قوله استغفروا اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم
ثم بين الشي الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والمحرك عليه
هو الاستغفار الذي هو طلب المغفرة وهذا يدل على انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا باظهار
التوبة وقيل استغفروا لما مضى من الذنوب ثم توبوا لما عسى يقع من الذنوب في المستانف وقيل اخر
التوبة لان التقدير سلوا الله المغفرة وتوسلوا اليها بالتوبة فالمغفرة اول في الطلب واخر
في السبب يمتعكم متاعا حسنا مقصد رجاء على غير فعله اي يعيشكم عيشا في خفض ودعة
وامن وسعة ولا يهلككم ولا يبتليكم بالقحط ويطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية
من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى لكل واحد وهو اجل الموت وعن سعيد بن جبير
يوم القيمة وعن ابن عباس الى وقت لا يعلمه الا الله ويعط كل ذي فضل عمل صالح فضله اجره
وثوابه في الدنيا والاخرة سمى اجره باسم الفضل تنبيها على انه على سبيل الفضل لا الوجوب
وسمى العمل الصالح فضلا على سبيل المشاكلة وقيل الضمير في فضله لله اي يوت كل ذي فضل
فضل الله وقيل يريد تضعيف الحسنات وقيل من كان ذا فضل في دينه فضله الله في
الدنيا بالمنزلة كما فضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاخرة بالثواب الجزيل قال م
صاحب الكشاف ويعطى في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله
لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات يتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات
عن ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات
فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات فان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ
من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع ثم قال هلك من غلبت احاده اعشاره

وعن ابن عباس من زادت حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار ومن استوت
سياته وحسناته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة بعد وعن مجاهد هو ما تكسبه الانسان من كلام يقوله
بلسانه او يعمله بيده ورجله او ما تطوع به من ماله وان تولوا اي وان تتولوا وقيل وان تولوا ماض
وعليكم بلفظ الخطاب على الالتفات فاني اخاف عليكم وقيل اعلم عذاب يوم كبير يوما القيمة وصف بالكبر
كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم بين ايتا ذي فضل فضله وعذاب يوم كبير بان مرجعهم اي مرجع ذي
فضل وعذاب المتولي وهذا وعد عظيم بالنسبة الى ذي الفضل ووعيد شديد بالنسبة الى المتولي **قوله
تعالى** الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور وانه تعالى لما قال وان تولوا يعني عن عبادة الله وطاعته فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير بين ان التولي عن ذلك باطنا كالتولي عنه ظاهرا فقال انهم اي الكفار من قوم محمد يثنون صدورهم
يزورون عن الحق ويتحرفون عنه لان من اقبل عن الشي استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى
عنه صدره وطوى عنه كشحه وقيل على عداوة محمد عليه الصلوة والسلام وقيل على الكفر وقيل على حديث
النفس ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق وهذا يحتاج الى بيان فان ثني الصدور على الكفر والعداوة لا يكون علة
لاستتار النفوس ووجه ذلك ان يقال تقديره ليستخفي سرهم فحذف المضاف واسند الفعل الى
الضمير الذي هو المضاف اليه فارتفع به او يقال تقديره ليستخفوا بما اسروا والحذف لان معنى استخفى
به واخفاه واحد ومن جعل معناه ولو اظهروه لم يحتج الى هذا التاويل ويكون منه عايدا الى النبي صلى
الله عليه وسلم الا حين يستغشون ثيابهم اي ويريدون الاستخفا حين يستغشون ثيابهم اي يغطون روسهم
بثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم
ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يظهر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم المحبة وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وكان يعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مجالسته ومحادثته وكان يبطن خلاف ما يظهر وقيل نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب
مبين لما ذكر في الاية انه يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور اردفه بما يدل
على كونه عالما بكل شي فذكر ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله فلو لم يكن عالما بكل شي لما حصلت هذه
المهمات وما من دابة من صلة تفيد تاكيد العموم والدابة كل حيوان دب على وجه الارض وقيل كل ما
اكل فهو دابة في الارض الا على الله رزقها غذاوها وقوتها وما تعيش به والله المتكفل بذلك فضلا لا وجوبا ولما
وعد ان يتفضل به عليهم صار واجب التحقق بمقتضى الوعد وقيل على بمعنى من يعني من الله رزقها دل عليه قول
مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ويعلم مستقرها مكانها ومسكنها الذي
تستقر ليلا اوبها او مستودعها موضعها الذي تودع فيه قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة وقيل مستودعها
موضعها الذي تودع فيه اما بموتها فيه او دفنها وقيل يعلم مستقرها في الجنة والنار ومستودعها القبر قوله
عز وجل في صفة اهل الجنة والنار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقرا ومقاما كل واحد من الدواب
ورزقها ومستقرها ومستودعها وغيرها في اللوح المحفوظ قبل ان خلقها يعني ذكرها مكتوب فيه مبين
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم

لعـ

وجل وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبيا
بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد
حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والشرف بما هو ضعة عند الله وما نرى لكم يعني نوحا واتباعه علينا
من فضل اي ليس لكم علينا زيادة شرف ولا زيادة في مال ولا نسب ولا دين يوهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين
فيما تدعونه وقيل نوحا في دعواه وانتم في تصديقكم اياه **قوله تعالى** قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ارايتم اي اخبروني ان
كنت على بينة برهان ساطع وشاهد من ربي يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة نبوة ورسالة او معجزة
دالة على النبوة والرسالة من عنده وقيل البينة في نفسها هي الرحمة ويحتمل ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة فعميت قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله بمعنى
اخفيت ولبست وشبهت والباقون بفتح العين مخفف الميم بمعنى خفيت والتبست واشتبهت حقيقته ان الحجة كما
جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره بمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو
عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد انلزمكموها اي البينة والرحمة استفهام معناه الانكار اي انلزمكم
البينة وانتم لها كارهون لا تريدونها ولا تختارونها وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة قال تعالى لا اكراه في الدين
وقد جي بضميري المفعولين المتصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحو فسيكفيكهم
الله ويجوز فسيكفيك اياهم عن مقاتل لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكن لم يملك ذلك اعلم ان النبي المبعوث
الى قومه امر الدعوة بالنسبة الى غير المعاند والمجادلة بالنسبة الى المعاند والدعوة الى سبيل الله بالحكمة في حق
الكاملين في العقول وبالموعظة والخطابة في حق الناقصين الذين لا يعاندون ويحسنون الظن في الداعي والمجادلة
في حق المعاندين وهي لا تفيد الا الالزام على الظاهر مع الانكار والكراهة في الباطن قال الله تعالى ادع الى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فقال نوح عليه السلام يا قوم ارايتم ان كنت على
برهان وحكمة شاهد على نبوتي وقد خفيت عليكم واشتبهت بسبب ضعف عقولكم وقصوركم عن فهم ما تفيد البينة
لم يبق الا الموعظة والخطابة وهي لا تفيد الا مع حسن الظن وعدم الانكار وعدم الكراهة وفيكم الكراهة
والانكار فلا ينفعكم نصحي وموعظتي ولا فايدة في المجادلة الا الالزام والالزام مع كراهة الباطن والانكار
لا منفعة لكم فيه **قوله تعالى** ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين
امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول
لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم الله
خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين هذا هو الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا والضمير في قوله عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقيل الى
تبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور وقيل عليه اي على نصحي ودعايي مالا وجعلا فتسامونني ان اجري ما
ثوابي الا على الله بمقتضى الوعد والفضل كانه عليه السلام قال لهم انكم لما نظرتم الى ظاهر الامر وجدتموني
فقيرا وظننتم اني نصحتكم ودعوتكم الى سبيل ربي طمعا في مالكم وهذا الظن منكم خطا فاني لا اسالكم على
تبليغ الرسالة والنصح والدعوة مالا وجعلا ان اجري الا على ربي فلا تحرموا انفسكم عن سعادة الدين بسبب
هذا الظن الفاسد وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم ليومنوا به انفة من المجالسة
معهم انهم ملاقوا الله فيعاقب من طردهم او ملاقون الله فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم
وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما
على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون او انهم مصدقون بلقاء ربهم

موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محاله وقيل يقرون بالبعث والنشور وقيل ملاقوا ربهم فيخاصمونى عند الله
ولكنى اريكم قوما تجهلون تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون
لقا ربكم او تجهلون فى سوالكم طردهم ولقوهم بايات الله وتجهلون ان هولا خير منكم لايمانهم ويا قوم من ينصرنى
من عذاب الله ان طردتهم ابعدتهم افلا تذكرون الا تراجعون عقولكم فتعلمون ان ذلك لا يصح ولا اقول لكم
عندى خزاين الله ولا اعلم الغيب معطوف على عندى خزاين الله اى ولا اقول لكم انى اعلم الغيب ومعناه ولا اقول
لكم عندى خزاين الله فادعى فضلا عليكم فى الغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اقول
انى اعلم الغيب فتنسبونى الى الكذب والافترا وقيل حتى اطلع على ما فى قلوب اتباعى وضمايرهم ولا اقول انى ملك
حتى تقولوا لى ما انت الا بشر مثلنا اى لست ادعى ما ليس لى ولا اقول للذين تزدرى اعينكم وتحتقرهم
والازدرا افتعال من قولهم زريت على الشى اذا عبته وازريت به اذا قصرت به يقال ازدرته عينه واقتحمته
عينه لن يوتيهم الله خيرا توفيقا وايمانا جواب لقولهم اتبعوك فى ظاهر الراى وباطنهم على خلافه ذلك الله اعلم بما
فى انفسهم من النيه والعزم والخير والشر لست ماخوذا به انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك والحاصل
ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا فى الدنيا والاخره لهوانهم عليه كما تقولون
مساعدة لكم ولا ارو لا على هواكم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك **قوله تعالى** قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شا وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم
نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون قد جادلتنا ماريتنا وخاصمتنا
والجدال فتل الخصم عن رايه بالحجاج قيل معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان
فاكثر واجاب عن الكلبى دعوتنا وعظتنا وقيل وعظتنا فاكثرت جدالنا اتيت بانواع الجدال وفنونه
وقيل اطلت الجدال عن الكلبى فاكثرت الدعوه وقيل فاكثرت الوعظ فما صحت لنا دعواك فاتنا بما تعدنا من
العذاب المعجل ان كنت من الصادقين ان تاتينا قال انما ياتيكم بالعذاب الله ان شا عاجلا او اجلا ليس الاتيان
بالعذاب الى وما انتم بمعجزين اى اذا اراد انزال العذاب لكم لا تمنعونه ولا تقدرون على الهرب ولا تفوتون
ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اى يضلكم لا ينفعكم نصحى هذا اشرط
دخل على شرط قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاوه محذوف دل عليه قوله لا ينفعكم نصحى وهذا الدال
فى حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط فى قولك ان احسنت الى احسنت اليك ان امكننى فصار
التقدير ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم هو ربكم خالقكم فيتصرف فيكم على
وفق ارادته واليه ترجعون بالموت والبعث فيجازيكم على اعمالكم **قوله تعالى** ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برى مما تجرمون ام يقولون افتراه عن ابن عباس لى افترى نوحا ما اخبر به
انه وحى وعن مقاتل يعنى محمدا عليه السلام ما اخبر به قل يا نوح وقل يا محمد ان افتريته فعلى اجرامى
اى عقوبة جرمى ووباله وجزاوه دونكم يقول اجرم الرجل اذا اذنب والاسم الجرم والذنب وانا
برى اى لم يثبت ذلك وانا برى مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافترا الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم
وقيل ليس على من اجرامكم شى ولا اواخذ بذنوبكم **قوله تعالى** واوحى الى نوح انه لن يومن من
قومك الا من قد امن فلا تبتيس بما كانوا يفعلون لما اوحى الله اليه انه لن يومن من قومك الا من قد
امن لم يزل عن قلبه ما كان قد حصل فيه من تلك المحبه فقال تعالى فلا تبتيس قيل هذا خطاب لنوح
بعد الدعا لانه لما دعا عليهم حزن واغتم وقيل متصل بالاول فان نوحا عليه السلام لشدة محبته
لايمانهم كان يسال ربه تبقيتهم فاعلمه انه لا يومن من قومك الا من قد امن ليزول عن قلبه ما كان قد حصل فيه
من تلك المحبه فقال تعالى فلا تبتيس اى لا تحزن من ذلك ولا تغتم والابتياس افتعال من البوس

وهو

البوس وهو الحزن فلا تحزن حزن بايس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتيس منه واقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم **قوله تعالى**
واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون لما فهم من قوله تعالى انه لن يومن
من قومك انه معذبهم بين انه يعذبهم بالغرق ولما كان السبيل الذى يحصل به النجاه من الغرق يكون الفلك
امره الله بان يصنع الفلك باعيننا فى موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه
اعينا تكلوه ان يزيغ فى صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدايه عن ابن عباس بمراى منا اى حيث
نراها وقيل بحفظنا وقيل بعلمنا وقيل باعين اوليانا اى الملايكه ووحينا وانا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع
عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان اصنعها مثل جوجو الطاير ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا
ولا تسالنى العفو عن هولا الكفار من قومك ودفع العذاب عنهم انهم مغرقون بالطوفان قد قضى به القضا
وجف القلم وقيل اراد بالذين ظلموا زوجته واعله وابنه كنعان **قوله تعالى** ويصنع الفلك وكلما
مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم ويصنع الفلك حكاية حال ماضيه اى فى ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك
قيل واصل ويصنع الفلك فاقتصر على قوله ويصنع وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا من عمله استهزا به وقالوا
يا نوح صرت نجارا بعد النبوه وانما سخروا لانه كان يعمله فى بريه ولا ما هناك يحمل مثلها وقيل لم يكونوا راوا
سفينه قبلها وكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لما قال نوح ان تسخروا منا فى الحال فانا نسخر منكم فى المستقبل
كما تسخرون منا الساعه اى نسخر منكم سخريه مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخره
قيل نجازيكم على سخريتكم وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط
الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن
جهل بحقيقه الامر وبنا على ظاهر الحال كما هو عادة الجهله فى البعد عن الحقايق وروى ان نوحا عليه السلام
اتخذ السفينه فى سنتين وكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السما ثلاثون ذراعا
وبابها فى عرضها وكانت من خشب ساج وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت ثلث طبقات طبقه للناس وهى
العليا منها وطبقه للدواب والانعام وهى الوسطى وطبقه للوحوش والسباع والهوام وهى السفلى
وعن وهب تمت فى مايه سنه وقيل فى اربع ماية سنه وركب هو ومن معه فى الطبقة العليا مع ما يحتاج
اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم وجعله معترضا بين الرجال والنسا وعن الحسن كان طولها الف
ذراع ومايتى ذراع وعرضها ستماية ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا
شهد السفينه يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى اتى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا
هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنى ظننت
انها الساعه فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينه نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتى ذراع وعرضها
ستماية ذراع وكانت ثلث طبقات طبقه للدواب والوحش وطبقه للانس وطبقه للطير ثم قال له عد باذن الله
كما كنت فعاد ترابا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مكث نوح فى قومه الف سنه الا خمسين عاما
يدعوهم الى الله حتى كان اخر زمانه غرس شجره فطلعت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل سفينته
ويمرون فيسالونه فيقول اعمل سفينه فيسخرون منه ويقولون يعمل سفينه فى البر فكيف تجرى فيقول
فسوف تعلمون من ياتيه فى محل النصب بتعلمون اى فسوف تعلمون الذى ياتيه عذاب يخزيه يفضحه ويهلكه
ويعنى به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم

الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم دايم هو عذاب الاخرة **قوله تعالى** حتى اذا جا امرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل
حتى هي التي تبتدأ الكلام بعدها ادخلت على الجملة من الشرط والجزا ووقعت غاية لقوله ويصنع الفلك
اي وكان يصنعها الى ان جاوقت الموعد وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا حال اي والحال انه كلما مر عليه ملا
من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سوال سايل ويجوز ان
يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقوله قال جوابا لكلما اذا جا امرنا بعذابهم واهلاكهم وقيل عذابنا وهو
الما وفار التنور الفور الغليان من فارت القدر تفور فورا او فورا وفورانا اذا جاشت ومنه قولهم ذهبت
في حاجة ثم اتيت فلانا من فوري اي قبل ان اسكن قيل التنور اسم فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير
هذا ولذلك جا في التنزيل لانهم خوطبوا بما عرفوا وعن ابن عباس التنور بكل لسان عربي وعجمي وهو الذي يخبز
فيه وعن علي رضي الله عنه هو وجه الارض وذلك انه لما قيل لنوح اذا رايت الما على وجه الارض فاركب
انت ومن اتبعك وهذا قول ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة وروى ابو جحيفة عن علي
رضي الله عنه وفار التنور اي طلع الفجر والتنور تنوير الصبح وعن ابن قتيبة التنوير عند الصلوة وعن
قتادة التنور اشرف موضع في الارض واعلا مكان فيها وعن الحسن والاكثرين انه اراد التنور الذي يخبز
فيه وكان تنورا من حجارة وكان لحوا حتى صار الى نوح وكان علامة لمجي العذاب فقيل له اذا رايت
الما يفور من التنور فاركب انت واصحابك فنبع الما من التنور فعلمت به امراته فاخبرته وهذا قول
مجاهد ورواية عطية عن ابن عباس واختلفوا في موضعه عن مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة وعن
الشعبي انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد
الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الما منه علما لنوح عليه السلام ودليلا
على هلاك قومه وعن مقاتل كان ذلك تنور آدم عليه السلام وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة
وعن ابن عباس فار التنور بالهند وقيل فار التنور كناية عن اشتداد الامر وصعوبته كما يقال حمي الوطيس اذا
اشتد قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين الزوج الفرد من قوله ثمانية ازواج والزوج ايضا الاثنان
مما لا يتباينان في الاكثر كزوج نعل وزوج حمام والزوج الصنف ايضا من قوله من كل زوج بهيج الزوجان
عبارة عن كل شيين يكون احدهما ذكرا والاخرى انثى والتقرير كل شيين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة
اثنين واحد ذكر واخر انثى فاثنين مفعول وقرا حفص عن عاصم من كل بالتنوين اي واحمل من
كل شي زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج فزوجين مفعول واثنين تاكيد واهلك عطف
على اثنين وكذلك ومن آمن وعلى قراة حفص يكون عطفا على زوجين اراد باهله عياله وولده اي احمل
عيالك وولدك الا من سبق عليه القول من الله بالهلاك اي امراته وابنه كنعان وهو استثنا من اهله
ومن آمن اي واحمل من آمن وما آمن معه الا قليل عن قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامراته وثلاثة
بنيه سام وحام ويافث ونساوهم فجميعهم ثمانية وعن الاعمش كانوا سبعة نوح وثلث كناين له وثلثة بنين له
وعن ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسايهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة رجال ممن كان آمن به وازواجهم جميعا
وعن مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة وبنيه الثلاثة ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نفسا نصفهم رجال
ونصفهم نسا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح ثمانون انسانا احدهم جرهم وعن مقاتل وحمل نوح
معه جسد آدم فجعله معترضا بين الرجال والنسا وقصد نوحا جميع الدواب والبهايم والوحوش والطير وغيرها
ليحملها وعن ابن عباس اول ما حمل نوح معه في الفلك الدر واخر ما حمل الحمار فلما ادخل الحمار ودخل صدره تعلق ابليس
بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويلك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويلك ادخل ولو كان الشيطان

معك

معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح
ما ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد
ان تحملني معك وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وقيل ان الحية والعقرب اتيا نوحا وقالتا احملنا فقال نوح
انكما سبب الضرر والبلا والاوجاع فلا احملكما قالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين خاف
مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين ما ضرتاه **قوله تعالى**
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وقال نوح للذين امر بحملهم اركبوا فيها اي
صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها تجري جري المركوب من الدواب وقال فيها لاستقرارهم فيها فلما ركبها نوح
واصحابه ارسل الله السما عليهم مدرارا وفجرنا الارض عيونا والتقى الما حتى غرق الجبال ومن عليها عن
ابن عباس ركبوا فيها لعشر مضين من رجب بسم الله مجراها ومرساها قرا حمزة والكساي وحفص عن عاصم
مجراها بفتح الميم والباقون وهم ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم مجراها بضم الميم
وكلهم قرؤوا بضم الميم من مرساها وابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر بفتح الرا والسين
على معنى اجراها وارساها ونافع وابو بكر عن عاصم بين الكسر والتفخيم فيهما وحمزة والكساي يميلونهما وليس في
هولا احد جعلهما نعتا لله وانما جعل الوصفين نعتا لله الحسن وقتادة وحميد الاعرج واسمعيل بن مجالد عن عاصم
فقروا مجريها ومرسيها بضم الميم وبيان صحيحين مثل مبديها ومنشيها قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون قوله
وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها كلاما واحدا بان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو والذي هو
ضمير الفاعلين على معنى اركبوا فيها مسمين الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها وارسايها اما لان
المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران فالاجرا والارسا حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكانا الاجرا والارسا وانتصابهما بما في
بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول اي اركبوا الان متبركين باسم الله في الوقتين
او المكانين اللذين لا ينفك الراكبون فيهما من الاجرا والارسا ولا يجوز ان ينتصبا باركبوا اذ ليس المعنى
على اركبوا في وقت الاجرا والارسا ويجوز ان يكون كلامين اما ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة
مقتضية من مبتدا وخبر على معنى ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
ها
بذكر اسم الله او بامره وقدرته وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراوها
وارساوها اي بقدرته وامره ويحتمل ان تكون غير مقتضية بان تكون في موضع الحال كقوله
وجاونا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول فانتصاب هذه
الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين
ان ربي لغفور لمن امن منهم رحيم حين خلصهم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم **قوله تعالى**
وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الما قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل
فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري اي السفينة تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال
جمع موجة كتمر وتمرة والموج حركة الما الكثير بدخول الرياح الشديد في خلاله كالجبال
في العظم شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها قال صاحب الكشاف فان قلت
الموج ما يرتفع فوق الما عند اضطرابه وزخيره وكان الما قد التقى وطبق ما بين السما والارض

وكان الفلك تجرى فى جوف الما كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل
ان يعم الطوفان الجبال الا ترى الى قوله ابنه ساوى الى جبل يعصمنى من الما ونادى نوح ابنه كنعان وقيل
اسمه يام ولا اختلاف فى انه كان كافرا وجل المفسرين على انه ابنه لصلبه وعن على رضى الله عنه
والحسن انه لم يكن ابنه وانما كان ابن امراته وكان يقرا ابنها فقيل روى عن الحسن انه قال كان
لغير رشده وهذا قول ساقط مرغوب عنه لان الله عصم انبياه من مثل هذا وحمل المفسرون
قوله فخانتاهما على الدين لا على الفرج وكان فى معزل عن ابيه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه
وابعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل وكان فى معزل عن دين
ابيه يا بنى بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة اركب معنا فى السفينة ولا تكن مع الكافرين اى اسلم
واركب وقيل كان منافقا قال ابنه ساوى سأصير الى جبل يعصمنى من الما يمنعنى من الغرق والعصمة المنع
من الآفة قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله من عذاب الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى وقيل
لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اى الا مكان من رحمه الله من المومنين وكان لهم غفورا رحيما
فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم
قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى
لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل
ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج اى بين ابنه والجبال
وقيل بين نوح وابنه فكان من المغرقين اى صار من المهلكين بالما **قوله تعالى** وقيل يا ارض
ابلعى ماك ويا سما اقلعى وغيض الما وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين
اعلم ان المقصود من هذه الاية شرح واقعة الطوفان فكان التقدير انه لما انتهى امر الطوفان
قيل يا ارض ابلعى ماك اجمع المعاندون الذين هم صفوة البلغا وقدوة الفصحا الذين هم قد
خصوا من البلاغة والفصاحة ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من سحر البيان ما لم يوت انسان
على ان طاقة البشر قاصرة عن الاتيان بما يوازيه بل اعاجز عن ايراد ما يدانيه بعد ان استقصوا
كلام العرب وتراكت البلغا فلم تجد امثالها فى فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير
الحال مع الايجاز من غير اخلال قال صاحب المفتاح والنظر فى هذه الاية من اربع جهات من جهة علم
البيان ومن جهة علم المعانى وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحتين المعنوية واللفظية اما
النظر فيها من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيه من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول
انه عز سلطانه لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان
نقطع طوفان السما فانقطع وان نغيض الما النازل من السما فغاض وان نقضى امر نوح وهو
انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضى وان نسوى السفينة على الجودى فاستوت وابقينا
الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمامور الذى لا يتاتى منه العصيان لكمال هيبة الآمر
ويهاب ويفرع من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من غير ريث وتشبيه
تكوين المراد بالامر الجازم النافذ فى تكوين المقصود وتصوير الاقتدار العظيم وان السموات والارض
وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا تابعة لارادته ايجادا واعداما ومشيته فيها
تغييرا او تبديلا كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل ما
يشا وتيقنوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم لامره واذعانهم لحكمه ووجوب بذل المجهود فى تحقيق مراده
كما يرد عليهم امره كان الامر مفعولا لا حبس ولا ابطا ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال عز

سلطانه قيل على سبيل المجاز عن اريد لان صدور القول انما يكون بعد ارادته فاستعمال قيل بدل
اريد استعمال السبب مكان المسبب وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سما ثم قال كما
ترى يا ارض ويا سما مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السما والارض كالمامور الذى
لا يتاتى منه العصيان فهذه الاستعارة هى المكنى عنها لان الطرف المذكور هو المشبه ثم استعار لغور الما فى
الارض البلع الذى هو جذب المطعوم الى المعدة من غير مضغ للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفى وهذه الاستعارة
مصرح بها تبعية ثم استعار الما للغذا استعارة بالكناية تشبيها له بالغذا لتقوى الارض بالما فى الانبات
للزروع والاشجار تقوى الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعى لكونها موضوعة للاستعمال
فى الغذا دون الما ثم امر على سبيل الاستعارة للتشبيه المقدم ذكره وهو كون السما والارض كالمامور الذى
لا يتاتى منه العصيان وخاطب فى الامر ابلعى واقلعى ترشيحا للاستعارة للندا وتعقيب الندا بلفظ ابلعى يستفاد
منه انها منقادة لتكوينه فيهما ما يشا فان من عادة من يامر المطيع الذى اذا امر لم يتوقف اذعانه ان يقدم
الندا على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيبه فى نفس المامور فيكون امتثاله للامر اسرع مما لم يكن معه الندا
سيما يا فانها تدل على ان الخطاب المتلو بعده معتنى به جدا فالامر بعد الندا ها هنا ترشيح لاستعارة الندا
ثم قال ماك باضافة الما الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الما بالارض باتصال الملك بالمالك واختار
ضمير الخطاب لاجل ترشيح استعارة الندا لان المخاطب وصف المشبه به ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو
الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى والاقلاع ترك الفاعل الفعل للشبه بين احتباس المطر وترك الفعل
فى عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب فى الامر قايلا اقلعى لمثل ما تقدم فى ابلعى ثم قال وغيض
الما اى نقص وغاض متعد ولازم يقال غاض الشى وغاضه اى نقصه كنقص وقضى الامر فرغ من اهلاك
من هلك وانجا من نجى وانجز الله ما وعد نوحا من انجا من امن به واهلاك من كفر واستوت واستقرت
السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بناحية آمد وقيل بعدا يقال
بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السوء
ومجى اخباره على الفعل المبنى للمفعول وعدم تصريحه بمن غاض الما ومن قضى الامر وسوى السفينة وقال
بعدا لعدم التصريح بقايل يا ارض ويا سما فى صدر الاية سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل الكناية
للدلالة على الجلال والكبريا وعلى ان تلك الامور العظام لا تتاتى الا من فاعل قادر لا يكتنه وقهار لا يغالب
وواحد لا يشارك فى افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماك ويا سما اقلعى ولا ان يقضى
ذلك الامر الهايل غيره ولا ان يسوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ثم
ختم الكلام بالتعريض فلم يقل بعدا للقوم كذبوا نوحا تنبيها لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما لانفسهم
لا غير ختم اظهارا لمكان السخط وان قيامة الطوفان وتلك الواقعة الهايلة ما كانت الا لظلمهم واما
النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فايدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه
اختار يا من بين اخواتها لكونها دالة على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة وشان العزة
والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولكثرة استعمالها ولم يقل يا ارض بالكسر لزيادة
التهاون فان الكسر داله على اختصاص المنادى بالمنادى والاختصاص ينافى التهاون ولم يقل
يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز عما فى ايتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام
واختير لفظ الارض دون ساير اسمايها لكونها اخف وادور واختير لفظ السما لمثل ما تقدم فى
الارض مع قصد المطابقة اى بين السما والارض لان مع الارض تذكر السما واختير ابلعى على ابتلعى
لكونه اخصر ولمجى حظ التجانس بينه وبين اقلعى اوفر وقيل ماك بالافراد دون الجمع لما كان فى الجمع

ابدآ
م

من صورة الاستكبار المنابي عنه مقام اظهار الكبريا والجبروت وهو الوجه في افراد الارض والسما وانما لم
يقل ابلعي بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات
الما باسرهن نظرا الى مقام ورود الامر الذي هو مقام عظمة وكبريا ثم اذا بين المراد اختصر الكلام مع اقلعي
احترازا عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه في ان لم يقل قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سما اقلعي فاقلعت
واختير غيض على غيض المشدد لكونه اخصر وقيل الما دون ان يقال ما طوفان السما وكذا الامر في قضي الامر
دون ان يقال امر نوح وهو انجاز ما كان الله وعد نوحا من اهلاك قومه لقصد الاختصار والاستغنا
بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على نحو قيل وغيض وقضي في البنا للمفعول اعتبارا
لبنا الفاعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم في موج مع قصد الاختصار في اللفظ ثم قيل بعدا للقوم
ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتاكيد مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى
وهي استعمال اللام بعد الدال على معنى ان البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم
انفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سو اختيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم واما من
حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم الندا على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سما اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض
واقلعي يا سما جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مامورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس
المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض على امر السما وابتدا به لابتدا الطوفان منها
ونزولها في القصة منزلة الاصل والاصل بالتقديم اولى ثم اتبعهما قوله وغيض الما لاتصاله بقصة الما
واخذه بحجزتها الا ترى اصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماها ويا سما اقلعي عن ارسال الما فاقلعت
عن ارساله وغيض الما النازل من السما فغاض ثم اتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر
اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجا نوح ومن معه في السفينة ثم اتبعه حديث السفينة وهو
قوله واستوت على الجودي ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظر في الاية من جانبي البلاغة واما النظر فيها من
جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر
في طلب المراد ولا التوا يشيك الطريق الى المرتاد بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت الفاظها
تسابق معانيها ومعانيها تسابق الفاظها فما من لفظة في تركيب الاية ونظمها تسبق الى اذنك الا ومعناها
اسبق الى قلبك واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية
على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالما في
السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته الا
ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الاية مقصورة على ما ذكرت فلعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان المقصود
لم يكن الا بجرد الارشاد لكيفية اجتنا ثمرات علمي المعاني والبيان وان لا علم في التفسير بعد علم الاصول اقرا
منه على تعاطي تاويل مشتبهاته ولا انفع في درك لطائف نكته واسراره ولا اكشف للقناع عن وجه اعجازه وهو الذي يوفي
كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التاويل ماه ورونقه ولكم اية من ايات القران تراها
قد ضيمت حقها واستلبت ماها ورونقها ان وقعت الى من ليسوا من اهل هذا العلم فاخذوا بها في ماخذ
مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة وهم لا يدرون ولا يدرون انهم لا يدرون فتلك الاي من
ياخذ بهم في عويل ومن يحاملهم على ويل طويل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن قتادة استقلت بهم السفينة
لعشر خلون من رجب وكانت في الما خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا
وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام
صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى **قوله تعالى** ونادى نوح ربه فقال رب

ان

ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما
ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين اي دعا نوح ربه فقال يا رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وان وعدك
الحق لا خلف فيه واراد بقوله ونادى واراد الندا اي الدعا اي واراد نوح الدعا فقال رب ولا يلزم عطف
الشي على نفسه ان ابني من اهلي اي ان ابني بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وانت
اعدل العادلين لا اسطط في حكمك ولا ميل حكمت على قوم بالنجاة وقوم بالهلاك وقيل اعلم الحكام واعدلهم
لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل قال صاحب الكشاف ورب غريق في الجهل والجهل من متقلدي
الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يعني من الحكمة حاكم
بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال الله يا نوح انه ليس من
اهلك لانه كافر والكفر يقطع الولاية بين المومن والكافر وقيل انه ليس من اهل دينك وقيل انه ليس من
اهلك الذين وعدتك انجاهم انه عمل غير صالح تعليل لانتفا كونه من اهله اي انه عمل غير صالح لانه من الكافرين
ومخالفته اباه وقيل ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد
في المنصب وان كان حبشيا وانت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما
فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه وانما لم يقل انه عمل فاسد لانه لما نفاه عن
اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم
لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه ابوتك لقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقرا الكسائي عمل بكسر الميم وفتح اللام وفتح الرا في غير اي عمل عملا غير صالح
اي انك عمل عملا غير صالح اي اشرك بالله وكفر وقيل سال نوح قبل ان عرف هلاكه وقيل سال مغفرته بعد
ان عرف هلاكه وقيل ان سوالك اياي تخليصه بعد كفره عمل غير صالح اي غير مرضي وقيل سوالك تخليصه بعد قولك
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عمل غير صالح فلا تسالني يا نوح ما ليس لك به علم قرا ابن كثير ونافع وابن عامر
فلا تسالن بفتح اللام وتشديد النون غير ان نافعا وابن عامر بكسر النون وفتحها ابن كثير وحذف اليا في الوصل والوقف
وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي بسكون اللام وتخفيف النون غير ان ابا عمرو اثبت اليا في الوصل
وحذفها في الوقف والباقون يحذفونها في الحالين من كسر النون فعدى السوال الى مفعولين احدهما اسم
المتكلم والاخر الاسم الموصول وحذفت النون المتصلة بيا المتكلم لاجتماع النونات واما اثبات اليا في الوصل فهو
الاصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها وتعلم ان المفعول مراد في المعنى معناه فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا
لا يعلم اصواب هو او غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسالة يدل على ان الندا كان قبل ان غرق حين خاف عليه وقيل
ما ليس لك به علم بجواز مسالته وقيل لا تعلم انه جائز في حكمي اني اعظك ان تكون من الجاهلين فظن ان لا في وعدي
قال نوح رب اني اعوذ بك اعتصم وامتنع ان اسالك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته والا تغفر
لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من ذلك اي ذنبي بسوالي وترحمني بفضلك اكن من الخاسرين **قوله تعالى** قيل يا نوح
اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم قيل يا نوح اهبط انزل
من السفينة بسلام منا ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقيل وزيادات في نسلك حتى صار ابا البشر
بعد ادم وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون للبيان فراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل
لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان يكون لابتدا الغاية اي على امم ناشئة ممن معك يريد اولادا ولا دل من تناسلوا
الى اخر الدهر وامم رفع بالابتدا او سنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان
قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشون ممن معك وممن معك

امم ممتعون بالدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش ثم يمسهم منا عذاب اليم في القيمة وهم الكفار من ذريته
وكان نوح عليه السلام ابا الانبيا والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال سام بن نوح ابو العرب ويافث ابو الروم وحام ابو الحبش ولم يتصل من غيره ممن كان معه نسل
لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن زيد اهبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم
من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب **قوله تعالى** تلك من انبا الغيب
نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين لما شرح قصة نوح على التفصيل
قال تلك اشارة الى قصة نوح اي تلك القصة بعض انبا الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك لم يكن هذا من
علمك ولا من علم قومك من قبل هذا من قبل ايحاي اليك واخبارك بها وقيل قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ
الرسالة والقيام بامر الله واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه
ان العاقبة في الفوز والنصر والسعادة للمتقين كما كان لمومن قوم نوح وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين
انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم امي لم يخالط اهل العلم
قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون
يقوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون والى عاد اي وارسلنا الى عاد اخاهم
هودا وانتصاب اخاهم للعطف على نوحا والى عطف على قوله الى قومه في قصة نوح وهودا عطف بيان لاخاهم
وسماه اخاهم لانه كان من نسبهم وقرابتهم وقيل اخاهم اي واحدا منهم وقيل اخاهم باعتبار المنشا واللسان
والجيرة وقيل هو اخوهم من حيث انه من ولد ادم وهم اولاده قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه واكثر العبادة
في القران بمعنى التوحيد ما لكم من اله معبود غيره قرا الكسائي وغيره بالكسر حملا على لفظ اله على النعت او البدل
والباقون بالرفع صفة او بدلا من محل قوله من اله ان انتم الا مفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا
ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شان الرسل النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم
المطامع وما دام يتوهم شيا منها لم ينجح ولم ينفع يا قوم لا اسالكم عليه تبليغ الرسالة اجرا جعلا وقيل رزقا
ان اجري ثوابي ورزقي الا على الله الذي فطرني خلقني ولم الشيا افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب
عليه اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك **قوله تعالى** ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه يرسل السما عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين استغفروا ربكم اي امنوا به يغفر
لكم والاستغفار ها هنا بمعنى الايمان ثم توبوا اليه من عبادتكم غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقيل
اطلبوا المغفرة وتوسلوا اليها بالتوبة بالندم على ما مضى وبالعزم على ان لا تعودوا الى مثله متى فعلتم ذلك يرسل
السما اي المطر عليكم مدرارا كثيرا متتابعا المدرار الكثير الدرور كالمغزار وذلك انفع ما يكون واصله من در
اللبن اذا نزل متتابعا وقيل هو المطر في وقته وقيل لكثرة البركة ومفعال من بنا المبالغة يستوي فيه المذكر
والمونث ويزدكم قوة الى قوتكم شدة الى شدتكم وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر
وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شي وكانوا
مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل اراد القوة في المال وقيل اراد القوة على النكاح وذلك ان الله تعالى حبس عنهم المطر واعقم ارحام
نسايهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار والتوبة
ولا تتولوا ان تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على الشرك **قوله تعالى**
قالوا يا هود ما جيتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين ان نقول الا اعتريك بعض

الهتنا

الهتنا بسو قال اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم قالت عاد اي قوم هود
يا هود ما جيتنا ببينة بحجة وبرهان على ما تقول فنسلم لقولك ومن المعلوم انه عليه السلام قد اظهر المعجزات
الا ان القوم لجهلهم وعنادهم انكروها وزعموا انه ما جا بشي من المعجزات وهذا كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت ايات الحصر وما نحن بتاركي الهتنا عن
قولك اي لا نترك عبادة عن جهة قولك كما تقول جيته عن يمينه عن قولك حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما
نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمومنين وما يصح من امثالنا ان نصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه
اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتريك اي ما نقول فيك الا قولنا اعتريك اصابك بعض الهتنا بسو بجنون
وخبل اي خبلك بعض الهتنا ومسك بجنون بسبب سبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على
سو فعلك بسو الجزا فمن ثم تتكلم بما نسمع من كلام المجانين قال هود اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من
دونه اي بري من الهتكم التي تخوفوني بها اكبر انه من الهتهم وشرهم وثقتها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور
بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على ان لا افعل كذا او يقول لقومه كونوا شهدا على اني
لا افعله واشهاد الله على البراة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم
فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجي به
على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة
بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم الهة من دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركا
له ولم يجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا وقيل معناه اني بري من الاصنام فسموني ما شيتم فكيدوني
جميعا انتم والهتكم احتالوا في هلاكي اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف
مضرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقويا الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف
تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله فوضت امري اليه
ولماذا كرتوكله على الله وثقته بحفظه وكلايته من كيدهم وصفه بما يقتضي التوكل عليه من اشتمال ربوبيته
عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه ربي وربكم خالقي وخالقكم وما من دابة
حيوان يدب الا هو اخذ بناصيتها اي هو مقتدر عليها متمكن من تصريفها فيما يريد والناصية شعر مقدم
الراس وقيل قصاص الشعر وقيل اخذ بناصيتها يحييها ويميتها وقيل لقهرها لان من اخذت ناصيته
فقد قهر ومنه لنسفعا بالناصية فيوخذ بالنواصي والاقدام ان ربي على صراط مستقيم يقول ان ربي
على طريق الحق يجازي المحسن باحسانه والمسي بعصيانه لا يظلم احدا شيا ولا يقبل الا الاسلام وقيل فيه
اضمار اي يدل او يحث او يحملكم على صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل هو كقوله ان ربك لبالمرصاد **قوله
تعالى** فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيا ان ربي على كل
شي حفيظ اي فان تتولوا لم اعاتب على تقصير من جهتي وتفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به
اليكم قد ابلغتكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول وقيل فان تولوا فقل يا محمد قد ابلغتكم ما
ارسلت به اليكم ويستخلف كلام مستانف اي يهلككم الله ويجي بقوم غيركم يخلفونكم في دياركم واموالكم
يوحدونه ويعبدونه ولا تضرون الله شيا بتوليكم واعراضكم انما تضرون انفسكم وقيل معناه لا تقدرون
له على ضرر ان اراد اهلاككم او اهلككم وقيل معناه لا يضره هلاككم اذا اهلككم لا تنقصونه شيا
لانه سوا عنده كنتم او لم تكونوا ان ربي على كل شي حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا
يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشيا كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله

ابن

و ٧

ملكم **قوله تعالى** ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ولما جاء امرنا عذابنا وقيل امرنا بعذاب عاد نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الف برحمة منا الا بايمانهم وعملهم الصالح وقيل بما هداهم اليه من الايمان والعمل الصالح وقيل رحمهم في ذلك الوقت فميزهم عن الكافرين في العقاب ونجيناهم من عذاب غليظ ذكرا ولا حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم ريحا صرصرا سموما كانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالعذاب الغليظ عذاب القيامة ولا عذاب اغلظ منه واشد اي كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الاخرة من العذاب وتلك عاد قيل اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا وقيل تلك عاد قبيلة جحدوا بايات ربهم وعصوا رسل الله اي هودا وساير الانبيا لانهم اذا عصوا رسوله الذي ارسل اليهم فقد عصوا رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده فاراد برسله هودا وحده نظير قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات يعني النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن في عصره نبي سواه واتبعوا امر كل جبار كافر قهار يجبر غيره على ما يريد عنيد طاغ باغ لا يقبل الحق ولا يذعن له يقول عند عندا وعندا وعنودا اذا تجبر وطغى وعند عن الحق مال وهو فعيل من عندى كان فيه معنى الاعجاب وحسن الظن بنفسه والمعنى عند من يريد روساهم وكبراهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم والحاصل انهم عصوا من في طاعته سعادتهم واطاعوا من في طاعته شقاوتهم واتبعوا اردفوا والحقوا في هذه الدنيا لعنة طردا وبعدا وعذابا وهلاكا وفي يوم القيامه لما كانوا اتباعا لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم الا اذكر قيل كلام يعظم موقعه وقيل كفروا نعمة ربهم والا وتكرارها مع الندا على كفرهم والدعا عليهم تهويل لامرهم وتفظيع لشانهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وبعدا دعا بالهلاك ومعنى الدعا به عليهم بعد هلاكهم الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعد وابد او بلى والله قد بعدوا وقوم هود عطف بيان لعاد والفايدة في هذا البيان والبيان حاصل به وبدونه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم **قوله تعالى** والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب انشاكم ابتدا خلقكم من الارض وذلك ان ادم خلق من الارض وهم منه وقيل لان الانسان خلق من المني والمني من الدم والدم من الغذا والغذا من النبات والنبات من الارض وقيل انشاكم في الارض واستعمركم فيها جعلكم عمارها وسكانها قيل كان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من الانبيا ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاويه انه اخذ في احيا ارض في اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القايل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقا

اي اعاشكم فيها وقيل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره ان ربي قريب من راجيه مجيب لداعيه وقيل قريب داني الرحمه سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله وقيل قريب سريع الاجابة قالوا اي ثمود يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا القول كنت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوا ان تكون فينا سيدا ننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه لانه كان يخالفهم في عبادة الاصنام ولا ينهاهم عنه قبل هذا اليوم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا حكاية حال ماضيه وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب موقع في الريبة من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة بالنفس وقيل من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي **قوله تعالى** قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير اي تخسرون اعمالي وتبطلونها وقيل فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون يقول خسرته كما يقول فسقته وزنيته اذا نسبته الى شي من ذلك عن ابن عباس بصارة في خسارتكم وقيل غير تضليل وقيل معناه ما تزدادون الا خسارا فنسبه الى نفسه لانهم اعطوه ذلك وكان يسالهم الايمان وقيل ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران وقيل ما تزيدونني على ما انا عندكم الا تخسيرا وقيل ان انصرفت بحجتكم تزيدونني الا خسارا **قوله تعالى** ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب جرت العادة بطلب المعجز عمن يدعي النبوة وامر صالح هكذا روي ان قومه خرجوا في عيد لهم فسالوه ان ياتيهم باية وان يخرج لهم من صخرة معينة عينوها ناقة فدعا ربه صالح فخرجت كما سالوا وهذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال فعمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل لكم متعلق باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال فذروها فدعوها تاكل في ارض الله ترع في ارض الله والاكل عام في كل ما يتغذى اي ترعى نبات الارض وتشرب ماها ولكم درها ولا تمسوها تصيبوها بسوء عقرا ونحرا ان تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل في الدنيا لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا استمتعوا بالعيش في دياركم في بلادكم ومنازلكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في داركم في دار الدنيا وقيل انما وحد لان المراد بها البلد ويحتمل كل واحد في داره ذلك وعد غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرايه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق **قوله تعالى** فلما

مطلقت بهذا

عادة [illegible] منه ونحو الله [illegible]

جا امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز
واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
الا بعدا لثمود اي نجيناهم من العذاب بالصيحة ومن الخزي قرا نافع والكسائي يومئذ بفتح الميم
لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن والمضاف الى المبني يصح جعله مبنيا بالكسر والباقون للاضافة
وتنوين اذ لانه عوض ما حذف في الجملة المقدرة ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته
ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وقيل يريد بيومئذ يوم القيامة ان ربك
هو القوي العزيز فلا يغلب ولا يمتنع عليه شي واخذ الذين ظلموا الصيحة هي جرور وصوت
في فم وحلق حيوانه قيل الصيحة العذاب كما يقول صاح فلان بفلان اذا زجره وردعه فاصبحوا
في ديارهم في منازلهم جاثمين ميتين صرعى والجثوم السقوط على الوجه وقيل القعود على الركب
فاماتهم الله الا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها لانقطاع
اثارهم بهلاكهم باجمعهم الا من بقي من اجسادهم الدالة على الخزي النازل بهم الا ان ثمود قرا حمزة
وحفص عن عاصم بفتح الدال من غير تنوين هنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم ووافقهما ابو بكر عن عاصم
في النجم والباقون بالتنوين في الاربعة الا بعدا لثمود قرا الكسائي بخفض الدال مع التنوين والباقون
بفتح الدال من غير تنوين **قوله تعالى** ولقد جات رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام
فما لبث ان جا بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وامراته قايمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا
بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب قيل دخلت كلمة قد هاهنا لان السامع لقصص الانبيا عليهم السلام
يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع ودخلت اللام في لقد لتاكيد الخبر رسلنا يريد الملايكة وعن ابن عباس
كانوا ثلاثة جبريل وميكايل واسرافيل وعن الضحاك تسعة وعن السدي احد عشر على صورة
الغلمان الوضا وجوههم ابرهيم الخليل عليه السلام بالبشرى بالبشارة بالولد باسحق ويعقوب
وقيل بسلامة لوط واهلاك قومه قالوا اي الرسل سلاما سلمنا عليك سلاما قال ابرهيم سلام
اي امركم سلام وعليكم سلام وللرفع مزية على النصب لانه اخبار عن شي ثابت والنصب اطلب
ايقاع ما لم يقع فصار مندرجا في قوله فحيوا باحسن منها قرا حمزة والكسائي بكسر السين
من غير الف ومثله في الذاريات وله وجهان احدهما سلم وسلام لغتان كحرم وحرام وحل
وحلال والشاهد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح والثاني سلم صلح لكم غير حرب
والباقون سلام بفتح السين والالف بعد اللام فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيه بعجل حنيذ
محنوذ وهو المشوي بالحجارة المحماة وقيل مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس
اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما راى ابرهيم ايدي الرسل لا تصل الى العجل
الحنيذ نكرهم ابرهيم الرسل انكر ذلك منهم نكر وانكر واستنكر بمعنى واحد واوجس منهم خيفة اضمر
ابرهيم واحس من الرسل خوفا وقيل توقع في قلبه خوفا وقيل استشعر وقيل حدث به نفسه واصل
الوجوس الدخول كان الخوف دخل قلبه قيل انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه
لم يجي بخير وانه يحدث نفسه بشر قيل ان ابرهيم عليه السلام احس بانهم ملايكة ونكرهم لانه تخوف
ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه الا ترى الى قول الرسل لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا قالوا لا تخف قال الرسل لابرهيم عليه السلام
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لا الى قومك وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه

او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته
اي وامراة ابرهيم سارة قايمة ورا الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم وقيل كانت قايمة تخدم الرسل
وابرهيم جالس فضحكت سرورا بزوال الخوف وحصول الامن لانها خافت كما خاف ابرهيم وقيل سرورا
باهلاك اهل الخبايث وقيل ضحكت ضحك انكار لغفلة قوم لوط وقد اظلهم العذاب وقيل كانت
تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهولا القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى
الامر على ما توهمت وقيل ضحكت من امتناع الضيف من الاكل ولم تكن رات مثل ذلك وقيل ضحكت من
خوف ابرهيم وهو من اهله وحشمه وقيل ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فقيل
هذا من المقدم الذي معناه التاخير كان معنى الكلام وامراته قايمة فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق
يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتى االد وانا عجوز الاية وقيل فضحكت فحاضت في الوقت يقول العرب
ضحكت الارنب اذا حاضت قال الشاعر وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا فبشرناها
ومن ورا اسحق يعقوب يعقوب مبتدا مرفوع بالابتدا كانه قيل ومن ورا اسحق يعقوب مولودا او موجود اي
من بعده وقيل الورا ولد الولد وعن الشعبي انه قال له اهذا ابنك فقال نعم من الورا وكان ولد ولده
وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة يعقوب بالنصب بنزع الخافض اي ومن ورا اسحق بشرناها
بيعقوب فلما حذف الجار نصب وقيل باضمار فعل اي ووهبنا له يعقوب والباقون برفعه **قوله
تعالى** قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله
رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد يا ويلتى ايذان بامر فظيع والويل حلول الشر والالف
في اخره بدل من يا الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا االد وانا عجوز وكانت ابنة تسعين سنة
وقيل تسع وتسعين سنة وهذا بعلي زوجي سمي بذلك لانه قيم امرها كما سمي مالك الشي بعله والبعال
الجماع ومنه بعل النخلة لاستغنايه عن تكلف السقي له شيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وكان ابرهيم عليه
السلام ابن مايه سنة وقيل ابن عشرين ومايه ان هذا الذي بشرت به لشي عجيب ان يولد ولد من شيخين هرمين
وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر
الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا
يزدهيها ما يزدهي ساير النسا الناشيات في غير بيوت النبوة وان يسبح الله ويمجد مكان التعجب والى
ذلك اشارت الملايكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت اراد الملايكة
ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب
وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل
اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرايل لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابرهيم وقيل رحمت الله وبركاته اهل البيت دعا لهم
وقيل اخبار وتذكير للنعمة ومن بركاته ان جميع الانبيا بعده من نسله انه تعالى حميد محمود على كل
حال وقيل حميد يحمد المومنين من عباده مجيد كثير الخير من قبله والمجد نيل الشرف مجد فهو ماجد
ومجد فهو مجيد قيل المجيد الكريم وقيل العظيم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل
البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن **قوله تعالى** فلما ذهب عن ابرهيم الروع
وجاته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب الروع ما اوجس من الخيفة حين
نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلب ابرهيم بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ
للمجادلة وجواب لما محذوف وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب تقديره اجترا على خطابنا

او فطن المجادلة ثم اسندا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه
اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا اي يكرر السوال باي شي استحقوا عذاب الاستيصال
وان ذلك واقع لا محاله ام على سبيل الاخافة ويجادله ابرهيم الرسل انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القريه
فقال ابرهيم ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونهم قال الرسل لا قال ابرهيم واربعون قالوا لا
قال وثلاثون قالوا لا حتى بلغ عشرة قالوا لا قال وخمسة قالوا لا قال ابرهيم ارايتم ان كان فيها رجل واحد
مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال ابرهيم عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته
كانت من الغابرين قيل كان في قرى قوم لوط اربعة الف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه
اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تايب راجع الى الله بما يحبه ويرضى وهذه الصفات داله على رقة القلب والرافه
والرحمه فبين ان ذلك مما حمله على المجادله لانه فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبه والانابه
كما حمله على الاستغفار لابيه **قوله تعالى** يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب
غير مردود ولما جات رسلنا لوطا سي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاه قومه يهرعون اليه
ومن قبل كانوا يعملون السيات فقال الرسل عند ذلك لابرهيم عليه السلام يا ابرهيم على ارادة القول
اي قالت له الرسل اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمه خلقك فلا فايدة فيه انه قد جا امر ربك
وهو قضاوه وحكمه بعذابهم وانهم اتيهم نازل بهم اي بقوم لوط عذاب غير مردود غير مصروف عنهم
ولما جات رسلنا يعني الملايكه لوطا فراهم وهياتهم وجمالهم سي بهم سا لوطا مجي الرسل لانه لم يعرفهم
واشفق عليهم من قومه وقيل سا ظنه بقومه وضاق بهم ذرعا قلنا قيل الاصل فيه وضاق ذرعه فنقل
الفعل عن الذرع الى ضمير لوط ونصب الذرع بتحول الفعل عنه وقيل يقال ضاق فلان بامره ذرعا
اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا قيل معناه وقع به مكروه عظيم لا يصل الى دفعه عن نفسه وقيل
معناه ضاق صبره وعظم المكروه عليه واصله من ذرع فلانا القي اذا غلبه وسبقه وقيل معناه
ضاق بهم وسعه فناب الذرع والذراع عن الوسع لان الذراع من اليد والعرب تقول ليس هذا
في يدي يعنون ليس هذا في وسعي قيل كانت مساة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف
عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وقال لوط هذا يوم عصيب شديد من
قولك عصبه شده عن قتاده والسدي خرجت الملايكه من عند ابرهيم عليه السلام نحو قرية لوط فاتوا
لوطا نصف النهار وهو في ارض له يعمل بها وقد قال الله تعالى للملايكه لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط
اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القريه قالوا وما امرهم
قال اشهد بالله انها لشر قريه في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك
احد الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت
مثل وجوههم قط وجاه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون
السيات ومن قبل مجيهم الى لوط كانوا يعملون السيات الفواحش ويكثرونها فضروا بها وموتوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاوا يهرعون الى الملايكه مجاهرين لا يكفهم حيا وقيل معناه
كانوا ياتون الرجال في ادبارهم وقد عرف لوط عادتهم في الفواحش **قوله تعالى**
قال يا قوم هولا بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي اليس منكم رجل رشيد
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى
ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قال لوط يا قوم هولا بناتي هن اطهر لكم

لكم بالتزويج اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرام واراد هولا بناتي فتزوجوهن وكان
تزويج المسلمات من الكفار جايزا كما زوج رسول الله ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن
وايل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهما سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وعن بن جبير
اراد نسا امته وكل نبي ابو امته وعن الحسن كانوا من قبل يخطبون بناته فيابى فحمله ضيق الامر على ان
ضمن اسعافهم وقيل شرط عليهم الايمان بدليل قوله فاتقوا الله هولا مبتدا بناتي عطف بيان له وهن مبتدا
ثان واطهر خبره والجمله خبر للمبتدا الاول فان قيل ظاهر قوله هن اطهر لكم يقتضي كون العمل الذي يعملونه
طاهرا ومعلوم انه لا طهارة في نكاح الرجال اجيب بانه ليس هذا زيادة افعل انما يفيد الطهر الا الف
الف التفضيل وهو سايغ جايز في كلام العرب كقول الناس الله اكبر فهل كابر الله احد حتى يكون اكبر منه
يدل عليه ما روي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه قل
الله اعلى واجل وهبل لم يكن قط عاليا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني من الخزي او لا تخجلوني
من الخزايه وهي الحيا في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي
الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل واحد رشيد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل
والكف عن السو وقيل مومن صالح سديد وقيل امر بالمعروف ناه عن المنكر وقيل رجل يقول لا اله الا
الله وليس في الايه بمعنى ما النفي والاستفهام للانكار قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون عرض البنات
عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوه عليه طمعا في ان يستحيوا منه
ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا الضيوف مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه
وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق من حاجة وشهوة وقيل لما اتخذوا
اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطيهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل
فلذلك قالوا اما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه
ويجوز ان يقولوا على وجه الخلاعه والغرض نفي الشهوه وانك لتعلم ما نريد يعنوا اتيان الذكور
وما لهم فيه من الشهوه فقال لهم عند ذلك لو ان لي بكم قوة منعه وشيعه ينصروني او اوي الى ركن
شديد او انضم الى عشيره ومنعه وجواب لو محذوف اي لقاتلتكم ودفعتكم يقال ما لي به قوه ما لي به طاقه
ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او
اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته
ولذلك قالت الملايكه وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا
كان ياوي الى ركن شديد يريد نصرة الله وعونه وقيل جواب لو لاجبرتكم عن ترك ما انتم عليه والله لا يجبر
وعن بن عباس اغلق لوط بابه والملايكه معه في الدار وهو يناظر قومه ويناشدهم من ورا الباب
وهم يعالجون تسور الجدار فلما رات الملايكه ما لقي لوط من المشقه والنصب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل
ربك لن يصلوا اليك لا تراهم بعد هذا لانا نهلكوهم وقيل لن يصلوا اليك والى ضيفك بمكروه فهون عليك فافتح
الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصوره
التي يكون فيها فنشر له جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم
فانصرفوا وهم يقولون النجا النجا فان بيت لوط سحره لن يصلوا اليك جمله موضحه للتي قبلها لانهم اذا كانوا
رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره **قوله تعالى** فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت
منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب قرا نافع وابن كثير

فاسر موصوله والباقون بقطع الالف وهما لغتان والسرى سير الليل يقال سرى يسرى اذا سار بالليل واسرى
بفلان اذا سير بالليل والقطع من الليل بعضه وهو مثل القطعه يريد اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول العذاب
الذى موعده الصبح عن بن عباس بقطع من الليل هو اخر الليل وعن قتاده بعد طايفه من الليل وقيل نصف الليل
فانه فى ذلك الوقت قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد نهى من معه من الالتفات اى لا يتخلف منكم احد وقيل
لا ينظر الى ورائه وقيل لا يلتفت الى ماله هنالك الا امراتك فيكون استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل
عليه قراة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك قال صاحب الكشاف ويجوز ان تنتصب عن لا يلتفت
على اصل الاستثنا وان كان الفصيح هو البدل اعنى قراة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفى اخراجها مع اهله
روايتان روى انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وروى انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراتين لاختلاف
الروايتين قال ابن الحاجب هذا التفصيل باطل جعل القراه بالرفع محمولة على البدل من قوله ولا يلتفت
منكم احد الا امراتك وقراة النصب محمولة على الاستثنا من الموجب بقوله فاسر باهلك فان القراتين ثابتتان
قطعا فيمتنع حملهن على وجهين احدهما باطل قطعا والقصه واحده فهو اما ان يكون سرى بها او ما سرى بها
فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله ولا يلتفت منكم احد وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله
فاسر باهلك فقد ثبت ان احد التاويلين باطل قطعا فلا يصار اليه فى احدى القراتين الثابتتين قطعا
والاولى من هذا ان يكون الا امراتك فى الرفع والنصب مثل قوله ما فعلوه الا قليل منهم ولا يبعد ان يكون
اقل القرا على الوجه الاقوى واكثرهم على الوجه الذى هو دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان يجمع
القراه على قراة غير الاقوى وللقايل ان يقول قول بن الحاجب وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله
فاسر باهلك غير لازم لجواز ان يكون لوط ما سرى بها وهى سرت بنفسها روى عن قتاده انه قال ذكر لنا انها
كانت مع لوط حين خرج من القريه فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقوله
اختلاف القراتين لاختلاف الروايتين قول ساقط فان القراه ليست تابعه للروايه والا يلزم الريب فى
كلام الله الذى لا ريب فيه انه اى ان الامر مصيبها من العذاب ما اصابهم من العذاب غير مخطيها ولا مخطيهم
قال لوط للرسل متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك قالوا اليس الصبح بقريب **قوله**
تعالى فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هى من الظالمين ببعيد فلما جا امرنا عذابنا وقيل امرنا بالاهلاك اى قيل له كن وقيل امرنا الملايكه
اى امر الله تعالى الملايكه بعذابهم جعلنا عاليها اى عالى قرى قوم لوط وهى المويتفكات سافلها عن بن
عباس امر جبريل لوطا بالخروج فقال اخرج واخرج غنمك وبقرك فقال كيف لى بذلك وقد اغلقت ابواب
المدينه فبسط جناحه فحمله وبنتيه وما لهم من شى فاخرجهم من المدينه وسال جبريل ربه فقال يا رب ولنى
هلاك هولا القوم فاوحى الله اليه ان تول هلاكهم فلما ان بدا الصبح غدا عليهم جبريل فاحتملها
على جناحه فرفعها حتى سمع اهل السما اصواتهم وصياح الديك ونباح الكلب ثم جعل عاليها سافلها وامطرنا
على القرى وقيل على الامه وقيل على شذاذها ومسافريها حجارة اى جعلنا الحجارة بدل المطر
والمعنى اتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل عن بن عباس فارسى معرب من سنك كل بدليل قوله حجارة من
طين وقيل هى من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين يدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل
من السجل وهو الكتاب تقديره من مكتوب الحجارة وهى حجارة كتب الله ان يعذبهم بها وقيل بحر معلق
فى الهوا بين السما والارض منه نزلت الحجارة وقيل ان السجيل اسم السما الدنيا فالمعنى حجارة
من السما الدنيا وقيل الشديد من الحجارة الصلب وقيل من مثل السجل فى الارسال والسجل

الدلو

الدلو وقيل من اسجلته اعطيته اى مثل العطيه فى الادرار منضود نضد فى السما نضدا معدا
للعذاب وقيل نضد بعضه على بعض لانه طين جمع فجعل حجارة وقيل يرسل بعضه فى اثر بعض حين
امطرت كالمطر قطرة بعد قطرة مسومة معلمة للعذاب من السومه وهى العلامه عن الحسن
كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيمى يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب
على كل واحد اسم من رمى به وقيل انها مختومه فالحجر ابيض وفيه نقطه سودا او اسود وفيه
نقطة بيضا عند ربك اى جاءت من عند ربك معدة وقيل معناه هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند
الله ايذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه وقيل معنى عند ربك فى خزاينه التى لا يتصرف فى شى منها
الا باذنه وما هى من الظالمين ببعيد لم تكن لتخطيهم وقيل الضمير للقرى اى قرى قوم لوط قريبة من ظالمى مكه
يمرون بها فى مسايرهم ببعيد بشى بعيد ويحتمل ان يراد وما هى بمكان بعيد لانها وان كانت فى السما وهى
مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهى اسرع شى لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب **قوله تعالى** والى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اريكم بخير وانى
اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياهم ولا تعثوا
فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ اى وارسلنا شعيبا الى بنى
مدين بن ابرهيم وقيل الى ساكنى مدين ومدين هذا قيل انه ابن لابرهيم فصار اسما للقبيله او سميت البلد
باسمه ولا تنقصوا المكيال المكيل بالمكيال والموزون بالميزان اى لا تبخسوا الناس حقوقهم كانوا مع كفرهم
مطففين والكيل تعديل الشى بالمكيال فى القله والكثره والميزان آلة الوزن والوزن تعديل الشى بالشى
فى الخفه والثقل انى اريكم بخير بسعة وخصب وثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف وقيل اريكم
بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون وقيل اريكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه وانى اخاف
عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو وقيل هو غلا السعر
وقيل الاستيصال فى الدنيا والعذاب فى الاخره ووصف اليوم بالاحاطه ابلغ من وصف العذاب
بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه
كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان لان فى التصريح بالتقبيح نعيا على المنهى وتعييرا
له ثم امروا بالايفا الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجى به
مقيدا بالقسط اى ليكن الايفا على وجه العدل والتسويه من غير زياده ولا نقصان اما ما هو الواجب
لان ما ورا العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفى عليه ان ينوى بالوفا القسط
لان الايفا وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوايد ولا تعثوا العثى فى الارض اشد الفساد
نحو السرقه والغارات وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم فى الارض بقيت
الله ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفا الكيل والوزن والتنزه عما هو حرام عليكم من البخس والتطفيف
خير لكم من التطفيف ان كنتم مومنين اى بشرط ان تومنوا لان الله تعالى يجعل فيها البركه وقيل
طاعة الله لانها تبقى وقيل فرايض الله وقيل رزق الله وقيل رحمت الله من قوله وما عند الله
خير وابقى وقيل وصيه الله قال صاحب الكشاف وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس فى الارض
وهم كفرة بشرط الايمان فان قلت بقيت الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
فلم شرط الايمان قلت لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاه من العقاب وخفا فايدتها
مع فقده لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه
ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لى فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله

قيل من دمار قريش جوفهم الله
بها وقيل عام فى كل ظالم وقيل
انهم قوم لوط اى من قوم لوط

والفساد

من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث
انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا وما انا عليكم
بحفيظ احفظ عليكم نعمكم فاحفظوها بترك المعصية وقيل احفظكم عن البخس وقيل وما بعثت لاحفظ
عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت منبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت وانما
قال هذا لان شعيبا لم يؤمر بالقتال **قوله تعالى** قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان
نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم اصلاتك بغير واو والباقون صلواتك على الجمع امرهم شعيب بالتوحيد
ونهاهم عن البخس فهم انكروا عليه بما قوله ان نترك ما يعبد اباؤنا اشارة الى انه عليه السلام
امرهم بالتوحيد وقوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء اشارة الى انه نهاهم عن البخس عن ابن عباس
كان شعيب عليه السلام كثير الصلوة وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلاتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت
ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف
كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل
التهكم بصلاته وان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاصنام باطل لا وجه لصحته وان مثله
لا يدعوك اليه داعي عقل ولا تامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة
شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون
وما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا
وليس بعطف على ان نترك قيل كان مما نهاهم عنه وعذبوا لاجله قطع الدنانير والدراهم
ولذلك قالوا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقيل او في الاية بمعنى الواو وقيل هو كقولك
تركب البغل او الفرس اي من هذا او من ذاك انك لانت الحليم الرشيد ارادوا به نسبته الى
غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك
حاتم لسجد لك وقيل هو على الصحة اي انك يا شعيب فينا حليم رشيد فليس يحمل بك شق عصا قومك
ولا مخالفة دينهم كما قال قوم صالح له يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا **قوله تعالى**
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود حكى الله عن شعيب ما ذكره في
الجواب عن كلماتهم على بينة بيان وبرهان من ربي ورزقني منه من لدنه وقيل من
البيان رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف وقيل رزقا حسنا علما ومعرفة
وقيل نبوة وحكمة وجواب الشرط محذوف وتقديره اتكرهون ذلك وقيل تقديره اذا عدل
عنها واتبع الضلال وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين اي قصة نوح ولوط دل على مكانه
والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت على الحقيقة نبيا ايصح
ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي التي انتم عليها والانبياء لا يبعثون الا لذلك

عنه
وما اريد ان اخالفكم يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى
وما اريد ان اخالفكم وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسله عن صاحبه فيقول خالفني
الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم والحاصل انه يقول
لا انهاكم عن شيء ثم اتيه وقيل معناه لا اجعل فعلي مخالفا لقولي ان اريد الا الاصلاح اي ما اريد
الا اصلاح امركم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة
استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته
منه وقيل يجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت
او مفعولا لقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فساداته
عليه السلام اكد ذلك الكلام بقوله وما توفيقي لدعائكم الى الاسلام وعبادة الله وترك التطفيف
الا بالله اي لا يكون افعالي موافقة للصواب الا بمعونة الله عليه توكلت استعنت به ووثقت
به واليه ارجع في السراء والضراء والمعاد فقوله وما توفيقي الا بالله يفيد الحصر وعليه توكلت
يفيد الحصر ايضا فتبين بهذا ان اعتماده في تنفيذ كل الاعمال الصالحة على توفيق الله وهدايته
وانه لا ينبغي للانسان ان يتوكل على احد الا على الله وهذا اعظم مراتب المبدا وانه لا مآب
للخلق الا الى الله وهذا اشارة الى معرفة المعاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا ذكر شعيبا عليه السلام قال هو خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه لا يجرمنكم جرم مثل كسب
في تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا
وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم
اي لا يكسبنكم شقاقي خلافي وعداوتي ان يصيبكم اي اصابتكم العذاب مثل ما اصاب
قوم نوح الغرق او قوم هود الريح او قوم صالح الرجفة قرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا
اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل
اكسبه المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا
واجرمته اياه والباقون بفتح الياء والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما
الا ان المشهور افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه
على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وما قوم
لوط منكم ببعيد اي اهلكوا في عهد قريب من عهدكم او فيما دار قوم لوط منكم ببعيد وقيل
وما قوم لوط منكم ببعيد في الكفر والمساوي واستحقاق الهلاك وجاز ان يراد
وما اهلاك قوم لوط منكم ببعيد او قيل وما هم بشيء منكم ببعيد في الكفر والمساوي
او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر
والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا
ربكم عن عبادة الاوثان وعن البخس والتطفيف وسائر المعاصي ثم توبوا ودوموا
على التوبة ان ربي رحيم بالمحسنين المستغفرين التائبين ودود عظيم الرحمة للمستغفرين
التائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال **قوله تعالى**
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك

وما انت علينا بعزيز لما بالغ شعيب في النصح وتقريره وبيانه اجابه قومه بكلمات فاسدة
ما نفقه ما نفهم ولا نعقل كثيرا مما تقول لانهم لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهة له
لقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه وقالوا
ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا
كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبيا وقيل كان الثغ
وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا يقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها
وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي الاعمى ضعيفا كما يسمى ضريرا وهذا القول
ضعيف لانه ترك للظاهر من غير دليل ولان فينا يمنع هذا القول الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا
اعمى لم يكن مستقيما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من
الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة ولولا رهطك عشيرتك وكان في عز ومنعة وانما قالوا ولولا
رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك
شر قتلة وهو القتل برمي الحجر وما انت علينا بعزيز اي انت لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل
ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد
دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل اي كون التردد في الفعل لا في
الفاعل وذلك بان يكون هناك وجود فعل وعالم به لكنه يخطئ في فاعله او في تفصيل فاعله وانت
تقصد ان ترده الى الصواب وهذا يقتضي ان يكون اصل الكلام ما عززت انت فقدم للاختصاص
وانما التزم التقديم لازما لنفي الحال وللحال اختصاص بالزمان والقياس ان يكون اصل الكلام
ما عززت انت فقدم للاختصاص وانما التزم التقديم لازما لنفي الحال وللحال اختصاص بان
مدخولها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم لا سيما الضمير دل على ان التقديم للاهتمام والاختصاص
كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال شعيب في جوابهم ارهطي
اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب لان الكلام حينئذ في عزته فقط
فالجواب المطابق لم لا اكون عزيزا بما شرفني الله برسالته اهديكم الى سبيل الرشاد واخلصكم من
ورطة الضلالات فاذا لا مدخل للقوم فيه ولا وجه لقوله ارهطي اعز عليكم من الله قوله
تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط
ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا
اني معكم رقيب ان القوم زعموا انهم لم يرجموه لا لعزته عليهم بل لعزة رهطه فقال شعيب يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله وهذا انكار اي حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي فان قيل
الكلام واقع في شعيب وفي رهطه اي ان القوم نفوا العزة عن شعيب واثبتوها لرهطه فكيف صح
قوله ارهطي اعز عليكم من الله اي فلم ذكر الله شعيب واتى بافعل الذي يقتضي الشركة في العزة
المنفية اجيب بان تهاونهم بشعيب وهو نبي الله تهاون بالله سبحانه فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتم
الله وقيل واتخذتم امر الله وراءكم ظهريا منسيا وكانكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ
خلف الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى امس
امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم يجوز

في الاصل مثلهم

يكون مكانتكم بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فيكون المعنى اعملوا قارين على جهتكم
التي انتم عليها من الشرك وعبادة الاوثان والشنآن لي وان يكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين فالمعنى
اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصر والتاييد ويمكنني من
ياتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه
عذاب يخزيه واينا كاذب ويجوز ان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه
عذاب يخزيه والذي هو كاذب وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزع الفاء من
سوف وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسوال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن
على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو
عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
وارتقبوا انتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب
والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع
بمعنى المفتقر والمرتفع وقيل انتظروا اهلاككم اني معكم رقيب لهلاككم وقيل انتظروا العذاب
اني معكم منتظر ذكر عاقبة المعاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو
صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه اليهم ومن هو صادق اليه لكنهم لما كانوا يدعون شعيبا كاذبا
قال ومن هو كاذب اي في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا
والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود جاثمين لازمين لمكانهم لا يريمون كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة
فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو نعضا قال صاحب الكشاف فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة
مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك
قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين وكان حقهما ان يعطفا
بحرف الجمع على ما قبلهما كما يعطف قصة على قصة كان لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين
البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت قال صاحب الكشاف
وقرا السلمي بضم العين والمعنى في القياس واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين
البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البنا كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد
وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى الموت وقيل معناه بعدهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما
امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة
ويوم القيامة بئس الرفد المرفود باياتنا وسلطان مبين قيل يريد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى
على صدق نبوته وقيل يريد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها الى فرعون وملائه فاتبع الملا امر فرعون
وخالفوا امر موسى وما امر فرعون برشيد بسديد وقيل بذي صلاح او صلاح وقيل الرشيد بمعنى المرشد
وهذا تجهيل للملا الذين اتبعوه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة
من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد
ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه
رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه

انهم عاينوا الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه
الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي يتقدمهم ويقودهم الى النار يوم القيامة اي كما كان
لهم قدوة في الضلال لذلك يقودهم الى النار وهم يتبعونه قيل يرتبط بقوله وما امر فرعون برشيد
وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته
والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه
قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وانما قال فاوردهم بلفظ الماضي
لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد والمورد والمورود
الذي وروده شبه بالفارط الذي يتقدم الوارده الى الماء وشبه اتباعه بالوارده ثم قيل بئس الورد المورود
الذي يردونه النار لان الوارد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان لان اللعنة
في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى قوله تعالى
ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون
من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب ذلك النبا بعض انباء القرى نقصه عليك ذلك مبتدا
من انباء القرى خبر نقصه خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من القرى
اي بعض القرى قائم باق عامر وبعضها حصيد خراب قد اهلك والحصد قطع الشيء من اصله والحصيد
المحصود وقيل قائم بناؤها خال عن اهلها وحصيد مطموس العين والاثر ويحتمل ان يراد بالقرى قرى من تقدم
ذكرهم وان القائم منها ديار قوم هود وصالح وموسى عليهم السلام والحصيد ديار قوم نوح ولوط وهذه
الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بالكفر وعبادة الاوثان
فما اغنت عنهم الهتهم ما نفعتهم ولا دفعت عنهم الهتهم التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية
من دون الله من شيء لما منصوب بما اغنت جاء امر ربك عذابه وما زادوهم غير تتبيب تخسير وتدمير
يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد صعب على الماخوذ ثم ان عذابه ليس بمقصور على من تقدم بل الحال
في اخذ كل ظالم كذلك وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها
بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر
بالتوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وما نؤخره الا لاجل معدود اي ان في ذلك الذي نزل بالامم المهلكة من انواع العذاب لاية لعبرة وعظة
لمن خاف عذاب الاخرة اي اعتقد وجود عذاب الاخرة وصحته لانه ينظر الى ما نزل بالكفرة في الدنيا
وما هو الا امر يسير في جنب ما اوعدهم في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود
فيكون للمومنين وقيل للانبياء ان ينصرهم ذلك يعني يوم القيامة يدل عليه عذاب الاخرة يوم مجموع
له الناس والناس مرفوع بمجموع كما يرفع بيجمع اذا قيل يجمع له الناس اي يوم يحشر فيه الناس وليس يوم
بهذه الصفة الا يوم القيامة وانما اوثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى
الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة
وهو ايضا اثبت لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب
مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب

قوله تعالى م

يوم

يوم مشهود اي يشهد فيه اهل السموات والارض وهو يوم القيامة فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول
به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود
وطعام محضور قال الشاعر في محفل من نواصي الناس مشهود وانما جعل اليوم مشهودا فيه ولم يجعل مشهودا في نفسه كما
قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعل مشهودا
في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها فجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه
مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى في الشهر فليصم فيه يعني من
كان مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده
المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره اي اليوم المذكور وقيل الجزاء الا لاجل الا لانتهاء مدة معدودة بحذف
المضاف قوله تعالى يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ قرا ابن
عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء والباقون باثباتها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل
قيل فاعل يات الله اي يوم ياتي الله بالجزاء لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك وقيل
الفاعل ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة وحينئذ يكون المراد اتيان هوله وشدائده
لا تكلم لا تتكلم نفس بنفع من شفاعة او وسيلة الا باذنه لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ويوم ظرف منصوب
بلا تكلم وقيل منصوب باضمار اذكر وقيل بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل
يوم ياتي وذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون
فمن الذين جمعوا في ذلك اليوم وقيل فمن اهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل
عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي عليه كتبت الشقاوة فيدخل النار وسعيد كتبت له
السعادة فيدخل الجنة وقيل شقي معذب وسعيد منعم وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي قسم
ثالث عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله
فعلى ماذا نعمل على شيء قد فرغ منه فقال يا عمر جرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير اخراج النفس وشهيق رده عن ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن
الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره حين يفرغ من صوته اذا ردده في جوفه وعن ابي العالية
الزفير في الحلق والشهيق في الصدر خالدين فيها لابثين مقيمين فيها حال مقدرة تقول العرب مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا والعامل فيه معنى الاستقرار في قوله ففي النار قوله ما دامت السموات
والارض اي دوام السموات والارض واراد بالدوام وقت الدوام وقيد الخلود بالدوام لان
العرب لا تفهم خلود الا نهاية له وهذه لفظة وضعت للدوام ولها امثال وفي هذه الاية والتي تليها سؤالان
احدهما ان السموات والارض فانيان وان بقاء اهل الدارين بصفة الدوام فكيف علق ما يبقى بما يفنى
والثاني بم يتصل الاستثناء اما السؤال الاول فالجواب عنه من وجوه منها انه اراد بقوله ما دامت السموات
والارض التابيد وعدم الانتهاء ونفي الانقطاع وللعرب الفاظ في معنى التابيد يقولون هو باق ما حنت
النيب وفي المثل لا افعل ذلك ما حنت النيب واطت الابل واينع الثمر واورق الشجر وما جن ليل وما اختلف
الليل والنهار وما دامت السموات والارض واشباه هذا كثير ظنا منهم ان هذه الاشياء ابدية غير

فمن شهد منكم

متغيرين فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم ومنها انها سموات الجنة والنار وارضهما وهي دائمة مخلوقة للابد
ومنها انهما تعادان واذا اعيدتا بقيتا او فنيتا تعويه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وعن
الحسن اراد ما دامت الاخرة كدوام السماء والارض في الدنيا قدر مدة بقائهما وعن ابن عباس ما دامت السموات
والارض من ابتدائهما الى وقت فنائهما ومنها ما دامت السماء سماء والارض ارضا وهذا اسي لانفراقهما في ذواتهما
بقيتا او فنيتا واما السوال الثاني فالجواب عنه من وجوه منها ان الاستثناء المذكور في حق اهل النار في الموحدين
الذين يخرجون بالشفاعة قاله ابن عباس والضحاك ومنها انه استثناء لا يفعله الله يقول والله لاضربنك الا ان ارى
غير ذلك وعزيمتك على ضربه ومنها ان الاستثناء يصرف الى السموات والارض والخلود بحاله الا ان يشاء الله في السموات
والارض ما يشاء ومنها الا ما شاء الله من زيادة الدوام على دوام السموات ومنها ان ما بمعنى من وهم قوم يخرجون
من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار
اياما فهو لا لم يشقوا شقا من يدخل النار على التابيد ولا سعدوا اسعاد من لا تمسه النار ومنها ان الا بمعنى سوى
تقول لك علي الف الا الالفان اللذان تعرفهما فيلزمك ثلثة الف فالمعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والارض
سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة ومنها ان هذا الاطلاق يوجب ان يكونوا في حال الاخبار في الجنة او في
النار فاستثنى مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ وقيل انهم اذا حشروا وبعثوا فهم في شروط القيامة فالاستثناء وقع
من الخلود بمقدار موقفهم للحساب فالمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا مقدار موقفهم للمحاسبة
ذكره الزجاج وعن ابن كيسان الاستثناء يعود الى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب فالمعنى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا مقدار موقفهم للحساب قال ابن قتيبة فالمعنى خالدين في النار وخالدين في
الجنة دوام السماء والارض الا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك فكانه جعل دوام السماء والارض بمعنى
الابد على ما كانت العرب تستعمل وان كانتا قد تتغيران واستثنى المسئلة من دوامها لان اهل الجنة والنار قد
كانوا في وقت من اوقات دوام السماء والارض في الدنيا لا في الجنة ولا في النار ومنها الا ما شاء ربك من الزيادة
على قدر مدة دوام السماء والارض ومنها ما اختاره صاحب الكشاف وهو انه استثناء من الخلود في عذاب
النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوه لهم واهانته
اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا وهو رضوان الله كما قال وعد الله المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله
عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب
كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول
المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على
تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وقد
بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله
من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن
العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول اما كان لابن
عمرو في سيفيه بما على بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث انتهى كلام صاحب الكشاف
قيل كلا بل كلا الاستثناءين في عمل صحيح من تاويلك اما الاول فلان اسم النار غلبت لدار العقاب لقوله تعالى فقنا

عذاب

عذاب النار انك من تدخل النار فقد اخزيته ولو لم يكن اسم الزمهرير لكان طلب الوقاية عنها مطلقا لا
يغني عن المذكورات ولان من اطلاق اسم النار في عرف الشرع لا يتبادر الا دار العقاب كما ان من اسم الجنة لا
يفهم الا دار الثواب قال صاحب الكشاف في اول تفسير سورة البقرة الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة
على جنان كثيرة وهي على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام واما الثاني فلان الذوق السليم والطبع المستقيم
يابى ان يقال ان الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الا ان ينقلوا الى رضوان الله ورضوان الله ايضا
كائن في الجنة عن البخاري ومسلم والترمذي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون اي شيء اعظم
من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا هذا ثم قوله الاستثناء الثاني على تكذيبهم يعني كما لا يوجب
خروج اهل الجنة من الجنة لذلك الاول يرده تذييل كل من الاثنين بما يخالف الاخرى فان اختلافهما يدل على اختلاف
الحكمين فان قوله تعالى فعال لما يريد رد لما عسى ان يقول المعتزلي في افعال الله بالحسن والقبح وان الثواب والعقاب
واجبان رد البليغا حيث جيء مصدرا بان على وجه يقوي الحكم وبنا فعال للمبالغة وبعضد هذا التفسير ما رواه
البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للجنة انت رحمتي
ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة ملاها ثم قال
عطاء غير مجذوذ ويدل على ان هذا الاستثناء ليس على طريقة الاولى لانه اسم مصدر موكد مضمون الجملة فلو جعل
الاستثناء من الخلود في نعيم الجنة لخرج عن ان يكون موكدا فوجب ان يجعل الاستثناء من اسلوب قوله لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى يعني ان انقضاء مدة بقائهم فيها محال فيخلدون فيها ابدا الا ما شاء ربك معناه هو لا يشاء
ان يخرجهم منها كما يقول انا افعل كذا وكذا الا ان اشاء غير ذلك ثم يقيم على ذلك الفعل وانت قادر على غير ذلك
والفائدة فيه انه تعالى لو شاء ان يخرجهم لقدر ولكنه قد اعلمنا انهم خالدون ابدا هذا مذهب من مذاهب
اهل اللغة وصرح صاحب الكشاف في الكهف في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ان
الاستثناء بمعنى التابيد واما قوله قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة
فليس من تلقاء انفسهم لانهم رفعوا حديث الخروج الى الصادق المصدوق صلوات الله عليه روى البخاري
ومسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثعارير
بالثاء المثلثة والعين المعجمة صغار القثاء وروى البخاري والترمذي عن عمران بن الحصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين والاحاديث في هذا
الباب بلغت مبلغ التواتر كثيرة وصحيحة لكن الحديث الذي رواه عن عمرو بن عبد الله بن العاص ونسبه الى
اهل السنة فهم بريئون منه فقد صرح بوضعه ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ورواه عن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على جهنم يوم ما فيها من بني ادم احد يصفق ابوابها كانها ابواب الموحدين
واما تفسير الاستثناء بالنقل من النار الى الزمهرير فما جاء فيه نقل يعتمد عليه واما قوله اما كان لابن عمرو
في سيفيه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ففيه والعياذ بالله طعن فيمن هو من اكابر الصحابة ومن العلماء
المشاهير منهم ومن العابدين فيهم من وجهين احدهما انه عمد الى وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومع ذلك اجتهد في تسييره وثانيهما انه قاتل عليا رضي الله عنه بسيفه لسانه وحسامه هذا والله بهتان
عظيم لا يقدم عليه متدين قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه كان فاضلا حافظا عالما وكان يسرد الصوم
ولا ينام الليل وحديث مراجعته مع النبي عليه السلام في صيام وختم القران مشهور وقال انه اعتذر من شهوده
صفين واقسم انه لم يرم فيها برمح ولا سهم وانما شهدها لعزمة ابيه عليه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
قال له اطع اباك وكان يقول ما لي ولصفين ما لي ولقتال المسلمين والله لوددت اني مت قبل هذا بعشر سنين

وقال اما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم واما الذين سعدوا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم سعدوا بفتح السين وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضمها وهما بمعنى واحد عطاء غير مجذوذ غير مقطوع عنهم وعطاء نصب على المصدر اي اعطوا عطاء وقيل حال عن الجنة لقوله نصيبهم غير منقوص **قوله تعالى** فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية اي فلا تشك بعد ما انزل اليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لمثل ما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اباهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل باباهم فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدريه وموصوله اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منه وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباهم انصباهم غير منقوص حال عن النصيب الموفى فانه يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل تقال وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير لما بين في الاية الاولى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوته عليه السلام وتكذيبهم بكتابه وبين تعالى ان هولا الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الانبيا عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو انه لما انزل التورية على موسى اختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران فامن به قوم وكفر به قوم ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب عن امة محمد عليه السلام الى يوم القيامة لقضي بين قوم موسى او قومك اي لاهلكوا وفرغ من عذابهم وهذه من جملة التسلية ايضا للرسول صلى الله عليه وسلم وانهم لفي شك مريب اي ريب يوقع الريبة والتهمة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كلهم وان جميع المختلفين فيه المومنين والكافرين قرا ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بتشديد النون وتشديد الميم من لما فمن خفف ان اعمل المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل ومن خفف الميم من لما فاللام لما عندك موطئة للقسم وما مزيدة وقوله ليوفينهم جواب قسم محذوف والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم وقيل فمن خفف الميم من لما فلكراهة اجتماع اللامين زيد بينهما ما وهي صلة واللام في لما لام الابتدا وهو الذي يدخل في خبر ان والثانيه اي اللام في ليوفينهم لام القسم وقيل ما بمعنى الذي اي الذي ليوفينهم وقيل بمعنى من اي لمن ليوفينهم ومن شدد الميم في لما فهو مشكل قال الكسائي لا اعرف للتشديد وجها قال ابو علي لم يبعد فيما قال وقال بعضهم معناه الا كما تقول نشدتك الله لما فعلت لذا اي ما اسالك بالله الا كذا وهذا بعيد لان الناصبه لا يقع بعدها لما ولا الا انما يقعان اذا تقدمهما نفي وطلب قال المازني اصله لما بالتخفيف فشدد وهذا بعيد وقال الفرا اصله لمن ما فادغم النون فصار لمما ثم حذف النون وادغم الميم المفتوحه ولا يخفى بعد هذا وقيل انما هو لما فعلى من لممت اولما واصله لما فاجري الوصل مجرى الوقف وقد قري لما شاذا كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملومين لمعنى مجموعين كانهم سوا في انه تعالى يوفيهم جزا اعمالهم في الاخرة فجمعت الاية الوعد والوعيد فان توفية جزا الطاعات وعد عظيم وتوفية جزا المعاصي وعيد عظيم انه بما يعملون خبير تاكيد للوعد والوعيد **قوله تعالى** فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اوليا ثم لا تنصرون انه تعالى لما بالغ في شرح الوعد والوعيد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت قال الامام هذه الكلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقايد والاعمال

سوا

سوا كان مختصا او كان متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرايع ولا شك ان البقا على الاستقامة الحقيقيه مشكل جدا فاولها معرفة الله وتحصيل هذه المعرفه على وجه يبقى العقل مصونا في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبه واعتبر سائر مقامات المعرفه على وجه يبقى العقل مصونا في طرفي من نفسك وايضا فالقوة الغضبيه والقوة الشهوانيه حصل لكل واحد منهما طرفا افراط وتفريط وهما مذمومان والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل الى احد الجانبين والوقوف عليه صعب ثم العمل به اصعب ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبه لا جرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران انه اشد ولا اشق من هذه الايه ولهذا قال شيبتني سورة هود وقال لاصحابه حين قالوا لقد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت اي استقم استقامة من الاستقامه التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها وقيل فاستقم كما امرت اي كما امرك ربك وبلغ الرساله وادع الناس الى الايمان بالله قالت عايشة في جماعه استقم على القران عن التشدد الخطاب للرسول والمراد به الامه ومن تاب معك معطوف على المستتر في فاستقم وانما جاز العطف ولم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تتجاوزوا امر الله ولا تخرجوا عن حدوده انه بما تعملون بصير فيجازيكم ولا تركنوا ولا تميلوا الى الذين ظلموا النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم والركون هو الميل اليسير اي الى الذين ظلموا الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي عن بعض الصالحين انه صلى خلف الامام فقرا بهذه الايه فغشي عليه فلما افاق قيل له هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم فتمسكم النار اي ان ركنتم اليه فتمسكم النار اي هذه عاقبته وما لكم من دون الله من اوليا حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال اي ليس لكم اوليا يخلصونكم من عذاب الله لا يقدر على منعكم من عذاب الله غيره ثم لا تنصرون لا تجدون من ينصركم من تلك الواقعه وثم معناه الاستبعاد اي النصر من عذاب الله مستبعد **قوله تعالى** واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لما امره بالاستقامه اردفه بالامر بالصلوة وذلك يدل على اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلوة عن ابن مسعود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني اخذت امراة في البستان فقبلتها وضممتها الي وباشرتها وفعلت بها كل شي غير اني لم اجامعها فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الايه فدعا الرجل فقراها عليه فقال له عمر اهي له خاصه ام للناس كافه قال بل للناس كافه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى رسول الله فذكر له فنزلت هذه الايه فقال الرجل الي هذه الايه فقال لمن عمل بها من امتي وقال معاذ بن جبل كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل اصاب من امراة لا تحل له فلم يدع شيا يصيبه الرجل من امراته الا اصابه منها غير انه لم يجامعها فقال له النبي عليه السلام توضا وضوا حسنا ثم قم فصل قال فانزل هذه الايه فقال معاذ اهي له خاصه ام للمسلمين عامه فقال هي للمسلمين عامه لا خلاف في ان المراد بالصلوة المفروضه وكثرت الاقوال في المراد بطرفي النهار وزلفا من الليل قيل طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبه من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغداة الفجر وصلوة العشيه

الظهر والعصر لانهما بعد الزوال والعشي وصلوة الزلف المغرب والعشا قاله مجاهد ومحمد بن كعب القرظي
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المغرب والعشا هما زلفا الليل وقيل الطرف الاول الظهر حكاه
ابن جرير والطرف الاول الصبح والثاني العصر قاله الحسن وقتاده والضحاك والزلف المغرب والعشا
وليست الظهر في هذه الاية على هذا القول بل هي في غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس
والحسن ايضا والزلف المغرب والعشا وليست الظهر والعصر في هذه الاية وقيل الطرفان الظهر والعصر
والزلف المغرب والعشا والصبح كان هذا القايل راعي جهر القراه والاول اظهر هذه الاقوال ورجح ان الطرفين
الصبح والمغرب وانه ظاهر الا ان عموم الصلوات الخمس بالاية اولى وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما
مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على
اعطا المضاف حكم المضاف اليه ونحو واطراف النهار ان الحسنات اي الطاعات يذهبن السيات اي الصغاير
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكباير واكثر المفسرين على ان الصلوات يذهبن
الخطيات وفيه حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه توضا وقال من توضا وضوي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلوة الصبح ثم صلى العصر غفر له
ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلوة العصر ثم صلى العشا غفر له ما بينها وبين صلوة
المغرب ثم لعله ان يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام وتوضا وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين العشا وهن الحسنات
يذهبن السيات والسيات هي الصغاير من الذنوب قال المفسرون عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله اوصني
قال اتق الله حيث ما كنت قال قلت زدني قال اتبع السية الحسنة تمحها قلت زدني قال خالق الناس بخلق حسن
وقيل الحسنات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل هذا كله انما هو على جهة
المثال في الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي اعظم العبادات والظاهر ان لفظ الاية عام في الحسنات
بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكباير ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران
وقيل الى اقام الصلوة وقيل الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيات ذكرى قيل التوبة وقيل موعظة
للذاكرين قيل للذين شانهم ان يتنبهوا اذا نبهوا وقيل للمريدين التوبة وقيل للمتعظين واصبر ثم كرر الامر
بالصبر والتذكرة بعد ما جا بما هو خاتمة للتذكر وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان
الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت
به والانتها عما نهيت عنه فلا يتم شي منه الا به وقيل واصبر على ما تلقى من الاذى وقيل على الصلوة
نظيره قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين الذين يعبدون الله
كانهم يرونه فان لم يكونوا يرونه فانه يراهم وقيل هم المصلون وقيل هم المخلصون وقيل المحسنون في
اعمالهم قيل جا بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتها عن الطغيان والركون الى
الظالمين والصبر وغير ذلك من المحسنات على وجه الاخلاص **قوله تعالى** فلولا كان من القرون
من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه وكانوا مجرمين لما بين ان الامم السالفة نزل بهم عذاب الاستيصال بين ان السبب فيه امران الاول
انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال فلولا فهلا للتحضيض لكن تقترن بها هنا معنى
التفجع والتاسف الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم الذين لم يهتدوا كان من القرون التي
اهلكناهم من قبلكم اولوا بقية فضل وخير وعقل ودين وسمي هذه الامور بقية لان الرجل يستبقي ما
يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل وقيل لان الشرايع والدول ونحوها قوتها
في اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول وقيل اولوا بقية اصحاب

جع

جماعة تبقى من يسلم وقيل من سعى على نفسه وقومه من عذاب الله ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى
اي فهلا كان منهم ذوو ابقا على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ينهون عن الفساد في الارض اي
لو كان منهم من هذه صفته لما نزل بهم العذاب الا قليلا استثنا منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من
القرون نهوا عن الفساد وسايرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان
النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السو واخذنا الذين ظلموا
قال صاحب الكشاف فان قلت هل لوقوع هذا الاستثنا متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على
ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تخصيصا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل
من الناجين منهم كما يقول هلا قرا قومك القران الا الصلحا منهم تريد استثنا الصلحا من المحضضين على قراة
القران وان قلت في تخصيصهم على النهي عن الفساد معنى بقية عنهم وكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا
قليلا كان استثنا متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الافصح ان يرفع على البدل
واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن الفساد في الارض لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب
الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما ورا ذلك ونبذوه ورا ظهورهم عن ابن عباس
ما اترفوا انعموا فيه وقيل انظروا فيه والمعنى اثروا الدنيا والتنعم فيها على الاخرة ويجوز ان يكون المعنى في القراة
المشهورة انهم اتبعوا جزا اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجا كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك
الساير وان كان معنى قوله واتبع الذين ظلموا واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا
ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا عنه وان كان معناه واتبعوا
جزا الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاهم وكانوا مجرمين عطف على
اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام وقيل اريد بالاجرام اغفالهم
للشكر وقيل وكانوا مجرمين عطف على قوله اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين وقيل هو اعتراض وحكم عليهم
بانهم قوم مجرمون **قوله تعالى** وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شا ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين انه تعالى ما اهلك اهل القرى بظلم قيل الظلم ههنا الشرك والمعنى انه تعالى لا يهلك القرى
بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم على الصلاح والسداد وقال صاحب
الكشاف كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة
ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين
من الظلم والاول تاويل اهل السنة والثاني تاويل المعتزلة وقيل بظلم منهم اي بعضهم والاكثر على
الصلاح ولو شا ربك لجعل الناس كلهم امة واحدة على ملة واحدة عن ابن عباس على دينك الذي بعثت به
اي مسلمين ولكن لم يشا ذلك ولا يزالون مختلفين على اديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ونحو
ذلك لان مشيته تعلقت بهداية البعض وضلالة البعض الا من رحم ربك فهداهم الى الايمان وهم المومنون
واهل الحق ولذلك خلقهم ولاجل ما هم عليه خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف
وقيل انه يرجع الى الشقا والسعادة لان اختلافهم مودبهم الى سعادة وشقاوة قاله ابن عباس واختاره
الزجاج وعن ابن جريج واللام في قوله ولذلك بمعنى على وقيل اشارة الى الاختلاف روي عن الحسن
وقيل يرجع الى الرحمة وقيل للاختلاف والرحمة خلقهم عن الحسن خلق هولا للجنة وهولا للنار وهولا
لرحمته وهولا لعذابه وتمت كلمة ربك وعيده وقيل هي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل يمينه

وهي لاملان جهنم من الجنة الجن والناس اي منهما لا من احدهما وليس ذلك للاحاطه وقيل من عصاة الجن والناس
اجمعين فيكون للاحاطه **قوله تعالى** وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وجاك في هذه
الحق وموعظه وذكرى للمومنين التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انبا الرسل
بيان لكل ما نثبت به فوادك بدل من كلا وقيل المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك اي على الاساليب المختلفه وما نثبت به مفعول نقص ومعنى نثبت فواده زياده يقينه
وما فيه طمانينه قلبه لان تكاثر الادله اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاك في هذه الحق اي في هذه السوره او في
هذه الانبا المقتصه فيها ما هو حق وموعظة وذكرى للمومنين **قوله تعالى** وقل للذين لا يومنون اعملوا
على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون لما بلغ الغايه في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك
بان قال للرسول وقل للذين لا يومنون ولم يوثر فيهم هذه البيانات البالغه اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم
التي انتم عليها انا عاملون ما نحن عليه وانتظروا بنا الدواير وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان وقيل انتظروا ما
يحل بنا من رحمة الله انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازله باشباهكم وقيل انا منتظرون
ما يعد ربنا ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفه عاليه جامعه لكل المطالب الشريفه المقدسه فقال ولله غيب السموات
والارض اي علم ما غاب عن العباد فيهما لا يخفى عليه خافيه مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع
الامر كله قرا نافع وحفص عن عاصم يرجع بضم اليا والباقون وابو بكر عن عاصم بفتح اليا والمعنى ان كل الامور ترجع
اليه في المعاد فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه وحده وثق به فانه كافيك
وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون قرا نافع وبن عامر وحفص عن عاصم تعملون بالتا والباقون باليا فمن قرا باليا
فالمعنى وما ربك بغافل عما يعمل المشركون من اهل مكه ومن قرا بالتا فالخطاب للنبي ولجميع الخلق مومنهم وكافرهم
وهذا وعد ووعيد والمعنى يجزي المحسن باحسانه والمسي باساته **سورة يوسف عليه السلام مكيه**
وهي مايه واحدى عشرة ايه والف وسبع مايه وست وسبعون كلمه وسبعة الف ومايه وست وسبعون
حرفا وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف والثانيه والخمسون في النزول عن ابي بن كعب علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه
من القوة ان لا يحسد مسلما ونقل انه لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح قيل سبب نزول
هذه السوره ما روي عن سعد بن ابي وقاص انه انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم
زمانا فكانهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى قوله الله نزل احسن الحديث الايه فقالوا يا رسول
الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص الايه وروي ان اليهود سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السوره وروي ان اليهود امروا كفار مكه ان يسالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن السبب الذي احل بني اسرايل بمصر فنزلت السوره وقيل سبب نزولها تسليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القران
شي كما تكررت قصص الانبيا ففيها حجه على من اعترض بان الفصاحه تمكنت بترادف القول وفي تلك القصص
حجه على من قال لو كررت لفترت فصاحتها **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
المبين تلك اشارة الى ايات السوره والكتاب السوره وقيل القران اي تلك الايات التي انزلت
اليك في هذه السوره ايات السوره او القران المبين من ابان وهو لازم ومتعد يقال ابان الشي فهو
مبين اي اتضح وظهر فهو واضح ظاهر فالمبين الواضح الظاهر وابنت الشي اي اوضحته واظهرته فالمبين
الموضح والمظهر قيل المبين الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي بين لمن تدبرها انها من

من عند الله لا من عند البشر وقيل المبين حلاله وحرامه وقيل المبين رشده وهداه وقيل الواضح
الذي لا يشتبه على العرب لنزولها بلسانهم وقيل المبين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف وقيل موعظه
ونون وقيل المبين للحروف التي سقطت من السن الاعاجم وهي سته الصاد والضاد والطا والظا والعين
والحا وكذلك الثا والقاف واما الذال المعجمه فلا تقع انصافي اوايل الكلم المعجميه واذا وقع في الحشو
والاخر فمنهم من جعله دالا ومنهم من جعله ذالا والمعنى بين بهذه الحروف ان هذا القران عربي وبلسانكم
يا معشر العرب والاولى ان يحمل على جميع هذه المعاني لاطلاقه **قوله تعالى** انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم
تعقلون اي انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران
قرانا باعتبار ان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون طلبا منكم ان تفهموا معانيه وقيل
ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه وقيل لتكونوا على رجا من تدبره فمعنى الطلب والاراده يعود الى الله تعالى
ومعنى الرجا يعود اليهم والطلب موافق لمذهبنا والاراده موافق لمذهب المعتزله اللهم الا ان يقال ارادة فهم
هذه القصه والاحاطه بمعانيها تخييل ليس بمخالف لمذهبنا **قوله تعالى** نحن نقص عليك احسن القصص بما
اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين القصص مصدر قولهم قص عليه الخبر قصصا اي نحن
نقص عليك احسن الاقتصاص بايحاينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين القصص مصدر قولهم
قص عليه الخبر قصصا اي نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بايحاينا اليك هذه السوره فان اقتصاصه على ابدع
طريقه واعجب اسلوب وكيف لا وهذا الحديث مقتص في كتب الاولين وكتب التواريخ ولم يوجد اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران ويجوز ان يراد بالقصص المقصوص اي نحن نقص عليك احسن
ما هو مقصوص من الاحاديث وكيف لا وهو متضمن للعبر والنكت والحكم التي خلت عنها غيره من الكتب فان فيها
ذكر حسن محاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضايه عند التقايهم عن ذكر ما تعاطوه وكرمه في
العفو عنهم حتى لا تثريب عليكم اليوم وفيها ذكر الانبيا والصالحين والملايكه والشياطين والانس والجان والانعام
والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلما والجهال والرجال والنسا ومكرهن وحيلهن وفيها
ذكر التوحيد والنبوه والاعجاز وتعبير الرويا والسياسه والمعاشره وتدبير المعاش وجميع الفوايد التي تصلح
للدين والدنيا وفيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما واعلم ان كل قصه مذكوره في القران تداخل شي من غيرها
فيه وهذه القصه من اولها الى اخرها من غير تداخل فيه وانقطاع وهذه القصه عقباها الى خير وسلامه
واجتماع شمل مع عفو الله تعالى وتجاوز عن جميعهم من غير عذاب ووعيد عن سعيد بن جبير انه قال
اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الى سلمان فقالوا لو حدثتنا عن التوريه فان ما فيها
حسن فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص
بما اوحينا اليك هذا القران اي بايحاينا اليك هذه السوره على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر
لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان
ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بهذا القران بايحاينا اليك وان
اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما نقص من الاحاديث والظاهر انه احسن ما يقتص
في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه واستقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان
الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيا فشيا كما يقال تلا القران اذا قراه ولانه يتلو اي يتبع ما حفظ
منه ايه بعد ايه وان مخففه من الثقيله واللام هي التي تفرق بينها وبين النافيه والضمير في من قبله
راجع الى القران وقيل الى القصص وقيل الى قوله ما اوحينا والمعنى ان الشان والحديث كنت من قبل
ايحاينا اليك من الغافلين عن قصة يوسف ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منها اذ قال يوسف

لابيه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رءياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل
الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص فاذا اقص وقته فقد قص وباضمار اذكر يوسف اسم عبرانى فيكون
غير منصرف للعجمه والتعريف وقيل عربى قيل الاسف لغة الحزن والاسيف العبد فاجتمعا فى يوسف فلذلك سمى وهذا
ليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف يا ابت قرا ابن عامر بفتح التا فى جميع القران
ووقف بالها ووافقه ابن كثير فى الوقف بالها والباقون بكسر التا وهذه التا تا تانيث وقعت عوضا من يا الاضافه
والدليل على انها تا تانيث قلبها ها فى الوقف وانما جاز الحاق تا التانيث بالمذكر كما جاز نحو قولك حمامه ذكر
وشاة ذكر ورجل ربعه وغلام يفعه ولما كانت تا التانيث والاضافه سيان فى ان كل واحد منهما زياده مضمومه
الى الاسم فى اخره ساغ تعويض تا التانيث من يا الاضافه ومن فتح التا اراد يا ابتا فحذف الالف كما حذف التا
فبقيت الفتحه داله على الالف ومن كسر التا فالكسره عنده هى التى كانت قبل اليا فى قولك يا ابى فقد زحلقت الى التا
لاقتضا تا التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا وامتنع اسقاط الكسره بالفتحه التى اقتضتها التا وابقا التا ساكنه
لان التا اسم والاسما حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين اليا واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف
لين واما التا فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قيل يشبه الجمع بين التا وبين هذه الكسره الجمع بين
العوض والمعوض لان التا فى حكم اليا اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتى فلا يجوز يا ابت اجيب بان اليا
والكسره قبلها سيان والتا عوض من اليا وحدها والكسره غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه
الا اذا جمع بين التا واليا لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من اليا كيف جاز الجمع
بين الالف وبين التا ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسره ابعد من ذلك فان قيل فقد
دلت الكسره فى يا غلام على الاضافه لانها قرينة اليا ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك فى يا ابت فالتا
المعوضه لغو ووجودها كعدمها اجيب بان حال الكسره مع التا كحالها مع اليا اذا قلت يا ابى رايت احد
عشر كوكبا اصله احد وعشر فركبا وبنيا على الفتح لتضمن الحرف كوكبا نصب على التمييز وهو النجم رايت
من الرؤيا لا من الرؤيه لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدا ليوسف فى
حال اليقظه لكانت ايه عظيمه ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس روى ان يهوديا جا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرنى عن الكواكب التى راها يوسف ساجده له ما اسماوها
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشى فنزل جبريل واخبره باسمايها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تومن ان اخبرتك باسمايها قال نعم قال صلى الله عليه وسلم جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها
يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماوها
وعن ابن عباس الشمس والقمر ابواه والكواكب اخوته وعن السدى الشمس ابوه والقمر خالته لان ام يوسف
راحيل كانت قد ماتت قيل انه بلغ يوسف سنتين ماتت امه راحيل وحضنته عمته اخت يعقوب وعن وهب
بن منبه كان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشر عصا طوالا كانت مركوزه فى الارض كهيئه
الدايره واذا عصى صغيره تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى وهو ابن ثنتى عشر سنه ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فقصها على ابيه فقال يا بنى
لا تقصص رءياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيبغوا لك الغوايل ويحتالوا فى هلاكك لانهم يعلمون تاويلها
فيحسدونك وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنه وقيل ثمانون واخر الشمس
والقمر لعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزيه على غيرهما من

الطوالع

الطوالع كما اخر جبريل وميكايل عن الملايكه ثم عطفهما عليهم لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رايت
الكواكب مع الشمس والقمر رايتهم كلام مستانف وقع جوابا لسوال مقدر كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله
انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رايتها سايلا عن حال رؤيتها فقال يوسف رايتهم لى ساجدين
وانما اجرت مجرى العقلا فى رايتهم لى ساجدين لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلا وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها
عاقله وهذا كثير شايع فى كلامهم ان يلابس الشى الشى من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسه
والمقاربه قيل كرر الرؤيه لان الاولى متعلقه بالذات والاخرى بالحال وقيل لما طال الكلام اعادها وقيل ان يوسف
راى فى المنام اخوته وابويه ساجدين له فكنى عن ذكرهم عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان الله يبلغه
مبلغا من الحكمه ويصطفيه للنبوه وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباءه فخاف عليه حسد الاخوه وبغيهم والرؤيا
بمعنى الرؤيه الا انها مختصه بما كان منها فى المنام دون اليقظه فرق بينهما بحرفى التانيث كما قيل القربه والقربى
فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك وضمن فعل الكيد معنى فعل يتعدى باللام ليفيد
معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى
تاكيده بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوه مظهرها لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله واعلم ان الرؤيا
حاله شريفه ومنزله رفيعه قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدى من المبشرات الا الرؤيا الصادقه
يراها الرجل الصالح او ترى له وقال عليه السلام اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وقال صلى الله عليه وسلم
الرؤيا الصادقه جز من سته واربعين جزا من النبوه هذا حديث صحيح اخرجه مسلم فى صحيحه قيل معنى
قوله جز من سته واربعين جزا من النبوه ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على راس اربعين سنه
والصحيح فى سنه ثلاث وستون سنه فاوحى الله اليه ثلاثا وعشرين سنه منها سته اشهر الرؤيا الصادقه
فاذا انسبنا سته اشهر من ثلاث وعشرين سنه يكون جزا من سته واربعين جزا وفى هذه الايه دليل على ان الرؤيا
لا تقص الا على شفيق ناصح **قوله تعالى** وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته
عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم قال يعقوب ليوسف
الاجتبا اختيار معالى الامور للمجتبى من جبيت الشى اذا خلصته لنفسك ومنه جبيت الما فى الحوض
اى ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعنى وكما اجتباك ربك لمثل هذه الرؤيا العظيمه الداله على شرف
وعز وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظيمه للنبوه واعلا الدرجه وتعظيم المرتبه وقيل منها ان يجعل
رؤياك عيانا بعشره قال الله وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها
ربى حقا ويعلمك كلام مبتدا غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل وهو ما يؤول اليه
المعنى واكثر استعماله فيما يؤول اليه المعنى فى الرؤيا والاحاديث الرؤى جمع الرؤيا التى يراها النايم
فى المنام كالمشاهد سمى الرؤى احاديث لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها
تعبيرها وتفسيرها سمى تاويلا لانه يؤول امره الى ما راى فى منامه وكان يوسف عليه السلام اعبر
الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها وكان نبينا صلى الله عليه وسلم اعبر الرسل للرؤيا وكان ابو بكر الصديق
رضى الله عنه اعبر الصحابه للرؤيا واصحهم عبارة لها وكان ابن سيرين من التابعين وسعيد بن المسيب
قريبا منه وقيل يراد بتاويل الاحاديث معانى كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من
اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وكيفيه الاستدلال باصناف
المخلوقات الروحانيه والجسمانيه على قدرة الله وحكمته وجلالته وسميا احاديث لانه يحدث بها عن الله
ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباى حديث بعده يومنون

الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثه ويتم نعمته عليك بالنبوة وبعصمتك من
ارتكاب ما لا يليق بالانبيا وبان يجعل اخوتك محتاجين اليك وبانجايك من كل مكروه ويتم نعمته على آل يعقوب
بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعل فيهم انبيا وجعلهم ملوكا في الدنيا ورفع لهم الدرجات في الاخرى
ولا يستعمل الآل الا فيما له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحايك وآل الحجام ولكن اهلهما
وآل يعقوب نسله واهله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل كما اتمها على ابويك من قبل
ابرهيم واسحق ابرهيم بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد قال الله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا
وقال تعالى فانجاه الله من النار وقال تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين
ان هذا لهو البلا المبين وفديناه بذبح عظيم واتمام النعمه على اسحق باخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل بانجايه من الذبح واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصاله ومن ثم يقولون ابن
فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك وقيل علم يعقوب بالوحي من عند
الله وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان
يعقوب موثرا له بزيادة المحبه والشفقه لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا
ضاعف له المحبه فكان يضمه كل ساعه الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب
قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل ان ربك عليم حيث يجعل رسالاته على مقتضى مشيته حكيم في تدبير خلقه

قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين اي في قصته واخوته روبيل وهو اكبرهم
وشمعون ولاوي ويهوذا وهو اكبرهم وعقلا وزبالون ويشجر هولا السته من ام واحده هي ليا بنت ليان
وليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر هولا الاربعه من سريتين ليعقوب اسم احدهما زلفه
والاخرى بلهه فلما توفيت ليا تزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان بنو يعقوب
اثني عشر قيل ان يعقوب عليه السلام واخاه العيص كانا توامين ولدتهما امهما معا وكان ابوهما اسحق
عليه السلام وذكر ان العيص تكلم في بطن امه وسمعته امه فاخبرت اباه اسحق عليه السلام فتعجب فقالت اني
اسمعه كل يوم يتحدث قال لها اذا سمعت ذلك فاعلميني وجعل يرتقب ذلك فدعته يوما اليها فالقى اذنه عند سرتها
فسمع العيص وهو يقول ليعقوب اريد ان اصدمك براسي فاقتلك واقتل امك فقال اسحق الا يا ولدي ادع
حرمة امك وابيك ولا تقصدا اذية اخيك ولما كان عند الوضع كان العيص يسابق الى الخروج وتاخر يعقوب
فخرج العيص ويعقوب في عقبه فسمي يعقوب وكانت الام تحب يعقوب اكثر وسمي العيص عيصا لاجل عصيانه على
اخيه حال المزاحمه في الخروج وكان اسحق عليه السلام يحب العيص اكثر من يعقوب فلما كبر اسحق
وطعن في السن قال لولده العيص يا بني اعلم انه قد دنا موتي وان القربان فيما سنه اثني كبش سمين حتى
اقربه ويكون بين يديك مع يدي ادعو لك في عقب القربان دعوة تنتفع بها ان شا الله فمضى لياتيه بذلك وقد
سمعت ام يعقوب ما جرى بينهما فاخبرت يعقوب وقالت له يا بني عجل بكبش واخفض صوتك والبس فروه
مقلوبه على جسمك فان اخاك العيص في بدنه شعر كثير كشعر المعز فاذا وقعت يد ابيك على بدنك فلا ينكر ذلك ثم
اسرع يعقوب واتى بكبش الى ابيه فقال له اسحق جيت به يا عيص فاخفى يعقوب صوته وقال نعم فطرح
اسحق يده على يده وقال له يا بني بارك الله فيك وجعل في نسلك النبوه والملك ففاز بها يعقوب ومضى مسرورا
واتى العيص ومعه كبش فقال له اسحق اما انت الساعه عندي وذبحت الذبيحه ويدك على يدي ودعوت
لك بما يفيد ان شا الله وجدي وتحمد عاقبته من بعدي قال له العيص اني ما اتيتك الساعه لقد احتال
يعقوب عليك فقال اسحق يا بني قضي الامر وسوف ادعو لك بكثرة المال والولد فجميع الروم من نسله وهم

الاموال

الاموال ولم يكن من نسله نبي الا ايوب عجب عجيب كان اسحق يريد العيص وكان الخلاق يريد يعقوب
فكان ما اراد الخلاق ووقع الحسد في قلب العيص وعزم على قتل يعقوب وخشي اسحق عليهما من قصة
هابيل وقابيل ولما مات اسحق هرب يعقوب الى خالة له وترك اخاه وكان لخالته بنتان راحيل وليا فخطب
يعقوب راحيل فقالت له ارع غنمي عشر سنين حتى ازوجك راحيل فرعى عشر سنين فبعثت اليه ابنتها الكبيرة
ليا فقال يعقوب ما اشرطت عليك الا الصغيرة فقالت ما ازوج الصغرى وادع الكبرى تزوج بهذه وارع
غنمي عشر سنين اخر حتى ازوجك بالاخرى فرعى عشر سنين اخر فزوجته براحيل فصار له اثنا عشر ولدا فرجع
الى كنعان وقال لاولاده اني اخاف من العيص فاسبقوني اليه فهو لا يعرفكم فاذا قال من انتم فقولوا نحن
اولاد خادمك يعقوب فلما وصلوا اليه واخبروه بذلك طاب قلبه ليعقوب وذهب جميع ما كان في
قلبه من الحسد وصار موضعه رحمه وحنه على يعقوب واولاده ووصل يعقوب اليه ولم يجد العيص
بعد ذلك صبرا على فراقهم وصار العيص مشتملا عليهم قوله ايات للسايلين اي في قصة يوسف واخوته
لايات للسايلين اي في قصة يوسف واخوته علامات ودلايل على قدرته تعالى للذين سالوا عن قصتهم فان
كل حال من احوالهم ايه وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة
من غير سماع من احد ولا قراة كتاب ولا نظر فيه قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجمله ارادوا ان
زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما
كانت واحده وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث
اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران ونحن عصبه الواو في
ونحن عصبه واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبه علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعه
ونحن جماعه عشرة رجال كفاة قوم برافقه فنحن احق بزيادة المحبه منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعه
عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبه والعصابه العشره
فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعه تعصب بهم الامور ويستكفون النوايب قوله تعالى
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اي قال
اخوة يوسف اقتلوا يوسف كانهم اطبقوا على احد الامرين قتله او طرحه ارضا منكورة مجهولة
بعيده من العمران يخل لكم يخلص لكم ويصف لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقباله واحد ولا يلتفت عنكم الى
غيركم والمراد به سلامة محبته لكم من غير مشاركة غيركم فيه ومنازعته اياها وتكونوا من بعد طرحه
او قتله ايضا قوما تايبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه وقيل يصلح حالكم عند ابيكم بعده وتهتدوا نه
او يصلح دنياكم وينتظم اموركم لخلو وجه ابيكم قيل وفي قصتهم نكتة عجيبه وهو انهم عزموا على التوبه
قبل الذنب ولذلك المومن لا ينسى التوبه وان كان مرتكبا للخطايا وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم
واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قوله تعالى قال قايل منهم لا تقتلوا
يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل انه روبيل وهو ابن خالة يوسف
وهو اكبرهم سنا وقيل شمعون وقيل يهوذا وكان احسنهم فيه وهو الذي قال فلن ابرح الارض اي قال
لا تقتلوا يوسف فان قتله عظيم والقوه في غيابة الجب في قعر البير وغيابة الجب غوره وقعره وما غاب
منه عن عين الناظر واظلم من اسفله والجب البير الذي لم تطو اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرا
نافع غيابات الجب جعل كل جز منه غيابه والباقون غيابه على الواحد في الحرفين عن مقاتل
هو بارض الاردن وقيل هو بارض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وقيل ببيت المقدس

يلتقطه يأخذه بعض السيارة الذين يسيرون في الطريق من المسافرين يذهب به الى ناحية اخرى فتستريحوا
منه ان كنتم فاعلين اى ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى واختلفوا في اخوة يوسف
حين قالوا هذا او فعلوا قيل انهم كانوا مراهقين غير مكلفين وقيل انهم كانوا بالغين ولم يكونوا انبيا
قوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا
له لحافظون بعد ذلك اجمعوا على راى القايل لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب فاحتالوا في التفريق بينه
وبين يعقوب واحسوا من يعقوب بانه لا يامنهم عليه فان يعقوب احس منهم ما استدعى انه لا يامنهم عليه فقالوا
ما لك لا تامنا اى لم تخافنا على يوسف وانا نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت فينا بابه الا
النصيحة ارادوا بذلك استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم لما عزموا على التفريق بينه وبين ابيه ارسل
يوسف معنا غدا الى الصحرا نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها والرتعة الخصب والسعة وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو نرتع ونلعب بالنون فيهما وسكون العين وعاصم وحمزة والكسائي يرتع ويلعب بالياء فيهما
وسكون العين والبا يعنون يوسف ونافع نرتع بكسر العين من رتع من غير بلوغ الى اليا وقيل نرتع
نلهو وننشط وقيل نلعب بالرمى وقيل بالشد والعدو وروى هرون صاحب ابى عمرو انه قال
قلت لابى عمرو كيف يقرا نلعب بالنون وهم انبيا قال لم يكونوا يومئذ انبيا وقيل كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليقروا انفسهم بما يحتاجوا اليه لقتال العدو لا لللهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته
ومن قرا بالياء اى يرتع يوسف ساعة ويلعب ساعة وانا له لحافظون مما يسوء **قوله تعالى** قال انى
ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون قال يعقوب لبنيه انى ليحزننى اللام
لام الابتدا كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد سببي المضارعة وهما دخول اللام والسين للحال
والاستقبال اعتذر يعقوب الى بنيه بشيئين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه
ساعة وثانيهما خوفه عليه من ان ياكله الذيب اذا غفلوا عنه برتعهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق
بحفظه وعنايتهم قيل راى يعقوب في منامه ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال
ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلا موكل بالمنطق وقيل راى في منامه كانه على ذروة جبل وكان يوسف
في بطن واد فاذا عشرة من الذياب قد احتوشته يريدون اكله فدرأ عنه واحد ثم انشقت الارض
فتوارى يوسف فيها ثلاثة ايام وكان العشرة اخوته لما تمالوا على قتله والذى دفع عنه اخوه يهوذا
وتواريه في الارض هو مقامه في الجب ثلثة ايام وقيل انما قال ذلك لخوفه منهم عليه وانه اراد هم
بالذيب فخوفه كان من قتلهم اياه فكنى عنهم بالذيب وقيل ان ارضهم كثيرة الذياب قرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بالهمز في المواضع الثلثة والكسائى بغير همز والذيب مهموز في الاصل
يقال تذابت الريح اذا هبت من كل جانب وانتم عنه غافلون في اللعب وقيل مشتغلون برعيكم **قوله
تعالى** قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون قال اخوة يوسف لابيهم والله لئن
اكله الذيب فالقسم محذوف واللام موطية للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزى
عن جزا الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلف اخوة يوسف لابيهم لئن كان ما خافه من اكل
الذيب يوسف من بينهم والحال انهم عصبة عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا
لقوم خاسرون هالكون ضعفا وعجزا معيوبون او مستحقون ان يهلكوا لانه لا يغنى في حياتهم ولا
ولا غنا عندهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار وان يقال خسرهم الله حين اكل الذيب بعضهم
وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فقد اعتذر
يعقوب الى بنيه بعذرين فاجاب بنوه عن احدهما الا وهو غيظهم وحقدهم بسبب ذلك العذر

وقيل نسعى وقيل ناكل وقيل
معنى نرتع نتحارس ويرعى بعضنا
بعضا اى يحفظ ومنه قولهم رعاك
الله اى حفظك ونلعب نلهو

الذيب

الذى لم يجيبوا عنه وسكتوا عنه **قوله تعالى** فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا
اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون روى انه قال اخوة يوسف له اما تشتاق ان تخرج معنا فتلعب
وتتصيد قال بلى قالوا اسأل اباك ان يرسلك معنا قال افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا
ان يوسف قد احب ان يخرج معنا فقال يعقوب ما تقول يا بنى قال نعم يا ابت قد ارى من اخوتى اللين
واللطف فانا احب ان تاذن لى فارسله معهم فلما اصحروا اظهروا له العداوة واغلظوا له القول وجعل
يلجأ الى هذا فيضربه والى هذا فيؤذيه فلما فطن الى ما قد عزموا عليه جعل ينادى يا ابتاه يا يعقوب لو رايت
يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك
وجعل يبكى بكا شديدا عن ابن عباس فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له
يوسف مهلا يا اخى لا تقتلنى قال يا ابن راحيل الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه ليكسرها
فنادى يوسف يا يهوذا اتق الله فى وحل بينى وبين من يريد قتلى فادركته له رحمة فقال يهوذا يا اخوتاه
الا ادلكم على امر هو خير لكم وارفق به قالوا وما ذا قال تلقونه فى هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة
قالوا نفعل فانطلقوا به الى الجب فجعلوا قميصه فقال يا اخوتاه لم نزعتم قميصى ردوه على استر به عورتى
ويكون كفنا لى فى مماتى فاخرج الله له حجرا فى البير مرتفعا من الما فاستقرت عليه قدماه وعن السدى
جعلوا يدلونه فى البير فيتعلق بشفير البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى
اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا فدلوه فى البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادة ان
يموت فكان فى البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فيها فقام عليها فلما القوه فى الجب جعل يبكى فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وعن الحسن
جمعوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فبعث الله اليه ملكا فحل عنه واخرج له حجرا من الما فقعد عليه
وكان يعقوب قد ادرج قميص ابرهيم الذى كساه الله عز وجل يوم القى فى النار فى قصبة وجعلها فى
عنق يوسف فالبسه اياه الملك حينيذ واضا له الجب وعن الحسن القى فى الجب وعذب ماوه فكان
يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب فقال له يوسف
انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت شيا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين
ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شى من امرى فلما قالها حفته الملايكة
فاستانس فى الجب ومكث فيه ثلثة ايام وكان اخوته يرعون حول الجب وعن محمد بن مسلم الطايفى لما القى فى
الجب قال يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى فرجا مما انا فيه فما
بات فيه قيل سنه حين القى فى الجب اثنتا عشرة سنة قاله الحسن وعن الضحاك ست سنين وعن ابن
السايب والحسن ايضا سبع عشرة سنة وقيل ثمانى عشرة فلما ذهبوا به اجمع رايهم ان يجعلوه فى غيابة
الجب واوحينا اليه قيل انه الهام وقيل انه وحى حقيقة اوحى الله اليه ليونس يوسف فى الظلمة والوحشة
ويبشره بما يؤول امره اليه ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما صنعوا بك وانت عال
عليهم وهم لا يشعرون انك يوسف وقت اخبارك لهم لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم
ولطول العهد المبدل للهيات والصور والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انى ليخبرنى هذا الجام انه كان لكم
اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم والقيتموه فى غيابة الجب
وقلتم لابيكم اكله الذيب وقيل وقال يوسف ولتعلمنهم بما فعلوا هذا ايكون قوله وهم لا يشعرون متعلقا
بقوله لتنبئنهم ويجوز ان تتعلق بقوله واوحينا على انا انسنا يوسف بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة وهم

صاحب

يوسف

لا يشعرون انا اوحينا الى يوسف ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له **قوله تعالى** وجاءوا
اباهم عشاء يبكون قالوا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمومن
لنا ولو كنا صادقين روي ان يهوذا قال لهم انطلقوا فالطخوا قميصه بدم بعض دوابكم ثم اخبروا
اباكم انه قد اكله الذيب وتعهدوا دمه في قميصه حين افترسه واقيم انا يومي هذا ههنا فاني اخاف
ان يرد الوارد الى الجب فيستغيث بهم فيرحموه ويخرجوه فيطلع علينا واخبروا اباكم اذا هو تغيب
في انه يطلب الذيب الذي اكله وآلى على نفسه ان لا يرجع ابدا حتى يقتل الذيب الذي اكله فقصد قوم
وانما اراد يهوذا بتخلفه عنهم اذا ولوا عن الجب ان يخرج يوسف من الجب ويرده الى ابيه فلما ولوا عن
يهوذا التفت منهم ملتفت فاذا هو يهوذا يدلي ثوبه الى يوسف ليلبسه فرجعوا اليه مقبلين فقال
لهم يهوذا اني لم افعل ذلك متعمدا ولكني ادليت راسي في الجب فاصغيت سمعي لاعلم اهو حي ام ميت فوقع
عني ثوبي فلم اقدر على نزعه فرجعوا جميعا الى ابيهم وجاءوا اباهم عشاء اي ليلا باكين ليكونوا احرى
في الظلمة على الاعتذار وترويج ما مكروا وافسدوا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين
ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار اي تردد في الكلام فلا تقدر على اتمامه وهذه
الاية دالة على ان بكا الرجل لا يدل على صدق مقالته لاحتمال ان يكون تصنعا ومن الناس من يقدر
على ذلك ومنهم من لا يقدر روي ان امراة خاصمت الى شريح فبكت وكان الشعبي حاضرا عنده فقال لشريح
يا ابا امية اما تراها تبكي قال شريح قد جا اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر
ان يقضي به من البينة روي انه لما سمع يعقوب اصوات بنيه فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم
شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل
يشتركان كالانتضال والتناضل والارتما والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي
وجا في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا وحلنا وثيابنا فاكله الذيب وما انت بمومن
لنا بمصدق لنا لانك تسي الظن بنا لشدة محبتك يوسف ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة
ما صدقتنا لاتهامك لنا في امر يوسف فكيف وما كنا عندك صادقين لسوء ظنك بنا وعدم
وثوقك بقولنا **قوله تعالى** وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم
امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجا اخوة يوسف فوق قميص يوسف بدم كذب
ذي كذب اي مكذوب فيه والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولا فيقولون للكذب
مكذوب وللعقل معقول وللجلد مجلود او وصف بالمصدر مبالغة كانه عين الكذب
يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل روي
انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم
القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل
كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا
ودليلا على براة يوسف حين قد من دبر على قميصه محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق
قميصه بدم كما تقول جا على جماله باحمال ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان حال المجرور لا تتقدم
عليه قال يعقوب بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما
ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم وزينت لكم غير ما تصفون استدل يعقوب على فعلهم
به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي الى يعقوب بانهم قصدوه ففزع يعقوب

الى الصبر والاستعانة من الله فقال فصبر جميل خبر مبتدا محذوف اي فامري صبر جميل او مبتدا موصوف محذوف
خبره اي فصبر جميل اجمل والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الخلق ولهذا قال انما اشكو بثي وحزني
الى الله وقال لا اعاشركم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان
يرفعهما بعصابة فقيل ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون من الكذب ومن هلاك يوسف وعلى الصبر والرزء
فيه **قوله تعالى** وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام واسروه
بضاعة والله عليم بما يعملون انه تعالى بين كيف سهل السبيل في خلاص يوسف من تلك المحنة فقال
وجاءت سيارة رفقة تسير للسفر من قبل مدين مدينة شعيب وهو على قرب بيت المقدس يريدون مصر وكان
بعد ثلاثة ايام من القا يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق ويدورون
حتى وقعوا الى الارض التي فيها الجب فنزلوا قريبا من الجب وكان الجب في قفر بعيد من العمران لم يكن الا
للرعاة وكان ماوه مالحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم اي الذي يرد الما ليستقي للقوم
وهو مالك بن ذعر الخزاعي من اهل مدين ليطلب لهم الما فبلغ الجب فادلى دلوه اي ارسل دلوه في الجب يقال
ادليت الدلو في البير اذا ارسلتها فيها ودلوتها اخرجتها منها فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج فاذا هو بغلام
احسن ما يكون من الغلمان في صحيح مسلم في حديث الاسرا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا انا بيوسف
اذا هو قد اعطي شطر الحسن والنصف الاخر لساير الناس عن كعب كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر
ضخم العين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن اي ضامره صغير السرة
اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه شعاع النور يتهرب من ثناياه ولا يستطيع احد
وصفه وكان حسنه كضو النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليهما السلام يوم خلقه الله عز وجل وصوره
ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب ما اصابه وقيل انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة ام اسحق بن
ابرهيم روي ان النبي عليه الصلوة والسلام قال هبط علي جبريل فقال يا محمد ان الله يقريك السلام
ويقول لك حبيبي اني كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت حسن وجهك من نور عرشي ما خلقت خلقا
احسن منك نبيا محمد فلما راى واردهم يوسف قال يا بشراي بشر اصحابه بيوسف نادى البشرى هذا
اوانه تنبيه لاصحابه المخاطبين لان البشرى لا تجيب ولا تعقل فالمعنى البشرى او يا ايها البشرى تعالي هذا
اوانك ولذلك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت اعجبوا ويا ايها العجب هذا اوانك قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر يا بشراي بفتح اليا واثبات الالف وروى ورش عن نافع بشراي ومحياي وسواي بسكون
اليا وعاصم وحمزة والكسائي يا بشرا بالف بغير يا وعاصم بفتح الرا وحمزة والكسائي يميلانها ومن قرا يا بشرا يجوز
ان يكون المعنى يا من حضر هذا بشرا ويجوز ان يكون المعنى يا بشراي هذا اوانك على ما سبق بيانه من
تنبيه المخاطبين وذكر السدي انه نادى بذلك احدهم وكان اسمه بشرا وعن ابن الانباري يجوز فيه
هذه الاقوال ويجوز ان يكون اسم امراة واجاز الكوفيون ان يكون المنادى محذوفا وتقديره يا
قوم بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الاسرار ضد الاعلان
والبضاعة ما بضع اي قطع من المال للتجارة بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
وفي الضمير المرفوع في اسروه قولان احدهما قاله مجاهد وهو ان الوارد مالك بن ذعر واصحابه
اخفوه من التجار الذين معهم اي اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها بعض
اهل الما ليبيعه لهم بمصر خيفة ان يطلبوا منه فيه الشركة ان علموا بثمنه وثانيهما عن ابن عباس ان الضمير
لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا ياتيه بالطعام كل يوم لانه بقي فيه ثلثة ايام فاتاه يومئذ بالطعام فلم يجده

في الجب فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر واصحابه نزول فاتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا
هذا عبد ناولتم يوسف شانه مخافة ان يقتله اخوته وقيل قالوا ليوسف بالعبرانية ان لم تقر بانك عبد
انتزعناك من السيارة ثم نقتلك فقال يوسف اني عبد واراد به عبد الله فكتموا حريته فباعوه على انه
بضاعة عن ابن عباس اسر اخوة يوسف انه اخوهم وجعلوه بضاعة وباعوه ويحتمل ان معنى
اسروه بضاعة اظهروه بضاعة سوا يعود الضمير الى الوارد واصحابه او الى الاخوة وهذا كما يقول هذا
شي اظهرته اعجب به وهذا مال اظهرته بضاعة والمعنى اظهروا حال يوسف على هذا الوجه والله عليم بما
يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوا الصنيع لم يخف عليه اسرار الوارد واصحابه او اسرار اخوة يوسف
وهو وعيد لهم حين استبضعوا اما ليس لهم ولاخوة يوسف من سوا الصنيع **قوله تعالى** وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وشروه من الاضداد تقول شريت الشي بمعنى بعته
واشتريته فان كان بمعنى باعوه ففيه قولان احدهما ان السيارة باعوه ولم تبعه اخوته قاله الحسن
وقتادة وهو الظاهر والثاني ان اخوة يوسف باعوه وان كان بمعنى اشتروه فالمعنى ان السيارة اشتروا
يوسف من اخوته بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار حرام دراهم لا
دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون
ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها عن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين درهما وقيل عشرين درهما وحلة ونعلان وكانوا اي وكان السيارة في يوسف
من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشي يتهاون به لا يبالي
بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن وقيل معنى شروه
اشتروه اي الرفقة السيارة اشتروا يوسف من اخوته وكان السيارة في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه لانهم اعتقدوا انه ابق نحافوا ان يخطروا اموالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا
منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه
قيل في اي شي زهدوا فقيل زهدوا فيه اي رغبوا عنه فان الزهد قلة الرغبة في الشي **قوله تعالى**
وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون روي ان الذي اشتراه
من اخوته او من السيارة الواردين على الماء ذهب به الى مصر وباعه والذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير
او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد
آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشترى
العزيز يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين
وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل
وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ وقال لامراته راعيل بنت عاسل اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما
اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه
بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن نزل به
من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل تراعي حق نزولك واللام في امراته

ابق منا وعن وهب كان يهوذا
متنبذا من بعيد ينظر ما يطرا على
يوسف فلما اخرجوه راه فاخبر
الاخرين فاتوا اما لكا وقالوا هذا
عبدنا

متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها يستظهر به
على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير
عقيما لا يولد له ولد وكانت امراته راعيل حسنا ناعمة طاعمة في ملك ودنيا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل
افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت لموسى
وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك الكاف منصوب بمكنا وذلك اشارة الى ما تقدم
من انجائه وعطف قلب العزيز عليه تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز
كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه وقيل كما انقذنا يوسف من ايدي
اخوته وقد هموا بقتله واخرجناه من الجب بعد ان القي فيه فصيرناه الى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز
مصر كذلك مكنا ليوسف في ارض مصر فجعلناه على خزائنها وتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث
اي تعبير الرؤيا مكناه له في الارض اي كان ذلك الانجاء والتمكين لما يحمد عاقبته من علم وعمل وقوله ولنعلمه
انما دخل الواو لفعل مضمر اما قبل قوله ولنعلمه وبعد الواو اي واختصصنا يوسف بذلك لكي نعلمه واما
بعده اي ولنعلمه من تاويل الاحاديث فعلنا ذلك وقيل مكنا له في الارض ليوحي اليه ولنعلمه والله غالب على
امره اي امر تعالى لا يمنع عما يشا ولا ينازع ما يريد ويحكم او على امر يوسف اي والله مستول على امر يوسف
بسوسه وحوطه وتدبير امره فلا يكله الى غيره قال اهل العلم والله غالب على امره حيث امر يعقوب
يوسف ان لا يقص رؤياه على اخوته فغلب امر الله حتى علموا بها ثم اراد يعقوب ان لا يكيدوا له فغلب امر الله
حتى كادوا ثم اراد اخوة يوسف قتله فغلب امر الله حتى لم يقدروا ان يقتلوه ثم ارادوا ان يلتقطه بعض
السيارة ليندرس اسمه فغلب امر الله حتى لم يندرس اسمه وصار مذكورا مشهورا ثم باعوه ليكون مملوكا
فغلب امره حتى صار مالكا وسجدوا بين يديه ثم ارادوا ان يخلو لهم وجه ابيهم فغلب امره حتى ضاق عليهم
قلب ابيهم ثم ارادوا ان يغروا اباهم بالقميص والبكا والدم فغلب امره حتى لم ينخدع وقال بل سولت لكم
انفسكم امرا ثم تدبروا ان يكونوا من بعده قوما صالحين تائبين فغلب امره حتى نسوا الذنب واصروا حتى
اقروا بين يدي يوسف في اخر الامر بعد اربعين وقالوا وان كنا لخاطئين وقالوا لابيهم انا كنا خاطئين
ثم احتالوا ان يمحو محبته من قلب ابيه فغلب امره حتى ازدادت المحبة والشوق في قلبه ثم راودت
امراة العزيز زليخا او راعيل عن نفسه فغلب امره حتى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح
الظالمون ثم احتالت امراة العزيز ان تلقي التهمة على يوسف حين قالت ما جزاء من اراد باهلك سوا فغلب
امره حتى شهد شاهد من اهلها ثم تدبر يوسف ان يتخلص من السجن بذكر الساقي حين قال اذكرني
عند ربك فغلب امره حتى نسي الساقي ذكر يوسف ولبث في السجن بضع سنين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله وان الله غالب على امره وقيل ولكن اهل مكة لا يعلمون لطائف صنع الله **قوله
تعالى** ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ولما بلغ اشده منتهى اشتداد
جسمه وقوته وشبابه عن ابن عباس ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين سنة وقيل ثماني عشرة وقيل عشرون
وقيل ثلاث وثلاثون وقيل اربعون وقيل ستون سنة وقيل اثنتان وستون اتيناه حكما حكمة
وعقلا وقيل حكما على الناس وقيل نبوة وقيل فقها وقيل اصابة القول والعمل وعلما بتاويل الاحاديث
وكذلك اي ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته نجزي المحسنين الذين يعبدون الله ويعملون
الصالحات ويجتنبون الفواحش كانهم يرون الله وان لم يكونوا يرونه فانه تعالى يراهم وقيل
المحسنين المؤمنون وقيل المهتدون وقيل الصابرون على النوائب وعن محمد بن كعب هذا وان كان
يخرج ظاهره على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم يقول كما فعلت هذا بيوسف بعد

ما لقي من اخوته ما لقي وقاسى من البلا ما قاسى فمكنته في الارض ووطات له البلاد واتيته الحكم
والعلم كذلك افعل بك وانجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوه وامكن لك في الارض
وازيدك الحكم والعلم وهذا تنبيه على ان يوسف كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله
اتاه الحكم والعلم جزا على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله
قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السو والفحشا انه من عبادنا المخلصين المراوده مفاعله من راد يرود اذا جا وذهب
كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشي الذي لا يريد ان يخرجه
من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها يعني زليخا طلبت من يوسف
ان يواقعها وغلقت الابواب وكانت سبعه وقالت هيت لك قرا ابن كثير هيتُ بفتح الها وسكون
اليا وضم التا ونافع وابن عامر بكسر الها وسكون اليا وفتح التا وعن ابن عامر بكسر الها وهمز اليا وضم التا
والباقون بفتح الها والتا وسكون اليا قال الزجاج هو اجود اللغات والزهها في كلام العرب
ومعناها اقبل وتقدم لنفسك اي لك في التقدم حظ قال يوسف معاذ الله اعوذ بالله معاذا
من هذا الامر اي اعتصم واستجير بالله مما تدعونني اليه انه ربي ان الشان والحديث ربي سيدي
ومالكي احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاوه ان اخلفه في اهله سو الخلافه واخونه
فيهم ومنهم من جعل الضمير المنصوب الذي هو اسم ان للعزيز اي ان زوجك قطفير احسن مثواي وقيل ان
الضمير لله اي ان الله خالقي احسن مثواي اي اواني من بلا الجب عافاني انه لا يفلح الظالمون الواضعون
الشي في غير موضعه الذين يجازون الحسن بالسي وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل
معناه ان الله تعالى احسن مثواي وجعل قطفير واسطه بان قال لك احسني مثواي لانه مسبب
الاسباب فلا اكفر نعم ربي ولقد همت هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل
وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلايله ومنه قولك لا افعل ذلك لا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان
افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه
ولم ينكل عنه وقيل الهم بالشي في كلام العرب حديث المر نفسه بمواقعته ما لم يواقع فاما هم زليخا
فقال المفسرون عزمت على نفسها واستلقت واختلفوا في هم يوسف عليه السلام قيل انه كان
من جنس همها فلولا ان الله تعالى عصمه لفعل ذلك والى هذا المعنى ذهب الحسن وسعيد بن جبير
والضحاك والسدي وهو قول عامة المفسرين المتقدمين واختاره من المتاخرين جماعه منهم ابن
الانباري وعن ابن قتيبه لا يجوز في اللغه هممت بفلان وهم بي وانت تريد اختلاف الهمين واحتج من
نصر هذا القول بان مذهب الاكثرين من السلف والعلما الاكابر الذين يوخذ عنهم التاويل وهم
قد اخذوا عن الذين شهدوا التنزيل ولما روي في الخبر الصحيح ان يوسف عليه السلام لما دخل على
الملك واقرت المراه وقال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل عليهما السلام ولا حين
هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابري نفسي الايه عن ابن عباس قال حل الهميان وجلس
منها مجلس المجامع وعنه استلقت له على قفاها وقعد بين رجليها لينزع ثيابه عن سعيد بن جبير
اطلق تكة سراويله عن مجاهد حل السراويل وجلس منها مجلس الرجل من امراته وعن الضحاك جرى
الشيطان فيما بينهما فضرب الى جيد يوسف وباليد الاخرى الى جيد المراه حتى جمع بينهما وعن
السدي وابن اسحق لما ارادت امراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه

وتسوقه

جاه

سيدى ح

وتسوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت يا
يوسف ما احسن عينيك قال هي اول ما يسيل الى الارض من جسدي قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب
ياكله فلم تزل تطمعه مره وتخيفه اخرى وتدعوه الى اللذه وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجد الرجل وهي حسنا
جميله حتى لان لها مما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلا في بعض البيوت وهم بها فهذا اقاويل المفسرين من
السلف الصالحين وقالت طايفه ان الهم همان هم مقيم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ونيه ورضى
مثل هم امراة العزيز والعبد ماخوذ به وهم عارض وارد وهو النظر والفكر وحديث النفس من غير اختيار
ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم به او يفعله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها له عشر
حسنات الى سبع مايه ضعف واذا هم عبدي بسيه ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها عليه
سيه واحده فان تركها من اجلي كتبتها له حسنة والقول بثبات مثل هذه الزلات والصغاير على
الانبيا صلوات الله عليهم غير محظور لضروب من الحكم منها ليكونوا من الله على وجل اذا ذكروها
فيجدون في طاعته اشفاقا منها ولا يتكلون على سعة رحمة الله ومنها ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه
عنهم ومنها ليجعلهم ايمه لاهل الذنوب في رجا رحمة الله وترك الاياس من عفوه وفضله عن ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا يلقى الله عز وجل قد هم بخطيه او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم
يهم بها ولم يعملها واما البرهان الذي راى يوسف عليه السلام فان العلما اختلفوا فيه فعن ابن عباس لولا ان
راى برهان ربه قال مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من اناملة وعن الحسن
وسعيد بن جبير وكل ولد ليعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من
شهوته حين راى صورة ابيه فاستحيا منه عن قتاده راى صورة يعقوب فقال له يا يوسف تعمل عمل السفها
وانت مكتوب في الانبيا عن ابن ابي مليكه عن ابن عباس قال نودي يا يوسف تزني فتكون كالطير وقع ريشه
فذهب يطير بلا ريش عن السدي نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما
لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثل الثور حين يموت يدخل النمل في اصول قرنيه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه
وقيل ان جبريل عليه السلام مثل له يعقوب فلم يزدجر فنودي اتزني فتكون مثل الطاير نتف ريشه فلم يزدجر
حتى ركضه جبريل فطهر فوثب وقيل انها قامت الى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب فقال لها يوسف
اي شي تصنعين قالت استحيي من الهي هذا ان يراني على هذه الصوره فقال اتستحيين من صنم لا يعقل ولا
يسمع ولا استحيي من الهي القايم على كل نفس بما كسبت وقيل ان الله بعث اليه ملكا فكتب في وجه المراة بالدم
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا وروي انه راى هذه الايه مكتوبه بين عينيها وفي روايه
اخرى انه راها مكتوبه في الحايط وروي مجاهد عن ابن عباس قال بدت فيما بينهما كف ليس لها عضد ولا
معصم وفيها مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما
الرعب عادت وعاد فلما قعد اذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
الايه فقام هاربا فلما عادا قال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيه فانحط جبريل
عاضا على كفه او اصبعه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وعن وهب
ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانيه افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت فانصرفا فلما عادا رجعت
وعليها مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فانصرفا فلما عادا عادت وعليها مكتوب ولا تقربوا
الزنا الايه فعادا وعادت الرابعه وعليها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فولى يوسف هاربا
وقيل ان سيد العزيز دنا من الباب وعن ابن اسحق ان البرهان خيال سيده راه عند الباب فهرب

فيما ح

وقيل ان البرهان انه علم ما احل الله مما حرم الله فراى تحريم الزنا عن ابن الجوزى ان هذه ليست بشى وانما هى
احاديث من اعمال القصاص قد اشرت الى فسادها فى كتاب المغنى فى التفسير وكيف يظن بنبى انه يخوف ويرعب
ويضطر الى ترك هذه المعصيه وهو مصر هذا غاية القبيح قال الامام اعلم ان هذه الايه مما يجب الاعتنا
بالبحث عنها وفى هذه الايه مسايل الاولى فى انه عليه السلام صدر عنه الذنب ام لا وفى هذه المسله قولان الاول
ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشه قال الواحدى فى البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم
هم يوسف ايضا بهذه المراة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من المراه فلما راى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه
قال ابو جعفر الباقر باسناده عن على كرم الله وجهه انه قال طمعت فيه وكان طمعه فيها انه هم ان
يحل التكه وعن ابن عباس حل الهميان وجلس منها مجلس الخاين وعنه ايضا انها استلقت وقعد بين رجليها ينزع
ثيابه ثم ان الواحدى طول فى كلمات عديمة الفايدة فى هذا الباب وما ذكر اية يحتج بها او حديثا صحيحا
يعول عليه فى تصحيح هذه المقاله ولما امعن فى الكلمات العاريه عن الفايده روى ان يوسف عليه السلام
لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرى
نفسى ثم قال والذين اثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا اعرف بحقوق الانبيا وارتفاع منازلهم عند الله
من الذين نفوا الهم عنه فهذا خلاصة كلامه فى هذا الباب والقول الثانى ان يوسف عليه السلام
كان بريا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب
ثم قال الامام واعلم ان الدلايل الداله على وجوب عصمة الانبيا عليهم السلام قد مرت فلا نعيدها الا ان نزيد
ههنا وجوها فالوجه الاول ان الزنا من منكرات الكباير والخيانه فى معرض الامانه ايضا من منكرات
الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم الدايم بالاساءه الموجبه للفضيحه الباقيه والعار الشديد من منكرات
الذنوب وايضا الصبى اذا تربى فى حجر الانسان وبقى مكفى المونه مصون العرض من اول صباه الى زمان شبابه
وكمال قوته فاقدام هذا الصبى على ايصال اقبح انواع الاساءة الى ذلك المنعم العظيم من منكرات الاعمال اذا
ثبت هذا فنقول ان هذه المعصيه التى نسبوها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفه بجميع هذه الجهات
الاربع ومثل هذه المعصيه التى نسبوها الى يوسف لو نسبت الى افسق الخلق الله وابعدهم عن كل خير لاستنكف
منه فكيف يجوز اسناده الى الرسول المويد بالمعجزات القاهره الباهره الثانى انه تعالى قال فى عين
هذه الواقعه كذلك لنصرف عنه السو والفحشا وذلك يدل على ان ماهية السو وماهية الفحشا مصروفه
عنه ولا شك ان المعصيه التى نسبوها اليه اعظم انواع السو والفحشا وايضا تدل على قولنا من وجه
اخر وذلك لانا نقول هب ان هذه الايه لا تدل على نفى هذه المعصيه عنه الا انه لا شك انها تفيد
المدح العظيم والثنا البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا افكذا ههنا الثالث ان الانبيا عليهم السلام
متى صدرت عنهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة الكثيره المتكرره وكان من المحال
ان لا يتبعها بالتوبه والاستغفار ولو اتى بالتوبه لحكى الله عنه اتيانه بها كما فى ساير المواضع وحيث لم يوجد
شى من ذلك علمنا انه ما صدر عنه فى هذه الواقعه ذنب ولا معصيه الرابع ان كل من كان له تعلق
بتلك الواقعه فقد شهد ببراة يوسف عليه السلام من المعصيه واعلم ان الذين لهم
تعلق بهذه الواقعه يوسف والمراة وزوجها والنسوه والشهود ورب العالمين شهد ببراته
عن الذنب وابليس اقر ايضا ببراته عن المعصيه واذا كان كذلك فحينيذ لم يبق للمسلم توقف فى هذا الباب
اما بيان ان يوسف عليه السلام ادعى البراة عن الذنب وهى قوله عليه السلام هى راودتنى
عن نفسى وقوله عليه السلام رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه واما بيان ان المراة اعترفت

بذلك فلانها قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وايضا قالت الان حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اقر بذلك فانه من كيدكن ان كيدكن عظيم
يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك واما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها
الايه واما شهادة الله بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السو والفحشا انه من عبادنا المخلصين
فقد شهد الله فى هذه الايه على طهارته اربع مرات اولها قوله لنصرف عنه السو والفحشا واللام
للتاكيد والمبالغه والثانى قوله والفحشا اى كذلك لنصرف عنه الفحشا والثالث قوله انه من
عبادنا المخلصين انه قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما والرابع قوله المخلصين يدل على انه استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته وعلى كلا الوجهين
فانه من ادل الالفاظ على كونه منزها مما اضافوه اليه واما بيان ان ابليس اقر بطهارته فلانه قال
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاقر بانه لا يمكنه اغوا المخلصين ويوسف من
المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين وكان هذا اقرار من ابليس بانه ما اغواه وما اضله
عن طريق الهدى وعند هذا نقول هولا الجهال الذين نسبوا الى يوسف هذه الفضيحه ان كانوا
من اتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة
ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا فى اول الامر تلامذة ابليس الا انا تخرجنا وزدنا عليه فى السفاهه
كما قيل وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بى الامر حتى صار ابليس من جندى فلو مات قبلى كنت احسن بعده
طرايق فسق ليس يحسنها بعدى فثبت بهذه الدلايل ان يوسف عليه السلام برى عما يقوله هولا الجهال
اذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر هذه الايه يقع فى مقامين الاول ان نقول لا نسلم ان يوسف
عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها لولا ان راى برهان ربه وجواب لولا ههنا
مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن الزجاج فى هذا الجواب من
وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ وغير موجود فى الكلام الفصيح والثانى ان لولا يجاب باللام
فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال ولهم بها وذكر عن الزجاج سوالا ثالثا وهو انه لو لم يوجد الهم
لم يكن لقوله لولا ان راى برهان ربه فايده ثم قال الامام ما ذكره الزجاج بعيد لانا نسلم ان تاخير
جواب لولا جايز حسن الا ان جوازه وحسنه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب وكيف وقد نقل
عن سيبويه انه قال انهم يقدمون الاهم فكان الامر فى جواز التقديم والتاخير مربوطا بشدة الاهتمام
فاما تعيين بعض الالفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمه وايضا ذكر جواب لولا باللام جايز وهذا
لا يدل على ان ذكره بغير اللام لا يجوز ثم انا نذكر اية اخرى تدل على فساد قول الزجاج فى
هذين السوالين وهو قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها واما السوال الثالث
وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا ان راى برهان ربه فايده فنقول بل فيه اعظم الفوايد
وهو بيان ان ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته فى الدنيا وعدم قدرته عليها بل لاجل ان
دلايل الله منعته عن ذلك العمل ثم نقول الذى يدل على ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا تستدعى
جوابا وهذا المذكور يصلح جوابا له فوجب الحكم بكونه جوابا لا يقال انا نضمر له جوابا وترك الجواب
كثير فى القران فنقول انه لا نزاع انه كثير فى القران الا ان الاصل ان لا يكون محذوفا وايضا
فالجواب انما يحسن تركه وحذفه اذا حصل فى اللفظ ما يدل على تعينه وههنا بتقدير ان يكون
الجواب محذوفا فليس فى اللفظ ما يدل على تعيين ذلك الجواب فان ههنا انواعا من الاضمارات

تحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها اولى من اضمار الباقي فظهر الفرق المقام الثاني في الكلام
على هذه الاية ان نقول سلمنا ان الهم قد حصل الا انا نقول ان قوله وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره
لان تعليق الهم بذات المراه محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية
فثبت انه لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور فهم زعموا ان
ذلك المضمر هو ايقاع الفاحشه بها ونحن نضمر شيا اخر يغاير ما ذكروه من ذلك القبيح لان الهم هو القصد
فوجب ان يحمل في حق كل احد على الفعل الذي يليق به واللايق بالمراة القصد الى تحصيل اللذة والتمتع
والتنعم واللايق بالرسول المبعوث الى الخلق الى زجر العاصي عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر يقال هممت بفلان اي بضربه ودفعه فان قيل فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله لولا ان راى برهان
ربه فايدة قلنا بل فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين الاول انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم
بدفعها لقتلته او لكانت تامر الحاضرين بقتله فاعلمه ان الامتناع من ضربها اولى صونا للنفس عن
الهلاك والثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه وربما تعلقت به فكان يتمزق ثوبه
من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخاين
ولو كان ثوبه متمزقا من خلف لكانت المراه هي الخاينه فالله تعالى اعلمه هذا المعنى فلا جرم لم يشتغل
بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براته عن المعصيه
الوجه الثاني في الجواب ان نفسر الهم بالشهوة وهذا مستعمل في اللغة الشايعة يقول
القايل فيما لا يشتهيه هذا اهم الاشيا الي سمى الله تعالى شهوة يوسف هما فمعنى الاية ولقد اشتهته
واشتهاها ولولا ان راى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود الثالث ان نفسر الهم بحديث
النفس وذلك لان المراه الفايقه في الحسن والجمال اذا تزينت وتهيات للرجل الشاب القوي فلا بد
وان يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى داعية
الطبيعه والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة فالهم عبارة عن جواذب الطبيعه
ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبوديه ومثاله ان الرجل الصالح الصايم في الصيف
اذا راى الجلاب المبرد بالثلج فان طبيعته تحمله على شربه الا ان دينه وهداه يمنعه منه فهذا
لا يدل على حصول الذنب بل كلما كانت هذه الحالة اشد كانت القوة في القيام بلوازم العبوديه
اكمل فقد ظهر بحمد الله صحة القول الذي ذهب اليه ولم يبق في يد الواحدي الا مجرد التصلف
وتعديد اسما المفسرين ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لاجبنا عنها الا انه ما
زاد على الرواية عن بعض المفسرين ثم قال الامام واما الذين نسبوا المعصيه الى يوسف فقد
ذكروا في تفسير ذلك البرهان امورا الاول قالوا ان المراه قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت
في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف لم فعلت قالت استحيي من الهي هذا ان يراني على
المعصيه فقال يوسف تستحيين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحيي من الهي القايم على كل نفس بما
كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا فهذا هو البرهان الثاني نقلوا عن ابن عباس انه تمثل له يعقوب
فراه عاضا على اصبعه ويقول اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبيا فاستحيا منه قالوا وهو
قول عكرمه ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتاده والضحاك ومقاتل وابن سيرين
قال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله الثالث
قالوا انه سمع في الهوا قايلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فاذا زنى ذهب ريشه
والرابع نقلوا عن ابن عباس ان يوسف لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل فلم يبق

ما يهمني هذا وفيما يشتهيه

فيه شي من الشهوة الا خرج ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال هذا الذي ذكرناه
قول ايمة التفسير الذين اخذوا التاويل عمن شاهد التنزيل فيقال انك لا تاتينا الا بهذه التعليقات
التي لا فايدة فيها فاين الحجة والدليل والعجب ايضا انهم زعموا ان يوسف لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور
حتى احتاج جبريل عليه السلام الى ان ركضه على ظهره ولو ان افسق الخلق والعزم كان مشتغلا بفاحشه
فاذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استحيى منه وفر وترك ذلك العمل وههنا ذكروا ان يعقوب
عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت ثم ان جبريل على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايضا عن ذلك
القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل الى ان ركضه على ظهره نسال الله ان يصوننا عن الضلالة والخذلان
قال صاحب الكشاف ولقد همت به معناه بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه
جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك
هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه
هم بالمعصيه وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطه ونازعت اليها عن شهوة الشباب
وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول
والعزايم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم
ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله سبحانه بالامتناع لان
استعظام الصبر على الابتلا على حسب عظم الابتلا وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه
من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل
قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها
داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جايزان ومن حق القاري اذا
قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدي قوله وهم بها
لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا
يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم
الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة
على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجايز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر لكن بالمعاني فلا بد من
تقدير المخالطه والمخالطه لا تكون الا من اثنين معا وكانه قيل ولقد هما بالمخالطه لولا ان منع مانع
احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها
وكان اعقابه لولا له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين
توصلهما الى ما هو حظهما من قضا شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضا شهوته منها لولا ان راى
برهان ربه فترك التوصل الى الحظه من الشهوه فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر
هم يوسف بما ذكره المفسرون مما تقدم ذكره وفسر البرهان بما ذكروا ايضا قبله ونحوه مما يورده
اهل الحشو الذين دينهم بهت الله وانبيايه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله
بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه كما نعيت على ادم صلوات الله عليه زلته
وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد
اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه
مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثنا

فيما انزل من كتب الاولين ثم في القران الذي هو حجة على سائر كتبه و مصداق له ولم يقتصر الا على
استيفا قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل
ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى اخر الدهر في العفه وطيب الازار والتثبت في مواقف
العثار فاخزى الله اوليك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن
القصص في القران العربي المبين ليقتدي بنبي من انبيا الله في القعود بين شعب الزانيه وفي حل تكته
للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القران
وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطاير الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه
وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباحسان ولو ان اوقح
الزناه واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادني ما لقي نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض
ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه اعلم ان الحق ان يوسف عليه السلام
ما وقع منه الهم الذي هو القصد يدل على ذلك قوله معاذ الله انه ربي احسن مثواي وقوله هي راودتني
عن نفسي وكيف يجوز ان يقع القصد منه وهو يكذب زليخا في قولها ما جزا من اراد باهلك سوا
فان زليخا ما نسبت الى يوسف الا ارادة السو والقصد اقوى من الارادة وقول الشاهد ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
فلما راى قميصه قد من دبر فان زليخا نسبت الى يوسف ارادة السو ويوسف نفاها والشاهد كذب
زليخا وصدق يوسف وتبين صدق يوسف فانتفى عن يوسف ارادة السو فبالاحرى ان ينتفي عنه
قصد السو وقول سيدها انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فانه يفيد تصديق يوسف في نفي الاراده
وتكذيب زليخا في اثباتها وكذا قوله يوسف اعرض عن هذا وقوله لامراته واستغفري لذنبك
وقوله انك كنت من الخاطين وقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السو وقوله انه من عبادنا المخلصين كل
هذا يفيد نفي السو عن يوسف اعم من ان يكون سو الفعل او سو القصد اذا عرفت هذا فنقول ينبغي ان
نفسر قوله تعالى وهم بها لولا ان راى برهان ربه على وجه يطابق ما يدل على عدم قصد السو من يوسف
من غير اخلال بالبلاغة والفصاحة ومن غير ارتكاب تعسف واعلم ان كل حادث سوا كان ذاتا او وصفا
عينا او معنى قولا او فعلا او اعتقادا فوقوعه متعلق باسباب وشرايط وارتفاع موانع بتقدير الله
تعالى ومشيته وارادته قال الله وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم فما لم يتحقق
اسبابه وشرايطه ولم يرتفع موانعه لم يتحقق وقصد فعل المواقعه من يوسف بالنسبة
الى زليخا حادث لانه لم يكن موجودا فوقوعه موقوف على توافي اسبابه وشرايطه وارتفاع ما
يمنعه من الوقوع ولا شك ان ما تعدد من اسبابه القوة الشهوانيه التي يكون كمالها بحسب كمال
القوى البدنيه والمحل القابل المتهيا للفعل وغير ذلك مما يتوقف عليه الفعل ويوسف عليه السلام
في كمال الشباب وكمال القوى البدنيه فقوة شهوته في غاية الكمال وزليخا وهي حسنا جميله والابواب
مغلقه والدار خاليه والموانع مرتفعه الا البرهان فشارف ان يهم بها فاطلق الهم على تلك
الهيئة الجامعه لاسباب الهم ولشرايطه ولارتفاع الموانع الا البرهان اطلاقا لاسم الشي
على ما يقاربه وليس بين الشي الا مانع واحد كما يطلق على المرض القريب من الموت الموت
وعلى اجتماع الاسباب المفضيه الى الهلاك الهلاك فقوله وهم بها اراد به [illegible]
اسبابه لكن لما راى برهان ربه ما هم لان روية البرهان مانعه من وقوع الهم والمراد بالبرهان
النبوة التي اودع الله في صدره وحجة الله عليه في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من

فلما لم يتحقق اسبابه وشرايطه ولم ينتف
موانعه لم يقع ولا شك ان قصد السو حادث
من الحوادث كما ان فعل السو حادث
من الحوادث ح

العقاب

من العقاب وان الله طهر نفوس الانبياء عن الهيات الرديه والاخلاق الذميمه بل طهر نفوس
المتصلين بهم عنها كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والحق ان البرهان
هو حجة الله القاطعه الداله على وجوب اجتناب المحارم فعلا وقولا ونيه وعزما وروية البرهان
ملاحظة تلك الحجه وتذكرها فقوله وهم بها شارف ان يهم بها لولا ان راى برهان ربه
لهم بها الان راى برهان ربه فلم يهم بها فعلى هذا لم يقع هم يوسف اصلا فان قيل لا نسلم ان جواب لولا لهم بها
اجيب بان لولا لا بد لها من جواب وجوابها غير مذكور لفظا فلا بد من مقدر يدل عليه قرينه سابقه
او لاحقه او غيرهما والاخيران منتفيان فتعين الاولى والقرينه السابقه ليست الا قوله وهم بها
بالمعنى الذي ذكر فيكون قوله لهم بها من حيث الحقيقه جوابا للولا وقوله وهم بها بالمعنى المذكور قرينه لها
ولا محذور فيه والتفسير على هذا الوجه مطابقا للنحو الصريح موافق للبلاغه القرانيه جار على سنن
تراكيب البلغا من العرب فان تفسير قوله وهم بها بقولنا وشارف ان يهم بها في غاية البلاغه وجعل
لهم بها جوابا للولا وقوله وهم بها قرينه صالحه للجواب المحذوف على سنن تراكيب البلغا كذلك اي كذلك
اريناه البرهان لنصرف عنه السو اي قصد الخيانه والفحشا اي فعل الزنا انه من عبادنا المخلصين
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام اي انه من عبادنا الذين اخلصوا دينهم لله والباقون بفتح
اللام اي الذين اخلصهم الله من السو والفحشا لطاعته فقوله من عبادنا اي بعض عبادنا المخلصين اي
هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشي منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال تعالى فيهم انا اخلصناهم
بخالصه **قوله تعالى** واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب
قالت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد
شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف
اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطين استبقا الباب اي وتسابقا الى الباب
على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه اي سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب
وقيل على تضمين استبقا معنى ابتدرا اسرع يوسف ليهرب عنها واسرعت هي لترده الى نفسها ووحد
الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار
والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
فادركت زليخا يوسف في الاستباق فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليه مانعه من الخروج فقدت
قميصه من دبر اي شقت قميصه من خلف لا من قدام والفيا اي صادف يوسف والمراه سيدها اي بعلها
قطفير لدا الباب قيل يقول المراه لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح ولم يكن
سيدهما على الحقيقه قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل الفياه جالسا مع ابن عم المراه لما اطلع
سيدها على تلك الهيئة المريبه وهي مغتاظه على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيله جمعت فيه غرضيها وهما تبرية
ساحتها عند سيدها من الريبه والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها
وكرها لما ايست من مواتاته طوعا قيل قالت لسيدها ادخل خاينا وامنته على اهلك وانا نايمه فلم اشعر
الا وهو اراد ان يدخل معي في فراشي فوثبت اليه من نومي فبادرني الى الباب واراد ان يابق منا من خوف
ما فعل قالت ما جزا من اراد باهلك سوا ما نافيه اي ليس جزا من اراد باهلك سوا اي الزنا الا السجن
قيل ويجوز ان يكون ما استفهاميه بمعنى اي شي جزاوه الا السجن او عذاب اليم اي الضرب بالسياط كما
كما تقول من في الدار الا زيد وانما لم تذكر يوسف وانه اراد بها سوا وقصدت العموم وان كل

من اراد باهلك سوا الحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف
قال سيدها يا يوسف خنتني في اهلي مع ما كنت ارى من صلاحك ولما اغرت به وعرضته للسجن
والعذاب غضب يوسف وقال هي راودتني عن نفسي اي طلبتني ودعتني الى السوء فابيت وفررت منها
فادركتني فشقت قميصي ولولم تقل زليخا السيد هاذا لكتم يوسف عليها فانه لم يرد ان يذكر وشهد شاهد
من اهلها قيل الشاهد كان صبيا في المهد ابن خال لها انطقه الله تعالى عليه ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه تكلم اربعه وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم
وقيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهاده على لسان من هو من اهلها لكون اوجب للحجة عليها واوثق
لبراة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدا الباب وقيل كان حكيما يرجع
اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف
بالشهاده له والقيام بالحق وانما سمي شهاده وما هو بلفظ الشهاده لما ادى مودى الشهاده في ان ثبت به
قول يوسف وبطل قولها سمي شهادته وانما جازت الجمله الشرطيه حكايتها بعد فعل الشهاده لانها قول
من القول او على اراده القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه قد من قبل قال
صاحب الكشاف فان قلت اين دل قد قميصه من دبر على انها كاذبه وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه
اليها فقدته ومن اين دل قده من قبل على انها صادقه وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما
انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني انه يسرع خلفها
ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وانما جاز الجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان
لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحو قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فجي بالقميص فاذا هو قد من دبر
فلما راى قميصه قد من دبر علم خيانة امراته وبراة يوسف وصدقه وكذبها قال لامراته
ان هذا الصنيع من كيدكن وقيل ان قولك ما جزا من اراد باهلك سوا وقيل ان هذا
الامر وهو طمعك في يوسف من كيدكن وقيل ان قد القميص وقيل ان السوا الذي دعته اليه
وقيل ان كيدكن من قول الشاهد لكن الخطاب لها ولامثالها وانما استعظم كيد النسا لانه وان
كان في الرجال الا ان النسا الطف كيدا وانفذ حيله ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن
الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن مما ليس مع غيرهن
من البوائق وعن بعض العلما اني اخاف من النسا اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنسا ان كيدكن عظيم ثم قال قطفير يوسف يريد يا يوسف
حذف منه حرف الندا لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض
عن هذا الامر او الحديث واكتمه ولا تذكره وقيل لا تكترث له فقد بان عذرك وبراتك
وكما امر يوسف بالاعراض عن هذا الامر امر امراته بالاستغفار فقال لها واستغفري
لذنبك وهذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل واراد بقوله واستغفري لذنبك تقول سلي
زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك ويصفح عنك وهذا معنى قول ابن عباس انك كنت من الخاطئين
من القوم المتعمدين للذنب حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه
يقال خطي يخطا خطا وخطا اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه لم
يقصد بذلك قصد الخبر عن النسا وانما قصد بذلك الخبر عمن يفعل ذلك فغلب الذكور على الاناث
وما كان قطفير الا رجلا حليما ذو انه كان قليل الغيره قوله تعالى وقال نسوة في

قطفير

المدينه امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت
بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحده منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه
اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قيل ثم شاع ذلك الحديث
في مصر حتى تحدث بذلك النسا وقال نسوة جماعه من النسا في المدينه اي في مصر وكن خمسا امراة الساقي
وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب امراة العزيز يريد قطفير
وهو الملك بلسان العرب تراود فتاها عبدها يقال فتاي وفتاتي اي عبدي وجاريتي
وانما تكلم النسوه في حقها طعنا فيها وتحقيقا لبراة يوسف قد شغفها اي احتبه حتى دخل
حبه شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه وقيل جلده رقيقه على القلب يقال لها لسان القلب يقول
دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب قال النابغه الذبياني وقد حال هم دون ذلك والج مكان
الشغاف تبتغيه الاصابع حبا نصب على التمييز انا لنراها في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق
الرشد بسبب حبها اياه فلما سمعت زليخا بمكرهن باغتيابهن وسو قالتهن وقولهن امراة العزيز
عشقت عبدها الكنعاني ومقتتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفيه وحال غيبته كما يخفي الماكر مكره
وقيل بقولهن وعيبهن لها سمي مكرا لانها كانت اطلعتهن على امرها واستكتمتهن فمكرن وافشين سرها
وقيل انه مكر حقيقه وانما قلن ذلك لتريهن يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله ارسلت دعتهن
الى ما دبه اتخذتها قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات اللاتي اطلعتهن على سرها واستكتمتهن
فافشين سرها واعتدت واعدت من الاعتداد وهو المعد لهن متكا ما يتكين عليه من نمارق
ووسايد فصدت بتلك الهيبه وهي قعود من متكيات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن
عند رويته ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكي اذا بهت لشي
وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر بيوسف وبالنسوه فتضع الخناجر في ايدين
ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجه ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوه مجتمعات
في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكيون للطعام
والشراب والحديث لعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا واتت السكاكين
ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكنايه لان
من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكي عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا
الحلال من قلله واعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع
يتكي على المقطوع بالسكين واتت كل واحده منهن قيل كانوا في ذلك الزمان لا ياكلون الا
بالملاعق والسكاكين كفعل الاعاجم والعرب تنهش نهشا لا تبتغي سكينا وقالت راعيل
ليوسف اخرج عليهن وذلك انها قد اجلست يوسف في مجلس غير المجلس الذي كن فيه جلوسا
فخرج يوسف عليهن قال عكرمه وكان فضل يوسف على الناس في الحسن والجمال كفضل القمر ليله
البدر على نجوم السما وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر تلالا وجهه على الجدران
كما يرى نور الشمس في الما على الجدران فلما راينه اكبرنه اي اعظمنه واجللنه وهبن ذلك
الحسن الرايع والجمال الفايق قيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل اكبرن
بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر
لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وقطعن ايديهن فجرحن ايديهن كما تقول

لت اقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها فقيل حززن ايديهن بالسكاكين وظنن نقطع الاترج
عن قتادة ابن ايديهن حتى القينها فما احسسن الا بالدم وهن لم يجدن من حز الايدى الالم
وعن وهب بلغنى ان سبعا من الاربعين متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف وقلن حاش لله تنزيه
الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله قرا ابو عمرو حاشا لله باثبات الالف
على الاصل والباقون حاش لله بغير الف حذفوها لكثرة دورها على الالسن وهى كلمة تفيد معنى
التنزيه فى باب الاستثنا تقول اسا القوم حاشى زيد قال الشاعر حاشى ابى ثوبان ان به ضنا عن
الملحاة والشتم وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا الله براة الله
وتنزيه الله ماهذا بشرا نفين عنه البشريه لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور
واثبتن له الملكيه وبتتن بها الحكم وذلك ان الله تعالى ركز فى الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز
فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه فى الحسن والقبح بهما قال صاحب الكشاف وما ركز
ذلك فيها الا لان الحقيقه كذلك كما ركز فيها ان لا ادخل فى الشيطان ولا اجمع للخير من الملايكه الا ما عليه
الفيه الحاسبيه المجبره من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم العلوم
الضروريه ومكابرتهم فى كل باب قيل اكثر صاحب الكشاف السفاهه وحسب ان هذه المسله من الضروريات
ووقع فى ذلك بانه ركز فى الطباع والمراد ههنا طباع النسا وميلها الى الشهوات وايثار العاجله والايه دلت
ان صح كلام النسوه على ان الملك اجمل واحسن من البشر وليس الخلاف فى ايهما افضل ولا يلزم من كونه اجمل
ان يكون افضل واعمال ما عمل ليس بين اللغه الذى الحجازيه وبها ورد القران ومنها قوله تعالى ما هن
امهاتهم ان هذا الا ملك كريم وقيل قلن ما هذا بشر الاعراضه عن طبع البشريه فى الشهوه وجواذب
الغضب ودخل فى زمرة الملايكه قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتنني فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت امراة العزيز
فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا
بحاله واستبعاد المحله ويجوز ان يكون اشاره الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول
هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه تعنى انكن لم تصورنه بحق صورته
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به ولقد راودته عن نفسه اقرت لهن حين عرفت
انهن يعذرنها فاستعصم امتنع واستعصى والاستعصام بنا مبالغه يدل على الامتناع البليغ
والتحفظ الشديد كان فى عصمه وهو يجتهد فى الاستزاده منها وهذا بيان لما كان من يوسف
لا مزيد عليه وبرهان لا شى انور منه على انه برى مما اضاف اليه اهل الظاهر مما فسروا به الهم
والبرهان عن السدى فاستعصم بعد حل السراويل قال الامام ولا ادرى ما الذى يحمله على الحاق
هذه الزياده الباطله بنص الكتاب فقلن ليوسف اطع مولاتك واعلم ثم قالت امراة العزيز
ولين لم يفعل ما امره ليسجنن ليحبسن والسجنه مصدر سجنه اى منعه من التصرف بالحبس والضمير
فى امره راجع الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما فى قولك امرتك الخير ويجوز ان
يجعل ما مصدريه فيرجع الى يوسف والمعنى ولين لم يفعل امرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه
وليكونا من الصاغرين والنسوه سمعن هذا التهديد والظاهر انه اجتمعن على يوسف
وقلن له لا مصلحة لك فى مخالفة امرها الاذلا ونون التاكيد تخفف وتثقل والوقف على قوله
ليسجنن بالنون لانها مشدده وعلى قوله وليكونا بالالف لانها مخففه وهى شبيهه بنون
الاعراب فى الاسما كقولك رايت رجلا فاذا وقفت قلت رجلا ومثله قوله تعالى لنسفعا بالناصيه

قوله

قوله تعالى قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من
الجاهلين لما قالت امراة العزيز ولين لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين والنسوه سمعن هذا
التهديد والظاهر انه اجتمعن على يوسف وقلن له لا مصلحة لك فى مخالفة امرها والا وقعت فى السجن وفى الصغار
فعند ذلك اجتمع فى حق يوسف عليه السلام انواع الوسوسه منها ان امراة العزيز كانت فى غاية الحسن
ومنها انها كانت ذا مال وثروه وكانت على عزم ان تبذل الكل ليوسف بتقدير ان يفعل ما امرته
ومنها ان النسوه اجتمعن عليه وكل واحده منهن كانت ترغب وتخوف بطريق اخر ومكر النسا فى هذا الباب
شديد ومنها انه عليه السلام كان خايفا من شرها ومن اقدامها على قتله واهلاكه فاجتمع فى حقه جميع
جهات الرغب على موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها فخاف عليه السلام ان تو ثر هذه الاسباب
الكثيره فيه وعلم ان القوه البشريه والطاقه الانسانيه لا تفى بحصول هذه العصمة القويه فعند هذا
التجا الى الله وقال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه اسند الدعوه اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين
له مطاوعتها وقلن له اياك والقا نفسك فى السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال نزول
السجن احب الى من ركوب المعصيه وكانت المشقه التى هى نزول السجن احب اليه مما يدعونه اليه مما هو لذه
عظيمه واثر عنده نظرا فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصيه وفى عاقبة كل واحد منهما
لا نظرا فى مستهى النفس ومكروهها والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واتابعهن يقال صبا فلان الى
كذا مال واشتاق اليه واقبل بطبعى وغلبه شهوتى الى اجابتهن وذكر بلفظ الجمع لانهن قلن له اطع
مولاتك وقيل اصبح الى قولهن وقيل كل واحده منهن دعته الى نفسها سرا وظاهر الايه يدل على ذلك واكن
من الذين لا يعملون بما يعلمون لان العالم الذى لا يعمل بعلمه والجاهل سوا ومن السفها لان
الحكيم لا يفعل القبيح قوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
فاجاب الله دعاه فصرف عنه كيدهن مكرهن وانما ذكر الاستجابه ولم يتقدم الدعا لان
قوله والا تصرف عنى فيه معنى طلب الصرف وطلب العبد من الله دعا انه هو السميع لدعا الداعين العليم
باحوالهم واخلاصهم ومصالحهم ومفاسدهم قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
ليسجننه حتى حين ثم بدا ظهر للعزيز واهله من بعد ما عاينوا الايات الداله على براة يوسف
وهى قد القميص من الدبر وشهادة الشاهد وقطع النسوه ايديهن ليسجننه الى زمان يرون
فيه رايهم وقيل فاعل بدا بدا اى راى والعرب يقولون بدا لى ولا يذكرون بدا لكثرته
قال الشاعر لعلك والموعود حق وفاوه بدا لك من تلك القلوص بدا والبدا فى الراى التلون
فيه وقال الكوفيون فاعل بدا ليسجننه وعند البصريين لا يقع الجمله فاعله قط بل قوله
ليسجننه تفسير لبدا وقيل بدا لهم سجنه قوله حتى حين قيل سبع سنين وقيل خمس سنين
كانت امراة العزيز اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وانما بدا لهم ان يسجنوه
كتمانا لقضيته حتى لا يشيع فى العامه وما كان ذلك الراى الا باستنزال امراة العزيز
لزوجها وكان مطاوعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات
وعمل برايها فى سجنه والحاق الصغار به كما وعدته امراة العزيز به وذلك لما ايست من طاعته
لها او لطمعها فى ان يذلله السجن ويسخره لها عن وهب بن منبه اشار النسوه على زليخا بسجن
يوسف رجا ان يستهوينه حتى يخلوهن فى السجن وقلن لزليخا متى سجنتيه قطع ذلك العذل مقالة
الناس التى قد شاعت ويروا انك تبغضيه وبذله السجن فقالت امراة العزيز لسيدها
ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه

ولست اطيق ان اعتذر بعذري فاما ان تاذن لي فاخرج اعتذر بعذري واما ان تحبسه كما
حبستني فظهر للعزيز واهله من الراي حبس يوسف الى الوقت الذي يرون فيه رايهم فحبسه بعد
علمه ببراته **قوله تعالى** ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني
اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبينا بتاويله انا نراك من المحسنين ودخل مع يوسف السجن
مع تدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحباله فيجب ان يكون دخول يوسف
السجن مصاحبا للفتيين قيل هما مملوكان كانا للملك ريان بن الوليد احدهما خباز صاحب طعامه والاخر
ساقيه صاحب شرابه بلغ الملك ان خبازه يريد ان يسمه وان ساقيه مالاه على ذلك فغضب عليهما فامر بهما
الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف وكان يوسف لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام
فقال احد الفتيين اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للعنب بما
يؤول اليه والعصر استخراج المايع وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب انا نراك من المحسنين الذين يحسنون عبارة
الرويا اي يجيده وبما رايناه يقص عليه بعض اهل السجن روياه فيؤولها له فقالا له ذلك وقيل انا نراك من العلما
لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة
بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرويا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا اضاق اوسع
له واذا احتاج جمع له ولما انتهى الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاوهم واشتد بلاوهم وطال حزنهم
فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا ان لهذا لاجرا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما احسن وجهك واحسن
خلقك واحسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك ما نحب انا كنا في غير هذا منذ حبست لما تخبرنا به من الاجر
والثواب والكفارة والطهارة من انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن
خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واثارك فكن في
اي بيوت السجن شئت **وعن** مجاهد لما راى الفتيان يوسف قالا له والله لقد احببناك حين رايناك قال
لهما يوسف انشدكما بالله ان تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني عمتي فدخل
علي من حبها بلا ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم احبتني زوجة صاحبي هذا فدخل علي بحبها اياي بلا فلا تحباني
بارك الله فيكما فابيا الا حبه والفه حيث كان **وعن** الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني
في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز
اني اراني فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها نبينا اخبرنا بتاويل
ما قصصنا عليك والضمير يجري مجرى الاشارة في نحو كانه قيل نبينا بتاويل ذلك **قوله تعالى** قال لا
ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة
قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب
ما كان لنا ان نشرك بالله من شي ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لم يوسف عليه السلام ان يعين لهما ما سالاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض
عن سوالهما وطفق في غيره **قيل** لما استعبر فتيان يوسف ووصفاه بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار بالغيب وانه ينبيهما بما ياتيهما طعاما
في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت
فيجد انه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه
ويقبح اليهما الشرك بالله **وهذه** طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا
استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى

الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك **وفيه** ان العالم اذا جهلت
منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن
من باب التزكية **قيل** لا ياتيكما طعام ترزقانه في اليقظة الا اخبرتكما به قبل ان يصل اليكما
بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه لان يوسف
كان يخبر بما غاب **وقيل** لا ياتيكما طعام ترزقانه في المنام الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما في اليقظة
هذا قول اكثر المفسرين فقالا هذا فعل العرافين والكهنة فقال يوسف ما انا بعراف ولا كاهن
انما ذلكما التاويل والاخبار بالمغيبات ذلكما مما علمني ربي واوحى الي ولم اقله عن تكهن
وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا ويجوز ان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ربي ذلك
لاني تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واراد بقوم لا يومنون اهل
مصر ومن كان الفتيان على دينهم **وتكرير** هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم
كانوا قوما مومنين وتركت معناه رغبت عن ملة قوم ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من
جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة على براته وان ذلك مما لا يقدم عليه
الا من هو شديد الكفر بالجزا واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب وهي الملة الحنيفية
التي هي توحيد صرف لا اشراك فيه وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى
اليه بما ذكر من اخباره بالغيب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبيا ان نشرك بالله من شي ملكا او نبيا او صنما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكما شيا ذلك التوحيد
من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم وهذا يدل على ان عدم
الاشراك وحصول الايمان من الله ثم بين ان الامر كذلك في حقه بعينه وفي حق الناس
ثم بين ان اكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة الايمان **قوله تعالى** يا صاحبي السجن
ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها انتم
واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون **يريد** يا صاحبي في السجن لما حصلت مرافقتهما في السجن من قبله
اضيفا اليه **واذا** كانت المرافقة القليلة كافية في كونه صاحبا فمن عرف الله واحبه طول
عمره اولى بان يبقى عليه اسم المومن العارف المحب **ولما** ادعى النبوة في الاية الاولى وكان اثبات
النبوة مبنيا على اثبات الاله القادر العليم شرع في اثبات الاله القدير العليم **ولما** كان اكثر الخلق
مقرين بوجود الاله القدير العليم وانما الشان في انهم يتخذون اصناما يعبدونها ويتوقعون
منها النفع والضر كان سعي اكثر الانبيا في المنع من عبادة الاصنام وكان الامر في هذا على زمن
يوسف عليه السلام فلهذا السبب شرع في ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الاصنام فدعاهما
الى الاسلام فاقبل عليهما وعلى اهل السجن وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها ويتوقعون منها
النفع والضر فقال الزاما للحجة ارباب متفرقون الهة شتى مختلفة الذوات والحقايق
والافعال **وقيل** متفرقون اي اصنام واوثان وجن وملايكة خير اعظم واولى بالاتباع
ام الله الواحد الذي لا ثاني له القهار الذي يقهر كل شي ولا يقهر **وقيل** يقول اان يكون لكما
ارباب شتى تستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في
الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
وانما سماها اربابا على سبيل الفرض والتقدير ولاعتقادهم فيها انها ارباب والمعنى

لعسى

من دون الله

ان كان اربابا فهي خير ام الله الواحد القهار والتفاضل بين الله وبين الاصنام على سبيل الفرض
والمعنى لو سلمنا انه حصل فيها ما يوجب الخيرية آرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ثم بين عجز
الاصنام وضعفها فقال ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اصحاب السجن اي ما تعبدون من
دون الله الا اسماء سميتموها انتم واباوكم لان تسميتهم اوثانهم الهة وارباباً من غير ان يكون
لتلك التسمية حقيقة وقيل الا اسماء لا طائل تحتها ولا معاني فيها وقيل الا اصحاب اسماء وقيل كانهم
اعتقدوا وجود ما ليس بموجود فصاروا تعبدون اسماء لا مسمى لها وقيل انكم سميتم ما لا يستحق الالهيه
الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا فان قيل انه تعالى قال ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
وذلك يدل على وجود هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الاية ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل وبينهما تناقض والجواب ان الذوات موجوده الا ان المسمى بالاله
غير موجود لان ذوات الاصنام وان كانت موجوده الا انها غير موصوفه بصفات الالهيه واذا
كان لذلك كان الشئ الذي هو مسمى بالاله في الحقيقه غير موجود واعلم ان طائفه من عبدة الاصنام
قالوا لا نقول ان هذه الاصنام الهه خلقت العالم ولكنا سميناها الهه وعبدناها وعظمناها
لان الله امرنا بذلك فاجاب الله عنه فقال ما انزل الله بها من سلطان من حجه ان الحكم الا لله في
امر العباده والدين والقضاء والامر والنهي الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه
ذلك الذي دعوت اليه الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين القاطعه والحجج الساطعه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيشركون بالله ويعبدون الاصنام **قوله تعالى** يا صاحبي السجن
اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان
لما قرر التوحيد عاد الى الجواب عن سواليهما ففسر روياه فقال يا صاحبي السجن اما احدكما
اي الساقي فيسقي ربه سيده خمرا وجاز تسميته ربا للاضافه روي انه قال للاول ما رايت من
الكرمه وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما العناقيد الثلاثه التي رايتها فانها ثلاثه
ايام ثم يخرجه الملك ويعود الى ما كان عليه واما الاخر فيصلب واما السلال الثلاثه التي
رايتها فانها ثلثة ايام ثم يخرجه الملك في اليوم الرابع فيصلبه فتاكل الطير من راسه قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي فرغ من الامر الذي عنه تسالان وتم ووجب حكم الله بالذي اخبرتكما
به وهو هلاك احدهما ونجاة الاخر عن ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما راينا
شيا انما كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ من الامر الذي عنه
تسالان صدقتما او كذبتما روي ان الرويا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت
وعن عطا بن ابي رباح انه قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
اني رايت في المنام كان سارية بيتي انكسرت وان زوجي غائب فقال صلى الله عليه وسلم هل
قصصتها على احد قبلي قالت بلى على ابي بكر او قالت على علي فقال لها ماذا قال قالت قال لقد
مات زوجك فقال عليه الصلوة والسلام هو على ما قيل وعنه صلى الله عليه وسلم الرويا لاول عابر
فان قيل استفتيا في امرين مختلفين فما وجه التوحيد اجيب بان المراد بالامر ما اتهما به من
سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رايا في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه
في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك **قوله تعالى** وقال للذي ظن انه
ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قال يوسف

للذي

اي تسميتها الهة ثم

للذي ظن انه ناج منهما والظن ههنا بمعنى اليقين والعلم ان كان تاويله بطريق الوحي وبمعنى
الحقيقي ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وقيل وقال يوسف للذي ظن اي الساقي انه ناج منهما فالظان هو
الساقي اذكرني عند ربك سيدك اي الملك اي صفني عنده وقص عليه قصتي وقل له ان في
السجن غلاما محبوسا ظلما لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطه فانسا الساقي الشيطان ذكر ربه
اي فانسا الشيطان ان يذكر الساقي يوسف لربه فان قيل فما وجه اضافة الذكر الى ربه وما هي
اضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول اجيب بانه قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره
لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافه تكون بادنى ملابسه او على تقدير فانساه الشيطان
ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار قيل فانسا يوسف الشيطان ذكر الله ربه
حتى ابتغى الفرج من غيره ووكل امره الى غير الله واستعان بالمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف
من قبل الشيطان فلبث في السجن بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على
انه لبث فيه سبع سنين قيل ان جبريل اتاه في السجن وهو ينظر في وجوه اهل السجن فعرفه يوسف
فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك من الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين يقرا
عليك السلام رب العالمين يقول لك اما استحييت مني اذ استشفعت بالادميين فوعزتي
لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا ابالي روي
ان جبريل قال ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك
قال الله قال فمن انسك في البير وانت عريان قال الله قال فمن انجاك من كرب البير قال الله
قال فمن علمك تاويل الرويا قال الله قال فكيف استشفعت بادمي مثلك قال صاحب
الكشاف فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانه بغير الله في كشف ما كان فيه
وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من
انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن
مومن كربه من كرب الاخرة وعن عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما خذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا
مثل التداوي بالادويه المقويه والتقوي بالاشربه والاطعمه وان كان ذلك لان الملك
كان كافرا فلا اختلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من
المضار قلت كما اصطفى الله الانبيا على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها
واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلا الا الى ربه ولا
يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولون لو كان
هذا على الحق وكان له رب لاغناه لما استعان بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس **قوله تعالى** وقال الملك اني ارى
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا
افتوني في رويای ان كنتم للرويا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
لما دنى فرج يوسف راى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رويا عجيبه هالته راى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس ياكلهن سبع بقرات عجاف مهازيل ضعاف اي ابتلعت العجاف السمان فدخلن
في بطونهن فلم ير منهن شيا وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد
استحصدت وادركت وافركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الملك

كذا

السحرة الكهنة والحازي والقافة وقصها عليهم واستعبرها وقال لهم يا ايها الملا اي
الاشراف كانه اراد الاعيان من العلما والحكما افتوني في رؤياي اي عبروا رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه
ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها ومرجعها قال الملا اضغاث اي هذه اضغاث احلام اي احلام
مختلفة مختلطة مشتبهة اهاويل اباطيل واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم
الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والاحلام جمع الحلم وهو
الرؤيا قال صاحب الكشاف فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول
فلان يركب الخيل ويلبس عمايم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف
فهولا ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم وانهم
ليسوا في تاويل الاحلام مطلقا بعالمين وقيل ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس
لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة **قوله تعالى** وقال الذي
نجا منهما وادكر بعد امة انا انبيكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
قال الذي نجا من الفتيين وهو الساقي اي نجا من القتل وادكر بالدال وهو الفصيح اي تذكر الذي
نجا من الفتيين قول يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى
الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الساقي الذي هو الناجي يوسف وتاويله رؤياه
ورؤيا صاحبه وطلبه ان يذكره عند الملك انا انبيكم اخبركم بتاويله عمن عنده تاويله فارسلون
فابعثوني اليه لاساله وروي باستعبار فارسلوه فاتى السجن قال ابن عباس لم يكن السجن في المدينة
فقال الرسول اي الساقي يا يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق فيما عبرت لنا من
الرؤيا لانه جرب حاله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جا كما اول ولذلك
كله كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم
قبل الرجوع ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فيطلبوك ويخلصوك من
محنتك التي انت فيها وقيل لعلهم يعلمون تاويلها **قوله تعالى** قال تزرعون سبع سنين دابا فما
حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن
الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال يوسف تزرعون
خبر في معنى الامر كقوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر
للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله
فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وحركها بفتحها عادة وهما مصدر داب في العمل وهو حال
من المامورين اي دايبين اما على تدابون دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب
اي ملازمة وعادة اي تزرعون زراعة متوالية على عادتكم المستمرة الخبر تزرعون اي تحرثون
والزرع من الخلق حرث ومن الله انبات والمعنى قال يوسف للرسول الساقي قل لهم ازرعوا سبع
سنين دابا اي دايبين مجتهدين ملازمين للزرع على عادتكم المستمرة في الزراعة زراعة متوالية
فما حصدتم فذروه في سنبله ليلا يسوس ويبقى ولا يفسد الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد يعني سبع سنين جدب وبا قحط شد على الناس ياكلن
فيهن ما اعددتم لهن مما ابقيتم في السنبلة في السنين السبع المخاصب وياكلون من الاسناد المجازي

علم

جعل

جعل اكل اهلهن مسندا اليهن الا قليلا مما تحرزون وتخبئون وتدخرون فان القليل من المحصن
لا يوكل في السبع الشداد استبقا للبذر ثم ياتي من بعد ذلك السبع الشداد عام في ذلك العام يغاث
الناس اي يمطر من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت ومنه قول الشاعر غثنا ما شينا وقيل هو من
الغوث اي يغاثون بالخصب اي يغيثهم الله من القحط والجوع يقال استغاث فاغاثه وفيه اي وفي ذلك
العام الناس يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع اي يكثر الثمار والاعناب
والزيتون والسمسم ويتخذون الاشربة والادهان ويحلبون المواشي من كثرة المرعى وقرا حمزة والكسائي
تعصرون بالتا وجها الخطاب الى المستفتين والباقون باليا وقيل يعصرون ينجون وهو من العصر وهو الملجا
والعصرة المنجاة يقال فلان في عصرة اذا كان في حصن لا يقدر عليه وقيل يعصرون يصيبون ما يحبون والمعتصر
الذي يصيب الشي وياخذه وقيل يعطون ويفضلون لسعة عيشهم اول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخاصب والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ
من تاويل الرؤيا وامرهم بما يصنعون في السنين المخاصب والسنين السبع الشداد بان العام الثامن يجي
مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من
علم الغيب الذي اتاه الله وعن قتادة زاده الله علم سنة **قوله تعالى** وقال الملك ائتوني به فلما جاءه
الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم لما رجع الساقي
الى الملك واخبره بتاويل رؤياه وامره بما يصنع وقع في نفس الملك صحة ما قاله وعرف فضله واقع العجب به
وانكشف عنه الهم والحزن بتاويل رؤياه الذي كان به وقال ائتوني بهذا العالم الذي عبر هذه الرؤيا
حتى اكرمه فلما جاه يوسف الرسول وهو الساقي وقال له اجب الملك فانه يدعوك ليكرمك قال يوسف
للرسول ارجع الى ربك الملك فاساله ما شان النسوة اللاتي قطعن ايديهن ليعلم صحة برايتي انما تانى يوسف
وتثبت في اجابة الملك وقدم سوال النسوة ليظهر براة ساحته عما قذف به وسجن فيه ليلا يوذيه الحاسدون
بتقبيح امره عنده ويجعلوه طريقا الى حط منزلته لديه وليلا يقولوا ما لبث في السجن بضع سنين الا لامر
عظيم وذنب كبير اوجب ان يسجن او يعذب وفي هذا دليل على ان السعي والاجتهاد في نفي التهمة
حسن بل واجب وجوب اتقا الوقوف في مظان التهم قال صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم
الاخر فلا يقفن مواقف التهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره
والله يغفر له حين سيل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان
النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما يسال
عنه فاراد ان يورد عليه السوال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى
يتبين له براته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر
سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر اللاتي قطعن ايديهن وقيل
عمهن بالذكر دون امراة العزيز صيانة لها وانما معنى تعريضا لا تصريحا وقيل ان المعنى ما بالهن لم
يشهدن ببرايتي وقد عرفن ذلك باقرار امراة العزيز عندهن وقيل يحتمل انه خاف ان يحيل
الذنب عليه كالاول ان ربي الله بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وقيل اراد انه كيد عظيم
لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله على انه كذب وانه بري مما قرف به وقيل اراد الوعيد
لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه وقيل اراد ان سيدي العزيز عالم بكيدهن وبرايتي مما قذفتني به

المراة **قوله تعالى** قال فما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من
سو قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فرجع الرسول الساقي
من عند يوسف الى الملك برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن ايديهن وامراة العزيز فقال
الملك لهن ما خطبكن ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف اي انكن راودتن يوسف عن نفسه قطعا
لا كلام فيه هل وجدتن من يوسف ميلا اليكن فان قيل انما راودته زليخا وحدها فلم جمعهن الملك اجيب
بانه بلغ الملك ان بعض النسوة راودته فجمعهن في السؤال ليستعلم المراودة بعينها ولم يكن عالما بها قبل
السوال وقيل ان زليخا راودته عن نفسه على نفسها وراودته النسوة على القبول منها وقيل
يحتمل ان تكون النسوة راودته عن نفسه على انفسهن لانهن ايضا احببنه فاجابت النسوة الملك
وقلن حاش لله معاذ الله ما علمنا على يوسف من سو تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شي من
الريبه ومن نزاهته عنها وقيل معناه ما دعونا الى انفسنا وانما دعوناه الى امراة العزيز وما علمنا
سوا في ان يدعوا المملوك الى طاعة صاحبته قالت امراة العزيز الان حصحص الحق وظهر وثبت واستقر
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن
ليوسف ببراته ونزاهته واعتراف امراة العزيز على نفسها بانه لم يتعلق بشي مما قرفته به لانهن
خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وهذا
كالتاكيد لما ذكرنا في اول الايه في حقه **قوله تعالى** ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله
لا يهدي كيد الخائنين وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسو الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم
ثم رجع الرسول الى يوسف وهو بعد في السجن فاخبره بكلام النسوة وبراتهن يوسف عن سو وجواب
زليخا وتكذيبها نفسها وتصديقها يوسف قال يوسف ذلك التثبت والتشمر ورد الرسول الى الملك وامتناع
من الخروج لظهور البراة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول
على معنى وانا غايب عنه خفي عن عينه او هو غايب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا بمكان الغيب
وهو الخفا والاستتار وراء الابواب السبعه المغلقه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
فلا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبالعزيز في خيانته امانة الله حين ساعدها
بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا
سدده ثم اراد يوسف ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانه معجبا ومفتخرا
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانه ليس به
وانما هو بتوفيق الله وفضله وعصمته فقال وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسو الا ما رحم ربي
ان ربي غفور رحيم اي ما ابري نفسي من الخطا والزلل ولا اشهد لها بالبراة الكليه لا ان لها ان
النفس لامارة بالسو في كل وقت اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسو ويحمل عليه بما فيه من الشهوات
الا ما رحم ربي بالعصمه ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة
بالسو في كل وقت واوان الا وقت العصمه ويجوز ان يكون استثنا منقطعا اي ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف الاساه وقيل هذا قوله ذلك الى قوله ان ربي غفور رحيم كلام يوسف وهذا من اغمض
ما يكون من الكلام ان يحكي عن شخص شيا ثم يصله بالحكايه عن الاخر ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم
من ارضكم هذا قول الملا قوله فماذا تامرون قول فرعون ومثله وجعلوا اعزة اهلها اذله هذا
قول بلقيس وكذلك يفعلون قول الله ومثله من بعثنا من مرقدنا قول الكفار وقوله هذا ما وعد

الرحمن قول الملايكه وانما يجوز مثل هذا في الكلام لظهور الدلاله على المعنى وقيل فاعل ليعلم الملك
والمعنى ليعلم الملك اني لم اخن العزيز في اهله بالغيب وقيل ليعلم الملك اني لم اخن الملك بالغيب اي لم اخنه
في امراة وزيره وقيل لم اخنه في بنت اخته وكانت زليخا بنت اخت الملك وقيل ليعلم الله اني لم اخنه
نسب العلم الى الله تعالى في الظاهر وهو في المعنى للمخلوقين هو كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم وقيل ذلك من
كلام امراة العزيز اي قالت امراة العزيز ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه في لم اكذب عليه في حال
غيبته وجيت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابري نفسي مع ذلك من الخيانه فاني خنته حين قرفته وقلت
ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها فقالت ان كل
نفس لامارة بالسو الا نفسا رحمها الله بالعصمه كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها
واسترحمته مما ارتكبت **قوله تعالى** وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم
لدينا مكين امين قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم لما تبين للملك عذر يوسف وامانته وعلمه
قال ايتوني بيوسف استخلصه اجعله خالصا لنفسي خاصا بي لا يشاركني فيه غيري فلما جا الرسول يوسف
قال ليوسف اجب الملك الان فخرج يوسف من السجن ودعا لاهل السجن بدعوة تعرف الى اليوم اللهم اعطف
عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحيا وبيت الاحزان وتجربة الاصدقا وشماتة الاعدا ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا وقصد الملك فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي
وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناوه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من
خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره فلما ان نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربيه فقال
له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانيه فقال له الملك ما هذا اللسان قال
لسان ابايي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان فتعجب الملك
منه وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنه فلما راى الملك حداثة سنه قال لمن عنده ان هذا علم تاويل
رويايي ولم يعلمه السحره ولا الكهنه ثم اجلسه وقال ايها الصديق احب ان اسمع روياي منك
شفاها فقال يوسف عليه السلام نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان
كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب [illegible] اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وتعجب
حسنهن اذ نضب النيل وغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر
مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم
كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن
في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك كيف هولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت
واحد واصولهن في الما اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضرات المثمرات
فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا اخر ما رايت من الرويا ثم انتبهت
من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرويا وان كان عجبا باعجب مما سمعته منك فما
ترى في روياي ايها الصديق فقال له يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه
السنين المخصبه وتبني الاهرا والخزاين فتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا
للدواب وتامر الناس فيرفعون من الطعام الخمس فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويايتك
الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن

بجذا او من يجمعه ومن يبيعه ويكفي الشغل فيه فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانه ومنزله
موتمن على كل شي قال يوسف اجعلني على خزاين الارض ولي خزاين ارضك اي خزاين الاموال وخزاين
الطعام اني حفيظ عليم احفظ ما وليتني عليه عليم بوجوه التصرف وقيل حفيظ كاتب عليم حاسب
وقيل حفيظ بما استودعتني عليم بما وليتني وقيل عليم بسني المجاعه وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن اعلم
لغة من ياتيني وقيل حفيظ لتقديره في هذه السنين الجدبه عليم بوقت الجوع حين يقع وقيل حفيظ بما وصل
الي عليم بجبايه المال وصف يوسف نفسه بالامانه والكفايه اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما
قال ذلك ليتوصل الى امضا احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبيا الى العباد
ويعلم ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب يوسف التوليه ابتغا وجه الله لا لحب الملك والدنيا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنه فاقام في بيته عنه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت
امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتاده هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد
سلطان جاير وقد كان السلف يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل
الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن
رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وقال الملك ليوسف اني اريد ان تخالطني
في كل شي سوى باني آنف ان تاكل معي فقال يوسف انا احق ان آنف انا ابن يعقوب اسرايل ابن
اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله وكان الملك ياكل بعد ذلك معه وروي ان العزيز لما اشترى
يوسف وراى لطفه وظرفه دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه فلما اتفق قصة زليخا
مع يوسف قالت للعزيز مره فليتغد مع الغلمان فقال له اذهب فتغد مع الغلمان فقال يوسف
للعزيز تنكف ان تاكل معي انا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه عرض على ابي هريرة الاماره فقال لا افعل ولا اريد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب الاماره لم يعدل فقال عمر رضي الله عنه لقد طلب الامره
من هو خير منك يوسف قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قيل لما مضت السنه
من يوم سال يوسف التوليه على خزاين الارض دعاه الملك فتوجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه كله من استبرق وطول السرير
ثلثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون معرمه ثم امره ان يخرج فخرج
متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفا لون وجهه وقال يوسف
للملك اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا
من لباس ابايي فقال الملك ان لم تلبس التاج فاقبله مني حتى يعلم اني قد فضلتك على نفسي فوضع
الملك التاج راس يوسف كله اجلالا واقرارا بفضله فانطلق يوسف حتى جلس على السرير
ودانت الملوك وفوض الملك اليه امر مصر وعزل العزيز عما كان عليه وجعل مكانه وسلم خزاين
الاموال والطعام وغيره اليه وجعل امره وقضاه نافذا في ملكه وروي انه لما اخرج الملك
يوسف من السجن وبان له ان يوسف كان محبوسا ظلما غضب على العزيز وقال له كيف فعلت
هذا مع هذا العبد المطهر من العيب المنزه من الريب وعزله واخرج زليخا من القصر ثم مات قطفير
في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امراة العزيز زليخا فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت
فوجدها عذرا فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسنا ناعمة كما ترى في دنيا وملك

وكان

وكان صاحبي لا ياتي النسا وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيبتك فغلبتني نفسي فاصابها يوسف فولدت
له ولدين افرايم وميشا وقيل ان زليخا مات زوجها قطفير وافتقرت بعد ذلك في سني الغلا وعميت والرست
فصارت تكفف الناس فمنهم من لا يرحمها ومنهم من يرحمها وتقول لها لو ذهبت الى يوسف العزيز لذكرما سلف
من تربيتك وجادعليك بما يصرف في مصالحك ومنهم من يقول لا تفعلي هذا فانه ربما ذكر بعض ما كان
منك مما تكلمت فيه حين قلت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن وبذكر حبسك اياه ويامر بقتلك فقالت انا
اعلم خلقه منكم اني اعرف من علمه اني اعرف من كرمه ما لا تعرفون ثم تركته حتى ركب في موكبه وكان يوسف يركب
في كل اسبوع موكب زهاه ماية الف من عظما قومه فقامت ونادت باعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدا
بمعصيته وجعل العبيد ملوكا بطاعته فقال يوسف من هذه فاتوا بها فقال لها من انت فقالت
اني التي كنت اخدمك على صدر وقدمي وارجل شعرك بيدي وتربيت في بيتي واكرمت مثواك لكن فرط ما
فرط من جهل وغوى فذقت وبال امري فذهب بالي وتضعضع مالي وتغير حالي وطال ذلي وعمي بصري
وبعد ما كنت مغبوط اهل مصر صرت مرحومهم اتكفف الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وهذا
جزا المفسدين فبكى يوسف بكا شديدا ثم قال هل تجدين ما كان في نفسك من حبك فقالت والله لنظره
الى وجهك احب الي من الدنيا وما فيها ناولني صدر سوطك فناولها فوضعته على صدرها فوجد يوسف للسوط
في يدها اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها ثم مضى الى منزله وقال لها طيبي قلبك سوف ابعث اليك املك
واتزوجك قالت له لا يليق بكبريائك ان تسخر بي فانك تعلم اني كريمة العنصر واني من بنات اشراف الملوك
وقد كنت اخدمك بنفسي وانت ما اردت مني في ايام جمالي كيف تتزوجني بعد تغير حالي وبكت بحرقه فقال
لها اطلبي ما تريدين فقالت له افعل ما يليق بك فتزوجها وبنى على تلك الصوره وحملها الى قصره فقام يوسف
تلك الليله يصلي ويدعو الله باسمه الاعظم وقامت هي خلفه فسال الله تعالى ان يعيد بجرها وشبابها وجمالها
حتى صارت احسن مما كانت يوم راودته عن نفسه اكراما ليوسف لما استعصم وكف عن محارم الله
واقام معها اربعين سنه في اخفض عيش كل يوم يجدد الله لها خيرا ورزق منها ولدين افرايم وميشا
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشا نصيب برحمتنا من نشا ولا نضيع
اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في
دفع المكروه عنه وتخليصه من السجن وتقريبه الى قلب الملك مكنا ليوسف اي اقدرناه على ما يريد في
ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوا منها حيث يشا لم يمنع منه لاستيلايه
على جميعها ودخوله تحت سلطانه نصيب اي نخص برحمتنا وعطايانا من النبوه والملك والغنى
من نشا ولا نضيع اجر المحسنين بصبره في الجب وصبره في الرق وصبره عما دعته اليه المراة
وصبره في السجن ولم يزل يقيم العدل بمصر ويدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم
على يده الملك وكثير من الناس واحبته الرجال والنسا هذا في الدنيا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون من الكفر روي انه لما استوى يوسف على مصر دخلت السنون المخصبه فامر يوسف الناس باصلاح
المزارع وسد الجسور وامرهم ان يتوسعوا في الزراعه فلما ادركت الغله امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهرا
فجمعت فيها في تلك السنه غله ملات المخازن لكثرتها ثم جمعت غلة كل سنه كذلك حتى خلت السنون المخصبه
ودخلت السنون المجدبه فاصاب الناس جوع وجاءت تلك السنون بجوع عظيم لم يعهد الناس بمثله ولما
كان ابتدا القحط فبينا الملك ذات ليله اصابه جوع في نصف الليل فهتف الملك يا يوسف الجوع فقال
يوسف هذا اوان القحط قال بعض اهل التجارب للقحط علامتان احدهما ان النفس تشتهي الطعام
اكثر من العاده ويسرع اليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك وتاخذ من الطعام فوق الكفايه

والثانيه ان يفقد الطعام ويعز الى الغايه فلما دخلت السنة الاولى من سنى القحط هلك فيها كل شى اعدوه فى السنين المخصبه فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباع منهم الطعام فى السنة الاولى بالنقود والدنانير والدراهم حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه ثم باع منهم فى السنة الثانيه بالحلى والجواهر حتى لم يبق فى ايدى الناس منها شى ثم باع منهم فى السنة الثالثه بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها اجمع ثم باع منهم فى السنة الرابعه بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا امه فى يد احد ثم باع منهم فى السنة الخامسه بالضياع والعقار والدور حتى ملكها كلها ثم باع منهم فى السنة السادسه باولادهم ونسايهم فاسترقهم جميعا ثم باع منهم فى السنة السابعه برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حره الا صار عبدا له فقال الناس والله ما راينا ملكا اجل واعظم من هذا فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله ربى فيما خولنى فما ترى لى قال الملك الراى رايك انما نحن لك تبع قال يوسف فانى اشهد الله واشهدك انى قد عتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم روى ان يوسف كان فى تلك الايام حتى لا يشبع من الطعام فقال له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال انى اخاف ان شبعت ان انسى الجايع وامر يوسف ايضا طباخى الملك طعم الجوع فلا ينسى الجايعين ويحسن الى المحتاجين ففعلوا ذلك فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل اوب للميره وكان يوسف لا يبيع الطعام من احد من الممتارين وان كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم واصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط والشده نحو ما اصاب مصر فنزل بيعقوب ما نزل بالناس فقال لاولاده ان بمصر ملكا صالحا فيما زعموا يبيع الطعام ويمير الناس قال اولاده ومنا ان يكون بمصر رجل صالح وهم يعبدون الاوثان فقال يعقوب انتم تذهبون اليه لتشتروا منه الطعام ترفعون اليه دراهمكم ودنانيركم وتاخذون الطعام فما لكم ولدينهم فارسل بنيه الى مصر ليمتاروا وامسك بنيامين اخا يوسف لامه **قوله تعالى** وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ايتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون وجاء اخوة يوسف وكانوا عشره وكان منزلهم بالعربات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل باديه وابل وشاء فلما دخلوا على يوسف عرفهم واخوته له منكرون اى لا يعرفونه لطول عهدهم به ومفارقتهم اياه فى سن الحداثه ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى الجب حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل ان يوسف ما راوه الا من بعيد وبينهم وبينه مسافه وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوايج وقيل راوه على زى فرعون عليه ثياب من حرير جالسا على سرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل كان بينه وبينهم ستر فلذلك لم يعرفوه وانما عرفهم يوسف لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقوده بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن والحق انه تعالى لما اراد ان يبلغ يوسف ما اراد خلق معرفه يوسف لهم فيه ولم يخلق معرفتهم ليوسف فيه وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا وهذا ضعيف فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانيه قال لهم اخبرونى من انتم وما شانكم ومن اين اقبلتم فانى انكر شانكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم عيون جيتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوه بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبيا قال فكم انتم قالوا كنا اثنا عشر فذهب اخ لنا معنا الى البريه فهلك فيها وكان احب الى ابينا منا قال فكم انتم ها هنا قالوا عشره قال فاين الاخر قالوا عند

ابينا

ابينا يتسلى به من الذى هلك لانه اخوه من امه قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد قال فاتونى باخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعدتهم وهى عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركابهم بما جاوا له من الميره وحمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم قال يوسف ايتونى باخ لكم من ابيكم ان كنتم صادقين حتى اصدقكم ودعوا بعضكم عندى رهينه فاقترعوا فاصابت القرعه شمعون وكان احسنهم رايا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم الا ترون انى اوفى الكيل اى اتمه وانا خير المنزلين المضيفين فانه احسن انزالهم وضيافتهم ثم اوعدهم على عدم الاتيان باخيهم فقال فان لم تاتونى باخيكم من ابيكم فلا كيل لكم عندى فليس لكم عندى طعام اكيله لكم بعد هذا ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزا مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتونى به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى اى ولا تقربوا بابى ولا بلادى **قوله تعالى** قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون قالوا اى اخوة يوسف سنراود سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده ونخرجه معنا وقيل نطلبه ونساله ان يرسله معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به ولا نفرط فيه ولنتونا انا **قوله تعالى** وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون وقال يوسف لفتيته قرا حمزه والكسائى وحفص عن عاصم لفتيانه بالالف والنون والباقون لفتيته بالتا بعد اليا من غير الف وهما جمع فتى كاخوان واخوه فى اخ وفعله للقلة وفعلان للكثره اى لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم ثمن طعامهم عن قتاده اوراقهم وعن ابن عباس كانت النعال والادم فى رحالهم اوعيتهم وهى جمع رحل وهو كل شى يعد للرحيل يقال للوعا رحل وللمسكن رحل لعلهم يعرفونها حق التكرم باعطا الثمن والمثمن اذا انقلبوا اذا انصرفوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعه لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل اراد ان يريهم كرمه فى رد البضاعه وبره واحسانه ليكون ادعى الى عودهم اليه وقيل خشى ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مره اخرى فخشى ان يضر اخذ ذلك منهم بابيهم اذ كانت السنه سنة جدب وقحط فاحب ان يرجع اليه وانما اراد ان يتسع به ابوه وقيل راى لوما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها **قوله تعالى** فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون فلما رجع اخوة يوسف الى ابيهم يعقوب قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامه لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال يعقوب لبنيه اذا اتيتم ملك مصر فاقروه منى السلام وقولوا ان ابانا يدعو لك بما اوليتنا ثم قال اين شمعون قالوا ارتهنه الملك واخبروه بالقصه فقال يعقوب لهم ولم اخبرتم الملك قالوا ان الملك اخذنا وقال انتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانيه وقصوا عليه القصه وقالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتونى به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل اى حكم بمنع الكيل بعد هذا ان لم نذهب باخينا بنيامين اليه وقيل منع منا تمام الكيل الذى اردنا فارسل معنا اخانا بنيامين يرفع المانع من الكيل نكتل قرا حمزه والكسائى يكتل باليا اى يكتل اخونا لنفسه فينضم اكتياله لنفسه الى اكتيالنا لنا ويكون اخونا سببا للاكتيال فان منع الكيل بسببه والباقون نكتل بالنون اى نكتال نحن من الطعام ما نحتاج اليه وانا لاخينا لحافظون من كل ما نخاف

حتى نرده عليك وقيل وانا الحافظون عن ان يناله مكروه قوله تعالى قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين قال يعقوب لبنيه هل امنكم على اخيكم بنيامين الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل فانكم قلتم في يوسف وانا له الحافظون كما تقولون في اخيهم ثم خنتموه فما يومنني من مثل ذلك ام ايثق بهم لما كان منهم في حق يوسف ثم قال يعقوب فالله خير قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حافظا بالالف وهو تمييز كما يقال هو خير رجلا والاصل خيركم حافظا كقولك خيرهم رجلا ولله دره فارسا فحذف المضاف اليه ويجوز ان يكون حالا والباقون حفظا بغير الف على المصدر اي خيركم حفظا فتوكل يعقوب على الله في بنيامين ودفعه اليهم وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحم على حفظه ولا يجمع علي بين مصيبتين عن كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله وعزتي وجلالي لارددن عليك كليهما بعد ما فوضت الي قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ولما فتح اخوة يوسف متاعهم اوعيتهم التي حملوها من مصر وجدوا بضاعتهم التي حملوها من كنعان ثمنا للطعام ردوها اليهم وفرحوا بها وقالوا من فضل الملك ما نبغي يجوز ان يكون ما نافية اي ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وقيل ما نطلب منك ما نزود به الى مصر وقيل ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان وقيل ما نكذب فيما نخبرك عن صاحب مصر ويجوز ان تكون ما استفهامية اي اي شي نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا بذلك ان يطيبوا نفس ابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي اي هذه بضاعتنا التي هي ثمن الطعام ردت الينا فهو وهذا من مزيد اكرامنا وباعنا ورد الثمن علينا والجمل بعدها وهي قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير معطوفة على قوله هذه بضاعتنا على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ العوالق وينبغي ان نمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب الى اهلنا الميرة ونحفظ اخانا فما يصيبه شي مما تخافه في ذهابنا ومجيئنا ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على وسق اباعرنا فاي شي نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا او بما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط قال صاحب الكشاف هذا اذا فسر ابتغى بالطلب واما اذا فسر بالتزيد في القول والكذب كانت هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فالجمل الباقية معطوفة على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ العوالق وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ووجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ينطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي قال اخوة يوسف ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم وقيل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شي قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه وقيل ذلك الذي حسبناه كيل يسير لا يقنعنا ويجوز ان يكون ذلك كيل يسير من كلام يعقوب اي قال يعقوب حمل بعير شي يسير لا يخاطر لمثله بالولد كما ان قوله

ذلك

ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب يحتمل ان يكون من كلام يوسف ويحتمل ان يكون من كلام امراة العزيز قوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون قال يعقوب لن ارسل اخاكم معكم ارساله معكم مناف للحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتوني تعطوني موثقا عهدا اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف مما يؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله تعالى في ذلك فهو اذن منه وعن ابن عباس حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين لا تغدروا باخيكم لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا جميعا وعن قتادة الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قال صاحب الكشاف ان يحاط بكم مفعول به والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما اتوه موثقهم اي فلما حلفوا بالله لتأتنني به قال يعقوب الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقيل شاهد حافظ وقيل ضامن القيام على ما اسند اليه ولما اراد بنو يعقوب الخروج من عنده قال لهم يعقوب يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة نهاهم عن الدخول من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وجمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا ابناء رجل واحد مشتهرين لاهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان واحقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم فامرهم ان يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين ولم يوصهم بالتفرقة في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس وللاصابة بالعين اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة ثم قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شي ان اراد الله بكم سوءا لم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من الدخول من ابواب متفرقة وهو مصيبكم لا محالة لان المقدر كائن وان الحذر لا ينفع من القدر ان الحكم والقضاء والامر الا لله عليه توكلت لا على غيره وعلى الله فليتوكل المتوكلون لا على غيره قيل جمع بين الواو والفاء في عطف الجملة على الجملة لما تقدم الصلة وهي عليه قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا اخوة يوسف من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة وكانت لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين ما كان دخولهم متفرقين يغني عنهم من الله من شي صدق الله يعقوب فيما قاله وما اغني عنكم من الله من شي لتعليم الله اياه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة وقيل لا يعلمون ما يعلم يعقوب حيث اصابهم ما جاءهم مع دخولهم متفرقين من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان صواع الملك في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وهي نفقتهم خوف العين او خوف الحسد او حذار ان يلقوا

يوسف وان يعقوب لذو علم اي قوله وما اغني عنكم من الله من شي لتعليم الله اياه بان القدر لا
يغني عنه الحذر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة وقيل لا يعلمون ما يعلم يعقوب
قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا
يعملون ولما دخلوا اخوة يوسف على يوسف قالوا له هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد
جيناك به فقال لهم يوسف احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه
فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم قال انتم عشرة
فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فاوى اليه وانزله في الموضع الذي ياوي فيه وخلى
به دونهم وبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وقال ما اسمك قال بنيامين
قال يوسف ما بنيامين قال ابن الوجع والهلاك لان امي ماتت نفسا قال وما اسم امك قال راحيل
قال يوسف هل لك من ولد قال نعم لي عشر بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال يوسف
لقد اضطرك الى ذلك الحزن شديد فما سميتهم قال بالعا اشكل احر امكرا حيا نعمان اردا رس حيتم مهم
قال يوسف فما هذه الاسماء قال اما بالعا فان اخي ابتلعته الارض واما اشكل فانه كان اخي لابي وامي وفي
سني واما احر فانه خير حيث كان واما امكر فانه كان بكر امي واما حيا فانه كان كثير الحيا واما نعمان فانه كان ناعما
بين ابويه واما ارد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما ارس فانه كان بمنزلة الراس من الجسد واما حيتم
فاعلمني امي انه حي واما مهتم فلو رايته لقرت عيني فقال له يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك قال بنيامين من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا
على خير ولا تعلمهم بشي مما اعلمتك به وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك الهالك فلا تبتئس بما كنت
تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال بنيامين له فانا لا افارقك قال يوسف قد علمت اغتمام
والدي يعقوب بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا اني اشنعك الى ما لا تحمل قال بنيامين لا ابالي
فافعل يا يوسف ما بدا لك قال يوسف فاني ادس السقاية في رحلك ثم انادي عليك انكم لسارقون
ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال بنيامين افعل قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين سوّا وفي
يوسف لاخوته الكيل وحمل لكل واحد منهم بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم امر
بسقاية الملك فجعل في رحل بنيامين والسقاية مشربة يسقى بها وكانت
وهي كانت انا مستطيلا تشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي
يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت مشربة من فضة مرصعة
بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها

والسقاية والصواع واحد ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا وامعنوا ثم امر بهم فادركوا
وحبسوا ثم اذن موذن ثم نادى مناد ايتها العير القافلة انكم لسارقون فسمعوا نداء المؤذن
توقفوا فلما انتهى اليهم المؤذن قال لهم الم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوف كيلكم ونفعل بكم
ما لم نفعل بغيركم قالوا اخوة يوسف واقبلوا على المؤذن وغلمان يوسف ماذا تفقدون وما
الذي ضل منكم وتطلبونه قالوا نفقد صواع الملك ولانه عليها غيرلم ولمن جاء به اظهر الصواع
ورده حمل بعير هذا اداب الناشد في طلب ضالته قال المؤذن وانا بحمل البعير كفيل اوديه
الى من جاء به جعلا له قوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين قال اخوة يوسف تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم لقد علمتم وانما حلفوا على
علم قوم لانهم عرفوهم لما ثبت عندهم من دلايل دينهم وامانتهم في مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم
دخلوا وافواه ركابهم محكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي
منافية لحالنا قوله تعالى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
كذلك نجزي الظالمين قال المؤذن واصحابه فما جزاء الصواع اي سرقته ان كنتم كاذبين في قولكم
وما كنا سارقين قال اخوة يوسف جزاء سرقة الصواع من وجد في رحله فهو جزاؤه بان يسلم من وجد
الصواع في رحله الى المسروق منه ويسترق سنة وكان ذلك حكم السارق في ال يعقوب فلذلك استفتوا
في جزاه وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم المذكور اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كذلك نجزي
الظالمين اي السارقين الذين ياخذون ما ليس لهم من مال غيرهم سرقة قوله تعالى فبدا باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك الا ان يشا الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم لما اعترف اخوة يوسف
بان من وجد في رحله فهو جزاؤه قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى
يوسف فبدا يوسف باوعيتهم قبل وعاء اخيه بنيامين لازالة التهمة فكان يفتش اوعيتهم واحدا
واحدا وروي انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى بلغ
وعاء بنيامين فقال يوسف ما اظن هذا اخذ شيا فقال اخوته والله لا نتركه حتى تنظر في رحله
فانه اطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتح متاعه استخرج يوسف السقاية من وعاء اخيه بنيامين
ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به سقاية وفيما
يتصل بهم صواعا كذلك مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اي علمناه اياه واوحينا به
اليه حتى ضم اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته وقيل مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف
حكمنا ليوسف وقيل كذلك كدنا كما فعلوا في الابتدا بيوسف فعلنا بهم لان الله اخبر عن يعقوب
انه قال ليوسف فيكيدوا لك كيدا فالكيد جزاء الكيد وعن ابن عباس كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا
ليوسف حين ضم اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته بعلة كادها الله له فاعتل يوسف بها
وقيل المراد ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امر يوسف والله نصره وقواه واعلى امره وقيل
المراد من هذا الكيد انه تعالى القى في قلوب اخوته ان حكموا بان جزاء السارق هو ان يسترق لا جرم
لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن يوسف من امساك اخيه عنده
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه وقضايه فان حكم ملك مصر في السارق ان يضرب ويغرم
مثلي ما سرق للمسروق منه لا ان يسترق الا ان يشا الله اي ما كان يوسف ياخذ اخاه الا

بمشيئة الله واذنه فيه اي ان يوسف لم يكن ليتمكن من اخذ اخيه بنيامين من اخوته وحبسه عنده
في حكم لولا ان كدنا له بلطفنا له حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما اجرى الله على السنة اخوته ان جزا
السارق الاسترقاق فاقروا به وابوه وامن انفسهم الرضا بتسليم اخيه اليه وكان ذلك مراد يوسف
نرفع درجات من نشا بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته في العلم وفوق كل ذي علم عليم ارفع
درجة منه في علمه وقيل فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل عن ابن عباس يكون
هذا اعلم من هذا وهذا اعلم من هذا والله تعالى فوق كل ذي علم عليم قرا عاصم وحمزة والكسائي
نرفع بالنون ودرجات بالتنوين والباقون نرفع بالياء ودرجات بالاضافة قال صاحب الكشاف
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق
لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في
صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من
فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم
وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه
لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل
الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية لقوله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من
جلدها ولا يحنث ولقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى
التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما
وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح **قوله تعالى** قالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما
تصفون لما استخرج السقاية من وعاء بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا على بنيامين وقالوا
بنيامين ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء متى اخذت
هذا الصواع فقال بنيامين بنو راحيل الذي لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية
ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم ثم قالوا اخوة يوسف ليوسف ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل ارادوا به يوسف قيل كان يوسف اخذ في صباه صنما لجده ابي امه
فكسره والقاه في الطريق بين الجيف وروي لما ارادت ام يوسف راحيل ان ترتحل من حران
مع يعقوب الى فلسطين والاردن امرت يوسف ان يذهب وياخذ من خابية مطلية بالقار
فيها اصنام لابيها من ذهب فياتيها بها لكي اذا افتقدها ابوها اسلم فانطلق يوسف فاخذها
وجاء بها الى امه وقيل كان لابرهيم عليه السلام منطقة توارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم
وقعت الى ابنة اسحق وكانت اكبر ولد اسحق وكانت راحيل ام يوسف قد ماتت فحضنت عمته بنت
اسحق يوسف واحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع يوسف وقعت محبة
يعقوب عليه فاراد ان ينتزعه منها فقال يعقوب يا اختاه سلمي يوسف الي فوالله لا استطيع
ان يغيب عني ساعة فقالت لا فقال يعقوب فوالله ما انا بتاركه قالت فدعه عندي اياما انظر اليه
لعل ذلك يسليني عنه ففعل يعقوب ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى المنطقة فحزمتها
على يوسف تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فالتمست فلم توجد
فقالت اكشفوا اهل البيت فكشفوهم فوجدوها محزومة على يوسف فقالت والله
انه لي سلم افعل به ما شئت واتاها يعقوب فاخبرته بالخبر فقال لها ان كان فعل ذلك فهو سلم
لك

من ابيه وامه

لك ما استطيع غير ذلك فخلاها يعقوب عندها حتى ماتت وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل
سال سائل يوما فسرق بيضة من البيت فناولها السائل وقيل كان بنو يعقوب على طعام اذ نظر يوسف
الى عرق فخباه فعيروه بذلك وقيل كان يخبا الطعام من المائدة للفقراء فهذا الذي قالوا اخوة يوسف
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها فاضمرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اضمار على شريطة
التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث الضمير لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطايفة
من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال يوسف في
نفسه انتم شر مكانا لان قوله انتم شر مكانا بدل من اسرها ومعنى قوله انتم شر مكانا انتم شر منزلة عند الله
ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف وقيل انتم شر منزلة في السرقة لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم
اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون
قيل كان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال ايها الملك والله لتتركنا او
لاصيحن صيحة لا يبقى امراة حامل الا القت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت
من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غيظه فقال يوسف لابن اصغر
يقال له افرايم بالقبطية قم الى جنب روبيل فمسه فقام الغلام الى جنب روبيل فمسه فذهب
غيظه فقال روبيل لقد مسني يد من بني يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل
وقال يا ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله قال يوسف فانت ان
كنت صادقا **قوله تعالى** قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من
المحسنين فلما حبس يوسف اخاه بنيامين وراى اخوته ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه استعطفوا
اباه بذكر رحم اياه حتى ابيهم يعقوب قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبير السن كبير القدر وان
بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولده قد هلك وانه مستانس باخيه بنيامين
فخذ احدنا مكانه بدلا منه على طريق الاسترهان والاستعباد انا نراك من المحسنين الى الناس
كافة والينا خاصة فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على جميل عادتك ولا تغيرها
قوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون قال
يوسف معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ حذف الفعل واضيف المصدر الى المفعول
به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا اي لا ناخذ احدا الا من وجدنا
متاعنا عنده انا ان اخذنا احدا مكانه اذا لكنا ظالمين فانه وجب على مقتضى فتواكم اخذ من
وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا احدكم مكانه كان ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما تعلمون انه
ظلم هذا ظاهره وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه فلو اخذت غيره من امرني
باخذه كنت ظالما **قوله تعالى** فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد
اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم
الله لي وهو خير الحاكمين فلما ايس اخوة يوسف منه ان يجيبهم الى ما سالوه خلصوا نجيا اي يئسوا
وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي بمعنى المناجي كالعشير بمعنى
المعاشر والسمير بمعنى المسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي
هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة
الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية

اي اذا اما القوم كانوا نجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي
نجوى او فوجا نجيا اي متناجيا للمناجاة بعضهم بعضا وقيل انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم للتناجي وافاضتهم فيه
بجد واهتمام كانهم في صون التناجي وحقيقته وكان تناجيهم لتشاورهم في تدبير امرهم على اي صفة
تذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم قال كبيرهم الم تعلموا يا اخوتي ان اباكم قد اخذ عليكم
عهدا موثقا من الله وهو قوله فلما اتوه موثقهم ومن قبل ما فرطتم ما مصدرية
على ان محل المصدر الرفع على الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وتفريطكم تقصيركم في يوسف
وقع من قبل اخذ الموثق عليكم في بنيامين وقيل محل المصدر النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان
اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وقيل ما موصولة على معنى
ومن قبل اخذ الموثق عليكم فرطتم في يوسف اي قصرتم وضيعتم وقيل مبني على الضم على الغاية فلن
ابرح الارض التي انا بها وهي ارض مصر حتى ياذن لي ابي بالخروج منها والانصراف اليه او يحكم الله لي
بالخروج منها او بالمحاربة او بالانتصاف ممن اخذ اخي وبخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير
الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق **قوله تعالى** ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا
لصادقون قال لهم الذي لم يبرح ارض مصر لسائر اخوته ارجعوا يا اخوتي الى ابيكم فقولوا له يا ابانا
ان ابنك بنيامين سرق صواع الملك وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من استخراج الصواع من
وعائه وليس قولنا ان ابنك سرق شهادة منا بسرقته انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل ما كانت منا
شهادة في عمرنا على شي الا بما علمنا وقيل وما قلنا انه سرق الا بما علمنا من الحكم بان السارق يسترق
وما كنا عالمين بالغيب وهو انه سيسرق حين اتاك موثقنا ويصير امرنا الى هذا او لو علمنا ذلك ما ذهبنا به
وما كنا نحفظ اخانا مما لنا الى حفظه من سبيل وقيل وما كنا للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس
بالصاع في رحله ولم يشعر وقيل معناه لا ندري باطن امر السرقة وقيل لم نعلم انك تصاب به كما اصيب يوسف
وعن ابن عباس الغيب الليل بلغة حمير اي ما كنا نحفظه بالليل فلعلها دست في رحله بالليل وقيل ما نحفظه
اذا غاب عنا وسل القرية التي كنا فيها هي مصر وقيل قرية بالقرب منها لانهم كانوا خرجوا من مصر اي ارسل
الى اهلها وسلهم عن حقيقة القضية واراد اهل القرية فحذف المضاف مجازا من غير اخلال
وقيل ليس هذا حذفا بل هو سل نفس القرية فانه ليس بمستنكر ان يكلمك جدران القرية فانك نبي وسل العير
القافلة التي كنا فيها وكان صحبتهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعا وانا لصادقون
في مقالتنا تاكيد تجري مجرى القسم عرف الكبير الذي لم يفارق ارض مصر ان اخوته اهل تهمة عند ابيهم لما فعلوا
بيوسف ما فعلوا فامرهم ان يقولوا هذه المقالات لابيهم **قوله تعالى** قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر
جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم كبيرهم
قال يعقوب بل سولت زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته
لولا فتواكم وتعليمكم فامري بعد ذلك صبر جميل اي فصبر جميل اجمل واولى عسى الله ان ياتيني بهم بيوسف
واخيه بنيامين واخيه الكبير المحتبس في مصر جميعا انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم في تدبير خلقه
قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما بلغ يعقوب خبر
بنيامين والاخ الكبير المحتبس في مصر جميعا تفاقم حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف واعرض
عن بنيه كراهة لما جاؤوا به وقال يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف
بدل من يا الاضافة اي يا اسفي على يوسف والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير
متعمل

انفسهم ح
في السن وهو روبيل وقيل
وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل
والراي وهو يهوذا ح

فيلطف ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون
من سبا بنبا فقيل قول يعقوب يا اسفا على يوسف شكوى الى الله تعالى لا من الله وقيل انه اراد بالدعا
فالمعنى يا رب ارحم اسفي والحزن من المكروه والبلا لا عيب فيه ولا ماثم اذا لم ينطق اللسان بكلام موثم
ولم يشك الى غير الله وقد روي عن الحسن انه مات اخوه فجزع جزعا شديدا فعوتب فيه فقال ما وجدت
الله عاب على يعقوب حزنه حيث قال يا اسفا على يوسف وعن سعيد بن جبير لقد اعطيت هذه الامة عند
المصيبة ما لم يعط الانبيا قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيها الانبيا لاعطيها يعقوب
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع انما قال يا اسفا على يوسف وانما تاسف يعقوب
على يوسف دون اخوته وان كان المصيبة الجديدة اشد على النفس لانه لم يتيقن بان ما علم موقعه ولان
المصيبة فيه مع تقادم عهده طريا وكان المصيبة في يوسف كانت قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها المصائب
في ولده وكان الاسف عليها اسفا على من لحق به وابيضت عيناه انقلبت عيناه من الحزن الى حال
البياض اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل ضعف
بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء وروي ان جبريل دخل على يوسف فقال يوسف يا جبريل هل لك علم بيعقوب
قال نعم ابيضت عيناه من الحزن قال ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال حزن سبعين ثكلى قال فهل
له على ذلك من اجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ
به الجزع ذلك المبلغ اجيب بان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند شدة الحزن ولذلك حمد صبره وضبط
نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من
الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال لم
ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقا
اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظا مخرج النفس يقال اخذ باكظامه **قوله تعالى** قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال بنو يعقوب له تالله تفتؤ لا تزال تذكر يوسف
لا تفتر من حبه اراد لا تفتا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من
اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه
كانه جعل الفتو والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق
وتقطع حتى تكون حرضا مشرفا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول
العقل واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او العشق او الهرم ومنه قول العرجي اني امرؤ لج بي
حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم والحرض مصدر والصفة حرض يستوي في الحرض الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لانه مصدر وضع موضع الصفة يقال منه رجل حرض وامراة حرض ورجلان وامراتان
حرض ورجال ونسا حرض والصفة حرض بكسر الرا ونحوهما دنف ودنف ومن العرب من يقول للذكر حارض
وللانثى حارضة او تكون من الهالكين الميتين **قوله تعالى** قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون لما راى يعقوب غلظة بنيه وسوء لفظهم قال انما اشكو ا
البث اصعب امرى الذي لا صبر لصاحبه على كتمانه فيبثه الى غيره اي ينشره ومنه باثه امره وامره وابثه

اياه وقيل بث الهم عن القلب باظهاره يقول بثه ما في نفسه وابثه ومعنى انما اشكو اني لا اشكوا
الى احد منكم ومن غيركم اشكوا الى ربي الذي يملك الفرج من البلوى واعتبا له وملجا اليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم اى فتولى عنهم الى الله والشكايه اليه قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب مالي
اراك قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئه اخطيتها فاغفرلي فغفر له فكان بعد ذلك
اذا سيل قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وروى ان الله اوحى اليه انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة
فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيا وان احب خلقي الى الانبياء ثم الايتام ثم المساكين فاصنع طعاما وادع
عليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صايما فليفطر الليله عند ال يعقوب واعلم من الله ما لا تعلمون
عن بن عباس يقول انا اعلم ان رويا يوسف صادقه واني وانتم سنسجد له وقيل اعلم ان يوسف حي وقيل اعلم
من صنع الله ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب قيل لما اخبره اولاده بسيرة الملك
وقوله حسنت نفس يعقوب فطمع وقال لعله يوسف وروى انه راى ملك الموت في منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه فلذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه اى فتعرفوا من يوسف واخيه وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفه
ومنه قالوا للمشاعر الخمس الحواس ولا تياسوا ولا تقنطوا من روح الله من فرج الله وتنفيسه ورحمته
انه لا ياس من روح الله الا القوم الكافرون اى الايمان بالله وبصفاته موجب للمومن وجانوا به من
غير قنوط من رحمته عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود قال يا الهي اسمع الناس يقولون اله ابرهيم
واسحق ويعقوب فاجعلني رابعا قال الله لست هناك ان ابرهيم لم يعدل بي شيا قط الا اختارني
وان اسحق جادلي بنفسه وان يعقوب في طول ما كان لم ييأس من روح الله **قوله تعالى**
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة مزجاة فاوف لنا
الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين فخرج اخوة يوسف من عند يعقوب راجعين الى مصر
حتى وصلوا اليه فلما دخلوا على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة
مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين اى اصابنا واهلنا الشك والجوع
والهزال من الشك والجوع وجينا ببضاعة مزجاة مدفوعه يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل دراهم رديه وقيل زيوف وقيل
بضاعة الاعراب اى الصوف والسمن والاقط وقيل الحبة الخضرا والصنوبر وقيل سويق المقل
وقيل خلق الغرابر فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتفضل علينا بالمسامحه والاغماض عن رداة
البضاعه وقيل زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزياده لا تلزمه صدقه لان الصدقه محظور على الانبيا
وقيل كانت تحل لغير نبينا وسيل بن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم
وقيل وتصدق علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا من السعر وقيل تصدق علينا باخذ متاعنا
وان لم يكن من حاجتك وقيل وتصدق علينا برد اخينا والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان
تصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمه عليهم فلم يتمالك ان عرفهم بنفسه ان الله يجزي المتصدقين
شاهد لذلك لذكر الله وجزايه والصدقه العطيه التي يبتغي بها المثوبه من الله ومنه قول
الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب
قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني **قوله تعالى** قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قيل لما قال اخوة يوسف مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه غلبته نفسه وادركته

الرقه

عز وجل

الرقه وسلبت دموعه ثم باح لهم بالذي كان يكتم قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان لهم حليما
موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفه وجه القبح الذي يجب ان يعرفه التايب اى هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتتوبوا الى الله منه لان علم القبح
يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبه وكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبه وتعييرا
وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى
المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبيا ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما اوزنها
وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علما ولكنهم لم يفعلوا ما تقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل
سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان يبلغوا اوان الحلم والرزانه
وقيل انما قال ذلك حين قرا كتاب يعقوب من يعقوب اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل
الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلا فاما جدي فشدت يداه ورجلاه فالقي في النار
فجعلها الله بردا وسلاما واما اسحق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليقتل ففداه
الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم
وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي من بكاي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به
فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل
صبره فقال لهم ذلك فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه
وجفاوهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاوهم له بانواع الاذى
وقيل انهم كانوا اطلقوا السنتهم على اخيه بسبب الصواع بالسب وقالوا ما رأينا منكم يا بني راحيل
كما ذكر فعاتبهم يوسف على ذلك **قوله تعالى** قالوا اينك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا
اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لما قال يوسف لاخوته هل علمتم
ما فعلتم بيوسف كشف عنهم الغطا ورفع الحجاب فعرفوه فقالوا اينك لانت يوسف قرا ابن كثير
انك على الخبر والباقون اينك على الاستفهام وانما عرفوه لانهم راوا في روايه وشمايله حين كلمهم
بذلك ما شعروا به انه يوسف مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ
ابرهيم لا عن بعض اعزا مصر وعن بن عباس قال لهم يوسف هل علمتم بيوسف واخيه ثم تبسم
وكان اذا تبسم كان ثناياه اللولو المنظوم فلما ابصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا استفهاما
اينك لانت يوسف وعنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قرنه
علامه وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لساره مثلها تشبه الشامه البيضا فلما قال
لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع التاج عنه فعرفوه فقالوا اينك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي بنيامين قد من الله علينا ان جمع بيننا بعد ما فرقتنا انه من يتق ويصبر اداء فرايضه
واجتناب معاصيه ويصبر عما حرم الله عليه وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فان قيل قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن
اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم اجيب بانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه **قوله تعالى**
قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطيين قال اخوة يوسف مقرين بالخطا معتذرين اليه
تالله لقد اختارك الله وفضلك علينا بالعلم والعقل والحلم والفضل والحسن والملك والتقوى والصبر
وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا لخاطيين متعمدين للاثم بما فعلنا بك يقال خطا خطا

عليهما السلام مكتوب يعقوب

ما فعلتم

وخطأ واخطا يخطي اخطا اذا اذنب قيل لابن عباس كيف قالوا انا كنا خاطئين وقد تعمدوا الذلك فقال
اخطاوا الحق وان تعمدوا وكل من اتى ذنبا كذلك يخطي المنهاج الذي عليه من الحق حتى يقع في الشبهة والمعصية
قوله تعالى قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال يوسف وكان حليما
كريما موفقا لا تثريب لا تعيير ولا تعنيف ولا تانيب عليكم ولا عتب والتثريب هو الاستقصا في اللوم
من الثرب وهو شحم قد غشي الكرش والامعا رقيق ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة
الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك الغاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق
الاعراض ويذهب بما الوجوه اليوم ظرف التثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر
اي لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال
يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا
ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم لا استقرار التثريب عليكم او اليوم يغفر الله
لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم دعا لهم من غير مسئلة منهم
وقيل خبر والمعنى كان الله آخذكم بحقي الا ان اصفح وقد صفحت عنكم روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم فتح مكة الحمد لله الذي صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال لقريش ماذا تظنونني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وروي ان ابا سفيان لما جا ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل
فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم
وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم **قوله تعالى** اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين لما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن ابيه فقال
ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات
بصيرا نحو قولك جا البنا محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره قوله واتوني
باهلكم اجمعين اي ياتني ابي ويأتني اله جميعا قيل قميصه الذي كان يلبسه وقيل ذلك القميص من الجنة لا يمسه
ذو عاهة الا صح قيل هو القميص الذي البسه الله ابرهيم من الجنة يوم طرح في النار فكساه اسحق ثم كساه
يعقوب ثم جعله يعقوب في تعويذ وعلقه من جيد يوسف ولم يعلم اخوته بذلك قيل امره جبريل ان يرسله
اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي روي ان يهوذا هو الحامل للقميص قال انا احزنته
بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمل يهوذا القميص وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا **قوله تعالى** ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
لما خرجت العير من عرش مصر متوجهة الى كنعان يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز
حيطانه قال ابوهم يعقوب لولده ولمن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
او جد الله ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من ريح الجنة الا
ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون لولا ان تنسبوني
الى الخرف والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا

تفنيدكم

تفنيدكم اياي لصدقتموني **قوله تعالى** قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم قال اولاد
اولاد يعقوب تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب القديم في افراط
محبتك ليوسف وشغفك بذكره ورجايك لقايه وكان عندهم ان يوسف قد مات **قوله
تعالى** فلما ان جا البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
فلما ان جا البشير وهو المبشر رسالة يوسف الى يعقوب وهو يهوذا بين يدي العير وحمل
يعدو حتى اتى اباه وكان معه سبعة ارغفة لم يستوف اكلها القى البشير القميص على وجه يعقوب
فعاد يعقوب بصيرا بعد ما كان اعمى وقويا بعد ما كان ضعيفا ومسرورا بعد ما كان
حزينا قال يعقوب الم اقل لكم اني اعلم من عظمة الله وجبروته وعزه وقدرته ولطفه
ورحمته على اوليايه ما لا تعلمون من حياة يوسف وبقايه وان الله يجمع بيننا وقيل الم اقل
لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله
ما لا تعلمون كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك ان توقعه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى
الله واعلم من الله ما لا تعلمون روي ان يعقوب لما سال البشير كيف يوسف قال البشير انه ملك مصر
قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة **قوله تعالى**
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
قال اولاد يعقوب عند ذلك ليعقوب يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين مذنبين اي سل
الله لنا مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق يوسف انا تبنا واعترفنا بخطايانا قال يعقوب سوف استغفر
لكم ربي قيل اخر الاستغفار لهم الى صلاة الليل وقيل الى وقت السحر لان الدعا بالاسحار لا يحجب عن الله
وقيل الى ليلة الجمعة توافق ليلة عاشورا وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة قيل طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه عند الشيوخ
الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقول يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم
ربي وقيل قام يعقوب الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي ان بني يعقوب قالوا ليعقوب وقد علتهم الكابة ما يغني عنا عفوكما
ان لم يعف ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ يعقوب القبلة قايما يدعو
وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وعهد مواثيقهم بعدك على النبوة **قوله تعالى**
فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شا الله امنين ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن
بي اذ اخرجني من السجن وجا بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشا انه هو العليم الحكيم قال المفسرون وكان يوسف قد بعث مع البشير الى يعقوب
جهازا ومايتي راحلة وساله ان ياتيه باهله وولده اجمعين فتهيا يعقوب للخروج وخرج معه
جميع اهله وهم اثنان وسبعون من الذكور والاناث فلما دنا يعقوب مصر استاذن يوسف الملك
في تلقي يعقوب فاذن له وامر الملا من اصحابه بالركوب معه فخرج يوسف في اربعة الف من الجند
وخرج معه اهل مصر وقيل ان الملك خرج معهم ايضا وكان يعقوب يمشي متوكا على يهوذا فنظر
الى الخيل والناس فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما لقيه يوسف

يبدأه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب احق بذلك منه وافضل فابتدأ يعقوب بالسلام
فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف لما التقى يعقوب عانق كل واحد
صاحبه وبكيا فقال يوسف يا ابت بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكني
خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم
اثنان وسبعون من الذكور والاناث وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف
فلما دخل يعقوب واهله ارض مصر على يوسف اوى اليه ابويه اي ضمهما واعتنقهما قيل ابواه
ابوه وامه عن الحسن وابن اسحق امه بحي وعن ابن عباس والجمهور ابوه ابوه وخالته لان امه قد
ماتت فتزوجها يعقوب وجعلها احد الابوين لان الرابة اي امراة الاب تدعى اما لقيامها مقام
الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق
قيل وكان دخولهم على يوسف دخولهم مصر حين استقبلهم في مضرب او بيت ثم قد دخلوا عليه فضم
اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر اي استوطنوها ان شاء الله متعلق بامنين لانه لم يثق بانصراف
الحوادث عنهم ولان الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر فلا يدخلون الا بجوارهم اي ان شاء
الله امنين من ملوكها وقيل امنين من القحط وقيل ان شاء الله متعلق بقول يعقوب سوف
استغفر لكم ربي اي ان شاء الله وقيل متعلق بقوله ادخلوا مصر لانه قال لهم حين لقاهم قبل دخولهم مصر
وقيل ان بمعنى اذ اي ادخلوا مصر اذ شاء الله امنين وقيل هذا على وجه التسبيح لقوله عليه السلام
حين دخل المقابر وانا ان شاء الله بكم لاحقون والى هذا المعنى ذهب بعض المفسرين
في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش ولما دخلوا مصر
وجلس يوسف في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه ورفعهما على السرير
وخروا له واخوته ليوسف سجدا فان قيل كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله اجيب بانه كان السجود
عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت
به عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه
لكن خرورهم سجدا اباه وعن الحسن امرهم الله بالسجود له لتاويل الرويا كما امر الملائكة
بالسجود لادم وقال يوسف يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل وهو قوله اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قد جعلها ربي حقا اتاني في اليقظة قيل ما بين
رؤياه وتاويلها اربعون سنة قاله سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد ومقاتل وعن ابن عباس
اثنتان وعشرون سنة وعن الحسين والفضيل بن عياض ثمانون سنة وعن سعيد بن جبير وعكرمة
والسدي ست وثلاثون سنة وعن قتادة خمس وثلاثون سنة وعن ابن اسحق ثمانون سنة وقيل
ثماني عشرة سنة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم
فان في ذكر اخراجه من الجب تذكير اخوته صنيعهم وخزيهم لذلك وتقليع نفوسهم وتحريك
تلك الغوايل وتخبيث النفوس وقيل اخراجه من الجب الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة
هاهنا اوضح وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي
ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان افسد بيني وبين اخوتي واغرى
واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ان ربي لطيف
التدبير لما يشاء انه هو العليم بدقائق الامور وحقائقها والسر والعلانية وبحالي وحال

يعقوب

الجب

ابي

ابي وحال اخوتي الحكيم الفاعل على وجه الحكمة والصواب روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب
فجعل يطوف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والورق وخزائن الحلي والحلل والثياب وخزائن
السلاح وغير ذلك ثم ادخله خزانة القراطيس فقال يعقوب يا بني ما اقل اهتمامك لابيك عندك
هذه القراطيس ولبثت مفارقا مني وما كتبت الي على ثمان مراحل فما الذي صدك عن مكاتبتي قال
يوسف نهاني جبريل عن ذلك قال اوما تسأله قال يوسف انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل ان الله
امرني بذلك قال يعقوب يا جبريل افلا تسأله قال نعم فمضى جبريل فسأل ربه عن ذلك فقال الله قل لعبدي
يعقوب انسيت اليوم الذي قال لك بنوه ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانت قلت اني ليحزنني ان تذهبوا
به واخاف ان ياكله الذيب ولم تذكرني في ذلك الوقت فلا جعلني في ذلك الوقت قال اهل السير اقام
يعقوب بعد قدومه مصر مع يوسف اربعا وعشرين سنة في اغبط حال واهنا عيش ثم مات بمصر فلما
حضرته الوفاة اوصى الى يوسف ان يحمله الى الشام حتى يدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف ذلك ومضى بنفسه
ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة وروي انه نقل يعقوب في تابوت من ساج
الى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا واربعين
سنة فلما جمع الله ليوسف واتم له رؤياه وكان موسعا في ملك الدنيا ونعيمها وعلم انه لا يدوم له طلب
الملك الدائم ونعيما هو افضل منه فتاقت نفسه الى جنة الخلد وملك لا يبلى فتمنى الموت وعن ابن عباس وقتادة لم
يتمن الموت نبي قبله قوله تعالى رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين رب قد آتيتني من الملك ملك مصر ومن للتبعيض لانه لم
يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك وقيل من البيان وعلمتني من تاويل الاحاديث تفسير كتاب الله او علل الانبياء
وقيل تعبير الرويا ومن للتبعيض او للتبيين كالاول فاطر السموات والارض اي خالقهما انت وليي ناصري
ومعيني ومتولي تدبيري في الدنيا والاخرة وقيل انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل
الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما اقبضني على الاسلام مخلصا في الطاعة طلب الوفاة على حال الاسلام
ولان تختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا
للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران
بات عنده فراى ميمون عمر بن عبد العزيز كثير البكاء والمسالة للموت فقال ميمون له صنع الله على يديك خيرا
كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين قال افلا اكون كالعبد الصالح يوسف
لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا بمصر وروي
ان يوسف عاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني عشرة
سنة وقيل مائة وسبع سنين وبين يوسف وبين موسى اربع مائة سنة فلما توفى الله يوسف
تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلته لما يرجون من بركته فاجمعوا
على ذلك حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من الرخام وجعلوه فيه ودفنوه
في النيل حيث يتفرق الماء بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع اهل مصر فيكونون كلهم فيه سواء ففعلوا
وولد افرايم ومنشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى قوله تعالى تلك من
انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون ذلك اشارة الى ما سبق من
نبا يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من انباء الغيب
نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه
الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك ما كنت لدى اخوة يوسف

قال

حين اجمعوا امرهم اى حين عزموا على القا يوسف فى غيابة الجب وهم يمكرون بيوسف ويبغون له
الغوايل وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا لقى فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب
الذى اعجز حملته ورواته لم يقع شبهه فى انه ليس منه وانه من جهة الوحى فاذا انكروه تهكم بهم وقيل
لهم قد علمتم يا مكابره انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخاليه ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذ
قضينا الى موسى الامر **قوله تعالى** وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وما اكثر الناس على العموم
يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين لقوله ولكن اكثر الناس لا يومنون وعن بن عباس اراد اهل مكة
اى وما هم بمومنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم **قوله تعالى** وما تسالهم
عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وما تسالهم على تبليغ الرساله والدعا الى الله تعالى وقيل على القران وقيل
على الانبا والهدايه اجر جعل ومال فيثقلهم ذلك ان هو اى القران الا ذكر عظه وتذكير من الله للعالمين
عامه وحث على طلب النجاه على لسان رسول الله **قوله تعالى** وكاين من اية فى السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون اى وكم من علامه ودلاله على توحيد الله ونعوت جماله وصفات جلاله
فى السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والجبال والشجر والدواب وغيرها يمرون
عليها ويشاهدونها وهم عن تلك الايات معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **قوله تعالى**
وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وما يومن اكثر الناس فى تصديقهم واقرارهم بالله وبانه خلقهم
وخلق السموات والارض الا وهم مشركون بعبادة الوثن اكثر المفسرين على انها نزلت فى الكفار لانهم مقرون
بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم امر شديد دعوا الله وقيل نزلت فى الثنويه وقولهم بالنور والظلمه
والمجوس وقولهم الخير من الله والشر من ابليس وقيل فى النصارى آمنوا ثم اشركوا بالتثليث عن بن عباس نزلت
فى تلبية المشركين وهو قولهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل نزلت
فى المنافقين اظهروا الايمان واسروا الكفر والشرك وعن بن جرير هو كقول القايل لولا الله وفلان
لكان كذا وقيل تقديره وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركين **قوله تعالى** افامنوا ان تاتيهم غاشية من
عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون غاشيه نقمه تغشاهم وقيل عقوبه تغشاهم
وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم من الصواعق نظيره قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
عن قتاده وقيعه عن الضحاك الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعه القيامه بغتة فجاه وهم لا يشعرون
باتيانها عن بن عباس تهيج الصيحه بالناس وهم فى اسواقهم **قوله تعالى** قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين قل يا محمد هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان
والتوحيد سبيلى ومنهاجى وسنتى نظيره قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمه الى دينه ادعوا الى الله على
بصيرة ادعوا الى دين الله على بصيرة حجه واضحه غير عميا انا تاكيد للمستتر فى ادعو ومن اتبعنى عطف
على المستتر فى ادعوا اى ادعوا الى الله على بصيرة ويدعو الى الله من اتبعنى ويجوز ان يكون انا مبتدا
وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على انا اخبار مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة الرفع فى انا ومن اتبعنى وسبحان الله وقل
سبحان الله تنزيه الله عما يشركون وما انا من المشركين مع الله غير الله **قوله تعالى** وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا امرأة لا ملايكه
لانهم قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكه وعن بن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل فى سجاح المتنبئه ولم نرسل

من و

كانوا

انبيا

ابنيا الله ذكرا نا يوحى اليهم من اهل القرى اى من اهل الامصار دون اهل البوادى لان اهل
مصر اعقل وافضل واعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفا والقسوه افلم يسيروا اى هولا المشركين
المنكرين لنبوتك فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اخر الامم المكذبه من قبلهم فيعتبروا
ولدار الساعه او الحال الاخره خير للذين اتقوا خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه بقول الله عز وجل
هذا فعلنا فى الدنيا بالذين اتقوا ان نجيهم من ان ياتيهم غاشيه من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وما
فى الدار الاخره لهم خيرا فلا يعقلون فيعرفوا انها خير فيتوسلوا بالايمان اليها وقيل يقروا القران
فيعرفوا كيف كان حال من كذب الرسل قبلهم يحذر امة محمد صلى الله عليه وسلم من تكذيبه بما وقع بمن كذب
الرسل قبلهم ويحرضهم على السير فى الارض والنظر الى مصارع من اهلكوا قبلهم وافاد دخول الفا فى فينظروا
ان ما قبله يقتضى ما بعده قرا نافع وبن عامر وحفص تعقلون بالتا والباقون باليا **قوله تعالى**
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاهم نصرنا فنجى من نشا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
حتى متعلقه بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم
حتى اذا استيأس الرسل من النصر او من ايمان قومهم وانقطع رجاوهم من صلاح القوم وايمانهم وظنوا
انهم قد كذبوا قرا عاصم وحمزه كذبوا بالتخفيف والمعنى ظن الرسل ان قومهم كذبوهم فيما وعدوهم
من الاجابه الى الايمان وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون وقيل وظن الرسل انهم كذبوا اى كذبهم وجاهم كقولهم رجا كاذب ورجا صادق والمعنى
ان مدة رجا التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم فى الدنيا وعن بن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد
اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا النقل عن بن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر
بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسه وحديث النفس على ما عليه البشريه واما الظن الذى هو رجح
احد الجايزين على الاخر فغير جايز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال
عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقرا الباقون كذبوا بالتشديد على معنى وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما
وعدوهم من العذاب والنصر عليهم جاهم نصرنا من غير احتساب للانبيا والمومنين فنجى من نشا عند
نزول البلا وهم المومنون المطيعون قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزه والكساى فننجى بنونين الاولى
مضمومه والثانيه ساكنه واليا ساكنه وبن عامر وابو بكر وحفص عن عاصم فنجى من نشا مشدده الجيم مفتوحه
اليا بنون واحده على الماضى المجهول اى المومنين نجوا عند نزول العذاب ولا يرد باسنا عذابنا عن
القوم المجرمين المشركين اى واهلكنا الكاذبين حيث لا راد لعذابنا عنهم اذا انزلناه بهم **قوله تعالى** لقد كان
فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شى
وهدى ورحمة لقوم يومنون لقد كان فى قصص الرسل الذين استيأسوا وقيل فى قصص يوسف واخوته
عبرة عظه يعتبر بها من الجهل الى العلم لاولى الالباب لاصحاب العقول السليمه عن وساوس الشيطان
واتباع الهوى وما وجد عليه الابا ما كان قصصهم او القران حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه
اى قبله من الكتب السماويه المنزله على الانبيا صلوات الرحمن وسلامه عليهم وتفصيل كل شى يحتاج اليه من
امور الدين لانه هو الاصل الذى يستند اليه السنه والاجماع والقياس وهدى من الضلاله ورحمه
لقوم يومنون بما جا به سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم

سورة الرعد مكية

وقيل الا ايتين منها قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة

الرسل

الى اخر الايه وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وقيل انها مدنيه وعن ابن عباس انها
مدنيه الا ايتين نزلتا بمكه وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخرهما وقيل المدنى منها
قوله هو الذى يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهى ثلاثة الف وخمسمايه وستة احرف وثمان
مايه وخمسه وخمسون كلمه وثلاثه واربعون ايه بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** المر عن ابن
عباس انا الله اعلم وارى وعنه انا الله الملك الرحمن **قوله تعالى**
تلك ايات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون تلك اشاره
الى ايات السوره والمراد بالكتاب السوره اى تلك الايات ايات السوره الكامله العجيبه فى بابها وقيل
تلك الاخبار التى قصصناها عليك ايات التوريه والانجيل والكتب المتقدمه فتكون تلك اشاره الى ما
مضى من ذكر الاخبار والقصص التى انزلت والذى رفع بالابتدا انزل اليك من ربك صلته الحق خبره
والمعنى والذى انزل اليك من القران كله هو الحق الذى لا مزيد عليه لا هذه السوره وحدها ولما
ذكر تعالى ان الذى انزل اليك من ربك الحق بين ان اكثر الناس لا يومنون على سبيل الزجر والتهديد
عن مقاتل نزلت هذه الايه فى مشركى مكه حين قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه **قوله تعالى**
الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل
مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقا ربكم توقنون ثم بين دلايل ربوبيته وشواهد قدرته
فقال الله الذى الله مبتدا والذى خبره بدليل قوله وهو الذى مد الارض ويجوز ان يكون الذى صفه
وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصر قول من قال ان الذى صفه وقوله يدبر الامر
يفصل الايات خبر بعد خبر ان الكلام السابق فى ذكر ايات الكتاب ووصفها بالكمال فجى بقوله الله
الذى رفع السموات بيانا لكون ايات الكتاب على غاية الكمال وفى ذكر الموصول المشتمل على تلك الاوصاف
العظام اشعار بتعظيم الخبر الذى هو التفصيل والتدبير رفع السموات صلة للذى بغير عمد حال والعمد
جمع عماد كاهب جمع اهاب وقيل جمع عمود والعماد والعمود سارية ودعامه وما يعمد به البناء
ترونها كلام مستانف استشهاد برويتهم للسموات بغير عمد كانه لما قيل رفع السموات بغير عمد قيل ما
الذى يستشهد به لرفع السموات بغير عمد اجيب رويتكم لها غير معموده وقيل ترونها صفه لعمد اى
بغير عمد مرييه والمعنى للسموات عمد فى الحقيقه ولكن تلك العمد هى قدرة الله واستيلاوه وبها
ولا تعرفون كيفيه رفعها بالقدره ثم استوى على العرش بالقهر والقدره والتدبير والحفظ
والمعنى انه من فوق العرش الى ما تحت الثرى فى حفظه وفى تدبيره وفى الاحتياج اليه وسخر الشمس
والقمر ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده كل يجرى لاجل مسمى اى كل واحد من الشمس والقمر يجرى الى
وقت معلوم وهو فنا الدنيا وقيام الساعه التى عندها تكور الشمس وتخسف القمر وتنكدر النجوم
عن ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما منتهيا انهما لا يجاوزانها يدبر امر الكل
وربوبيته بالايجاد والاعدام والاحيا والاماته والاغنا والافتقار ويدخل فيه انزال
الوحى وبعثة الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب على كمال القدره والرحمه لان هذا العالم
من اعلى العرش الى ما تحت الثرى محتو على اجناس وانواع واصناف واشخاص لا يحيط بها الا الله تعالى
والدليل دال على ان اختصاص كل موضع وموضع بصفته وطبيعه وخلقه ليس الا بقدرة الله ولا يخفى
ان من اشتغل بتدبير شى فانه لا يمكنه تدبير شى اخر فانه يشغله شان عن شان والعاقل اذا تامل
فى امر السموات والارض عرف انه تعالى مدبر عالم الغيب والشهاده والملك والملكوت والخلق
والامر والاجسام والارواح والكبير والصغير على ما يليق بكل منها على وجه الصواب ولا يشغله

شان

ولكنكم لا ترونها لان السموات مرفوعه بغير عمد بقدرة الله فيكون عمدها قدرة الله فصح ان تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها اى لها عمد و

شان عن شان ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه فى ذاته وصفاته وعلمه وقدرته متعال
عن مشابهة المحدثات واحد احد صمد ليس له كفو يفصل الايات الداله على وحدانيته وكمال علمه
وقدرته وانه قادر على الاحيا بعد الاماته لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكى تتفكروا وتوقنوا بالمعاد لكم وتصدقوا
بالبعث والنشور **قوله تعالى** وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون لما ذكر الدلايل السماويه اردفها
بذكر الدلايل الارضيه وهو الذى مد الارض جعل الارض ممتده مختصه بذلك المقدار المعين لا ازيد ولا انقص
وقيل المد البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله وهو الذى مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما
كبيرا لا يقع على منتهاه فانه لو كان الارض اصغر حجما مما هو الان عليه لما كمل الانتفاع به ومد الارض لا ينافى كونها
كره لان الارض جسم عظيم والكره اذا كانت كبيره كان كل قطعه منها تشاهد كالسطح وجعل فيها رواسى اى
جبالا رواسى ثوابت واحدها راسيه اى ثابته باقيه فى حيزها غير منتقله عن مكانها يقال منه ارسيت
السفينه وارسيت الوتد فى الارض اذا اثبتهما وانهارا ومن كل الثمرات اى جعل فيها انهارا ومن كل الثمرات جعل
فى الارض زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت والزوج يكون واحدا واثنين والزوج
ههنا واحد وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من
الاصناف المختلفه يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا قرا حمزه والكسايى
وابو بكر عن عاصم يغشى بالتشديد وفتح الغين والباقون بالتخفيف ثم انه تعالى لما ذكر الدلايل البينه والبراهين
الباهره قال ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون قال الامام انه تعالى فى اكثر الامر حيث ذكر الدلايل الموجوده فى
العالم السفلى الى الاختلافات الواقعه فى الاشكال الكوكبيه فلما لم يتم الدلاله على دفع هذا السوال
لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون كانه يقول لمجال الفكر باق بعد ولا بد
بعد هذا المقام من التفكر ليتم الاحتجاج واعلم ان الجواب من هذا السوال من وجهين الاول
ان نقول هب انكم اسندتم حوادث العالم السفلى الى الاحوال الفلكيه والاتصالات الكوكبيه الا انا
اقمنا الدلايل القاطعه على ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكيه بطبعه وصفته وخاصته لا بد وان
يكون بتخصيص المقدر القديم والمدبر الحكيم فقد سقط هذا السوال وهذا الجواب قرره الله تعالى فى هذا
المقام لانه تعالى ابتدا بذكر الدلايل السماويه وقد بينا انها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه
تعالى اتبعها بالدلايل الارضيه فلو قال قايل لم لا يجوز ان يكون هذه الحوادث الارضيه لاجل
الاحوال الفلكيه كان جوابنا ان نقول هب ان الامر كذلك الا انا دللنا فيما تقدم على افتقار الاجرام الفلكيه
الى الصانع الحكيم فحينيذ لا يكون هذا السوال قادحا فى غرضنا والوجه الثانى من الجواب ان نقيم الدلاله
على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث السفليه لاجل الاتصالات الفلكيه وذلك هو المذكور فى الايه
التى بعد هذه الايه ومن تامل فى هذه اللطايف ووفق فى الوقوف عليها علم ان هذا الكتاب اشتمل على
علوم الاولين والاخرين **قوله تعالى** وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان تسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
المقصود من هذه الايه اقامة الدلاله على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث فى هذا العالم لاجل
الاتصالات الفلكيه والحركات الكوكبيه وتقريره من وجهين احدهما انه فى الارض قطع مختلفه مع كونها
متجاوره متلاصقه طيبه الى سبخه وكريمه الى وهيده قليل الخير وصلبه الى رخوه وصالحه للزرع لا للشجر
الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا فى جنس الارضيه فدل هذا على ان هذه الاختلافات بتقدير الاله
القدير العليم الحكيم وارادته وثانيهما ان جنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان رفعها ابن كثير وابو عمرو

البصر

جعل منقطعها ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون اوما يعرف منه بحسب المعنى والسبب فيه ان النافع يسندون حوادث العالم السفلى و

وابو عمرو وحفص عن عاصم عطفا على جنات وكسرها الباقون عطفا على الاعناب والصنوان جمع
صنو وهي النخلات جمعهن اصل واحد فيكون الاصل واحدا ويتشعب منه الروس فتصير نخلا صنوان
مجتمع وغير صنوان متفرق والصنو المثل ومنه قيل عم الرجل صنو ابيه ولا فرق بينهما في التثنيه والجمع
الا بكسر النون فيها وفتحها فيه مع التنوين تسقى بما واحد قراه عاصم وابن عامر باليا على معنى يسقى ذلك
كله بما واحد والباقون بالتا لقوله جنات ثم ان تلك الثمار تراها مختلفة في الاشكال والالوان
والطعوم والروايح متفاضله فيها حتى انك تاخذ عنقودا من العنب فتكون جميع حباته
حلوه نضيجه الا الحبه الواحده فانها بقيت حامضه يابسه فتكون داله على انها باختيار فاعل
مختار قادر عليم حكيم لا بسبب الاتصالات الفلكيه والطبايع العنصريه فان نسبة الطبايع والاتصالات
فعند هذا يتم الدليل ولا يبقى بعده للفكر مدخل فلهذا السبب قال ههنا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
لانه لا دافع لهذه الحجه الا ان يقال ان هذه الحوادث السفليه حدثت لا لموثر وذلك لا يقوله من له
عقل لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث ضروري فعدم العلم يستلزم عدم العقل الى الكل على
السوا قرا حمزه والكسائي يفضل باليا ردا على قوله يدبر ونفصل ويغشي والباقون بالنون بمعنى ونحن نفضل
بعضها على بعض في الاكل في الثمر الذي يوكل وقيل الاكل المهيا للاكل وهو عام في جميع المطعومات قرا ابن كثير
ونافع بسكان الكاف في جميع القران والباقون بضمها **قوله تعالى** وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا انا لفي
خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث والنشور فقولهم عجب حقيق بان تتعجب منه لان من قدر على
خلق ما عدد عليك من الفطر العظيمه ولم يعي بخلقهن كانت الاعاده اهون شي عليه وايسر فكان انكارهم
عجبا اذا كنا ترابا انبعث وحذف نبعث لان قوله لفي خلق جديد يدل عليه وعن ابن عباس وان تعجب
من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا بانك من الصادقين فهذا العجب وقيل معناه وان تعجب يا
محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا بعد ما عرفوا الدلايل الداله على التوحيد فهذا العجب
اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم
والاغلال جمع الغل وهو ما يجمع اليدين والعنق في القيد والتعذيب قيل انها اغلال
يوم القيامه وقيل انها الاعمال التي هي الاغلال وقيل وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد وقيل هو من جمله الوعيد **قوله
تعالى** ويستعجلونك بالسيئه قبل الحسنه وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفره
للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تاره
بعذاب القيامه وتاره يهددهم بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيمه انكروا
القيامه والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم في الاولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا
قالوا له فجينا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على سبيل الطعن فيه واظهار
ان الذي يقوله كلام الاصل فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم يستعجلونك وقيل انها نزلت في هذا
مكه سالوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزا منهم بذلك قال ابن عباس وعن عباده
في مشركي العرب وعن مقاتل في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
اي ويستعجلونك يا محمد بالسيئه بالعذاب قبل الحسنه قبل العافيه وعن قتاده بالشر قبل
الخير وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات على امثالهم من الامم الذين عصوا ربهم وكذبوا
رسلهم فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزوا والمثلات واحدتها مثله بفتح الميم وضم الثا نحو

صدقه وصدقات والمثلات بضم الميم والثا جميعا واحدتها مثله بضم الميم وسكون الثا مثل
غرفه وغرفات وسمي العقوبه مثله ومثله لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثله فاعتدوا
بمثل ما اعتدى وجزا سيئه سيئه ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه المثال
القصاص وان ربك لذو مغفره للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى
ظالمين انفسهم عن ابن عباس لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وانه لشديد العقاب للمصرين على الشرك
وعن مقاتل لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب وانه لشديد العقاب اذا عذب وقيل
لذو مغفره للناس على ظلمهم ما لم يكن شركا وقيل على ظلمهم بالتوبه وقيل على ظلمهم على الصغاير **قوله
تعالى** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه ايه من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد لم يعتدوا
بالايات المنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا ولم يعدوها معجزه واقترحوا ايات موسى
من انقلاب العصا حيه وضرب الطريق في البحر يبسا وعيسى من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر مخوف لهم من سو العاقبه ليس عليك الا ابلاغ الرساله
وانذار الكفار وصحه ذلك ثابته بايه ايه كانت والايات كلها سوا في صحه الدعوى بها لا تفاوت
بينها ولكل قوم هاد يهديهم الى الصراط المستقيم ويدعوهم الى الدين وقيل ولكل قوم هاد يهديهم
الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهدايه وبايه خص بها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في
ايات مخصوصه وقيل لكل قوم هاد هو الله والمعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون
فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر
عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالايمان وهو الله ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه
وتقديره للاشيا على مقتضى مشيته ان اعطاه كل منذر ايات خلاف ايات امر مدبر بالعلم النافذ
مقدر بالحكمه الربانيه والمشيه الالهيه ولو اراد اجابتهم الى مقترحهم لاجابهم يفعل الله ما يشا
ويحكم ما يريد ولا يسال عما يفعل **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد
وكل شي عنده بمقدار عالم الغيب والشهاده الكبير المتعال سوا منكم من اسر القول ومن جهر به
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قيل لما حكى الله عن المشركين انهم طلبوا ايات اخر غير ما اتى
به الرسول صلى الله عليه وسلم بين انه تعالى عالم بجميع المعلومات فيعلم من حالهم انهم طلبوا
الايات الاخرى للاسترشاد او طلب البيان او لاجل التعنت والعناد وهل ينتفعون بظهور
تلك الايات او يزدادوا اصرارهم واستكبارهم فلو علم انهم طلبوا لاجل الاسترشاد ومزيد الفايده
لاظهره الله تعالى وما منعهم عنه لانه تعالى لما علم انهم لم يقولوا ذلك الا لاجل محض العناد لا جرم
انه تعالى منعهم عن اعطايه وهو قوله ويقولون لولا انزل عليه ايه من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا
وقيل متصل بقوله ويستعجلونك بالسيئه قبل الحسنه والمعنى انه عالم بجميع المعلومات فهو تعالى
انما ينزل العذاب حسب ما يعلم ويريد الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا الله مبتدا ويعلم خبره
وعلى تقدير ان يكون هاد هو الله يكون المعنى هو الله تفسير الهاد ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل
انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصوله واما مصدريه فان كانت موصوله فالمعنى
انه يعلم ما تحمله من الولد اذكر هو ام انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير وغير ذلك
من الاحوال الحاضره والمنتظره ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه والغيض النقصان يقال
غاض الما وغضته انا لازما ومتعديا ومنه قوله تعالى وغيض الما والمراد بالنقصان السقط
والخديج وما تزداد الارحام اي ما خذ زايدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا

من الانبيا

تعالى

ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وقيل ازداد نقصان مدة الحمل فيأتي لستة اشهر وازدياد مدة الحمل فانها قد تكون ازيد على تسعة اشهر الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم تغيض ويكثر وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة روي ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا وقيل كلما حاضت على حملها يوما ازدادت في طهرها يوما حتى تستكمل تسعة اشهر طهرا ومعنى حاضت على حملها رات دما وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شي من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين وكل شي عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد بالعندية العلم والمعنى انه تعالى يعلم كمية كل شي وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع التغير في تلك المعلومات ويحتمل ان يكون المراد بالعندية انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيته الازلية وارادته السرمدية وقوله وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم بمقدار بقدر وقيل بمقدار بقدر وحد لا يجاوز ولا ينقص عنه كقوله انا كل شي خلقناه بقدر ثم قال عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن خلقه وما شهده فالغيب مصدر اريد به الغايب والشهادة مصدر اريد به الشاهد الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعال المستعلي على كل شي بقدرته او الذي تعالى عن مشابهة المخلوقات في ذاته وصفاته وافعاله او المتعالي عما يقول المشركون قرا ابن كثير المتعالي باثبات اليا في الوقف والوصل والباقون بحذف اليا في الحالين ثم انه تعالى اكد كونه عالما بكل المعلومات فقال سوا منكم من اسر القول ومن جهر به لفظ سوا يقتضي اثنين وهو مصدر والمعنى ذو سوا وقيل سوا بمعنى مستو فلا حاجة الى الاضمار ولكن سيبويه يستقبح ان يقول مستو زيد وعمرو والمعنى ذو سوا منكم او مستو منكم من اسر القول اي اخفاه وكتمه ومن جهر به اي اعلنه واظهره والمعنى ان السر والجهر في علمه سوا ومن هو مستخف بالليل اي مستتر يتوارى في ظلمة الليل وسارب بالنهار اي ظاهر متصرف في حوايجه بالنهار والمعنى سوا عنده من استخفى اي طلب الخفا في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف ليتناول معنى الاستوا المستخفي والسارب فانه لو كان سارب عطفا على من هو مستخف بل على مستخف يلزم ان يتناول الاستوا واحدا هو مستخف وسارب فلا يصح اللهم الا ان يجعل من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان فيصح عطف سارب على مستخف كانه قيل سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال له اي لله عز وجل معقبات اي ملايكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة الليل اعقبتها ملايكة النهار واذا صعدت ملايكة النهار اعقبتها ملايكة الليل والمعقبات جمع معقبة بني على تفعل للمبالغة وهم الحفظة الكرام البررة على كل انسان ملكان بالليل وملكان بالنهار وقيل عشرة بالليل وعشرة بالنهار وقيل معقبات جماعات من الملايكة تتعقب في حفظ الانسان وكلاته والاصل معتقبات فادغمت التا في القاف كقوله وجا المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز ان يكون مفعلات من عقبه اذا جا على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما تكلم به فيكتبونه وقيل الضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب وعن ابن عباس هم الحرس والرجال

يتعاقبون

يتعاقبون على الامر من بين يديه ومن خلفه من قدامه ومن وراه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعايهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجا ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقيل الضمير في له يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم اي لمحمد صلى الله عليه وسلم له معقبات من الله يحفظونه عن الاعدا وذلك حين هم به اربد وعامر بن الطفيل فكفاهما الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضا واذا اراد الله بقوم سوا عذابا وهلاكا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ملجا يلجاون اليه وقيل من وال يمن يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشي السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال لما خوف الله العباد بانزال ما لا مرد له اتبعه بذكر هذه الايات الدالة على قدرة الله وحكمته وهي تشبه النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه هو الذي يريكم البرق خوفا للمسافر يخاف اذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته وقيل خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث وقيل خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعا لمن يرجو الانتفاع به وقيل خوفا من العقاب وطمعا للثواب خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل نعم لو قدر حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا يصح ان يكونا مفعولا لهما ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من المخاطبين اي خايفين وطامعين وينشي يبدي وينشي السحاب قيل هي اسم الجنس الواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونسا كرام وهي الثقال بالما ويسبح الرعد بحمده قيل معناه ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وقيل الرعد الصوت المسموع وانما خص الرعد بالتسبيح لانه من اعظم الاصوات واخبار عن الصوت بالتسبيح مجاز لان التسبيح والتقديس ليس الا وجود لفظ دال على انه تعالى مقدس ومنزه عن النقص والحدوث والامكان ولا يخفى ان حدوث هذا الصوت دال على وجود موجود متعال عن النقص والحدوث والامكان فيكون بمثابة التسبيح وهذا معنى قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وعن طايفة من المتصوفة ان الرعد صعقات الملايكة والبرق زفرات افيدتهم والمطر بكاوهم والملايكة من خيفته اي ويسبح الملايكة من خوف الله وهيبته واجلاله عن ابن عباس يخافون الله وليس كخوف ابن ادم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله شي ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا كما اصاب اربد بن ربيعة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى رجل من طواغيت العرب ليدعوه الى الله عز وجل ورسوله فقال اخبرني عن رب محمد هذا الذي يدعوني اليه ما هو ومما هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس فاستعظم المبعوث مقالته وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما رايت اكفر

قلبا ولا اعتى على الله منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع اليه فرجع اليه فبينا هو عنده ينازعه
ويدعوه ويعظم عليه وهو يقول هذه المقالة اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهما فرعدت وبرقت
ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهو جالس فجاء يسعى ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبله قوم من اصحاب
رسول الله فقالوا له احترق صاحبك قال من اين علمتم قال اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وهم
يجادلون ذكر الله تعالى علمه المحيط بكل شيء واستواء من هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار عنده وما دل على
وحدانيته وقدرته ثم قال وهم اي الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكروا اياته يجادلون
في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث واعادة الخلايق بقولهم من يحيي العظام وهي
رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد وجعلوه ممن يولد بقولهم الملائكة بنات الله فهذا
جدالهم في الله بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والواو في قوله وهم يجادلون
يصلح لعطف الجملة على الجملة وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد
اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل
قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة
فقتله اخبرني عن ربي امن نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال شديد القوة وقيل شديد الغضب
وقيل شديد الاخذ والانتقام وقيل شديد العداوة وقيل شديد الاهلاك بالمحل اي القحط وقيل
شديد العقوبة والمحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا
وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد
لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون **قوله تعالى** له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا
يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال
له اي لله دعوة الحق قيل انها كلمة التوحيد اي لا اله الا الله فاضيف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض
الباطل كما تضاف الكلمة الى الحق في قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها
بمعزل من الباطل وقيل اضيف الدعوة الى الحق الذي هو الله سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع
فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء الى الله دعوة الحق والذين اي المشركون الذين يدعون الاصنام
ويعبدونهم من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء لا يجيبونهم بشيء يريدونه من الاصنام من نفع او دفع الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه
ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ولا يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم
ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف
الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم تبلغ طلبته من شربه وما دعاء الكافرين
الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لان اصواتهم محجوبة عن الله وان دعوا الالهة لم تستطع
اجابتهم **قوله تعالى** ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
ولله يسجد قيل المراد بالسجود وضع الجبهة على الارض وفيه وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما
الا ان المراد به الخصوص وهم المومنون فبعض المومنين يسجدون لله طوعا بسهولة ونشاط ومن المسلمين
من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه مع انه يحمل نفسه على اداء تلك الطاعة كرها وثانيهما ان المراد منه العموم
والمعنى يجب على كل من في السموات والارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع وقيل طوعا اي الملائكة
والمومنون وكرها اي المنافقين والكافرين الذين اكرهوا على السجود بالسيف وقيل المراد بالسجود الانقياد والخضوع

اي ولله ينقاد من في السموات والارض لاحداث ما اراده فيهم من ايجاده واعدامه شاؤوا او ابوا لا يقدرون
ان يمتنعوا عليه لان تاثيره نافذ فيهم في طرفي الوجود والعدم وذلك هو السجود بمعنى الانقياد وقيل
المراد بقوله طوعا او كرها ان الحوادث منها ما يميل الطبع الى حصوله ومنها ما ينفر الطبع عنه كالجنون
والفقر والعمى والمرض وجميع المكروهات والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه ولا قدرة لاحد على
الامتناع والمدافعة وظلالهم عن ابن عباس ظلال الساجدين طوعا او كرها يسجد لله حين يفيء ظل احدهم
عن يمينه او شماله عن الكلبي انه يسجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله وعن مجاهد ظل المومنين يسجد
طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقيل المراد من سجود الظلال ميلانها من جانب
الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها فهي منقادة مستسلمة في طولها
وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال
تطول في هذين الوقتين وقيل الغدو مصدر وقيل جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل
وقيل جمع اصل واصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى المغرب وقيل ظلالهم اشخاصهم وكرر لان الاول
للقلوب والثاني للاشخاص **قوله تعالى** قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد
القهار لما بين انه لله يسجد من في السموات والارض عاد الى الرد على عبدة الاصنام فقال يا محمد للمشركين
من رب السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق فانهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله اي هو الله
كما قلتم قيل وان اجابوك والا قل الله اذ لا جواب غير هذا قيل لما كان هذا الجواب جوابا يعترف به المسؤول
ولا ينكره امر عليه السلام ان يكون هو الذاكر لهذا الجواب تنبيها على انهم لا ينكرونه البتة
قال صاحب الكشاف قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات
والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
الله وهذا كما يقال المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره
تقريرا عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا
اي ان لغوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه ثم قل لهم الزاما للحجة افاتخذتم
ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء اي الاصنام فعبدتموها من دون الله
فجعلتم ما يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم
على الخالق الرازق الضار النافع المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ثم ضرب الله لهم مثلا فقال هل
يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل بهذه الحجة كالاعمى والعالم بها كالبصير والجهل بهذه الحجة
كالظلمات والعلم بها كالنور كما ان الكافر لا يستوي والعالم بها المومن قرا حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم يستوي الظلمات بالياء والباقون بالتاء اكد هذا البيان فقال ام جعلوا بل اجعلوا
ومعنى الهمزة الانكار شركاء خلقوا صفة لشركاء اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل
خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا اقدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة
فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الحق الخالق قل الله
خالق كل شيء اي شيء لا خالق غيره ومحال ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة

وهو الواحد المتوحد بالربوبيه القهار لا يغالب وكل شي مربوب مقهور قوله تعالى انزل
من السما ما فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغا
حليه او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اوليك لهم سو الحساب وماواهم جهنم وبيس
المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب لما شبه المومن
والكافر بالاعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للحق والباطل مثلين فقال انزل من
السما ما فسالت اودية بقدرها مثل الحق واهله بالما الذي انزله من السما فسالت به اودية
الناس بقدرها الكبير بقدره والصغير بقدره فاحتمل ورفع السيل الذي حدث عن ذلك
زبدا رابيا عاليا مرتفعا فوق الما فالما الباقي الصافي النافع هو الحق والذاهب الباطل
فالما هو مثل القران لما فيه من حيوة القلوب وبقا الشرع والدين والاوديه مثل للقلوب
ومعنى بقدرها على سعة القلب وضيقه فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه فتدبر فيه فظهرت ثمرته
وادرك تاويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة وسهادونه بطبقات والزبد مثل للشكوك
والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله ودفعهم اياه فهذا احد مثلي الحق والباطل والاوديه جمع
واد قال ابو علي الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعله وشبهه ان يكون ذلك لتعاقب فاعل وفعيل
على الشي الواحد كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير ثم ان فاعلا يجمع على افعال كصاحب
واصحاب وطاير واطيار وفعيلا يجمع على افعله كجريب واجربه ولما كانت المناسبه
حاصله بين فاعل وفعيل جمع الفاعل جمع فعيل وادواوديه وجمع الفعيل جمع فاعل فقيل
شريف واشراف ويتيم وايتام وقيل نظيره وادواوديه ناد واندية والوادي هو الفضا
المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل وانما قال اوديه على سبيل التنكير لان الما النازل
من السما لا ينزل الى على طريق المناوبه بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض
ومعنى قوله بقدرها انه ان صغر الوادي قل الما وان اتسع كثر الما وقيل معناه بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
لانه ضرب المطر مثلا للحق وجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضره ولا يكون كبعض الامطار
والسيول الجواحف فقوله سالت اوديه اي سالت مياه الاوديه ومن حق الما ان يستقر في
الاوديه المنخفضه عن الجبال والتلال بقدر سعة تلك الاوديه وضيقها واذا زاد على
قدر الاوديه انبسط على الارض ومن حق الزبد الذي يحمله الما فيطفو ويعلو عليه ان
يبطل فانزل الله من سما الكبريا والجلاله ماسا من القران والاوديه قلوب العباد شبهها بها
لان القلوب تستقر فيها انوار علوم القران كما ان الاوديه تستقر فيها المياه النازله من السما
وكما ان كل واد يحصل فيه من المياه النازله من السما بقدر سعته او ضيقه كذلك كل قلب يحصل فيه
من انوار علوم القران ما يحتمله ويليق به بحسب طهارته وقوة فهمه وكما ان الما يعلوه زبد يزول
ويضيع ويبقى الما الصافي لذلك انوار علوم القران يقارنها زبد الشكوك والشبهات ثم انها
تضمحل وتزول وتضيع ويبقى العلم والدين والحكمه والمكاشفه فهذا احد مثلي الحق والباطل
والمثل الاخر قوله تعالى ومما توقدون قرا حمزه والكسايي وحفص يوقدون باليا والباقون
بالتا والمراد بما توقدون الفلزات كالذهب والفضه والشبه والصفر والنحاس والرصاص
والحديد

الزايل
الذي يتعلق بالاشجار
وجوانب الاوديه هو
الباطل فقيل لجمع الجسر
على ان هذا مثل ضربه الله
للقران والعلق والحق
والباطل

والحديد يذاب فيتخذ منه الاشيا مما ينتفع به من الحلي والاواني وغيرهما زبد مثله اي مما توقدون
عليه النار له زبد اذا اذيب مثل زبد السيل فالباقي الصافي من هذه الجواهر اذا اذيبت مثل
الحق والزبد الذي لا يبقى ولا ينتفع به مثل الباطل لان المعنى واما ما ينفعهم من الما والفلز فذكر
وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحليه والمتاع وقوله ومما توقدون عليه
في النار ابتغا حليه او متاع عبارة جامعه لانواع الفلز مع اظهار الكبريا في ذكره على
وجه التهاون كما هو بحري الملوك نحو ما جاء في الذكر الاخر او قد لي يا هامان على الطين
ومن لابتدا الغايه اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الما وقيل للتبعيض اي وبعضه زبد كذلك
يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الله مثل الحق والباطل فاما الزبد الذي علا السيل
وما يوقدون النار عليه فيذهب جفا سريعا متفرقا بحرم السيل اي يرمي به فقيل الجفا ما رمى به
السيل الى حسانه يقال جفاته اذا اصرعته وقيل جفا بالما متفرقا يقال جفات الريح الغيم اذا
فرقته وذهبت به واما ما ينفع الناس من الما وما توقدون عليه النار فيمكث في الارض ليشرب
منه الحيوان ويزرع به فيكون به معاش الخلق وانتفاع الناس بالحلي والامتعه ظاهر كذلك
يضرب الله الامثال للذين اللام متعلقه بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين
استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفه لمصدر استجابوا لربهم
الاجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد للذين لم يستجيبوا وقيل كذلك يضرب الله
الامثال تم الكلام ها هنا ثم استانف فقال للذين استجابوا لربهم الحسنى اي الجنه والذين
لم يستجيبوا لو انهم لهم فالحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى للذين استجابوا المثوبه الحسنى
التي هي الجنه والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما في حيزه خبره اي لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا
معها مثله لافتدوا به ليبذلوا الفدا عن انفسهم عذاب الله وتقديره لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه وقبل الفدا لافتدوا به اوليك لهم سو الحساب المناقشه والمقايسه بالاعمال
عن النخعي هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شي وماواهم مرجعهم جهنم وبيس المهاد المستقر جهنم
افمن يعلم دخلت همزة الانكار على الفا في قوله افمن يعلم لانكار ان يقع شبهه بعد ما ضرب من المثل في ان حال
من يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين
الزبد والما الصافي والخبث والابريز الخالص وما في قوله انما بمعنى الذي انزل اليك من ربك صله والموصول
مع الصله اسم ان والحق خبره اي افمن يعلم ان القران الحق فيومن به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى عنه لا يعلمه ولا يعمل به
شتان ما بينهما قيل نزلت بمثله في حمزه وابي جهل انما يتذكر اولوا الالباب اولوا العقول الخالصه عن شايبه
الوهم والتقليد واتباع الهوى ووساوس الشيطان قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سو الحساب والذين
صبروا ابتغا وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيه ويدرون بالحسنة السيئه
اوليك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم والملايكه يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قيل الذين يوفون صفه لاولي الالباب وقيل الذين
يوفون مبتدا خبره اوليك لهم عقبى الدار بعهد الله بما امرهم الله به وفرضه عليهم فلا يخالفونه الى ما نهاهم
عنه وقيل عهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهاده بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى ولا ينقضون ما عهد اليهم يوم الميثاق وقيل ما عهد اليه في الكتب المتقدمه وقيل ما في جبلتهم
وعقولهم وقيل كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله

وبين العباد تعميم بعد تخصيص عن قتاده ان الله تعالى لم يتقدم في ذنب ما تقدم في نقض هذا الميثاق
لقد ذكره في بضع وعشرين ايه تقدمه ونصيحه وعظه والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام
والقرابات والنصرة وتدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المومنين الثابته بسبب الايمان انما المومنون
اخوه بالاحسان اليهم بحسب الطاقه ونصرتهم والذب عنهم والشفقه عليهم والنصيحه لهم وطرح التفرقه
من انفسهم وبينهم وافشا السلام عليهم وعياده مرضاهم وشهود جنايزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقا في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهره والدجاجه ويخشون ربهم
ويخشون عقابه ويعظمونه ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس والاموال والاولاد ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم
طلب رضى الله وتعظيمه لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واورعه عند الزلازل ولا ليعاب بالجزع
ولئلا يشمت به الاعدا القوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طايل تحت الهلع ولا مرد فيه للفايت واقاموا
الصلوة وانفقوا واقام الصلوة وانفاق بعض ما رزقهم وان كانا داخلين في الجمله الاولى الا انه
تعالى افردهما بالذكر لشرفهما ويجوز دخول النوافل فيه ايضا عن الحسن المراد الزكوة المفروضه
فان لم يتهم بتركه ادا الزكوه فالاولى اداوها سرا وان صار متهما بترك ادا الزكوة فالاولى اداوها علانيه
وقيل يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرايض لوجوب المجاهره بها نفيا للتهمه وقيل السر ما يوديه
المتصدق المزكي والعلانيه ما يوديه الامام ويدرون بالحسنه السيئه اي يجازون الاساة
اليهم الاحسان منهم كما يقال يجزون من ظلم اهل الظلم مغفره ومن اساة اهل السو احسانا عن
ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وقيل يدرون بالتوبه الذنب وقيل يدفعون
العذاب بالصدقه وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره اوليك لهم عقبى الدار العاقبه الحسنه
وقيل عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنه لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع
اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها قرا ابن كثير وابو عمرو يدخلونها بضم
اليا وفتح الخا على ما لم يسم فاعله والباقون بفتح اليا وضم الخا ومن صلح عطف على الضمير المرفوع
في قوله يدخلونها فيكون في محل الرفع ويجوز ان يكون نصبا كما تقول قد دخلوا وزيدا اي مع
زيد عن ابن عباس يعني من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج بين الله
تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحه بل الابا والازواج والذريات
لا يدخلون الجنه الا بالاعمال الصالحه والصحيح ما قاله ابن عباس لانه تعالى جعل من ثواب
اوليك المذكورين سرورهم بما يرونه في اهليهم من الحاقهم بهم في الجنه كرامة لهم لقوله الحقنا
بهم ذرياتهم ولو دخلوها باعمالهم الصالحه لم يكن في ذلك كرامة لهم ولا فايده في الوعد به اذ كل
من صلح في عمله يدخل الجنه والملايكه يدخلون عليهم من كل باب من ابواب البر كباب
الصلوه وباب الزكوه وباب الصبر سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قايلين سلام
عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم اي هذا الثواب بسبب
صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتابعته هذه الملاذ والنعم والمعنى لين تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهدا على راس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قيل يجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

ويفسدون في الارض اوليك لهم سوء الدار من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويفسدون في الارض بالكفر والظلم ولهم سوء
الدار قيل سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابله عقبى الدار وقيل الدار جهنم وسوءها عذابها **قوله
تعالى** الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخره
الا متاع قيل لما حكم الله تعالى على الذين ينقضون عهد الله بان لهم اللعنه في الدنيا وسوء
الدار في العقبى ورد شبهه بانهم لو كانوا اعدا الله لما فتح الله عليهم ابواب النعم واللذات في الدنيا
فاجاب عنه بهذه الايه الله وحده هو يبسط الرزق لمن يشا يوسعه والبسط مباعدة اطراف
الشي ويقدر يقتر ويضيق لمن يشاء دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكه ووسعه عليهم
وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوا
بالشكر حتى يتصل نعيم الدنيا بنعيم الاخره ولم يعلموا ان نعيم الدنيا وحيوتها في جنب الاخره ليس الا متاع
قليل يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجل من تميرات او شربة ما او نحو ذلك وقيل كزاد الراعي
يزوده اهله الكف من التمر او دقيق او غير ذلك عن الكلبي مثل السكرجه والقصعه والقدح والقدر
ونحوها ينتفع به وقيل قليل النفع ينقطع عن قريب وقيل متعه وبلغه لا تدوم **قوله تعالى** ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه ايه من ربه قل ان الله يضل من يشا ويهدي اليه من اناب الذين
امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
ماب ويقول الذين كفروا يا محمد ان كنت رسولا فاتنا ايه من ربك اي معجزه ظاهره قاهره مثل
معجزات موسى وعيسى فاجاب تعالى عن هذا السوال بقوله قل ان الله يضل وبيان كيفيه مطابقه
هذا الجواب لسوالهم من وجوه منها كانه تعالى يقول ان الله انزل عليه ايات ظاهره ومعجزات
قاهره ولكن الاضلال والهدايه من الله فاضلكم عن تلك الايات القاهره الباهره وهدى اقواما اخرين
اليها حتى عرفوا بها صدق محمد في دعوى النبوه واذا كان كذلك فلا فايده في تكثير الايات ومنها
انهم لما طلبوا ساير الايات فكانه قيل لهم لا فايده في انزال ايه اخرى فان الاضلال والهدايه من الله تعالى فلو حصلت
ايات كثيره ولم يهد الله لم يحصل الانتفاع بها ولو حصلت ايه واحده وحصلت الهدايه من الله لحصل الانتفاع بها
فلا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايه ومنها قال صاحب الكشاف هو كلام يجري مجرى التعجب
من قولهم وذلك ان الايات الباهره المتكاثره التي اوتيها رسول الله لم يوتها نبي قبله ولو لم يكن الا القران وحده لكفى
وراء كل ايه فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان ايه لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه
قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشا من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمه
في الكفر فلا سبيل الى اهتدايهم وان انزلت كل ايه ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم ولا يخفى ان تقييد قوله
ان الله يضل من يشا بقوله ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمه في الكفر تقييد بلا دليل بل مع وجود
الدليل على الاطلاق وكذا تقييد قوله ويهدي اليه بقوله من كان على خلاف صفتكم بل الوجه الصحيح المطابق
للحق ان يقال ومثل هذا التصميم لا يكون الا باراده الله تعالى الضلال منكم ومن يضلل الله فلا هادي له ما ذكر هذه
الايه على اعتقاد اهل السنه من اناب اي ويهدي الى دينه وطاعته من رجع بقلبه والرجوع بقلبه
ايضا بارادته تعالى لا باختياره الذين امنوا بدل من قوله من اناب فهو في محل النصب وتطمين وتسكن
وتستانس قلوبهم بذكر الله وقيل بذكر رحمة الله ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته لقوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقيل تطمين قلوبهم بذكر الايه الداله على وحدانيته وقيل تطمين قلوبهم بالقران لانه معجز
بينه تسكن القلوب وتثبت النفس فيها الا بذكر الله تطمين القلوب لا بذكر غيره الذين امنوا مبتدا طوبى خبره

قيل هو بدل من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا طوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع نحو قولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك عن ابن عباس طوبى لهم فرح وقرة عين لهم عكرمة نعم ما لهم ضحاك غبطة
لهم قتادة حسنى لهم قيل هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقيل خير ودوامه
لهم واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها نحو موقن وموسر
وعن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية سعيد بن مسجوح اسم الجنة بالهندية ربيع البستان بلغة
الهند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج
من اكمامها وعنه صلى الله عليه وسلم شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها
لترى من وراء سور الجنة وحسن مآب اي حسن موضع **قوله تعالى** كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب عن ابن
عباس والحسن ارسلناك كما ارسلنا الانبيا قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقيل كما ارسلنا قبلك رسلا
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي ليس ببدع من الرسل ولست امتك اول امة ارسل اليها رسول
وقيل كذلك ارسلناك اي مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على ساير الارسالات
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة فقد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر
الامم وانت خاتم الانبيا لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الذي اوحينا اليك اي القران الكريم الذي
هو الكتاب العظيم وهم يكفرون بالرحمن عن قتادة ومقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب
الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف
الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان في الجاهلية يكتبون فانزل الله
فيهم هذه الاية وعن ابن عباس نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما في الحجر يدعو وابو جهل يستمع اليه
وهو صلى الله عليه وسلم يقول يا رحمن فولى ابو جهل مدبرا الى المشركين فقال ان محمدا كان ينهانا عن عبادة الالهة
وهو يدعو الهين فنزلت هذه الاية وهم يكفرون بالرحمن حال اي وحال هولاء انهم يكفرون بالرحمن البليغ الرحمة
الذي وسعت رحمته كل شي وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران
المعجز المصدق لساير الكتب عليهم قل يا محمد لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي المتولي وخالقي ورازقي ومدبري
الواحد المتعالي عن الشركا لا اله الا هو عليه توكلت وثقت به وفوضت امري اليه في نصرتي عليكم واليه متاب
هو مصدر تبت اليه وقيل واليه مرجعي فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم **قوله تعالى** ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد
قيل نزلت في نفر من مشركي مكة فيهم ابو جهل وعبد الله بن ابي امية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله ان
سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا
وانهارا حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح
فنركبها الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح كما
زعمت فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله احق ما تقول
ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله ولو ان قرانا جوابه محذوف

كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت
عن وجه الارض او قطعت به الارض اي شققت فانفجرت منها عيون وانهار او كلم به الموتى
فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ويعضده ما فسر به قوله لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وقيل معناه
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا به ولكفروا بالرحمن كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل معنى تقطيع الارض قطعها بالسير ومجاوزتها وقيل
هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض
وليس ببعيد ثم قال بل لله الامر جميعا اي بل لله القدرة على كل شي وهو القادر على الايات التي
اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجا
لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة
الالجا والقسر لهدى الناس جميعا ما ذكره صاحب الكشاف بناء على مذهبه الفاسد وقوله الا ان علمه
بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجا ظاهر قوله
بل لله الامر جميعا المطابق للبرهان العقلي وقوله ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء
الله يعني مشيئة الالجا والقسر انما يصح على تقدير تقييد المشيئة بالالجا والقسر وهذا التقييد
مخالف لظاهر قوله ان لو يشاء الله وللعقل ولا فائدة في بسط الكلام في ابطال كلامه هاهنا لانه قد
سبق ما فيه الكفاية افلم ييأس اي افلم يعلم عن الكلبي هي لغة قوم من النخع وعن القاسم بن معن هي
لغة هوازن قال سحيم اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
وقال اخر الم ييأس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العشيرة نائيا وقيل انما استعمل
الياس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشي عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجا في معنى الخوف
والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك ودليل هذا التاويل قراءة ابن عباس افلم يتبين روي انه قيل
لابن عباس افلم ييأس فقال الكاتب كتبها وهو ناعس مستوي السينات وهذا القول بعيد جدا
لانه يقتضي كون القران محلا للتحريف والتصحيف قال صاحب الكشاف وهذا ونحوه مما لا يصدق
في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين
دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون
عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا
هذه والله فرية ما فيها مرية وقال الزجاج المعنى عندي افلم ييأس الذين امنوا من ايمان
هولاء الكفرة الذين وصفهم الله بانهم لا يؤمنون بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم
ولا يزال الذين كفروا واجمع الكفار وقيل كفار مكة تصيبهم بما صنعوا قارعة داهية
ومصيبة وشدة تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب احيانا بالحرب
واحيانا بالجدب واحيانا بالسلب واحيانا بالقتل واحيانا بالاسر وعن ابن عباس
اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم او تحل انت يا محمد
بنفسك قريبا من دارهم وعن قتادة هي نائبة يعني او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودينه وقيل هو فتح مكة وكان قد وعده الله ذلك وقيل القيامة او موتهم ان الله لا يخلف الميعاد

لا خلف في موعده **قوله تعالى** ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف
كان عقاب افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركا قل سموهم ام تنبيونه بما لا يعلم في الارض
ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد
لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق يسلي رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ناله من استهزا قومه به ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا امهلتهم
واطلت لهم المدة واخرت عنهم العذاب والاملا الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في امن
وخفض كالبهيمة يملى لهم في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى
الله عليه وسلم استهزا به وتسلية له ثم اخذتهم معاقبتهم باشد العذاب اي اخذتهم فكيف كان
عقابي اياهم افمن هو قايم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله اي افالله الذي هو حافظ ورازق وعالم
ومجاز ورقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما عملت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزا وكمن ليس بقايم
بل عاجز عن نفسه نظيره قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل يعني كمن ليس بقانت فالخبر في الموضعين محذوف
وجعلوا لله شركا معطوف على خبر المبتدا المحذوف فانه يجوز ان نقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف
عليه تقديره على هذا الوجه وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له اي لله الذي يستحق
العبادة وحده شركا قل سموهم له من هم ونبيوه باسمايهم وقيل قل سموهم بما خلقوا او صنعوا واما سموا
واحيوا التصح الشركة وقيل طالبوهم بحجة على انها الهة وقيل صفوهم فانظروا اهل يستحقون الالهية
وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على شرب الخمر سم الخمر بعد هذا ام قال ام تنبيونه على ام المنقطعة
كقولك للرجل قل لي امن زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه اتخبرون الله بشركا لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشي يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون
له شركا ونحوه قل اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركا
بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه
الا اسما سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان
طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام
بشركهم وقيل شركهم وكذبهم على الله وصدوا عن سبيل الله وصرفوا عن الدين والطريق المستقيم
قرا عاصم وحمزة والكساي وصدوا بضم الصاد وفي حم المومن وصد عن السبيل على ما لم يسم فاعله
واختار ابو عبيد قال لان فيه قراءة اهل السنة وفيه اثبات القدر والباقون بالفتح واختار ابو حاتم
اعتبارا بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ومن يضلل الله يخذله وعدم هدايته
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير المحن
ولعذاب الاخرة اشق واشد وما لهم من الله من واق من مانع يمنعهم من العذاب **قوله
تعالى** مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دايم وظلها تلك عقبى الذين
اتقوا وعقبى الكافرين النار لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والاخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين
مثل الجنة التي هي صفتها التي هي في غرابة المثل ذهب سيبويه الى ان مثل مرفوع بالابتدا وخبره محذوف اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وعن الزجاج
تجري صفة والخبر محذوف اي مثل الجنة جنة تجري تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد اكلها دايم اي ثمرها
دايم الوجود لا ينقطع ولا يفنى لقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها ظليل دايم لا ينسخ كما يزول

الظل في الدنيا بالشمس وهذا رد على الجهمية حيث قالوا ان نعيم الجنة يفنى تلك عقبى عاقبة الذين اتقوا الجنة
وعقبى تقواهم اي منتهى امرهم ومآله واعمالهم وعقبى الكافرين النار اي منتهى دارهم واعمالهم
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب قيل الكتاب القران والذين اتيناهم
الكتاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اصحاب رسول الله يفرحون بما انزل اليك من
القران ومن الاحزاب يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله وهم اليهود والنصارى من ينكر بعضه
لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو
نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع وقيل
كان ذكر الرحمن في القران قليلا في بدي ما نزل فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن
في القران لان ذكر الرحمن في التورية كثير فسالوا رسول الله عن ذلك فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الاية فقالت قريش حين نزلت هذه الاية ما بال محمد كان يدعو الى اله واحد وهو اليوم يدعو الى
الهين الله والرحمن ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى وهم بذكر الرحمن
هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن وفرح مومنوا اهل الكتاب بذكر الرحمن فانزل الله تعالى والذين اتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي قريش من ينكر بعضه يقرون بالله وينكرون
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة
هولا يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
قل انما امرت ان اعبد الله جواب للمنكرين معناه قل يا محمد انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا
اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعايكم وجوب عبادة
الله وان لا يشرك به اليه ادعو الى الله ادعوكم خصوصا لا ادعو الى غيره واليه مرجعي لا الى غيره وانتم تقولون
مثل ذلك فلا معنى لانكاركم **قوله تعالى** وكذلك انزلناه حكما عربيا ولين اتبعت اهواهم بعد ما
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق اي وكما انزلنا اليك يا محمد الكتاب فانكره الاحزاب كذلك ايضا
انزلنا اليك حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال وانما وصفه بذلك لانه نزل على محمد
عليه السلام وهو عربي فنسب الدين اليه اذ كان منزلا عليه فكذلك الاحزاب بهذا الحكم ايضا وقيل وكما
انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك انزلنا عليك القران حكما عربيا ولين اتبعت اهواهم كانوا يدعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور موافقتهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها
فقيل له ان تابعتهم على دين ما هووا لا هوايهم بعد ما جاءك من العلم بالوحي ما لك من الله من ولي ولا واق
وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة
بعد العلم والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان وقيل هذا وعيد حسم به اطماعهم
قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن
الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ان الكفار يذكرون انواعا من الشبهات
قدحا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم منها انهم عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة التزوج
وقالوا لو كان نبيا كما يزعم شغلته النبوة عن تزوج النسا فقيل لهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية اي نسا ينكحوهن وذرية اولادا نسلوهم ولم نجعلهم ملايكة لا ياكلون ولا يشربون

ولا ينكحون فيجعل الرسل الى قومك ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولقد ارسلنا الى قومك بشرا
مثلهم كما ارسلنا الى من قبلهم من الامم بشرا مثلهم ومنها انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان اي اية اقترحناها
اتى بها ولم يتوقف ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فقيل لهم جوابا عنها وما كان لرسول ان ياتي باية
الا باذن الله وما كان له ان ياتي باية برايه ولا ان ياتي بها بما يقترح عليه والمعجز الواحد كاف في اثبات
النبوة وازالة العذر والعلة وعادة الله جارية باظهارها وما الزايد عليه مفوض الى مشية الله تعالى ان
شا اظهرها وان شا لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك ومنها انه صلى الله عليه وسلم يتهددهم وعدهم
بنزول العذاب وظهور النصر له ولقومه عليهم فلما تاخر ذلك الموعود ولم يشاهدوه احتجوا بها على
الطعن في نبوته وقالوا لو كان نبيا لما ظهر كذبه فاجاب الله عنها بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت من
اوقات نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصر للاوليا كتاب عند الله وكلما حدث وقت معين
فقبل ذلك الوقت لا يحدث بمقتضى مشيته وقضايه فتاخير ذلك الموعود لا يدل على كونه كاذبا وعن الضحاك
لكل كتاب نزل من السما اجل ووقت معلوم مفوض المقلوب وقيل لكل اجل من اجال الخلق كتاب وقيل
لكل اجل قدره الله ولكل امر قضاه كتاب اثبت فيه فلا يكون ايه ولا غيرها الا باجل قد قضاه الله في
والتعميم على الوجه المذكور ظاهر الايه وهو الصواب ومنها انه لو كان نبيا لما ادعى الرسالة لم ينسخ الاحكام
التي نص الله على ثبوتها في الشرايع الحقة المنزلة في التورية والانجيل لكن نسخها كثير الشي ونسخ اكثر
احكام التورية والانجيل فاجاب الله عنها بانه يمحو الله ما يشا ويثبت ما يشا من الاحكام
والشرايع قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم يثبت ساكنة الثا مخففة والباقون يثبت مفتوحة الثا مشددة
البا واستغنى بذكر المفعول للفعل الاول عن ذكره للثاني واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت فقيل
عام في كل ما يحدث من الاحكام والشرايع والرزق والاجل والسعادة والشقاوة والخير والشر والكفر
والايمان والهداية والضلال وقيل الناسخ والمنسوخ ينسخ ما يشا نسخه ويثبت ما يشا ابقاه على
مذهب اهل السنة وينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ
على مذهب المعتزلة وقيل ينسخ من القران ما يشا ويثبت اي يدعه بالانسخ وهو المحكم وقيل
يمحو ما يشا ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت ويدل لهذا القول ما روى مسلم في
صحيحه من حديث حذيفة ابن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخلت على النطفة
خمس واربعون ليلة يقول الملك اذا ذكر امر اشقي فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك فيقول اشقي ام سعيد
فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك فيقول عمله واجله فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك ثم يطوى
الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقيل يمحو ما يشا من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب وعقاب
ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وقيل يمحو من ذنوب عباده ما يشا فيغفرها ويثبت ما يشا يتركها فلا
تغفرها وقيل يمحو ما يشا بالتوبة من الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال الله تعالى
فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت بعضها من الاناسي وساير الحيوان
والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحوه واسع المجال وعنده ام الكتاب
اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان الله
ولا شي ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلايق الى قيام الساعة وروى ابو الدردا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا
ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب
يمحو منه ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب لا يغير منه شي فالمخلوقات على قسمين قسم شا الله ان لا يغيره اصلا

وقسم شا ان يمحو في بعض الاوقات ويثبته في بعضها فقوله يمحو الله ما يشا مختص بما يمحو في بعض الاوقات
وقوله ويثبت متناول لما لا يغيره ولما يثبته في بعض الاوقات وفي ام الكتاب القسم الذي لا يغيره وقيل
ام الكتاب هو علم الله تعالى فانه عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وان تغيرت الا ان علم الله
بها باق منزه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذلك **قوله تعالى** واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما
عليك البلاغ وعلينا الحساب اي واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وانت حي او نتوفينك قبل ان نريك ذلك
كيف ما يدور الحال نريك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او نتوفينك قبل ان نريك فليس الواجب
عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب والجزا لا عليك فلا تحزن على اعراضهم وامرارهم ولا تستعجل بعذابهم
قوله تعالى اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب
وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لما ذكر الله انه
يري رسول الله بعض الذي يعدهم او يتوفيه قبلهم بين في هذه الايه ان اثار حصول تلك المواعيد
وعلاماتها قد ظهرت وقويت اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين
من بلادهم فتنقص دار الحرب وتزيد في دار الاسلام لان المسلمين يستولون على اطراف مكة وياخذونها
من المشركين قهرا وذلك من اقوى العلامات على النصر وانجاز الوعد والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها افهم الغالبون وقيل ننقصها من اطرافها نريد خراب العمران وهلاك اهلها وقيل ننقصها من اطرافها
بذهاب البركة عن ثمارها ونباتها وعن ابن عباس نقصانها موت علمايها وفقهايها وخيارها وقيل نقصانها موت
اهلها والمراد بالارض اهلها وقيل نقصانها جور ولاتها وقيل ننقص من جوانب الشام ونزيد في الشام
وهي ارض المحشر والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه وقضايه والمعقب الذي يكر على الشي ويتبعه
فيبطله وحقيقته الذي يعقبه بتعقيبه بالرد والابطال وقيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضا والطلب
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والله سريع الحساب للمجازاة لا يدفعه دافع وقد
مكر الذين اي وقد مكر الكفار الذين من قبل مشركي مكة برسلهم وانبيايهم نمرود مكر بابرهيم وفرعون بموسى
ويهود بعيسى فلله المكر جميعا اي له مكر جميع الماكرين واسبابه وبيده الخير والشر واليه النفع
والضر وهو حاصل بتخليقه وارادته لانه خالق كل شي فلا نضر مكر احد احدا الا من اراد الله ضرره
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم وقيل له جزا المكر يعلم ما تكسب كل نفس اضاف
المكر جميعا الى نفسه ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس فان خلاف المعلوم ممتنع الوقوع وكل
ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع وكلما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك فكان الكل من الله ثم اكد ذلك التهديد بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى قرا ابن كثير وابو عمرو
ونافع الكافر على الواحد عن ابن عباس يعني ابا جهل وعن الزجاج انه جنس والباقون بالجمع والمعنى وان
كانوا جاهلين بالعاقبة فسيعلمون لمن العاقبة المحمودة واللام تدل على المحمودة كما ان على تدل على المذمومة
وهذا زجر ووعيد للكفار **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب انه تعالى حكى عن الكفار انهم يقولون لست مرسلا ثم احتج عليهم
بامرين الاول شهادة الله قل يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم بما اظهر من الايات واقام من الحجج على
رسالتي وهذا اعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كذلك والقران
فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله فكان اظهار المعجز اعلى مراتب الشهادة والثاني
قوله ومن عنده علم الكتاب اي من عنده علم القران وما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار
عن الغيوب والعلوم الكثيرة وبيان الوحدانية والمبدا والمعاد وقيل ومن هو من علما اهل

الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في
كتبهم وقيل علما اليهود والنصارى لانهم يعرفون نعته في التورية والانجيل وقيل انه جبريل
وقيل انه علي بن ابي طالب وقيل هو الله والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وبعضهم قرا ومن عنده علم الكتاب
على من الجار اي ومن لديه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وفي القراة المشهورة ترتفع
علم بالمقدر الذي هو صلة من الموصول فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة او على شبه الفعل
لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول
بالذي استقر في الدار اخوه **سورة ابرهيم عليه السلام مكية** وهي ثلاثة الاف واحدى
وثلاثون كلمة واثنان وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الر كتاب انزلناه لتخرج الناس
من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد قيل الر مبتدا وكتاب خبره وعن الزجاج
هذا كتاب يعني السورة انزلناه اليك يا محمد لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات من الكفر الى النور
الى الايمان وقيل من الضلالة الى الهدى وقيل من الشك الى اليقين باذن ربهم بامر ربهم وبتوفيقه
وبما اذن لك من تعليمهم الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الغالب
المنيع الحميد لافعال الخلق وهو بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول **قوله تعالى** الله الذي له ما في السموات
وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الله قرا نافع وابن عامر رفعا على الاستيناف على ان
يكون خبر مبتدا محذوف اي هو الله او على ان يكون مبتدا ما بعده خبره والباقون بالجر على انه عطف بيان
للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسما الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب
النجم في الثريا والويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال
ويلا له فينتصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك
ولما ذكر الخارجين من الظلمات الى النور توعد الكافرين بالويل ووجه اتصال الويل بالكافرين من
عذاب شديد انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله تعالى دعوا
هنالك ثبورا قوله وويل مبتدا وللكافرين خبر ومن عذاب شديد صفة لويل **قوله تعالى** الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اوليك في ضلال بعيد ثم بين تعالى صفة
هولا الكفار الذين يوعدهم بالويل الذي يعقبه اشد العذاب الذين مبتدا خبره اوليك في ضلال بعيد
ويجوز ان يكون في محل الجر صفة للكافرين وفي محل النصب على الذم اعني الذين يستحبون او في محل
الرفع اي هم الذين يستحبون يوثرون ويختارون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال
من المحبة لان الموثر للشي على غيره كانه يطلبه من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر
ويصدون عن سبيل الله يمنع الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبغونها عوجا ويطلبون
لسبيل الله زيغا وميلا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل يبغون لها
فحذف الجار واوصل الفعل والعوج بكسر العين في الدين والامر والارض والعوج بالفتح في كل ما
كان قايما كالحايط والرمح ونحوها اوليك الموصوفون في ضلال عن طريق الحق بعيد عن الحق ووصف
الضلال بالبعد من الاسناد المجازي لان البعد في الحقيقة وصف للضال لان الضال هو بعيد من
الطريق فوصف ضلال الضال بالبعد كما تقول جد جده قيل ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او في ضلال
فيه بعد لان الضال قد يضل عن طريق قريب وبعيد **قوله تعالى** وما ارسلنا من رسول الا بلسان

قومه

قومه ليبين لهم فيضل الله من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم اعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض
اليه هذا المنصب العظيم وانعاما ايضا على الخلق من حيث ارسل اليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وارشدهم
الى نور الايمان فذكر في هذه الاية ما يجري تكميل النعمة والاحسان في الوجهين اما بالنسبة الى الرسول فلانه
بين ان ساير الانبيا كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة واما انت يا محمد فمبعوث الى الناس كافة وكان هذا الانعام في
حقك افضل واكمل واما بالنسبة الى الخلق فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الى قوم الا بلسان ذلك القوم فانه
متى كان الامر كذلك كان فهمهم لاسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقايقها اسهل وعن الغلط والخطا ابعد فهذا
هو وجه النظم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغة قومه فان اللسان كما يطلق على الجارحة يطلق
على اللغة اطلاقا فالاسم المحل على الحال بحسب العرف العام ليبين لهم ليفقهوا عنه ما هو مبعوث به فلا يكون لهم حجة
على الله ولا يقولوا لم نفهم كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته قال صاحب الكشاف فان قلت
لم يبعث رسول الله الى العرب وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى
الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية
لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان نزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة
لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال
وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة
والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه
وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلايل الفوايد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرايح فيه من
القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف
ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم
الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجا
وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم روي عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيودي الى ان
الله انزل التورية من السما بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد القايلون بان اللغات اصطلاحية
تمسكوا بهذه الاية لان التوقيف يتوقف على ارسال الرسل والاية دالة على ان ارسال الرسل لا يكون
الا بلغة قوم وذلك يقتضي تقديم اللغات على ارسال الرسل فلو كانت توقيفية لزم الدور ورد بمنع
توقف التوقيف على ارسال الرسل فانه يجوز ان يكون خلق علم ضروري في عاقل او غير عاقل بان هذه
الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فان قيل خلق العلم الضروري في غير عاقل بعيد جدا دل على ذلك قوله
تعالى نودي من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة ان يا موسى وخلق العلم الضروري
في عاقل لا يقتضي عدم التكليف قوله لانه حينيذ يكون عارفا بالله ممنوع لانه يجوز ان يلهم ان واضعا
وضعها من غير التعيين ولين سلم انه يكون عارفا بالله فيكون غير مكلف بالمعرفة فقط ولا يلزم
من عدم التكليف بالمعرفة عدم التكليف مطلقا لان انتفا الخاص لا يستدعي انتفا العام وايضا قوله
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يدل على ان ارسال الرسول الذي له قوم يتوقف على
لغاتهم فيجوز ان يكون التوقيف بارسال رسول لم يكن له قوم فلا يتوقف ارساله على اللغات
فلا يلزم الدور لتغاير جهتي التوقف فيضل الله المعنى ما كان ارسال الرسل الا للبيان

والزام الحجه وازالة العله تمييز الضال من المهتدى الا ليوجد وافيهم الهدايه ويزيلوا
عنهم الضلاله فان ذلك من الله يضل من يشا ويهدى من يشا لانه عزيز قوي لا يغالب يفعل ما
يشا حكيم لا يدرك احد كنه حكمته يحكم ما يشا هذا ظاهر دال صريحا على ان الاضلال والهدايه بفعل الله
وتقديم قوله فيضل الله من يشا لئلا يتوهم ان الهدايه من الله تعالى والاضلال ليس منه بنا على انه فاعل
الخير دون الشر الذى هو قريب من مذهب الثنويه القايلين بالنور والظلمه ولا يلتفت الى ما قاله
صاحب الكشاف فيضل الله من يشا ويهدى من يشا كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل
الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدى الا من يعلم انه يومن والمراد بالاضلال التخليه ومنع الالطاف
وبالهدايه التوفيق واللطف فكان ذلك كنايه عن الكفر والايمان فانه كلام مخبط مضطرب مخالف لظاهر
الايه والحجه القاطعه اما قوله كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن فليس بصحيح لان قوله يضل صريح في اسناد الاضلال
الى الله تعالى وقوله ويهدى من يشا صريح في اسناد الهدايه الى الله تعالى وقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لم
يظهر منهما ان الكفر والايمان الى اى شى يسندان فكيف يكون مثله واما قوله لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يومن
ولا يهدى الا من يعلم انه يومن فلا يصح ان يكون تعليلا لقوله كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لانه لا يلزم
انه اذا لم يضل الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدى الا من يعلم انه يومن ان يكون قوله فيضل الله من يشاء
ويهدى من يشا كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن وهذا ظاهر وايضا ما الدليل على انه تعالى لا يضل الا
من يعلم انه لا يومن الا ان يفسر الاراده والمشيه بالعلم حتى يكون معنى قوله فيضل الله من يشا فيضل
الله من يعلم ضلاله وتفسير الاراده بالعلم باطل لما بين في اصول الدين ومع هذا فلا يلزم منه
غرضه وهو ان الاضلال ليس فعل الله الا ان يفسر الاضلال بالتخليه ومنع الالطاف والهدايه
بالتوفيق واللطف وهو باطل لانه صرف اللفظ عن الظاهر المطابق للحق المبين بالحجج القاطعه
والبراهين الساطعه الى خلافه المبين بطلانه بالايات الصريحه والبينات الصحيحه وهو العزيز
فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ليس بمستقيم بل الحكيم لا يضل الا من يشا اضلاله
ولا يهدى الا من يشا هدايته **قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من
الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم لما بين الله انه انما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور
وذكر كمال نعمة الله عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي تلك البعثه اتبع ذلك بشرح بعثة
ساير الانبيا الى اقوامهم وكيفية حال اقوامهم ليكون ذلك تصبرا للرسول عليه السلام الى اذى
قومه وارشادا له الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المالوفه قصص الانبيا عليهم
السلام فذكر قصة موسى عليه السلام فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وانفجار العيون من الحجر واظلال الجبل وانزال المن والسلوى
ان اخرج يجوز ان يكون مفسره بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا
له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبه للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون
معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوا في الفعليه والدليل على جواز ان يكون ان الناصبه
للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم
بايام الله بوقايع الله في الامم السالفه وانما اراد بما كان في ايام الله من النعم والمحن فاخبر بذلك الايام
عنه لانها كانت معلومة عندهم وعن ابن عباس نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل
عليهم

عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك القرون ان في ذلك لايات لكل صبار على بلا الله شكور
لنعماه فاذا سمع بما انزل الله من البلا على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر
وقال اهل المعاني اراد لكل مومن لان الصبر والشكر من خصال المومنين وافعالهم ولما ذكر الله انه امر موسى عليه السلام
بان يذكرهم بايام الله حكى عن موسى انه ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم ظرف للنعمه بمعنى الانعام اى اذكروا انعام الله عليكم ذلك الوقت واذا كان النعمه بمعنى الانعام
يكون عليكم صله لها فلا يجوز ان يكون اذ انجاكم منصوبا بعليكم واذا كان عليكم صله لم يكن كلاما
حتى يقول فانصه او نحوها واذا كان النعمه بمعنى العطيه يكون عليكم وغير صله لها بمعنى اذكروا النعمة
الله مستقره عليكم ويجوز ان يكون منصوبا بعليكم ويكون كلاما ويجوز ان يكون اذ انجاكم بدلا من
نعمة الله اى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال لانه بينهما ملابسه بغير الكليه والجزئيه ذكر
في سورة البقره يذبحون وفي الاعراف يقتلون بغير واو تفسيرا لسوء العذاب وهاهنا ويذبحون مع الواو
لانه اريد في على جنس العذاب وزاد عليه زياده ظاهره كانه جنس آخر وفي ذلكم اشاره الى سومهم سوء العذاب
والتذبيح والاستحيا بلا محنه واختبار من الله اي خلق الله فيهم ذلك الافعال ليكون ابتلا منه ويجوز ان
يكون ذلكم اشارة الى الانجا وهو بلا عظيم فان البلا يكون ابتلا بالنعمه والمحنه والاولى ان يجعل اشاره الى
الانجا وسوء العذاب والتذبيح والاستحيا لان الكل من عند الله قال الله ونبلوكم بالشر والخير فتنه
وقول صاحب الكشاف ان ما صادر منهم لما كان من تمكين الله نسب اليه تحريف وعدول عن الظاهر
قوله تعالى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد واذ تاذن من جملة
ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظير تاذن وآذن توعد
واوعد وتفضل وافضل ولابد في تفعل من زياده معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا
بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى
تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجا وغيرها
من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمه ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم
من الكفران وغمصتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد بمن كفر نعمتي في الدنيا بسلب النعمه وفي
العقبى بالنار **قوله تعالى** وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد
الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب
لما بين موسى ان الشكر يقتضي زيادة النعم في الدنيا والاخره وان الكفران يوجب العذاب الشديد
بين بعد ان منافع الشكر ومضار الكفر لا تعود الا الى الشاكر والكافر فان المشكور متعال عن ان
ينتفع بالشكر ويتضرر بالكفران فلهذا قال موسى يا بني اسرائيل ان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعا فان الله لغني حميد اى غني في ذاته وصفاته عن غيره فيكون غنيا عن شكركم حميد لذاته الجميله
وانعامه واياديه المترادفه على المخلوقات وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم قيل هذا من
كلام موسى لقومه والمقصود انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم ويحتمل ان يكون
خطابا من الله لقوم موسى يذكرهم امر القرون السالفه والمقصود انما هو العبره باحوال المتقدمين
وهذا المقصود حاصل على التقديرين وقيل انه خطاب لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم قيل
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جمله من مبتدا وخبر والذين موصول صلته من بعدهم والموصو

مصلته مبتدا لا يعلمهم الا الله خبر وهذه الجملة اعتراض ويحتمل ان يكون والذين من بعدهم
عطفا على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا
الله وقيل لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله لان الله لو ذكر في القران جملة فاما ذكر العدد والكم
والكيفيه والكميه فغير حاصل وقيل ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا اخبارهم اصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم
اصلا ولا يعلمهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
اذا قرا هذه الايه قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد
ثم انه حكى عن هولا الاقوام الذين تقدم ذكرهم انه جاتهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم اي
فعضوا الايدي غيظا وضجرا مما جات به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ عن ابن عباس
لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا ايديهم الى افواههم وعن مجاهد وقتاده كذبوا الرسل
وردوا ما جاوا به وعن الاخفش وابي عبيده ترکوا ما امروا به ولم يقبلوا عنه ولم يخضعوا ولم يومنوا به
والعرب تقول للرجل اذا امسك عن الجواب فلم يجب وسكت قد رد يده في فيه وعن القتيبي انا لم نسمع
احدا من العرب يقول رد يده في فيه اذا ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الايدي حنقا وغيظا
لقول الشاعر يردون في فيه عشر الحسود يعني انهم يغيظون الحسود حتى يعض على اصابعه العشر
وقيل فردوا اي فعضوا ايديهم في افواههم ضحكا واستهزا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه وقيل انهم
كانوا اذا جاءهم الرسول فقال اني رسول ردوا ايديهم في افواه انفسهم اي وضعوا ايديهم في افواه
انفسهم اشارة الى الرسل ان اسكتوا وقيل اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا
بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم
في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا القول قوي وقيل ردوا ايديهم في افواه الرسل يشيرون
اليهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي
النعمه بمعنى الايادي اي ردوا انعم الرسل التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحى اليهم من
الشرايع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها وكانهم ردوها في افواههم ورجعوها
الى حيث جات منه على طريق المثل وقيل في ههنا بمعنى الباء اي ردوا النعم بافواههم بالنطق بالتكذيب
وقالوا اي الامم انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب موقع في الريبه والتهمه
من ارابه الرجل صار ذا ريبه وهي قلق النفس وان لا تطمين الى الامر **قوله تعالى** قالت رسلهم افي
الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا فاتونا بسلطان مبين قالت رسلهم افي الله شك
هذا جواب لهم على قولهم وانا لفي شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو
في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لقد دل على وجوده وتوحيده وقدرته خلقه السموات والارض
ابتدا يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي
قال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور من ذنوبكم من صله اي يغفر لكم ذنوبكم قال
صاحب الكشاف فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جا هكذا الا في خطاب الكافرين
كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال
في خطاب المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه
الاستقرا وكان ذلك للتفرقه بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر
لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويوخركم الى اجل مسمى الى وقت مسمى

ومر

من الايمان بالله ح

71

وهو الموت فلا نعاجلكم بالعذاب وقيل وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم
بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا لرسلهم ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم
علينا فلم تخصوا بالنبوه دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس اخر كالملايكه تريدون
ان تصدونا عن عبادة الاصنام التي كانت تعبد اباونا فاتونا بسلطان مبين بحجة واضحه نتيقن بها
انكم محقون في دعواكم وقد جاتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين ايه قد
اقترحوها تعنتا ولجاجا **قوله تعالى** قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون وما لنا ان لا نتوكل على
الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم تصديقا لقولهم ان انتم الا بشر مثلنا ولكن التماثل في البشريه لا يمنع اختصاص بعض
البشر بالنبوه والمعنى انهم مثلهم في البشريه وحدها فاما ما ورا ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم
تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشا من عباده بالنبوه وذلك فضل الله يوتيه
من يشا واما قول صاحب الكشاف لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامه الا وهم اهل لاختصاصهم
بها لخصايص فيهم قد استاثروا بها على ابنا جنسهم فهو مبني على مذهبه وفيه ما فيه وما كان لنا ان ناتيكم
بسلطان جواب لقولهم فاتونا بسلطان مبين سايرا المعجز التي جينا بها حجة قاهره وبينه ظاهره
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان اقترحتموه تعنتا ولجاجا الا باذن الله بامره وعلمه وارادته وعلى الله
فليتوكل المومنون امر منهم للمومنين كافه بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به
كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندكم ومعاداتكم وايذايكم وما يجري علينا
منكم والذي يدل على هذا قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا وتفضل علينا بالنبوه ثم قالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع
الخيرات والحق لا بد وان يصير غالبا قاهرا والباطل لا بد وان يصير مغلوبا مقهورا ثم اعادوا
قولهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والاول لاستحداث التوكل وقوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون معناه
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقيل ان قوله وما كان لنا
ان ناتيكم بسلطان الا باذن معناه ان الذين يطلبون ساير المعجزات وجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على
الله لا علينا فان شا اظهرها وان شا لم يظهرها اما قوله ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فالمراد منه الامر بالتوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وعلى هذا التقدير فالتكرار
غير حاصل لان قوله وعلى الله فليتوكل في الموضعين بحسب مقصودين مختلفين **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل
جبار عنيد من ورايه جهنم ويسقى من ما صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورايه عذاب غليظ لما سمعوا كلام الرسل وانهم اكتفوا في دفع شرورهم
بالتوكل على الله قالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين لا محاله
اما اخراجكم من ارضنا واما عودكم الى ملتنا حالفين على ذلك فلا ينبغي ان يتوهم انهم كانوا على
ملتهم حتى يعودوا فيها لان العود بمعنى الصيروره متعارف كثير في كلام العرب كثره شايعه
لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال وقيل
خاطبوا بقولهم كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعه على الواحد لما ذكر

الغا رهذا الكلام قال تعالى فاوحى الله الى الرسل لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول
او اجرا الايحا مجرى القول لانه ضرب من القول ولنسكننكم الارض اي ارض الظالمين وديارهم
فانجز الله وعده فاهلك الظالمين واورثهم ارضهم وديارهم واسكنهم ارضهم ذلك الاهلاك
والاسكان اى ذلك الامر حق لمن خاف مقامي وهو موقفه للحساب لانه موقف الله الذي يوقف
فيه عباده يوم القيامه وقيل لمن خاف الله على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله
من قوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وخاف وعيد عذابي وقيل دواجر القران
والمعنى ان ذلك حق للمتقين واستفتحوا او استنصروا الله على اعدايهم ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح
او استحكموا الله وسالوا القضا بينهم من الفتاحه التي هي الحكومه لقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالفتح وقيل استفتح الكفار كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل الضمير يعود
الى الجميع اى كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد معناه فنصر الرسل وظفروا
بما استفتحوا به وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم الذين قالوا لنخرجنكم من ارضنا وقيل
واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد
منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورايه جهنم بين عاقبة امرهم وكيفية عذابهم فقال من ورايه اى امامه وقدامه
وبين يديه كما تقول ان الموت من ورايك وقال تعالى وكان وراهم ملك قال عسى الكرب الذي امسيت
فيه يكون وراه فرج قريب قال ابو عبيد هو من الاضداد ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورايه
جهنم يلقى فيها ويسقى من ما صديد هو القيح والدم وقيل ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه وقيل
هو غسالة اهل النار وذلك ما يسيل من فروج الزناه فيكون صديد عطف بيان لما فاتهم من ما
ابهاما ثم بينه بقوله صديد يتصدع عن شربه لكراهة مذاقه يتجرعه يتكلف جرعه جرعه جرعه
لمرارته وحرارته ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغه اى ولا يقارب ان يسيغه فكيف
تكون الاساغه لقوله لم يكد يراها اى لم يقرب من رويتها فكيف يراها تقول ساغ الشراب يسوغ
سوغا اذا جاز الحلق ووصل الى الجوف وقيل لا يسوغ في حلقه بل يغص به فيطول عذابه
وقيل الاساغه انما تكون مع تسهل النفس فيكون لا يكاد يسيغه نفيا قيل كانه اشد عذاب
جهنم تخصص بالذكر مع قوله وياتيه الموت من كل مكان من جسده اى من اعضايه حتى من
ابهام رجله ومن اصل كل شعره فيجد هم الموت والمه وقيل كان اسباب الموت واصنافه
كلها تجمعت واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالام وقيل البلايا التي تصيب
الكافر سماها موتا وما هو بميت ولا تخرج نفسه فيستريح عن ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته
فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحيوه نظيره قوله لا يموت
فيها ولا يحيى ومن ورايه ومن بين يديه عذاب غليظ اى في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد
مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون
اهل مكه قد استفتحوا اى استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقى في
جهنم بدل سقياه ما اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف
منقطع عن حديث الرسل واممهم **قوله تعالى** مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شي مما كسبوا على شي ذلك هو الضلال البعيد لما ذكر
انواع عذابهم في الايه المتقدمه ضرب في هذه الايه مثلا لاعمالهم التي تصير ضايعة باطله لا ينتفع

بشى

بشى منها اختلف النحاة في رافع مثل فعند سيبويه مبتدا محذوف الخبر تقديره وفيما نقص
عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للصفه التي فيها غرابه وقوله اعمالهم كرماد جمله مستانفه
على تقدير سوال سايل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقيل يجوز ان يكون مثل الذين كفروا
مبتدا وهذه الجمله اى اعمالهم كرماد خبره اى صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقوله صفة زيد
عرضه مصون وماله مبذول ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل
اعمالهم وكرماد الخبر اشتدت به الريح اسرعت الذهاب به في يوم عاصف وصف اليوم به وهو
من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال يوم بارد وحار لان البرد والحر يكونان فيه واعمال الذين
كفروا المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدا الاسرى وعقر الابل للاضياف
واغاثة الملهوفين والاجارة وغيرها من صنايعهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار اى حبطت
اعمالهم وذهبت هبا منثورا لبنايها على غير اساس لانهم اشركوا فيها غير الله ولم ينتفعوا بها كما ان الرماد
الذي اشتدت به ريح عاصف وذرته صارت هبا منثورا ولم ينتفعوا به لا يقدرون يوم مما
كسبوا في الدنيا من اعمالهم على شي في الاخره اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد الذي
طيرته الريح على شي ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب
قوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز لما بين الله ان اعمالهم تصير باطله بين ان ذلك البطلان بسبب كفرهم
بالله واعراضهم عن العبوديه وان الله لا يبطل عمل المخلصين ابتدا ولا يليق بحكمته ان يفعل
ذلك وانه تعالى خلق السموات والارض بالحق قرا حمزه والكساى خالق السموات على انه خبر ان
السموات بالجر على الاضافه والباقون خلق السموات على انه فعل ماض والسموات منصوب على انه
مفعول بالحق اى لم يخلقها باطلا وانما خلقهما لامر عظيم وهو ان يدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ان يشا يذهبكم اى هو قادر على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا اخر جديدا على شكلكم او
على خلاف شكلكم اى من كان قادرا على خلق السموات والارض فبان يقدر على اذهاب قوم واماتتهم
والاتيان باخرين وايجادهم عن ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكه يريد اميتكم يا معشر الكفار
واخلق قوما خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز بممتنع لانه قادر على كل الممكنات لا اختصاص
له ببعض دون مقدور فاذا اراد شيا يقول له كن فيكون وهذا بيان لابعادهم في الضلال
وعظم خطبهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهده الداله على قدرته الباهره وانه هو الحقيق بان
يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزا **قوله تعالى** وبرزوا لله جميعا فقال الضعفا
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شي قالوا لو هدانا الله لهديناكم
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لما ذكر ان اعمالهم محبطه ضايعه كرماد اشتدت ذكر في
هذه الايه افتضاحهم عند تمسك اتباعهم بهم برزوا اخرجوا من قبورهم وظهروا لله يوم القيامه وانما
جي بلفظ الماضي لان ما اخبر الله به عز وجل لصدقه كانه قد وجد ونحوه ونادى اصحاب الجنه
اصحاب النار ومعنى برزوا لله تعالى والله سبحانه وتعالى لا يتوارى عنه شي حتى يبرز واله انهم
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم
القيامه انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافيه وقيل معناه خرجوا من قبورهم
فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفا اى الاتباع للذين استكبروا اى المتبوعين الذين سادوهم
وكبرايهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا انا كنا لكم تبعا

تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذي تبع بمعنى الاتباع يقال تبعه تبعا
فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شي من الاولى للبيان والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم نافعون
لنا ودافعون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله وقيل كلاهما للتبعيض اي هل انتم مغنون عنا بعض شي هو
بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله ما قال لهم الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوايهم
وقولهم فهل انتم مغنون من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغنا عنهم فاجابهم الذين استكبروا
معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اي انما دعوهم الى
الضلال لان الله اضلهم ولم يهدهم فدعوا اتباعهم الى الضلال ولو هداهم لدعوهم الى الهدي
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا
او لا تصبروا سوا عليكم واتصال قوله سوا علينا بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه
فقالوا لهم سوا علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا
مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والامر من
ذلك اطم وقيل يجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سوا علينا والمحيص
يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد
قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم
بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم لما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت
بين الضعفا والذين استكبروا اردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبينهم فقال وقال
الشيطان لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
عن مقاتل يوضع للشيطان منبر في النار فيرقاه ويجتمع عليه الكفار من الانس والجن فيقول لهم ان الله
وعدكم وعد الحق اي البعث والجنة والثواب فوفى لكم ووعدتكم وعدا باطلا اي لا بعث ولا جنة ولا
نار فاخلفتكم الوعد وكذبت وما وفيت لكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر وولاية ومملكة
وحجة وبصيرة فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيكم اليها الا ان دعوتكم الا دعاي اياكم هذا استثنا
منقطع اي لكن دعوتكم وقيل الا دعاي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب قال الامام ويمكن ان يقال الاستثنا ها هنا حقيقي لان قدرة
الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر والقسر وتارة يكون بتقوية الداعية
في قلبه بالقا الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني
فان من تجرد بالعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح ولان الله قد قال لا يفتننكم الشيطان كما اخرج
ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم باجابتي ومتابعتي من غير سلطان وحجة قال صاحب الكشاف
ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بقولي واطعتموني اذ دعوتكم فلم تطيعوا ربكم اذ دعاكم قال
وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من
الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا
انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به
قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طايل لحته
في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله ان عبادي

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قيل غاية هذا الاستدلال ان الشيطان اضاف
اللوم الى انفسهم ونحن نقول بموجبه لان العتاب والعقاب متوجهان الى المكلف بسبب كسبه ومباشرته
لانه في الظاهر كالمختار ولان قول الشيطان معطوف على قول الضعفا وكلتا القضيتين حكاية لقول الفريقين
ومخاصمة جرت بين الحزبين وهما تفصيلان لما اجمل في قوله وبرزوا لله جميعا وذكر في الاية الاولى احتجاج
المستكبرين على المستضعفين وهو قولهم لو هدانا الله لهديناكم فكما دل قول الشيطان على ظاهر مذهبكم دل على
المستكبرين على خلافه ولعمري انه تفسير بالراي وذلك انه حين سمع ان قول المستكبرين يخالف لمذهبه قال اما مذكرنا الذنب
واما معتذرين بعدم اللطف وحين راى الشيطان يقول بما يوافق مذهبه شنع على اهل السنة قال صاحب
الانتصاف حمل كلام الكفار في الاول على الابطال اذ لا يوافق مذهبه واستشهد على ان الذنب غير ممتنع
بقوله فيحلفون له ولما وافق قول الشيطان معتقده صوبه اتباعا لهواه ونحن نعتقد ان الملامة
انما تتوجه على المكلف وتعالى الله عن توجه الملامة اليه ولله الحجة البالغة لان الله خلق للعبد اختيارا
يجده من نفسه في الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة عليه وان سلبنا تاثير قدرة الخلق فلا
تناقض لانه توجه اللوم الى المكلف وجواب ما قاله صاحب الكشاف بعينه هو الجواب عن كلام المعتزلة
في الاحتجاج بالايات الدالة على اسناد الفعل فلا تناقض الى العبد فلا فايدة في ذكره ها هنا لما سبق
ما انا بمصرخكم بمغيثكم ومنجيكم من عذاب الله والاصراخ الاغاثة وما انتم بمصرخي من عذاب الله اي لا
ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه قرا حمزة بمصرخي بكسر اليا والباقون بفتحها ووجه الكسر انه جرت
اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكان يا المتكلم يا وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت
بالكسر على الاصل نقل ابو علي في الحجة عن القاسم ابن معن انه صواب وكان ثقة بصيرا وقال قطرب قراة
حمزة لغة في بني يربوع والنحو وان كان غيرها مستفيضا استعماله اذا ساعدها القياس لم يجز ان
يقال ان القراة بها لحن لكن القايل بها لحن لا يكفر لانه ليس مما شرط فيه التواتر اني كفرت بما اشركتموني
فيه ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا
لقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبروه منه واستنكاره له لقوله انا برآ منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل معناه اني جحدت ان اكون شريكا لله فيما اشركتموني به من طاعتكم
اياي وتبرات من ذلك وقيل ما موصولة ومن قبل متعلق بكفرت اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل يقول شركت زيدا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركتنيه فلانا اي جعلني له شريكا
ونحو ما في هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم
من عبادة الاوثان وغيرها ان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل انه من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل
ما سيقوله ابليس في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول
اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم
منه وينجيهم ويحتمل ان يكون قول الله على الاستيناف **قوله تعالى** وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام لما بالغ في شرح حال الكفرة
الاشقيا ذكر احوال المومنين السعدا وقد عرف ان الثواب يجب ان يكون منفعة خالصة دايمة مقرونة
بالتعظيم فقوله وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى المنفعة
الخالصة وقوله خالدين فيها اشارة الى الدوام وقوله باذن ربهم متعلق بقوله وادخل اي ادخل الملايكة
الذين امنوا وعملوا الصالحات باذن ربهم وامره وقوله تحيتهم اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملايكة
لهم في الجنات سلام وهما يفيدان التعظيم **قوله تعالى** الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة

اصلها ثابت وفرعها في السما توتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لما فرغ من احوال اهل الشقاوة والسعادة ضرب لحال كل منهما مثلا الم تر الم تعلم كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وقوله جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس وقيل مثلا وكلمة منصوبان بضرب اي ضرب كلمة مثلا اي جعل كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على ان قوله كشجرة طيبة خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة طيبة وقيل كشجرة طيبة في موضع الحال اي ضرب الله مثلا كلمة طيبة مشبهة بشجرة قيل الكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة الى الدين وقيل الكلمة الطيبة القران والمراد بالطيب ان يكون من الاخلاص والشجرة الطيبة هي المثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه ان شجرة من الشجر لا يطرح ورقها وهي مثل المومن فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة واردت ان اقول هي النخلة ثم نظرت فاذا انا اصغر القوم فاستحييت وسكت فقال عليه السلام هي النخلة فذكرت لابي فقال يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم وقيل طيبة الشكل والصورة والمنظر والثمر على انها الذين مستطابة والرايحة والمنفعة اي كما يستلذ اكلها ولذلك الانتفاع بها اصلها اصل هذه الشجرة ثابت في الارض اي راسخ باق امن الانقطاع والزوال لان الشي الطيب اذا كان في معرض الزوال وان كان الفرح يحصل بوجدانه الا انه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله واذا علم من حاله انه باق ثابت دايم لا يزول يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به وفرعها في السما اي في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة نحو قولك في الجبل طويل في السما وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة لان ارتفاع الاغصان وقوتها والتصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق ولانها اذا كانت عالية كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذورات الابنية وكانت ثمراتها نقية طاهرة عن جميع الشوايب توتي اكلها تعطي ثمرها كل حين باذن ربها بارادة ربها وتكوينه ثمر كل حين كل سنة لان الثمر في السنة مرة عن عكرمة ارسل الي عمر بن عبد العزيز اني نذرت ان اقطع يد غلامي او احبسه حينا فما عندك فيه يا مولى ابن عباس قال الحين حينان حين يعرف ويدرك وحين لا يعرف ولا يدرك فاما الحين الذي لا يعرف فقوله ولتعلمن نباه بعد حين واما الذي يعرف فقوله توتي اكلها كل حين فهو ما بين العام الى العام المقبل فقال اصبت واحسنت يا مولى ابن عباس ولان الثمر في السنة وقيل ستة اشهر ما بين صرامها الى حملها عن ابن عباس انه سيل عن رجل حلف ان لا يكلم اخاه حينا فقال الحين ستة اشهر وقرا هذه الاية وقيل الحين شهران لان النخلة لا يكون اكلها الا شهرين وقيل كل حين كل غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المومن اول النهار واخره وقيل كل ساعة ليلا ونهارا شتا وصيفا توكل في جميع الاوقات كذلك المومن لا يخلو من الخير في الاوقات كلها فمعرفة الله والاستغراق في عبوديته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات اما الصفة الاولى وهي كونها طيبة وهي حاصلة بل لا طيب في الحقيقة الا معرفة الله لان اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة المعينة انما حصلت لان ادراك تلك الفاكهة ونيلها امر ملايم لمزاج البدن وليس الملايم للروح القدسية الا معرفة الله ومحبته والابتهاج بها فيكون اللذة الحاصلة من هذه المعرفة اعلى مرتبة من اللذة الحاصلة بادراك الفاكهة ونيلها واما الصفة الثانية وهي ان اصلها ثابت فكذلك اصل هذه الكلمة ثابت راسخ في قلب المومن بالمعرفة والاخلاص والتصديق واما الصفة الثالثة وهي كون فرعها في السما فكذلك لها اغصان صاعدة في عالم القدس وهي اصناف كثيرة يجمعها التعظيم لامر الله ويدخل فيه التامل في دلايل معرفة الله

في

في عالم الارواح وفي عالم الاجساد وفي احوال الافلاك والكواكب وفي احوال العالم السفلي ويدخل فيه محبة الله والشوق اليه والمواظبة على ذكره والاعتماد بالكلية على الله والانقطاع عما سوى الله واغصان صاعدة في هو العالم الجسماني وهي انواع كثيرة يجمعها الشفقة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة والرافة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في ايصال الخير اليهم ودفع الشرور عنهم ومقابلة الاساءة بالاحسان فهذه فروع صاعدة من معرفة الله قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه واما الصفة الرابعة وهي قوله توتي اكلها كل حين فان الكلمة الطيبة التي هي معرفة الله تعالى كلما كان رسوخها في القلب اقوى كان ظهور هذه الاثار عنده اكثر وربما توغل في هذا الباب فيصير بحيث كلما لاحظ شيا لاحظ الحق فيه وربما عظم ترقيه فيه فيصير لا يرى شيا الا وقد كان قد راى الله قبله فهذا هو المراد من قوله تعالى توتي اكلها كل حين واما قوله باذن ربها ففيه دقيقة عجيبة وذلك لان عند حصول هذه الاحوال السنية والدرجات العالية قد يفرح الانسان بها لا من حيث هي هي وانما يفرح بها من حيث انها من المولى وعند ذلك يكون فرحه بالحقيقة بالمولى لا بهذه الاحوال قيل انما مثل الله سبحانه الايمان بهذه الشجرة لان هذه الشجرة لا تكون طيبة الا بثلاثة اشيا عرق راسخ واصل قايم واغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة اشيا معرفة في القلب وقول باللسان وعمل بالابدان ويضرب الله الامثال للناس لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني لان المعاني المعقولة الصرفة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يناسبها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم المنازعة فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك عن ابن عباس هذا مثل ضربه الله ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الارض اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت اقتلعت عن ابن عباس انتزعت عن الضحاك استوصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها كلمة الشرك لا خير فيها ولا يصعد لها عمل صالح ولا تعضد بحجة فهي داحضة غير ثابتة تضمحل عن قريب لبطلانها قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة يثبت الله الذين امنوا يحقق الله ايمانهم واعمالهم بالقول الثابت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وهو شهادة ان لا اله الا الله ويثبتهم بالقول الثابت في الحيوة الدنيا انهم اذا افتتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير والذين مشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهم وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سيلوا عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحزنهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سوال القبر عن البرا ابن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقيل في الحيوة الدنيا في القبر وفي الاخرة بعد البعث وقيل التثبيت في الدنيا الفتح والنصر وفي الاخرة الجنة والثواب ويضل الله الظالمين الكافرين اي لا يلقنهم فان الكافر اذا دخل عليه الملكان قالا له من ربك وما دينك ومن نبيك قال لا ادري قالا له لا دريت ولا تليت عشت عصيا ومت شقيا ويفعل الله ما يشا فلا اعتراض عليه في اثبات المومنين واضلال الظالمين **قوله تعالى** الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبيس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار عاد في هذه الاية الى ذكر احوال الكفار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكر النعمة الذي

وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه وقيل بدلوا نفس النعمة كفرا لانهم لما كفروا النعمة سلبوها فبقوا مسلوبى
النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة قيل هم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم وقيل اصابهم الله بالنعمة فى الرخا والسعة
لايلافهم الرحلتين فكفروا النعمة فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا
يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى اعناقهم وعن عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب
رضى الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتى حين وقيل هو عام فى جميع المشركين ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله نعمة عليهم فكفروا واحلوا
قومهم وان لو امن تابعهم على الكفر دار البوار اى دار الهلاك ثم ترجم عن دار البوار بما فى فقال جهنم فهى عطف
بيان يصلونها يدخلونها ويقاسون حرها وبئس القرار المقر جهنم وجعلوا لله اندادا اى سموا اصنامهم اندادا
مثلا ليضلوا قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا اى ليضلوا انفسهم والباقون بضمها اى ليضلوا الناس عن سبيله
واللام لام العاقبة والمعنى كان عاقبة جعلهم لله اندادا الضلال والاضلال عن الصواب وقيل اللام لام كى
على قراة ضم اليا قل يا محمد لهم تمتعوا اعيشوا فى الدنيا بشهواتكم وبعبادة الاوثان ايذان بانهم لانغماسهم فى
التمتع فى الحيوة الدنيا وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه
ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر السخط والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة
فان مصيركم الى النار ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار وهذا الامر يسمى التهديد ونظيره
قوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار **قوله تعالى** قل لعبادى
الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال
لما امر الكافرين بامر التهديد بالتمتع بنعيم الدنيا امر المومنين فى هذه الاية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة
فى الجهاد بالنفس والمال قل يا محمد لعبادى قرا حمزة والكسائى بسكون اليا والباقون بفتحها
خصهم بالاضافة اليه تشريفا لهم وقيل مقول قل محذوف تقديره قل لعبادى الذين امنوا اقيموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم وانما حذف المقول لان جواب قل وهو قوله يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم يدل عليه وقيل يجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول
وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل ابتدا يقيموا الصلوة وينفقوا بحذف
اللام لم يجز سرا وعلانية مصدران وقعا موقع الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين
وقيل منصوبان على الظرف اى وقتى سر وعلانية وقيل منصوبان على المصدر اى انفاق سر وانفاق
علانية والسر ما خفى والعلانية ما ظهر وقيل المعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
وقيل السر الصدقات والعلانية النفقات من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه اى من قبل يوم القيمة
ومعنى لا بيع فيه لا فدا وقيل لا تقدر على ابتياع ما ينجيه ولا خلال اى لا مخالة وهى المودة اى لا شفاعة
للكفار لان الخليل يشفع للخليل والخلال مصدر وقيل جمع خلة كقلة وقلال **قوله تعالى** الله
الذى خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك
لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لما ابتدى بيان
احوال السعدا واحوال الاشقيا كانت المهم العظمى والمنزلة الكبرى فى حصول السعادات
معرفة الله بذاته وصفاته وفى حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لا جرم ختم الله وصف

احوال السعدا واحوال الاشقيا بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة على وحدانيته وكمال علمه وقدرته
الله مبتدا والذى خلق خبره من الثمرات مفعول اخرج اى اخرج بعض الثمرات رزقا حال من المفعول
او مصدر اخرج لان اخرج بمعنى رزق وقيل من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو ثمرات
وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار تجرى فيها المياه وقيل تسخير هذه الاشيا
تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فى سيرهما وانارتهما ودفعهما الظلمات واصلاحهما
ما يصلحان من الارض والمعادن والنبات والحيوان والانسان وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم
وسباتكم ولو كان الليل سرمدا او النهار سرمدا ما كان على الارض نبات ولا حيوان كما هو لذلك حيث لا
تغرب الشمس فيه وحيث لا تطلع عليه الشمس واتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اى اتاكم بعض جميع ما سالتموه
قيل التقدير اتاكم من كل شى سالتموه شيا وقيل ما من شى الا وقد ساله بعض الناس وقيل معنى من كل
التنكير كما تقول فلان يعرف كل شى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها
وبلوغ اخرها والاحصا الاحاطة بمبلغ العدد والمعنى ان تروموا عدها بقصدكم اليه لا تحصوها
لكثرتها وقيل وان تعدوا احادها لا تحصوا نهايتها لكثرتها وقيل ان اردتم ان تعدوها على
الاجمال لا تحصوها واما على التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم على نفسه
باغفال شكر النعمة كفار قوى الكفران لنعمة ربه وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة
يجمع ويمنع وقيل الانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه وقيل اراد بالانسان
غير المومن **قوله تعالى** واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم لما بين
بالايات الباهرة والبينات الظاهرة ان لا معبود الا الله وانه لا يجوز عبادة غير الله حكى عن ابرهيم
صلوات الله عليه وسلم مبالغته فى الاجتناب عن عبادة الاوثان هذا البلد اى البلد الحرام زاده
الله امنا وشرفا امنا ذا امن والفرق بين قوله فى سورة البقرة اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله ههنا
اجعل هذا البلد امنا انه سال فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يامن اهلها ولا يخافون وفى الثانى
ان يزيل عنه الصفة التى كانت حاصلة له وهى الخوف ويجعله ذا امن كانه قال هو بلد مخوف
فاجعله امنا واجنبنى وبنى اى بعدنا واجعلنا منه فى ناحية وبعد اى ثبتنا وادمنا على اجتناب
عبادتها وبنى اراد بنيه من صلبه فانه اجيبت دعوته فيهم واما باقى نسله ففيهم من عبد الاصنام
وهذا الدعا من ابرهيم عليه السلام يقتضى افراط خوفه على نفسه ومن حصل فى رتبته كيف
خاف ان يعبد صنما لكن هذه الاية ينبغى ان يقتدى بها فى الخوف وطلب الخاتمة والاصنام
هى المنحوتة على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهى اوثان قاله الطبرى عن مجاهد
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمنى وبنى من ذلك واسناد الاضلال الى الاصنام
مجازى لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم فمن تبعنى على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى فانه منى اى
هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا اى ليس بعض المومنين
على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصانى فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه
واستحدث الطاعة لى وقيل ومن عصانى فيما دون الشرك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقول
عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم امتى ثم بكا فقال
الله جل ثناؤه يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاساله ما يبكيه فاتاه جبريل فساله فاخبره رسول الله

فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك **قوله تعالى** ربنا
اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا
في السما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعا رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي
ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب اخبر الله تعالى عن ابرهيم انه قال
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة لا زرع فيها ولا نبات لانها جبل وحجر
عند بيتك المحرم هو بيت الله لم يملكه احد سوى الله قيل المحرم لان الله حرم التعرض اليه والتهاون به وجعل
ما حوله حرما لمكانه وقيل لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشي المحرم الذي حقه ان يجتنب وقيل
لانه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها وقيل لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه
فلم يستول عليه وقيل لانه حرم فيه المجامعه واسيما يجوز لهم تعاطيه في بيوتهم من الدما والاقذار وغيرها
ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقه باسكنت اي اسكنت من ذريتي ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعه التي شرفتها على البقاع مستسعدين
بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمه التي
اثرت بها سكان حرمك فان قيل ما وجه قول ابرهيم عند بيتك المحرم وانما بنى ابرهيم البيت بعد ذلك بمده
قيل معناه عند بيتك المحرم الذي كان قبل ان ترفعه من الارض حين رفعته ايام الطوفان وقيل عند بيتك
المحرم الذي كان في سابق علمك انه يحدث في هذا البلد وروي ان ساره كانت لها جاريه يقال لها هاجر
فوهبتها من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت ساره وناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما ابرهيم
الى ارض مكه ثم رجع الى ساره وذكر ان ساره لما بشرت بالولد جعلت تهيي اسباب الولاده من المهد
وغيره وكان فيها اصفر واخضر فضحك اسمعيل فغضبت ساره وقالت منزلتك بلغت ان تضحك
من ابني لا ارى ان تكون ههنا فحمله ابرهيم واسكنه الوادي فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم قبيله من العرب
نظروا فراوا انما طيورا فقالوا الاطير الا على الما فقصدوا ذلك الما فراوا هاجر واسمعيل وعندهما
عين ما فقالوا اشركينا في مالك هذا اشركك في البانا ففعلت ذلك فنزلوا واختلفوا في سن
اسمعيل فقيل كان بالغا حين اسكنه الوادي الا ترى انه كان يعين ابرهيم في بنا البيت وقيل انه كان قد
نشا ولم يبلغ بعد وقيل انه كان طفلا فاجعل افئدة من الناس ومن للتبعيض يدل عليه ما روي
عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم
والترك والهند وقيل من للابتدا كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكر المضاف
اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الايه نكره لتناول بعض الافئده تهوي اليهم تسرع اليهم وتنزع
وتميل وتشتاق اليهم وهذا دعا منه عليه السلام لهم بان يرزقهم حج بيته الحرام وارزقهم من الثمرات
ما رزقت سكان القرى ذوات المياه مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم
يشكرون النعمه في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضره في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ما
لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه ثم فضله
في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلاد المشرق
والمغرب يرى الاعجوبه التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكر والفواكه المختلفه
الازمان من الربيعيه والخريفيه في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله بسكان حرمه
ووفقنا لشكر نعمه **قوله تعالى** ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شي في الارض ولا

بلدين

في

في السما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعا رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا
وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب تكرير النداء دليل التضرع واللجا الى الله
تعلم ما نخفي من الخلق وما نعلن وقيل ما نخفي من محبتك وما نعلن من شكرك وقيل وما نعلن من الوجد
وقيل ما نخفي من الوجد بسبب حصول الفرقه بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكا وقيل وما نخفي من الحزن المتمكن
في القلب وما نعلن مما جرى بيني وبين هاجر قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال على الله اكلكم قالت الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى وقيل تعلم السر كما تعلم العلن علما لا متفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب
عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا فلا حاجة الى
الدعا والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبوديه لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك
واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبه في اصابة معروفه
مع توفر السيد على حسن الملكه وما يخفى على الله من شي قيل ذلك من تمام كلام ابرهيم عليه السلام اي وما
يخفى على الله الذي هو عالم الغيب والشهاده من شي في الارض ولا في السما ومن للاستغراق كانه قيل وما
يخفى على الله شي ما وقيل من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون الحمد
لله الذي وهب لي على الكبر اي مع الكبر كقول الشاعر اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكتف وهو في
موضع الحال ومعناه وهب لي في حال الكبر عن ابن عباس رضي الله عنهما ولد اسمعيل لابرهيم عليهما السلام
وهو ابن تسع وتسعين سنه وولد له اسحق عليهما السلام وهو ابن مايه سنه وثنتي عشره سنه وعن سعيد
بن جبير بشر ابرهيم باسحق بعد مايه وسبع عشره سنه وانما ذكر حال الكبر لان المنه بهبة الولد فيها اعظم من حيث
انها حال وقوع الياس من الولاده والظفر بالحاجه على عقب الياس من اجل النعم واجلاها في نفس الظافر
ولان الولاده في تلك السن العاليه كانت ايه لابرهيم ان ربي لسميع الدعا لما ذكر الدعا على سبيل التعريض
لا على سبيل وجه التصريح قال ان ربي لسميع الدعا اي هو عالم بالمقصود سوا صرحت به او عرضت
له وقيل كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به
من اجابته وقوله سميع الدعا من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده
واضافة السميع الى الدعا اضافة الصفه الى مفعولها واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه
فعيلا في جمله ابنيه المبالغه العامله عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيد وضراب اخاه وقيل يجوز
ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب
اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي اي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما ذكر البعض لانه
علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين عن ابن عباس لا يزال
من ولد ابرهيم ناس على الفطره الى ان تقوم الساعه ربنا وتقبل دعاء اي استجب دعاي واجعله دعا
مجابا مقبولا وقيل عبادتي عن النبي صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العباده ثم قرا وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فسمى الدعا عباده ربنا اغفر لي ولوالدي
فان قيل كيف جاز لابرهيم ان يستغفر لوالديه وكانا كافرين اجيب بان المنع لا يعلم الا بالتوقيف فلعله
لم يجد منه منعا فظن كونه جايزا وقيل اراد بوالديه ادم وحوي وقيل اراد ان اسلما وتابا وانابا
قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال
فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جمله ما يوتسى فيه بابرهيم عليه السلام وللمومنين كلهم عن ابن
عباس رضي الله عنهما من امة محمد صلى الله عليه وسلم يوم يقوم يثبت ويظهر الحساب وقيل
اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس اذ كان مفهوما معناه وقيل

يقوم ويثبت وهو مستعار من قيام القايم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساق ونحوه قولهم ترجل
الشمس اذا اشرقت وثبت ضوها كانها قامت على رجل وقيل يجوز ان يكون مثل واسل القرية **قوله
تعالى** ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي روسهم لا
يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هوا لما حكى عن ابرهيم عليه السلام انه طلب من الله ان يجنبه وبنيه عن عبادة الاصنام
ذكر ما هو وعيد للظالمين وعبدة الاصنام اظلمهم فان قيل تعالى الله عن الغفلة فكيف يحسبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس بالله غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا اجيب بانه خطاب لغير النبي
ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله به وبصفاته فلا سوال فيه وقيل خطاب لرسول الله واريد به التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر كما جا في الامر
يا ايها الذين امنوا امنوا وقيل اراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى
عليه منه شي وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد
وقيل اراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير
والقطمير وعن ابن عيينة تهديد للظالم وتسلية للمظلوم انما يوخرهم يمهلهم ويوخر عذابهم ليوم تشخص
لا تغمض فيه الابصار ولا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي والاهطاع الاسراع
والبدار وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي روسهم رافعيها
والاقناع رفع الراس والنظر في ذل وخشوع وقيل ناكسوا روسهم لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم
ان يطرفوا باعينهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان فالطرف
مصدر وقيل الطرف العين اي لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافيدتهم هوا خالية من كل خير
والخلا الذي لم يشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هوا اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة
ويقال للاحمق ايضا قلبه هوا وقيل هوا لا يعي شيا وقيل ترغب افيدتهم من اجوافهم لا تستقر وقيل الفواد
موضع القلب من الصدر والمعنى خلع الخوف قلوبهم فليس بين جوانحهم قلب **قوله تعالى** وانذر الناس يوم
ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا
لكم الامثال وانذر يا محمد الناس كفارمكة وغيرهم يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم
القيمة فيقول الذين ظلموا عطف على قوله ياتيهم وليس بجواب فلذلك رفع الذين ظلموا اي اشركوا ربنا
اخرنا امهلنا الى اجل قريب وهو الدنيا اي ارجعنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان
قريب نجب دعوتك نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك وقيل اريد باليوم
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وقيل يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقا الملايكة بلا بشرى
وانهم يسالون يوميذ يوخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل في دار الدنيا ما لكم من زوال عنها اي انكم
اذا متم لا تزولون عن تلك الحالة الى حيوة ثانية اي لا تبعثون وهو قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت قال صاحب الكشاف اولم تكونوا اقسمتم حلفتم من قبل في دار
الدنيا ما لكم من زوال على ارادة القول وفيه وجهان ان تقولوا ذلك بطرا واشرا
ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان تقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا
واملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وانما جا بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ
المقسمين لقيل ما لنا من زوال وقيل اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت

ان

والفنا وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا انفسهم والسكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه
بفي كقولك قرّ في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار
كما قيل تبواها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس سايرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقيل شاهدتم في منازلهم اثار ما نزل بهم فانها
باقية وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اي وقد مكروا
مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم في تاييد الكفر وبطلان الانبيا وعند الله مكرهم قيل مضاف
الى الفاعل كالاول والمعنى مكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وقيل مضاف الى المفعول
والمعنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
وان كان مكرهم لتزول قرا السبعة سوى الكسائي بكسر اللام الاولى من لتزول وفتح الثانية اي وان عظم
مكرهم وتبالغ في الشدة بحيث تزول منه الجبال فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي
وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقيل ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان
الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثال لايات الله وشرايعه
لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وقرا الكسائي بفتح اللام الاولى وضم الثانية على معنى وان
كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها **قوله تعالى** فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام اي وعده رسله بالنصر لاوليايه والقهر لاعدايه يعني قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان
الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد
كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر ولا يمتنع عليه شي ذو انتقام
لاوليايه من اعدايه **قوله تعالى** يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
يوم بدل من يوم ياتيهم وقيل ظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى
غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقد يكون في الوصف كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاوليك يبدل الله سياتهم
حسنات فقيل تبدل الارض والسموات اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى
فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير والسيد وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا وقيل يفني هذه الارض وهذه السموات ويخلق بدلها ارضا اخرى وسموات اخر وعن علي رضي
الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضا كالصحايف وعن ابن
مسعود يحشر الناس على ارض بيضا لم يخط عليها احد خطيية وبرزوا اخرجوا من قبورهم لله الواحد
القهار لمحاسبته اياهم ومجازاته على اعمالهم وقوله الواحد القهار كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر
في غاية الصعوبة والشدة **قوله تعالى** وترى المجرمين يوميذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران
وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب وترى المجرمين اي الكفار الكاملون

في الفجور يومئذ يوم القيمه مقرنين مسددين في القرن وهو الحبل اي قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين
وقيل قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين في الاصفاد الاصفاد القيود وقيل الاغلال قيل الاصفاد متعلقه
بمقرنين اي مقرنين في الاصفاد وقيل غير متعلقه به والمعنى مقرنين مصفدين سرابيلهم قمصانهم ولباسهم من قطران
ما تهنا به الابل عن قتاده القطران النحاس عن الضحاك القطران النحاس والنحاس الصفر وقيل القطران شيء
النار وقيل ما يحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فتحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته
الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل
النار حتى يعود طلاوهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الاربع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش
ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله به واوعد في الاخره
فبينه وبين ما تشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمه
وتغشى وجوههم النار تعلوها باشتعالها لقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم
لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة ليجزي الله اي يفعل
بالكافرين ما يفعل ليجزي كل نفس كافرة ما كسبت وقيل كل نفس من مجرمه ومطيعه لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم
انه يثيب المطيعين لطاعتهم **قوله تعالى** هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب
هذا قيل اشارة الى المذكور من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب وقيل الى ما في هذه السوره وقيل
الى كل القران بلاغ للناس كفايه في التذكر والموعظه ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا
به اي بهذا البلاغ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافه الى النظر
حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشيه اصل الخير كله

سورة الحجر مكيه

وهي الفان وسبعمايه وستون حرفا وستمايه واربع وخمسون كلمه وتسع وتسعون ايه بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السوره من الايات والكتاب السوره وكذا القران وتنكير القران للتفخيم
والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قران مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابه
وقيل الكتاب التوريه والانجيل وقران كتابنا **قوله تعالى** ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قرا
نافع وعاصم ربما بالتخفيف والباقون بالتشديد ودخلت ربما على المضارع وان منعوا دخولها عليه لان
المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وليس المراد به التقليل
بل وارد على عادة العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا
تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل
منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الايه لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه في كل ساعه لو كانوا مسلمين حكايه ودادتهم وانما جيء به على لفظ الغيبه لانهم مخبر
عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل ربما
ههنا للتقليل حقيقه فان اهوال ذلك اليوم تدهشهم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقه في اوقات قليله
من سكرتهم تمنوا وقيل ودادتهم عند الموت وقيل يوم القيامه اذا عاينوا سوء حالهم وسوء احوال المسلمين
وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار **قوله تعالى** ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ذرهم دع
الكفار ياكلوا في الدنيا ويتمتعوا في لذاتها وتنفيذ شهواتهم ويلههم ويشغلهم املهم عن الاخذ بحظهم من الايمان فسوف
يعلمون سوء صنيعهم اذا وردوا القيامه وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد للكفار وفيه
تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين قيل هذه الايه منسوخه

بايه السيف **قوله تعالى** وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما
يستاخرون لما توعد من كذب الرسول عليه السلام بقوله ذرهم ياكلوا اتبعه بما يوكد الزجر قال
صاحب الكشاف ولها كتاب جملة واقعه صفة لقرية والقياس الا تتوسط الواو بينهما اي بين الموصوف
والصفه كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب قال صاحب المفتاح والوجه عندي هو
ان ولها كتاب معلوم حال لقرية لكونها في حكم الموصوفه اي قرية من القرى لا وصف وحمله على الوصف سهو
لا خطا ولا عيب في السهو كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ ما تسبق
من امة قيل من زائده كقوله ما جاءني من احد وقيل ليست بزائده لانها تفيد التبعيض اي ما تسبق بعض من ابعاض
الامه فيفيد تاكيد عموم النفي اجلها اي ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون انث الامه اولا
فقال اجلها حملا على اللفظ ثم ذكرها اخرا فقال يستاخرون حملا على المعنى اي وما يستاخرون عنه لحذف
عنه لانه معلوم والمعنى وما اهلكنا قوم قرية الا ولاهلاكهم وقت معين لا يتقدم ولا يتاخر **قوله تعالى**
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تاتينا بالملايكه ان كنت من الصادقين ما ننزل
الملايكه الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لما بالغ في التهديد ذكر بعده
شبه الكفار في انكار نبوته اي وقال الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم والذكر القران اي نزل عليه بزعمه ودعواه وهذا النداء منهم على وجه الاستهزا ولهذا يعزون نزول
الذكر اليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزا والتهكم مذهب واسع وقد جا في كتاب الله في
مواضع فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر وتريد ان تدع دين ابائنا ونتبعك من غير بينه لوما ولولا المعنيين
لامتناع الشي لوجود غيره والتحضيض والمراد ههنا التحضيض والمعنى هلا تاتينا بالملايكه يشهدون
بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا فانا اذا رايناهم لصدقناك
وامنا بك واتبعناك وقيل هلا تاتينا بالملايكه للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت من الصادقين كما كانت
تاتي الامم المكذبه برسلها ما ننزل قرا حمزه والكسائي وحفص عن عاصم ننزل بضم النون الاولى وفتح
النون الثانيه وكسر الزاي ونصب الملايكه وابو بكر بضم التاء وفتح النون والزاي ورفع الملايكه والباقون
بفتح التاء والزاي وتشديدها ورفع اللام والملايكه اجاب الله تعالى عن شبهتهم تقريرا للجواب على الوجه الاول
ان انزال الملايكه لا يكون الا بالحق وعند حصول الفايده وقد علم الله تعالى من حال هولا الكفار انه لو انزل
عليهم الملايكه لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا ننزل الملايكه الا بالحق وتقرير الجواب
على الوجه الثاني ان الملايكه لا ننزلهم الا بعذاب الاستيصال وحكمنا في امة محمد لا نعذبهم بعذاب الاستيصال
وان نمهلهم لما علم من ايمان بعضهم ومن ايمان اولاد الباقين بالحق اي ملتبسا بالحق وهو الوحي او العذاب
او الرسالة او الموت وقيل بالحق الذي لا يبقى معه الباطل طرفة عين وقيل بالحق القران وما كانوا اذا منظرين
جواب للكفار وجزا للشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملايكه ما كانوا منظرين مهملين وما اخر عذابهم
انا نحن نزلنا الذكر رد لاستهزائهم وانكارهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولهذا قال انا نحن نزلنا
فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وان الذي هو بعث جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم
وانا له لحافظون من ان يزاد فيه ما ليس منه او ينقص منه ما هو فيه وقيل لحافظون من ابليس والشياطين
الانس والجن ان يزيدوا فيه باطلا وان ينقصوا منه حقا وعن قتاده له لمحمد عليه السلام حافظون من اعدايه
وقيل لحافظون القران في قلب من اردنا به الخير لما قال انا نحن نزلنا الذكر لانكارهم واستهزايهم جعل في له وانا له

لحافظون دليلا على انه منزل من عنده اية لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان
كما يعرض على كل كلام سواه **قوله تعالى** ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين لما اساوا في
حق الرسول صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهه وقالوا انك لمجنون ذكر سبحانه وتعالى ان عادة الجهال
مع جميع الانبيا هكذا كانت فلك اسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم جميع الانبيا اي ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا حذف رسلا لدلالة الارسال عليه في شيع الاولين في فرقهم وطوايفهم والشيعة الفرقة
اذا اتفقوا على مذهب وطريقه ومعنى ارسلنا فيهم اي جعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضيه
لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به
يستهزءون كما فعلوا بك تعزى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك نسلكه اي مثل ذلك السلك نسلك الكفر والاستهزا
في قلوب المجرمين من امتك لا يومنون بالله وقيل بالذكر وقيل بالعذاب وقيل مثل ذلك السلك نسلك الذكر
في قلوب المجرمين على معنى نجعله وندخله في قلوب المجرمين من مشركي مكة مكذبا مستهزا به غير مقبول ويحمل لا
يومنون به النصب على الحال اي غير مومنين به وقيل بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين التي
سنها الله في اهلاك مكذبي الرسل حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم تخوف اهل مكة على استهزايهم
وتكذيبهم قيل وقد مضت سنة الاولين بان نسلك الكفر والضلال في قلوبهم **قوله تعالى** ولو فتحنا
عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ان مشركي مكة لما
طلبوا من رسول الله نزول الملايكة حتى يصدقوه في كونه رسولا من عند الله بين الله تعالى في هذه الاية
انه بتقدير نزول الملايكة يقول الذين كفروا هذا من باب السحر ولو فتحنا على هولا القايلين لوما تاتينا
بالملايكة بابا من السما فظلت الملايكة في هذا الباب يعرجون وهم يرونه عيانا لقالوا انما سكرت
حيرت عن ابن عباس سدت ابصارنا من السكر وعن الحسن سحرت وعن قتاده اخذت وعن الكلبي
اغشيت وعميت وقيل حبست من الابصار من السكر وقيل هو من سكر الشراب كانه اريد غشيت ابصارنا
قيل المعنى ان هولا المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من السما ويسر لهم معراج يصعدون
فيه اليها وراوا من العيان لقالوا هو شي نتخيله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وذكر الظلول
ليجعل عروجهم في النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبيتون القول بان ذلك
ليس الا تسكيرا للابصار **قوله تعالى** ولقد جعلنا في السما بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان
رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين لما اجاب عن منكري النبوة وكان قد ثبت ان القول بالنبوة مفرع
على القول بالتوحيد اتبعه تعالى بدلايل التوحيد ولما كانت دلايل التوحيد منها سماويه ومنها ارضيه بدا ههنا
بذكر الدلايل السماويه فقال ولقد جعلنا في السما بروجا وهي اثنا عشر برجا اسماوها الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ووجه دلالتها على وجود الصانع
المختار هو ان طبايع هذه البروج مختلفه والسما فيها هذه البروج المختلفه فاختلافها لا يكون لنفس السما
ولا لموجب يوجبه فيكون هذا الاختلاف باختيار فاعل مختار قادر حكيم واحد والا لفسدت السما
بما فيها وزيناها اي وزينا السما بالشمس والقمر والنجوم للناظرين اي للمعتبرين بها والمستدلين بها على وحدانية
صانعها وعلمه وقدرته وارادته واختياره وحفظناها اي وحفظنا السما من كل شيطان رجيم ملعون
مرمي بالنجوم وحفظ السما من كل شيطان رجيم منعه من القرب منها فحفظ الله السما من كل شيطان كما قد يحفظ
منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والرجم الرمي بالحجارة ومنه رجم المحصن والرجم السب والشتم
لانه رمي بالقول القبيح والرجم اسم لكل ما يرمى به ومنه قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين اي مرامي لهم

والرجم القول بالظن ومنه قوله تعالى رجما بالغيب لانه يرميه بذلك الظن والرجم الطرد واللعن والرجيم
في الاية قد فسروه بكل هذه الوجوه الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثنا اي ولكن من استرق السمع
فاتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين عن ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات فكانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب عن الملايكة فيلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات كلها فكل احد منهم يريد استراق السمع رمي بشهاب فيجرحه او يخبله او يحرق جراحه ولا يقتله
وعن الحسن يقتله ولا يعود الشهاب وقيل يرجمون بها وتعود الشهب الى اماكنها **قوله تعالى** والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
لما فرغ من الدلايل السماويه في تقرير التوحيد اتبعها بذكر الدلايل الارضيه وهي انواع منها قوله والارض مددناها
بسطناها على وجه الما ممتدا في الابعاد الثلثه الطول والعرض والعمق وبمد جرم الارض في الابعاد الثلثه
مختص بمقدار معين مع ان الازدياد عليه معقول والانتقاص عنه ايضا معقول فيكون لمخصص ومقدر
وهو الله ومنها والقينا فيها رواسي والقينا في الارض رواسي جبالا ثوابت والراسي الثابت عن ابن
عباس لما بسط الله الارض على الما مالت باهلها كالسفينه فارساها بالجبال الثقال لكيلا تميل باهلها
وقيل المراد انه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض ونواحيها لانها كالاعلام فلا تميد عن الجادة
المستقيمه ولا يقعون في الضلال ومنها فيها من كل شي موزون قيل في الارض وقيل في الجبال وقيل فيهما
موزون ما يوزن من نحو الذهب والفضه والنحاس والحديد وغيرها وقيل له وزن وقدر في ابواب
النعمه والمنفعه وقيل موزون مقسوم وقيل يحتمل ان يراد به المكيل والموزون والمعدود لان مآل الكل الى
الوزن كالخبز وحب الرمان وقيل موزون معلوم عند الله وقيل موزون وزن بميزان الحكمه وقدر بمقدار
تقتضيه لا تصلح فيه زياده ولا نقصان ومنها وجعلنا لكم فيها معايش بيا صريحه جمع معيشه وهي
مصدر عاش فجعل اسما لما يعاش به وقيل المعيشه طلب اسباب الرزق من المطاعم والمشارب والملابس مدة الحيوة
قد يطلبها الانسان بالكسب والتصرف وقد تطلبه فان اتاه من غير طلب فهو العيش الهني ومن لستم لا يجوز
ان يكون معطوفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار بل معطوف
على محل لكم اي وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين
يحسبون انهم يرزقونهم ويخطون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
وكل ما بتلك المثابه مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ويدخل فيه الوحش والسباع والطير
ويحتمل ان يدخل فيه عقلا ليسوا من بني آدم كالجن وقيل هو عطف على معايش كانه قيل وجعلنا لكم فيها
معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين ومنها قوله تعالى وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم
لما قال وانبتنا فيها من كل شي موزون اتبعه بذكر ما هو كالسبب لذلك ذهب قوم من المفسرين الى انه خاص بالمطر
وما من شي من المطر لانه اصل جميع الاشيا والمراد بقوله عندنا خزاينه انه القادر عليه وعلى احداثه ومنهم
من ذهب الى ان التقدير وان من شي مما تنبته الارض من الثمار والاشجار الا عندنا خزاينه يريد الما ايضا لكنه
جعل خزاين الما خزاين هذه الاشيا لما كانت منه وهذا اقرب من الاول وقيل ان الخير كله بيد الله وقيل
خزاينه مفاتحه وقيل عندنا خزاينه يرسلون منه وقيل خزاينه مقدوراته وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما
في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وقيل يريد الما الذي في السما ينزل الى السحاب ثم ينزل الى الارض وما
ننزله الا بقدر معلوم عند الله حتى ومبلغه عن ابن مسعود ليس ارض بامطر من ارض ولا عام بامطر من عام ولكن الله
يقسمه ويقدره في الارض كيف يشا عاما ههنا وعاما ههنا وفي رواية اخرى وربما كان في البحر وروي ايضا
انه ينزل مع المطر من الملايكة اكثر من ولد ابليس وولد ادم يعلمون كل قطرة حيث تقع وما تسقي قال صاحب الكشاف

ذكر الخزاين تمثيل والمعنى وما من شى ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به
وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزاين مثلا لاقتداره على كل مقدور قال الامام
وان من شى يتناول جميع الاشيا الا ما خصه الدليل وهو الموجود القديم لذاته وقوله الا عندنا خزاينه اشاره
الى كون تلك الاشيا مقدورة لله تعالى وحاصل الامر فيه المراد ان جميع الممكنات مقدورة له ومملوكه يخرجها
من العدم الى الوجود كيف شا ومقدوراته تعالى وان كانت غير متناهيه وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم
اشارة الى ان كل ما دخل منها فى الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج منها الى الوجود متناهيا كان لا محالة مختصا
فى الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت او بعده بدلا عنه وكان مختصا بحيز معين مع جواز
حصوله فى ساير الاحياز بدلا عن ذلك الحيز وكان مختصا بصفات معينه مع انه كان يجوز فى العقل حصول ساير الصفات
بدلا عن تلك الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص تلك الاشيا المتناهيه بذلك الوقت المعين والحيز المعين
والصفات المعينه بدلا عن اضدادها لا بد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله
وما ننزله الا بقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر المختار الذى خصص تلك الاشيا بتلك الاحوال الجايزة والا
لامتنع اختصاصها بتلك الصفات والمراد من الانزال الاحداث والانشا والابداع لقوله تعالى وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد قيل المراد وجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين اراد ان يبين كيفيه جعل الارض محلا للمعايش فعمم كيفيه انزال الحوادث
فقوله وان من شى الا عندنا خزاينه اشارة الى انه ما من شى من الاشيا المخلوقه الا عند الله خزاينه
التى هى الكتاب المبين واللوح المحفوظ اى وجود جميع المشيات والمقدورات والمخلوقات فى الكتاب
المبين واللوح المحفوظ بجمعه ومجمله على سبيل الابداع وما ننزله فى الاعيان مفصله واحدا واحدا
على التعاقب الا بقدر معلوم على الوجه الذى شاء مهما **قوله تعالى** وارسلنا الرياح لواقح وانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه قرا حمزه الريح والباقون الرياح اللواقح جمع لاقحه قيل ان الريح لاقحه اذا جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تاتى بخير ريح عقيم وقيل المعنى ارسلنا الرياح حوامل بالسحاب
لانها تحمل السحاب وقيل اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوايح يريد المطاوح جمع مطيحه لان
الرياح تلقح الاشجار وقيل تلقح السحاب وقيل تلقحهما وعن ابى هريرة الريح الجنوب من الجنه هى الريح اللواقح
التى ذكرها الله فى كتابه تقريره ههنا الوجه ان الريح هوا متحرك وحركة الهوا بعد ان لم يكن متحركا لا بد له من سبب
وذلك السبب ليس نفس كونه هوا ولا شى من لوازم ذاته والا لدامت حركة الهوا بعد ان لم يكن متحركا فلم يبق الا ان
يقال انه بتحريك الفاعل المختار **قوله تعالى** فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين قيل انزلنا
من السماء اى من السحاب ماء اى مطرا والاولى ان يحمل السماء على مفهومها الحقيقى ويراد وانزلنا من جهه
السما او من السماء نفسها ولا ينافى انزاله من السحاب لان الاسباب المترتبه تسند المسببات الى القريب
وتارة الى البعيد وتارة الى الابعد الا ترى الى قوله تعالى خلقناكم من تراب ثم من نطفه الايه فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا ولو اراد انزلناه لتشربوه لقال فسقيناكموه لان العرب تقول سقيت الرجل ماء ولبنا
وغيرهما لشربه اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ما يشرب ارضه او ماشيته قالوا اسقيته وقيل ما سنا له
الايدى والدلا فهو السقى وما لا تناله الايدى والدلا فهو لسقيا وما انتم له بخازنين الماء فى السماء
نفى عنهم ما اثبته لنفسه سبحانه فى قوله وان من شى الا عندنا خزاينه كانه قيل نحن الخازنون
الماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم
قدرته واظهار العجز هم ومنها **قوله تعالى** وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون قيل نحيى
الحيوان والنبات ونميتهما وقيل نحيى الحيوان لان وصف النبات بالاحيا مجاز فوصف تخصيصه

باحيا

باحيا الحيوان وهذا ليس بشى فانه يجوز الجمع بينهما لان الجمع بين الحقيقه والمجاز جايز وقيل نحيى بالايجاد
ونميت بالافنا ونحن الوارثون اذا امات الخلايق اى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل الباقى وارث
استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنايه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا
ولما ثبت بالبراهين القاطعه انه لا قدرة على خلق الحيوة والايجاد الا الله تعالى كان حصول الحيوة للحيوانات
دليلا قاطعا على وجود الاله الفاعل المختار **قوله تعالى** ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
المستقدمين اى الاموات والمستاخرين الاحيا وقيل المستقدمين من خلق والمستاخرين من لم يخلق ولقد علمنا من خلق الى
اليوم وقد علمنا من سيخلقه بعد اليوم وقيل ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين وقيل
من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد وقيل من استقدم فى اول الخلق ومن استاخر فى اخر الخلق عن مجاهد
المستقدمين القرون الاول والمستاخرين امه محمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن المستقدمين فى الاسلام والطاعه
والخير والمستاخرين المبطيون عن الاسلام والطاعه والخير ولقد علمنا المستقدمين منكم فى صفوف الجماعه
فى الصلوة والمستاخرين فيها بسبب النسا عن ابن عباس كانت النسا يخرجن الى الجماعات فيقوم الرجال صفوفا خلف
النبى صلى الله عليه وسلم والنسا صفوفا خلف صفوف الرجال وربما كان فى الرجال من فى قلبه ريبه فيتاخر الى
الصف الاخير من صفوف الرجال وربما كان من النسا من فى قلبها ريبه فيتقدم الى اول صف النسا لتقرب من الرجال
وكانت امراة احسن النسا لا والله ما ان رات مثلها قط تصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم فكان بعض الناس يستقدم فى
الصف الاول لئلا يراها وبعضهم يستاخر حتى يكون فى الصف المتاخر فاذا ركع وسجد نظر اليها من تحت يديه فانزل
الله هذه الايه وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وشر صفوف النسا اولها
وخيرها اخرها روى انه صلى الله عليه وسلم حض على الصف الاول وكانت بنو عذره دورهم قاصيه
عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشترى دورا قريبا من المسجد فانزل الله هذه الايه وقيل ولقد علمنا
المستقدمين منكم يعنى المصلين فى اول الاوقات ولقد علمنا المستاخرين يعنى الموخرين صلواتهم الى اخر
الاوقات وقيل المستقدمين والمستاخرين فى صف القتال وقيل من يسلم ومن لم يسلم **قوله تعالى**
وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم يريد ان الحشر والنشر والبعث والقيامه امر واجب هو القادر
وحده على حشرهم العالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم حكيم باهر الحكمه عليم بكل شى
يفعل على مقتضى المشيه فانه هو الصواب ومنها **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما
مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم لما استدل بخلق الحيوان والنبات على صحه التوحيد
فى الايه المتقدمه اردفه بالاحتجاج بخلق الانسان على هذا المطلوب قد ثبت بالدلايل القاطعه انه لا بد
من انتها الناس الى انسان هو اول الناس غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا بقدرة الله فقوله
الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول وجمهور المفسرين على ان المراد منه ادم عليه السلام قال الامام نقل فى
كتب الشيعه عن محمد الباقر انه قال قد انقضى قبل ادم الذى هو ابونا الف الف ادم او اكثر واقول هذا لا
يقدح فى حدوث العالم بل الامر كيف كان لا بد من الانتها الى انسان اول هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان
هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
وقال فى موضع اخر انى خالق بشرا من طين وقال فى هذه الايه ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون
ولا شك انه تعالى قادر على خلقه من اى جنس من الاجسام بل هو قادر على خلقه ابتدا وانما خلقه على هذا الوجه
اما لمحض المشيه يفعل الله ما يشا ولا يسال عما يفعل واما لان خلقه على هذا الوجه اعجب وادل على كمال قدرته
فان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشى من جنسه وشكله والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل
وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قيل اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصله

وقيل

وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنه الوجه وقيل المصبوب المفرغ اى افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبه فى امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفه لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر وقد يتفطن من هذا ان خلق الانسان من التراب والما والهوا والنار وهذا اعجب وادل على القدره فان كونه مخلوقا من الاجسام المتضاده المتداعيه الى الانفكاك دال على انه قادر على الجمع بين الامور المتضاده المتنازعه الى الانفكاك والجان هو الجن كادم للناس وقيل هو ابليس خلق قبل ادم من نار السموم الحر الشديد النافذ فى المسام الذى يقبل قيل هى نار لا دخان لها والصواعق يكون منها وهى نار بين السما وبين الحجاب فاذا احدث الله امرا اخرقت الحجاب فهدت الى ما امرت فالهده التى تسمعون حرق ذلك الحجاب قيل هذه السموم جز من سبعين جزا من سموم النار التى خلق الله تعالى منها الجان **قوله تعالى** واذ قال ربك للملايكه انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملايكه كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنه الى يوم الدين لما ذكر خلق الانسان ليستدل به على وجود الاله الواحد القادر المختار ذكر بعده واقعته وهو انه تعالى امر الملايكه بالسجود له فاطاعوه الا ابليس فانه ابى وتمرد واذ قال اى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملايكه انى خالق بشرا وقت قوله للملايكه انى خالق بشرا يعنى ادم من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت صورته واتممت خلقته وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحى احييته وجعلت فيه روحى فصار بشرا حيا واضاف الروح الى نفسه تخصيصا وتكريما له والروح ما يصير الجسم به حيا وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به وقيل الروح ها هنا ما ياتى الانبيا من الله وفيه صلاح العباد فقعوا امر من وقع يقع اى فاسقطوا على الارض له ساجدين والمعنى فاسجدوا له فسجد الملايكه كلهم الا ابليس استثنا ابليس من الملايكه قيل الاستثنا متصل لان ابليس من قوم من الملايكه يقال لهم الجن وقيل ليس من الملايكه لكنه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملايكه ثم استثنى بعد التغليب كقولك راتهم الا هندا وعن الحسن الاستثنا منقطع ولم يكن هو من الملايكه ولا طرفه عين ابى استيناف على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابى اى امتنع ان يكون مع الساجدين قال تعالى يا ابليس ما لك فى ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اى غرض لك فى ابايك السجود واى داع لك اليه فحرف الجر وهو فى مع ان محذوف قال ابليس لم اكن لاسجد اللام فى لاسجد لتاكيد النفى ومعناه لا يصح منى وينافى حالى ويمتنع ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال تعالى لابليس فاخرج منها من الجنه وقيل من السما فانك رجيم ملعون طريد وقيل انك شيطان من الذين يرجمون بالشهب وقيل مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجاره وقيل فاخرج من الملايكه وان عليك اللعنه الى يوم الدين جعل يوم الدين حد اللعنه قيل لانه ابعد غايه يضربها الناس فى كلامهم هو ما دامت السموات والارض فى التابيد وقيل يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنه فى السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعنه معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقه البلاغه **قوله تعالى** قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال ابليس يا رب فانظرنى الى يوم يبعثون فالتماسا الانظار الى يوم يبعثون ليلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد قال تعالى لابليس فانك من المنظرين الى يوم

الوقت

اند

الوقت المعلوم عند الله وهى النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فلم يجب الى ما ساله وانظر الى اخر ايام التكليف **قوله تعالى** قال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال ابليس يا رب بما اغويتنى البا للقسم وما مصدريه وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك باضلالك وابعادك اياى لازينن لهم فى الارض معاصيك ولاحببنها اليهم ولا التفت الى ما قال صاحب الكشاف وهو معنى اغوايه اياه تسببه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الابا والاستكبار فهلك والله تعالى برى من غيه ومن ارادته والرضى به فان كلام الله منه برا ونحو قوله لاغوينهم قوله فبعزتك لاغوينهم فى انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثانى اقسام بفعله وقد فرق الفقها بينهما وقيل يجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب اغوايك اياى اقسم لازينن لهم فى الارض فى الدنيا التى هى دار الغرور وقيل اراد انى اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجره وهو فى السما فانا على التزيين لاولاده فى الارض اقدر وقيل اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزيينى فيها اى لازينن الارض فى اعينهم ولاحدثنهم بان الزينه فى الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخره ويطمئنوا اليها دونها ولاغوينهم ولاضلنهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو المخلصين بكسر اللام فى كل القران اى الذين اخلصوا دينهم وعبادتهم عما يخل بالايمان والتوحيد والباقون بفتحها على معنى اخلصهم الله بالهدايه والايمان استثنى المخلصين لانه علم انه لا يتمكن من اغوايهم والتزيين لهم وقيل الاستثنا عايد الى الاخير اى الاغوا دون التزيين **قوله تعالى** قال هذا صراط على مستقيم هذا اشاره الى الاخلاص والايمان لامرى والطاعه صراط على قيل طريق الى على بمعنى الى وقيل طريق حق على ان ابينه واظهره وقيل حق على ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على المخلصين وقيل طريق على جوازه لانى بالمرصاد فاجازيهم باعمالهم وهو خارج مخرج الوعيد كما تقول للرجل تخاصمه طريقك على فهو كقوله ان ربك لبالمرصاد ويحتمل ان يكون جاريا مجرى الوعد والوعيد ان خيرا فخير وان شرا فشر **قوله تعالى** ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعبادى هم الذين استثناهم ابليس وقوله الا من اتبعك من الغاوين لا يكون استثنا متصلا بل منقطعا الا بمعنى لكن اى لكن لك سلطان على من اتبعك من الغاوين وهو مطابق لقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون والسلطان الحجه والقهر والغلبه اى ليس لك حجه فى اغوايهم ولا قهر وغلبه انما لك ان تغرو وتزين وقيل ان ابليس لما قال لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم هذا الكلام ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى فى هذه الايه انه ليس له سلطان على احد من عباد الله سوا كانوا مخلصين او لم يكونوا مخلصين بلى من اتبع منهم ابليس باختياره صار تبعا له لان ابليس يقدر على اتباعه او يجبرهم عليه والحاصل ان ابليس اوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فبين تعالى كذبه وذكر انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدره اصلا ونظير هذه الايه قوله تعالى حكايه عن ابليس انه قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وان جهنم لموعدهم اى لموعد ابليس واتباعه من تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب هى دركاتها بعضها فوق بعض قال عليه السلام ابواب جهنم ليست كابوابكم هذه ولكنها هكذا وهكذا وهكذا بعضها فوق بعض ووصف الراوى عنه بسطها ووضع احدهما على الاخرى عن ابن جريج لها سبعة ابواب اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمه ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاويه وعن الضحاك هى سبعة ادراك بعضها فوق بعض فاعلاها فيه اهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصابيون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون قيل لما اتصل العذاب بالباب وكان الباب من سببه سمى باسمه للمجاوره

وعن ابن عباس رضه ان جهنم لمن ادعى الربوبيه ولظى لعبدة الاصنام والنار ~~الاصنام~~ والحطمة لعبده الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابيين والهاويه للموحدين العصاة كشاف

كتسميهم الحدث غائطا لكل باب من اتباع ابليس جزء مقسوم الجزء بعض الشي والجمع الاجزاء وجزاته جعلته اجزاء
والمعنى انه تعالى يجزي اتباع ابليس اجزاء يعني انه يجعلهم اقساما وفرقا ويدخل في كل قسم من الاقسام جهنم طائفة
من هولاء الطوائف والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة في الخفة والغلظ فلا جرم صارت مراتب العذاب والعقاب
مختلفة بالغلظ والخفة **قوله تعالى** ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين لما ذكر عقاب اصحاب النيران اتبعه ثواب
اصحاب الجنان ان المتقين عن الشرك بالله والكفر به في جنات وعيون قرا ابو عمرو ونافع وحفص وهشام بضم العين
حيث وقع والباقون بكسرها وهي عيون الماء والخمر والسلسبيل والتسنيم وغير ذلك مما ذكر انه من شراب الجنة
ادخلوها على ارادة اي يقال لهم ادخلوها بسلام سالمين من النار والافات والعاهات وقيل مسلما عليكم تسلم
عليكم الملائكة امنين من المرض والموت فيها والخروج منها ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا نصب على الحال
وهذا التآخي هو تآخي المصافاة والاخلاص وهو غير التآخي في الدنيا فانه قد يشوبه ضغائن وشحناء وقيل
يجوز ان ينتصب اخوانا على المدح المعنى اذكر اخوانا على سرر متقابلين يجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر والسرر جمع سرير عن ابن عباس على
سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت السرير مثل ما بين عدن الى ايلة متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض
حيث ما التفت راى وجها يحبه يقابله وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع
احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها في الجنة نصب تعب وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود **قوله تعالى** نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه بقوله نبئ
عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس نبئ اخبر عبادي قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع بفتح ياء
يا عبادي وياء اني واسكنهما الباقون عن ابن عباس اني انا الغفور الرحيم لمن تاب منهم وان عذابي
هو العذاب الاليم لمن لم يتب منهم عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلع علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال لا اراكم تضحكون
ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال اني لما خرجت جاءني جبريل فقال يا محمد يقول
الله لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وعن
قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام
ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة **قوله تعالى** ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
لما ذكر قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم عطف قوله ونبئهم
عن ضيف ابرهيم عليه ليعتبروا ما بشر به ابرهيم بقوله اني انا الغفور الرحيم وما احل من العذاب بقوم
لوط بقوله وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم اي ونبئ عبادي عن ضيف ابرهيم قد ذكرنا في
هود وبين معنى الضيف هناك والسبب في خوفه منهم وذكر معنى الوجل في الانفال سلاما اي نسلم
عليكم سلاما او سلمت سلاما انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك الامن
المبشر فلا توجل بغلام عليم يعني اسحق يبلغ ويعلم فتعجب ابرهيم من كبره وكبر امراته قال ابشرتموني مع
مس الكبر بان يولد لي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية
دخلها معنى التعجب كانه قيل فباي اعجوبة تبشرون وقيل اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة
فباي شي تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشي لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شي قيل

ويجوز

ويجوز ان لا يكون صلة لتبشرون ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة
به لا طريقة لها في العادة قرا ابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون ونافع بكسر النون
وابن كثير بكسر النون مع التشديد قال الملائكة بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه وقيل بشرناك بطريقة
هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وقيل بالحق بما قضى الله انه كائن فلا تكن من القانطين من الايسين قال ابرهيم ومن يقنط قرا ابن كثير
ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة يقنط بفتح النون في جميع القران وابو عمرو والكسائي بكسر النون وكلهم
قرؤا من بعد ما قنطوا بفتح النون قيل القنوط الياس من رحمة الله مع فتح الطريق اليها والحث على طلبها
ولم يكن ابرهيم قانطا ولكن استبعد وجود الولد مع الكبر عادة الا الضالون اي ومن يقنط من رحمة ربه
الا الجاهلون بالله الذين لا يعرفون سعة رحمة الله وقدرته وقيل الا الضالون في الاخرة لانهم لا يرجون
هنالك خيرا وقيل الا المخطئون طريق الصواب وقيل الا الكافرون لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون اي لم استنكر ذلك قنوطا من رحمة الله ولكن استبعاده في العادة التي اجراها الله **قوله تعالى**
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها
لمن الغابرين فما خطبكم سؤال عن الاجلة ارسلهم والخطب الشان والامر اي قال ابرهيم للملائكة فما شانكم وامركم
ايها المرسلون والخطب ادل على عظم الحال من الشان والامر فان قيل ان الملائكة لما بشروه بغلام عليم
كيف قال لهم ابرهيم بعد ذلك فما خطبكم اجيب بان معناه ما الامر الذي له وجهتم سوى البشرى لانه عليه السلام
علم انه لو كان كل المقصود ايصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا فلما راى جمعا من الملائكة علم ان
لهم غرضا اخر سوى البشارة قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وانما اقتصروا على هذا القدر لعلم ابرهيم عليه السلام
بان الملائكة اذا ارسلوا الى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم واستئصالهم وايضا قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين
يدل على ان المراد بذلك الارسال اهلاك القوم الا ال لوط ان كان الاستثناء من قوم يكون منقطعا لان القوم
موصوفون بانهم مجرمون فال لوط جنس يخالف لجنس القوم المجرمين وان كان الاستثناء من الضمير في مجرمين
يكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم وال لوط في الاستثناء المنقطع مخرجون
من حكم الارسال على معنى ان الملائكة ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى
ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا
قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم وال لوط في الاستثناء المتصل داخلون في حكم الارسال على ان الملائكة
ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هولاء وينجوا هولاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب بل الارسال
لاهلاك هولاء وانجاء هولاء واذا كان الاستثناء منقطعا يكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن في الاتصال
بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون واذا كان الاستثناء متصلا يكون قوله انا لمنجوهم كلاما مستانفا
كان ابرهيم عليه السلام قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته استثنى من الضمير المجرور
في قولهم انا لمنجوهم وليس ذلك من باب الاستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما
اتحد الحكم فيه كما لو قيل اهلكناهم الا ال لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين
الا واحدة في قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما واما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا
ال لوط متعلق بارسلنا او مجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى تكون استثناء من استثناء قدرنا التقدير
لغة جعل الشي على مقدار غيره وقدر اقواتها اي جعلها على مقدار الكفاية يقال قضى الله وقدر اي جعله
على مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل قدرنا كتبنا وقيل دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب قرا ابو بكر عن عاصم
قدرنا بتخفيف الدال ههنا وفي النمل والباقون بالتشديد قيل وانما جاز تعلق فعل التقدير في قوله

قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصايص افعال القلوب لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر
تقدير الله اعمال العباد بالعلم وانما اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا
قدر الله لما لهم من القرب والاختصاص بالله كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر
هو الملك وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه انها لمن الغابرين في موضع مفعول
والتقدير قضينا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون ولا تكون ممن يبقى مع لوط
فتصل الى النجاة قوله تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بغلام عليم واخبروه بانهم مرسلون
بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط والى آله وان لوطا وقومه ما عرفوا انهم ملائكة الله ولهذا قالوا
لهم انكم قوم منكرون اي قوم تنكركم نفسي وتنفر منكم واخاف ان تطرقوني بشر وقيل لا اعرفكم ولا اعرف
انكم من اي الاقوام ولاي غرض دخلتم علي فعند هذه الكلمة قال الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك
بما تنكرنا وما تخاف منه بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت
تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه اي فيشكون فيه ويكذبونك وقيل جئناك بتصحيح ما يمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل
واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين اي اذهب باهلك في طايفة من الليل والقطع في اخر الليل وقيل هو بعد ما يمضي من الليل شي
صالح واتبع ادبارهم تاخرا على اثرهم وسر خلفهم لئلا يشتغل بمن خلفك قلبك ولتكون مطلعا عليهم
وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة
ولئلا يتخلف احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهادي الذي يقدم سريره ويعوث به
ولا يلتفت منكم احد لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها
عن مساكنهم وقيل لئلا يصيبهم ما اصابهم وقيل لئلا يروا من هول ما ينزل بهم ما لا تطيقه انفسهم وقيل لا
ينصرف احدكم فيصيبه ما يصيب القوم وقيل جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني
والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضي اليه
قيل هو مصر وقيل هو الشام وعدى وامضوا الى حيث لتعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك
الضمير في تؤمرونه وقضينا اليه عدى بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك
الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له دابر هؤلاء اصلهم وقيل
اخرهم مقطوع مستاصل مصبحين وقت دخولهم في الصبح قوله تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون
قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم
فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وجاء اهل المدينة اهل سدوم
يستبشرون باضياف لوط اي الملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط لهم يا قوم ان هؤلاء ضيفي وحق
على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اساء الى ضيفه او جاره فقد اساء اليه كما ان
من اكرم من يتصل به فقد اكرمه واتقوا الله ولا تخزوني ولا تهينون ولا تخجلون باهانة ضيفي من الخزي
وهو الهوان وقيل ولا تسود وابي من الخزاية وهي الحياء قال اهل المدينة للوط اولم ننهك عن
العالمين ان تضيف احدا من العالمين وقيل عن ضيافة الغربا فانا نغلبك عليهم وقيل ان تجير منهم
احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي

عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
قال لوط لهم هؤلاء اشارة الى النسا بناتي لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته وكانه
قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم وقيل هؤلاء بناتي ازوجهن اياكم ان اسلمتم فاتوا النسا
الحلال ودعوا ما حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول
لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم الله لعمرك على
ارادة القول اي قالت الملائكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين
الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه اقسم بحياته وما اقسم بحياة
احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف
كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله فاخذتهم
صيحة جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس وهو نصب على الحال فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين توسمت في فلان خيرا اي رايت فيه اثره وتفرسته فيه وقيل
للناظرين وقيل للمتفكرين وقيل للمعتبرين وقيل للمتبصرين وقيل للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين
النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشي يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه وانها
وان هذه القرية اي اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك
الاثار وقيل مقيم واضح بين وقيل معلوم وقيل معد دايم السكون والذين يمرون من الحجاز الى
الشام يشاهدونها وما ظهر فيها من اثار قهر الله وغضبه وهو تنبيه لقريش لقوله وانكم لتمرون عليهم
مصبحين ان في ذلك لاية للمؤمنين اي كل من امن بالله ورسله عرف ان ذلك انما كان لان الله انتقم
لرسله من اوليا الجهال اما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على حوادث العالم ووقايعه وعلى حصول
القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية قوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا
منهم وانهما لبامام مبين وان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان محذوف وكان اصحاب الايكة لظالمين
خبره اي وان الامر والشان كان اصحاب الايكة لظالمين كافرين واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة الشجرة
المتكاثفة روي ان عامة شجرهم الدوم وهو المقل والايكة الغيضة بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكوا
بالظلة وقيل الايكة اسم الناحية وليكة اسم المدينة وقيل كانوا اصحاب غياض واشجار ورياض وانهار
ياكلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتا اليابسة فانتقمنا منهم اي لما كذبوا شعيبا فانتقمنا منهم بالعذاب
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام لا يمنعهم منه شي فبعث الله عليهم سحابة فالتجاوا الى ظلها يلتمسون الروح فبعث
الله عليهم منها نارا فاحرقتهم وانهما اي قرى قوم لوط والايكة اي انهما على ممر السابلة لبامام لبطريق
يامه كل احد مبين واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البنا واللوح الذي يكتب فيه لانها مما
يؤتم به وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على
مدين فجاء بضميرهما وقيل الضمير رجع الى لوط وشعيب وانهما لبامام مبين طريق من الحق واضح وقيل بامام
مبين اي الخبر بهلاك قوم لوط واصحاب الايكة لمكتوب في امام مبين وهو اللوح المحفوظ وقيل
وانهما اي عذابا القوم لوط وشعيب بالامام قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم
اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون اصحاب الحجر ثمود وهم قوم صالح والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين اراد
صالحا وحده وقيل اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه

وقيل ارا د جميع المرسلين لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا عن ابن عمر وجابر قالا مررنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال عليه السلام لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا
ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم قال هولا قوم صالح اهلكهم الله الا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب
الله قيل من هو يا رسول الله قال ابو رغال واليه ينسب ثقيف ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها
واتيناهم اياتنا الناقه وسقيها وشربها ودرها وقيل اتيناهم ايات من كتاب الله وقيل يريد نصب الادله
فكانوا عنها معرضين ولم يومنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الخراب لوثاقة البيوت
واستحكامها من ان تنهدم وتداعى ما بنيها ومن نقب اللصوص ومن الاعدا وحوادث الدهر وقيل امنين
من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة اى صيحة العذاب والهلاك مصبحين في وقت
الصبح وهو منصوب على الحال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بنا البيوت الوثيقه والاموال والعدد والسلاح
والاعمال الخبيثه **قوله تعالى** وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتيه فاصفح
الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا وقيل الا بالحق
الا بسبب العدل والانصاف لم يهملهم من تقدم ذكرهم الا بعد اقامة الحجة عليهم وقيل بسبب العدل
والانصاف يوم الجزا على الاعمال وان الساعه لاتيه فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا وقيل الا بالحق الا بسبب العدل والانصاف لم يهملهم من تقدم ذكرهم
الا بعد اقامة الحجة عليهم وقيل اى الجزا قريب وان الله ينتقم لك فيها من اعدايك ويجازيك واياهم على
حسناتك وسياتهم فاصفح فاعرض عنهم الصفح الجميل بحلم واغضاء ولا تعجل عليهم وقيل نسختها اية القتال
وقيل يحتمل ان يكون المراد منه فاعرض عنهم من غير عتاب او في حق نفسه او لا تتعرض عنهم كل الاعراض
ولا تياس من صنع الله او لقوله فاعرض عنهم وعظهم او فاصفح حيث الصفح ادعى الى الايمان واحسن
حيث الحسنون اولى فلا تكن منسوخه ان ربك هو الخلاق لجميع الموجودات خلقك وخلقهم العليم بكل المعلومات
يعلم حالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم **قوله تعالى** ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمومنين
وقل انى انا النذير المبين لما صبره على اذى قومه وامر بالصفح الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمه التي خص
الله بها لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والعفو سبعا من المثاني قيل سبع ايات هي
الفاتحه سميت بالمثاني لانها نزلت مرتين وقيل لانه اكثر كلماتها تثنى وقيل لان الله استثناها لامة
محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعطها امة قبلهم وقيل لانها تثنى في كل صلوة وقيل لانها تثنى في كل ركعة وانما دخلت
من للتوكيد وقيل لانها مما اثنى على الله به وقيل لان فيها الرحمن والرحيم مرتين وقيل لانها مقسومه
بين الله وبين عباده في حديث قسمت الصلوة وقيل سبعا من المثاني السبع الطول البقره وال عمران والنسا
والمايده والانعام والاعراف والتوبه وقيل السابعه الانفال والبراة وقيل انها يونس فعلى هذا
في تسميتها بالمثاني قولان احدهما لان الحدود والفرايض والامثال ثنيت فيها وثانيهما لانها تجاوز
المايه الاولى الى المايه الثانيه وقيل السبع المثاني سبع معان انزلت في القران امر ونهي وبشارة
وانذار وضرب الامثال وتعداد النعم واخبار الامم وقيل ان المثاني القران كله قيل في تسمية القران
بالمثاني لان بعض الايات يتلو بعضا فتثنى الاخرى على الاولى ولها مقاطع تفصل الايه حتى تنقضي السوره
وقيل ان القران سمي بالمثاني لما يتردد فيه من الثنا على الله وقيل لما يتردد فيه من ذكر الجنه والنار
والثواب والعقاب وقيل لان الاقاصيص والاخبار والمواعظ والاداب ثنيت فيه ذكرهن
وقيل هي الاسباع ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحه او الطول وللبيان اذا اردت

من ح

الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكرره ويكون القران
بعضها واذا عنى بالسبع الفاتحه او الطول فما وراهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على
الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف فاذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اى الجامع لهذين المعنيين وهو الثنا والتنبيه والعظم ولا تمدن خطر
على النبي عليه السلام ان يمد عينيه الى الدنيا ونهاه ان يرغب فيها اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له
الى ما متعنا به ازواجا منهم قيل امثالا في النعم وقيل ازواجا اعساوقيل اصنافا من الكفار اليهود والنصارى
والمشركين وقيل ازواجا منهم الرجال منهم نساوهم فيكون بمثابة قوله اعطينا اثنين اثنين منهم ذكر وانثى
قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمه وان عظمت فهي اليها حقيره يسيره
وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ولا تحزن عليهم ان لم يومنوا وقيل ولا تحزن
لما انعمت عليهم دونك وقيل لا تحزن عليهم لما يصيرون اليه بكفرهم واخفض جناحك لين جانبك للمومنين وارفق بهم
وتواضع لمن معك من فقرا المومنين وضعفايهم وطب نفسا عن ايمان الاغنيا والاقويا وقل لهم انى انا النذير انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب نازل بكم **قوله تعالى** كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين
قيل كما انزلنا متعلق بقوله ولقد اتيناك اى ولقد انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين اى اهل
الكتاب الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به
فبعضهم يقول سورة البقره لي والاخر يقول ال عمران لي ويجوز ان يراد بالقران ما يقرونه من
كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوريه وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل
وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر
وشعر واساطير الاولين بان غيرهم من الكفره فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم وقيل متعلق بقوله وقل انى
انا النذير المبين اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا
تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات
كالوليد بن المغيره والعاص بن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم وقيل مثل ما انزلنا على الرهط الذين
تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم عضين واحدها عضه محذوف
اللام قيل انها من العضو يقول عضيت الشى جعلته عضوا عضوا اى عضوا القران وجزاه اجزا وقيل
من العضيهه وهي الكذب والسحر والعاضهه الساحره وجمع جمع السلامه كما جمع سنون وماون **قوله
تعالى** فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزين
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون قيل الضمير في لنسالنهم راجع الى المقتسمين لانه اقرب
اى انه تعالى اقسم بنفسه انه يسال هولا المقتسمين عما كانوا يعملونه من اقتسام القران وعن ساير المعاصي
وقيل راجع الى المكلفين بامرهم لان ذكرهم قد تقدم في قوله وقل انى انا النذير المبين اى لجميع المكلفين
وتقدم ذكر المومنين وذكر الكافرين وقيل نسالهم سوال التقريع وقيل يسال العباد عن خلتين عما كانوا
يعبدون وماذا اجابوا المرسلين وقيل السوال انما هو عن جميع الاعمال لان اللفظ عام يتناول الكل فاصدع
بما تومر قيل اجهر به واظهره يقال صدع بالحجه اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر
والصدع في الزجاجه الابانه وقيل فامضه وقيل افعل ما تومر وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل
بما تومر والمعنى بما تومر به من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وقيل يجوز

ان يكون ما في بما تؤمر مصدرية اي فاصدع بامرك مصدر من المبني للمفعول امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة روي انه صلى الله عليه وسلم ما زال مستخفيا حتى نزلت فاصدع
بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقيل اراد الجهر بالقران في الصلوة واعرض عن المشركين قيل منسوخ باية
القتال قال الامام وهذا ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا انا كفيناك
المستهزئين عن عروة ابن الزبير هم خمسة نفر من المشركين ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة فاتى جبريل محمدا عليهما السلام
والصلوة والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به
الوليد بن المغيرة فقال له جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله قال قد كفيت واومى الى ساق الوليد فمر
برجل من خزاعة نبال يريش سهما وعليه برد يمان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يطامن
وينزعها منه وجعلت تضرب لساقه فخدشته فمرض منه ومات وعن الكلبي تعلق سهم بثوبه فاصاب الاكحل فقطعه
فمات ومر به العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص رجله
قال قد كفيت فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فدخلت شوكة في اخمصه
فقال لدغت لدغت فطلبوا ولم يجدوا شيا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه
ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فاشار بيده الى عينيه وقال قد
كفيت فعمي عن ابن عباس فرماه بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك
وعن الكلبي اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك حتى مات وهو يقول
قتلني رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على انه خالي
فقال قد كفيت واشار الى بطنه فاستسقى بطنه وفي رواية اخرى انه خرج من اهله فاصابه السموم فاسود
حتى عاد حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الحارث
بن عبد قيس فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال عبد سوء فاومى الى راسه وقال قد كفيت فامتخط
قيحا فقتله وعن ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات
فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بك وبالقران الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون
عاقبة امرهم يوم القيامه **قوله تعالى** ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون على الله من الشرك والصاحبة
والولد ويقولون فيك من النسبة الى السحر والشعر وغير ذلك وفي القران فسبح بحمد ربك فالجا الى التسبيح والتنزيه
وقيل سبحان الله وبحمده وعن ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين من المتواضعين وقيل
من المصلين وقيل فافزع فيما نابك الى الله تعالى والفزع الى الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفك ويكشف
عنك الغم واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت
حيا فلا تخل بالعبادة سمي الموت يقينا لانه متيقن به متفق على لحاقه كل حي مخلوق وقيل اليقين النصر على الكافرين
روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما انزلت هذه الاية قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن
اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين

سورة النحل مكية

وتسمى سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها روي مجاهد وعطية وابن ابي طلحة انها مكية وكذلك
روي الحسن وعكرمة وعطا انها مكية كلها وفي رواية عن ابن عباس انه نزل منها بعد قتل حمزة وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وفي رواية عنه كلها مكية الا ثلث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله تعلمون وعن الشعبي كلها مكية الا قوله وان عاقبتم الى اخر الايات وعن قتادة هي

يكم

فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين

مكية الا خمس ايات ولا تشتروا بعهد الله الايتين ومن قوله وان عاقبتم الى اخرها وعن ابن السايب هي مكية الا خمس
ايات قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وان عاقبتم الى اخرها
وعن مقاتل هي مكية الا سبع ايات قوله ثم ان ربك الاية وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وقوله والذين
هاجروا في الله الاية وقوله وضرب الله مثلا قرية الاية وقوله وان عاقبتم الى اخرها وعن جابر بن زيد
انزل من النحل اربعون اية بمكة وبقيتها بالمدينة وهي سبعة الف وسبع مائة وسبعة احرف والفان وثمان مائة
واربعون كلمة ومائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه
وتعالى عما يشركون روي انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم
ان القيمة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر فلما راوا انه لا ينزل شي قالوا ما نرى شيا فانزل
الله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا
به فانزل الله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا اتى قرا حمزة
والكسائي بالامالة والباقون بالالف قيل اتى بمعنى ياتي ولما كان وعد الله تعالى معلوم التحقق عبر عنه بلفظ
الماضي وقيل اتى بمعنى قرب اعلم الله تعالى ان ذلك في قربه بمنزلة ما قد اتى وقيل اتى للماضي حقيقة اي اتى بعض عذاب الله
وهو الجدب الذي نزل بهم والجوع فلا تستعجلوه فينزل بكم مستقبلا كما نزل بكم ماضيا امر الله قيل الساعة
وقيل خروج رسول الله اذ خروجه من امارات الساعة وقيل امر الله من اشراط الساعة فلا تستعجلوا قيام
الساعة وقيل وعيد المشركين وقيل اتى امر الله اي امر الله بوقوع العذاب قد اتى فاما المحكوم به فانما لم يقع
لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل دخول ذلك الوقت لا يحدث فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل ذلك
الوقت ولما كان استعجالهم استهزاء وتكذيبا وذلك من الشرك نزه الله تعالى عن ان يكون له شريك وان يكون
الهتهم له شركاء على ان ما في عما موصولة او عن اشراكهم على انه مصدرية **قوله تعالى** ينزل الملائكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قرا ابن كثير وابو عمرو ينزل الملائكة باسكان
النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي قوله ينزل جواب لسوال مقدر تقديره
كيف علمت هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله فاجاب عنه بقوله ينزل الملائكة عن ابن عباس يريد بالملائكة جبريل
تسمية الواحد بلفظ الجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا متعارفا بالروح قيل بامره اي ينزل الملائكة بامره
فعلى هذا يكون المعنى ان امر الله كله روح وقيل روح الانسان عن مجاهد لا ينزل ملك الا ومعه
روح وقيل النبوة وقيل القران وقيل بالروح بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقيل
بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل بوحيه من امره اي ذلك التنزيل لا يكون الا بامر الله
نظيره قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك على من يشاء من عباده اي الانبياء الذين خصهم الله برسالته
بحكم مشيته ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا او تقديره بانه انذروا اي بان الشان
والحديث اقول لكم انذروا وقيل ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا
انه لا اله الا انا اعلموا بان ذلك الامر من نذرت به اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس
قولي لا اله الا انا فاتقون **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ا
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بقوله خلق السموات والارض فان خلق السموات والارض لا يقدر
عليه احد الا الله سبحانه تعالى عما يشركون متعالى عن ان يشرك به غيره **قوله تعالى** خلق الانسان من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بخلق الانسان وما يصلحه من نطفة وهذا
ايضا برهان قاطع وبيان ساطع على انه لا يقدر عليه احد الا الله فاذا هو خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح
للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة وهذا ادل دليل على قدرته تعالى وقيل فاذا

حضور ؟

هو خصيم لربه منكر على خالقه قائلا من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحه والجهل والتمادي
في كفران النعمه عن الكلبي انها نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جا بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف
رحيم دل على وحدانيته وان لا اله الا هو اولا بخلق السموات والارض بقوله خلق السموات والارض ثم ذكر بعده
خلق الانسان ثم بخلق الانسان لانه اشرف الاجسام في العالم السفلي وادل على قدرته تعالى ثم بخلق الانعام فان
اشرف الاجسام الموجوده في العالم السفلي بعد الانسان ساير الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفه وهي
الحواس الظاهره والباطنه والشهوه والغضب ثم من الحيوانات ما ينتفع الانسان به ومنها ما لا ينتفع به
والاول اشرف من الثاني لان الانسان اشرف الحيوانات فالحيوان الذي ينتفع الانسان به اكمل واشرف مما لا ينتفع به
والحيوان الذي ينتفع به اما في ضرورات معيشته كالاكل واللبس او في امور غير ضروريه كالزينه
وغيرها والاول اشرف من الثاني وهذا القسم هو الانعام فلهذا بعد ذكر الانسان بدا بذكرها في هذه
الايه فقال والانعام خلقها لكم والانعام الازواج الثمانيه الضان والمعز والابل والبقر وقد يقال
الانعام كلها الابل والبقر والغنم واكثر ما يقع على الابل وانتصاب الانعام بفعل مضمر يفسره الظاهر
بعدها اي خلقها ولا يجوز ان يكون الانعام معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال
خلقها ولا يجوز ان يكون انتصابها به لانه مشتغل عنه بضميره كقوله والقمر قدرناه وقيل يجوز ان يكون
الانعام معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم
يا ايها الانسان وقيل تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا وقال لكم فيها دفء ويجوز ان يكون
تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا وقال فيها دفء قيل الاول احسن لانه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال
والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفا به كما ان الملا اسم ما يملا به وهو الدفاء من لباس معمول
من صوف او وبر او شعر ومنافع بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها ومنها اي ومن الانعام تاكلون
اي لحومها وتقديم الظرف للاختصاص لانه قد يوكل من غيرها بل لان الاكل من الانعام هو الاصل الذي
يعتمد الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه قيل ويحتمل ان يراد ومنها طعمتكم لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون
باكرا الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم في الانعام جمال زينه وحسن منظر حين تريحون تردونها
بالعشي من مراعيها الى مراحها التي تاوي اليها يقال اراح فلان ماشيته يريحها اراحه والمكان الذي
تراح به مراح وحين تسرحون اي تخرجونها بالغداه من مراحها الى مسارحها يقال سرح فلان ماشيته
يسرحها سرحا وسروحا اذا اخرجها للرعي فرحت وسرحت الماشيه تسرح سرحا اذا رعت عن قتاده
اعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وقيل من الله تعالى بالتجمل بالانعام
كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداه فزينت باراحتها وتسريحها الافنيه وتجاوب فيها الثغا والرغا انست اهلها
وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمه عند الناس ونحوه
لتركبوها وزينه تواري سواتكم وريشا وانما قدمت الاراحه على التسريح لان الجمال في الاراحه اظهر اذا اقبلت
ملاء البطون
حافله الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضره لاهلها وتحمل اثقالكم امتعتكم في السفر واحمالكم وابدانكم الى بلد غير دم
لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والشق احد نصفي الشي كانه يذهب نصف قوته لما ينال له من الجهد والمعنى
وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه على تقدير انه لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم تكونوا بالغيه في
للحقيقه

الحقيقه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا
حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم
الا بجهد ومشقه فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق
الانفس ان ربكم لرؤف رحيم بخلقه حيث خلق لكم هذه الاشيا وهيا لكم هذه المنافع قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينه ويخلق ما لا تعلمون عطف على الانعام اي وخلق البغال والحمير للركوب
والزينه وزينه منصوب لانه مفعول له عطفا على محل لتركبوها ولما كان الزينه فعلا لفاعل الفعل المعلل
لم ينتصب بل استعمل باللام وقيل لان الركوب هو المقصود الاصلي من هذه الاشيا والتزين تابع فاقترن
المقصود باللام الصريحه لانه اسم الغرض وحذفت من الزينه لانها تبع احتج بعض الفقها بهذه الايه على
تحريم لحوم الخيل روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه سيل عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الايه وقال هذه
للركوب وقرا التي قبلها فقال هذه للاكل وقال الحكم لحوم الخيل حرام في كتاب الله ثم قرا هذه الايات وقال
جعل هذه للاكل وهذه للركوب واليه ذهب ابو حنيفه ومالك وغيرهما من العلما واحتجوا بما روي عن خالد بن
الوليد انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال اخرون لا باس
باكل لحوم الخيل وليس في هذه الايه دليل على تحريم شي وانما عرف الله عباده بهذه الايه نعمه عليهم ونبههم على حجج
وحدانيته وربوبيته وكمال قدرته وحكمته واليه ذهب الشافعي واحتج على هذا بما روى جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهليه واذن في لحوم الخيل اخرجه البخاري ومسلم وابو داود
والنسائي والدارمي وابن ماجه وعن جابر اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا
عن لحوم الحمر وعن جابر ايضا قال كنا ناكل لحوم الخيل قيل والبغال قال لا وعن اسما بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم
فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام احتج القايلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الايه
قالوا منفعه الاكل اعظم من منفعه الركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وحيث
لم يذكره الله علمنا حرمه اكله قالوا ويمكن الاستدلال بهذه الايه من وجه اخر وهو ان قوله لتركبوها
يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشيا الثلاثه هو الركوب والزينه ولو حل اكلها لما كان تمام المقصود
من خلقها هو الركوب والزينه بل كان حل اكلها ايضا مقصودا قال الامام اجاب الواحدي بجواب
في غايه الحسن قال لو دلت هذه الايه على تحريم اكل هذه الثلاثه لكان تحريم اكلها معلوما في مكه لاجل ان هذه
السوره مكيه ولو كان الامر كذلك لكان قول عامه المفسرين والمحدثين ان لحوم الحمر الاهليه حرمت عام
خيبر باطلا لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يبق لتخصيص هذا التحريم بهذه السنه فايده
ويخلق ما لا تعلمون عام يتناول ما خلق فسلم اذ لكم او خلايق لا علم لكم به ليزيدكم دلاله على اقتداره
بالاخبار بذلك وقد حمل على ما خلق في الجنه والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه والاولى ان
يحمل عليه وعلى ما ذكرا ولا فان ما عام يشمل الكل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جاير ولو شا
لهداكم اجمعين لما شرح دلايل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اي بيان طريق الحق لكم والقصد
الطريق المستقيم وقيل وعلى الله القصد بكم الى الدين ومنها جاير ومن السبيل جاير عن الاستقامه معوج
والقصد من السبيل هو الحنيفيه دين الاسلام والجاير منه اليهوديه والنصرانيه وغير ذلك من ملل
الكفار وعن جابر بن عبد الله قصد السبيل يعني بيان الشرايع والفرايض وقيل قصد السبيل السنه
ومنها جاير يعني الاهوا والبدع بيانه قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما الايه قال صاحب
الكشاف فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جاير قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين
وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبره لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه الجاير

والجواب ان المراد على الله بحسب الفضل ان يبين الدين الحق والصراط المستقيم فاما ان يبين كيفية الاغوا
والاضلال فذلك غير واجب ولو شا لهداكم اجمعين يدل على ان الله لم يشا هداية الكفار ولم يرد منهم
الايمان لان لو لانتفا الشي لانتفا غيره فقوله ولو شا لهداكم معناه ولو شا هدايتكم لهداكم لكن ما شا هدايتكم
فما هداكم **قوله تعالى** هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون لما كان اشرف ما في العالم
السفلي بعد الحيوان النبات استدل سبحانه وتعالى بعجايب احوال النبات على وحدانية الصانع العليم القدير
المختار انزل من السما قيل من السحاب وقيل من جهة السما وقيل من السما نفسها لانه هو السبب الاول
للمطر ما لكم لنفعكم منه شراب تشربونه وظاهر قوله منه شراب يدل على الحصر لان معناه منه لا من غيره ولا يبعد
بعد في ان يكون الما العذب في الارض من ما المطر شاهده قوله تعالى انزل من السما ما فسلكه ينابيع في الارض
ولكم يجوز ان يكون متعلقا بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب ومنه شجر اي الذي ترعاه المواشي
وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا فيه اي في الشجر تسيمون ترعون مواشيكم يقال اسام
فلان ابله يسيمها اسامة اذا رعاها فهو مسيم وسامت تسوم فهي سايمة من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت الله لكم بالما الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
اي وبعض كل الثمرات لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة
ان في ذلك اي في انزال الما لاية لقوم يتفكرون فيعلمون بالتفكر ان الله انزل من السما ما وانبت به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وانما وحد الاية لان انزال الما امر واحد **قوله تعالى**
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وسخر لكم الليل
والنهار حيث تسكنون فيه والنهار حيث تبتغون من فضله والشمس والقمر حيث تعلمون عدد السنين والحساب
بسيرهما والنجوم حيث تهتدون بها مسخرات كانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره قرا
ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع كله على ان يكون رفعها بالابتدا ومسخرات خبرها وحفص
عن عاصم والنجوم بالرفع وما قبلها بالنصب على ان يكون مبتدا ومسخرات خبره والباقون بنصب الجميع
ان في ذلك اشارة الى التسخيرات لايات لقوم يعقلون جمع الاية لان في كل تسخير اية وذكر العقل
لان التسخيرات المذكورة اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبريا والعظمة فيكفي العقل ولا يحتاج
الى التفكر **قوله تعالى** وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار اي وسخر لكم ما ذرا وما خلق لكم في الارض من حيوان وشجر
وثمر مختلف الهيات والمناظر وقيل مختلفا اصنافه وقيل الوانه من السواد والبياض وغيرهما وقيل
يريد الحيوان والجماد فانها كلها منتفع بها في الاطعمة والاشربة والادوية والامتعة ان في ذلك
لاية لقوم يذكرون ان خلق هذه الاصناف على تلك الهيات والالوان المختلفة لا يكون الا من الاله
الواحد القهار القادر الحكيم المختار **قوله تعالى** وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لما احتج
على الوحدانية في المرتبة الاولى بخلق السموات والارض وفي المرتبة الثانية بخلق الانسان من
نطفة وفي المرتبة الثالثة بخلق الانعام وفي المرتبة الرابعة بخلق الخيل والبغال والحمير
وفي المرتبة الخامسة بانزال الما من السما وفي المرتبة السادسة بتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
وما ذرا لكم في الارض اراد ان يستدل بعجايب احوال العناصر فبدا منها بعنصر الما قال اهل الهيية ثلثة
ارباع كرة الارض غايصة في الما فذلك هو البحر المحيط وهو كله عنصر الما وحصل في الربع المرتفع المسمى

بالربع المسكون سبعة ابحر واليه اشار بقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر الذي سخرها
للناس هو هذه الابحر والبحر ههنا اسم جنس ومعنى تسخير الله اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع
بها بالركوب والغوص وغيرهما ومنافع البحر كثيرة ذكر الله تعالى ههنا ثلثة انواع الاول اكل اللحم منه لتاكلوا
منه لحما طريا يعني السمك بانواعه ووصفه بكونه طريا لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد
عليه ومن فال من الفقها اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وقد سماه الله لحما بنا على ان مبنى الايمان
على العرف والعادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه
اشتر بهذه الدراهم لحما فجا بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله وان شر
الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وتستخرجوا منه حلية الثانية
من منافع البحر استخراج الحلية منه والحلية هي اللولو والمرجان تلبسونها اي تلبسها النسا لانهن من جملتهم ولانهن
انما يتزين بها من اجلهم وكانها زينتهم ولباسهم الثالثة وترى الفلك مواخر السفينة تمخر وتمخر مخرا ومخورا
اذا جرت تشق الما مع صوت مواخر عن ابن عباس جواري لانها لا تشق الما الا اذا كانت جارية ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بالتجارة والقصد الى البلاد الشاسعة ولعلكم تشكرون الله على ما انعم به عليكم **قوله تعالى**
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون المقصود من
هذه الاية ذكر بعض النعم التي خلقها الله في الارض والقى في الارض رواسي الالقا جعل الشي مماسا لغيره والرواسي
الثوابت والميد الميل والمعنى القى الله تعالى في الارض جبالا رواسي كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمايد الذي يدار به
اذا ركب البحر ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد عن وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملايكة
ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملايكة مم خلقت الجبال وانهارا عطف على
رواسي اي وجعل في الارض سبلا مختلفة لعلكم تهتدون الى مقاصدكم ولا تضلون وعلامات يعني معالم الطرق
وكل ما يستدل به السايل من جبل ومنهل وغير ذلك وقيل ههنا تم الكلام ثم ابتدا وبالنجم والمراد به الجنس كقولك
كثر الدرهم في ايدي الناس وعن الكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات
الليل فعلى هذا انتصاب علامات بالعطف على موضع ان تميد وتقدير الكلام القى في الارض رواسي لئلا تميد
ولتكون علامات لطرقكم بالنهار عن مجاهد اراد بها جميعا النجوم فكانه قال وعلامات هي النجوم وبها هم
يهتدون وعن السدي يعني الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي وبالنجم هم يهتدون كانه اراد قريشا
كان لهم اهتدا بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار
الزم لهم فخصصوا **قوله تعالى** افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان
الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون
اموات غير احيا وما يشعرون ايان يبعثون لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانية الاله القادر الحكيم على
الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكما كانت تلك الدلايل دالة على الوحدانية لذلك كانت شرحا وتفصيلا
لانواع نعم الله اتبعه بذكر ابطال عبادة غير الله والمقصود انه لما دلت هذه الدلايل القاهرة والبينات
الزاهرة على الوحدانية وثبت انه المولى لجميع هذه النعم المعطي لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول
الاشتغال بعبادة موجود سواه لا سيما اذا كان ذلك الموجود جمادا لا يفهم ولا يقدر فلهذا قال بعد تلك الايات
افمن يخلق كمن لا يخلق افمن يخلق يعني الله كمن لا يخلق يعني الاصنام وانما جي بمن الذي هو لاولي العلم لانهم سموها الهة
وعبدوها فاجروها مجريها ولي العلم الا ترى الى قوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم
يخلقون وقيل للمشاكلة بينه وبين من يخلق وقيل المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما
لا علم عنده كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان

وقلوب لان هولا احيا وهم اموات فكيف يصح لهم العباده لانها لو صحت لهم هذه الاعضا يصح ان يعبد وها فان
قيل هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وكان
حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق اجيب بانه حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعباده
له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا يبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من ادا
الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراها مما لا ينحصر ولا ينفد ان الله لغفور رحيم لما بين ان
الانسان لا يمكنه القيام باداء الشكر على سبيل التفصيل قال ان الله لغفور رحيم بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب
تقصيركم والله يعلم ما تسرون قيل ان الكفار كانوا مع شركهم وعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر في مكايد
الرسول فجعل هذا زجرا لهم عنه وقيل انه تعالى ابطل في الاية الاولى عبادة الاصنام بسبب انه لا قدرة لها على الخلق
والانعام وابطل في هذه الاية ايضا عبادتها بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانيه وهذه الاصنام جمادات
لا شعور لها بشي اصلا فكيف يحسن عبادتها والذين يدعون من دون الله نفى عنهم خصايص الالهيه بنفي كونهم خالقين واحيا
لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى
اموات غير احيا انهم لو كانوا الهة على الحقيقه لكانوا احيا غير اموات اي غير جايز عليها الموت كالحي الذي لا يموت
وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان
الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزا منهم على عبادتهم وفيه دلاله على انه لا بد من البعث وانه من لوازم
التكليف وقيل المعنى ان الناس يخلقون بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات
لا حيوة فيها غير احيا يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياه كالنطف التي ينشيها الله حيوانا واجساد الحيوان
التي تبعث بعد موتها واما الاصنام التي هي الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعر
هولا الالهة متى تبعث الاحيا تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حيا الا الحي القيوم وقيل
المراد بالذين يدعون من دون الله الملايكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم اموات اي لا بد لهم
من الموت غير احيا غير باقية حياتهم وما يشعرون بوقت بعثهم قوله تعالى الهكم اله واحد فالذين لا يومنون
بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين انه تعالى
ابطل بما تقدم لون الالهيه لغير الله ثم قال الهكم اله واحد الخطاب عام والمعنى معبودكم المستحق للعباده
معبود واحد لا شريك له فالذين لا يومنون بالاخرة اي الكفار قلوبهم منكرة لتوحيد الله غير عارفه لهم وهم
مستكبرون عنه وعن الاقرار به والايمان بمحمد لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ان كان ما موصوله
او سرهم وعلانيتهم ان كان ما مصدريه انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد اي لا يحب المشركين قيل يجوز ان يكون
عاما اي لا يحب كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه فيتناول الوعيد كل متكبر قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا
انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم واوزار المغرين يضلونهم بغير علم الا سا ما يزرون لما ابطل
الشرك وعبادة الاصنام بالبراهين الباهرة والحجج الظاهرة ذكر بعده شبهات منكر النبوة مع الجواب عنها واذا
قيل للكفار اي قال بعضهم لبعض او قال المسلمون لهم او قال الوفود للذين اقتسموا مداخل مكه ينفرون عن
رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي انزل ربكم او مرفوع
بالابتدا بمعنى اي شي انزله ربكم قال الكفار اساطير الاولين فاذا نصب ماذا فمعنى اساطير الاولين
ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين وقوله المنزل هو على سبيل
السخريه لقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليحملوا اوزارهم اللام لام العاقبه لانهم لم يصفوا القران
بكونه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن ذكر هذا اللام لقوله تعالى

لكم التقصير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه ح

كاملة يوم القيامه ومن ح

فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا اساطير الاولين اضلالا للناس وصدوا عن رسول الله
فحملوا اوزار اضلالهم كامله وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا
يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر بغير علم من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز
بين المحق والمبطل الا سا ما يزرون وعيد على ما قالوه قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم
من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول
اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين
تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها فلبيس مثوى المتكبرين المقصود من هذه الايه المبالغه في وصف وعيد اوليا الكفار
قد مكر الذين من قبلهم فقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل ورام منها الصعود الى السما وكان
طول الصرح في السما خمسة الف ذراع وعن كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فاتى الله بنيانهم اي قصد
تخريب بنيانهم من الاصل فاتاها امر الله وهو الريح فاهب الله الريح من جهة القواعد وهي الاساس وقيل
هي اساطين البنا التي تعمله فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث
لا يحتسبون لا يتوقعون وقيل اتاهم العذاب من ما منهم وقيل هذا تمثيل يعني انهم رتبوا منصوبات
وسووها ليمكروا بها انبيا الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات مثل حال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه
ثم بين تعالى ان عذابهم غير مقصور على هذا القدر ثم يوم القيامه يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ويفضحهم
على روس الخلايق ويعذبهم بانواع من العذاب سوى ما عذبوا في الدنيا ويقول الله لهم اين شركاي على الاضافه
الى نفسه حكايتهم لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزا بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون
وتخالفون المومنين في شانهم ومعناه ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب قرا نافع تشاقون بكسر النون بمعنى
تشاقونني لان مشاقة المومنين كانها مشاقة الله والباقون بفتح النون قال الذين اوتوا العلم اي الانبيا
والعلما من اممهم الذين يدعون الكفار الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم تسليه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولطفا لمن سمعه وقيل هم الملايكه ثم انه تعالى وصف عذاب هولا الكفار من وجه
آخر فقال الذين تتوفاهم الملايكه قرا حمزه باليا لان الملايكه ذكور والباقون بالتا للفظ اي يقبض ارواحهم
ملك الموت واعوانه ظالمي انفسهم نصب على الحال اي تتوفاهم الملايكه في حال كونهم فالقوا السلم الصلح والاستسلام
والخضوع والمعنى انقادوا واذعنوا حين عاينوا الموت قد نزل بهم وقيل معناه لما عاينوا وزال شكهم اظهروا
الاسلام وهو القا السلم والخروج من العداوه خلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا
ما كنا نعمل من سوء من شرك ومعصيه وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم وقيل
الملايكه بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون من الكفر والاضلال والشقاق والكبر فهو مجازيكم عليه وهذا ايضا
من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم قيل دركاتها وقيل اصنافهم كما يقال فلان ينظر في باب من العلم
اي في صنف وقيل هذا عام لاصناف الكافرين لقوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
وقيل المراد به عذاب القبر وقيل يخاطبون به عند الموت خالدين فيها اي ناوين الخلود ومقدرين
فيها في جهنم وقيل في الابواب فمن جعلها الدركات والوان العذاب فلبيس مثوى المتكبرين عن قبول
التوحيد وساير ما اتت به الانبيا جهنم وابوابها قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم

قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنه ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملايكه طيبين يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنه بما كنتم تعملون لما بين احوال الكافرين المتكبرين الذين اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
اتبعه بذكر المومنين الذين اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين اتقوا الذين امنوا من اهل مكه ماذا انزل
ربكم قال الذين اتقوا خيرا نصب جواب الذين اتقوا ورفع جواب الكفار فصلا بين جواب المقر وجواب المنكر
اي الذين اتقوا لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا
اي انزل ربنا خيرا والكفار المستكبرين عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شي
روي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد لقيه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول السايل انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون
ان ادخل مكه واستطلع امر محمد واراه فيدخل مكه فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه
بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا ثم ابتدا فقال للذين احسنوا عدة للقايلين وجعل قولهم من
جملة احسانهم وحمدوا عليه وقيل للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكايه لقول الذين اتقوا اي قالوا
هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه في هذه الدنيا حسنه مكافاة في الدنيا باحسانهم ولدار الاخرة
اي ولهم في الاخرة ما هو خير منها لقوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين
دار الاخرة وقيل ولنعم دار المتقين الدنيا يتزودون منها للاخرى فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره
وجنات عدن خبر مبتدا محذوف اي دار الاخرة او دار المتقين جنات عدن وقيل جنات عدن رفع بالابتدا
يدخلونها خبره تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاون كذلك مثل هذا الجزا وهو جنات عدن يجزي الله المتقين
الذين تتوفاهم الملايكه طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر وقيل صالحين باعمالهم الحسنه وقيل فرحين ببشاره
الملايكه اياهم بالجنه وقيل طيب الله انفسهم بنظافة الايمان وطهارة الاسلام وقيل طيبين اذا ماتوا احيا
واذا ماتوا اقدر الله لهم ذلك يقولون اي الملايكه سلام عليكم قيل سلام عليكم بشر بالجنه وقيل اعلام بالموت
ادخلوا الجنه قيل معناه ابشروا بالجنه وقيل يقال لهم في الاخرة ادخلوا الجنه بما كنتم تعملون بسبب عملكم وقيل بدل عملكم
قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكه او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن
كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزيون ان المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه
وسلم ان ينزل الله ملكا من السما يشهد على صدقه في ادعا النبوه فقال تعالى هل ينظرون اي ما ينتظر الملايكه
الذين تقدم ذكرهم والمعنى انهم لا محاله لحوق المنتظرون لم يكونوا منتظرين الا ان تاتيهم الملايكه لقبض
ارواحهم او ياتي امر ربك اي يوم القيامه وقيل امر ربك عذابه الذي اوعدهم وتاخرهم وقيل
تاتيهم الملايكه بما وعدهم من العذاب يوم القيامه او ياتي امر ربك بذلك فيكون او بمعنى الواو كذلك
اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وقيل لذلك فعل الذين من قبلهم استبطاوا
العذاب كاستبطا هولا وقيل انتظروا انتظار هولا وما ظلمهم الله بتعذيبهم وتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بكفرهم الذي هو سبب تعذيبهم فاصابهم سيات ما عملوا عقوبات كفرهم واعمالهم الخبيثه
وحاق بهم واحاط بهم ونزل بهم ما كان عقوبة ما كانوا به يستهزءون **قوله تعالى** وقال الذين اشركوا
لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وقال الذين اشركوا لو شا الله ما

عبدنا

ع

عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ
المبين ولقد بعثنا في كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه
الضلاله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين
وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا معطوف من حيث المعنى على ما سبق من اول السوره من انواع كفرهم وعنادهم
من انكارهم البعث واستعجالهم وشركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وتكذيبهم الرسول واستهزايهم
واستكبارهم عن قبول الحق اما انكارهم البعث واستعجالهم فيفهم من قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه واما
شركهم فيفهم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون واما انكار وحدانيته فهو ما دل عليه قوله افمن يخلق كمن لا يخلق واما
الحجج السابقه على هذا الانكار فهي من قوله ينزل الملايكه بالروح من امره ومن قوله خلق السموات وخلق الانسان
والخيل والبغال والحمير ومن قوله انزل من السما ما وقوله وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر ومن قوله والقى
في الارض رواسي واما تكذيب الرسول فمن قوله اساطير الاولين واما استكبارهم عن قبول الحق فمن قوله
فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكره وهم مستكبرون وفيه انكار البعث فهذه السوره من مفتتحها الى هذه الايه
وارده في بيان تعداد انواع قبايح المشركين وما تخلل بينها من ذكر النعم وغيره فلذلك لا لزام الحجه
وبيان العناد والاستكبار يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيره والسايبه والوصيله
والحامي وقالوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي اي ما اشركنا بعبادة الاوثان نحن ولا اباونا ولا حرمنا
من دونه من شي هذه الشبهه عين ما حكاه الله عنهم في سورة الانعام في قوله سيقول الذين اشركوا لو
شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال المعتزله به مثل استدلالهم
بتلك الايه والكلام فيه استدلالا واعتراضا عين ما تقدم فلا فايده في الاعاده قال صاحب الكشاف هذا مذهب
المجبره بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركبوا على انهم فهل
على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشا الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان
الشرك وقبحه وبراة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل
باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السو ومشيته
الشر بانه ما من امه الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي
هو طاعة الطاغوت واعلم ان قول صاحب الكشاف وهذا مذهب المجبره بعينه خارج عن سنن الحق صادر
عن تقليد المعتزله لا عن برهان وتقييد الالفاظ المطلقه في الايه بقيود لا دلالة للفظ عليه ولا للعقل
انما هو محض التعصب لمذهبه فانه ليس في الايه الا حكاية قولهم انهم قالوا اي الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي الايه كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين مطلق غير مقيد بقوله
وان الله لا يشا الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراة الله من افعال العباد
وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم بقوله وان الله لا يشا الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
وقوله وبراة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم تقييدات وزياده لا دلالة
الايه على شي منها فان قيل ساق الايه على ان قولهم لو شا الله ما عبدنا الى اخر الايه باطل اجيب عنه بانهم
قالوا هذا القول على سبيل الاستهزا والتعنت ولو قالوا اعتقادا لكان ايمانا والحق ان يقال انهم قالوا
لما كان الكل من الله كان بعثة الانبيا عبثا فهذا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن في بعثة الرسول مزيد
فايده في حصول الايمان ودفع الكفر كان بعثة الانبيا غير جايز من الله فهذا القول جار مجرى طلب العله في
احكام الله تعالى في افعاله وذلك باطل فان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم
يسالون والدليل على ان الانكار انما توجه الى هذا المعنى انه تعالى صرح في اخر هذه الايه بهذا المعنى ولقد

استهزايهم

بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين ان سنته في عبيده ارسال الرسل اليهم وامرهم بعبادة
الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل
بالايمان ونهاهم عن الكفر الا انه تعالى هدى البعض واضل البعض فهذه سنة الله التي لا تجد لها تبديلا ولما كانت سنة الله
في حق كل الانبياء وكل الامم والملل وانما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه المالك نزهها عن اعتراضات المعترضين ومطالبات
المنازعين كان ايراد هذا السوال من هولاء الكفار موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت ان الله تعالى انما حكم
هولاء باستحقاق الخزي واللعن لا لانهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي بل لانهم اعتقدوا ان كون الامر
كذلك يمنع من جواز بعثة الانبياء والرسل وهذا باطل فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا
هو الجواب الصحيح الذي يعول عليه في هذا الكتاب كذلك فعل الذين من قبلهم اي احوال هولاء المشركين وافعالهم تجاوز
عن افعال الامم الخالية عن انفسهم ثم بين ان الرسل خلفا بعد سلف بالغوا في البلاغ المبين بقوله فهل على الرسل
الا البلاغ المبين ثم عقب المجمل بالمفصل بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا تسلية للرسول وتحريضا للقوم على
الاعتبار وان ينظروا الى وخامة عاقبة المكذبين وسوء خاتمتهم وان لا تذهب نفسه عليهم حسرات ومن ثم
خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تحرص على هداهم قال صاحب الكشاف ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيته
الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب
الشر الذي هو طاعة الطاغوت اي ان الله عز وجل ابطل قدر السوء في قوله وقال الذين اشركوا لو
شاء الله ما عبدنا الى اخر الاية ثم امد ذلك الابطال بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا بناء على نفي الكلام النفسي
ورجوع الامر والنهي الى الارادة والمشية فعنده ان الله شاء ان يعبدوه وشاء ان يجتنبوا الطاغوت ولم يشا
اشراكهم لانه لم يامرهم به وعلم في اصول الدين ان انكار كلام النفس مكابرة مع العقل وان الامر غير الارادة والمشية
لان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن والمامورات قد لا تكون وقد غفل عن قوله فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة وتفسير قوله فمنهم من هدى الله بقوله لطف به لانه عرفه من اهل اللطف وقوله ومنهم من حقت
عليه الضلالة بقوله ثبت له الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير تفسير بالراي
الباطل لما عرفت مرارا فسيروا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار يريد ان النظر في احوال
الاشرار من الهلاك والدمار يدل على انما قدرت الشر فيهم ولا قضيته عليهم لاني لو فعلت ذلك لم اعاقبهم
به لم اكن عادلا لكنهم انما استحقوا ذلك لانهم هم الذين فعلوا ما استحقوا به الهلاك وهذا تاويل فاسد خارج
عن المقام ان تحرص على هداهم ان تطلب بجهدك هداهم فان الله لا يهدي من يضل قرا عاصم وحمزة والكسائي
يهدي بفتح الياء وكسر الدال والباقون بضم الياء وفتح الدال ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم
وعرفه انه من قسم من حقت عليهم الضلالة وان الله لا يهدي من يضله هذا على القراءة الاولى فعلى القراءة
الثانية ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضله اي من يضله الله لا يهديه احد وما لهم من ناصرين
من ينصرهم من عذاب الله ويمنعهم عنه قال صاحب الكشاف وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال
الخذلان الذي هو نقيض النصرة قيل ليس تاويل من يضل بالخذلان اولى من تاويل ناصرين بالهادين اي تحرص
على هداهم فاعلم ان الله لا يهدي من يضله وما لهم من هاد قط لا انت ولا غيرك وهذا اولى لان اول الكلام
في الهداية لا في النصرة والخذلان قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون روي انه كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين
فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت

لما عدد الله كفرهم وشركهم
وتكذيبهم وعنادهم بقوله
كذلك فعل الذين من قبلهم جرى
هولاء الكفار ومثلهم بما يدل على
انهم وان كثروا قد لزمتهم ولم
يتولهم الا التعليل المستمر لوم
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي
كذلك فعل الذين من قبلهم

فاقسم بالله لا يبعث الله من يموت فانزل الله هذه واقسموا بالله عطف على قوله وقال الذين اشركوا ووجه اتصال
الجملتين ان كل منهما يستلزم نفي بعثة الانبياء وانهما كفران عظيمان موصوفان حقيقان بان يحكيا ويدونا
الاعتراض على الله في بعثة الرسل وانكار البعث مقسمين عليه اغلظ الايمان الذي لا مزيد عليه لا يبعث الله من يموت
لا يحيي الله احدا بعد موته بلى اثبات لما نفوه اي بلى يبعث الله من يموت وعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان
البعث وعد من الله اي وعد ذلك وعدا عليه حقا مصدر موكد ايضا لما دل عليه عليه ان يحق حقا بين ان الوفا
بهذا الوعد حق واجب عليه بمقتضى الوعد والمشية فان ما شاء الله ووعد به واجب تحققه لانه واجب عليه في الحكمة
وقيل وعدا اي وعد ذلك وعدا عليه قيل منه وقيل عليه انجازه حقا وصف الوعد والوعد الحق ما قرب الانجاز
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه وعد حق لا ياتي عليه خلف وقيل لا يعلمون ان الله يبعث من يموت ليبين متعلق
بقوله يبعث الله من يموت الذي دل عليه بلى اي يبعث الله من يموت ليبين لهم اي لمن يموت وهو عام للمومنين
والكافرين اي يبعث الله من يموت ليظهر لمن يموت الذي اختلفوا فيه اي البعث فان المومنين يصدقون به والمشركين ينكرونه
وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا
اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب ثم ذكر سهولة البعث
عليه فقال انما قولنا لشي مبتدا وان نقول خبره وكن ويكون من كان التامة بمعنى الحدوث والوجود قرا ابن عامر
والكسائي فيكون نصبا عطفا على نقول والباقون رفعا قطعا مما قبله اي فهو يكون اي اذا اردنا وجود شي فليس
الا ان نقول له كن فيكون عقيب ذلك لا يتوقف والمعنى ان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند تعلق ارادته
غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر اذا ورد على المطيع المامور الممتثل واذا كان ايجاد كل مقدور
على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من اسهل المقدورات وهذا اصل قوله واذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون وقد فسر في البقرة قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في
الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون لما حكى الله عن الكفار
انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث دل ذلك على انهم تمادوا في الغي والجهل والضلال واقدموا
على ايذاء المسلمين وظلمهم فهاجروا المظلومون من المسلمين في الله من بعد ما ظلموا فذكر في هذه الاية حكم
تلك الهجرة وبين ما لها وللمهاجرين من الحسنة في الدنيا والاجر في الاخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله
وذلك ترغيب لغيرهم في طاعة الله عن ابن عباس نزلت هذه الاية في ستة من الصحابة عمار وصهيب وخباب
وبلال وعابس وجبر موليين لقريش اخذهم المشركون بمكة عن قتادة والذين هاجروا هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم
من هاجر الى المدينة والذين هجروا وفارقوا اباءهم واوطانهم في الله وابتغاء دينه من بعد ما ظلموا اي ظلمهم قريش
وعذبوهم ليرتدوا عن الدين لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة اي في المدينة
وعن مجاهد لنرزقنهم الله رزقا هنيئا وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين
ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى
الرجل من المهاجرين قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر
وافضل ثم تلا هذه الاية قيل هو انهم صاروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والى ان سمعوا
ثناء الله عليهم وقيل هي النصرة على العدو وقيل هي لسان الصدق وقيل هي ما استولوا عليه من الفتوح
ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف والضمير الذي هو اسم كان وفاعل يعلم الكفار اي لو كان
الكفار يعلمون ان الله يجمع لهم ولا المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يكون الضمير
للمهاجرين اي لو كان الذين هاجروا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا في محل الرفع

علی انه خبر مبتدا المحذوف او فی محل النصب علی انه مفعول فعل محذوف ای هم الذین صبروا او اعنی الذین صبروا
وکلاهما مدح ای صبروا فی الله علی ما نابهم من اذی الکفار ومفارقة الوطن الذی هو حرم الله المحبوب فی کل
قلب فکیف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلی المجاهدة وبذل الارواح فی سبیل الله وعلی ربهم یتوکلون یفوضون
الامر الیه ویرضون بما نالهم فی دین الله **قوله تعالی** وما ارسلنا من قبلک الا رجالا نوحی الیهم فسئلوا اهل الذکر
ان کنتم لا تعلمون بالبینات والزبر وانزلنا الیک الذکر لتبین للناس ما نزل الیهم ولعلهم یتفکرون نزلت
هذه الایه فی مشرکی مکه حیث انکروا نبوة محمد صلی الله علیه وسلم وقالوا الله اعظم من ان یکون له رسول بشر
هلا بعث الینا ملکا فقیل وما ارسلنا من قبلک جوابا لهم فی علمهم الله تعالی مخاطبا لمحمد علیه الصلوة والسلام
انه لم یرسل الی الامم الذین قبلک الا رجالا ولم یرسل ملکا ورجالا منصوب بارسلنا وقرا حفص عن عاصم
نوحی بضم النون وکسر الحا والباقون بضم الیا وفتح الحا فسئلوا ای فقل لهم یا محمد فسئلوا اهل الذکر ای علما
الیهود والنصاری وقیل العلما باخبار من سلف لیعلموکم ان الله لم یبعث الی الامم السالفه الا البشر ان کنتم تعلمون
بالبینات یجوز ان یکون متعلقا بما ارسلناه اخلا تحت حکم الاستثنا مع رجالا ای وما ارسلنا الا رجالا
بالبینات ویجوز ان یکون صفة لرجالا ای رجالا ملتبسین بالبینات ویجوز ان یکون متعلقا بارسلنا مضمرا
کانه قیل بما ارسلوا فقیل بالبینات ای ارسلناهم بالبینات فهذا علی کلامین والاول علی کلام واحد ویجوز
ان یکون متعلقا بیوحی ای یوحی الیهم بالبینات ویجوز ان یکون متعلقا بلا تعلمون علی ان الشرط فی
معنی التبکیت والالزام ای فسئلوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون بالبینات کقول الاجیر ان کنت عملت لک
فاعطنی حقی وقوله فسئلوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون اعتراض علی الوجوه المتقدمه واهل الذکر اهل
الکتاب وقیل للکتاب الذکر لانه موعظه وتنبیه للغافلین والبینات المعجزات وقیل الحلال والحرام
والزبر الکتب وانزلنا الیک الذکر ای القران لتبین للناس بلسان العرب ما نزل الیهم فی الذکر مما امروا
به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم یتفکرون لکی یتاملوا کلام الله ویعتبروا ما فیه **قوله
تعالی** افامن الذین مکروا السیات ان یخسف الله بهم الارض او یاتیهم العذاب من حیث لا یشعرون او یاخذهم
فی تقلبهم فما هم بمعجزین او یاخذهم علی تخوف فان ربکم لرؤف رحیم ای المکرات السیات ای احتالوا لهلاک
الانبیا یعنی نمرود وغیره من الکفار واهل الاوثان وقیل هم اهل مکه وما مکروا به رسول الله
واصحابه وراموا صدهم عن دینهم ان یخسف الله بهم الارض کما فعل بقوم لوط وکما فعل بنمرود وقیل
یغوروا فی الارض فیهلکوا وقیل کما خسف بقارون او یاتیهم العذاب من حیث لا یشعرون لا یحتسبون
ولا یتوقعون بغتة من غیر سابقه او یاخذهم فی تقلبهم متقلبین فی مسایرهم ومتاجرهم بجیئهم وذهابهم
فی دیارهم واسفارهم فما هم بمعجزین جنود الله یقول اعجزه وجده عاجزا واعجزه جعله عاجزا او یاخذهم
یهلکهم ویعذبهم علی تخوف متخوفین مطاوع خوفته یقول خوفته فتخوف وهو ان یهلک قوما
قبلهم فیتخوفوا فیاخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حیث لا یشعرون
وقیل هو من قولک تخوفته اذا تنقصته ای یاخذهم علی ان ینتقصهم شیئا بعد شی فی انفسهم واقوالهم
حتی یهلکوا عن سعید بن المسیب بینا عمر بن الخطاب رضی الله عنه علی المنبر فقال یا ایها الناس ما تقولون
فی قول الله عز وجل او یاخذهم علی تخوف فسکت الناس فقال شیخ یا امیر المومنین هذه لغتنا
بنی هذیل التخوف التنقص قال عمر فهل تعرف العرب ذلک فی اشعارها قال نعم شاعرنا ابو کبیر الهذلی
یصف ناقة تخوف الرحل منها تامکا قردا کما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر ایها الناس علیکم
بدیوانکم لا تضلوا قالوا وما دیواننا قال شعر الجاهلیه فان فیه تفسیر کتابکم ومعانی کلامکم فان ربکم
لرؤف رحیم حیث لم یعجل بالعقوبه **قوله تعالی** اولم یروا الی ما خلق الله من شی تتفیوا ظلاله عن الیمین

وعن

وعن الشمایل سجدا لله وهم داخرون ولله یسجد ما فی السموات وما فی الارض من دابه والملائکه وهم لا یستکبرون
یخافون ربهم من فوقهم ویفعلون ما یومرون لما خوف المشرکین بالانواع المذکورة من العذاب اردفه بذکر
ما دل علی کمال قدرته فی تدبیر احوال العالم العلوی والسفلی وتدبیر احوال الارواح والاجسام لتظهر لهم ان
مع کمال هذه القدرة القاهرة والقوة الباهرة لا یعجز عن ایصال العذاب الیهم قرا حمزه والکسائی
الم تروا بالتا علی الخطاب والباقون بالیا علی الغیبه حکایه عن الذین مکروا السیات فی القرانین الی ما خلق
الله ما موصوله خلق الله صلته وهو مبهم من شی بیانه ای من شی له ظل یتفیوا قرا ابو عمرو ویعقوب بالتا
والباقون بالیا والرویه ها هنا بمعنی النظر ولهذا وصلت بالی یتفیوا یمیل ویرجع ظلاله عن الیمین
بمعنی الایمان والشمایل عن جانب الی جانب فهی فی اول النهار علی حال ثم تتقلص ثم تعود الی حال اخری فی
اخر النهار سجدا حال من ظلاله فیلان الظلال ودورانها من موضع الی موضع سجودها ومنه قیل للظل
بالعشی فی لانه فا من المغرب الی المشرق ای رجع والفی الرجوع قال الله حتی تفی الی امر الله ویقال
سجدت النخله اذا امالت وسجد البعیر واسجد اذا امیل للرکوب وتمل قال فی الایه اهل التاویل عن الضحاک
وقتاده اما الیمین فاول النهار واما الشمایل فاخر النهار سجد الظلال لله غدوه الی ان یفی الظل ثم
تسجد ایضا الی اللیل عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد کل شی لله وقیل اراد بالظلال الاشخاص وقیل
السجود بالعباده وبالدعا الی العباده وکل شی من المخلوقات یسجد بالدعا الی العباده وخص الظل بالذکر لانه
سریع التغیر والتغیر یقتضی مغیرا غیره ومدبرا دبره عن الحسن اما ظلک فیسجد لله واما انت فلا تسجد
له فبیس والله ما صنعت وقیل فی توحید الیمین وجمع الشمایل ان الابتدا عن الیمین ثم ینقص حالا بعد حال
عن الشمایل ولهذا جمع وقیل الیمین بمعنی الایمان وجمع الشمایل یدل علیه وقیل لما کان اللفظ ای ما موحدا
ومعناه جمعا حمل الیمین علی اللفظ والشمایل علی المعنی ولهذا ایضا جمع الظلال ووحد الضمیر ویحتمل
ان یراد بالشمایل الشمال والقدام والخلف لان الظل یفی من الجهات کلها فبدا بالیمین لان ابتدا التفی منها وتیمنا
بذکرها ثم جمع الباقی بلفظ الشمال لما بین الیمین والشمال من التضاد وتنزل القدام والخلف منزلة الشمال
لما بینهما وبین الیمین من الخلاف وهم داخرون صاغرون یرید سجودا اضطرارا لا اختیارا وهم داخرون
حال من الضمیر فی ظلاله لانه فی معنی الجمع وهو ما خلق الله من کل شی له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور
من اوصاف العقلا ولان فی جملة ذلک من یعقل فغلب فی المعنی اولم یروا الی ما خلق الله من الاجرام التی لها
ظل متفیه عن ایمانها وشمایلها ای عن جانبی کل واحد منها وشقیه استعارة من یمین الانسان وشماله لجانبی
الشی ای ترجع الظلال من جانب الی جانب منقادة لله عز وجل غیر ممتنعة فیما سخرها له من التفیو والاجرام
فی انفسها داخرة صاغرة منقاده لافعال الله فیها لا تمتنع ولله یسجد ما فی السموات وما فی الارض من دابه
یجوز ان یکون بیانا لما فی السموات والارض جمیعا علی ان فی السموات خلقا لله یدبون فیها کما تدب الاناسی
فی الارض وان یکون بیانا لما فی الارض وحده ویراد بما فی السموات الخلق الذی یقال له الروح وان یکون
بیانا لما فی الارض ویراد بما فی السموات الملایکه وکرر ذکرهم علی معنی الملایکه خصوصا من بین الساجدین
لانهم اطوع الخلق واعبدهم ویجوز ان یراد بما فی السموات ملایکتهن وبقوله والملایکه ملایکة الارض من
الحفظه وغیرهم قیل جمع بین سجود المکلفین الذی هو خلاف سجود غیرهم وبین سجود غیرهم لان المراد بسجود
المکلفین طاعتهم وعبادتهم وسجود غیرهم انقیاد لاراده الله وانها غیر ممتنعه علیها وکلا السجودین
یجمعهما معنی الانقیاد فلم یختلفا فلذلک جاز ان یعبر عنهما بلفظ واحد والحق انه یجوز الجمع بینهما لجواز
الجمع بین مفهومی المشترک ومفهومی الحقیقه والمجاز بلفظ کما عرف قیل انما جی بما ولم یجی بمن تغلیبا للعقلا
من الدواب لانه لو جی بمن لم یکن فیه دلیل علی التغلیب فکان متناولا للعقلا خاصه فجی بما هو صالح للعقلا

ربهم ج

وغيرهم ارادة العموم ويمكن ان تعالى نزل العقلاء منزلة الجماد الذى لا امتناع فى طبعه تعبيرا عن الجميع بما
وهم لا يستكبرون اى والملائكة لا يستكبرون خصهم بالذكر لانهم لا يستكبرون عن عبادة الله منقادون لله
لا يعصون الله ما امرهم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير فى لا يستكبرون اى لا يستكبرون خائفين ربهم
وان يكون بيانا لنفى الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون
فمعناه يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا
كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة وغيرها وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كساير المكلفين وانهم بين الخوف والرجا
قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات
والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون لما بين فى الاية
الاولى ان كل ما سوى الله سواء كان من عالم الارواح او من عالم الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله
وكبريائه اتبعه فى هذه الاية بالنهى عن الشرك وبالامر بان كل ما سواه فهو ملكه وملكه وانه غنى عن الكل
فقال ولا تتخذوا الهين قال صاحب الكشاف فان قلت انما جمعه بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد
والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما
رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان
اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على الشيئين
الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث
هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله
ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية والمقصود من تكرير العدد
الخاص الذى دل عليه الهين تاكيد التنفير عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح فان الشى اذا كان
مستنكرا مستقبحا فمن اراد المبالغة فى التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالى تلك
العبارات سببا لوقوف العقل على ما فيه من القبح والقول بوجود الالهين قول مستقبح فى العقول
فلهذا المعنى لم يقل احد من العقلاء بوجود الهين متساويين فى الوجوب والقدم وصفات
الكمال قيل معناه لا تعبدوا الهين اثنين واثنين نعت لالهين لا تاكيد وان كان مفيدا للتاكيد
لان النعت قد يرد للتاكيد فعلى هذا يكون لا تتخذوا متعديا الى مفعول واحد وقيل لا تتخذوا
متعد الى مفعولين الاول الهين واثنين صفة له والمفعول الثانى محذوف تقديره لا تتخذوا
الهين اثنين معبودا او مطاعا ونحوه وقيل المفعول الاول اثنين والثانى الهين اى لا تتخذوا
اثنين الهين لان كل ما له ثان فليس باله لان الاله هو الذى لا ثانى له انما هو اله واحد لانه لما دل الدلايل
السابقة انه لا بد للعالم من الرب ثبت انه يمتنع ان يكون فى الوجود الهين ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد
الصمد فاياى فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغايب هو المتكلم وهو من طريقة
الالتفات وهو ابلغ فى الترهيب من قوله واياه فارهبوه اى فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون
فخافونى وله ما فى السموات والارض خلقا وملكا وله الدين الطاعة والاخلاص واصبا دايما ثابتا
واجبا حال عمل فيه الظرف ومعنى الاية انه ليس من احد يدين له ويطاع الا انقطع عنه
بزوال او هلاك الا الله عز وجل فان الطاعة تدوم له قيل يجوز ان يكون من الوصب اى وله
الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا وقيل وله الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعنى الثواب

والعقاب

والعقاب افغير الله تتقون والمعنى انكم بعدما عرفتم ان اله العالم واحد وعرفتم ان كل ما سواه
محتاج اليه فى وقت حدوثه ومحتاج اليه ايضا فى وقت دوامه وبقائه فبعد العلم بهذا الوصول
كيف يعقل ان يكون للانسان رغبة فى غير الله او رهبة عن غير الله فلهذا المعنى وما بكم من نعمة فمن الله لما
بين ان الواجب على العاقل ان لا يرهب غير الله بين فى هذه الاية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله لان الشكر
انما يجب على النعمة وكل نعمة تحصل للانسان فهى من الله لقوله وما بكم اى شى حل بكم او اتصل بكم من نعمة
فهو من الله والمبتدا اذا كان موصولا بفعل او ظرف حسن دخول الفاء فى خبره ثم قال تعالى ثم اذا مسكم الضر
المرض والفقر والجدب فاليه تجارون فما تتضرعون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة الا اليه والجوار
رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا والمعنى
انه بين ان جميع النعم من الله ثم اذا اتفق لاحد مضرة توجب زوال شى من النعم لا يستغيث لاحد الا
لله لعلمه بانه لا ملجا الا هو ثم اذا كشف الضر الذى مسكم عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
فى عبادة الاصنام يحتمل ان يكون الخطاب فى قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بفريق
منكم الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر
وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى فريق منكم يبقى
على مثل ما كان عليه عند مس الضر فى ان لا يفزع الا الى الله وفريق منكم عند كشف الضر يغيرون
فيشركون بالله غيره وهذا جهل وضلال لانه لما شهد تفطرته الاصلية عند مس الضر ان لا مفزع الا الى
الله الواحد فعند كشف الضر ينبغى ان يبقى على ذلك الاعتقاد فاما انه عند مس الضر يعترف بانه لا مستغاث
الا الله وعند كشف الضر يشرك بالله فهذا جهل عظيم وضلال مبين ليكفروا بما اتيناهم اللام لام العاقبة
اى جعلوا عاقبة النعم الكفر بدل الشكر فتمتعوا لا تمتعون من ذلك فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من
العذاب وهذا تخلية ووعيد قال صاحب الكشاف ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن
عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون
للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم انه تعالى لما بين بالدلايل
القاهرة فساد قول اهل الشرك شرح فى هذه الاية تفاصيل اقوالهم وافعالهم وبين فسادها وبعل
المشركون للاصنام الذين لا يعلمون اى جاهلون بها لان المشركين يسمون الالهة اصناما ويزعمون انها
تضر وتنفع وتشفع عند الله وتقربهم الى الله وليس كذلك لانها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون
بها وقيل الضمير فى لا يعلمون للاصنام اى لاشيا غير موصوفة بالعلم اى للاصنام التى لا تعلم
شيا ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا فى انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم
وانما قال لا يعلمون لانهم لما اتخذوها الهة اجراها مجرى من يعقل على زعمهم وقيل لما نفى عنها
ما يصح ان ينفى عن ذوى العلم اجراها مجرى اولى العلم فعلى الاول الضمير للمشركين ومفعول لا
يعلمون ضميرها المعبر عن الاصنام وعن الثانى مفعول لا يعلمون غير منوى لان المعنى لاشيا لا اعلم
لها نصيبا اى يجعل المشركون لالهتهم نصيبا من انعامهم وزروعهم كما ذكر فى الانعام حيث قال
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع عن الاخبار

عنهم الى الخطاب فاقسم بنفسه فقال تالله لتسالن في الاخرة عما كنتم تفترون في الدنيا من الافك في زعمكم
انها الهة وانها اهل للتقرب اليها فتعلموا انكم مستحقوا العذاب وهذا سوال توبيخ وتهديد
ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسب
الولد اليه او تعجب من قولهم معترض ولهم ما يشتهون يعني البنين وما منصوب المحل عطفا على البنات
اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور ويجوز ان يكون ما في محل الرفع على الابتدا ولهم خبره
والواو للحال اي ولهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر التبشير في عرف اللغة للخبر الذي يفيد السرور وفي اصل
اللغة الخبر الذي يغير بشرة الوجه ومعلوم ان السرور كما يوجب تغير البشرة كذلك الحزن فلفظ التبشير
بحسب اللغة حقيقة في الخبر الذي يغير البشرة اعم من ان يكون من السرور او من الحزن وحقيقة بحسب العرف في الاول
وقيل التبشير هاهنا استعمل في الخبر الذي يفيد الحزن بطريق استعارة اسم احد الضدين على الاخر على
سبيل التهكم كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ظل صار وجهه مسودا والسواد كناية عن العبوس والكراهة
مما اخبر به وعن تغير اللون من الحزن والغم قال صاحب الكشاف ويجوز ان يجي ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل
فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكابة والحيا من الناس وهو كظيم حزين ممتلئ غيظا وحنقا على المراة وقيل
مملو والاول فعيل بمعنى فاعل والثاني بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم يتوارى يستخفي من القوم ويتغيب عنهم
من سوء ما بشر به المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به وذكر الضمير لانه يعود الى لفظ
على هون هوان وذل ام يدسه في التراب فيئده وذلك ان مضر وخزاعة وتميما يدفنون البنات احيا
الا ساء ما يحكمون حيث الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور للذين لا
يومنون بالاخرة يعني هولا الجاعلين لله البنات مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالبخل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكبر الكباير ان تجعل لله ندا وهو خلقك ثم ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك ثم ان تزني بحليلة جارك
ولله المثل الاعلى الافضل والاحسن وهو التنزيه عما لا يليق به عن ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى
شهادة ان لا اله الا الله وقيل الصفة التي وصف هولا الجهال ربهم بها هم اولى بها من الله ولله
الصفة العليا وهو انه لم يلد ولم يولد **قوله تعالى** ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
ولكن يوخرهم الى اجل مسمى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من
قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يومنون انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح
فعلهم وسي قولهم بين انه يمهل هولا الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة
ولو يواخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة كناية عن غير مذكور
وهو جايز لان الدواب لا تكون الا في الارض من دابة جمع ما يدب على وجه الارض قال ابن مسعود
قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن نوح وعن السدي لو قحط المطر فلم تبق دابة الا هلكت وقيل هي
الناس خاصة قاله ابن جريج وقيل هي الانس والجن وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل
لو اهلك الابا بكفرهم لم يكن الابنا وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال
بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك

بخفيه ح

في جحره بذنب ابن ادم ولكن يوخرهم الى اجل مسمى ولكن يمهلهم بحكمته الى منتهى اجالهم وانقضا اعمارهم
وقيل وقت العذاب وقيل يوم القيامة فاذا جا احد هذه الاوقات هلكوا البتة من غير تقديم وتاخير
ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركا في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون
برسالاتهم ويجعلون لله ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف وتقول مع ذلك السنتهم الكذب
واسند الوصف الى اللسان لان القول باللسان ان يكون ان لهم الحسنى بدل من الكذب قيل ان لهم
الحسنى عند الله لقوله ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل الحسنى البنون وقيل الجنة على تقدير
ان كان البعث حقا لا جرم عن الزجاج لا رد لكلامهم ومعنى جرم كسب اي كسب فعلهم ان لهم النار
وانهم مفرطون عطف على ان لهم النار اي وانهم مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته قرا نافع مفرطون
بكسر الراء مع التخفيف اي مسرفون في المعاصي والباقون بالفتح مع التخفيف تالله هذه تعزية للنبي صلى
الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة التي كانوا عليها مقيمين حتى عصوا وكذبوا وكفروا
بالرسل فهو وليهم اليوم قيل حكاية الحال الماضية التي كان يزين الشيطان اعمالهم فيها وقيل
فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبيس القرين وقيل فهو وليهم
حكاية الحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي لبيس متولي امورهم يوم القيامة لا ولي لهم
سواه نفيا للولي لهم على ابلغ الوجوه وقيل يجوز ان يكون الضمير المجرور لمشركي قريش والمراد
ان الشيطان زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولا لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف
المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد الشديد قد اقام الحجة وازاح
العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين للناس الذي اختلفوا من الدين والاحكام وقيل لتبين
للكفار الذي اختلفوا فيه اي ما خالفوا فيه المومنين من التوحيد والبعث والجزا فالمعنى انزلناه
بيانا لما وقع فيه الاختلاف وهدى ورحمة لقوم يومنون عطف على محل لتبين لانه المفعول له الا
انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لان هدى ورحمة فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه
المفعول له الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لان ليس فعل المنزل بل فعل المخاطب وقيل الذي اختلفوا
فيه البعث لانه كان فيهم من يومن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحليل والتحريم والانكار
والاقرار **قوله تعالى** والله انزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
قد تحقق ان المقصود الاعظم من القران الكريم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد
واثبات القضا والقدر والمقصود الاعظم من هذه الاربعة تقرير الالهيات فلهذا السبب
كلما امتد الكلام في فصل من الفصول عاد الى تقرير الالهيات فلما امتد الكلام هاهنا في وعيد الكفار
عاد الى تقرير الالهيات ولما اراد ذكر دلايل الالهيات ابتدا بالاجرام الفلكية وثنى بالانسان وثلث بالحيوان
وربع بالنبات وخمس باحوال البحر والارض فهذه الاية بدا بذكر الفلكيات فقال والله انزل من السما
ما اي المطر فاحيا به الارض بعد موتها بعد يبوستها وجدوبتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
يسمع القلب كلام الله ووعظه سماع انصاف وتدبر لا عناد وتجبر فان لم يسمع بقلبه فكانه اصم
لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة دلالة وعلامة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم قرا نافع وابن عامر
وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون والباقون بضمها لانه شرب دايم وحكى عن الكسائي ان العرب

ففي ح

نقول اسقيته نهرا ولبنا اذا جعلته له سقيا دائما فاذا اراد وانهم اعطوه شربة قالوا سقيناه وقال غيره
هما لغتان يدل عليه قول لبيد في صفة سحاب سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال فجمع بين اللغتين
مما في بطونه اي بطون الانعام ذكر الضمير قيل لانه مفرد ذكره سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسما
المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياس ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة
المومنين فلان معناه الجمع وعن الفراء رد الكناية الى النعم والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر قال
صاحب الكشاف ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما
مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث
ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع نسقيكم استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم وهو ما في الكرش فاذا اخرج منه لا يسمى فرثا ودم لبنا خالصا من الفرث والدم اي يخلق
الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك عن ابن عباس اذا اكلت البهيمة العلف واستقرت في كرشها
طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها
فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته
لمن تفكر وتامل سايغا سهل المرور في الحلق يقال لم يغص احد باللبن قط وقيل سايغا حلالا وقيل لا يغص به
الناس وان خرج من بين فرث ودم ومن في قوله مما في بطونه للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت
من مال زيد ثوبا ومن في قوله من شراب ودم لابتدا الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقا الذي منه
يبتدي فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
اي كاينا من بين فرث ودم واذا كان متاخرا فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم ومن ثمرات النخيل والاعناب قيل ومن ثمرات متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل
والاعناب اي من عصيرها وحذف نسقيكم لدلالة نسقيكم قبله عليه تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه
الاسقا وقيل ومن ثمرات متعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كما في قولك زيد في الدار فيها وقيل
يجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله يصف قوسا بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات
النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها سكرا والضمير في منه اذا جعل
ظرفا مكررا عايد الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قايلون الى الاهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال يصف جيشا
وجاونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي عن ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
وابرهيم وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة ان السكر هو الخمر وروي عن ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتها
وهو كذا قالوا هذه الاية نزلت حين كانت الخمر مباحة ثم نسخت بقوله فاجتنبوه وروي العوفي عن ابن عباس السكر
الخل بلغة الحبشة وعن الضحاك هو الخل بلغة اليمن وقيل السكر الطعم يقال هذا له سكر اي طعم وانشد
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل السكر في البيت من الخمر فانه اذا تعرض
لاعراض الكرام فكانه تخمر بها وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام
الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة والرزق الحسن الخل والدبس والرب والتمر والزبيب
وغير ذلك وقيل يجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ان
في ذلك لاية لقوم يعقلون اي من كان عاقلا يعلم بالضرورة ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه

وتتخذون منه
بعضهم

فيستدل بها على وحدانية الاله القادر الحكيم **قوله تعالى** واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون لما بين الله ان اخراج الالبان من الانعام
واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دلايل قاهرة وبينات باهرة على ان لهذا العالم
الها قادرا مختارا حكيما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المطلوب
واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في انفسها فهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة ان اتخذي
هي ان المفسرة لان الايحا فيه معنى القول من الجبال اي في الجبال ويحتمل انه للتبعيض لان ذلك يوجد
في بعض الجبال وسماها بيوتا تشبيها ببيوت الانسان وقيل لانها مبنية على حسن الصنعة وصحة القسمة ومن
الشجر في الغياض والجبال والصحاري ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال
والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس ومن من الجبال ومن الشجر
ومما يعرشون اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها
ثم كلي من كل الثمرات قيل ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهوا طل لطيف في الليالي
ويقع ذلك الطل على اوراق الاشجار فقد تكون تلك الاجزا الطلية لطيفة الصور متفرقة على الاوراق
والازهار وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها اجزا محسوسة والقسم الثاني مثل الترنجبين فانه طل نزل من الهوا
على اشجار في بعض البلدان وذلك محسوس والقسم الاول هو الذي الهم الله تعالى النحل حتى انها تلتقط تلك
الذرات من الازهار واوراق الاشجار بافواهها وتاكلها وتغتذي بتلك الاجزا الطلية فاذا شبعت التقطت
بافواهها مرة اخرى شيا من تلك الاجزا ثم تذهب بها الى بيوتها وتضعها هناك كانها تحاول ان تدخر
لنفسها غذاها فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزا الطلية شي كثير فذلك هو العسل وقيل ان النحل تاكل
من الازهار الطيبة والاوراق العطرة اشيا ثم انه تعالى يقلب تلك الازهار في داخل بدنه عسلا
ثم انها تقي مرة اخرى فذلك هو العسل فعلى القول الاول من لابتدا الغاية وعلى الثاني للتبعيض فاسلكي
اي اذا اكلتها فاسلكي الطرق التي الهمك الله وافهمك في عمل العسل وقيل فاسلكي ما اكلت في سبل ربك
اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك وقيل اذا اكلت الثمار
في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقيل
انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة وقيل اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي
اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها
لها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي فاسلكي حال
كونك ذللا منقادة مطيعة لله تعالى فيما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب عسل لانه مما يشرب
مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة
وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دوا كذلك
وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل روي ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن
عنه شيا فقال عليه السلام اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا
فكانما انشط من عقال عن ابن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفايين
القران والعسل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة واللطايف الخفية
مثل بنا البيوت المسدسة والاهتدا الى جمع تلك الاجزا الذرية من اطراف الاشجار والاوراق وفي خلق الله

تلك الاجزا النافعه فى جو الهوا ثم القاها على اطراف الاوراق والاشجار ثم الهام النحل الى جمعها بعد تفرقها
وكل ذلك امور عجيبة داله على ان الاله القادر الحكيم رتبه على وفق الحكمه والمصلحه **قوله تعالى** والله خلقكم
ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيا ان الله عليم قدير لما ذكر عجايب احوال
بعض الحيوانات ذكر فى هذه الايه من عجايب احوال الناس طرفا واشار فى هذه الايه من عجايب احوال
الناس طرفا واشار فى هذه الايه الى مراتب عمر الانسان وقد ضبطها العقلا فى مراتب اربع اولها سن
النمو وهو سن الطفوليه وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط مع بقا القوه
وهو سن الكهوله ورابعها سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو سن الشيخوخه فانتقال الانسان
من بعض هذه المراتب الى بعض دليل قاطع وبرهان ساطع على ان الله تعالى هو الخالق البارى المصور والله خلقكم
ثم يتوفاكم اطفالا رضعا او صبيانا او شبانا او كهولا ومنكم من يرد اى الى حال تقدمت من الضعف وهو ايصاله
الى ارذل العمر الى اخسه واحقره يعنى الهرم الذى ينقص فيه عقله وقوته عن قتاده ارذل العمر
تسعون سنه وعن على رضى الله عنه خمس وسبعون سنه وقيل ثمانون سنه لكيلا ليصير الى حاله شبيهه بحال
الطفوله فى النسيان وان يعلم شيا ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سيل عنه وقيل لكيلا يعقل بعد عقله الاول
شيا وقيل يجوز ان يكون اللام لام كى فيصير المعنى لكيلا يعلم بعد علم شيا فيكون عبرة للمعتبر وليعلم انه كما
هو قادر على نقله من العلم الى الجهل قادر على اماتته واحيايه ويجوز ان يكون لام العاقبه اى يصير الى
حال الطفوليه بنسيان ما كان يعلم ان الله عليم قدير **قوله تعالى** والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين
فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا افبنعمة الله يجحدون والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق
فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم اى لا يرد المولى على ما ملكت ايمانهم مما رزق شيا حتى يكون
المولى والمملوك فى المال سوا وهذا مثل ضربه الله للمشركين الذين جعلوا الاصنام شركا له والاصنام مملوكه
فقال اذا لم تكن عبيدكم معكم سوا فى الملك فكيف تجعلون عبيدى معى سوا قال السدى فكما لا يرد احدكم على مملوكه
ما رزقه الله حتى يكون مثله فكذلك لا يكون الله والصنم الذى هو من خلقه وملكه سوا وعن ابن عباس لم يكونوا
اشركوا عبيدهم فى اموالهم ونسايهم فكيف يشركون عبيدى معى فى سلطانى عن ابن عباس نزلت فى نصارى نجران
حين قالوا عيسى ابن الله وقيل فهم فيه سوا فى انى رزقت الجميع وانه لا يمكن احدا ان يرزق عبده الا برزقى اياه
وقيل جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهو بشر مثلكم واخوانكم وكان ينبغى ان
تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى يتساووا فى المطعم والملبس كما حكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روى عبده بعد ذلك الا ورداوه رداوه
وازاره ازار من غير تفاوت فجعل ذلك من جملة جحود النعمه فقال افبنعمة الله يجحدون قرا عاصم فى روايه ابى
بكر بالتا على الخطاب لقوله والله خلقكم والله فضل بعضكم على بعض والباقون باليا لقوله فهم فيه سوا **قوله تعالى**
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفده ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون
وبنعمة الله هم يكفرون والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم وقيل يعنى خلق ادم من زوجته حوا وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفده جمع حافد وهو الذى يحفد اى يسرع فى الطاعه والخدمه ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد
وقال حفد الولايد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الخدم والحفد الاسراع فى الخدمه
والحافد الخادم وقيل هم اولاد الاولاد وقيل هم ازواج البنات وهم الاختان وقيل البنات لانهن يخدمن
فى البيوت اتم خدمه وقيل اولاد المراة من زوج قبله وقيل هم البنون اى تانسهم فى الصغر وتخدمونه
فى الكبر كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون بين
الامرين ورزقكم من الطيبات اى بعضها لان كلها فى الجنه ومن الطيبات من الحلال وقيل من اللذيذ كاللبن والعسل

والثمار وقيل هو ما ياتيك عفوا افبالباطل عن ابن عباس بالاصنام وقيل بالشيطان امرهم بتحريم البحيره
والسايبه والوصيله والحامى وقيل هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم
باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شى معلوم مستيقن وبنعمة الله التى احل الله لهم
وهى المشاهده المعاينه التى لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم يكفرون يجحدون تحليله وينكرونها كما ينكرون
المحال الذى لا تتصوره العقول **قوله تعالى** ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض
شيا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
اى الصنم الذى هو جماد لا يملك لهم رزقا من السموات والارض قيل هو مصدر شيا مفعول له كقوله او اطعام مسكينا
والمعنى ما لا يملك ان يرزق شيا وقيل ما يرزق وشيا بدل منه لانه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون شيا تاكيدا لئلا يملك
اى لا يملك شيا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا
من الارض نباتا ويجوز ان يكون من السموات والارض صفه ان كان رزقا اسما لما يرزق اى رزقا من السموات
والارض ولا يستطيعون اى ما لا يملك لا يستطيعون فان ما لا يملك فى معنى الالهه بعد ما قيل لا يملك على اللفظ وقيل
ولا يستطيعون اى الكفار اى ولا يستطيع الكفار مع انهم احيا متصرفون او لو اعمل من ذلك شيا فكيف بالجماد الذى
لا حس به ونفى الملك باعتبار ان يرزقوا ونفى الاستطاعه على الاطلاق لانهم موات وقيل يجوز ان يقدم الراجع
فى ولا يستطيعون ويراد بالجمع من نفى الملك والاستطاعه التوكيدا ومراده انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم
ان يملكوه ولا يتاتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال اى لا تضربوا لله الامثال اى الاشباه والاشكال
فتشبهوه بخلقه وتجعلون له شريكا وهذا تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه
حالا بحال وقصه بقصه ان الله يعلم خطا ما تضربون من الامثال وانتم لا تعلمون صواب ذلك من خطايه وقيل
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازنه فى العظم لان العقاب على قدر الاثم وانتم لا تعلمون
كنهه وكنه عقابه فذاك الذى جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك **قوله تعالى** ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شى ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شى وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات
بخير هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم انه تعالى اكد ابطال مذهب عبدة الاصنام
بهذا المثل وعلمهم كيف تضرب فقيل هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دونه او معه ضرب الله مثلا عبدا
اى مثلكم فى اشراككم بالله الاصنام مثل من سوى بين عبد مملوك لا يقدر على شى عاجز عن التصرف وبين حر مالك
قد رزقه الله رزقا حسنا مالا حلالا فهو ينفق منه كيف يشا سرا وجهرا وانما قال مملوكا ليميز من الحر لان اسم
العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وانما قال لا يقدر على شى ليكون غير مكاتب ولا ماذون له لانهما
يقدران على التصرف ومن فى قوله ومن رزقناه موصوفه كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ويجوز
ان يكون موصوله هل يستوون استفهام على سبيل الانكار فان صريح العقل شاهد بانه لا يجوز التسويه
بينهما فى التعظيم والاجلال بين الله تعالى ان المتساويين فى الخلق اذا كان احدهما مقتدرا على الانفاق والاخر
عاجزا لا يقدر ان ينفق لا يستويان فكيف بين الحجاره التى هى موات وبين الله الذى هو على كل شى قدير
وهو رازق جميع خلقه عبدا مملوكا يريد اى عبد كان وعن عطا انه ابو جهل بن هشام ومن رزقناه ابو
بكر الصديق ومن رزقناه رزقا حسنا ملكناه مالا حلالا فهو ينفق منه سرا وجهرا دايما ولفظ الجمع فى
هل يستوون يدل على ان المراد بالعبد العموم وقيل انما قال هل يستوون لمكان من لانه اسم
مبهم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وكذا بين اى لا يستوى القبيلان وقيل هذا
مثل ضربه الله للمومن والكافر فقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شى مثل للكافر فانه من حيث انه شى محروم وما

عن عبودية الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد المملوك العاجز عن التصرف وقوله ومن رزقناه مثل للعبد
المومن فانه يشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقه على خلق الله فبين الله تعالى انهما لا يستويان في المرتبه
والشرف والقرب من رضوان الله وقيل هل يستوون في الطاعه الحمد لله يعني ليس الامر كما يفعلون ولا
القول كما يقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله خالصا لانه هو المنعم
الخالق الرازق ولكن اكثرهم لا يعلمون انها كذلك وعن ابن عباس الحمد لله على ما فعل باوليائه
وانعم عليهم بالتوحيد وقيل قل الحمد لله على الكمال لا لما يعبدون بل اكثرهم لا يعلمون فيجعلون الحمد والعباده
لغير الله وقيل لما ذكر هذا المثال وكان هذا مثالا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال بعده الحمد لله على قوة
هذه الحجه وظهور هذه البينه بل اكثرهم لا يعلمون اي انها مع غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هولا
الضلال وقيل بل اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يتفكرون في الادله فيعرفوا ان العبادة والحمد لله وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم وولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شي وهو كل ثقل وعيال على من يلي امره اينما يوجهه حيث
ما يرسله مولاه ويصرفه في مطلب حاجه او كفاية مهم لا يات بخير لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم
الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانه فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو على صراط مستقيم على سيرة صالحه
ودين قويم وهذا ايضا مثل ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينيه
والدنيويه وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ولا تفعل وهو كل على عابدها يحتاج
ان يحملها ويضعها ويخدمها فهل يستوي هو ومن يامر بالعدل يعني الله قادر ان متقدر متكلم ويامر بالتوحيد
فليس كصنمكم وهو على صراط مستقيم يدلكم على صراط مستقيم وقيل هو رسول الله يامر بالعدل ويهدي الى صراط مستقيم وقيل
كلا المثلين للمومن والكافر وقيل نزلت هذه الايه في عثمان بن عفان رضي الله عنه ومولاه السعيد ابن العاص

قوله تعالى ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شي قدير والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات
في جو السما ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون لما جعل في الايه الاولى مثل الكافر الابكم العاجز
ومثل نفسه الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم انه يمتنع ان يكون امرا بالعدل وان يكون على صراط
مستقيم الا اذا كان كاملا في العلم والقدره ذكر في هذه الايه بيان كونه كاملا في العلم والقدره اما بيان كمال العلم
فهو قوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب في السموات والارض عن العباد وخفي عليهم علمه وقيل
اراد بغيب السموات والارض يوم القيامه على ان علمه غايب عن اهل السموات والارض لم يطلع احد منهم واما
بيان كمال القدره فقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعه هي الوقت الذي يقوم فيه القيامه سميت ساعه
لانها تفجا الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحه واحده اي وما امر الساعة في قرب كونها وسرعة قيامها الا
كلمح البصر كنظرة البصر ورجع الطرف لان ذلك انما هو ان يقال له كن فيكون او هو اقرب بل هو اقرب وقيل
او بمعنى الواو وقيل للشك في حق المخاطب ويحتمل تصحيح قوله اقرب لان اللمح فعلان وضع الجفن ورفعه
وقيام الساعة فعل واحد ان الله على كل شي قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة في اقرب من لمح البصر ثم دل
على قدرته وعلى انه الفاعل القادر المختار فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم قرا حمزه والكساي امهاتكم
بكسر الميم والباقون بضمها لا تعلمون شيا في موضع الحال معناه غير عالمين شيا قيل تم الكلام على قوله شيا ثم
ابتدا فقال وجعل لكم السمع والابصار والافيده ليصير السمع والبصر والافيده الات لازالة الجهل الذي ولدتم
عليه واجتلاب العلم قال المفسرون وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله والابصار لتبصروا اثار رحمة الله
والافيده لتعقلوا عظمة الله والافيده في فواد كالاغربه في غراب وهو من جموع القله التي جرت مجرى جموع
الكثره والقله اذ لم يرد في السماع غيرها كما جا شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وانما اعطاكم

هذه الالات ليحصل لكم العلم فتشكروا نعمة الله الم يروا قرا ابن عامر وحمزه والكساي تروا بالتا والباقون باليا
هذا دليل آخر على كمال قدرته مسخرات مذللات للطيران بما خلق الله لها من الاجنحه والاسباب المواتيه لذلك في جو
السما في الهوا بين الارض والسما وقيل في الهوا المتباعد من الارض في سمت العلو ما يمسكهن في الجو في قبضهن وبسطهن ووقوفهن
الا الله بقدرته ان في ذلك لايات للمومنين لانهم هم المنتفعون بها وان كانت هذه الايات ايات للعقلا جميعا **قوله تعالى**
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين هذا نوع اخر من دلايل التوحيد وتعديد نعم الله على الناس في البيوت
اصل البيت ماوى الانسان بالليل ثم قيل بغير اعتبار الليل فيه وجمعه ابيات وبيوت والبيوت بالمسكن اخص والابيات
بالشعر وسمي بيت الشعر وصار البيت مستعارا في آل النبي صلى الله عليه وسلم والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ذكر اولا
بيوت المدن وهي التي للاقامة الطويله وهي اعظم بيوت الانسان وان كان الوصف يشمل جميع البيوت
من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبيه وغيرها سكنا مصدر بمعنى مفعول يوصف به الواحد
وهو ما يسكن فيه واليه من بيت والف ثم ذكر بيوت النقله والرحله فقال وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا يحتمل ان يعم به بيوت الادم وبيوت الصوف والوبر والشعر لان هذه هي من الجلود لكونها نابته فيها ويكون
قوله ومن اصوافها ابتدا كلام كانه قال جعل اثاثا يريد الملابس والوطا وغير ذلك ويحتمل ان يريد بقوله
من جلود الانعام بيوت الادم فقط ويكون قوله ومن اصوافها عطفا على قوله من جلود الانعام
اي جعل من اصوافها بيوتا ايضا ويكون قوله اثاثا نصبا على الحال تستخفونها تجدونها خفيفه ويخف عليكم حملها
يوم ظعنكم قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان اي يوم ترحلون خف عليكم
حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها وقيل هي خفيفه عليكم في اوقات السفر
والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها وهي للضان واوبارها وهي للابل واشعارها
وهي للمعز والبقر ولم يكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر على هذه وقيل انما ترك ذكر الحرير والكتان
والقطن اعراضا عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف وقيل قد اشير الى القطن
والكتان في لفظة السرابيل اثاثا متاع البيت واحدها اثاثه قيل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض
حتى يكثر كالشعر الاثيث وعن ابن عباس الاثاث المال والزينه وقيل الاثاث الثياب بلغة قريش وقيل الاثاث ما
يلبس ويفرش كالاكسيه وما يشبهها ومتاعا وشيا ينتفع به وقيل ما يتجرون فيه الى حين وقت غير معين وهو بحسب
كل انسان اما بموته واما بفقد تلك الاشيا التي هي اثاث وقيل الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى
ويفنى او الى ان تموتوا **قوله تعالى** والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون لما عددها الله عليهم بحسب احوالهم وبلادهم
وانها الاشيا المباشره لهم لان بلادهم من الحراره وقهر الشمس بحيث للظل غنا عظيم ونفع ظاهر مما خلق يعم
جميع الاشخاص المظله ظلالا لا يستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الاشجار والسقوف والابنيه وجعل
لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوته في الجبال والغيران والكهوف والاسراب
والمواضع التي يسكنون فيها وجعل لكم سرابيل قمصانا من الكتان والقطن والقز والصوف وغيرها وقيل
كل ما يلبس من ثوب او درع فهو سربال تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقايه من الحر اهم عندهم وقيل ما يهمهم البرد لكونه
يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع
والجواشن واللباس الحرب اي تقي ابدانكم في الحرب من سلاح العدو كذلك يتم اي كما اتم النعم التي تقدمت
يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصوا لله الربوبيه وتعلموا

انه لا تقدر على هذه الانعامات احد سواه فان تولوا يا محمد ولم يقبلوا منك واعرضوا واثروا الحيوة الدنيا ومتابعة الاباء
في الكفر فعلى انفسهم جنوا وليس عليك الا البلاغ المبين ثم وبخهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددناها ويعترفون بها وانها
من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من ابائنا وقيل يعرفون نعمة الله اي محمد صلى الله عليه وسلم ثم ينكرونها بتكذيبهم اياه واكثرهم الكافرون وهم اهل مكة
لانه كان فيهم من دخل الاسلام ومن اسلم بعد ذلك قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا
ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون لما بين انهم عرفوا نعمة الله ثم
انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه بالوعيد تقديره واذكر يا محمد يوم نبعث وقيل معناه ثم ينكرونها اليوم ويوم نبعث
من كل امة شهيدا اي ينكرون كفرهم فيكذبها الشهيد من كل امة من نبيهم شهيدا نبيا يشهد على امته بما فعلوا وقيل
يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب وقيل من كل جيل في كل زمان شهيدا على اهل زمانه بما كانوا
يفعلون ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار وقيل لا يسمع عذرهم وقيل والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن
على ان لا حجة لهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون يعني لا يكلفون ان يرضوا ربهم لان الاخرة ليست بدار تكليف
ولا يتركوا ان يرجعوا الى الدنيا فيتوبوا وقيل ولا يطلب منهم ان يرجعوا الى ما يرضي الله والعتبى الرضى قال
صاحب الكشاف فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم
منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب يوم بمحذوف تقديره
واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون لقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فجزاء الشرط محذوف وهو قوله
بغتهم وثقل عليهم والذين ظلموا مظهر وضع موضع المضمر فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يوخرون ويمهلون
قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون اخبر الله تعالى في هذه الاية
ان المشركين اذا راوا يوم القيمة بابصارهم الاصنام وكل معبود من دون الله لانها تحشر معهم توبيخا لهم على روس
الهم وقالوا هؤلاء شركاؤنا الهتنا التي دعوناها شركاء وقيل واذا راى المشركون بابصارهم الشياطين الذين شركونا
في الكفر وقرناؤنا في الغي الذين كنا ندعوا نعبدهم من دونك فالقوا اي الشركاء اليهم الى المشركين انكم لكاذبون
قيل اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا ما تعرف من عبدها وقيل هذا في الملائكة الذين عبدوا فاجابوهم
بالتكذيب لانهم غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم ليس عبادة والدليل عليه قول الملئكة كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم المعبودون دوننا ولكذبوهم في تسميتهم شركاء والهة
تنزيها لله سبحانه من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون
كما تقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا اي الذين ظلموا الى الله السلم اي الذين
ظلموا استسلموا لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان
لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم وقيل ضاع سعيهم وخاب املهم
من شفاعة الهتهم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون لما ذكر وعيد الذين كفروا في انفسهم اتبعه بوعيد الذين كفروا في انفسهم وصدوا
عن سبيل الله غيرهم اي حملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اي انهم زادوا على كفرهم
صد غيرهم عن الايمان فهم في الحقيقة زادوا الكفر على كفرهم فلاجرم زادهم الله عذابا فوق العذاب
وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احدهن اللسعة يجد صاحبها حمتها
اربعين خريفا وقيل عقارب لها اذناب امثال النخل الطوال وقيل خمسة انهار من صفر مذاب كالنار

تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون
من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار وقيل انهم يحملون اثقال اتباعهم
كما قال واثقالا مع اثقالهم وقيل هو انه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يفسدون الناس في
الدنيا يصدون عن سبيل الله وما في قوله بما كانوا مصدرية قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين هذه الاية في ضمنها وعيد وتهديد مانع للمكلفين عن المعاصي اي واذكر يا محمد يوم
نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني منهم وانما قال في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم لانه كان يبعث
انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك شهيدا يا محمد على هؤلاء الذين بعثناك اليهم ونزلنا وجه تعلق هذا الكلام
بما قبله انه تعالى لما قال وجئنا بك شهيدا على هؤلاء بين انه ازاح عللهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة
ونزلنا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله انه تعالى لما قال وجئنا بك شهيدا على هؤلاء عليك الكتاب اي القران تبيانا
بيانا بليغا اسم وليس بمصدر ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله لكل شيء من التوحيد والمبدا والمعاد والامر والنهي والحلال
والحرام والحدود والاحكام حيث كان نصا على بعضها واحاله على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول
صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقال الله تعالى ومن يتبع غير سبيل المومنين وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد مستند الى
تبيان الكتاب فمن ثم تبيانا لكل شيء قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون انه تعالى لما استقصى في شرح الوعيد والوعد والترغيب والترهيب
وذكر بعد ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اتبعه بقوله ان الله يامر بالعدل الاية فجمع في هذه الاية ما يتصل
بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والاداب عموما وخصوصا عن ابن عباس عن عثمان بن مظعون
الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني
اذ شخص رسول الله ببصره الى السماء فنظر ساعة ثم خفضه عن يمينه ثم عاد بمثل ذلك فسالته فقال بينما انا
احدثك اذا جبريل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل والاحسان الى قوله تذكرون قال عثمان
وذلك حين استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن مسعود اجمع اية في كتاب
الله اية في سورة النحل وتلا هذه الاية وروى عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية
قراتها على ابي طالب فتعجب وقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق
عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا على الوليد ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر الاية
فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وما هو بقول البشر ان الله يامر بالعدل عن ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله وعنه انه الحق
وعن سفيان بن عيينة انه استواء السر والعلانية وقيل انه القضاء الحق والعدل في كلام العرب الانصاف
واعظم الانصاف الاعتراف للمنعم بنعمه وقيل العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده
فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان قيل الندب وانما علق امره بهما لان الفرض لا بد
من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرايض
فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط
وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل وعن ابن عباس
اداء الفرايض وعنه انه العفو وعنه الاخلاص وعنه ان تعبد الله كانك تراه وعن سفيان بن عيينة

ولذ عوانا كل خطيب على المنبر في اخر
كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل
مامور ومنهي
مدارك

من كل عامل فله عملا ابن كثير

ان يكون السر به احسن من العلانية وايتاء ذي القربى صلة الرحم وليعم جميع اسدا الخير الى القرابة وينهى عن
الفحشاء عن الزنا قاله ابن عباس وعن مقاتل انها المعاصي وقيل ما جاوز حدود الله والمنكر عن مقاتل
انه الشرك وقيل ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل ما وعد الله عليه النار ذكرهما ابن السايب عن سفيان بن عيينة
ان يكون علانية الانسان احسن من سريرته وقيل ما تنكره العقول والبغي عن ابن عباس الكبر والظلم وقيل
تجاوز الحق الى الباطل وقيل طلب التطاول بالظلم وعن الحسن والله ما ترك العدل والاحسان شيئا
من طاعة الله الا جمعاه ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغي شيئا من معصية الله الا جمعوه يعظكم يامركم بهذه
الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة لعلكم تذكرون ما امرتم به وهو ثلثه وما نهيتم وهو ثلثه فتتعظوا قوله
تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون انه تعالى لما
جمع المامورات والمنهيات في الاية الاولى على سبيل الاجمال ذكر في هذه الاية بعض تلك الاقسام
فبدا بالامر بالوفا بالعهد وهذه الاية وان كان حكمها عاما فقيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله فامرهم
الله بالوفا بها عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله ولا تنقضوا الايمان البيعة وقيل نزلت في حلف الجاهلية وقيل اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم اتموا ما
ضمنتم من احكام الدين وقيل النذور وقيل كل عهد في طاعة الله وقيل هو الايمان ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها لا تحنثوا في ايمانكم المؤكدة بذكر الله اكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل
قيل التوكيد لغة اهل الحجاز واهل نجد يقولون اكدت تاكيدا وقد جعلتم الله هذه واو الحال اي ولا تنقضوها
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بالوفا وذلك ان من حلف بالله فكانه قد جعل كفيلا بالوفا بسبب ذلك الحلف
وقيل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بالوفا وذلك ان من حلف بالله فكانه قد جعل كفيلا بالوفا بسبب
ذلك الحلف وقيل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي قلتم عند الحلف الله راع علي كفيل ان افعل كذا وقيل
كفيلا شاهدا ورقيبا وفيما لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون وفيه
ترغيب وترهيب والمراد فيجازيكم على ما تفعلون ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم اكد وجوب الوفا وتحريم
النقض وقال ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي نقضت غزلها من بعد قوة من بعد ابرامه واحكامه
وقيل القوة ما تغزل على طاقة واحدة ولم تثن وقيل من بعد شدة انكاثا انقاضا جمع نكث وهو كل ما
ينكث فتله اي ينقض بعد الفتل غزلا كان او حبلا عن الكلبي ومقاتل هي امراة حمقا خرقا يقال
لها ريطة بنت سعد بن تيم كانت اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها
وكانت تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتامر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف
النهار فاذا انتصف النهار امرت جواريها بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دابها تتخذون حال ايمانكم
مفعول اول تتخذون دخلا مفعول ثان له مفسدة ودغلا وخيانة ومكرا وغشا وغلا وغدرا والدخل
كل امر لم يكن صحيحا وقيل الدخل الشي الداخل في الشي لم يكن منه يقول دخل رجل فهو دخل ومثله سقط
يسقط فهو سقط اي ولا تنقضوا ايمانكم تتخذونها دخلا بينكم ان تكون امة اي جماعة قريش هي اربا
ازيد عددا واوفر مالا واعلى من امة اي من جماعة المؤمنين انما يبلوكم انما يبلوكم الله اي يختبركم الله به
بكونهم اربى فالضمير في به لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر وقيل به بالوفا بالعهد وقيل بالامر وقيل
بالعز والذل والغنى والفقر وقيل بالعهد اي انما يبلوكم الله لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما
عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم

وقلة

حال او مستانف مدارك

وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب وفيه ترغيب في ملة الاسلام وانذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام قوله تعالى
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون لما امر الله تعالى
القوم بالوفا بالعهد ونهاهم عن نقضه اتبعه ببيان انه تعالى قادر على ان يجعلكم امة واحدة ولكن بحكم
الالهية يضل من يشاء عدلا منه ويهدي من يشاء فضلا منه وهذا ظاهر في تخطية المعتزلة حيث اضاف
الاضلال والهداية الى نفسه وعلقهما بمشيته ولتسئلن عما كنتم تعملون ثم يجازيكم المطيع منكم بطاعته
والعاصي بمعصيته وفيه ترغيب في الاسلام والطاعة وترهيب ووعيد على الكفر والمعصية وقيل ولتسئلن
سوال لم عملتم فيكون تبكيتا قوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا
السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم قيل كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم
واظهارا لعظم ما يرتكب منه وقيل ليس المراد منه النهي عن نقض مطلق الايمان والا لزم التكرير الخالي عن الفائدة
في موضع واحد بل المراد نهي اوليك المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها فلهذا
المعنى قال المفسرون المراد من هذه الاية نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده
لان هذا الوعيد وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما يليق بنقض عهد رسول الله على الايمان به وبشرايعه فتزل قدم بعد ثبوتها عليه فتضيروا ضلالا
بعد ان كنتم مهتدين والعرب تقول لكل ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه وتذوقوا
السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا
ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم دايم غير منقطع في
الاخرة قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم
ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ثم اكد ذلك النهي بقوله
ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا من الدنيا ولكن اسيروا واعلموا ان ما عند الله
من ثواب الاخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون افضل ما بين العوضين ثم بين ان ما عند الله خير لكم مما عندكم من عرض
يسير في الدنيا ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله في الاخرة من الثواب باق فان خزاين رحمته
لا تنفد وقف ابن كثير باقي بالياء في رواية عنه ولا خلاف في حذفها في الوصل ولنجزين قرا ابن كثير
وعاصم بالنون والباقون بالياء الذين صبروا على الوفا واذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون في الدنيا بصبرهم على المكروه احسن الجزا وافضل الثواب قوله تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
رغب المومنين في الاية الاولى في الصبر على الوفا واذى المشركين ورغب في هذه الاية في كل ما كان من
شرايع الاسلام فقال من عمل صالحا من ذكر او انثى من منهم صالح على الاطلاق للصنفين الا انه اذا
ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد الصنفين حيوة
طيبة في الدنيا بان يوسع عليه الرزق الحلال وييسر لصلاح الاعمال ويصفي حيوته من الهموم وقيل
في الدنيا وهو الظاهر لقوله تعالى ولنجزينهم وعلى الله ثواب الدنيا والاخرة لقوله فاتاهم الله ثواب
الدنيا والاخرة وذلك ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا
فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على
العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن الحسن
الحيوة الطيبة القناعة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه وقيل هي السعادة وعن قتادة هي الجنة

عن محجة الاسلام

حسن ثواب

قيل لا تطيب الحيوة لاحد الا في الجنة وقيل هي في القبر **قوله تعالى** فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون لما قال في الاية الاولى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ارشد الى العمل
الذي به يخلص اعماله عن الوساوس وقيل لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله انبا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب فاذا قرات
اي فاذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله انبا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة لقوله
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وقوله
اذا ناجيتم الرسول ولقولك اذا اكلت فسم الله عبر عن ارادة القراءة بلفظ القراءة لان القراءة توجد
عند الارادة بغير فاصل فكانت القراءة من القارى بسبب قوي وملابسة ظاهرة وقيل انه على ظاهره
فان الاستعاذة بعد القراءة وقيل في الاية تقديم وتاخير والمعنى فاذا استعذت بالله فاقرا والاول
اظهر واصح والاستعاذة عند قراءة القران سوا كانت القراءة في الصلوة او في غيرها واما محل الاستعاذة
في الصلوة فقد قال الشافعي يقولها في اول الركعة وقيل ان الشافعي قال ان قالها حين يفتتح كل ركعة قبل
القراءة فحسن ولا امر به في شي من الصلوة كما امر به في اول الركعة هذا قول عامة الفقها وقال ابن سيرين يتعوذ
في كل ركعة قبل القراءة قيل والصحيح المذهب الاول لانه صلى الله عليه وسلم لا يتعوذ الا في الركعة الاولى واما صفة
الاستعاذة في الصلوة فهي ان ينظر فان كانت صلوة ليس يجهر فيها بالقراءة اسر فيها بالاستعاذة وان كانت صلوة يجهر
فيها بالقراءة فقد قال الشافعي في الام روي ان ابا هريرة ام بالناس رافعا صوته ربنا انا نعوذ بك من الشيطان
الرجيم وكان ابن عمر يتعوذ في نفسه قال الشافعي ان شا جهر بها وان شا اسرها والاختيار الاخفا ليفرق بين
ما هو قران وما هو ليس بقران فاما لفظ الاستعاذة فالمستحب ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القران
ولما روى عبد الله بن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم فقال يا
ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ومعنى
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم سله ان يعيذك من وساوس ابليس ومكايده والشيطان هو ابليس
والرجيم المطرود الملعون فان الشيطان ساع في القا الوسوسة في قلب بني ادم حتى في حق الانبيا
بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والاستعاذة
بالله مانعة للشيطان من القا الوسوسة بدليل قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون فلهذا السبب امر الله رسوله بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن الوسوسة
والخطاب للرسول ونعلم منه ان الامة ايضا مامورون بالاستعاذة بطريق الاولى لان الرسول لما كان
محتاجا الى الاستعاذة عند القراءة فغيره اولى بها انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون قيل ليس له سلطان بحال لان الله صرف سلطانه عنهم بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين وقيل ليس له سلطان عليهم لايمانهم وتوكلهم على ربهم وقيل ليس له سلطان
لاستعاذتهم منه وقيل ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر وقيل السلطان الحجة ليس له حجة
على ما يدعوهم اليه من المعاصي انما سلطانه على الذين يتولونه يطيعونه ويحبونه ويتبعون وساوسه
والذين هم به اي بالله مشركون وقيل به بالشيطان اي بسبب الشيطان مشركون **قوله تعالى** واذا بدلنا
اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس بالحق من ربك
ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين واذا بدلنا تبديل الاية مكان الاية هو النسخ اي اذا نسخنا
حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل من ناسخ ومنسوخ وتشديد وتخفيف وقيل اعلم بما ينزل

ينزل فيما يغير ويبدل اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما يبدل لاحكامه قالوا انما انت يا محمد مفتر وذلك ان المشركين
قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون عليهم وما هو الا مفتر يقوله
من تلقا نفسه قال الله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القران وبيان الناسخ والمنسوخ من القران
وقيل لا يعلمون ان الله انزله وقيل لا يعلمون فايدة النسخ قل يا محمد نزله اي القران روح القدس يعني جبريل من
ربك صلة للقران اي روح القدس نزل القران من ربك بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحق بالامر
الصحيح وقيل لاظهار الحق وابطال الكفر ليثبت الذين امنوا بما فيه من البينات فيتقوى ايمانهم ويزدادوا
تصديقا ويقينا وقيل ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطهارة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول
لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا للذين امنوا وارشادا وبشارة للمسلمين وفيه تعريض بحصول
اضداد هذه الخصال لغيرهم **قوله تعالى** ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون قيل ارادوا بالبشر غلاما لبني المغيرة يقال له
يعيش يقرا التورية فقالوا منه يتعلم محمد وقيل كان هذا الغلام لبني عامر بن لوي وكان روميا وقيل
انه كان فتى كان بمكة يسمى بلعام وكان نصرانيا اعجميا وكان رسول الله يعلمه فلما راى المشركون دخوله
اليه وخروجه قالوا ذلك وقيل انه نزل في كاتب يكتب لرسول الله فيملي عليه سميع عليم فيكتب هو عزيز حكيم او
نحو هذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذلك كتبت فهو كذلك فافتتن وقال ان محمدا يكل ذلك الي
فاكتب ما شيت وقيل انهم عنوا سلمان الفارسي وفيه بعد من جهة ان سلمان اسلم بالمدينة وهذه مكية وقيل
انهم عنوا رجلا حدادا يقال له يحنس النصراني وقيل انهم عنوا غلاما لعامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا
واسمه يسار ويكنى ابا فكيهة وقيل انهم عنوا غلاما اعجميا اسمه عايش وكان مملوكا لحويطب وكان قد اسلم فحسن
اسلامه وقيل انهما رجلان قال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما
يسار ويكنى ابا فكيهة والاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة ويقران فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم
وهما يقران فيقف يستمع فقال المشركون انما يتعلم منهما فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني قال الله تعالى تكذيبا
لهم والزاما للحجة عليهم لسان اي اللغة الذي يلحدون يميلون اليه ويشيرون اليه ويزعمون انه يعلمه والالحاد
الميل يقال لحد القبر ولحد وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل مائل عن
استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه وهو الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله من دين
الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة قيل تركيب ع ج م وضع في كلام العرب للابهام والاخفا ضد البيان
والايضاح ومنه قولهم رجل اعجم وامراة عجما اذا كانا لا يفصحان وعجم الزبيب سمي لاستتاره واختفائه والعجما
البهيمة لانها لا توضح ما في نفسها وسموا صلاتي الظهر والعصر عجماوين لان القراءة خافية فيهما بالسر فاما قولهم
اعجمت الكتاب فمعناه ازلت عجمته فهذا هو الاصل في هذه الكلمة ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم
بلسانهم اعجمي وان ولد بلسانه قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم وابطال
لطعنهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم ثم ان الله تعالى بعد ما اخبر عن افترا
المشركين على رسول الله فيما نسبوه اليه من الافترا على الله بين انهم هم المفترون دونه فقال انما يفتري الكذب
رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افترا الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يخاف عقابا عليه واولئك اشارة
الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او واولئك اشارة الى الذين لا يؤمنون

اي الذين لا يومنون هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب واولئك هم الذين عادتهم الكذب
لا يبالون به في كل شي لا يحجبهم عنه مروة ولا دين وقيل اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر لا محمد صلى الله عليه
وسلم **قوله تعالى** من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم
الخاسرون من كفر بدل من الذين لا يومنون بايات الله واولئك هم الكاذبون اعتراض بين البدل
والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت
حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله وقيل
يجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك اي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون وقيل يجوز ان
يكون بدلا من الخبر الذي هو الكاذبون اي واولئك من كفر بالله من بعد ايمانه وقيل يجوز ان ينتصب
من كفر على الذم وقيل يجوز ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا او جوابه محذوف لان جواب من شرح دال عليه
كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب عن ابن عباس نزلت
هذه الاية في عمار وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم
فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قلبها بحربة وقالوا انها اسلمت من اجل الرجال فقتلت
وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها عن قتادة
اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بمثل ما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده
فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا ولكن من شرح بالكفر صدرا اي فتح صدره للكفر
بالقبول واتى به على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وفي هذه الاية دليل
على ان حقيقة الايمان والكفر يتعلق بالقلب دون اللسان وان اللسان هو المعبر والترجمان اجمعوا على انه
عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه ان يبرا قلبه عن الرضى وان يقتصر على التعريضات مثل ان يقول ان محمدا
كذاب ويعني عند الكفار او يعني به محمدا آخر او يذكره على نية الاستفهام على سبيل الانكار والاكراه
الذي يجوز التلفظ بكلمة الكفر هو ان يعذبه بعذاب لا طاقة به مثل التخويف بالقتل ومثل الضرب
الشديد والايلامات القوية واذا العجلة من اكرهه عن احضار هذه النية او لانه لما عظم خوفه زال عن
قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره الامر على المكره وشرح له كل اقسام التعريضات
وطلب منه ان يصرح بانه ما اراد شيئا منها وما اراد الا ذلك المعنى فهنا يتعين اما التزام الكذب واما تعريض
النفس للقتل فمن الناس من قال يباح له الكذب هاهنا ومنهم من قال ليس له ذلك واجمعوا على انه لا يجب عليه التكلم
بكلمة الكفر يدل على ذلك ان بلالا صبر على ذلك العذاب وكان يقول احد احد ولم يقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بئسما صنعت بل عظم عليه وما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول
الله قال ما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله قال ما تقول في فقال انا
اصم فعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة الله واما الثاني صدع بالحق فهنيئا له وان بذل النفس في تقرير الحق اشق فوجب ان يكون اكثر ثوابا
وان الذي امسك عن كلمة الكفر طهر قلبه ولسانه عن الكفر اما الذي تلفظ بها فان قلبه طاهر ولسانه ملطخ

بتلك

بتلك الكلمة الخبيثة فحال الاول افضل والاكراه على مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه مثل ما اذا اكرهه على
شرب الخمر واكل الخنزير والميتة فاذا اكرهه عليه بالسيف يجب الاكل لان صون الروح عن الفوات واجب
ولا سبيل اليه في هذه الصورة الا بهذا الاكل وليس في هذا الاكل ضرر على انسان ولا اهانة لحق الله فيجب لقوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومنها ان يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا مثاله ما اذا اكرهه على التلفظ بكلمة
الكفر فهذا مباح له ولكنه لا يجب ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكرهه على قتل انسان اخر او على
قطع عضو من اعضائه فهنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وهل يسقط القصاص عن المكره للشافعي فيه قولان اصحهما
لا يسقط ومن الافعال ما يمكن الاكراه عليه كالقتل والتكلم بكلمة الكفر ومنه ما لا يمكن الاكراه عليه قيل الزنا من هذا
القبيل لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فحيث دخل الزنا في الوجود فاذا دخل في
الوجود علم انه وقع بالاختيار لا على سبيل الاكراه وقال الشافعي طلاق المكره لا يقع وقال ابو حنيفة يقع وكذا
الاكراه على النذور والايمان والرجعة **قوله تعالى** ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله
لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب بسبب انهم استحبوا الحيوة على الاخرة
اي اثروها عليها وبان الله لا يهدي القوم الكافرين وقيل ذلك الارتداد والكفر والاقدام على الكفر بسبب انهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وبسبب ان الله لا يهدي القوم الكافرين ثم اكد بيان انه تعالى صرفهم فقال
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون عما يراد بهم في الاخرة ثم قال لا جرم انهم في
الاخرة هم الخاسرون المقتضي لهذا الخسران ستة امور الاول غضب الله الثاني استحقاق العذاب الاليم الثالث
انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة الرابع ان الله لا يهدي القوم الكافرين الخامس انه تعالى طبع على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم السادس انه تعالى جعلهم من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيامة هم
الخاسرون لا غيرهم **قوله تعالى** ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون لما ذكر في
الاية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من اكره وذكر كلمة الكفر وقلبه مطمئن وحال من لم يذكر ذكر حال
من هاجر من بعد ما فتن قيل انها نزلت فيمن كان فتن بمكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان
قوما من المسلمين خرجوا للهجرة فلحقهم المشركون فاعطوا الفتنة فنزل فيهم ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وادركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من
نجا وقتل من قتل فنزلت فيهم هذه الاية وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح كان الشيطان قد ازله حتى لحق بالكفار
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله وفيه بعد
لان هذا المشار اليه وان كان قد عاد الى الاسلام فان الهجرة قد انقطعت بالفتح وقيل انها نزلت في عياش
ابن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل بن عمرو وعبد الله بن اسعد الثقفي ثم ان ربك دلالة على تباعد حال
هولاء من حال اولئك ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك
للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا قرا ابن عامر بفتح الفاء والتاء على معنى من بعد
ما فتنوا الناس عن دين الله يشير الى من اسلم من المشركين وقيل من بعد ما فتنوا انفسهم باظهار ما اظهروا للفتنة
لان الرخصة لم تكن نزلت بعد والباقون بضم الفاء وكسر التاء على معنى من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم عن ابن عباس
فتنوا بمعنى عذبوا ثم جاهدوا مع النبي وصبروا على الدين والجهاد ان ربك من بعد الفتنة التي اصابتهم
وقيل من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم ما تلفظوا به من الكفر تقية رحيم يرحمهم **قوله
تعالى** يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم منصوب برحيم
او باذكر اي رحيم يوم تاتي اي يرحم الله في ذلك اليوم الذي يعظم احتياج الناس فيه الى الغفران

الدنيا

الانسان

والرحمة واذكر يوم كذا وكذا فان قيل ما معنى النفس المضافة الى النفس اجيب بانه يقال لعين الشي
وذاته نفسه وفي نقيضه غيره وتقال النفس للجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها
فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي تجادل عن نفسها
تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا تتفرغ الى غيرها وقيل معنى المجادلة عنها
الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا
وهم لا يظلمون لا ينقصون مما هو حقه شيا **قوله تعالى** وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة
ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون اعلم انه
تعالى هدد الكفار بالوعيد الشديد في الاخرة ثم هددهم بعذاب الدنيا من الجوع والخوف المثل يضرب
لشي موصوف بصفة معينة سوا كان ذلك الشي موجودا او مفروضا فقيل هذه القرية التي ضرب الله بها
هذا المثل شيا مفروضا وقيل هذه القرية موجودة فعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور انها مكة وعن
الحسن انها غير مكة قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فكفروا فعذبهم الله اولا بالجوع والخوف
ثم استاصلهم فضرب تلك البلدة مثلا لاهل مكة فاما ما روي عن حفصة انها قالت هي المدينة فذلك على سبيل
التمثيل لا على وجه التفسير وبيانه ما روى مسلم قال صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وعثمان محصور بالمدينة فرات راكبين فسالتهما عنه فقالا قتل فقالت والذي نفسي بيده انها للقرية تعني المدينة
التي قال الله في كتابه وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة تعني حفصة انها كانت على قانون الاستقامة
في ايام النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما فكفرت بانعم الله حتى قتل عثمان رضي الله عنه قال
الامام الاكثرون من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة غير مكة ذكر
الله تعالى لهذه القرية صفات منها كونها امنة اي ذات امن يامن فيها اهلها ان يغار عليهم ومن الحرب
والقتل والسبي مطمينة قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال للانتجاع كما يحتاج اليه ساير العرب ولا
يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف ياتيها رزقها اقواتها ومواردها
رغدا واسعا كثير الا عنا من كل مكان يحمل اليها من نواحيها وفجاجها ومن البر والبحر نظيره يجبى اليه
ثمرات كل شي رزقا من لدنا فكفرت بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتا كدرع وادرع او جمع
نعم كبوس وابوس وطعم واطعم وقيل جمع نعما كباسا وابوس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين افرطوا في اذاه فقال اللهم
اشدد وطاتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقطع الله عنهم التجارات والامطار وقحطوا
سبع سنين متوالية حتى اكلوا العلهز والجيف ثم ان روساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا
وقالوا عاديت الرجال فما بال النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بحمل
الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت
تطيف بهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابي
لا باس ولا لباس يا ايها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا وكان مقصود ابن الراوندي
الطعن في هذه الاية وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس وكان الواجب ان يقال فكساهم الله لباس الجوع
او يقال فاطعمهم الله طعم الجوع قال الامام جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم
عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق وهو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع
والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل
انه حصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال

فاذاقها

فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير عرفها الله لباس الجوع والخوف
الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار
تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها ولباس
الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب البدن وتغير الحال وكسوف البال فكما تقول تعرفت سوء اثر الخوف
والجوع على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث ان يحمل لفظ اللبس
على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف قال صاحب الكشاف فان قلت الاذاقة
واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك
من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث
واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل
فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لابد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع
الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار لقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو
بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر
اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا بما كانوا
يصنعون بتكذيبهم لرسول الله واخراجهم اياه وما هموا به من قتله **قوله تعالى** ولقد جاءهم
رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله
ان كنتم اياه تعبدون لما ذكر المثل ذكر الممثل ولقد جاءهم اي ولقد جاء محمد اهل مكة منهم اي من
نسبهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب عن ابن عباس الجوع وعن مجاهد القتل
يوم بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالكفر فكلوا قيل المخاطبون هم المسلمون اي فكلوا يا معشر المومنين
مما رزقكم الله من الغنايم حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون وقيل ان المخاطبون اهل
مكة لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من امرها وصنيعها ومثل بذلك بالفا في قوله
فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها امرهم بكل ما رزقهم الله
من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم تعبدون اياه تعبدون اي تطيعون او
ان زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاوكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله بقوله
تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم والاية مفسرة في سورة البقرة **قوله تعالى** ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع قليل ولهم عذاب اليم لما حصر تعالى المحرمات في تلك الاربعة بالغ في تاكيد ذلك الحصر ونهاهم
عن تحليلهم وتحريمهم باهوايهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيايه وانتصاب
الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولهم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي من
الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال
وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق قوله هذا حلال وهذا حرام بتصف على ارادة القول
اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وقيل انتصاب الكذب

اللون ونكهة

صح

بتصف وما في لما مصدرية وهذا حلال وهذا حرام متعلق بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحللوا ولا تحرموا لاجل قول تنطق به السنتكم وتجول في
افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة ووصف السنتهم الكذب من فصيح
الكلام وبليغه فوصفهم جعل كانه عين الكذب ومحضه فاذا انطقت به السنتهم فقد حليت الكذب
حليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر لتفتروا على الله الكذب
قيل هي لام العاقبة وقيل هي لام كي ويقولوا الله امرنا بها ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي هو متاع قليل لا بقاء له لان عمر الدنيا قصير وقيل منفعتهم فيما هم عليه من افعال
الجاهلية منفعة قليلة ولهم عذاب اليم في الاخرة **قوله تعالى** وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ما قصصنا عليك من قبل يعني به ما ذكر في الانعام وهو قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وما ظلمناهم بتحريمنا ما حرمنا عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالبغي والكفر والمعاصي
قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعدها واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
المقصود بيان ان الافتراء على الله ومخالفة امر الله لا تمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولفظ السوء يتناول
كل ما لا ينبغي وهو الكفر والمعاصي بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه
او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ثم تابوا من بعد ذلك السوء واصلحوا امنوا واطاعوا ان ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء الذي صدر منهم رحيم **قوله تعالى** ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك
من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة
لمن الصالحين لما بين في هذه السورة بطلان الشرك واثبت الوحدانية والنبوة وكان ابرهيم عليه السلام
امام الموحدين ودعا الناس الى التوحيد وابطال الشرك وكان المشركون مفتخرين به معترفين بحسن
طريقته ذكر الله في اخر هذه السورة وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على
الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك ان ابرهيم كان امة قيل انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات
الخير لقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل الامة
بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير وقيل الامة الامام يؤتم به في لغة قريش كالرحلة
والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وقيل سمي
امة لانه انفرد في دهره بالتوحيد كما قال عليه السلام في قس بن ساعدة يحشر يوم القيامة امة قانتا لله هو
المطيع الدائم على الطاعة القائم بما امر الله حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة الى ملة الاسلام غير زائل
عنه وقيل مستقيما وقيل حاجا وقيل مختتنا ولم يك من المشركين نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في
زعمهم انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر
غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما فقال الان
وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واختاره للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة لسان الصدق والثناء الجميل عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من
اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاقوال وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة وقيل من المنعم عليهم اي من الصالحين احوالهم ومراتبهم وقيل انه في الاخرة ممن يحكم له
بحكم الصالحين في الدنيا **قوله تعالى** ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من
المشركين قيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع ابرهيم عليه السلام في جميع ملته الا
ما امر بتركه وقيل اتباعه في التبري من الاوثان والتدين بالاسلام وقيل المراد بالاتباع

متابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهي ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل
مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة في القران وليس المراد انه يقلده في الاصول
ولا في الفروع فان شرع نبينا مبني على الوحي المنزل اليه وقيل ثم ههنا للتراخي في الزمان اي بعد
ابرهيم بالزمن الطويل امرناك باتباع طريقته في عبادة ربه ليعلم اهل الاديان ان الذي يدعو محمد اليه
الناس دين ابرهيم قال صاحب الكشاف في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر
النعوت التي اثنى الله عليه بها **قوله تعالى** انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قال الامام لما امر الله محمدا بمتابعة ابرهيم عليهما السلام وكان محمد عليه السلام
اختار يوم الجمعة فهذه المتابعة انما تحصل اذا قلنا ان ابرهيم عليه السلام كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة
وعند هذا السائل ان يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فاجاب الله عنه بقوله انما جعل السبت
على الذين اختلفوا اي اليهود وانما عداه بعلى لان اليوم صار عليهم لا لهم بارتكابهم المعاصي فيه والسبت
مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها وقيل معنى جعل السبت فرض تعظيمه وتحريمه وقيل انما جعل
وبال السبت وهو المسخ اختلفوا فيه اي في السبت وقيل اختلافهم ان موسى قال لهم تفرغوا لله في كل اسبوع
يوما للعبادة فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا
اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا
اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت فجعل
ذلك عليهم وشدد عليهم وابتلاهم فيه بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة وكانوا لا يصيدون
واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى دون ذلك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد
من الفريقين بما يستوجبه وقيل اختلافهم فيه انهم احلوا الصيد تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم
ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر
ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين
لاوامره والخالعين ربقة طاعته ومعنى الحكم بينهم على هذا التقدير انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم
محلين تارة ومحرمين اخرى **قوله تعالى** ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين لما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
باتباع ابرهيم عليه السلام بين الشيء الذي امره بمتابعته فيه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة امر الله تعالى
ان يدعو الناس الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة وان يجادلهم بالتي هي احسن والمفسرون ذكروا وجوها
على سبيل الاجمال ولا شك ان المراد بالسبيل الاسلام اي ادع يا محمد امتك الذين بعثت اليهم الى الاسلام
بالحكمة قيل بالنبوة والموعظة الحسنة القران وقيل الحكمة القران والموعظة الحسنة الاداب الجميل الذي
يعرفونه وقيل الحكمة الفقه والموعظة الحسنة موعظة القران والعبر المعدودة في هذه السورة وقيل
الحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان تختلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم
بالقران وقيل بلا اله الا الله وقيل جادلهم غير فظ ولا غليظ والن لهم جانبك قيل جادلهم على قدر ما يحتملون
وقيل اعرض عن اذاهم اياك ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق قيل نسختها اية القتال قيل هذه
الاية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنته للمشركين امره الله تعالى ان يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو
ان يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس اجمل موقع والموعظة الحسنة التخويف

والترحيب والتلطف بالانسان بان تجله وتبسطه وتجعله مصونا من تقبل الفضايل ونحو هذا
فهذه حالة من يدعى وحالة من يجادل وان جادل دون مخاشنته وسب عليه دون قتال
وقيل بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهى
التى لا تخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اى ادعهم بالقران
الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من
الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف واعلم ان الدعوة الى الدين والاعتقاد يجب ان يكون بحجة
والحجة اما لتقرير الدين وتثبيت الاعتقاد فى قلوب المبعوث اليهم واما لالزام الجاحدين وافحامهم والاولى
اما يقينية مطهرة عن احتمال النقيض وهى المسماة بالحكمة وهذه اعلى المراتب واما غير يقينية مقارنة لاحتمال النقيض
مفيدة للظن والاقناع وهى المسماة بالموعظة الحسنة والثانية هى المسماة بالجدل فاقسام الحجج على هذه الثلاثة الحكمة
والموعظة الحسنة والجدل والجدل ان كان مركبا من مقدمات مسلمة مقبولة عند الجمهور او من مقدمات
مسلمة عند المجادل فهو الواقع على الوجه الاحسن وان كان مركبا من مقدمات كاذبة غير مسلمة يحاول ترويجها
على المستمعين بالسفاهة والشغب والحيل الباطلة والطرق الفاسدة فهذا غير لايق باولى الالباب بل اللايق بهم
الاول وهو المراد بقوله بالتى هى احسن والمرسل اليهم اما ان يكونوا طالبين للحق غير معاندين واما ان
يكونوا جاحدين معاندين والقسم الاول اما ان يكونوا مستعدين لقبول الحكمة بالذهن الصايب والفكر الثاقب
او غير مستعدين لقبول الحكمة فالدعوة الى سبيل ربك للطالبين للحق للاول بالحكمة وللثانى بالموعظة الحسنة والجدل
للجاحدين المعاندين والقران جامع للحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالطريقة التى هى احسن فالدعوة
بالقران والمجادلة ثم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين المعنى انك يا محمد مامور
بالدعوة الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وبالمجادلة بالتى هى احسن وليس عليك هداهم فان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يضل من يشاء ويهدى من يشاء **قوله تعالى** وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق
مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الجمهور من اهل التفسير ان هذه الاية مدنية
روى ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم احد من تبقير البطون وقطع المذاكر والمثلة
السيئة لم يبق احد من قتلى المسلمين الا وقد مثل به غير حنظلة بن الراهب فان اباه ابا عامر الراهب
كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنزيدن على
صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد قط ولنفعلن ولنفعلن ووقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه
واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغته ثم استرطتها لتاكله فلم تلبث فى بطنها حتى رمت بها
فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلته لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان
يدخل شيا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شى لم ينظر قط كان اوجع
لقلبه منه فقال صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمتك ما كنت الا فعالا للخير وصولا للرحم ولولا
حزن من بعدى عليك لسرنى ان ادعك حتى تحشر من اجواف شتى اما والله لئن ظفرنى الله بهم لامثلن
بسبعين منهم مكانك فانزل الله وان عاقبتم الاية فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى نصبر وامسك عما
اراد وكفر عن يمينه عن ابن عباس كان هذا قبل نزول براءة حين امر النبى عليه السلام ان يقاتل من قاتله
ولا يبدا بالقتال فلما اعز الله الاسلام واهله ونزلت براءة وامروا بالجهاد نسخت هذه الاية وقيل
هذه الاية محكمة وانما نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما ناله الظالم منه امر

بكرا

امر بالجزاء والعفو ونهى عن الاعتداء وان عاقبتم فعاقبوا سمى الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة والمعنى
ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قيل
معناه ولئن صبرتم لصبركم خير للصابرين اى لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم
صابرون على الشدايد او وصف المخاطبين بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة وقيل
الضمير راجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ثم
قال تعالى لرسوله عليه السلام واصبر انت وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه ومعونته وهذا امر بالعزيمة ولا
تحزن عليهم اى على كفار مكة فى اعراضهم عنك وفى ان لا يسلموا وقيل ولا تحزن على قتلى احد فانهم افضوا الى رحمة
الله ولا تك فى ضيق قرا ابن كثير ضيق بكسر الضاد ههنا وفى النمل عن الفراء الضيق ما يكون فى الذى يضيق ويتسع
مثل الدار واشباه ذلك والباقون بفتح الضاد عن الفراء ما ضاق عنه صدرك وقيل ضيق وضيق بمعنى
واحد مما يمكرون من مكرهم وهو فعلهم ان الله مع الذين اتقوا ما نهاهم عنه والذين هم محسنون فيما
امروا به بالرحمة والفضل والمعونة **سورة سبحان** وهى ستة الف واربع مايه وستون حرفا
والف وخمسمايه وثلثة وثلثون كلمة ومايه واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سوء
سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان
منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبايح التى يضيفها اليه اعداء الله قيل ان العرب تسبح
عند الامر المعجب فكان الله عجب العباد بما اسدى الى رسوله من النعمة وقيل سبحان ههنا لان يكون خرج
مخرج الرد عليهم لانه لما حدثهم بالاسرا كذبوه فيكون المعنى تنزه الله ان يتخذ رسولا كذابا اسرى وسرى لغتان وقد
جا تا فى القران قال الله تعالى والليل اذا يسر بعبده محمد صلى الله عليه وسلم ليلا نصب على الظرف واراد بقوله
ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان
التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل كقوله
ومن الليل فتهجد به يعنى الامر بالقيام فى بعض الليل من المسجد الحرام عن النبى ... وساده من المسجد الحرام
نفسه فى الصحيحين بينا انا فى الحطيم وربما قال بعض الرواة فى الحجر وقيل من بيت ام هانى وهو قول اكثر
المفسرين فعلى هذا يعنى بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه وعن ابن عباس الحرم كله مسجد الى
المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينيذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله بالمياه والاشجار وقيل
لانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة وموضع العبادات وقيل معناه جعلنا فيه السعة فى الرزق والرخص فى السعر
فلا يحتاج الى جلب الميرة لنريه من اياتنا يعنى ما راى تلك الليلة من العجايب التى اخبر بها الناس وقيل من اياتنا
الدالة على توحيد الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من العجايب والايات ومشاهدة بيت المقدس
ومقامات الانبيا ومواضع العبادات روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم دخل بيت المقدس وصلى فيه
بالانبيا ثم عرج به الى السما وقال حذيفة بن اليمان لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولا نزل عن البراق حتى
عرج به والاسرا الى المسجد الاقصى والمعراج من هناك وقيل ان الحكمة فى ذكر ذلك انه لو اخبر بصعوده الى
السما بدوا والحديث لاشتد انكارهم عليه فلما اخبر ببيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبرهم به من العلامات
الصادقة اخبرهم بمعراجه انه هو السميع لاقوال قريش البصير بافعالهم وقيل السميع لاقواله البصير
بافعاله بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما كانت ليلة اسرى بى وانا بمكة بين النايم واليقظان جاءنى جبريل ومعه ميكايل عليهما السلام

فقال جبريل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم لكي ما اطهر قلبه واشرح له صدره قال فشق بطني وغسله
ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدري ونزع ما كان فيه من غل وملاء
حلما وعلما وايمانا وختم بين كتفي بخاتم النبوة ثم اخذ جبريل بيدي حتى انتهى الى سقاية زمزم فقال للملك
ائتني بنور من ماء زمزم ومن ماء الكوثر فقال توضا فتوضات ثم قال لي انطلق يا محمد قلت الى اين قال
الى ربك ورب كل شي واخذ بيدي واخرجني من المسجد فاذا انا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل
خده كخد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوايمه كقوايم الابل واظلافه كاظلاف
البعير صدره كانه ياقوتة حمرا وظهره كانه درة بيضا عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان في فخذيه يمر مثل
البرق خطوته منتهى طرفه فقال لي اركب هذا الذي كان ابرهيم عليه السلام يزور عليه البيت الحرام فلما
وضعت يدي عليه تشامس واستصعب فقال جبريل مه يا براق فقال البراق يا جبريل مس صفرا فقال جبريل
يا محمد هل مسست صفرا قال لا والله الا اني مررت يوما على اساف ونايلة فمسحت يدي على رؤوسهما وقلت ان
قوما يعبدونكما من دون الله ضلال فقال جبريل يا براق اما تستحي فوالله ما ركبك مذ كنت قط نبي اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم قال فارتعش البراق وانصب عرقا حيا مني ثم خفض حتى لصق بالارض
فركبته واستويت عليه فانطلق بي جبريل نحو بيت المقدس المسجد الاقصى يخطو البراق مد البصر وجبريل الى
جانبي لا يفوتني ولا افوته فبينما انا في مسيري اذ سمعت ندا عن يميني فقال لي يا محمد على رسلك اسالك
تقولها ثلاثا فلم الو عليه ثم مضيت فجاوزته ثم اتاني ندا عن يساري فقال لي يا محمد على رسلك تقولها ثلاثا
فلم الو عليه حتى جاوزته فاذا بامراة عجوز رفعت لي عليها من كل زينة وبهجة تقول لي يا محمد الي فلم التفت
اليها فلما جاوزتها قلت يا جبريل من هذا الذي نادى عن يميني قال داعية اليهود والذي نفسي بيده
لو اجبته لتهودت امتك من بعدك والذي نادى عن يسارك داعية النصارى والذي نفسي بيده
لو اجبته لتنصرت امتك من بعدك واما التي رفعت لك ببهجتها وزينتها فهي الدنيا فلو التفت عليها لاختارت
امتك الدنيا على الاخرة ثم اتيت باناين احدهما لبن والاخر خمر فقيل لي اشرب ايهما شئت فاخترت
اللبن فشربته فقال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر لغوت امتك بعدك ثم سار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار معه جبريل عليه السلام فاتى على قوم يزرعون ويحصدون في يوم
واحد كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي عليه السلام لجبريل من هولا قال المجاهدون في سبيل الله تضاعف
لهم الحسنة سبع مائة ضعف وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رووسهم بالصخر
كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شي فقال من هولا يا جبريل قال هولا الذين تتثاقل رووسهم عن
الصلوة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف
جهنم وحجارتها فقلت من هولا يا جبريل قال هولا الذين لا يودون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام
للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم في قدر نضيج طيب ولحم اخر خبيث فجعلوا ياكلون الخبيث ويدعون النضيج الطيب
قلت ما هولا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة حلالا فياتي امراة خبيثة فيبيت معها حتى
يصبح والمراة تقوم من زوجها حلالا طيبا فتاتي الرجل الخبيث فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة في
الطريق لا يمر بها ثوب الا شققته ولا شي الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال مثل قوم من امتك يقعدون
على الطريق فيقطعونه ثم تلى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الاية ثم اتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة
لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا رجل من امتك عليه امانات الناس لا يقدر
على ادايها وهو يزيد عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت
قلت ما هولا يا جبريل قال هولا خطبا الفتنة ثم اتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع

مز

من حيث خرج فلا يستطيع قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم
يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا باردة وصوتا قلت ما هذه الريحة
الطيبة وما هذا الصوت قال هذا الريح ريح الجنة وهذا الصوت صوت الجنة تقول رب ائتني بما
وعدتني فقد كثر غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولولوي ومرجاني وفضتي وذهبي
واكوابي وصحافي واباريقي وفواكهي وعسلي ولبني وخمري ومايي فائتني بما وعدتني فقال لك كل
مومن ومومنة من امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيا ولم يتخذ من دوني اندادا ومن
خشيني فهو امن ومن سالني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني انا الله لا اله الا انا
لا اخلف الميعاد قد افلح المومنون تبارك الله احسن الخالقين قالت قد رضيت قال ثم اتى على واد فسمع صوتا
منكرا ووجد ريحا منتنة قال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني
فقد كثر سلاسلي واغلالي وسعيري وضريعي وحميمي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري
فائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يومن بيوم الحساب
قالت قد رضيت ثم سار ومعه جبريل فقال له جبريل انزل فصل قال فنزلت وصليت فقال اتدري اين
صليت صليت بطيبة واليها المهاجر ان شا الله ثم قال انزل فصل قال فنزلت فصليت فقال
اتدري اين صليت صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت فقال اتدري
اين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم مضينا حتى اتينا بيت المقدس فلما انتهيت اليه اذا
انا بالملايكة قد نزلوا من السما تتلقوني بالبشارة والكرامة من رب العزة يقولون لي السلام عليك يا اول
يا آخر يا حاشر قال قلت يا جبريل ما تحيتهم اياي قال انك اول من تنشق عنه الارض وعن امتك
واول شافع ومشفع وانك اخر الانبيا وان الحشر بك وبامتك يعني حشر القيمة ثم جاوزناهم حتى
انتهينا الى باب المسجد فانزلني جبريل وربط البراق بالحلقة التي كانت تربط بها الانبيا لخطام
عليه من حرير الجنة فلما دخلت اذا انا بالانبيا والمرسلين وفي رواية وارواح الانبيا الذين بعثهم الله قبل
من لدن ادريس ونوح الى عيسى عليهما السلام قد جمعهم الله فسلموا علي وحيوني بمثل تحية الملايكة قلت
يا جبريل من هولا قال اخوانك الانبيا زعمت قريش ان لله شريكا واليهود والنصارى ان لله ولدا سل هولا
النبيين هل كان لله شريك فذلك قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فاقروا
بالربوبية لله ثم جمعهم والملايكة صفوفا فتقدمني وامرني ان اصلي بهم فصليت بهم ركعتين ثم ان الانبيا
عليهم السلام اثنوا على ربهم سبحانه وتعالى فقال ابرهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني
ملكا عظيما وجعلني امة قانتا لله يوتم بي وانقذني من النار وجعلها بردا وسلاما علي ثم ان موسى
عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله رب العالمين الذي كلمني تكليما وجعل هلاك فرعون على يدي
ونجى بني اسرايل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه
السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي
الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان اثنى على ربه فقال الحمد لله
الذي سخر لي الرياح وسخر جنود الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات وعلمني منطق الطير واتاني من كل شي فضلا واتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد
من بعدي وجعل ملكي عظيما طيبا ليس علي فيه حساب ثم ان عيسى اثنى على ربه فقال الحمد لله
رب العالمين الذي جعلني كلمة منه وجعل مثلي كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فكنت
وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيية الطير فانفخ فيه

فكون طيرا باذن الله وجعلني ابرى الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني
وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيلا ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال كلكم قد اثنى على ربه
وانا مثن على ربي فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
بيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون والاخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني خاتما وفاتحا فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد
ثم اتي بانية ثلثة مغطاة افواهها فاتي فيه ما فقيل لي اشرب فشربت منه يسيرا ثم دفع الي انا اخر فيه لبن
فقيل له اشرب فشرب منه حتى روي ثم دفع اليه انا اخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريد فقد
رويت فقال له جبريل قد اصبت اما انه ستحرم على امتك ولو شربت منها لم يتبعك من امتك الا القليل
ولو رويت من الما لغرقت وغرقت امتك ثم اخذ جبريل بيدي فانطلق بي الى الصخرة فصعد بي عليها فاذا
معراج الى السما لم ار مثله حسنا وجمالا لم ينظر الناظرون قط الى شي احسن منه ومنه تعرج الملايكة
اصله على صخرة بيت المقدس وراسه ملصق بالسما احدى عارضتيه ياقوتة حمرا والاخرى زبرجدة
خضرا درجة من فضة ودرجة من ذهب ودرجة من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو المعراج
الذي يبدو منه ملك الموت لقبض الارواح اذا اتى ميتكم قد شخص بصره الى السما فينقطع عنه المعرفة
اذا عاينه لحسنه فاحتملني جبريل حتى اذا وضعني على جناحه ثم ارتفع بي الى السما الدنيا من ذلك المعراج
فقرع الباب فقيل من ذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قال اوقد بعث محمد قال نعم
قال لهم رحبا به حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا ففتح الباب
فدخلنا قال فبينا انا اسير في السما الدنيا اذ رايت ديكا له زغب اخضر وريش ابيض وريشه
كاشد بياض رايته قط وزغب اخضر تحت ريشه كاشد خضرة رايتها قط واذا رجلاه في تخوم الارض السابع
السفلى وراسه تحت العرش ثني عنقه تحت العرش له جناحان في منكبيه اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب
فاذا كان في بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول سبحان الملك القدوس
الكبير المتعال لا اله الا هو الحي القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها
واخذت في الصراخ فاذا سكن ذلك الديك في السما سكنت ديكة الارض كلها ثم اذا هاج بنحو فعله
في السما هاجت ديكة الارض كلها جوابا له بالتسبيح لله عز وجل بنحو قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ازل منذ رايت ذلك مشتاقا الى ان اراه ثانيا قال ثم مررت بملك نصف جسده مما يلي راسه نار
والنصف الاخر ثلج وما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو قايم ينادي بصوت
له حس رفيع فيقول اللهم مولف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك المومنين قلت يا جبريل من
هذا قال هذا ملك من الملايكة يقال له حبيب وكله الله باكناف السموات واطراف الارضين ما
انصحه لاهل الارضين هذا قوله منذ خلق ثم مررت بملك اخر جالس على كرسي قد جمع له الدنيا بين
ركبتيه وفي يده لوح من نور لا يلتفت يمينا وشمالا ينظر فيه كهيئة الحزين فقلت ما هذا يا جبريل
ما مررت بملك اشد خوفا من هذا وانا اشد خوفا منه قال وما يمنعك كلنا بمنزلتك هذا ملك
الموت دايب في قبض الارواح وهو من اشد الملايكة عملا وادابا قلت يا جبريل كل من مات ينظر الى
هذا قال نعم قلت كفى بالموت من طامه قال يا محمد ما بعد الموت اطم واعظم قلت يا جبريل ادنني
من ملك الموت اسلم عليه واسايله فادناني منه وسلمت عليه فاومى الي فقال له جبريل هذا محمد
نبي الرحمة ورسول رب العزة فرحب بي وحياني واحسن بشارتي واكرامي وقال ابشر يا محمد فاني ارى
الخير كله في امتك فقلت الحمد لله المنان المنعم ما هذا اللوح الذي بين يديك مكتوب فيه اجال الخلايق

مكتوب

قال

صنع

قلت فاين اسما من قبضت ارواحهم في الدهور الخاليه قال تلك الارواح في لوح اخر قد علمت عليها وكذلك اصنع
بكل ذي روح اذا قبضته علمت عليه فقلت يا ملك الموت سبحان الله كيف تقدر على قبض ارواح جميع الخلق
وانت في مكانك هذا لا تبرح قال الا ترى ان الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الخلايق بين عيني ويداي يبلغان المشرق
والمغرب خلفهما فاذا انفذ اجل عبد من عباد الله نظرت اليه والى اعواني من الملايكة فاذا نظر اعواني من
الملايكة اني نظرت اليه عرفوا انه مقبوض فعمدوا اليه يعالجون روحه فاذا بلغ الروح الحلقوم علمت ذلك
ولا يخفى علي شي من امري مددت يدي اليه فقبضته فلا يلي قبضه غيري بذلك امرني ربي وامر ذي الارواح
من عباد الله قال فابكاني حديثه وانا عنده ثم جاوزناه فمررنا بملك اخر ما رايت من الملايكة خلقا مثله عابس
الوجه كريه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب فلما نظرت اليه رعبت منه جدا قلت يا جبريل من هذا
فاني رعبت منه رعبا شديدا قال فلا تعجب ان ترعب منه كلنا بمنزلتك في الرعب منه هذا مالك خازن جهنم لم
يتبسم قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على اعدا الله واهل معصيته لينتقم
منهم قلت ادنني منه فادناني منه فسلم عليه جبريل فلم يرفع راسه فقال جبريل يا مالك هذا محمد رسول العرب
فنظر الي وحياني وبشرني بالجنه فقلت منذ كم انت واقف على جهنم قال منذ خلقت حتى الان وكذلك حتى تقوم الساعه
قلت يا جبريل مره فليريني طرفا من النار قال فامره ففعل فخرج منه لهب ساطع اسود معه دخان كدر مظلم امتلا
منه الافاق فرايت هولا عظيما وامرا فظيعا اعجز عن صفته لكم فغشي فكاد ان ذهب نفسي فضمني جبريل اليه وامر
ان يرد النار فردها فجاوزناها فمررنا بملايكة كثيرة لا يحصي عددهم الا الله وحده الملك الواحد منهم ما بين منكبيه
بين كتفيه ووجوه في صدره في كل وجه افواه والسن فهو يحمد الله ويسبحه بتلك الالسن ورايت من اجسامهم
وخلقتهم وعبادتهم امرا عظيما ثم جاوزنا فاذا برجل تام الخلق لم ينتقص من خلقه شي كما ينتقص من خلقه الناس
عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبه وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثه اذا نظر الى الباب الذي عن يمينه
ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت من هذا يا جبريل وما هذان البابان
قال هذا ابوك ادم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنه اذا نظر الى من يدخل من ذريته الجنه ضحك
واستبشر والباب الذي عن شماله وهو باب جهنم اذا نظر الى من يدخلها من ذريته جهنم بكى وحزن قال ثم
صعدنا الى السما الثانيه فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قالوا اوقد ارسل قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا فدخلنا
فاذا بشابين فقلت يا جبريل من هذان الشابان قال عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام ابنا الخاله
قال ثم صعد بي الى السما الثالثه فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قالوا اوقد ارسل
قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا فدخلنا فاذا برجل فقلت من هذا
يا جبريل قال ادريس رفعه الله مكانا عليا وهو مسند ظهره الى دواوين الخلايق التي فيها امورهم قال ثم
صعد بي الى السما الخامسه فاستفتح قالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا اوقد ارسل
محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا ثم دخلنا فاذا برجل
جالس وحوله قوم يقص عليهم قلت من هذا ومن هولا الذين حوله قال هذا هرون المحبب في قومه
وهولا الذين حوله بنو اسرايل قال ثم صعدنا الى السما السادسه فاستفتح فقالوا من هذا قال
جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا اوقد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفه
فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا ثم دخلنا فاذا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت يا جبريل
من هذا قال هذا موسى قلت فما له يبكي قال يزعم بنو اسرايل اني اكرم بني ادم على الله وهذا
رجل من بني ادم قد خلفني في دنياه وانا في اخرى فلو انه بنفسه لم ابال ولكن مع كل نبي امته

قال ثم صعد بي الى السما الرابعه فاذا بادريس
قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي ثم

قال ثم صعد بي الى السما السابعه فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قالوا وقد
ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا ثم دخلنا فاذا برجل
اشمط جالس على كرسي عند باب الجنه وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم
شي فقام الذين في الوانهم شي فدخلوا نهرا فاغتسلوا فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا اخر
فاغتسلوا فخرجوا وقد خلص الوانهم وصارت مثل الوان اصحابهم فجاوا فجلسوا الى اصحابهم فقال جبريل
من هذا الاشمط ومن هولا وما هذه الانهار قال هذا ابوك ابرهيم اول من شمط على الارض واما هولا البيض
الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هولا الذين في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيا فتابوا
فتاب الله عليهم واما الانهار الثلاثه فاولاها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم
شرابا طهورا واذا ابرهيم مستند الى بيت فسالت جبريل فقال هذا البيت المعمور يدخل كل يوم سبعون
الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا فيه اخر ما عليهم قال فاتى بي جبريل حتى انتهينا الى سدرة المنتهى فاذا انا بشجرة
لها اوراق الواحدة منها مغطيه للدنيا بما فيها واذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران
ونهران باطنان فسالت عنها جبريل فقال اما الباطنان ففي الجنه واما الظاهران فالنيل والفرات
ويخرج ايضا من اصلها انهار من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى وهي على حد السما السابعه مما يلي الجنه وعروقها واغصانها تحت الكرسي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهيت الى سدرة المنتهى وانا اعرف انها سدره اعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله
ما غشيها وغشيتها الملايكه كانها جراد من ذهب من خشية الله فلما غشيها ما غشيها تحولت حتى ما
يستطيع احد نعتها وفيها ملايكه لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبريل في وسطها فلما انتهيت اليها
قال لي جبريل تقدم فقلت يا جبريل بل تقدم انت قال بل تقدم يا محمد فانك اكرم على الله مني فتقدمت
وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من ذا قال انا جبريل ومعي
محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبريل فقلت له الى اين فقال يا محمد
وما منا الا له مقام معلوم ان هذا منتهى الخلايق وانما اذن لي في الدنو من الحجاب لاحترامك واجلالك
قال فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة العين الى حجاب اللولو فحرك الحجاب من تحت الحجاب فاحتملني
حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة
خمسماية عام ثم دلي الى رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف
ثم احتملني حتى وصل بي الى العرش فلما رايت العرش اتضع كل شي عند العرش فقربني الله الى مستند العرش
وتدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذايقون شيا قط احلى منها فانباني الله بها نبا الاولين
والاخرين واطلق لساني بعدما كل من هيبة الرحمن عز وجل فقلت التحيات لله والصلوات الطيبات
فقال جل ثناؤه سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فقال الله عز وجل يا محمد هل تعلم فيما اختصم الملا الاعلى فقلت الله اعلم يا رب بذلك وبكل شي
وانت علام الغيوب قال اختلفوا في الدرجات والحسنات فهل تدري يا محمد ما الدرجات وما
الحسنات قال قلت انت اعلم يا رب قال الدرجات اسباغ الوضو في المكروهات والمشي على الاقدام
الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة والحسنات افشا السلام واطعام الطعام والتهجد
بالليل والناس نيام ثم قال لي جل وعلا يا محمد امن الرسول قلت نعم اي رب قال ومن قلت والمومنون
كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى وقال
ماذا قالوا قلت قالوا سمعنا واطعنا سمعنا قولك واطعنا امرك قال صدقت فسل تعط قلت غفرانك

ربنا واليك المصير قال قد غفرت لك ولامتك سل تعط فقلت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
قال قد رفعت عنك الخطا والنسيان وعن امتك وما استكرهوا عليه قلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا يعني اليهود قال ذلك لك ولامتك قال قلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت ذلك
بك وبامتك ثم قال سبحانه سل تعط قلت ربنا واعف عنا من الخسف واغفر لنا من القذف وارحمنا من المسخ
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت ذلك بك وبامتك ثم قال سبحانه سل فقلت يا رب
انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت ادريس مكانا عليا واتيت سليمان ملكا عظيما واتيت داود
زبورا فمالي يا رب فقال رب عز وجل يا محمد اتخذتك حبيبا كما اتخذت ابرهيم خليلا وكلمتك كما كلمت موسى تكليما
واعطيتك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة وكانا من كنوز عرشي ولم اعطها نبيا قبلك وارسلتك الى
اهل الارض جميعا ابيضهم واسودهم انسهم وجنهم ولم ارسل الى جماعتهم نبيا قبلك وجعلت الارض كلها برها وبحرها
طهورا ومسجدا لك ولامتك واطعمت امتك الفي ولم اطعمه امة قبلهم ونصرتك بالرعب على عدوك مسيرة
شهر وانزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمنا عليه قرانا فرقناه ورفعت لك ذكرك حتى تذكر كلما ذكرت
من شرايع ديني واعطيتك مكان التورية المثاني ومكان الانجيل المبين ومكان الزبور الحواميم
وفضلتك بالمفصل وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس
وجعلتهم امة وسطا وجعلتهم الاولين وهم الاخرون فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين ثم افضى الي بعدها امورا
لم ياذن لي ان اخبركم بها وفرضت علي وعلى امتي كل يوم وليلة خمسون صلوة فلما عهد الي بعهده وتركني عنده
ما شا سبحانه وتعالى ثم قال لي ارجع الى قومك فبلغهم عني فحملني الرفرف الذي كنت عليه يخفضني
ويرفعني حتى اهوى بي الى سدرة المنتهى فاذا انا بجبريل ابصره بقلبي كما ابصره بعيني امامي فقال يا جبريل
ابشر يا محمد فانك خير خلق الله وصفوته من النبيين حياك الله بما لم يحي به احدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا
نبيا مرسلا ولقد بلغك الله مكانا لم يصل اليه احد من اهل السموات والارض فهنا لك الله كرامته وما حباك
من المنزلة الاثيره والكرامة الفايقه فخذ ذلك بشكر الله فان الله منعم يحب الشاكرين فحمدت الله على ذلك
ثم قال لي جبريل انطلق الى الجنه حتى اريك ما لك فيها فتزداد بذلك في الدنيا زهادة الى زهادتك وفي الاخرة
رغبة الى رغبتك فسرنا نهوى منقضين اسرع من السهم والريح حتى وصلنا باذن الله الى الجنة فهدات
نفسي وثاب الي فوادي وانشات اسال جبريل عما كنت رايت في عليين من البحور والنار والنور وغيره
فقال سبحان الله تلك سرادقات حرس رب العزة التي احاطت بعرشه فهي سترة للخلايق من نور الحجب
ونور العرش من خلق الله وما لم تر اكثر واعجب قلت سبحن الله العظيم ما اكثر عجايب خلقه قلت
يا جبريل ومن الملايكه الذين رايتهم في تلك البحور والصفوف بعد الصفوف كانهم بنيان مرصوص قال
رسول الله هم الروحانيون الذين يقول الله يوم يقوم الروح والملايكة صفا ومنهم الروح الاعظم ثم
اسرافيل بعد ذلك قلت يا جبريل ومن الصف الواحد الذي في البحر الاعلى فوق الصفوف كلها قد احاطوا
بالعرش قال هم الكروبيون اشراف الملايكه وعظماؤهم وما يجتري احد من الملايكه يتقرب الى ملك من
الكروبين هم اعظم شانا من ان اطيق وصفهم لك وكفى بما رايت منهم ثم طاف بي جبريل باذن الله الجنه
فما ترك فيها مكانا الا رايته واخبرني عنه فرايت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورايت
الاشجار من الذهب الاحمر قضبانها من اللؤلؤ وعروقها من الفضة راسخة في المسك فلانا اعرف بكل درجة
وقصر وبيت وغرفة وخيمة وثمر في الجنة مني بما في مسجدي هذا ورايت نهرا يخرج من اصله ما اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر
الذي اعطاك الله وهو التسنيم يخرج من تحت العرش الى دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم

يخرجون به اسربتهم من اللبن والعسل والخمر وذلك قوله عز وجل عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ثم انطلق بنا نطوف في الجنة حتى انتهيت الى شجرة لم ار في الجنة مثلها فلما وقفت تحتها رفعت راسي فاذا انا لا ارى شيا من خلق ربي غيرها لعظمها وتفرق اغصانها ووجدت فيها ريحا طيبة لم اشم في الجنة ريحا اطيب منها فقلبت بصري فيها فاذا ورقها حلل طوايف من ثياب الجنة من ابيض واصفر واحمر واخضر وثمارها امثال القلال العظام من كل ثمرة خلق الله في السموات والارض من الوان شتى وطعم شتى وريح شتى فعجبت من تلك الشجرة وما رايت من حسنها قلت يا جبريل ما هذه الشجرة قال هذه التي ذكرها الله طوبى لهم وحسن ماب ولكثير من امتك ورهطك في ظلها خير مقيل ونعيم طويل ورايت في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك مفروغ منه معد ابدا ينتظر به من اصحابه من اولياء الله فتعاظمني الذي رايت قلت لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض على النار حتى اتيت اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وغساقها ويحمومها فنظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم انطلقت فاذا بنفر لهم بطون كانها البيوت وهم على سابلة آل فرعون فاذا مر بهم آل فرعون ثاروا فيميل باحدهم بطنه فيقع فيسوطهم آل فرعون بارجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء اكلة الربوا فمثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم انطلقت فاذا انسا معلقات بثديهن منكسات ارجلهن قلت من هولاء يا جبريل قال هن اللاتي يزنين ويقتلن اولادهن ثم اخرجني من النار فمررنا بالسموات منحدرين من سما الى سما حتى انتهيت على موسى فقال ماذا افترض الله عليك وعلى امتك قلت خمسين صلوة فقال موسى انا اعلم بالناس منك واني بلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة وان امتك اضعف الامم فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فان امتك لن تطيق ذلك قال فرجعت الى ربي وفي بعض الاخبار فرجعت فاتيت الى السدرة المنتهى فخررت ساجدا قلت يا رب فرضت علي وعلى امتي خمسين صلوة ولن استطيع ان اقوم بها ولا امتي فخفف عني عشرا فرجعت الى موسى فسالني فقلت خفف عني عشرا قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك اضعف الامم واني لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجعت فرده الى الاثنين ثم لم ازل بين ربي وبين موسى حتى جعلها خمس صلوات فاتيت موسى فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت اني رجعت الى ربي حتى استحييت منه وما انا براجع اليه قال فنوديت اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلوة ولا يبدل القول لدي فخمسة بخمسين فقم بها انت وامتك اني قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي بالحسنة عشر امثالها لكل صلوة عشر صلوات قال فرضي محمد كل الرضى فكان موسى من اشدهم حنوا عليه حين مر به وحرصهم له حين رجع اليه قال ثم انصرفت مع صاحبي واخي جبريل لا يفوتني ولا افوته حتى انصرف الى مضجعي وكان ذلك في ليلة واحدة من لياليكم هذه فانا سيد ولد ادم ولا فخر والي مفاتيح الجنة ولا فخر وانا مقبوض عن قريب لعل الذي رايت من آيات ربي الكبرى وقد احببت اللحوق بربي ولقاء من رايت من اخواني وما رايت من ثواب الله لاوليائه وما عند الله خير وابقى فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعايشه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسري بي واصبحت بمكة فضقت بامري وعلمت ان الناس لا يصدقوني قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فاتاه فجلس اليه فقال كالمستهزي هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة

قال الى اين قال الى المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير ابو جهل انه ينكر الحديث مخافة ان يجحد الحديث قال اتحدث قومك ما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا فانفضت المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك ما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا للتكذيب وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا او تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قالوا وفي القوم من سافر هناك ومن قد اتى المسجد فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زلت انعته حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت والله فقد اصاب ثم قالوا يا محمد فاخبرنا عن عيرنا فهو اهم لنا من قولك هل لقيت منها شيا قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالروحا وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربت ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعود المما بذي مر فنفر بكرهما مني فانكسر فلان فسلوهما عن ذلك قالوا هذه آية قالوا اخبرنا عن عيرنا نحن قال مررت بها بالتنعيم قال فما عدتها واحمالها وهيئتها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت مكانها بالحزورة بعدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان يطلع عليكم عند طلوع الشمس فكن يومئذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال الاخر هذه والله الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق يقدمها فلان وفلان كما قال لهم صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا فلم يومنوا ولم يفلحوا وقالوا ما سمعنا بمثل هذا قط ان هذا الا سحر مبين اختلف في كيفية ذلك في الاسرا فعن معاوية انه كان رويا من الله صادقة وحكى الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رويا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي عن عايشه رضي الله عنها هذا القول ايضا وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها وذهب جماعة من المفسرين الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته الى مكه وذهب الجمهور الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته الى مكة الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى وما فوقها وهذا مذهب اهل السنه والجماعه وعليه يدل ظاهر القران وورد في صحته ما لا يحصى من الاخبار ولو كانت رؤيا ما انكرته قريش وما ارتدت جماعة ممن اسلم حين سمعوا منه هذا الكلام لان في المنام لا ينكر منه مثل ذلك وما هو ابعد منه وامكانه العقلي ثابت غير محتاج الى بيان فان كل ذرة من ذرات الموجودات منها عجايب ودقايق تتحير العقول فيها لكن لما كان على وفق العادة لم يتميز طباع العامة عنها واما مثل هذا لما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم عن المحسوسات العادية واما اولوا الالباب الذين خلصوا من نزغات الشيطان ووساوس العادة ونظروا الى آثار رحمة الله تعالى في صنع المصنوعات واحداث المحدثات في الملك والملكوت والشهادة والغيب والخلق والامر اعترفوا به وايقنوا انه منخرط في سلك مقدورات القدير العليم الحكيم وقيل ان هذه الليلة ليلة المعراج وهي قبل الهجرة

هذا حق ولو كان رؤيا منام لما انكروا وانكارهم اقوى دليل واستعدهم رؤيا بصر وجسد

لله در المصنف الفاضل الاصفهاني جمع المعنيات وبينه في اعلا عرف الجنان حقق امر المعراج على التحقيق والمحققون من اهل التفسير والحديث والصوفية باجمعهم على اليقظة والجسد وهو مذهب اهل السنة وهو الحق

لسنة وقيل ان ليلة المعراج غير ليلة الاسرا وقيل كان معراجان بمكه والمدينه في النوم واليقظه تلفيقا وتوفيقا
بين الروايات **قوله تعالى** واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرايل الا تتخذوا من دوني وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا التفت الى الكلام في اول السوره على الغيبه فقال سبحان الذي اسرى
بعبده ثم انتقل من الغيبه الى التكلم فقال باركنا حوله لنريه من اياتنا لانه الفاظ على سبيل التكلم ثم انتقل
من التكلم الى الغيبه فقال انه هو السميع البصير ثم انتقل من الغيبه الى التكلم فقال واتينا موسى الكتاب ذكر في
الاية الاولى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بان اسرى به وذكر في هذه الاية اكرام موسى عليه السلام
بان اتاه الكتاب التوريه وجعلناه اي الكتاب وقيل موسى هدى اي هاديا لبني اسرايل اي دالهم به على الهدى
الا تتخذوا قرا ابو عمرو باليا على معنى لئلا يتخذوا والباقون بالتا على معنى ان لا تتخذوا او القول كذلك ثبت اليه
ان افعل كذا او قيل هو على الانصراف من الغيبه الى الخطاب من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية نصب على الاختصاص وقيل على الندا على قراة الا تتخذوا بالتا على النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
يا ذرية من حملنا مع نوح وقيل ذرية من حملنا هي المفعول الاول لقوله تتخذوا وكيلا هو المفعول الثاني له
اي لا تجعلوا ذرية من حملنا اربابا بالقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكه والنبيين اربابا وذرية من حملنا
مع نوح عزير وعيسى وقيل ذرية بدل من وكيلا اي لا تتخذوا من دوني الها وعن مجاهد شريكا
وقيل حفيظا لكم سواي وقيل الوكيل هو المعتمد عليه المرجوع اليه الموثوق به وهذه صفة من لا اله
غيري وقيل ذرية من حملنا مع نوح العرب والعجم من ذريته مع نوح في السفينه وقيل عنى بني
سام بن نوح لان بني اسرايل من ولده ولان الصحيح ان من كان معه غير اولاده ماتوا حين هبطوا
من السفينه والناس بعد نوح من ولد نوح كما كانوا من ولد ادم ذكرهم الله النعمه في انجا اباهم
من الغرق انه كان عبدا شكورا كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا اي لان نوحا كان
عبدا شكورا اي كان موحدا لان الشاكر من يقوم بجملة وسرايره في عبودية المنعم وانتم ذريه
من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباوكم اسوتهم وقيل اذا نصب ذريه على
الاختصاص يجوز ان يكون قوله انه كان عبدا شكورا تعليلا لاختصاصهم والثنا عليهم اي انما خصصنا
هذا الخطاب لانكم اولاد المحمولين مع نوح فانتم متصلون به فاستاهلتم لذلك الاختصاص ويجوز ان
يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد فلا يكون تعليلا قيل كان نوح اذا اكل طعاما قال الحمد لله
الذي اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شا اظماني واذا اكتسى قال
الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا احفاني
واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه وعافاني ولو شا حبسه **قوله تعالى**
وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جا وعد
اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا
لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا لما ذكر الله انعامه على بني اسرايل
باعطا التوريه لهم وجعل التوريه هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد
فقال وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن وقضينا واوحينا الى بني اسرايل وحيا
مقضيا اي مقطوعا مبتوتا واعلمناهم في الكتاب التوريه لتفسدن جواب قسم محذوف
اي والله لتفسدن ويجوز ان يجري القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا
له كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين بالمعاصي ومخالفة التوريه
وقتل الانبيا اولاهما قتل زكريا وقيل قتل شعيا فاما السبب في قتلهم زكريا فانهم اتهموه

بمريم وقالوا منه حملت فهرب منهم فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردايه هدب فجاهم الشيطان
فدلهم عليه فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها واما السبب في قتلهم شعيا فهو انه قام فيهم برساله
من الله ينهاهم عن المعاصي وقيل هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة حتى قطعوه بالمنشار وان
زكريا مات حتف انفه واخراهما قتل يحيى بن زكريا قيل سبب قتل يحيى ان ملكهم اراد نكاح امراه
لا تحل له فنهاه عنها يحيى عن ابن عباس انها ابنة اخي الملك وعن عبد الله بن الزبير انها ابنته
وعن حسين بن علي رضي الله عنهما انها امراة اخيه وكان ذلك لا يصلح عندهم وعن السدي انها
ابنة امراته وذكر السدي ان ملك بني اسرايل يهوى بنت امراته فسال يحيى عن نكاحها فنهاه فحقدت
امها على يحيى حين نهاه ان تزوج ابنتها وعمدت الى ابنتها فزينتها وارسلتها الى الملك حين جلس على شرابه
وامرتها ان تسقيه وان تعرض له فان ارادها على نفسها ابت حتى يوتى براس يحيى في طست ففعلت
ذلك فقال سليني غير هذا فقالت ما اريد الا هذا فامر فاتي براسه والراس يتكلم ويقول لا تحل له
لا تحل لك وقيل ان امراة الملك رات يحيى وكان قد اعطي حسنا وجمالا فارادته على نفسه فابى فقالت
لابنتها سلي اباك راس يحيى فاعطاها ما سالت روي عن اهل السير انه ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه
من بني اسرايل سبعون الفا فسكن وقيل لم يسكن حتى جا قاتله فقال انا قتلته فقتل فسكن ولتعلن
ولتعظمن ولتستكبرن عن طاعة الله ولتبغن علوا كبيرا وقيل العلو الظلم وقيل القهر وكانوا يقتلون
الناس ظلما ويغلبون على اموالهم قهرا ويخربون الديار بغيا ويقتلون الانبيا بغير حق فاذا جا وعد
اولاهما اي وعيد وعقوبة اولى المرتين والوعد بمعنى الوعيد بعثنا عليكم عبادا لنا عن ابن عباس
وقتادة انهم جالوت وجنوده وعن سعيد بن المسيب هو بخت نصر وجنوده وعن الحسن العمالقة وكانوا
كفارا وعن سعيد بن جبير سنحاريب وجنوده وعن مجاهد قوم من اهل فارس عن ابن زيد
سلط الله عليهم سابور ذا الاكتاف من ملوك فارس قتلوا علماهم واحرقوا التوريه وخربوا المسجد
وسبوا منهم سبعين الفا اولي باس شديد ذوي عدد وقوة في القتال فجاسوا خلال الديار ترددوا
فيها للغارات وطافوا ينتظرون هل بقي احد لم يقتلوه والجوس طلب الشي باستقصا وعن الاصمعي جاسوا
وطيوا وقيل عاثوا او الخلال انفراج ما بين الشيين واكثر الضرب من الوهن قيل الجوس هو التردد
خلال الديار بالفساد اليهم بتخريب المسجد واحراق التوريه من جملة الجوس المسند اليهم وكان وعدا
مفعولا اي وكان وعد العقاب وعد الابد ان يفعل وقيل كان الجوس وعدا من الله مفعولا لا محاله
وقيل يا وعدنا من انهم يفسدون مرتين وعدا كاينا ثم رددنا لكم الكرة اي الرجعه والدوله والغلبه عليهم
اي لما تبتم واصلحتم ما افسدتم رددنا لكم الدوله والغلبه على الذين بعثوا عليكم قيل هي بخت نصر واستنقاذ
بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وامددناكم اعنا كم
باموال وبنين فان القوة فيهما والامداد الاعانه وجعلناكم اكثر نفيرا من الاعدا وقيل اكثر مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل النفير النفر وقيل جمع نفر كعبيد وعبيد وهم المجتمعون للمصير الى الاعدا **قوله
تعالى** فاذا جا وعد الاخرة ليسوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي فاذا جا وعد المرة الاخرة وعقوبتها
من افسادكم بعثناهم وهذا الفساد الثاني هو قتلهم يحيى وقصدهم قتل عيسى بعثناهم اي ملوك فارس
والروم ليسوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم ليسوا بالجمع والضمير بين الواوين والاسناد الى
المبعوثين وابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم ليسو على التوحيد اي ليسو الله وليسو البعث او ليسو

بالياعلى
م

الوعد والكساى لنسو بالنون وذلك راجع الى الله تعالى عن مجاهد وقتاده الذين بعث الله عليهم
فى المره الثانيه بخت نصر وجنوده وكثير من الرواة يابى هذا القول ويقولون كان بين تخريب بخت نصر
بيت المقدس وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل وعن مقاتل انطيانوس الرومى ليسوو وجوهكم
تعليل مضمر اى بعثناهم ليسوو وليدخلوا المسجد اى بيت المقدس كما دخلوه اول مره وليتبروا
اى ويهلكوا كل شى علوه واستولوا عليه وقيل ما مصدريه اى ليهلكوا مده علوهم وقيل فى حال علوهم
عسى ربكم ان يرحمكم هذا اما وعد وابد فى التوريه واخبرانه فى كتابكم والمعنى عسى ربكم ان يرحمكم
ان تبتم بعد الثانيه فتابوا فرحمهم الله بعد انتقامه منهم وعمر بلادهم واعاد اليهم الاحسان
وبعث فيهم الانبيا وان عدتم مره ثالثه الى معصيتنا عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا الى معصية الله
فاعاد الله اليهم النقمه فبعث اليهم ملكا من ملوك فارس وضرب الاتاوه عليهم وعن الحسن وقتاده
عادوا الى الكفر بمحمد عليه السلام فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم فى عذاب الى يوم القيامه
يعطون الجزيه عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
وعن الحسن الحصير هو الذى يفرش ويبسط اى وجعلنا جهنم لهم مهادا **قوله تعالى** ان هذا القران
يهدى للتى هى اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يومنون بالاخره
اعتدنا لهم عذابا اليما انه تعالى ذكر ما فعله فى حق عباده المخلصين من الاسرا بعبده واتيا الكتاب لموسى
ثم ذكر ما فعله فى حق العصاه المفسدين فى الارض مره بعد اخرى من تسليط الاعدا عليهم بالقتل
والاسر والنهب وتخريب البلاد تنبيها على ان طاعة الله تجلب كل خير وكرامه ومعصيه توجب كل
بليه ثم وصف القران بانه يهدى للتى هى اقوم اى للحاله التى هى اقوم الحالات واسدها او للمله او
للطريقه واينما قدرت لم تجد مع ذكرها ذوق البلاغه الذى تجد صاحب الذوق السليم مع الحذف
لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامه تفقد مع ايضاحه قال المفسرون هى توحيد الله به وبرسله
والعمل بطاعته ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا هو الجنه وان الذين اى
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات بان الذين لا يومنون بالاخره اعتدنا لهم عذابا اليما اى ويبشر
المومنين ببشارتين اثنتين بان لهم اجرا كبيرا وبان للاعدا لهم اعتدنا لهم عذابا اليما ولا يخفى ان الاخبار
بتعذيب الاعدا بشارة وعلم من قوله المومنين الذين يعملون الصالحات على قسمين المومنين الذين
يعملون الصالحات والمومنين الذين لم يعملوا الصالحات ولهذا قيد المومنين الذين يعملون الصالحات
والمومنين الذين لم يعملوا الصالحات ولم يتعرض للامر الذى للمومنين الذين لم يعملوا الصالحات قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف ذكر المومنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقه قلت كان الناس حينئذ
اما مومن واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزله بين المنزلتين بعد ذلك ولقائل ان يقول
هذا الكلام فى غاية السقوط لان المومنين دايما على قسمين الذين يعملون الصالحات
والذين لا يعملون الصالحات ولهذا قيد المومنين بالذين يعملون الصالحات ولو
كان كما زعم صاحب الكشاف لم يقيد المومنين بالذين يعملون الصالحات واثبات اصحاب
المنزله بين المنزلتين من البدع المنهى عنها قيل هذه البدعه من المبتدع واصل بن عطاء
فالظاهر انه انما لم يتعرض للمومنين الذين لم يعملوا الصالحات لان المقام يقتضى التصريح بمن له
الاجر قطعا بحكم الوعد على سبيل التفضل ولمن اعد له العذاب الا لم قطعا بحكم الوعيد على سبيل العدل
والمومنون الذين لم يعملوا الصالحات غير داخلين فى الاول ولا فى الثانى فلهذا لم يتعرض لهم
قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجه النظم هو ان

الانسان

الانسان بعد ان انزل الله عليه هذا القران وخصه بهذه النعمه العظيمه قد يعدل عن التمسك
بشرايعه ويتقدم على ما لا فايده فيه ويدعوا بالشر اى ويدعوا الانسان عند الغضب والضجر على نفسه
واهله وعشيرته وماله بالشر بما لا يحب ان يستجاب له دعاءه اى دعاء مثل دعاءه بالخير اى كما يدعو
لنفسه ولاهله واعزته وماله بما يحب اجابته وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه
ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر وقيل يعجل بالدعا بالشر عند الغضب والضجر عجلته بالدعا بالخير
قيل المراد بالانسان الجنس لا شخصا بعينه وقيل المراد به ادم لانه حين نفخ الله فيه الروح نظر الى بدنه
يخلق ويعتبت رجلاه فرام النهوض قبل وصول الروح اليه المقدمه فصارت العجله فى ولده قال ابن عباس وعن
سلمان لما خلق الله ادم بدا باعلاه قبل اسفله فجعل ادم ينظر فلما كان بعد العصر قال يا رب عجل قبل
الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا وعن مقاتل انه النضر بن الحارث حين قال فامطر علينا حجارة من السما
قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شى فصلناه تفصيلا قيل انه تعالى لما بين فى الايه المتقدمه
ما اوصل الى الخلق من نعم الدين وهو القران اتبعه ببيان ما اوصل اليه من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار
وكان القران فيه ايات محكمات وايات متشابهات فكذلك فيه اية الليل كالايه المتشابهه واية النهار كالايه
المحكمه وكان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه كذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع منه الا
بالليل والنهار وقيل انه تعالى لما بين فى الايه المتقدمه ان القران يهدى للتى هى اقوم وذلك لا اقوم ليس
الا ذكر الدلايل الداله على التوحيد والنبوه اردفه بذكر دلايل التوحيد وهو عجايب العالم العلوى
والسفلى وقيل انه تعالى لما وصف الانسان بكونه عجولا اى منتقلا من صفة الى صفه ومن حاله الى حاله
بين ان احوال كل هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمه وبالعكس وانتقال نور القمر من الزياده
الى النقصان وبالعكس قيل ان المراد ان الليل والنهار ايتان فى انفسهما فيكون الاضافه فى اية الليل واية
النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الايه التى هى الليل وجعلنا الايه التى هى النهار مبصرة
وقيل المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار اى الشمس والقمر فمحونا اية الليل بمحو الضوء مطموسه مظلما
لا يستبان فيه شى كما لا يستبان به فى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اى يبصر فيه الاشيا ويستبان وقيل
فمحونا اية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشيا رويه بينه وجعلنا
الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوها كل شى وقيل محو القمر ما يظهر فى القمر من الزياده والنقصان فى النور
فيبدو فى اول الامر فى صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم ياخذ فى الانتقاص
قليلا قليلا وذلك هو المحو الى ان يعود الى المحاق لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى
استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وحسن الحساب
بمحو اية الليل ولولا ذلك لم يعرف الليل من النهار وكل شى تحتاجون اليه فى دينكم ودنياكم فصلناه
بيناه بيانا غير ملتبس وذكر تفصيلا للتاكيد **قوله تعالى** وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه
ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لما قال
وكل شى فصلناه تفصيلا كان معناه ان كل ما تحتاجون اليه من دلايل التوحيد والنبوه والمعاد فقد
صار مذكورا وكل ما يحتاج اليه من شرح احوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقد
صار مذكورا واذا كان الامر كذلك فقد ازيحت علتكم فلا جرم كل من ورد عرصة القيمه فقد الزمناه
طايره فى عنقه ويقول له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكل انسان الزمناه طايره
عن ابن عباس طايره شقاوته وسعادته وقيل حظه والمعنى ان لكل انسان حظا من الخير والشر

قد قضاه الله فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل ما يلزم الانسان قد لزم عنقه وهذا لك علي وفي
عنقي حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طاير لقول العرب جرى له الطاير بكذا من الخير
وجرى له الطاير بكذا من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم الله بما يستعملون واعلمهم ان ذلك الامر
الذي يجعلونه بالطاير هو الذي يلزم اعناقهم قال الازهري الاصل في هذا ان الله لما خلق ادم
علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علمه منهم اجمعين وقضى سعادة من علمه مطيعا وشقاوة من
علمه عاصيا فطار لكل منهم ما هو صاير اليه عند خلقه وانشايه فذلك قوله الزمناه طايره في عنقه
وقيل انه ما يتطير من مثله من شي عمله وذكر العنق عبارة عن اللزوم له كلزوم القلادة العنق
من بين ما يلبس والغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب
وهذا ربقة في رقبته وقيل الاصل في تسميتهم العمل طايرا انهم كانوا يتطيرون من بعض الاعمال
واعلم انه تعالى اضاف الالزام الى نفسه وهذا يدل على انه لا يتطير في الابد الا ما حكم الله به
في الازل واليه الاشارة بقوله عليه السلام جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة والعنق كنايه
عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به ويقال
قلدتك كذا اي الزمته اياك ومنه قلده السلطان كذا اي صارت الولاية في لزومها له في موضع
القلادة ومكان الطوق منه يقال فلان يقلد فلانا اي جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة
على عنقه وانما خص العنق من بين ساير الاعضا بهذا المعنى لان الذي يكون عليه اما ان يكون
خيرا يزينه او شرا يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلي والذي يشين فهو كالغل فهنا عمله ان كان
من الخيرات كان زينة له وان كان من المعاصي كان كالغل على رقبته ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه قرا ابن عامر يلقاه بضم اليا وتشديد القاف والباقون بفتح الياء والكساي القاف
منشورا هما صفتان للكتاب ويجوز ان يكون يلقاه صفة ومنشورا حالا من يلقاه اقرا على ارادة
القول اي يقال له اقرا كتابك عن الحسن يقراه اميا كان او غير امي كفى بنفسك فاعل كفى والبا
زايده والحسيب المحاسب وهو تمييز وعليك متعلق بحسيبا من قولك حسب عليه كذا قيل يجوز
ان يكون حسيبا بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
وانما ذكر لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال
وكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وقيل يجوز ان يأول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس
وقيل حسيبا حاكما وقيل حفيظا وعن الحسن قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك
قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي من اهتدى فثواب اهتدايه له ومن
ضل عن الرشاد فانما يضل عليها ولا تزر وازرة اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها
لا وزر نفس اخرى اي لا يوخذ احد بذنب غيره شبه حمل معصية الله المودية الى النار
بالوزر وهو الحمل الثقيل عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعوني وانا احمل
اوزاركم فقال الله ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين عذاب الاخرة وقيل
عذاب الاستيصال في الدنيا حتى نبعث رسولا يبين التوحيد والشرع وقيل يبين الشرع وحده
فان العقل كاف لبيان التوحيد وهذه الاية تدل على ان الواجبات بالشرع لا بالعقل لانه لو كان
بالعقل لانه لو كان بالعقل لم يتوقف التعذيب على البعثة الرسول لان قبل بعثة الرسول
العقل موجود فيكون الواجبات العقلية محققة فالتعذيب محقق بتركها **قوله تعالى**

حسيبا
ح

اي على نفسه
عقوبة ضلاله
ح

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم
اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش حتى تعدوا وطورهم وطغوا والترفه والتنعم والمترفون
قال لواتهم الجبارون والمسلطون والملوك وانما خص المترفين بالذكر لانهم الروسا ومن عداهم تبع لهم
ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى بماذا يامرهم فقال الاكثرون انه تعالى يامرهم بالطاعة والخير ففسقوا
اي خالفوا الامر لان الفسق هو الخروج عن الطاعة فحق عليها العقول اي وجب عليها وعد على الفسق بقول
سابق لا يقع فيه خلف وقيل ظهر صدق خبر الله عنهم انهم لا يومنون فدمرناها اهلكناها تدميرا اهلاكا
بالكلية قال صاحب الكشاف واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل
امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقال لهم افسقوا
وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي
واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها
بالخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة
على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب ولقايل ان يقول تفسير اردنا
ان نهلك بدنا وقت اهلاك قوم في غاية السقوط فانه عدول عن الظاهر الحق الى البعيد الباطل فان
الاهلاك لا يقع الا بارادته تعالى فلا حاجة الى العدول عن الظاهر قوله امرناهم ففسقوا اي
امرناهم بالفسق مخالف للعقل والنقل فان العقل يابى ان يامرهم تعالى بالفسق ان يقال لهم افسقوا وهذا
لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعم صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع
الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير
ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على
المعصية فاثروا الفسوق ولا يخفى على من له فهم مستقيم وذوق سليم ان اردنا مقوله تعالى امرنا مترفيها
هذا الذي ذكره ثم قال صاحب الكشاف فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت
لان حذف ما لا دليل عليه غير جايز فكيف بحذف ما الدليل قايم على نقيضه وذلك ان المامور به انما
حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان المامور
به قيام او قراة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته
فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا
ان يقصد اصلا بمعنى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا
منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن
منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول ولقايل ان
يقول لا نسلم انه لا دليل عليه قوله فكيف بحذف ما الدليل قايم على نقيضه قلنا لا نسلم ان
الدليل قايم على نقيضه قوله لان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه قلنا مسلم
ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه لكن فسقوا يدل على ان المامور به المحذوف
هو الطاعة وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان المامور
به قيام او قراة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب قلنا لا نسلم اذا قدر
غيره يلزم ان يكون طلب من المخاطب علم الغيب يجوز ان يكون قرينة حالية اقتضت
تقدير غيره بان يكون قرينة حالية دلت على انه امر بالقعود في الصورة الاولى

وبالكناية في الصورة الثانية ويكون قوله ففسقوا معناه لمخالفة الامر ولين سلم انه لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة لكن ليس نظير قوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها لان القيام والقراءة يصلحان ان يكون مامورا به حقيقة بخلاف الفسق فانه لا يصح ان يكون مامورا به لانه تعالى لا يامر بالفحشاء قوله ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني الى اخره قال الامام ولقايل ان يقول كما ان قولهم امرته فعصاني ان المامور به شي غير المعصية منافيه للامر ومناقضة له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شي غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونه مامورا به فوجب ان يدل هذا اللفظ على ان المامور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم اصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت ان الحق ما ذكره الكل وهو ان المعنى امرناهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان بالطاعة والقوم خالفوا ذلك الامر عنادا واقدموا على الفسق وقيل امرنا مترفيها معناه اكثرنا مترفيها فيجعل امره فامر من باب فعلته ففعل كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وكم اهلكنا كم مفعول اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس اراد ان الطريق الذي ذكرناه وهو عادتنا مع الذين يفسقون ويتمردون فيما تقدم من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم ثم انه تعالى خاطب الرسول بما يكون خطابا لغيره وردعا وزجرا للكفار بمكة فقال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وعد وتهديد اي الله يعلم ويرى ما يكون منهم فيجازيهم عليه بما يستحقون فهو بشارة عظيمة لاهل الايمان وخوف وتهديد عظيم لاهل الشرك **قوله تعالى** من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا قيل هذه الاية داخلة في معنى قوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ومعناه ان العاملين في الدنيا قسمان فمنهم من يريد بعمله الدنيا ومنافعها والرياسة فهذا يانف من الانقياد بالانبيا عليهم السلام والدخول في طاعتهم والاجابة لدعوتهم اشفاقا من زوال الرياسة عنه فهذا قد جعل طايره نفسه شوما لانه في قبضة الله تعالى فيوتيه الله في الدنيا منها قدرا لا كما يشاء ذلك الانسان بل كما يشاء الله الا ان عاقبته جهنم مذموما مدحورا مبعدا مطرودا من رحمة الله تعالى من كان يريد العاجلة اي من كان يريد بعمله الدنيا فعبر عن النعم بالاسم عجلنا له تفضلنا عليه من منافعها في العاجلة ما نشاء قيد المعجل بمشيته لمن نريد قيد المعجل له بارادته وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير في له يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وهكذا الحال ترى كثيرا من هولاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض ولا يعطون فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة ثم جعلنا له جهنم يصلاها اعلم ان العقاب مضرة مقرونة بالاهانة والذم بشرط ان يكون دايمة خالية عن شوب المنفعة فقوله وجعلنا له جهنم يصلاها اشارة الى المضرة العظيمة قوله مذموما اشارة الى الاهانة والذم مدحورا الى البعد والطرد عن رحمة الله وهو يفيد ان تلك المضرة خالية عن ثبوت النفع والرحمة ويفيد كونها دايمة لم تتبدل بالراحة والخلاص منه الله تعالى ان من اراد العاجلة وعجل الله تعالى له ما يريده لا ينبغي له ان يغتر بها ويعتقد ان ذلك لاجل كرامته على الله ويستدل به على رضا الله لان الدنيا قد تحصل مع ان عاقبتها الى المصير الى عذاب جهنم والاهانة

والطرد عن رحمة الله ومن اراد الاخرة شرط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور فانه ان لم يحصل هذه الارادة وهذه النية لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى والسعي لها سعيها اي السعي الذي يصلح لها وذلك بان يكون العمل الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الاخرة ومن الاعمال التي بها ينال ثواب الاخرة ولا يكون كذلك الا اذا كان من باب القرب والطاعات والايمان لان الايمان شرط في صحة الاعمال وعن بعض السلف من لم يكن له ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلى هذه الاية مشكورا مثابا عليه مقبولا محفوظا لهم حتى يدخلهم الله الجنة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه وهو منصوب على انه مفعول نمد هولاء بدل من كل والمعنى نزيد هولاء وهولاء اي من يريد العاجلة ومن يريد الاخرة فنرزقهما جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا ممنوعا محبوسا عن عباده والمعنى ان الرزق يعم المومن والكافر والاخرة للمتقين خاصة **قوله تعالى** انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا انظر يا محمد بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم في الرزق والعمل وجعلناهم متفاوتين في التفضل والعطاء في الدنيا وفي الاخرة اكبر واكبر تفضيلا اي التفاوت ههنا اكبر وافضل لان التفاوت في الاخرة من وجهين احدهما بالجنة والنار وثانيهما بالدرجات في الجنة والدركات في النار روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بين اعلى اهل الجنة واسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها وقيل التفاوت في الاخرة اكبر لانها ثواب واعواض وكلها متفاوتة وقيل كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدين اي بعضهم اثر الاخرة فوفقناه للرشاد وبعضهم اثر الدنيا فخذلناه **قوله تعالى** لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا لما بين ان الناس فريقان منهم من يريد العاجلة ومنهم من يريد الاخرة وشرط في كون سعي مريدي الاخرة مشكورا الارادة والسعي والايمان فصل في هذه الامور الثلاثة فبدا بالايمان لانه اصل السعادات واساس العبادات واشرف اجزاء الايمان التوحيد ونفي الشرك والاضداد فقال لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل المعنى عام لجميع المكلفين وقيل يجوز ان يكون التقدير قل يا محمد يا ايها الانسان لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك سبحانه والخذلان والعجز عن النصر ممن جعلته شريكا له فتقعد انتصب لانه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه باضمار ان كقولك لا ينقطع عنا فنجفوك اي لا يكن منك انقطاع فيحصل ان نجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء في ان الثاني مسبب عن الاول كذلك تقدير الاية ان جعلت مع الله الها اخر قعدت مذموما مخذولا **قوله تعالى** وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا لما ذكر في الاية الاولى ما هو الركن الاعظم من الايمان اتبعه بذكر ما هو من شعاير الايمان وشرايعه فبدا بعبادة الله تعالى بان يعبدوا الله ولا يعبد واغيره وقضى ربك وامر ربك امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين احسانا على تقدير ان تكون ان مفسرة او بان تحسنوا بالوالدين احسانا على تقدير ان تكون ان موصولة اما يبلغن قرا حمزة والكسائي وخلف يبلغان بالالف على التثنية على ان يكون احدهما بدلا من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطفا على احدهما

فيكون هو ايضا بدلا ولا يصح ان يكون توكيدا لانه لو كان توكيدا يلزم ان يكون المعطوف عليه اى احدهما
ايضا توكيدا ولا يصح ان يكون احدهما توكيدا الا ان احدهما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين
قال صاحب الكشاف فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على
البدل قلت لو اريد توكيد التثنيه لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد وكان بدلا
مثل الاول والباقون يبلغن بغير الف مع التشديد فيكون احدهما فاعلا وكلاهما عطفا عليه اما يبلغان ان
هى الشرطيه زيدت تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكده فى الفعل ولو افردت ان عن ما لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه فلا تقل لهما اف قرا ابن كثير وابن عامر اف بفتح الفا من غير
تنوين ونافع وحفص عن عاصم اف بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفا من غير تنوين قيل معنى اف وسخ
الظفر وقيل وسخ الاذن وقيل قلامة الظفر وقيل الاحتقار والاستصغار وقيل ما رفعته من الارض من عود او
قصبه وقيل التبرم والضجر وقيل الاف صوت يدل على تضجر ومعنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما
لا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا
يتوليان منه فى حال الطفوله فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول
لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مونتهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه فى التوصيه
بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيد ونظمهما فى سلك القضا بهما معا ثم ضيق الامر فى
مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا يكاد يدخل صبر الانسان معها فى الاستطاعه ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك
والنهى والنهر اخوان وقيل لا تكلمهما ضجرا صايحا فى وجوههما وقيل لا تعض بدك عليهما وقل
لهما بدل التافيف قولا كريما حسنا جميلا كما تقتضيه حسن الادب والنزول على المروه عن سعيد بن المسيب
كقول العبد المذنب للسيد الفظ وعن عطا لا تدعهما باسمائهما وقيل لهما يا ابتاه ويا اماه كما قال ابرهيم عليه
السلام لابيه يا ابت مع كفره قيل الدعا بالاسم من الجفا وسو الادب وعادة الدعا وقيل لا باس به
فى غير وجهه كما قالت عايشه رضى الله عنها نحلنى ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل او الذلول
وقيل جعل لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقره زماما مبالغه فى التواضع والتذلل
لهما من الرحمه من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله
اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقا لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقيه كما ربيانى
صغيرا اى اجعل ذلك جزا لرحمتهما عليك فى صغرهما وتربيتهما لك فى صغرك قيل هذا الدعا المطلق
الشامل للمسلمين والكفار المشركين نسخ منه الدعا لاهل الشرك بقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولا يكون هذا نسخا عند الفقها لانه عام دخله التخصيص وقيل اذا كان الوالدان كافرين
للولدان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهدايه والارشاد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقال للعاق اعمل ما شئت فانى لا اغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت فانى ساغفر لك ربكم اعلم
بما فى نفوسكم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ومن العقوق فمن بدرت
منه بادره وهو لا يضمر العقوق غفر له ذلك ان تكونوا صالحين طايعين لله بارين قاصدين
الصلاح فانه كان للاوابين غفورا قيل للمسلمين وقيل للتوابين وقيل للتايبين مرة بعد اخرى وقيل
المقلعين عن جميع ما نهاهم يقال اب يوب اذا رجع وقيل للمطيعين لله وقيل للذاكرين لذنوبهم
فيستغفرون الله منها وقيل للمقبلين الى الله بقلوبهم واعمالهم وقيل للمصلين بين المغرب والعشا

وقيل

وقيل للمصلين صلوة الضحى وقيل للمذنبين سرا التايبين سرا **قوله تعالى** فات ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا
واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اوصى بغير الوالدين من الاقارب
بعد الوصيه بهما قيل ذا القربى قرابة الرجل من قبل ابيه وامه فعلى هذا قيل حقه برهم وصلتهم وقيل
النفقه الواجبه لهم وقت الحاجه وقيل الوصيه لهم عند الوفاه وقيل انهم قرابة الرسول فعلى هذا يكون حقهم
اعطاوهم من الخمس ويكون الخطاب للولاه والمسكين وابن السبيل قيل حقهما الصدقات الواجبه اى الزكوه
ويجوز ان يكون الحق الذى يلزمه اعطاوه عند الضروره اليه وقيل حق المسكين من الصدقه وحق ابن السبيل
من الضيافه ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وقيل معناه ولا تنفق
مالك فى المعصيه سيل ابن مسعود ما التبذير قال انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو انفق انسان ماله كله فى
الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة فى خير فاكثر فقال له صاحبه
لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير قال الزجاج التبذير النفقه فى غير طاعة الله وكانت الجاهليه تنحر
الابل وتبذر الاموال فى الفخر والسمعه فامر الله عز وجل بالنفقه فى وجهها فيما يقرب منه ان المبذرين
كانوا اولياهم اعوانهم وامثالهم فى الشرار والعرب تقول لكل ملازم سنه قوم وتابع امرهم هو اخوهم
وهى غاية المذمه لانه لا شر من الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا جحودا للنعمه فما ينبغى ان يطاع فانه
لا يدعو الا مثل فعله واما تعرضن نزلت فى بلال وصهيب وخباب كانوا يسالون النبى صلى الله عليه
وسلم فى الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد له متسعا فيعرض حيا منهم فانزل الله عز وجل واما تعرضن
عنهم اى وان تعرض عن هولا الذين امرتك ان توتيهم حقوقهم عند مسالتهم اياك ما لا تجد اليه سبيلا
حيا منهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها انتظار رزق من الله ترجو ان ياتيك فقل لهم قولا ميسورا قيل
وان اعرضت عن ذوى القربى والمسكين وابن السبيل حيا من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير
مجابين اذا سالوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا وليس عنده اعرض عن السايل وسكت حيا
وقوله ابتغا رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم قولا لينا سهلا وعدهم
وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغا رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى
الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغا موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد
سبب الابتغا والابتغا مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب وقيل معنى واما تعرضن عنهم وان
لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعه ولا تريد الاعراض بالوجه كنايه بالاعراض عن ذلك
لان من ابى ان يعطى اعرض بوجهه يقال عسر الامر وعسر مثل سعد الرجل وسعد فهو مفعول وقيل
معناه وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور
وهو اليسر اى دعا فيه يسر **قوله تعالى** ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف
والتقتير قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك مثل للشح والامساك عن العطا لان من قبض يده
عن الاعطا صار كاليد المشدوده الى العنق ولا تبسطها كل البسط فتقعد مثل للاسراف وانفاق
المال فيما لا ينبغى فجعل بسط اليد عبارة عن الاعطا لان المعطى يبسط يده نحو المعطى والبسط ضد

القبض واذا ابسط اليد كل البسط فقد تجاوز حد الاعتدال فتقعد فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي
عند الله وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما احسن تدبير امر المعيشة وعند
نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شي عندك من حسرة السفر اذا ابلغ منه وحسره
بالمسلة قال الزجاج المحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والاعيا قال جابر بن عبد الله بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد فيما بين الصحابه اتاه صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا اخر فعاد الى امه فقالت
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا فاذن بلال للصلوة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فراه عريانا
فانزل الله هذه الاية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمشدود
ولا تبسطها بالعطا كل البسط تعطي جميع ما عندك فتقعد ملوما يلومك سائلوك اذا لم تعطهم محسورا
منقطعا بك لا شي عندك تنفقه يقال حسرته بالمسلة اذا الحفته ودابة حسير اذا كانت كالة رازحه
وحسر البصر اذا كل قال الله ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير وعن قتادة محسورا نادما على ما فرط منك
وقيل اعطى الاقرع بن حابس مايه من الابل وعيينة بن حصن فجا عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني
اعطه مائة من الابل فنزلت وقيل هذا الخطاب اريد به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن
يدخر شيا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلا الصحابة ينفقون جميع
ما يملكون فلم ينههم الله لصحة يقينهم وانما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده فاما من وثق
بوعد الله فهو غير مراد بالاية قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس بهوان
منك عليه ولا لبخل عليك ولكن ربك هو الذي يربي العباد ويبسط الرزق لمن يشا ويوسعه كالثوب
المبسوط بحسب الجهات ويقدر يضيق لمن يشا انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم مصالح العباد كما قال ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقيل يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزاين
بيده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا وقيل يريد ان ربك يبسط الرزق لمن يشا من عباده او يقبض فانه
يراعي الاقتصاد لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته
قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا
لما بين في الاية الاولى انه هو المتكفل بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشا
ويقدر اتبعه بقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقيل انه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين
في الاية المتقدمة علم في هذه الاية كيفية البر بالاولاد وانما وجب البر بالابا مكافاة على ما
صدر منهم من انواع البر وانما وجب البر بالاولاد لانهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير
الوالدين قيل اراد بقتل الاولاد واد البنات وكانت العرب تفعل ذلك مخافة العار وقيل
خشية الاملاق وانما ذكر وان كان المراد به البنات حملا على لفظ الاولاد وظاهر الاية
يدل على انهم كانوا يقتلون الاولاد خشية الاملاق ولهذا ذكر الضمير وقال في الانعام

من املاق اي من املاق واقع بكم ولهذا قدمهم وقال ههنا خشية املاق لم يقع بعد ولهذا اخرهم
ان قتلهم كان خطا قرا ابن كثير خطا مكسور الخا ممدود ومهموز مصدر خاطا كقاتل قتالا
وابن عامر مفتوحة الخا والطا مهموز من غير مد مصدر خطي خطا وهو ضد الصواب والباقون مكسورة
الخا ساكنة الطا مهموزة مقصورة مصدر خطي خطا كاثم اثما وربا ومعنى قوله تعالى
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا فاحشة قبيحة زايدة على حد القبح وسا سبيلا
وبيس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب الذي شاع
في الشرع ميسر وهو النكاح الذي شرعه الله قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلاث الا بان يكفر او تقتل مومنا عمدا او يزني بعد احصان قوله تعالى ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا اي ومن قتل مظلوما غير راكب واحدة
منهن فقد جعلنا لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فعلى هذا الوجه
فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص وقيل سلطانا حجة ثابتة عليه فلا يسرف
الولي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية اذا قتل منهم واحد قتلوا به
جماعة وقيل لا يمثل به وقيل هو ان يتولى قتل القاتل دون السلطان وقيل يجوز ان يكون الضمير
راجعا الى القاتل الاول اي فلا يسرف القاتل بالقتل تعديا وظلما انه كان منصورا قيل ان الولي كان
منصورا اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص ومكنه منه فلا يستزد على ذلك وبان الله
نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين على استيفا الحق فلا يبغ ما وراءه وقيل ان المظلوم
كان منصورا لان الله ناصره حيا وجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب وقيل ان
الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف وبالثواب
في الاخرة قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده
واوفوا بالعهد ان العهد كان مسولا بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به
قيل يجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا قوله تعالى واوفوا الكيل اذا
كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو و
ابن عامر وابو بكر عن عاصم قسطاس بضم القاف وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف
وهما لغتان قيل وهو الميزان رومي معرب وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين
الدراهم وغيرها وقيل القسطاس يعبر به عن العدالة كما يعبر بالميزان عنهما واحسن
تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يوول اليه قوله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا ولا تقف
الرجل اذا قفوته تتبع اثره وفي الحديث لا حد الا في القفو البين وقفوت
الرجل اقفوه قفوا اذا رميته بامر قبيح والاسم القفوة بالكسر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا والقفو البهت والقذف بالباطل
ولهذا قيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله في
ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج منه اي قذف والردغة الطينة والخبال هو صديد اهل
النار وقال النابغه ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعرن التقاذفا وقال

ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا قيل هو ماخوذ من القفا كانه يتقفوا الامور
اي يكون في اقفايها يتعقبها ويتبعها ويتعرفها ويقال قفوت اثره على وزن دعوت والنهي منه لا تقف
مثل لا تدع وقيل اصله من القافه وهم اتباع الاثر فيكون ولا تقف مثل ولا تقل الا ان العرب تقول
قفوت امره وقفت مثل قولهم قاع الفحل الناقه وقعاها وعاث وعثا واعتام واعتمى واجتاح
واجتحى قال الشاعر ولو اني رميتك من بعيد لعاقك عن دعا الذيب عاق اي عايق قيل معناه
ولا تلزم احدا بما ليس لك به علم اي ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا
لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وقيل لا تقل رايت
ولم تر ولا سمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلمه وقيل لا تشرك بالله شيا وعن محمد بن الحنفيه شهادة الزور وعن
الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا او رايته يفعل كذا او سمعته ولم تر ولم تسمع
ان السمع والبصر والفواد كل اولئك اشار الى السمع والبصر والفواد لقوله والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسوولا عنه في موضع الرفع بالفاعليه اي كل واحد كان مسوولا عنه فمسوولا مسند الى الجار
والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت
الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقيل ان تقدير الايه ان اولئك
الاقوام كلهم مسوولون عن السمع والبصر والفواد فيقال لهم استعملتها لسمع فيما ذا افي الطاعة او
في المعصيه وكذا القول في بقيه الاعضا وذلك لان السمع والبصر والفواد الات النفس والنفس
كالامير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملتها في الخير يحصل لها الثواب بحكم الوعد على سبيل
التفضل وان استعملتها في الشر تعاقب عليها بحكم الوعيد على سبيل العدل وقيل يجوز ان يخلق
الله تعالى الحيوه في السمع والبصر والفواد ثم انها تشهد على الانسان يدل على ذلك قوله تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون **قوله تعالى** ولا تمش في الارض
مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها مرحا حال
اي ذا مرح والمرح شده الفرح والمعنى ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا او كبرا او فخرا او خيلا انك
لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطيك حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال
اي لن تساويها وتحاذيها بكبرك فنهى الله عباده عن الكبر والفخر والاشر والبطر واخبر ان صاحبه
لا ينال به شيا يقصر عنه غيره كل ذلك كان سيئه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو سيئة منصوبه والباقون
بضم الها والمد على اضافة شي الى الضمير كل اما وجه القراة الاولى ان الكلام تم عند قوله تاويلا ثم
ابتدا وقال ولا تقف وكل ذلك اشارة الى الثلاثه التي نهى الله عنها والمعنى كل ما نهى الله عنه
كان سيئه وقوله مكروها ان السيئه في حكم الاسما بمنزلة الاثم والذنب زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين شيا وسيئه الا ترى الى قوله الزنى سيئه كما تقول السرقه
سيئه فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث وقيل هو على التكرير والبدل لا على الصفه
تقديره كل ذلك كان سيئه وكان مكروها وقيل محمول على المعنى لان السيئه الذنب
وهو مذكر ومعنى القراة الثانيه ان كل ما ذكرنا من قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه
كان سيه اي سي ما ذكرنا وعددنا عليك كان عند ربك مكروها لان فيما ذكر وعدا من قوله
وقضى ربك الى قوله ولن تبلغ الجبال طولا امورا حسنه وليست بسيئه **قوله تعالى**
ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمه ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكه اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ان الله تعالى جمع في

هذه

هذه الايه انواعا من التكاليف بعضها من الاوامر وبعضها من النواهي وافتتح بقوله لا تجعل مع الله
الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكه اناثا انكم لتقولون قولا
عظيما ان الله تعالى جمع في هذه الايات انواعا من التكاليف بعضها من الاوامر وبعضها من النواهي
وافتتح بقوله لا تجعل مع الله الها اخر فان اصل التكاليف النهي عن عبادة غير الله والامر بعبادته تعالى
وختم بقوله ولا تجعل مع الله الها اخر فان الغرض والمقصود ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله
لا تجعل مع الله الها اخر الى هنا اي ولا تجعل مع الله الها اخر وسماه حكمه لان الحكمه معرفة الحق لذاته
والخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد هو القسم الاول وساير التكاليف تعليم الخيرات ليواظب
الانسان عليها ولا ينحرف عنها وهو القسم الثاني فثبت ان ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمه وقيل سماه
حكمه لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة ايه كانت
في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله وكتبنا له في الالواح من كل شي
موعظة وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمه
وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه السما وما اغنت عن الفلاسفه
اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم واعلم انه تعالى ذكر في الاولى ان الشرك يوجب ان كان
صاحبه مذموما مخذولا وذكر في الاخيرة ان الشرك يوجب ان يلقى صاحبه في جهنم ملوما مدحورا
فاللوم والخذلان في الدنيا والالقا في جهنم في الاخرى افاصفاكم لما نبه على فساد طريقه من اثبت
لله شريكا اتبعه بفساد طريق من اثبت الولد لله ثم نبه على كمال جهل هذه الفرقه وانهم اعتقدوا ان الولد
صنفين البنات والبنين اشرفهما البنون واخسهما البنات ثم انهم اثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم
بنهاية عجزهم ونقصهم واثبتوا البنات لله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية
له والجلال الذي لا غاية له وذلك يدل على نهاية جهل القايلين بهذا القول افاصفاكم خطاب للذين
قالوا الملائكه بنات الله والهمزه استفهام على سبيل الانكار اي افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا
بالبنين الذين هم افضل الاولاد لم يجعل لهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكه اناثا هي ادون الاولاد
وهذا خلاف ما عليه عادتكم فان العبيد لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من البنوه ويكون ارداها
وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم الى الله الاولاد وهي خاصه بالاجسام ثم
بانكم تفضلون عليه انفسكم تجعلون لله ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكه اناثا **قوله تعالى** ولقد
صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا التصريف تغيير الشي من جهة الى جهة وقد يطلق
ويراد به التبيين فان من حاول بيان شي فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع اخر والمعنى ولقد صرفنا
في هذا القران معنى العبر والحكم والامثال والحكم والحجج والاعلام وقيل معناه لم يجعل في هذا القران
نوعا واحدا بل وعدا او وعيدا او امرا او نهيا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا
مثل تصريف الرياح وتصريف الافعال من الماضي الى المستقبل ومن الفاعل الى المفعول ونحوها وقيل معناه انه
لم ينزل جمله واحده بل نجوما مثل قوله وقرانا فرقناه للناس والمعنى اكثرنا صرف جبريل اليك قال صاحب
الكشاف يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله عز وجل البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره
والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى اي اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير
بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفنا هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم ليذكروا
قرا حمزه والكسائي وخلف ليذكروا بفتح اليا وسكون الذال وضم الكاف مخففا والباقون بفتح التا
والذال مشددا وكذلك قراوا في الفرقان اما القراة الاولى ففيه وجهان الاول ان الذكر قد جا بمعنى

فيهم

التامل والتدبر لقوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا ما فيه والثاني ان يكون المعنى صرفنا هذه الدلايل ليذكروها بالسنتهم لان الذكر باللسان قد يودي الى تاثير القلب بمعناه واما القراة الثانية فالمعنى ولقد صرفناه ليتعظوا او ليتدبروا ويعتبروا ويطمينوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق واتباعه وقيل عن النظر والاعتبار قوله تعالى قل لو كان

وبُعدا

معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي قل يا محمد لهولا المشركين لو كان مع الله الهة كما تقولون قرا ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالتاء اذا دل على ان لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزا للو وقيل معنى لابتغوا لطلبوا اي الالهة القربة الى ذي العرش سبيلا والتمسوا الزلفة عنده عن قتاده يقول لو كان معه الهة كما تقولون لعرفوا الله فضله ومرتبته عليهم فابتغوا ما يقربهم اليه وقيل معناه اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ليقهروه ويزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض لقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه الله نفسه فقال سبحانه وتعالى عما يقولون قرا حمزه والكساى بالتاء والباقون بالياء علوا في معنى تعاليا والمراد البراة والنزاهة عما يقولون ووصف العلو بالكبر المبالغه في معنى البراة والبعد مما وصفوه به قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا تسبح قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم بالياء والباقون بالتاء المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على توحيد الله وقدرته وعزته وعلمه وقدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزهه تعالى عما لا يجوز عليه من الشركا والاولاد وغيرها ومن فيهن يسبحون على الحقيقه وهم الملايكه والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فقيل التسبيح المجازي متحقق في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز وقد عرفت انه لا يجوز وقيل وان من شي الا يسبح بحمده بلسان الحال ولكن لا تفقهون تسبيحهم قيل الخطاب للمشركين وهم وان قالوا الله ان سيلوا عن خالق السموات والارض الا انهم جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت بخلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق وعن ابن عباس وان من شي حي وعن الحسن والضحاك وان من شي فيه روح وعن قتاده يعني الحيوانات والناميات وعن عكرمة الشجر يسبح والاسطوانة لا تسبح انه كان حليما عن جهل العباد وغفلتهم حين لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء نظرهم وجهلهم بالتسبيح وشركهم غفورا لذنوب المومنين قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا لما تكلم في الاية المتقدمة فيما يتعلق بالتوحيد تكلم في هذه الاية فيما يتعلق بالنبوة واذا قرات القران يا محمد جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة بالبعث والثواب والعقاب اي المشركين حجابا يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به مستورا اذا استر لعقولهم فهو ذو انغام وقيل مستورا عن اعين الناس فلا يرونه عن سعيد ابن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب جات امراة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال يا رسول الله لو تنحيت عنها الا تسمعك فانها امراة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره فقالت لابي بكر رضي الله عنه هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق الشعر ولا يقوله قالت انك لمصدق فاندفعت راجعة فقال ابو بكر رضي الله عنه اما رايته قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت وقيل اراد انه حجاب من دونه حجاب

او حجب فهو مستور بغيره وقيل حجابا ساترا ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا على زعمهم بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا وقيل مستورا ان يا تواء بمثله اي القران وقيل حجابا مستورا به وقيل يجوز ان يكون حالا مما تقدم لا وصفا للحجاب وقيل ان قوما من الكفار كانوا يوذون النبي ويمنعونه من الخروج الى الصلوة فستره عن الاعين الظاهره عن كعب كان رسول الله يستتر من المشركين بثلاث ايات الاية الاولى التي في الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة والاية التي في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم والاية التي في الجاثية افرايت من اتخذ الهه هواه وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ولان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ومعنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القران وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده مصدر سد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده يعني قلت لا اله الا الله في القران وانت تتلوه ولوا على ادبارهم نفورا اي رجعوا على اعقابهم نفورا اما مصدر اي نفروا نفورا او اما جمع نافر كقاعد وقعود اي نفروا من استماع التوحيد اراد وان يذكر معهم الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران من اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازين اي ملتبسين بالهزء اذ يستمعون اليك نصب باعلم اي نحن اعلم بما يستمعون هازين وقت استماعهم واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم نجوى الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا هذا ما كانوا يتناجون به وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة وكانوا اذا ارادوا امشورة اجتمعوا هناك وقال بعضهم ان محمدا مسحور اي سحر فجن وقيل مسحور من السحر وهو الرية اي تقولون بشرا مثلكم ياكل ويشرب مثلكم تقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل وشرب من ادمي وغيره مسحور انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال شبهوا لك الاشباه ومثلوك فقالوا ساحر وكاهن وشاعر ومسحور ومجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه سبيلا يسلكه فلا يستطيعون سبيلا مخرجا ولا يهتدون الى طريق الحق متحيرين في امرك لا يدرون ما يصنعون قوله تعالى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا لما تكلم اولا في التوحيد ثم تكلم فيما يتعلق بالنبوة ثم في هذه الاية تكلم فيما يتعلق بالمعاد والبعث والقيامة وقالوا اي المشركون المنكرون للبعث ائذا كنا استفهام على سبيل الانكار عظاما ورفاتا عن ابن عباس غبارا وعن مجاهد ترابا والرفات ما تكسر وبلي من كل شي كالفتات والرضاض ائنا لمبعوثون خلقا جديدا انبعث ونخلق خلقا جديدا حين صرنا بعد الموت عظاما ورفاتا حطاما والعامل في ائذا لفظ من البعث كما ذكر لا المبعوث لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله قل كونوا لما قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا قيل لهم كونوا حجارة او حديدا افرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا او خلقا اكبر مما في صدوركم ولا تكونوا عظاما ورفاتا فسيعيدكم الله فانه يقدر على احيايكم والمعنى انكم تنكرون وتستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويردكم الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته

بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقته الذي يبنى عليه سائره فليس يستنكر ولا يبدع ان يردها الله سبحانه بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر وهو ان يكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعهما الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم اي او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وهو اكبر الاشياء في صدورهم اي لو كنتم الموت لاماتكم ثم احياكم وعن الكلبي هو البعث وعن مجاهد السماء والارض والجبال يقول كونوا ما شئتم فان الله تعالى يميتكم ثم يبعثكم فسيقولون من يعيدنا والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فان اعادة الحيوة ممكنة فعند ذلك قالوا من هذا الذي يعيدنا اذا كنا على هذا الوجه فقال تعالى قل يا محمد الذي فطركم اول مرة يعيدكم فسينغضون فسيحركون اليك رؤوسهم تعجبا واستهزاء اي اذا قلت لهم ذلك يحركون رؤوسهم تحرك متعجبين مستهزئين بها يقال نغضت سنه تحركت وانقلعت من اصلها ويقولون متى هو استبعادا ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب لان عسى من الله تعالى يفيد الوجوب بحكم الوعد والاخبار نظيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وقوله ولعل الساعة قريب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيامة وقيل يدعوكم من قبوركم وقيل يدعوكم اسرافيل وهو النفخة الاخيرة عن مقاتل وذلك ان اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور في قرن ويقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم عن ابن عباس الدعاء النداء بالخروج الى ارض المحشر نداء يسمعه جميع العباد ودعاه النداء بالصيحة التي يسمعونها فيكون داعية لهم في الاجتماع الى ارض القيامة فتستجيبون فيجيبون بحمده وقيل بامره ويقصدون نحو الداعي وقيل بمعرفته ودعائه اياهم وقيل بحمد الله لا بحمد منهم لانه حال اضطرار وقيل الباء للحال اي فتجيبون حامدين وقيل الدعاء والاجابة مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بالمركوب مما يشق عليه فيتأبى ويمتنع سيركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم فكاني باهل لا اله الا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وتظنون ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وقيل تستقصرون مدة موتهم لانهم لا يشعرون بالمدة التي مرت بهم وهم اموات عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم وقلت حين عاينوا يوم القيامة وقيل ان لبثتم بين النفختين يرفعون من العذاب وبينهما اربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلا **قوله تعالى** وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا وقل يا محمد لعبادي المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والاية نزلت في عمر بن

الخطاب

الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا من العرب شتمه فامره الله تعالى بالعفو وعن الكلبي كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم بالقول والفعل فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اي يردوا اخيرا على من اساء القول فيهم وقيل التي هي احسن شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الزجاج لا يذكروا غيرهم الا بالمحاسن ويكفوا عن مساويه وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا لهم هداكم الله رحمكم الله ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاق والمشاقة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم فسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل ان يشأ يرحمكم بالهداية والتوفيق او ان يشأ يعذبكم بالخذلان وقيل ان يشأ يرحمكم بالتوبة او ان يشأ يعذبكم بالاقامة على المعصية وقيل هذا خطاب للمؤمنين معناه قل يا محمد لعبادي المؤمنين ان يشأ يرحمكم فينجيكم من اعدائكم اي من اهل مكة او ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربنا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشنة وذلك قبل نزول اية السيف وربك اعلم بمن في السموات لما قال قبل ذلك ربكم اعلم بكم قال بعد وربك اعلم بمن في السموات اي علم ربكم غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بمن في السموات والارض وبكل شيء فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد هذا رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فمنهم من كلم الله ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من اصطفى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فقوله فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال صاحب الكشاف فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا **قوله تعالى** قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا المقصود من هذه الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة والله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الاية فقال قل ادعوا الذين زعمتم قيل هم الملائكة وقيل عيسى وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه سوى الله فلا يملكون اي المدعوون كشف الضر عنكم يعني البؤس والشدة والقحط الذي ابتلوا به سبع سنين

ولا تحويلا اي تحويل ذلك منكم الى غيركم وقيل ولا تحويلا من السقم الى الصحة والفقر الى الغنى نزلت حين
سكت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بهم من القحط اولئك الذين اولئك مبتدا الذين صفته
يدعون صلة الذين يبتغون خبره والمعنى اولئك الذين يدعونهم الهة وقيل يعبدونهم يبتغون اي
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي اولئك يبتغي
من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون
فكانه قيل اولئك يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف تزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم **قوله تعالى** وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او
معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا لما قال ان عذاب ربك كان محذورا بين ان
كل قرية مع اهلها لا محالة يؤول الى الاهلاك والتعذيب اي وما من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيامة اي مخربوها ومهلكوا اهلها بالسيف او معذبوها عذابا شديدا اذا كفروا وعصوا وقيل
هذه الاية عامة عن مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب كان ذلك في الكتاب في اللوح
المحفوظ مسطورا مثبتا مكتوبا **قوله تعالى** وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا
طغيانا كبيرا لما ذكر الدليل على فساد قول المشركين واتبعه بالوعيد اتبعه بذكر مسئلة النبوة
وذلك لان كفار قريش اقترحوا من رسول الله اظهار معجزات عظيمة كما حكى الله عنهم انهم قالوا لولا
ياتينا باية كما ارسل الاولون وقيل المراد ما طلبوه بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
وعن سعيد بن جبير ان القوم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان
يحيي الموتى فاتنا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى بقوله وما منعنا ان نرسل في محل النصب لانه
مفعول منعنا اي وما منعنا ارسال الايات الا ان كذب في محل الرفع تقديره وما منعنا ارسال الايات
شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين والمراد بالايات الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احيا
الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح من الرسول اية فاجاب الرسول اليها ثم لم يؤمن ان
يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما منعنا ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها
الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وان الايات لو ارسلنا بها لكذب هذه الاية تكذيب
الاولين وقالوا هذا سحر مبين كما تقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل بحكم العادة
وقد عزمنا ان نؤخر امر الاية التي ارسلت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحتها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا اية واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد
العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة مضيئة بينة فكفروا بها وجحدوا
بها من عند الله وما نرسل بالايات الغير المقترحة كايات القران الا تخويفا وانذارا بعذاب
الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قيل معناه ان الناس في قبضته لا يقدرون على
الخروج من مشيته وهو مانعك منهم وحافظك فلا تهتم وامض لما امرك به من تبليغ رسالتي
عن مقاتل احاط بالناس يعني اهل مكة وانها ستفتح والحوط الحفظ وحوطه تعهده
وقيل معناه واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش اي بشرناك بوقعة بدر
وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون

فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
قيل هي رؤيا عين وهي ما اري النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجايب والايات وكان ذلك
فتنة للناس فقوم انكروا وكذبوا وقوم ارتدوا وقوم صدقوا والعرب تقول رايت بعيني رؤية ورؤيا
وقيل هي ما اري النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بروحه دون بدنه فلما قصها النبي صلى الله
عليه وسلم على اصحابه افتتن بها ناس من المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين وعن ابن عباس
هي رؤيا منام راى انه يدخل مكة ويقوله قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين ومعنى الفتنة على هذا القول انه لما رجع من الحديبية اشتبه
على كثير منهم وجه الامر حتى قال ابو بكر رضي الله عنه اقال لكم تدخلوها في هذه السنة قالوا لا قال
فستدخلونها من بعد لا محالة وعن سعيد بن المسيب انها رؤيا منام وهو انه عليه السلام راى قردة
ينزون على منبره فساءه ذلك فقيل يا اولت فقال بنو امية وفي رواية راى قوما من بني امية يرقون
منبره وينزون عليه نزو القردة فساءه ذلك فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم ومعنى الفتنة على
هذا ما كان في ذلك الوقت والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي عند الجمهور شجرة الزقوم
التي ذكرت في قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم والمعنى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة
الملعونة في القران الا فتنة للناس وفتنة الناس في الشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا
وهي عند الجمهور شجرة الزقوم التي ذكرت في قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم والمعنى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس وفتنة الناس في الشجرة الملعونة
انها لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل ان محمدا يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه ينبت فيها شجرة
وانتم تعلمون ان النار تحرق الشجر فما تقولون في الزقوم فقال عبد الله بن الزبعرى انها الزبد والتمر
فقال تزقموا يا قوم فانها ما يخوفكم به محمد والله ما نعلم الزقوم الا الزبد والتمر فانزل الله تعالى ان
شجرة الزقوم طعام الاثيم ووصفها في والصافات فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وعن ابن عباس
ايضا الكشوث الذي يلتوي على الشجر وقيل هي اليهود وقيل هي قبيلة من العرب وقيل هي الشيطان
وقيل ابو جهل وقيل في الملعونة انها لما اشبه طلعها رؤس الشياطين والشيطان ملعون كانت
الشجرة ملعونة وقيل ان اكلها ملعون فاجرى الله اللعنة عليها وقيل سميت ملعونة لضررها والعرب
تسمي كل ضار ملعونا ومن حملها على اليهود وابي جهل فظاهر ونخوفهم بالنار وما فيها وما يزيدهم
التخويف الا طغيانا كبيرا كفرا وتجاوزا عن حد العصيان فكيف نخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من
الايات **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت
طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
لما ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قومه واهل زمانه بين ان
حال جميع الانبياء مع اهل زمانهم كذلك الا ترى ان اول الانبياء هو ادم ثم انه كان في محنة شديدة من
ابليس وقيل انه تعالى وصفهم بقوله وما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فبين ما هو السبب لهذا الطغيان
وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته فلهذا السبب ذكر قصة ابليس وادم واذ قلنا واذكر يا محمد
اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد قرا الكوفيون بهمزتين والباقون بهمزة مطولة
وهذا استفهام انكار اي لم ان لا افعل لمن خلقت طينا قيل حال من الموصول والعامل فيه

السجد اسجد وهو طين اى اصله طين وقيل حال من الراجع من الصله الى الموصول على معنى اسجد
لمن كان وقت خلقه طينا وقيل منصوب على التميز اى لمن خلقته من طين قال ارايتك الكاف للخطاب
وهذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على اى فضلته لم كرمته على وانا خير منه
فاختصر الكلام بحذف الجواب وهو قوله لم كرمته على وانا خير منه ثم ابتدا فقال لئن اخرتنى واللام
موطيه للقسم المحذوف قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بيا فى الوصل ووقف ابن كثير باليا وابن
عامر وعاصم وحمزه والكسائى بغير يا فى وصل ولا وقف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغوا
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا من الحنك واحتنك فلان ما عند فلان من العلم
اذا استقصاه والمعنى لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم وقيل لاضلنهم الا قليلا عن ابن عباس
هم اولياء الله الذين عصمهم قال الله اذهب ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجى وانما هو معناه
امض لشانك الذى اخترته خذلانا وطردا او تخلية وابعادا وقيل باعد عن جملة اوليائى بعد ان
عصيت فمن تبعك اى تبع امرك منهم من ذرية ادم فان جهنم جزاوك وجزاوهم غلب المخاطب على الغايب
ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات جزاء موفورا مكملا وانتصب جزاء على المصدر من معنى
تجازون الذى فى قوله فان جهنم جزاوكم او باضمار تجازون او انتصب على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور
وقيل هو تمييز تقول وفرت الشى فوفر فهو لازم متعد واستفزز واستخفف استخفه والفز الخفيف من
استطعت منهم من ذرية ادم بصوتك عن ابن عباس بدعائك الى معصية الله وعن مجاهد
بالغنا والمزامير واجلب من الجلبه وهى الصياح اى اجمع وصح والمعنى احثثهم عليه بالاغوا
والدعا الى طاعتك والصد عن طاعتى وعن مقاتل استعن عليهم بخيلك بركبان جندك
ورجلك ومشاتهم والرجل اسم جمع للراجل كركب اسم جمع لراكب وصحب اسم جمع لصاحب عن ابن
عباس ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل فى معصية الله فهو من رجل ابليس
قال صاحب الكشاف ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد
مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم
من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وشاركهم
فى الاموال قيل كل ما اصيب من حرام وانفق فى حرام وقيل المشاركة فى الاموال
والاولاد كل معصية يحملهم عليها كالزنا والمكاسب المحرمه والبحيرة والسايبه والانفاق فى
الفسوق والاسراف ومنع الزكوه والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير
نسب والتسميه بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمه
والاعمال المحظوره وغير ذلك وعدهم المواعيد الباطله والكاذبه من شفاعة الالهه والكرامه على الله
بالانساب الشريفه وتسويف التوبه ومغفرة الذنوب بدونها وايثار العاجل على الاجل
وما يعدهم الشيطان الا غرورا تغريرهم به والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب **قوله تعالى**
ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ان عبادى المخلصين ليس لك عليهم سلطان
لا تقدر ان تغويهم او تحملهم على ذنب لا يغفر وقيل لا سبيل لك على عبادى سوى وسوسة لهم
فى الدعا الى المعاصى وقيل ان عبادى الذين اطاعونى وعصوك ليس لك عليهم حجه وكفى بربك
وكيلا لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك **قوله تعالى** ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر
لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم
وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم

ان نعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا انه تعالى عاد الى ذكر الدلايل الداله على قدرته وحكمته ورحمته وقد علم بالاستقرا ان المقصود الاعظم
فى القران الكريم تقرير دلايل التوحيد فاذا امتد الكلام فى فصل من الفصول اعاد الكلام بعده الى ذكر
دلايل التوحيد والمذكور هاهنا الوجوه المستنبطه من الانعامات فى احوال ركوب البحر ربكم الذى يزجى
يجرى ويسير لكم الفلك لتبتغوا فى البحر لتبتغوا من فضله لتطلبوا الربح فى التجاره وقيل لتنالوا ما ليس عندكم مما تفضل
الله بخلقه لكم انه كان بكم رحيما هذا خطاب للمومنين ثم خاطب المشركين فقال واذا مسكم الضر فى البحر الرياح
وخوف الغرق بطل وزال من تدعون الا اياه وقيل ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم
الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعون فى ذلك الوقت ولا تعقدون رحمته احدا بكم ولا تخطرون
ببالكم ان غيره يقدر على اعانتكم وقيل لم يهتد لانقاذكم احد غيره من ساير المدعوين وقيل ضل من تدعون
من الالهه عن اعانتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحمل على الاستثنا المنقطع فلما نجاكم الى البر
اعرضتم عن الايمان والاخلاص والطاعه وكان الانسان الكافر كفورا لنعمة ربه افامنتم اذا خرجتم
من البحر ان يخسف بكم قرا ابن كثير وابو عمرو ان نخسف بكم او نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون
فى الكل والباقون باليا والهمزه فى افامنتم للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف بكم اى يغيبكم ويذهبكم فى ناحية البر والمعنى حكمى نافذ
فى البر نفوذه فى البحر فعلى هذا يكون جانب البر منصوبا على الظرف وقيل نصبه على انه مفعول به
كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى يقلب جانب البر وانتم عليه وذكر
الجانب معناه ان الجوانب والجهات كلها فى قدرته سوا وله فى كل جانب برا كان او بحرا سبب
مرصد من اسباب الهلكه ليس جانب البر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق فى جانب البحر
ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغيب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما فالبر والبحر
عنده سيان يقدر فى البر على ما يقدر فى البحر فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان او يرسل
عليكم حاصبا ريحا ترمى الحصبا وهى الحصا الصغار ولم يقل حاصبه لانه وصف لزم الريح ولم يكن لها مذكر
ينتقل اليه فى حال فكان بمنزلة قولهم حايض للمراه حين لم يقل رجل حايض وقيل الحاصب الحجار وقيل التراب
الذى فيه حصبا والمعنى ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم كالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم
فيها الحصبا ترجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق فى البحر والخسف فى البر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف
ذلك عنكم ويحفظكم وينصركم ام امنتم ان نعيدكم فى البحر تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا ريحا لها صوت
شديد كانها تتقصف اى تتكسر ولا تمر بشى الا قصفته فيغرقكم بكفرانكم بالنعمه باعراضكم حين نجاكم ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اى مطالبه قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع
يقال فلان على فلان تبيع بحقه اى مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا احدا
مطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا **قوله تعالى** ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم
فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا المقصود من هذه الايه
ذكر نعمه اخرى جليله وهى الاشيا التى بها فضل الانسان على غيره قال الامام الانسان جوهر مركب
من النفس والبدن فالنفس الانسانيه اشرف النفوس الموجوده فى العالم السفلى وبدنه اشرف الاجسام
الموجوده فى العالم السفلى وتقرير هذا التفضيل فى النفس الانسانيه هى ان النفس النباتيه
قواها الاصليه ثلاثه وهى الاغتذا والنمو والتوليد والنفس الحيوانيه لها قوتان الحساسه سوا كانت
ظاهره او باطنه والمحركه بالاختيار فهذه القوى الخمسه اعنى الاغتذا والنمو والتوليد والحس والحركه

فى بابها ح

عظم

ضل ء

فى البر على نحو ما يقدر عليه

حاصله للنفس الانسانيه ثم ان النفس الانسانيه مختصه بقوى اخرى وهى القوه العاقله المدركه لحقايق الاشيا
كما هى وهى التى يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهى التى تطلع على اسرار عالمى الخلق والامر
وتحيط باقسام مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هى وهذه القوه سنخ الجواهر القدسيه والارواح
المجرده الالهيه فهذه القوه لا نسبة لها فى الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسه النباتيه والحيوانيه واذا كان
كذلك ظهر ان النفس الانسانيه اشرف النفوس الموجوده فى هذا العالم واما بيان ان البدن الانسانى اشرف
اجسام هذا العالم فان الله تعالى كرم بنى ادم بالعقل والنطق والتمييز والخط وحسن الصوره وتعديل
القامه وامتدادها واكلهم باليد وتسلطهم على ما فى الارض وتسخير ساير الخلق لهم ونظافة ما يتناول
وفضلهم بالمطاعم واللذات فى الدنيا وقيل الرجال باللحى والنسا بالذوايب وقيل بان جعل امة محمد عليه السلام منهم
وحملناهم فى البر على الدواب وفى البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات المستلذات من المطاعم والمشارب
وعن مقاتل السمن والزبد والتمر والحلاوى وجعل رزق غيركم ما لا يخفى عليكم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
قيل استثنا للملايكه عن الكل فضلناهم على الخلايق كلهم غير طايفه من الملايكه جبريل وميكاييل واسرافيل
وملك الموت واشباههم وقيل المراد به جميع من خلقنا والعرب تضع الاكثر والكثير موضع الجميع والكل لقوله
عز وجل هل انبيكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون والمراد منه جميع الشياطين
عن زيد ابن اسلم فى قول الله عز وجل ولقد كرمنا بنى ادم قالت الملايكه ربنا انك اعطيت بنى ادم
الدنيا ياكلون فيها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا فى الاخره فقال وعزتى وجلالى لا اجعل ذريه
من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان وعن ابى هريره المومن اكرم على الله من الملايكه الذين عنده وقد توهم
صاحب الكشاف ان هذه الايه داله دلاله قطعيه على تفضيل الملك على البشر وشنع على من فضل البشر
على الملك وبالغ فى التشنيع كما هو عادته لقصوره عن بيان مدعاه بما هو يفيد المقصود ولقايل ان يقول
هذه الايه داله على كرامة بنى ادم على العموم وجميع افراد انواع البشر ليس لهم فضل على جميع المخلوقات لان
بعض افراد البشر اضل من الانعام فلهذا قال وفضلناهم على كثير ممن خلقنا واما من خلقنا يتناول لكل
من يعقل من المخلوقات وهو منحصر فى الملايكه والثقلين وخرج بنى ادم لان الشى لا يفضل على نفسه فيبقى
الملايكه والجن فذكر كثير لبيان كمية المفضل عليه الذى تقتضيه مقام مدح المفضل لا لنفى التفضيل
عما عدا المذكور ولا شك ان المقام مقام المدح ولهذا اكثر فى الايه ما ينبى عن غاية المدح من ذكر
الكرامه والتفضيل وتسخير الاشيا على الترقى كانه قيل ولقد كرمنا بنى ادم بكرامة ابيهم وسخرنا لهم
الاشيا ورزقناهم من الطيبات ثم فضلناهم تفضيلا كثيرا ولهذا اقدم قوله واذ قلنا للملايكه اسجدوا
لادم وهو لبيان كرامة ابيهم بجعله مسجود الملايكه **قوله تعالى** يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتى
كتابه بيمينه فاوليك يقرون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخره اعمى
واضل سبيلا لما ذكر انواع كرامات الانسان فى الدنيا شرح احوال اهل السعاده منهم فى الاخره
يوم منصوب باذكر اى اذكر يا محمد يوم ندعو كل اناس بامامهم عن ابن عباس رضى الله عنهم وعنه امام هدى
او امام ضلاله فيقال يا متبعى موسى يا متبعى عيسى يا متبعى محمد يا متبعى روسا الضلاله وعن
الحسن وابى العاليه وعطيه عن ابن عباس بامامهم بعملهم فيقال يا من عمل كذا وكذا وعن انس
ابن مالك وسعيد بن جبير وقتاده ومجاهد بامامهم بنبيهم فيقال يا امة موسى يا امة عيسى
يا امة محمد وعن عكرمه ومجاهد فى روايه بامامهم بكتابهم قيل كتابهم الذى انزل عليهم
فيقال يا اهل التوريه يا اهل الانجيل يا اهل القران وقيل كتابهم الذى فيه اعمالهم
فيقال يا صاحب الكتاب الذى فيه عمل كذا وكذا يا صاحب كتاب الخير يا صاحب كتاب الشر

بلغ اصلح

ودليل

ودليل هذا التاويل قوله فى سياق الايه فمن اوتى كتابه بيمينه اى فمن اوتى من هولا المدعوين كتابه الذى
فيه عمله بيمينه وهو المومن فاوليك يقرون كتابهم مرة بعد اخرى فيه بما فيه وهذا داب من اتاه كتاب فيه مسره
وابتهاج قيل اوليك لان من اوتى فى معنى الجمع قال صاحب الكشاف فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم
كان اصحاب الشمال لا يقرون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما فى كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالندا
على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحيا والخجل والانخزال وحبسة
اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراتهم كلا قراه واما اصحاب
اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرون كتابهم احسن قراة وابينها ولا يقنعون بقراتهم وحدهم حتى يقول
القارى لاهل المحشر هاوم اقروا كتابيه ولا يظلمون ولا ينقصون من جزا اعمالهم ادنى شى ومن كان فى هذه
اعمى فهو فى الاخره اعمى قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم اعمى فى الموضعين بغير اماله
وحمزه والكساى وابو بكر عن عاصم فى الموضعين بالاماله وابو عمرو باماله الاولى وفتح الثانيه وتاوله بمعنى
اشد عمى ولذلك لم يمله قال ابو على لان الاماله انما تحسن فى الاواخر واعمى ليس لذلك لان تقديره اعمى من
كذا فليس تم الا فى قولنا من كذا فهو اذا ليس باخر ويقوى هذا التاويل قوله واضل سبيلا فانما عطف اضل
الذى هو افعل من كذا على ما هو شبيه به عن ابن عباس فى رواية الضحاك من كان فى الدنيا اعمى عن معرفة قدرة
الله تعالى فى خلق الاشيا فهو عما وصف له فى الاخره اعمى وعن الحسن من كان فى الدنيا اعمى بالكفر فهو فى الاخره
اعمى لانه فى الدنيا يقبل توبته وفى الاخره لا يقبل وقيل من عمى عن ايات الله فى الدنيا فهو الذى
غيب عنه من امور الاخره اشد عمى وقيل من عمى عن نعم الله التى بينها فى قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك
فى البحر الى قوله تفضيلا فهو فى الاخره اعمى عن رشاده وصلاحه وقيل من كان فى هذه اعمى عن الحجه
فهو فى الاخره اعمى عن الجنه وهذا كله من عمى القلب فان قيل لم قال فى الاخره ولم يقل اشد عمى لان
العمى خلقه بمنزلة الحمره والزرقه والعرب تقول ما اشد حمرة زيد وما ابين زرقة عمرو وقيل ما
تقول ما احمر زيد او ما ازرق عمرا فالجواب ان المراد بهذا العمى عمى القلب وذلك يتزايد ويحدث
منه شى بعد شى فيخالف الخلق اللازمه التى لا تزيد نحو عمى العين والبياض والحمره **قوله تعالى** وان كادوا
ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوه وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا لما عدد تعالى فى
الايات المتقدمه اقسام نعمه على خلقه واتبعها بذكر درجات الخلق فى الاخره وذكر احوال
السعدا اردفه بما يجرى مجرى تحذير السعدا عن الاغترار بوساوس ارباب الضلال والانخداع
بكلماتهم المشتمله على المكر والتلبيس فقال وان كادوا روى عطا عن ابن عباس ان وفد ثقيف
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا متعنا باللات سنه وحرم وادينا كما حرمت مكه فابى ذلك
فاقبلوا يكررون مسالتهم وقالوا انا نحب ان تعرف العرب فضلنا عليهم فان خشيت ان تقول العرب
اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرنى بذلك فامسك رسول الله عنهم وداخلهم الطمع فنزلت الايه وروى
عطيه عن ابن عباس انهم قالوا اجلنا سنه حتى يهدى لالهتنا فاذا قبضنا الذى يهدى لالهتنا اسلمنا
وكسرناها فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجلهم فانزل الله هذه الايه وعن سعيد بن جبير
ان المشركين قالوا للنبى لا نكف عنك الا بان تلم بالهتنا ولو باطراف اصابعك فقال النبى صلى الله عليه
وسلم ما على لو فعلت والله يعلم انى لكاره فنزلت هذه الايه قيل هذا باطل لا يجوز ان يظن برسول
الله ولا ما ذكر عن عطيه من انه هم ان ينظرهم سنه وكل ذلك محال فى حقه وعن قتاده ان قريشا
خلوا برسول الله ليله الى الصباح يكلمونه ويفخمونه ويقولون انت سيدنا وابن سيدنا وما زالوا

يكلمونه حتى كادوا يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمهم الله من ذلك وانزل الايه وقيل ان المشركين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم وهولا الذين رايحتهم رايحة الصان
وذلك انهم كانوا يلبسون الصوف حتى نجالسك ونسمع منك فهم رسول الله ان يفعل ما يستدعي به اسلامهم
فنزلت هذه الايات وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيله واللام هي الفارقه بينها وبين النافيه والمعنى
ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا
ووعيدنا قال المفسرون وانما قال ليفتنونك لان في اعطايهم ما سالوا مخالفه لحكم القران لتفتري اي
لتختلق علينا غيره وتتقول علينا ما لم نقل وهو قولهم قل الله امرني بذلك يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد
وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحوه من ان يضيف الى الله ما لم ينزله عليه واذا لو فعلت ذلك واتبعت
مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي وقيل لاتخذوك وانت فقير محتاج اليهم ولولا
ان ثبتناك اي ولولا تثبيتنا لك على الحق بعصمتنا لقد كدت لقد قاربت تركن اليهم ان تميل الى خدعهم
ومكرهم شيا قليلا وعن ابن عباس وذلك حين سكت عن جوابهم والله اعلم بنيته وقيل الفعل في الظاهر
للنبي وفي الباطن للمشركين وتقديره لقد كدت تركن اليهم وينسبون اليك ما يشتهونه مما يكرهه فنسب
الفعل الى غير فاعله عند امن اللبس كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك اليوم تريد كدت تفعل فعلا
يقتلك غيرك من اجله فهذا من المجاز والاتساع اذا لو قاربت الركون اليهم ادنى ركنه لاذقناك ضعف
الحيوة اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات اي لاذقناك عذاب وعذاب القبر مضاعفين
قال صاحب الكشاف اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في
الممات اي اذقناك عذابا وهو عذاب القبر وعذاب في الاخره وهو عذاب النار والضعف
يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا
ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف
ثم اضيفت الصفه اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات ما يعقب الموت
من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة
الدنيا وما يوخر لما بعد الموت وفي ذكر الكيد وهو وتقليله مع اتباعها الوعيد الشديد
بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان مرتكبه
وارتفاع منزلته وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضاده لله عز وجل وخروج عن
ولايته وسبب موجب لغضبه فعلى المومن اذا تلا هذه الايه ان يجثو عندها ويتدبرها
فهي جديره بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشيه وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين قوله
تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا
قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وان كاد اهل مكة ليزعجونك
ويستخفونك بعداوتهم ومكرهم من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك
الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه
ولو اخرجوك لاستوصلوا عقيب اخراجك ولكن لم يخرجوك بل هاجرت بامر ربه وقيل من ارض
العرب وقيل من ارض المدينه وذلك ان رسول الله لما قدم المدينه حسدته اليهود لمقامه
بالمدينه وكرهوا قربه منهم فاتوه فقالوا يا محمد انبي انت قال نعم قالوا والله لقد علمت ما هذا
بارض الانبيا فان ارض الانبيا الشام وكان بها ابرهيم والانبيا فان كنت نبيا مسلم فات الشام

عذابا م

وقد

وقد علمنا انما يمنعك الخروج اليها مخافتك من الروم وان الله سيمنعك بها من الروم ان كنت رسوله
وهي الارض المقدسه وان الانبيا لم يكونوا بهذا البلد فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة
اميال من المدينه وفي بعض الروايات بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه وينظر اليه الناس فانزل الله تعالى هذه
الايه وقيل ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فانها
ارض المحشر والمنشر وارض الانبيا فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك
الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه ايه من سورة بني اسرايل بعد ما ختمت السوره وان كادوا ليستفزونك
وامره بالرجوع الى المدينه وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث والثاني اليق بالايه لان ما قبلها
خبر عن اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر وان هذه السوره مكيه قرا ابن عامر وحمزه والكسائي وحفص عن عاصم
خلافك بكسر الخا والف بعد اللام والباقون بفتح الخا وسكون اللام وخلفك وخلافك في معنى خلفك وقيل
لا يلبثون على خلافك ومخالفتك فسقط حرف الخفض سنة من قد ارسلنا سنة نصب نصب المصدر المؤكد
اي سن الله ذلك سنة اي انا سننا هذه السنه فيمن ارسلنا قبلك من رسلنا انهم اذا اخرجوا نبيهم او قتلوه
لم يلبثوا الا قليلا اي نزل العذاب بهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لم يتهيا لاحد ان يعلق تلك السنه قوله تعالى
اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة
لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا لما ذكر الله الالهيات
والمعاد والنبوات اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرفها بعد الايمان الصلوة فلذلك امر بها وقيل
انه تعالى لما قال وان كادوا ليستفزونك امره بالاقبال على عبادته لكي ينصره عليه فكانه قيل له لا تبال
بسعيهم في اخراجك من الارض فلا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله وداوم على ادا الصلوة فانه تعالى يدفع
مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبيا وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الذهاب اليه وكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة
وارجع الى مقرك ومسكنك واذا دخلته ورجعت اليه فقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج
صدق واجعل لي في هذا البلد سلطانا نصيرا في تقرير دينك واظهار شرعك اقم الصلوة اديها وادمها
واثبت عليها لدلوك الشمس بعد دلوك الشمس او عند دلوك الشمس والدلوك الغروب قاله ابن مسعود
والنخعي وابن زيد وعن ابن عباس في احدى الروايتين قال الفرا ورايت العرب تذهب في الدلوك الى غيبوبة
الشمس وهذا اختيار ابن قتيبه قال لان العرب تقول دلك النجم اذا غاب قال ذو الرمه مصابيح ليست
باللواتي تقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك ويقول في الشمس دلكت براح وبراح اسم للشمس مثل
قطام يريدون غربت والناظر يضع كفه على حاجبه لينظر ما بقي من غيابها ودليل هذا التاويل حديث عبد الله
بن مسعود انه كان اذا غاب حاجب الشمس صلى المغرب وافطر ان كان صايما وحلف بالله الذي لا اله الا هو
ان هذه الساعه لميقات هذه الصلوة وهي التي قال الله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
فيكون المعنى اقم الصلوة من وقت غروب الشمس الى غسق الليل وغسق الليل ظلمته وعن ابن مسعود الصلوة
المتعلقه بغسق الليل العشا وعن ابن عباس المغرب قال القاضي ابو يعلي فيحتمل ان يكون المراد بيان

وقت المغرب انه من غروب الشمس الى غسق الليل وعن الحسن المغرب والعشا وعن بن عمر وعن ابن عباس
في رواية وجابر وابي العالية وعطا وقتادة ومجاهد والحسن ومقاتل وجعفر بن محمد وعبيد بن عمير
دلوك الشمس زوالها والدليل عليه حديث ابي مسعود وعقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر وعن ابي برزة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا اقم الصلوة لدلوك الشمس وعن جابر بن عبد الله
دعوت النبي صلى الله عليه وسلم ومن شا من اصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اخرج يا ابا بكر فهذا حين دلكت الشمس فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت
الصلوات الخمس فدلوك الشمس الى غسق الليل صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا وتصديق هذا ان جبريل عليه
السلام حين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلوة انما بدا بصلوة الظهر عن عبد الله بن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عند باب الكعبة مرتين فصلى بي الظهر حين كان الفي مثل
الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شي بقدر ظله ثم صلى المغرب حين افطر الصايم ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم
صلى الصبح حين حرم الطعام والشراب على الصايم ثم صلى الظهر في المرة الاخرى حين كان ظل كل شي مثله
ثم صلى العصر حين كان ظل كل شي مثليه ثم صلى المغرب للوقت الاول لم يوخرها ثم صلى العشا حين ذهب ثلث الليل
ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت فقال يا محمد هذا وقت الانبيا من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين
الى غسق الليل اي اقباله بالظلام عن بن عباس بدو الليل قتادة المغرب مجاهد غروب الشمس ابو
عبيدة سواده قال قيس الرقيات ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا وقد غسق الليل يغسق
غسوقا وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا اي قراة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهذا
يدل على ان القراة ركن لا تجوز الصلوة بدونها وقيل يعني قراة الفجر اي ما يقرا به في صلوة الفجر وانتصاب
القران على وجهين احدهما انه عطف على الصلوة اي اقم قران الفجر والثاني نصب على الاغرا اي وعليك بقران
الفجر وقيل قران الفجر اجتماعه وبيانه ان قران الفجر كان مشهودا اي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
ينزل هولا ويصعد هولا فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار وهذا دليل واضح على تعلق
وجوب الصلوة باول الوقت واستحباب التغليس بصلوة الفجر وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة
وقيل من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثير ويجوز ان يكون قران الفجر حثا على طول القراة عن
ابي هريرة قال رسول الله فضل صلوة الجمعة على صلوة الفذ خمس وعشرون صلوة وتجتمع ملائكة
الليل والنهار في صلوة الصبح قال ابو هريرة اقرؤا ان شيتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا
ومن الليل اي وعليك بعض الليل فتهجد به اي فقم بعد نومك وصل قال المفسرون لا يكون التهجد
الا بعد النوم يقال تهجد اذا سهر وهجد اذا نام وقال بعض اهل اللغة يقال تهجد اذا نام وتهجد اذا
سهر وهو من الاضداد وقال الازهري المتهجد القايم الى الصلوة من النوم وقيل له متهجد لالقايه
الهجود عن نفسه كما يقال تحرج وتاثم به اي بالقران نافلة لك عبادة زايدة لك على الصلوات الخمس
وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زايدة وكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان
التهجد زيد لك على الصلوات الخمس المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم هذا
قول بن عباس وسعيد بن جبير وقيل انها زايدة على الفرض وليس فرضا فالمعنى تطوعا
وفضيلة والنافلة ما ليس بواجب وعن ابي امامة والحسن ومجاهد انما النافلة للنبي صلى الله
عليه وسلم خاصة قال مجاهد وذلك انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فما زاد على فريضته

فهو

فهو نافلة له وفضيلة وهو لغيره كفارة وقيل ان صلوة الليل كانت فرضا عليه في الابتدا ثم رخص له في تركها
فصارت نافلة وقيل ان النافلة للنبي وامته والمعنى ومن الليل فتهجدوا به نافلة لكم فخوطب النبي بخطاب
امته عسى من الله واجب بمقتضى الوعد والفضل قال اهل المعاني عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في
شي ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا في شي ثم لا يعطيه ذلك مقاما نصب على الظرف
اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا وقيل ضمن يبعثك معنى يقيمك اي عسى ان يقيمك مقاما
محمودا وقيل هو حال اي ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القايم فيه
وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وعن ابن مسعود وحذيفة
بن اليمان وبن عمر وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله والحسن ومجاهد في رواية ابي نجيح المقام
المحمود المقام الذي يشفع فيه لامته يحمد فيه الاولون والاخرون ويشرف فيه على جميع الخلايق
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا احدا خليلا لاتخذت ابن ابي قحافة خليلا ولكن صاحبكم
خليل الرحمن ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عن حذيفة ابن اليمان قال يجمع الناس في صعيد
واحد فلا تكلم نفس فيكون اول مدعو به محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت فذلك قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عن انس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يجتمع المومنون يوم القيمة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا
هذا فياتون ادم عليه السلام فيقولون يا ادم انت ابو الناس خلقك الله بيده واسجد لك ملايكته
وعلمك اسما كل شي فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر ذنبه
الذي اصاب فيستحيي ربه ولكن ايتوا نوحا عليه السلام فانه اول الرسل بعثه الله الى اهل الارض
فياتون نوحا فيقول لست هناك فيذكر خطيته وسواله ربه ما ليس له به علم فيستحيي ربه من ذلك
ولكن ايتوا ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام فياتون فيقول لست هناك ويذكر لهم النفس التي قتل
بغير حق فيستحيي ربه من ذلك فيقول ايتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه عيسى فيقول
لست هناك ولكن ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فياتوني فاقوم فامشي بين سماطين من المومنين حتى استاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايت
ربي وقعت ساجدا لربي فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع راسك قل يسمع وسل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة
ثم اعود اليه الثانية فاذا رايت ربي وقعت ساجدا لربي فيدعني الله ما شا الله ان يدعني
ثم يقال لي ارفع راسك يا محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه
ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الثالثة فاذا رايت ربي وقعت ساجدا
لربي فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقال ارفع راسك يا محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع
فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الرابعة
فاقول ما بقي الا من حبسه القران فيخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه
من الخير ما يزن برة وقل رب ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب
من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه
ذكره على اثره ذكر البعث وعن بن عباس والحسن وقتادة ادخلني المدينة مدخل صدق واخرجني
من مكة مخرج صدق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت هذه الاية

وقيل ادخلني المدينه واخرجني الي مكه اي لفتحها وقيل ادخلني مكه مدخل صدق واخرجني منها
مخرج صدق فخرج منها آمنا من المشركين ودخل ظاهرا عليهم يوم الفتح وقيل ادخلني مدخل صدق
الجنه واخرجني مخرج صدق من مكه الي المدينه وقيل ادخلني في النبوه والرساله واخرجني منها
مخرج صدق اي اخرجني مما يجب علي فيها وقيل ادخلني في الاسلام واخرجني منه اي من اذا ما وجب
علي فيه اذا جا الموت وقيل ادخلني في طاعتك واخرجني منها سالما غير مقصر في ادايها قيل ادخلني
الغار واخرجني منه وقيل ادخلني في الدين واخرجني من الدنيا وانا على الحق وقيل ادخلني الي مكة
واخرجني الي حنين وقيل ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق اي لا تجعلني ممن ادخل
بوجه واخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله وقيل ادخلني في بحر دلايل التوحيد
وتنزيهك وقدسك ثم اخرجني من الاشتغال بالدليل الي نور معرفة المدلول ومن التامل في اثار حدوث
المحدثات الي الاستغراق في معرفة الاحد الفرد المنزه عن التكثر والتغيرات وقيل ادخلني في كل ما تدخلني
فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك واخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبوديه
والمعرفه والمحبه والمقصود منه ان يكون صدق العبوديه حاصلا في كل دخول وخروج وحركه وسكون
واجعل لي من لدنك سلطانا حجة تنصرني على من خالفني وقيل ملكا وعزا قويا تنصرني على الكفر وتظهر
الاسلام على الكفر فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعد لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وقل جا الحق
القران والاسلام ودين الحق وعبادة الله وزهق الباطل الشيطان والشرك والاوثان
وعبادة الاصنام ومعنى زهق بطل واضمحل وكل شي هلك وبطل فقد زهق وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول البيت ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها ويقول
جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا **قوله تعالى** وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه
واذا مسه الشر كان يوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لما ذكر
الالهيات والنبوات والحشر والبعث واثبات القضا والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلوة ونبه
على ما فيها من الاسرار والمقام ذكر كل ذلك في القران اتبعه ببيان كون القران شفاء ورحمة وننزل
من القران من للبيان لقوله من الاوثان من القران بيان لمفعول ننزل وهو ما هو شفاء وحال
منه كان من الاوثان في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيانه فجميع القران
شفاء وقيل يجوز ان يكون للتبعيض على ان يكون من القران مفعولا به وما هو شفاء بدلا منه اي كل شي
نزل من القران فهو شفاء اي كل حصته ونصيب وبعض شفاء من الضلال لما فيه من الهدى للمومنين يزدادون
به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم
وكفرهم لقوله زادتهم رجسا الى رجسهم عن قتاده ما جالس هذا القران احد الا قام عنه بزياده او نقصان
ثم قرا هذه الايه واذا انعمنا على الانسان بالصحه والسعه اعرض عن ذكرنا كانه مستغن عنه
مستبد بنفسه وناى بجانبه تباعد منا بنفسه وتعظم وتكبر تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشي
ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره وهو من عادة المستكبرين
قرا ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة في بعض الروايات عنه بفتح النون وكسر الهمزة على الامالة
والكساي وخلف في ساير الروايات بكسرهما اتبعوا الكسرة الكسرة والباقون بفتحها على التفخيم

وهو

وهو اللغة العالية وعن ابن عباس ليؤوس الانسان ههنا الكافر والمراد به الوليد بن المغيرة واذا مسه الشر السقم
والضر والفقر والبلا كان يوسا قنوطا شديد الياس لا يرجو فضل الله قل يا محمد كل احد يعمل على شاكلته مذهبه
وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلاله من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي ارشدها مذهبا وطريقه عن ابن عباس على ناحيته مجاهد على
حدته الحسن وقتاده على نيته ابن زيد على دينه مقاتل على جبلته اي طبيعته الفرا على طريقته التي جبل
عليها ابو عبيده والقتيبي على خلقته وطبيعته وهو من الشكل يقال لست على شكلي ولا على شاكلتي وقيل على
اشتباهه من قولهم اشكل على هذا اي اشتبه وكل هذه الاقاويل متقاربه **قوله تعالى** ويسلونك عن
الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لما ختم الايه المتقدمه بقوله قل كل يعمل
على شاكلته وقد ذكرنا ان المراد منه مشاكلة الارواح للافعال الصادره عنها ذكر حال الروح وحقيقته
قيل ان رسول الله مر بقوم من اليهود فقالوا سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسلوه فيستقبلكم بما تكرهون
فاتاه نفر منهم فقالوا يا ابا القاسم ما تقول في الروح فسكت ونزلت هذه الايه قاله ابن مسعود وعن ابن
عباس قالت اليهود لقريش سلوا محمدا عن ثلاث فان اخبركم باثنين وامسك عن الثالثه فهو نبي سلوه
عن فتيه فقدوا وسلوه عن ذي القرنين وسلوه عن الروح فسالوه عنها ففسر لهم امر الفتيه في الكهف
وفسر لهم قصة ذي القرنين وامسك عن الروح ونزلت هذه الايه اختلفوا في المراد بالروح هاهنا
عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومقاتل ان المراد بهذا الروح ملك من الملايكه على خلقه هايله
الحسن وقتاده انه جبريل عليه السلام مجاهد عن ابن عباس خلق من خلق الله صورهم على صور بني
ادم وقيل انه عيسى وقيل انه القران قال ابو سليمان الدمشقي قد ذكر الله الروح في مواضع من القران
فغالب الظن ان الناقلين نقلوا التفسير من موضع الى موضع لا يليق به وظنوه مثله وانما هو الروح الذي
يحيى به ابن ادم قال صاحب الكشاف الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه
من امر الله اي مما استاثر الله بعلمه قال الامام المختار انهم سالوه عن الروح الذي هو سبب الحيوة
وانه صلى الله عليه وسلم اجاب عنه على احسن الوجوه وتقريره ان المذكور في الايه انهم سالوه عن الروح
والسوال عن الروح يقع على وجوه كثيره احدها ان يقال ماهية الروح اهو متحيز او حال في المتحيز
او موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وثانيها ان يقال ان الروح قديمه او حادثه وثالثها ان
يقال ان الارواح هل تبقى بعد الموت او تفنى ورابعها ان يقال ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها
وبالجمله المباحث المتعلقه بالروح كثيره وقوله ويسلونك عن الروح ليس فيه ما يدل على انهم عن اي هذه
المسايل سالوا الا انه تعالى ذكر في الجواب عن هذا السوال قوله قل الروح من امر ربي وهذا الجواب
يصلح لمسالتين من المسايل التي ذكرت احدهما السوال عن ماهية الروح والثانيه عن قدمها وحدوثها
اما البحث الاول فهو انهم قالوا ما حقيقة الروح وماهيته اهي عبارة عن اجسام موجوده في داخل هذا
البدن متولده من امتزاج الطبايع والاخلاط او هي عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب او هي عبارة
عن عرض قايم اخر بهذه الاجسام او هو عبارة عن موجود يغاير هذه الاشيا فاجاب الله عنه بانه موجود
مغاير لهذه الاجسام ولهذه الاعراض وذلك لان هذه الاجسام وهذه الاعراض اشيا تحدث من امتزاج
الاخلاط والعناصر واما الروح فانه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث قوله كن فيكون
فقالوا لما كان شيا مغايرا لهذه الاجسام ولهذه الاعراض فاجاب الله عنه بانه موجود يحدث بامر الله وتكوينه
وتاثيره في افادة الحيوة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصه نفيه فان اكثر
حقايق الاشيا وماهياتها مجهوله فانا نعلم ان السكنجبين له خاصيه تقتضي قطع الصفرا فاما اذا اردنا

ان نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصه فذاك غير معلوم فثبت ان اكثر الماهيات
والحقايق مجهوله ولم يلزم من كونها مجهوله نفيها فكذا هذا وهذا هو المراد من قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا واما البحث الثاني فهو ان لفظ الامر قد جا بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون
برشيد وقال فلما جا امرنا اي فعلنا فقوله قل الروح من امر ربي من فعل ربي وهذا الجواب يدل
على انهم سالوه ان الروح قديمه او حادثه فقال بل هي حادثه وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده
ثم احتج على حدوث الروح بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا يعني ان الارواح في مبدا الفطره تكون
خاليه عن العلوم والمعارف ثم تحصل فيها المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون في التغير من حال الى حال
وفي التبديل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من امر ربي
يدل على انهم سالوه ان الروح هل هي حادثه ام لا فاجاب بانها حادثه واقعه بتخليق الله وتكوينه
وهو المراد من قوله قل الروح من امر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال
وهو المراد بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ثم قال الامام فهذا ما نقوله في هذا الباب اعلم ان السلف
سكتوا عن بيان ان الروح متحيز او غير متحيز وان الروح والنفس شي واحد او شيان فلا فايده في
ذكر اختلافهم لانه لا برهان على شي من ذلك وامسك السلف عن ذلك لانهم لما راوا ان القوم سالوا
عن الروح فلم يجابوا والوحي ينزل والرسول بين اظهرهم علموا ان السكوت عما لم يحط العلم بحقيقته اولى
وقوله من امر ربي اي من علمه الذي منع ان يعرفه احد قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا الاكثرون
على ان المخاطبين بهذا هم اليهود لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة
وقد تلوت ومن يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وقيل
هم جميع الخلق روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع الخلق روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فقال بل نحن وانتم
لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا اما اعجب شانك ساعه تقول ومن يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا
وساعه تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجره اقلام والبحر يمده من بعده سبعه ابحر
ما نفدت كلمات الله وليس ما قالوه بلازم لان القله والكثره تدوران مع الاضافه
فيوصف الشي بالقله مضافا الى ما فوقه وبالكثره مضافا الى ما تحته فالحكمه التي اوتيها العبد خير كثير
في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليله **قوله تعالى** ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمه من ربك ان فضله كان عليك كبيرا لما بين في الايه الاولى ان
ما اوتيتم من العلم الا قليلا بين في هذه الايه انه لو شا ان ياخذ منهم ذلك القليل ايضا لقدر عليه ولين شينا
اللام الداخله على ان موطيه للقسم لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزا الشرط والمعنى والله لين
شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اي بالقران نمحوه عن الصدور والمصاحف والقلوب حتى لا يوجد له
اثر ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا في رد شي منه واعادته محفوظا مسطورا الا ان
يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن رحمه من ربك
تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقا القران محفوظا بعد المنه العظيمه في تنزيله
وتحفظه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانه
واخر ما تفقدون الصلوه وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه
شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم
الى يوم القيامه قال يسرى به في ليله فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب ثم قرا ولين شينا الايه

استدل

ان

ان فضله كان عليك كبيرا بسبب تنزيل القران عليك وحفظه عليك وانه جعلك سيد ولد
ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود **قوله تعالى** قل لين اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا
القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا قيل نزلت هذه الايه حين قال نضر بن الحارث
وغيره من المشركين لو نشا لقلنا مثل هذا فكذبهم الله قوله لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطيه
لجاز ان يكون جوابا للشرط اي لو لم تكن اللام في لين لجاز ان يقع لا ياتون مع وجود النون جوابا للشرط
لان قوله اجتمعت ماض فلما لم يعمل الاداه في الجزا الاول لا يعمل في الثاني والمثل الذي طلب منهم كلام له نظم
كنظم القران في اعلا طبقات البلاغه والظهير المعين اي لو تعاونوا على ان ياتوا بمثل هذا القران في
بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربه ارباب البلاغه والبيان لعجزوا عن الاتيان بمثله
ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه من الترغيب والترهيب
وانبا الاولين والاخرين وذكر الجنه والنار وقيل كل مثل من الامثال التي يجب الاعتبار بها فابى اكثر
الناس اكثر اهل مكه وقيل اراد اكثر الناس في ذلك الوقت الا كفورا الا جحودا قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه
قيل فلم يرضوا الا كفورا **قوله تعالى** وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنه من
نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملايكه قبيلا او يكون
لك بيت من زخرف او ترقى في السما ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا
لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجه وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح
الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيره فقالوا لن نومن لك قيل سبب نزول هذه الايه
ما منعها ان روسا قريش عتبه وشيبه وابا جهل وابا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث
وابا البختري والاسود بن المطلب وزمعه بن الاسود والوليد بن المغيره وعبد الله بن اميه واميه
بن خلف والعاص بن وايل ونبيها ومنبها اجتمعوا او من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند الكعبه
فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا
ليكلموك فجاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه قد بدا لهم في امره بدا وكان حريصا
على رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم
رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الابا وعبت الدين وسفهت الاحلام
وفرقت الجماعه فما بقي امر قبيح الا وقد جيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جيت بهذا الحديث تطلب
مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا
وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الري الذي ياتيك قد غلب عليك بذلنا اموالنا
في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون
ما جيتكم بما جيتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا
وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا
مني ما جيتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخره وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم
فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلادا ولا
اقل مالا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد
ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى
من ابائنا وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول

لامر

احق هو ام باطل فان صنعت ما سالناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وانه بعثك
رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعثت لهذا انما جئتكم من عند الله بما بعثني
فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله عز وجل
حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فان لم تفعل هذا فخذ لنفسك فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك وسله
فيجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك فانك تقوم في الاسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسال ربه هذا وما بعثت اليكم
بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السما كما زعمت علينا كسفا ان ربك ان شا فعل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله فان شا فعل ذلك بكم فقال قايل منهم لن نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة
قبيلا فلما قالوا ذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية فقال له يا محمد عرض عليك
قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك عند الله فلم تفعل ذلك ثم سالوك
ان تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا او من بك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما ترقى فيه
وانا انظر اليك حتى تاتيها وتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملايكة يشهدون لك انك كما تقول
وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك ثم انصرف وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو جهل حين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب
ديننا وشتم ابائنا وتسفيه احلامنا وسب الهتنا واني اعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر قدر ما اطيق
حمله فاذا سجد في صلاته فضخت راسه به وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا
لما فاته من متابعة قومه ولما راى من مباعدتهم فانزل الله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر قرا ابن كثير
وابن عامر ونافع وابو عمرو حتى تفجر بضم التا وفتح الفا وتشديد الجيم مع الكسر وعاصم وحمزة
والكساي بفتح التا وتسكين الفا وضم الجيم مع التخفيف فمن ثقل اراد كثرة الانفجار من الينبوع
ومن خفف فلان الينبوع واحد والينبوع عين ينبع الما منها او تكون لك جنة بستان من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها وسطها تفجيرا تشقيقا وتفتيحا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساي كسفا بتسكين السين في جميع القران الا في الروم
فانهم حركوا السين ونافع وابو بكر عن عاصم بتحريك السين اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة وابن عامر
بفتح السين هاهنا وفي باقي القران بتسكينها او تاتي بالله والملايكة قبيلا كفيلا وضامنا وشهيدا
وعيانا من قولهم لقيت فلانا قبلا وقبلا اي معاينة مجاهد هو جمع القبيلة اي باصناف
الملايكة قبيلة قبيلة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب واصله الزينة او ترقى في السما او تصعد
في السما ولن نومن لرقيك لاجل رقيك صعودك حتى تنزل علينا كتابا نقروه تامرنا فيه باتباعك قل
يا محمد سبحان ربي قرا ابن كثير وابن عامر قال والباقون قل هل كنت الا بشرا رسولا وليس ما سالتم
في قوى البشر وقدرته فكانه قال قد او ضحت لكم بما سبق من الايات ما يدل على نبوتي ومن ذلك
التحدي بمثل هذا القران فاما ما سالتم على طريق التعنت فليس في وسعي ولم يتوقف ثبوت النبوة
والرسالة عليه **قوله تعالى** وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى الا ان قالوا ابعث
الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا وما منع الناس ابن عباس يريد اهل
مكة ان يومنوا في محل النصب لانه مفعول منع اي وما منع اهل مكة من الايمان اذ جاهم
الهدى اي القران الذي فيه الارشاد والبيان الا ان قالوا في محل الرفع اي الا قولهم
في التعجب والانكار ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث الله ملكا رسولا فاجابهم الله بقوله

قل لو

قل يا محمد لو كان في الارض ملايكة يمشون في الارض مطمينين مستوطنين مقيمين لنزلنا عليهم
من السما ملكا رسولا لان الملايكة انما تبعث الى الملايكة لان رسول كل جنس ينبغي ان يكون منهم
قل يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني رسول اليكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا **قوله تعالى**
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا اذا
كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا لما اجاب عن شبهات القوم في انكار النبوة واردفها
بالوعيد الاجمالي وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا ذكر بعد هذا الوعيد الشديد على التفصيل
من يهد الله فهو المهتدي قرا نافع وابو عمرو بالياء في الوصل وحذفها في الوقف والباقون
حذفوها في الحالين من يهد الله عن ابن عباس من يرد الله هداه فهو المهتد ومن يضلل اي من سبق
لهم حكم الله بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مهتدين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال
والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك الضلال فلن تجد لهم اولياء يصرفونهم عن ذلك الضلال وعلم من هذه
الاية ان الهداية والاضلال بارادة الله وفعله ونحشرهم يوم القيامة اي ونسحبهم يوم القيامة على
وجوههم شاهده ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس ابن مالك ان رجلا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي امشاه على رجليه
في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة وقيل ونحشرهم مسحوبين على وجوههم وقيل ونحشرهم
مسرعين مبادرين فعبر بقوله على وجوههم عن الاسراع كما تقول العرب قدم القوم على وجوههم
اذا اسرعوا عميا لا يرون شيا يسرهم وبكما لا ينطقون بحجة وصما لا يسمعون شيا يسرهم وقيل عميا عن
النظر الى ما جعل الله لاوليايه وبكما عن مخاطبة الله وصما عما مدح به اولياه وقيل عميا وبكما وصما
كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك
لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم من كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى وقيل هذا يكون حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بكما
عميا صما لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك فقد قال الله تعالى وراى المجرمون
النار وقال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تعالى دعوا هنالك ثبورا ماواهم جهنم
كلما خبت اي سكن اللهب مع تقاحرها واصليها وقيل كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها
فيعادون خلقا جديدا فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله سبحانه
جزاهم ان سلط النار على اعضايهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافنا والاعادة ليزيد
ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث زدناهم سعيرا توقدا فلا تفتر ابدا قال ابن قتيبة يقال خبت النار
اذا سكن لهبها فاللهب يسكن والجمر يعمل **قوله تعالى** اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا لما قالوا ااذا كنا عظاما
ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله بقوله اولم يروا اي او لم يعلموا اي يعلمون ان الله
الذي خلق السموات والارض في عظمها وشدتها وكثرة اجزايها وقوتها قادر على ان يخلق مثلهم
في صغرهم وضعفهم كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال اانتم اشد خلقا ام
السما بناها وجعل لهم اجلا عطف على قوله اولم يروا ولا يجوز ان يعطف على خلق للفصل
بخبر ان وهو قادر على ان يخلق مثلهم ولا يجوز ان يعطف على ان يخلق لفظا ومعنى لانه لا يحسن ايقاع
القدرة على الاجل فتعين ان يكون معطوفا على اولم يروا والتقدير قد علموا بدليل العقل

ان قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم وان من جعل لهم اجلا لا ريب
فيه وهو القيمة لا بد وان ياتي به فظهر انه عطف عليه على التقدير وان مضى في الكلام ما يشعر
به المعنى وقيل قد تم الكلام عند قوله على ان يخلق مثلهم ثم قال وجعل لهم اجلا لا ريب فيه يعني
اجل البعث فابى الظالمون الا كفورا جحودا لذلك الاجل **قوله تعالى** قل لو انتم تملكون خزاين
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ان الكفار لما قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا فطلبوا اجرا الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر اموالهم وتتسع عليهم فبين الله لهم انهم لو
ملكوا خزاين الله لبقوا على بخلهم وشحهم وما اقدموا على ايصال النفع الى احد وعلى هذا التقدير
فلا فايدة في اسعافهم بهذا المطلوب الذي التمسوه قل لو انتم لو حقها ان تدخل على الافعال دون
الاسما فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على
شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به
من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا الوجه الذي تقتضيه علم الاعراب فاما
ما تقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح
البالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك
لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا او الخبر خزاين رحمة ربي
خزاين الارزاق وساير نعمه والمعنى لو ملكتم ما يملكه الله لامسكتم عن الانفاق خشية الفاقة وكان
الانسان اي الكافر قتورا اي بخيلا ممسكا يقال قتر يقتر وقتر يقتر اذا قصر في الانفاق ولا يتعدى
لامسكتم مفعول لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد
علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان
يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جا
وعد الاخرة جينا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
اعلم ان المقصود من هذا الكلام ايضا الجواب عن قولهم لن نومن لك حتى تاتينا بهذه
المعجزات القاهرة فقال تعالى انا اتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشيا التي طلبتموها
بل اقوى منها واعظم فلو حصل في علمنا ان فعلها في زمانكم مصلحة لفعلناها كما فعلنا في حق
موسى فدل هذا على انا انما لم نفعلها في زمانكم لعلمنا انه لا مصلحة في فعلها ولقد اتينا موسى
تسع ايات بينات عن ابن عباس هي العصا واليد البيضا والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق
البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات وعن عكرمة وقتادة
ومجاهد والشعبي وعطا هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد
والسنون ونقص من الثمرات وعن القرظي قال سالني عمر بن عبد العزيز عن الايات التسع فقلت
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات وعصا موسى ويده والطمس والبحر
فقال عمر وانا اعرف ان الطمس احدهن قال محمد بن كعب ان الرجل منهم كان مع اهله
في فراشه وقد صار حجرا وان المراة منهم لقايمة تختبز وقد صارت حجرا وان المراة منهم لفي الحمام
وانها لحجر فقال عمر كيف يكون الفقه هكذا ثم دعا بخريطة فيها اشيا مما كانت اصيبت
لعبد العزيز بن مروان بمصر حين كان عليها من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة
بنصفين وانها لحجر واخرج الجوز مشقوقة وانه لحجر واخرج اشباه ذلك من الفواكه وانها

رحمة

الحجارة واخرج دراهم ودنانير وفلوسا وانها لحجارة فعلى هذه الاقوال تكون الايات بمعنى الدلالات والمعجزات
عن صفوان المرادي ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الاخر لا تقل انه نبي
فانه لو سمع ذلك لصارت له اربع اعين فاتياه فسالاه عن تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي
سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يا يهود الا تعدوا
في السبت فقال فقبلا يديه وقالا نشهد انك نبي الله فسل يا محمد بني اسرائيل اي المومنين من بني
اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات ليزداد يقينا وطمانينة قلت لان الادلة اذا تظاهرت
كان ذلك اقوى واثبت لقول ابرهيم عليه السلام ولكن ليطمين قلبي وقيل وانما امر ان يسال من امن منهم عما
اخبر به عنهم ليكون حجة على من لم يومن منهم اذ جاءهم متعلق باتينا وقيل باضمار اذكر وقيل باضمار يخبرونك
ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباهم فقال له اي لموسى فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اسحرت فخولط عقلك
ابن عباس مخدوعا وعاجزا وحملت على ما يقول ابو عبيدة ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل
كما يقال هو مشوم وميمون اي شائم ويامن قال موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هولاء الايات
الا رب السموات والارض بصاير بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وانتصاب بصاير على الحال وقيل يجوز ان يكون نصبها على المفعول له اي لتبصر بها وقرا
الكسائي علمت بضم التاء على معنى اني لست مسحورا كما وصفتني بل علمت ما انزل هولاء الايات الا رب
السموات والارض والباقون بفتح التاء فقارع موسى ظن فرعون بظنه وقال اني لاظنك يا فرعون
مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا ملعونا مغلوبا ناقص العقل
ممنوعا من الخير مهلكا يقال ثبر الرجل فهو مثبور اذا اهلك وتقول العرب ما ثبرك عن هذا اي ما
منعك قال اكثر المفسرين الظن ها هنا بمعنى العلم على خلاف ظن فرعون في موسى وقيل
مراده ان ظني اصح من ظنك لان له امارات ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات
الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا
قول كذاب فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر
الارض بالقتل والاستيصال فاغرقناه فحاق به مكره بان استفزه الله واغرقه مع قبطه جميعا
وفي هذه الاية تنبيه على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما اخرج موسى فطلبه
فرعون هلك فرعون وملك موسى وكذلك اظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع اليها ظاهرا
عليها وقلنا من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها
وقيل ارض فلسطين والاردن فاذا جا وعد الاخرة اي القيامة جينا بكم لفيفا جمعا من قبايل شتى
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم وبالحق انزلناه القران اي بالامر الثابت
والدين المستقيم انزلنا القران وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير وقيل
وبالحق انزلناه اي بالتوحيد وبالحق نزل اي بالوعد والوعيد والامر والنهي وقيل وما انزلناه
من السما الا بالحق محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بالملايكة من تخليط الشياطين
قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا قل امنوا به او لا تومنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا المقصود ان هولاء الجهال الذين يقترحون عليك هذه المعجزات ويتمردون عن قبولك

دينك لا تأس عليك من كفرهم فانى ما ارسلتك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين فان قبلوا الدين الحق
انتفعوا به والا فليس عليك من كفرهم شئ وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه احكمناه وفصلناه وبينا
حلاله وحرامه وفرقنا به بين الحق والباطل لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه
تنزيلا نجما بعد نجم على حسب الحوادث قل يا محمد لكفار مكة امنوا بالقران او لا تؤمنوا به امر بالاعراض
عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وفيه تهديد عظيم
ان الذين اى انهم ان لم يؤمنوا به وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا
الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود فى كتب
الانبياء ان الذين اوتوا العلم مجاهد انهم ناس من اهل الكتاب ابن زيد انهم الانبياء وقيل طلاب الدين كابى
ذر وسلمان وورقة بن نوفل من قبله من قبل نزول القران وخروج محمد اذا يتلى عليهم يخرون يسقطون
للاذقان اى على الاذقان وهو جمع ذقن والذقن مجتمع اللحيين عن ابن عباس للاذقان اى للوجوه
قال الزجاج الذى يخر وهو قائم انما يخر لوجهه فاذا ابتدا يخر فاقرب الاشيا من وجهه الى الارض الذقن
فلذلك قال للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تعظيما لامره وتنزيها لله تعالى عن تكذيب المكذبين
بالقران ان كان انه كان وعد ربنا فى الكتب المنزلة المبشرة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران
لمفعولا اى انجز الله وعده وهولا قوم كانوا يسمعون ان الله باعث نبيا من العرب ومنزل عليه كتابا فلما عاينوا
ذلك حمدوا الله تعالى على انجاز الوعد ويخرون للاذقان كرر القول ليدل على تكرار الفعل منهم
يبكون ويزيدهم نزول القران خشوعا خضوعا وتواضعا لديهم ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل
لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا ويجوز ان يكون تعليلا له على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه
كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم يؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم
ومعنى اللام فى للاذقان انهم جعلوا اذقانهم للخرور واختصوا به لان اللام للاختصاص **قوله تعالى**
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره
تكبيرا عن ابن عباس رضى الله عنهما تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول
فى سجوده يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا وهو الآن يدعو الهين اثنين
الرحيم والرحمن ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى هذه الاية
وعن ميمون بن مهران كان النبى صلى الله عليه وسلم فى اول ما اوحى اليه يكتب باسمك اللهم حتى نزلت
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال مشركو العرب هذا الرحيم
نعرفه فما الرحمن فنزلت هذه الاية وعن الضحاك قال اهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله فى التورية هذا الاسم فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن والدعا بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما
استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله
او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى ايا عوض
من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما فى اى اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء
الحسنى والضمير فى فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا
لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما من الاسماء ومعنى كونها احسن الاسماء انها

مستقل

مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمعوا المشركون ذلك سبوا القران ومن انزله ومن جاء به
ورموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخنى ولغوا وربما صفقوا وربما صفروا وغلطوا النبى صلى الله
عليه وسلم وخلطوا عليه قراءته فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف
لانه لا يلتبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار والمعنى
ولا تجهر حتى تسمع المشركين فيؤذوك ولا تخافت حتى لا يسمع من خلفك حتى يأخذوا عنك وعن سعيد
بن جبير كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القران فى المسجد الحرام فقالت قريش لا تجهر بالقراءة
فتؤذى الهتنا فنهجو ربك فانزل الله ولا تجهر وعن مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى فى دار ابى سفيان بن الحرث عند الصفا يجهر بقراءته فمر به ابو جهل فقال لا تفتر على الله فخفض
النبى صلى الله عليه وسلم صوته فقال ابو جهل للمشركين الا ترون ما فعلت بابن ابى كبشة رددته
عن قراءته فانزل الله ولا تجهر وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر الصديق
رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة فى صلاته ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر رضى الله
عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابو بكر حين نزلت هذه الاية
ان يرفع صوته شيئا وامر عمر ان يخفض صوته شيئا وعن عائشة رضى الله عنها نزلت هذه الاية فى التشهد
كان الاعرابى يجهر فيقول التحيات لله والصلوات ويرفع بها صوته فنزلت هذه الاية وعن الحسن
لا ترائى بصلاتك فى العلانية ولا تسيئها فى السر وعن ابن عباس لا تصل مرائيا للناس ولا تدعها مخافة
الناس وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل
وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وابتغ السبيل مثلا لانحاء الوسط فى القراءة انه
تعالى لما امر ان لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى علم كيفية التحميد فقال وقل الحمد لله الذى لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به وقيل لم يوال
احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وقيل لم يخالف احدا وقيل لم يكن له ولى من اليهود والنصارى
لانهم اذل الناس فيكون من الذل صفة لولى وكبره تكبيرا اى عظمه تعظيما تاما

سورة الكهف

سميت بها لاشتمالها على قصة اصحاب الكهف وهى مكية عن ابن عباس والحسن
ومجاهد وقتادة قيل هذا اجماع المفسرين من غير خلاف نعلمه وقد روى عن ابن عباس
وقتادة ان فيها اية مدنية وهى قوله واصبر نفسك وعن مقاتل من اولها الى قوله صعيدا جرزا
مدنى وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الايتان مدنية وباقيها مكى وهى ستة الف
وثلثمائة وستون حرفا والف وخمسمائة وتسعة وسبعون كلمة ومائة وعشر ايات وهى من افضل
سور القران روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات
والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اى سورة هى يا رسول الله قال سورة الكهف من
قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام فى رواية انس ومن
قرأها اعطى نورا بين السماء والارض ووقى بها فتنة القبر وروى ابو الدرداء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ عشر ايات من اول الكهف ثم ادرك الدجال لم يضره ومن حفظ
خواتيم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة وسبب نزول هذه السورة ما ذكره محمد
ابن اسحق مشروحا فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش كان يؤذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قدم الحيرة وتعلم بها احاديث رستم واسفنديار وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر الله وحذر قومه ما اصاب من كان قبلهم من الامم
كان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال انا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلموا فانا احدثكم باحسن
من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه وبعثوا معه عقبة بن ابي معيط الى احبار
يهود بالمدينه وقالوا لهما سلوا عن محمد وعن صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا
من علم الانبيا فخرجا حتى قدما المدينه فسالا احبار اليهود عن احوال محمد فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث
عن فتية ذهبوا في الدهر الاول فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغربها وسلوه
عن الروح ما هو فان اخبركم فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكه قالا قد جئناكم بفصل ما
بيننا وبين محمد واخبراهم بما قالت اليهود فجاوا رسول الله وسالوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يقل ان شا الله فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يذكرون خمس عشرة ليله فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه الذي كان ياتيه من الجن
وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه الى غير ذلك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى
الامر الذي اراد الله عتاب محمد اليه جاءه الوحي من الله فجاءه جبريل من عند الله بسورة اصحاب الكهف
وفيها معاتبة الله اياه وفيها خبر اوليك الفتيه وخبر الرجل الطواف **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا لقن الله تعالى عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه
على اجزل نعمايه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب
نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا قيما اي لم يجعل له شيا من العوج قط اي لم يزل له عن طريق الاستقامه
والعوج فقد الاستقامه في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والجثث كالعصا والحايط والمراد
نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شي منه من الاصابه قيما قايما بمصالح العباد وبالاحكام من
الشرايع ونصب قيما بمضمر اي ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له
الاستقامه وفايدة الجمع بينهما التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامه ولا يخلو من ادنى عوج
عند السبر والتصفح فقوله ولم يجعل له عوجا اشاره الى ان القران كامل في ذاته وقيما اشارة الى
انه مكمل لغيره ونظيره قوله تعالى في وصف الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب
فيه اشاره الى انه في نفسه بالغ في الصحه وعدم الاحتمال الى حيث يجب على العاقل ان لا يرتاب
فيه وقوله هدى للمتقين اشاره الى انه سبب لهداية الخلق وقيل قيما على ساير الكتب مصدقا لها
شاهدا بصحتها ولما ذكر انه انزل الكتاب الموصوف بالاوصاف المذكوره عقبه ببيان ما
لاجله الانزال فقال لينذر باسا شديدا من لدنه انذر متعد الى مفعولين لقوله تعالى انا انذرناكم
عذابا قريبا واقتصر هاهنا واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا لان الغرض المسوق اليه
هو المنذر به فوجب الاقتصار عليه ويحتمل ان يكون الاقتصار على المنذر به لافادة العموم في
المنذر فان المراد انذار الكل ولما كان دفع الضرر اهم عند العقل من ايصال النفع قدم الانذار
على التبشير في اللفظ والباس يقوله بعذاب بيس والباس العذاب وقد بوس العذاب وبوس
الرجل باسا وباسة من لدنه اي باسا شديدا صادرا من عنده ويبشر عطف على لينذر اي وليبشر
المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي الجنه وقيل نعم الجنه وقيل الثواب
الوافر في الجنه ماكثين مقيمين دايمين حال من الضمير في لهم فيه اي في الاجر الحسن ابدا ظرف
لانه زمان لا اخر له **قوله تعالى** وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا

لاباءهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وينذر معطوف على ينذر في قوله
لينذر والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فالاول عام في حق الكل او في حق الذين كفروا والثاني خاص بالذين
قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب في الملايكه وعادة
القران جاريه بانه اذا ذكر قضيه كليه عطف عليها بعض جزيياتها تنبيها على كون ذلك البعض اعظم
جزييات ذلك الكل لقوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكايل وكذا هاهنا هذا
العطف يدل على ان اشد انواع الكفر اثبات الولد لله ما لهم ما للذين قالوا اتخذ الله ولدا به بالولد او
باتخاذه من علم ولا لاباءهم معناه ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للابا فان قيل
اتخاذ الولد في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم اجيب بان معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته
فان انتفا العلم بالشي قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه محال في نفسه لا يمكن تعلق
العلم به ونظيره قوله تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به قوله ولا لاباءهم يريد اباهم
الذين اخذوا هذه المقاله عنهم وهذا مبالغه في كون تلك المقاله فاسده باطله قوله كبرت كلمة اي
عظمت كلمه نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمه تفيد استعظاما
لاجترايهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان ويحدثون بها انفسهم من
المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به وينطق به السنتهم بل يكظمون عليه تنفيرا من اظهاره فكيف بمثل هذا
المنكر والضمير المستتر في قوله كبرت عايد الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمه كما يسمون القصيده كلمه ان يقولون
الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا **قوله تعالى** فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
اسفا بخع الرجل نفسه اي قتلها غما وباخع نفسك اي قاتلها غما على اثارهم اي من بعد ذهابهم عنك انهم لم يومنوا
بهذا الحديث اسفا مفعول له والاسف المبالغه في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ويجوز
ان يكون حالا من ضمير باخع شبه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والكفار حين تولوا عنه ولم يومنوا به
وما تداخله من الوجد والاسف برجل فارقه احبته واعزته فهو يتحسر قط على اثارهم ويبخع نفسه اسفا
عليهم وتلهفا على فراقهم وقيل على اثارهم استعاره لطيفه من حيث ان لهم ادبارا وتباعدا عن الايمان
واعراضا عن الشرع فكانهم من فرط ادبارهم واعراضهم قد بعدوا فهو في اثارهم يحزن عليهم والمقصود
منه ان يقال للرسول لا يعظم حزنك واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا ومبشرا فاما ادخال
الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عنه **قوله تعالى** انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا هذه الايه لتسليط
للتسليه كانه تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها وانواع المنافع والمصالح اختبارا وامتحانا
للناظرين اليها ايهم احسن عملا ثم انهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا اقطع عنهم مواد النعم فانت
ايضا يا محمد لا ينبغي ان تنتهي في الحزن بسبب كفرهم الى ان تترك الاشتغال بدعوتهم الى الصراط
المستقيم والدين القويم انا جعلنا ما على الارض اي ما يصلح ان يكون للارض زينه عن ابن عباس
هي الرجال وعنه هي الخلفا والعلما والامرا وقيل هي النعم والملابس والثمار والخضر والمياه ونحو
هذا مما فيه زينه من جهة خلقته وصنعته واحكامه وفي معنى هذه الايه قوله صلى الله عليه وسلم
الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا وقيل
النبات والشجر وضم بعضهم اليه الذهب والفضه والمعادن وضم بعضهم اليه ساير الحيوان وقيل
الزينه الناس وبالجمله فليس على الارض الا المواليد الثلاث وهي المعادن والنبات والحيوان

واشرف انواع الحيوان الانسان وقيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف لانه تعالى قال
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل فيه واما ساير الناس
والحيوان فانهم يدخلون فيه لدخول ساير ما ينتفع به وقوله زينة لها اي للارض وقيل المراد زينة
لاهلها ولا يمتنع ان يكون ما يحسن به الارض زينة للارض كما جعل الله السماء مزينة بالكواكب والمراد
بقوله لنبلوهم انه يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غير الله لكان على سبيل الابتلا والامتحان
ايهم احسن عملا اي ايهم ازهد فيها واترك للاغترار بها وقيل احسن عملا اي اطوع لله واشد استمرارا
عليه لان من هذا حاله هو الذي يفوز بالجنة وكان ابي رضي الله عنه يقول احسن العمل الاخذ بحق
والانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوبات قال الزجاج
ايهم رفع بالابتدا الا ان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنختبر ونمتحن اهذا احسن عملا ام ذاك

قوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا انه تعالى بين انه انما زين الارض لاجل الامتحان
والابتلا لا لاجل ان يبقى الانسان فيها متنعما بها ابدا فزهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون
ما عليها من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل الارض بيضا لا نبات عليها وقيل الجرز الارض التي لا شي
فيها من عمارة وزينة وهذا حال الارض العامرة الحالية بالزينة لابد من هذا في الدنيا جزءا جزءا من
الارض ثم اعمه ذلك باجمعها عند القيامة يقال جرزت الارض فهي مجروزة وجرزها الجراد والشا
والابل اذا اكلت ما عليها **قوله تعالى** ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى
الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا مذهب سيبويه في ام
اذا جاءت دون ان يتقدمها همزة استفهام انها بمعنى بل وهمزة الاستفهام كانه قال بل احسبت
اضرابا عن الحديث الاول واستفهاما عن الحديث الثاني قيل معنى الكلام تقرير النبي صلى الله عليه وسلم
على حسبانه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى او كان ذلك عليه اي لا يعظم ذلك بحسب ما اعظمه عليك
السايلون من الكفرة ولا تحسبن ذلك فان اياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على خلق السموات
والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا
جرزا خاليا عن الكل كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته ابقا حيوة طايفة مدة وحفظهم
هذه المدة في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار والرقيم اسم كلب
اصحاب الكهف قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
روى عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القران معلوم الا اربعة غسلين وحنان والاواه
والرقيم وروى ايضا عكرمة عنه انه سيل عن الرقيم فقال زعم كعب انها القرية
التي خرجوا منها وعن سعيد بن جبير ومجاهد الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتب
فيه اسماوهم وقصتهم وشد ذلك اللوح على باب الكهف فان الرقيم هو الكتاب والاصل فيه المرقوم
ثم حول الى فعيل والرقم الكتابة قال الله تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب وقيل الناس رقموا حديثهم
نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف والجبل الذي فيه الكهف وقيل مكانهم بين
غضبان وايله دون فلسطين وقيل الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف وقيل الرقيم كتاب مرقوم
كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقيل من دين قبل عيسى وقيل كتاب عمى الله علينا
امره ولم يشرح لنا قصته وقيل الرقيم دراهمهم وقيل الرقيم الدواة كانوا من اياتنا عجبا

المراد

المراد احسبت ان واقعتهم كانت عجيبة في جنب مخلوقاتنا والعجب مصدر جعل خبرا للمبالغة وسمي به
المفعول به والتقدير كانوا من اياتنا معجوبا منهم اذ اوى لا يجوز ان يكون اذ ههنا متعلقا بما قبله
على تقدير ام حسبت اذ اوى الفتية لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة
فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي اوى الفتية الى الكهف بل اذ ههنا متعلق بمحذوف
والتقدير اذكر اذ اوى ومعنى اوى الفتية الى الكهف صاروا الى الكهف وجعلوا الكهف ماواهم
والفتية جمع فتى قيل الفتية من ابنا اشراف مدينة دقيانوس وكانوا مطوقين مسورين بالذهب
وكانوا من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واما اسماوهم فهي اعجمية والسند في
معرفتها واه ولكن التي ذكرها الطبري هذه مكسلمينا ومشلينيا وتمليخا وهو الذي مضى بالورق
الى المدينة عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكسوطونس وبيرونس ودنيموس وبطونس واختلف الرواة
في قصص هولا الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم الى الكهف واكثر المورخون في ذلك ولكن نختصر
من حديثهم ونذكر ما لا يستغني تفسير الاية عنه ونذكر من الخلاف عيونه روى مجاهد عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هولا الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر بالله وتابعه
على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مومني الامم
قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكر فعلموا ببصايرهم قبح فعل الناس فاخذوا انفسهم بالتزام الدين وعبادة
الله تعالى فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها
فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل
فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي انهم قالوا
نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل انا اني
فاذهبوا الى منازلكم ودبروا اراءكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر
خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب بادينهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل
كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فلنذهب اليه فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون
بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وقيل انهم كانوا اسقفين
واسقف النصارى رئيس من روسايهم في الدين لحضر عيد خرجوا اليه فركبوا في جملة الناس
ثم اخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروت فرقة ان الفتية كانوا من ابنا الاشراف
لحضر عيد لاهل المدينة فراى الفتية ما يمتثله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الاصنام والذبح
لها فوقع الايمان في قلوبهم واجمعوا على مفارقة الناس لئلا ينالهم العذاب معهم فزايلوا الناس
وذهبوا الى الكهف وروى وهب بن منبه ان امرهم انما كان ان حواريا لعيسى بن مريم جا الى مدينة
اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام
في اعماله بركة عظيمة فالقى فيه بكل امره وعرف الرجل فتيان من اهل المدينة فنشر فيهم الايمان
وعرفهم الله تعالى فامنوا واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يوما ذلك الى الحمام ولد الملك بامراة
اراد الخلو بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى عزمه في دخول
الحمام مع البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه بقتله ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف
وقيل ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابنا العظما مطوقين مسورين ذوي ذوايب فتداخلهم الايمان
افرادا ولزم كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر فاخرجهم الله في يوم واحد لما اراده بهم
فخرج احدهم فجلس في ظل شجرة على بعد من المدينة فخرج ثان فلما راى الجالس جلس اليه ثم الثالث ثم

الباقون حتى كمل جمعهم في ظل الشجرة فالقى الله في نفوسهم انه عرضهم احد فسالوا ففزع بعضهم من بعض وكتموا ثم تراضوا ان رجلين منهم وقالوا انفردوا وتوافقا وليقل كل واحد منكما سره الى صاحبه فان اتفقتما كنا معكما فنهضا بعيدا وتكلما فافصحا بالايمان والهروب بالدين فرجعا واظهرا الامر وتابعهما الاخرون ونهضوا الى الكهف واما الكلب فروي انه كان لبعضهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على رايهم وذهب الكلب معهم واسم الكلب حمران وقيل قطمير فدخلوا الغار على جميع هذه الاقوال روي ان الله ضرب على اذانهم عند ذلك لما اراد ه
من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فعلهم فارخوا ذلك ورقموه
في لوحين من رصاص او نحاس وجعلوه على باب المدينة فيه اسماؤهم واسماء ابائهم وذكر شرفهم وانهم فقدوا ايضون كذا في وقت كذا وقيل ان الذي كتب هذا رجلان قاضيان مومنان يكتمان ايمانهما من اهل مملكته ونشرا ذلك ودفنا اللوحين عندها وروت فرقة ان الملك لما ذهب الفتية امر بقص اثارهم فانتهى ذلك بمتبعهم الى باب الغار فعرف الملك فركب في جنده حتى وقف عليه فامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه الست ايها الملك ان اخرجتهم قتلتهم قال فاي قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله تعالى على اذانهم وارخ الناس امرهم في اللوحين او ارخه الرجلان القاضيان بحسب الخلاف واسم احد القاضيين فيما ذكر الطبري بيدروس واسم الاخر روناس وقيل ان اسم احدهما ططيوس واسم الاخر بطيوس وروي ان هذا الملك الذي فر الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المومنين حيث احضرهم بقتلهم وتعليقهم اشخاصا واروسا على اسوار مدينته وكان يريد ان يذهب دين عيسى وكان هو وقومه من الروم ثم اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اي دخلوه وجعلوه ماواهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بان يوتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكر المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا اي خلاصا وجميلا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك رشدا وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لا بفعل الله وواسع جوده وهذا الدعا منهم كان في امر دنياهم والسياق يدل على ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الاخرة ورحمتها وينبغي لكل مومن ان يجعل دعاءه ه
في امر دنياه هذه الاية فقط فانها كافية فضربنا على اذانهم حجابا مانعا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا ينبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة واما التخصيص الاذان بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقل ما ينقطع نوم نائم الا من جهة اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذان في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك رجل بال الشيطان في اذنه اشار صلى الله عليه وسلم الى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل في الكهف سنين عددا اي سنين ذوات عدد فقوله عددا نعت لسنين قال الزجاج يجوز ان يكون نصب عددا على المصدر وتقديره تعد عددا قيل يحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده لقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شيء مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف به اريد كثرته لانه اذا قل فهم مقدار عدده بدون

التقدير

التقدير فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى التعديد فاذا قلت اقمت اياما عددا اردت به الكثرة واذا قلت اقمت اياما اردت به القلة ثم بعثناهم اي ايقظناهم بعد ما انامهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي لنعلم موجودا حاصلا فانه قبل وجوده يستحيل ان يعلمه الله موجودا وقيل لنعلم رسول الله والمومنون وانما اسند علمهم الى الله لانهم خواصه واهل الزلفى عنده كما يقول الملك فتحت البلدة الفلانية وقد فتحها اولياؤه ومنه قيل فتح عمر السواد وقيل لنعلم لنميز هولاء من هولاء كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز اي الحزبين اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم تعمل فيه وهو مرفوع بالابتداء واحصى خبره والجملة بتمامها متعلق لنعلم والحزبان الفريقان المختلفان من الفتية لانهم لما انتبهوا اختلفوا في مدة لبثهم يدل على ذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول وقيل المراد بالحزبين الفتية الذين هم اصحاب الكهف واهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية فاصحاب الكهف حزب وهم ظنوا ان لبثهم قليل واهل المدينة حزب وقيل هم حزبان من الكفار اختلفوا في مدة لبث اصحاب الكهف وقيل هما حزبان من المومنين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم احصى فعل ماض اي اي الحزبين ضبط امدا غاية لاوقات لبثهم وقد يجي امدا بمعنى المدة من حيث ان للمدة غاية هي امدها على الحقيقة وامدا منصوب باحصى واحصى مع ضميره المستتر جملة هي خبر للمبتدا الذي هو اي الحزبين وجملة المبتدا والخبر مفعول نعلم قال الزجاج احصى هو افعل التفضيل وامدا نصب على التفسير قال صاحب الكشاف وهذا ليس بسديد لان بناء افعل من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره **قوله تعالى** نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا لما دل قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا على اختلاف وقع في امر الفتية عقب بالخبر عن انه تعالى يعلم من امرهم بالحق الذي وقع وفي مجموع هذه الايات الى قوله مرفقا جواب قريش عن سوالهم الذي امرتهم به بنو اسرائيل فقال نحن نقص عليك نباهم بالحق على وجه الصدق انهم فتية جماعة من الشباب امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت ويسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الايمان وربطنا على قلوبهم اي قويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى الكهف وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام شبه قوة الصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين والجسارة على القيام بكلمة الحق بالربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فانه مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا هيبته فقالوا ربنا رب السموات والارض وقيل اذ قاموا اذ انبعثوا بالعزم

الى الفرار بالدين والتجرد من الاوطان والنعيم وترك الدعوة من دون الله الها لقد قلنا اى لو دعونا من دون
ربنا الها لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد
والشطط فى القول هو البعد عن الحق هولا مبتدا وقومنا عطف بيان لهولا اتخذوا خبر المبتدا
وهو اخبار فى معنى الانكار وهذا القول من الفتية اى قال الفتية هولا الذين كانوا فى زمان
دقيانوس عبدوا الاصنام وهذه المقالة تصلح ان تكون مما قاله الفتية فى مقامهم بين يدى دقيانوس
وتصلح ان تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للامر الذى عزموا عليه لولا ياتون عليهم بسلطان بين
اى هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بسلطان بين على عبادة
الاوثان محال وهذا من مقالة الفتية وهو دليل على فساد التقليد فيما يتعلق بالوحدانية ولا بد فيه
من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه قوله تعالى واذ
اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيى لكم من امركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه
ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا واذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا عزيمتهم على الفرار بدينهم ان كان القيام فى قوله اذ قاموا
عبارة عن انبعاثهم بالعزم على الفرار بالدين وان كان القيام هو القيام بين يدى دقيانوس فلا يصلح
هذا الكلام ان يكون من مقالتهم بين يدى دقيانوس بل يكون فى الكلام حذف تقديره وقال بعضهم
لبعض وبهذا يترجح ان يكون المراد من القيام الانبعاث بالعزم وما يعبدون عطف على الضمير
المنصوب فى اعتزلتموهم اى واذ اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا
على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويعرفون الله تعالى كما كان اهل مكة لكنهم يشركون اصنامهم
معه فى العبادة لان الاعتزال وقع فى كل ما يعبدونه الا فى جهة الله ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا ان كان الكفار الذين اعتزلهم الفتية لا يعرفون الله ولا علم لهم به
وانما يعتقدون الالهية فى اصنامهم فقط وقيل قوله وما يعبدون الا الله جملة متعينة
معترضة بين اذ وجوابها فالتقدير واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف والجملة المتعينة المعترضة
اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله قال الفراء فاووا الى الكهف هو جواب
اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا ومعناه انه قال بعض الفتية لبعض واذ فارقتم
هولا قومنا الذين اتخذوا من دونه الهة وعبدتم الله وحده فاجعلوا الكهف
ماوى ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيى لكم من امركم مرفقا اى ما يرتفق به وابن كثير وابو
عمرو وعاصم وحمزة والكسائى مرفقا بكسر الميم وفتح الفا ونافع وابن عامر بفتح الميم وكسر
الفا وهى لغة اهل الحجاز فيما ارتفقت انهم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم
لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان خبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا
قيل وهذا كله دعا بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله فى امر اخرتهم قوله تعالى
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد تزاور وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو تزاور بتشديد الزاى وعاصم وحمزة والكسائى تزاور خفيفة وابن
عامر تزور عن كهفهم اى تميل وتنحرف والتزاور هو الميل والانحراف واصل تزاور تتزاور سكنت
التا الثانية وادغمت فى الزاى ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين اى ترى انت

اما
م

ايها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد ان من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة
فى المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه انك لو رايته لرايته على هذه الصورة واذا غربت تقرضهم تقطعهم
لا تقربهم اى تعدل عن سمت رووسهم الى جهة الشمال قيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال
فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يسار الكهف فكان الهوا الطيب والنسيم
الموافق من جانب الشمال فصونت اجسامهم عن التعفن والفساد وقيل ان المراد ان الله تعالى منع
ضوء الشمس من الوقوع عليهم وقت طلوعها وغروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة
خص الله اصحاب الكهف به شاهد قوله تعالى ذلك من ايات الله ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول
الاول لكان ذلك امرا معتادا مالوفا فلم يكن ذلك من ايات الله وهم فى فجوة فى متسع منه من الكهف والمعنى
انهم فى ظل نهارهم كله مع انهم فى مكان متسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم
وقيل فى متسع من كهفهم ينالون فيه روح الهوا وبرد النسيم لا يحسون كرب الكهف ذلك اى ما
صنع الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من ايات الله يعنى ان ما كان فى ذلك
السمت تصيبه الشمس ولم تصبهم اختصاصا لهم بالكرامة ومن قال باب الكهف شمالى مستقبل لبنات
نعش وهم فى مكان لا تطلع عليه الشمس ابدا قال معنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من
ايات الله بين الله تعالى انه كان بقاهم هذه المدة الطويلة مصونا عن الهلاك بلطف الله وكرمه
فكذلك اهتداوهم الى الايمان بالله والفرار بالدين الحق بهداية الله تعالى من يهد الله فهو المهتدى
مثل اصحاب الكهف ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اى من يليه ويرشده كدقيانوس الكافر ومن تابعه
والاية ظاهرة دالة على مذهب اهل السنة وتفسير الهداية باللطف والاضلال بالخذلان كما هو مذهب
المعتزلة صرف للفظ عن الظاهر الحق الى خلافه الباطل قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
ولملئت منهم رعبا تحسبهم خطاب لكل احد اى لو رايتهم ايها المخاطب لحسبتهم ايقاظا جمع يقظ
وهم رقود نايمون قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لاجل ذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم يحسبهم
الناظر ايقاظا يدل على ذلك قوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل التقلب وان كان
دليلا على ذلك لمن رآهم لكن ايقاظ الاية لم تسق الاخبار مستانفا قيل لهم تقليبان فى السنة
وقيل تقليبة واحدة فى يوم عاشورا وقيل تقليبة واحدة فى كل سبع سنين وقيل انما تقليبوا
فى التسع الاواخر ولم يكن تقلب قبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو مستهم
الشمس لحرقتهم ولولا التقلب لاكلتهم الارض وفايدة تقليبهم لئلا تاكل الارض لحومهم
ولا تبليهم ذات منصوبة على الظرف لان المعنى نقلبهم فى ناحية اليمين وكلبهم باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية فان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى الماضى واضافته اذ ذاك تفيد
التعريف الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفنا وقيل العتبة وقيل الباب لو
اطلعت اشرفت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اى فزعا وخوفا والرعب الخوف الذى يملا
الصدر وقرا ابن كثير ونافع ولملئت مشددة مهموزة والباقون مخففة مهموزة وذلك لما احدث
الله فيهم من الهيبة وقيل طالت شعورهم واظفارهم وبقيت اعينهم مفتوحة وهم نيام فلهذا
لو راهم الرائى لهرب مرعوبا وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزى الروم فمر بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هولا فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع
الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث

شماله فضوء الشمس ما
كان يصل الى داخل
م

ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا فافعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم
قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم
ولن تفلحوا اذا ابدا التقدير وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة
والبعث جميعا وقيل والتقدير وكما زدناهم هدى وربطنا على قلوبهم وضربنا على اذانهم
وانمناهم وبقيناهم احياء لا ياكلون ولا يشربون ونقلبهم كذلك بعثناهم من تلك النومة التي تشبه
الموت ليتساءلوا اي ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم
قدرة الله ويزدادوا يقينا وليشكروا ما انعم به عليهم وكرموا وقيل يجوز ان يكون المقصود من بعثهم
ان يتساءلوا ويتنازعوا لانهم اذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله امور عجيبة واحوال غريبة وذلك
الانكشاف امر مطلوب وقيل اللام في قوله تعالى ليتساءلوا لام الصيرورة كقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم
لان بعثهم لم يكن لاجل تساؤلهم ثم قال تعالى قال قائل منهم من اصحاب الكهف كم لبثتم كم مقدار لبثكم في الكهف
وهذا القول من القائل يدل على انه هجس في خاطره طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة
بعض الخروج قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد
فالقول بالظن الكاذب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا روي انهم دخلوا الكهف غدوة
وبعثهم الله في اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا الشمس باقية قالوا او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
انكار عليهم من بعضهم عن ابن عباس هو رئيسهم تمليخا رد العلم بمدة لبثهم الى الله تعالى لانه لما نظروا لعلهم علموا
بالادلة او بالالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله قيل لما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم وراوا في وجوههم اثار التغير الشديد علموا ان مثل ذلك لا يحصل الا في مدة
متطاولة فقالوا ذلك فابعثوا احدكم بورقكم هذه قرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم
بورقكم ساكنة الراء والباقون مكسورة الراء خفيفة قيل كانت معهم دراهم عليها صورة الملك
الذي كان في زمانهم الى المدينة قيل طرسوس روي انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو تمليخا
وان باب الكهف انهدم بنا الكفار منه بطول السنين وروي ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه
فاخذ تمليخا ثيابا رثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البنا المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم
مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو في ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عليه
حتى بلغ باب المدينة فراى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيانوس
وبالامس كنا معه حيث كنا فنهض الى باب اخر فراى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت
حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وظن انه جن وانفسد عقله
فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى بايع الطعام الذي اراد شراه فقال يا عبد الله بعني
من طعامك بهذا الورق فدفع اليه دراهم خلاف الدراهم التي هي نقد المدينة في ذلك
الوقت فتعجب لها البياع وتعاطاها الناس وقالوا هذه دراهم عهد دقيانوس من
اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويتعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال
ما اعرف غير اني واصحابي خرجنا بالامس من هذه المدينة فقال الناس هذا مجنون اذهبوا به
الى الملك ففزع عند ذلك فذهب حتى جيء به الملك فلما لم ير دقيانوس الكافر تانس وكان ذلك
الملك مؤمنا فاضلا يسمى بيدوسيس فقال له الملك اين وجدت هذا الكنز فقال انما خرجت انا

واصحابي

واصحابي امس من هذه المدينة فاوينا الى الكهف الذي في جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال
لعل الله قد بعث لكم ايها الناس اية فلنسر الى الكهف معه حتى نرى اصحابه فساروا وروي ان
الملك او بعض جلسائه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيانوس الكافر وكتب
على لوح النحاس بباب المدينة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف
قال تمليخا ادخل عليهم لئلا يفزعوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروي انهم سروا وخرجوا
الى الملك وعظموه ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا فانتظرهم
الناس فلما ابطا خروجهم دخل الناس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم موتى فتنازعوا
بحسب ما ياتي في تفسير الاية التي بعد هذه الاية وقيل تزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل
على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية
القوم من الاتفاقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك
نفقاتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وعلم منه ذلك
فكانت مياسير اهل بلده كلما عزموا على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد
اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن وفي هذه
البعثة الوكالة وصحتها وقد وكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي الله عنهم فلينظر ايها اي
اهلها بحذف الاهل لقوله تعالى واسأل القرية ازكى احل واطيب طعاما او اكثر وارخص عن ابن عباس اراد ما
حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وعن مجاهد كان ملكهم ظالما
فقولهم ايها ازكى طعاما ابعد عن الغصب وقيل ازكى شراء زبيب وقيل شراء تمر قال الزجاج ايهم مرفوع بالابتداء
ازكى خبره طعاما منصب على التمييز فليأتكم برزق تاكلونه وليتلطف في امر التخفي وليدقق النظر وليحتل
اي دخول المدينة وشرا الطعام لئلا يطلع عليه ولا يشعرن بكم احدا اي ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد
منه الى الشعور بكم فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه اي ولا يخبرن بكم وبمكانكم احدا من اهل
المدينة انهم ان اهل المدينة ان يظهروا اي ان يطلعوا ويشرفوا على انفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته
يرجموكم فيقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكان الرجم عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه
العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة كثير في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون
ابتدا الفعل وقيل او يردوكم الى دينهم ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم في ملتهم لم تسعدوا في الدنيا
والاخرة فان اذا يدل على الشرط قيل لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين فاحدهما فيه
هلاك النفس وهو الرجم الذي هو اخبث انواع القتل والاخر هلاك الدين بان يردوا الى الكفر
فان قيل اليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا
اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم لو ردوا هؤلاء المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه ثم بقوا مظهرين
لذلك الكفر مدة فانه يميل قلبهم اليه ويصيروا كافرين في الحقيقة فهذا الاحتمال قائم وكان خوفهم منه
قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ
يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا
المعنى كما زدناهم هدى وربطنا الصبر على قلوبهم وانمناهم وقلبناهم وبعثناهم لما فيه من الحكمة اعثرنا
اطلعنا عليهم غيرهم يقال عثرت كذا اي علمته وقالوا ان اصل هذا ان من كان غافلا عن شيء يعثر به

يعثر به نظر اليه وعرفه وكان العثار سببا لحصول العلم فاطلق اسم السبب على المسبب ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وروي ان ملك ذلك الوقت
كان ممن ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك
الوقت فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال اخرون الروح تبعث واما الجسد فتاكله الارض
ثم ان ذلك الملك كان يتضرع الى الله تعالى ان يظهر له اية يستدل بها على ما هو الحق في هذه المسالة فاطلعه الله
على امر اصحاب الكهف فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك الزمان
الطويل يشبه من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها اي وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها وان وقع
الشك لبعض الناس ولا يلحقها شك اذ يتنازعون متعلق باعثرنا عليهم اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم
امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم
تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت
قبل الموت فالقايلون بالبعث استدلوا بذلك على صحة البعث وقالوا كما قدر الله على حفظ الاجساد مدة
ثلثمائة سنة وتسع سنين كذلك يقدر على حشر الاجساد بعد موتها وقيل ان الملك وقومه لما راوا اصحاب
الكهف ووقفوا على حالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام
كالكرة الاولى وقال اخرون بل الان ماتوا وقيل قال بعضهم الاولى ان يسد باب الكهف لئلا يدخله احد
ولا يقف على احوالهم انسان وقال بعضهم الاولى ان يبنى على باب الكهف مسجد او قيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا
في قدر مكثهم وقيل تنازعوا في عددهم واسمائهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي فقالوا حين توفى الله اصحاب
الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس صيانة لهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قيل انه من كلام المتنازعين فانهم لما تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم
بهم وقيل ان هذا من كلام الله ذكره ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا
على عهد رسول الله من اهل الكتاب قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم
وقيل الذين غلبوا اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لنتخذن عليهم مسجدا اي لنتخذن على
باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الايات فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم
حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب الكهف بنيانا روي
ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك
دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب
فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم الكلب فطردوه فانطقه الله فقال الكلب ما تريدون مني
انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم الراعي على دينهم ودخلوا
الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم الحجاب وقيل ان بعثهم الله ملك مدينتهم رجل
صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق
بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال الله ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم
فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق

الملك

الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم
ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب
الكهف مسجدا ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة الضمير في قوله سيقولون للخائضين في قصة اصحاب
الكهف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين واهل الكتاب سالوا رسول الله عنهم
فاخر عنهم الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما جرى بينهم من اختلافهم في عددهم
وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران
كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة
رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضي
الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومسلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره
مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم
حين هربوا من دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير واعلم ان اكثر المفسرين على ان هذا
الاخير وهو انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هو الحق ومما يدل عليه ان الواو في قوله وثامنهم هي الواو
التي تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد
وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصاف الموصوف بالصفة امر ثابت مستقر وكانت هذه
الواو هي التي دلت على ان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا قولا عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا
بالظن والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا
قليل فاتباع القولين الاولين بقوله رجما بالغيب واتباع القول الثالث بقوله قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل موذن بان القول الثالث ممتاز عن القولين الاولين بمزيد القوة والصحة عن ابن عباس
رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت
انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وايضا قال تعالى ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي انه حصل
العلم بعدتهم لذلك القليل هؤلاء الذين قالوا انهم سبعة وثامنهم كلبهم كان ابن عباس رضي الله عنه انا
من اولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم ذكر الامام وجوها في بيان ان
الحق هو الثالث منها انه تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا يدل على ان قليلا لهم العلم
بعدتهم والظاهر انه تعالى حكى الاقوال جميعا اذ يبعد ان يذكر الاقوال الباطلة ولا يذكر القول الحق
والاقوال المذكورة منحصرة في الثلاثة ثم خص الاولين بانه رجم بالغيب فيظهر ان الحق هو الثالث
ومنها انه تعالى قال لرسوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فمنعه تعالى عن المناظرة
معهم وعن استفتائهم في هذا الباب وهذا انما يكون لو علم حكم هذه الواقعة وقال لا يعلمهم الا قليل
ويبعد ان يحصل العلم لغير النبي ولا يحصل للنبي فظهر ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي صلى الله عليه وسلم
والظاهر انه لم يحصل بها للنبي الا بهذا الوحي لان الاصل عدم غيره فظهر ان الحق هو القول
الثالث وهو قوله وثامنهم كلبهم قال ان هذه الوجوه وان كان فيها بعض الضعف لكن اذا تقوى
البعض بالبعض حصل فيه قوة واعلم انه تعالى جانس الاستقبال في الاول دون الاخيرين وفيه
وجهان احدهما ان يدخل الاخيرين في حكم الاول كما يقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع

يقول
و

في الاكرام والانعام وثانيهما ان يريد بقوله يقولون في الاخيرين معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلثه
خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثه وكذلك خمسه وسبعه ورابعهم كلبهم جمله من مبتدا وخبر واقعه صفة لثلثه
وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب الرجم الرمي والغيب ما غاب عن الانسان اي رميا بالخبر
الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به معناه انه يرمي غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقه
يقال فلان يرمي بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم
لكثرة ما يقولون رجم بالظن كان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين فان قيل ما هذه الواو
الداخله على الجملة الثالثه ولم دخلت عليها دون الاوليين اجيب عنه من وجوه منها ما ذكر انه هو الواو
الداخل على الجمله الواقعه صفة وانما دخل في الاخيره دون الاولتين ليفيد ثبوت الاخيره دون الاولتين
وقيل ان هذه الواو واو عطف دخلت في اخر اخبار عن عددهم ليدل على ان العدد الذي قبل الواو ثمانيه
ما قيل ولو سقطت لصح الكلام واذا كان كذلك فاذا وصلوا الى الثمانيه ذكروا لفظا يدل على الاستيناف فقالوا
وثمانيه وتسمى فرقه هذه الواو بواو الثمانيه وذلك ان العرب تقول واحد اثنان ثلاثه اربعه
خمسه سته سبعه وثمانيه لان العقد كان عندهم سبعه كما هو اليوم عندنا عشره ونظيره قوله تعالى
التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله في صفة اهل الجنه حتى اذا جاءوها وفتحت
ابوابها لان ابواب الجنه ثمانيه وابواب جهنم سبعه قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق
لان العلم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث الماضيه والمستقبله لا يكون الا لله او لمن اخبره الله عنها
الا قليل الظاهر انه اراد به القائلون بالقول الثالث وهم الذين علموا من الرسول باخبار الله له عن
ابن عباس انا من اولئك القليل فانه علم ببيان الرسول وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في
سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصه اي سيقول اهل الكتاب فيه كذا وكذا ولا علم بذلك الا
في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين قوله تعالى فلا تمار فيهم اي ولا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب
الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير
تجهيل ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا من اهل
الكتاب عن قصة اصحاب الكهف سوال متعنت له حتى يقول شيا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك
خلاف ما وصيت به من المداراه والمجامله ولا سوال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك
قصتهم قوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله واذكر ربك اذا نسيت
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي ولا تقولن لاجل شي تعزم عليه اني فاعل كذا
الا ان يشا الله كان معناه الا ان يعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل للنهي فيه لانه
حينئذ قوله الا ان يشا الله يكون من القول الذي نهي عنه ولا مدخل فيه للنهي وتعلق قوله الا ان
يشا الله بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ان تقوله
بان ياذن لك في ذلك القول والمعنى ليس لك ان تقول اني فاعل ذلك غدا الا اذا اذن الله تعالى
لك في ذلك القول وثانيهما ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا بان يشا الله اي الا بمشية الله وقوله
ان يشا الله في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشية الله قايلا ان شا الله اي ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك
غدا في حال من الاحوال الا حال التباس القول بقولك ان شا الله والسبب في انه لا بد من ذكر
هذا القول هو ان الانسان اذا قال اني فاعل ذلك في المستقبل لم يبعد ان يموت قبل مجي
الغد ولم يبعد ايضا على تقدير بقا حيوته ان يعوقه عن ذلك الفعل عائق فاذا لم يقل ان
شا الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالانبيا عليهم السلام فلهذا

اليـ

السبب اوجب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ان شا الله حتى لو تعذر عليه الوفا بذلك الموعود
لم يصر كاذبا فلم يحصل التنفر قال صاحب الكشاف وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشا الله في معنى كلمة تابيد
كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحو قوله تعالى الا ان يشا الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشا الله وهذا نهي تاديب
من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا
نسيت فيه وجهان احدهما ان معناه واذكر مشية ربك وقل ان شا الله اذا فرط منك نسيان لقولك ان شا
الله والمعنى اذا نسيت قولك ان شا الله ثم تنبهت عليه فتداركه بالذكر وعند هذا اختلفوا فعن ابن عباس
انه قال لو لم يحصل التذكر الا بعد سنه ثم ذكر ان شا الله لغى في دفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد يوم او اسبوع
او شهر او سنه وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه اي انه يقدر على الاستثنا في مجلسه وعن الحسن
نحوه وعن عطا يستثني على مقدار حلبة ناقه غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا
واحتج ابن عباس بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر ان المراد من قوله واذكر ربك
هو الذي تقدم ذكره في قوله الا ان يشا الله وقوله واذكر ربك اذا نسيت غير مختص بوقت معين
بل هو يتناول كل الاوقات فيجب عليه هذا الذكر في اي وقت حصل هذا التذكر وكل من قال وجب هذا الذكر
قال انما وجب لدفع الحنث ويفيد المطلوب قال الفقها لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شي من العهود والايمان
يحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفه خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل بحسب الزمان فاستحضره لينكر عليه
فقال له ابو حنيفه فقال له ابو حنيفه هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعه بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك
فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه وثانيهما ان قوله واذكر ربك اذا نسيت
لا تعلق له بما قبله بل هو كلام مستانف وعلى هذا القول فيه وجوه منها واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت كلمة الاستثنا والمراد منه الترغيب في الاهتمام بذكر هذه الكلمه ومنها واذكر ربك اذا تركت
بعض ما امرك به ومنها واذكر ربك اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسيه عند
ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لقوله تعالى او ننسها نات بخير منها وقيل معناه لعل الله يوتيني من البينات
والحجج على اني نبي من عند الله صادق في ادعاء النبوه ما هو اعظم في الدلاله واقرب رشدا من نبا
اصحاب الكهف وقد فعل الله ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل
منه في قوله لاقرب من هذا الشان الى نبا اصحاب الكهف قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائه سنين
وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي
ولا يشرك في حكمه احدا هذه الايه اخر الايات المذكوره في قصة اصحاب الكهف عن قتاده انه هذا
حكايه لكلام اهل الكتاب فانه تعالى قال سيقولون ثلاثه رابعهم كلبهم الى ان قالوا ولبثوا في كهفهم اي اهل
الكتاب قالوا ولبثوا ويؤيده انه تعالى قال بعد قل الله اعلم بما لبثوا وهذا يشبه الرد عليهم ويؤكده
ايضا ما ورد في مصحف عبد الله بن مسعود وقالوا لبثوا وقيل ولبثوا في كهفهم كلام الله فانه اخبر عن كمية تلك
المده اي لبثوا في كهفهم احيا مضروبا على اذانهم ثلثمائه سنين وازدادوا تسعا وهو بيان لما اجملت
في قوله وضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من
الذين اختلفوا في اصحاب الكهف بمدة لبثهم والحق ما اخبرك الله به واما قوله سيقولون ثلاثه
رابعهم كلبهم فهو كلام قد تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الايه ما يقتضي انقطاع احدهما عن
الاخر وهو قوله ولا تمار فيهم الا مرا ظاهرا وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا لا يستدعي ان يكون
ما قبله حكايه لان المراد قل يا محمد لهولا المختلفين الله اعلم من الذين اختلفوا فيهم فارجعوا

اي واذا نسيت شيا فاذكر ربك عند نسيانه ان يقول عسى ان يهديني ربي

ثلثمائه سنين مضافا غير منون حمزه والكسائي غير مضاف فمنون والباقون

الى خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب فان الحق ما اخبر الله به سنين عطف بيان لثلثمايه فانه لما قال ثلثمايه لم يعرف انها ايام ام شهور ام اعوام فلما قال سنين صار بيانا لثلثمايه وازدادوا تسعا اى ازدادوا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه فان قيل لم يقل ثلثمايه وتسع سنين وقال ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ما الفايده في قوله وازدادوا تسعا قلنا قال بعضهم كانت المده ثلثمايه سنه شمسيه وهي ثلثمايه وتسع سنين قمريه وهذا ليس بصواب لان الحساب يدفعه ويمكن ان يقال لما استكملوا ثلثمائة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق بقاوهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم قال تعالى قل الله اعلم بما لبثوا معناه انه تعالى اعلم بمقدار هذه المده من الناس الذين اختلفوا الاختصاصه بما في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلها للدلاله على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم من دونه اى ما لاهل السموات والارض من متول لامورهم وقيل ما لاصحاب الكهف من دون الله من وال يتولى امورهم ويقيم لهم تدبير انفسهم فاذا كانوا محتاجين الى تدبير الله وحفظه فكيف يعلمون هذه الواقعه من غير اعلامه ولا يشرك في حكمه احدا اى ان الله تعالى الحاكم ان يبهم هذا المقدار ليس لاحد ان يقول قولا بخلافه واختلف الناس في عهد اصحاب الكهف وفي مكانهم اما العهد الذى كانوا فيه فقيل انهم كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التورية ولهذا السبب سال اليهود عنه وقيل انهم دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر المسيح عليه السلام بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذى بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقيل انهم دخلوا الكهف بعد المسيح وقال قوم انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيامه واما مكان الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق انفذه ليعرف حال اصحاب الكهف والرقيم الى ملك الروم قال محمد الخوارزمي فوجه ملك الروم معي اقواما الى الموضع الذى يقال انهم فيه قال وان الرجل الموكل بذلك الموضع فزعني من الدخول عليهم قال فدخلت فرايت الشعور على صدورهم قال وعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادويه المجففه لابدان الموتى وصونها عن البلى مثل التلطيخ بالصبر وغيره ثم قال القفال والذى عندنا انه لا يعرف ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف او موضع اخر ولا عبرة بقول اهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف قال ابن عطيه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه مر بالشام في موضع غزو وانه مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس الى الكهف فوجدوا اعظاما فقالوا هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اوليك قوم قد عدموا منذ مده طويله فسمعه راهب فقال ما كنت احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا فسكت وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد قال ابن عطيه وبالشام على ما سمعت من ناس كثيرة كهف كان فيه موتى يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبنا يسمى الرقيم ومعهم كلب عن معاويه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولا فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاويه لا انتهى حتى اعلم حالهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم قال الامام العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود فلا سبيل اليه

قوله تعالى واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا اعلم ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائت بقران غير هذا او بدله فقال تعالى له صلى الله عليه وسلم واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك من القران اى الزم قراة ما اوحى اليك والزم العمل به

ولا تسمع لما تهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اى لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا ايه مكان ايه والله اعلم بما ينزل ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال الامام وهذه الايه يمكن التمسك بها في اثبات ان تخصيص النص بالقياس لا يجوز لان قوله تعالى واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك معناه الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضى وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان قيل فيجب ان لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا هو مذهب ابي مسلم الاصفهاني وليس ببعيد وايضا فالنسخ في الحقيقه ليس بتبديل على الحقيقه لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالغايه فلا يكون تبديلا **قوله تعالى** واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا قرا ابن عامر بالغدوة بضم الغين وسكون الدال وفتح الواو والباقون بفتح الغين والدال والالف بعد الدال سبب نزول هذه الايه ان صناديد قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطرد هولا الموالى الذين كان ريحهم ريح الضان وهم عمار بن ياسر وصهيب وابن مسعود وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم والمعنى احبسها وثبتها بالغداة والعشى دايبين على الدعاء مواظبين عليه في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقيل المراد الغداة والعشى لان الغداة هي الوقت الذى ينتقل الانسان من النوم الى اليقظه وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى الحيوه والعشى هو الذى ينتقل الانسان فيه من اليقظه الى النوم وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الحيوة الى الموت والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله عظيم الشكر لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لذكر الله بالغداة والعشى افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطا المال سحا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليهم وجلس بينهم وقال الحمد لله الذى جعل في امتى من امرت ان اصبر نفسى معه وروى انه قال مرحبا بالذين عاتبنى فيهم ربى ثم قال تعالى ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين معنى فعل الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم قلت الغرض فيه مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم والمقصود انه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدرى بفقرا المومنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنيا وحسن شارتهم اى هيئتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال يعنى ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا رغبتك في زينة الحيوة الدنيا ولما بالغ في امره بمجالسة الفقرا من المسلمين بالغ في النهى عن الالتفات الى اقوال الاغنيا الغافلين عن ذكر الله فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا واحتج اصحابنا بهذه الايه على انه تعالى هو الذى يخلق الجهل والغفله في قلوب الجهال والغافلين قال صاحب الكشاف اغفلنا قلبه اى جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او اغفلنا قلبه معناه وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته واخلته اذا وجدته كذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم قاتلناكم فما اجبناكم وسالناكم فما ابخلناكم وهجوناكم فما افحمناكم اى ما وجدناكم جبنا ولا بخلا ولا مفحمين او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بالذكر وقد ابطل الله تعالى توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وبيان ذلك من وجهين احدهما انه لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان يقال فاتبع هواه لانه على هذا التقدير يكون اتبع من الافعال المطاوعة وهي انما تعطف

واحبس ج

بنا وعلا في فوقه نبت عنه عينه وعلت عن عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به قال صاحب الكشاف فان قلت اى غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعد عينيك او ولا تعل عيناك عنهم م

بالفا لا بالواو ويقال دفعته فاندفع وكسرته فانكسر ولا يقال واندفع وانكسر وثانيهما انه تعالى قال
واتبع هواه ولو كان تعالى جعل قلبه غافلا لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباعه هواه وايضا قال تعالى بعد هذه الآية
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو كان الله تعالى خلق الغفلة في قلبه لما صح ذلك والجواب عن قوله جعلنا قلبه غافلا
عن الذكر بالخذلان انه كان لذلك الخذلان اثر في حصول تلك الغفلة فقد صح قولنا والا بطل اسناد تلك الغفلة
الى الله وعن قوله اغفلنا اي وجدناه غافلا ان الاشتراك على خلاف الاصل فيكون الاغفال حقيقة في احدهما
مجازا في الآخر فجعله حقيقة في ايجاد الغفلة مجازا في الوجدان اولى من العكس فان الاغفال في الايجاد
اكثر من الاغفال في الوجدان والكثرة دليل الرجحان وعن قوله لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان
تعال فاتبع هواه انما يلزم ذلك لو كان خلق الغفلة عن ذكر الله مستلزما اتباع الهوى كما ان الدفع والكسر
مستلزم للاندفاع والانكسار وليس الامر كذلك فانه لا يلزم من خلق الغفلة عن ذكر الله اتباع الهوى فانه يحتمل
ان يغفل عن ذكر الله ولا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا لابثا في مقام الحيرة والدهشة وعن قوله لو كان
تعالى جعل قلبه غافلا عن الذكر حقيقة لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباعه هواه ان اتباع الهوى ان لم يكن الا
بمشيته فهو بخلق الله وان كان بمشيته فتلك المشية بخلق الله فاضطر الى اتباع الهوى فهو من الله قال
الامام قالت المعتزلة قوله تعالى فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر صريح في ان الامر في الايمان والكفر مفوض
الى مشية العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن ولقد سالني بعضهم عن هذه الآية
فقلت بل هذه الآية من اقوى الدلايل على صحة قولنا وذلك لان الآية صريحة في ان حصول
الايمان وحصول الكفر موقوفان على حصول مشية الايمان وحصول مشية الكفر وصريح العقل ايضا يدل
على ان الفعل الاختياري حصوله بدون القصد اليه وبدون الاختيار اليه اذا عرفت هذا
فنقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه لزم ان يكون
كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر واختيار آخر الى غير النهاية وهو محال فوجب انتها تلك
المقصود وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يخلقه الله في العبد على سبيل الضرورة وعند
حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يجب الفعل فالانسان شا او لم يشا فانه يحصل
في قلبه تلك المشية الجازمة الخالية عن المعارض واذا حصلت تلك المشية الجازمة فشا او لم يشا
يجب ترتب الفعل عليه فلا حصول المشية ولا حصول الفعل مرتبا على المشية به فالانسان مضطر
في صورة مختار ولقد قرر الشيخ ابو حامد الغزالي في باب التوكل من كتاب احيا علوم الدين فقال
اني اجد من نفسي وجدانا اني ان شئت الفعل قدرت عليه وان شئت الترك قدرت عليه
فالفعل والترك بي لا بغيري واجاب عنه وقال هب انك تجد من نفسك هذا المعنى ولكن هل
تجد من نفسك انك ان شئت مشية الفعل حصلت تلك المشية وان لم تشا تلك المشية لم تحصل لا بل العقل
يشهد بانه يشا الفعل لا بسبق مشية اخرى على تلك المشية واذا شا الفعل وجب حصول الفعل من غير
مكنة واختيار في هذا المقام فحصول المشية في القلب امر لازم وترتب الفعل على حصول تلك
المشية ايضا امر لازم وهذا يدل على ان الكل من الله وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله
ايضا يدل على ان الايمان والكفر وان كان معلقا على مشيتنا فهما بمشية الله تعالى لان مشيتنا مترتبة
على مشية الله تعالى واعلم ان قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يدل على
ان شر احوال الانسان ان يكون قلبه غافلا عن ذكر الله مشتغلا بهواه الداعي الى الاشتغال بغير
الحق فان ذكر الله مطلع النور وذكر غيره منبع الظلمة فالقلب اذا اشرق فيه ذكر الله حصل فيه
النور واذا اغفل عن الحق هو المراد واشتغل بالخلق حصل فيه الظلمة فلهذا السبب اذا اعرض

القلب

عن الحق واقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله
اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه وكان امره فرطا متقدما
للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل ومعناه ان الامر الذي يلزمه الحفظ
له والاهتمام به هو امر دينه يكون مخصوصا بايقاع التفريط والتقصير فيه وهذه صفة من لا
ينظر لدينه وانما همه لدنياه فالله تعالى بين حال من اغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه ان امره فرطا
اي انه مقصر في مهماته معرض عما وجب عليه من التدبر في الآيات والتحفظ لمهمات الدنيا والآخرة
والحاصل انه تعالى وصف اولئك الفقرا بالمواظبة على ذكر الله وارادة الاقبال على الله والاعراض
عن غير الله فقال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ووصف هولا الاغنيا بالاعراض
عن ذكر الله والاقبال على غير الله فقال اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصبر نفسه مع الاولين ونهاه عن طاعة الآخرين اي بمجالسة الاولين ومباعدة
الآخرين روى ابو سعيد الخدري قال كنت جالسا في عصابة من ضعفا المهاجرين وان بعضهم ليستتر
ببعض من العري وقاري يقرا من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ماذا تصنعون قلنا
يا رسول الله كان واحد يقرا من كتاب الله ونحن نستمع فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل
من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور
التام يوم القيمة قبل الاغنيا بمقدار خمسين الف سنة **قوله تعالى** وقل الحق من ربكم فمن شا
فليؤمن ومن شا فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا لما امر الله رسوله ان يصبر نفسه مع اولئك
الفقرا ونهاه عن طاعة تلك الاغنيا في طرد هولا الفقرا قال بعده وقل الحق من ربكم اي قل
لهولا ان هذا الدين الحق انما اتى من عند الله فان قبلتموه عاد النفع عليكم وان لم تقبلوه
عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والخمول والشهرة وقيل
المراد ان الحق ما جا من عند الله والحق الذي جا من عند الله ان اصبر نفسي مع هولا الفقرا
ولا اطردهم ولا اطيع الاغنيا الغافلين وقيل المراد هو الحق الذي جا من عند الله ان من شا
فليؤمن ومن شا فليكفر وان الله تعالى لم ياذن في طرد من آمن وعمل صالحا لان يدخل في الايمان
جمع من الكفار فان قيل ترجيح الاهم على المهم مقتضى العقل والدين وطرد اولئك الفقرا لا
يوجب الا كسر حرمتهم وهذا ضرر دنيوي قليل اما عدم طردهم فيستدعي لبقا الكفار على
الكفر فهذا ضرر عظيم اجيب بان من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقرا فايمانه ليس بايمان بل هو
نفاق فاحش فالعاقل لا يلتفت الى ايمان هذا حاله وصفته والامر في قوله تعالى فمن شا فليؤمن ومن
شا فليكفر ورد للتهديد والوعيد لا للطلب نقل عن علي رضي الله عنه انه قال هذه الصيغة تهديد
ووعيد وليس بتخيير وقل الحق خبر مبتدا محذوف تقديره وقل الذي اتيتكم به الحق من ربكم
والحق عامل في من ربكم فان قيل لم لم يجعل الحق مبتدا ومن ربكم خبره اجيب بان قوله الحق من ربكم كالفذلكة
لما ذكر من مفتتح السورة او الجمع ما جا به صلى الله عليه وسلم ثم رتب ما بعد بالفا عليه وذلك انما يستقيم
اذا جعل الذي آتيكم مبتدا والحق خبره اي الذي جيتكم به الحق من ربكم فيكون المعنى ما جيتكم من
من الكتاب الكريم المعرى عن الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوي
على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات هو الحق من ربكم ثم
رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه ودفع الحق الصراح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل

بمقتضاه بقوله فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى اخر الايات
وعن مجاهد والسدى فى قوله فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وعيد من الله وانذار وقد بين بعده
ما لكل فريق من مومن او كافر وقيل وقل لهم يا محمد هذا الحق اى هذا القران من ربكم وهذا
الاعراض عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المومنين وقوله فمن شا فليومن ومن شا فليكفر
توعيد من الله وتهديد اى فليختر كل امرى لنفسه ما يجد غدا عند الله وقيل معناه فمن شاء
الله ايمانه فليومن ومن شا الله كفره فليكفر اى فحقه الايمان وحقه الكفر ثم عبر عن ذلك بلفظ الامر
الزاما وتحريضا من حيث ان الانسان فى ذلك له الكسب الذى به يتعلق ثواب الايمان وعقاب
الكفر ولما علق الامر بالايمان والكفر على المشية اتبعه بذكر الوعيد على الكفر والسيات وبذكر
الوعد على الايمان والعمل الصالح اما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اعتدنا ماخوذ
من العتاد وهو الشى المعد الحاضر اى اعتددنا للظالمين الغافلين عن ذكر الله المتبعين للهوى
نارا احاط بهم سرادقها وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق
اى يحيط النار بهم من جميع الجهات لا مخلص لهم منها وقيل السرادق دخان يحيط بهم قبل دخولهم النار
وان يستغيثوا اى وان يستغيثوا من حر جهنم يغاثوا بما كالمهل وارد على سبيل التهكم لقولهم تحيته
بينهم ضرب وجيع ولقوله فاعتبوا بالصيلم اى السيف والمهل ما اذيب من جواهر الارض
كالذهب والفضة والرصاص وقيل ردى الزيت روى ان عبد الله بن مسعود اهديت
اليه سقاية من ذهب او فضة فامر بها فاذيبت حتى تميعت وتلونت الوانا ثم دعا من بابه من
اهل الكوفة فقال ما رايت فى الدنيا ادنى شبها بالمهل من هذا وقيل المهل الصديد والقيح
وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتمل ان تكون هذه الاستغاثة لانهم طلبوا ما للشراب فيسقون
من المهل قال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين انية ويحتمل ان يستغيثوا من حر جهنم فيطلبوا ما
يصبونه على انفسهم للتبريد فيعطون هذا الما قال تعالى حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء
وقال فى اية اخرى سرابيلهم من قطران فاذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذى
يعم كل ابدانهم كالقميص يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب يشوى وجوههم من حرارته وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت بيس الشراب اى الما الذى كالمهل
وساءت النار مرتفقا اى منزلا ومجتمعا للرفقة لان اهل النار يجتمعون رفقا كاهل الجنة وقيل
مرتفقا متكا من المرفق وهو ما ارتفقت به وهذه المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ولا اتكا **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب
ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت
مرتفقا لما ذكر الوعيد على الكفر والسيات اردفه بذكر الوعد على الايمان والحسنات وعطف
عملوا الصالحات على امنوا يفيد مغايرة الايمان للعمل الصالح انا لا نضيع اجر من احسن عملا
بحكم الوعد على سبيل الفضل لا لان الفعل لذاته او لصفة لازمة او بوجه واعتبار يقتضى الاجر
انا لا نضيع خبر ان ولما كان الذين امنوا وعملوا الصالحات ومن احسن عملا ينتظمهما معنى واحد
اقيم من احسن مقام الضمير وقيل يجوز ان يكون الخبر على حذف العايد تقديره من احسن عملا منهم
كقولك السمن منوان بدرهم اى منه وقيل يجوز ان يكون اولئك خبر ان لان ويجوز ان يكون
اولئك خبران وانا لا نضيع اعتراض ويجوز ان يجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم

فام

فانه تعالى لما اثبت الاجر المبهم اردفه بالتفصيل يحلون فيها اى يحليهم الله او الملائكة فيها من اساور
جمع اسورة وهى جمع سوار قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس فى الدنيا الاساور فى الدنيا
والتيجان على الروس جعل الله ذلك لاهل الجنة عن سعيد بن جبير يحلى كل واحد من اهل الجنة
ثلثة من الاساور واحد من ذهب لقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو لقوله
تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو وواحد من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة
وتنكير اساور لابهام امرها فى الحسن ومن فى من اساور للابتدا وفى من ذهب للتبيين ويلبسون
ثيابا خضرا من سندس من ديباج رقيق واستبرق ديباج غليظ وهما معربان قيل قال تعالى فى الحلى
يحلون على فعل ما لم يسم فاعله وفى السندس والاستبرق يلبسون على فعل يسمى فاعله اشارة الى ان
الاول تفضل والثانى جزا العمل متكئين فيها بيان لكيفية جلوسهم والاتكا التحامل على الشى على الارائك
جمع الاريكة وهى السرير فى حجلة هى بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقيل الاريكة العرش
فى الحجال وقيل الفرش وقيل الاسرة وخص الاتكا لانه هيئة المتنعمين والملوك على اريكتهم نعم الثواب
الثواب فى مقابلة بيس الشراب وحسنت مرتفقا فى مقابلة وساءت مرتفقا **قوله تعالى** واضرب
لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين
اتت اكلها ولم تظلم منه شيا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا
اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا
ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله ان ترنى انا اقل منك مالا وولدا فعسى
ربى ان يوتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماوها غورا
فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول
يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية
لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا اعلم ان كفار قريش الذين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يطرد
فقرا المومنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى افتخروا باموالهم واعوانهم على فقرا المومنين فبين الله
تعالى ان ذلك ليس محل الافتخار لانه فى معرض الفنا والزوال وكشف ذلك بضرب المثل فقال
واضرب لهم مثلا اى مثل حال الكفار المفتخرين بالمال والاعوان وحال المومنين بحال رجلين فالرجل
الكافر الذى هو صاحب جنتين بازا المفتخرين من كفار قريش والرجل المومن المقر بالربوبية بازا فقرا
المومنين كعمار بن ياسر وصهيب وبن مسعود وخباب وامثالهم قيل هذا المثل مضروب لمن هذه
صفته وان لم يقع ذلك فى وجود قط والظاهر ان هذا المثل مضروب برجلين موجودين
روى عطا عن بن عباس رضى الله عنهما انهما كانا اخوين فى بنى اسرائيل احدهما كافر
اسمه فرطوس والاخر مومن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية الف دينار فتشاطراها
فاخذ كل واحد منهما النصف اربعة الف دينار فاشترى الكافر ارضا بالف دينار
فقال المومن اللهم ان اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى الجنة
بالف دينار فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف دينار فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة
بالف دينار فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف دينار فقال اللهم انى جعلت الفا صداقا
للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين

واحد من

بالف فتصدق به ثم اصابت المومن حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما اخوان من بني مخزوم مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد
الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد
جنتين من اعناب بساتين سمي البستان جنة لاستتار ما يستتر منه بظلال الاشجار وحففناهما بنخل اي جعلنا
النخل محيطا بالجنتين يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وحف يتعدى الى مفعول
واحد فزيد الباء مفعولا ثانيا ويكون الجنة من اعناب محفوفة بنخل مما يوثره الدهاقين في جناتهم
وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا بين الجنتين زرعا جعل الجنتين ارضا جامعة لخير الفواكه
الاعناب والنخيل والاقوات ووصفنا العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينهما مع سعة اطرافها وتباعد اكنافها وحسن هيئتها ولطف تزيينها كلتا الجنتين اتت
اكلها اي آتت كلتا الجنتين كل وقت بمنفعة وثمرتها نعتها بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص
اكلها اي ثمرها الذي يوكل كلتا الجنتين مبتدا آتت خبرها حمل على اللفظ ان كلتا لفظه مفرد
ولم تظلم ولم تنقص من حملها شيئا والظلم النقصان يقول الرجل ظلمني اي نقصني وفجرنا خلالهما اي فجرنا
وسطهما نهرا والتشديد للمبالغة لان النهر ممتد فيكون كالانهار وكان له ثمر قرا ابو عمرو بضمة واسكان
وسكون الميم وعاصم بفتح الثاء والميم فيهما والباقون بضمتين فيهما اي انواع من المال من ثمر ماله اي كثره
اي كان له مع الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار
من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء فقال الاخ الكافر لصاحبه لاخيه المسلم وهو يحاوره
يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسائله فما احار كلمة اي الاخ الكافر يحاور المسلم
يعني الاخ الكافر اخذ بيد الاخ المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره
بما ملك من المال دونه وقيل وهو يحاوره اي كان الاخ المسلم يحاور اخاه الكافر بالوعظ
والدعاء الى الايمان بالله قال الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا والنفر عشيرة الرجل
واصحابه الذين يقومون بالذب عنه وينفرون معه ودخل جنته افرد الجنة بعد التثنية
اي دخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون
فما ملكه في الدنيا جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وقيل افرد الجنة من حيث
الوجود لذلك اذ لا يدخلهما معا في وقت واحد ثم قال تعالى وهو ظالم لنفسه وهذا اعتراض وقع
في اثناء الكلام والمراد انه معجب بما اوتي مفتخر به كافر بنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو
افحش الظلم ثم حكى الله تعالى عن الكافر انه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اخبر عن نفسه بالشك
في بيد ودة جنته اي هلاكها وبالشك عن قيام ساعته واخبار عن نفسه بالشك فيهما
انما هو لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته بالمهلة واطراحه النظر في عواقب
امثاله واكثر الاغنياء وان لم يتفوهوا بالسنتهم فان السنة احوالهم ناطقة منادية
عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير كما
يزعم صاحبه لاجدن في الاخرة خيرا منها قرا ابن عامر وابن كثير ونافع خيرا منهما
بزيادة ميم على التثنية والباقون منها من جنته في الدنيا قطعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته
على الله ومكانته عنده وانما اولاه الجنتين والمال والجاه لكونه مستحقا لها وهذا الاستحقاق
معه اينما توجه منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه
لان هذه فانية وتلك باقية قال الاخ المومن له للاخ الكافر اكفرت بالذي خلقك اي خلق اصلك

لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلق اصله خلقا له ثم من نطفة ثم سواك عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا الانعمه لشكه في البعث لان الشاك في البعث كافر والتعرض
لاطوار خلقته يحتمل وجهين الاول انه اشارة الى اثبات البعث بالطريقة التي هي مذكورة في القران وهي
انه لما قدر على الابتداء وجب ان يقدر على الاعادة فقوله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
اشارة الى خلق الانسان في الابتداء الثاني انه لما خلقك على هذه الصورة لم يخلقك عبثا قال الله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا بل خلقك للعبودية قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فيكون للمطيع ثواب وللعاصي عقاب فلا بد من البعث ليحصل الثواب والعقاب لكنا قرا ابن عامر لكنا باثبات
الالف وصلا ووقفا وكذا قرا نافع في رواية المسيبي والباقون باسقاط الالف في الوصل
واثباتها في الوقف واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت النونان فادغمت
نون لكن في نون نا هو الله ربي هو ضمير الشان اي الشان الله ربي الله ربي جملة اسمية الله مبتدا وربي خبره
والجملة في محل خبر هو وقوله هو الله ربي خبر انا والراجع منها اليه الياء الضمير التي اضيف اليها الرب لكنا
استدراك لقوله اكفرت اي قال الاخ المومن لاخيه الكافر انت كافر بالله لكن انا مومن موحد ولا اشرك بربي
احدا اي اني لا ارى الفقر والغنى الا من الله فاحمده اذا اعطى واصبر اذا ابتلى ولا اكثر الاموال
والاعوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه فكانه قد اثبت لله شريكا في اعطاء
العز والغنى ولولا اذ دخلت وهلا وقت دخولك الجنة قلت ما شاء الله يجوز ان يكون ما موصولة
مرفوعة المحل على انه خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله ويحتمل ان يكون ما شرطية منصوبة
المحل والجزاء محذوف تقديره اي شيء شاء الله كان اعترافا بان الجنة وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله
وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله اعترافا بان ما قويت به على عمارتها
وتدبير امرها هو بمعونة الله تعالى وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله
قال لا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله اسلم عبدي واستسلم وفي حديث ابي موسى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال افعل يا رسول الله
قال لا حول ولا قوة الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان
اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج ان ترني لما علم الاخ المومن اخاه الكافر الايمان اجابه عن
افتخاره بكثرة المال وعزة النفر فقال ان ترني قرا ابن كثير ترني وتوتيني بالياء في الوصل والوقف
ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل والباقون بحذف الياء فيهما وصلا ووقفا انا اقل انا فصل اقل بالنصب
لانه مفعول ثان لترني وذكر الولد هاهنا ينصر تفسير النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان
ترني اقل مالا وولدا وانصارا منك في الدنيا الفانية فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك في الاخرة
ويرسل عليها على جنتك حسبانا عذابا ونارا من السماء والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب
اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي يعني الصواعق والبرد والصاعقة الواحدة حسبانة
والمراد بها الصواعق فتصبح جنتك صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها صفة بالمصدر
او يصبح ماء جنتك غورا غائرا ذاهبا لا سبيل اليه فلن تستطيع له طلبا اي فتصير بحيث لا تقدر على
الموضع واحيط بثمره اخبار من الله عز وجل عن احاطة العذاب بثمره اي اخبار عن الله
عن اهلاك ثمر الاخ الكافر بالكلية حسب ما قدر الاخ المومن فاصبح الاخ الكافر يقلب كفيه

ظهر البطن بندم ويتحسر على ما انفق في عمارة جنته وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم
يقلب كفيه ظهر البطن كما كنى عن الندم والتحسر بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى بعلى
كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني الكروم ساقطة على عروشها اي سقطت
عروش الكرم على الارض وسقطت الكروم المعرشة على عروشها وقيل المراد من العروش السقوف اي
سقطت السقوف على الارض ثم الجدران سقطت على السقوف والمراد انها هلكت وبطلت قيل
ارسل الله نارا فاهلكتها ويقول الاخ الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا اي تذكر الاخ الكافر
موعظة اخيه المومن حين قال ولا اشرك بربي احدا فتوجع من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا
في الايمان ولم يكن قرا حمزة والكسائي وخلف يكن بالياء والباقون بالتاء اي ولم يكن للاخ الكافر فئة جماعة
يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غير الله ان ينصره
ولكن الله لا ينصره لصارف قال الله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان
جهنم وما كان منتصرا اي وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية قرا حمزة الولاية والباقون
بفتح الواو لله الحق بكسر القاف وابو عمرو بفتح الواو من الولاية ورفع الحق ووافقه الكسائي في رفع
الحق لكنه كسر الولاية والباقون بفتح الواو وخفض الحق والولاية بالفتح النصر والتولي وبالكسر
السلطان والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره
ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويومن به
كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم
كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة
وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالاخ الكافر اخاه المومن وصدق
قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في الدار الاخرة الولاية لله والمعنى ثواب الله
للمومنين في الاخرة افضل من غيره وافضل عقبا اي عاقبة والولاية مبتدا اخبره لله والحق بالرفع صفة
للولاية وبالجر صفة لله تعالى هو خير مبتدا وخبر ثوابا تمييز وخير عقبا عطف على خير ثوابا فيكون
خير مبتدا وعقبا تمييز وهو في قوله خير راجع الى الله قرا عاصم وحمزة عقبا بسكون القاف والباقون
مضمومة القاف **قوله تعالى** واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا هذا ضرب مثل اخر يدل على
حقارة الدنيا وقلة بقائها وسرعة فنائها وهو مرتبط بقصة المشركين المتكبرين على الفقراء
المومنين بكثرة الاموال وعزة النفر فان الاموال والاولاد زينة الحيوة الدنيا الحقيرة الفانية
بالسرعة لا يصلح ان يتكبر بها على المومنين الذين لهم ما هو خير منها من الباقيات الصالحات واضرب
لهم اي لهولاء المفتخرين بكثرة الاموال وعزة النفر مثل الحيوة الدنيا ثم ذكر ذلك المثل فقال كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض اي التف وتكاثف نبات الارض بسبب الماء حتى اختلط بعضه
بالبعض وذلك لان عند نزول المطر يقوى النبات ويتكاثف فيختلط البعض بالبعض ويصير
في المنظر غاية البهجة والحسن والنظارة وقيل فاختلط بالماء نبات الارض حتى روي ورق
رفعا اي رق وتلالا قال صاحب الكشاف وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات
الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما
يابسا

يابسا متفتتا تذروه تنسفه وتفرقه وتذهب به شبه الحيوة الدنيا في نضرتها وبهجتها
وما يعقبها من الهلاك والفنا بحال النبات يكون اخضر وارقا اي ناضرا ثم يهيج فتطيره الرياح
كان لم يكن وكان الله على كل شيء مقتدرا بانشائه اولا وتربيته وسطا وافنائه اخرا فاحوال
الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية النضرة والبهجة ثم تتزايد نضرتها وبهجتها شيئا فشيئا ثم تاخذ في
الانتقاص والانحطاط الى ان تنتهي الى الفنا فالعاقل لا ينبغي ان يبتهج ويفتخر بها على غيره **قوله
تعالى** المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير
املا بين اولا ان الحيوة الدنيا سريعة الفنا قليلة البقاء ثم قال المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا ليظهر ان المال والبنين سريع الفنا قليل البقاء بالبرهان القاطع بان يقال المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا وكل ما هو زينة الحيوة الدنيا سريع الفنا قليل البقاء فالمال والبنون سريع الفنا
قليل البقاء فلا ينبغي ان يفتخر العاقل بالمال والبنين ويفرح بحصولهما ويغتم بزوالهما هذا البرهان
قاطع على بطلان قول اولئك المشركين المفتخرين على فقراء المومنين بكثرة الاموال والاولاد ثم
ذكر ما يدل على ان ما للفقراء المومنين خير مما للاغنياء المشركين فقال والباقيات الصالحات خير بيانه
ان ما للمشركين زينة الحيوة الدنيا وهي فانية زائلة وما للفقراء المومنين الباقيات الصالحات
ولا يخفى على العاقل ان الباقيات الصالحات خير من الفاني الزائل والباقيات الصالحات هي اعمال
الخير التي يبقى ثمرتها للمومنين واعمال الخير هي الاعمال التي تدعو الى الاشتغال بمعرفة الله ومحبته
وعبوديته وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انها الصلوات الخمس وبه قال ابن مسعود ومسروق
وابراهيم وقيل الكلام الطيب وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا
عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات وسئل
عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات فقال هذه الكلمات وزاد فيها ولا حول ولا قوة الا
بالله ولحجة الاسلام الغزالي وجه لطيف في تحقيق هذه الكلمات قال روي ان من قال سبحان الله حصل
له من الثواب عشر راتب فاذا قال معه والحمد لله صار عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صار ثلثين فاذا قال
والله اكبر صار اربعين قال وتحقيق القول فيه ان اعظم المراتب هو الاستغراق في معرفة الله تعالى ومحبته
فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه منزها عن كل ما لا ينبغي بحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة
كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد اقر بان الحق تعالى مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبدا لافادة
كل ما ينبغي ولافاضة كل خير وكمال فقد تضاعفت درجات المعرفة فلا جرم تضاعف الثواب فاذا قال
مع ذلك ولا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبدا لكل ما ينبغي ليس في الوجود
موجود بهذا الوصف الا الواحد فقد صار مراتب المعرفة ثلثا فلا جرم صارت درجات الثواب
ثلثا فاذا قال والله اكبر ومعناه انه اكبر واعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت
مراتب المعرفة اربعا فلا جرم صارت درجات الثواب اربعا خير عند ربك ثوابا اي ما يتعلق بالباقيات
الصالحات من الثواب وما يتعلق بها من الامل خير من المال والبنين لان صاحب الباقيات الصالحات
يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة **قوله تعالى** ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل
زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا

قرا ابن كثير وابو عمرو وتسير بالتا الجبال بالرفع والباقون بالنون والجبال بالنصب ويوم منصوب
باذكر مقدرا عطفا على قوله واضرب ولما امر الله رسوله بضرب مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه
وحال الحيوة الدنيا في الاول والوسط ظاهر محسوس وفي الاخر غير ظاهر لانه لم يقع بعد امر
النبي صلى الله عليه وسلم بذكر حالها اخرا فقال واذكر يوم تسير الجبال فذكر من احوال
القيامة بعضها منها تسير الجبال ولم يذكر في الاية منتهى التسيير فيحتمل ان يسير الى الموضع الذي يريده
واخفى ذلك عن خلقه والحق ان تسيرها الى العدم لقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هبا منثورا
اي بست الجبال فصارت غبارا خفيفا منتشرا في الهوا وسيها وترى الارض بارزة اي وترى يا محمد
او يا انسان الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها اي لم يبق على الارض شي من العمارات
ولا شي من الاشجار ولا شي من الجبال فبقيت ظاهرة ومهها وحشرناهم اي وحشرناهم فلم نغادر فلم نترك
من الاولين والاخرين احدا الا وجمعناهم للحساب ولما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية
عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا واحدا
ظاهرا ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جيتمونا اي قلنا لهم لقد جيتمونا اي لقد
بعثناكم كما خلقناكم اول مرة وحين حشرناهم ماضيا بعد تسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل ذلك
ثم قال بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا اي كنتم مع التعزز على المومنين بالمال والبنين زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا او وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبيا من البعث والنشور فقد ادركتم ذلك الوقت
وشاهدتم البعث ووضع الكتاب عطف على وعرضوا اي ووضع في ذلك اليوم كتاب كل انسان في يده
اما في اليمين واما في الشمال والكتاب للجنس وهو صحف الاعمال فترى يا محمد او يا انسان
المجرمين مشفقين مما فيه اي خايفين مما في الكتاب من اعمالهم السيئة خايفين من ظهور ذلك لاهل
الموقف فيفتضحوا والحاصل انه حصل لهم خوف العقاب من الحق والفضيحة عند الخلق ويقولون
يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة اي لا يترك شيا من المعاصي لا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا
ضبطها وحصرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن
سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن فضيل بن عياض كان اذا قرا هذه الاية
قال ضجوا من الصغاير قبل الكباير لان الصغاير هي التي جرتهم الى الكباير فاحترزوا من الصغاير
جدا ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف وقيل وجدوا جزا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا اي لا يكتب على احد ما لم يعمل ولا يزيد في عقابه المستحق ولا يعذب احدا بجرم غيره عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب الناس في القيمة على ثلاثة على يوسف وايوب وسليمان
فيدعو المملوك ويقول ما شغلك عني فيقول جعلتني عبدا لادمي فلم تفرغني فيدعو يوسف ويقول
كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدني فيومر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال
اشغلتني بالبلا دعي بايوب فيقول قد ابتليت هذا باشد من بلايك فلم يمنعه ذلك من عبادتي
ويومر به الى النار ثم يوتى بالملك في الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت
فيما اتيتك فيقول شغلني الملك عن ذلك فيدعى بسليمان فيقول هذا عبدي سليمان اتيته اكثر مما
اتيتك فلم يمنعه ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويومر به الى النار قوله تعالى
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه
وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات

والارض

والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا
عنها مصرفا وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الايات المتقدمة فيها بيان ان هولا المشركين
افتخروا باموالهم واعوانهم على فقرا المسلمين وقالوا لا نجالس هولا الفقرا فانا من انساب شريفة وهم
من انساب نازلة ونحن اغنيا وهم فقرا وهذه الاية فيها بيان ان ابليس تكبر على ادم باصله ونسبه وقال
لا اسجد له فانا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فذكر الله تعالى قصة ابليس عقيب تلك الايات
تنبيها على ان طريقة هولا بعينها طريقة ابليس ومعاملتهم معاملته ثم انه تعالى حذر عن طريقته فقال
افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهذه القصة وان كررت في مواضع من كتاب الله لكن في كل موضع
منها فايدة جديدة واذ قلنا اي واذكر اذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قيل الا
ابليس استثنا منقطع لان ابليس ليس من الملايكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج
من نار وجميع الملايكة انما خلقوا من نور فقيل ابليس من الجن وهو اولهم وبداتهم كادم من الانس
وقيل كان ابليس وقبيله جنا لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الانس واحتجوا
بهذه الاية وتعنيف ابليس على عصيانه تقتضي انه امر مع الملايكة وقيل الاستثنا متصل وابليس من
قبيل من الملايكة خلقوا من نار فابليس من الملايكة وعبر عن الملايكة بالجن من حيث هم مستترون فهي
صفة تعم الملايكة والشياطين وقيل كان في الملايكة صنف يسمى الجن وعن ابن عباس كان ابليس من حي من
احيا الملايكة فيقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الملايكة من نور غير هذا الحي وكان اسمه
بالسريانية عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رييس ملايكة السما الدنيا وكان له
سلطان السما الدنيا وسلطان الارض وكان من اشد الملايكة عبادة واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السما
والارض فراى بذلك لنفسه شرفا وعظمة فذلك الذي دعاه الى الكبر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما
ملعونا فاذا كانت خطية الرجل في كبر فلا ترجه واذا كانت خطيته في معصية فارجه وكانت خطية ادم
معصية وخطية ابليس كبرا لانه كان خازنا عليها فنسب اليها كما يقال للرجل مكي ومدني وكوفي وبصري
وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى الا ابليس كان من الجن قال كان من الجنانين الذين يعملون في
الجنة وعن قتادة جن عن طاعة الله ففسق عن امر ربه عن طاعة ربه افتتخذونه وذريته اوليا من
دوني وتستبدلونهم بي بان صرتم من حزبه ودخلتم في طاعته وتركتم حزب الله وخرجتم من طاعته
مع علمكم بان ابليس وذريته عدو لكم بيس البدل من الله ابليس وذريته للظالمين الذين استبدلوه فاطاعوه
بدل طاعته ما اشهدتهم اي ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي انفس
ابليس وذريته يعني انكم يا كفار قريش اتخذتم ابليس وذريته شركا لي في العبادة وانما يكونون شركا فيها لو كانوا
شركا في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا
خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض وما كنت متخذ المضلين عضدا واعوانا فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركا لي في العبادة وقيل الضمير
المنصوب في قوله ما اشهدتهم عايد الى الكفار الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد عن
مجلسك هولا الفقرا لا نومن بك فكانه قال تعالى ان هولا الذين اتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنت
الباطل ما كانوا شركا لي في تدبير العالم فاني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا اعتضدت
بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كساير الخلق فلم اقدموا على هذا الاقتراح الفاسد وقيل كانه
تعالى قال لهولا الكفار المقترحين المتعنتين السعيد من حكم الله بسعادته في الازل والشقي من حكم الله بشقاوته

في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فاني ما اشهدتكم خلق السموات والارض ولا خلق انفسكم فكيف يمكنكم ان تحكموا لانفسكم بالرفعه والعلو والكمال ولغيركم بالدنا والذله مع جهلكم باحوال الازل بل ربما صار الامر في الدنيا على عكس ما حكمتم به قوله تعالى ويوم يقول قرا حمزه نقول بالنون والباقون بالياء ونادوا شركاي الذين زعمتم لما قرر ان هولا الكفار اتخذوا ابليس وذريته اوليا واشركوا بالله واقتدوا بابليس في الافتخار على الفقرا عاد بعد الى التهويل باحوال يوم القيمه فقال ويوم اي واذكر يا محمد لهولا الكفار يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا والمعنى واذكر يا محمد لهم احوالهم واحوال الشركا يوم القيامه اذ يقول الله لهم نادوا شركاي اي ادعوا شركاي الذين زعمتم انهم شركاي حين اهلكتموهم للعباده من دوني واضافة الشركا الى الله تعالى على زعمهم توبيخا لهم واراد بالشركا الجن اي ادعوهم لينفعوكم وينصروكم فدعوهم ولم يذكر الله تعالى في هذه الايه كيفية دعوتهم وبين في ايه اخرى انهم قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا ثم قال تعالى فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى ما دعوهم اليه ولم يدفعوا عنهم ضررا ولم يوصلوا اليهم نفعا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موبقا اي مهلكا من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم مكان الهلاك وهو واد من اودية جهنم او هلاكا مشتركا يهلكون فيه او به جميعا وعن الحسن موبقا عداوه والمعنى عداوة في شدتها هلاك لقوله لا يكن حبك تكلفا ولا بغضك تلفا وعن الفرا البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمه ويجوز ان يريد بالشركا الملايكه وعزير وعيسى بن مريم ومريم وموبقا برزخا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لان هولا الكفار في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار اخبر الله تعالى عن روية المجرمين النار ومعاينتهم فظنوا اي فايقنوا انهم مخالطوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا والمعنى انه راى المجرمون اي هولا الكفار النار من مكان بعيد فايقنوا انهم مخالطوها وواقعون فيها ولم يجدوا عن النار معدلا الى غيرها لان الملايكه تسوقهم اليها **قوله تعالى** ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا اولئك الكفره لما افتخروا واكثروا الاموال والاعوان على فقرا المسلمين وبين الله تعالى بوجوه كثيره فساد قولهم وزاده بيانا بضرب المثلين المتقدمين قال بعده ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا والامر كذلك لانه تعالى بين فساد ما قالوه من وجوه كثيره ومع تلك البينات الشافيه والايات الوافيه والامثله المطابقه فهو لا يتركون الجدل الباطل فقال وكان الانسان اكثر شي جدلا اي اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شي ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يومنوا في محل النصب لانه مفعول منع اذ جاءهم الهدى اي لما جاءهم الهدى الذي هو دليل حقيقه الاسلام وقيل الهدى الذي هو شرع الله والبيان الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم عطف على قوله يومنوا والاستغفار هو طلب المغفره على فارط الذنوب كفرا وغيره الا ان ياتيهم استثنا مفرغ ومحل ان ياتيهم الرفع لانه في حكم فاعل وقيل ان ياتيهم مضاف محذوف هو الانتظار وسنة الاولين هي عذاب الاولين من الغرق والصيحه والريح وغيرها او ياتيهم العذاب عطف على قوله ياتيهم قبلا قرا عاصم وحمزه والكسائي قبلا بضم القاف والبا والباقون بكسر القاف وفتح البا عيانا اي عذاب غير عذاب المعهود والمعنى

وما منع الناس الايمان والاستغفار لما جاءهم الهدى الا انتظار ان ياتيهم عذاب الامم السالفه او ياتيهم عذاب الاخره عيانا واعلم انهم لا يوقفون الاقدام على الايمان والاستغفار على اتيان سنة الاولين او اتيان العذاب عيانا لان العاقل لا يرضى بحصول هذين الامرين الا ان حالهم يشبه حال من وقف العمل على احد هذين الامرين والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند اتيان احد الامرين وهذه الايه تاسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لان هذا المنع لم يكن بقصد منهم وانما امتنعوا مع اعتقادهم انهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا فكان حالهم يقتضي التاسف عليهم والناس يراد كفار مكة الذين تولوا دفع الشريعه وتكذيبها وما نرسل المرسلين لما تفجع عليهم وعلى ضلالهم او مصيرهم الى الخسار قال وليس الامر كما اعتقدوا والرسل لم نبعثهم ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات بل ما نرسل المرسلين الا مبشرين بالجنة من آمن ومنذرين بالنار من كفر ومع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا ليدحضوا اي ليزيلوا ويبطلوا بالباطل الحق وبين انهم اتخذوا ايات الله اي القران وانذارهم هزوا موضع استهزا ويجوز ان يكون ما فيما انذروا موصوله والراجع من الصله محذوف اي وما انذروه من العقاب وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شا الله لانزل ملايكه **قوله تعالى** ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمه لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا لما حكى الله عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده بصفات موجبه للخزي والخذلان فقال ومن اظلم استفهام على سبيل التقرير وهذا من افصح التقريرات يوقف الرجل على ما لا جواب له فيه الا الذي يريد خصمه والمعنى لا احد اظلم ممن ذكر ووعظ بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليه الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فتهاون بها ولم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه اي ما سلف من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المحسن له ما كسب والمسيء عليه ما كسب ثم علل اعراضهم ونسيانهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوا القران وافرد الضمير المرفوع في ذكر واعرض ونسي والمجرور في ربه ويداه وجمع المرفوع في ان يفقهوه والمجرور في قلوبهم واذانهم الافراد باعتبار لفظ من والجمع باعتبار معناه وفي اذانهم وقرا عطف على قلوبهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه تمسك المعتزله باسناد الفعل الى الكفار وقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الى اخر الايه تمسك اهل السنه والجماعه باسناد الفعل الى الله والمعتزله حملوا اسناد الفعل الى الله على سبيل المجاز لانه اسناد للفعل الى ما ليس منه الفعل بل الى ما هو من ملابسات الفعل التي ليست بفاعل حقيقه واسناد الفعل الى الكفار حقيقه واصحابنا قالوا اسناد الفعل الى الله تعالى باعتبار انه خالقه واسناده الى الكفار باعتبار الكسب قال الامام قلما تجد في القران ايه لاحد هذين الفريقين الا ومعها ايه للفريق الاخر والاستقرا الكاشف عن صدق قولنا وما ذاك الا امتحان شديد من الله تعالى القاه على عباده ليتميز العلما الراسخون عن المقلدين وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي وان تدعهم يا محمد الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا كان الاهتدا منهم محال لان الله جعل على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا جزا وجواب على انتفا هدايتهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى لم يهدهم قيل هذا تخرج على حد

تاويلين احدهما ان يكون هذا اللفظ العام يراد به الخاص ممن حتم الله عليه انه لا يومن ولا يهتدى
ويخرج عن العموم كل من قضى الله بهداه فى باقى الحال والاحزان ريب وان تدعهم الى الهدى جميعا فلن
يومنوا جميعا ابدا اى انهم ربما آمن منهم الافذاذ ونصطرنا الى احد هذين التاويلين انا نجد المخبر عنهم
بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثير وربك الغفور اى البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ذكر
صيغة المبالغة فى المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والله تعالى ترك اضرارا لا نهاية لها
مع انه قادر عليها والرحمة فعل وهو متناه ويجوز ان يكون المراد انه تعالى يغفر كثير الاثم ذو رحمة لا يحتاج
اليها لبعدها من المحتاجين لكثرة اثمهم استشهد على ذلك بترك مواخذه اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم
فى عداوة رسول الله صلعم قال بل لهم موعد اما يوم القيمة او يوم بدر او ساير ايام الفتح لن يجدوا
من دونه موئلا منجا وملجا عقب توعدهم بذكر القرى التى نزل بها ما توعد هولا بمثله فقال وتلك
القرى اى قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار للكفار الى القرى ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى
صفة لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار
اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا
لمهلكهم موعدا اى وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك
الاهلاك قرا شعبة عن عاصم مهلكهم بفتح الميم واللام وهو مصدر مثل الهلاك وحفص عن عاصم
بفتح الميم وكسر اللام وهو وقت الاهلاك والباقون بضم الميم وفتح اللام اما مصدر او وقت الهلاك
موعدا وقتا او مصدرا قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى
حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا
هذه القصة قصة ثالثة ليست من الكلام المتقدم ذكرها الله فى هذه السورة لتعين ما هو المقصود
فى القصتين المتقدمتين تقريره ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع
موجبات الشرف فى حقه ذهب الى الخضر فى طلب العلم وتواضع له وذلك يدل على ان التواضع
خير من التكبر فلم تكبرتم يا كفار قريش على فقرا المسلمين بكثرة الاموال والاعوان والتقدير
واذكر يا محمد اذ قال موسى وهو موسى بن عمران بمقتضى الاحاديث والتواريخ وبظاهر
القران اذ ليس فى القران موسى غير واحد وهو موسى بن عمران ولو كان فى الاية غيره لبينه
وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس رضى الله عنهما ان نوفا ابن امراة كعب قال ان الخضر ليس بصاحب
موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وهو كان نبيا قبل
موسى بن عمران فقال ابن عباس رضى الله عنهما كذب عدو الله وزعم اليهود ان موسى بن ميشا هو
الذى طلب هذا العالم ليتعلم منه وهو العالم الذى خرق السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار
وموسى بن عمران بعد ما انزل الله عليه التورية وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات
القاهرة العظيمة التى لم يتفق مثلها لاكثر الانبيا يبعد ان يبعثه بعد ذلك الى التعلم
والاستفادة والجواب عنه انه لا يبعد ان يكون العالم الكامل فى اكثر العلوم يجهل بعض
الاشيا فيحتاج فى تعلمها الى من هو دونه وهذا امر متعارف معلوم سبب خروج موسى عليه
السلام فى هذا السفر ما روى ابن عباس عن ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرايل فسيل اى الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم
الى

اليه تعالى فاوحى الله اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لى به
قال تاخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فانطلق معه فتاه يوشع بن نون
حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رووسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ
سبيله فى البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره
بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امر الله به فقال فتاه ارايت اذ اوينا الى قوله عجبا
وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا يقصان
آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا هو مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام من انت قال
انا موسى قال موسى بنى اسرايل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا يا موسى انى على
علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه فقال موسى ستجدنى ان شا الله صابرا
ولا اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شى حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان
على الساحل فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجا الا والخضر
قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها
لتغرق اهلها الى قوله عسرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجا
عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله تعالى الا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع
الغلمان فاخذ الخضر راسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس الى قوله
يريد ان ينقض فقال الخضر بيده فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شيت
لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك هذا حديث صحيح اخرجه مسلم والبخارى فى الصحيحين واما
التفسير واذ قال موسى لفتاه ليوشع بن نون من غير خلاف سماه فتاه لانه كان يلازمه ويأخذ
عنه العلم ويخدمه ومعنى لا ابرح لا ازال وليس المراد به لا ازول لانه اذا لم يزل لم يقطع ارضا وحذف
خبر لا ابرح لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلانه قوله حتى
ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين
وقيل يحتمل ان يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه
مقامه والمضاف اليه ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغايب الى لفظ المتكلم ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان مجمع البحرين ملتقى
البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقا الخضر البحرين قيل بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقيل هو عند طنجة
وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دبور الى صبا وقيل هو بافريقية وقيل هو بحر الاندلس وقيل
يريد بحرا ملحا وبحرا عذبا او امضى عطف على قوله ابلغ اى او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وقيل
الحقب عند العرب وقت غير محدود والمعنى لا ازال اسير ولو احتجت ان اسير حقبا فلما بلغا مجمع بينهما اى
فانطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين كانه اشارة الى قول موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين اى تحقق ما قاله
موسى وقيل بلغا مجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان الموضع الذى وقع فيه الحوت هو الموضع الذى
يسكنه الخضر او يسكن بقربه ولاجل هذا المعنى لما رجع موسى وفتاه بعد ان ذكر يقصده لان الموضع
الذى وقع فيه الحوت صار اليه نسيا حوتهما اى نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر
بالطلبة وقيل نسى يوشع ان يقدمه ونسى موسى ان يامره فيه بشى وقيل كان الحوت سمكة مملوحة

وقيل ان يوشع حمل الحوت فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الما
وبرده عاشت وروى انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الما على الحوت ووقع في
الما فاتخذ سبيله في البحر سربا اي تخذ الحوت في البحر سربا مسلكا في جوف الارض والمراد ان الله تعالى امسك
جرية الما على الحوت فصار الما كالطاق حتى سرى الحوت فيه وذلك معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا اي موسى
وفتاه الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى
ما راى من حيوة الحوت ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقى
على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت قال لفتاه
اي قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما ورا
الصخرة فان قيل كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه
معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا
مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت اجيب بانه قد شغله الشيطان بوساوسه
فذهب تفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك بان يوشع قد شاهد من موسى المعجزات
القاهرة والعجايب الباهرة واستانس بامثاله فلم يبق له اهتمام بحفظه قال الامام وعندي جواب اخر وهو
ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب فتاه هذا العلم الضروري تنبيها لموسى
عليه السلام على ان العلم لا يحصل البتة الا بتعليم الله وحفظه على القلب والخاطر قال ارايت بمعنى اخبرني
جا هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس فانه اذا حدث لاحدهم امر عجيب قال لصاحبه ارايت ما حدث
لي كذلك ههنا ولما طلب موسى الحوت وقال ليوشع اتنا غدانا ذكر يوشع ما راى من الحوت وما اعتراه
اي ما اعترا يوشع من نسيانه الى تلك الغاية فدهش يوشع فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كان يوشع قال
لموسى ارايت ما حدث لي اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت بحذف مفعول ارايت لان قوله فاني نسيت الحوت
وما انسانيه اذكره امر الحوت وما اعتراه اي ما اعترا يوشع من نسيانه الى تلك الغاية فدهش يوشع فطفق
ليسال موسى عن سبب ذلك كان يوشع قال لموسى ارايت ما حدث لي اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
من نسيانه الا الشيطان ان اذكره بدل من الهاء في وما انسانيه والهاء في ان اذكره راجع الى امر
الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف الذي هو واتخذ سبيله وبين المعطوف
عليه الذي هو فاني نسيت الحوت والتقدير فاني نسيت الحوت واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا
مفعول ثان لقوله اتخذ اي واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا وهو كونه شبه السرب وقيل
ان عجبا صفة لمصدر محذوف تقديره واتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا ووجه كونه عجبا
صيرورته حيا وانقلابه من المكتل والقا نفسه في البحر على غفلة منه وقيل انه تم الكلام عند
قوله واتخذ سبيله في البحر ثم قال يوشع عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤيته تلك العجيبة
ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقيل عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بقوي قال
ذلك اي قال موسى ذلك اي اتخاذ الحوت سبيلا في البحر هو الذي نطلبه لانه امارة الظفر
بالمطلوب من لقا الخضر قرا ابن كثير نبغي بالياء في الوصل والوقف ونافع وابو عمرو والكسائي
في الوصل وابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء في الحالين فارتدا على اثارهما قصصا لما عرف
موسى ويوشع انهما تجاوزا الموضع الذي يسكن فيه ذلك العالم ارتدا اي رجعا على طريقهما
يتبعان اثارهما اتباعا القصص اتباع الاثر **قوله تعالى** فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة
من

انه

من عندنا وعلمناه من لدنا علما فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر سمي به لانه جلس في فروة بيضا فاخضرت
والفروة الارض اليابسة وقيل لانه كان اذا جلس اخضر ما حوله وهل هو باق الى الان فيه قولان
وكان الحسن يذهب الى انه مات وصحح قول من يرى بقاه فانه لم يثبت حديث في بقاه وروى ابو بكر
النقاش ان محمد بن اسمعيل البخاري سيل عن الخضر والياس هل هما في الاحيا فقال وكيف يكون ذلك
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى على راس ماية سنة ممن هو اليوم على ظهر الارض احد روي في
الحديث ان موسى عليه السلام وجد الخضر مسجى في ثوبه مستلقيا على الارض فقال موسى له السلام
عليك فرفع الخضر راسه وقال واني بارضك السلام ثم قال الخضر له من انت قال انا موسى
قال الخضر موسى بني اسرايل قال موسى نعم قال لموسى الم يكن لك في بني اسرايل ما يشغلك عن
السفر الى هنا قال موسى بلى ولكن احببت لقاك وان اتعلم منك قال له الخضر اني على علم من علم
الله علمنيه الله لا اعلمه انا قيل علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا علم ظواهر الاحكام وافعاله
بحسبها وكان علم موسى عليه السلام علم الاحكام والفتيا بظواهر اقوال الناس وافعالهم
وروي ان موسى وجد الخضر قاعدا على لج البحر اي وسطه اتيناه رحمة وصف للعبد اي اتينا
ذلك العبد رحمة وحيا ونبوة فعلى هذا يكون الخضر نبيا وهو قول الجمهور وقيل الخضر عبد صالح
غير نبي والاية تشهد بنبوته فان بواطن افعاله لا تكون الا بوحي اليه فان النبي لا يتبع غير النبي
ولا يتعلم الا من النبي فلم احتاج موسى الى التعلم من اخر بل على انه موسى بن ميشا لا موسى ابن
عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في امور الدين اجيب بانه
لا غضاضة اي ذلة ومنقصة بالنبي في اخذ العلم من نبي وانما نقص منه ان ياخذ من غير نبي
وعلمناه من لدنا علما مختص بنا وهو الاخبار عن الغيب فقوله من لدنا علما يفيد ان هذا العلم
حصل للخضر من عند الله من غير واسطة واصحاب التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم
اللدني فاذا سعى الانسان في الرياضات فيزين الظاهر بالعبادة وتخلى النفس عن الاخلاق
الرذيلة وتحلي بالاخلاق الجميلة وتصير القوى الحسية والخيالية والوهمية ضعيفة وحينئذ
تصير القوة العقلية قوية صافية فتشرق الانوار الالهية على النفس القدسية وتحصل المعارف
والعلوم من غير تفكر وتامل وهذا هو المسمى بالعلم اللدني وقد تكون النفس بحسب اصل الفطرة
نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالحوادث البدنية شديدة الاستعداد لقبول الانوار الالهية
فيفيض عليها من عالم القدس تلك الانوار على وجه الكمال وهو المراد من قوله اتيناه رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علما **قوله تعالى** قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال
انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي
لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا قال موسى للخضر هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا اي علما ذا رشد يحتمل ان يكون الرشد راجعا الى الخضر اي مما علمك
الله وارشدك به ويحتمل ان يرجع الرشد الى موسى اي على ان تعلمني وترشدني مما علمت قرا
ابو عمرو رشدا بفتح الرا والشين وعن ابن عامر بضمهما شذوذا والباقون بضم الرا وسكون
الشين وهذه الاية دلت على ان موسى عليه السلام راعى انواعا كثيرة من الادب واللطف
عندما اراد ان يتعلم من الخضر منها انه جعل نفسه تبعا له ومنها انه استاذن في اتباعه
له ومنها انه قال على ان تعلمني فاقر على نفسه بعدم العلم وعلى الخضر بالعلم ومنها انه قال
مما علمت فطلب منه تعليم بعض ما علم الخضر فان من للتبعيض كانه يقول له لا اطلب منك ان

علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم

تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعلمني جزءا من اجزاء علمك ومنها انه اعترف ان الله
علمه ذلك العلم ومنها انه طلب منه الارشاد لانه لو لم يحصل الارشاد لحصلت الغواية والضلالة
ومنها انه طلب منه ان يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه اشعار بانه يكون انعامك علي عند هذا التعليم
شبيها بانعام الله عليك في هذا التعليم ومنها ان موسى ياتي بمثل افعال الخضر بمجرد كون الخضر اتيا به فان
الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه اتيا به ومنها ان قوله هل اتبعك يدل على طلب اتباعه
مطلقا في جميع الامور غير مقيد بشي دون شي ومنها انه اتى بهذه الانواع الكثيرة مع التواضع مع
علم الخضر بان موسى نبي بني اسرائيل وصاحب التورية وكليم الله وصاحب المعجزات الباهرة ومنها انه قال
هل اتبعك على ان تعلمني فطلب الاتباع اولا ثم طلب التعليم فاشار الى انه يجب اولا خدمته ثم يطلب التعليم
ومنها انه لم يطلب في الاتباع الا التعليم كانه قال لا اطلب منك على الاتباع الجاه والمال ولا غرض لي الا طلب
التعليم وهذا يدل على ان موسى اتى في طلب العلم باعظم انواع التواضع والمبالغة في رعاية الادب
وهذا هو اللايق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر وكان
طلبه لها اشد وكان تعظيمه لارباب العلم اكمل واشد قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا نفى الخضر
استطاعة موسى صبرا معه على وجه التاكيد كان استطاعة الصبر لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى
امورا في ظاهرها مناكير لم يحط موسى بها علما والرجل الصالح لا يتمالك ان يشمئز ويتمعر اي لا يتمالك
ان ينقبض ويغضب ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار فكيف اذا كان نبيا مرسلا صاحب شرع
امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خبرا علما تمييزا اي لم يحط به خبرا قال موسى للخضر ستجدني ان شاء الله صابرا ولا
اعصي لك امرا في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص رجى موسى عليه السلام لحرصه
على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعد موسى
الخضر الصبر معلقا بمشية الله لعلمه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة
الفساد شي لا يطاق هذا مع علم موسى ان النبي المعصوم الذي امر الله موسى بالمسافرة اليه واتباعه
واقتباس العلم منه بري ان يباشر ما فيه غميزة اي مطعن في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن
جميل فكيف اذا لم يعلم وقول موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا تواضع عظيم واظهار
للتحمل التام وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع باقصى الغايات واما
المعلم فان راى في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره
فان السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم قال الخضر لموسى
فان اتبعتني فلا تسالني قرا نافع تسالني بفتح اللام مشددة النون وابن عامر بتحريك اللام من غير
يا والنون مكسورة والباقون فلا تسالني ساكنة اللام اي شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيئا وقد علمت انه صحيح لكن خفي عليك وجه صحته وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسوال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع
قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد
جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا لما قال الخضر لموسى عليه السلام ان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك
منه ذكرا تشارطا على الشرط المذكور فانطلقا اي موسى وخضر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فعرف الخضر فحملا اي موسى والخضر
بغير نول اي اجر الى مقصدهما كرامة للخضر فلما لججوا اي خاضوا اللجة البحر اي معظمه اخذ

الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الما فلما راى موسى الخضر فعل فعلا
يودي الى غرق جميع من في السفينة لم يتمالك فجعل موسى يسد الخرق بثيابه قال موسى اخرقتها
لتغرق اهلها قرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها بفتح اليا ورفع اللام على ان الفعل لاصحاب السفينة
والباقون بضم التا ونصب اللام على ان الفعل للخضر لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما من امر الامر
اذا عظم قال الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فلم يزد الخضر عليه فتنبه موسى لما اتى به من مخالفة
الشرط قال موسى لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشي نسيته او بنسياني فان ما في بما نسيت
يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة او مصدرية اراد انه نسي وصية الخضر ولا مواخذة على الناسي
وقيل اخرج موسى الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهم الخضر انه نسي الوصية ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يحترز بها عن الكذب مع التوصل الى الغرض وقيل اراد
موسى بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري
اتباعي اياك عسرا اي ولا تعسر علي اتباعك ويسر علي بالاغضا وترك المواخذة **قوله تعالى** فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا في
موضع من و لما نزلا من السفينة مرا بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة فقتله قيل كان قتله
باقتلاع راسه وقيل رضخه بحجر وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين
وقيل هذا الغلام لم يبلغ الحلم وقيل بلغ وليس في القران ما يدل على شي من هذه الامور فلما شاهد موسى
قتل الغلام قال للخضر اقتلت نفسا زاكية قرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف والياء مشددة والباقون
بالالف من غير تشديد زاكية طاهرة من الذنوب اما طاهرة عند موسى لانه لم يرها اذنبت او طاهرة
لانها صغيرة لم تبلغ الحلم بغير نفس اي لم تقتل نفسا فيقتص منها وهذا يدل على ان الغلام قد بلغ
الحلم لان الصغير لا يقتل بنفس ولا بغير نفس قال اقتلت جزا الشرط فقتله من جملة الشرط والفا فيه
للعطف عطف بها على الشرط الذي هو لقيا وخرقها في قوله حتى اذا ركبا في السفينة خرقها جزا الشرط
الذي هو ركبا وانما خولف بينهما بدخول الفا في قوله فقتله وعدم دخولها في قوله خرقها لانه
تعقب القتل لقا الغلام ولم يتعقب خرق السفينة الركوب ثم قال موسى للخضر لقد جئت شيئا نكرا
اي شيئا منكرا وقيل شيئا انكر من الاول لان ذلك خرق يمكن تداركه بالسد ولا يلزم من الخرق
الغرق واما هاهنا فقتل النفس لا يمكن تداركه وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة ثم قال الخضر لموسى الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد هاهنا
لفظة لك لزيادة العتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر في الكرة الثانية ثم قال موسى
ان سالتك عن شي بعدها اي بعد هذه الكرة او بعد هذه المسالة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
اي اعذرت الي وبلغت الي العذر من قبلي قال موسى فلا تصاحبني مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته
وهذا كلام نادم شديد الندامة والمراد من قوله قد بلغت من لدني عذرا انه يمدحه
بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا
ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا
قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فانطلق موسى والخضر يمشيان

لا يشاهد الخضر امرا يستغرب فيه ما عنده من علمه حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما
اى طلبا من اهل القريه ان يطعموهما والقريه انطاكيه وقيل هي الايله وهي ابعد ارض الله من السما
وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولئك القوم يستطعمانهم فابوا اى اهل القريه ان يضيفوهما
ان ينزلوهما اضيافهم عن عاصم يضيفوهما بضم اليا الاولى وكسر الضاد وتخفيف اليا الثانيه
وقرا الباقون يضيفوهما بفتح الضاد وتشديد اليا الثانيه وكسرها يقال ضفت انا واضافني الذى
ينزلني قال الزجاج ضفت الرجل اذا نزلت عليه واضفته اذا انزلته وقريته وقال ابن قتيبه
يقال ضفت الرجل اذا انزلته منزل الاضياف ومنه هذه الايه واضفته انزلته وضفته نزلت
عليه وروى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل القريه لياما وقيل شر القرى
التى لا تضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا اى فرايا جدارا يريد ان ينقض
فاقامه اى يريد ان يسقط سريعا ينقض مضارع انقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطاير وهو الفعل
مضارع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمره والاراده من صفات الاحيا استعيرت للمداناه
والمشارفه كما استعير الهم والعزم لذلك قال الشاعر يريد الرمح صدر ابى برا ويعدل عن دما بنى عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وقيل عزم السراج ان يطفا قال صاحب الكشاف
واذا كان القول والنطق والشكايه والصدق والكذب والسكوت والتمرد والابا والعزم والطواعيه
وغير ذلك مستعارا للجماد ولما لا يعقل فما بال الاراده قال اذا قالت الانساع للبطن الحق يقول سنى
للنواطمى لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الى بعيره وتحمم ان لك طى صادق وهو صادق ولما
سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاوه هم اذا انقاد الهموم
تمرد ان الرواد فى المدى لبعضهم مس الطعون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طايعين فاقامه فاقام
الخضر الجدار قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده واستوى وهذا من معجزاته وقيل اقامه بعمود
عمده به وقيل نقضه ثم بناه وقيل طول الجدار فى السما مايه ذراع فلما اقام الخضر هذا الجدار وكانت
الحاله حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجه الى اخذ كسب المرا وهو المسله ولم يجد
مواسيا لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجه ان قال لو شيت لتخذت قرا ابن كثير
وابو عمرو لتخذت بكسر الخا غير ان ابا عمرو كان يدغم الذال وابن كثير كان يظهرها والباقون لاتخذت
بفتح الخا وكلهم ادغموا الا حفصا عن عاصم فانه لم يدغم مثل ابن كثير تخذ واتخذ لغتان عليه اى طلبت
على عملك جعلا نصرفه الى المطعوم حتى ينتعش به ويستدفع به الضرورة ثم قال الخضر هذا فراق
بينى وبينك يعنى هذا الفراق بينى وبينك اى هذا الفراق هو ذلك الفراق الموعود فان الخضر قد
تصور فراق بينه وبين موسى عند حلول ميعاد الفراق على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك
عن شى بعدها فلا تصاحبنى فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه ويجوز ان يكون هذا اشارة
الى السوال الثالث اى هذا السوال هو سبب الفراق ومعنى قوله هذا فراق بينى وبينك هذا
فراق حصل بينى وبينك فاضيف المصدر الى الظرف وقيل البين الوصل فكان المعنى هذا فراق وصلى وصلك
اى هذا فراق اتصالنا فقال موسى للخضر نبئنى بتاويل ما لم استطع عليه صبرا فقال الخضر لموسى
سانبيك ساخبرك بحكم هذه المسايل الثلاث **قوله تعالى** اما السفينه فكانت لمساكين يعملون فى
البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينه غصبا واما الغلام فكان ابواه
مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينه وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد

ربك

ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تاويل ما لم
تستطع عليه صبرا اعلم ان موسى صلوات الله وسلامه عليه كان نبيا مرسلا صاحب شريعه
وكتاب فاحكامه مبنيه على الظواهر لان كل نبى مرسل صاحب شريعه وكتاب فاحكامه مبنيه على
الظواهر لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السراير واحكام الخضر فى
المسايل الثلاث لم تكن مبنيه على ظواهر الامور بل كانت مبنيه على الاسباب الحقيقيه الواقعه فى نفس
الامر لان الظاهر حرمة التصرف فى اموال الناس وفى ارواحهم من غير سبب ظاهر والخضر تصرف فى اموال
الناس فى المسله الاولى من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان تخريق السفينه تنقيص لملك الانسان
من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التنقيص وتصرف فى ارواحهم فى المسله الثانيه من غير سبب ظاهر
يبيح ذلك التصرف لان الاقدام على القتل اى قتل ذلك الغلام اضرار به من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاضرار
وتصرف فى اموال الناس فى المسله الثالثه من غير سبب ظاهر فان اقامة الجدار المايل تحمل للتعب والمشقه
من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاضرار فحكم الخضر فى المسايل الثلاث على حكم الظاهر وتاويل الخضر عليه السلام
فيها على حكم بواطنها والاطلاع على اسرارها الكامنه والتاويل فيها مبنى على حرف واحد وهو ان عند
تعارض الضررين يجب ارتكاب الادنى لدفع الاقوى لكن اذا كان المرتكب قد اتاه الله من لدنا علما يطلع به على
بواطن الامور وحقايق الاشيا وزيادة ضررها فهذا هو الاصل فى المسايل الثلاث اما المسله الاولى
فلان الخضر علم انه لو لم يعب تلك السفينه بالخرق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها وهم
المساكين الذين يعملون فى البحر وعلم ان خرقها لا يفضى الى اغراق اهلها وبين ان لا يخرقها فيغصبها الملك
ويفوت منافعها بالكليه على ملاكها ولا شك ان الضرر الاول ادنى فوجب ارتكابه لدفع الضرر الثانى الذى
هو اقوى واما المسله الثانيه فكذلك لانه علم بالعلم الذى اتاه الله من لدنه ان بقاء ذلك الغلام حيا مفسده
للوالدين فى دينهم ودنياهم وعلم ان الضرر الناشى من قتل ذلك الغلام اقل من الضرر الناشى من بقايه حيا
ويعود ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاقدم على قتله واما المسله الثالثه فكذلك لان المشقه الحاصله بسبب اقامة
الجدار المايل اسهل من المضار الحاصله بسبب ترك اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال الغلامين
اليتيمين وفيه ضرر شديد والحاصل ان موسى انما اعترض هذه الاعتراضات بنا على الظواهر التى هى مبانى
قواعد الشرع والخضر بنى احكامه على حقايق الاشيا واحوالها الباطنه التى علمها بالعلم الذى اتاه الله من لدنه
ثم شرع الخضر فى تاويل ما لم يستطع موسى عليه صبرا فقال اما السفينه فكانت لمساكين اى لضعفا محتاجين
يعملون فى البحر قيل كانت السفينه لعشرة اخوه خمسه منهم زمنى وخمسه يعملون فى البحر يتعيشون بها والشافعى
احتج بهذه الايه على ان حال الفقير فى الحاجه اشد من حال المساكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا
يملكون السفينه ثم قال الخضر فاردت ان اعيبها اى السفينه لئلا تغصب فان وراء المساكين ملكا
ياخذ كل سفينه صالحه غصبا اى امامهم لقوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وتحقيقه ان كل ما
غاب عنك فهو متوار عنك وانت متوار عنه فكل ما غاب عنك فهو وراك وامام الشى اذا كان غايبا عنك كان
متواريا عنك فصح اطلاق وراء عليه وقيل وراءهم اى خلفهم وكان طريق المساكين فى رجوعهم على الملك والحاصل
ان وراء المساكين ملكا ياخذ كل سفينه صالحه غصبا وما كان عند المساكين خبر ذلك الملك فاعلم الله به
الخضر فاراد الخضر ان يعيب السفينه لئلا تغصب ذلك الملك تلك السفينه فان الملك لم ياخذ السفينه المعيبه
غصبا ثم ذكر الخضر تاويل المسله الثانيه فقال واما الغلام فكان ابواه مومنين قيل ان ذلك الغلام
كان بالغا وكان يقطع الطريق ويقدم على الافعال المنكره وكان ابواه يحتاجان الى دفع شر الناس والتعصب له وتكذيب
من يرميه بشى من المنكرات وكان يصير ذلك سببا لوقوعهما فى الطغيان والكفر وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى
اعلم الخضر بحاله وبانه لو صار بالغا لوقع منه هذه المفاسد قوله فخشينا ان يرهقهما اى فخفنا ان يغشى ذلك

الغلام الولد الذين طغيانا عليهما وكفرا لنعمهما بعقوقه لهما وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلا او يقرن بايمانهما
طغيانه ولعزم فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر قيل يخفنا ان يحمل ذلك الغلام ابويه على الطغيان
والكفر لان ابويه لاجل حب ذلك الولد يحتاجان الى الذب عنه وربما احتاجا الى موافقته فيضلهما
بضلاله فيطغيا ويكفرا ابعدا لايمان ثم قال الخضر فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة اى اردنا ان
يرزقهما ولدا خيرا من هذا الغلام زكوة اى دينا صالحا قيل ان قول الخضر فاردنا ان يبدلهما ربهما
خيرا منه زكوة في مقابلة قول موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس فقال الخضر ان تلك النفس وان كانت زاكية
طاهرة في الحال الا ان الله اعلمني بانها اذا بلغت اقدمت على الطغيان والكفر فاردنا ان يبدل الابوين
ربهما ولدا خيرا من هذا الغلام زكوة طهارة من الذنوب واقرب رحما قرا ابن عامر رحما مثقلة والباقون ساكنة
الحا اى اقرب رحما وعطفا بابويه بان يكون ابر بهما واشفق عليهما روى انه ولدت لهما جارية
تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يده امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا
مثلهما ثم ذكر الخضر تاويل المسئلة الثالثة فقال واما الجدار فكان لغلامين يتيمين اى الجدار الذي كان مايلا
فاقمته كان لغلامين يتيمين في المدينة اى القرية التي استطعما اهلها وهذا يدل على ان اسم القرية
لاينافي اسم المدينة وكان تحت ذلك الجدار كنز للغلامين قيل مال مدفون من ذهب وفضة لان الكنز لغة
المال المدفون وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن ولمن يومن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر الاول
وهو المال لاطلاق الكنز وكان ابوهما صالحا يفيد ان صلاح الابا يستدعي العناية باحوال الابنا وعن
جعفر الصادق كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة ابا وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي
خير منه فقال انبانا الله انكم قوم خصمون وقيل ان الاب الصالح كان الناس يضعون الودايع عنده
فيردها اليهم بالسلامة ثم قال الخضر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى كمال الخلق والعقل
ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما قال الامام رحمه
من ربك لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر
الاعلى وجا في انبا الخضر في الاولى فاردت ان اعيبها وفي الثانية فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا
منه وفي الثالثة فاراد ربك ان يبلغا فاختلفت الارادات الثلاث في الاسناد وهي كلها في قصة
واحدة وانما انفرد اولا في الارام لانها متعلقة بالعيب فتادب بان لم يسند الارادة فيها الا
الى نفسه كما تادب ابرهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين وانما قال الخضر في الثانية فاردنا لانه
امل ارادة الخضر والصالحون من اصحابه وانما اسند الارادة في الثالثة الى الله تعالى لانها في امر
مستانف في زمن طويل غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله وان كان الخضر ايضا
اراد ذلك الذي اعلمه الله انه اراد وقد اسند التبديل الى ربهما في الثانية واضاف الرب في
الثالثة الى موسى لان تبديل الابوين خيرا منه من الله لهما فناسب اسناد التبديل الى الله واضافة
الرب اليهما وارادة الله تعالى بلوغ الغلامين اشدهما كارادته ان يبلغ موسى اشده مما يحاله الى امه
ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فناسب اضافة الرب الى موسى ثم قال الخضر وما فعلته عن امري اى وما فعلت ما رايته عن امري اى عن
اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ووحيه لان الاقدام على تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم
لا يجوز الا بالنص القاطع والوحي وانما قال الخضر ذلك للسائل وما فعلته عن امري تمهيدا للعذر فيما فعله

وايضاحا

وايضاحا لما اشكل على موسى ثم قال الخضر لموسى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اشارة بذلك الى ما
ذكره من التاويل في المسائل الثلاث وقوله تسطع بمعنى تستطيع فان اسطاع واستطاع بمعنى اطاق قيل
انما قال هنا تسطع وقبل تستطع جمعا بين اللغتين والظاهر انه اوجزها لانه مقام الايجاز لانه كان مستعجلا
بالفراق وروي في تفسير هذه الاية ان الله جعل هذه الاسئلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى
وعجبا له وذلك انه لما انكر امر خرق السفينة نودي ياموسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت
مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه
فلما انكر اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر ولما اراد موسى
مفارقته قال للخضر اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به وقال ايضا كن بساما ولا تكن ضحاكا
ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران
قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه
من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما
قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا وسنقول له من امرنا يسرا هذه القصة هي القصة الرابعة
من القصص المذكورة في هذه السورة وهي من الامور الثلاثة التي قالت اليهود لقريش سلوا محمدا عن
ثلثة عن فتية ذهبوا في الدهر الاول وعن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها وعن الروح
اختلف الناس في ان ذا القرنين من هو فقيل الاسكندر بن فيلسوف اليوناني الذي ملك الدنيا والذي
يدل على هذا ان القران دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى اقصى المغرب والمشرق قال
الله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب وقال حتى اذا بلغ مطلع الشمس والى اقصى الشمال
قال الله حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل
هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه
الترب وان لا يبقى مخفيا مستترا والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد الاسكندر
ولما كان القران دالا على ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت في كتب التواريخ
ان الذي هذا شانه ما كان الا الاسكندر ظهر ان المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلسوف
اليوناني ثم ذكروا في وجه تسمية الاسكندر بذي القرنين وجوها منها انه لقب به لبلوغه قرني الشمس
اى مطلعها ومغربها عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها
شرقها وغربها ومنها سمي به لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك ومنها انه انقرض
في وقته قرنان من الناس ومنها انه كان له قرنان اى ضفيرتان ومنها انه كان لتاجه قرنان ومنها
انه كان على راسه ما يشبه القرنين ومنها انه كانت صفحتا راسه من نحاس ومنها انه لقب بذلك لشجاعته
كما سمي الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه ومنها انه راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها
وجانبيها ومنها انه تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتمده الظلمة من ورايه
ومنها انه دخل النور والظلمة ومنها انه ضرب على قرنه الايمن ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر ويسئلونك
اى كفار قريش ابو جهل واشياعه وقيل هم اليهود سالوه على وجه الامتحان قل يا محمد لهم ساتلوا عليكم
من ذي القرنين ذكرا ان وفقني الله تعالى عليه وانزل فيه وحيا واخبرني عن كيفيته والخطاب
في عليكم لاحد الفريقين كفار قريش او اليهود انا مكنا له في الارض من حيث انه ملك مشارق الارض
ومغاربها قيل ويحتمل ان يكون المراد منه التمكين من جهة النبوة ايضا فان التمكين من جهة النبوة

فلجز الحسني

والملك اعلى من التمكين من جهة الملك فقط وحمل التمكين المنسوب الى الله تعالى على الوجه الاكمل اولى واتيناه من كل شيء سببا اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في الملك فقط وقيل في الملك والنبوة على تقدير لو نبيا سببا اي طريقا موصلا اليه والسبب في الاصل الحبل ثم استعير لكل شيء ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع سببا اي فاذا اراد شيئا اتبع سببا يوصله اليه **قوله تعالى** حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا معناه انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو فاتبع ثم اتبع ثم اتبع مشددات التاء والباقون فاتبع ثم اتبع ثم اتبع مقطوعات فاتبع معناه قفا الاثر فاتبع معناه لحق وقيل اتبع تقديره اتبع سببا سببا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم حمئة والباقون حامية فمن قرا حمئة اراد في عين ذات حماة يقال حمئت البير اذا اخرجت حماتها واحماتها اذا القيت فيها الحماة وحميت البير حما بالتحريك اذا كثرت حماتها فهي حمئة والحماة الطين الاسود وكذلك الحما ومن قرا حامية بغير همز اراد حارة وقد تكون حارة ذات حماة ووجد ذو القرنين عند العين الحمئة قوما لباسهم جلود السباع وليس لهم طعام الا ما احرقت الشمس من الدواب اذا غربت نحوها وما لفظت العين من الحيتان اذا وقعت فيها الشمس والمراد ان ذا القرنين بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وربما توهم متوهم ان هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها في عين ما وليس كذلك فانها اكبر من الدنيا مرارا فكيف تسعها عين وانما وجدها تغرب في راي العين تغرب في عين مظلمة لا انها تغرب فيها حقيقة كما ان راكب البحر اذا لم ير الشط يرى في راي العين الشمس تغرب في البحر وهي في الحقيقة تغرب وراء البحر قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب يدل على ان القوم كانوا كفرة فخير الله ذا القرنين بين ان تعذبهم ان اقاموا على الكفر وبين ان تتخذ فيهم حسنا اي يفعل بهم فعلا ذا حسن اي تدعوهم الى الاسلام فتعفوا عنهم ان اسلموا تلخيصه ان الله تعالى خير ذا القرنين بين ان يدعوهم الى الاسلام ويعفو عنهم او يأسرهم ان اسلموا فاختار ذو القرنين الدعوة والاجتهاد في استمالتهم واتخاذ الحسنى فيهم تركهم احياء ثم قال ذو القرنين اما من ظلم نفسه بان دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا فهو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى جزاء قال الاسكندر وسنقول له من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغيره ذلك وتقديره ذا يسر لقوله تعالى قولا ميسورا قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم جزاء بالنصب والتنوين قيل هو مصدر منصوب على الحال المعنى فله الحسنى مجزيا بها جزاء والباقون رفعا مضافا قيل الحسنى الجنة واضيف الجزاء اليها وهي الجزاء لقوله وانه لحق اليقين ودين القيمة ولدار الآخرة وعن ابي علي الفارسي المعنى فله جزاء الخلال الحسنى لان الايمان والعمل الصالح خلال **قوله تعالى** ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اي ثم اراد بلوغ مطلع الشمس فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي ما يسترهم من الشمس ليس هناك ابنية ولا شجر ولا جبال يمنع وقوع شعاع الشمس عليهم قيل القوم هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت

الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وذكر في كتب التفسير ان بعضهم قال خرجت مسافرا حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفترش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **قوله تعالى** كذلك اي امر ذي القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا نصب على المصدر لان في احطنا معنى خبرنا وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الحصون والجبال والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغرب الشمس وقيل تطلع الشمس على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيب من بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم **قوله تعالى** ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ثم اراد ذو القرنين بلوغه بين السدين قرا ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين والباقون بضمها قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل ما هو مضموم من فعل الله وما هو مفتوح من فعل الادميين وقيل المفتوح الحاجز بين الشيئين والمضموم الغشاوة فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما ولهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وقيل في ناحية الشمال وقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وجد اي لما بلغ ذو القرنين بين السدين وجد من دونهما من ورائهما مجاوزا عنهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قرا حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء اراد يفهمون غيرهم والباقون بفتح الياء قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم قالوا اي قال هولاء القوم لذي القرنين يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما اعجميان بدليل منع الصرف عن ابن عباس ياجوج رجل وماجوج رجل وهما ابنا يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وقيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا مفسدون في الارض بحمل لكل هذه المفاسد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر ولهم من الشعر ما يواريهم من الحر والبرد قيل ياجوج وماجوج عشرة اجزاء وولد ادم كلهم جزء وعن السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه فهل نجعل لك خرجا قرا حمزة والكسائي خراجا بالالف والباقون خرجا بغير الف قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه اي هولاء القوم قالوا لذي القرنين فهل نجعل لك جعلا نخرجه من اموالنا على ان تجعل بيننا وبين ياجوج وماجوج سدا ثم قال ذو القرنين لهولاء القوم ما مكني قرا ابن كثير مكنني بنونين اظهرهما لانهما من كلمتين الاولى من الفعل والثانية يدخل مع الاسم المضمر والباقون مكني بالتشديد ادغم النون في النون لاجتماع النونين قيل اراد تمكينه فيه العلم بالله وطلب ثوابه وقيل ما ملك من الدنيا والمعنى

ما جعلني فيه ربي مكينا من كثرة الاموال واليسار خير مما تبذلون من الخراج فلا حاجة لي في مالكم ولكن
اعينوني بقوة بفعله وصناع يحسنون العمل والبنا وبالالات اجعل بينكم وبين ياجوج ردما سدا
حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد لان الردم ما جعل بعضه على بعض يقال ثوب مردوم
اذا كان قد رقع رقعة فوق رقعه **قوله تعالى** اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا
له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا قال ذو القرنين
اتوني قرا ابو بكر عن عاصم ردما ائتوني بكسر التنوين والباقون ردما اتوني زبر الحديد اي قطع
فاتوها فحفر للاساس حتى بلغ الما وجعل الاساس من الصخر والنحاس ثم وضع تلك الزبر بعضها على
بعض بينها الحطب والفحم حتى ساوى بين الصدفين قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الصاد
والدال وابو بكر عن عاصم بضم الصاد وسكون الدال والباقون بفتح الصاد والدال اي جانبي الجبلين
اي حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما قال ذو القرنين انفخوا فيها فنفخوا فيها حتى اذا جعله نارا اي حتى
اذا صارت نارا اي كالنار قال ذو القرنين اتوني قرا حمزة وابو بكر عن عاصم ائتوني مقصورا والباقون
اتوني ممدودا اي اعطوني واتوني اي جيئوني به قطرا نحاسا مذابا افرغ عليه اي اصب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فاتوه النحاس المذاب فصبوه على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا اشبه بعد ما بين السدين مائة فرسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رجلا اخبره فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته
ثم قال ذو القرنين فما اسطاعوا اي فما استطاع ياجوج وماجوج ان يظهروه اي ان يعلوا
السد وما استطاعوا له نقبا اي لا حيلة لياجوج وماجوج في السد من صعوده لارتفاعه وانملاسه
ولا من نقبه لصلابته وثخانته ثم قال ذو القرنين هذا السد رحمة من ربي ونعمة على عباده
وقيل هذا الاقدار والتمكين من تسويته رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي اي جا يوم القيمة جعل
السد دكا قرا عاصم وحمزة والكسائي دكاء ممدودة مهموزة بلا تنوين والباقون منونا غير مهموز
ولا ممدود اي مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض وكان وعد ربي حقا ثابتا بالثواب والعقاب
وغيرهما وههنا اخر حكايته قول ذي القرنين **قوله تعالى** وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ
في الصور فجمعناهم جمعا وتركنا بعضهم يومئذ اي يوم سد من ورا السد يموج يختلط في بعض لكثرتهم
وحيرتهم لامتناع خروجهم او يوم خروجهم يموج بعضهم في بعض من ورا السد مزدحمين في البلاد
روي انهم يحفرون كل يوم الردم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم فيحفرونه ويخرجون مقدمتهم بالشام
وساقتهم بخراسان وياتون البحر فيشربون ماه وياكلون دوابهم ياكلون الشجر وياكلون
من ظفروا به من الناس ممن لا يتحصن منهم ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون والنغف الدود الذي يكون في انوف الابل
وفي الحديث ان ياجوج وماجوج يسلط عليهم النغف فياخذ في رقابهم فيرسل الله عليهم طيرا
فيلقيهم في البحر ويرسل مطرا تغسل الارض وخروجهم بعد خروج الدجال وقتل عيسى الدجال
وقيل وتركنا بعضهم اي بعض الكفار وقيل وتركنا بعضهم اي جعلنا بعض الخلق يومئذ يوم القيامه
يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور اوان خروجهم
هذه نفخة البعث فجمعناهم اي فجمعنا جميع الخلق في يوم القيامه في مكان واحد للحساب **قوله
تعالى** وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا

يستطيعون

اي وتركنا بعض
ياجوج وماجوج
م

بلغ

يستطيعون سمعا اي اظهرنا جهنم يوم القيامة للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي اعين قلوبهم
في غفلة عن توحيدي والايمان بي وبكتابي وقيل عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم وقيل عن
القران وتامل معانيها وتبصرها والمراد شدة انصرافهم عن قبول الحق وكانوا عطف قوله كانت اعينهم اي وكانوا
صما عن ذكري الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح وهولا زال عنهم الاستطاعة للسمع والذين كانت
اعينهم نعت للكافرين وارد على سبيل الذم او بدل منهم **قوله تعالى** افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي
من دوني اوليا انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه فحبطت اعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاوهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا لما بين الله تعالى اعراض
الكافرين عن الذكر وعن استماع القران عقبه بقوله افحسب الذين اي افظن الذين كفروا اي المشركون
ان يتخذوا عبادي عن ابن عباس الشياطين وعن مقاتل الاصنام وقيل الملائكة والمسيح وعزير وسائر
المعبودات افحسب استفهام على سبيل التوبيخ الذين كفروا فاعل حسب ان يتخذوا مفعوله الاول عبادي
مفعول ان يتخذوا اوليا مفعوله الثاني وجواب الاستفهام محذوف والمعنى افظن الذين كفروا اتخاذهم
من دوني اوليا ينفعهم اي ان الملائكة لا يكونون لهم اوليا كما حكى الله تعالى عنهم سبحانك انت ولينا من
دونهم قرا نافع وابو عمرو من دوني بفتح اليا والباقون بسكونها انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا اي ما
يقام للنزيل وهو الضيف ونظيره قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وقيل النزل هو الماوى والمنزل
ثم ذكر تعالى ما ينبه به على جهل القوم فقال قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا منصوب على التمييز لانه لما
قال بالاخسرين كان ذلك مبهما لا يدل على ما خسروه فبين ذلك اي نوع وقع الذين ضل اي ضاع وبطل
يعني تعبوا انفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا فنالوا به هلاكا وعطبا ولم يدركوا ما
طلبوا كالمشتري سلعة يرجو بها ربحا وفضلا فخاب رجاوه وخسر بيعه عن علي ابن ابي طالب هم
الرهبان والقسوس الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وعن سعيد بن ابي وقاص وعبد الله بن عباس
هم اليهود والنصارى وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان عبد الله بن الكوا ساله عنهم فقال
علي رضي الله عنه انتم يا اهل حروراء الذين ضل سعيهم في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره
هم الذين ضل لانه جواب عن السوال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل وهم يحسبون انهم
يحسنون يعني هم ياتون باعمال يظنون انها طاعات وحسنات وهي في انفسها معاص وسيات لكفرهم
اولئك الذين كفروا بايات ربهم اي جحدوا دلايل توحيده وكفروا بالبعث والجزا ولقايه اي رويته
لانهم كفروا برسول الله والقران صاروا كافرين بهذه الاشيا فحبطت فبطلت اعمالهم فلا يكون لهم
عند يوم القيامة وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات
والسيات من المومنين الموحدين عن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيامه هي عندهم
في العظم كجبال تهامه فاذا وزنوها لم تزن شيا ثم قال تعالى ذلك جزاوهم اي الذي ذكرنا من انواع
الوعيد هو جزاوهم على اعمالهم جهنم عطف بيان لقوله جزاوهم ثم بين ان ذلك جزاوهم بما كفروا اي بكفرهم
واتخاذ ايات الله ورسله هزوا فلم يقتصروا على الكفر بل ضموا اليه الاستهزا بايات الله ورسله
قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون
عنها حولا لما بين وعيد الكفرة والاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم اردفه بوعد المومنين بعثا على
سلوك طريقتهم واتباع سيرتهم لا يبغون عنها حولا تحولا اي لا يطلبون تحولا عن جنات الفردوس
لانه لا مزيد على جنات الفردوس وخيراتها ولذاتها حتى يشتهي انفسهم ذلك وهذا غاية الوصف

لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان يشتهي ما هو ارفع منه ويطمح طرفه الى ما هو اعلى منه **قوله تعالى**
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
لما بين في هذه السورة انواع الحجج والبينات وشرح قصص الاولين نبه على كمال القران فقال قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي والمداد اسم لما يمد به الدواة من الحبر والمعنى لو كان ماء البحر مدادا تكتب به كلمات
علم الله تعالى وحكمته لنفد ماء البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثل ماء البحر مددا اي مدادا لنفد
ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز والمراد بالبحر الجنس وتقرير الكلام ان البحر كيف ما فرض في الاتساع
والعظم متناهيه والمتناهي لا يفي بغير المتناهي قيل روي ان حيي بن اخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الايه يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة
من بحر كلمات الله ولما بين كمال كلام الله امر محمدا بان يسلك طريقة التواضع فقال قل يا محمد انما انا بشر
مثلكم لا امتياز بيني وبينكم في شيء من الصفات الا في ان الله تعالى اوحى الي انما الهكم اله واحد قال الامام
انه يدل على مطلوبين احدهما ان كلمة انما تفيد الحصر وهي قوله انما الهكم اله واحد والثاني ان يكون
الاله واحدا امكن اثباته بالدلايل السمعيه فمن كان يرجو لقاء ربه اي فمن يأمل رؤية ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي ولا يرائي بعمله بل يبتغي به وجه الله خالصا لا يختلط به غيره قيل
نزلت هذه الايه في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع
عليه احد سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي ايضا انه قال لك اجران
اجر السر واجر العلانيه فالروايه الاولى محموله على ما اذا قصد بعمله الريا والسمعه والثانيه محموله على ما اذا قصد
ان يقتدى به والمقام الاول مقام المبتدي والمقام الاخر مقام المنتهي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا

سورة مريم

هي
مكيه باجماعهم من غير خلاف علمناه وعن مقاتل هي مكيه غير سجدتها فانها مدنيه وقيل هي مكيه غير
ايتين منها قوله فخلف من بعدهم خلف والتي تليها وهي ثمان وتسعون ايه وتسعمايه واثنان وستون كلمه
وثلاثه الف وثمانمايه حرف وحرفان عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
مريم اعطي من الاجر حسنات بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهرون
وابرهيم واسحق ويعقوب واسمعيل وبعدد من دعا لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص قرا ابو عمرو باماله الها وفتح اليا والكسائي وابو بكر عن عاصم باماله فتحة اليا والها
وبن كثير وحفص عن عاصم بفتحهما وبن عامر وحمزه بفتح الها واماله فتحة الها عن بن عباس
رضي الله عنه هو اسم من اسما الله تعالى وقيل هو اسم الله الاعظم وعن قتاده هو اسم من اسما القران
وقيل هو اسم السوره وعن بن عباس هو قسم اقسم الله به وعن الكلبي هو ثنا اثنى الله به على نفسه وعنه
الكاف من كريم وكبير والها من هاد واليا من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق
وعن الكلبي كاف لخلقه هاد لعباده يد فوق ايديهم عالم بريته صادق في وعده **قوله تعالى**
ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه ندا خفيا قيل ذكر مرفوع بانه خبر مبتدا هو كهيعص
وقيل خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمة ربك وقيل ذكر مرتفع بالابتدا
والخبر مقدر تقديره فيما اوحي اليك ذكر رحمت ربك وذكر مصدر مضاف الى الرحمه وهي فاعله
وعبده مفعولها وقيل رحمه صله اي وذكر ربك عبده زكريا وقيل فيه تقديم وتاخير معناه
ذكر ربك عبده زكريا فرحمه زكريا بدل من عبده يعني اجابته اياه حين دعاه وساله الولد اذ

نادر

اذ نادى ربه دعاه ندا خفيا خافيا يخفي ذلك في نفسه لا يريد ريا وقيل ندا دعا سرا من قومه في جوف
الليل مخلصا فيه لم يطلع عليه الا الله وهذا يدل على ان المستحب في الدعا الاخفا راعى زكريا سنة الله في
اخفا دعوته لان الجهر والاخفا عند الله سيان وكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا وادخل في
الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يقول الناس انظروا الى هذا الشيخ يسال الولد على الكبر وقيل
اخفاه من مواليه بني عمه الذين خافهم لئلا يعادوه ويظنوا انه كره ان يلوه بعد مكانه وقيل خفت صوته
لضعفه وهرمه كما جا في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات **قوله تعالى** قال رب اني وهن العظم
مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعايك رب شقيا رب اني وهن العظم مني وانما ذكر العظم لانه
عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما في البدن
واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحد العظم لان الواحد هو الدال على معنى الجنسيه وقصد
الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما ركب به الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا
الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل الراس شيبا شبه الشيب بشواظ النار في
بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعاره
ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفا بعلم المخاطب
انه راس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه الجمله وشهد لها بالبلاغه قال صاحب المفتاح ولمصادفة الاجمال
والتفصيل موقعه فيما يحكيه جل وعلا عن زكريا عليه السلام من قوله واشتعل الراس شيبا في مقام المباسطه
وحين التلقي لتوابع انقراض الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن وفي هذه الجمله وفيما قبلها من رب اني
وهن العظم مني لطايف وايه كلمه في القران فضلا عن جمله فضلا عما يتجاوز لا تحتوي على الطايف والكلام
في تلك اللطايف مفتقر الى اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته الادنى ثم النظر في التفاوت بين ذلك وبين
ما عليه نظم القران وفي كم درجه يتصل احد الطرفين بالاخر فنقول لا شبهه ان اصل معنى الكلام ومرتبته
الاولى يا ربي قد شخت فان الشيخوخه مشتمله على ضعف البدن وشيب الراس المتعرض لهما ثم تركت هذه
المرتبه لتوخي مزيد التقرير الى تفصيلها في ضعف بدني وشاب راسي ثم تركت هذه المرتبه الثانيه لاشتمالها
على التصريح الى ثالثه ابلغ وهي الكنايه في وهنت عظام بدني لان الكنايه ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبه
رابعه ابلغ في التقدير بنيت الكنايه على المبتدا فحصل انا وهنت عظام بدني ثم لقصد مرتبه خامسه
ابلغ ادخلت ان على المبتدا فحصل اني وهنت عظام بدني ثم لطلب تقرير ان الواهن هي عظام بدنه
قصدت مرتبه سادسه وهي سلوك طريقي الاجمال والتفصيل فحصل اني وهنت العظام من بدني ثم
لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبه سابعه وهي ترك توسيط البدن فحصل اني وهنت العظام
مني ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبه ثامنه وهي ترك جمع العظم الى الافراد لصحة
حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فحصل ما ترى وهو الذي في الايه اني وهن العظم وهكذا تركت
الحقيقه في شاب راسي الى ابلغ وهو الاستعاره لان الاستعاره ابلغ من الحقيقه فحصل اشتعل شيب راسي
ثم تركت الى ابلغ وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات احداها الاسناد الاشتعال الى الراس
لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل
النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير
شيبا لافادة المبالغه ثم ترك اشتعل راسي شيبا لتوخي مزيد التقرير الى اشتعل راسي مني شيبا
على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لقرينة عطف واشتعل الراس على وهن العظم مني لمزيد مزيد
التقرير وهي ايهام احواله تاديه مفهومه على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي فتق اكمام هذه الجهات

ومنبته
لها

عن ازاهير العقول في القلوب هو ان مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة الندا وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي يا المتكلم واختصرت مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبنا فكما ان البنا الحاذق لا يرى الاساس الا بقدر ما يقدر من البنا عليه كذلك البليغ يصنع بمبدا كلامه فمتى رايته اختصر المبدا فقد آذنك باختصار ما يورد ثم ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع في بيان دعواه الى ما سبق بان والمكون المقام خليقا بالبسط مما ذكر اخرى والذي نحن بصدده من القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب وهذا معنى احق بان تمترى العامل فيه اقوى المجهود وتستغرق في الانبا عنه كل حد معهود من انقراض ايام ولم اكن بدعائك اي بدعائي اياك رب شقيا عن بن عباس لم يكن يخيب دعاي اذا دعوتك يقال شقي فلان بكذا اذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه يقول لم اكن اتعب بالدعا ثم اخيب **قوله تعالى** واني خفت الموالي من وراي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا واني خفت الموالي الذين يلونه في النسب وهم بنوا العم والعصبة من وراي قرا ابن كثير في رواية قنبل بفتح اليا والباقون باسكانها من بعدي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف قيل كان بنو عمه وعصبته شرار بني اسرايل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف قيل كان بنو اعمه وان لا يحسن الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احيا الدين ويرتسم مراسمه فيه وقيل بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسو خلافتهم من وراي او خفت الذين يلون الامر من وراي وعن بن عباس ومجاهد وقتادة وابي صالح خاف ان يرثوا ماله وان يرثه الكلالة فاشفق من ذلك وروي قتادة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله فان اعترض معترض فقال كيف يجوز للنبي ان ينفس على قرابته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته ففيه جوابان احدهما انه لما كان نبيا والنبي لا يورث خاف ان يرثوا ماله فياخذوا ما لا يجوز لهم والثاني انه غلب عليه طبع البشر فاحب ان يتولى ماله ولده وبيان هذا انه لا بد ان يتولى ماله وان لم يكن ميراثا فاحب ان يتولاه ولده فهب لي من لدنك وليا تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله عز وجل وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف وقيل اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا تصلح للولادة يرثني ويرث قرا ابو عمرو والكساي يرثني ويرث بالجزم فيهما على جواب الدعا والباقون برفعهما على الصفة لوليا اي هب لي وليا وارثا عن بن عباس يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وعنه يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك فاجابه الله الى وراثة العلم دون الملك وعن الحسن يرثني نبوتي وعلمي ويرث من آل يعقوب النبوة ايضا وعن عطا يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الاخلاق وكان زكريا من ذرية يعقوب قاله مجاهد وزعم الكلبي ان آل يعقوب كانوا اخواله وانه ليس بيعقوب ابي يوسف وعن مقاتل هو يعقوب بن ماثان وكان يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوين والصحيح انه لم يرد ميراث المال لوجوه منها انه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة ومنها انه لا يجوز ان يتاسف رسول الله على بشير ماله بعد موته اذا وصل الى ميراثه المستحق له شرعا ومنها انه لم يكن ذا مال وقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زكريا كان نجارا واجعله رب رضيا اي مرضيا صالحا تقيا عن ابي صالح اجعله نبيا كما جعلت اباه نبيا **قوله تعالى** يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه

يحيى لم نجعل له من قبل سميا في الكلام اضمار واختصار تقديره فاستجاب الله تعالى دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك قرا حمزة نبشرك بالتخفيف والباقون بالتشديد بولد اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد قبله يحيى فان قيل ما وجه المدحة باسم لم يسم احد قبله ونرى كثيرا من الاسما لم يسبق اليها اجيب بان وجه الفضيلة ان الله تعالى تولى تسميته ولم يكل ذلك الى ابويه فسماه باسم لم يسبقوا اليه وقيل لم نجعل له مثلا وشبيها لقوله هل تعلم له سميا اي مثلا وشبيها وتاويله انه لم يكن له مثل لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له ميل في امر النسا لانه كان سيدا وحصورا وقيل لم تلد العواقر مثله ولدا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما يسمى لصاحبه ونحو يحيى في اسمايهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بموت ايضا وهو يموت بن المزرع من قبل قيل ان الله اشترط القبل لانه تعالى اراد ان يخلق بعده من هو افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى لم يرد بهذا القول الفضايل كلها ليحيى عليه السلام وانما اراد في بعضها لان الخليل والكليم عليهما السلام كانا قبله وكانا افضل منه **قوله تعالى** قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وكانت امراته على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه وقد بلغت من الكبر عتيا اي يبسا عن قتادة نحول العظم يقال ملك عات اذا كان قاسي القلب غير لين عن ابي عبيدة كل مبالغ في شر او كفر فقد عتا وعتيا يقال عتا العود عتيا من اجل الكبر والطعن في السن العالية وقيل معناه بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا قرا حمزة والكساي بكسر العين وكذلك صليا وبكيا والباقون بضم اوايلها وعن الزجاج كل شي انتهى فقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسوا وعسيا قال صاحب الكشاف فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العقر والعتي فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا على منهاج واحد في ان الله تعالى غني عن الاسباب قال الله كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او الكاف نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين اي خلق يحيى علي سهل اي خلق يحيى علي سهل وقيل يجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا اي الامر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر وقد خلقتك قرا حمزة والكساي خلقناك بالنون والالف والباقون خلقتك من قبل يحيى ولم تك شيا لان المعدوم ليس بشي او شيا يعتد به لقولهم عجبت من لا شي وقوله اذا راى غير شي ظنه رجلا قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به وقيل على حمل امراتي قال الله ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا منصوب على الحال اي وانت صحيح سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن **قوله تعالى** فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا كان الناس من ورا المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلونه ويصلون اذ خرج اليهم زكريا عليه السلام عليهم متغير اللون فانكروه فقالوا له يا زكريا ما لك فاوحى اليهم اي اشار اليهم بيده وراسه قاله مجاهد ويشهد له الا رمزا في آل عمران وعن بن عباس فكتب اليهم في كتاب وقيل على الارض ان سبحوا صلوا لله بكرة

وعشيا وان بين المغرب والسبحة الصلوة وهذا في صبيحة الليلة التي حملت امراته فلما حملت امراته
امرهم بالصلوة اشارة قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا المعنى فوهبنا له
يحيى وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التورية وكان مامورا بالتمسك بها وقيل المعنى اقبل
كتب الله كلها ايمانا بها واستعمالا لها بقوة لاحكامها بقوة عند واستظهارا بالتوفيق والتاييد
واتيناه الحكم الحكمة ومنه واحكم حكم فتاة الحي تعالى احكم حكما كحكم وهو الفهم للتورية والفقه
في الدين صبيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين وعن قتادة ومقاتل ثلث سنين
روي انه جاء الصبيان الى يحيى فقالوا اخرج بنا نلعب فقال ما للعب خلقت وقيل اللب وقيل العلم
وقيل حفظ التورية وقيل النبوة لان الله عز وجل احكم عقله في صباه واوحى اليه قوله تعالى
وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وحنانا الرحمة واتيناه
حنانا وقيل وجعلناه حنانا لاهل زمانه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة قال
الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم ومنه
قولهم حنانيك مثل سعديك وعامة ما يستعمل في المنطوق على لفظ الاثنين قال طرفة ابا منذر افنيت
فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض واصله من حنين الناقة وقيل حنانا تعطفا من
ربه عليه وقيل لينا وقيل بركة وقيل محبة وتعظيما وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل
العطف والرافة وزكوة عملا صالحا وصدقة تقديره انا لله جعله صدقة تصدق بها على ابويه
وقيل صدقة يعطف على الناس ويتصدق عليهم وقيل زكوة زيادة في الخير على ما وصف وقيل
طهارة من الذنوب وكان تقيا مسلما مخلصا مطيعا عن ابن عباس جعلته يتقيني ولا يعدل بي غيري
وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه قوله تعالى
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا اي سلام من الله عليه في هذه الايام
وقيل سلامة له منا يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا والمراد باليوم الحين والوقت وخص
بالتسليم والسلامة بهذه الاحوال لانها اصعب الاوقات واوحشها قوله تعالى واذكر في
الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول
ربك لهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا لما فرغ من قصة زكريا ويحيى شرع
في قصة عيسى ومريم واذكر يا محمد في الكتاب القران مريم بنت عمران ما بال اذ بدل من مريم بدل
الاشتمال لان الوقت مشتمل على ما فيه وفيه ان المقصود من ذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيه انتبذت اعتزلت فانفردت وجلست وتخلت للعبادة من اهلها مكانا
شرقيا مما يلي شرقي بيت المقدس او شرقيا من دارها انها كانت في الشتاء وقيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض عن الحسن اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت
مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم من دون اهلها حجابا سترا او حاجزا عن مقاتل
جعلت الجبل بينها وبين اهلها وقيل ان الشمس اظلتها فلم يرها احد منهم وذلك مما سترها
الله به عن عكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت
تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت في المسجد فبينا هي في مغتسلها تغتسل من الحيض
فارسلنا اليها روحنا جبريل وقيل روح عيسى اضافه اليه على التفضيل والتخصيص فتمثل

في مكان

لها بشرا فتصور لها آدميا سويا سوي الخلق لم ينقص من الصورة الادمية شي عن ابن عباس في
صورة شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر حين خضر شاربه وانما ارسله اليها في صورة البشر لتثبت
مريم عليها وتستانس بكلامه وتقدر على استماعه ولا تنفر عنه ولو نزل جبريل على صورته التي
هو عليها لفزعت ونفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه فلما رات مريم جبريل قالت اني اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا تتقي الله فتنتهي بتعوذي منك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
كان في زمانها رجل يقال له تقي وكان فاجرا فظنته اياه وقيل كان تقي رجلا من امثل الناس في ذلك
الزمان فقالت ان كنت في الصلاح مثل التقي فاني اعوذ بالرحمن منك كيف تكون رجلا اجنبيا وامراة
اجنبية في حجاب واحد وقيل دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله تعالى من تلك الصورة
الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصورة ابتلاء لها وسبر العفتها وقيل كانت في منزل زوج
خالتها زكريا ولها محراب على حدتها تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل
لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها
في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قال جبريل لها انما انا رسول ربك الذي عذت
به لاهب قرا ابو عمرو وورش عن نافع ليهب بياء مفتوحة بين اللام والهاء اي ارسلني ليهب لك والباقون
بهمزة مفتوحة بين اللام والهاء والمعنى ارسلت لك لاكون سببا في هبة الغلام غلاما زكيا طاهرا من الذنوب
صالحا نقيا قالت مريم انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر بنكاح حلال والمس عبارة عن النكاح الحلال
لانه كناية عنه لقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء ولم اك بغيا زانية فاجرة تبغي الرجال وهي فعول
عند المبرد اصله بغوي ادغمت الواو في الياء وقيل هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل
فلان نهو عن المنكر وانما لم يقل بغية لانه وصف يغلب على النساء فقل ما تقول العرب رجل بغي فيجري مجرى
حائض وعاقر ومعنى الاية ليس لي زوج ولست بزانية وانما يكون الولد من هاتين الجهتين قال جبريل
كذلك كما قلت يا مريم قال ربك ولكن قال ربك وقيل وهكذا قال ربك هو علي هين خلق ولد من غير اب
ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك وقيل هو معطوف على تعليل مضمر
اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية ورحمة منا لمن تبعه على دينه وكان ذلك امرا مقضيا محكوما به
مفروغا عنه سابقا في علم الله تعالى مقدورا مسطورا في اللوح المحفوظ لا بد من جريه عليك وقيل
كان امرا حقيقا بان يكون وبعضى لكونه رحمة واية والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة
الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل
الصالح فهو حقيق بان يكون قوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض
الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري
عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به
قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك
بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فاطمانت مريم الى قول جبريل فدنا جبريل
من مريم فنفخ في جيب درعها فحملت حين لبست وعن السدي نفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من
قدامها فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها وقيل كانت مدة الحمل تسعة اشهر وقيل سبعة
اشهر وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش قط مولود وضع لثمانية اشهر الا عيسى فكان في
هذا اية وقيل ثلث ساعات وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت

اليك لاهب

حيضتين قبل ان تحمل فحملت مريم عيسى فانتبذت فاعتزلت به بالحمل اى اعتزلت وهو فى بطنها لقوله تنبت بالدهن اى تنبت ودهنها
تدوس بنا الجماجم والتريبا اى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحو قوله تعالى تنبت بالدهن اى تنبت ودهنها
فيها الجار والمجرور فى موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها عن ابن اسحق مسيرة ستة اميال وانما بعدت
فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قيل لابن عم لها يقال له يوسف ان مريم حملت من الزنا
الآن يقتلها الملك وكان قد سميت له فاتاها فاحتملها وهرب بها فلما كان ببعض الطريق اراد يوسف بن عمها
قتلها فاتى جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها ولم يقتلها وكان معها فاجاها
فالجاها اجا منقول من جا الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا الا تراك لا تقول جيت المكان
واجانيه زيد كما تقول بلغت وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطا ولم تقل اتيت المكان
واتانيه فلان المخاض اى الحمل وقيل الطلق يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد فى بطنها
اى حركه الى جذع النخله وهو ساقها وكانت نخله يابسه فى الصحرا ليس لها راس ولا ثمر ولا خضره وكان الوقت
شتا والتعريف فى النخله قيل لتعريف الاسما الغالبه لتعريف النجم والصعق كان تلك الصحرا كان فيها جذع
نخله متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخله فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وقيل تعريف
الجنس اى جذع هذه الشجره خاصه كان الله تعالى انما ارشدها الى النخله ليطعمها منها الرطب الذى هو
خرسة النفسا الموافقه لها ولان النخله اقل شى صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها
لها مع جميع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها قيل كان جذعا يابسا قد جى به ليبنى عليه بيت يقال
له بيت لحم قالت ياليتنى مت قبل هذا اليوم او قبل هذا الامر قرا نافع وحمزه والكسائى وخلف وحفص
عن عاصم مت بكسر الميم والباقون بضمها قيل انها قالت حيا من الناس وقيل لئلا يأثموا بقذفها وكنت
نسيا منسيا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائى وابو بكر عن عاصم نسيا بكسر النون
وحمزه وحفص عن عاصم نسيا فالنسى اسم لما ينسى بمنزلة البغض اسم لما يبغض والسب اسم لما يسب
والنسى بالفتح اسم لما ينسى ايضا على انه مصدر نائب عن الاسم كما يقال رجل دنف ودنف فالمكسور هو الوصف
الصحيح والفتح مصدر سد مسد الوصف ويمكن ان يكون النسى والنسى اسمين بمعنى كما يقال الرطل والرطل
والنسى ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح فى قوله
تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اى الشى
اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيا تافها لا يوبه له من شانه وحقه ان ينسى فى
العاده وقد نسى واطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحيا والتشور من
الناس على حكم العاده البشريه لا كراهه لحكم الله وقيل لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهى عارفه
ببراءة الساحه وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام
دحض قلما يثبت عليه الاقدام ان يعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب
التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب فيه وتعنف بسببه وقيل لخوفها على الناس ان يعصوا
الله بسببها منسيا بالكسر على الاتباع فناداها من تحتها قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
عن عاصم من تحتها بفتح الميم والتا والباقون بكسر الميم والتا فعلى الكسر معناه نادى الملك مريم من تحت
النخله وقيل كانت مريم على نشز اى مكان مرتفع فناداها الملك اسفل منها وقيل نادى عيسى امه
مريم لما خرج من بطنها وعلى الفتح من تحتها جبريل قيل يقبل الولد كالقابله وقيل من تحتها عيسى وقيل
تحتها اسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحتا لاكمة الا تحزنى
فناداها ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا عن ابن جريج هو الجدول

بالسريانية

بالسريانية وقيل معنى قوله تحتك ان الله جعل النهر تحت امرها ان امرته بجرى جرى وان امرته
بالامساك امسك كقوله عز وعلا فيما اخبر عن فرعون وهذه الانهار تجرى من تحتى اى من تحت امرى عن ابن
عباس فضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله الارض فظهر عين ما عذب وجرى وحييت
النخله بعد يبسها فاورقت واثمرت وارطبت فان قيل كيف ناسب تسليتها ان قيل لا تحزنى
فمنذ انه يجرى فالجواب من وجهين احدهما انها حزنت لجدب مكانها الذى ولدت فيه وعدم الطعام
والشراب والما الذى يتطهر به فقيل لا تحزنى قد اجرينا لك نهرا واطلعنا لك رطبا وثانيهما انها حزنت
لما جرى عليها من ولادة ولد بلا زوج فاجرى الله لها نهرا فجاها من الاردن واخرج لها الرطب من الشجره
اليابسه وكان ذلك ايه تدل على قدرة الله تعالى فى ايجادها قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها
لاجل فقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسليه بهما من حيث انهما طعام وشراب
ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمه والبعد من الريبه وان مثلها مما قرفوها به بمعزل
وان لها امورا الهيه خارجه من العادات خارقه لما الفوا واعتادوا حتى تبين لهم ان ولادها من غير
فحل ليس ببدع من شانها وهزى اى حركى اليك بجذع النخله قيل البا فى بجذع صلة للتاكيد لقوله ولا تلقوا
بايديكم والعرب تقول هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام وقيل انها دخلت على الجذع لتلصقه
بالهز فهى مفيده للالصاق وقيل معناه افعلى الهز به تساقط قرا حمزه تساقط بالتا مفتوحه مخففه
السين وحفص عن عاصم بضم التا وكسر القاف والباقون بالتا مشدده السين اصله تتساقط ادغمت التا
فى السين رطبا تمييز غضا رطبا ساعة جنى قيل ما للنفسا خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل
اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب قيل لم يكن لتلك النخله راس فانبته الله فلما وضعت يدها عليها
سقط الرطب وكان السلف يستحبون للنفسا الرطب من اجل مريم عليها السلام فكلى من الرطب واشربى من
النهر وقرى عينا بولادة عيسى عليه السلام وقيل معناه جمع لك فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانيه
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وقيل معنى قرى عينا طيبى نفسا وارفضى عنك ما احزنك واهمك يقال قررت
به عينا اقر بفتح القاف فى المستقبل وقررت فى المكان اقر بكسر القاف عينا منصوب على التمييز عن الاصمعى
انه قال معنى قرى عينا ولتبرد دمعتك لان دمعة الفرح بارده ودمعة الحزن حاره واشتقاقه وقرى
من القرور وهو الما البارد فاما ترين من البشر احدا قال صاحب الكشاف بالهمز ابن الرومى عن ابى عمرو وهذا
من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزه وحروف اللين فى الابدال صوما صمتا اى ان
رايت من البشر احدا فقولى وفيه اضمار تقديره فسالك عن امر ولدك فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا
وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت
لانه نسخ فى امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى كلام لمعنيين احدهما
ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثانى كراهة مجادلة السفها ومناقلتهم
وفيه ان السكوت من السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت
الصوم بالاشاره وقيل سوغ لها ذلك بالنطق فلن اكلم اليوم انسيا اى اكلم الملائكه دون الانس فاتت به
اى فاتت مريم بعيسى قومها بعد اربعين يوما حين طهرت من نفاسها وقيل انطلق قومها يطلبونها
فلما راتهم حملت عيسى فتلقتهم به فان قيل اتت به تغنى عن تحمله فما فائدة ذكره اجيب بانه لما ظهرت
منه ايات جاز ان يتوهم السامع فاتت به ان يكون ساعيا على قدميه فيكون سعيه اية كنطقه
فقطع ذلك التوهم واعلم انه كسائر الاطفال وهذا مثل قول العرب نظرت الى فلان بعينى فنفوا بذلك
نظر العطف والرحمه واثبتوا لانه نظر عين قيل كلمها عيسى فى الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله

ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا قوما صالحين قالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا بديعا من فرى الجلد وقيل عظيما قال الفري العظيم والعرب تقول تركته يفري الفري اذا عمل واجاد العمل ففضل الناس وقيل فضيعا منكرا عظيما قال ابو عبيدة كل فائق من عجب او عمل فهو فري قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فما رايت عبقريا يفري فريه اي يعمل عمله يا اخت هرون قيل هرون اخ لها من امها وكان من امثل فتى في بني اسرايل وقيل كان من ابيها وامها وقيل هو اخو موسى عليه السلام نسبت اليه لانها من ولده وقيل انه رجل صالح كان في بني اسرايل فشبهوها به في الصلاح يدل على ذلك ما روى المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فقالوا الستم تقرون يا اخت هرون وقد علمتم ما بين موسى وعيسى فلم ادر ما اجيبهم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال عليه الصلوة والسلام الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقيل ان قوم هرون فيهم فساق وزناة فنسبوها اليهم وقيل انه رجل من فساق بني اسرايل شبهوها به فعلى هذا الاخت ههنا بمعنى الشبه لا بمعنى النسبة والعرب تسمي شبه الشي اخته اخاه قال الله تعالى وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي شبهها ما كان ابوك اي عمران امرأ سوء اي زانيا وما كانت امك بغيا اي حسنة بغيا اي زانية فمن اين لك هذا الولد فاشارت مريم الى عيسى عليه السلام ان كلموه فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل كان زايده والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد وقيل كان بمعنى وقع وحدث وقيل انها في معنى الشرط والجزا فالمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه قيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح للقريبه وللبعيده وهو ههنا للقريبه خاصه والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب وقيل نكلم حكاية حال ماضيه اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا والمهد حجرها وقيل سرير الصبي المعروف

قوله تعالى قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام عن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها عن وهب اتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى عليه السلام انطق بحجتك ان كنت امرت بذلك فقال عند ذلك وهو ابن اربعين يوما وعن مقاتل هو يوم ولد اني عبد الله وعن السدي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه قال اني عبد الله انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى في ادعا ربوبيته اسكن حمزة اليا والباقون فتحوها الكتاب هو الانجيل وقيل التورية قيل اتاه الكتاب وهو في بطن امه وقيل علم التورية والانجيل وهو في بطن امه وجعلني نبيا قيل اعطي النبوة في طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضايه وقيل جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد وجعلني مباركا اين ما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقيل مباركا على من تبع ديني وامري واوصاني بالصلوة والزكوة اي زكوة الاموال وقيل الزكوة الطهارة ما دمت حيا وبرا بوالدتي اي وجعلني برا بوالدتي عن ابن عباس لما قال هذا ولم يقل بوالدي علموا انه ولد من غير بشر ولم يجعلني اي متعظما عاصيا لربه ذكر ان امراة رات عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبري الاكمه والابرص في ايات اذن له فيها فقالت طوبي للبطن التي حملتك والثدي الذي ارضعت به فقال عيسى عليه السلام طوبى لمن تلى كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا وكان عليه السلام يقول سلوني فان قلبي لين واني صغير في

نفسي ما اعطاه الله من التواضع والسلام علي اي السلامة علي من الله يوم ولدت حتى لم يضرني شيطان فان قيل لم ذكر ههنا السلام بالف ولام وذكر في قصة يحيى بلا الف ولام فعنه جوابان احدهما انه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع بغير الف ولام كان الاحسن ان يرد ثانيه بالف ولام وقد اعترض على هذا فقيل كيف يجوز ان يعطف هذا وهو قول عيسى على الاول وهو قول الله عز وجل وقد اجيب عنه بان عيسى انما تعلم من ربه فيجوز ان يكون سمع قول الله في يحيى فبنى عليه والصقه بنفسه ويجوز ان يكون الله عرف السلام وثانيهما لانه اتى بعد سلام قد ذكره واجراه عليه غير قاصد به اتباع اللفظ المحكي لان المتكلم له ان يغير بعض الكلام الذي يحكيه فيقول قال عبد الله انا رجل منصف يريد قال لي عبد الله انت رجل منصف قال صاحب الكشاف والصحيح ان هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدايها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال جنس السلام علي خاصه فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكره وعناد فهو مسه لنحو هذا من التعريض

قوله تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ذلك اي ذلك الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم لا ما يقول النصارى انه ابن الله وانه اله قول الحق قرا عاصم وابن عامر بنصب اللام اي اقول قول الحق والباقون برفع اللام اي هو قول الحق قيل انتصابه على المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطه اب تسميه للسبب باسم المسبب كما سمي العشب بالسما والشحم بالندى وقيل اذا اريد بقول الحق عيسى يحتمل ان يكون الحق اسم الله وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امر حق يقين وهم فيه شاكون يمترون ويشكون والمريه الشك ويقولون غير الحق قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد لكذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفا الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ومن سوكن يدل على معنى الواحد والجماعه ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشي يتبعه كونه لا محاله من غير توقيف تشبيه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ان بفتح الهمزة والباقون بالكسر وعلى الفتح معناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا **قوله تعالى** فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين شبل من زايد والمعنى اختلف الاحزاب بينهم فيل لما تمسك المومنون بالحق كان اختلاف الاحزاب من بينهم المومنين مقصورا عليهم الاحزاب قيل هم اليهود والنصارى وكانت اليهود تقول انه لغير رشده والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به وقيل الاحزاب فرق النصارى قال بعضهم هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثه وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فويل للذين كفروا انفوا لهم في المسيح من مشهد اي من شهودهم هول الحساب والجزا في القيمة او من كان

بامرهم

الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان يشهد عليهم الملائكه
والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوا الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما
قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم على التعجب يوم ياتوننا وذلك
انهم سمعوا يوم القيامه حين لم ينفعهم السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وعن الكلبي لا احد يوم
القيامه اسمع منهم ولا ابصر حين يقول الله لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الايه
وقيل اسمع بحديثهم اليوم وابصر بهم يوم ياتوننا قال صاحب الكشاف لا يوصف الله بالتعجب وانما
المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل
معناه التهدد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون يعني الكفار اوقع
الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع **قوله تعالى**
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون اي انذر كفار مكة يوم الحسرة
يوم القيامة يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان واكثر المفسرين يوم الحسرة
حين يذبح الموت عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة واهل النار النار قيل يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا اهل النار
فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كانه كبش املح فيقال لهم هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت
فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر فرغ من الحساب وايقن الامر الذي فيه هلاككم
وقيل ذبح الموت وقيل قضي لهم العذاب في الاخرة وهم في غفلة في الدنيا وهم لا يؤمنون بما يكون
في الاخرة واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال
مبين وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين
قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون اي نميت سكانها فنرثها ونرث من عليها
لانا نميتهم ونهلكهم وقد يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب
بها والينا يرجعون بعد الموت فان قيل ما الفايدة في نحن وقد يغني انا فالجواب انه لما جاز
في قول المعظم انا نفعل ان يتوهم ان اتباعه فعلوا اتى بنحن بان الفعل مضاف اليه حقيقة فان قيل
فلم قال ومن عليها وهو يرث الادميين وغيرهم فالجواب ان من يختص باهل التمييز وغير المميزين
يدخلون في معنى الارض ويجرون مجراها **قوله تعالى** واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان
صديقا نبيا اي اذكر يا محمد لقومك قصة ابرهيم انه كان صديقا من ابنية المبالغة كالضحيك
والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان
الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم نبيا
وكان في نفسه نبيا لقوله تعالى بل جا بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان
ملاك امر النبوة الصدق ومصدق ايات الله ومعجزاته حري ان يكون كذلك وقوله انه كان
صديقا نبيا جملة معترضة بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال ويجوز ان يتعلق اذ بكان
او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات
والمراد بذكر الرسول اباه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل
عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله **قوله تعالى** اذ قال لابيه يا ابت

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اذ قال لابيه ازر وهو يعبد الاوثان يا ابت التا عوض من يا
الاضافه ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء قال
صاحب الكشاف انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب
الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف
رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجامله واللطف والرفق
واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو
مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة
القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العله في خطيه طلب منبه على تماديه موقظ
لافراطه وتناهيه لان المعبود ولو كان مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعباده ووصفه بالربوبيه ولسجل عليه بالغي المبين
والظلم العظيم وان كان اشرف واعلاهم منزله كالملائكه والنبيين قال الله ولا يامركم ان تتخذوا
الملائكه والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العباده هي غاية التعظيم فلا تحق الا
لمن له غاية الانعام وهو الخالق الباري المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا
وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفه لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا
وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور
فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني
عنك بان تستدفعه بلا فيدفعه او تسنح لك حاجه فيكفيكها **قوله تعالى** يا ابت اني قد جاني من العلم
ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال ان معي طايفة من العلم وشيا منه ليس معك وذلك
علم الدلاله على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفه بالهدايه
فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه **قوله تعالى** يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من
النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابناء
جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلاله وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد
الشيطان الا ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لامعانه في الاخلاص ولارتقا همته في الربانيه لم يذكر من
جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزه من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته
لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه **قوله تعالى** يا ابت اني
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ثم ربع ابرهيم بتخويف ابيه سوا عاقبته وما
يجر ما هو فيه من التبعه والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له
وان العذاب لاصق به ولكنه قال اني اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليايه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان
الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
وصدر كل نصيحه من النصايح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا في ما لا يسمع وما لم ياتك

يجوز ان تكون موصوله و موصوفه و المفعول في لا يسمع و لا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع
و لا ابصار وشيا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيا من الغنا ويجوز ان يقدر نحوه
مع الفعلين السابقين و الثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاني فيه تجديد العلم عنه
قوله تعالى قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا لما اطلع الله ابرهيم
على سماحة صورة امر ابيه و هدم مذهبه بالحجج القاطعه و ناصحه المناصحة العجيبه مع تلك الملاطفات
اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا
في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب و الانكار
لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد و في هذا اسلوان و ثلج لصدر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم
ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة و اصل الرجم الرمي
واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة وقيل اجتنبني سالما قبل ان يصيبك عقوبتي اي لا تختلف بالضرب
حتى لا تقدر ان تبرح من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به واهجرني معطوف على محذوف
يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع قوله تعالى قال سلام عليك
ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا قال ابرهيم عليه السلام سلام عليك اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه
وقيل سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين و قوله و اذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح و الحالة هذه قيل يجوز ان
يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ساستغفر لك ربي قيل المعنى ساسال الله لك توبة تنال بها مغفرته
وقيل ان ابرهيم عليه السلام وعده الاستغفار وهو لا يعلم ان ذلك محظور في حق المصرين على الكفر قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد
الاوامر و النواهي الشرعيه على الكفار و المراد اشتراطه الايمان وكما يومر المحدث و الفقير بالصلوة و الزكوة
ويراد اشتراط الوضو و النصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده
ان يومن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له
انه عدو لله تبرا منه ولقايل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية
العقليه فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار و الوفا به قبل ورود السمع بنا على قضية العقل والذي
يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك ولو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى
عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن
قوله لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر و الالطاف حفي به وتحفى به قوله تعالى واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا
واعتزلكم واهاجر بكم الى الشام واعتزل ما تدعون ما تعبدون المراد بالدعا العباده لانه منها ومن
وسايطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعا هو العباده ويدل عليه فلما اعتزلهم وما يعبدون قيل
وما تدعون ربا والمراد بالدعا الذي حكاه عز وجل في سورة الشعرا وادعو ربي اي واعبد ربي عسى
ان لا اكون بدعا ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بعبادته كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام لانها لا تنفعكم
ولا تجيب دعاكم عرض بشقاوتهم بدعا الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا مع التواضع
لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم فلما هاجر عنهم الى ارض الشام وهبنا له بعد المجي

اسحق ويعقوب وكلا من هذين وقيل وكلا يعني ابرهيم واسحق ويعقوب جعلنا و وهبنا لهم
من رحمتنا من نعمتنا وقيل من نبوتنا وقيل و وهبنا لهم من رحمتنا المال والولد والعلم والعمل
والاولى ان يجعل عامه في كل خير ديني و دنيوي اوتوه وجعلنا لهم لسان صدق ذكرا حسنا في الناس
وثنا جميلا مرتفعا عبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطيه قال
اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرساله ولسان العرب لغتهم وكلامهم ما حسر على الله تعالى احد اعتزل
الكفار الفسقه لوجه الله تعالى فعوضه الله اولادا مومنين انبيا واستجاب دعوته واجعل لي لسان صدق
في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى
عليه قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا قرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم مخلصا بفتح اللام اي اخلصه الله وجعله خالصا من الدنس مختارا والباقون بكسر اللام
اي الذي وحد الله وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسه وكان رسولا نبيا قوله تعالى وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعه
من جانب الطور جبل بين مصر ومدين قيل الايمن صفة للطور وقيل للجانب وقيل لموسى فانه جا النداء من يمين
جانب موسى وقربناه نجيا مناجيا قيل حتى سمع صريف القلم حين كتب له في الالواح ووهبنا له من رحمتنا
من اجل رحمتنا له او بعض رحمتنا فعلى الاول اخاه مفعول وهبنا وعلى الثاني اخاه بدل وهرون عطف بيان
لقولك انت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن
ابن عباس قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة هذا عام فيما بينه وبين الله عن مجاهد لم يعد ربه بوعد قط الا وفا
له به وخص اسمعيل بصدق الوعد وليس في الانبيا من ليس كذلك لانه عانى في الوعد ما لم يعانه غيره من الانبيا
وناهيك وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شا الله من الصابرين روي انه
كان بينه وبين رجل ميعاد فاقام ينتظره مدة عن ابن عباس انه اقام حولا وعن يزيد الرقاشي اثنين
وعشرين يوما وعن مقاتل ثلثة ايام وكان رسولا الى قومه جرهم نبيا ينبي عن الله عز وجل وكان
يامر اهله عن مقاتل قومه قيل كان يبدا اهله في الامر بالصلاح والصلوة والزكوة ليجعلهم قدوة
لمن وراهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابه وغيرهم
لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا
عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوايد الدينيه ولا يفرط في ذلك قوله تعالى
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ادريس اسم اعجمي ممنوع من الصرف
قيل كان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم
النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل في السما الرابعه روى البخاري
ومسلم في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
المعراج انه راى ادريس في السما الرابعه وبهذا قال ابو سعيد الخدري ومجاهد وابو
العاليه وعن ابن عباس في السما السادسه وقيل في السما السابعه قيل سبب رفعه
الى السما على ما قاله ابن عباس وكعب وغيرهما انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد

اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال
يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال اما ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها
وحرها فاجبته قال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن له فاتاه فكان فيما قال
ادريس اشفع لي الى ملك الموت ليوخر اجلي فقال لا يوخر نفسا اذا جا اجلها ولكن اكلمه فيك فما كان
مستطيعا ان يفعل باحد من بني ادم فعل بك ثم حمله الملك على جناحه فرفعه الى السما فوضعه عند مطلع الشمس
ثم اتى ملك الموت فقال ان لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع بي اليك ليوخر اجله فقال ليس ذلك
الي ولكن ان احببت علمته متى يموت فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا ولا اجده
يموت الا عند مطلع الشمس فقال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فما اراك تجد الا ميتا فوالله ما بقي من
اجله شي فرجع الملك فراه ميتا **قوله تعالى** اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن
حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرايل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا
وبكيا اوليك اشارة الى المذكورين في هذه السورة من لدن زكريا الى ادريس من النبيين من للبيان لان جميع
الانبيا منعم عليهم من ذرية ادم من للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد الى نوح
وممن حملنا من للتبعيض مع نوح في السفينة وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح ومن ذريته من للتبعيض
ابرهيم واسمعيل من ذرية ابرهيم ومن ذريته اسرايل وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرايل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانيه ان جعلت الذين خبرا
لاوليك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلت الذين صفة لاوليك كان خبرا له اي هو لاكلهم من ارشدنا
واجتبينا اي اصطفينا على الانام اذا تتلى عليهم ايات الرحمن اي القران خروا سجدا حال مقدره
المعنى خروا مقدرين للسجود فسجدا منصوب على الحال وهو ساجد وجمع جمع الخ فقد بين الله ان
الانبيا كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا من خشية الله عن رسول الله اتلوا القران وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا **قوله تعالى** فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاوليك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا جنات عدن
التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا الخلف بسكون اللام عقب السو وبفتح
اللام عقب الخير قيل الخلف بسكون اللام الردي من كل شي وفي هذه الاية اليهود ومن لحق بهم
وعن السدي هم اليهود والنصارى وعن مجاهد وقتاده انهم في هذه الامه عند ذهاب صالحي
امة محمد اضاعوا الصلوة المفروضه اي تركوها وعن ابن مسعود اخروها عن مواقيتها وصلوها
لغير وقتها واتبعوا الشهوات عن مقاتل استحلوا نكاح الاخت من الاب وعن الكلبي يعني اللذات
شرب الخمر وغيرها وعن مجاهد هذا عند اقتراب الساعه وذهاب صالحي امة محمد صلى الله عليه
وسلم ينزو بعضهم على بعض في السكك والازقه زناة روى ابو سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال يكون خلف من بعد ستين سنة اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من بنى المشيد وركب المنظور
ولبس المشهور والمعنى اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وعن وهب فخلف من بعدهم خلف
شرابون للقهوات لعابون بالكعاب ركابون للشهوات متبعون اللذات تاركون للجماعات
مضيعون للصلوات وعن كعب يظهر في اخر الزمان قوم بايديهم سياط كاذناب البقر يضربون
الناس ثم قرا فخلف من بعدهم خلف فسوف يلقون غيا شرا كل شر عند العرب غي وكل خير

رشاد قال ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما وقيل يلقون جزا غي
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وليس معنى اللقا مجرد الرويه وانما المراد به
الاجتماع والملابسه مع الرويه الا من تاب عن الشرك وامن بمحمد عليه السلام وقيل تاب من التقصير
في الصلوة وامن من اليهود والنصارى وعمل صالحا فاوليك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا اي
لا ينقصون شيا من ثوابهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم جنات عدن لما كانت الجنة مشتمله على جنات
عدن ابدلت منها لقولك ابصرت دارك القاعه والعلالي التي وعد الرحمن عباده بالغيب وهي غايبه
عنهم غير حاضره او هم غايبون عنها لا يشاهدونها وقيل بتصديق الغيب والايمان به انه كان وعده
ماتيا اي اتيا عن ابن قتيبه هو مفعول بمعنى فاعل وهو قليل ان ياتي الفاعل على لفظ المفعول به
والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها وقيل هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا
منجزا لا يسمعون فيها في الجنة لغوا فضولا من الكلام وما لا طايل تحته فاسدا وباطلا الا سلاما
استثنا من غير جنسه اي بل يسمعون فيها سلاما قولا يسلمون عنه من العيب وقيل تسليم بعضهم على بعض
وتسليم الملايكه عليهم اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملايكه عليهم لغوا فلا يسمعون
لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب
وقيل معنى السلام هو الدعا بالسلامه ودار السلام هي دار السلامه واهلها عن الدعا
بالسلامه اغنيا فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة بكرة ولا عشيا ولكن يوتون برزقهم على
مقدار ما كانوا يعرفون من الغداه والعشي عن الحسن كانت العرب لا تعرف شيا من العيش
افضل من الغدا والعشا فذكر الله لهم ذلك وعن قتاده كانت العرب اذا اصاب احدهم الغدا
والعشا اعجب فاخبر الله ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت وليس ثم
ليل ولا نهار وانما هو ضو ونور وقيل من الناس من ياكل الوجبه ومنهم من ياكل متى
وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحموده
وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومسا وبكرة وعشيا
يريد الديمومه ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث استعاره اي نبقي عليه
الجنة كما تبقى على الوارث مال المورث ولان من كان تقيا يلقى ربه يوم القيامه قد
انقضت اعماله وثمرتها باقيه وهي الجنة فاذا ادخله الجنة فقد اورثه من تقواه كما
يورث الوارث المال من المتوفى وقيل نورث نعطي المساكين المومنين الجنة التي كانت
لاهل النار لو امنوا ويجوز ان يكون معنى نورث نعطيهم ذلك وننزلهم اياها ويكون كالميراث
لهم من جهة انها تمليك مستانف **قوله تعالى** وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعك
ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل الله الاية وعن مجاهد ابطا الرسل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما حبسك فقال وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون
شواربكم ولا تستاكون فانزل الله الاية وعن عكرمة ومقاتل والضحاك والكلبي احتبس جبريل
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر
ما يجيبهم ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم

جبريل

وقتاده

مشقة شديدة فلما نزل جبريل قال له ابطات علي حتى ساءظني واشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اشوق
ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الايه قيل سبب احتباس جبريل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناع اصحابه من كمال النظافه كما ذكر في حديث مجاهد وقيل
لانهم سالوه عن قصة اصحاب الكهف فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله عن ابن عباس احتبس عنه خمسة عشر
يوما وعن عكرمه ومقاتل اربعين يوما وعن مجاهد اثنتي عشرة ليلة وعن مقاتل ثلثة ايام وقيل خمسة وعشرين
يوما وقيل ان سورة الضحى نزلت في هذا السبب وما نتنزل التنزل على معنى النزول على مهل ومعنى
النزول على الاطلاق كقوله ولست بانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون
بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب
وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا اي الاخرة وما خلفنا الدنيا هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير
وعن مجاهد عكس هذا او ما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما بقي منها
والحال التي نحن فيها وقيل ما بين ايدينا قبل ان نخلقنا وما خلفنا بعد ان نمتنا وما بين ذلك اي بين السما والارض
وقيل ما بين ايدينا قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى
جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك يريد ان ذلك كله لله تعالى فلا يقدر على فعل من نزول وغيره الا بامره
وما كان ربك نسيا ناسيا اي ما كان تاركا لك منذ ابطا الوحي عنك لقولهم ما ودعك ربك وما
قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وقيل انه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيا وقيل
هذا اخبار عن اهل الجنه انهم يقولون عند دخولها ما نتنزل هذه الجنان الا بامر الله رب
السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو فاعبده اي وحده
لان عبادته بالشرك ليست عباده فعلى هذا يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام اهل
الجنه وما بعده من كلام رب العزه واصطبر لعبادته اي واصبر على توحيده وقيل على امره
ونهيه وانما عدي اصطبر بعلى لان العباده جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر
لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العباده تورد عليك شداد ومشاق
فاثبت لها ولا تهن ولا تضيق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن
احتباس الوحي عليك مده وشماتة المشركين بك هل تعلم له سميا اي لم يسم شي بالله قط وكانوا
يقولون لاصنامهم الهه والعزى اله واما الله فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه
وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره وقيل هل تعلم له سميا على الحق دون الباطل لان التسميه
على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسميه وقيل هل تعلم له مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا
معبود يوجه اليه العباد العباده الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها وتكاليفها **قوله تعالى** ويقول الانسان اءذا ما مت لسوف اخرج حيا
او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيا سبب نزولها ان ابي بن خلف
اخذ عظما باليا وجعل يفتته بيده ويذريه في الريح ويقول زعم لكم محمد ان الله يبعثنا
بعد ان نكون مثل هذا العظم البالي فنزلت هذه الايه وعن ابن عباس انه الوليد
بن المغيره ويقول الانسان يعني الكافر الذي لا يومن بالبعث اءذا ما مت لسوف اخرج
حيا اذا منصوب بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي اذا ما مت اخرج ولا يجوز
انتصابه باخرج المذكور لاجل اللام اذ لا يصح ان يقال اليوم لزيد قايم قال
صاحب الكشاف فان قلت لام الابتدا الداخله على المضارع تعطي معنى الحال

فكيف جامعت سوف التي هي حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت
الهمزه في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا
انا سنخرج احيا حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج
من الارض او من حال الفنا او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في
ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وتقديم الظرف اي اذا وايلاوه حرف الانكار اي
الهمزه من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوه منكره ومنه جا انكارهم فهو كقولك للمسي الى المحسن
احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه ان قيل ظاهره ظاهر سوال فاين جوابه فعنه ثلاثة اجوبه احدها
ان ظاهر الكلام استفهام ومعناه معنى جحد وانكار تلخيصه لست مبعوثا بعد الموت والثاني
انه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث اجابه الله تعالى بقوله او لا يذكر الانسان فهو مشتمل على معنى
انت مبعوث والثالث ان جواب سواله هذا الكافر في يس عند قوله وضرب لنا مثلا ولا ينكر
بعد الجواب لان القران كله بمنزلة الرساله الواحده والسورتان مكيتان او لا يذكر الانسان
قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه والكسائي بفتح الذال والكاف مع تشديدهما والباقون ساكنة
الذال مضمومة الكاف والواو عطف لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف
عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر انا خلقناه من قبل ولم يك شيا حتى لا ينكر اخراجه حيا
بعد الموت فان ذلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم
الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب من الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال
واقتدا بمولد ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما البعث
بعد الموت فقد تقدمت نظيرته وعادت لكا لمثال المحتذى عليه وليس فيه الا تاليف الاجزا
الموجوده الباقيه وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعه بعد التفكيك والتفريق وقوله
ولم يك شيا دليل على هذا المعنى على انه تعالى وتقدس سوا عليه الشيان لا تفاوت في
قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذا على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن
يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله من قبل الحالة التي هو فيها
وهي حالة بقا **قوله تعالى** فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن
من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم اقسم تعالى بنفسه
فقال فوربك اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماوه وتعالى كبرياوه مضافا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على وجه الخطاب تفخيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع
من شان السما والارض في قوله فورب السما والارض لنحشرنهم اي المنكرين للبعث والشياطين
الواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع ابلغ والمعنى انهم يحشرون
مع قرنايهم من الشياطين الذين اضلوهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسله ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا على ركبهم يتقادون في جهنم فان حول الشي يجوز ان يكون داخله تقول جلس القوم حول
البيت اذا جلسوا داخله مطيفين به وقيل يجثون حول جهنم على ركبهم قبل ان يدخلوها جثيا
مصدر يقول جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما وقيل هم جمع جاث مثل
قاعد وقعود وجالس وجلوس وهم منصوب على الحال والاصل ضم الجيم وجاز كسرها اتباعا لكسرة
الثا وللمفسرين فيه اقوال منها ان جثيا معناه قعودا ومنها ان جثيا جماعات جماعات
فيكون جمع جثوه وهي المجموع من الحجاره ومنها عن الحسن جثيا على الركب ومنهم قياما

على ركبهم وذلك لضيق المكان بهم قال صاحب الكشاف ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان
بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف
جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى
كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك
من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها
القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم
على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب
والعقاب ثم لننزعن لنخرجن من كل شيعة فرقة وامة هي فعلة كفرقة وفتية والمراد بها الطائفة
التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني يمتاز من
كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في
النار على الترتيب فنقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين
كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هولاء وهم اولى بالصلي من بين ساير الصالين ودركاتهم اسفل
وعذابهم اشد وقيل اراد باشد عتيا روساء الشيع وايمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا
مضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قيل ايهم مرفوع على الاستيناف ولم يعمل لننزعن شيئا
وعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا
قال الزجاج التاويل لننزعن الذين من اجل عتوهم يقال اي هولاء اشد عتيا وعن سيبويه انه مبني
على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب تقديره ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع
واقعا على من كل شيعة لقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم
فقيل ايهم اشد عتيا على الرحمن قيل على للبيان لا للصلة وقيل يتعلق باشد اي عتوهم اشد على الرحمن
كقوله هو اشد على خصمه والبا في قوله اولى بها قيل للبيان لا للصلة وقيل يتعلق باولى اي صليهم
اولى بالنار كقولك هو اولى بكذا **قوله تعالى** وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا وان منكم قيل فيه اضمار تقديره والله ان منكم اي والله ما منكم احد الا واردها قيل التفات
الى الانسان وقيل خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود
دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المومنون وتنهار بغيرهم قيل الورود الدخول روى جابر
بن عبد الله عن رسول الله انه قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومن
بردا وسلاما كما كانت النار على ابرهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم وروي عن ابن
عباس انه ساله نافع ابن الازرق عن هذه الاية فقال له اما انا وانت فسندخلها فانظر
ايخرجنا الله عز وجل منها ام لا واحتج بقوله فاوردهم النار وبقوله انتم لها واردون وكان
عبد الله بن رواحة يبكي ويقول ابيت اني وارد ولم ابن اني صادر وحكى الحسن البصري
ان رجلا قال لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها
قال لا قال ففيم الضحك وقال خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يعدنا ربنا
ان نرد النار فيقال لهم بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وممن ذهب الى ان الورود هو الدخول
الحسن وابو مالك وقد اعترض على اصحاب هذا القول باشيا فقال الزجاج العرب تقول
وردت بلد كذا ووردت ماء كذا اذا اشرفوا عليه وان لم يدخلوا ومنه قوله تعالى ولما ورد

على الرحمن

ماء مدين

ماء مدين والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
وقال زهير فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم اي لما بلغن الماء اقمن عليه قلت
وقد اجاب بعضهم عن هذه الحجج فقال اما الاية الاولى فان موسى لما اقام حتى استسقى الماء وسقى الغنم كان تلبثه
ومباشرته كانه دخل والاولى ان يقال الماء جعل اسما للموضع وقد دخل الموضع واما الاية الاخرى فانها تضمنت الاخبار
عن اهل الجنة حين كونهم فيها وحينئذ لا يسمعون حسيسها وقد روينا انفا عن خالد بن معدان انهم يمرون بها ولا يعلمون
وعن عبد الله بن مسعود الورود المرور عليها وقيل يرد الناس ثم يصدرون عنها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح
ثم كحضر الفرس ثم كشد الرجل ثم كمشيه وعن عبيد ابن عمير ورودها حضورها وعن ابن زيد ورود المسلمين المرور
على الجسر وورود المشركين دخولها وعن مجاهد ان ورود المومن اليها ما يصيبه من الحمى في الدنيا والحمى حظ كل
مومن من النار ثم قرا وان منكم الا واردها قيل اختلاف الناس في معنى الورود حسب اختلافهم في الوعيد
فاما الوعيدية فانهم قالوا من دخلها لم يخرج منها وقالت المرجية لا يدخلها مومن واتفقوا على ان الورود هو
الحضور والمرور واما اهل السنة فانهم قالوا بجواز ان يعاقب الله تعالى العصاة من المومنين بالنار ثم يخرجهم
منها وقالوا معنى الورود الدخول واحتجوا عليه بقوله تعالى اخبارا عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم
النار وبيس الورد المورود وقال في الاصنام وعبدتها انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هولاء الهة ما وردوها فلو لم يكن الورود في هذه الايات بمعنى الدخول لوجب ان يدخل الاصنام وعبدتها
وفرعون وقومه الجنة لان من مر على النار فلا بد له من الجنة لانه ليس بعد الدنيا دار الا الجنة او النار
والذي يدل على ان الورود هو الدخول قوله في سياق الاية ثم ننجي الذين اتقوا والنجاة لا تكون الا مما دخلت
فيه وانت ملقى فيه قال الله فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين كان على ربك حتما مقضيا الحتم مصدر
حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير والحتم ايضا القضا والقطع بالامر
والمقضي الذي قضاه والمعنى انه حتم ذلك وقضاه على الخلق وعزم ان لا يكون غيره **قوله تعالى** ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ثم ننجي قرا الكسائي ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية والباقون
بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم الذين اتقوا عن الشرك وهم المومنون ونذر الظالمين اي
الكافرين فيها اي في النار جثيا جميعا وقيل على الركب **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا واذا تتلى عليهم اي على المشركين اياتنا
اي القران بينات مرتلات الالفاظ ملخصات مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان
بالمحكمات او بتبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا وقيل بينات ظاهرات الاعجاز تحدى بها
فلم يقدر على معارضتها وقيل بينات حججا وبراهين فقوله بينات حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان
ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا يعني مشركي قريش النضر بن الحارث وذويه من قريش
للذين امنوا يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة
وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رءوسهم ويلبسون جيد ثيابهم
اي الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير بضم الميم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع واحسن نديا مجلسا ومجتمعا وحيث ينتدون ومنه دار
الندوة لان المشركين كانوا يجلسون فيها ويجتمعون فيها ويتشاورون في امورهم والمعنى انهم اذا سمعوا
الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين
من المومنين بالايات والجاحدين بها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص
والرفعة والضعة ويحتمل انهم يناطقون المومنين بذلك ويواجهونهم به والكفر يفوهون به

به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه **قوله تعالى** وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا فاجابهم الله فقال وكم مفعول اهلكنا قبلهم من تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم هم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية اثاثا متاعا وقيل هو ما جد من الفرش ورئيا منظرا قرا نافع وابن عامر ريا بيا مشددة من غير همز لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية اثاثا متاعا وقيل والباقون بهمزة بين الرا واليا في وزن رعيا وهو المنظر والهيئة **قوله تعالى** قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذا ايضا مما اجابهم الله به قل يا محمد لهولا المشركين من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي مد له الرحمن مدا يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال ويقال لهم يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل اللام في قوله فليمدد لام الدعا على معنى قل يا محمد من كان في الضلالة فاللهم مد له في العمر مدا حتى اذا راوا قيل متصله بالاية التي هي رابعتها وهي قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا والايتان التي بينهما وهما قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اعتراض بينهما يعني واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يزالون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يعاينوا او يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهارا لله دينه على الدين كله على ايديهم واما الساعة اي يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فسيعلمون اي فحينئذ يعلمون عند المعاينة من هو شر مكانا واضعف جندا اي فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم اي المومنين خير مقاما واقوى جندا وقيل حتى اذا راوا متصله بما يليها وهو قوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا والمعنى من كان في الضلالة اي جهلهم وكفرهم الذي دعاهم الى ان قالوا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا امهله ودلهم في ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة واشتراطها حتى ههنا حرف ابتدا ادخلت على جملة وفيه معنى الغاية والجملة التي دخلت عليها شرطية اذا راوا واما يوعدون شرط جوابه فسيعلمون والرويه روية العين والعذاب والساعة بدل من ما يوعدون وشر مكانا في مقابلة خير مقاما لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم واضعف جندا في مقابلة واحسن نديا لان الندي هو المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان **قوله تعالى** ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا لما بين انه يمد من كان في الضلالة عقبه بانه يزيد الذين اهتدوا هدى ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة يمد له الرحمن مدا اي يزيد الذين ضلوا ضلالا ويزيد الذين اهتدوا هدى قيل يزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد ايمانا وقيل يزيدهم بصيرة في دينهم وقيل يزيدهم بزيادة الوحي ايمانا فكلما نزلت سورة زادتهم ايمانا وقيل يزيدهم ايمانا بالناسخ والمنسوخ وقيل ويزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ وقيل المعنى ان الله تعالى يجعل جزاهم ان يزيدهم يقينا كما جعل جزا الكافرين يمدهم في ضلالتهم والباقيات الصالحات اعمال الخير كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير اي هو خير ثوابا

من مفاخرات الكفار وخير مردا عاقبة ومرجعا وقيل منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وقال ما اجرعت ولا اهلعت وهل يرد بكاي زندا فان قيل كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى جعل ثواب الباقيات الصالحات خيرا منه اجيب كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه نوع من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قيل فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخراتهم شركا فيه اجيب بان هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتا اي ابلغ في حره من الشتا في برده **قوله تعالى** افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث مسروق عن خباب قال كنت رجلا وكان لي على العاص بن وايل دين فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حتى يموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم بعثت جيتني ولي ثم مال وولد فاعطيك فنزلت فيه هذه الاية لما كانت مشاهدة الاشيا ورويتها طريقا الى الاحاطة بها علما والى صحة الخبر عنها استعملوا الرايت في معنى اخبر والفاجات لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اوليك والفا بعد همزة الاستفهام عاطفة على جملة الذي يعني العاص بن وايل كفر باياتنا بالقران وقال لاوتين لاعطين مالا وولدا اعني في الجنة بعد البعث قرا حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتحهما وهما لغتان كالعرب والعرب اطلع الغيب عن ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وعن مجاهد اعلم علم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو او لا من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي تفرد به الواحد القهار ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن ابن عباس ام قال لا اله الا الله وعن قتاده ام قدم عملا صالحا فهو يرجوه ام اتخذ عند الرحمن عهدا انه يدخله الجنة وقيل المعنى ان ما ادعى ان يوتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما باطلاع الغيب واما باتخاذ العهد من عند الله فبايهما توصل الى ذلك كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطي فيما تصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه وقيل ليس الامر على ما قال من انه يوتى المال والولد وقيل يجوز ان يكون معنى كلا انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا سنكتب اي سنامر الحفظة باثبات ما يقول لنجازيه به قال صاحب الكشاف فان قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني ليمة اي يبين وعلم بالانتساب اني لست بابن ليمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجرد ههنا المعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا اي نجعل بعض العذاب على اثر بعض وقيل نعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزيون وقيل نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول انه له الجنة فنجعله لغيره من المسلمين وقيل نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطاله وقيل سنسلبه المال والولد ونجعله لغيره وقيل يحتمل انه قد تمنى وطمع ان يوتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتالّ على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة وياتينا فردا بلا مال

قلت كيف

ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الاية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه
وقيل يحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا
له منفردا عنه غير قايل له وقيل معناه لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب
به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته
متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه **قوله تعالى** واتخذوا من دون
الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا لما تكلم في مسئلة الحشر والنشر
تكلم في حال هولاء المشركين في الاخرة مع الاصنام فحكى عنهم انهم انما اتخذوها الهة لانفسهم ليكونوا لهم
عزا حيث يكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من الهلاك في العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
سيكفرون الضمير للالهة فقيل اراد بذلك الملايكة لان الملايكة يكفرون بعبادة المشركين ويجحدون
وهو المراد من قوله بل كانوا يعبدون الجن وقيل اراد الاصنام اي ان الله تعالى ينطق الاصنام يوم
القيمة ويجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون وقيل الضمير للمشركين اي ينكرون انهم عبدوا الاصنام قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وتكون الالهة عليهم ضدا اعداء لما قصدوه وارادوه كانه قيل
ويكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون يسمى ضدا لانه يضاد
عدوك وينافيه باعانته لك عليه ووحد الضد توحيد قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على
من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم قيل ومعنى كون الالهة عونا عليهم
انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون
الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها
قوله تعالى الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لما ذكر حال هولاء المشركين مع الالهة
في الاخرة ذكر حالهم مع الشياطين في الدنيا الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم
وقيضناهم لهم بكفرهم وذلك حين قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الاية
تؤزهم عن ابن عباس تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها
بالوساوس والتسويلات فلا تعجل عليهم بالعذاب والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
الايات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم ومعاندتهم للرسل واستهزاهم بالدين
من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه
وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم اي فلا تعجل عليهم بان يهلكوا
حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم انما نعد لهم عدا اي فليس بينك
وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد
فيها لو عدت ونحو قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قرا هذه الاية بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر
العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها
فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد **قوله تعالى** يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن

عهدا

عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا يوم نحشر قيل نصب يوم بفعل مضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا
يحيط به الوصف وقيل منصوب باذكر اي اذكر يا محمد يوم نحشر وقيل منصوب بلا يملكون يوم نحشر المتقين
الموحدين المتحرزين عن الشرك ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يحشرون اي يجمعون الى الرحمن الذي غمرهم
برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين الكرامة عندهم وفدا اي جماعات
ركبانا وهي عادة الوفود لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا فشبه اهل الجنة بالوفد والوفد وان كان
متضمنا للانصراف الا ان المراد تشبيههم بالوفد هيئة وكرامة وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على
ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها ياقوت وذكر المجرمين المشركين بلفظ التحقير نسوق
المجرمين الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون **قوله تعالى** لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا لا يملكون قيل الضمير
عايد على المجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم ولا سبيل لهم اليها فعلى هذا المجرمون هم المشركون خاصة
الا من اتخذ استثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد الايمان عن ابن عباس
العهد لا اله الا الله وفي الحديث يقول الله يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم وفي الحديث خمس صلوات
كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن تامات كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة وقيل الضمير راجع
الى المجرمين والمجرمون يعم الكفار والعصاة ثم اخبر انهم لا يملكون الشفاعة لهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
اي الا العصاة المومنون فانهم يملكون ان يشفع لهم فيكون الاستثناء متصلا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد انها
ليست لك ولكنها لي وقيل الضمير في لا يملكون للمتقين عن الكفر لا يملكون الشفاعة لغيرهم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا الا من كان له عمل صالح يحصل به مرتبة الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي رجلا يدخل الله بشفاعته اكثر من بني تميم فعلى هذا هو الشفيع وقيل معنى الكلام
لا يملك جميع اهل الموقف المتقون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون الاستثناء
مفرغا ومن هو المشفوع له وقيل معنى الكلام لا يملك جميع اهل الموقف المتقون والمجرمون الشفاعة
لغيرهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الضمير في
يملكون لمن سبق ذكره اي المتقين والمجرمين والشفاعة هي الشفاعة الخاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم
للعصاة والذي يدل على هذا تدافع الانبيا الشفاعة حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم
اليها فالعهد على هذا النص على امر الشفاعة وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ويحل
من اتخذ الرفع على البدل من الفاعل في يملكون وقيل يجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف
اي الشفاعة من اتخذ وقالوا اتخذ الرد على عبدة الاصنام عاد الى حكاية قول من اثبت لله ولدا
قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملايكة بنات الله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير في قالوا يعم جميع الفرق الذين اثبتوا الله ولدا والولد يعم الثلاثة
المذكورة لقد جئتم التفات من الغيبة الى الخطاب شيئا ادا عجبا عظيما منكرا شديدا يكاد قرا
نافع والكسائي بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق السموات يتفطرن قرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة

وابو بكر عن عاصم ينفطرن بالنون من الانفطار من فطره اذا شقه والباقون بالياء والتاء مشددة الطاء من التفطر من فطره اذا شققه وتنشق الارض وتخر تسقط الجبال هدا كسرا فان قيل ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات اجيب من وجهين احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثل ذلك الاثر في المحسوسات ان تصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر ان دعوا قيل هو في محل الجر على ان يكون بدلا من الضمير المجرور في منه ومرجع هذا الضمير هذا القول وقيل في محل النصب بتقدير سقوط اللام وافضا الفعل اي هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن وقيل في محل الرفع على ان يكون فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفايدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان دعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة فكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر ايابني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه وما ينبغي انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب ولا يصلح له اتخاذ الولد لانه لا يصح ولا يمكن اما الولادة المتعارفة فلا ريب في عدم صحته واستحالته واما التبني فلانه تقتضي مجانسة ولا مجانسة بينه وبين ما سواه لانه قديم وما سواه محدث ان كل من ان نافية ومن موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره اي ما كل من في السموات كالملائكة والارض لعيسى وعزير الا اتي الرحمن يوم القيمة عبدا اذ ليلا خاضعا قيل وفي هذه الاية دلالة على ان الوالد اذا اشترى ولده لم يبق ملكه عليه وانما يعتق بنفس الشرى لان الله تعالى نفى البنوة لاجل العبودية فدل على التنافي بينهما وعبدا حال ثم اخبر تعالى عن احاطته علما بعبيده فقال لقد احصاهم اي علم عددهم ثم كرر المعنى بغير لفظ فقال وعدهم ثم اكد بذكر المصدر فقال عدا فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم والاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعلم عددا الذين توهموا واعتقدوا ان عيسى وعزيرا والملايكة اولاد الله اعتقادهم دايرين كعزين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يتخذ ولدا والاخر اشراك الذين اعتقدوا انهم اولادا في العبادة كما يخدم الرعايا اولاد الملوك خدمتهم لابائهم فابطل الله الاول من الكفرين فيما تقدم من الايات ثم ابطل الاخر من الكفرين بقوله ان كل من في السموات والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي ويلتجي الى ربوبيته يوم القيمة عبدا منفردا مطيعا خاشعا منقادا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل

واحد منهم ياتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيخلق لهم الرحمن في القلوب ودا حبا من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنين حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا ظهر الاسلام وجعل كلمته العليا واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم عن البراء بن عازب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا اي فانما يسرنا القران بلسانك بلغتك يا محمد وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين عن الشرك المؤمنين بالله وحده وتنذر به قوما لدا اشداء في الخصومة جدلا بالباطل خصماء اذان القلوب اخذين في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة **قوله تعالى** وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ثم خوف اهل مكة وانذرهم هل تحس هل ترى منهم من احد او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا لا يفهم **قوله تعالى** مكية وهي خمسة الف واثنان واربعون حرفا والف وثلثمائة واحدى واربعون كلمة ومائة وخمس وثلاثون اية عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قرا طه ويس قبل ان يخلق ادم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس قيل في سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراوح بين قدميه يقوم على رجل حتى نزلت هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه القران صلى هو واصحابه فاطال القيام فقالت قريش ما انزل الله هذا القران على محمد الا ليشقى فنزلت هذه الاية وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث والمطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت هذه الاية والاول عن علي رضي الله عنه والثاني عن الضحاك والثالث عن مقاتل **قوله تعالى**

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى فخم ابو عمرو الطاء لاستعلائها واماله الهاء وقرا طه بين الفتح والكسر نافع وهو الى الفتح اقرب وفخمها ابن كثير وابن عامر والباقون اما لوهما اختلف الناس في طه بحسب اختلافهم في الحروف التي هي في الفواتح واختص طه باقوال اخر فقيل ان معناها يا رجل رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة في رواية وسعيد بن جبير في رواية بالسريانية وعن عكرمة في رواية بالحبشية وعن ابي صالح عن ابن عباس بلسان عك قال شاعرهم ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله ارواح الملاعين وقال الاخر هتفت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موائلا قال صاحب الكشاف والله اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في ياطا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به وقيل انها حروف من اسماء فقيل انها من اسماء الله عن ابن مسعود وابي العالية ان الطاء من اللطيف والهاء من الهادي وعن سعيد بن جبير ان الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل انها حروف من اسماء غير

اسما الله فقيل ان الطا من طابه وهي مدينه الرسول صلى الله عليه وسلم والها من مكه وقيل ان الطا طرب
اهل الجنه والها هوان اهل النار وقيل ان الطا في حساب الجمل تسعه والها خمسه فيكون اربعة عشر
فالمعنى يا ايها البدر ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل انه قسم اقسم الله به اي اقسم الله بطوله وهدايته
وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها او قلبت الهمزة في يطا ها ثم بني عليه الامر
قال صاحب الكشاف والاقوال الثلاثه في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقايق التنزيل
التي يعول عليها الالبا المتقون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف على الوجه الذي سبق ذكره
فهو ابتدا كلام وان جعلها اسما للسورة احتملت ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع
موقع الضمير لان السورة قران وان كان قسما كون ما انزلنا جوابا لها لتشقى لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد
بلغت فانه اجتهد في العباده وبالغ حتى انه كان يراوح بين قدميه لطول القيام فامر بالتخفيف عن
مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربطون الحبال في صدورهم في الصلوة بالليل ثم نسخ ذلك بالفرض
وانزل الله هذه الايه وعن الكلبي لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بمكه اجتهد في الصلوة
واشتدت عبادته فامره الله تعالى ان يخفف على نفسه فيصلي وينام بعد ونزل هذه الايه وقيل
لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا لقوله لعلك باخع نفسك والشقا يجي في معنى
التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلنا عليك القران
تذكرة اي لتذكر به من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير وقيل معناه ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب
عليك ان يومنوا لا محاله بعد ان لم تفرط في ادا الرساله والموعظة الحسنه وقيل اريد بذلك رد ما قاله
ابو جهل والنضر بن الحارث انك لتشقى لانك تركت دين ابائك اي ان دين الاسلام والقران لا تشقى به
فانه هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعاده وما فيه الكفره هو الشقاوه بعينها وكل واحد من لتشقى
وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شرايط الانتصاب
على المفعوليه والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط قال صاحب الكشاف فان قلت
اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى لقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبه
في واختار موسى قومه واما النصبه في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسه التي هي
اصول وقوانين لغيرها ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولكن تذكرة نصب
على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن قيل يحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحتمل متاعب
التبليغ ومقاولة العتاه من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوه
وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا
له لمن يخشى لمن يوول امره الى الخشيه ويعلم الله منه انه يخشى وبزيد خشيته **قوله تعالى**
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى تنزيلا بدل
من تذكرة اذا جعلت حالا لا اذا كان تذكرة مفعولا لها لان الشي لا يعلل بنفسه وقيل يجوز ان
ينصب تنزيلا بنزل مضمرا اي نزل تنزيلا قيل يجوز ان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة
انزلناه تذكرة ويجوز ان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزلناه
تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسما الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لانه تنزيل
ممن هذه صفاته وافعاله ممن يجوز ان يكون متعلقة تنزيلا نفسه فيقع صلة له ويجوز ان يكون

منعلقه

متعلقة بمحذوف فيقع صفة لتنزيلا ممن خلق التفات من التكلم الى الغيبه فيه فوايد منها
عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعه ومنها ان هذه الصفات تسردت
مع لفظه الغيبه ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبه الى
المختص بصفات العظمه والتمجيد فتضاعفت الفخامه من طريقين قيل يحتمل ان يكون انزلنا
حكاية لكلام جبريل والملايكه النازلين معه الارض والسموات العلى جمع العاليه الرفيعه ووصف
السموات بالعلى دلاله على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن رفع على المدح على تقدير
هو الرحمن فيكون خبر المبتدا محذوف وقيل هو مبتدا مشار بلامه الى من خلق على العرش استوى
خبره واذا كان الرحمن خبر مبتدا جاز ان يكون على العرش استوى خبر مبتدا محذوف اي هو على
العرش استوى وجاز ان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا استوى قيل بمعنى استولى وقال امام الحرمين
هو بمعنى استوا القهر والغلبه قال سفين الثوري فعل فعلا في العرش سماه استوا وقيل هذا من
متشابه القران نومن به ولا نحمله على ظاهره ولا نوله سيل مالك بن انس عن الاستوا فقال الاستوا
معلوم والكيفيه مجهوله والسوال عنه بدعه قال صاحب الكشاف لما كان الاستوا على العرش
وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كنايه عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون
ملك العرش وان لم يقعد على السرير البته قالوا ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في موداه
وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطه ويد فلان مغلوله
بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق فيما بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال
او لم يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطه لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل
يد الله مغلوله اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا
بسط له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لما شرح ملكه بقوله الرحمن على
العرش استوى والملك لا ينتظم الا بالقدرة والعلم لاجرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم اما القدرة
ففي هذه الايه والمراد انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعه فهو مالك لما في السموات من
ملك وكوكب وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن والفلزات وما لك لما بينهما من الهوا
ومالك لما تحت الثرى فقصه في امر الحوت ونحوه ولم يثبت صحتها فلا فايدة في ذكرها واما
العلم ففي قوله وان تجهر بالقول اي وان ترفع صوتك فانه يعلم السر واخفى والمعنى لا تجهد نفسك
برفع الصوت فان الله يعلم السر قيل ما اسره الانسان الى غيره واخفى من ذلك وهو ما اخطره
بباله والمعنى اذا جهرت ذكر الله من دعا او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فاما
ان يكون نهيا عن الجهر لقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول واما
تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى قد سبق تفسيره
قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي
اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك
بالوادي المقدس طوى لما عظم الله حال القران وحال الرسول اردفه بما يقوي قلبه من ذكر حال
موسى ليتاسى به في تحمل اعبا النبوه وتكاليف الرساله والصبر على مقاساة الشدايد حتى ينال
عند الله الفوز والمقام المحمود وهل اتاك هذا استفهام تقرير ومعناه وقد اتاك وهذا
معروف عند اهل اللغه ان يانى هل بمعنى قد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
افصح العرب اللهم هل بلغت يريد قد بلغت وقيل يحتمل ان يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى

ما لم تكلم به الانسان وحدث به نفسه ... واخفى ما لم يحدث به نفسه وقيل السر ما حدثت به نفسك واخفى ما لم يكن بعد وقيل السر العمل الذي تسره والاخفى النية ... يعلم ما اسر الانسان من عمله واخفى من ذلك ما لم يعمله بعد ... يعلم ما ليس من ... الانسان

فقال وهل اتاك اي ولم ياتك الى الآن وقد اتاك الان فتنبه له وهل اتاك وان كان على
لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ
في ذلك كما تقول لصاحبك هل بلغك عني كذا فيتطلع صاحبك الى معرفة ما تومي اليه نحو ان مست
اذ ظرفا للحديث لان الحديث حدث او لمضمر حين راى نارا كان كيت وكيت ويجوز ان ينتصب
مفعولا لاذكر عن وهب استاذن موسى شعيبا في الرجوع الى امه فخرج باهله فولد له في الطريق ابن
في ليلة شاتية مظلمة مثلجة فحاد موسى عن الطريق وقدح النار فلم تور المقدحة شيا فبينا هو في مزاولة
ذلك ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق قيل كانت ليلة الجمعة فقال موسى لاهله امكثوا انكم
قرا حمزة لاهله بضم الها والباقون بكسرها اني انست ابصرت نارا الايناس الابصار البين الذي لا
شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل
هو ابصار ما يوجد منه الايناس فكان مقطوعا محققا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطنوا انفسهم
لعلي اتيكم منها من النار بقبس بشعلة القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه
قيل المقتبس فيه من شقفة او غيرها او اجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق او ينفعني
بهداه في ابواب الدين عن مجاهد وقتاده وذلك لان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في جميع
احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ولما كان
الاتيان بالقبس ووجود الهدى لوجود الهدى مرتقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال
لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفا به ومعنى الاستعلا في على النار
ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان
يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستعلين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها
ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها اي اتى موسى النار راى شجرة
خضرا من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضا تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف
وتعجب فالقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة واليا اي نودي
باني والباقون بكسر الهمزة الان نافعا فتح اليا اي نودي فقال يا موسى اني انا ربك او لان
النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق
المعرفة واماطة الشبهة ونظيره قوله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم وقل اني انا النذير المبين
فاخلع نعليك قيل سبب امره بخلع نعليه انهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل انما قال
له اخلع نعليك كي تمس راحة قدميك الارض المقدسة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقيل
انما امر بذلك لان الحفوة من امارات التواضع ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم
من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران يدل على ان
ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها قال الثعلبي قال اهل الاشارة معناه فرغ قلبك
من شغل الاهل والولد فالولا وكذلك هو في التعبير من راى عليه نعلين يتزوج فخلع موسى نعليه
والقاهما من ورا الوادي انك بالواد المقدس المطهر طوى اسم واد قرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو بالتنوين منصرفا بتاويل المكان والباقون بغير تنوين غير منصرف بتاويل البقعة وقيل
المقدس طوى طوى مرتين اي قدس مرتين وقيل نودي نداءين قوله تعالى وانا
اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى

وانا قرا حمزة وانا بالتشديد والباقون بالتخفيف اخترتك اصطفيتك للنبوة قرا حمزة اخترناك لما يوحى
للذي يوحى على تقدير ان تكون موصولة او للوحي على تقدير ان تكون مصدرية واللام في لما يوحى
تعلق باستمع او باخترتك انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري لا بالانفراد ولا بالشركة
واقم الصلوة لذكري قيل معناه واقم الصلوة متى ذكرت ان عليك صلوة سوا كنت في وقتها او لم تكن
روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلوة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة
لها غير ذلك وقرا واقم الصلوة لذكري وقيل معناه اقم الصلوة لتذكرني فان ذكري ان اعبد
ويصلى لي وقيل لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت
بها وقيل لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر وقيل لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر
ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقيل الاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة لقوله ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جيتك
لوقت كذا ان الساعة اتية اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهرها عليها وهذا على عادة العرب فانهم يقولون
اذا بالغوا في كتمان الشي كتمته حتى عن نفسي اي لم اطلع عليه احدا وقيل ان الكلام تم عند قوله اكاد
وبعده مضمر تقديره اكاد اتي بها ثم ابتدا وقال اخفيها لتجزى وقيل معنى اكاد اريد اي اريد اخفيها
وفايدة هذا الاخفا التشديد التحذير والتخويف فان من لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان اشد حذرا التجزى
اي ان الساعة اتية لتجزى كل نفس بما تسعى بسعيها وقيل يجوز ان يكون متعلقا باقم الصلوة لذكري اي
اقم الصلوة لذكري لتجزى فلا يصدنك عنها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة اي فلا يصدنك عن
الايمان بها من لا يومن بها والخطاب لموسى عليه السلام قال صاحب الكشاف فان قلت العبارة لنهي من لا
يومن عن صد موسى عليه السلام والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق
فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق
بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل
في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل شديد الشكيمة صليب المعجم حتى
لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يومن بالاخرة هم
الجم الغفير اذ لا شي اطم على الكفرة ولا هم اشد لهم نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم
وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه
هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ
عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله قوله تعالى وما تلك بيمينك
يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى قال القها يا موسى فالقاها
فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى قيل تلك اسم موصول صلته
بيمينك والمعنى ما التي بيمينك وقيل تلك اسم اشارة بيمينك في محل النصب على انه حال والعامل
فيه معنى الاشارة كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة فان قيل ما الفايدة في سوال
الله تعالى له وما تلك بيمينك وهو يعلم فنقول جوابان احدهما ان لفظه لفظ الاستفهام
ومجراه مجرى السوال ليجيب المخاطب بالاقرار به فيثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد
ومثله في الكلام ان تقول لمن تخاطبه وعندك ما ما هذا فيقول ما فتصنع عليه شيا من الصبغ
فان قال لم تزل هكذا قلت له الست اعترفت بانه ما فيثبت عليه الحجة فعلى هذا تكون الفايدة

انه قرر موسى انها عصى لما اراد ان يريه من قدرته في انقلابها حية فيقع المعجز بها بعد التثبت في امرها
والثاني انه لما اطلع الله عز وجل على ما في قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكلم اراد ان يؤانسه
ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف فاجرى هذا الكلام للاستيناس وقيل انما ساله ليريه عظم ما يخترعه
عنه تعالى في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة ويقرر في نفسه المباينة البعيدة بين
المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد
ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة
صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد فان قيل قد كان يكفي في الجواب ان يقال هي عصاي
فما الفائدة في قوله اتوكا عليها اعتمد عليها الى اخر الكلام وانما شرح هذا لمن لا يعلم فوايدها فعنه
ثلاثة اجوبة احدها انه اجاب بقوله هي عصاي فقيل له ما تصنع بها فذكر باقي الكلام جوابا عن سوال
ثان والثاني انه انما اظهر فوايدها وبين حاجته اليها خوفا ان يامره بالقايها كالنعلين والثالث
انه بين منافعها لئلا يكون عابثا بحملها فان قيل لم اقتصر على ذكر بعض منافعها ولم يطل الشرح فعنه
ثلاثة اجوبة انه كره ان يشتغل عن كلام الله تعالى بتعداد منافعها والثاني انه استغنى بعلم الله فيها
عن كثرة التعداد والثالث انه اقتصر على اللازم دون العارض اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة واهش واخبط الشجر ليتناثر ورقها فتاكل غنمي هش الورق
خبطه اي اخبطه على راس غنمي تاكله ولي فيها مارب حوايج ومنافع واحدتها ماربة ومارُبة
بضم الراء وفتحها اخرى ولم يقل اخر لرؤوس الاي ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه
احس بما يعقب هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات
جنسها وكما تنفع العيدان وليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه وعن وقيل
اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا
طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب
وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل
واذا قصر رشاوه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات
انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا ويكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو
حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فتغصنت غصن تلك الشجرة واورقت ورقها واثمرت
ثمرها وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب قال الله
القها يا موسى فالقى موسى من يده ظنا منه انه قد امر برفضها فسمع حسا فالتفت فاذا هي حية تسعى
تمشي بسرعة وخفة حركة وانما اظهر هذه الاية لئلا يخاف منها اذا القاها بين يدي
فرعون وليريه ان الذي ابعثك اليه دون ما اريتك فكما ذللت لك الحية فهي العظم الادنى
عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت حية صفرا لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى
صارت ثعبانا وهي اكبر ما يكون من الحيات فلذلك قال في موضع اخر كانها جان وهي اصغر الحيات
وفي موضع اخر ثعبان وهو اعظمها فالجان ابتدا حالها والحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى
والصغير والكبير وقيل اراد بها في عظم الثعبان وسرعة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما
راها تهتز كانها جان وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا فلما راى موسى ذلك الامر العجيب
الهايل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا
ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شي خاف ونفر وقيل انما خافها لانه عرف ما لقي ادم منها

وقيل

وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينته ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قيل لما
انتفى عن موسى الخوف ونفار الطبع مما راى من الاعجوبة قال الله له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها
الاولى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى
المذهب والطريقة وقيل سيرتها الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف يعني سنعيدها في طريقتها الاولى اي
في حال ما كانت عصا ويجوز ان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان
تلاقيها عدا فيتعدى الى مفعولين وقيل يحتمل ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى
انها انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب
سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى اي سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها
ولك فيها المآرب التي عرفتها **قوله تعالى** واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى
لنريك من اياتنا الكبرى واضمم يدك الى جناحك قيل الجناح من اسفل العضد الى الابط وقيل الجناح
اسفل من الابط وعن تحت عضدك وقال ابو عبيدة الجناح ناحية الجنب وقيل لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطاير سميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير سوء
رداءة وقبح فكني به عن البرص كما كني بالسوء اي تخرج بيضاء من غير برص والبرص ابغض شي الى العرب
وبهم عن البرص نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف
ولا احز للمفاصل من كنايات القران واداته فاخرج يده من مدرعته مضربة بيضاء لها شعاع كشعاع
الشمس يغشى البصر اية اخرى بيضاء واية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من
من غير سوء وقيل اية منصوب باضمار فعل تقديره خذ ودونك وما اشبه ذلك لدلالة الكلام عليه
وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الايتين بعضا
من اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك من اياتنا الكبرى فعلنا ذلك وانما قال الكبرى
ولم يقل الكبر وفاقا لرؤوس الاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى دليله قول ابن
عباس كانت يد موسى عليه السلام اكبر اياته **قوله تعالى** اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا لما اظهر الله
هذه الايات عقبه الامر بالذهاب الى فرعون الطاغي عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما
يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره
ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر
بصبر جميل وحسن ثبات وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبه من مزاولة
معاظم الشوون ومقاساة جلايل الخطوب رب اشرح لي صدري ويسر لي امري قد ابهم الكلام
اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد
لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه
تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل وابسط وافتح عقدة من لساني عن ابن عباس
رضي الله عنهما كانت في لسانه رتة وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم فلطمه لطمة واخذ بلحيته
فقال فرعون لاسية امراته ان هذا عدوي فقالت اسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشيا
ثم جات بطستين في احدهما الجمر وفي الاخر الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى فاخذ جبريل بيد موسى

عليه السلام فوضعها على النار حتى رفع جمرة و وضعها على لسانه فتكلل الرته وقيل ما زال العقده
بالكلية بل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وقيل بل
زالت بكمالها لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقده وان لم يقل واحلل عقدة
من لساني دليل على انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهموا عنه ما يدل عليه يفقهوا قولي كانه قيل عقدة
من عقد لساني قدر ما يفقهوا به قولي واجعل لي وزيرا من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره
ومونه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجي اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونه
وزيرا و هرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اولي وزيرا مفعولاه
وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان اخر جاز حسن ك
ابن كثير وابو عمرو يا اخي اشدد به ازري واشركه في امري وقرا ابن عامر اشدد بالالف
مقطوعه مفتوحه واشركه بضم الالف على الجواب والجزا والباقون اشدد واشركه على الدعا
والمعنى اشدد به يا رب ازري واشركه يا رب في امري قال ابو علي والوجه الدعا لان ما قبله دعا
ولان الاشراك في النبوة لا يكون الا من الله تعالى ويجوز على قراءة الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتدا
واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة والظهر يقال ازرت فلانا على الامر اي قويته
عليه ولنت له فيه ظهرا اي اشدد به هرون قوتي وظهري واجعله شريكا لي في الرسالة والنبوه
كي نسبحك تسبيحا كثيرا ونذكرك بالسنتنا حامدين لك على ما اوليتنا من نعمك فان التعاون والتظاهر
يتزايد به الخير ويتكاثر لانه يهيج الرغبات انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وبان التعاون
والتعاضد مما يصلحنا وان هرون ليشد به ازري وعضدي فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا **قوله**
تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك
كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين
ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري قال
الله عز وجل قد اوتيت اعطيت سؤلك طلبتك يا موسى في شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقده
عن اللسان بكمالها او بالقدر الذي يفهموا كلامك وشد ازرك بهرون واشركه اياك في
الرساله ولقد مننا عليك مرة اخرى يعني انه ماضي منته عليه على جهة التوقيف عليها ليعظم
اجتهاده ويجد بصيرته ويقوى قلبه روي انه ذكر لفرعون ان خراب ملكه على يدي غلام
من بني اسرايل فامر بقتل كل مولود يولد لبني اسرايل ثم انه راى مع اهل مملكته ان فنا بني
اسرايل يعود على القبط بالضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصناع فعزم على ان يقتل الولدان
سنة ويستحييهم سنة فولد هرون في سنة الاستحيا فكانت امه آمنة ثم ولد موسى في العام
الرابع سنة القتل فخافت امه عليه القتل فبقيت مهمته ولقد مننا عليك اي انعمنا عليك
مرة اخرى قبل ثم بين متى كانت بقوله اذ اوحينا الى امك على لسان نبي في وقتها لقوله
واذ اوحيت الى الحواريين او بعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما الى مريم او بارايتها في المنام
فتنبهت عليه او بالهامها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى
التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي ما يوحى اي هو مما يوحى لا محاله وهو امر عظيم مثله
حق بان يوحى ان اقذفيه ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول اقذفيه القيه لان

القذف مستعمل في معنى الالقا والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه اي اقذفي موسى في
التابوت فاقذفيه في موسى او التابوت في اليم في البحر اي النيل فليلقه اليم موسى او التابوت بالساحل
بشاطي النهر لفظه لفظ امر ومعناه خبر لما كان مشية الله تعالى وارادته ان لا تخطي جريتها واليم الوصول
به الى الساحل والقاه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع
الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل ياخذه موسى او التابوت الذي فيه موسى عدو لي يعني
فرعون وعدو له موسى قال صاحب الكشاف والضماير كلها راجعة الى موسى ورجع بعضها الى التابوت
فيه هجنة لما يودي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل
قلت ما ضرك لو قلت المقذوف الملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك
النظم الذي هو ام اعجاز القران والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على
المفسر لما اوحى الله تعالى الى ام موسى ما يوحى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت
فيه موسى وقيرت راسه وحصصته ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينا
هو جالس على راس بركة مع امراته آسية اذا بالتابوت يجي به الما فلما راى ذلك امر الغلمان والجواري
باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك
ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه لان الما يسحله اي يقشره وقذف
به ثمه فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه
النهر الى جنب البركة والقيت عليك محبة مني اي اشار الى هذه المحبة قيل مني متعلق بالقيت والمعنى
اني احببتك ومن احببته احبته القلوب وقيل متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة مني
قد غرستها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك عن عطية العوفي
جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من راه وعن قتادة ملاحة كانت في عين موسى ما راه
احد الا عشقه ولتصنع على عيني اي ولتربى ويغذى بمراى مني بنظر مني اي ولتربى ويحسن
اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع
هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل
ليتعطف عليك وقيل حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك اذ تمشي العامل في اذ تمشي القيت اي القيت
عليك محبة مني وقت مشي اختك وقيل لتصنع اي ولتصنع على عيني قدرنا مشي اختك وقيل يجوز
ان يكون اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا ويصح البدل وان كان الوقتان مختلفين متباعدين كما يصح وان
اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا
لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في اخرها روي ان اخته واسمها مريم
جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل
ثدي امراة فتقول اخت موسى هل ادلكم على من يكفله يرضعه ويضمه اليها قالوا نعم فجاءت
بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها بك وبرؤيتك ولا تحزن
بمفارقتك وقتلت نفسا يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه عن كعب الاحبار كان اذ ذاك
ابن ثنتا عشرة سنة قتله فاغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون
فنجيناك من غم القتل وكربه وفتناك فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالشكور
والشكور والكفور ويجوز ان يكون جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتا التانيث كحجوز وبدور

في محبتي ويدل عن ابن عباس اختبرناك اختبارا وعن الضحاك اخلصناك اخلاصا وعن العوفي ابتليناك ابتلا وقيل فتناك ضروبا من الفتن سال سعيد بن جبير بن عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها انه ولد في عام كان يذبح الاطفال فيه ثم القاوه في البحر ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم جر لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي ثم خروجه الى مدين خايفا ثم اجار نفسه عشر سنين ثم ضل الطريق ثم تفرق غنمه في ليلة تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي ثم خروجه الى مدين خايفا ثم اجار نفسه عشر سنين مظلمة وكان بن عباس يقص هذه القصص على سعيد بن جبير ويقول له عند كل بليه فهذه فتنة يا بن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين فمكثت سنين اي عشر سنين عن وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر ابنته صفورا بنت شعيب ثم اقام ثمان سنين عنده حتى ولد له في اهل مدين وهو بلد شعيب على ثمان مراحل من مصر ثم جيت على قدر اي جيت لميقات قدرته لمجيك قبل خلقك اي سبق في قضاي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جيت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر قيل وعلى مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيا وكان ذلك على راس اربعين سنة وقيل على قدر اي على ما اراد الله به من تكليمه واصطنعتك اخترتك واصطفيتك واختصصتك بالرسالة والنبوة والاصطناع اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه الى انسان قال صاحب الكشاف هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصايص اهلا لان لا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا ياتمن على مكنون سره الا سوا ضميره اذهب انت يا موسى واخوك هرون باياتي قيل العصى واليد وقد ذكر الايات بلفظ الجمع لان العصا فيها ايات وقيل العصا واليد وحل العقدة التي مار الفرعون وقومه يعرفونها وقيل الايات التسع ولا تنيا قيل ولا تضعفا ولا تفترا ونيت في الامر اني ونيا ووينا اي ضعفت والونى الضعف والفتور في ذكري قيل في رسالتي الى فرعون وقيل في القيام بالفرض والتسبيح والتهليل وقيل في ذكري اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيث ما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري **قوله تعالى** اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى روي ان الله تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قال اذهبا الى فرعون فايدة تكرار الامر بالذهاب التوكيد انه طغى قد مر تفسيره فقولا له قولا لينا قيل فقولا له قل لا اله الا الله وحده لا شريك له عن بن عباس لا تعنفا في قولك ولا تغلظا وعن السدي وعكرمة كنياه وقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وعن مقاتل القول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقيل الطفا له في قولكما فانه رباك واحسن تربيتك وله عليك حق الابوة فلا تجبهاه بمكروه في اول تدومات عليه وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع عنه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته لعله الترجي لموسى وهرون اي اذهبا على رجايكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه

ونحسبه

وتحسبه باقصى وسعه والعلم من الله من وراء ما يكون وقد علم انه لا يتذكر ولا يخشى الا ان الحجة لما عليه بالاية والبرهان وانما بعث الرسل وهم لا يعلمون الغيب ولا يدرون ايقبل منهم ام لا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ومعنى لعل يتصور في انفسهم وعلى تصور ذلك تقوم الحجة يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق ويخشى ان يكون الامر كما يصفان فيجره انكاره الى الهلكة قيل تذكر فرعون وخشي حيث لم ينفعه الذكر والخشية وذلك حين ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين عن يحيى بن معاذ الرازي قرا هذه الاية فقال هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله عن ابي القسم الجنيد بن عليه الفاظا اقتديت به فيها هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك هذا رفقك بمن يقول ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن دل هذا رفقك بمن اقترف فكيف رفقك بمن اعترف هذا رفقك بمن اصر فكيف رفقك بمن اقر هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر قالا اي موسى وهرون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يبادر بعقوبتنا ويعجلنا بالعقوبة ويجاوز الحد ويعلينا فرط منه امر اي بدر وسبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل او ان يطغى قبل ان يستعصي علينا ويتكبر وقيل ان يجاوز الحد في الاساءة الينا وقيل ان يعجل علينا قبل ان نبلغه امرك وكلامك قال الله لا تخافا انني معكما بالنصرة والعون لكما والدفع عنكما اسمع اقوالكم وارى افعالكم اي اسمع ما جرى بينكما وبينه من قول وارى ما جرى بينكما وبينه من فعل وعن الكلبي اسمع جوابه لكما وارى ما يفعل بكما ويجوز ان لا يقدر شي اي اسمع وارى عن فلان يسطي ويمنع واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو **قوله تعالى** فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم قد جيناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ولا تعذبهم ولا تتعبهم في العمل وكانت بنو اسرايل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شي مع قتل الولدان واستخدام النساء قال موسى وهرون قد جيناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها التي هي المجي بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جيناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة قال فرعون وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها فاذا هي بيضا لها شعاع كشعاع الشمس غلبت نورا الشمس فعجب منها ولم يره العصا الا بعد ذلك يوم الزينة والسلام على من اتبع الهدى وليس يعني به التحية وانما معناه لان من اتبع الهدى اي امن بالله سلم من عذاب الله وسخطه **قوله تعالى** انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى على من كذب بايات الله وتولى واعرض عن الايمان وهذه الاية ارجى اية للمومنين لانه من اقوى الدلايل على ان عقاب المومن لا يدوم لان الالف واللام في العذاب تفيد الاستغراق او تفيد الماهية وعلى التقديرين تقتضي انحصار هذا الجنس فيمن كذب وتولى فوجب في غير المكذب المتولي ان لا يحصل هذا الجنس اصلا فظاهر الاية تقتضي القطع بانه لا يعاقب احد من المومنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام لان العقاب المتناهي اذا حصل بعده السلامة ملء غير متناهية صار ذلك العقاب كانه لا عقاب فلذلك يحسن مع حصول ذلك القدر ان يقال انه لا عقاب

قال فرعون فمن ربكما يا موسى ان فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر ثم ان
موسى عليه السلام لما دعاه الى الله تعالى لم يشتغل معه بالبطش والايذا بل خرج معه في المناظرة
فانه لو شرع اولا في الايذا لنسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع اولا في المناظرة
وذلك يدل على ان السفاهة في المناظرة من غير الحجة شي ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله
وكفره فكيف يليق بمن يدعي الاسلام والعلم خاطب فرعون موسى وهرون ووجه النداء الى موسى لانه
الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه وذعارته على استدعا كلام موسى
دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى قال موسى ربنا الذي اعطى
كل شي خلقه صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان
كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه وقيل اعطى كل حيوان نظيره من
الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج
منها شي غير جنسه وما هو على خلاف خلقه هذا على تقدير ان يكون كل شي مفعولا اول
وخلقه ثانيهما واما اذا جعل خلقه مفعولا اول وكل شي ثانيهما فمعناه اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه
ويرتفقون به ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه مثل انه عرف والهم
كيف ياتي الذكر الانثى في النكاح فان قيل فما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا فالجواب
انه قد ثبت وجود خلق وهداية فلا بد من خالق وهاد قال صاحب الكشاف ولله در الجواب
ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد **قوله تعالى** قال فما بال القرون
الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى لما قال فرعون فمن ربكما
فذكر موسى عليه السلام دليلا ظاهرا على هذا المطلوب فقال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه
ثم هدى خاف فرعون ان يزيد في تلك الحجة فيظهر للناس صدق موسى وفساد طريق فرعون
فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى قيل
سال عن اخبار القرون الاولى واحاديثها ولم يكن له بذلك علم اذ التورية انما انزل بعد
هلاك فرعون قال موسى علمها عند ربي وقيل اراد اني رسول واخبار الامم علم غيب ولا علم لي
بالغيب وقيل ان مراده من السوال هاهنا لم عبدت الاصنام ولم لم تعبد الله ان كان الحق ما
وصفت وقيل ان مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال موسى علمها عند الله
اي علم اعمالها وقيل الهاء في علمها كناية عن القيمة لانه ساله عن بعث الامم فاجابه بذلك وقوله
في كتاب اراد اللوح المحفوظ لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطي ربي ولا ينسى ما كان من امرهم
حتى يجازيهم باعمالهم وقيل لم يلتفت موسى الى ذلك السوال وقال علمها عند ربي في كتاب
ولا يتعلق غرضي باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز الدلائل الباهرة
على الوحدانية فقال الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما ما فاخرجنا
به ازواجا من نبات شتى قرا حمزة وعاصم والكسائي مهدا بغير الف والباقون مهادا بكسر
الميم والف بعد الهاء والمهد الفرش والمهاد الفراش الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر
مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه وسلك لكم من قوله ما سلككم في
سقر اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا انتقل فيه من

لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكر من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة
وتذعن الاجناس المتفاوتة بمشيته لا يمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السما
ما فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق
السموات والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن
نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا فسميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها
مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمرضى ومريض ويجوز ان يكون صفة للنبات مصدرا سمي به
النابتة كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النوع والطعم واللون والريح
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم **قوله تعالى** كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي
النهى اي كلوا مما اخرجنا لكم من الثمار وارعوا انعامكم يقال رعى الماشية يرعاها اذا سرحها
في المرعى من نعمه تعالى ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها
مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله تقديره قائلين كلوا وارعوا انعامكم قائلين حال
من الضمير فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا
بعضها ويعلفوا بعضها ان في ذلك لايات لاولي العقول النهى جمع نهية يقال فلان ذو نهية اي
ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن وقيل ذو النهية الذي ينتهي الى رايه وعقله
وهذا احسن ايضا **قوله تعالى** منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
منها من الارض المذكورة في قوله جعل لكم الارض مهدا اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم ادم
منها وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وقيل ان خلق بني ادم من التراب
ايضا لانه خلق بني ادم من النطفة ودم الطمث وهما يخلقان من الاغذية والاغذية من الحيوان
والنبات والحيوان من النبات والنبات يخلق من التراب فصح قوله تعالى منها خلقناكم بحسب الظاهر
ولا حاجة الى التاويل وصرفه عن الظاهر وخلق بني ادم من النطفة لا ينافي خلقهم من الارض كما ان
خلقهم من المضغة لا ينافي خلقهم من العلقة وخلقهم من العلقة لا ينافي خلقهم من النطفة وخلق ادم من
صلصال كالفخار لا ينافي خلقه من حما مسنون لا ينافي خلقه من طين لا ينافي خلقه من تراب فان ذلك
بحسب الاطوار قال الله تعالى وقد خلقكم اطوارا وفيها نعيدكم بعد الموت عند الدفن وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان المومن اذا قبض الملك روحه انتهى به الى السما وقال يا رب عبدك فلان قبضنا
روحه فيقول ارجعوا فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين
ومنها نخرجكم تارة اخرى عند البعث قيل واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة
بالتراب ويردهم كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله
عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك
يترددون فيها كيف شاوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهايمهم
وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها خلقوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال صلى الله عليه
وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة **قوله تعالى** ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى ولقد
اريناه اي فرعون اي بصرناه وعرفناه صحتها ويقناه بها فكذب لظلمه لقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض
بصائر قيل التعريف الاضافي في اياتنا كلها بمثابة التعريف باللام نحو الايات كلها فلا يفيد

الا تعريف العهد والاشارات الى الايات المعلومه التى هى تسع الايات المختصه بموسى عليه السلام
العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل وقيل ان موسى عليه
السلام قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبى
صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها فرعون جميعا وابى ان يقبل شيا منها
وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق **قوله تعالى** قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
تلوح من قول فرعون هذا ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جابه موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه
على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه
على ملكه لا محاله وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله
من ارضه ويغلبه على ملكه بسحره فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا وقيل وقتا واجلا
وميقاتا اعتبارا بقوله موعدكم يوم الزينه لتطابقهما فعلى هذا يلزم ان يجعل الزمان مخلفا
وان يعمل ناصب مكانا وقيل موعدا اى مكانا لقوله مكانا سوى فعلى هذا يلزم ان يوقع الاخلاف
على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينه وقيل موعدكم يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر
مضاف محذوف اى مكان وعد ويجعل الضمير فى نخلفه للوعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فان قيل فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينه ولا بد ان يجعله زمانا والسوال واقع عن
المكان لا عن الزمان اجاب صاحب الكشاف بانه مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم
من ان يجتمعوا يوم الزينه فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان
وقيل يجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وينتصب
مكانا بالمصدر اى بالموعد الذى هو الوعد او بفعل يدل عليه المصدر اى نعد مكانا والجواب
مطابق على تقدير وعدكم وعد يوم الزينه لا نخلفه لا يخالفه نحن ولا انت مكانا سوى قرا
ابن عامر وعاصم وحمزه بضم السين والباقون بكسرها قيل سوى معناه سويا لا ساتر فيه وقيل
مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا بين الفريقين اى تستوى مسافته بين الفريقين فتكون
مسافه كل فريق اليه كمسافه الفريق الاخر وعن الكلبى مكانا سوى هذا المكان قيل وفيه بعد عند المحققين
قوله تعالى قال اى موسى موعدكم يوم الزينه وان يحشر الناس ضحى عن ابن عباس يوم الزينه
يوم عاشورا وقيل يوم عيد لهم فى كل سنه يتزينون ويجتمعون فيه وقيل يوم النيروز ووافق
ذلك يوم السبت اول يوم من السنه وقيل يوم سوقهم وان يحشر الناس ضحى رفع عطف على يوم
الزينه المعنى موعدكم حشر الناس ضحى اى اذا رايتم الناس قد حشروا ضحى وقيل فى محل خفض
عطفا على الزينه المعنى موعدكم يوم الزينه ويوم حشر الناس ضحى وانما واعدهم موسى ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله عز وجل وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على روس الاشهاد
وفى المجمع الغاص ليقوى رغبه من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر
المحدث بذلك الامر العام فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع اهل الوبر والمدر **قوله تعالى**
فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من
افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذين لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قيل فتولى فرعون عن الحق الذى امر به وقيل فتولى مدبرا عن موسى
وانصرف الى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى فجمع كيده مكره وحيلته وسحرته ثم اتى الموعد
قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل كانوا اربعمايه قال

لهم

لهم موسى اى للسحره لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا ولا تشركوا معه احدا فيسحتكم
قرا حمزه والكسائى وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم اليا من اسحت والباقون بفتح اليا والحا وهما لغتان سحت
واسحت قال مقاتل والكلبى فيهلككم وقال قتاده فيستاصلكم وقال ابو صالح فيذبحكم بعذاب وقد خاب
من افترى لينال عرض الدنيا فتنازعوا اى السحره امرهم بينهم فقال بعضهم هذا ساحر مثلنا وقال
بعضهم ليس هذا من كلام السحره اى قوله لا تفتروا على الله كذبا واسروا النجوى المناجاه تكون اسما ومصدرا
اى اسروا كلامهم هذا فيما بينهم وقيل تناجوا فيما بينهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتاده ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السما فله امر وقيل الضمير فى فتنازعوا لفرعون وقومه والسحره جميعا اى تشاوروا فى
السر فى امر موسى وفيما يخافون من قبله ثم قالوا ان هذين لساحران قرا ابو عمرو ان هذين وقال انى لاستحيى
من الله ان اقرا ان هذان واحتجاجه فى مخالفه المصحف بما روى عن عثمان وعايشه رضى الله عنهما
ان هذا من غلط الكاتب وقرا ابن كثير ان بتخفيف هذان بتشديد النون وقرا عاصم فى روايه حفص
ان خفيفه هذان خفيفه ايضا والباقون ان بالتشديد هذان بالف ونون خفيفه عن ابن عباس هى لغه بلحارث
قال الزجاج وحكى ابو عبيده عن ابى الخطاب وهو راس من روس الرواه انها لغه لكنانه يجعلون
الاثنين فى الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون اتانى الزيدان ومررت بالزيدان ان كانت
بجوابهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم مصر اى هما يجتهدان فى ابطال دينكم والاستيلا على دياركم ويذهبا بطريقتكم المثلى
سموا مذهبهم الطريقه المثلى والسنه الفضلى كل حزب بما لديهم فرحون وقيل بطريقتكم بدينكم
المستقيم وقيل بسنتكم ودينكم وما انتم عليه يقال فلان حسن الطريقه وقيل اراد واهل
طريقتكم المثلى وهم بنو اسرايل لقول موسى ارسل معنا بنى اسرايل وقيل الطريقه اسم لوجوه
الناس واشرافهم الذين هم قدوه لغيرهم يقال هم طريقه قومهم وعن الشعبى ويصرفا وجوه
الناس اليهما والمثلى تانيث الامثل قال الزجاج معنى المثلى والامثل ذو الفضل الذى به
يستحق ان يقال هذا امثل قومه **قوله تعالى** فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى
قرا ابو عمرو فاجمعوا بفتح الميم ووصل الالف من جمعت اى لا تدعوا من كيدكم شيا الا جيتم به
ولعيضل قوله فجمع كيده والباقون بقطع الالف وكسر الميم بمعنى العزم والاحكام يقول العرب
اجمعت الامر وازمعت واجمعت على الامر وازمعت قال الشاعر يا ليت شعرى والمنى لا ينفع
هل اغدون يوما وامرى مجمع اى محكم قد عزم عليه اى ازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا
ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسله المجمع عليها ثم ايتوا صفا عن مقاتل والكلبى جميعا وقيل صفوفا لانه
اهيب فى صدور الرايين على التقدير بن روى انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد
اقبلوا اقبالة واحده قال ابو عبيده يعنى المصلى والمجتمع وعن بعض العرب الفصحا ما استطعت
ان اتى الصف امس يعنى المصلى ووجه صحته ان يجعل صفا علما للمصلى بعينه فامروا بان ياتوه
او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض اى فاز من غلب ونال البغيه
والظفر **قوله تعالى** قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفه موسى قلنا لا تخف انك
انت الاعلى والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى خير
السحره موسى فى ان يبتدى بالالقا او يتاخر عنه ان تلقى قيل هو منصوب بفعل مضمر اى
اختر يا موسى احد الامرين وقيل هو مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف اى الامر القاوك

او القانا وهذا التخيير من السحرة استعمال ادب وحسن معه وتواضع له وخفض جناح
وتنبيه على اعطائهم النصفه من انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام
اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر
ويستنفدوا اقصى طوقتهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل
فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت اية للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين قال موسى
للسحرة بل القوا انتم يا سحرة فاذا حبالهم اي فالقوا فاذا حبالهم اذا هذه للمفاجاة والتحقيق
فيها انها اذا الكاينة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة مضاف اليها خصت في بعض
المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير
قوله فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي عصيهم وحبالهم وهذا تمثيل والمعنى
على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي المشي سريعا وذلك انهم كانوا لطخوا حبالهم
وعصيهم بالزيبق فلما اصابه حر الشمس اضطربت واهتزت فخيلت الى موسى ان الحبال والعصى
تسعى من سحرهم فاوجس موسى في نفسه خيفة احاس الخوف اضمار شي منه وكان ذلك مقتضى الجبلة
البشرية ولا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل انه لما راى سحرهم شبه ما اراهم في العصا
خاف ان يلتبس على الناس امره ولا يؤمنوا قلنا لا تخف يا موسى انك انت الاعلى عليهم
بالظفر والغلبة فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وتكرير
الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفصيل والق ما في يمينك
ولم يقل عصاك قيل يحتمل ان يكون تحقيرا للعصى اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق
العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا على
وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وقيل يحتمل ان يكون تعظيما للعصى اي لا تحتفل بهذه
الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي وانزره
عندها فالقه يتلقفها والق ما في يمينك اي العصا تلقف تلقم ما صنعوا قرا ابن عامر
يلقف بالرفع وتشديد القاف على الاستيناف او على الحال اي الق ما في يمينك
متلقفا ما صنعوا وحفص عن عاصم تلقف خفيفة وابن كثير بتشديد التاء يريد تتلقف
انما صنعوا اي زوروا وافتعلوا لقوله تعالى تلقف ما يافكون كيد ساحر وانما وحد ساحر ولم يجمع
لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى
الى قوله ولا يفلح الساحر حيث اتى وانما نكر اولا من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول
العجاج في سعي دنيا طال ما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر اخرة المراد
تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيدا سحريا وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي ولا يفلح الساحر
حيث اتى اي لا ينال الساحر الظفر حيث سحر واينما سلك واين ما كان وقيل حيث كان واين كان
اي يقتل حيث قال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الساحر فاقتلوه ثم قرا ولا يفلح الساحر حيث اتى
قوله تعالى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد
عذابا وابقى قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي
هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى
اي اوحى الله الى موسى ان الق عصاك فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاغرفاه فتلقف

حبالهم

فتلقف حبالهم وعصيهم فالقى السحرة عند ذلك سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى
روي ان السحرة لما رات العصا لا اثر فيها للسحر ثم راوا انقلابها حية واكلها الحبال والعصى
ثم رجوعها الى حالها وعدم الحبال والعصى ايقنوا بنبوة موسى وان ذلك الامر من عند الله سبحان الله
ما اعظم شانهم وقد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر
والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار
وراوا ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وكانت امراة فرعون رضي الله عنها تسال
من غلب قالوا غلب موسى قالت امنت برب موسى وهرون فارسل اليها فرعون فقال
انظروا اعظم صخرة تجدونها فاتوها فان هي رجعت عن قولها فهي امراتي وان هي مضت على
قولها فالقوا عليها الصخرة فلما اتوها رفعت بصرها الى السما فارت بيتها في الجنة فمضت
على قولها وانتزعت روحها والقيت الصخرة على جسد لا روح فيه قال فرعون امنتم له اي
لموسى قبل ان امركم به انه ان موسى لكبيركم لعظيمكم اي انه اسحركم واعلاكم درجة في
صناعتكم وقيل لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا اريد وان معلمهم
واستاذهم في القران وفي كل شي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما تعلمتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذلك
رجل وهذا يمين وذاك يسار ومن لابتدا الغاية لان القطع مبتدي وناشي من مخالفة العضو العضو
لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها
بعضا فقد اتصفت بالاختلاف وقيل من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن
المصلوب في الجذع بتمكن الشي الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد
عذابا انا ام رب موسى الذي امنتم به خوفا من عذابه قيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
وفيه مواجهة وكبريا فقدانه وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب
وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن قط من
التعذيب في شي وابقى وادوم قالوا السحرة الذين امنوا له لن نوثرك لن نختارك على ما جانا موسى من
البينات الدلالات القاطعة اليد والعصا وغيرهما والذي فطرنا عطف على ما جانا او قسم فاقض فاحكم
ما انت حاكم واصنع ما انت صانع من القطع والصلب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي تقضاؤك ما تقضيه
وسلطانك فيما تاتيه في هذه الدنيا فهي ظرف وقيل مفعول به وقيل انما ملكنا في الدنيا ليس لك علينا
سلطان الا في الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الشرك وغيره والذي اكرهتنا عليه
من السحر عن مقاتل كانت السحرة الذين روسهم اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهم
روسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وكان فرعون اكره السبعين الذين هم من بني اسرائيل
على تعلم السحر روي ان السحرة راوا موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ارنا موسى
اذا نام فاراهم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان هذا ليس بساحر ان
الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان يعملوا فذلك قوله وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير منك ثوابا اذا اطيع وابقى عقابا اذا عصي وهذا جواب قوله اينا اشد
عذابا وابقى **قوله تعالى** انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن
ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها

وعند عبد القاهر الفاء بمعنى على
كذا قال في الملاك ابو العلا

الانهار خالدين فيها وذلك جزا من تزكى قيل هذه الايه بجملتها من كلام السحره لفرعون على
جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه وقيل والله خير وابقى اخر كلام السحره وهذه الايه من
كلام الله لمحمد عليه السلام تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحره انه من يات ربه
مجرما كافرا مات على كفره فان له للمجرم جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وقيل لا يموت
فتخرج نفسه ولا يحيى فتستقر نفسه في مقرها ولكنها تتعلق بالحناجر ومن ياته اي يات ربه مومنا
مطيعا قد مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى اي درجات الجنه
بعضها اعلى من بعض جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا من تزكى تطهر عن
الكفر قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى
هذا استيناف اخبار عن شي من امر موسى بينه وبين مقالة السحره مده من الزمان حدثت
فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك ان فرعون لما انقضى امر السحره وغلب موسى وقوى امره وعلمه
فرعون ان يرسل بنى اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى ياتى اخرى فلما كانت الايات
اوحى الله الى موسى ان يخرج ببنى اسرائيل من مصر فى الليل ساريا والسرى سير الليل وان في قوله
ان اسر يجوز ان تكون مفسره لا في موضع لها من الاعراب كقوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا
ويجوز ان تكون ناصبه للفعل تكون في موضع نصب باوحينا لعبادى الاضافه اليه تعالى
لتشريف بنى اسرائيل ان اسر بعبادى اى سر ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا اي فاجعل
لهم طريقا من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله في البحر يبسا مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المونث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس
اذا جف لبنها لا تخاف حال من الضمير في فاضرب قرا حمزه وابان عن عاصم لا تخف نصبا على الجواب
والباقون لا تخاف ولا تخشى اذا قرا لا تخف ففيه ثلثة اوجه اذا استانف كانه قيل وانت لا تخشى
وان لا تكون الالف المنقلبه عن اليا التى هى لام الفعل ولكن زايده للاطلاق من اجل الفاصله كقوله
فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان تكون مثل قوله كان لم ترا قبلى اسيرا يمانيا
فان الف ترا متولده عن اشباع الحركه لا تخاف دركا لا تخاف ان يدركك احد ولا تخشى
من قبله شيا وقيل لا تخاف لحوقا من خلفك ولا تخشى الغرق من قدامك فاتبعهم فرعون اي لحقهم
مع جنوده فغشيهم من ما البحر ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع
قلتها بالمعانى الكثيره اى لا يعلم كنه ما غشيهم الا الله واضل فرعون قومه عن الدين وما
هداهم وقيل اضل فرعون قومه في البحر لانهم غرقوا فيه وما هدى فرعون اي وما نجا
وقيل ما هداه الله الى الصواب وقيل وما هدى تهكم بهم في قوله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد قوله تعالى يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور
الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى
ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ان الله
لما انعم على قوم موسى بانواع النعم ذكرهم نعمه وازالة المضره سابقه على ايصال المنفعه فلهذا
بدا بقوله انجيناكم من عدوكم وهو اشاره الى ازالة المضره ثم ذكر المنفعه الدينيه وهى
قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ذكر المنفعه الدنيويه وهى قوله وانزلنا عليكم المن
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه فيحل

عليكم غضبى ثم بين ان من تاب بعد العصيان كان مقبولا عند الله بقوله وانى لغفار لمن تاب
ظاهر هذه الايه ان هذا القول قيل لبنى اسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التى عددها
الله عليهم وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقاله مده وحوادث ولكن الله خص بالذكر ما شا
من ذلك ويحتمل ان تكون هذه الخطاب لبنى اسرائيل الذين كانوا في عصر النبى صلى الله عليه
وسلم قرا حمزه والكساى انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بغير الف على التوحيد والباقون
بالالف والنون كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى حلالات ما رزقناكم
ولا تطغوا ولا تبطروا في نعمى فتظلموا وقيل ولا تجحدوا نعمى فتكونوا طاغين وقيل ولا
تدخروا منه لاكثر من يوم وليله فيحل عليكم فينزل عليكم غضبى قرا الكساى فيحل بضم الحا
ويحلل بضم اللام والباقون بكسرهما ومن يحلل عليه غضبى ومن نزل عليه غضبى قيل ويحل بكسر الحا
واللام معناه فيجب ومن يجب فقد هوى فقد هلك وقيل تردى في النار وقيل وقع
في الهاويه وانى لغفار لمن تاب اى عن الشرك وعمل صالحا ثم اهتدى ثم اقام على ذلك
وقيل لزم الاسلام حتى يموت وقيل اخذ بسنة نبيه وقيل اصاب العمل وعن ابن عباس
لم يشك في ايمانه وقيل ثم علم ان لذلك ثوابا وعقابا قوله تعالى وما اعجلك عن
قومك يا موسى قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى وما اعجلك اى واى شى
اعجلك عن قومك على سبيل الانكار لما انجا الله بنى اسرائيل واغرق فرعون قال
بنوا اسرائيل يا موسى لو اتيتنا بكتاب من عند الله فيه الحلال والحرام والفرايض فاوحى الله
اليه لعله انه ينزل ذلك عليه في الموضع الذى كلمه فيه فاختار موسى سبعين فذهبوا معه
الى الطور لاخذ التوريه فتعجل موسى من بينهم وتقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد
به وامرهم بالحاقه بنا على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فقال الله
تعالى ما حملك على العجله عن قومك قال موسى هم اولاء يعنى اتبعا على اثرى اى هم خلفى
يلحقونى فانهم بالقرب منى وعجلت اليك يا رب لترضى اى لم اقصد بذلك تقدما عليهم
انما قصدت المسارعه طلبا لمرضاتك قال صاحب الكشاف فان قلت ما اعجلك سوال
عن سبب العجله فكان الذى ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زياده رضاك
او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثرى كما ترى غير منطبق
عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزه شيين احدهما انكار العجله في نفسها
والثانى السوال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر
وتمهيد العله في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به
وليس بينى وبين من سبقته الا مسافه قريبه يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم
عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ثم قال ولقايل ان يقول
جاز لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب
على حدود الكلام قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا

ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قال الله تعالى فانا قد فتنا اي ابتلينا والقينا في فتنة ومحنة قومك
الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل ما نجا من عبادة العجل منهم الا
اثنا عشر الفا من بعدك اي من بعد انطلاقك الى الجبل فاضلهم السامري اي كان سببا لاضلالهم
بان دعاهم وصرفهم الى عبادة العجل وحملهم عليها فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا حزينا
جزعا قال موسى يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم التورية ويكفر عنكم
سياتكم وينصركم افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب
من ربكم اي اردتم ان تصنعوا صنيعا يكون سببا لغضب ربكم فاخلفتم موعدي وذلك ان الله
عز وجل قد وقت لموسى عليه السلام ثلثين ليلة ثم اتمها بعشر فلما مضى الثلاثون قال السامري لهم
انما اصابكم هذه عقوبة لكم على ما معكم وكانت حليا استعاروها من القبط فهلموها واجمعوها حتى يجي موسى
فياخذها منكم فجمعوها فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم قذف فيه القبضة التي اخذها من
اثر فرس جبريل فكان البلاء وقيل اخلفتم موعدي بعبادتكم العجل وقيل فاخلفتم موعدي
اي عهدي وكانوا قد عاهدوا انه ان انقذهم الله من ملك ال فرعون ان يعبدوا الله ولا يشركوا به
ويقيموا الصلوة وينصروا الله ورسوله وقيل ان المعنى خالفتموني فيما تواعدنا عليه وقيل اوجدتموني
فيما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعد فلان اذا وجده وقع فيه الخلف وقيل اخلفتم ما وعدتموني
في اللحاق بي واتباعي الموعد قيل ويحتمل ان الوعد من القوم واضافته الى موسى اضافة المصدر الى المفعول
ولهذا اوقع الاخلاف منهم ووعدهم لموسى هو ان وعدوه ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى ولا يخالفوا امر
الله ابدا وان جعلت المصدر مضافا الى الفاعل فالوجه اوجدتموني فيما وعدتكم وقع فيه الخلف قالوا ما
اخلفنا موعدك بملكنا قرا نافع وعاصم بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقون بكسرها عن ابي
علي هذه لغات وعن الزجاج الملك بالضم السلطان ذو القدرة وبالكسر ما حوته اليد وبالفتح المصدر
يقال ملكت الشي املكه ملكا قيل معناه ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا
وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده وقيل ما اخلفنا موعدك بطاقتنا وقيل
لم نملك انفسنا عند الوقوع في البلية وقيل لم يملك مومنونا سفهاءنا قيل فيخرج فيمن قال هذا لموسى
قولان احدهما انهم الذين لم يعبدوا العجل والاخر عابدوه وتخليصه قال موسى الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا صدقا بالاتيان الكتاب افطال عليكم مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب
من ربكم بعبادتكم العجل اي ام اردتم ان تصنعوا صنيعا يكون سبب غضب ربكم فاخلفتم موعدي
ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي بيان هذا بئسما خلفتموني من بعدي قال الذين لم يعبدوا
العجل ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ونحن نملك من امرنا اي لم نطق رد عبدة العجل عن عظيم ما
ارتكبوا لكثرتهم وقلتنا ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل ولكنا حملنا قرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم حملنا بضم الحاء وتشديد الميم والباقون بفتح الحاء والميم مخففة اوزارا
اثقالا اي حلي ال فرعون الذين كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر وقيل امرهم

موسى

موسى بالاستعارة وقيل امر الله موسى بذلك وكان حلالا لهم وكانت كثيرا وقيل هو ما القاه البحر على الساحل
من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فاخذوه وقيل اوزارا اثاما اي حملنا اثاما من حلي القوم لانهم
استعاروه ليتزينوا في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة ان يعلموا خروجهم
فحملوها فقذفناها فكذلك القى السامري حليا كما القينا وقيل القى السامري ما كان معه من تراب
حافر فرس جبريل فاخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا اي السامري ومن وافقه من الذين
افتتنوا هذا اي هذا العجل الهكم واله موسى وقالوا اي السامري ومن وافقه فنسي موسى ان
يخبركم ان هذا الهه وقيل فنسي موسى الطريق الى ربه وقيل فنسي موسى الهه عندكم وخالفه في
طريق اخر وقيل فنسي السامري ايمانه واسلامه وقيل فنسي اي فترك السامري ما كان عليه من الدين
وقيل فنسي السامري ان العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فعلى القول بان فاعل
فنسي موسى فقيل من قال فنسي هو السامري وقيل بنوا اسرائيل ثم قرن تعالى موضع خطائهم بقوله
افلا يرون المعنى افلم يتبين هولاء الذين ظلموا ان هذا العجل انما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولا ولا
يضر ولا ينفع وهذه خلال لا يخفى معها الحدوث والعجز ولقد قال لهم هرون من قبل ان ياتي موسى
يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني على ديني واطيعوا امري فاعبدوا الله
ولا تعبدوا العجل **قوله تعالى** قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما
منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قالوا اي عبدة العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال عليه السلام للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى
هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل واشركوا
الا تتبعن قيل لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي
وهلا قاتلت من كفر بمن امن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا وقيل معناه
اي شي منعك من ترك اتباعي حين لم يقبلوا قولك واللحوق بي كيلا تكون من العاصين وقيل التقدير ما منعك
بدعائه اياك الى ان لا تتبعني قرا ابن كثير وابو عمرو ان لا تتبعني بياء في الوصل ساكنة ويقف ابن كثير
بالياء وابو عمرو بغير ياء وروى قالون عن نافع مثل ابي عمرو والباقون بغير ياء في الوصل والوقف
افعصيت امري قال هرون لموسى يا ابن ام عن الكلبي وغيره كان هرون اخاه لابيه وامه ولكن اراد
بقوله يا ابن ام ان يرققه ويستعطفه عليه فيتركه وقيل كان اخاه لامه دون ابيه وقيل لان كون الولد
من الام على التحقيق ومن الاب من جهة الحكم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اذ هما عضوان يعضدان بالاكرام
من بين ساير الاعضاء وكان موسى صلوات الله عليه وسلامه مجبولا على الحدة والتصلب في كل ما يتعلق
بالدين شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا من
الايات العظام ان القى الالواح لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله سبحانه واستنكافا وحمية
وعنف باخيه وخليفته على قومه وقال هرون اني خشيت ان فارقتهم لحق بي فريق وتبع السامري
على عبادة العجل فريق وتوقف فريق ولم امن ان يتقاتلوا فتقول لي فرقت بين بني اسرائيل واوقعت
الفرقة بينهم ولم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح **قوله تعالى**
قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك
سولت لي نفسي ثم اقبل موسى عليه السلام على السامري قال موسى للسامري فما خطبك اي فما امرك
وشانك الذي دعاك وحملك على ما صنعت والخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل

شيا ما خطبك معناه ما طلبك لم قال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا اى رايت ما لم يروا
وعرفت ما لم يعرفوا او فطنت ما لم يفطنوا له قرا حمزة والكسائي تبصروا بالتا على الخطاب للجميع والباقون
باليا اى بما لم تبصر بنو اسرائيل فقال له موسى وما ذاك قال رايت جبريل على فرس فالقى الى في نفسي
ان اقبض من اثرها فقبضت قبضة هي مرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول
بالمصدر كضرب الامير وهي لجميع الكف من اثر الرسول اى جبريل وانما سماه الرسول دون جبريل ودون
روح القدس لانه حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب على فرس
الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تربة موطيه فلما ساله موسى
عن قصته قال قبضت قبضه من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل فنبذتها
فقذفتها في العجل قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي فنبذتها بالادغام والباقون بغير ادغام وكذلك وكما
حدثتك سولت لي نفسي اي زينت نفسي وحسنته وفعلت من تلقا نفسي من غير ان دعاني الى ذلك داع
وقيل معناه اطمعتني نفسي في انقلابه حيوانا والسول ما يتمناه الانسان وقيل ناقض في جوابه لانه
قال بصرت بما لم يبصروا به فادعى العلم ثم قال سولت لي نفسي فنسبه الى حديث النفس وليس كذلك لاختلاف
المحل **قوله تعالى** قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ثم قال موسى للسامري فاذهب
من بيننا فان لك في الحيوة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس لا امس ولا امس مصدر ماسه يماسه مماسة
ومساسا عاقبه الله في الدنيا بعقوبة لا شي اشد ولا اوحش منها وذلك لانه منع من مخالطة الناس منعا كليا
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعاشر به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان
يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في
الناس اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية وعن قتادة ان بقاياهم اليوم
يقولون لا مساس ويقال ان موسى هم بقتله فقال الله عز وجل لا تقتله فانه سخي وقال موسى له
وان لك يا سامري موعدا لعذابك يوم القيامة لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعدك الذي وعدك
على الشرك والفساد يجزي لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر في الدنيا
والاخرة ذلك هو الخسران المبين قرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام بمعنى لن تغيب
عنه بل توافيه والباقون بفتح اللام بمعنى لن يخلفه الله وانظر الى الهك بزعمك والى معبودك
الذي ظلت دمت عليه ظلت وظلت وظللت وهو الاصل فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها
الى الظا ومنهم من لم ينقل عاكفا مقيما لعبادته لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه لنذرينه والنسف
التذرية في اليم جا في التفسير ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه الدم لانه كان قد
صار لحما ودما ثم احرقه بالنار ثم ذراه في اليم **قوله تعالى** انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شي علما ثم اخبرهم موسى عن الههم فقال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اى هو
الذي يستحق العبادة لا العجل وسع فاعله ضمير يرجع الى الله كل شي مفعوله علما انتصابه
على التمييز وهو في المعنى فاعل **قوله تعالى** كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وقد
اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا الكاف في كذلك منصوب
المحل ذلك اشارة الى الاقتصاص والى ما نقص وهذا موعد من الله تعالى اى مثل ذلك الاقتصاص
او مثل ما قصصنا عليك نقص من ساير اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لشانك وزيادة
في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكفر

فرس

وقد

وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى القران من عندنا لا من عند نفسك والتنكير في ذكرا للتعظيم والمعنى
ان هذا الذكر الذي اتيناك اى القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار
لذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا
عقابا عظيما يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهضة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره اولانها جزا الوزر وهو
الاثم **قوله تعالى** خالدين فيه وسا لهم يوم القيامة حملا خالدين على المعنى لان من مطلق متناول
لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ فيه اى في ذلك الوزر او في
احتماله سا في حكم بيس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره سا حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب
ايوب الذي هو مخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وسات مصيرا واللام في لهم للبيان كما في هيت لك
قوله تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن
اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما قرا ابو عمرو ننفخ بالنون والباقون
باليا على ما لم يسم فاعله ونحشر المجرمين اى المشركين يومئذ زرقا زرقة العين وسواد الوجه من علامات
اهل النار وزرقتهم ان تضرب الحدقة الى خضرة والعرب تتشام بزرقة العين والزرقة ابغض شي من
الوان العيون الى العرب لان الروم عدوهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود
الكبد اصهب السبال ازرق العين وقيل تصير اعينهم من العطش زرقا وكذلك تصير العين في شدة
العطش وقيل زرقا عميا لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون بينهم اى يسار بعضهم بعضا
والمخافتة والتخافت اسرار المنطق والخفت مثله ان لبثتم في الدنيا وقيل في القبور الا عشرا ليال
وقيل لما يدهم صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد
التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها
ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتها واما لاستطالتهم الاخرة وانها
ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله تعالى
قول من يكون اشد تقالا منهم في قولهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا وقيل اجودهم عملا وقيل
اعلمهم عند نفسه بما يقول وقيل اوفاهم عقلا واصوبهم رايا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم
في جنب ما يستقبلهم من اهوال يوم القيمة **قوله تعالى** ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا عن ابن عباس ان رجالا من ثقيف اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيمة فنزلت هذه الاية ويسالونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يقلعها من اماكنها ويذريها في البحار وقيل يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الريح فيفرقها كما يذري الطعام على الريح وهو يعبر به من القشور فيذرها اى فيدع
مقارها واماكنها من الارض اذا نسفها قاعا مستويا يعلوه الما صفصفا لا نبت وقيل القاع
الذي يعلوه الما والصفصاف المستوى كان اجزاها من استوائها على صفة واحدة وقيل القاع المنكشفة
والصفصف التي لا اثر للجبال فيها قيل يجوز ان يجعل الضمير للارض وان لم يجر ذكرها كقوله ما ترك
على ظهرها من دابة فان قيل ما العلة الجالبة للفا التي في قوله فقل خلافها لاخواتها في القران فالجواب
ان تلك اسولة تقدمت سالوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا الجواب عقيب السوال وهذا
سوال لم يسلوه بعد وقد علم الله تعالى انهم سايلوه عنه فاجاب قبل السوال والمعنى وان سالوك

عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا لا ترى فيها عوجا قال صاحب الكشاف فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسه ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسويه على عينك وعيون البصرا من الفلاحه واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندسين فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس الهندسيه لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسه وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر ولا امتا نتوا يسيرا انفال مد حبله حتى ما فيه امت عن ابن عباس العوج الاوديه والامت الروابي وعن مجاهد العوج الانخفاض والامت الارتفاع وقيل الامت السقوف في الارض **قوله تعالى** يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ نسفت الجبال قيل ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمه يومئذ يتبعون الداعي اي داعي الله الذي يدعوهم الى موقف القيامه وهو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون لا عوج له اي لدعايه وقيل لا عوج لهم عن دعايه لا يزيغون عنه بل يسوون اليه من غير انحراف متبعين لدعايه وخشعت الاصوات من شدة الفزع وخفيت للرحمن وصفت الاصوات بالخشوع والمعنى لاهله فلا تسمع الا همسا ركزا خفيا وقيل همس الاقدام اخفى ما يكون من صوت القدم **قوله تعالى** يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا اي يومئذ لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن ان يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة فيكون الاستثنا مفرغا ومن منصوب المحل لانه قايم مقام مفعول تنفع وقيل يجوز ان يكون في محل الرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن للشافع الرحمن ان يشفع فيه ورضي له قولا اي اذن له ورضي لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله عن ابن عباس يعني قول لا اله الا الله وهذا يدل على انه لا يشفع لغير المومن **قوله تعالى** يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما يعلم ما بين ايدي الذين يتبعون الداعي وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل ولا يحيطون بما بين ايديهم علما وقيل لا يحيطون بالله علما **قوله تعالى** وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما وعنت وذلت وخضعت واستسلمت الوجوه اي وجوه الناس ولا وجه لتخصيصها بالعصاه قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا وقد خاب من حمل ظلما عن ابن عباس وقد خسر من اشرك وقد خاب وما بعده اعتراض **قوله تعالى** ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن يعمل من الصالحات من للجنس اي ومن يعمل الصالحات وهو مومن لان غير المومن لا يقبل عمله ولا يكون صالحا فلا يخاف قرا ابن كثير فلا يخف والباقون فلا يخاف على الخبر ظلما لانه لا يزاد في سياته ولا ينقص من حسناته واصل الهضم الكسر والمعنى لا يظلم بحرمان الثواب ولا يهضم بنقصان الجزا ومن رفع فلا يخاف جعل تقديره فهو لا يخاف ومن جزم جعله نهيا والفا جزا الشرط **قوله تعالى** وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على كذلك نقص اي وكما انزلنا عليك هولا الايات المتضمنه للوعد والوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيره وصرفنا كررنا فيه من الوعيد

ولا هضما

لعلهم

لعلهم يتقون ليكون سببا لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن سلف او يحدث او يجدد لهم القران وقيل الوعيد ذكرا عظة وعبره فيتذكروا به عقاب الامم فيعتبروا **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما لما عظم امر القران اردفه بان عظم نفسه فتعالى الله اي جل عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون في صفاته الملك الحق استعظاما له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل الاستطراد ولا تعجل بالقران عن مجاهد وقتاده ولا تقرءه اصحابك ولا تمله عليهم حتى تتبين لك معانيه نهي عن تلاوة الايه التي نزلت عليه واملايه على اصحابه قبل بيان معناه وهذه روايه العوفي عن ابن عباس وروى ابو صالح عن ابن عباس ان جبريل كان اذا نزل بالوحي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقروه مع جبريل ولا يفرغ جبريل مما يريد من التلاوه حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باوله حرصا منه على ما كان ينزل عليه ومخافه ان ينساها فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لا تعجل بالقران اي بقراة القران من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبريل من تلاوته عليك اي اذا القى جبريل ما يوحى اليك من القران فانصت عليه ريثما يفهمك ويسمعك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراتك مساوقه لقراته وقيل ولا تبلغ منه ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقل رب زدني علما سل الله ان يزيدك علما الى علمك بوحيه اليك وقيل رب زدني علما ادبا في دينك وقيل زدني علما بقصص انبيائك وقيل زدني حفظا حتى لا انسى ما اوحي الي **قوله تعالى** ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قيل لما قال كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق ثم انه عظم امر القران وبالغ فيه ذكر هذه القصه انجازا للوعد في قوله كذلك نقص عليك ولقد عهدنا يقال في اوامر الملوك ووصاياهم واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله تعالى قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد يقول الله تعالى وان ضيع هولا الذين صرفنا لهم في القران الوعيد عهدي وخالفوا امري وتركوا طاعتي فقد ما فعل ذلك ابوهم ادم والمعنى واقسم قسما لقد عهدنا الى ادم اي امرناه واوصينا اليه ان لا يقرب الشجره وتوعدناه بدخوله في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجود هولا الذين نقضوا عهدي وترك الايمان ومن قبل ان يتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفته ولم يلتفت الى الوعيد كالا يلتفتون كانه يقول ان اساس بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فنسي العهد اي لم يذكر العهد ولم يعن بالوصيه العنايه الصادقه ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وقيل فنسي اي فترك ما وصيناه به من الاحتراز عن الشجره واكل ثمرتها ولم نجد له عزما عن ابن عباس ولم نجد له حفظا لما امر به وعن قتاده ومقاتل ولم نجد له صبرا وقيل ولم نجد له عزما محافظة على امر الله وتمسكا به وقيل ولم نجد له عزما في العود الى الذنب ثانيا وقيل ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد وقيل ولم نجده من اهل العزيمه والثبات قيل لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما ولا يصح ان يطلق نفي العزم عنه بل يقيد فيقال لم يكن له عزم في التحفظ عن مكايد ابليس وقيل لم نجد له التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يوئس الشيطان من التسويل له قيل يجوز ان يكون من الوجدان بمعنى العلم اي ولم نعلم له عزما مفعولين وقيل يجوز ان يكون الوجود نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما **قوله تعالى** واذ قلنا للملايكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى

فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اذ منصوب بمضمر
اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته له الاكل من الشجرة وطاعته له
بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه من اولي العزم
والثبات قوله واذ قلنا الى قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى تقدم تفسيره فلا يخرجنكما فلا يكون
سببا لاخراجكما فتشقى وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حوى بعد اشتراكهما في الخروج
لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم
فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة وقيل اريد بالشقاء التعب في طلب
القوت وهو معصوب براس الرجل وهو راجع اليه **قوله تعالى** ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى قرا نافع وابو بكر عن عاصم وانك بكسر الالف على الاستيناف والباقون بفتح
الالف عطفا على قوله الا تجوع فيها لا تظما لا تعطش فيها ولا تضحى ولا ترز للشمس فيوذيك حرها
وقيل لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور
عليها كفاف الانسان فذكر احتماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب
كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو
ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها
قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى على شجرة الخلد
يعني على شجرة ان اكلت منها بقيت خالدا مخلدا اضافها للشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى **قوله تعالى** فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى فضل طريق الخلود حيث اراده من قبل المعصية وقيل
فغوى ففسد عليه عيشه لان معنى الغي الفساد **قوله تعالى** ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
ثم اجتباه ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى اي هداه الى التوبة ووفقه لها **قوله تعالى**
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى
قال اهبطا قيل ادم وحوى ولما كانا اصلي البشر والسبب الذين منهما نشؤوا وتفرعوا جعلا كانهما
البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل
الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب وقيل اهبطا انتما وابليس جميعا ولفظ جميعا يدل على ذلك
وقيل خطاب لادم وابليس وذريتهما وقيل كان اهبط ابليس قبلهما والمعنى اهبطا جميعا ثم انتما
وابليس وقيل وللحية بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم خطاب لادم وحوى وذريتهما وقيل
وابليس ايضا مخاطب والاول الوجه مني هدى كتاب وشريعة ورسول فمن اتبع هداي اي
كتابي ورسولي فلا يضل ولا يشقى عن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله عز وجل لمن اتبع القران ان لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم قرا هذه الاية والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في
الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال
ومن عقابه **قوله تعالى** ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ومن اعرض عن ذكري عن القران والهدى فلم يومن به
ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا ضيقا غير موسع يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه المذكر
والمونث والواحد والاثنان والجمع لانه مصدر يستوي في الوصف به جميعها ومعنى ذلك
ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح

وسهولة فيعيش رافعا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول
عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق
فعيشه ضنك وحاله مظلمة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر وعن ابن عباس الشقاء وعن مجاهد
الضيق وعن الحسن الزقوم والغسلين والضريع وعن قتادة يعني في النار وعن عكرمة الحرام
وعن قيس بن ابي حازم في المعصية وعن ضحاك الكسب الخبيث ونحشره يوم القيامة اعمى
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم
اعمى حشرتني اعمى بفتح الميمين وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بكسرهما ونافع بين الكسر والفتح قيل
اعمى عن الحجة اي لا حجة له يهتدي بها لانه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل اعمى البصر
عن ابن عباس اذا خرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي وقيل اعمى عن كل شيء الا عن جهنم قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا **قوله تعالى** قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى قال الله تعالى
في جوابه كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله اتتك اياتنا واضحة فنسيتها فلم تنظر اليها بعين
المعتبر ولم تتبصر وتركتها ولم تومن بها وكذلك اليوم تنسى اي وكذلك اليوم تنسى نترك على عماك
ولا نزيل الغطاء عن عينيك اي وكما تركتها في الدنيا نترك اليوم في النار وكذلك اي وكما جزينا من
اعرض عن ذكري كذلك نجزي من اسرف اشرك ولم يومن بايات ربه ولما توعد المعرض بعقوبتين للمعيشة
الضنك في الدنيا وحشره في الاخرة اعمى والمسرف المشرك فجزاؤه مثل ذلك ختم ايات الوعيد بقوله
ولعذاب الاخرة اشد وابقى من عذاب الدنيا الذي هو المنقضي وقيل ولعذاب الاخرة الذي هو تركنا اياه
في العمى اشد وابقى من تركه اياتنا **قوله تعالى** افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لايات لاولي النهى فاعل يهد مضمون الجملة التي هي بعده ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه مضمون هذا الكلام اي افلم يهد لكفار مكة اذا نظروا
اهلاكنا القرون الذين قبلهم يمشون اي اهل مكة في مساكن القرون الذين قبل اهل مكة وكان اهل
مكة يتجرون ويمشون في مساكن عاد وثمود ويرون اثار الهلاك فيها ان في ذلك لايات لاولي النهى
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى اي ولولا
كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عن كفار مكة الى يوم القيمة وقيل الى انقضاء اجالهم وقيل
الى يوم بدر لكان العذاب لازما لهم واللازم يجوز ان يكون مصدرا وصف به ويجوز
ان يكون فعالا بمعنى مفعل اي ملزم كانه اله اللزوم لفرط لزومه واجل مسمى قيل
هو عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لهم لا يستقدمون ولا يستاخرون لكان العذاب
لازما لهم كما كان لازما لعاد وثمود وقيل يجوز ان يكون عطفا على الضمير المستتر في كان
اي ولولا كلمة سبقت من ربك لكان العذاب واجل مسمى لازمين لاهل مكة كما كانا لازمين لعاد
وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون العذاب العاجل فاصبر يا محمد امر الله تعالى نبيه بالصبر
على ما يقول اهل مكة وسبح من اذاهم الى ان يحكم الله فيهم ثم حكم فيهم بالقتال قيل نسخت
اية السيف الامر بالصبر وسبح بحمد ربك بحمد ربك في موضع الحال اي وسبح وانت حامد
لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه قيل وسبح على ظاهره وقيل وسبح معناه

وقيل قدم المفعول على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخرا قبل طلوع الشمس يعني صلوة الصبح وقبل غروبها صلوة العصر
وقيل يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها
ومن اناء الليل فسبح فصل قيل فصل العشا وقيل المغرب والعشا وقيل جوف الليل وقيل
اول الليل واوسطه واخره واطراف النهار وقيل هما طرفان فخرجا مخرج الجمع كقوله
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قيل المراد بهذه الصلوة الظهر وانما قيل لصلوة الظهر
اطراف النهار لان وقتها عند الزوال فهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني وقيل
انها صلوة المغرب وصلوة الصبح ان الصبح في ابتدا الطرف الاول والمغرب عند انتها الطرف
الثاني وقيل انها الفجر والظهر والعصر فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الاول والظهر والعصر
من الطرف الثاني وهذه الاقوال الثلاثة على تقدير ان يكون المراد بالاطراف الطرفين وقيل
اطراف النهار صلوة الظهر والمغرب وانما قال اطراف النهار لهاتين الصلاتين لان صلوة الظهر في اخر
الطرف الاول من النهار وفي اول الطرف الاخر من النهار فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس
وعنده تصلى المغرب فلذلك قال اطراف النهار واطراف منصوب على انه عطف على قوله قبل
طلوع الشمس وقبل ومن اناء الليل اي وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك
وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل
ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما ولان الليل
وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب
فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله عز وجل وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلوة العتمة
وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين لعلك ترضى قرا الكسائي وابو بكر عن عاصم ترضى بضم التا اي يرضيك
ربك والباقون بالفتح اي لعلك ترضى ثواب الله الذي يعطيك اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجا
ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك ويسر قلبك **قوله تعالى** ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها سبب نزولها ما روى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل ضيف برسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعاني وارسلني الى رجل من اليهود يبيع طعاما فقال له قل له ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك
فقال اليهودي والله ما ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال
والله لو باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية
تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله والا يكاد
يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعله نظار قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل
ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشي بالنظر ثم غض الطرف
ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيا احب ان يمد اليه نظره ويملا
منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلما من اهل
التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم
انما اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها الى ما متعنا

به اي اعطينا بهم اصنافا من نعم الدنيا وقيل ازواجا منهم اي اصنافا وهم الرجال والنسا وقيل ازواجا منهم اشكالا
منهم لانه اشكال في الذهاب عن الصواب وقيل ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب ازواجا
حالا من هاء الضمير ومتعنا واقع على منهم زهرة الحيوة الدنيا قيل هو منصوب على الذم وهو النصب على الاختصاص وقيل
انتصب على تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وقيل انتصب على انه بدل من محل الجار والمجرور اي به
وقيل انتصب على ابدال من ازواج على تقدير ذوي زهرة ومعنى زهرة الحيوة الدنيا بهجتها وغضارتها وما
يروق الناظر منها عند رؤيته وهو من زهرة النبات وحسنه لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم وقيل لنختبرهم يعني
لنعامل معهم معاملة المختبر ورزق ربك في الجنة خير وابقى **قوله تعالى** وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وامر اهلك بالصلوة قيل امتك واهل دينك وقيل اهل بيتك واصطبر
عليها اي داوم عليها ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة لا نسالك رزقا لنفسك ولخلقنا انما نامرك بالصلوة
والصبر عليها نحن نرزقك والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى عن هشام بن عروة كان عروة اذا
راى ما عند السلاطين دخل داره وقرا ولا تمدن عينيك الى قوله والعاقبة للتقوى ثم ينادي الصلوة رحمكم
الله وقال مالك بن دينار كان بكر بن عبد الله المزني اذا اصاب اهله خصاصة يقول قوموا فصلوا ثم يقول
بهذا امر الله ورسوله عليه الصلوة ويتلو هذه الاية **قوله تعالى** وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
وقالوا اي المشركون لولا اي هلا ياتينا محمد باية من ربه كايات الانبيا نحو الناقة والعصا اقترحوا على عادتهم في
التعنت اية على النبوة اولم تاتهم قرا نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم تاتهم بالتا والباقون باليا بينة ما في
الصحف الاولى اي اولم ياتهم في القران بيان ما في الكتب من اخبار الامم التي اهلكناها لما سالوا الايات
ثم كفروا بها فما يؤمنهم ان يكون حالهم في السؤال كحال اولئك وقيل اولم تاتهم اية هي ام الايات واعظمها في باب
الاعجاز اي القران من قبل ان القران بينة ما في ساير الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات
فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة ذكر الضمير الراجع الى البينة
لانها في معنى البيان والبرهان والدليل ولو انا اهلكناهم اي مشركي مكة بعذاب من قبل نزول القران
ومجي محمد عليه الصلوة والسلام لقالوا يوم القيامة لولا هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى عبادتك فنتبع
اياتك ونعمل بمقتضاها من قبل ان نذل بالعذاب ونخزى بدخول النار قل يا محمد كل منا ومنكم متربص منتظر نحن
نتربص بكم العذاب في الدنيا وانتم تتربصون بنا الدواير فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى من الضلالة انحن ام انتم

اذا جا امر الله
وقامت القيامة
م

سورة الانبيا مكية

وهي ماية واثنتا عشرة اية واربعة الف وثمان ماية وتسعون حرفا كلماتها الف كلمة وماية كلمة وتسعون كلمة
عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون هذه الاية نزلت في كفار مكة قيل اللام في الناس صلة لاقترب كقولك ازف للحي رحيلهم
الاصل ازف رحيل القوم ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم كذلك الاصل اقترب حساب الناس ثم اقترب
للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وقيل تاكيد لاضافة الحساب اليهم كقولهم لا اباك لان اللام موكدة
لمعنى الاضافة واقترب افتعل من القرب يقال قرب الشي واقترب والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت
الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق والمعنى
اقترب محاسبة الله لهم على اعمالهم وقيل اقترابه معناه انه ات وكل ات قريب وقيل لان الزمان اكثره

ما مضى وما بقي قليل فاقترابه بهذا الاعتبار وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة اي حين ابتدائه واقبلت اوايله وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعض افراده للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض وهم في غفلة معرضون على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد للمحسن والمسي من جزا **قوله تعالى** ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون بين الله تعالى غفلتهم واعراضهم بقوله ما ياتيهم من ذكر قيل طائفة من القران ليكرر على سمعهم البينة والموعظة ليتعظوا فما زادهم استماع الذكر المشتمل على فنون المواعظ والبصاير التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستهزا الا استمعوه وهم يلعبون عن ابن عباس يستمعون القران مستهزين لاهية قلوبهم اي ساهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله من قول العرب لهيت عن الشي اذا تركته وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان قيل واللاهية من لهي عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم واسروا النجوى النجوى اسم من التناجي لا يكون الا خفية فمعنى اسروا النجوى بالغوا في اخفايها وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون الذين ظلموا بدل من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به وعن الفرا الذين ظلموا في محل الخفض على انه تابع للناس في قوله اقترب للناس وعن الكساي بتقديم وتاخير اراد والذين ظلموا اسروا النجوى وقيل منصوب المحل على الذم وقيل مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلا اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم قال الشاعر بك جال النضال دون المساعي فاهتدين النبال للاغراض هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا هل هذا الا بشر مثلكم وليس بملك فليس بنبي اعتقدوا ان النبي ينبغي ان يكون ملكا افتاتون السحر اي افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وليس بمعجز يعنون ان متابعة محمد متابعة السحر وانما اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفايه لان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتجاوز في طلب الطريق الى هدم امر النبي صلى الله عليه وسلم وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداهم في شوراهم ويسعوا غاية السعي في اخفا سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوايجكم بالكتمان قيل يجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا **قوله تعالى** قل ربي يعلم القول في السما والارض وهو السميع العليم قرا حمزة والكساي وحفص عن عاصم قال رب على الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اي قال النبي صلى الله عليه وسلم ربي يعلم القول والباقون قل على الامر اي قل يا محمد ربي يعلم القول اي لا يخفى على ربي شي يقال في السما والارض قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر وكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بقوله وهو السميع العليم بالسر فلا يخفى عليه خافية في السما ولا في الارض **قوله تعالى** بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون بل تاتي للاضراب عما قبله والاثبات عما بعده والمشركون اضربوا عن قولهم ان القران سحر الى انه اضغاث تخاليط احلام واباطيل واشيا يتخيلها راها في المنام ثم اضربوا عن قولهم اضغاث احلام الى قولهم افتراه اي اختلقه من عنده واضافه الى الله ثم اضربوا عن قولهم افتراه الى قولهم هو شاعر كسائر الشعرا فرد منهم وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد وقيل المشركون اقتسموا الكلام في القران اربعة اقسام فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو افتراه محمد وقال بعضهم بل محمد شاعر قيل ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان

قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني والرابع افسد من الثالث ثم قالوا ان كان محمد صادقا في دعواه انه نبي فلياتنا باية بمعجزة ظاهرة كما ارسل الاولون من الرسل بالايات كما ارسل موسى بالعصا واليد البيضا وعيسى بابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات فلا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين ان تقول اتى محمد بالمعجزة **قوله تعالى** ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبل مشركي مكة من قرية من اهل قرية اتتها الايات اهلكناها اي اهلكنا اهلها والمعنى ان الامم التي اهلكناهم بتكذيب الايات لم يومنوا بالايات لما اتتهم فكيف يومن هولا وهذه اشارة الى ان الايات لا تكون سببا للايمان الا ان يشا الله وقيل ما امنت قبلهم من قرية من القرى المهلكة بما اقترحوا من الايات لما جاءت لانهم طلبوا الايات تعنتا افهم يومنون استفهام على سبيل الانكار اي فلا ياتيهم الاية اذ قضينا في السابق ان لا نعذب امة محمد عليه السلام بالاستيصال قيل ان مشركي مكة اعني من الذين اقترحوا على انبيايهم الايات وعهدوا انهم يومنون عندها فلما جاتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث **قوله تعالى** وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم امر الله تعالى مشركي مكة ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملايكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اوليك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشا واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون قيل يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت وقيل يحتمل ان يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملايكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاوهم الممتد خلودا فهذا رد لقولهم وما جعلناهم اي الرسل الاولين جسدا ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد اي لم نجعلهم ملايكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا والمعنى من جميع الوجوه كساير بني ادم ياكلون الطعام وما كانوا خالدين الا في رتبة النبوة وشرف المنزلة والايحا اليهم ثم صدقناهم الوعد اي الوعد الذي وعدناهم بانجايهم واهلاك مكذبيهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه فان الاصل من قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره فانجيناهم اي انجزنا وعدنا فانجينا الانبيا ومن نشا اي الذين صدقوا الانبيا تنبيه على ان انجاهم بمقتضى المشية لا بسبب تصديقهم واهلكنا المسرفين اي المشركين وهذا تخويف لاهل مكة ثم ذكر منته عليهم بانزال القران فقال لقد انزلنا اليكم يا اهل مكة كتابا فيه ذكركم قيل فيه شرفكم ومنزلتكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك وقيل فيه ذكر دينكم ودنياكم اي ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم وقيل فيه تذكركم ووعظكم وقيل ما تذكرون به من مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخا وما اشبه ذلك افلا تعقلون ما فضلتكم على غيركم **قوله تعالى** وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم خوفهم فقال وكم قصمنا معناه وكم اهلكنا والقصم الكسر هذه الاية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع من الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزا بخلاف القصم من قرية من اهل قرية ودل على ذلك وصفها بالظلم وانشانا واحدثنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما اخرين وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما اخرين فلما احسوا اي اهل القرية اي ادركوا بحواسهم شدة عذابنا فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين

بالراكبين الراكضين اذ واتهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف والقايل يحتمل ان يكون بعض
الملايكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل وقيل
يجوز ان يقوله رب العزة ويسمعه ملايكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا
بها نفوسهم اى قيل لهم لا تركضوا فان هربكم لا ينفعكم وسعيكم لا يعصمكم من القدر وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه
التلذذ بالنعمة ومساكنكم لعلكم تسالون تهكم بهم وتوبيخ لهم اى ارجعوا الى نعيمكم
ومساكنكم لعلكم تسالون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا
السايل عن علم ومشاهدة وقيل ارجعوا واجلسوا في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم
عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بما تامرون
وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين وقيل حتى يسالكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب ويستشيروكم في المهمات والعوارض ويستشفعون بتدابيركم
ويستضيون باراكم وقيل يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم
ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخيا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلب
الثنا او كانوا بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ ثم قالوا عند ذلك يا ويلنا
انا كنا ظالمين لانفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب
وقالوا هذا على سبيل الندم حين لم ينفعهم الندم ثم قال تعالى فما زالت تلك دعواهم اشارة الى
يا ويلنا دعوتهم كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم يدعون بها ويرددونها حتى جعلناهم
حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل خامدين ميتين والضمير المنصوب في جعلناهم هو
الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده وهما حصيدا خامدين كانا خبرين له فلما دخل عليهما
جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل اجيب بان حكم الاثنين
الاخرين حكم الواحد لان معنى قوله جعلته جامعا للطعمين ولذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود **قوله تعالى** وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم
اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السما والارض
وما بينهما من اصناف البدايع وانواع الخلايق مشحونة بضروب من الغرايب والعجايب
لاعبين اى لم نخلق ذلك عبثا انما خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس
بخلقه فيستدلوا على وحدانيتنا وعلمنا وقدرتنا وحكمتنا فيعلموا ان العبادة لا تصلح
الا لنا لنجازي المحسن والمسي لو اردنا ان نتخذ لهوا قيل ان المشركين لما قالوا الملايكة بنات
الله والالهة بناته نزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى ابن الله فنزلت
هذه الاية واللهو صرف الهم عن النفس بفعل القبيح وقيل اراد باللهو الزوجة ردا على
من قال مريم صاحبته وقيل اللهو بلغة حضرموت الولد ردا على من قال عيسى ابنه
وقيل ردا على المشركين ما اضافوا الى الله تعالى من نسبه بالاصنام وقيل هو اللهو على ظاهره
والمعنى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه اى اللهو من لدنا كقوله رزقا من لدنا اى
من جهة قدرتنا وقيل لاتخذناه من عندنا وما اتخذنا نسا وولدا من اهل
الارض وقيل لاتخذناه من لدنا بحيث لا يطلع عليه احد لانه نقص وستره اولى

ار

ان كنا فاعلين اى ان كنا فاعلين ذلك اتخذناه من لدنا وقيل معناه لو كنا فاعلين وقيل ان بمعنى
ما كنا فاعلين **قوله تعالى** بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم
الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته اى دع ذلك الذي
قالوا فانه باطل نقذف بالحق اى نسلط الحق الذي هو القران على الباطل الذي هو قولهم اتخذ الله ولدا
فيدمغه فيكسره وقيل الحق الاسلام على الاشراك وقيل بالوعظ على المعاصي وقيل بالحجة على الشبهة
وقيل نرحض بالحق الباطل واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه
فجعل الحق كانه جرم صلب كالصخر مثلا قذف به على جرم رخو اجوف كالدماغ فيدمغه
فيكسره ويبلغ ام دماغه فلا يبقى فاذا هو زاهق هالك ذاهب ثم خاطب المشركين فقال
ولكم الويل يا معشر الكفار مما تقولون تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد
وعن مجاهد مما تكذبون به **قوله تعالى** وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وله يحتمل ان يكون ابتدا الكلام
ويحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل كانه تقسيم الامر في نفسه اى يا معشر الكفار لكم الويل
مما تصفون وله سبحانه وتعالى من في السموات والارض ومن عنده واللام في له للملك
وقوله من في السموات يعم الملايكة والنبيين وغيرهم ثم خصص من هذا العموم من اراد
تشريفه من الملايكة بقوله ومن عنده لان عنده هاهنا ليست في المسافة انما هي تشريف
في المنزلة والمراد انهم منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق
التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قيل لا يرجعون
ولا يملون وقيل لا يعيون وقيل لا ينقطعون والحسير المنقطع الواقف عيا وكلالا يسبحون الليل
والنهار لا يفترون لا يضعفون عنه وقيل لا يفترون عن سائر الاعمال مما يامرهم **قوله
تعالى** ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة قد آذنت
بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر اتخاذهم الهة من الارض هم ينشرون اى
يحيون الموتى فهذا استفهام بمعنى الجحد اى الاحيا والاماتة بيد الله وقوله من الارض
صفة للالهة ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان
الالهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية
التي هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد الالهة من جنس
الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض والنكتة في قوله
هم افادة معنى الخصوص كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر على الانشا الا هم وحدهم
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون
هذا برهان التمانع فلنتكلم الان اولا فيما يتعلق باللفظ من جهة الاعراب ثم نقرر
البرهان اما الاول فنقول الا وغير يتقارضان ما لكل واحد منهما اى يحمل غير على
الا في الاستثنا ويحمل الا على غير في الصفة ووجه حمل كل واحد منهما على الاخر
تشاركهما في ان ما بعد كل منهما مغاير لما قبله لكن وقوع غير موقع الا اكثر من خلاف

العكس لان غير اسم والتصرف في الاسما اكثر من التصرف في الحروف ولا يصح حمل الا على غير الا اذا
تعذر الاستثنا لضعف استعمال الا صفه فاذا كان الا تابعة لجمع منكور غير محصور تعذر الاستثنا فيحمل
الا على غير حينئذ وانما قلنا اذا كان الا تابعة لجمع منكور غير محصور تعذر الاستثنا فانك اذا قلت جاني رجال
الا زيد تعذر الاستثنا لانه استثنا متصل وشرطه ان يكون مخرجا من المستثنى منه لان شرط
الاستثنا ان يدخل المستثنى لو سكت عنه في المستثنى منه وها هنا لا يدخل زيد في قولك جاني رجال
اذ لا دليل عليه فلم يستقم اخراج منه واذا لم يستقم اخراجه منه لم يصح ان يكون استثنا منه
فثبت انه يتعذر الاستثنا في مثل هذين الصورتين وانما اشترط ان يكون غير محصور احترازا من مثل
له عندي عشرة الا درهما فانه تابع لجمع منكور ولكنه لما كان محصورا صح ان يكون استثنا لانه
لو سكت عنه لدخل فيه ووجب على المقر عشرة بخلاف قولك جاني رجال الا زيدا ولقايل ان يقول
انما يتم ما ذكرتم على مذهب من يقول الاستثنا اخراج ما لولاه لوجب دخوله في المستثنى منه
واما على مذهب من يقول الاستثنا اخراج ما لولاه لصح دخوله فلا يتم وهذا ايضا انما يتم
على مذهب من يقول الاستثنا اخراج ما لولاه لوجب الدخول اذا كان الاستثنا متصلا
فاما اذا كان منقطعا فلا يتم ايضا على مذهبه اذا عرفت هذا فنقول الا في لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا بمعنى غير لانه تابع لجمع منكور غير محصور فان الهة جمع منكور غير محصور فوصف
الهة بالا كما يوصف بغير لو قيل الهة غير الله ولا يصح ان يكون الله بدلا من الهة لان لو
بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب ولا يجوز البدل الا في كلام منفي لقوله تعالى ولا
يلتفت منكم احد الا امراتك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان فيهما اي في
السما والارض الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وبطلتا وهلك من كان فيهما وفيه دلالة
على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك
الواحد الا الله اما الامر الاول فيدل عليه بيانات خطابيه وجدليه وبرهانيه
اما الاول فلانا نعلم ان الرعيه تفسد بتعدد الملكين لما يحدث بينهما من التغالب
والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز
علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما الثاني فلانه لو كان في الوجود
الهان فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرا على المقدورات مدبرا للكاينات والا
لم يكن الها فاذا اراد احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه فاما ان يقع مرادهما فيلزم
الجمع بين الضدين او لم يقع مراد واحد منهما فيلزم ان لا يكون الجسم ساكنا ولا متحركا
وهو محال او يقع مراد احدهما دون الاخر فيلزم عجز احدهما والعاجز لا يكون
الها واما الثالث فلانه لو كان في الوجود الهان لفسدت السموات والارض لكن ما فسدتا
فلا يكون في الوجود الهان بيان الاول انه يستحيل حينئذ وقوع المقدور لانه لو وقع فاما
بهما معا فلا يكون واحد الها او بكل واحد منهما فيلزم اجتماع فاعلين على مقدور واحد وهو محال
لان على تقدير الترتيب يلزم تحصيل الحاصل وعلى تقدير المعيه يلزم من وقوعه بكل منهما عدم وقوعه بكل
منهما او باحدهما دون الاخر فيلزم التخصيص بلا مخصص وهو محال او وقع
لا بهذا ولا بذاك وهو محال ايضا لاستحالة وقوع المقدور بلا موجد واما الثاني فلما ثبت ان
الله خالق السموات والارض ثم نزه نفسه عما يصفون فقال سبحان الله رب العرش
عما يصفون اي رب السموات والارض وما فيهما من الكرسي والعرش وهو

وهو منزه

و منزه عما يصفون من الشريك والصاحبة والولد لا يسال عما يفعل لانه مالكه يفعل ما يشا
فيه ولا يقال لم فعلت هذا او لانه فعله متقن واقع على الوجه الذي ينبغي فليس فيه موضع سوال واعتراض
وقيل لا يسال عما يفعله بعباده اذ ليس احد فوقه ومثله فيساله عن فعله بعباده والعباد يسلون عن افعالهم
لانهم ليسوا مالكين وفي افعالهم خلل وقيل لا يسال الملايكه وهم يسلون بقوله اهولا اياكم كانوا يعبدون
وقيل لا يسال سبحانه والذين اتخذتموهم الهة كعيسى والملايكة والاوثان يسلون وروي عن الضحاك ان
كفار قريش قالوا يا محمد ربنا كتب علينا الذنب ثم يعذبنا عليه قالوه تكذيبا بالقدر فانزل الله لا يسال عما
يفعل وهم يسلون قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من
قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كرر قوله ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا لشانهم واستعظاما
لاتخاذهم الهة من دون الله اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا قل يا محمد لهم هاتوا برهانكم على هذا اما من
جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وفي توحيد الله وتنزيهه عن الاضداد
والانداد مدعوا اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه هذا ذكر من معي اي هذا الوحي الوارد في معنى
توحيد الله ونفي الشركا عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امتي وذكر
للذين من قبلي اي امم الانبيا وقيل ام اتخذوا من دونه الهة امرهم الله بعبادتها في كتاب من كتبه قل هاتوا
برهانكم على ذلك هذا ذكر من معي اي هذا القران فيه ذكر امتي وذكر الامم الذين هم قبلي وليس فيه جواز ذلك
ولا الامر بعبادة الاوثان وقيل تقديره هذا ذكر من معي اي هذا القران فيه ذكر امتي وذكر الامم
الذين هم قبلي وليس فيه جواز ذلك ولا الامر بعبادة الاوثان وقيل تقديره هذا ذكر من معي اي
القران وهذا ذكر من قبلي اي التوراة والانجيل وليس في كل اباحة ذلك وليس قوله ام اتخذوا
تكرارا صرفا بل الاول للقياس اي اوجدوا الهة ينشرون الموتى من الارض فاتخذوهم الهة قياسا والثاني
للتقليد اي اوجدوا في كتب الله الامر باتخاذ الالهة فاتخذوهم الهة تقليدا وقيل معنى ذكر من معي
خبر من معي وخبر من قبلي ممن نجا بالايمان ومن هلك بالشرك بل اكثرهم لا يعلمون الحق بل عندهم
ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فهم معرضون
بسبب جهلهم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحا والباقون باليا وفتح الحا هذه
الايه مقررة لما سبقها من اي التوحيد قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون قيل نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقيل نزلت في اليهود
حيث قالوا ان الله صاهر الجن فكانت منهم الملايكة فعلى القولين المراد بالولد الملايكة وكذا بقوله بل عباد
مكرمون اي بل هم عباد مكرمون وليسوا باولاد لان العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي انهم
يتبعون قوله تعالى ولا يقولون شيا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بالقول قولهم فانيب اللام
منابها لاضافة وقيل لا يقولون الا بما امرهم به وقيل لا يتعدون ما امروا به وقيل
لا يتقدمون ولا يتاخرون الا بامر وقيل لا يقولون قبل ان يقول وقيل لا يقولون الا بالوحي
وهم بامره يعملون ولا يعملون عملا ما لم يومروا به قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين يعلم ما بين ايديهم اي ما عملوا وما خلفهم وما هم عاملون
وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون يوم القيامة وقيل لا يستغفرون
في الدنيا الا لمن ارتضى اي لمن رضي عنهم عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اهل شهادة ان لا اله الا الله

محمد رسول الله وهم من خشية الله مشفقون خايفون ان يحل بهم عقابه وقيل خايفون ان يشفعوا الا باذنه وقيل يخافون من التقصير في العبادة من خشيته اضافة المصدر الى المفعول ومن يقل بعد ان وصف الله تعالى كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية اوعد بالوعيد الشديد وانذر بالعذاب الاليم من يقل منهم اي من الملايكة من عبد وامن دون الله اني اله من دونه ان كان على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد فذلك القايل نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين وقيل المراد به ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ووسوس اليهم وهذا اول من قال ان ابليس من الملايكة **قوله تعالى** اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون اولم قرا ابن كثير الم بغير واو بين الالف واللام والباقون اولم بواو مفتوحة بين الالف واللام اي يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما عن ابن عباس وعطا والضحاك وقتادة كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهوا عن كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحتها بها وعن مجاهد وابي صالح والسدي كانت السموات والارض مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع طبقات وعن عكرمة وعطية وابن زيد كانت السما رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله تعالى والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع واصل الرتق السد ومنه قيل للمراة التي فرجها ملتحم رتقا وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحو قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر وانما وحد رتقا وهو نعت السموات والارض لانه مصدر وضع موضع الاسم كالزور والصوم والفطر والعدل ونحوها وعن ابي عبيدة السموات جمع والارض واحد فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا اذا اشركوا بين جمع وبين واحد قال صاحب الكشاف فان قلت متى راوهما رتقا حتى جا تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جايز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا قيل متعد الى واحد والمعنى خلقنا من الما كل شي حي اي حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ما وقيل معناه كانما خلقناه من الما لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وقيل جعلنا متعد الى مفعولين والمعنى صيرنا كل شي حي بسبب من الما لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني افلا يومنون مع ظهور الايات **قوله تعالى** وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم قيل كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل معناه لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالباس كما تزاد لعدم الالباس في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا واسعة واحدها فج الفج الطريق الواسع قال صاحب الكشاف فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني انه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمه لعلهم يهتدون الى

دايم

قيل من الملايكة

دايرهم واوطانهم وقيل يهتدون بالاعتبار **قوله تعالى** وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وجعلنا السما سقفا اي هي للارض كالسقف محفوظا بالامساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل وقيل محفوظا بالشهب عن تسمع كل شيطان رجيم على سكانها من الملايكة وهم اي الكفار عن اياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وهم متفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنيوية كالاستضاة بقمريها والاهتدا بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم اي الكفار عن اياتها معرضون فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **قوله تعالى** وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اي كل واحد من الطوالع حذف المضاف اليه لعدم الالتباس في فلك هو مدار النجوم الذي يضمها سمي فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل مجاهد لهيئة حديدة الرحى فلكها مجراها وسرعة سيرها وقيل الفلك موج مكفوف يجري الشمس والقمر فيه وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكواكب وكل كوكب يجري في السما الذي قدر فيه وهو معنى قول قتادة يسبحون يجرون ويسيرون وانما جعل الضمير واو العقلا للوصف بفعل العقلا اي السباحة قال صاحب الكشاف فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت هندا وزيدا مسرجة ونحو ذلك اذا جيت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله في هذه الصورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وقيل لا محل لها لاستينافها والاولى ان يعد والنجوم بعد الشمس والقمر ويجعل ضمير الجمع قرينة على حذفه والتقدير وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كل في فلك يسبحون اجيب بان هذا كقولهم اساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذه الاجناس فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس **قوله تعالى** وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون نزلت هذه الاية حين قال اهل مكة نتربص به ريب المنون وكانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر فلا انت ولا هم عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هولا والفا في قوله افان مت لعطف جملة على جملة والفا في قوله فهم الخالدون لجزا الشرط والف الاستفهام حقه الجزا ودخل على الشرط لان الاستفهام له صدر الكلام كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم فتنة ابتلا لننظر كيف صبركم فيما تكرهون من الفقر والضر والشر وكيف شكركم فيما تحبون من الغنى والنفع والخير والمعنى نعاملكم معاملة المختبر والينا ترجعون بتا مفتوحة والباقون بتا مضمومة ترجعون للحساب والثواب والعقاب **قوله تعالى** واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يروى ان ابا جهل وابا سفيان كانا جالسين في جماعة من قريش فاجتاز

النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل لابي سفيان انظر الى نبي بني عبد مناف استهزاء فقال
ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبي بني عبد مناف فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل
ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وقال لابي سفيان انما قلت الذي قلته
حمية فانزل الله واذا راك الذين كفروا يعني المستهزئين ان نافية يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزوا
مهزوا به يقول بعضهم لبعض اهذا الذي يذكر الهتكم اذ لا يكون بخير وخلافه فاذا دلت الحال على
احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان
عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم اهذا الذي يذكر الهتكم بسوء ويعيبها وهم
بذكر الرحمن اي الكافرون غافلون بهمهم على ذكر الهتهم وما يجب الا يذكر به من كونهم شفعا
وشهدا او يسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية
فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر
الرحمن كافرون اي يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة اي مسيلمة وقيل بذكر الرحمن اي بتوحيده وقيل
بذكر الرحمن بما انزل عليك من القران وقيل بذكر الرحمن بشكره وقيل اذا ذكر الرحمن قالوا الاصنام شركاؤه
هم بهذا الرحمن هم كافرون وكرر هم لان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعاد المبتدا وقيل للتاكيد
والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو والسخر وهي الكفر بالله خلق الانسان
اي ادم من عجل اي خلق ادم عجولا ولما خلق ادم عجولا وجد في اولاده العجلة وقيل خلق ادم بعجل
استعجل قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ومن اواخر الايام وقيل خلق الانسان اي النضر بن الحارث
وهو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل المراد بالانسان الجنس قال الزجاج خوطبت
العرب بما تعقل والعرب تقول للذي يكثر منه اللعب انما خلقت من لعب يريدون المبالغة في وصفه
بذلك وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى خلقت العجلة في الانسان ساريكم اياتي اي ما اصاب الامم
الذين كانوا قبلكم والمعنى انكم تسافرون فترون اثار الهلاك في الامم الماضية وقيل انها القتل
ببدر فلا تستعجلون بالعذاب والسوال عن الايات قيل كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجية
الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان
على افراط العجلة فانه مطبوع عليه ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم
مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان ادم وانه حين بلغ
الروح صدره ولم تبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما
دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل
ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب وقيل الساعة وقتها **قوله تعالى** لو يعلم الذين
كفروا وجوابه محذوف حين مفعول به اي لو يعلم الذين كفروا الوقت الذي يستعجلون عنه بقوله
متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد لا يكفون عن وجوههم النار اي لا يقدرون فيه على كف
النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم لانها محيطة بجميع ابدانهم من قدام ومن ورا فلا يقدرون على
دفعها ومنعها من انفسهم ولا هم ينصرون من عذاب الله لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
والاستعجال وقيل لعلموا البعث وقيل لعلموا صدق الموعود وقيل يجوز ان يكون يعلم متروكا بلا
تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا
يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم **قوله
تعالى** بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل
ن

من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون بل تاتيهم اي تاتيهم الساعة بغتة
فجاة فتبهتهم فتحيرهم وتغلبهم فيقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب
ابرهيم الذي كفر فلا يستطيعون فلا يقدرون على ردها ولا هم ينظرون يوخرون تذكير بانظاره اياهم
وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ يسلي نبيه بهذا
عن استهزائهم بان له في الانبيا عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالذين سخروا
من الرسل قبلك ما كانوا به يستهزءون فحل بهم جزا استهزائهم وعاد عليهم ما اعادوا بالرسل **قوله
تعالى** قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون قل من يكلؤكم اي يحفظكم ويحرسكم
يقال كلاه كلاة اي حفظه بالليل والنهار من الرحمن من باسه وعذابه ان اتاكم ليلا او نهارا استفهام
معناه النفي بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه وقيل عن مواعظ ربهم
معرضون لا يلتفتون اليها وقيل عن القران لا يتدبرونه **قوله تعالى** ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم
الهة تمنعهم من العذاب من دوننا تجاوز منعنا وحفظنا وههنا تم الكلام ثم استانف فقال لا
يستطيعون وصف الهتهم بالعجز فبين انهم لا يستطيعون نصر انفسهم اي من لا يقدر على نصر نفسه فكيف
ينصر غيره ولا هم منا يصحبون عن ابن عباس ولا الكفار منا يصحبون مصحوبين بالنصر والتاييد وقيل
ولا هم ولا الاصنام من الله مصحوبين بالنصر والتاييد فكيف ينصرون غيرهم وقيل معناه ولا الاصنام
منا يجارون اي لا يجيرهم منا احد لان المجير صاحب لجاره وقيل معناه ولا هم منا يصحبون بخير **قوله
تعالى** بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون ثم اضرب عن الكلام الاول واثبت بعد ما بل متعنا هؤلاء الكفار واباءهم والمعنى بل ما هم
فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم وحفظناهم واباءهم الا
تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم العمر وامتدت
ايام الروح والطمانينة فاغتروا بذلك فحسبوا انهم لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب
امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ناتي الارض ننقص من اطراف الارض
المشركين بتسليط المومنين عليها واظهارهم على اهلها ورد في اطراف ارض المومنين والغالبين في قوله
ناتي الارض مصور ما كان الله يجريه على ايدي المومنين وان عساكر الموحدين وسراياهم كانت
تغزو ارض المشركين وياتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها افهم الغالبون ام نحن مع هذه الاحوال
ونقص الاطراف اي ليسوا بغالبين بل مغلوبين **قوله تعالى** قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع
الصم الدعا اذا ما ينذرون قل يا محمد للمشركين انما انذركم بالوحي بالقران ما جيت به من
تلقا نفسي انما امرت فبلغت ولا تسمع الصم الدعا قرا ابن عامر تسمع بضم التا وكسر الميم ونصب الصم
جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بفتح التا والميم ورفع الصم على ان الفعل لهم شبه
الله المشركين بالصم الذين لا يسمعون نداء مناديهم ووجه التشبيه ان هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا كالصم
لا يفيدهم صوت مناديهم قال صاحب الكشاف اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد
لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر اي الصم موضع الضمير للدلالة على تصامهم
وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراة والجسارة على التصام من ايات
الانذار **قوله تعالى** ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ولين مستهم اصابتهم نفحة شي يسير من عذاب ربك اي من العذاب الذي ينذرون به لاذعنوا

وذلوا ودعوا بالويل على انفسهم مقرين بانهم كانوا ظالمين على انفسهم حين تصاموا واعرضوا
وفي المس والنفحه ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القله والنزاره يقال نفحته الدابه وهو رمح
يسير عن ابن عباس طرف قاله ومقاتل عقوبه ابن كيسان قليل ابن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان
من ماله اذا اعطاه قسما وحظا منه وقيل ضربه قول العرب نفحت الدابه برجلها اذا ضربت بها **قوله
تعالى** ونضع الموازين القسط ليوم القيمه فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبه من خردل اتينا
بها وكفى بنا حاسبين القسط العدل وصفت الموازين به مبالغه كانها في انفسها قسط وقيل
على حذف المضاف اي ذوات القسط ليوم القيامه اي لاهل يوم القيامه اي لاجلهم وقيل لجزا
يوم القيامه وقيل في يوم القيامه قيل قوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامه على سبيل التمثيل
والمعنى اعتبار الحساب والجزا على حسب الاعمال بالعدل والنصفه من غير ان تظلم نفس شيا فشبه ذلك
بوضع الميزان ليوزن به الموزونات وقيل توضع الموازين الحقيقيه ويوزن بها الاعمال
عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان روى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه
الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات
فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمره والاعمال اعراض فقيل يوزن صحايفها
وقيل يوزن في كفه الحسنات جواهر بيض مشرقه وفي كفه السيات جواهر سود مظلمه فلا تظلم
نفس شيا اي لا ننقص محسن من احسانه ولا نزيد مسي في اساته وان كان مثقال قرا نافع
مثقال بالرفع بمعنى وان وقع مثقال والباقون بالنصب على معنى وان كان العمل مثقال حبه
اي وزن حبه اتينا بها اي بالمثقال انث الضمير المثقال لاضافته الى المونث كقولهم ذهبت
بعض اصابعه **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين الذين
يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون
ولقد اتينا اعطينا موسى وهرون الفرقان قيل التورية التي فرق بها بين الحلال والحرام
وقيل الفرقان البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون وقيل الفرقان الذي فرق
بين النصر والنجاه لموسى والهلاك لفرعون وضيا قيل واتينا بما بالفرقان ضيا وذكرى للمتقين والمعنى
ان الفرقان في نفسه ضيا وذكر واتيناهما بما فيه من الشرايع والمواعظ ضيا وذكرا وقيل ان الواو
زايده روى عكرمه عن ابن عباس انه كان يرى الواو زايده قال الزجاج ولذلك قال بعض النحويين
ان المعنى الفرقان ضيا وذكرا موعظه للمتقين وقيل ذكرا ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم وقيل
معنى قوله وذكرى للمتقين انهم يذكرونه ويعملون بما فيه الذين يخشون ربهم بالغيب قيل
يخافون ربهم ولم يروه وقيل يخشون عذاب ربهم ولم يروه وقيل يخشون ربهم من حيث لا يراهم
احد وقيل يخشون ربهم اذا غابوا عن اعين الناس كخوفهم له اذا كانوا بين الناس ومحل الذين نصب
على المدح او رفع على المدح او جر على الصفه ثم عاد الى ذكر القران فقال وهذا اي القران
ذكر لمن يذكر به وعظه لمن اتعظ مبارك كثير الخير غزير المنافع افانتم يا اهل مكه له للقران منكرون
جاحدون وهذا استفهام توبيخ اي تنكرون انه من الله وتنسبونه اليه **قوله تعالى**
ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل
التي لها عاكفون ولقد اتينا ابرهيم رشده اهتدايه الى وجوه الصلاح ورفض الاصنام
وقيل نبوته وقيل العلم والكتب والحكمة من قبل قيل من قبل بلوغه وقيل من قبل موسى وهرون
وقيل من قبل وجوده في العلم السابق وكنا به عالمين بانه اهل للرشد والهدايه والنبوه وقيل

معناه انه علم منه احوالا بديعه واسرارا عجيبه وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله
لمخالته ومخالصته كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان وكلامك هذا من الاحتوا على محاسن
الاوصاف بمنزل اذ قال لابيه قيل اذ متعلق باتينا اي اتينا ابرهيم رشده وقت قوله لابيه وقيل
برشده اي اتينا رشده وقت رشده وقيل متعلق بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا
الوقت اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل الصور اي الاصنام تجاهل لهم وتغابى ليحقر الهتهم
ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها التي انتم لها عاكفون على عبادتها وقيل لم ينو للعاكفين
مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها قال صاحب
الكشاف فان قلت هلا قيل عليها عاكفون لقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعديه
لعداه بصلته التي هي على قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجيتنا بالحق ام انت من اللاعبين قالوا اي ابوه وقومه وجدنا اباءنا
لها عابدين اتبعناهم واقتدينا بهم قال صاحب الكشاف ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا اباهم في عبادة
التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شي وجادون في نصرة مذهبهم
ويجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال ابرهيم لابيه
وقومه لقد كنتم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو
في حكم بعض الفعل او هو الضمير المرفوع المتصل لا يصح نحو اسكن انت وزوجك الجنه واباؤكم
في ضلال مبين ظاهر على من به ادنى مسكه لان اسنادا دهم الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اي
ابوه وقومه لابرهيم عليه السلام اجيتنا بالحق يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت من اللاعبين
لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا لا يتقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله على وجه
المزاح والمداعبه لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جيتنا به هو جد وحق ام لعب وهزل
قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين
وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اجابهم ابرهيم بما ان بل تخليهم ودلهم على ان المستحق
للعباده وهو الله لا الصنم قال ابرهيم لابيه وقومه ما انا من اللاعبين بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اي فطر السموات والارض او فطر التماثيل وكونها التماثيل ادخل في تضليلهم
واثبت للاحتجاج وانا على ذلكم من الشاهدين وشهادته على ذلك ادلاوه بالحجه عليه وتصحيحه
بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوي
بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجه كما لم تقدروا على الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم قال ابرهيم وتالله الفرق بين با القسم
وتايه ان البا هي الاصل والتا بدل من الواو المبدله منها وان التا فيها زياده معنى وهو
التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره
ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة
سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله يسر عقد شي تيسر لاكيدن اصنامكم لامكرن
بها الكيد احتيال الكايد في ضر المكيد والمعنيون يقولون لاكيدنها بالكسر بعد ان تولوا اي
تذهبوا عنها فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق قال اني سقيم والقى نفسه وقال سرا منهم وتالله
لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل منهم فافشاه عليه فرجع الى بيت الاصنام فكانت فيما ذكره مقاتل

اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضه ونحاس وحديد وخشب **قوله تعالى** فجعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قرا الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون جُذاذا بضم الجيم
فجعل ابرهيم التماثيل جذاذا افتاتا وكل شي كسرته فقد جذذته والجذاذ بالضم يقع على الواحد
والاثنين والجمع والمذكر والمونث وجذاذ بالكسر جمع جذيذ مثل ثقيل وثقال وخفيف
وخفاف الا كبيرا اي كبير الاصنام الاكبير الهم ويحتمل انه كان كبيرا في ذاته وانه كان اكبر اعندهم
في تعظيمهم اياه لعل ابرهيم وقومه يرجعون الى الكبير فيشاهدونه وقيل يرجعون الى الله
وقيل الى ابرهيم بالتهمه وقيل الى دين ابرهيم بوجوب الحجه عليهم **قوله تعالى** قالوا من
فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين فلما جا القوم من عيدهم الى بيت الهتهم ونظروا الى
الهتهم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي قد فعل ما لم يكن له فعل **قوله
تعالى** قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قال الذي سمع ابرهيم يقول وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين والذين سمعوا منه سمعنا فتى يذكرهم بعيبهم ويسبهم ويستهزي
بهم يقال له ابرهيم هو الذي نظن انه صنع هذا **قوله تعالى** قالوا فاتوا به على
اعين الناس لعلهم يشهدون فبلغ نمرود ذلك فقال هو ومن حواليه فاتوا بابرهيم
عليه السلام على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر ومعنى
الاستعلا في على هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب
وتمكنه منه لعل الناس يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله وقيل يحضرون عقوبتنا له **قوله
تعالى** قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فلما اتوا به قالوا له
انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قوله تعالى قال بل فعله كبيرهم هذا قيل قال ابرهيم
غضب كبيرهم من ان تعبد وامعه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن قال صاحب الكشاف
هذا من معاريض الكلام ولطايف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضه
من علما المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل
الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه
غرضه من الزامهم الحجه وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على
خرمشه فاسد فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع
الاستهزا به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزا به واثبات للقادر فلما غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفه مرتبه
وكان غيظه من كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي
تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه
ويجوز ان يكون حكاية لما تعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه فسلوهم ان كانوا ينطقون
حتى يخبركم بمن فعل هذا بهم الزام للحجه عليهم بانهم جماد لا يقدرون على النطق وروي
عن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم
هذا قال القتيبي جعل ابرهيم النطق شرطا للفعل فقال فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان
كانوا ينطقون والمعنى ان قدر واابهم الزام للحجه عليهم بانهم جماد لا يقدرون على

النطق قدروا على الفعل فاراهم عليه السلام عجزهم عن النطق والفعل وفي ضمنه انا فعلت ذلك
والذي تظاهرت به الاخبار في هذه الايه ان ابرهيم عليه السلام اسند الفعل الى الكبير
يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات كلها في الله عز وجل
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لساره هي اختي ولا يستحيل ان يكون هذا
القول من ابرهيم عليه السلام بامر الله تعالى واذنه ليقرع قومه ويوبخهم ويحتج عليهم ويعرفهم موضع
خطاياهم كما اذن ليوسف حين امر مناديه لاخوته ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا
شيا **قوله تعالى** فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فرجعوا الى انفسهم قيل
رجع بعضهم الى بعض وقيل كل منهم الى نفسه متفكرا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا
كما قال انكم انتم الظالمون حين عبدتم من لا يتكلم وقيل حين تتركون الهتكم وحدها وتذهبون
وقيل في عبادة هذه الصغار مع هذا الكبير وقيل ظالمون هذا الرجل في سوالكم اياه وهذه
الهتكم التي فعل بها ما فعل حاضره فسلوها وقيل ظالمون لابرهيم حين اتهموه والفاس في عنق الكبير الاصنام
قوله تعالى ثم نكسوا على روسهم لقد علمت ما هولا ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاوا بالفكرة الصالحه ثم انتكسوا وانقلبوا
عن تلك الحال فاخذوا في المجادله بالباطل والمكابره وان هولا مع تقاصر حالها عن حال الحيوان
الناطق الهة معبوده مضارة منهم وقيل انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين
نفوا عنه القدره على النطق وقيل قلبوا على روسهم حقيقه لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا
وانخذالا مما بهتهم به ابرهيم فلما احار واجوابا الا ما هو حجة عليهم عن قتاده ادركتهم حيرة
فقالوا لقد علمت ما هولا ينطقون وعن قتيبه رجعوا الى ما كانوا يعرفون تقابه من انها لا تنطق وفي
قوله لقد علمت اخبار قالوا وفي هذا اقرار منهم بعجز ما تعبدونه عن النطق فحينيذ توجهت
لابرهيم الحجه فقال **قوله تعالى** افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون معناه البتة وقيل اف صوت اذا صوت به علم
ان صاحبه متضجر اضجر ابرهيم عليه السلام ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا
التافف **قوله تعالى** قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين فلما الزمتهم الحجه وعجزوا
عن الجواب قالوا حرقوه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجه وافتضح لم يكن احد
ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم
حين عجزوا عن المعارضه والذي اشار باحراقه نمرود عن ابن عمر ان الذي اشار عليهم بتحريق
ابرهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد وروى انهم لما اجمعوا اي نمرود وقومه لاحراق ابرهيم
عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيره فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم ثم جمعوا اصلاب الحطب من انواع الخشب حتى ان كانت المراه تمرض فتقول لين عافاني الله
لاجمعن حطبا على ابرهيم وكانت المراه تنذر في بعض ما تطلب مما تحب ان تدرك لين اصابته
لتحطبن في نار ابرهيم التي يحرق فيها احتسابا في دينها قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا
قالوا حتى اذا اكثروا وجمعوا منه ما ارادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار
واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحرق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فرفعوه
على راس البنيان فقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السموات

او لكم

والارض ومن فيهن من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابرهيم ليس في
ارضك احد يعبدك غيره يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل لهم ان استغاث بشي
منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك فان لم يستغث بغيري فانا اعلم به وانا وليه
فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاه في النار اتاه خزان المياه فقال لو ان اردت اخمدت النار
فان خزاين المياه والامطار بيدي واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهوا فقال
ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم ثم رفع راسه الى السما فقال اللهم انت الواحد في السما وانا الواحد
في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل روى ان ابرهيم عليه السلام
قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال
ثم رموا به في المنجنيق الى النار من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك
فلا قال جبريل فسل ربك قال ابرهيم عليه السلام حسبي من سوالي علمه بحالي فقال الله عز وجل يا نار
كوني بردا وسلاما على ابرهيم عن السدي كان جبريل هو الذي ناداها عن ابن عباس لو لم يتبع الله بردها
سلاما لمات ابرهيم عليه السلام من بردها فلم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت ظنت انها هي
تعني قال السدي فاخذت الملايكة بضبعي ابرهيم عليه السلام فاقعدوه على الارض فاذا عين ما
عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم الا وثاقه قيل وكان ابرهيم في
ذلك الموضع سبعة ايام قيل قال ابرهيم ما كانت اياما قط انعم من الايام التي كنت فيها في النار
قيل بعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد فيها الى جنب ابرهيم عليه السلام وهو
يونسه قالوا وبعث الله بقميص من حرير الجنة واتاه جبريل فقال يا ابرهيم ان ربك
يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم عليه السلام
وما شك في موته فراى ابرهيم عليه السلام جالسا في روضة خضرا وراى الملك قاعدا الى جنبه
وما حوله نار تحرق ما جمعوا له من الحطب فناداه يا ابرهيم ان الهك الذي بلغت قدرته
هذا الكبر هل تستطيع ان تخرج قال نعم فقام ابرهيم يمشي حتى خرج فقال من الذي رايت
معك قال ملك ارسله الي ربي ليونسني فقال نمرود اني مقرب لالهك قربانا لما رايت
من قدرته فقال اذا لا يقبل الله منك ما دمت على دينك فقال يا ابرهيم لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبح له فذبح القربان وكف عن ابرهيم قال المفسرون ومعنى كوني بردا اى ذات
برد وسلاما اى سلامة وارادوا به كيدا وهو التحريق بالنار فجعلناهم الاخسرين وهو ان
الله سلط عليهم البعوض حتى اكل لحومهم وشرب دماهم ودخلت واحدة في دماغ نمرود
حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه بسوء فانقلب السوء عليهم **قوله تعالى** ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اى ونجينا ابرهيم من نمرود وقومه ولوطا وهو ابن اخي
ابرهيم من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها الى ارض الشام وكانت سارة مع ابرهيم وعن
السدي انما هي ابنة ملك حران لقيها ابرهيم فتزوجها على ان لا يغيرها وكانت قد طعنت على
قومها في دينهم واما قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فالاكثر على انها ارض الشام
وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبيا بعثوا فيها وانتشرت في العالمين شرايعهم واثارهم
الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيها بكثرة الما والشجر والثمر والخصب وطيب عيش
الغني والفقير وعن ابي بن كعب سماها مباركة لان ما من ما عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة
التي ببيت المقدس وعن قتادة يقال الشام عماد دار الهجرة وما نقص من الارض زيد في الشام
وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي ارض المحشر والمنشر وبها يجمع الناس وبها ينزل

عير

عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله الدجال قوله تعالى فامن له لوط وقال اني مهاجر
الى ربي انه هو العزيز الحكيم عن ابن اسحق فامن لابرهيم لوط وامنت به ايضا سارة وخرج ابرهيم
من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه انه هو العزيز الحكيم عن ابن اسحق فامن لابرهيم لوط وامنت
به ايضا سارة وخرج معه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى
نزل حران فمكث بها ما شا الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام
فنزل بفلسطين وهي تربة الشام ونزل لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة واقرب من ذلك
وقيل اراد بالارض التي باركنا فيها للعالمين مكة ونزول اسمعيل الا ترى الى قوله ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين **قوله تعالى** ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا
جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتا
الزكوة وكانوا لنا عابدين ووهبنا لابرهيم اسحق ويعقوب نافلة قيل عطية والمراد بها اسحق ويعقوب
هذا قول مجاهد وعطا وعن ابن عباس وقتادة وابن زيد نافلة اى زيادة والمراد بها يعقوب
خاصة سال ابرهيم واحدا وقال رب هب لي من الصالحين فاعطاه الله تعالى اسحق ولدا وزاده يعقوب
فضلا وعطا من غير سوال والنافلة ولد الولد وهي حال من يعقوب ويجوز تخصيص المعطوف
بالحال عند امن الالباس وقيل نافلة مصدر من غير لفظ الفعل السابق اى وهبنا له هبة وكلا اى ابرهيم
واسحق ويعقوب جعلنا صالحين قال ابو عبيدة كل يقع خبره على لفظ الواحد لان لفظه لفظ الواحد
ويقع خبره على لفظ الجميع لان معناه معنى الجميع وجعلناهم اى ابرهيم واسحق ويعقوب ايمة انبيا يقتدى
بهم في الخير والدين يهدون يدعون الناس الى ديننا بامرنا اياهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات
ابن عباس شرايع النبوة مقابل الاعمال الصالحة اصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك اقام الصلوة وايتا الزكوة الزجاج حذف الها من اقام الصلوة وقليل في اللغة تقول
اقام اقامة والحذف جايز لان الاضافة عوض عن الها **قوله تعالى** ولوطا اتيناه حكما وعلما
ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه
من الصالحين انتصب لوطا بفعل مضمر يفسره ما بعده اى واتينا لوطا اتيناه وقيل ارسلنا لوطا وقيل
واذكر لوطا اتيناه حكما نبوة وفهما وعلما وفصلا بين الخصوم وعلما كتابا وفتوى ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبايث يعني سدوم كان اهلها ياتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون
في انديتهم ويقطعون السبيل ويعملون اشيا اخر من المنكرات وقيل ونجيناه مما عذبوا به انهم كانوا
قوم سوء شرارا فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا اى في اهل رحمتنا وقيل في
الجنة انه من الصالحين **قوله تعالى** ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من
الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
واذكر نوحا اذ نادى دعا به على قومه بالهلاك حين قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا من قبل ابرهيم ولوط فاستجبنا له اجبنا دعاه فنجيناه واهله اهل بيته واتباعه وليس
ابنه منهم قال الله تعالى انه ليس من اهلك من الكرب العظيم والكرب اقصى الغم الاخذ بالنفس وهو هاهنا
الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه واذاهم ونصرناه هو نصر الذي مطاوعه انتصر اى منعناه
من القوم الذين كذبوا باياتنا ان يصلوا اليه بسوء وقيل ونصرناه على القوم انهم كانوا قوم سوء
فاغرقناهم اجمعين **قوله تعالى** وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمن

الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين واذكر داود وسليمان وقيل يحتمل ان
يكون المعنى واتينا داود عطفا على قوله ولوطا اتيناه حكما وعلما اذ يحكمان بدل منهما
في الحرث وسليمن هو ابن داود وداود من بني اسرايل وكان نبيا ملكا عدلا يحكم بين الناس
ووقعت بين يديه هذه النازله وكان ابنه سليمان اذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج
منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود على باب اخر فتخاصم الى داود رجلان احدهما صاحب حرث
والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذه انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيا فراى
داود عليه السلام ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث فقال عليه السلام لصاحب الحرث اذهب فان الغنم
لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث على ان يبق الحرث بيده وقيل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى
صاحب الغنم قيل يشبه على القول الاول انه راى الغنم تقاوم الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني
راى الغنم تقاوم الحرث وغلته ولا نظن بداود عليه السلام الا ان حكمه بنظر موجه فلما خرج الخصمان
على سليمان يشكو صاحب الغنم فقال سليمان كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان عليه السلام لو وليت امركما
لقضيت بغير هذا فاخبر داود عليه السلام بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما قال ادفع الغنم
الى صاحب الحرث فيكون له نسلها ولبنها وصوفها وعوارضها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث
مثل حرثه فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه
وعن ابن مسعود وشريح ومقاتل ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو
لا يشعر فاكلت القضبان وافسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود عليه السلام فقضى بالاغنام
لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت فمر بسليمان عليه السلام وهو ابن احد عشر
سنه فقال ما قضى الملك في امركما فقصا عليه القصه فقال سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بكما
فعاد الى داود عليه السلام فاخبراه بذلك فدعا داود سليمان عليهما السلام وقال له بحق
الابوه والبنوه الا اخبرتني بالذي هو ارفق بهما فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم حتى
يرتفق بلبنها ونسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى ان يعود كهيته ثم ترد الاغنام
الى صاحبها فقال داود عليه السلام القضا ما قضيت وحكم بذلك وعن الحسن كان الحكم على
قضى سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه وهذا دليل على ان كل مجتهد مصيب او المخطي غير اثم
ولا يعاب حكمه ولا يحل فيه وعلمه اذ نفشت انتشرت بالليل وكنا لحكمهم قيل لحكم داود وسليمان
فجمع كما جمع في قوله وان كان له اخوه وقيل لحكم القوم المذكور في قوله غنم القوم وقيل لحكم داود
وسليمان والمتحاكمين اليهما وهو الظاهر شاهدين اي لم يغب عنا من امرهم شي ففهمناها اي الحكومه او
الفتوى وكلا منهما اتينا حكما وعلما اي نبوه وعلما بامور الدين وعن الحسن لولا هذه الايه لرايت
القضاه قد هلكوا ولكنه اثنى على سليمان لصوابه وعذر داود باجتهاده قيل حكم داود عليه
السلام بالوحي لا بالاجتهاد اذ لا يجوز للانبيا الاجتهاد لان الاجتهاد عند عدم النص والانبيا لا
يعدمون النص فعمل داود بنص ثم نسخ ذلك بنص نزل على سليمان وقوله تعالى ففهمناها سليمان
ومعناه ففهمنا سليمان القضا الفاضل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازله وهذا
التفسير يحتاج الى تكلف وتعسف وبعد ويبقى تكلفا غير متلازم وقال جمهور المحققين ان حكمهما
كان باجتهاد اما وجه حكم داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه
كما قال ابو حنيفه في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يباع العبد
في ذلك او يفديه المولى ولعل قيمه الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكم سليمان

ان

انه جعل الانتفاع بالغنم بازا ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك
عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
قيل مثاله ما قال الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يد الغاصب ان الغاصب يضمن القيمه فينتفع بها
المغصوب منه بازا ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد ترادا ولو وقعت هذه الواقعه
في شريعتنا قال ابو حنيفه واصحابه لا ضمان على صاحب البهيمه لا بالليل ولا بالنهار الا ان يكون
مع البهيمه سايق او قايد وقال الشافعي على صاحب البهيمه الضمان بالليل ولا بالنهار ومذهب
ابي حنيفه يخالف حكمهما ومذهب الشافعي موافق لحكم سليمان من حيث ان الضمان على صاحب الماشيه
بالليل يخالف من حيث ان الضمان بالقيمه او المثل لا بتسليم الماشيه ولا بتسليم منافعها ففهمناها سليمان
دليل على ان حكم سليمان اصوب وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما كانا جميعا على الصواب والحق في الاجتهاد
لا في الحكم والا لما نقض حكم داود عليه السلام اذ لا يجوز نقض الحكم الذي هو صواب والايه تدل
على انه يجوز نقض حكم الحاكم بالاجتهاد اذا ظهر ما هو اقوى منه وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
حال معنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن عن ابي [illegible] كان اذا سبح
داود اجابته الجبال بالتسبيح والذكر والطير معطوف على الجبال او مفعول معه وقدم
الجبال على الطير لان تسخير الجبال وتسبيحها اعجب وادل على القدره وادخل في الاعجاز لانها
جماد والطير حيوان من شانه ان ينطق وتسبيح الجبل بان يخلق الله فيه الكلام كما خلقه في الشجر
حين كلم موسى وقيل تسبيحها ان يسبح من راها تسير بتسيير الله عز وجل فلما حملت على التسبيح وصفت به
وكنا فاعلين قادرين على هذا وان كان عجيبا عندكم وقيل وكنا فاعلين مثل ذلك بالانبيا اظهارا
للمعجز وعلمناه اي داود صنعه لبوس دروع واللبوس في الاصل اللباس قال الشاعر
البس لكل حاله لبوسها وكان داود عليه السلام اول من سردها وحلقها وكان قبل ذلك
صفايح وقيل اللبوس السلاح كله من درع وسيف ورمح لكم ليحصنكم قرا ابن عامر وحفص
عن عاصم لتحصنكم بالتا وابو بكر عن عاصم بالنون خفيفه والباقون بالياء من قرا بالتاء
حمله على المعنى لان اللبوس هو الدرع ومن قرا بالنون لتقدم قوله وعلمناه ومن قرا بالياء يجوز
ان يكون الفاعل هو الله لتقدم علمناه ويجوز ان يكون اللباس لان اللبوس بمعنى اللباس من حيث
كان ضربا منه ويجوز ان يكون داود ويجوز ان يكون التعليم ومعنى ليحصنكم ليحرزكم
ويمنعكم من باسكم اي الحرب ولسليمان اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفه شديده الهبوب
وصفت الريح تاره بالرخا باعتبار نفسها فانها كانت رخيه طيبه كالنسيم وبالعصف باعتبار
عملها فانها اذا امرت بكرسيه ابعدت به في مده يسيره على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر
تجري بامره وطاعته وارادته تجري يجوز ان يكون حالا او يجوز ان يكون استينافا فاو هبوبها
على حسب ما يريد ويحكم ايه الى ايه ومعجزه مع معجزه وقيل كانت في وقت رخا وفي وقت
عاصفا لهبوبها على حكم ارادته الى الارض التي باركنا فيها وهي ارض الشام والمعنى
انها كانت تسير به الى حيث شا ثم تعود الى منزله بالشام وكنا بكل شي عالمين قيل علمنا ان ما يعطى
سليمان يدعوه الى الخضوع لربه وقيل وقد احاط علمنا بكل شي فنجري الاشيا كلها على ما
تقتضيه علمنا وحكمتنا وقيل نعلم ما يصلح لكل احد وما يصلح هولا ومن الشياطين اي وسخرنا
ايضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحار اي يدخلون في الما ويستخرجون له
الجواهر من البحر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص كبنا المحاريب والتماثيل

دعاء

وبنا المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبه وكنا لهم حافظين ان يفسدوا ما عملوا وقيل
حافظين ان يخرجوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجمله فيما هم مسخرون فيه
قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واذكر ايوب اذ
نادى ربه اني مسني قرا حمزه مسني بسكون اليا والباقون بفتحها الضر بالضم الضرر في النفس من مرض
وهزال وبالفتح الضرر في كل شي وانت ارحم الراحمين وهذا التعريض منه بسوال الرحمه اذ اثنى عليه
بانه ارحم والطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمه وذكر ربه بغاية الرحمه ولم يصرح
بالمطلوب روي ان ايوب عليه السلام كان نبيا مبعوثا الى قوم روميا هو ايوب بن اموص بن زوم
ابن عيص بن اسحق بن ابرهيم خليل الله وكانت امه من ولد لوط بن هاران وبسط الله عليه الدنيا
وكثر امواله واهله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم من الابل والبقر والغنم
وكان صاحب البثنيه من ارض الشام وكان له خمسمايه فدان يتبعه خمسمايه عبد لكل عبد امراه وولد
وكان بر انقيا رحيما بالمساكين فحسده ابليس فقال يا رب سلطني على ماله وولده فان فعلت رايته
كيف يطيعني ويعصيك فقيل له قد سلطت على ماله وولده فرجع ابليس فجمع شياطينه ومردته فبعث
بعضهم الى دوابه فاحتملوها حتى قذفوها في البحر وجا ابليس في صورة قيمه فقال يا ايوب الا اراك
تصلي وقد اقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قذفتها في البحر فلم يرد عليه شي حتى فرغ
من صلاته وقال الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني فانصرف خايبا وارسل بعض شياطينه الى جنانه
وزرعه فاحرقوها وجا فاخبره فقال مثل ذلك فارسل بعض الشياطين فزلزلوا منازل ايوب
وفيها ولده وخدمه فاهلكوهم وجا فاخبره فحمد الله وقال لابليس وهو يظنه قيمه لو كان فيك خير لقبضك
معهم فانصرف خايبا فقيل له كيف رايت عبدي يعقوب قال يا رب سلطني على جسده فسوف ترى
فقيل له قد سلطت على جسده فجا فنفخ في ابهام قدميه فاشتعل فيه مثل النار ولم يكن في زمانه اكثر بكا
منه خوفا من الله فلما نزل به البلا لم يبك مخافة الجزع وبقي لسانه للذكر وقلبه للمعرفة والشكر
وكان يرى معاه وعروقه وعظامه وكان مرضه انه خرج في جميع جسده ثاليل كاليات الغنم ووقعت
حكه لا يملكها فحك باظفاره حتى سقطت ثم بالمسوح ثم بالحجارة فانتن جسمه وتقطع واخرجه
اهل القريه فجعلوا له عريشا على كناسه ورفضه الخلق سوى زوجته رحمه بنت افرايم ابن يوسف
بن يعقوب وكانت تختلف اليه بما يصلحه روي انه كان ملك ظلم الناس فكلمه في ذلك جماعه من الانبيا
وسكت عنه ايوب لاجل خيل كانت له في سلطانه فاوحى الله اليه تركت كلامه من اجل خيلك لاطيلن
بلاك روي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مدة لبثه في البلا ثماني عشرة سنة ابن عباس سبع سنين
الحسن سبع سنين واشهر وهب ثلاث سنين بن عباس ان ايوب اشتهى ادا ما فلم تصبه امراته
حتى باعت قرنا من شعرها فلم علم ايوب ذلك قال مسني الضر العوفي ان الله تعالى انساه الدعا
مع كثرة ذكره له فلما انتهى اجل البلا يسر له الدعا فاستجاب له وقيل ان نفرا من بني اسرايل
مروا به فقال بعضهم لبعض ما اصابه هذا الا بذنب عظيم فعند ذلك قال مسني الضر روي انه
كان له اخوان فاتياه يوما فوجدا ريحا فقالا لو كان الله علم منه خيرا ما بلغ به كل هذا فما سمع شيا
اشد عليه من ذلك فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان وانا اعلم مكان جايع فصدقني فصدق
وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما
يسمعان فخر ساجدا لله ثم قال اللهم لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي فكشفه الله تعالى ما به الحسن ان

ابلس

ابليس جا الى زوجته بسخله فقال ليذبح ايوب هذه لي وقد برا فجات فاخبرته فقال
ايوب لين شفاني الله لاجلدنك مايه جلده امرتني ان اذبح لغير الله ثم طردها عنه فذهبت
فلما راى انه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال مسني الضر روي ان الله تعالى
اوحى اليه وهو في عنفوان شبابه اني مبتليك قال يا رب واين يكون قلبي قال عندي
فصب عليه من البلا ما سمعت حتى اذا بلغ البلا منتهاه اوحى الله اليه اني معافيك قال
يا رب واين يكون قلبي قال عندك قال مسني الضر وقيل ان الوحي انقطع عن ايوب اربعين
يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر فان قيل اين الصبر وقوله مسني الضر من الشكوى
اجيب بان الشكوى الى الله لا تنافي الصبر وانما المذموم الشكوى الى الخلق الم تسمع قول يعقوب
عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفين بن عيينه وكذلك من شكا الى الناس
وهو في شكواه راض بقضا الله لم يكن ذلك جزعا الم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل في مرضه اجدني مغموما واجدني مكروبا واتيناه اهله اي اولاده ومثلهم معهم بن مسعود
والحسن وقتاده ان الله تعالى احيا له اهله باعيانهم واتاه مثلهم معهم في الدنيا ابو صالح عن ابن عباس
كانت امراته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات فلسر والرعن الحسن انهم كانوا قد غيبوا ولم يموتوا فاتاه اياهم
في الدنيا ومثلهم معهم في الاخره مجاهد اتاه الله اجر اهله في الاخره واتاه مثلهم في الدنيا قيل
اتاه اهله ومثلهم معهم في الاخره رحمة من عندنا اي فعلنا به رحمة منا عندنا وذكرى للعابدين
يقتدون به في الصبر على البلا والشكر على النعما محمد بن كعب من اصابه بلا فليذكر ما اصاب
ايوب فليقل قد اصاب من هو خير مني **قوله تعالى** واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين واذكر اسمعيل بن ابرهيم خليل الله عليهما السلام وادريس
وهو اخنوخ من شيث بن ادم وهو اول نبي بعثه الله من بني ادم روي انه كان خياطا وكان يسبح
الله عند ادخال الابره ويحمده عند اخراجها وذا الكفل قيل انه لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا
صالحا وروي ان اليسع جمع بني اسرايل فقال من يتكفل لي بصيام النهار وقيام الليل
وان لا يغضب واوليه النظر للعباد بعدي فقام اليه شاب فقال انا لك بذلك فراجعه
ثلثا في كل ذلك يقول انا لك بذلك فاستعمله فلما مات اليسع قام بالامر فجا ابليس ليغضبه فكان لا ينام
الا في القايله فكان ياتيه وقت القايله ايا ما فيوقظه ويشتكي ظلامته ويقصد تضييق صدره
فلم يضق به صدرا ومضى معه لينصفه بنفسه فلما راى ابليس ذلك خلاه وذهب وكفاه الله شره
فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر ووفى به بن العباس ذو الكفل هو الياس الحسن هو نبي اسمه ذو
الكفل وقيل هو يوشع بن نون والكفل الحظ والله ضاعف ثوابه لانه ضاعف عمله وقيل
عبد الله في غار جبل والكفل الجبل وقيل هو زكريا قيل خمسة من الانبيا ذو واسمين اسرايل
ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذا النون محمد واحمد كل من الصابرين على
طاعة الله وترك معصيته وادخلناهم في رحمتنا بن عباس الرحمه ها هنا الجنه وقيل النبوه
وقيل النعمه والموالاه انهم من الصالحين من الانبيا سموا صالحين لان صلاحهم لا يشوبه كدر الفساد
ومعنى وادخلناهم في رحمتنا غمرناهم بالرحمة وهو ابلغ من رحمناهم **قوله تعالى** وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين واذكر ذا النون والنون الحوت
وصاحبه يونس بن متى نسب الى الحوت الذي التقمه اذ ذهب مغاضبا المغاضبه مفاعله واكثر

من اثنين كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة وقد تكون من واحد نحو سافرت وسافرت والمغاضبة
منها هنا من هذا الباب بن عباس مغاضبة لقومه واختلفوا في سبب غضبه عليهم بن عباس ان الله
تعالى اوحى الى نبي يقال له شعيا ان ائت فلانا الملك فقل له يبعث نبيا امينا الى بني اسرائيل
وكان قد غزا بني اسرائيل ملك وسبا منهم الكثير فاراد النبي والملك ان يبعثا يونس الى ذلك الملك ليكلمه
حتى يرسلهم فقال يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي فقال لا قال هل سماني قال لا قال فها هنا
غيري من الانبيا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه وقيل ان ذا النون عانا من قومه
امرا صعبا من الاذى والتكذيب فخرج عنهم قبل ان يومنوا ضجرا وما ظن ان هذا الفعل يوجب عليه
ما جرى من العقوبة عن وهب لما حملت عليه اثقال النبوة ضاق بها ذرعا ولم يصبر فقذفها من يده وخرج هاربا
وقيل انه لما اوعدهم العذاب فتابوا ورفع عنهم قيل له ارجع اليهم قال كيف ارجع فيجدوني كاذبا فانصرف
مغاضبا لقومه عاتبا على ربه الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعروة مغاضبا لربه والمعنى مغاضبا من
اجل ربه وانما غضب لاجل تمردهم وعصيانهم بن قتيبة كان مغيظا عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم
مستهيا ان ينزل العذاب بهم فعاقبه الله عن كراهية العفو عن قومه وقيل برم بقومه لطول ما
ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله عز وجل
وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن
الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وظن ان
لن نقدر عليه عن بن عباس وظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه بالعقوبة تقول العرب قدر الله الشي
يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقدرا والقدر ايضا التقدير من الله من القضا وعن بن عباس
انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا
الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا نقدر عليه قال هذا من
القدر لا من القدرة قيل فظن ان لن نضيق عليه يقال قدر عليه عياله مثل قتر ومنه قوله تعالى
فقدر عليه رزقه اي ضيق عليه فيه والمعنى فظن ان لن نضيق عليه الخروج فكانه ظن ان الله تعالى
قد وسع عليه ان شا ان يقيم وان شا ان يخرج ولم يوذن له في الخروج وقيل يصح ان يكون من القدرة
على معنى فظن ان لن نعمل فيه قدرتنا وقيل يصح ان يكون من باب التمثيل بمعنى وكانت حاله ممثلة بحال
من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله وقيل يجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس
اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين فنادى في الظلمات
ذهب يونس من قومه حتى بلغ السفينة فساهم فسهم فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فنادى
في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت وقيل
ظلمة الامعاء وظلمة البطن وظلمة البحر وظلمة الليل وقيل التقم ذلك الحوت حوت اخر اكبر منه
فتكون الظلمات ستا ان لا اله الا انت اي فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج عنه كلمة اخي يونس فنادى
في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الحسن وهذا اعتراف
من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته وعنه ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له اي اجبناه
ونجيناه من الغم من الظلمات وكذلك ننجي المومنين اذا دعونا **قوله تعالى** وزكريا اذ نادى ربه

رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم
كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين واذكر زكريا تقدم
امر زكريا عليه السلام في مريم واصلحنا له زوجه اي جعلناه زوجة صالحة للولادة بعد عقرها
وقيل انه كان في لسانها طول وهو البذا فاصلحنا له وقيل كانت سليطة فكف عنه لسانها وقيل
كان خلقها سيا فاصلحناها له انهم ان المذكورين من الانبيا كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون اليها ويدعوننا رغبا فيما عندنا ورهبا من عقابنا وكانوا لنا خاشعين متواضعين
خايفين **قوله تعالى** والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين
واذكر التي احصنت فرجها وهي مريم بنت عمران احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني
بشر ولم اك بغيا فنفخنا قال صاحب الكشاف فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيايه قال الله
تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا
ظاهر الاشكال لانه يدل على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها
ويجوز ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا
النفخ في مريم من جهة روحنا جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافة الروح
اليه تعالى للتشريف وجعلناها وابنها اية للعالمين لما كان شانهما واحدا كانت الاية فيهما واحدة
وهي ولادة من غير فحل **قوله تعالى** ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا
امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الملة الامة قيل يجوز ان يكون الكلام متصلا بما قبله
اي جعلنا مريم وابنها اية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه امتكم اي دعي الجميع الى
الايمان بالله وعبادته ثم اخبر انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم وقيل ان هذه امتكم
كلام منقطع خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة
الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم
اله واحد فاعبدون وتقطعوا اول الاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف من الخطاب
الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولا في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم
قطعا كما تتوزع الجماعة الشي ويتقسمونه فيصير لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هولا الفرق المختلفة الينا يرجعون فهو محاسبهم
ومجازيهم ثم فرق بين المحسن والمسي فذكر المحسن بالوعد فقال تعالى فمن يعمل من الصالحات
وهو مومن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد سعيه اي يقبل منه ويثاب عليه والكفران مثل في حرمان
الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه اذا قيل له شكور وقد نفى الجنس ليكون ابلغ من ان يقول
فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون ذلك السعي في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب
عليه صاحبه والمعنى نامر الحفظة الكرام الكاتبين ان يكتبوه ثم ذكر المسي بالوعيد فقال وحرام
قرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم وحرم بكسر الحا وسكون الرا والباقون بفتح الحا والرا
والف بعد الرا وهما لغتان يقال حرم وحرام واستعير الحرام للمنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله
حرمهما على الكافرين اي منعهما وابى ان يكونا لهم على قرية اهلكناها اي اردنا اهلاكها انهم
لا يرجعون من الكفر الى الاسلام والانابة والمعنى قوما اراد الله اهلاكهم وقلبهم غير متصور

ان يرجعوا من الكفر ويسووا الى يوم القيامه فحينئذ يرجعون **قوله تعالى** حتى اذا فتحت ياجوج وما
جوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا انا كنا ظالمين حتى قيل حرف ابتدا بسبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود
ذكره قيل جوابه اقترب الوعد والواو زايده نظيره حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقوله
فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي فتحت ابوابها ناديناه وقيل جوابه في قوله يا ويلنا التقدير قالوا يا
ويلنا وليست الواو زايده وقيل الجواب في قوله فاذا هي شاخصه وقيل متعلقه بقوله وتقطعوا
وقيل يرجعون وقيل حتى متعلقه بحرام وهي غاية للحرام لان امتناع لا يزول حتى تقوم القيمه
وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجمله من الشرط والجزا اعني اذا وما في حيزها اذا
فتحت قرا ابن عامر فتحت بالتشديد والباقون بالتخفيف ياجوج وماجوج اي فتحت سد ياجوج
وماجوج يخرجون حتى يفتح السد وقيل جميع الناس المسوقون الى المحشر من كل حدب نشز
من الارض واكمه ينسلون يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذيب اذا
بادر والعسلان مثله واقترب الوعد الحق اي القيامه والحق الذي لا خلف فيه واقترب
عطف على فتحت فاذا هي اذا المفاجاه وهي تقع في المجازاه ساده مسد الفا كقوله تعالى اذا هم
يقنطون فاذا جات الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصه
او فهي شاخصه كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا ضمير الفاعل
في اسروا شاخصه ممتليه لا تطرف تقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لا يطرف
ابصار الذين كفروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال
من الذين كفروا قد كنا في الدنيا في غفله من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بترك الايمان
به **قوله تعالى** انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هولا
الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون انكم ايها المشركون وما
تعبدون الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم من دون
الله حصب جهنم الحصب ما يحصب به في النار اي يرمى قال ابو عبيده في قوله تعالى كلما القيته في النار
فقد حصبتها به اي وقودها انتم لها واردون داخلون لو كان هولا الهة كما زعمتم ما وردوها
ما دخلوا جهنم وكل منكم ومما تعبدون في جهنم خالدون لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وبكا
وعويل وهم في جهنم لا يسمعون شيا الحسن صاروا عميا وبكما وقيل لا يسمعون ما يسرهم وقيل
لانهم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخرى ثم جعلت التوابيت في توابيت
اخرى فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيا ولا يرى منهم احد ان في النار احدا يعذب غيرهم ثم
استثنى تعالى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبه ثلثماية وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه
ثم تلى عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الايه فاقبل عبد الله بن الزبعرى فراهم
يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيره بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى اانت قلت ذلك قال
نعم قال قد خصمتك ورب الكعبه اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنوا
مليح عبدوا الملايكه فقال صلى الله عليه وسلم هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل

الله

الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وانما قرنوا بالهتهم لانهم
لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم والنظر الى وجه العدو باب
من العذاب فلانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخره ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا
الامر على خلاف ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضله في
الحسن تانيث الاحسن اما السعاده واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعه اولئك عنها
اي الذين سبقت لهم منا الحسنى عن جهنم مبعدون **قوله تعالى** لا يسمعون حسيسها وهم
فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملايكه هذا يومكم الذي كنتم توعدون
لا يسمعون حسيسها صوتها والحسيس الصوت تسمعه من الشي اذا مر قريبا منك عن ابن عباس لا يسمع اهل
الجنه حسيس اهل النار اذا نزلوا منازلهم من الجنه وهم الذين سبقت لهم الحسنى في ما اشتهت
انفسهم خالدون والشهوه طلب النفس اللذه اي في غاية التنعم ونعيم الجنه وملاذها لا يحزنهم
الفزع الاكبر ابن عباس النفخه الاخيره التي بها يقوم الناس من قبورهم سعيد بن جبير
اطباق النار على اهلها ابن جريج ذبح الموت بين الجنه والنار الحسن حين يومر بالعبد الى النار
وتتلقاهم اي وتستقبلهم الملايكه مهنين على ابواب الجنه يقولون هذا يومكم الذي كنتم
توعدون في الدنيا اي وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا قد حل **قوله تعالى**
يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم اي يوم نطوي السما طيا كطي السجل
الصحيفه للكتاب للمكتوب قرا حمزه والكساي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع والباقون
للكتاب عن علي وابن عمر رضي الله عنهم والسدي السجل ملك عن ابن عباس السجل كاتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه ايضا السجل بمعنى الرجل فعلى هذه الاقوال الكتاب اسم
الصحيفه المكتوب فيها اول خلق نعيده مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والذي نعيده والكاف
مكفوفه بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدانه تشبيها للاعاده بالابدا في تناول القدره
لهما على السوا وقيل كما بداناهم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم
القيامه نظيرها قوله تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مره وقوله تعالى وعرضوا
على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مره ابن عباس يقول يهلك كل شي كما كان
اول مره وقيل كما بدانا من الما نعيده من التراب وقيل كما اوجدنا اولا عن عدم نعيده
ثانيا عن عدم والتنكير في خلق كالتنكير في رجل في قولك هو اول رجل جاني يريد اول
الرجال ولكنك وحدته ونكرته اراده تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول خلق اول
الخلق بمعنى اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع ويجوز ان ينتصب الكاف بفعل مضمر
يفسره نعيده وما موصوله اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبدانا اه
اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر
موكد لان قوله نعيده عده للاعاده انا كنا فاعلين قادرين على ما نشا ان نفعل وقيل انا
كنا فاعلين ما وعدناه **قوله تعالى** ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون ولقد كتبنا في الزبور وقيل الزبور اسم الجنس ما انزل على
الانبيا من الكتب والذكر ام الكتاب اللوح المحفوظ الذي عند الله وقيل الزبور الكتب
والذكر التورية والانجيل وقيل الزبور زبور داود والذكر التوراة من بعد

الذكر ان الارض قيل ارض الجنه وقيل ارض الدنيا وقيل الارض المقدسه يرثها عبادي
الصالحون بن عباس امة محمد صلى الله عليه وسلم ترث ارض الدنيا بالفتوح وقيل بنو ا
اسرايل وقيل عام في كل صالح وقيل يرثها المومنون بعد انجلا الكفار لقوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبه للمتقين **قوله
تعالى** ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل اذنتكم على سوا وان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون ان في هذا المذكور في هذه السوره من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغه لبلاغا البلاغ الكفايه وما يبلغ به البغيه لقوم عابدين موحدين مطيعين وقيل البلاغ مقنعا
ومكتفي وقيل بلاغا يبلغون رضوان الله وجزيل ثوابه وقيل فيما نعبد نا امة محمد صلى الله
عليه وسلم من الصوم والصلوه وغير ذلك بلاغ في عبادة الله وقيل في تورث الجنه الصالحين
بلاغ في المجازاه اي كفايه وما ارسلناك يا محمد الا رحمة للعالمين نعمة تشملهم قيل هي للمومنين خاصه
وقيل عام فيهم امعنا من الخسف والمسخ والعذاب وقيل هو تعريضهم للنعيم الدايم لكن فوتوه على
انفسهم بكفرهم قل يا محمد انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون انما لقصر الحكم
على شي او لقصر الشي على حكم لقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه
الايه لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزله انما زيد قايم
وفايدة اجتماعهما الدلاله على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على اثبات وحدانية
الله وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان
تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانيه يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى
ان الذي يوحى الي فيكون ما موصوله فان قيل لو دل انما على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح
الى الرسول شي الا التوحيد ومعلوم انه ليس كذلك اجيب بان المقصود المبالغه فان تولوا فقل اذنتكم
على سوا اذن منقول من اذن اذا علم ولكن كثر استعماله في الجري مجرى الانذار يعني اعلمتكم على بيان
انا واياكم حرب لا صلح بيننا واني مخالف لدينكم وقيل معناه على سوا من الانذار لم اظهر بعضكم على شي
كتمته عن غيره قيل المعنى اي بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله
وتنزيهه عن الانداد والشركا كرجل بينه وبين اعدايه هدنه فاحس منهم بغدره فنبذ
اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه واذنهم جميعا بذلك على سوا اي مستوين في الاعلام به
لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحاه وقيل ليستووا في الايمان به
وهذا من فصيحات القران وان ادري وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون يعني
يوم القيامه وقيل وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كاين لا محاله ولا بد من ان يلحقكم بذلك
الذله والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني **قوله
تعالى** انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
انه يعلم اي يعلم العلانيه من القول وهو ما يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد
وقيل ما يجهرون به من الطعن في الاسلام وما يكتمون من ان العذاب لا يكون وقيل وما يكتمونه
في صدورهم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد
وان ادري اي وما ادري لعل تاخير العذاب او الموعد فتنة بلا واختبار لكم ومتاع تمتيع

بلغ باصله

لكم

لكم الى حين انقضا اجالكم وهو المقرب وقيل الى يوم بدر وقيل الى اجل يقضي الله فيه ما يشا وعن الشعبي
لما سلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الامر لمعاويه قال له معويه قم فاخطب فاعتذر الى الناس فقام
الحسن رضي الله عنه فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اكيس الكيس التقي وان احمق الحمق الفجور وان
هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاويه اما حق امر كان احق به واما حق لي فتركته التماس الصلاح لهذه
الامه ثم قال وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين **قوله تعالى** قل رب احكم بالحق وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون قرا حفص عن عاصم قال رب احكم بالالف على حكاية قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم والباقون على الامر اي قل يا محمد يا رب احكم اقض بيننا وبين اهل مكة بالحق بالعذاب
الذي هو له حق كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر عن قتاده كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال صلى الله عليه وسلم
اشدد وطاتك على مضر وربنا الرحمن على خلقه بالرزق المستعان على ما تصفون من كذبكم وباطلكم

سورة الحج مكيه

غير ست ايات نزلت بالمدينه وهي قوله تعالى هذان خصمان الى قوله
وهدوا الى صراط الحميد ابو صالح عن بن عباس انها مكيه كلها غير ايتين نزلتا بالمدينه قوله ومن الناس
من يعبد الله على حرف والتي تليها وفي روايه اخرى عن بن عباس انها مدنية الا اربع ايات نزلت بمكه وهي قوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول الى اخر الاربع عطا نزلت بمكه الا ثلث ايات منها نزلت بالمدينه هذان
خصمان والثلث بعدها ابو سليمان الدمشقي اولها مدني الى قوله وبشر المحسنين وساير مكي هبة ابن سلامه
هي من اعاجيب سور القران لان فيها مكيا ومدنيا وحضريا وسفريا وحربيا وسلميا وليليا ونهاريا وناسخا
ومنسوخا فاما المكي فمن راس خمس الى راس تسع واما السفري فمن راس تسع الى اثني عشر واما الحضري
فالى راس العشرين نسب الى المدينه لقرب مدته وهي خمسة الف وخمسه وتسعون حرفا والف ومايتان واحدى
وتسعون كلمه وثمان وتسعون ايه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها
وعمرة اعتمر بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم اتقوا ربكم احذروا عقابكم ان زلزلة الساعة شدة التحريك
والازعاج وان تضاعف زليل الاشيا عن مقارها ومراكزها من قولهم زلت قدمه اذا زلت عن
الجهه بسرعه ثم ضوعف اضافة الزلزله الى الساعة يحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى الفاعل
بان يقدر الساعه فاعله للزلزله كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي او على الاستعاره بالكنايه بان يجعل
الساعه استعاره بالكنايه عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغه في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعاره
ويحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى المفعول فيه على طريقه الاتساع في الظرف واجرايه مجرى المفعول به
لقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزله المذكوره في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها قيل وقت
هذه الزلزله يوم القيمه بعد النشور روى عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا ان
ان زلزلة الساعة شي عظيم قال تدرون اي يوم ذلك فانه يوم ينادي الرب عز وجل ادم عليه السلام قم
فابعث بعث النار من ولدك فيقول يا رب من كل كم فيقول الله من كل الف تسع مايه وتسع وتسعين
الى النار فحينيذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وعن بن عباس زلزلة الساعة قيامها يعني انها
تقارن قيام الساعة وتكون معها الحسن والسدي هذه الزلزله تكون يوم القيمه وقيل انها تكون في الدنيا
قبل القيمه وهي من اشراط الساعه قاله علقمه والشعبي وبن جريج وروى ابو العاليه عن ابي بن كعب قال ست
ايات قبل القيمه بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضو الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم
كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت ففزع الجن الى الانس والانس الى الجن واختلط

علي

الدواب والطير والوحش فماج بعضهم في بعض فقالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى
البحور فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض الى الارض السابعه وتصدعت السما الى السما
السابعه فبينما هم كذلك اذ جاتهم الريح فماتوا فمقاتل هذه الزلزله قبل النفخة الاولي وذلك ان مناديا
ينادي من السما يا ايها الناس اتى امر الله فيفزعون فزعا شديدا فيشيب الصغير وتضع الحوامل
شي عظيم لا يوصف لعظمه ان الله نبى بالتقوى من الكفر ومن المحظورات ترك الواجبات وارتكاب المحرمات
ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفه ببصاير هم ويتصوروها
بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى
الذي لا يومنهم من تلك الافزاع الا ان يتزودوا به **قوله تعالى** يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم ترونها منصوب
بتذهل الضمير المنصوب في ترونها للزلزله وقيل للساعة تذهل تغفل والذهول الذهاب عن الامر مع
دهشه وقيل تسلو وقيل تنسى كل مرضعه وهي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها
ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعه ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجيت به من
وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشه وذكر كل مرضعه على سبيل العموم تنبيه
على ان الهول عظيم لتاثيره في الكل عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل جعلته
من جمله ما لا يعقل وتضع كل ذات حمل حملها الحسن تذهل المرضعه عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام وهذا يدل على ان الزلزله تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى قرا حمزه والكسائي وخلف سكرى وما هم بسكرى والباقون سكارى
وما هم بسكارى والمعنى ترى الناس سكارى وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد
هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل
وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الخمر قال اولا ترونها لان الرويه علقت بالزلزله
فجعل الناس جميعا رائين لها واخيرا ترى لان الرويه معلقه بكون الناس على حال السكر فلابد ان
يجعل كل واحد منهم رائيا لساير هم **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل
شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير نزلت في النضر بن
الحارث وكان كثير الجدال يقول الملايكه بنات الله والقران اساطير الاولين ويزعم ان الله تعالى
غير قادر على احيا من بلى وعاد ترابا وهي عامه في كل من جادل في الله فيما يجوز على الله وما
لا يجوز من الصفات والافعال بغير علم وليس فيه اتباع للبرهان فهو يخبط خبط عشوا غير فارق
بين الحق والباطل ويتبع في جداله كل شيطان مريد عات غاو متجرد للفساد كتب عليه كتب الله
وقضى عليه على الشيطان المريد وقيل كتب فيما تقدم من الكتب الاخبار بذلك ان الامر
والشان من تولاه من تبع الشيطان واحبه ونصره فانه فان الشيطان يضله ويجوز ان يكون
الضمير المنصوب لمن او للامر اي يضله عن الصراط السوي ويهديه الى عذاب السعير وقيل تقديره
من تولى الشيطان يضله الله ويهديه الى عذاب السعير والمعنى كتب الله على الشيطان اضلال
من تولاه وهدايته الى عذاب النار قال صاحب الكشاف وما ارى روسا اهل الاهوا والبدع
والحشويه المتلقبين بالامامه في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين
اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه
بلحومهم ودمايهم واياهم عنى من قال ويا رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاه عندهم مستو نهج

علي التشبيه

ولو

ولو قراوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقتهم عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح
الذي رضيته لملايكتك في سمواتك وانبيايك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
هذا الذي ذكره صحيح ان لم يرد به باطل والا فعارض بطريق القلب **قوله تعالى** يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه مخلقه وغير
مخلقه لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض هامده فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت وانبتت من كل زوج بهيج انه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في اثبات الحشر
والنشر وذمهم اورد الدلاله على صحة ذلك من وجهين احدهما مراتب الخلقه الاولى يا ايها الناس يا
اهل مكه ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل
ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم ان للشرط في الاستقبال والاصل فيها الخلو عن الجزم بوقوع الشرط
فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكته وهي اما التجاهل لاستدعا المقام اياه واما ان المخاطب
ليس بجازم كما تقول لمن كذبك فيما انت مخبر واما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه
موجب العلم والامتناع الجزم بتحقق المعلق بما في تحققه شبهه فلما ترك المضارع الى الماضي المؤذن
بالتحقق نظرا الى لفظه من غير نكته مثل ما اذا لم يحتمل المعلق شبهه اذا عرفت هذا فنقول
قال ان كنتم في ريب ولم يقل ان ارتبتم بما يدل على ان الريب كاين متحقق واكد تحقق الريب بجعله
ظرفا لهم واراد لفظ ان مع المرتابين لقصد التوبيخ على الريبه لاشتمال المقام على ما يقلعها وتصوير
ان المقام لا يصلح الا لمجرد الفرض للارتياب كما قد يفرض المحالات متى تعلقت بفرضها اغراض فانا
خلقناكم من تراب قيل يعني اباكم الذي هو اصل النسل ووالد البشر من تراب وقيل انا خلقناكم من تراب
لا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره فانه كان النطفه من مراتب خلقه البشر لذلك التراب ايضا من
مراتبها فان النطفه من دم الطمث وهي من الاغذيه والاغذيه من الحيوان والنبات والنبات
من التراب والما فصح قوله خلقناكم من تراب من غير تاويل ثم من نطفه وهي المني واصلها
الما القليل ثم من علقه قطعه دم جامد ثم من مضغه قطعة لحم مقدار ما يمضغ مخلقه
مسواه ملسا من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من
قولهم صخره خلقا اذا كانت ملسا ابن عباس وقتاده مخلقه تامه الخلق وغير مخلقه غير تامه
مجاهد مصور وغير مصور يعني السقط قيل كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوته منها ما هو كامل
الخلقه املس من العيوب ومنها ما هو عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم
وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقه
الى خلقه عن ابن مسعود اذا وقعت النطفه في الرحم بعث الله عز وجل ملكا فقال يا رب
مخلقه او غير مخلقه فان قال غير مخلقه مجتها الارحام دما وان قال مخلقه قال يا رب
فما صفة هذه النطفه اذكر ام انثى ما رزقها ما اجلها اشقي ام سعيد فيقال له انطلق الى
ام الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفه فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي
على اخر صفتها لنبين لكم بهذا التدريج والانتقال من نوع الى اخر كمال قدرتنا وحكمتنا
في تصريفنا اطوار خلقكم وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفه ثانيا ولا تناسب
بين التراب والنطفه وقدر على ان يجعل النطفه علقه وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقه
مضغه والمضغه عظاما قادر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدره من تلك

واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه تتبين بها من قدرته
وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقيل لنبين لكم رشدكم وضلالكم وقيل نقلناكم في ابتدا
الخلق من حال الى حال مع قدرتنا على انشاكم دفعة واحدة لنبين قدرتنا على ما نشا ونقر في الارحام
ثم نخرجكم طفلا استيناف واخبار بانه نقر في الارحام ما نشا ان نقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع
اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع او كما نشا وقدر وما لم نشا اقراره مجته الارحام او اسقطته
وقيل يحتمل ان يكون لنبين تعليلا لقوله غير مخلقة اي غير مخلقة مجتها الارحام لنبين لكم على سبيل المشاهدة
انكم على هذه الصور فنقلناكم من هذه الحالة الى حالة الكمال ليدل على كمال قدرتنا ثم استانف وقال
ونقر في الارحام ثم نخرجكم طفلا ثم نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا اي صغارا او الطفل يقع على الجمع
لقوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا او قيل نخرج كل واحد طفلا وقيل في الاصل مصدر ولهذا لم
يجمع وطفلا نصب في الحال ثم لتبلغوا فيه اضمار تقديره ثم نعمركم لتبلغوا اشدكم كمال قوتكم وعقلكم وتمييزكم
وهو من الفاظ الجموع التي لم تستعمل لها واحد كالاسدة والقيود وغير ذلك وكانه شد في غير شي فبنيت
لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى من قبل بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم وهو اهونه
واخسه عند اهله لانه يصير كلا عليهم وقيل ارذل العمر الشيب لانه لا يرجو بعده قوة ولا بقا وافاد
بقوله يرد الرجوع الى حاله كان عليها قبل وهي الضعف لكيلا يعلم من بعد علم شيا اي لا يستفيد علما
وينسى ما كان عالما به وقيل ليصير نسا بحيث اذا اكتسب علما في شي لم يلبث ان ينساه ويزل عنه علمه
حتى يسال عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وترى الارض
هامدة هذا هو الوجه الثاني من الدلالة على صحة البعث باحيا الارض ولظهورها ولانه مشاهد
ذكرها الله في كتابه الكريم هامدة ميتة يابسة لا نبات بها فاذا انزلنا عليها الماء يعني المطر اهتزت
تحركت بالنبات فيه وربت انتفخت وقيل زادت واضعفت النبات بمجي المطر وانبتت من كل
زوج من كل صنف بهيج حسن سار للناظر اليه **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي
الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ذلك
الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحيا الارض مع ما في تضاعيف ذلك من انواع الحكم واصناف اللطايف
لتعلموا بان الله هو الحق الثابت الموجود وانه يحيي الموتى اي وانه قادر على انه يحيي الموتى وانه
على كل شي قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قال الامام انه
سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر خمسة امور
احدها ذلك بان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه سبحانه بين ان هذه الاطوار
المتنافية المتواردة على الاجسام يدل على وجود الصانع وثانيها قوله وانه يحيي الموتى فهذا
تنبيه على انه لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات
وثالثها قوله وانه على كل شي قدير يعني ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشيا لا بد وان يكون
واجب الاتصاف بالقدرة لذاته ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة ورابعها
قوله وان الساعة اتية لا ريب فيها اي انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة فيجب
ان تاتي الساعة بلا ريب وخامسها قوله وان الله يبعث من في القبور فالمعنى انه سبحانه
لما اقام الدلايل على الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع
بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه
قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه

ليضل

ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل هذا انما نزل في النضر بن الحرث
وكرر كما كرر ساير الاقاصيص وفايدة التكرار المبالغة في الذم وقيل الاول في المقلدين وهذا في
المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي وقيل بغير علم حجة وبرهان وعقل ولا هدى سنة متبعة ولا كتاب منير واضح مبين انزل
من عند الله وحصول علم الانسان من هذه الوجوه الثلثة اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة ثاني
عطفه متكبرا وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلا كتصعير الخد ولي الجيد وقيل ثني العطف عبارة عن الاعراض
ليضل تعليل للمجادلة فانه لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه
واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في الدنيا خزي اي عذاب
وهوان وهو ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبي ذلك اي خزي الدنيا وعذاب الاخرة بما قدمت
يداك من الجدال بغير علم والشرك وانكار البعث وان الله ليس بظلام للعبيد فيعذبهم بغير ذنب وهو سبحانه
على اي وجه تصرف في عبده فانه غير ظالم بل الظالم المتعدي المتحكم في غير ملكه **قوله تعالى** ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير عن ابن عباس ان ناسا من العرب كانوا ياتون رسول الله فيقولون نحن على
ذلك فان اصابوا معيشة ونتج خيلهم وولدت نساوهم الغلمان اطمانوا وقالوا هذا دين حق وان لم يجر الامر
على ذلك قالوا هذا دين سو فينقلبون عن دينهم فنزلت هذه الاية وقيل ان رجلا من اليهود اسلم فذهب بصره
وماله وولده فتشام بالاسلام فاتى رسول الله فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب
في ديني هذا خيرا اذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام ليسبك الرجال كما تسبك
النار خبث الحديد والفضة والذهب فنزلت هذه الاية ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونه على قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمانينة كالذي
يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه مجاهد على شك وقيل
على ضعف في العبادة كضعف القايم على حرف مضطربا فيه وقيل على لون واحد في الاحوال كلها يتبع
مراده ولو عبدوا الله في الشكر على السرا والصبر على الضرا ما عبدوا الله على حرف الحسن هو المنافق
يعبد بلسانه دون قلبه فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به اي رضي واطمان به
واقام عليه وان اصابته فتنة بلا في جسمه وضيق في معيشته ونقص في الاموال والانفس والثمرات انقلب
على وجهه اي ارتد فرجع الى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا بترك التسليم لقضا الله والخروج
الى ما يسخط الله والاخرة بذهاب ثواب الصابرين ذلك خسران الدنيا والاخرة هو الخسران المبين الظاهر
حاله لا خسران اعظم منه يدعو من دون الله يعبد من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره ذلك اي دعاوه
لمن لا ينفعه ولا يضره هو الضلال البعيد الذهاب عن الحق ذهابا بعيدا استعير الضلال البعيد
من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته يدعو لمن ضره قيل هذه اللام
صلة والتقدير يدعو من ضره اقرب من نفعه وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين ان اللام
معناها التاخير والمعنى يدعو لمن ضره قال الزجاج وجه هذا ان اللام لليمين والتوكيد
فحقها ان يكون اول الكلام فقدمت ليجعل في حقها وقيل اللام جواب قسم تقديره يدعو والله
لمن ضره اقرب من نفعه وقيل يدعو بمعنى يقول ولمن ضره مبتدا وخبره مضمر تقديره يقول لمن ضره

اقرب من نفعه مولاي وقيل يدعو تكرار للاول ومفعوله هو مفعول الاول لمن ضره مبتدا خبره لبيس المولى وقيل يدعو حال من الضلال البعيد وقيل ذلك هنا موصول هو الضلال البعيد صلته وهو نصب بيدعو ويجوز ان يكون رفعا خبره يدعو على تقدير يدعوه قال صاحب الكشاف الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبيس المولى النار ولبيس العشير لقوله فبيس القرين **قوله تعالى** من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قيل نزلت الاية ابتداء من غير سبب ذكر كاكثر القران وقيل هو متصل بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقيل نزلت في قوم من اسد وغطفان تباطوا عن الاسلام وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفاينا من اليهود فلا يميرونا ولا يوونا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطيون ما وعدهم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يتم امره فنزلت الاية فمن في قوله من كان يظن عام على قول من لم يذكر للاية سبب نزول وخاص في قول من يحكي له سببا قيل ضمير المفعول في ينصره عايد على من والنصر بمعنى الرزق عن ابن عباس وقف علينا سايل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله ويقال نصر المطر ارض كذا اي جادها واحياها قال الراعي وانصري ارض عامر ومعنى الكلام من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت فليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ما يغيظ وهو خوفه ان لا يرزق والنصر على هذا القول الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يرزقني رزقه الله قال ابو عبيد تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة كان الله تعالى اعطاها المطر وقال العتبي وانك لا تعطي امرا فوق حقه ولا يملك الغيث ناصره واكثر المفسرين على ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة يقول الله تعالى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب اي بحبل الى السما الى السقف فليختنق حتى يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق به قرا ابو عمرو وابن عامر ثم ليقطع ثم ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بكسر اللام فيها ولورش كذلك لام ليقضوا الحسب وقرا عاصم وحمزة والكساي يسكنون هذه اللامات لذلك في كل القران اذا كان قبلها واو وفا او ثم فلينظر هل يذهبن كيده صنيعه وحيلته ما يغيظ هذا اقوال اكثر اهل التاويل وانما معنى الاية فليصور هذا في نفسه وليس يحتم لانه اذا اختنق ومات لا يمكنه القطع والنظر وهذا كما تقول في الكلام للحاسد او المعاند ان لم ترض هذا فاختنق وقيل السما في هذه الاية هي السما المعروفة بعينها ومعنى الاية من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكايده في دينه وامره ليقطعه عنه فليقطع ذلك من اصله من حيث ياتيه فان اصله في السما فليمدد بسبب بحبل الى السما المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع اصله عنه فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل وقيل هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة من كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه

فليستقص

السوء الذي

فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سما بيته فاختنق فلينظر وليتصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره وعلى سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل معناه ان الارزاق بيد الله عز وجل لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب قسمته ولا يرده مرزوقا **قوله تعالى** وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات وانزلنا ان الله يهدي من يريد يدل على الهداية بفعل الله ومشيته **قوله تعالى** ان الذين امنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شي شهيد لما قال تعالى وان الله يهدي من يريد بين في هذه الاية من يهديه ومن لا يهديه المجوس هم الذين عبدوا النار وقالوا ان للعالم اصلين نور وظلمة عن قتادة الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن ان الله يفصل بينهم الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل يفصل بينهم اي يحكم بينهم اي بين المومنين والكافرين يوم القيامة ان الله يفصل بينهم خبر لقوله ان الذين امنوا دخلت على كل واحد من جزءي الجملة لزيادة التاكيد ونحو قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ان الله على كل شي شهيد عالم به حافظ له ولا حاجة الى تقييد كل شي بقوله من اعمالهم **قوله تعالى** الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا الم تر يعني بقلبك وعقلك ان الله يسجد له قيل يطيع له فيما يحدث فيه من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سميت مطاوعته له فيما يحدث فيه من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعته بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قيل السجود على المعنى الذي فسر به لا يسجد بعض الناس دون بعض فانه عام في كل الناس فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة وايضا قد اسنده اولا على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن فاسناده الى كثير من الناس اجراما ناقضه لان معناه لبعض الناس لا يسجدون اجيب بان السجود بالمعنى الذي ذكرناه وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته لا يكون ساجدا بظاهره واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وهذا الجواب لا يستقيم على تقدير ان يفسر السجود بمعنى واحد عام للجميع وبانه يجعل كثير مرفوعا بالابتدا ولا يجعل معطوفا على المفردات المتناسقة التي هي فاعله يسجد والخبر محذوف وهو مثاب والمعنى وكثير من الناس مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ورد هذا بان الاصل عدم الحذف على انه يخرج الكلام من الانتظام الملايم لبلاغة القران وقيل يجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي وكثير من الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصلحا والمتقون ورد بان هذا تعسف ينبغي ان ينزه القران عنه وقيل يجوز ان سايغ في حسن المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليه

كانه قيل و كثير حق عليه العذاب ولا يخفى ان هذا الوجه يوجب تفكيك النظم البليغ القراني الى ما يلايمه قال صاحب الكشاف لا انظمه في المفردات المتناسقه الداخل تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعه والعباده في حق هولاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين ولقايل ان يقول لا محذور في استعمال اللفظ الواحد في حالة واحدة على معنيين مختلفين لما بين في المقدمه والتزام استعمال اللفظ الواحد على معنيين اولى من تقدير لفظ اخر يدل على المعنى الواحد المذكور ومن يهن الله بالشقاوة وادخال النار فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانه على حسب مشيته لا على حسب ما تقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين فانه مقيد بلا دليل مع وجود دليل دال على خلافه **قوله تعالى** هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رووسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق الخصم صفه وصف بها الفوج او الفريق كانه قيل هذان فوجان او فريقان مختصمان وهذان للفظ واختصموا للمعنى لقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا الحسن هذان اي جميع المومنين والكفار وعن ابن عباس رجع الى الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته عكرمه انها نزلت في اختصام الجنه والنار فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنه خلقني الله لرحمته عن ابن عباس وقتاده انها نزلت في اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت هذه الايه روى قيس بن عباد ان اباذر الغفاري كان يقسم بالله سبحانه لنزلت هذه الايه في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر حمزه بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعبيده بن الحارث رضي الله عنهم وعتبه وشيبه ابني ربيعه والوليد بن عتبه قال وقال علي رضي الله عنه اني لاول من يجثو للخصومه يوم القيمه بين يدي الله فالذين كفروا هذا احد الفريقين قطعت لهم ثياب من نار سويت وجعلت لباسا وقدرت كان الله تعالى قدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسه ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهره على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران عن سعيد بن جبير ثياب من نحاس من نار وليس في الانيه شي اذا احمي اشد حرا منه يصب من فوق رووسهم الحميم الماء الحار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحميم ليصب على رووسهم فينفذ الجمجمه حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان يصهر به اي يذاب يقال صهرت الاليه والشحم بالنار اذا اذبتها والجلود اي اذا صب الحميم على رووسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولهم مقامع اي سياط من حديد واحدتها مقمعه سميت بذلك لانها تقمع المضروب اي تذلله عن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطه على جبال الدنيا لاذابتها وفي الحديث لو وضعت مقمعه منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غمها وحرها فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك

قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ولولوا قرا نافع وابو بكر عن عاصم ولولوا بالنصب على انه مفعول يحلون عطفا على اساور اي يحلون اساور ولولوا والباقون بالجر على انه عطف على ذهب اي يحلون اساور من ذهب ومن لولو وهدوا اي هداهم الله الى الطيب من القول وهو شهادة ان لا اله الا الله والحمد لله والله اكبر وقيل القران وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدوا الى صراط الحميد عن ابن عباس هو طريق الاسلام وقيل هدوا الى طريق الجنه **قوله تعالى** الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس من الدخول في الاسلام ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دايم لا يراد حال او استقبال يقال فلان يحسن الى الفقرا لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه ومنه قوله تعالى ويصدون والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه وبيناه للناس كلهم اي الذي يقع عليهم اسم الناس لم يخص به منهم بعض دون بعض سواء العاكف المقيم فيه والباد الطارئ المنتاب اليه من غيرهم من غير فرق بين حاضر وباد وتاني وطارئ ومكي وافاقي قيل سواء العاكف فيه والباد في تعظيم حرمته وقضاء النسك به وحق الله الواجب عليهما واليه ذهب مجاهد وقيل هما سواء في النزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الاخر وحرموا بهذه الايه كراء دور مكه وكرهوا اجارتها في ايام الموسم قال عبد الله بن عمر سواء اتينا محرما او كراء دار مكه وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكه لم يكن احد من اهل مكه احق بمنزله منهم فكان الرجل اذا وجد سعه نزل ففشا فيهم السرق وذلك انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فارسل اليه عمر رضي الله عنه اتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته ليحرز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال البادي فيه كالمقيم ليس احد احق بمنزله من احد الا ان يكون سبق الى منزل والى هذا القول ذهب ابن عباس وابن جبير وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل عن اسحق بن راهويه جالست الشافعي بمكه فتذاكرنا في كراء بيوت مكه وكان الشافعي يرخص فيه وكنت لا ارخص فيه فذكر الشافعي حديثا وسكت واخذت انا في الباب اسرد قال الشافعي لي انا ناظر قلت وللمناظره جيت فقال قال الله الذين اخرجوا من ديارهم نسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن وهل ترك لنا عقيل من رباع نسب الديار الى اربابها وقال اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالك او غير مالك فلما علمت ان الحجه قد لزمتني قمت قرا حفص عن عاصم سواء بالنصب قال ابو علي الفارسي ابدل العاكف والباد من الناس من حيث كانا كالشامل لهم فصار المعنى جعلناه للعاكف والبادي سواء والباقون بالرفع وقرا ابن كثير وابو عمرو والبادي بالياء ابن كثير وقف بالياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الحالين ومن يرد فيه بالحاد وهو العدول عن القصد واصله الحاد الحافر بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما عن مجاهد وقتاده بالحاد بظلم هو الشرك ان يعبد فيه غير الله عز وجل وقيل هو استحلال الحرام وركوب الاثام فيه عن ابن مسعود ما من رجل يهم بسيئه فتكتب عليه ولو ان رجلا هم بقتل مومن عند البيت وهو بعدن اذاقه الله في الدنيا من عذاب اليم وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطا قول الرجل في المبايعه لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله بلى والله

نذقه من عذاب اليم في الاخره جواب الشرط كانه قيل ومن يرد فيه مرادا عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك **قوله تعالى** واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق واذكر اذ جعلنا لابرهيم مكان البيت مباة مرجعا يرجع اليه للعباده والعمارة وقيل واوصينا اذ بوانا لابرهيم مكان البيت يقول تبوا الرجل منزلا اتخذه وبواه غيره منزلا اعطاه واصله باء اذا رجع وبواته جعلته له منزلا يرجع اليه واللام في لابرهيم زياده لقوله بوانا بني اسرايل وقوله تبوي المومنين مكان البيت موضع الكعبه قيل المكان جوهر يمكن ان يثبت عليه غيره كما ان الزمان عرض يمكن ان يحدث فيه غيره واراد بالبيت الكعبه فان قيل كيف يكون النهي عن الشرك والامر بالتطهير تفسيرا للتبوية اجيب بانه كانت التبويه مقصوده من اجل العباده فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار للطايفين والقايمين والركع السجود اي المصلين لان الصلوة قيام وركوع وسجود والركع جمع راكع والسجد جمع ساجد ولم يذكر الواو بين الركع والسجود وذكر بين القايمين والركع لكمال الاتصال بين الركوع والسجود اذ لا ينفك احدهما عن الاخر في الصلوة فرضا او نفلا وينفك القيام عن الركوع فلا يكون بينهما كمال الاتصال وقيل القايمين بمعنى المقيمين واذن نادي عطف على طهر في الناس بالحج والندا بالحج ان يقول حجوا قيل لما فرغ ابرهيم من بنا البيت امره الله ان يوذن في الناس بالحج فقال ابرهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ روي انه صعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس ان ربكم قد بنى بيتا حجوا الى بيت ربكم فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النسا وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله ان يحج الى يوم القيامه فاجابوه وقالوا لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس اراد بالناس اهل القبله وزعم الحسن ان قوله واذن في الناس بالحج كلام مستانف وان المامور بهذا التاذين محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل مثل قايم وقيام وصايم وصيام وعلى كل ضامر اي وركبانا رجالا حال وعلى كل ضامر حال معطوفه على حال كانه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول ياتين صفة لكل ضامر لان كل ضامر في معنى الجمع اراد النوق من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا ليحضروا منافع لهم نكر منافع لانه اراد منافع مختصه بهذه العباده دينيه ودنيويه لا توجد في غيرها من العبادات وقيل التجارات وقيل العفو والمغفرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجه وقيل تسعه ايام من العشر وقيل يوم الاضحى وثلثة ايام بعده وقيل ايام التشريق وقيل انها خمسة ايام اولها يوم الترويه وقيل ثلثة ايام اولها يوم عرفه وقيل انما قال معلومات ليحرص على علمها بحسابها من اجل ان وقت الحج في اخرها والذكر هاهنا يدل على التسميه على ما نحر لقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام قيل كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصل فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيا من ذلك الحسن والروعه على ما رزقهم من بهيمه يعني الهدايا والضحايا من الابل والبقر والغنم والبهيمه مبهمه في كل ذات اربع في البر والبحر فبين بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر بالاكل منها امر اباحه لان اهل الجاهليه كانوا لا ياكلون من نسايكهم لما فيه من مواساة الفقرا ومساواتهم ومن استعمال التواضع واطعموا البايس

اي الذي اصابه بوس اي شده والفقير وذهب الاكثرون الى انه ليس بواجب ومنهم من قال من اهدى او ضحى فحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث ومذهب الشافعي ان الاطعام بشي منها واجب فان اطعم جميعها جاز وان اكل جميعها لم يجز هذا فيما اذا كان تطوعا فاما الواجبات كالنذور والكفارات والجبران للنقصان مثل دم التمتع ودم القران ودم الاساءه ودم القلم والحلق فلا ياكل منها ثم ليقضوا تفثهم عطا عن ابن عباس قضا التفث حلق الراس واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانه وقص الاظفار والاخذ من العارضين ورمي الجمار والوقوف بعرفه وقيل مناسك الحج وقيل حلق الراس وقيل الشعر والظفر والاول اصح لان التفث الوسخ والقذاره من طول الشعر والاظفار والشعث وقضاوه نقضه واذهابه والحاج مغبر شعث لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالحلق والقلم وقص الاظفار ولبس الثياب ونحو ذلك فهذا قضا تفثه قال الزجاج اهل اللغه لا يعرفون التفث الا من التفسير وكانه الخروج من الاحرام الى الاحلال وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من اعمال البر في حجهم وليطوفوا اراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضه والزياره الذي يطاف بعد الوقوف اما يوم النحر او بعده بالبيت العتيق بالكعبه سمي العتيق لان الله عز وجل اعتقه عن الجبابره ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار ولم يسلط عليه الا من يعظمه ويحترمه وقيل سمي العتيق لقدمه فانه اول بيت وضع للناس وقيل لانه لم يملك قط وقيل لانه اعتق من الغرق يوم الطوفان **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله فيجتنب ما حرمه الله والحرمه ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله بهذه الصفه من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبه الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وقيل هي المناسك فهو خير له اي التعظيم خير له عند ربه ثواب له مدخر والتعظيم العلم بانها واجبه المراعاه والحفظ والقيام بمراعاتها **قوله تعالى** واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفا لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ثم انه تعالى عاد الى احكام الحج فقال واحلت لكم الانعام فقد كان يظن ان الاحرام اذا احرم الصيد وغيره فالانعام يحرمها فبين ان الاحرام لم يوثر فيها فهي محلله له واحلت لكم الانعام ان تاكلوها اذا ذكيتموها الا ما يتلى عليكم في القران وهو قوله عز وجل حرمت عليكم الميته اي مباح اكلها الا ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميته وقيل واحلت لكم الانعام في حال احرامكم الا ما يتلى عليكم من الصيد فانه حرام في حال الاحرام والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيا كتحريم عبدة الاوثان البحيره والسايبه وغير ذلك وان تحلوا مما حرم الله كاحلالهم اكل الموقوذه والميته وغيرها فاجتنبوا الرجس من الاوثان لما حث على تعظيم حرمات الله واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركا عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العباده فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيا منه لتماديه في القبح والسماجه وما ظنك بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفره

ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس
والرجس مجتنب وقيل سمي الوثن رجسا لان وجوب تجنبها اوكد من وجوب تجنب الرجس ولان
عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات وقيل انما وصف بذلك استحقارا واستخفافا من الاوثان
بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شي كانه قيل فاجتنبوا
الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من
افكه اذا صرفه وقيل قول الزور الكذب والبهتان وقيل قول الزور قول المشركين في تلبيتهم لبيك
لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قول الزور قول المشركين في الانعام هذا
حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترايهم وقيل شهادة الزور وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه صلى الصبح فلما سلم قام قايما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الايه
وقيل الشرك حنفا نصب على الحال اي مستقيمين مخلصين لله لا ينسبون الى دين غير الاسلام
وقيل حجاجا غير مشركين به لانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
ثم ضرب الله مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله فكانما خر من السما قال صاحب الكشاف
يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد
اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته الطير
فتفرق مزعا قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيده
وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط
من السما والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفه والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلاله بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفه قرا نافع فتخطفه الطير بتشديد
الطا والباقون بسكون الخا من غير تشديد الطا قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير
الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم انه تعالى اكد ما تقدم فقال
ذلك ومن يعظم ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جمله من كلامه
في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا او قد كان كذا فقيل يدخل في الشعاير كل عباده
لانها من معالم الدين وقيل المناسك في الحج وقيل الشعاير الهدايا لانها من معالم الحج وتعظيم الشعاير
ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شراها فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحيه والرقبه اهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مايه بدنه فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وروي عن ابن عمر عن ابيه
رضي الله عنهما انه اهدى نجيبه طلبت منه بثلثمايه دينار فسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدن
مجلله بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها
الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات اي التعظيم والافعال وذوي ولا
يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من الجزا الى من ارتبط به وانما ذكر القلوب لانها مراكز التقوى
التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضا قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل
مسمى ثم محلها الى البيت العتيق لكم فيها منافع يدل على ان المراد بشعاير الله الهدايا اي

لكم

تشبيها خ

لكم فيها في الهدايا منافع كثيره قبل ان يسميها صاحبها بدنه او هديا ويشعرها ويقلدها في ركوبها ونسلها
واصوافها واوبارها وركوبها الى اجل مسمى وهو ان يسميها هديا ويشعرها ويوجبها فاذا فعل
ذلك لم يكن له من منافعها شي هذا قول مجاهد وعطا والضحاك وقتاده وروايه مقسم عن ابن عباس
وقيل معناه لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا ان تركبوا اذا احتجتم اليها او
تشربوا البانها ان اضطررتم اليها الى اجل مسمى الى ان تنحر وهذا قول عطا وقيل المراد بالشعاير
المناسك ومشاهد مكه ومعنى الايه لكم في المناسك منافع بالتجاره والاسواق الى اجل مسمى وهو الخروج من
مكه وهذه روايه ابي رزين عن ابن عباس وقيل معناه لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضا المناسك
واقامه شعاير الحج الى اجل مسمى وهو انقضا ايام الحج ثم محلها اي منحرها الى البيت العتيق اي ارض الحرم
كلها نظيره قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اي الحرم كله ومن قال الشعاير المناسك
قال معنى الايه ثم محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق ان يطوفوا به طواف الزياره يوم النحر بعد
قضا المناسك وقيل الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويوكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت
للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيره في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينيه
قال الله سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخره واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في
المنافع محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهيه الى البيت كقوله
هديا بالغ الكعبه والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حرم البيت ومثل
هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده قوله تعالى
ولكل امه جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا
وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوه ومما رزقناهم
ينفقون لكل امه من الامم السالفه من عهد ابرهيم صلى الله عليه وسلم الى من بعده جعلنا منسكا اي
ان ينسكوا الله اي يذبحوا الوجهه على وجه التقرب قرا حمزه والكساي وبعض اصحاب ابي عمرو بكسر
السين على ان يكون مكان النسك كالمجلس والمطلع والباقون بفتح السين على ان يكون مصدرا
من نسك ينسك ليذكروا اسم الله عليه للذبح جعل العله في ذلك ان يذكر اسم الله تعالى اسماوه على
المناسك فله فلله اسلموا اخلصوا المخبت هو المطمين من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لم ينتصروا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه وخوفا والصابرين على ما اصابهم من المكاره
والشدايد والباسا والمقيمي الصلوه في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون قوله تعالى والبدن
جعلناها لكم من شعاير الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا
منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماوها
ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين البدن جمع
بدنه سميت لعظم بدنها وهي الابل العظام الضخام الاجسام وهي الابل خاصه ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحق البقر بالابل حين قال البدنه عن سبعه والبقره عن سبعه فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنه
في الشريعه متناوله للجنسين عند ابي حنيفه واصحابه جعلناها لكم من شعاير الله من اعلام الشريعه التي
شرعها الله واضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها لكم في البدن خير وهو النفع في الدنيا والاجر في الاخره
ومن شان الحاج ان يحرص على شي فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا
تسعة دنانير فاشترى بها بدنه فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وقيل
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب فاذكروا اسم الله عليها عن ابن عباس

ذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قايمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقيل اي قياما على ثلاثة قوايم قد صفت رجليها واحدى يديها ويديها اليسرى معقوله
فتنحرها كذلك روى يعلى بن عطا عن مجيد بن سالم قال رايت بن عمر وهو ينحر بدنة فقال صواف
كما قال الله سبحانه وتعالى فنحرها وهي قايمه معقوله احدى يديها وقال مجاهد الصواف اذا عقلت
رجلها اليسرى وقامت على ثلاث وتنحر كذلك فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على
الارض ووجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحايط وجبه اذا سقط ووجبت الشمس
جبته غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل الاكل منها والاطعام فكلوا منها
واطعموا القانع السايل من قنعت اليه اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير سوال وقيل
القانع الذي يقنع بما اعطى ويرضى بما عنده ولا يسال وقيل القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر السايل
الذي يعتريك ويسالك وقيل القانع اهل مكه وجارك وان كان غنيا وقيل القانع المسكين الذي
يطوف ويسال والمعتر الصديق الزاير الذي يعتر بالبدن وقيل القانع الطامع والمعتر الذي
يعتر بالبدن من غني او فقير وقيل القانع المسكين والمعتر الذي يعتر القوم للحمهم يقال اعتره
اذا اتاه طالبا معروفه كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون من الله سبحانه على عباده واستحمد اليهم
بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي راوا وعلموا ياخذونها منقاده للاخذ طيعه فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوايمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش
التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما ساد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا حيطان الكعبة بدمايها فهم المسلمون بمثل
ذلك فانزل الله عز وجل لن ينال الله اي لن يصل الى الله لحومها المتصدق بها ولا الدما المهراقه
بالنحر ولكن يناله التقوى منكم فقيل معناه لن يقبل الله اللحم والدم ولكن يقبل التقوى وقيل لن
يصعد اليه اللحم والدم ولكن يصعد اليه التقوى ومثله اليه يصعد الكلم الطيب وقيل معنى يناله
التقوى يعتد بذلك منكم ويحسن موقعه عنده وقيل معناه ينفعكم ذلك التقوى وقيل لن ينال
رضى الله اللحم والدم ولكن ينال رضى الله التقوى والمعنى لن يرضي المضحون والمقربون ربهم
الا بمراعاة النيه والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات
الشرعيه واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحيه والتقرب وان كثر ذلك منهم كذلك
سخرها لكم كرر تذكيرا النعمة بالتسخير اي بتسخير البدن ثم قال لتكبروا الله اي لتشكروا الله ضمن
التكبير معنى الشكر وعدى تعديته على ما هداكم على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا
وتهللوا وبشر المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه فان لم يروه فانه يراهم بقبوله وقيل بالجنة

قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه وما فيه من
منافع الدنيا والاخرة وقد ذكر من قبل ان الكفار صدوهم اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويمكن من
الحج فقال ان الله يدافع قرا ابن كثير وابو عمرو يدفع بغير الف والباقون يدافع خص المومنين بدفعه
عنهم معناه ان الله يدفع غايلة المشركين عن الذين امنوا ويدافع معناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من

تغالب

تغالب فيه لان فعل الغالب يجي اقوى وابلغ ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لدفعه عن الذين امنوا
اي ان الله لا يحب اضداد الذين امنوا اي لا يحب كل خوان في امانة الله كفور نعمة ربه اذن قرا نافع وابو
عمرو وعاصم اذن بضم الهمزة والباقون بفتحها الذين يقاتلون قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح
التا والباقون بكسرها اي اذن للذين يقاتلون في القتال فحذف الماذون فيه اي القتال لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب انهم مظلومون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا
مكه يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الايه وهي اول ايه
اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين ايه وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم
مشركوا مكه فاذن لهم في مقاتلتهم وان الله على نصرهم لقدير اخبر الله تعالى بانه قادر على نصرهم وهذا
الاخبار عدة من الله تعالى بنصر الذين ظلموا واورده على سنن كلام الجبابرة ومامر من دفعه عن الذين
امنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا الماءين لانه اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا افسر
ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اوجب اخراجهم الا ان يقولوا ربنا الله ان يقولوا في محل
الجر على الابدال من حق يعني لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله اي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ونظيره هل تنقمون منا الا ان
امنا بالله ولولا دفع الله الناس قرا ابن كثير دفع الله بغير الف على مصدر دفع والباقون بالف بعد
الفا على مصدر دافع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع قرا ابن كثير ونافع لهدمت خفيفه والباقون
بتشديد الدال الصوامع عن ابن عباس صوامع الرهبان وعن قتاده صوامع الصابين وبيع جمع بيعه
وهي بيع النصارى وصلوات قيل مواضع الصلوات فقيل كنايس اليهود وهي بالعبرانيه صلوتا وقيل
مساجد الصابين وقيل هي الصلوات حقيقه والمعنى ولولا دفع الله عن المسلمين وتسليطه اياهم على المشركين
بالمجاهده لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفه في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون
في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين
يذكر فيها اسم الله قيل يذكر في جميع الاماكن المذكورات وقيل في المساجد خاصه لان ساير المواضع المذكوره
الغالب فيها الشرك ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه وشرعه ان الله لقوي عزيز الذين ان
مكناهم في الارض ثم انه تعالى وصف الذين اذن لهم في القتال والمراد من هذا التمكين النصر على عدوهم
وقيل هو السلطنه ونفاذ القول على الخلق لان المبادر من قوله مكناهم في الارض ليس الا هذا وقيل
المراد بهم المهاجرون لان الذين ان مكناهم صفه لمن تقدم وهم الذين اخرجوا من ديارهم والانصار ما
اخرجوا من ديارهم فيصير معنى الايه ان الله وصف المهاجرين بانه ان مكنهم في الارض واعطاهم
السلطنه فانهم اتوا بالامور الاربعه اقامة الصلوة وايتا الزكوة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر لكن قد ثبت ان الله تعالى مكن الايمة الاربعه الراشدين في الارض واعطاهم السلطنه
عليها فوجب كونهم اتين بهذه الامور الاربعه واذا كانوا امرين بكل معروف وناهين عن كل
منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت الايه على امامة الاربعه ولا يجوز حمل الايه
على علي لان الايه داله على الجمع وفي قوله ولله عاقبة الامور دلاله على ان ذلك الذي تقدم
ذكره من سلطنتهم وملكهم كاين لا محاله ثم ان الامور ترجع الى الله بالعاقبه فانه سبحانه هو الذي
لا يزول ملكه قيل الذين ان مكناهم اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما سيكونون عليه

نعم عليهم لكن الذين ان مكناهم

سيكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون
بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثنا قبل بلا يريد ان الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا وقيل فيه دليل على صحة امر الخلفا الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ
الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقا وعن الحسن هم امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين
اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعد من اظهار اوليايه
واعلا كلمتهم **قوله تعالى** وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم
لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير انه تعالى لما بين فيما تقدم اخراج
الكفار المومنين من ديارهم بغير حق وضمن للرسول النصر وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجري
مجرى التسلية للرسول في الصبر على ما هم عليه من اذية المومنين بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك
اي مشركوا امته يا محمد فلست باول من كذبه قومه فقد كذبت قبل هولا المشركين قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين رسلهم نوح وهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرايل وانما كذبه غير قومه وهم القبط
وفيه شي اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته
فما ظنك بغيره وان يكذبوك شرط جزاوه مضمر تقديره وان يكذبوك فلا تحزن والفا في قوله فقد كذبت
لعطف جملة على جملة بينها اتصال شديد وليس بجزا الشرط لوقوع التكذيب منهم قبلهم فامليت للكافرين امهلتهم
الى الوقت المعلوم عندي ثم اخذتهم بالعقوبة فكيف كان نكيرا انكاري عليهم بالعذاب والهلاك اليس كان
واقعا قطعا ابدلهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا الست اعطيت الانبيا
جميع ما وعدتهم من النصر على اعدايهم والتمكين لهم في الارض **قوله تعالى** فكاين من قرية اهلكناها
وهي ظالمة وهي خاوية ساقطة من خوى النجم اذا سقط او خالية من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى
بطن الحامل على عروشها جمع عرش وهو كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم على عروشها
قيل يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف وقيل انها ساقطة او خالية مع بقا عروشها وسلامتها وقيل على عروشها خبر بعد خبر كانه قيل
هي خالية على عروشها اي قايمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في
قرار الحيطان وبقيت الحيطان مايلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة وهي ظلمة في محل النصب
على الحال فهي خاوية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وبير قرا ورش
عن نافع بغير همز والباقون مهموز ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا الا انها عطلت
اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد مجصص على معطلة ايضا ليس فيه ساكن والمعنى وكم قرية
اهلكنا وكم بير عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه على ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا
دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه عن الضحاك ان هذه البير انما كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا
وذلك ان اربعة الف نفر ممن امن بصالح عليه السلام نجوا من العذاب اتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه
مات فسمي حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حاضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم رجلا
يقال له جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا وتناسلوا حتى نموا وكثروا ثم عبدوا الاصنام وكفروا بالله فارسل
الله عز وجل نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بيرهم
وخربت قصورهم افلم يسيروا اي قومك في ارض اليمن والشام يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر

ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا ويحتمل انهم قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم
يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد اذا نظروا
اثار من هلك او اذان يسمعون بها ما يجب سماعه من اخبار الامم المكذبة فيتفكروا او يعتبروا فانها الضمير
ضمير الشان والقصة ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه لا تعمى الابصار لانها صحيحة سالمة
لا عمى بها ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل معناه لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وفايدة
ذكر الصدور مع ان القلوب لا تكون الا في الصدور التوكيد لان الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر
وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة
العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضا للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان
محل المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكني تعمدت به اياه
بعينه تعمدا **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير انه تعالى لما حكى عنهم من تعظيم ما هم عليه من
التكذيب انهم يستهزون باستعجال العذاب نزلت في النضر بن الحارث واصحابه وهو قولهم متى هذا الوعد
ونحوه من استعجالهم انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كانه قيل ولم يستعجلون بالعذاب
كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل لا يخلف الميعاد وما وعده
ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما عنده
كالف سنة مما تعدون وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم
لان ايام الشدايد مستطالة وقيل كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف
الله وعده في النظر والامهال قرا عاصم وابو عمرو وابن عامر يعدون بالتا على سبيل الخطاب والباقون باليا على
الغيبة فان قيل كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب الى قوله وان يوما عند ربك ففيه جوابان احدهما انهم استعجلوا
العذاب في الدنيا فقيل لهم لن يخلف الله وعده في انزال العذاب بكم في الدنيا وان يوما من ايام عذابكم في الاخرة
كالف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب فقد تضمنت الاية وعدهم بعذاب الدنيا والاخرة وثانيهما وان
يوما عند الله الف سنة سوا في قدرته على عذابهم فلا فرق بين وقوع ما استعجلوه وبين تاخيره في القدرة الا ان
الله تفضل عليهم بالامهال وكاين من قرية وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم
بالعذاب والمرجع الي والى حكمي ولما كان قوله فكاين من قرية اهلكتها وقعت بدلا عن قوله فكيف كان
نكير ذكر بالفا وكاين من قرية امليت لها حكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة **قوله تعالى** قل يا ايها الناس انما انا لكم
نذير مبين قل يا محمد يا ايها الناس يا اهل مكة انما انا لكم نذير مبين امرت بان اديم لكم التخويف والانذار
ولا يصدني ما يكون منكم من الاستعجال للعذاب على سبيل الهزؤ عن ادامة التخويف والانذار **قوله تعالى**
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم
ورزق كريم قيل الجنة لان الكريم من الاشيا هو الذي جمع فضايله نوعه جميعا فيه والجنة كذلك وقيل
كريم حسن وقيل شريف وقيل لا تكتسب بالدنيات من التذلل للخلق والاخذ من المنان وارتكاب الظلم ثم
انذر فقال الذين سعوا اجتهدوا في اياتنا في رد اياتنا القران وغيره من المعجزات يقال سعيت في امر
فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين مغالبين مسابقين وقيل مسابقين يقال عاجزه سابقه لان كل واحد
منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن

فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير الاولين ومن ثبط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم قرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد بغير الف اي مثبطين
الناس عن الايمان والباقون معاجزين بالف اي ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا انهم لا يبعثون وانه
لا جنة ولا نار فان قيل كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده اجيب بان الكلام
مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا او صفوا بالاستعجال وانما اقحم
المؤمنون وثوابهم ليغاظوا **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم قيل الرسول هو النبي والنبي هو الرسول
والفرق بينهما بالاعتبار وقيل الرسول اعلى شانا لان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل الرسول صاحب
الشرع والنبي هو الذي امر باتباع شرع سابق وقيل الرسول الذي ياتيه الملك بالوحي والنبي الذي
يرى في المنام ما يوحى اليه وقيل النبي المحدث الذي لم يرسل قوله من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول
والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الانبيا فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل
عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه
الايه ان رسول الله لما راى اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله عز وجل
تمنى في نفسه تمنى لو ط ضجر من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين
قومه وان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه فجلس ذات يوم في ناد من اندية قريش كثير اهله فاحب يوميذ ان لا ياتيه من الله تعالى شي ينفروا عنه
وتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فاخذ يقراها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط
الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل
نبهه جبريل وقيل تكلم به الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في الوادي
وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلا زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون
نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبيا من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله
الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ووجد اليه سبيلا واكثر المفسرين على ان تمنى بمعنى
تلا وقرا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اي في قراته وتلاوته نظيره قوله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا اماني يعني قراة يقرا عليهم وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه حين قتل تمنى كتاب الله اول ليله
واخرها لاقى حمام المقادر وعن الحسن اراد بالغرانيق العلى الملايكة يعني ان الشفاعة ترتجى منهم
لا من الاصنام وهذا ليس بمرضي ولا قوي لقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه
ثم يحكم الله اياته ثم يثبت الله اياته والله عليم بوحيه حكيم بخلقه ليجعل ما يلقي الشيطان ضلالا وقيل
امتحانا وقيل عذابا اي سبب عذاب للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق وهم المنافقون والشاكون
والقاسية قلوبهم وهم المشركون وان الظالمين يريد وان هولا المنافقين والمشركين واصله
وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر حكما عليهم بالظلم لفي شقاق وخلاف لبعيد عن الحق وقيل
شقاق بعيد خلاف طويل مع النبي والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم الايمان والتوحيد

تعلم

وهم

وهم المؤمنون وقيل اوتوا العقل والتمييز انه الحق من ربك ان الذي احكم الله من ايات القران
هو الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم
اي مثبتهم عليه وقيل لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل
منه المحمل الصحيح الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حسرة ولا تعتريهم شبهة ولا
تزل اقدامهم وقيل لهادي الذين امنوا الى تحقيق ما هو محكم والسكوت عما هو متشابه ولا يتبعوا ما تشابه ويقولوا امنا كل من عند ربنا **قوله تعالى** ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم
عذاب يوم عقيم الملك يوميذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى فقال ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه من القران او من الرسول او من الدين وقيل من ما القى الشيطان على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل من سجود النبي حتى تاتيهم الساعة بغتة وقيل الموت بغتة فجاة من دون ان
يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم لانهم يؤمنون عند اشراط الساعة على سبيل الالجا او ياتيهم عذاب
قيل او لا احد لشي على اصله وقيل يعني الوا ويوم عقيم يوم بدر ووصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد
النسا يقتلون فيه فيصرن كالنسا عقم لم يلدن وقيل لان المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف
يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشي مطرا او لم يلقح
شجرا وقيل لا مثل له لعظم امره لقتال الملايكة فيه وعن الضحاك يوم عقيم اي يوم القيامة والمراد بالساعة
مقدماته وقيل يجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم
عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يوميذ تقديره الملك يوم يؤمنون او يزول مريتهم لقوله ولا يزال
الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لله وحده من غير منازع ولا مدع يحكم بينهم ثم بين حكمه فيهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله
لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله
هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير لما ذكر ان الملك له يوم القيامه
وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما
لشانهم فقال تعالى والذين هاجروا الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله ثم قتلوا قرا ابن
عامر قتلوا بالتشديد او ماتوا لما جمعتهم الهجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من
مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا وقيل اراد من خرج مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجاهدا او في سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل قبل وقيل يحتمل الامرين
وقيل المراد قوم مخصوصون روى مجاهد انها نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة
للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم والظاهر العموم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل رزقا حلالا
وقيل الجنة ونعيمها وقيل الشهادة ثم الجنة وقيل العلم والحكمة وان الله لهو خير الرازقين
لانه يرزقهم ما لا نهاية له ليدخلنهم مدخلا قرا نافع بفتح الميم والباقون بضمها مكانا هو
الجنة وقيل هو مصدر والمعنى ليدخلنهم ادخالا وعلى الوجهين يرضونه وصف له اي مكانا
يرضونه او ادخالا يرضونه وان الله لعليم بنياتهم واسرارهم وعلانيتهم حليم عن تفريط المفرط
منهم بفضله وكرمه ذلك الامر والشان ذلك اي الامر ما قصصنا عليك نزلت في قوم من المشركين

لعقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتال المشركين وسالوهم ان يكفوا عن
القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وتسميه الابتدا بالعقاب
الذي هو الجزا للملابسة من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض
على النقيض ثم بغي عليه اي حاربوه بعد ذلك وقيل ثم بغي عليه اخرج من منزله ان الله لعفو للمنتصر
من الظالم قال صاحب الكشاف كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من

فان قلت

جهة الله على الاحلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب
عند الله المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحينئذ لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب
ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية
من احلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما
كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر رؤف
ايات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل بسبب انه خالق الليل
والنهار ومصرفهما لا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف
وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون ومعنى ايلاج الليل في النهار تحصيل ظلمة الليل في مكان
ضيا النهار بغيبوبة الشمس وايلاج النهار في الليل تحصيل ضيا النهار في مكان ظلمة الليل بطلوع
الشمس كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر
من الساعات ذلك الذي فعل من نصر المومنين بان الله هو الحق اي هو الاله الحق وان ما يدعون
قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم بالتا والباقون باليا والمعنى ان ما يعبدون من دونه هو
الباطل وان الله هو العلي الكبير لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل
من السما ما فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني
الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السما ان تقع على الارض الا
باذنه ان الله بالناس لروف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لما دل
على قدرته من ايلاج الليل في النهار وعكسه ونبه به على نعمه اتبعه بانواع اخر من الدلايل على قدرته
ونعمه الم تر ان الله انزل من السما ما مطرا هذا استفهام معناه الخبر فتصبح وانما قال فتصبح
ولم يقل فاصبح لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح
واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
لانه لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار
مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه
وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب
وتوقير اهله فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ان كانت مسودة يابسة ان الله لطيف لا يخفى عليه شي
وقيل لطيف باستخراج النبات منها خبير عالم بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض وان
الله لهو الغني عن خلقه الحميد على فعله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من البهايم مذللة للركوب في البر والفلك
تجري في البحر بامره فهي عطف على ما وتجري حال لها اي سخر لكم الفلك جارية في البحر بامره ويمسك السما كراهة
ان تقع وقيل لئلا تقع على الارض الا باذنه وارادته ان الله بالناس لروف رحيم تفضل عليهم بما عدد في
الاية وهو الذي اي من سخر لكم هذه الامور وانعم عليكم هو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ثم

نطفة

نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يميتكم عند الموت ثم يحييكم للبعث والنشور ان الانسان لكفور لجحود لما افاض
عليه من ضروب النعم وقيل اراد بالانسان الكفار **قوله تعالى** لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون
الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون لما ذكر نعمه اتبعه بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة وانما لم
يذكر الواو لانفصال هذا الكلام عما قبله منسكا قيل موضع الذبح وقيل قربانا وقيل زمانا معينا لادا العبادة
وقيل مكانا معينا لادايها وقيل اراقة دم وقيل ذبيحة وقيل شريعة تعبدوا بها هم ناسكوه هم يسلكون
تلك المناسك فلا ينازعنك في الامر اي ليس لليهود وغيرهم من ذوي الاديان والمشركين ان ينازعوك
في شريعة قومك وذبايحهم وقيل نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم ان
ينازعوك وقيل هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وامر الذبح وهم
جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقا وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما
قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله
اي الميتة وادع الى ربك دين ربك انك لعلى هدى مستقيم على طريق واضح مستقيم قال الزجاج هو
نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جايز
في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين والمراد تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب
غضبه لله ولدينه ومنه قوله فلا يصدنك عن ايات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا
للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما ذكر
من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي
لا يغلبنك في المنازعة وان جادلوك اي ابوا اللجاج الا المجادلة بعد اجتهادك ان

وان م

لا يكون بينك وبينهم تنازع ولم يقبلوا منك فادفعهم وقل الله اعلم بما تعملون من اعمالكم فهو مجازيكم
به وهذا وعيد وانذار فيه رفق ولين الله يحكم بينكم خطاب للمومنين والكافرين فتعرفون حينئذ
المحق من المبطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب اليه الاخر وقيل
يفصل بينكم بالثواب والعقاب وهذا ادب حسن علم الله تعالى عباده فيمن جادل على سبيل
التعنت والمرا كفعل السفها ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه نبيه صلى الله عليه
وسلم وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم **قوله تعالى** الم تعلم ان الله يعلم
ما في السما والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير لما قال الله يحكم بينكم اتبعه
بما به يعلم انه عالم بالمحق والمبطل فيحكم بينهم بالعدل فقال الم تعلم على لفظ الاستفهام لكن معناه
تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والوعد له والوعيد للكافرين يعلم ما في السما والارض
فيعلم اعمالكم فيجازيكم ان ذلك كله في كتاب يعني في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير يعلمونه بقوله
كن وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله **قوله تعالى** ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما
ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا
على عبادته وما ليس لهم به علم اي يعبدونه جهلا وتقليدا لا عن عقل وسمع وقيل يعبدون
ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان نازل من السما من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليه علم ضروري
ولا حملهم عليه حجة عقلية وما للظالمين اي الواضعين العبادة في غير موضعه من نصير يمنعهم من عذاب
الله **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبيكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبيس المصير

واذا تتلى عليهم على اهل مكة اياتنا اى القران بينات لكونها متضمنة للدلايل العقلية الدالة على التوحيد وبيان الاحكام والحلال والحرام وهى منصوبة على الحال تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر الانكار والعبوس والكراهة يكادون يسطون يثبون ويبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا السطو الوثب والبطش يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالعنف والشدة قل يا محمد افانبيكم بشر من ذلكم عليكم واكره لكم من الذى تسمعونه وقيل بشر من خ لكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم وقيل من ذلكم مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان تكون النار مبتدا وعدها خبر الذين كفروا وبيس المصير **قوله تعالى** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز لما بين من قبل انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ذكر فى هذه الاية ما يدل على ابطال قولهم ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون هذا ليس بمثل بل صفة سميت الصفة او القصة الرايعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ومعنى الاية جعل المشركون الاصنام شركاء فعبدوها معى فاستمعوا حالها ثم بين بقوله ان الذين تدعون تعبدون من دون الله لن اخت لا فى نفى المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيدها هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب الذى هو فى غاية الضعف والصغر غير مقدور لهم ولو اجتمعوا له الخلقة محلها النصب على الحال كانه قيل ممتنع ان يخلقوا ذبابا مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه الذباب واحد وجمعه القليل اذبة والكثير الذباب مثل غراب واغربة وغربان وهذا من ابلغ ما انزله الله فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزايمه حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل مستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلق الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتظاهروا وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ولا تقدروا عليه ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بين الطالب اى الصنم والمطلوب وعند التحقيق وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان والصنم جماد والذباب غالب والصنم مغلوب وقيل الطالب الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذى على الصنم وذلك ان الكفار كانوا يلطخون اصنامهم بالعسل فى كل سنة مرة ثم يغلقون عليها ابواب البيوت فيدخل الذباب فى الكوا فيأكل ذلك العسل وينقيها منه فاذا راوا ذلك قالوا اكلت الهتنا العسل وقيل الطالب عابد الصنم يطلب التقرب بعبادته والمطلوب المعبود اى الصنم ما قدروا الله حق قدره اى ما عظموا الله حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته اذ سموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها واشركوا به واهلوه للعبادة ما هو اضعف من الذباب ان الله قوى قادر عزيز غالب فكيف يتخذ الضعيف العاجز المغلوب شبيها به **قوله تعالى** الله يصطفى من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لما قدم ما يتعلق بالالهيات اردفه ما يتعلق بالنبوات الله يصطفى يختار من الملايكة رسلا كجبريل وميكاييل وغيرهما ومن الناس ايضا رسلا مثل نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسل من البشر يقال نزلت هذه الاية لما قال المشركون اانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من خلقه فيختار من الملايكة رسلا ويختار من الناس رسلا ان الله سميع لكل ما قاله قايل سرا وعلانية بصير بما يختار لرسله يعلم ما بين ايدى الملايكة والناس ما مضى من احوالهم وما غاب

لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفة لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون لما تكلم فى الالهيات ثم فى النبوات اتبعه بالكلام فى اصول الشرايع للصلوة شان ليس لغيرها من الطاعات فمن ثم دعا المومنين اولا الى الصلوة قال المفسرون ان المراد من قوله اركعوا واسجدوا صلوا لان الصلوة لا تكون الا بالركوع والسجود ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عمم بالحث على ساير الخيرات عن الكلبى كان الناس اول الاسلام يصلون بغير ركوع ولا سجود فامروا بهما وقيل معناه صلوا ولا تقصدوا بالركوع والسجود غير الله من صنم او ريا لعلكم تفلحون لكى تفلحوا وتفوزوا وتبقوا فى الجنة وقيل لتكونوا على رجاء الفلاح وعن على رضى الله عنه اذا فعلتم ذلك ظفرتم بالمراد وقيل اعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس فى قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل لعلكم تفلحون اى افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى فراى سجدتين فى سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة **قوله تعالى** وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا فى سبيل الله اعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه ايضا لا تخافوا فى الله لومة لايم وذلك هو حق الجهاد وعن الضحاك ومقاتل يعنى اعملوا لله بالحق حق عمله واعبدوه حق عبادته عن عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر قيل فى الله اى فى ذات الله ومن اجله حق جهاده يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وعالم جدا ومنه حق جهاده قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه هذه الاضافة اى اضافة الجهاد الى ضميره تعالى وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا فى الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل فى الدين من حرج اى ضيق فلا يبتلى المومن بشى من الذنوب الا جعل له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بالقصاص وبعضها بالحد وبعضها برد المظالم وبعضها بانواع الكفارات فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العقاب فيه ولا ذنب يذنبه المومن الا وله منه فى دين الاسلام مخرج ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وانه محمد صلى الله عليه وسلم هى لامة المرحومة الموسومة بذلك فى الكتب المتقدمة وقيل وما جعل عليكم فى الدين من ضيق فى اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر والاضحى ووقت الحج اذا التبست عليكم وسع الناس فيها ولكنه وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا محلها ملة ابيكم نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل منصوب على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحميد وقيل منصوب بنزع الخافض اى وما جعل عليكم فى الدين من حرج كملة ابيكم نصب بنزع الكاف وقيل

منصوب على الاغرا اى الزموا واتبعوا ملة ابيكم ابرهيم وليس جميع المخاطبين يرجع الى ولادة ابرهيم
عليه السلام فان معناه ان حرمة ابرهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد كما قال عز وجل وازواجه
امهاتهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لكم مثل الوالد عن بعض العارفين ملة ابرهيم هو السخا والبذل
والاخلاق بالخروج من النفس والاهل والمال والولد وقال الجنيد امر الله العوام ان يتبعوا ملة ابرهيم
في الشريعه وامر الخواص ان يتبعوا ملته في بذل المال والنفس والولد لمولاه ويتوافقوا موافقة الخليل في
كل الاوقات هو سماكم اى الله سماكم المسلمين ويشهد له قراة ابي بن كعب الله سماكم المسلمين والمعنى فضلكم على
الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون اى اجتباكم وسماكم ليكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
شهيدا عليكم يوم القيامه انه قد بلغكم وتكونوا شهدا على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واعتصموا بالله واذ خصكم الله بهذه الكرامه والاثره فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا
النصر والولايه الا منه فهو خير مولى ونصير عن ابن عباس سلوا الله ان يعصمكم عن كل ما يسخط ويكره

سورة المومنين مكيه

وهي مايه وثماني عشر ايه واربعة الف وثمان مايه وحرفان والف وثمان مايه
واربعون كلمه عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المومنين بشرته الملايكه
يوم القيامه بالروح والريحان وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال كان اذا انزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عنده وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعه فاستقبل القبله ورفع يديه
فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا ثم
قال لقد انزلت علينا عشر ايات من اقامهن دخل الجنه ثم قرا قد افلح المومنون الى عشر ايات عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله قال ان الله حاط حايط الجنه لبنه من ذهب ولبنه من فضه وغرس غرسها بيده
فقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فقال لها طوبى لك منزل الملوك **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة
فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن
ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
قد نقيضه لما هي تثبت المتوقع ولما نفيه وقد تقرب الماضي من الحال فدل على ان فلاحهم قد حصل وهم
عليه في الحال وهذا ابلغ في الصفه من تجريد ذكر الفعل اخبر الله تعالى عن فلاح المومنين وانهم قد
نالوا البغيه واحرزوا البقا الدايم عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنه واتقن حسنها قال قد افلح المومنون
ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشاره وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل
على ثبات ما توقعوه والفلاح والظفر بالمراد وقيل البقا في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل
في البشاره ويقال افلحه اصاره الى الفلاح ثم وصف الله تعالى هولا المفلحين فقال الذين هم في
صلوتهم خاشعون عن ابن عباس مخبتون اذلا الحسن ومقاتل خايفون مقاتل متواضعون على
رضي الله عنه الخشوع في القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت مجاهد هو غض البصر وخفض الجناح
وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن تعالى ان يشد بصره الى شي وان يحدث نفسه
بشي من شان الدنيا عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيه في الصلوة ابن سيرين
وغيره هو ان لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يرفعون ابصارهم
في الصلوة الى السما وينظرون يمينا وشمالا حتى نزلت هذه الايه فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون
وما راى بعد ذلك احد منهم الى السما ربيع هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا ابو هريره قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه بين عيني الرحمن فاذا التفت قال له الرب

الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن ادم اقبل علي فانا خير لك ممن تلتفت اليه عطا هو ان لا تعبث بشي من
جسدك في الصلوة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه ابو ذر قال رسول الله اذا قام احدكم الى الصلوة فان الرحمه تواجهه فلا يحركن الحصى ويقال نظر الحسن
الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني من الحور العين قال بيس الخاطب انت تخطب وانت تعبث قتاده هو وضع
اليمين على الشمال في الصلوة قيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ابو بكر الواسطي هو الصلوة لله تعالى على
الخلوص من غير عوض ابن ابي الورد يحتاج المصلي الى اربع خلال حتى يكون خاشعا اعظام المقام واخلاص المقال
واليقين التمام وجمع الهم واضيف الصلوة اليهم لانها دايره بينهم وبين الله تعالى وهم المنتفعون بها وهي
عدتهم وذخيرتهم فهي صلوتهم واما الله المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين
هم عن اللغو معرضون ابن عباس اللغو الحلف الكاذب الحسن عن المعاصي مقاتل الشتم والاذى غيرهم
ما لا يحمد من القول والفعل وقيل الفعل الذي لا فايده فيه وقيل اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب
والهزل وما توجب المروة القاه واطراحه اي ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة
اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بنا التكليف والذين
هم للزكوة فاعلون الزكوة مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه من النصاب الى الفقير والمعنى
فعل المزكي الذي هو التزكيه والمراد ها هنا بالزكوة التزكيه فجعل الله المزكين فاعلين له لانه من مصدر لا يعبر عن معناه
بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقال للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكيه والتحقيق فيه
انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولا يجوز ان يراد بالزكوة العين
لانه يمتنع الزكوة الداله على العين ان يتعلق بها فاعلون لاخراجها من صحة ان يتناولها الفاعل لانها محدثه
وكل محدث يتناوله الفاعل بل لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشدوا لاميه بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الازمه والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف
وهو الادا وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعه ودخل اللام لتقدم المفعول لان اسم الفاعل
لا يبلغ قوته في العمل قوة الفعل يقول هذا ضارب لزيد ولا يصح ضرب لزيد قيل يحتمل ان يكون
المفعول محذوفا واللام لام العله والمعنى للزكوة فاعلون ما يفعلون اى ليصيروا عند الله ازكيا
والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها في المحرم الحسن لنسايهم ودخل اللام لتقدم المفعول والفرج
اسم يجمع سوات الرجال والنسا والقبلان وما حواليهما كله فرج والمراد بالفروج ها هنا فروج
الرجال خاصه الا على ازواجهم الا على نسايهم واماءهم اطلق ما على الاما لانهن جاريات مجرى
غير العقلا من حيث ان حكمهن حكم الاموال التي هي ملك تحت يد الملاك قيل على بمعنى من اى لفروجهم
حافظون الا من ازواجهم وقيل على ازواجهم في موضع الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن
من قولك كان فلان على فلانه فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصره اى واليها
ومنه قولهم فلانه تحت فلان ومن ثم سميت المراه فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال
الا في حال تزوجهم او تسريهم وقيل على متعلق بمحذوف يدل عليه قوله غير ملومين كانه قيل يلامون
الا على ازواجهم اى لفروجهم حافظون يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم من ازواجهم وقيل في
الحفظ معنى الامتناع اى يمتنعون الا على ازواجهم فمن ابتغى ورا ذلك فمن التمس وطلب سوى ازواجهم
وما ملكت ايمانهم فاولئك هم العادون من الحلال الى الحرام وقيل من طلب من غير الازواج والاما
قضا شهوته فهو متجاوز ما حد له من الحلال الى الحرام ومن استمنى بيده فهو من العادين وسيل ابن
عباس عن ذلك فقال هو ناكح يده قيل جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغا

ورا هذا الحد مع سمحته واتساعه وهو اباحة اربعة من الحراير ومن الاما ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحه نكاح المتعه من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم سمي الشي الموتمن عليه والمعاهد عليه امانه وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تودى العيون لا المعاني ويخان الموتمن عليه لا الامانه في نفسها والراعي القايم على الشي بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعيه ويقال من راعي هذا الشي اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم قال بعض العارفين جوارحك كلها امانات عندك امرت في كل واحد منها بامر فامانة العين الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وامانة السمع صيانتها عن اللغو والرفث واحضارها مجالس الذكر وامانة اللسان اجتناب الغيبه والبهتان ومداومة الذكر وامانة الرجل المشي الى الطاعات والتباعد عن المعاصي وامانة الفم ان لا يتناول بها الا حلالا وامانة اليدان لا يمدها الى حرام ولا يمسكها عن المعروف وامانة القلب مراعاة الحق على دوام الاوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن الا اليه وعهدهم راعون ثم العهد عليك في حمل الامانه رعايتها فمن ضيع الامانه وصف بالجهل ومن لم يراع العهد وصف بالظلم والذين هم على صلواتهم قرا حمزه والكساي صلوتهم على التوحيد وهو اسم جنس والباقون صلواتهم على الجمع يداومون على فعلها ويراعون اوقاتها فامر بالمحافظة عليها كما امر بالخشوع فيها فذكرها اولا واخرا ليس بتكرار لانه وصفوا بالخشوع في صلواتهم واخرا بالمحافظه عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويودوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا انفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظه على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبه مع كل صلوة وصلوة الجمعه والعيدين والجنازة والاستسقا والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجه وغيرها من النوافل والافتتاح بها والختم عليها تنبيه على شرفها ومزيد رتبتها قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون لما ذكر الله مجموع هذه الاوصاف قال اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون يوم القيامه الاحقا بان يسموا الوارثين دون من عداهم ثم بين الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامه وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر الفردوس البستان يجمع محاسن النبات والاشجار والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوسا انث الفردوس على تاويل الجنه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون لما اخبر الله تعالى عن فلاح المومنين وانهم قد نالوا البغيه ووصفهم بانهم في صلوتهم خاشعون وانهم عن اللغو معرضون وهذه الاوصاف عبادات والعبادات لا تصح الا بعد معرفة الله تعالى ذكر ما يدل على التوحيد واتصافه بصفات الجلال فذكر من الدليل انواعا النوع الاول الاستدلال بتقلب الانسان في اطوار الخلقه وهي تسعه الاول قوله ولقد خلقنا الانسان قيل يعني ادم من سلالة من طين استل من الارض قاله قتاده وابن عباس ومجاهد خلقنا الانسان يعني ابن ادم من سلالة من طين من صفوة ما ادم الذي هو من الطين ومنيه والعرب تسمي نطفة الرجل وولده سليله وسلالته لانها مسلولان منه قال الشاعر فجات به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين وقال

اخ

اخر وهل كنت الا مهرة عربية سليلة افراس تحللها بغل ثم جعلناه اي ابن ادم على قول من يقول المراد بالانسان ابن ادم ظاهر وعلى قول من يقول المراد بالانسان ادم الضمير في جعلناه عايد الى ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر ولان المعنى لا يصلح الا له وقيل ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان ادم لم يصر نطفه والمعنى ولقد خلقنا جوهر الانسان من سلالة من طين ثم جعلنا جوهره بعد ذلك نطفه في قرار مستقر وهو في الاصل مصدر قر يقر قرارا ثم سمي الموضع الذي يقر فيه قرارا مكين حريز حصين منيع والمراد الرحم وصفت بالمكانه التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفه علقه اي صيرناها وقدرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد والمعنى احلنا النطفه البيضا علقة حمرا فخلقنا العلقة مضغه احلنا العلقه مضغه مقدار ما يمضغ فخلقنا المضغه عظاما احلناها وصيرناها عظاما قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم عظما فكسونا العظم والباقون عظاما فكسونا العظام لحما انبتنا على العظام لحما فصار اللحم كاللباس للعظام ثم انشاناه اي جوهر الانسان وقيل ثم انشانا المذكور خلقا اخر مباينا للخلق الاول مباينه ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا ناطقا وكان ابكم سميعا وكان اصم بصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضايه وكل جز من اجزايه عجايب فطره وغرايب حكمه عن ابن عباس في جماعة انه نفخ الروح قتاده والضحاك نبات الاسنان والشعر ابن عمر استوا الشباب العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف احوال العبد الولاده خرج من بطن امه بعد ما خلق فكان من بدو خلقه الاخر ان استهل ثم كان من خلقه ان دل على ثدي امه ثم كان من خلقه ان علم كيف يبسط رجليه الى ان قعد الى ان حبا الى ان قام على رجليه الى ان مشى الى ان فطم فتعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى ان بلغ الحلم الى ان بلغ يتقلب في البلاد وقيل الذكوريه والانوثيه وقيل اعطا العقل والفهم فتبارك الله اي استحق التعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال من البركه وهو الثبوت فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين المقدرين تقديرا ترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحو طرح الماذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصله وقيل احسن المصورين تصويرا وقيل احسن الصانعين صنعا ابن جريج انما جمع الخالقين لان عيسى بن مريم عليه السلام كان يخلق فاخبر عن نفسه انه يخلق احسن مما كان يخلق وقيل لما نزلت هذه الايه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت فتبارك الله احسن الخالقين قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاملى عليه هذه الايه فلما بلغ قوله خلقا اخر خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال ابن ابي سرح ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكه كافرا وقيل هذه الحكايه غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينه وهذه السوره مكيه ثم انكم بعد ذلك قيل بعد الخلق الاخر وقيل بعد ما ذكر من امركم لميتون اي صايرون اليه فنزل منزلة الكاين اذ لا بد من كونه واكد بارادة الجمله اسميه موكده بالصيغه المفيده المبالغه وبان وباللام كانهم لتماديهم في رعاية الامور المتعلقه بالحيوه وغفلتهم عن الموت منكرون للموت فنزلهم منزلة المنكر فلذلك ما يصلح ان يكون ردا للمنكر ثم انكم يوم القيامة تبعثون لما كان دلايل البعث ظاهره اورد صيغه صالحه لان يخاطب بها غير المنكر جعل الاماته والاحيا بعدها دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الاخترا ع والانشا ولا دلالة للام على انه لا حيوة الا حيوة الانشا وحيوة البعث لانه لا يلزم من ذكر الحيوتين

نعي الثالثه وهي حيوة القبر كالوذ لرث بلي ما عندك وطويت ذكرلمه لم يكن دليلا على ان الملك ليس عندك
وايضا الغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثه الانشا والاماته والاعاده والمطوى ذكرها من جنس الاعاده قوله
تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وما كنا عن الخلق غافلين هذا نوع ثان من الاستدلال سبع
طرايق اي سبع سموات لانه طورق بعضها فوق بعض لمطارقة النعل وكل شي فوقه مثله فهو طريقه يقول
العرب طارقت النعل اي جعلت بعضها فوق بعض وقيل لانها طرايق الملايكه وقيل لان كل واحد منها طريقه
اي سروهسه وصيغة غير صيغة الاخرى وقيل لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن خلق السموات
والارض كانه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقكم بقدرتنا وقيل
اراد عن خلق السموات والارض كانه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع
فوقكم بقدرتنا وقيل اراد عن الخلق الانسان وانه انما خلقها فوقكم لينفتح عليكم الارزاق والبركات منها
وينفعكم بانواع منافعها وما كان غافلا عنكم وما يصلحكم به الحسن وما كنا عن الخلق غافلين ان ينزل
عليهم ما يحييهم من المطر قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض وانا على
ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيره ومنها تاكلون
وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين اعلم ان الما في نفسه نعمه وانه مع ذلك
سبب لحصول النعم فلاجرم ذكره الله اولا ثم ما يحصل به النعم ثانيا وانزلنا من السما ما بقدر يعلمه الله
تعالى لا ينقص منه ولا يزيد عليه وقيل بقدر ما يكفيهم لشربهم وزرعهم وقيل بتقدير يسلمون معه
من المضره ويصلون الى المنفعه فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا في الارض لينتفع به عباده في شربهم
ومعاشهم وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجله والفرات نهرا العراق
ونيل نهر مصر انزلها الله من عين واحده من عيون الجنه فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل
فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدرنا على انزالنا على ذهاب به لقادرون قال صاحب الكشاف
قوله وانا على ذهاب به من اوقع النكرات واحرها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب
به وطريق من طرقه وفيه انذار باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شي اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد
من قوله قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا فمن ياتيكم بما معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمه في الما
ويقيدوها بالشكر الدايم ويخافوا نفادها اذا لم يشكر وافانشانا لكم به بالما جنات من نخيل واعناب
لكم فيها في الجنات فواكه كثيره ومنها تاكلون شتا وصيفا وانما خص النخيل والاعناب بالذكر لانهما كانا
عظم ثمار الحجاز وما والاها فكانت النخيل لاهل المدينه والاعناب لاهل الطوايف فذكر القوم
ما يعرفون من نعمه فقيل التمر والعنب ليسا من الفواكه ولهذا افرد الفواكه بالذكر ومنها تاكلون قيل من النخيل
والاعناب وقيل من ثمار الجنه وزروعها وقيل من الفواكه على تقدير لتتفكهوا بها وقيل يجوز ان يكون
قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفته ومن ضيعة يعنيها ومن تجارة يتربح بها
يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم
منها ترزقون وتتعيشون وشجره عطف على جنات اي وانشانا لكم ايضا شجره تخرج من طور سينا
وهي الزيتون قيل خص هذه الانواع الثلاثه لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل
والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهه يتفكه بها وطعام يوكل رطبا ويابسا ورطبا وعنبا وتمرا
وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
سينا مكسورة السين والباقون مفتوحة السين وكلهم مدها وهي لا تنصرف لانها جعلت اسما للبقعه
او ارض وكذلك سينين قيل طورسينا وطورسينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعه اسمها

سينا

سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرى القيس وكبعلبك
فمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع الصرف للتعريف والعجمه او التانيث لانها بقعه وفعلا
لا يكون الفه للتانيث كعلبا وحربا ومن فتح لم يصرفه لان الالف للتانيث كصحرا والطور وسينا
ابو صالح عن ابن عباس الحسن الضحاك الطور الجبل بالسريانيه وسينا الحسن العوفي عن ابن عباس
المبارك مجاهد انه اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده ابن السايب طور سينا
الجبل المشجر وقيل ان سينا اسم للمكان الذي به هذا الجبل ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى
وهو بين مصر وايله وقيل هو جبل فلسطين تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن فقوله بالدهن في موضع
الحال قرا ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التا وكسر البا والباقون بفتح التا وضم البا قيل نبت وانبت لغتان
معناهما واحد يقال نبت الشجر وانبت في معنى واحد قال زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل وقيل تنبت متعد مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت
وصبغ عطف للادام وقيل الصبغ هاهنا الزيت لانه يلون الخبز اذا غمس فيه والمراد هاهنا ادام
يصطبغ به قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم منافع كثيره ومنها
تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون هذا النوع ثالث من الاستدلال وان لكم في الانعام لعبره ذكرا ان فيها
عبرة مجملا ثم اردفه بالتفصيل من اربعة اوجه احدها نسقيكم مما في بطونها والمراد منه
جميع وجوه الانتفاع ووجوه الاعتبار فيه انها تجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم
باذن الله فيستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوه ويصير غذا فمن استدل به دل على قدرة
الله وحكمته كان ذلك معدودا في النعم الدينيه ومن انتفع به فهو نعمه في الدنيا وايضا فهذه الالبان
التي تخرج من بطونها الى الضروع تجدها شرابا طيبا واذا ذبحتها لم تجد لها اثرا وذلك دال على قدرة
الله قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم نسقيكم بفتح النون والباقون بضمها وثانيها ولكم فيها
منافع كثيره في ظهورها والبانها واولادها واصوافها واشعارها وثالثها ومنها تاكلون يعني
كما تنتفعون بها وهي حيه فتنتفعون بها بعد الذبح ايضا بالاكل ورابعها وعليها وعلى الفلك تحملون
لان وجه الانتفاع بالابل في الحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر فلذلك جمع بين الوجهين
في انعامه قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو
شا الله لانزل ملايكه ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنه فتربصوا به حتى حين
قال رب انصرني بما كذبون لما بين دلايل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العاده في ساير السور
قيل هذا ابتدا تمثيل لكفار قريش بامم كذبت بانبيايها فاهلكوا ففي ضمنه للوعيد بان يحل
بهولا نحو ما حل باوليك وقيل هذا تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر هذا الرسول
الصابر ليتاسى به في صبره وليعلم ان الرسل قبله قد كذبوا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه ما لكم من اله معبود غيره افلا تتقون اي افلا تخافون
ان يهلككم في الدنيا بعذاب الاستيصال ثم في الاخره بعذاب النار فقال الملا الاشراف
الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم يطلب الفضل عليكم
ويراسكم وقيل يتكلف ان يكون افضل منكم فتطيعوه فيما يامركم به وينهاكم عنه ولو شا الله ارسال
رسول لارسل ملايكه ما سمعنا بهذا اشارة الى نوح اي ما سمعنا بمثل هذا الذي يدعي وهو
بشر انه رسول الله وقيل بهذا اشارة الى ما كلمهم به نوح من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل

هذا الكلام وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل
على انهم وآباهم كانوا في فترة متطاولة او كذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما
عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا
ان هو الا رجل به جنة جنون وقيل به جن يخبلونه فتربصوا به فانتظروا حتى يموت فتنجوا منه ولا تشتغلوا
وقيل حتى يفيق من جنونه فيدع هذا او يستبين جنونه فيعذر وقيل احتملوه واصبروا عليه الى زمان
حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه فيدع هذا والا فتقتلوه قال رب انصرني بما كذبون فلما
ايس من ايمانهم قال يا رب انتقم لي فاهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وقيل انصرني بدل ما كذبون كما تقول
هذا بذاك اي بدل ذلك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم وانصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **قوله تعالى** فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جا امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا
وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين قرا حفص عن عاصم من كل بالتنوين اي
من كل امة زوجين واثنين تاكيد وبيان لان المعنى من كل امة زوجين اثنين والباقون
بالاضافة والمعنى من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر والانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك اثنين واحد من هذه وجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة
واهلك الا من سبق عليه جي بعلى مع سبق الضار كما جي باللام مع سبق النافع قال الله عز
وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله
تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي
وقل رب انزلني نهاه اولا عن الدعاء لهم بالنجاة وقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر
بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم لقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
ثم امره ان يدعوه بدعا هو اهم وانفع له وهو طلبه ان ينزله في السفينة او في الارض عند
خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثنا
المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل
فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم
فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية وان رتبة تلك
المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي قرا ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم اسم لكل ما نزلت به
والباقون بضمها المصدر بمعنى الانزال تقول انزلته انزالا ومنزلا قيل انما قال نوح هذا
القول وقت نزوله في السفينة وقيل وقت نزوله من السفينة ان في ذلك اي امر نوح
وقومه لايات وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى
وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلا عظيم وعقاب شديد وقيل
معناه مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر
قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة واترفناهم
في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم

بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي اهلكنا قوم نوح ثم انشانا احدثنا من بعده قوم نوح قرنا
اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا عليه السلام وقومه قاله ابن عباس ويشهد له حكاية
الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح ومجي قصة هود على اثر قصة
نوح في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعرا قال صاحب الكشاف فان قلت حق ارسل ان
يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله
كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع اخر
والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة والقرية جعلت
موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جا بعث على ذلك في قوله ولو شينا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ان اعبدوا الله ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ذكر مقالة
هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وعلى تقدير سوال سايل قال فما قال قومه
فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول
هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة بلقا ما فيها من
الحساب والثواب والعقاب لقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة واترفناهم في الحيوة
الدنيا بكثرة الاموال والاولاد فتنعموا فيها ذكر الفا في قصة نوح لانه جواب لقوله فقال يا قوم
اعبدوا الله واقع عقيبه وذكرها هنا بالواو لانه ليس جوابا للنبي متصلا بكلامه واخر من قومه
عن الذين كفروا في قصة نوح فذكر المجرور بعد صفة الملا وهو موضعه لان المجرور حال
والحال متاخر عن الصفة وقال هاهنا وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة
فقدم المجرور لعارض صيره بالتقديم اولى وهو انه لو اخر عن الوصف وانت تعلم ان تمام الوصف
بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه واترفناهم في الحيوة الدنيا لاحتمل ان يكون المجرور من صلة
الدنيا واشتبه الامر في القايلين اهم من قومه ام لا وقيل قدم المجرور ههنا كراهة الاحالة بين
المعطوف والمعطوف عليه في الصلة وذلك ممتنع مع الصلة واخر في قصة نوح حيث لم تطل
الصلة ولم يلزم الاحالة بين المعطوف والمعطوف عليه في الصلة ما هذا الذي زعم انه نبي الا
بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فمن اين يدعي رسالة الله من بينكم
وليس هو باولى من غيره ومعنى مما تشربون من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله
عليه ولئن اطعتم بشرا فيما يامركم وينهاكم عنه مثلكم انكم اذا لخاسرون عقولكم ومغبونون
رايكم اذا وقع في جزا الشرط وجواب للذين قاولوهم **قوله تعالى** ايعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ثني
انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن انكم الاول
وقيل انكم مخرجون في تقدير المصدر اي اخراجكم وهو مبتدا واذا متم خبر مقدم عليه والمعنى
اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم الاول وقيل انكم مخرجون مرفوع بفعل هو جزا الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم **قوله تعالى** هيهات
هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن
نادمين قرا السبعة هيهات هيهات بفتح التا فيهما في الوصل وباسكانها في الوقف
ومعنى هيهات لما توعدون البعد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا

منهم للتفكر في بدو امرهم وقدل الله تعالى على ايجادهم واراد وا بهذا الاستبعاد انه لا يكون
ابدا قال صاحب الكشاف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات
كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد
لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزله المصدر وفيه وجه اخر وهو ان يكون
اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به
ان هي الا حيوتنا الدنيا اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها ودنت منها والحيوة التي
يدعيها بعد الموت باطله وهي في قوله ان هي ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة
الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت
وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافيه دخلت على هي التي في معنى
الحيوة الداله على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها بنفي الجنس نموت ونحيى اي
يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ان هو اي ما هو الا
رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له
بمؤمنين بمصدقين قال هود رب انصرني بما كذبون ودعا هود عليهم فاجابه الله بقوله
قال اي الله عما قليل اي عن قليل من الزمان ليصبحن نادمين اذا عاينوا ما يحل بهم ثم لا
ينفعهم ندمهم فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين
فاخذتهم الصيحة قيل صيحة جبريل صاح بهم جبريل صيحة هائلة تصدعت قلوبهم فماتوا بها ومن
هذا قيل انهم قوم ثمود والرسول هو صالح لان قوم صالح اهلكوا بالصيحة عبارة عن اي عذاب
كان بالحق قيل بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك وقيل بالعذاب من الله
عز وجل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه وقيل بالحق بالوعد الصادق
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق
والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى فبعدا مصدر موضوع موضع
فعله وهو من المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى
بعدا بعد وا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا للقوم الظالمين
بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشانا من
بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها قيل اجل الموت وقيل اجل العذاب وقيل الوقت
الذي حد لهلاكها ولتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى متواترين واحدا
بعد واحد من الوتر وهو الفرد تترى قرا ابن كثير وابو عمرو تترى منونه والوقف
بالالف والباقون بلا تنوين والوقف عند نافع وابن عامر بالالف والمعنى تتابع تواتر بين
كل رسولين وهو من التواتر والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى كلما جاء
امة رسولها اضاف الرسل اليهم ثم ارسلنا رسلنا الى الامم كلما جاءت امة رسولها لان
الاضافه تكون بالملابسه والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فاضاف الله حين
قال ارسلنا واضاف اليهم حين قال جاء كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك اي اهلكنا
بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها وقيل احاديث مثلا يتحدث

به في الناس الاحاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
الاحاديث جمع احدوثه التي هي مثل الاضحوكه والالعوبه والاعجوبه وهي ما يتحدث به الناس
تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فبعدا لقوم لا يؤمنون نكر قيل لان التقدير ومن لا يؤمن لم يؤمنوا
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاستكبروا
وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين
ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا التسع وقيل
بالتورية وسلطان مبين قيل العصا لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من
انقلابها حيه وتلقفها ما افكته السحره وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها
حارسا وشمعه وشجرة خضراء مثمره ودلوا ورشا جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به
من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان يراد الايات نفسها اي هي
ايات وحجة ظاهره الى فرعون وملايه فاستكبروا عن قبول الحق والايمان تعظما وترفعا وكانوا
قوما عالين متكبرين قاهرين وقيل متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال
ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرايل لنا
عابدون اي هم لنا كالخول والعبيد نعبد ونتخضع وتذلل وقيل لان فرعون كان يدعي الالهيه
فادعى للناس العباده وان طاعتهم له عباده على الحقيقه فكذبوهما اي فكذب فرعون وملاه
موسى وهرون فكانوا اي فكان فرعون وملاوه من المهلكين بالغرق في البحر ولقد اتينا
موسى الكتاب لعل بني اسرايل يهتدون به الى الحلال والحرام وقيل ولقد اتينا موسى الكتاب
اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملايهم
اي ال فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويرادون قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير
في لعلهم الى فرعون وملايه لان التورية انما اوتيها بنوا اسرايل بعد اغراق فرعون وملايه
ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم
وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
اني بما تعملون عليم وجعلنا ابن مريم وامه ايه داله على قدرتنا وكان حقه ان يقال ايتين
لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع
معجزات اخر فكان ايه من غير وجه واللفظ محتمل للتشبيه على تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه
اية ثم حذف الاولى لدلالة الثانيه عليها وقيل معناه وجعلنا قصة ابن مريم وامه ايه واويناهما
اي جعلناهما ياويان الى ربوة قرا ابن عامر وعاصم بفتح الرا والباقون بضمها عبد الله بن سلام
دمشق ابو هريره هي الرمله قتاده وكعب بيت المقدس كعب هي اقرب الارض الى السما
بثمانية عشر ميلا ابن زيد مصر ذات قرار ذات مستقر من ارض مستويه منبسطه قتاده ذات
ثمار وما يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين ما ظاهر جار على وجه الارض قيل
معين مفعول اي مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته
وقيل معين فعيل اي انه نباع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعه يا ايها الرسل الندا
والخطاب ليسا على ظاهرهما لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفه وانما
المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي

لجميع الرسل وصوابه حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه وقيل انه خطاب لعيسى عليه السلام بلفظ
التعظيم لاتصال الاية بذكره وكان ياكل من غزل امه وهذا كما يقال للرجل الواحد ايها القوم
كفوا عنا اذاكم الحسن ومجاهد وقتاده المراد به محمد صلى الله عليه وسلم كلوا من الطيبات ما حل وطاب
وقيل الطيبات الحلال وفي الاكل اداب الحلال والصافي والقوام والادب فالحلال الذي لا يعصى الله
فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك به النفس ويحفظ العقل والادب شكر المنعم
وقيل الطيبات ما يستطاب ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيبه على عقب قوله واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين قيل ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايوا عيسى ومريم الى الربوة فذكر
على سبيل الحكايه اى اويناها وقلنا لهما هذا اى اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا
مما رزقناكما واعملا صالحا اقتدا بالرسل سهل امران ياكلوا حلالا ولا تسعوا طغيانا والصالحات
من الاعمال اداب الامر بالفرض والسنه واجتناب النهي باطنا وظاهرا **قوله تعالى** وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم
في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وان بفتح الالف وتشديد النون وابن عامر بفتح الالف وسكون النون
وعاصم وحمزه والكسائي وان بكسر الالف وتشديد النون على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففه من
المثقله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا جمع زبور اى جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا اى دان كل فريق منهم
بكتاب غير الكتاب الذي دان به الاخر وقيل معناه فتفرقوا دينهم بينهم كتبا احدثوها يحتجون بها للمذاهبهم
وقيل معناه ان هذه الجماعه واحد كلهم عباد الله والله خالقهم ومربيهم ونصب امة على الحال
والمعنى انها ما دامت متوحده فهي مرضيه فاذا تفرقت فلا فاتقون فخافون في شق العصا وتفرق كلمتكم
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اى قطعوا امر دينهم وفرقوا ما امروا به ان يكون دينا واحدا كل حزب
كل فرقه من فرق هو المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمين النفس معتقد انه على الحق فذرهم
فدعهم في غمرتهم في جهالتهم وضلالتهم والغمرة الماء الذي يغمر القامه فضربت مثلا لما هم مغمورون
فيه من جهلهم وعمايتهم وقيل شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل كما قال الشاعر
كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلى رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيرهم ايحسبون ان
الذي نمدهم من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات جزا على حسن صنعهم بل ليس الامر على ما يحسبون
لا يشعرون ان ذلك امتحان واستدراج قيل والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم
الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام
ومعاجله بالثواب قبل وقته وقيل يجوز ان يراد في جزا الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين
وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهايم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا
في ذلك اهو استدراج او مسارعه في الخيرات **قوله تعالى** ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين
هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم
راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك
ذكر المومنين ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم والذين يوتون ما اتوا يعطون ما اعطوا من الزكوات
والصدقات عن عايشه رضي الله عنها قالت يا رسول الله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى
ربهم راجعون اهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله تعالى قال لا يا بنة الصديق

الصديق ولكنه هو الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه وقلوبهم وجلة خائفه
ان لا يقبل منهم لتقصيرهم انهم الى ربهم راجعون قيل التقدير لانهم وقيل هو مفعول الوجل
اي وجله الى الرجوع الى الله تعالى والمعنى يعملون على وجل والواو للحال اولئك يسارعون في الخيرات
قيل يرغبون في الطاعات اشد الرغبه فيبادرونها وقيل انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه
الاكرام كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخره واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخره
لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا القول احسن طباقا
للاية المتقدمه لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمومنين وهم لها اي لاجل الخيرات فاعلون السبق وقيل
سابقون الناس لاجلها وقيل اناسا يقون اى ينالونها قبل الاخره حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل يجوز
ان يكون سابقون خيرا بعد خير ومعنى وهم لها كقوله انت لها احمد من بين البشر **قوله تعالى** ولا
نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين
غير خارج من حد الوسع والطاقه وكذلك كل ما كلفه الله عباده فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها
ولدينا كتاب يعني اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق ما عملوا وما هم عاملون من الخير والشر
يعني وما عملوه من الاعمال فغير ضايع عندنا بل مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق
بالحق لا يقرون منه يوم القيامه الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان وهم لا يظلمون وقيل
اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هولا السابقين بعد ان يستفرغ وسعه
ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احدا من حقه ولا يحطه دون درجته
قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون بل قلوب
الكفره في غفله غامره من هذا الذي وصف به المومنون وقيل من كتاب الحفظه وقيل من القران
وقيل من الحق ولهم اعمال من دون ذلك اى اعمال خبيثه دون الشرك وقيل دون الحق وقيل
دون اعمال الايمان وقيل ولهم اعمال يتجاوزون متخطيه لذلك اى لما وصف به المومنون وقيل معنى
دون ذلك سوى ذلك الحسن فجماعة لهم اعمال من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها وقيل الضمير في
قوله بل قلوبهم يعود الى المومنين وقوله في غمرة من هذا اى مغمورون بالاشفاق مع هذه الافعال الحسنه ولهم
اى وللمومنين اعمال من دون ذلك يريد بالاول الفرايض وبالثاني النوافل هم لها عاملون وعليها مقيمون
وقيل هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها **قوله تعالى** حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون حتى اذا اخذنا مترفيهم منعميهم
وروسايهم واغنيايهم بالعذاب اى بالعذاب الدنيا عن ابن عباس يعني بالسيوف يوم بدر وحتى هذه
هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجمله الشرطيه وقيل بالعذاب بالجوع وذلك حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله
بالقحط حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب والاولاد اذا هم يجارون يصرخون صراخ الثور ويضجون
ويجزعون ويستغيثون والجوار الصراخ ورفع الصوت بالاستغاثه لا تجاروا اليوم اى يقال لهم حينيذ لا تجاروا
فان الجوار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونه **قوله
تعالى** قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قد
كانت اياتي اى القران تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون وتدبرون وتستاخرون ورجع
القهقرى وهو اقبح مشيه لانه لا يرى ما وراه وقيل تستاخرون مستكبرين متكبرين على المسلمين به بالبيت
او بالحرم اى هم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار

بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقايمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر
لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم بالبيت به استكبارا ضمن مستكبرين معنى
مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماع القران استكبارا وعتوا فانهم مستكبرون بسببه
او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القران والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل
يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه
وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع سامرا نصب على الحال تهجرون اي القران
والدين قرا نافع تهجرون بضم التا وكسر الجيم من الهجر وهو السب والافحاش من المنطق اي تسبهم للنبي صلى
الله عليه وسلم والباقون بفتح التا وضم الجيم قيل تهجرون ذكر الله والحق وقيل تهجرون كتاب الله ونبيه
وقيل تهجرون البيت عن سعيد بن جبير كانت قريش تسمر حول البيت وتفتخر به ولا تطوف به وقيل يقولون
هجرا من القول وهو اللغو والهذيان يقال هجر الرجل في منامه هذى **قوله تعالى** افلم يدبروا
القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين
افلم يدبروا القول اي القران فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبر فيعلموا انه الحق المبين فيصدقوا
به ويمن جاءه ام جاءهم من الامر ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه
واباوهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة
فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر
فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شي فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما
وكان على شرطة سليمان بن داود وقيل بل جاءهم ما لم يات اباءهم فانكروا واعرضوا عنه عن ابن عباس
ان ام في معنى بل اي جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين وتقديره ولم ياتهم ما لم يات اباءهم الاولين
والمعنى قد جاءهم رسول وكتاب مفهوم ام لم يعرفوا رسولهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالصدق والامانة
ووفور العقل وصحة نسبه وحلوله وسط هاشم والتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها
ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا فهم له منكرون وهذا انه توبيخ لهم لانهم
عرفوه بحسبه ونسبه ثم اعرضوا عنه ام يقولون به جنة جنون لانه طمع في اتباعنا اياه وكانوا يعرفون
انه بري منه وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا بل جاءهم بالحق بالقول الذي لا يخفى صحته
وحسنه على عاقل وبما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم
من اتباع الباطل ولم يجد والمردا ولا منه فعالا لانه الحق اليقين والصراط المستقيم فاخلدوا
الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر واكثرهم للحق كارهون فان قيل قوله
واكثرهم للحق كارهون يفهم منه ان اقلهم غير كارهين للحق اجيب بانه كان فيهم من ترك الايمان
به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابايه لا كراهة للحق كما يحكى
عن ابي طالب قال صاحب الكشاف فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت
يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تشتهر اسلام حمزة والعباس
ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اي الله اهواءهم مرادهم ومشتهاهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن لانهم يدعون الهة شتى فلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل الحق ضد الهوى ويحال
الجمع بينهما وقيل الحق التنزيل وقيل لفسدت احوال السموات والارض ومن فيهن وخص

العقلا بالذكر لان غيرهم تبع وقيل فساد الملايكة بان تعبد وامن دون الله بل اتيناهم بذكرهم ابن
عباس الذكر بيان الحق وهو القران وقيل بذكرهم بشرفهم لان القران بلسانهم والرسول منهم فهم عن ذكرهم
عن القران والشرف معرضون ام تسالهم على ما جئتهم به خرجا قرا ابن عامر خرجا فخرج بغير الف فيهما وحمزة
والكساي خراجا فخراج بالالف فيهما والباقون خرجا بغير الف فخراج بالالف خرجا اجرا وجعلا واصل الخرج
والخراج الغلة والضريبة والاتاوة كخراج الارض والعبد سيل ابو عمرو بن العلا بين الخرج والخراج فقال
الخراج ما لزمك ووجب عليك اداوه والخرج ما تبرعت به من غير وجوب فخراج ربك رزق ربك في الدنيا
وقيل ثوابه ربك في العقبى خير لانه ابقى وادوم وهو خير الرازقين خير المعطين **قوله تعالى** وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام **قوله تعالى** وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون
عادلون عنه مايلون الى غيره وقيل طريق الجنة وقيل الصراط الذي يكون في الاخرة لناكبون ياخذهم
يمنة ويسرة الى النار يقول نكب عن الطريق ونكب بمعناه قال صاحب الكشاف قد الزمهم الحجة في هذه الايات
وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله
للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما
الى النيل من دنياهم واستعطا اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون
من دوائهم وهو الاخلال بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون
بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرات وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من
الذكر يحتمل ان هولا وصفتهم انهم لا يومنون بالاخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور
وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يومن بالاخرة فهم عن القصد ناكب **قوله تعالى** ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون من ضر قحط وجدب وجوع للجوا لتمادوا في طغيانهم يعمهون يترددون
يحرون والمعنى لو كشف الله عنهم الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين
وافراطهم فيها قوله ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ابن عباس لما اتى ثمامة
بن اثال الحنفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو اسير فخلى سبيله فلحق باليمامة فحال بين اهل مكة وبين
الميرة من اليمامة واخذ الله تعالى قريشا بسني الجدب حتى اكلوا العلهز فجا ابو سفيان النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى قال قد قتلت
الاباء بالسيف والابناء بالجوع فانزل الله تعالى هذه الاية **قوله تعالى** حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد اذا هم فيه مبلسون ابن عباس يعني يوم بدر مجاهد القحط وقيل عذاب النار في الاخرة
اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير **قوله تعالى** وهو الذي انشا لكم السمع والابصار
والافيدة قليلا ما تشكرون انما خص السمع والابصار والافيدة لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في ايات الله
وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار
بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد **قوله تعالى** وهو
الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون اي منه المبدا واليه المعاد **قوله تعالى** وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما
غيره وقيل وهو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان وقيل اختلافهما بالظلمة والنور وقيل لمكان

هذا

اختلافهما ولد التدبير فيهما افلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا على البعث **قوله تعالى** بل قالوا مثل
ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا
هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين بل اضراب والجحد قبله مقدر كانه قال ليس لهم نظر في هذه
الايات بل قالوا اي كفار قريش مثل ما قال الاولون اي الامم السالفة الكافرة كعاد وثمود ثم بين ما قالوا
فقال قالوا اي الاولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبطاء لامر البعث لقد وعدنا نحن
واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن
سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له والاوفق ان يجعل جمع اسطورة **قوله تعالى** قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون الله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون
الله قل فانى تسحرون قل لهم يا محمد مجيبا لهم لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اي اجيبوني عما استعلمتكم
منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر
البين سيقولون لله لانهم معترفون بان الله هو الخالق فاذا قالوها قل لهم افلا تذكرون فتعلموا
ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به
بعض خلقه في الربوبية وقيل افلا تذكرون ان مالك الشيء يقدر على التصرف في الشيء والاموات مملوكة
لله فهو قادر على احيائها بعد الموت قدرته عليها في المرة الاولى فانها كانت امواتا فاحياها قل من
رب السموات والارض اي سلهم عن اعظم من الارض ومن في الارض وهي السموات السبع والعرش
العظيم سيقولون الله فانهم لا ينكرون ان الله خالقها مع عظم اجرامها وعلو مكانها فاذا قالوها قل لهم افلا
تتقون عقاب من هذه كلها ملكه ومقدوره بانكار شيء حقير وهو اعادة الموتى احياء وقيل افلا
تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله قرا ابو عمرو الله بغير الف في الاول وفي الاخرين
بالالف على القياس والباقون لله في المواضع الثلاثة لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد لانك اذا قلت
من رب هذه الدار فقيل لزيد جاز لان معنى من رب هذه الدار لمن هي قل من بيده اي سلهم عن احوالها
فقد اقروا ان ذواتها لله وهو يجير اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته وهو يغيث من يشاء
ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا اي يمنع المكروه من اوليائه ولا يمنع احد السوء ممن اراده الله ان كنتم تعلمون
اي ان كان لكم علم وعقل فقد قامت الحجة عليكم باقراركم وقيل معناه اجيبوا ان كنتم تعلمون سيقولون لله
لانهم معترفون بهذا فاذا قالوها قل فانى تسحرون تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وعن
رشدكم وقيل تعمون من قوله سحر واعين الناس وقيل من ان يخدعكم التمويه والسحر وقيل من اي
جهة يخيل اليكم الباطل حقا والكذب صدقا **قوله تعالى** بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما
اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي ليس الامر كما يقولون من نسبتهم الى الله ما لا يليق بل اتيناهم بالحق
لان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا وقيل معناه بينا
لهم الحق وظهر كذبهم وانهم لمصرون عليه وقيل لكاذبون بقولهم اتخذ الله ولدا اما اتخذ الله ولدا وما كان معه
من اله ادعى امرين احدهما قوله ما اتخذ الله من ولد كالتنبيه على ان ذلك من قول هؤلاء الكفار فان جمعا
منهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله والثاني قوله وما كان معه من اله وهو قولهم باتخاذ الاصنام الهة
ثم انه تعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي لانفرد كل واحد من الالهة
بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال

ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز للممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد
بيده ملكوت كل شيء واذا لا يدخل الا على كلام هو جواب وجزاء فالشرط ها هنا محذوف تقديره ولو كان معه الهة
وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله عما يصفون
من الاولاد والانداد عالم قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم عالم بالجر والباقون بالرفع على
ان يكون خبر مبتدا محذوف **قوله تعالى** قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب
الظلمة قل يا محمد يا رب اما تريني ما والنون مؤكدتان اي وان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في
الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره
افي حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء فلا تجعلني في القوم الظالمين فلا تهلكني بهلاكهم

مع القوم

وقوله فلا تجعلني جواب لاما وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون اخبار بقدرته على انزال
العذاب قيل هو يوم بدر وقيل هو فتح مكة وقيل ان الله اخبر لعلمه يؤمنون كانوا ينكرون الموعد
بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه
هذا الانكار ادفع بالتي هي ابلغ من ان يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال
ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح
والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي
احسن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه
الحسن الاغضاء والصفح وقيل منسوخة باية السيف وقيل هي محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى
ثلم دين وازراء بمروة نحن اعلم بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء
ذكرهم نحن اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم وقل يا محمد يا رب اعوذ بك من همزات جمع همزة وهي
المرة من الهمز النخس والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز
الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم
بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله **قوله تعالى**
حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو
قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى
هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله تعالى
على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون
حتى اذا جاء احدهم الموت يعني المشركين وذلك حين ينقطع عن الدنيا ويعاين الاخرة قبل ان يذوق
الموت قال رب ارجعون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله انا نحن فخوطب على هذا كما ابتدا
بلفظ التعظيم وكقول الشاعر وان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله
محمد وقيل هذه المسالة من الكفار انما كانت للملائكة الذين يقبضون الارواح وانما ابتدا الكلام
بخطابه جل ثناؤه لانهم استغاثوا اولا بالله تعالى ثم رجعوا الى مسالة الملائكة الرجوع الى الدنيا
اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل
الصالح فيه فسال الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي اتي بما تركته

من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اوسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال
وقيل اعمل صالحا فيما تركت خالصا في الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى وقيل اعمل صالحا اقول لا اله الا الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المومن الملايكه قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعه وانكار
واستبعاد اي لا يكون ما سالته من الرجوع وقيل معناه حقا انها كلمه اي ان قوله ارجعون كلمه طايفه
من الكلام منتظم بعضها مع بعض وقيل هي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قايلها لا محاله لا يخليها ولا
يسكت عنها لاستيلا الحسره عليه وتسلط الندم قيل كلمه هو قايلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه وقيل
الضمير في انها يعود الى قوله اذا جا احدهم الايه اي ان قوله اذا جا احدهم الايه كلمه هو الله قايلها فلا
يدخلها خلف ومن ورايهم الضمير للجماعه اي امام الجماعه برزخ حايل بينهم وبين الرجعه الى يوم البعث
وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعه يوم البعث الا الى الاخره
ابن عباس حجاب السدي اجل قتاده بقيه الدنيا الضحاك ما بين الموت الى البعث وقيل البرزخ القبر
وقيل ما بين النفختين وهو اربعون سنه **قوله تعالى** فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يوميذ
ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم
في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون لما قال
ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم سعيد بن جبير اراد النفخه الاولى عطا الثانيه
فلا انساب بينهم يوميذ يتفاخرون بها او يتقاطعون بها لان الانساب لا تنقطع يوميذ انما يرتفع التواصل
والتفاخر بها ويحتمل ان التقاطع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم
والتالف الا بالاعمال فتلغوا الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف
والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا يتساءلون اي
ولا يسال بعضهم بعضا بعونه لعلمه بانه مشغول بنفسه وقيل لا يسال بعضهم بعضا عن حاله
وليس بين هذا وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون تناف لان هذا في بعض المواقف والقيمه
مواقف عن ابن عباس لا يسالون عند النفخه الاولى وقيل مادام في المحاسبه لا يتساءلون لانهم
لا يتفرغون فاذا فرغوا ادخلوا الجنه او النار يسلوا فمن ثقلت موازينه تلفح تسفع قيل اللفح والنفح
واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص شفتان وتتشمرا عن الاسنان كما يرى الروس
المسويه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال
تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته
الم تكن اي فيقال لهم الم تكن اياتي اي القران تتلى عليكم في الدنيا وفيه الامر والنهي فكنتم بها تكذبون
ذكر بعده ما جرى مجرى الجواب عنه وهو من وجهين الاول **قوله تعالى** قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسوا فيها ولا تكلمون
انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم
الفايزون لما قال تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكروا ما جرى مجرى الجواب
عنه وهو من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه مني وامتلكه
شقوتنا قرا حمزه والكسايي شقاوتنا بالالف مع فتح السين والقاف والباقون بكسر الشين من غير الف

سوقبتنا

سوء قبتنا التي كتبت علينا والشقوه والشقاوه لغتان وهي المضره اللاحقه في العاقبه والسعاده
المنفعه اللاحقه في العاقبه وكنا قوما ضالين عن الحق والهدى ربنا اخرجنا منها من النار فان
عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا الحسن هذا اخر كلام يتكلم به اهل النار قال الله
تعالى في جوابهم بعدا لف سنه اخسوا اي ذلوا فيها وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت
تقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم ولا اكلمه عليكم
وقيل هذا على جهه الغضب اللازم لهم ثم بين الامر الذي لاجله اخساهم بقوله انه اي ان الامر والشان
كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين يعني المومنين فاتخذتموهم
سخريا قرا نافع وحمزه والكسايي بضم السين والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناها واحد وهما مصدر
سخر كالسخر الا ان في النسب زياده قوه في الفعل كما قيل الخصوصيه في الخصوص وعن الكسايي ان
المكسور من الهزء والمضموم من السخره والعبوديه اي تسخروهم واستعبدوهم قيل هم الصحابه
وقيل اهل الصفه خاصه ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفه ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليايي نسب الفعل الى المومنين
وان لم يفعلوه لانهم كانوا السبب في وجوده وكنتم منهم تضحكون استهزا بهم مقاتل كان رووس
كفار قريش كابي جهل وعقبه والوليد قد اتخذوا فقرا اصحاب رسول الله كعمار وبلال وخباب
وصهيب سخريا يستهزءون بهم ويضحكون منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على استهزايكم واذايكم في
الدنيا والجزا مقابله العمل بما يترتب عليه من ثواب او عقاب انهم قرا حمزه والكسايي انهم بكسر الهمزه
على الاستيناف اي انهم هم الفايزون حيث صبروا فجزوا ابصبرهم احسن الجزا والباقون بفتحها على
انه مفعول جزيتهم لقولك جزيتهم فوزهم **قوله تعالى** قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الغرض من هذا السوال التبكيت فقد كانوا ينكرون لبثا
في الاخره اصلا ولا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون ان بعد الموت دوام الفنا ولا اعاده
فلما حصلوا في النار وايقنوا انها دايمه وهم فيها خالدون سالهم قرا ابن كثير وحمزه والكسايي
قل كم لبثتم على ان في قل ضمير الكلام او بعض روسا اهل النار والباقون قال على ان في قال
ضمير الله كم لبثتم في الارض قيل في القبر وقيل في الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم وكم نصب
بلبثتم وعدد نصب بكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا امد لبثهم في الدنيا ونحوهم على غفلتهم
التي كانوا عليها وقيل انهم كانوا عالمين انهم مكثوا في اكثر من يوم ويومين ولكنهم ارادوا اللبث
قليلا فسل العادين قيل الملايكه وقيل ملك الموت واعوانه وقيل الحفظه وقيل الحساب والمعنى
لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب
وما فينا ان نعدها ثم هي وسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره قال ان لبثتم الا قليلا اي
انتم وان اخطاتم فيما اجبتم به فما لبثتم في الدنيا الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون هذا لما اشتغلتم
بالمعاصي افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين لقوله لاعبين وقيل مفعول له اي خلقناكم
للعبث اي لتعبثوا وتغفلوا وتلهوا وانكم الينا لا ترجعون بعد الموت معطوف على انما خلقناكم
ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين قرا حمزه والكسايي ترجعون
بفتح التا والباقون بضمها **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم

[illegible]

ثم انه تعالى نزه نفسه عن العبث فقال فتعالى الله تعالى الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق الذي يحق له الملك لان
كل شي منه واليه الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالرحمة لان الرحمه
تنزل منه والخير والبركه وبنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقول بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمه نحو قوله يطير بجناحيه جي بها للتوكيد
لا ان يكون في الالهه ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزا كقولك من احسن
الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه هذا جواب الشرط اي فانما جزاوه عند
ربه بمقدار انه لا يفلح الكافرون والاصل حسابه انه لا يفلح هو وضع الكافرون موضع الضمير لان من
يدع في معنى الجميع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابه عدم الفلاح جعل فاتحة السورة قد افلح
المومنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمه وقل يا محمد رب
اغفر وارحم لي ولامتي لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة امر ان يستغفر ويسترحم
له ولامته ليكون الختم بالغفران والرحمه للمومنين كما ان الافتتاح بالفلاح لهم **سورة النور**

مدنيه وهي اربع وستون ايه والف وثلثمايه وست عشرة كلمه وخمسة الف وستمايه وثمانون
حرفا عن ابي بن كعب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد كل مومن فيما مضى وفيما بقي عن عايشه رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حق البنات لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابه وعلموهن الغزل وسورة النور بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدا
محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة لسورة ويجوز ان تكون سورة مبتدا موصوفا والخبر محذوفا
اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وفرضناها قرا ابن كثير وابو عمرو بتشديد الرا على معنى التكثير اي
فرضنا فيها فرايض كثيره يقال فرضت الفريضه وفرضت الفرايض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن
بعدهم او المبالغه في الفرض وتوكيده والباقون بالتخفيف والفرض القطع اي جعلناها واجبه مقطوعا
بها وانزلنا فيها ايات بينات اي دلايل واضحات وقيل فرايض واحكاما لعلكم تذكرون لكي تذكروا
وتعتبروا **قوله تعالى** الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طايفة من المومنين الزانية
والزاني رفعهما على الابتدا عند الخليل وسيبويه والخبر محذوف على معنى فيما فرض عليكم الزانية
والزاني اي حكمهما فاجلدوا ويجوز ان تكون جملة اخرى وقيل الخبر فاجلدوا ودخول الفا لان الالف واللام في
الزانية والزاني بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا كل واحد
منهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا
فاجلدوهم ثمانين جلده وقدم الزانيه لان اثر الزنا يبدو عليها من الحبل وزوال البكاره والجلد
ضرب الجلد يقال جلده اذا ضرب جلده كما يقال بطنه اذا ضرب بطنه فاجلدوا اي فاضربوا كل
واحد منهما مائة جلدة مائة ضربه والخطاب للايمه ومن يلي من قبلهم قال الامام الكلام في هذه
الايه على نوعين نوع يتعلق بالشرع ونوع يتعلق بالعقل الاول الزنا حرام من الكباير والبحث
في الزنا عن ماهيته واحكامه وشرايطه المعتبره في كونها موجبا للاحكام وعن الطريق
الذي يعرف به حصول الزنا وعن المخاطبين بقوله فاجلدوا وعن الرجم والجلد الاول قال
بعض اصحابنا الشافعيه الزنا ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا فيدخل اللواط ويطلق عليه
اسم الزنا لما روى ابو موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان

ولان

ولان اللواط كالزنا صورة ومعنى اما الصورة فلان الزنا ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا
والدبر ايضا فرج لان القبل انما سمي فرجا لما فيه من الانفراج والانفراج حاصل في الدبر ولهذا هم
ان الفرج عرفا لا يطلق الا على القبل والعرف اولى ولان الزنا قضا الشهوة في محل مشتهى طبعا على جهة الحرام
المحض واللواط كذلك لان القبل والدبر في المعاني التي هي متعلق الشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل سوا
ولقايل ان يقول هذا على تقدير تسليم المقدمات قياس في اللغه وفيه ما فيه والاكثر من اصحابنا على
ان اللواط غير الزنا للعرف ولانه لو حلف لا يزني فلاط لا يحنث وبالعكس ولاختلاف الصحابه في حكم
اللواط واما الحديث فهو محمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان
وقوله عليه السلام اليدان يزنيان والعينان يزنيان وللشافعي في حكم اللواط قولان اصحهما انه
كالزنا في الحد ان كان محصنا يرجم وان كان غير محصن يجلد مايه ويغرب عاما والاخر يقتل الفاعل
والمفعول سوا كان محصنا او لا لما روى ابن عباس من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول ثم في
كيفية قتله اوجه منها ان تحز رقبته كالمرتد ومنها يرجم بالحجارة وهو قول مالك واحمد واسحق ومنها يهدم
عليه جدار ومنها يرمى من شاهق جبل حتى يموت روي ذلك عن علي رضي الله عنه وانما ذكروا هذه
الوجوه لانه تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة
وعند ابي حنيفه لا يحد اللوطي بل يعزر اما المفعول فان كان عاقلا بالغا طايعا فان قلنا على الفاعل
القتل فيقتل المفعول به على صفة قتل الفاعل للخبر وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد مايه
وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنا فعليها الرجم وليس بصحيح لانها لا تصير
محصنه بالتمكين في الدبر فلا يجب عليها حد المحصنات كما لو كان المفعول ذكرا اجمعت الامه على حرمة اتيان البهيمة
وللشافعي في عقوبته اقوال احدها حد الزنى يرجم المحصن ويجلد غير المحصن ويغرب وثانيها انه يقتل
محصنا كان او غير محصن لما روي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شان البهيمه قال لانه لما عمل بها هذا العمل كره ان يوكل لحمها والثالث
وهو الاصح وهو قول ابي حنيفه ومالك واحمد والثوري ان عليه التعزير لان الحد شرع للزجر عما تميل
النفس اليه وهذا الفعل لا تميل النفس اليه وحديث ابن عباس ضعيف اسناده وان ثبت فهو معارض
بما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله والسحق من النسوان واتيان الميته والاستمنا
باليد ليس فيها الا التعزير البحث عن احكام الزنا كان في اول الاسلام عقوبة الزاني الحبس الى الممات
في حق الثيب والاذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها
منكم فاذوهما ثم نسخ فجعل حد الزنا على الثيب الرجم وعلى البكر الجلد والتغريب فلنذكرها بين المسلمين واجمع
الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر انه عليه السلام فعل ذلك روي الرجم ابو بكر
وعمر وعلي وجابر وابو هريره وزيد بن خالد وبعض هولا يروي خبر رجم ماعز وبعضهم خبر الجهنيه والغامديه
قال عمر رضي الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبته في المصحف وذهب الشافعي الى الجلد
والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفه يجلد البكر والتغريب مفوض الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل
ويغرب وتجلد المراه ولا تغرب اعلم ان قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
مخصوص بمن ليس بمحصن واما المحصن فحكمه الرجم وشرايط الاحصان عند الشافعي خمس العقل والبلوغ
والحريه والتزوج بنكاح صحيح والدخول فاذا افقدت واحدة منها فلا احصان والاسلام ليس بشرط
لما روي انه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وعند ابي حنيفه الاسلام شرط لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله

الجمع بين

عنده

فليس بمحصن وردت بان اليهود والنصارى ليسوا بمشركين يدل عليه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة
للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قيل قوله
تعالى الزانية والزاني تقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزاني عام
في الجميع متناول المحصن وغير المحصن اجيب بان الزانية والزاني يدل لام على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف
والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل
في الاسم المشترك ولا تاخذكم بهما رافة قرا ابن كثير رافة بفتح الهمزة وقصرها على وزن رعفة
والباقون باسكانها قيل معناه ولا تاخذكم بهما رافة فتعطلوا الحد ولا تقيموها والخطاب للامام
ومن يقوم مقامه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه ان يدعهم رحمة حتى يقيم عليهم الحد هذا قول مجاهد
وعكرمة وعطا بن ابي رباح وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وبن زيد وسليمان بن يسار يدل
عليه من الاية ان الله تعالى امر بالجلد وهو ضرب الجلد كالراس لضرب الراس فذكر الضرب بلفظ الجلد
ليلا ينكا ولا يبرح ولا يبلغ به اللحم وروى بن ابي مليكة عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر ان عبد الله
جلد جارية فقال للجالد اجلد ظهرها ورجليها واسفلها وخففه قلت فاين قول الله سبحانه ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله قال افاقتلها ان الله امرني ان اضربها واودبها ولم يامرني ان اقتلها وقال
سعيد بن المسيب والحسن معناها ولا تاخذكم بهما رافة فتخففوا الضرب ولكن اوجعوهما ضربا قال
الزهري في حد الزنا والفرية يجتهد ويخفف في حد الشراب وقال قتادة يخفف في الشراب والفرية
ويجتهد في الزنا وقيل المعنى ان الواجب على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة
فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفا حدوده ولقى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث
قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب
الغضب لله ولدينه وفي الحديث يوتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت
ارحم به مني فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيومر به الى النار
وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا
عالما بصيرا عاقلا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما وتجرد الشارب والقاذف وعليهما ثيابهما
والزاني يخلع ثيابه الا الازار ويجلد ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى
الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم
والمراة تجلد قاعدة ولا تنزع عنها من ثيابها الا الحشو والفرو وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما
طايفة من المومنين والطايفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاث او اربعة وهي صفة
غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشي عن ابن عباس في جماعة ان الطايفة رجل واحد عكرمة اثنان فصاعدا
لان اسم الجمع قد يطلق على الاثنين الزهري ثلاثة لانه الجمع الصحيح ابن زيد اربعة اعتبارا بالشهود ويحتمل
انه اراد بهم الشهود وقيل الطايفة عشرة وقيل ليس بمحصور وفضل قول من قال اربعة لان
الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا
فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البها ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى
الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الشنيعة وهي الرجم
ونهى المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطايفة للتشهير فوجب ان يكون يحصل
بهم التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المهابة واختصاصه المومنين لان ذلك افضح

تعالى

والفاسق

والفاسق بن صلحا قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله قوله
تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين
ان في الاية سوالين الاول قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ظاهره خبر ثم انه ليس الامر كذلك
الا ترى ان الزاني قد ينكح المومنة العفيفة والزانية قد ينكحها المومن العفيف الثاني انه قال
وحرم ذلك على المومنين وليس كذلك فان المومن يحل له التزوج بالمراة الزانية اذا عرفت هذا
فنقول المفسرون لاجل هذين السوالين ذكروا وجوها احدها وهو احسنها قال الضحاك ان اللفظ
وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك ان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنى
والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النسا واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب فيها من هو
من الفسقة او المشركين وهذا هو الاعم الاغلب ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية
ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه لما فيه من التشبيه
بالفساق وحضور موضع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة
الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه
تعالى على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل قدم المهاجرون
المدينة وفيهم فقرا كثير ليست لهم اموال ولا عشاير ولا اهلون وبالمدينة نسا بغايا مسافحات
يكترين انفسهن وهن اخصب اهل المدينة فرغب في كسبهن ناس من فقرا المسلمين فقالوا لو تزوجنا
منهن فعشنا معهن الى يوم يغنينا الله عز وجل عنهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمومنين عن ذلك واخبر
تعالى ان الزانية انما ينكحها الزاني او المشرك لانهن زانيات ومشركات والاية
وان كان ظاهرها خبرا فمجازها نهي ان يكون كذا كقوله تعالى ومن دخله كان امنا
وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر يعني ينبغي ان يكون كذلك وهذا قول مجاهد
وعطا بن ابي رباح وقتادة والزهري والقاسم بن ابي بزة والشعبي وابي حمزة الثمالي
ورواية العوفي عن ابن عباس وعن عكرمة نزلت في نسا بغايا بمكة والمدينة وكن كثيرات
وكانت بيوتهن تسمى المواخير وكانت عليها رايات كرايات البيطار ليدخل عليهن ولا
ياتيهن الا زان من اهل القبلة او مشرك من اهل الاوثان وكان الرجل ينكح الزانية في
الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة واستاذن رجل من المسلمين
نبي الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول اشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه
الاية ونهى المومنين عن ذلك وحرمه عليهم وقال عمرو بن شعيب نزلت في مرثد الغنوي وكان رجلا
شديدا وكان ياتي مكة فيحتمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عناق
صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت
فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فساله عنه فانزل الله هذه الاية
وقيل اراد بالنكاح ها هنا الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا يزني
بها الا زان او مشرك وقيل ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وقيل
كان حكم الله في كل زان وزانية حتى نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم فاحل نكاح كل مسلمة
وانكاح كل مسلم وقال الحسن المجلود لا ينكح الا مجلودة وعن عايشة رضي الله عنه ان الرجل
اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجاز ابن عباس

في فاسق خبيث من
شكله او في مشركة لكن
الخبيثة المسافحة كذلك لا
يرغب في نكاحها الصلحا
من الرجال وينزوون
عنها وانما يرغب ح

قدم

وشبهه بمن سرق ثمر شجره ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن
في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفا ولكن للزانية وهما معنيان
مختلفان قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت
سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ماجنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم يطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة
لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه بدا الطلب وهذا الخبر فيه معنى النهي
ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم
جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها **قوله تعالى** والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واوليك هم
الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ظاهر الاية لا يدل على الشي الذي
يرموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد يرميها بسرقة وشرب خمر فلا بد من قرينة داله على
التعيين وقد اتفق العلما على ان المراد بالرمي رميها بعدم العفاف وثانيها قوله ثم لم ياتوا باربعة شهدا
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا يعني على صحة ما رموا به ومعلوم ان هذا العدد من
الشهود غير مشروط الا في الزنا ورابعها انعقاد الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا
فوجب ان يكون المراد بالرمي الرمي بالزنا والكلام في هذه الاية يتعلق بالرمي والرامي والمرمي والفاظ
القذف صريح مثل ان تقول يا زانيه او زنيت او زنا قبلك او دبرك وكناية مثل ان يقول
يا فاسقه يا فاجره يا خبيثه يا بنت الحرام ولا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا بان يريد وقوله
زنى يدك فيه وجهان احدهما هو كناية لان حقيقة الزنا من الفرج فلا يكون من ساير البدن الا المعونه
وثانيهما وهو الاصح انه صريح لان الفعل انما يصدر من جملة البدن والفرج آلة في الفعل ولو قال
لعربي يا نبطيا وبالعكس فان اراد به القذف فهو قذف لام المقول له والا فلا وان قال عنيت
انه نبطي الدار واللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض
هو ليس بقذف وان اراده وذلك قوله يا ابن الحلال اما انا فما زنيت وليست اختي زانيه وهذا
قول الشافعي وابو حنيفه وابو يوسف وزفر والثوري وقال مالك يجب الحد وقال مالك
يجب الحد وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا ولقائل ان يقول
ان التعريض بالقذف محتمل للقذف ولغيره فوجب ان لا يجب الحد لان الاصل براة الذمه
فلا يرجع عنه بالشك ولقوله صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات واحتج المخالف
بما روى الاوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال كان عمر يضرب الحد في التعريض
وروي ايضا ان رجلين استبا في زمن عمر فقال احدهما للاخر والله ما انا بزان ولا امي زانيه
فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قايل مدح اباه وامه وقال اخرون قد كان لابيه وامه
مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واجيب بان مشاورة عمر الصحابة في حكم التعزير دلالة على انه
لم يكن عندهم توقيف فانهم قالوا رايا واجتهادا واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل
زنية واحدة زنيت بفلان مرارا لا يجب الا حد واحد ولو انشا الثاني بعد ما حد الاول
عزر للثاني وان قذفه بزنيتين مختلفتين بان قال زنيت بزيد ثم قال زنيت بعمرو فهل يتعدد الحد
ام لا فيه قولان احدهما يتعدد اعتبارا باللفظ ولانه من حقوق العباد فلا يتداخل كالديون

والثاني

والثاني وهو الاصح يتداخل فلا يجب الا حد واحد لانهما حدان من جنس واحد فوجب ان يتداخل
كحدود الزنا ولو قذف امراته مرارا فالاصح انه يكتفي بلعان واحد سوا قلنا تعدد الحد او لا يتعدد
واذا قذف جماعة معدودين نظر ان قذف كل واحد بكلمة يجب لكل واحد حد كامل وعند ابي حنيفه
لا يجب الا حد واحد واحتج ابو بكر الرازي على قول ابي حنيفه بالقران والسنه والقياس اما القران فقوله
تعالى والذين يرمون المحصنات فالمعنى ان كل واحد يرمي المحصنات وجب عليه وذلك يقتضي ان قاذف جماعة
من المحصنات لا يجلد اكثر من ثمانين فمن اوجب على قاذف جماعة المحصنات اكثر من حد واحد فقد خالف الاية
واما السنة فما روى عكرمه عن ابن عباس ان هلال بن اميه قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم
بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينه او حد في ظهرك فلم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على هلال
الا حدا واحدا مع انه قذف امراته مع شريك ابن سحما الى ان نزلت اية اللعان فاقيم لعان الازواج مقام
الحد في الاجنبي واما القياس فهو ان ساير ما يوجب الحد اذا وجد منه مرارا لا يجب الا حد واحد كما لو زنا
مرارا او شرب مرارا او سرق مرارا فكذا ههنا والمعنى الجامع دفع هذا الضرر والجواب عن الاول
ان قوله والذين صيغة جمع والجمع اذا قوبل بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة وجب عليه
الحد وعند ذلك يظهر وجه تمسك الشافعي بالاية ولان قوله والذين يرمون المحصنات فاجلدوهم يدل على ترتيب
الجلد على رمي المحصنات وترتيب الحكم على الوصف لا سيما اذا كان مناسبا يشعر بالعليه فدلت الاية على ان رمي
المحصنة من حيث انه المسمى يوجب الحد اذا ثبت هذا فنقول اذا قذف واحدا صار ذلك القذف موجبا للحد
ايضا ثم موجب القذف الثاني لا يجوز ان يكون هذا الحد الاول لان ذلك قد وجب بالقذف الاول
وايجاب الواجب محال فوجب ان يجب بالقذف الثاني حدان واما السنة فلا دلالة فيها على هذه المسله
لانه قذفهما بلفظة واحدة ولنا في هذه المسله تفصيل سياتي واما القياس ففاسد لان حد القذف
حق الادمي بدليل انه لا يحد الا بمطالبة المقذوف وحقوق الادمي لا تتداخل بخلاف حد الزنا
فانه حق الله هذا كله اذا قذف جماعة كل واحد منهم بكلمة واحدة على حدة اما اذا قذفهم بكلمة واحدة
فقال انتم زناة او زنيتم ففيه قولان اصحهما وهو الجديد يجب لكل واحد حد كامل لانه
من حقوق العباد فلا يتداخل لانه ادخل على كل واحد منهم معرة فصار كما لو قذفهم بكلمات وفي القديم
لا يجب للكل الا حد واحد اعتبارا باللفظ فان اللفظ واحد فعلى الجديد لو قال لرجل يا ابن
الزانيين يكون قذفا لابويه بكلمة واحدة فعليه حدان اذا قذف الصبي او المجنون امراته او اجنبية
فلا لعان ولا حد لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزران
للتاديب ان كان لهما تمييز فلو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ فقال القفال يسقط
التعزير لانه كان للزجر عن اساءة الادب وقد تحقق زاجر اقوى منه وهو البلوغ والاخرس اذا كان
له اشارة مفهمة او كتبة معلومة وقذف بالاشارة او بالكتبة لزمه الحد ولذلك يصح لعانه بالاشارة والكتبة
وعند ابي حنيفه لا يصح قذف الاخرس ولا لعانه وقول الشافعي اقرب الى ظاهر الاية لان من كتب
او اشار الى القذف فقد رمى المحصنة والحق العار بها فوجب اندراجه تحت الظاهر ولانا
نقيس قذفه ولعانه على ساير الاحكام واذا قذف العبد حرا قال الشافعي وابو حنيفة ومالك
وابو يوسف ومحمد عليه اربعون جلدة روى الثوري عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عليا قال
يجلد العبد في القذف اربعين وعن عبد الله ادركت ابا بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم من الخلفا
وكلهم يضربون المملوك في القذف اربعين وقال الاوزاعي يجلد ثمانين وهو مروي
عن ابن مسعود ويروى انه جلد عمر بن عبد العزيز في الفرية ثمانين ومدار المسله على حرف

واحد وهو ان هذه الايه صريحه في ايجاب الثمانين فمن رد هذا الحد الى الاربعين فطريقه ان يقول فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فنص على ان حد الامة نصف حد
الحرة ثم قاسوا العبد على الامة في تنصيف حد الزنا ثم قاسوا تنصيف حد القذف على تنصيف حد الزنا
في حقه فرجع حاصل الامر الى تخصيص عموم الكتاب بالقياس واتفقوا على دخول الكافر تحت عموم قوله والذين
يرمون لان الاسم يتناوله ولا مانع فاليهودي اذا قذف المسلم يجلد ثمانين هذا كله في القذف بالزنا واما القذف
بغير الزنا مثل ان يقول يا اكل الربوا يا شارب الخمر يا لص يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث فعليه التعزير
ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون
وقال الامام ان يعزر الى المايه المحصنات بحسب الظاهر العفايف جميعا سوا كانت مسلمه او كافره او
حره او رقيقه لكن الفقها شرط احصان القذف بالزنا خمسه البلوغ والعقل والحريه والاسلام والعفه
عن الزنا انما اعتبر البلوغ والعقل لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثه واعتبر الحريه لان الرق
ينقص الدرجه فلا يعظم عليه القذف بالزنا واعتبر الاسلام لقوله عليه السلام من اشرك بالله
فليس بمحصن واعتبر العفه عن الزنا لان الحد مشروع لتكذيب القاذف فاذا كان المقذوف زانيا
فالقاذف صادق في القذف ولذلك اذا كان المقذوف وطي امراة بشبهة او نكاح فاسد لان فيه
شبهة الزنا كما فيه شبهة الحد وكما ان احدى الشبهتين اسقطت الحد عن الرجل وكذا الاخرى تسقط
عن قاذفه الصابر ومن قذف كافرا او مجنونا او صبيا او من قذف بامراة فلا حد عليه بل يعزر بخلاف
ما لو زنا في حال جنونه او صغره ثم افاق المجنون وبلغ الصغير فقذفه قاذف يحد لان فعل الصبي
والمجنون لا يكون زنا ولو قذف محصنا فقبل ان يحد القاذف زنا المقذوف سقط الحد عن قاذفه
لان صدور الزنا يورث ريبة في حاله فيما مضى لان الله تعالى كريم لا يهتك عبده في اول ما يرتكب المعصيه
فظهوره يعلم انه كان متصفا به من قبل روي ان رجلا زنا في عهد عمر فقال له والله ما زنيت الا
هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده اول مرة عن الحسن البصري قوله والذين يرمون
المحصنات يقع على الرجال والنسا والعلما انكروا ذلك وقالوا جمع المذكر لا يتناول الاناث
وكذا جمع المونث لا يتناول الذكور بل الاجماع انه لا فرق فيهما بين الرجال والنسا وقذف غير
المحصن لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فانه حينيذ
لا حد ولا تعزير فهذا مجموع الكلام في تفسير قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا
على الزنا قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
وقال والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا وقال سعد بن عبادة يا رسول الله ارايت
ان وجدت مع امراتي رجلا اصبر حتى اتي باربعة شهدا قال نعم ولو اقر بالزنا هل يثبت اقراره بشهادة
رجلين فيه قولان الاول لا يثبت الا باربعه والثاني يثبت بخلاف فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع
عليه ولو كان احد الاربعه زوج المراة يعتبر عند ابي حنيفه ولا يعتبر عند الشافعي واذا شهدوا
على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني ومن زنا بها لانه قد يراه على جارية ابنه فيظن زنا
ويجب ان يشهدوا انا رايناه كذلك يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا واطلقت
انه زنا لا يثبت لانهم ربما يرون المفاخذة زنا بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب
الحد ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا هل يشترط ان يفسر وجهان احدهما نعم والاخر لا
كما في القذف وقال الشافعي لا فرق بين ان يجي شهود الزنا مجتمعين او متفرقين لان الاتيان بالاربعة
اعم من ان يكونوا مجتمعين او متفرقين ولانه حكم يثبت بشهادة الشهود فيثبت بشهادتهم

متفرقين

متفرقين كساير الاحكام ولانهم اذا جاوا متفرقين كان ابعد من التهمة ولهذا قيل اذا وقع ريبه للقاضي
في شهادة الشهود فرقهم والواجب عند ابي حنيفه واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاوا
متفرقين كانوا قذفه فان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة شهدا فوجب عليه
الحد لقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم اقصى ما في الباب ان عبروا
عن ذلك القذف بلفظ الشهاده وذلك لا عبرة به لانه يودي الى اسقاط حد القذف راسا لان كل
قاذف لا يعوزه لفظ الشاهد فيجعل ذلك وسيله الى اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف
ولما روي ان المغيرة بن شعبه شهد عليه بالزنا عند عمر رضي الله عنه ثلثه وقال رابعهم رايت استا تنبو ونفسا
تعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثه ولم يسال هل معهم شاهد
اخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف اذ الحد مما يتوقف فيها ويحتاط ولو شهد على الزنا اقل من
اربعه لا يثبت الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان احدهما لا يجب لانهم جاوا مجي الشهود ولانا
لو حددنا لانسد باب الشهاده على الزنا لان كل واحد لا يامن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد
وثانيهما وهو الاصح وبه قال ابو حنيفه يجب عليه الحد واذا قذف رجل فجا اربعة فساق فشهدوا على
المقذوف بالزنا قال ابو حنيفه يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الشافعي في احد
قوليه يحدون وجه ابي حنيفه قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا وهذا قد
اتى باربعة شهدا فلا يلزمه الحد لان الفاسق من اهل الشهاده وقد وجدت شرايط الشهادة بالزنا من اجتماعهم
عند الحاكم الا انه لم يقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فلذلك وجب اعتبارها
في نفي الحد عنهم وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين بالشرايط المعتبرة في قبول الشهادة فخرجوا عن ان يكونوا
شهدا وبقوا محض القاذفين فهذا اخر الكلام في تفسير قوله ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلده
المخاطب هو الامام ومن يقوم مقامه وهم ضمير القاذفين خص من عموم هذه الايه صور منها اذا كان
القاذف اصل المقذوف لا يحد بقذفه فرعه كما لا يقتل بقتل فرعه قصاصا واذا كان القاذف رقيقا او
مكاتبا او ام ولد او مبعضا فالواجب جلد اربعين وقال الشافعي ومالك حد القذف يورث فاذا
مات المقذوف قبل استيفا الحد وقبل العفو ثبت لوارثه حد القذف وكان اذا كان الواجب
بقذفه التعزير يورث عنه وكذلك لو انشا القذف بعد موت المقذوف ثبت لوارثه طلب الحد وعند
ابي حنيفه الحد لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي ان حد القذف حق الادمي لانه يسقط بعفوه
ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف فيه المدعى عليه اذا انكر فوجب ان يورث لقوله عليه السلام
من ترك حقا فلورثته حجة ابي حنيفه انه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجه نصيب فيه
ولانه حق ليس بمالي فلا يورث كالوكالة والجواب عن الاول ان الاصح عند الشافعي انه يرثه جميع
الورثة كالمال وفيه وجه انه يرثه كلهم الا الزوج والزوجه لان الزوجيه تنقطع بالموت
والمقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجه واذا قذف انسانا
بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف
ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على اخر وهو لا يعلم يجب
عليه اعلامه وعلى هذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها قال
الشافعي وليس للامام اذا رمى رجلا بزنا ان يبعث اليه فيساله عن ذلك لان الله قال ولا تجسسوا
ويستحب للمقذوف ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد وللامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ
ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله تعالى قبل ثبات الحد وثمانين نصب على المصدر

وجلده نصب على التمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال اكثر الصحابة والتابعين انه اذا تاب قبلت شهادته
وهو قول الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم التايب من الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له مقبول الشهادة
فالتايب كذلك ولان الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاتفاق فالقاذف المسلم اذا تاب
عن القذف وجب ان تقبل شهادته لان القذف مع الاسلام اهون حالا منه مع الكفر فان قيل
المسلمون لا يعيرون بسبب الكافر لانهم شهدوا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا
عن الحاق الشنار اجيب بان هذا الفرق ملغى لقوله عليه السلام ابنيهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على
المسلمين ولان التايب عن الكفر والقتل والزنا مقبول الشهادة بالاتفاق فكذا التايب عن القذف
ولانه اذا تاب قبل الحد قبل شهادته فبعد الحد اولى بالقبول لان الحد حد المقذوف فلا يزول
بالتوبة فلان تقبل شهادته اذا تاب بعد اقامة الحد وقد حسنت حاله وزال اسم الفسق كان اولى وعند
ابي حنيفة رده شهادة القاذف معلق باستيفا الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفايه قبلت
شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند الشافعي
رد شهادته متعلق بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلا
متمسك بالاية فابو حنيفة جعل جزا الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على
التابيد وكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واوليك هم
الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزا الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضا
الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثنا من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم
والشافعي جعل جزا الشرط الجملتين ايضا وهما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واوليك هم الفاسقون
فعند ابي حنيفة جزا الشرط الاوليان وهما قوله فاجلدوهم وقوله ولا تقبلوا وعند الشافعي
الاوليان مع الثانية والشافعي صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن
القذف وجعل الشافعي الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية والثالثة لان الاستثنا الواقع عقيب
جمل متعاطفة بعضها على البعض بالواو عايد على الجميع سوا كان الجمل من جنس واحد او من
اجناس مختلفة اللهم الا اذا كان قرينة مانعة عن العود الى الجميع فحينيذ لا يعود الى الجميع
بل الى ما لم يمنعه مانع من العود اليه وها هنا المانع متحقق عن العود الى الاولى وهو قوله
فاجلدوهم لانه حق الادمي وهو لا يبطل بالتوبة وعند ابي حنيفة الاستثنا عايد الى قوله
واوليك هم الفاسقون قال صاحب الكشاف والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث
بمجموعهن جزا الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا
لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير
مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين وما ذكره صاحب الكشاف صحيح موافق لما ذهب اليه الشافعي
الا في عود الاستثنا الى الجمل الثلاث فانه وان كان الاصل كذلك لكن يعدل عنه الا عند وجود
المانع وهاهنا تحقق المانع لما ذكرنا واوليك هم الفاسقون يدل على ان القذف من جملة الكباير
الا الذين تابوا قال الشافعي التوبة من القذف اكذابه نفسه قال الاصطخري معناه ان يقول
كذبت فلا اعود الى مثله وقال ابو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما كان صادقا فيكون قوله كذبت
كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف
باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه والاولى ان يقال انه في نفسه يعلم انه كاذب

او صادق فان كان كاذبا فيقول كذبت وان كان صادقا يقول القذف باطل واصلحوا اتفق بعض اصحابنا
انه بعد التوبة لا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ثم قدروا المدة سنة حتى تمر
عليها الفصول الاربعة التي تتغير فيها الاحوال والطباع كما يضرب للعنين اجل سنة وقد علق الشرع احكاما
بسنة من الزكوة وغيرها فان الله غفور رحيم يقبل التوبة **قوله تعالى** والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم
شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان
كان من الكاذبين ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب
الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم لما ذكر احكام قذف الاجنبيات
عقبه باحكام قذف الازواج روى عكرمة عن ابن عباس لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد
بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه ولا احركه حتى اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي
باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب فان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه يا رسول الله فانه رجل غيور ما تزوج
امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها قال سعد بن عبادة يا رسول الله بابي انت وامي
والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله
يابى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة
له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت عشا فوجدت رجلا مع اهلي رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني لارى الكراهة
في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني صادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربه واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد ايجلد هلال وتبطل شهادته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين
عرفوا ان الوحي قد نزل عليه فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الاية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسلوا اليها فجات فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب فقال هلال يا رسول الله بابي انت
وامي لقد صدقت وما قلت الا حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال
اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب
الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة
التي توجب العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله فشهد الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله فان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان جات به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه وان جات به كذا وكذا فهو لزوجها قال
فجات به غلاما كانه جمل اورق على اشبه المكروه فكان بعد اميرا بمصر لا يدري من ابوه وقال ابن عباس في ساير
الروايات ومقاتل لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قراها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر

فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان راى رجل منا مع امراته رجلا فاخبر بما راى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته ابدا فكيف لنا بالشهدا ونحن اذا التمسنا الشهدا كان الرجل فرغ من حاجته وكان لعاصم بن عمر يقال له عويمر وله امراة يقال لها خوله بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال له لقد رايت شريك بن سحما على بطن امراته خوله وكان عويمر وشريك ابني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمراة اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان ابن سحما كان ياتينا فينزل بنا فيتعلم شيا من القران فربما تركه عندي وخرج زوجي ولم ينكر علي ساعة من ليل ولا نهار فلا ادري اذ ركبه الغيرة او بخل علي بالطعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا شريك قال ما تقوله المراة فانزل الله الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلوة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقل اشهد بالله ان خوله لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال لخوله قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خوله تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان ما تركتها لكان لي في امرهما راي ثم قال تحينوا بها الولادة فان جاءت باصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحما وان جاءت باورق جعد جمالي خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون ازواجهم بالزنا ولم يكن لهم شهدا يشهدون على صحة ما قالوه الا انفسهم يرتفع بالبدل من الشهدا فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم اربع بالرفع والمعنى فشهادة احدهم التي تدرا حد القذف اربع شهادات والباقون بالنصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات والخامسة قرا حفص عن عاصم والخامسة نصبا على معنى ويشهد الخامسة وقيل حملا على نصب اربع شهادات ان لعنة الله قرا نافع ان لعنة الله ان غضب الله بتخفيف النون وكسر الضاد من غضب وفتح البا منه والباقون ان لعنة الله ان غضب الله بتشديد النون فيهما ونصب لعنة وغضب اذا رمى الرجل امراته بالزنا يجب عليه الحد ان كانت المراة محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي لا يختلف غير انهما يختلفان في المجلس وفي قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف بالزنا او ببينة القاذف انها زنت وفي قذف الزوجة يسقط عنه الحد باحد الامرين او باللعان وانما اعتبر الشرع اللعان في هذه الصورة دون الاجنبيات لوجهين الاول انه لا معرة عليه في زنا الاجنبي والاولى له سترها اما في زوجته فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر فلا جرم خص الشرع هذه الصورة باللعان الثاني ان الغالب في احوال الرجل مع امراته انه لا يقصدها بالقذف الا عن حقيقة فاذا رماها فنفس الرمي يشهد بكونه صادقا الا ان شهادة الحال ليست بكاملة فضم اليها ما يقويها من الايمان

لشهادة المراة لما ضعفت قويت بزيادة العدد والشاهد الواحد يتقوى باليمين قيل كان حد قاذف الاجنبيات والزوجات الجلد يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن اميه حين قذف امراته ائتني باربعة يشهدون والا فحد في ظهرك فثبت بهذا ان حد القاذف للزوجة كان لحد الاجنبيات الا انه نسخ عن الازواج الجلد باللعان فدل هذا على ان حد القاذف للزوجة كان الجلد وان الله نسخه باللعان وقال الشافعي اذا قذف الزوج زوجته فالواجب هو الحد لكن المخلص منه باللعان كما ان الواجب بقذف الاجنبية الحد والمخلص منه بالشهود فاذا نكل الزوج عن اللعان يلزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت المراة عن اللعان يلزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة اذا نكل الزوج عن اللعان حبس حتى يلاعن وكذا المراة اذا نكلت حبست حتى تلاعن حجة الشافعي وجوه منها ان الله تعالى قال في اول السورة والذين يرمون المحصنات يعني غير الزوجات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه رمي الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم الاية فكما ان مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد ومنها قوله تعالى ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله والالف واللام في العذاب لا يفيد ان العموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب فوجب صرفها الى المعهود السابق والمعهود السابق هو الحد فيثبت انه لولم تلاعن لحدت وانها باللعان دفعت الحد فان قيل المراد بالعذاب الحبس اجيب بانا قد بينا ان الالف واللام للمعهود المذكور فلو حملنا على الحد لم تصر الاية مجملة ولو حملناه على الحبس يصير الاية مجملة لان مقدار الحبس غير معلوم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله وهو نص في الباب حجة ابي حنيفة ان المراة ما فعلت سوى انها تركت اللعان وهذا الترك ليس بينة على الزنا ولا اقرارا منها فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث واذا لم يجب الرجم اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصنة لانه لا قائل بالفرق وايضا فالنكول ليس بصريح الاقرار فلم يجز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره قال الجمهور اذا قال الزوج لها يا زانية وجب اللعان وقال مالك لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزنين او ينفي حملا لها او ولدا منها وقال الشافعي من صح يمينه صح لعانه فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما وكان الزوج مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة قاذف امراته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان ثم زعم ان الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل الشهادة يصح لعانهما وقيل انه قال ابو حنيفة لا يصح اللعان في صورتين احدهما اذ تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد اذا كان اجنبيا بجواز ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية والثاني ان يكون احدهما من غير اهل بان يكون محدودا في قذف او عبدا او كافرا وجه قول الشافعي ان المقصود دفع العار عن النفس ودفع ولد الزنا وكما يحتاج غير المحدود اليه فكذا المحدود وايضا اجمعنا على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيره والجامع هو الحاجة الى دفع عار الزنا وجه قول ابي حنيفة النص والمعنى اما النص فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه عليه السلام قال اربع من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر واما المعنى فنقول اما في الصورة الاولى فلانه كان الواجب على قاذف الزوجة والاجنبية الحد بقوله والذين يرمون المحصنات ثم نسخ ذلك عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان مع الازواج قائما مقام الحد في الاجنبيات لم يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها واما

واما في الصورة الثانية فالوجه ان اللعان شهادة لوجهين احدهما قوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمى الله اللعان شهادة كما قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم وثانيهما انه
حين لاعن بين الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ الرمي واذا ثبت ان اللعان شهادة وجب
ان لا يقبل من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في
العبد والكافر اما للاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق اجاب الشافعي ان اللعان
ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكان المراة تاتي
بثمان شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل
الفاسق والفاسقة قد يتوبان قلنا وكذلك قد يعتق فيجوز شهادته ثم اكد الشافعي ذلك بان العبد اذا اعتق
تقبل شهادته في الحال ثم الزم ابا حنيفة ان شهادة اهل الذمة مقبولة لبعضهم على بعض فينبغي ان يجوز
اللعان بين الذمي والذمية هذا كله كلام الشافعي ثم قال بعد ذلك وتختلف الحدود ثم وقعت به
ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن ينصف حد القذف عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها
باحصانها وحريتها ورقها وقال الشافعي يتعلق باللعان خمسة احكام درء الحد ونفي الولد والفرقة
والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها اختلف المجتهدون في وقوع الفرقة باللعان على اربعة اقوال احدها
قال عثمان البتي لا ارى ملاعنة امراته تنقص شيئا وثانيها قال ابو حنيفة وابو يوسف لا تقع الفرقة
بفراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وثالثها قال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت
الفرقة وان لم يفرق الحاكم ورابعها قال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امراته
ولا تحل له ابدا حجة عثمان البتي وجوه احدها ان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فوجب
ان لا يفيد الفرقة كساير الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة لان اقصى ما فيه ان يكون الزوج صادقا
في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاما اذا كان كاذبا
والمراة صادقة فظاهر وثانيها لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وثالثها ان اللعان
قايم مقام الشهود في حق الاجنبيات فكما انه لا فايدة في احصان الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان
لا تاثير له الا اسقاط الحد واما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد
اللعان فلذلك فرق بينهما واما قول ابي حنيفة ان الحاكم يفرق بينهما فلا بد من بيان امرين احدهما انه يجب
على الحاكم ان يفرق بينهما ودليله ما روى سهل بن سعد في قصة العجلاني مضت السنة في المتلاعنين ان
يفرق بينهما والثاني ان الفرقة لا تحصل الا بحكم الحاكم واحتجوا عليه بوجوه احدها ما روي في
قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلثا فطلقها ثلاثا قبل ان
يامرها والاستدلال بهذا من وجوه احدها انه لو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها
ان امسكتها لان امساكها غير ممكن وثانيها ما روي في هذا الخبر انه طلقها ثلثا فانفذه رسول الله
وتنفيذ الطلاق انما يمكن لو لم تقع الفرقة بنفس اللعان وثالثها ما قال سعد مضت السنة ولو كانت الفرقة
واقعة باللعان لاستحال التفريق بعدها وثانيها قال ابو بكر الرازي قول الشافعي خلاف الاية لو وقعت
الفرقة بلعان الزوج لالتعنت المراة وهي اجنبية وذلك خلاف الاية لان الله تعالى انما اوجب اللعان
بين الزوجين وثالثها ان اللعان شهادة لا تثبت حكمها الا عند الحاكم فوجب ان لا يوجب الفرقة الا
بحكم الحاكم ورابعها اللعان استحق بها المراة نفسها كما يستحق المدعي بالبينة فلما لم يجز ان يستحق المدعي
مدعاه الا بحكم حاكم وجب مثله في استحقاق المراة نفسها وخامسها ان اللعان لا اشعار فيه لان اكثر
ما فيه انها زنت ولو اقامت البينة على زناها او هي اقرت بذلك كان ذلك لا يوجب التحريم فكذا اللعان واذا لم

يوجد

لم

وهو
م

لم يوجد فيها دلالة التحريم وجب ان لا يقع الفرقة فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج او من قبل
الحاكم اما قول مالك وزفر فحجتهما انهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم يخليا بل فرق بينهما فدل على هذا
على انه لا تاثير للعان المراة الا دفع العذاب عن نفسها وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان
الزوج الثاني ان لعان الزوج وحده مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون الاعتبار بقوله في الالحاق ولا بقولها
الا ترى انها في لعانها تلحق الولد به ونحن ننفيه عنه فيعتبر نفي الزوج لا الحاق المراة ولهذا اذا اكذب
الزوج نفسه لحق به الولد وما دام يبقى مصرا على اللعان فالولد منفي عنه اذا ثبت ان لعانه مستقل بنفي
الولد وجب ان يكون مستقلا بالفرقة لان الفرقة لو لم تقع لم ينتف الولد لقوله عليه السلام الولد للفراش
فما دام يبقى الفراش فهو ملحق به واما الاخبار التي تمسك بها ابو حنيفة فالمراد به ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن وقوع الفرقة وحكم بها وذلك لا ينافي ان يكون المؤثر في الفرقة شيئا اخر واما الاقيسة التي
ذكرها فمدارها على ان اللعان شهادة وليس الامر كذلك بل هو يمين على ما بينا واما قوله اللعان لا اشعار
فيه بوقوع الحرمة قلنا فيه على نفي الولد ونفي الولد يتضمن نفي عاقبة النكاح وقال الشافعي ومالك
وابو يوسف والثوري والحسن المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وقال
ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد حجة الشافعي امور
احدها قوله صلى الله عليه وسلم للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى يكذب نفسك ولو كان الاكذاب
غاية لهذه الحرمة لردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه الغاية كما قال في الطلقات الثلاث
حتى تنكح زوجا غيره وثانيها ما روي عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان
ابدا وهذا قد روي ايضا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها ما روى الزهري
عن سهل بن سعد في قصة العجلاني مضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما ثم لا يجتمعان حجة ابي
حنيفة قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم وقال الشافعي لو ان احدهما ينقص
كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وقال ابو حنيفة اكثر كلمات اللعان تعمل عمل الكل اذا حكم
به الحاكم والظاهر مع الشافعي لانه يدل على انها لا يدرا العذاب عن نفسها الا بتمام ذكر الشافعي
ومن قال بخلاف ذلك فانما يقوله بدليل منفصل والاية دالة على كيفية اللعان صريحا فيبدا
الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات
اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قايما حتى يشهد والمراة
قاعدة وتقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء
الى اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله واللعان
بمكة بين المقام والركن وبالمدينة عند المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان
المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله
تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام واما الزمان فيوم الجمعة بعد العصر
ولا بد من حضور جماعة وانما خصت الملاعنة بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لما بين حكم الرامي للمحصنات والازواج على ما ذكر بين
الرحمة والنعمة ما لا خفاء به فانه جعل باللعان لكم سبيلا الى مرادكم ولها سبيلا الى دفع
العذاب عن نفسها ولولا فضل الله عليكم ورحمته عظم نعمته فيما بينه من هذه الاحكام

مع

وفيما امهل وابقى وملى من التوبه ولا شك في ان الكلام حذف وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم
لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به. قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه
شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرى منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم الكلام في
هذه الايه من وجهين احدهما تفسيرها والثاني سبب نزولها اما التفسير فاعلم ان الله ذكر في هذه
الايه ثلاثة اشيا اولها انه حكى الواقعه وهو ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الافك
ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو البهتان لا يشعر به حتى يفجاك واصله الافك بالافك وهو
مصدر قولك افكه يافكه افكا قلبه وصرفه عن الشى ومنه قوله تعالى اجيتنا لتافكنا عما وجدنا عليه
اباءنا واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به عايشه رضي الله عنها عصبه جماعه يتعصبون منكم
يعنى من المسلمين وهم عبد الله بن ابى راس المنافقين وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح
بن اثاثه وحمنه بنت جحش ومن ساعدهم لا تحسبوه اى لا تحسبوا الافك او القذف او المجى بالافك
او ما نالكم من الغم والمخاطبون هم المومنون الذين ساهم ذلك وخاصه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعايشه وصفوان بن المعطل شرا لكم بل هو خير لكم لان الله ياجركم على ذلك
الاجر العظيم ويظهر براتكم وينزل فيكم ثماني عشرة ايه كل واحدة منها مستقله بما هو تعظيم لشان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتسليه له وتنزيه لام المومنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في
ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعده الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامه وفوايد دينيه واداب
لا تخفى على متاملها لكل امرى منهم اى من الذين جاوا بالافك ما اكتسب من الاثم جزا ما اجترح من الذنب
والمعصيه وقيل لكل امرى اى كل امرى جزا ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم
سكت وبعضهم تكلم فيه والذى تولى كبره عظمه وبدايه وهو عبد الله بن ابى عذاب عظيم
لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزه
اى يصيب كل خايض في حديث الافك من تلك العصبه نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب
العظيم لعبد الله لانه تولى كبره ومعظم الشر كان منه عن عايشه رضي الله عنها قالت في حديث الافك
ثم ركبت وصفوان ابن المعطل اخذ بالزمام فمررنا بملا من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا
منتبذين من الناس فقال عبد الله بن ابى بن سلول من هذه قالوا عايشه قال والله ما نجت منه ولا نجا
منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جا يقودها وقيل الذى تولى كبره هو حسان
بن ثابت عن عامر الشعبى ان عايشه رضي الله عنها قالت ما سمعت بشى احسن من شعر حسان وما
تمثلت به الا رجوت له الجنه قوله لابى سفيان ۞ هجوت محمدا فاجبت عنه ۞ وعند الله في ذاك الجزا ۞ ثم
فان ابى ووالده وعرضى ۞ لعرض محمد منكم وقا ۞ اتشتمه ولست له بكفو ۞ فشركما لخيركما الفدا ۞ لسانى صارم لا
عيب فيه ۞ وبحرى ما تكدره الدلا ۞ اليس الله يقول والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت اليس قد
اصابه عذاب عظيم اليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف وعن مسروق قال كنت عند عايشه رضي الله
عنها فدخل حسان بن ثابت فامرت فالقى له وساده فلما خرج قلت لعايشه رضي الله عنها تدعين
هذا الرجل يدخل عليك وقد قال ما قال وانزل الله عز وجل فيه والذى تولى كبره منهم له عذاب
عظيم فقالت واى عذاب اشد من العمى ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره وقالت انه
كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات
بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا اى هلا للتحريض اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات
بانفسهم بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا او قيل بانفسهم باخوانهم

الحسن باهل دينهم لان المومنين كنفس واحده نظيره قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم
وقيل اراد بانفسهم امهاتهم وازواجهم وقيل اراد بهذا ابا ايوب الانصارى وامراته ام ايوب روى ان
ابا ايوب قالت له امراته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عايشه رضي الله عنها قال بلى وذلك
الكذب اكنت فاعله ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشه والله خير منك سبحان
الله هذا بهتان عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات كما فعل ابو ايوب وصاحبته وكما قالا
رضي الله عنهما وقيل معناه هلا ظنوا بها ما يظن بالرجل لو خلا بامه وبالمراة لو خلت بابنها لان ازواج النبى صلى
الله عليه وسلم ورضى الله عنهن امهات المومنين فان قيل هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم
ولم عدل عن الخطاب الى الغيبه وعن الضمير الى الظاهر اجيب بانه ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح
بلفظ الايمان دلاله على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنه على اختها قول عايب
ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قاله في اخيه ان يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول
بملء فيه بنا على ظنه بالمومن الخير وقالوا هذا افك مبين بلفظ المصرح ببراة ساحته كما يقول المستيقن المطلع
على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع
ما سمعه باخوات وقالوا هذا افك مبين ظاهر واما قصة الافك فعلى ما روى بن شهاب الزهرى عن
عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمه بن ابى وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه عن عايشه
ام المومنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا فبراها الله منه قال الزهرى
وكلهم حدثنى طايفه من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت اقتصاصا وعيت عن كل واحد
منهم الحديث الذى حدثنى وبعض حديثهم يصدق بعضا ذكروا ان عايشه زوج النبى صلى الله عليه وسلم
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم معه قالت عايشه رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الله سبحانه اية الحجاب فانا احمل في هودجى وانزل فيه
مسيرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ودنونا من المدينه اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليله بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شانى اقبلت الى الرحل
فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاوه واقبل
الرهط الذى كانوا يرحلونى فحملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت اركب وهم يحسبون انى فيه
قالت وكان النسا اذ ذاك خفافا لم يهبلهن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقه من الطعام فلم يستنكر القوم
ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جاريه حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت
عقدى بعد ما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت فيه
وظننت ان القوم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا انا جالسه في منزلى غلبتنى عيناى فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من ورا الجيش فادلج فاصبح عند منزلى فراى سواد انسان
نايم فاتانى فعرفنى حين رانى وقد كان رانى قبل ان يضرب على الحجاب فما استيقظت الا باسترجاعه
حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى فوالله ما تكلم بكلمه غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطى على يدها فركبتها
فانطلق يقود بى الراحله حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيره فهلك من هلك في شانى
وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابى بن سلول فقدمنا المدينه فاشتكيت حين قدمنا شهرا والناس
يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشى من ذلك وهو يريبنى في وجعى انى لا اعرف من رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم

فانزل الله عز وجل

فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو
متبرزنا فلا نخرج الا من ليل الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا
نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف
وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة فاقبلت انا وابنة ابي رهم قبل بيتي حين
فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اي هنتاه اولم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت
الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت اتاذن لي ان آتي ابوي قالت وانا اريد
حينئذ ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوي فقلت لامي يا اماه ما
ذا يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها
ضرائر الا اكثرن عليها قلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا
يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه
واسامة بن زيد حين استلبث الوحي واستشارهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه لهم فقال يا رسول الله هم اهلك وما نعلم
الا خيرا واما علي رضي الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال الجارية تصدقك
قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شي يريبك من امر
عايشه قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية
حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن فتاكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول قال وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل
قد بلغني اذاه في اهلي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان
يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس
ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو
سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله فقال
سعد والله لنقتلنك فانك منافق تجادل عن المنافقين وروي انه قام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد
بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان
الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت
يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي
وانا ابكي استاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا
يوحى اليه في شاني فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشه فانه
بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريه فسيبريك الله عز وجل وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله
وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله فيما قال فقال
والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي عني رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة
السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد عرفت انكم سمعتم هذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم به

فلئن قلت لكم اني بريه والله يعلم اني بريه لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريه لتصدقونني
والله ما اجد لي ولكم مثلا الا ما قال ابو يوسف ولا احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما
تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريه وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله
ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحي يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت
ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبريني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه
وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان في اليوم الشاتي
من ثقل الوحي الذي انزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان
اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عايشه اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا
اقوم اليه ولا احمد الا الله سبحانه هو الذي انزل براتي قالت فانزل الله هذه الايات لبراتي
قالت فقال ابو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق عليه شيا ابدا
بعد الذي قال لعايشه فانزل الله ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر
الله لكم فقال ابو بكر رضي الله عنه والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان
ينفق عليه وقال لا اتركها منه ابدا قالت عايشه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب
بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما علمت او رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما
علمت الا خيرا قالت عايشه رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال الزهري فهذا ما انتهى
الينا من هولاء الرهط قال وامر رسول الله بالذين رموا عايشه رضي الله عنها فجلدوا الحد جميعا
ثمانين ثمانين **قوله تعالى** لولا جاوا عليه باربعة شهدا فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله
هم الكاذبون لولا جاوا متصل بقوله وقالوا هذا افك مبين والكل متصل بلولا اي هلا قالوا والمعنى
هلا جا العصبة الكاذبة على قذفهم عايشه باربعة شهدا يشهدون بانهم عاينوا فيها ما رموها
به فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله في حكمه هم الكاذبون جعل الله التفصلة بين
الرمي الصادق والكاذب بثبوت الشهادة الشهود الاربعة وانتفائها والذين رموا عايشه
لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشرعه كاذبين وهذا
توبيخ عظيم وتعنيف شديد للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما
هو ظاهر عليهم مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف
امراة محصنة من عرض نسا المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله **قوله تعالى** ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا
والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم ولولا لامتناع الشي لوجود غيره اي لولا ما من الله به
عليكم وفضله عليكم في الدنيا بضروب من النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم
في الاخرة بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم اي خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث
واندفع وهضب وخاض عذاب عظيم في الدنيا والاخرة وقيل لعاجلكم في العذاب **قوله تعالى**
اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
ثم ذكر الوقت الذي يصيبهم العذاب لولا فضله اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه
بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه

كلمات وكان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا فيتلقاه بعضهم من بعض ويقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق ومعنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم ان الشي المعلوم
يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم
من غير ترجمة عن علم به في القلب لقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا القذف اي قذف
عايشه رضي الله عنها هينا وهو عند الله عظيم فان القذف من الكباير اذا كان القذف في امراة محصنه
من عرض نسا المسلمين فكيف بام المومنين الصديقه بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحبيبة حبيب الله وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك
بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه حديث الافك حتى شاع وانتشر
فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني تكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيم

قوله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم
ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لا يحل لنا ان نخوض في هذا الحديث وما
ينبغي لنا ان نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر العجيب ممن يقول ذلك هذا بهتان عظيم والبهتان
كذب يواجه به المومن فيتحير منه وقيل معنى سبحانك ههنا تعاليت وتنزهت عن ان تقال في رسولك
هذا البهتان العظيم وجاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شانا وهو تنزلها من الاشيا
منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها وكذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها والفايده في
تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم
فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ومعنى يكون والكلام بدونه تام لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا
يعني ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق ومعنى التعجب في كلمة التسبيح بحسب الاصل ان يسبح الله عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى
استعمل في كل متعجب منه **قوله تعالى** يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين
يعظكم الله اي ينهاكم ويخوفكم ان تعودوا اي كي لا تعودوا وقيل كراهة ان تعودوا لمثله اي الى مثل
هذا الحديث من القذف والخوض فيه والجلوس مع القاذف واستماع حديثه ابدا ان كنتم مومنين
جزاو مضمر اي ان كنتم مومنين اي فاتعظوا ولا تعودوا الى مثله وقيل يعظكم الله في ان تعودوا
من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا هم ما داموا احيا مكلفين وان كنتم مومنين فيه
تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح
قوله تعالى ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ويبين الايات الدالات على علمه وحكمته بما يترك
عليكم من الشرايع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافيه والله عليم بامر عايشه
رضي الله عنها وصفوان بن المعطل حكيم ببراءتهما وقيل عليم بكل شي حكيم بكل شي كما ينبغي **قوله تعالى**
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة
والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم هدد القاذفين بقوله ان الذين يحبون ان تشيع تظهر وتفشو
وتذيع الفاحشة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها في الذين
امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي
وحسانا ومسطحا وفي الاخرة بالنار والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون
يعني انه تعالى قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه **قوله تعالى** ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رءوف رحيم ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه
وفي

وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في الرءوف الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم لا تتبعوا خطوات الشيطان
اي تزيينه قذف عايشه ما زكى منكم من احد قيل انه عام في الخلق وقيل انه خاص للمتكلمين في الافك
ما زكى قيل ما اهتدى وقيل ما اسلم وقيل ما صلح وقيل ما ظهر منكم احد اخر الدهر من دنس الافك
ولكن الله يزكي يطهر من يشا من الاثم بالتوبة والغفران والمعنى وقد شا ان يتوب عليكم والله سميع
لقالتكم عليم بما في انفسكم من التوبة والندامة **قوله تعالى** ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم قيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان ينفق على مسطح لقرابته وفقره فلما خاض في
امر عايشه رضي الله عنها قال ابو بكر والله لا انفق عليه شيا ابدا فنزلت هذه الاية ولا ياتل ولا يحلف
يفتعل من الالية وهي القسم اولوا الفضل اولوا التفضل منكم والسعة الجدة والمراد به ابو بكر ان
يوتوا اولي القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وان كانت بينهم وبينهم
شحنا لجناية اقترفوها فليعفوا وليصفحوا وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة
خطاياهم وذنوبهم الا تحبون ان يغفر الله لكم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها
على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال
والله لا انزعها ابدا عن ابن عباس رضي الله عنهما اقسم ناس من الصحابه فيهم ابو بكر رضي الله
عنه ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشي من الافك ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى**
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان
الله هو الحق المبين قيل نزلت في عايشه رضي الله عنها خاصة وقيل انها نزلت في ازواج
النبي خاصة وقيل انها نزلت في المهاجرات روي ان المراة كانت اذا خرجت الى المدينة مهاجرة
قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انما خرجت تفجر فنزلت هذه الاية وقيل انها عامة في ازواج النبي
والمهاجرات وغيرهن وانما اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال لان من رمى مومنة فلا
بد ان يرمي معها مومنا فاستغنى عن ذكر المومنين ومثله سرابيل تقيكم الحر اراد والبرد الغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال
فلا يفطن لما يفطن له المجربات العارفات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها تطلعني على اسرارها وكذلك
البله من الرجال في قوله عليه السلام اكثر اهل الجنة البله يوم تشهد قرا حمزة والكسائي وخلف بالياء من
تحت والباقون بالتاء من فوق اعلم انك لو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم ترى الله عز وجل
قد غلظ في شي تغليظه في افك عايشه رضي الله عنها ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه
ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث
الايات لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في
الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا به وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب
الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل
واكد وكرر وجا بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما

ذاك الا الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفه وكان يسال عن تفسير القران
حتى سُئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشه
رضي الله عنها وهذا منه مبالغه وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعه باربعه برا يوسف عليه
السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى عليه السلام من قول قومه فيه بالحجر الذي
ذهب بثوبه وبرا مريم عليها السلام بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عايشه
رضي الله عنها بهذه الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرية بهذه
المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرية اوليك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتنبيه على انافة محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد
ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات
الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمه عن حجابه قال صاحب الكشاف
ان كانت عايشه هي المراده فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات
ازواج رسول الله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشه
كبراهن منزله وقربه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المراده اولا والثاني انها ام المومنين
فجمعت ارادة لها ولبناتها من نسا الامه الموصوفات بالاحصان والغفله والايمان كما قال
قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه بخبيب ابنه وكنيته
المشهوره ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذلك في الصفه **قوله تعالى** الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اوليك مبرون مما يقولون لهم مغفره ورزق
كريم قيل الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها الا الخبيث من الرجال والنسا والكلمات الطيبات لا يتكلم بها الا الطيبون
من الرجال والنسا وقيل الكلمات الخبيثات انما تلصق بالخبيثين من الرجال والنسا واما الطيبات
والطيبون فلا يصلح ان يقال في حقهم الا الطيبات وقيل الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والطيبات
من النسا للطيبين من الرجال وقيل الخبيثات من الاعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس
للخبيثات من الاعمال وكذلك الطيبات اوليك يعني عايشه وصفوان مبرون منزهون مما يقولون
من الفريه لهم مغفره لذنوبهم ورزق كريم في الجنه وعن عايشه رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن
امراة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما
تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملايكه في بيتي
وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه الوحي وانا معه في لحافه واني لابنة
خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السما ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة
ورزقا كريما **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على
اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون روي انه جات امراة من الانصار فقالت يا رسول
الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد والد ولا ولد فلا يزال يدخل
علي رجل من اهلي فنزلت هذه الايه فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله افرايت الخانات
والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ومعنى
قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي بيوتا ليست لكم حتى تستانسوا قيل من الاستيناس الظاهر

الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من
خفا الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يوذن لكم وهذا من باب الكنايه والارداف لان
هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقيل من الاستيناس الذي هو الاستعلام
والاستكشاف استفعال من آنس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتكشفوا الحال
هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت
ومنه بيت النابغه على مستانس وحد وقيل يجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان
وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال ان يتكلم الرجل بالتسبيحه والتكبيره
والتحميده يتنحنح يوذن اهل البيت وتسلموا حتى يقولوا السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن
له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا
ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاث وقد جا مرفوعا انه عليه
السلام علم رجلا الاستيذان فقال له قل السلام عليكم اادخل ولا كلام عليك ان السلام مسنون بعد
الاذن على ظاهر الايه ولانا لسلم تحية اللقا واللقا بعد الاذن والسلام ندب والاستيذان حتم
وقيل ان وقعت العين على العين قبل الاذن فالاولى تقديم السلام على الاستيذان والا قدم الاستيذان
على السلام ولا يستاذن الرجل في دخوله منزله لقوله غير بيوتكم والافضل ان يعلم بدخوله بتنحنح او
غيره وعن عطا بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال
انها ليس لها خادم غيري افستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها وهي عريانه قال الرجل لا
قال فاستاذن عليها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل
لهم ان يفقوا عينه وعن الزهري سمع سهل ابن سعد يقول اطلع رجل في حجرة من حجر النبي
ومعه مدرى يحك به راسه فقال لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما الاستيذان من النظر
ذلكم خير لكم من ان تدخلوا بغير اذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذه الاراده ان تذكروا
وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا ياذن
لكم في دخولها فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا وامن ياذن لكم وقيل فان لم تجدوا فيها من اهلها
ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة
ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها
الناس في العاده عن غيرهم ويحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد
ان يكون برضاه والا اشبه العصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اطلاق الاذن
ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على ابوابهم منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهيه ويقدح في
قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروه ومرتاضين بالاداب الحسنه واذا نهي عن ذلك
لادايه الى الكراهيه وجب الانتها عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب
الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد ما قرعت
بابا على عالم قط هو ازكى لكم اي الانصراف انفع لدينكم ودنياكم واقرب الى التزكيه ولقي
بقصه بني اسد زاجر وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من ورا الحجرات
اكثرهم لا يعقلون قال صاحب الكشاف فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يوذن لكم
وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد
الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغايبين لم يبق شبهه في كونه منهيا عنه مع الانضمام بالرجوع

الى فقد الاذن والله بما تعملون عليم وعيد للمخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا
به فموف جزاءه ليس عليكم جناح استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها بيوتا غير مسكونة
كالخانات والفنادق والربط والمنازل التي ينزلها السفر فيها متاع منفعة لكم كالاستكنان من الحر والبرد
وايواء الرجال والسلع والشري والبيع عن مجاهد كانوا يضعون بطرق المدينة اقتابا وامتعة في بيوت
ليس فيها احد وكانت الطرق اذ ذاك آمنة فاحل لهم ان يدخلوها بغير اذن وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال
يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا
باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز عن ابن جريج جميع ما يكون من البيوت التي لا ساكن لها على العموم لان
الاستيذان انما جاء لئلا يهجم على ما لا يجب من العورة فاذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستيذان والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون قيل معناه اذا دخلتم بيوت غيركم فاتقوا الله فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقيل وعيد للذين
يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة **قوله تعالى** قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون قل للمؤمنين يغضوا يكفوا من ابصارهم عن النظر الى ما لا يجوز عن
النظر اليه الا ما يحل النظر اليه قيل من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على ما يحل لان المؤمنين غير مامورين
بغض البصر اصلا وانما امروا بالغض عما لا يحل ولا يجوز وقيل من صلة زائدة اي يغضوا ابصارهم والاول قول سيبويه
والثاني قول الاخفش والقول ما قال سيبويه ويحفظوا فروجهم عما لا يحل وقيل كل ما كان في القران من حفظ
الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد الاستتار يعني يحفظوا فروجهم حتى لا ينظر اليها ودليل هذا
التاويل اسقاط من وقيل انما دخلت من في غض البصر دون حفظ الفروج دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى
ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك
الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر
الفرج فضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم
وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى محاسن المراة سهم من نبال ابليس مسموم فمن رد بصره
ابتغاء ثواب الله ابدله الله بذلك عبادة تسره وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يصلي اذ مر
به امراة فنظر اليها فاتبعها بصره فذهبت عيناه والله خبير بما يصنعون ثم اخبر الله انه خبير باحوالهم
وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بساير حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك
ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون **قوله تعالى** وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او
الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون امر الله تعالى النساء بغض البصر عن كل ما
يحرم النظر اليه من جهة الشرع ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان
اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى
بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا

يا رسول

يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه وانما قدم غض الابصار على حفظ
الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ولا
يبدين زينتهن ولا يظهرن لغير محرم زينتهن ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب والزينة منها ما هو
خفي كالخلخال والسوار والدملج والقرط والقلادة والاكليل والوشاح فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين
وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع
من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن
فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع
انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين
الله في الكشف عنها ومنها ما هو ظاهر فعن ابن مسعود هي الثياب والرداء دليله قوله تعالى خذوا زينتكم عند
كل مسجد اي ثيابكم وعن ابن عباس الكحل والخاتم والسوار والخضاب الاوزاعي الوجه والكفين
الحسن الوجه والثياب روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة
تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ههنا وقبض على نصف الذراع
وانما رخص الله تعالى ورسوله عليه الصلوة والسلام في هذا القدر من بدن المراة ان تبديه لانه ليس
بعورة فيجوز لها كشفه في الصلوة وساير بدنها عورة فيلزمها ستره الا ما ظهر منها اي ما ظهر من
الزينة فلا باس بابدائه للاجانب واما القراميل وان كان موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها
وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما حاذى ما تحت السرة فيحل النظر اليها لان امر القراميل
خلاف امر ساير الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب
فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه
والصحيح ان المراد بموقع الزينة العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في
عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم
والفتخة والخضاب بالحناء وانما سومح مطلقا في الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المراة
لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما
ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وليضربن بخمرهن
بمقانعهن وهي جمع الخمار وهو غطاء راس المراة على جيوبهن قرا نافع وابو عمرو وهشام
وعاصم بضم الجيم حيث وقع والباقون بكسر الجيم وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن
كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن
فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور
تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها رحم الله النساء المهاجرات
الاول لما انزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية شققن كثف مروطهن فاختمرن به ولا يبدين زينتهن
الخفية التي امرن بتغطيتها ولم يبح لهن كشفها في الصلوة وللاجنبيين وهي ما عدا الوجه والكفين
وظهور القدمين الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او نسائهن اي نساء المؤمنين فلا يحل لامراة مؤمنة ان تتجرد بين يدي امراة مشركة الا ان تكون امة لها
وذلك قوله او ما ملكت ايمانهن عن قتادة كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة ابن الجراح اما بعد

متناوله

فقد بلغني ان نسا يدخلن الحمامات معهن نسا اهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه ثم ان اباعبيده قام
في ذلك المقام مبتهلا اللهم ايما امراة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها
يوم تبيض الوجوه وقيل اراد بقوله او ما ملكت ايمانهن مماليكهن وعبيدهن فانهن لا باس عليهن ان يظهرن لهم
من زينتهن ما يظهر لذوي محارمهن وعن بن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن
من الحراير والاما وعن عايشه رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر
وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاما وهذا هو الصحيح
لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعند ابي حنيفه لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم
وشراهم وبيعهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم قال صاحب الكشاف فان قلت روي انه اهدي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا نقبل فيما يعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او
لسبب من الاسباب او التابعين هم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لارفاقهم اياهم او لانهم نشاوا فيهم
غير اولي الاربة الحاجة من الرجال وهم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم في النسا ولا
يشتهوهن وقيل هذا التابع هو الاحمق الذي لا تشتهيه المراه ولا تغار عليه الرجل وقيل هو الابله الذي يريد
الطعام ولا يريد النسا والثاني انه العنين وقيل انه الشيخ الفاني وقيل انه المجبوب قال الزجاج غير
صفة للتابعين وفيه دليل على ان قوله او ما ملكت ايمانهن معناه غير اولي الاربة من الرجال فالمعنى لا يبدين
زينتهن لمماليكهن ولا اتباعهن الا ان يكونوا غير اولي الاربة او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
فيطلعوا عليها قيل لم يظهروا اما من ظهر على الشي اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها
وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة
على الوط ولا يضربن بارجلهن ولا يحركن ارجلهن اذا مشين ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب برجلها
الارض لتتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات
خلخالين واذا نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار موضع الحلي ابلغ وابلغ وتوبوا الى الله من
النظر الى ما لا يحل لعلكم تفلحون لتفوزوا بالخيرات او امر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد
الضعيف يقدر على مراعاتهما وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المومنين
جميعا بالتوبه والاستغفار وبتاميل الفلاح واذا تابوا واستغفروا وعن بن عباس توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهليه لعلكم تسعدون في الدنيا والاخره **قوله تعالى** وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامايكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم لما امر بغض الابصار
وحفظ الفروج بين بعده ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل فبين بعد ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى
اصلها ايايم فقلب والايم للرجل والمراة فالايامى هم الذين لا ازواج لهم من الرجال والنسا يقال رجل
ايم وامراة ايم وايمه وام الرجل وامت المراة تايم ايمة وايوما وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين
قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا ايها المومنون من لا زوج له من احرار
رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم وامايكم ومن كان فيه صلاح من غلمانكم او جواريكم قيل
الامر امر ايجاب فاوجب النكاح على من استطاعه وقيل الامر للندب وهو الصحيح المشهور وعليه الشافعي
واحب للرجل والمراة ان يتزوجا اذا تاقت انفسهما اليه لان الله تعالى امر به ورضيه وندب اليه وبلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم حتى بالسقط وقال صلى الله عليه
وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح يدعا ولده من بعده قال ومن لم تتق نفسه الى ذلك
فاحب الي ان يتخلى لعبادة الله تعالى وذكر الله القواعد من النسا وذكر عبد الكريمه وقال عز من قايل

الجمهور قال

وسيدا

وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والحصور الذي لا ياتي النسا ولا يتوق الى النكاح فدل على
ان المندوب اليه من يحتاج اليه وعن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل وعن ابي نجيح
السلمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وقال عليه السلام
من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما وعن ابي هريرة لو لم يبق من الدنيا
الا يوم واحد لبعثت الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شراركم عزابكم وقال
صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه وقال صلى الله عليه وسلم
مسكين مسكين رجل ليست له امراة مسكينة مسكينة امراة ليس لها زوج قالوا يا رسول الله وان كانت
غنية من المال قال نعم وان كانت غنية من المال وقال صلى الله عليه وسلم اربع لعنهم الله من فوق عرشه
وامنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه عن النسا فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له ولد والرجل يتشبه
بالنسا وقد خلقه الله ذكرا والمراة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله انثى ومضلل المساكين قيل يعني
الذي يهزا بهم يقول للمسكين هلم اعطك فاذا جا يقول ليس معي شي ويقول للمكفوف اتق الدابه وليس
بين يديه شي والرجل يسال عن دار القوم فيضلله وعن عطيه بن بشر المازني قال اتى عكاف
ابن وداعة الهلالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عكاف الك زوجة قال لا يا رسول
الله قال ولا امة قال لا قال وانت صحيح موسر قال نعم والحمد لله قال فانك اذا من اخوان
الشياطين اما ان تكون من رهبان النصارى واما ان تكون مومنا فاصنع كما نصنع فان من
سنتنا النكاح شراركم عزابكم ما للشيطان في نفسه سلاح ابلغ من النسا الا ان المتزوجين
هم المطهرون المبرون من الخنا ويحك يا عكاف انهن صواحب داود وصواحب ايوب
وصواحب يوسف وصواحب كرسف عليهم السلام قالوا يا رسول الله ومن كرسف قال رجل
يعبد الله على ساحل من سواحل البحر ثلثمائة عام يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر من
صيام ولا قيام فكفر بالله العظيم من سبب امراة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ربه فتداركه
الله سبحانه ما سلف منه ويحك يا عكاف تزوج فانك من المذبذبين قال زوجني من شئت
قبل ان ابرح قال فاني قد زوجتك على اسم الله كريمة بنت كلثوم الحميري وعن عبد الله
بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى على امتي مايه وثمانون سنة فقد
حلت لهم العزبه والعزله والترهب على رؤس الجبال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عياض بن غنم الاشعري لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر وقال صلى الله عليه وسلم
تزوجوا الابكار فانهن اعذب افواها وافتح ارحاما واثبت مودة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم ان يتزوج المراة فليسال عن شعرها كما يسال عن وجهها
فان الشعر احد الجمالين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فان فيهن
يمنا وعن عايشه رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم النسا اسرى
بركة اصبحهن وجها واقلهن مهرا وقال صلى الله عليه وسلم اعلنوا النكاح واجعلوه في
المساجد واضربوا عليه بالدفوف وليولم احدكم ولو بشاة وعن عايشه رضي الله عنها قالت
حدثني معاذ بن جبل قال شهدت املاك رجل من الانصار مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم واملك الانصاري ثم قال على الالفة والخير
والطير الميمون دففوا على راس صاحبكم واقبلت السلال فيها الفاكهة والسكر فنثر عليهم
فامسك القوم فلم ينتهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازين الحلم الا تنتهبون

فقالوا يا رسول الله انك نهيتنا عن الغنا يوم كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما نهيتكم عن نهبة العساكر ولم انهكم عن نهبة الولايم ثم قال الا فانتهبوا قال معاذ
بن جبل فوالله لقد رايت رسول الله يجاذبنا ونجاذبه في ذلك النهب وعن عايشة رضي الله
عنها قالت كانت عندي جارية من الانصار في حجري فزوجتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلم
يسمع غنا فقال يا عايشة الا تغنون عليها فان هذا الحي من الانصار يحبون الغنا وعن عطا ان
النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بعروس فقال لو كان مع هذا الهوان يكونوا فقرا ثم رجع الى الاحرار
فقال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله فاخبرهم ان النكاح سبب لنفي الفقر عن ابن عجلان
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الحاجة فقال عليك بالباه وجا رجل الى ابي
بكر الصديق رضي الله عنه فشكا اليه الحاجة فقال عليك بالباه وجا رجل الى عمر بعد ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما فشكا اليه الحاجة فقال عليك بالباه كل يريد قول الله عز وجل وجا رجل الى عثمن بعد
عمر رضي الله عنه فشكا اليه الحاجة فقال عليك بالباه كل يريد قول الله عز وجل ان يكونوا فقرا يغنهم
الله من فضله والله واسع يوسع على من يشا عليم بمن يستحقه بمقتضى مشيته قوله تعالى وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لما ذكر تزوج الحراير والاما والاحرار
والعبيد ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف اي وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعف
طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج وقيل
اراد بالنكاح ما ينكح به من المال وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب عليكم بالباة فمن لم يجد فعليه بالصيام فانه له وجا حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع
عليهم ويعطيهم ما لا يتزوجون به وقيل يغنيهم الله بقلة الرغبة قال صاحب الكشاف حتى يغنيهم الله ترجية
للمستعففين وتقدمة وعدا بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا لهم في استعفافهم
وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفا وادنى من الصلحا وما احسن ما رتب
هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح
الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغنا بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسو وعزفها
عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع
على الابتدا او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفا لتضمن
معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة قيل هو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال
وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على العتق وقيل هو ان يقول
الرجل لعبده او امته قد كاتبتك على ان تعطيني كذا او كذا في نجوم معلومة على انك اذا اديت ذلك
فانت حر فيرضى العبد بذلك فان ادى مال الكتابة بالنجوم التي سماها كان حرا وان عجز عن ادا
ذلك كان لمولاه ان يرده الى الرق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم والاول
مذهب ابي حنيفة والثاني مذهب الشافعي ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير
منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا
يجوز بنجم واحد لان العبد لا يملك شيا فعقده حالا يمنع من حصول الغرض لانه لا يقدر على ادا البدل

البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير بالاتفاق وعند ابي حنيفة يجوز الكتابة على خدمة في مدة معلومة
وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بير في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه اجرها وجصها
وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لعلة الجهالة ووسط
الوسط وليس للمكاتب ان يطا المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاوه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو
في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلما وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شا كاتب وان شا لم يكاتب
ولا يلزم السيد يكاتب عبده سوا اخذ له قيمته او اكثرها او اقل وهو قول الشافعي وابي حنيفة ومالك
وساير الفقها وقيل هو امر ايجاب فرض على الرجل ان يكاتب عبده الذي قد علم منه خيرا اذا ساله ذلك
بقيمته واكثر وهو قول داود وابن عطا ومحمد بن جرير من الفقها وهو رواية العوفي عن ابن عباس واحتج
من نصر هذا القول بما روى قتادة ان سيرين سال انس بن مالك ان يكاتبه فتلكا عليه فشكاه الى عمر رضي
الله عنه فعلاه بالدرة وامره بالكتابة واحتجوا ايضا بان هذه الاية نزلت في غلام لحويطب ابن عبد
العزى يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار
ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب وروى عن عمر رضي الله عنه
انه قال هي عزمة من عزمات الله من سال الكتابة لو تب ان علمتم فيهم خيرا اي قوة على الاحتراف
والكسب لادا ما كوتبوا عليه واليه ذهب الثوري الحسن الصدق والامانة والوفا مجاهد المال
وقيل الصلاح واقامة الصلوة وقيل هو ان يكون المكاتب بالغا عاقلا فاما المجنون والصبي فلا يصح كتابتهما
لانهما ليسا من اهل الابتغا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلثة الحديث وقال ابو حنيفة يصح كتابة
الصبي اذا كان مراهقا مميزا بنا على اصله اذا كان مراهقا ليس حرا فاذن له وليه في التصرف نفذ تصرفه
كذلك السيد مع عبده اذا كاتبه فقد اذن له في التصرف فصحت كتابته واتوهم من مال الله الذي اتاكم
ذهب الشافعي الى ان الخطاب للموالي المكاتب وهو ان يحط من مال الكتابة شيا غير مقدر بمقدار معين
وقال احمد هو ربع المال دليل الاول ما روى السدي عن ابيه قال كاتبتني زينب بنت قيس بن مخرمة وكانت
قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا على عشرة الف فتركت لي الفا وعن ابي سعيد مولى
بن اسيد انه كاتبه على ثنتي عشرة ماية فجئته بها فاخذ منها الفا ورد على مايتين وعن نافع كاتب عبد الله
بن عمر غلاما له يقال له شرفي على خمسة وثلثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة الف درهم وعن سعيد
بن جبير وكان اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ولكنه
اذا كان في آخر كتابته وضع عنه ما احب حجة الثاني ما روى شعبة عن عبد الاعلى عن ابي عبد الرحمن
السلمي انه كاتب غلاما له على الف وماتين فترك الربع واشهدني ثم قال لي كان صديقك يفعل هذا
يعني عليا رضي الله عنه وقد روي ذلك مرفوعا عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم واتوهم من مال الله الذي اتاكم قال ربع المكاتبة وقيل معناه واتوهم سهمهم الذي
جعله الله لهم من الصدقات المفروضات في قوله تعالى انما الصدقات حيث قال وفي الرقاب
فعلى الاول قيل الامر امر الندب وقيل الامر امر ايجاب وعلى الثاني والثالث الامر امر ايجاب وقيل
هو حث لجميع الناس على معونتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعان مكاتبا في رقبته او غازيا في عسرته او
مجاهدا في سبيله اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعند ابي حنيفة واصحابه امر للمسلمين
على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطايهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال وحل لمولاه اذا كان
غنيا ان ياخذ ما تصدق عليه به وكذلك اذا لم يف الصدقة بجميع البدل وعجز عن ادا الباقي

طاب للمولى ما اخذ لانه لم ياخذ بسبب الصدقه ولكن بسبب عقد المكاتبه كمن اشترى الصدقه من
الفقرا وورثها او وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريره هو لها صدقه ولنا هديه ولا تكرهوا
فتياتكم قيل نزلت في معاذه ومسيكه جاريتي عبد الله بن ابي المنافق كان يكرههما على الزنا بضريبه ياخذها منهما
وكذلك كانوا يفعلون في الجاهليه يواجرون اماهم فلما جا الاسلام قالت معاذه لمسيكه ان هذا الامر الذي
نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الايه
وعن مقاتل نزلت في ست جوار لعبد الله بن ابي كان يكرههن على الزنا وياخذ اجورهن وهن معاذه ومسيكه
واميمه وعمره واروى وقتيله فجاته احداهن ذات يوم بدينار وجات اخرى ببرد فقال لهما ارجعا
فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جا الله بالاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه
فانزل الله هذه الايه وعن الزهري ان عبد الله بن ابي اسر رجلا من قريش يوم بدر وكان لعبد الله
جاريه يقال لها معاذه فكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمه وكانت تمتنع منه وكان
عبد الله يكرهها على ذلك ويضربها رجا ان تحمل من القرشي فيطلب فدا ولده فانزل الله الايه ولا تكرهوا فتياتكم
اماكم على البغا على الزنا ان اردن تحصنا ونظيره قوله تعالى وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين
وقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله آمنين يعني
اذ شا الله والتحصن التعفف وقيل انما ذكر قوله ان اردن تحصنا لان الاكراه لا يتصور ولا يتاتى الا مع
ارادة التحصن وآمر الطيعه المواتيه للبغا لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمه ان وايثارها على اذا ايذان
بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبه وطواعيه منهن وانما وجد من معاذه ومسيكه من حيز الشاذ النادر
وقيل ان اردن تحصنا متصل بقوله وانكحوا الايامى منكم اي من اراد ان يلزم الحصانه فليتزوج وقيل انما
جا النهي عن الاكراه لا عن البغا لان حد الزنا ترك بعد هذا لتبتغوا عرض الحيوه الدنيا اي لتبتغوا باكراههن
على الزنا اجورهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وقيل لهم لمن تاب عن ذلك
بعد نزول الايه وقيل لهن ولهم ان تابوا واصلحوا **قوله تعالى** ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم وموعظه للمتقين قرا ابن عامر وحفص وحمزه والكسائي مبينات بكسر اليا
اي الايات التي بينت الاحكام والحدود وجعل الفعل للايات على المجاز ويجوز ان يكون من بين بمعنى
تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والباقون بفتحها التي بينت في هذه السوره واوضحت في معاني
الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف ومثلا من امثال من قبلكم
اي قصه عجيبه من قصصهم لقصه يوسف ومريم يعني قصه عايشه رضي الله عنها وموعظه ما وعظ
به في الايات والمثل نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافه في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا **قوله تعالى** الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المصباح في زجاجه الزجاجه كانها كوكب دري توقد من شجره مباركه زيتونه لا شرقيه
ولا غربيه يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شي عليم لما فرغ من الاحكام الله نور السموات النور الضيا الذي يرى ويرى
وهو الكيفيه الفايضه من الشمس والقمر والنار على الارض والجدار وغيرهما يقال استنارت
الارض ووقع نور الشمع على الثوب ونور السراج على الحايط قال الغزالي ومن المعلوم ان هذه
الكيفيه انما اختصت بالفضيله والشرف لان المرئيات تصير بسببها ظاهره ثم من المعلوم انه كما
يتوقف ادراك هذه المرئيات على كونها مستنيره فكذا يتوقف على وجود العين الباصره والعين

الكلام في م

الباصره

الباصره هي المدركه وبها الادراك واما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك
فكان وصف الاظهار بالنور الباصر احق بالنور المبصر فلا جرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصره
فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمى انه فقد نور البصر اذا ثبت هذا فنقول ان للانسان
بصرا وبصيره فالبصر هو العين الظاهره المدركه للاضوا والالوان والبصيره هي القوه العاقله وكل واحد
من الادراكين يقتضي نورا ونور العقل اقوى واشد من نور العين لان القوه الباصره لا تدرك نفسها
ولا ادراكها ولا آلاتها والقوه العاقله تدرك نفسها وادراكها وآلاتها فنور العقل اكمل من نور البصر
والقوه العاقله تدرك الكليات والقوه الباصره لا تدركها وادراك الكليات اشرف لان ادراك الكليات
لا يتغير بخلاف الجزييات وادراك العقل منتج وادراك الحس غير منتج والقوه الباصره لا تدرك
الا السطح الظاهر من الجسم واللون القايم بذلك السطح بشرط الضوء فاذا ادرك الانسان فلم تدرك
منه الا السطح الظاهر من جسمه واللون القايم به والقوه العاقله تدرك ظاهر الاشيا وباطنها
فان الباطن والظاهر بالنسبه اليها على السوا فكانت القوه العاقله نورا بالنسبه الى الظاهر والباطن
والقوه الباصره ظلمه بالنسبه الى الباطن ومدرك القوه العاقله هو الله وصفاته وافعاله ومدرك
القوه الباصره وهو الالوان والاشكال فيكون نسبه شرف القوه العاقله الى شرف القوه الباصره
كنسبه شرف ذات الله الى شرف الالوان والاشكال والقوه الباصره كالخادم والقوه العاقله
كالامير والامير اشرف من الخادم والقوه الباصره قد تغلط والقوه العاقله لا تغلط فثبت
ان الادراك العقلي اكمل واقوى واشرف من الادراك البصري وكل واحد من الادراكين يقتضي
الظهور الذي هو اشرف خواص النور فكان الادراك العقلي اولى بكونه نورا من الادراك البصري
والادراك العقلي قسمان احدهما واجب الحصول عند سلامه القوى والالات وهي التعقلات
الفطريه والثاني ما يكون ملتبسا وهي التعقلات النظريه ولا يكون من لوازم جوهر الانسان لانه
حال الطفوليه لم يكن عالما البته فهذه الانوار انما حصلت بعد ان لم تكن فلا بد لها من سبب والفطره
الانسانيه قد يعتريها الزيغ فلا بد من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله والانبيا فيكون
منزله ايات القران عند عين العقل منزله نور الشمس كما يسمى نور الشمس نورا فنور القران يشبه نور
الشمس ونور العقل يشبه نور العين وبهذا ظهر معنى قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقوله قد جاكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا واذا ثبت ان بيان الرسول
اقوى من نور الشمس وجب ان تكون نفسه القدسيه اعظم في النورانيه من الشمس وكما ان الشمس في
عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي تفيد الانوار العقليه لساير
النفوس البشريه ولا تستفيد النور العقلي من شي من النفوس البشريه فلذلك وصف الله الشمس
بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ووصف محمدا بانه سراج منير اذا عرفت
هذا فنقول ثبت بالشواهد العقليه والنقليه ان الانوار الحاصله من ارواح الانبيا مقتبسه
من الانوار الحاصله في ارواح الملايكه قال تعالى ينزل الملايكه بالروح من امره على من يشا من عباده
وقال نزل به الروح الامين على قلبك وقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق والوحي لا يكون الا
بواسطه الملايكه واذا جعلنا ارواح الانبيا اعظم استنارا من الشمس فارواح الملايكه التي هي
كالمعادن لانوار عقول الانبيا لا بد وان تكون اعظم من انوار ارواح الانبيا لان السبب
لا بد وان يكون اقوى من المسبب ثم نقول ايضا ثبت بالشواهد العقليه والنقليه ان الارواح
السماويه مختلفه فبعضها مستفيد وبعضها مفيد قال تعالى في وصف جبريل مطاع ثم امين

واذا كان هو مطاع الملائكة والمطيعون لابد وان يكونوا تحت امره وقال وما منا الا له مقام معلوم
واذا ثبت هذا فالمفيد اولى بان يكون نورا من المستفيد ولمراتب الانوار في عالم الارواح
مثال وهو ان ضوء الشمس اذا وصل الى القمر ثم دخل في كوة بيت ووقع على مرآة منصوبة على حائط
ثم انعكس منه الى طشت مملو من الماء موضوع على الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت فالنور الاعظم
في الشمس التي هي المعدن وثانيها في القمر وثالثها ما وقع على المرآة ورابعها ما انعكس منه الى
الماء وخامسها ما وصل الى السقف فكل ما كان اقرب الى المعدن كان اقوى مما هو ابعد منه
فكذا الانوار السماوية لما كانت مترتبة لا جرم كان النور المفيد اشد اشراقا ثم تلك الانوار
لا تزال مترتبة حتى تنتهي الى النور الاعظم والروح الذي هو اعظم الارواح منزلة عند الله الذي
هو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ثم نقول لا شك ان هذه الانوار الحسية
سفلية كانت كانوار النيران او علوية كانوار الشمس والقمر والكواكب وكذا الانوار العقلية سفلية
كانت كالارواح التي للانبياء والاولياء او علوية كارواح الملائكة فانها باسرها ممكنة لذواتها والممكن لذاته
لا يستحق الوجود لذاته ووجوده من غيره والعدم هو الظلمة والوجود هو النور فكل ما سوى الله
مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى وكذا جميع معارفها ووجودها حاصل من وجود الله تعالى
فان الحق سبحانه هو الذي اظهرها بالوجود بعد ان كانت في ظلمات العدم وافاض عليها انوار المعارف
بعد ان كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء من الاشياء الا باظهاره وخاصة النور اعطاء الاظهار
والتجلي والانكشاف وعند هذا يظهر ان النور المطلق هو الله سبحانه وان اطلاق النور على غيره بطريق
المجاز وكل ما سوى الله من حيث هو هو ظلمة محضة لانه من حيث هو معدوم والمعدوم مظلم فالنور
اذا نظر اليه من حيث هو ممكن مظلم فاما اذا التفت اليه من حيث ان الحق سبحانه افاض عليه نور الوجود
بهذا الاعتبار صارت انوارا فثبت انه سبحانه هو النور اذ كل ما سواه فليس بنور واضاف
النور الى السموات والارض لما عرفت ان السموات والارض مشحونة بالانوار العقلية والانوار الحسية
اما الحسية فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وفي الارض من الاشعة المنبسطة على
سطوح الاجسام حتى ظهرت به الالوان المختلفة ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود واما الانوار
العقلية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الادنى مشحون بها وهي القوى النباتية
والحيوانية والانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم الاسفل كما انه بالنور الملكي ظهر نظام
العالم العلوي وهو المعنى بقوله ليستخلفنهم في الارض وقوله ويجعلكم خلفاء الارض واذا عرفت هذا
عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار البصرية الظاهرة والعقلية الباطنة ثم عرفت ان السفلية
فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج فان السراج هو الروح النبوي ثم الانوار النبوية القدسية
مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النور وان العلويات مقتبسة بعضها من بعض
وان بينها ترتيبا في المقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله
وحده لا شريك له فاذن الكل نوره فلهذا قال الله نور السموات والارض قال الامام ما ذكره الغزالي كلام
مستطاب ولكن يرجع حاصله بعد التحقيق الى ان معنى كونه نور السموات والارض انه هادي السموات
والارض فلا تفاوت بين ما قاله وبين ما نقلناه عن المفسرين في المعنى واعلم انه لا بد في التشبيه من
امرين المشبه والمشبه به فاختلف الناس في ان المشبه هاهنا اي شيء هو وذكروا ارجحها منهما ما ذكره جمهور
المتكلمين ان المراد الهدى التي هي الايات المبينات والمعنى ان هداية الله قد بلغت في الظهور والجلاء الى
اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت

بلغ النهاية في الصفاء فان قيل لم شبه بذلك وقد علمنا ان الشمس ابلغ من ذلك بكثير قلنا انه سبحانه اراد
ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق انما هي الشبهات التي هي كالظلمات
وهداية الله فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان
ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الحاصل واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة فلا جرم كان ذلك المثال هاهنا
اليق واوفق وايضا اعتبر الله من الامور في هذا المثال مما يوجب كمال الضوء لان المصباح اذا لم
يكن في المشكاة تفرقت اشعته واذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد انارة والذي
يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض
جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية فيزداد النور والذي يحقق ذلك
ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل
ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت
الانوار وبلغت النهاية ولان ضوء المصباح يختلف باختلاف ما يتقد فيه فاذا كان ذلك الدهن صافيا
خالصا كانت حالته بخلاف حالته اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد ما يظهر من الصفاء مثل الذي
يظهر في الزيت فربما يبلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزائه
ولان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى كانت بارزة
للشمس في كل حالاته يكون زيتونه اشد نضجا فكان زيته اكثر صفاء واقرب الى ان يتميز صفوه من كدره
لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا
فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله قال صاحب الكشاف نظير قوله الله نور السموات والارض مع قوله
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو
نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد
معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل
السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا
من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة
والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها
سبعون نبيا منهم ابرهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به
فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا
في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل
ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها وغروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية
وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي
هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت
حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان
متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه

ونيسر والقنديل اعون شى على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاوه يهدى الله لنوره من يشا
من عباده وعن بن عباس وانس بن مالك رضى الله عنهم الله هادى اهل السموات والارض لا
هادى فيهما غيره فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حسن الضلالة ينجون وليس يهتدى ملك مقرب
ولا نبى مرسل الا بهدى منه الضحاك منور السموات والارض مجاهد مدبر الامور فى السموات
والارض ابى بن كعب وابو العاليه والحسن مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض
بالانبيا والعلما والمومنين وقيل يعنى الانوار كلها كما يقال فلان رحمه وسخطه وهو لا يكون فى نفسه
رحمه ولا سخطه وانما يكون منه الرحمه والسخطه وقال بعض اهل المعانى اصل النور هو التنزيه والتصفيه
يقال امراة نوار ونسا نور اذا كانت متبريه من الريبه والفحشا قال الشاعر نوار فى صواحبها نوار
كما فاجات سرب اوصوار فمعنى النور هو المنزه من كل عيب وسوء نور اى بري من الريبه وقيل
النور على اربعة اوجه نور متلالى ونور متولد ونور من جهة صفا اللون ونور من جهة المدح
فالنور المتلالى مثل قرص الشمس والكوكب وشعلة السراج والنور المتولد هو الذى يتولد من شعاع
القمر والشمس فيقع على الارض فتنيره والنور الذى هو من صفا اللون مثل نور اللالى واليواقيت
وساير الجواهر وكل شى له نور صافى والنور الذى هو من جهه المدح قول الناس فلان نور البلد وشمس العصر
قال الشاعر فانك شمس والملوك كواكب اذا ما بدت لم يبد منهن كوكب وقال اخر قمر القبايل خالد بن يزيد
وقال اخر اذا سار عبد الله من مرو ليله فقد سار منها نورها وجمالها ولا يجوز ان يقال لله تعالى
يا نور الا ان يضم اليه اسم اخر كما لا يجوز ان يقال لله تعالى يا بديع الا ان يضم اليه شى اخر لانه واحد
الاشيا ونور جميع الاشيا منه دون ساير الاوجه لان النور المحسوس الذى هو ضد الظلمه لا يخلو من شعاع
وارتفاع وسطوع ولموع وهذه كلها منفيه عن الله تعالى لانها من امارات الحدوث مثل نوره اى
القران يدل عليه قوله تعالى قد جاكم من الله نور كعب وسعيد بن جبير هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو
المرشد ولانه تعالى ذكر فى وصفه سراجا منيرا وقيل المراد ما فى قلب المومن من الايمان ومعرفة الله
ومعرفة الشرايع يدل عليه ان الله تعالى وصف الايمان بانه نور والكفر بانه ظلمه قال تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال ليخرج الناس من الظلمات الى النور والمقصود من التمثيل ان
ايمان المومن قد يبلغ فى الصفا عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ المذكور عن ابى بن كعب
بدا الله بنوره نفسه فذكره ثم ذكر نور المومن فقال مثل نوره وهكذا كان يقرا ابى مثل نور من امن به
اضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلا وعلا وعن بن عباس يعنى بالنور الطاعه سمى طاعته نورا ثم
ضرب لها مثلا فقال تعالى كمشكوة قيل هذا من المقلوب اى كمصباح فى مشكاة وهى الكوه التى
لا منفذ لها واصلها الوعا وهو على وزن مفعله كمصفاة وقيل المشكاة عمود القنديل
الذى فيه الفتيله مجاهد هى القنديل فيها مصباح اى سراج واصله من الضو ومنه الصبح ورجل
صبيح الوجه اذا كان وضيا وقال الخليل المصباح السراج بالمسرجه وقيل المصباح اصغر من السراج
لان الله تعالى سمى الشمس سراجا فقال سراجا وهاجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال فى غيرها
من الكواكب ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح المصباح فى زجاجه الزجاجه كانها كوكب درى
قرا ابو عمرو والكساى وابان عن عاصم بكسر الدال وتخفيف اليا ومد ودا مهموزا قال
ابن قتيبه المعنى على انه من الكواكب الدرارى وهى اللاتى تدرا عليك اى تطلع قال الزجاج
هذا ماخوذ من درا يدرا اذا اندفع منقضا فتضاعف نوره يقال تدارا الرجلان اذا تدافعا
وروى المفضل عن عاصم بكسر الدال وتشديد اليا من غير همز ولا مد وهى قراة عبد الله

بن عمرو والزهرى وقرا ابن كثير ونافع وبن عامر وحفص عن عاصم درى بضم الدال وكسر الرا
وتشديد اليا من غير مد ولا همز وقرا حمزه وابو بكر عن عاصم والوليد بن عتبه عن ابن عامر بضم الدال
وتخفيف اليا مع اثبات الهمز والمد توقد قرا ابن كثير وابو عمرو بالتا مفتوحه وتشديد القاف
وفتح الدال يريد ون المصباح لانه هو الذى يتوقد وقرا نافع وبن عامر وحفص عن عاصم يوقد
باليا مضمومه مع ضم الدال يريدون المصباح ايضا وقرا حمزه والكساى وابو بكر عن عاصم بضم التا
والدال يريدون الزجاجه قال الزجاج والمقصود مصباح الزجاجه فحذف المضاف من شجره
من زيت شجره فحذف المضاف يدل على ذلك قوله يكاد زيتها يضى والمراد بالشجره هاهنا شجرة الزيتون
مباركه بركتها من وجوه فانها تجمع الادام والدهن والوقود توقد بحطب الزيتون وتغسل برماده
الابريسم ويستخرج دهنه استخراجا ويورق غصنه من اوله الى اخره وانما خصت بالذكرها هنا دون غيرها
لان دهنها اضوا واصفى لا شرقيه ولا غربيه عكرمه وجماعه لا يسترها من الشمس جبل ولا واد فاذا طلعت
الشمس اصابتها واذا غربت اصابتها فهى مصاحبه للشمس طول النهار وليست بشرقيه وحدها حتى لا تصيبها
الشمس اذا غربت ولا هى غربيه وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداه اذا طلعت بل تاخذ حظها من الامرين
واذا كان كذلك كان اجود واضوا لزيتها وقيل هى معتدله ليست فى شرق فيلحقها الحر ولا فى غرب فيضرها
البرد وقيل هى شاميه لان الشام لا شرقى ولا غربى وقيل هى شرقيه وغربيه وهذا كقولك فلان لا مسافر
ولا مقيم وليس هذا بابيض ولا اسود اذا كان له من كلى الامرين قسط ونصيب قال الشاعر بايدى رجال لم يسيموا اسيوفهم ثم ولم يكثر القتلى بها حين سلت
يعنى فعلوا هذا وهذا الحسن ليست هذه الشجره من شجر الدنيا ولو كانت فى الارض لكانت شرقيه او غربيه
وانما هو مثل ضربه الله لنوره قيل وقد افصح القران بانها من شجر الدنيا لانه ابدل من الشجره فقال تعالى
زيتونه وانما خص الزيتونه من بين ساير الاشجار لان دهنها اصفى واضوا وقيل لانها يورق غصنها
من اوله الى اخرها ولا يحتاج دهنها الى عصار يستخرجه وقيل لانها اول شجره نبتت فى الدنيا وقيل بعد
الطوفان لان منبتها منزل الانبيا والاوليا فى الارض المقدسه وقيل لانه بارك فيها سبعون نبيا منهم
ابرهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فى الزيت والزيتون وقال عليه السلام كلوا الزيت
وادهنوا به فانه من شجره مباركه عن عبد الله بن ثابت الانصارى قال دعا بنيه ودعا بزيت فقال
ادهنوا ارووسكم فقالوا لا ندهن روسنا بالزيت قال فاخذ العصا وجعل يضربهم ويقول اترغبون عن
دهن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاد زيتها يضى من صفايه وضيايه ولو لم تمسسه نار فكيف اذا تصيبه
نار قيل هذا مثل ضربه الله عز وجل لنبيه عليه السلام وقيل جا بن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى
عن قول الله عز وجل مثل نوره كمشكاه الايه فقال كعب هذا مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره
والزجاجه قلبه والمصباح فيه النبوه توقد من شجره مباركه شجرة النبوه فكاد نور محمد وامره
يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضى ولو لم تمسسه نار وعن بن عمر فى هذه
الايه قال المشكاه جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجه قلبه والمصباح النور الذى جعل
الله فيه لا شرقيه ولا غربيه لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجره مباركه يعنى ابرهيم عليه السلام
نور على نور النور الذى جعل الله فى قلب ابرهيم عليه السلام كما جعل فى قلب محمد صلى الله
عليه وسلم وعن محمد بن كعب القرظى المشكاة ابرهيم والزجاجه اسمعيل والمصباح محمد عليهم
السلام سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا فقال عز من قايل وسراجا منيرا توقد من شجره
مباركه هى ابرهيم عليه السلام سماه مباركا لان اكثر الانبيا كانوا من صلبه عليه السلام
لا شرقيه ولا غربيه يعنى لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان اليهود

تصلى قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعني يكاد محاسن
محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان اوحى اليه نور على نور اى نبي من نسل نبي الضحاك شبه
عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في صلبهما فورث
النبوة من ابرهيم توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية شجرة التقى والرضوان وعشيرة
الايمان والهدى شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها تاويل وخدمها
جبريل وميكاييل وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح
ما جعل الله من القرآن والايمان في قلبه توقد من شجرة مباركة هي الاخلاص لله وحده لا شريك له فمثله مثل
شجرة التف بها الشجر فهي خضرا ناعمة لا تصيبها الشمس على اى حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت ولذلك
المومن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن وقد ابتلي فيها فيثبته الله بها فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر وان
ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في ساير الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات نور على
نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم
القيمة الى الجنة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل
ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا كذلك يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاء
العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كقول ابرهيم قبل ان تجيئه المعرفة هذا ربي
حين راى الكوكب من غير ان اخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه ربه ازداد هدى على هدى
نور على نور اي ايمان المومن وعمله الحسن هذا مثل القرآن في قلب المومن وكما ان هذا المصباح
يستضاء به وهو كما هو لا ينقص كذلك القرآن يهتدى به ويوخذ به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة
قلب المومن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار تكاد حجة القرآن تتضح وان لم تقرا وقيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم
ينزل القرآن نور على نور اى القرآن نور من الله على خلقه مع ما قد اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل
نزول القرآن فازداد وابذلك نورا على نور ثم اخبر تعالى ان هذا النور المذكور عزيز فقال
تعالى يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس تقريبا للشيء الذي اراده الى الافهام
وتسهيلا لسبل الادراك على الانام والله بكل شيء عليم سر كل شيء بما هو حري ان يعلم قال الامام الغزالي
قد تبين ان القوى المدركة انوار ومراتب القوى المدركة الانسانية خمسة احدها القوة الحاسة
وهي التي تتلقى ما يورده الحواس الخمس وتحفظه محرزا عنده لتعرضه على القوة العقلية عند الحاجة
اليه وثالثها القوة العقلية المدركة للحقايق الكلية ورابعها القوة الفكرية وهي التي تاخذ المعارف
العقلية فتولفها تاليفا تستنتج من تاليفها علما بالمجهول وخامسها القوة القدسية التي تختص بها
الانبيا وبعض الاوليا وتتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملكوت واليه الاشارة بقوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
واذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات وهذه المراتب الخمس يمكن
تشبيهها بالامور الخمسة التي ذكرها الله وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت اما
الروح الحساس اذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين
فاوفق مثال له من عالم الاجسام المشكاة واما الثاني وهو الروح الخيالي فله خواص ثلاثة الاول انه من طينة
العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحيز ومن شان العلايق الجسمانية ان تحجب عن الانوار
العقلية المحضة التي هي العقليات الكلية المجردة والثاني ان هذا الخيال الكثيف اذا صفا ورق صار

موازيا للمعارف العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك فان المعبر يستدل بالصور الخيالية على المعاني
العقلية كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وعن ختم فروج الناس وافواههم على
انه موذن يوذن قبل الصبح والثالث ان الخيال في البداية يحتاج اليه للضبط بالمعارف
العقلية ولا تضطرب وانت لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال في هذه الصفات الثلثة الا الزجاجة
فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفا ورق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يوديه على وجهه
ثم تحفظه من الانطفا بالرياح واما الثالث وهو القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات
الكلية والمعارف الالهية فلا يخفى عليك وجه تمسكه بالمصباح واما الرابع وهو القوة الفكرية
فمن خاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة ثم تقسمها الى قسمين كقولنا الموجود اما واجب واما ممكن ثم تجعل
كل قسم مرة اخرى قسمين وهكذا الى ان تنتهي الى ما لا يقبل القسمة ثم تنتهي بالاخرة الى نتايج هي ثمرتها فبالحري
ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح
وله من بين ساير الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية التي
يكثر درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها تسمى مباركة فالتي لا نهاية لمنفعتها وثمرتها اولى ان
تسمى شجرة مباركة واذا كان شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام فبالحري ان لا
تكون شرقية ولا غربية واما الخامس وهو القوة القدسية النبوية فهي في نهاية الشرف والصفا
فان القوة الفكرية تنقسم الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه والى ما لا يحتاج اليه ولا بد من وجود هذا
القسم دفعا للتسلسل فبالحري ان يعبر عن هذا القسم لكماله وصفايه بانه يكاد يضيء ولو لم تمسسه
نار فهذا المثال موافق لهذه الاقسام ولما كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحس هو
الاول وهو كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل فبالحري ان تكون المشكاة كالظرف
للزجاجة التي هي كالظرف للسراج وبعض الفضلا انزل هذه الامور الخمسة على مراتب النفس الانسانية
فقال لا شك ان النفس الانسانية قابلة للمعارف الكلية والادراكات المجردة ثم انها في اول الامر
تكون خالية عن جميع المعارف فهناك تسمى عقلا هيولانيا وهي المشكاة وتلوها قوة ثانية تحصل
لها عند حصول المعقولات الاولى فيتهيا لاكتساب الثواني اما بالفكرة وهي الشجرة الزيتونة
ان كانت ضعيفة او بالحدس فهي زيت ايضا ان كانت اقوى من ذلك فتسمى عقلا بالملكة وهي الزجاجة
التي كالكوكب الدري وان كانت في النهاية القصوى وهي النفس القدسية التي للانبيا فهي التي يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم يحصل بعد ذلك كمال قوة وكمال اما الكمال فان يحصل لها المعقولات
بالفعل مشاهدا متمثلا في الذهن وهو نور على نور ويسمى ذلك الكمال عقلا مستفادا واما القوة
فان يكون لها ان يحصل المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد متى شاءت من غير افتقار الى
اكتساب وهو المصباح وهذه القوة تسمى عقلا بالفعل والذي يخرج من العقل الهيولاني الى
العقل بالملكة ومنه الى العقل بالفعل ومنه الى المستفاد يسمى بالعقل الفعال وهو مدبر ما تحت
كرة القمر وهو النار **قوله تعالى** في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتا الزكوة يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير
حساب في بيوت اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده او بمحذوف اما تعلقه بما قبله فقيل بمشكوة
والتقدير كمشكوة في بيوت وقيل المصباح في بيوت وقيل زجاجة في بيوت وقيل توقد في
بيوت واما تعلقه بمحذوف فكقوله في تسع ايات اى سبحوا في بيوت واما تعلقه بما بعده وهو يسبح

اى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها وقيل خبر المبتدا والمبتدا هو قوله
رجال وقيل متصل بقوله ان ترفع فيذكر والبيوت المساجد عند بعض وعند بعض عام فى جميع البيوت
بن عباس المساجد بيوت الله فى الارض وهى تضى لاهل السما كما تضى لاهل الارض وقيل هى الكعبه
وبيت المقدس ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا السدي بيوت المدينه اذن الله
يتناول الايجاب والندب والاباحه فان الاذن فى الفعل يتناول اقتضا الفعل مع الحرج وبدونه
والتخيير بين الفعل والترك وهذا اولى من تفسير الاذن بالامر واولى الاقوال بالصواب انها المساجد
لدلاله سياق الايه على انها بيوت بنيت للصلوة والعباده فان قيل ما الوجه فى توحد المشكاه والمصباح
وجميع البيوت ولا تكون مشكاة واحدة الا فى بيت واحد من البيوت قيل هذا من الخطاب المتلون الذى
يفتتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النسا ونحوها وقيل رجع الى كل واحد
من البيوت وقيل هو مثل قوله وجعل القمر فيهن نورا وانما هو فى واحدة منهن ان ترفع ان تبنى مجاهد نظيره
قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت الحسن ان ترفع ان تعظم ما اذن الله ان ترفع بالبنا ولكن
بالتعظيم وقيل رفع قدرها وبيانها وقيل تطهر من الانجاس والمعاصى وقيل ترفع فيها الحوايج الى الله
وقيل يرفع فيها الاصوات بذكر الله وتلاوة القران ويذكر فيها اسمه بن عباس يتلى فيها كتابه وقيل
هو توحيده لا اله الا الله وقيل يذكر فيها اسماوه الحسنى وقيل هو عام فى كل ذكر يسبح قرا ابن عامر وابو
بكر عن عاصم بفتح البا على ما لم يسم فاعله ويسند الى احد الظروف الثلاثه اعنى له فيها بالغدو ورجال
مفعول بما دل عليه يسبح وهو يسبح له والباقون بكسر البا جعلوا التسبيح فعلا للرجال ورجال فاعل القوله
يسبح بن عباس كل تسبيح فى القران صلوة يدل عليه قوله تعالى بالغدو والاصال بالغداة والعشى قال
المفسرون اراد الصلوات المفروضه والصلوة التى تودى بالغداة وصلوة الفجر والتى تودي بالاصال
صلوة الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصال يجمعها والاصال جمع الاصل وهو العشى والمعنى باوقات
الغدو اي بالغدوات قيل وجه تخصيص الرجال بالذكر فى هذه البيوت انه ليس على النسا جمعه ولا جماعه
فى المساجد لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة قيل انما خص التجارة لانها اعظم ما يشتغل به الانسان عن الصلوات
وساير الطاعات ولا بيع ان قيل ان التجارة اسم يقع على البيع والشرى فما معنى ضم ذكر البيع الى التجارة
فالجواب عنه قيل التجارة فى السفر والبيع فى الحضر وقيل التجارة الشرى من قولهم اتجر اذا اشترى
فيكون المعنى لا تلهيهم شرى ولا بيع اى افضوا الدنيا واشتغلوا بذكر الله وقيل التجارة صناعة التاجر
وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعه ثم خص البيع فانه فى الالهاء
ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعه رابحه وهى طلبته الكليه من صناعته الهته ما يلهيه شرى شى يتوقع
فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس
على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى عن ذكر الله قيل عن الصلوة وقيل
عن ذكر اسمايه تعالى وقيل عن الاذان واقام الصلوة اى وعن اقامة الصلوة فحذف الها الزايده لاجل
الاضافه لا الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الها اذ كانت الها عوضا
من الواو لان اصل الكلمه اقوام فلما اضيفت الاضافه مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا اراد واعدة الامر فاسقط الها منها لما اضافها وايتا الزكوة الحسن الزكوة
المفروضه بن عباس اخلاص الطاعه لله يخافون يوما تتقلب قيل تتقلب وتتغير فى انفسها وهو ان
تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقيل تتقلب احوالها
وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كان مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر

وقيل تتقلب فيه القلوب والابصار على جمر جهنم من حال الى حال وقيل تتقلب القلوب البلوغ الى
الحناجر وتقلب الابصار نظرها الى حيث توتى كتابها والى جهة يساق اليه وقيل انقلاب الابصار
الى الزرقه وقيل تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفر وتقلب الابصار معاينة ما كان يزعم انه لا يراه لقوله
فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي انهم اشتغلوا بذكر الله واقام
الصلوة وايتا الزكوة ليجزيهم الله احسن ما عملوا اى باحسن ما عملوا وقيل احسن جزا اعمالهم لقوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزياده والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم من فضله
ما لم يستحقوه باعمالهم والله يرزق من يشا بغير حساب اى غير مقدر بالكفايه بل فوقها وقيل بغير
حساب معناه تفضلا لان الجزا يكون بالحساب ويكون التفضل بغير حساب وقيل بغير حساب اى
لا يحاسبه على ما يعطيه فى الدنيا وقيل يعطيه ما لا ياتى عليه الحساب وقيل من غير حساب اى من حيث
لا يحتسب قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
لما بين حال المومن انه فى الدنيا يكون فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح ثم بين انه فى
الاخرة يكون فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك بان بين ان الكافر يكون فى الاخرة فى اشد
الخسران وفى الدنيا فى اعظم انواع الظلمات وضرب لكل واحد منهما مثلا السراب ما يرى فى
الفلاه من ضوء الشمس وقت الظهيره يسرب على وجه الارض كانه ما يجرى بقيعه بقاع وهو المنبسط
المستوى من الارض وقيل القيعه جمع قاع كجيره وجار يحسبه الظمان العطشان ماء وخص
الظمان بالذكر لشدة حاجته الى الماء حتى اذا جاءه اى ما توهمه انه ما لم يجده شيا قيل لم يجده كما
ظنه وقيل جا الى الموضع الذى ظن ان فيه الما فانتفى بذكر السراب عن موضعه ووجد الله عنده
شبه ما يعمله الكافر بسراب اى كذلك الكافر اذا جا عمله الذى ظن انه ينفعه فلم يجده نافعا كما ظن
الله وقيل شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحه التى
يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب العاقبه امله ويلقى خلاف ما قدر
الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحه التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه
ثم تخيب فى العاقبه امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهره وقد غلبه عطش
يوم القيامه فيحسبه ما فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعقلونه
الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عامله ناصبه ويحسبون انهم
يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وقيل ووجد الله عنده
اى عند الكافر اى جزا الله وقيل وجد الله محاسبا اياه وقيل وجد الله عند ذكره
الموت ووجد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار قيل وجد الله بالمرصاد
عند ذلك فوفاه حسابه اى اعطاه جزا عمله وافيا كاملا والله سريع الحساب
اذا حاسب فحسابه سريع وقيل هو تقريب زمان الحساب وهو القيامه قيل نزلت فى عتبه
بن ربيعه بن اميه قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهليه ثم كفر فى الاسلام
او كظلمات او للتخيير على تقدير شبه اعمال الكفار بايهما شيت وتقدير الايه او كصاحب
ظلمات فى بحر لجى عظيم اللجه وقيل عميق واللجة البحر المكان الذى يكثر فيه الما ويسدير
وقيل البحر الواسع الذى لا يرى ساحله الكلبى البحر الكثير الموج وقيل اللجى العميق الكثير الما

بمنسوب الى اللج وهو معظم ما البحر يغشاه موج يعلوه موج وقيل يغشى البحر وقيل ظلمات الظلمات
من فيها اي يعلوه فيغطيه موج من فوقه موج اي من فوق الموج موج اخر وقيل الموج الثاني الريح
وقيل تقديره موج من بعده موج اي موج يتبع بعضه بعضا من فوقه سحاب اي من فوق الموج الثاني
سحاب قد غطى النجوم التي يهتدى بها ظلمات بعضها فوق بعض اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض
يعني ظلمة البحر وظلمة الموج الاول وظلمة الموج الذي فوق الموج وظلمة السحاب قرا ابن كثير سحاب
ظلمات مضافا اذا اخرج يده لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله
قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما بالة يبرح
قال المفسرون اراد بالظلمات اعمال الكفار وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك
والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب في هذه الاية الكافر يتقلب في خمس من الظلم
فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيمة الى النار
قيل شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيا ولم
يكفه خيبته وكمده ان لم يجد شيا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا
يعلل ظماه بالما وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة في خلوها عن نور الحق بظلمات
متراكمة من لج البحر والامواج السحاب ومن لم يجعل الله له نورا اي من لم يهده الله فلا ايمان له وقيل
فلا هادي له وقيل من لم يجعل الله له هداية فما له ما يفلح به على وجه من الوجوه وقيل من
لم يجعل الله له في الاخرة سبيلا ودليلا الى النجاة فلا سبيل ولا نجاة له وقيل من لم يرزقه الله
هدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له ايمان ومعرفة قال صاحب الكشاف ومن لم يوله
نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات
لان الالطاف انما ترد في الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين **قوله تعالى** الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض والى الله المصير لما وصف انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين
اتبع ذلك بدلايل التوحيد الم تر اي الم تعلم علما يقوم مقام الروية وقيل هذا تنبيه
اي تنبه والطير صافات يصففن اجنحتهن في الهوى اي باسطات اجنحتهن في الهوا مرتبة
في ملك فان العجب بها اكثر وانما خص الطير بالذكر لانها تكون بين السما والارض اذا طارت
فهي خارجة عن جملة من في السموات والارض كل اي كل واحد منهم قد علم الضمير فيه لكل ولله صلاته
وتسبيحه الضمير الذي اضيف اليه الصلوة والتسبيح لكل او لله قيل الصلوة لبني ادم والتسبيح لغيرهم
من الخلق والمعنى قد علم الله صلوة المصلي وتسبيحه وقيل قد علم المصلي والمسبح صلوة نفسه وتسبيحه
اي قد عرف ما كلف من ذلك وقيل قد علم المصلي صلوة الله وتسبيحه اي علم ان ذلك لله وحده اي كل
واحد من الطير وغيرها من البهايم والحشرات تسبيح وصلوة تليق به يسبحون الله ويصلون له لا ننفق
نحن على ذلك وقيل تسبيحه وصلاته دلالة على وحدانية الله والمطيعون لهم تسبيحان تسبيح عمل
وتسبيح دلالة وقيل صوت كل شي تسبيحه وحركته صلوته والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض اي خالقهما ومقدرهما ومدبرهما ومصرف احوالهما كما يشا والى الله المصير
مرجع كل ملك ومخلوق **قوله تعالى** الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه

لم يكد

عمن يشا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار الم تر ان الله يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها سحابا
يكون واحدا كالعما وجمعا كالرباب ثم يولف ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه
الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزايه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل ثم يجعله
ركاما متراكما بعضه فوق بعض ركمت المتاع وغيره اذا وضعت بعضه فوق بعض فترى الودق المطر
يخرج من خلاله من اثنايه من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال وجبل وينزل من السما من لابتدا الغاية
ومن السما في محل النصب على الظرف من جبال من ايضا لابتدا الغاية وجبال بدل من السما بدل
البعض من الكل فيها اي في السما من برد من لتبيين ان الجبال من البرد والمعنى من السما من جبال
من برد وينحدر عنها البرد على السحاب ثم على الارض فيكون المفعول محذوفا اي ينزل من جبال السما
بردا وقيل من الثانية للتبعيض في موضع المفعول به والثالثة للتبيين كانه بين من اي شي تلك الجبال
ومحله رفع كانه قال وينزل من السما جبالا فيها برد وقيل المراد بالجبال التكثير والتعظيم لا التي
بين خلاف السهل وقيل السما السحاب والجبال العظام من السحاب وقيل الجبال ما جبله الله من
البرد اي خلقه وكل جسم شديد جبل ومنه الجبلة والبرد ما جامد خلقه الله في السحاب ثم نزله وقيل يصير
في الهوا بردا ابن عباس البرد الثلج فيصيب به اي بالبرد من يشا اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه عن
من يشا يكاد سنا برقه ضوء وسناد لمعان برقه وسنا كل شي برقه وضوءه والسنا المهدود المجد واصلهما
من الرفعة يقال اسنيت النار اسناء وسنا البرق يسنو سنا وسني الرجل سنا وقيل سنا برقه صوت برقه
فيكون فوة البرق ولجلا على تكاثف السحاب ونذيرا بقوة المطر ومحذرا من نزول الصواعق يذهب بعيون
الناظرين اليه والنظر الى عين الشمس والى البرق مضر بالبصر يقلب الله الليل والنهار اي ما يزيد في احدهما ينقص
من الاخر وقيل هو ان ياتي بالليل بعد النهار وبالنهار بعد الليل وقيل يعقب النهار بظلمة السحاب تارة وبضوء الشمس
اخرى ويعقب الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر اخرى ان في ذلك فيما تقدم من السحاب وما يظهر منه لعبرة لاولي
الابصار لعظة لارباب البصاير عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلايل على ربوبيته وظهور امره
حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السما والارض ودعاهم له وابتهالهم اليه وانه سخر
السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه
ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا
ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده
وثباته ودلايل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر قال صاحب الكشاف فان قلت متى راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاه وتنزيل المطر من جبال برد
في السما حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي **قوله تعالى**
والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق
الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون استدل اولا باحوال
السما والارض وثانيا بالاثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات فرا حمزة والكساي والله خالق
كل دابة من ما من نوع من الما مختص بتلك الدابة وقيل خلق كل دابة من ما مخصوص وهو النطفة

ع
علم

ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها ناس ونحو قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وقيل انما قال من ماء لان الاصل الخلق من الماء ثم قلب بعض الماء الى الريح فخلق منها الملائكة
وبعضه الى النار فخلق منها الجن وبعضه الى الطين فخلق منه ادم عليه السلام ولما كان اسم الدابة موقعا
على المميز فاعطي ما وراه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات
والحيتان والديدان ومنهم من يمشي على رجلين كالجن والانس والطير ومنهم من يمشي على اربع قوايم كالانعام
والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على اكثر من اربع لانه كالذي يمشي على اربع في راي العين قال صاحب
الكشاف فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان
كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسايط وانما جات
الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب لانه قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير الة مشي من ارجل
او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وسمي الزحف على البطن مشيا على سبيل الاستعارة كما قالوا في
الامر المستمر قد مشى هذا الامر وفلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان
الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين يخلق الله ما يشاء كما يشاء ان الله على كل شيء قدير
لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم الى دين الاسلام وقيل الى طريق الجنة
وقيل هذه متصلة بالاولى اي والله يهدي من يشاء من الخلق ومن الماء الى الاسلام ويقولون امنا
بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى لعرض عن الايمان فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا بالله
وبالرسول وما اولئك بالمومنين اشارة الى القايلين امنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه
على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق
المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان انما كان ادعا باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد
وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمومنين دلالة على انهم ليسوا بالمومنين الذين
عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا انزلت هذه الايات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف
علينا فذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله اي اذا دعوا الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه
تريد اعجبني كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا وروي ان المغيرة
بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست
اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني واخاف ان يحيف علي ليحكم بينهم اي ليحكم الرسول بينهم بحكم الله اذا فريق
منهم معرضون وقيل فاجا فريق منهم الاعراض وان يكن لهم الحق اي القضاء لا عليهم ياتوا الى رسول الله فالى اليه
صلة ياتوا لان اتى وجا قد جا معديين بالى او قيل اليه يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة
وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل
البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في
صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته
او خايفين الحيف في قضاياه وقيل في قلوبهم مرض شك ونفاق وقيل بغض وعداوة لله ورسوله
ام ارتابوا ام كانوا مخلصين ثم راوا منك امرا رابهم واورثهم تهمة ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
ام جوزوا في انفسهم ان يميل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض حكمه فخافوك وعدلوا من حكمك لو احد
م

من هذه الثلاث وجا بلفظ الاستفهام لانه ابلغ في الذم والتوبيخ ثم ابطل خوفهم حقيقه بقوله بل اولئك
هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له
الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم
يابون المحاكمة اليه **قوله تعالى** انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفايزون ثم نعت المومنين فقال انما كان قول المومنين قيل هذا ليس بخبر ماض وانما المعنى
انما كان ينبغي ان يكون قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بحكم الله الذي
امر به في القران ان يقولوا سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم واطعنا امره واولئك هم المفلحون
الفايزون الباقون في النعيم المقيم ومن يطع الله ورسوله قيل يطع الله في الفرايض ورسوله
في السنن ويخشى الله ويتقه فاولئك بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء وقرا ابو عمرو وابن عامر وابو بكر
عن عاصم ويتقه جزما ولقد جمع الله في هذه الاية اسباب الفوز وعن بعض الملوك انه سال
عن اية كافية فتليت له هذه الاية **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم لين امرتهم ليخرجن قل
لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك ان اقمت اقمنا وان خرجت خرجنا وان جاهدت جاهدنا
معك واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ
في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد
اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله
فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لين امرتهم بالخروج الى الغزو
ليخرجن وقيل بالخروج من الديار ليخرجن منها قل يا محمد لهم لا تقسموا الا كاذبون في القسم وذلك
معصية طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة
معلومة لا شك فيها ولا ارتياب لطاعة المومنين المخلصين الذين وافق باطن امرهم ظاهرهم وطابق
سرهم علانيتهم لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة
بانها بالقول دون الفعل او مبتدا محذوف الخبر اي طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه
الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم ومخالفتكم لا يخفى عليه شيء من سرايركم
وانه يفضحكم لا محالة ويجازيكم على نفاقكم **قوله تعالى** قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين
صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم فان تولوا عن طاعة
الله ورسوله والاذعان لحكمهما فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فانما عليه اي على الرسول ما حمل
كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم كلفتم به من التلقي بالقبول والاذعان وطاعته ومتابعته
فان لم تطيعوه وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان تطيعوه تهتدوا الى الحق والرشد
والجنة فالنفع بطاعتكم والضرر بمعصيتكم عايد اليكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الظاهر والمظهر
لما فيه نفعكم وضرركم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية وقيل معنى المبين كونه مقرونا بالايات
والمعجزات **قوله تعالى** وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون
بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون تقدير النظم بلغ يا ايها الرسول واطيعوه يا ايها المومنون

فقد وعد الله الذين امنوا منكم اي الذين جمعوا بين الايمان والعمل قيل المراد به المهاجرون ولهذا قال منكم وقيل هو عام ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح ليستخلفنهم انما دخل اللام لجواب القسم المضمر لان الوعد قول تقديره قال الله للذين امنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض اي ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم وينصرهم على الكفار ويجعلهم فيها خلفا وملوكا وسواسها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل حين هلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم واستخلفهم فيها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وليبدلنهم قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بسكون البا وتخفيف الدال والباقون بفتح البا وتشديد الدال وهما لغتان وقيل التبديل تغيير حال الى حال والابدال رفع شي وجعل غيره مكانه من بعد خوفهم امنا يعبدونني قيل استيناف لا محل له من الاعراب كان قايلا قال ما لهم مستخلفون ويومنون فقال يعبدونني وقيل حال عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب لا يشركون بي شيا اي عابدين غير مشركين به ومن كفر بعد ذلك وارتد وقيل ومن كفر بهذه النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاوليك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث ارتدوا او كفروا تلك النعمة العظيمة قال ابو العالية في هذه الاية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة عشر سنين خايفين يدعون الى الله سرا وعلانية ثم امروا بالهجرة الى المدينة فمكثوا بها خايفين يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع عنا السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزاينهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين خلاف سيرتهم وتجبروا وكفروا هذه النعمة وقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه فغير الله تعالى ما بهم وادخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم عن مقاتل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية حزن اصحابه فاطعمهم الله نخل خيبر ووعدهم ان يدخلوا العام المقبل مكة امنين وانزل الله تعالى هذه الاية وفيها دلالة واضحة على خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وامامة الخلفا الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم تكون ملكا امسك خلافة ابي بكر سنتين واشهر وعمر عشرا وعثمان ثنتي عشرة سنة الا اشهرا وعلي ستة رضوان الله عليهم وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي في امتي في اربع ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم الملك ثم من بعد ذلك يصير تجبر بزيزي قطع سبيل وسفك دما واخذ اموال بغير حقها قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبيس المصير لا تحسبن قرا ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم لا يحسبن باليا وفتح السين والباقون بالتا وكسر السين اي لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فايتين في الارض يقول اعجزه جعله عاجزا او نسبه الى العجز او وجده عاجزا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الفاعل والذين كفروا المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني وذكروا القراة باليا وجها منها ان يكونوا معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك ومنها ان يكون

فيه

فيه ضمير الرسول عليه السلام لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول ومنها ان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشي واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماواهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك فقال يا رسول الله وددت لو ان الله امرنا ونهانا في حال الاستيذان فنزلت هذه الاية مقاتل نزلت هذه الاية في اسما بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فانزل الله الاية قيل ظاهر الخطاب للرجال والمراد به الرجال والنسا تغليبا للتذكير على التانيث قال الامام والاولى ان يقال الخطاب للرجال والحكم ثابت للنسا بقياس جلي لان النسا في باب حفظ العورة اشد حالا من الرجال يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امر ان يستاذن الذين ملكت ايمانهم ابن عمر رضي الله عنه انه اراد الذكور دون الاناث وقيل اراد الذكور دون الاناث ومعنى الكلام ليستاذنكم مماليككم الدخول عليكم قال ابو يعلى والاظهر ان يكون المراد العبيد الصغار لان العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر الى مولاته فكيف يضاف الى الصبيان الذين هم غير مكلفين والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار من الذكور والاناث ثلث مرات ثلث اوقات في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظه وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة القايلة ومن بعد صلوة العشا لانه وقت التجرد من ثياب اليقظه والالتحاف بثياب النوم وانما خص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة والغفلة ووضع الثياب والكسوة ثلث عورات لكم سمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين قرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم ثلث بالنصب على ان يكون بدلا من ثلث مرات والباقون بالرفع اي هذه الاوقات في ثلاث عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فربما بدت عورته والاوقات ليست عورات ولكن المعنى انها اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب باعراب المحذوف ليس عليكم ولا عليهم جناح ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المراسم اي ليس عليكم ايها المومنون الاحرار ولا عليهم اي الخدم والاطفال والعبيد جناح في الدخول عليكم بغير اذن بعدهن اي بعد هذه الاوقات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني انكم وبهم حاجة الى المخالطة

والداخله يطوفون عليكم للخدمة ويطوفون عليهم للاستخدام يخرجون ويدخلون ويذهبون ويجيئون
ويترددون في احوالهم واشغالهم بغير اذن بعضكم يطوف على بعض فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت
لادى الى الحرج واذا رفعت ثلاث عورات كان ليس عليكم في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث
عورات مخصوصة بالاستيذان في كل وقت لادى واذا نصبت ثلاث عورات لم يكن له محل وكان
كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة وبعضكم مرفوع بالابتدا وخبره على بعض
على معنى طايف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك
الدلالة كذلك مثل بيان الاحكام في هذه الاية يبين الله لكم الايات الامر والنهي والله عليم فيما امركم
حكيم فيما يدبر واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم فليستاذنوا في جميع
الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الذين بلغوا الحلم من قبلهم او الذين
ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى
ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم
خرجوا من حد الطفولية الى ان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا
عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا
الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة كذلك يبين الله
لكم اياته والله عليم حكيم كرر الكلام تاكيدا واضاف اليه سبحانه تخصيصا واكثر العلما على ان هذه
الاية محكمة وحكي عن سعيد بن المسيب انها منسوخة وعن ابن عباس اية لا يومن بها اكثر الناس اية
الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وسال عطا ابن عباس استاذن على اختي قال نعم وان كانت
في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فقال اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا
على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها
فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس
تهاونوا بها وقال ابو حنيفة السن التي يحكم فيها بالبلوغ ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة
سنة في الجارية وعامة العلما على خمس عشرة سنة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره
خمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد
اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يحضن ولا يلدن واحدتها قاعد اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعن في الزوج والياس من البعولة فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب
الذي فوق الخمار والملحفة عند الرجال غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة خفية وهي التي ارادها
في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن وقيل غير متبرجات اراد غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن
التخفف اذا احتجن اليه وان يستعففن فيلبسن جلابيبهن خير لهن من الوضع والتكشف لما ذكر
الجايز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار الافضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى
وان تصدقوا خير لكم والله سميع لكل ما يقال عليم لا يقصد وسوى **قوله تعالى** ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او
بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا

او

او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تعقلون عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى
والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى
لا يبصر موضع الطعام الطيب والمريض لا يستوفي الطعام فنزلت هذه الاية وعن سعيد بن المسيب ان ناسا
كانوا اذا خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض
وعند اقاربهم وكانوا يامرونهم ان ياكلوا مما في بيوتهم اذا احتاجوا وكانوا يتقون ان ياكلوا منها
ويقولون نخشى ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت هذه الاية وعن سعيد بن جبير والضحاك ان العرجان
والعميان كانوا يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم فنزلت هذه الاية وعن مجاهد ان قوما من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا لم يكن عندهم ما يطعمون المريض والزمنى ذهبوا بهم الى بيوت
ابائهم وامهاتهم وبعض من سمى الله في هذه الاية فكان اهل الزمانة يتحرجون من اكل ذلك الطعام لانه اطعمهم
غير مالكه فنزلت هذه الاية وعن الحسن وابن زيد انها نزلت في اسقاط عن اهل الزمانة المذكورين في الاية فعلى
القول الاول يكون معنى الاية ليس عليكم في الاعمى حرج ان تاكلوا معه ولا في الاعرج ويكون على بمعنى في ذكره
ابن جريج ولذلك خرج معنى الاية على كل قول بما يليق به وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون الى ان اخر الكلام ولا
على المريض حرج وان ما بعده مستانف لا تعلق له به وهو يقوي قول الحسن وابن زيد وانما لم يذكر الاولاد لانه
دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من
كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب
ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى او ما ملكتم
مفاتحه قيل اموال الرجل اذا كان له عليها قيم او وكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من
لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه او صديقكم
اي بيوت اصدقايكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن
انه دخل داره فاذا حلقة من اصدقايه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة
وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وقال هكذا وجدناهم يريد كبرا الصحابة ومن
لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ
ما شا فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان
جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن
ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح
وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين قيل نزلت في حي من كنانة يقال لهم بنو ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون
ان ياكل الطعام وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح فان لم يجد
من يواكله اكل فانزل الله هذه الاية عكرمة وابو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون
اذا نزل ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاوا فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
لتاكلوا فابدوا بالسلام على انفسكم اي اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وقيل ليسلم بعضكم
على بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم تحية من عند الله نصب على المصدر اي تحيون انفسكم بها
تحية وقيل تحية انتصب بسلموا لانه في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا وقيل على الحال بمعنى

على حر

تفعلونه تحية من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحيه طلب سلامة
وحيوة للمسلم عليه والمحيا من عند الله مباركة طيبة وصف التحيه بالبركة والطيب لانها دعوة مومن
لمومن يرجى بها من الله عز وجل زيادة الخير وطيب الرزق عن بن مسعود رضى الله عنه السلام
اسم من اسماء الله فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل
درجة بذكره اياهم بالسلام فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم واطيب وعن ابى هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف احدكم على المجلس فليسلم فان بدا له ان يقعد فليقعد واذا قام
فليسلم فان الاولى ليست باحق من الآخر وعن بن عباس فان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا
من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن انس بن مالك
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم
فعلته ولا قال لى لشئ كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب على يديه الماء فرفع راسه وقال
الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بابى وامى يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتى فسلم عليه يطل
عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار وعن بن عباس
فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الايه اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين كذلك اى كما بينا ههنا نبينه فى غيره وقيل كما ذكر لكم وقيل كما فصل لكم وقيل اذا اراد
فرض شئ عليكم بينه هذا البيان لعلكم تعقلون لكى تعقلوا وتفهموا وقيل لتكونوا عقلا صالحين ٥

قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم
يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك
لبعض شانهم فاذن لمن شيت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعا الرسول بينكم
كدعا بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنه او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون
اليه فينبيهم بما عملوا والله بكل شئ عليم اراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجنايه فى ذهاب الذاهب
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانوا معه على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت
او صلوة جمعة او جماعة تشاور فى امر نزل لم يذهبوا المتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا
له من الامر حتى يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه
ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير
الجمله بانما وايقاع المومنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده
توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون
بالله ورسوله وضمنه شيا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الامر به
على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور فى خطب مهم او تضام لارهاب مخالف
او تماسح فى حلف وغير ذلك او الامر الذى يعم بضرره او نفعه وفى قوله اذا كانوا معه على امر
جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى راى وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضئ بارائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته فمفارقة احدهم فى مثل تلك
الحاله مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم الامر فى الاستيذان مع العذر

المبسوط

المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار
للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه قيل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج
حتى يقوم بحيال رسول الله بحيث يراه فيعرف رسول الله انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شا
منهم قال الامام فى ذلك وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير اليه بيده وقيل كذلك
ينبغى ان يكون الناس مع ايمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من
النوازل ولا يتفرقوا عنهم والامر فى الاذن مفوض الى الامام ان شا اذن وان شا لم ياذن على حسب
اقتضاء رايه لا تجعلوا دعا الرسول بن عباس احذروا دعا الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاه
موجب ليس كدعا غيره مجاهد وقتاده لا تدعوه ولا تجعلوا تسميته ونداه بينكم كما يدعو ويسمى بعضكم
بعضا وقد يناديه باسمه الذى سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن فخموه وشرفوه وقولوا يا نبى الله
يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض واللين والتواضع وقيل اذا احتاج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاه اياكم
على دعا بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى وقيل لا تجعلوا دعا الرسول ربه مثل ما
يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسموعه قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون التسلل الخروج من الشئ وكذلك
الانسلال والتدرج والتدخل لواذا او ملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا اى يتسللون
عن الجماعه فى الخفيه على سبيل الملاوذه واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اى ملاوذين وقيل
ان هذا فى حفر الخندق كان المنافقون ينصرفون بغير امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين
وكان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذى لم يوذن له معه فليحذر الذين يخالفون
يصدون عن امره دون المومنين يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والذين يخالفون المنافقون
فحذف المفعول لان المراد ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير فى امره لله سبحانه وتعالى او للرسول
والمعنى عن طاعته ودينه ان تصيبهم فتنه محنه فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم فى الاخره وعن ابن
عباس فتنه قتل وعن عطا الازلازل والاهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جاير وعن الحسن
بليه تظهر ما فى قلوبهم من النفاق والايه تدل على ان ظاهر الامر للوجوب وجه الاستدلال ان تارك الامر
مخالف له والمخالف مستحق العقاب فتارك الماموريه مستحق العقاب وانما قلنا تارك الماموريه مخالف
لذلك الامر لان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه فتارك الماموريه مخالف والمخالف يستحق
العقاب لقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنه او يصيبهم عذاب اليم امر مخالف
الامر بالحذر عن العقاب انما يكون بعد قيام المقتضى لنزول العقاب فثبت ان مخالف امر الله او امر
رسوله قد وجد فى حقه ما يقتضى نزول العذاب فان قيل لا نسلم ان تارك الماموريه مخالف
للامر قوله موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه انا نفسر موافقة الامر بتفسيرين
احدهما ان موافقته عبارة عن الاتيان بما يقتضيه الامر على الوجه الذى يقتضيه لان
الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتى به على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة للامر
الثانى موافقة الامر عبارة عن الاعتراف بكون ذلك الامر حقا واجب القبول فمخالفته تكون
عبارة عن انكار كونه حقا واجب القبول سلمنا ان ما ذكرته يدل على ان مخالفة الامر عبارة

هم و

عن ترك مقتضاه لكنه معارض بوجه اخر فانه لو كان ترك الماموربه مخالفة الامر لكان ترك المندوب
مخالفه لامر الله وذلك باطل والا لاستحق العقاب على ما بينتموه في المقدمه الثانيه سلمنا ان تارك
الماموربه مخالف للامر فلم قلت ان مخالف الامر مستحق للعقاب اما قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن
امره فلا نسلم ان هذه الايه داله على امر من يكون مخالفا للامر بالحذر بل هي داله على الامر بالحذر عن
مخالف الامر سلمنا ذلك لكنها داله على امر من يكون مخالفا للامر بالحذر عن مخالف الامر فلم قلت مخالف الامر
يلزمه الحذر فان قلت لفظة عن زايده فنقول الاصل في الكلام عدم الزياده لاسيما في كلام الله فلم قلت
مخالف الامر يلزمه الحذر فان قلت يجب عليه الحذر عن العذاب اقصى ما في الباب انه ورد الامر به
لكن لم قلت ان الامر للوجوب وهذا اول المسله فان قلت هب انه يدل على الوجوب لكن لابد وان يدل
على حسن الحذر وحسن الحذر انما يكون بعد قيام المقتضي لزوال العذاب قلنا لا نسلم ان حسن الحذر
مشروط بقيام المقتضي لزوال العذاب بل الحذر يحسن عند احتمال نزول العذاب ولهذا يحسن
الاحتياط وعندنا مجرد الاحتمال قايم لان هذه المسلة اجتهاديه لا قطعيه سلمنا دلالة الايه على
وجود المقتضي لزوال العذاب لكن لا في كل امر بل في امر واحد لان قوله عن امره لا يفيد الا امرا واحدا
وعندنا ان امرا واحدا يفيد الوجوب فلم قلت انكل امر كذلك لكن الضمير في قوله عن امره يحتمل عوده
الى الله وعوده الى الرسول فانه لا يدل الا على ان الامر للوجوب في حق احدهما فلم قلت انه في حق الاخر
كذلك الجواب قوله لم قلتم ان موافقه الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه ان العبد
اذا امتثل امر السيد حسن ان يقال هذا العبد موافق للسيد ويجري على وفق امره ولو لم يمتثل امره
يقال انه ما وافقه بل خالفه وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضروره من اهل اللغه فثبت
ان موافقه الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه ان العبد اذا امتثل امر السيد
حسن ان يقال هذا العبد موافق للسيد ويجري على وفق امره ولو لم يمتثل امره يقال انه ما وافقه بل
خالفه وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضروره من اهل اللغه فثبت ان موافقه الامر عباره عن الاتيان
بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه فنقول لاشك ان مقتضي الامر هو الفعل لان قوله افعل لا يدل
الا على اقتضا الفعل فاذا لم يوجد الفعل لم يوجد مقتضي الامر فلا يوجد الموافقه فوجب حصول
المخالفه لانه ليس بين الموافقه والمخالفه واسطه قوله الموافقه عباره عن اعتقاد كون ذلك
الامر حقا واجب القبول قلنا هذا لا يكون موافقه للامر بل يكون موافقه للدليل الدال على ان
ذلك الامر حق فاذا دل الدليل على حقية الشي كان الامر بحقيته مقتضي تقرير مقتضى ذلك الدليل
اما الامر فلما اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عما يقرر ذلك الدخول
وادخاله في الوجود يقتضي تقرب دخوله في الوجود فكانت موافقة الامر عبارة عن فعل مقتضاه
قوله لو كان كذلك لكان ترك المندوب مخالفه لامر الله فوجب ان يكون مستحقا للعقاب لامر للمخالف
بالحذر قلنا لو كان كذلك لبطل التقدير فليحذر المتسللون لواذا عن الذين يخالفون عن امره وحينئذ
يبقى قوله ان تصيبهم ضايعا لان الحذر ليس فعلا يتعدى الى المفعولين قوله كلمة عن زايده قلنا ذكرنا
اختلاف الناس فيها في المسله الاولى قوله لم قلتم ان قوله فليحذر يدل على وجوب الحذر عن العقاب
قلنا لا ندعي وجوب ما يقتضي وقوع العقاب قوله لم قلت ان الايه تدل على ان كل مخالف للامر يستحق
العقاب قلنا لانه تعالى رتب نزول العقاب على المخالفه فوجب ان يكون معللا به فيلزم ان عمومه
لعموم العله قوله هب ان امر الله وامر رسوله للوجوب فلم قلتم ان الامر كذلك قلنا لانه لا قايل بالفرق
الا ان لله المعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصه به خلقا وعبيدا وملكا وملكا ودلالة على

وجود

وجود توحيده وكمال قدرته وحكمته قد يعلم ما انتم عليه فلا يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون
في سترها عن العيون واخفايها وسينبيهم يوم القيامه بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزايهم
والخطاب في قوله ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين عن شقيق بن سلمه شهدت ابن عباس في الموسم
فقرا سورة النور على المنبر وفسرها فلو سمعت الروم لاسلمت **سورة الفرقان مكيه** وهي سبعون
وسبع ايه وثمان مايه واثنتان وتسعون كلمه وثلثه الف وسبع مايه وثلثه وثلاثون حرفا عن ابي
بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان بعث يوم القيامه وهو يومن بان
الساعه اتيه لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ودخل الجنه بغير حساب **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك
السموات والارض وخلق كل شي فقدره تقديرا واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم
يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا تبارك مطاوع
بارك فاعل من واحد من البركه وهي كثرة الخير وزيادتها ومنها تبارك الله وفيها معنيان تزايد خيره
وتكاثر او تزايد عن كل شي وتعالى عنه في صفاته وافعاله وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في
غيره ولذلك لم يتصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل قيل معناه كثرت بركاته ومن جملتها تنزيل الكتاب
الذي هو الفرقان وهو مصدر فرق بين الشيين اذا فصل بينهما وسمي القران به لفصله بين الحق والباطل
وقيل لانه لم ينزل جمله واحده ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال قال الله تعالى وقرانا
فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون عبده او الفرقان
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار الذي له في محل الرفع على
الابدال من الذي نزل او على المدح او في محل النصب على المدح وما فصل بين البدل والمبدل منه
بشي لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به ملك السموات والارض
ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق اي احدث كل شي احداثا مراعي فيه التقدير والتسويه
فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطه به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبله
المستويه المقدره بامثلة الحكمه والتدبير فقدره لامر ما ومصلحه لما قدر له غير متجاف عنه وقيل
سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله
كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شي
فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقا الى امد
معلوم واتخذوا اي عبدة الاوثان من دونه من دون الله الهة لا يخلقون لا يفتعلون شيا والخلق
بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى واتخذوا من
دون الله الهة واثروا على عبادة الله عبادة الهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شي من افعال
الله ولا من افعال العباد وحيث لا يفتعلون شيا وهم يخلقون يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم
بالنحت والتصوير ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم ضرا اي دفع ضرر عنهم ولا نفعا
ولا جلب نفع اليهم وعبدتهم يستطيعون على سبيل الكسب واذا عجزوا عن الافعال ودفع
الضرر وجلب النفع التي تقدر عليها العباد على وجه الكسب كانوا على الموت والحيوة والنشور
التي لا يقدر عليها الا الله اعجز ولا يملكون موتا اماته ولا حيوة ولا احيا بعد الموت **قوله
تعالى** وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فقد جاوا

ولم يكن له شريك في الملك

ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقال الذين كفروا
يعني النضر بن الحارث واصحابه ان هذا ما هذا القران الا افك كذب مصروف عن وجهه هو
اسوا الكذب افتراه اختلقه محمد واعانه اي واعان محمدا قوم اخرون هم اليهود قاله مجاهد وعن
الحسن عبيد بن الحضرمي الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس مولى حويطب بن عبد العزى اي هم
يلقون اخبار الامم اليه وهو يعبر عنها بعبارته وقيل اراد بقوله قوم اخرون المومنين لان اخر لا يكون الا من
جنس الاول فاجابهم الله وقال فقد جاوا يعني قالوا هذه المقالة ظلما قيل بظلم وزور ظلموا فيما قالوا وزورا
والتزوير الكذب في الشهادة وقيل جا يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديته اي فعلوا ظلما وزورا وقيل
معنى جاوا وردوا اي وردوا ظلما كما تقول جيت المكان وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما اعجز
بفصاحته جميع فصحا العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقيل هذا من كلام الكفار
والضمير في جاوا يعود الى قوله قوم اخرون وقالوا اي الكفار اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو
احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها امر بكتبها لنفسه واخذها وقيل
المعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل
اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه
فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقا على الحافظ كصورة
الالقا على الكاتب بكرة اول النهار واصيلا اخر النهار اي قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم
وقيل اراد دايما **قوله تعالى** قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما
قل يا محمد لهم انزله اي القران الذي يعلم السر اي كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم
من الكيد لرسوله مع علمكم انما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبراته مما تبهتونه به وهو مجازيكم ومجازيه على ما علم منكم وعلم منه انه كان غفورا رحيما قيل لما كان
ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر
على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك
عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل **قوله تعالى** وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا
اي الكفار ما لهذا الرسول في هذا استهانة وتصغير لشانه صلى الله عليه وسلم وتسميته بالرسول
سخرية منهم وكانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون ياكل الطعام اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل
ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش
لولا انزل اليه ملك ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك الى اقتراح
ان يلقى اليه كنز اي وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السما يستظهر به ولا يحتاج
الى المشي في السوق لطلب المعاش ثم نزلوا عن اقتراح ان تكون له بستان ياكل منه ويرتزق كالدهاقين
والمياسير ياكلون من بستانهم قرا حمزة والكسائي ناكل بالنون على معنى ان يكون له مزية
علينا في الفعل ناكل من جنته والباقون بالياء يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الظالمون
والاصل وقالوا وضع الظاهر موضع المضمر ليحكم عليهم بالظلم فيما قالوا ان تتبعون ما تتبعون وتطيعون
الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل مسحورا له سحر وقيل سحر بالطعام اي يغذى وقيل مخدوع

وقيل ذا سحر وهو الرية عنوا انه بشر لا ملك انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك
الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقا كنز
عليك من السما وغير ذلك فضلوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه قيل فضلوا عن الحق فلا يجدون
طريقا اليه **قوله تعالى** تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل
لك قصورا تبارك تكاثر خير الذي ان شا جعل لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما
وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقيل خيرا من المشي في الاسواق وطلب المعاش ثم بين ذلك
الخير ما هو فقال جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر
عن عاصم ويجعل بالرفع على الاستيناف والمعنى سيجعل لك قصورا في الاخرة والباقون بالجزم على معنى
ان شا يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا **قوله تعالى** بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل ما وعدك في الاخرة وهم لا يومنون بالاخرة السعير النار الشديدة الاستعار
وعن الحسن انه اسم من اسما جهنم **قوله تعالى** اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اذا راتهم النار او جهنم وصف بالروية كما وصفها بالكلام في قوله يوم نقول لجهنم هل امتلات
وتقول هل من مزيد وهذا من قولهم دورهم تترايا وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا ترايا ناراهما
كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمراى الناظر في البعد سمعوا صوت
غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقيل اراد اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا
غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم **قوله تعالى** واذا القوا منها مكانا ضيقا
مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزا ومصيرا لهم فيها ما يشاون خالدين
كان على ربك وعدا مسولا واذا القوا منها من النار مكانا ضيقا في مكان ضيق كضيق الزج في
الرمح مقرنين مشدودين بالسلاسل والاغلال مع الشياطين وقيل قرنت ايديهم واعناقهم
بالاغلال وارجلهم بالسلاسل والتقرين جمع شي الى شي في قرن وهو الحبل دعوا هنالك اي دعوا في
ذلك المكان حينيذ ثبورا اي يقولون واثبوراه ثبورا وقيل يقولون واثبوراه اي يقال يا
ثبور فهذا حينك وزمانك والثبور الهلاك وقيل هو دعاوهم بالندم يا ثبوراه يا ويلتاه
كانهم قالوا يا هلاكاه وقيل يا نصراه عن طاعة الله تعالى يقال ما ثبرك عن هذا الامر
اي ما صرفك لا تدعوا اليوم اي يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وقيل هم احقا بان
يقال لهم وان لم يكن ثم قول وادعوا ثبورا كثيرا قيل معنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب الوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته
وقيل لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم وقيل تجيبهم الملايكة لا تقولوا ذلك
مرة واحدة بل مرارا كثيرة لا ياتي عليها الاحصا ولا ينتهي خلودكم فيها قل يا محمد اذلك اي الذي ذكرت
من صفة النار واهلها خير ام جنة الخلد التي وعدها اي وعدها المتقون وقيل ذلك اشارة الى قوله
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها كما قلنا في قوله وجعل لك خيرا من ذلك وانما قال اذلك خير
ولا خير فيما تقدم من صفة النار للكفار توبيخا ومثله احسن مقيلا وهذا كما يقال لمن ترك فسادا
واقبل على صلاح اليس هذا خيرا مما انت فيه ولا يقال مبتديا الفساد خير ام الصلاح كانت لهم جزا

ثوابا ومصيرا مرجعا قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى كانت لهم جزآء ومصيرا قلت هو كقوله
نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بيس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب
ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة الا تنغص وكذلك
العقاب تتضاعف بغثاثة الموضع وضيقته وظلمته وجمعه لاسباب الاحتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير
مع ذكر الجزاء لهم فيها اى في الجنة ما يشاؤن من النعيم خالدين كان ما يشاؤنه على ربك وعدا موعودا اى واجب
التحقيق والانجاز بحكم الوعد حقيقا ان يسال ان يطلب وانما قال كانت وكان لان ما وعد الله فهو في تحققه
كانه قد كان وقيل كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان برائهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ولهم فيها ما
يشاؤن وقيل وذلك ان المومنين سالوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
فقال الله تعالى كان اعطا الله المومنين جنة الخلد وعدا لهم وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسالتهم اياه
ذلك وقال بعض اهل المعاني يعني وعدا واجبا وذلك ان المسول واجب وان لم يسال كالدين ونظير
ذلك قولك لاعطينك الفا وعدا مسولا بمعنى انه واجب لك فتساله وعن محمد بن كعب القرظي في قوله عز وجل
كان على ربك وعدا مسولا قال الملايكة تسال لهم ذلك في قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله تعالى
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول اانتم اضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا
قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا قرا ابن كثير وحفص عن عاصم يحشر فيقول بالياء فيهما وابن عامر بالنون فيهما
والباقون بالنون في الاول والياء في الثاني ويوم يحشرهم يعني المشركين وما يعبدون من دون
الله من الملايكة والانس والجن مجاهد عيسى وعزير والملايكة عكرمة والضحاك الاصنام ينطقها الله
ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا قيل انما صح استعمال ما في العقلا لانه موضوع على العموم للعقلا وغيرهم
بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينيذ من هو وبذلك قولهم
من لما يعقل وقيل اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم يدلك على هذا انك تقول اذا اردت
السوال عن صفة زيد ما زيد يعني طويل ام قصير افقيه ام طبيب فيقول اانتم ايها المعبودون
اضللتم عبادي هولا العابدين وفايدة ذكر انتم وهم وعدم الاختصار على ااضللتم عبادي ام هم
ضلوا السبيل ان السوال انما هو عن متولي الفعل لا عن الفعل فلا بد من ذكره وايلايه حرف الاستفهام
حتى يعلم انه المسول عنه وفايدة هذا السوال مع سبق علمه تعالى بالمسول عنه ان يجيبوا بما اجابوا
به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا ويزيد حسراتهم ويكون ذلك نوعا من غضب
الله وعذابه ويغتبط المومنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اوليك وليكون حكاية ذلك في القران
لطفا للمكلفين ام هم ضلوا السبيل اخطاوا الطريق والمعنى اانتم ايها المعبودون اوقعتم العابدين
في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله فضل وكان القياس ضل عن
السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم
اضل البعير في معنى جعله ضالا اى ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه
قيل اضله سوا كان منه فعل او لم يكن قالوا اى المعبودون سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم لانهم
ملايكة وانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه
وقيل ان هذا كلام الاصنام نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون

بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده وقيل اقصد وابه تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي
او غيرهما ندا ما كان ينبغي اى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتخذ من دونك اى نتولى احدا دونك
فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا ويعبدونا دونك وقيل معناه ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين
في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اوليا الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت ثم ذكروا سبب تركهم الايمان فقالوا ولكن متعتهم واباهم بالاموال والاولاد والصحة والنعمة
في الدنيا حتى نسوا الذكر اى ذكر الله والايمان به والقران والشرايع فلم يعملوا بما فيه وكانوا قوما بورا اى هلكى
جمع باير كعايذ وعوذ وقيل البور الهلاك يوصف به الواحد والجمع فقد كذبوكم الخطاب للعابدين والمعنى
فقد كذبكم المعبودون بما تقولون انهم كانوا الهة فما تستطيع الكفار صرفا اى صرف العذاب عنهم ولا
نصرا اى نصر انفسهم وقيل الصرف الحيلة ومنه قول العرب انه ليتصرف اى يحتال وقيل الصرف التوبة والنصر
الفدية وقيل فما يستطيع المعبودون صرفا للعذاب عنكم ولا نصرا لكم وقيل الخطاب للمومنين فالمعنى فقد كذبكم
المشركون بما تقولون ان محمدا رسول الله ومن يظلم منكم بالشرك نذقه في الاخرة عذابا كبيرا وهو الخلود
في النار وما ارسلنا قبلك يا محمد احدا من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق يدل
على ذلك قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلا فالمريض
فتنة للصحيح والمبتلى فتنة للمعافى والفقير فتنة للغني فيقول المريض لو شا الله لجعلني صحيحا مثل فلان
ويقول الفقير لو شا الله لجعلني غنيا مثل فلان وعن ابن عباس اى جعلت بعضكم بلا لبعض لتصبروا على
ما تسمعون منه وترون من خلافهم وتتبعون الهدى بغير ان اعطيهم عليه الدنيا ولو شيت ان اجعل
الدنيا مع رسلي فلا تخالفون لفعلت ولكن قدرت ان ابتلي العباد بكم وابتليكم بهم وقيل المعنى انه ابتلى
المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم
وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا وقيل بتقدير اتصبرون ام لا تصبرون وقيل استفهام بمعنى الامر اى اصبروا وقيل
اتصبرون على هذا فيكون لكم الجنة وكان ربك بصيرا عالما بما يكون منكم وقيل عالما بالصواب فيما يبتلي به
وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين
وقيل هو تسلية لرسول الله عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة
وانه جعل الاغنيا فتنة للفقرا لينظر هل تصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشا ويفقر من يشا وقيل
جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة
بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي مقاتل نزلت
هذه الاية في ابي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وايل والنضر بن الحارث وذلك انهم لما راوا
ابا ذر وابن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا ومن في طبقتهم قالوا انسلم فنكون مثل هولا بل ترفعوا علينا
ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل
علينا الملايكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال الذين لا يرجون لقانا لا
يطمعون في الثواب على الاعمال وقيل لا يا ملون لقانا بالخير لانهم كفرة وقيل لا يخافون لقانا بالشر
والرجا في لغة تهامة الخوف لولا هلا انزل علينا الملايكة فيخبرونا بصدق ما قاله محمد او نرى
ربنا فيخبرنا بذلك ونظيرها قوله عز وجل وقالوا لن نومن لك الى قوله او تاتي بالله والملايكة قبيلا لقد
استكبروا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا مثل علوا في القول والعتو اشد الكفر والفحش

الظلم قيل معنى في انفسهم انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوا كما قال
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو
بالكبر فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استيفائها غاية وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير
لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم **قوله تعالى** يوم يرون الملائكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يوم منصوب بما دل عليه لا
بشرى اي يوم يرون الملائكة وهو يوم القيامة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير وقيل منصوب
باضمار اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون اي الملائكة للمجرمين حجرا محجورا اي
حراما محرما عليكم البشرى يعني وقيل حراما محرما عليكم الجنة وقيل هذا قول الكفار للملائكة ابن جريج كانت
العرب اذا نزلت بهم شدة او راوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فقالوا الكفار حين عاينوا الملائكة هذا مجاهد
عوذا معاذا يستعيذون من الملائكة ذكر سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك
اظهارها نحو معاذ الله وبعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو
ذلك يضعونها موضع الاستعاذة ويقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه
لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وقدمنا
ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حالهم واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا
عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء
ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء في قلته وحقارته
عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب
كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم
بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين
اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة **قوله تعالى** اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا لما بين حال الكفار في الخسار
الكلي والخيبة التامة شرح وصف اهل الجنة اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يكونون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا ياوون اليه للاسترواح الى
ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب روي ان
اهل الجنة لا يمر بهم في الاخرة الا قدر ميقات النهار من اوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في
الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هولاء في الجنة وهولاء في النار وعن ابن عباس
في هذه الاية الحساب من ذلك اليوم في اوله وقال القوم حين قالوا منازلهم في الجنة روي ان يوم
القيامة يقصر على المومنين حتى يكون ما بين العصر الى غروب الشمس وانهم ليقيلون في رياض الجنة حتى
يفرغ الناس من الحساب سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ
الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين
ويوم تشقق السماء معطوف على قوله يوم يرون الملائكة قرا ابن كثير ونافع وابن عامر تشقق بالتشديد فادغم

التا

في السين لان الاصل تتشقق والباقون بتخفيف السين على الحذف السماء بالغمام ولما كان انشقاق السماء بسبب
طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله
السماء منفطر به والفرق بين انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات ان معنى انشقت به ان الله شقها
بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بالغمام
يخرج منها ونزل الملائكة تنزيلا اي وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد الملك يومئذ
الحق الثابت الخالص الذي لا زوال له للرحمن وبطلت ممالك غيره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا
ويوم يعض الظالم على يديه روي ان ابي بن خلف كان يحضر رسول الله ويجالسه من غير ان يومن به فزجره
عقبة بن ابي معيط عن ذلك وقيل ان عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلوا وابى
رسول الله ان ياكل وقال لا اكل حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فشهد بذلك فبلغ ذلك
ابي ابن خلف وكان خليلا فقال صبوت يا عقبة قال لا والله ولكنه ابى ان ياكل حتى قلت ذلك
وليس من نفسي فنزلت هذه الاية الظالم الكافر قيل ابي بن خلف وقيل عقبة على يديه عض اليدين
والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما
فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند المكني عنه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا تمنى ان
لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى
وقيل اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا ابو عمرو وغيره
يا ليتني والباقون بسكون ليتني لم اتخذ فلانا ابن عباس انه عنى ابي بن خلف وقيل عقبة بن ابي معيط وقيل
الشيطان وقيل امية بن خلف فان قيل انما يكنى من يخاف المباداة او يحتاج الى المداجاة فما وجه
الكناية فالجواب انه اراد بالظالم كل ظالم واراد بفلان كل من اطيع في معصية الله وارضي بسخط الله
وان كانت الاية نزلت في شخص لقد اضلني عن الذكر اي صرفني عن ذكر الله او القران او موعظة الرسول
ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا
لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة وقيل اراد ابليس وانه هو الذي حمله
على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله وقيل اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان
يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله للانسان خذولا يعني للكافر خذولا
متبرئا منه في الاخرة **قوله تعالى** وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا
وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ان قومي اي قريش قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بسكون
الياء والباقون بتحريك الياء قيل انه يقوله يوم القيامة والمعنى ويقول الرسول يومئذ وقيل ان
الرسول قال ذلك شاكيا من قومه الى الله تعالى حين كذبوه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف
لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا اتخذوا
هذا القران مهجورا متروكا لا يلتفتون اليه فلا يومنون به وقيل هجروا فيه اي جعلوه كالهذيان
يقال فلان يهجر في منامه اي يهذي وقيل المهجور ما لا ينتفع به من القول **قوله تعالى** وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصر
عليهم وكذلك اي وكما جعلنا لك يا محمد اعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فاني هاديك وناصرك على من ناواك وكفى بربك هاديا
الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم هاديا ونصيرا منصوبان على الحال والتمييز

قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا هذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه وقال الذين كفروا لولا هلا انزل على محمد القرآن جملة واحدة دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت التورية على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى ومالها انزل على التفاريق قيل القائلون قريش وقيل اليهود وهذا الذي قالوه من فضول القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا كذلك لنثبت جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا لنثبت به فؤادك لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتعايا به وتعيا بحفظه ومحمد صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور ففرقناه ليكون اوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم واليسر على العامل به ورتلناه ترتيلا ابن عباس وبيناه تبيينا الحسن والنخعي وفرقناه تفريقا اية بعد اية وشيئا بعد شيء ابن زيد وفسرناه تفسيرا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه وقيل يجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته صلى الله عليه لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ولا يأتونك يا محمد يعني هؤلاء المشركون بمثل يضربونه في ابطال امرك الا جئناك بالحق اي بما نرد به ما جاءوا به من المثل وقيل بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة اهل الجهل ويبطل كلام اصحاب الزيغ واحسن تفسيرا من مثلهم وقيل لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون لك او ينزل عليك القرآن جملة الا جئناك نحن من الاحوال بما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل جملة واحدة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانته ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف لعلمتم ان الذين يحشرون على وجوههم اي يسحبون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا وفي طريقته قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ويجوز ان يكون المراد بالمكان الشرف والمنزلة او الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا **قوله تعالى** ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما

وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا الفال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا واتبعه بذكر جماعة من الانبياء وحكى ما نزل بمن كذب من اممهم فقال ولقد آتينا والمعنى لست يا محمد باول من ارسلنا فكذبه قومه وآتيناه الآيات فقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا معينا وظهيرا ولا ينافي ذلك النبوة والوزارة تنافي فانه قد يبعث في وقت واحد انبياء ويؤمرون بان يؤازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا فاهلكناهم اهلاكا كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم ان قيل انما عاينوا الآيات بعد وجود الرسالة فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات فالجواب انهم كانوا مكذبين انبياء الله وكتبه المتقدمة ومن كذب نبيا فقد كذب سائر الانبياء وقوم نوح قيل اهلكنا قوم نوح وقيل هو عطف على هم في قوله دمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل منصوب بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم اي اغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم يعني لما كذبوا نوحا وادريس وآدم كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم اي جعلنا القوم الذين كذبوا بآياتنا وقوم نوح وقيل جعلنا قوم نوح وقيل اغراقهم او قصتهم للناس آية واعتدنا هيأنا للظالمين للكافرين عذابا اليما في الآخرة وعادا اي واهلكنا عادا او قيل عطف على هم في جعلناهم وقيل عطف على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين واصحاب الرس عن ابن عباس في رواية العوفي الرس بير وفي رواية عكرمة بير باذربيجان ابن السائب بير دون اليمامة السدي بير بانطاكية قتادة الرس قرية من قرى اليمامة ابو عبيدة الرس المعدن قيل تسميتها بالرس لانهم رسوا نبيهم في البير اي دسوه فيها وقيل كل ركية لم تطو فهي رس وقيل اصحاب الرس قوم كانوا يعبدون شجرة فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب فحفروا له بيرا والقوه فيها فهلكوا قاله علي رضي الله عنه سعيد بن جبير انهم قوم كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فاهلكهم الله وهب بن منبه كانوا اهل بير قعود عليها واصحاب مواشي وكانوا يعبدون الاصنام فوجه الله عز وجل اليهم شعيبا عليه السلام يدعوهم الى الاسلام فاتاهم ودعاهم فتمادوا في طغيانهم وفي اذى شعيب فحذرهم الله تعالى عقابه فبينا هم حول البير في منازلهم انهارت البير فانخسفت بهم وبديارهم ورباعهم فهلكوا جميعا السدي انهم الذين قتلوا حبيبا النجار قتلوه في بيرهم وهو الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين ابن السائب انهم قتلوا نبيهم واكلوه واول من عمل السحر نساؤهم وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل هم بقية قوم هود وقوم صالح وهم اصحاب البير التي ذكرها الله تعالى في قوله وبير معطلة وقصر مشيد اي واهلكنا امما بين ذلك المذكور اي بين هذه الامم كثيرا لا يعلمها الا الله عز وجل ارسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود وكلا منصوب بتبرنا اي فتتنا وكسرنا تكسيرا **قوله تعالى** ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ولقد اتوا على القرية اي سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث التي امطرت مطر السوء اي الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا

الظالمين عذابا اليما

يرونها اما شاهدوا ذلك بابصارهم فى مرارهم وانهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله فكيف لم يتعظوا ولم ينزجروا بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا كما يامله المومنون فوضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم وقيل لا يامْلون نشورا كما يامله المومنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب اعمالهم وقيل لا يخافون على اللغة التهاميه **قوله تعالى** واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لما بين مبالغة المشركين فى انكار نبوته وفى ايراد الشبهات فى ذلك ذكر بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا على ترك الايمان بل زادوا عليه بالاستهزا والاستحقار ويقول بعضهم لبعض اهذا الذى بعث الله رسولا والاية نزلت فى ابى جهل واصحابه واذا راوك يا محمد يعنى المشركين ان يتخذونك ان نافيه اى ما يتخذونك الا هزوا او هوا الذى يهزا وابه اهذا محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه فى معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخريه واستهزا ولو لم يستهزوا لقالوا اهذا الذى زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا ان كاد ان مخففه من الثقيلة واللام فى ليضلنا هى الفارقة بين المخففه والنافيه اى انه كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وبذله قصارى الوسع وغاية الطاقة فى استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم والمعنى قارب ان يضلنا بصرفه ايانا عن دين معبودنا لولا ان صبرنا عليها على الهتنا اصرفنا عنها وجواب لولا محذوف دل عليه اول الكلام ولولا فى هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه استفهام تعجب وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد الحجر او الصنم فاذا راى احسن منه رمى به واخذ الاخر فعبده نزلت فى الحارث بن قيس كان اذا هوى شيا عبده وقيل اتخذ الهه هواه فلا هوى شيا الا ركبه ولا اشتهى شيا الا اتاه والمعنى يتخذ ما يهواه الهه والهوى ميل القلب افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن ذلك وقيل كفيلا بهداه مع اتباعه الهوى وقيل نصيرا اقيل من كان طاعه الهوى فى دينه يتبعه فى كل ما ياتى ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف يستطيع ان يدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام ونقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ام هذه منقطعه معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذانا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفله والضلاله ثم ارجح منها انما قال اكثرهم لان فيهم من لا يصد عن الاسلام الا داء واحد

وموجب الرياسه وكفى به داعيا الا اى ان اكثرهم يسمعون ما يقول سماع طالب للافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والاعلام ان هم ما هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا من الانعام لان الانعام تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسى اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهولا الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى **قوله تعالى** الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السما ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا لما بين جهل المعرضين عن دلايل الصانع وفساد طريقهم فى ذلك ذكر بعده انواعا من الدلايل الداله على وجود الصانع الم تر الى فعل ربك قيل يجوز ان يكون روية العين والمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك ويجوز ان يكون من روية القلب والمعنى الم تعلم وهذا اولى لان الظل وان جعل من المبصرات فتاثير قدرة الله فى تمديده غير مرئى ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير حادث فله محدث والظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس كيف مد الظل اى جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شا لجعله ساكنا ثابتا دايما لا يزول ولا يذهبه الشمس قال ابو عبيدة الظل ما تنسخه الشمس وهو بالغداه والفى ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال وقيل ولو شا لجعله ساكنا لاصقا باصل كل مظل من جبل وبنا وشجر غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا وقيل ساكنا من السكنى لا من السكون فان الظل ساكن غير متحرك ثم جعلنا الشمس عليه اى على الظل دليلا قيل معناه لا له الشمس على الظل انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل اذ الاشيا تعرف باضدادها وقيل معنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها فى مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا فى مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناهم على ذلك وقيل الظل يتبع الشمس فى طوله وقصره كما يتبع السايرُ الدليل فاذا ارتفعت الشمس قصر الظل واذا انحطت طال ثم قبضناه اى الظل الينا قبضا يسيرا بالشمس التى تاتى بها فتنسخه ومعنى يسيرا خفيا سريعا سهلا قليلا قليلا او فى هذا القبض اليسير شيا بعد شى من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعه واحده لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا وموقع ثم فى هذين الموضعين لبيان تفاضل الامور الثلاثه كان الثانى اعظم من الاول والثالث اعظم من الثانى تشبيها لتباعد ما بينها فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت وقيل انه تعالى مد الظل حين بنا السما كالقبه المضروبه ودحا الارض تحتها فالقت القبه ظلها على الارض فيناما فى اديمه جوب لعدم النير ولو شا لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحاله ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قبض الساعه بقبض اسبابه وهى الاجرام وهى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاه بانشا اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذى جعل الليل لباسا سترا يسترون به ويسكنون فيه والنوم سباتا قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع والاستراحه وقيل سباتا مسبوتا يقال سبت المريض فهو مسبوت اذا غشى عليه شبه ما يستر من ظلام الليل بالليل الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل وجعل النهار نشورا يقظه وحيوة تنشرون

حسب

فيه وتنتشرون لاشغالكم وقيل لما سمى الليل وفاة في قول الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها سمى اليقظه نشورا بمعنى بعث الميت وقيل لانتشار الناس للمعاش سماه نشورا اى ذا نشور
وهذه الايه مع دلالتها على قدرة الخالق فيه اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه
لكثير من الناس فوايد دينيه ومنافع دنيويه والنوم واليقظه وشبههما بالموت والحيوة اى عبرة
فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى
ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته استعارة مليحه اى قدام المطر وانزلنا من السماء ماء
طهورا بليغا في طهارته قيل هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان هذا شرحا لبلاغته
في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل
في شي والطهور صفة نحو قولك ما طهور كقولك ما طاهر واسم لما يتطهر به كالوضو لما يتوضا به والوقود
لما توقد به النار ويجى مصدرا كقولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوا حسنا ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور اى بطهارة لنحيى به بلدة ميتا ولم يقل ميته لانه رجع به الى المكان
والموضع اى انزلنا من السما ما طهورا لنحيى به ارضا لا نبات فيها فذلك حيوتها وموتها وقيل
لما نبت فيه ما فيه حيوة الحيوان جعل ذلك حيوة لها ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى جمع انسى وقيل
جمع انسان قال صاحب الكشاف فان قلت انزال الما موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحيا والسقى
يوذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش
قلت لما كان سقى الاناسى من جملة ما انزل له الما وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة تقول
حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراد
عليهم ان يوثروهم في بواطنهم وفي ظواهرهم وان يربوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما
ربابهم ربهم وانما خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب لان الطير والوحش تبعد في
طلب الما فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها
وكان الانعام على الاناسى بسقى انعامهم كالانعام بسقيهم ومعنى تنكير الانعام والاناسى ووصفها
بالكثرة ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاوديه والانهار ومنافع الما فيهم غنيه
عن سقى السما واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمايه وكذلك قوله
لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولا المتبعدين عن مظان الما وانما قدم احيا الارض وسقى الانعام
على سقى الاناسى لان حيوة الاناسى بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم
على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم **قوله تعالى** ولقد
صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا اى ولقد صرفنا المطر عاما بعد عام وفى بلد دون
بلد وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفه والاوقات المتغيره وعلى الصفات المتفاوته من وابل
وطل وجود ورذاذ وديمه وهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنو كذا ولا يذكروا صنع
الله ورحمته وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن
الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنه بكيل معلوم
ووزن معلوم ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله
ذلك الى الفيافى والبحار وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما
شا وتلا هذه الايه وروى ان الملايكه يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف
ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلده والانعام والاناسى وقيل ولقد

صرفنا هذا القول بين الناس في القران وساير الكتب والصحف التى انزلت على الرسل وهو ذكر انشا السحاب
وانزال المطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمه وجحودها وقلة الاكتراث لها **قوله تعالى** ولو شينا
لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا رسولا ينذرها واقتسمنا النذر بينهم كما قسمنا المطر بينهم لخففنا عنك اعبا
نذارة جميع القرى ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى وقصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك
على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من عبادة الهتهم ومتا
مذاهبهم وانما اراد بهذا تهييج النبى صلى الله عليه وسلم وتهييج المومنين وتحريكهم وجاهد الكافرين به
بالقران او بترك الطاعة الذى يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين
امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم وتعلوهم جهادا كبيرا لما يحتمل فيه
من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه
نذيرا كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب
كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذى مرج البحرين خلطهما يقال
امر مريج مختلط وقيل مرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج
وهذا من عظيم اقتداره سمى الماين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات الذى بلغ الغايه في العذوبه
حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج الملح بتقضيه وفي كلام بعضهم بحران احدهما مع الاخر ممزوج
وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته لقوله عز وجل بغير عمد ترونها يريد
بغير عمد مرئيه وهو قدرته وهما في مراى العين يختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط
احدهما [بالاخر] قال بعض العلما رايت عند عبادان من سواد البصرة الما العذب ينحدر في دجله نحو البحر
وياتى المد من البحر فيلتقيان فلا يختلط احد الماين بالاخر ترى ما البحر الى الخضرة الشديده وما دجله
الى الحمرة الخفيفه فياتى المستقى فيغرف من ما دجله عذبا لا يخالطه شى والى جانبه ما البحر في مكان واحد
وقيل ان الحاجز الارض وحجرا محجورا سترا ممنوعا يمنعهما ولا يفسد الملح العذب وقيل حجرا
محجورا اى الكلمه التى يقولها المتعوذ وهى ههنا واقعه على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين
يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اى لا يبغى احدهما على صاحبه بالممازجه
فانتفى البغى ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى
من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغه وهو الذى خلق من الما اى من النطفه بشرا
فجعل البشر قسمين نسبا ذوى نسب اى ذكورا ينتسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانه
بنت فلان وصهرا ذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه النسب
ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه الضحاك وقتاده ومقاتل النسب
سبعه والصهر خمسه وقرا قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الى اخرها ابن سيرين في قوله تعالى
وهو الذى خلق قال نزلت في النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن ابى طالب رضى الله عنه زوج
صلى الله عليه وسلم فاطمه رضى الله عنها عليا رضى الله عنه وهو ابن عمه وزوج ابنته فكان
نسبا وصهرا وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفه الواحده بشرا نوعين ذكرا وانثى
قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا

وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل
على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا لما شرح دلايل التوحيد عاد الى تهجين
سيرتهم في عبادة الاوثان ويعبدون يعني هولاء المشركين ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه
وكان الكافر على ربه ظهيرا اي يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل
فيجوز ان يراد بالكافر ابو جهل ويجوز ان يراد بالظهير الجماعة كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير
كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل
معناه وكان هذا الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم
ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك قيل تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تهتم بهم ولا تذهب
نفسك حسرات حرصا عليهم فانما انت رسول تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار
ولست مطلوبا بايمانهم اجمعين وقيل تعلق ذلك بما تقدم بيانه ان الكفار يظاهرون
الشيطان على ربه ليشفعهم وما ارسلناك الا لتبشرهم على الطاعة وتنذرهم على المعصية
فيستحقون الثواب ويحترزون عن العقاب فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهده
في اصلاح مهمات دينا قال ما اسالكم عليه ثم انه امر بان يحتج عليهم من الاوجه اليهم بقوله
ما اسالكم عليه من اجر اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص بي الا من شاء قيل الظاهر
فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن مسولي ومطلوبي من شاء ان يهتدي ويومن ويتخذ
الى رحمة ربه طريق نجاة وقيل المعنى لا اسالكم اجرا الا انفاق المال في سبيل الله فهو المسول
وهو السبيل الى الرب فعلى هذا الاستثناء متصل وكانه قال الا اجر من شاء قيل والاول اظهر قال
صاحب الكشاف مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك
في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال
لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فايدتين احديهما قلع شبهة
الطمع في الثواب من اجله كانه يقول ان كان حفظك بمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار
الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضي المثاب بالثواب
ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى
اتخاذهم الى الله سبيلا يقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب
بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم
مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء هو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفنا
ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون
وعن بعض السلف انه قرا هذه الاية فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق وكفى به
بذنوب عباده خبيرا اراه انه ليس له من امر عباده شي امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم
كاف في جزا اعمالهم قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش الرحمن فسال به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا
وزادهم نفورا لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور منها انه
حي لا يموت ومنها انه قادر على كل الممكنات واليه الاشارة بقوله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينيذ نهار ولا ليل وقيل

ستة

ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم
الاحد واخرها الجمعة قال صاحب الكشاف ووجهه ان يسمي الله تعالى لملايكته تلك الايام المقدرة
بهذه الاسما فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما
الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون ساير الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا
الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملايكة الذين هم
اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات
خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بداعي الحكمة في جميع افعاله
وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك
وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت
وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدا والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن
خبر لمبتدا محذوف او بدل عن المستتر في استوى فسل به قيل به بمعنى عنه قال علقمة فان تسلوني بالنسا
فانني بصير بادوا النساء طبيب فالباء صلة سل كقوله سال سايل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله
تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فسل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسل عنه كقولك بحث عنه
وفتش عنه ونقر عنه وقيل به صلة خبيرا وخبيرا مفعول سل اي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته
وقيل معناه فسل رجلا خبيرا به وبرحمته وقيل فسل بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برويته
والمعنى ان سالته وجدته خبيرا وقيل خبيرا حال عن الهاء اي فسل عنه عالما بكل شي وقيل الضمير في به
راجع الى الله وقيل الى اسمه الرحمن لانهم قالوا لا نعرف الرحمن وقيل الى ما ذكر من خلق السموات
والارض وغير ذلك وقيل الخبير جبريل وقيل انه الله والمعنى سلني فانا الخبير وقيل انه القران
وقيل مسلمة اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة
يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اي لكفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
قيل سوال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسوال عن المجهول بما وقيل هو سوال عن معناه
لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم وقيل لانهم انكروا اطلاقه على الله وقيل
لانهم قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فانكروا ان يكون من اسماء الله انسجد لما تامرنا قرا حمزة
والكساي يامرنا بالياء اي لما يامرنا كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن
ولا نعرف ما هو والباقون بالتاء اي للذي تامرنا بمعنى تامرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا
وزادهم قول القايل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان قوله تعالى تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا لما حكى عن الكفار مزيد النفرة
عن السجود وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة فقال تبارك الذي جعل
في السماء بروجا هي منازل الكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج
التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج
لظهوره مجاهد وقتادة هي النجوم وقيل النجوم الكبار عطا هي السرج وهي ابواب السما التي تسمى

المجرة وجعل فيها اي في السما وقيل في البروج سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا
قرا حمزة والكسائي سرجا بضم السين والرا واسقاط الالف وهي الشمس والكواكب العظام معها وقمرا
منيرا قيل لما اقترن بضوء الشمس وهج حرها جعلها لاجل الحرارة سراجا ولما عدم ذلك في القمر
جعله نورا **قوله تعالى** وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
الخلفة من خلف وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي
خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان
ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه
بن عباس كل واحد منهما يخالف اللون فجعل الاخر الابيض وهذا الاسود مجاهد كل واحد منهما يخلف
صاحبه لمن اراد ان يذكر قرا حمزة وخلف بتخفيف الذال من الذكر والباقون بتشديدها الدال اي يتذكر
ويتعظ او اراد شكورا شكر نعمة الله عليه والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد من انتقالهما
من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على
النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به
في الاخر **قوله تعالى** وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وعباد الرحمن اضافة العباد الى الرحمن اضافة تخصيص وتفضيل وان كان الكفار عباده ولهذا قيل يعني
افاضل العباد وقيل وعباد الرحمن الذين رضاهم ويحبهم وقيل عباد جمع عابد لصاحب وصحاب
وتاجر وتجار وراجل ورجال اي الذين يعبدونه حق عبادته وعباد الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون
الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون على الارض هونا حال عن الضمير الذي في يمشون بمعنى هينين
ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وهو المشي بمعنى يمشون مشيا هينا الا ان في وضع المصدر
مبالغة والهون الرفق واللين وقيل هونا اي بالسكينة والوقار والطاعة والتواضع غير اشرين
ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين الحسن حلما علما محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون
وان سفه عليهم حلموا الضحاك اتقيا اعفا لا يجهلون واذا خاطبهم الجاهلون يوما بما يكرهونه
قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الاثم والايذا الحسن سلموا عليهم دليله قوله تعالى
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقيل سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم
ومتاركة لا خير بيننا ولا شر تسلم منكم تسليما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل المراد بالجاهلون الكفار
وقيل السفهاء وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضا عن
السفها وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين
يبيتون البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم ابن عباس من صلى بالليل ركعتين
او اكثر فقد بات لله ساجدا او قائما وقيل تلك حالهم مع الناس وهذه حالهم في الخلوة اي ياتي عليهم الليل
وهم في الصلوة ساجدون قائمون سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم ويجوز ان يكون مصدرا
وقدم السجود واخر القيام لروي الاية وليعلم ان القيام في الصلوة والمعنى يحيون الليل بعبادة
الله وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشا والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا دائما ملازما غير مفارق الزجاج عذاب ربه

الاخرى في
م

مز

من الكفار ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه وفلان مغرم بفلان
اذا كان مولعا به لا يصبر عنه ولا يفارقه قال بشر ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكان غراما
قال الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم
عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم لقوله
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انها اي ان جهنم ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم
ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة وقيل لم ينفقوا في المعاصي والاسراف في الانفاق في القرب
وسمع رجلا رجل يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير ولم يقتروا قرا ابن
كثير وابو عمرو يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وعاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم التاء ونافع وابن
عامر بضم الياء وكسر التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف وصفهم بالقصد
الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل اولئك اصحاب محمد لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون
ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيا الا اشتراه
فاكله وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف والاقتار لا بين السيئين لاستقامة الطرفين لاعتدالهما
ونظير القوام من الاستقامة السوا من الاستوا **قوله تعالى** والذين لا يدعون مع الله الها اخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما سبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر
وقيل ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية الى قوله غفورا
رحيما وقيل ان وحشيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله
قال فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت فهل يقبل مني توبة فصمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية فتلاها عليه فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك
حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعاه فتلا عليه
فقال ولعلي ممن لا يشاء الله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الاية فقال نعم الآن لا ارى شرطا فاسلم وهذا وحشي قاتل حمزة قال ابن الجوزي
وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر وهو بعيد الصحة والمحفوظ في اسلامه غير هذا وانه قدم مع
رسل الطائف فاسلم من غير اشتراط حرم الله اي حرمها الله والمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بهذا
القتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزا الاثم وقيل يلق عقوبة
وقيل اثاما هو الاثم ومعناه يلق جزا اثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم الاثام والبغي بئران

في النار قتادة اسم واد في جهنم وقيل الاثام واد فيه الزناة يضاعف بدل من يلق لانهما
معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا قرا عاصم يضاعف
بالرفع على تفسير يلق اثاما كان قايلا يقول فما لقي الاثام فقيل يضاعف العذاب
والباقون بالجزم بدلا من قوله يلق وهو جزم على الجزا وابن كثير وابن عامر بحذف الالف
وتشديد العين والمراد من مضاعفة العذاب ان المشرك اذا ارتكب معاصي مع الشرك عذب
على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ويخلد قرا ابن عامر
بالرفع على الاستيناف او الحال والباقون بالجزم وقرا ابن كثير وحفص فيهي بيا ههنا خاصة والباقون
بلا يا الا من تاب قال ابن عباس قراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا
يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشي
قط فرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل انها منسوخة
قيل ناسخها قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قاله ابن عباس وكان يقول هذه مكية والتي
في النساء مدنية وقيل انها نسخت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا الاية
وقيل ان الاولى نسخت بالثانية وهي قوله الا من تاب وقيل انها محكمة والخلود انما كان لانضمام
الشرك الى القتل والزنا قيل وفساد القول الاول ظاهر لان القتل لا يوجب تخليدا عند الاكثرين والشرك
لا يغفر اذا مات المشرك عليه والاستثنا ليس بنسخ وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات
عن ابن عباس يبدل الله شركهم ايمانا وقتلهم امساكا وزناهم احصانا وهذا يدل على انه يكون في الدنيا
وقيل انها تكون في الاخرة وقيل يبدل الله سيات المومن اذا غفرها له حسنات حتى ان العبد يتمنى ان تكون
سياته اكثر مما هي به الحسن ود قوم يوم القيامة انهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب فقيل من
هم قال الذين قال الله فيهم فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات ومما يويد حديث ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه
فيعرض عليه صغار ذنوبه ويخبا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقر
لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة حسنة قال صاحب الكشاف
ابدال السيئة حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكان الله
غفورا رحيما قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه يتوب الى الله متابا ومن يترك المعاصي ويندم عليها
ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب
وقيل ومن تاب حقق التوبة بالعمل الصالح بعد التوبة فهو التايب الى الله حق التوبة وقيل من
رجع عن ذنوبه ورجع الى الحق فانما رجع الى الله والى ثوابه والى احسانه وهذا اجابة
الوعد من الله للتايب وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها وليتوجه بها الى الله
وقيل ومن تاب فليتب لله لا لغيره كما قال الشاعر فالله تاب ابو الخير ولكن تاب خوف سعيد زبر وقيل
ان المعنى من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات وقيل فانه
تايب الى الله متابا الذي يعرف حق التايبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب
المتطهرين وقيل فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا اي مرجع يحتمل انهم يفرون من محاضر
الكذابين ومجالس الخطايين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم

عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم يسوغه الشريعة هم شركا
فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجود الزيادة فيه لان الذي سلط على فعله
هو استحسان ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطايين
قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين لا يشهدون
الزور الضحاك يعني الشرك وتعظيم الانداد وقيل شهادة الزور فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم
وجهه ويطوف به في الناس محمد بن الحنفية اللهو والغنا ابن جريج الكذب واصل الزور تحسين
الشي ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من سمعه او يراه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل بما
يوهم انه حق واذا مروا باللغو مروا كراما مقاتل واذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا
وصفحوا وقيل اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى اذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به
مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين الحسن لم تسفههم المعاصي
وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا القاك مسلما هو نفي للسلام
لا للقا والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها
سامعون باذان واعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص
الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
وقيل الذين اذا ذكروا بايات ربهم اي قرئ عليهم القران وقيل اذا وعظوا لم يخروا عليها صما وعميانا لم
يقيموا عليها تاركين لها كمن لا يسمع ولا يبصر بل خروا سجدا وبكيا وقيل لم يتغافلوا عنها وقيل لم
يخروا على المعاصي خرور من لا يبصر ولا يسمع وقيل لم يقعوا او لم يقبلوا عليها صما وعميانا كانهم صم
عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيتبعونه وقيل لم يخروا اي لم يقيموا او لم يصيروا
تقول العرب شتمت فلانا فقام يبكي يعني فظل واقبل يبكي ولا قيام هنا ولعله يبكي قاعدا
وقعد فلان يشتمني اي اقبل وصار يشتمني قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما وذرياتنا قرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم وذرياتنا على الجمع والباقون على التوحيد قرة اعين من يعمل بطاعتك
فتقر بهم اعيننا في الدنيا والاخرة سيل الحسن عن قوله قرة اعين في الدنيا ام في الاخرة
قال لا بل في الدنيا واي شي اقر لعين المومن من ان يرى زوجته وولده يطيعون الله والله
ما طلب القوم الا ان يطاع الله فتقر اعينهم ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل
سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووحد القرة لانها مصدر
واصلها من البرد لان العرب تتاذى بالحر وتستروح بالبرد واجعلنا للمتقين اماما يقتدى
بنا ابن عباس ايمة هداة لقوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا ولا تجعلنا ايمة ضلالا
لقوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار قتادة هداة دعاة خير مجاهد ايمة في التقوى
يقتدي بهم المتقون وقيل هذا من المقلوب اي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمين مقتدين
بهم ولم يقل ايمة لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقيل اراد
ايمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا وقيل اراد واجعل

كل واحد منا اماما وقيل اراد جمع آم كصايم وصيام وقيل اراد واجعلنا اماما واحد الاتحاد نا
واتفاق كلمتنا قيل في الايه ما يدل على ان الرياسه في الدين يجب ان يطلب ويرغب فيها وقيل نزلت
هذه الايات في العشره المبشرين بالجنه قيل من في قوله من ازواجنا بيانيه كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم
بينت القره بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت
منك اسدا اى انت اسد وقيل ابتداييه على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعه وصلاح نكر اعين
لتنكير القره لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا
وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد عيون المتقين وهي قليله بالاضافه الى عيون غيرهم قال الله تعالى
وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصه وهي اعين المتقين قوله تعالى
اوليك يجزون الغرفه بما صبروا ويلقون فيها تحيه وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما
اوليك يجزون يثابون الغرفه الدرجه الرفيعه والغرفه كل بناء عال مرتفع قيل المراد الغرفات وهي
العلالي في الجنه فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس يدل على ذلك قوله وهم في الغرفات
آمنون بما صبروا بصبرهم على امر ربهم وطاعة نبيهم وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك
واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون فيها قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن
عاصم يلقون بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح اليا وسكون اللام وتخفيف القاف
تحيه وسلاما ابن عباس يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام والتحيه دعا
بالتعمير والسلام دعا بالسلامه من كل افه مقاتل تحية السلام وسلاما سلم الله لهم امرهم وتجاوز
عنهم خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى قل ما يعبوا بكم ربي لولا دعاوكم فقد كذبتم
فسوف يكون لزاما لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها
ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنه اتبع ذلك ببيان انه انما اكرث لاوليائه وعبادهم واعلى
ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصرح للناس
ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعباده وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم
لم يكرث لهم البته ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيا يبالي به قل ما يعبوا بكم ربي اي ما يصنع وما
يفعل يقال ما عبات به شيا اي لم اعده فوجوده وعدمه سوا معناه اي مقدار واصل هذه الكلمه
تهيية الشي يقال عبات الجيش وعبات الطيب اعباوه اذا هياته وعملته لولا دعاوكم اياه وقيل
لولا عبادتكم وطاعتكم اياه وما في قوله ما يعبا متضمنه لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب
وهي عباره عن المصدر كانه قيل واي عبا يعبا بكم لولا دعاوكم يعني انكم لا تستاهلون شيا من
العبا لولا عبادتكم قيل معنى ما يعبا بكم ربي اي وزن لكم عنده ويجوز ان يكون ما نافيه قيل
المراد من قوله لولا دعاوكم انه خلقكم لعبادته نظيرها قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ابن عباس اخبر الله الكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مومنين لو كان له بهم حاجه لحبب اليهم الايمان
كما حبب الى المومنين وقيل قل ما يعبو بعذابكم ربي لولا دعاوكم اياه في الشدايد بيانه في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين وقيل قل ما يعبوا بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم اي ما خلقتكم ولي اليكم
حاجه الا ان تسالوني فاغفر لكم وتسالوني فاعطيكم فقد كذبتم يا اهل مكه تقول اذا علمتكم ان حكمي
اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف ترى ما احل بكم لزاما اي
تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان
احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وهذا

الخطاب

فاذا البرا

الخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مومنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في
جنسهم من العباده والتكذيب وقيل فسوف يكون تكذيبكم لازما لكم وقيل فسوف يكون جزا يلزم كل
عامل ما عمله من خير وشر وقيل الا زما عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض وقيل
يوما وقع يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون سورة الشعرا وهي مكيه كلها الا اربع
ايات منها نزلت بالمدينه من قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخر السوره وهي مايتان وسبع وعشرون
ايه والف ومايتان وسبع وتسعون كلمه وخمسة الف واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى طسم قرا حمزه والكساي باماله الالف واظهار النون والباقون بتفخيم الالف وادغام
النون علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت طسم قال رسول الله الطا طور سينا والسين الاسكندريه
والميم مكه قال ابن عباس الطا طيبه والسين بيت المقدس والميم مكه جعفر الصادق الطا طوبى والسين سدرة
المنتهى والميم محمد وعن ابن عباس قسم اقسم الله به وهو من اسما الله تعالى وقال القرطبي اقسم الله بطوله
وسنايه وملكه مجاهد اسم السوره قتاده اسم من اسما القران تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه
وصحته انه من عند الله والمراد به السوره او القران والمعنى ايات هذا المولف من الحروف المبسوطه
تلك ايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالبا وهو
عرق مستبطن الفقا وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسره على ما
فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مومنين لييلا يومنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يومنوا قوله تعالى
ان نشا ننزل عليهم من السما ايه فظلت اعناقهم لها خاضعين ذليلين اي لو شا الله لانزل عليهم ايه
يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية الله عز وجل ابن جريج لو شا لاراهم امرا من امره لا يعمل
احد منهم معصيه وقيل ان الايه صوت يسمع من السما في النصف من شهر رمضان يخرج له العواتق من
البيوت قال صاحب الكشاف اراد ايه ملجيه الى الايمان قاسره عليه كما نتق الجبل فوق بني اسرايل كما
نتق الجبل فوق بني اسرايل فظلت اعناقهم معطوف على الجزا الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا
ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق واما قوله تعالى خاضعين ولم يقل خاضعه وهي صفة الاعناق
ففيه وجوه صحيحه من التاويل احدها فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين فحذف الاصحاب واقام
الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا خضعت فاربابها خاضعون فجعل الفعل اولا للاعناق ثم جعل
خاضعين لاصحاب الاعناق وثانيها اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامه كان الاهل غير مذكور وثالثها انه لما وصفت الاعناق
بالخضوع الذي هو للعقلا قيل خاضعين كقوله تعالى رايتهم لي ساجدين ورابعها اعناق الناس وساداتهم
ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الروس والنواصي والصدور وقال في محفل من نواصي الناس
مشهود وخامسها جماعات الناس يقال جانا عنق من الناس لفوج منهم ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الايه فينا وفي بني اميه قال ستكون لنا عليهم دوله فتذل لها اعناقهم بعد صعوبه ويلحقهم
هوان بعد عزه قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا
فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزون وما ياتيهم اي اهل مكه من ذكر وعظ وتذكير من الرحمن
محدث في الوحي والتنزيل الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا واصروا على الكفر وافاد قوله
كانوا انهم كانوا في علم الله السابق معرضين وقيل ظهر منهم ما كان معلوما منهم من الاعراض فقد
كذبوا اي اهل مكه النبي فيما اتاهم به فسياتيهم انبا اخبار وعواقب وجزا ما كانوا به يستهزون
افادوا لفا في فسياتيهم ان هذا جزا تكذيبهم وهذا تهديد كما تقول سيبلغك خبر ما فعلت وخص

جد

المكذب باتيان الخبر لجمله به دون المصدق فانه يعلم ما اخبر به قيل ياتيهم في القيامه وقيل في
الدنيا بالقتل والهزيمه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد
وهي الاعراض والتكذيب والاستهزا قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر
فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزا والسخريه لان من كان
قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محاله ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان
موقرا له **قوله تعالى** اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اولم يروا الى الارض تعجيب اي الم ينظروا الى عجايبها
ولهذا عدي بالى كم انبتنا فيها من كل زوج صنف ولون وقيل الزوج الشي وشكله وقيل ابيض واسود
واحمر واصفر وحلو وحامض ومر ومن كريم كثير المنفعه وقيل ذي قدر عند متناوله وقيل كريم
ياكله الناس والانعام وقيل نافع محمود والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم
اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه
اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع الشعبي انما اراد
بالنبات الانسان لقوله انبتكم من الارض نباتا والكريم الذي يدخل الجنه واللييم الذي يدخل النار
ان في ذلك في انبات تلك الاصناف لاية لدلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وحكمتي وقيل
لاية على ان منبتها قادر على احيا الموتى وعلى البعث والنشور وما كان اكثرهم مومنين في علمي مع عظم
الايات وقيل قد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز بالنقمه
لمن كفر الرحيم لمن امن والجمع بين كم وكل ليدل على الاحاطه بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان
هذا المحيط متكاثر مفرط الكثره وبه نبه على كمال قدرته ومعنى وصف الزوج بالكريم يحتمل وجهين
احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كم ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى
ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما
انبت شيا الا وفيه فايده لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمه بالغة وان غفل عنها الغافلون قال
صاحب الكشاف فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثره والاحاطه وكانت بحيث لا يحصيها
الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به
الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج
لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير **قوله تعالى** واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين
قوم فرعون الا يتقون واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى حين راى الشجر والنار ان ائت
القوم الظالمين لانفسهم بالكفر والمعصيه باستعبادهم وسومهم سوم العذاب قوم فرعون الا
يتقون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون الا يتقون وكانهما عباران تعتقبان على مودى واحد ان شا ذاكرهم عبر
عنهم بالقوم الظالمين وان شا عبر عنهم بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين
من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرايل باستعبادهم الا يتقون
كلام مستانف اتبعه ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام
من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله
ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه
فادخلت همزة الانكار على الحال قيل وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو

ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا ومعنى هذه القراه الا اتقوني فحذف
النون لاجتماع النونين واليا للاكتفا بالكسره **قوله تعالى** قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا
فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون يا يكذبون محذوفه ومثلها ان يقتلون سيهدين فهو يهدين
ويشفين فهو يشفين ثم يحيين كذبون واطيعون فهذه ثمان ايات اثبتهن يعقوب في الحال قال رب
اني اخاف ان يكذبون ولا يصدقوني ويضيق صدري بتكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني للعقده
التي كانت به وقيل منه منه يضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان فيفيد ان فيه ثلاث
علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان فارسل الى هرون اي فارسل
جبريل الى هرون واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد
بسط في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجا بما يتضمن
معنى الاستنبا ومثله في تقصير الطويله والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين
كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصه اولها واخرها وهما الانذار
والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصه الطويله كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات
الله فاراد الزام الحجه عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قيل كيف ساغ لموسى عليه السلام
ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورايه
اجيب بانه قد امتثل امر الله وتقبل ولكنه ساله ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ
رسالته فمهد قبل سواله عذره في ما ساله ثم سال بعد ذلك وتمهيد العذر في سوال المعين على
تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه ولكن مطلب العون دليلا على التقبل
لا على التعلل ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب اي القتيل الذي قتله منهم واسمه فاتون وكان
خباز فرعون قيل ولهم علي تبعة ذنب فهي قود ذلك القتيل فاخاف ان يقتلوني به قصاصا
وقيل عدوا انا قال صاحب الكشاف فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا او جعلتها
تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعه قلت هذه استدفاع البليه المتوقعه
وفرق من ان يقتل قبل ادا الرساله فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جا بعده من كلمة
الردع والموعد بالكلاءة والدفع قال كلا جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا
لانه استدفعه بلاهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازره باخيه فاجابه
بقوله قال كلا اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فاذهبا معطوف
على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قال ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون باياتنا
مع اياتنا اليد والعصا وغيرهما وقيل بدلالتنا وقيل امدكما باياتنا فتكون الايات التسع ايضا
معكم مستمعون سامعون ما يقولون وما تجاوبون يعني موسى وهرون وفرعون وقومه
والاستماع الاصغا الى المسموع فيكون مجازا في حق الله قال صاحب الكشاف معكم مستمعون من
مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما
وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكون معكم مستمعون خبرين لان
او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينه معكم في كونه من باب
المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقه بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقه
لان الاستماع جار مجرى الاصغا والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرويه ومنه قوله

تعالى قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه
ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك يوم القيامة
قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل
قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت
من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما وجعلني من المرسلين فاتيا اي موسى وهرون فرعون فقولا انا رسول فلم يثن الرسول
كما في قوله انا رسولا ربك ان الرسول يكون بمعنى المرسل ويكون بمعنى الرسالة فجعل ثمه بمعنى
المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسويه فيه اذا وصف
به بين الواحد والتثنيه والجمع كما يفعل في الصفه بالمصادر نحو صوم وزور قال
الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعه والشاهد في الرسول بمعنى الرساله
قوله لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول وقيل انما وحد لان حكمهما
لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما
رسول واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل اي بان ارسل معنا بني اسرايل
الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف
قال صاحب الكشاف ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك
ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداه والكتابه ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال
التخليه والاطلاق كقولك ارسل البازي اي خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فانطلق
موسى الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك فانطلقا الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة في الدخول
عليه فدخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون
ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وادّيا رسالة الله تعالى فعرف موسى عليه السلام لانه نشا في
بيته فلما عرفه قال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا ذلك لانه معلوم لا لبس فيه وهذا
النوع من الاختصار كثير في التنزيل فينا وليدا اي صبيا سمي الصبي وليدا لقرب عهده من الولاده
اي قال الم تكن صغيرا فربيناك اليس قد التقطناك من اليم وكفلناك من ارضعك وغذوناك الى
ان صرت رجلا امتن عليه باحسانه اليه ومعنى فينا في جملتنا ومنازلنا ولبثت فينا من عمرك
سنين قيل ثماني عشرة سنة وقيل اربعين سنة وقيل ثلثين سنة وفعلت فعلتك اي فجازيتنا على ان
ربيناك ان كفرت نعمتنا وفعلت فعلتك اي قتلت منا نفسا وانما قال فعلتك بفتح الفا لانها مرة
واحدة قيل وكز القبطي وقتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة وقيل خرج من عنده عشر سنين ثم عاد
اليه يدعوه الى الله ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة فمات صلى الله عليه وسلم وكان ابن مايه
وعشرين سنة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل
خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين لنعمتي وحق
تربيتي وقيل وانت من الكافرين لنعمتي وحق تربيتي وقيل وانت من الكافرين بالهك لانك كنت معنا
على ديننا الذي تعيبه وقيل وانت من القوم الذين تزعم الان انهم كافرون وقيل من الكافرين بالله
حين قتلت نفسا بغير حق قال صاحب الكشاف وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت
كذلك من الكافرين او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعه وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان
يعايشهم بالتقيه فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبيه من كل كبيرة ومن بعض الصغاير فما بال

وهرون صح

وتلبثهم صح

بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته
كفران النعم لم يكن مثل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون
في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك قال موسى فعلتها اذا فرعون
لما ذكر التربيه وذكر القتل وقد كانت تربيته له معلومه ظاهره لم ينكرها موسى ولم يشتغل بالجواب
عنها لانه تقرر في العقول ان الرسول اذا كان معه حجه لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولا
فصار قول فرعون غير موثر ومثل هذا الكلام الاعراض عنه اولى ولكن اجاب عن القتل بما لا شي ابلغ منه في
الجواب ابن عباس من الجاهلين اي اني كنت جاهلا لم ياتني من الله شي والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل
والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقيل من المخطئين
اي قتلت نفسا خطا من غير تعمد القتل وقيل من الذاهبين عن الصواب وقيل من الناسين ومثله ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب موسى فرعون في قوله وانت من الكافرين ودفع الوصف بالكفر
عن نفسه وبراساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوه عن الكفر قال صاحب
الكشاف فان قلت اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون
وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان
نعمته كانت عنده جديرة ان تجازى بنحو ذلك ففررت منكم لما خفتكم على نفسي الى مدين فوهب لي ربي حكما
نبوة علما وفهما وحكمة وعقلا وزال عني الجهل والضلال وجعلني من جملة انبيايه ورسله **قوله
تعالى** وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اختلف العلما في تاويلها ففسرها بعضهم على الاقرار
وبعضهم على الانكار فمن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله ولم يستعبده
كما استعبد بني اسرايل فالمعنى تلك النعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل ولم تستعبدني فالقايل تمنن
علي باحسانك وتنسى اساتك ان عبدت بني اسرايل الحسن اخذت من بني اسرايل اموالهم فغذوتني
بمال قومي فما منك علي في ذلك وقيل ان اتخاذك بني اسرايل عبيدا قد احبط نعمتك التي تمن بها علي وقيل
او تلك نعمة تمنها علي استفهام انكار وقيل تلك اشارة الى تخلية بني اسرايل في قوله ان ارسل معنا
بني اسرايل اي تخليتهم اياهم وارسالهم معي كما امر الله نعمة لك عندي لانهم اقربائي وقد اتخذتهم
عبيدا ويحتمل او تلك نعمة تمنها علي ان عبدتني فوضع بني اسرايل موضع الضمير لانه واحد منهم وتعبيدهم
اياهم سببه الى قذفه في اليم وفراقه من ابيه واهل بيته ثم اتخاذه امه ظيرا ويحتمل ايضا وتلك نعمه
تمنها علي لولا ان عبدت بني اسرايل وفي اعراب ان عبدت قولان احدهما رفع بالبدل من المبتدا
وقيل من الخبر والثاني نصب وتقديره بان عبدت اتخذت عبدا قال صاحب الكشاف ثم كر على
امتنانه عليه بالتربيه فابطله من اصله واستاصله من سنخه وابى ان يسمي نعمه الا نقمة حيث بين ان
حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرايل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنايهم هو السبب في حصوله
عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال
عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا تلك اشاره الى خصله شنعا مبهمه ما يدرى ما هي الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا
مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرايل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع نصب المعنى
انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرايل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم **قوله
تعالى** قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب ابايكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون

قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين اعلم ان فرعون لم يقل لموسى وما رب العالمين الا وقد دعاه موسى الى طاعة رب العالمين يدل على ذلك قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد عند دخولهما عليه انهما قالا ذلك فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين بسؤال عن الحقيقة وتعريف الحقيقة اما بنفسها وهو محال او بما هو داخل فيها وهو محال في حق الله اذ ليس بمركب او بما هو مركب من الداخل وهو محال ايضا في حق الله او بما هو خارج عنها والخارج اما غير لازم فلا يصح التعريف به او لازم خفي فلا يصح التعريف به او جلي فيصح التعريف به فلا يصح بغير جنسه تعالى الا بما هو لازم جلي واظهر آثار ذات الله تعالى هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما فتحقق انه لا جواب لقول فرعون وما رب العالمين الا ما قاله موسى صلوات الله وسلامه عليه وهو قوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقهما وقيل وما رب العالمين ما حقيقته ذاته من اي جنس واي نوع هو فاعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلالة على الله بافعاله وصنايعه قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون الاشياء بالدلايل فكفى السموات والارض وما بينهما دليلا بان الله سبحانه خالقهما ومالكهما ومدبرها وقيل ان كنتم موقنين بان السموات لا بد لها من رب فالذي ادعوكم اليه ذلك الرب وقيل ان كنتم موقنين ان ما يعاينونه فكذلك فايقنوا ان ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما قال صاحب الكشاف وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع هذه الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسايل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعايه الالهية قال لمن حوله الا تستمعون قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه ابن عباس وكانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة محيلا لقول موسى معجبا لقومه الا تستمعون الى سؤالي وجوابه ولم يزد على الاول لان رب العالمين ورب السموات والارض وما بينهما واحد قال صاحب الكشاف فلما اجاب موسى عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره قال الامام انما ذكر فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى اي انما اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية وتعريف الماهية بلوازمها لا يفيد معرفتها فلم يكن كونه ربا للسموات والارض وما بينهما جوابا عن قوله وما رب العالمين قال موسى مقيما له وملزما للحجة عليهم ربكم ورب آبائكم الاولين فاوضح كلامه بزيادة بيان اي خالقكم وخالق آبائكم فضللتم وضللتم آباؤكم وقيل انما قال موسى ورب آبائكم الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم قال الامام كان موسى عليه السلام عدل عن الخالق والمؤثر في السموات الى التعريف بكونه خالقا لنا ولآبائنا لانه لا يمتنع ان يعتقد الجهلة ان السموات والارض ليست مخلوقة ولا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه وفي آبائه واجداده كونهم غير مخلوقين لان المشاهدة دلت

على انهم وجدوا بعد العدم ثم عدموا بعد الوجود وكان التعريف بهذا اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول اليه قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته وقيل المجنون حيث اساله عن شيء ويجيبني عن شيء وقيل المجنون حيث يزعم ان في الوجود الها غيري لان الجواب كان مطابقا لان قوله وما يعني ومن كقوله وما ملكت ايمانكم وقيل كان مطابقا لان موسى لما قال ان رب العالمين ارسله اليهم ساله فرعون عن ملكه وانبساط قدرته كما يسال الملوك عن الرسل ما صاحبك هذا اي ما مقدار ملكه وسلطانه قال المفسرون قال الامام قال فرعون المقصود من سؤال ما طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيدها فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه قال صاحب الكشاف فلما ثنى موسى بتقرير قوله جننه الى قوله وطرز به حيث سماه رسولهم قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم ذوي عقل لم يخف عليكم ما اقول فتدبروا في مصنوعات ربي حق التدبر تعرفوا الصانع بعد التدبر ضرورة قال الامام عدل موسى الى طريق اوضح من الثاني وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار والامر ظاهر في ان هذا التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابرهيم عليه الصلوة والسلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى هاهنا بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين فاجابه نمرود بقوله انا احيي واميت قال ابرهيم عليه السلام ان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى هاهنا بقوله رب المشرق والمغرب ان كنتم تعقلون ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب عن سؤالكم الا ما ذكرت لانكم طلبتم تعريف حقيقته ولا يمكن الا بلوازم جلية وانا عرفت حقيقته بآثار حقيقته فتحقق ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته قال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق وتماديا في الغي لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين المحبوسين الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل اذا سجنه يطرحه في مكان فرد وحده لا يسمع ولا يبصر فيه شيا يهوي به في الارض قال موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك بشيء مبين صدق قولي ومعنى الآية انفعل ذلك وان اتيتك بحجة بينة وانما قال موسى له ذلك لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان قال الامام لما عجز فرعون عن الحجاج عدل الى التخويف فعند ذلك ذكر موسى كلاما مجملا ليعلق قلبه فيعدل عن وعيده فقال له اولو جئتك بشيء مبين قال صاحب الكشاف فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه وهو قوله والذي يليق بحال فرعون الى آخره اعلم انه عليه السلام لاين اولا فقال ان كنتم موقنين فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فقوله ان كنتم تعقلون وانما قال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك وان كان اخصر لان غرضه مود مراده لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني والواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه انفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة قال فرعون فأت به فانا لم نسجنك حينئذ ان كنت من الصادقين وقيل فأت بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين ان لك بينة وقيل ان كنت من الصادقين ان لك ربا بعثك الي رسولا وجواب الشرط مقدر اي فاحضره وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا

ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة وعادة الله وسنته
جارية بانه لا يصدق الكاذب قال صاحب الكشاف ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا
وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات
وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك ايت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل
عليه وقد علم جوابه في المقدمات مجملا وفي اصول الدين مفصلا فلا حاجة الى ذكره **قوله تعالى**
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين
ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف
تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شي يشبه الثعبان
كما يكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر للناظرين دليل على ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على
النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال
فهل غيرها فنزع موسى يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال فرعون للملا حوله منصوب نصبين نصب
في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال والعامل فيه
قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى
الالهية وحط عن منكبيه كبريا الربوبية وارتعدت فرايصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت
به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما
حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا
لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو
يوم الزينة ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز
ابن زيد وكان اجتماعهم للميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من ورا البحيرة
يومئذ وقيل للناس هل انتم مجتمعون لينظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة
لموسى او للسحرة وقيل قال بعض اصحاب فرعون لبعض اجتمعوا لنشهد ما يجري بين موسى
وهرون وبين السحرة وقيل قال فرعون للناس هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد
منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه
ويحثه على الانطلاق وكانه يخيل اليه ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط
شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه اليناسريعا
ولا تبطي به لعلنا لكي نتبع السحرة في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم
باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يكونوا متبعين لموسى وقيل نتبع السحرة فنقتل موسى وهرون واتباعهما ان كانوا
هم الغالبين على وجه الاستهزا فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين

قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزا الشرط لدلالته
عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارة
في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزا وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم
الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون
وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا
ببعض اسمايه او صفاته كقوله بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله
وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابايكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون قال صاحب الكشاف ولقد
استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الاولى وذلك
ان الواحد منهم لو اقسم باسما الله كلها وصفاته على شي لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس
سلطانه فاذا اقسم به فعند هم جهد اليمين التي ليس وراها حلف لحالف فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون
في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشيا افكا
مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جا به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله
فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا به وعن عكرمة اصبحوا
سحرة وامسوا شهدا فالقي السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقا لانه ذكر مع الالقاات
فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان
رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا قالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه
ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعوا اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى
قال فرعون امنتم له صدقتموه قبل ان اذن لكم في التصديق انه لكبيركم الذي علمكم السحر
قيل علمكم شيا وكتمكم شيا ليغلب به من يغالبه وقيل لاكبيركم وقد تواطاتم على امر ومكر ثم
توعدهم فقال فلسوف تعلمون اي عن قريب تعلمون وبال ما فعلتم وما نزل بكم من العقاب
على ايمانكم لموسى قبل اذني لكم ثم صرح فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين
قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر والضير والضر واحد اي لا ضرر علينا في ذلك بل النافية
اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض
الكثيرة وقيل لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا
بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها وقيل لا ضير علينا في قتلك انك
ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق
الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا وقيل لا ضير انما هي ساعة نصبر
لعذابك ثم نصير الى ثواب الله وهو قوله انا الى ربنا منقلبون وقيل ان الجميع منا ومنك
ينقلب الى الله فهولك بالمرصاد مجازيك جزا عملك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا المتقدمة
ان كنا اول المومنين من اهل زماننا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون
او من اهل المشهد او من السحرة **قوله تعالى** واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون

اي لان كنا

فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل فاتبعوهم مشرقين فلما تراء الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ثم ان الله تعالى لما اراد اظهار امره في نجاة
بني اسرايل وغرق فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بني اسرايل ليلا من مصر واوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي هذا بعد سبع سنين من زمن السحرة وايمانهم والمعنى سر بهم ليلا واضافهم الى نفسه لايمانهم
انكم متبعون علل الامر بالاسرا باتباع فرعون وجنوده اثارهم قال صاحب الكشاف والمعنى اني بنيت تدبير
امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم
فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا عن طلبهم حتى خرج موسى بقومه
عن ابن جريج في هذه الاية اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام ان اجمع بني اسرايل كل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدماها على ابوابكم فاني سامر الملايكة فلا تدخل بيتا على بابه دم
وسامرهم بقتل ابكار القبط ثم اخبزوا واخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر
فياتيك امري ففعل ذلك فلما اصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا وتمكنوا من انفسنا
واموالنا فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسماية الف ملك مسوف ومع كل ملك الف وخرج فرعون
في الكرسي العظيم وكانت مقدمته سبعماية الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس
خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط اي حين
اخبر بسراهم بعث شرطا يحشرون الناس من المداين لاتباعهم مع فرعون ان هولاء محكي بعد قول مضمر
لشرذمة طايفة قليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل
حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وكانوا ستماية وسبعين الفا وانما استقلهم لكثرة
من معه وقيل لكثرة من قتل منهم وقيل يجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا نبالي بهم ولا نتوقع غلبتهم وعلوهم وانهم لنا لغايظون لمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا
وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون قرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو حذرون بغير الف والباقون حاذرون بالف فقيل لا فرق بينهما فانهما لغتان
معناهما واحد وقيل الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وقيل ان حاذرين معناه مودون اي ذوو
اداة وهي السلاح لانها اداة الحرب وحذرين عالمون بالحرب قال صاحب الكشاف ولكنهم يفعلون
افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن
به ما يكسر من قهره وسلطانه فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز مجاهد سماها كنوزا لانها لم تنفق
في طاعة الله ومقام كريم منزل حسن او مجلس بهي وقيل المنبر الذي يخطب عليه ابن عباس مجلس الامرا
تحف به الاتباع وقيل السرر في الحجال كذلك قيل في محل الجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم
مثل ذلك المقام الذي كان لهم وقيل في محل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا
وقيل في محل الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرايل بهلاك
فرعون وقومه الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم وقيل ذهبوا الى الشام
وملكوا مصر زمن سليمان بن داود عليهما السلام فاتبعوهم لحقوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق
من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما ترا الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهما صاحبه قال
اصحاب موسى انا لمدركون لملحوقون قد قرب منا عدونا وقدامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله كلا

لا يدركونكم لان الله وعدكم النصر عليهم والخلاص منهم ان الله لا يخلف الميعاد ان معي ربي ناصري ومعيني
سيهدين يهديني عن قرب طريق النجاة وقيل سيعرفني طريق النجاة وقيل سيكفيني فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا
موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم روي ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شي والمكون لكل شي والكاين بعد كل
شي اجعل لنا مخرجا فاوحى الله عز وجل ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق فانشق فكان
فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق جزو متفرق من الما كالطود كالجبل المنيف العظيم لان الما
كان يجتمع فلما انفرق استطال وارتفع في السما كالجبل وصار بين كل فرقين مسلك لسبط منهم وظهرت فيها كوى
ينظر منها بعضهم الى البعض وازلفنا اي قربنا حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرايل
وقيل ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد وقيل قدمناهم الى البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين
ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه ان في ذلك لاية لدلالة قاطعة لمن تامل وما كان اكثرهم مومنين
لم يومن من اهل مصر غير اسيه وحزبيل وهو المومن ومريم بنت ناموسا التي دلت موسى على عظام يوسف
وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه قوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او
ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم
الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين ان الله تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد صلى الله عليه
وسلم بسبب كفر قومه ثم ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر
عقيبها قصة ابرهيم عليه السلام ليعرف محمد صلى الله عليه وسلم ان حزن ابرهيم اشد من حزنه لان من
اعظم المحنة على ابرهيم عليه السلام ان يرى اباه وقومه كلهم في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم الا بقدر
الدعا واتل عليهم اقرا على مشركي العرب نبا ابرهيم قصته والنبا الخبر العظيم اذ قال لابيه وقومه قيل
قوم ابرهيم وقيل قوم ابيه ما تعبدون اي شي تعبدون كان ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه يعلم انهم
عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما تعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي كما تقول للتاجر ما مالك وانت
تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال قال صاحب الكشاف فان قلت ما تعبدون سوال
عن المعبود فحسب وكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا
الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هولاء قد جاوا بقصة ابرهيم كامله كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت
على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على
قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار
ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا فنظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال ابرهيم هل يسمعونكم يسمعون دعاكم وقيل يسمعونكم حذف
تدعون لان ما بعده يدل عليه وجا مضارعا مع ايقاعه في اذ حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال
الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا وهذا ابلغ في التبكيت او ينفعونكم لتقربكم اليها
او يضرونكم ان عصيتموها قالوا اي قوم ابرهيم عليه السلام بل اضراب عن ان تسمع او تنفع او تضر وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون اي اقتدينا باباينا في عبادتهم اياها لانها تنفع وتضر قال ابرهيم عليه السلام افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباوكم الاقدمون زمانا فانهم اي الاصنام عدو لي وانا بري منهم ووحد عدوا لان فعولا صفة
للمبالغة فقام مقام الجمع وقيل لان معناه كل معبود لكم عدو لي وقيل هو في الاصل مصدر وقيل تقديره

فانی عدو لهم واما الوجه فی وصف الجماد بالعداوه فهو ان معنی الایه فانهم عدو لی لو عبدتهم یوم القیامه
کما قال سیکفرون بعبادتهم ویکونون علیهم ضدا قال صاحب الکشاف لما اجابوه بجواب المقلدین لابائهم قال لهم
رقوا امر تقلیدهم هذا الی اقصی غایاته وهی عبادة الاقدمین الاولین من ابائهم فان التقدم والاولیه لا تکون
برهانا علی الصحه والباطل لا ینقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعدا له
ومعنی العداوه قوله کلا سیکفرون بعبادتهم ویکونون علیهم ضدا ولان المغری علی عبادتها اعدا الانسان
وهو الشیطان وانما قال عدو لی تصویرا للمسئله فی نفسه علی معنی انی فکرت فی امری فرایت عبادتی لها عبادة
للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من الخیر کله منه واراهم بذلک انها نصیحه نصح بها نفسه علی معنی انی
فکرت فی امری فرایت عبادتی له اولا وبنی علیها تدبیر امره لینظروا فیقولوا ما نصحنا ابرهیم الا بما نصح به
نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ادعی لهم الی القبول وابعث علی الاستماع منه ولو قال فانه عدو
لکم لم یکن بتلک المثابه ولانه دخل فی باب من التعریض وقد یبلغ التعریض للمنصوح ما لا یبلغه التصریح
لانه یتامل فیه فربما قاده التامل الی التقبل ومنه ما یحکی عن الشافعی رحمه الله ان رجلا واجهه بشیء
فقال لو کنت بحیث انت لاحتجت الی ادب وسمع اناسا یتحدثون فی الحجر فقال ما هو بیتی ولا بیتکم والعدو
والصدیق یجیئان فی معنی الواحد والجماعه قال وقوم علی ذوی مئرة اراهم عدوا وکانوا اصدقا ومنه
قوله تعالی وهم لکم عدو وشبها بالمصادر کالقبول والولوع والصهیل الا رب العالمین قیل الاستثنا منقطع
والتقدیر لکن رب العالمین لیس بعدوی وقیل الاستثنا متصل فانه کان فی ابائهم الاقدمین من عبد الله
لان هذه نسبه ترتفع الی ادم وقیل انما تعبدون عدو لی الا الله الذی تعبدون معه غیره
فانه لیس بعدوی وقیل الا بمعنی وان انکروا العباده المعروفه لم ینکروا انه خالقهم ورازقهم فکانوا بهذا
عابدین فصح الاستثنا وقیل من کان جاحدا لله عابد له من حیث ان اثر العبودیه فیه ظاهر فالاستثنا متصل
وقیل الا بمعنی دون کقوله لا یذوقون فیها الموت الا الموتة الاولی الذی خلقنی فهو یهدین
والذی هو یطعمنی ویسقین واذا مرضت فهو یشفین والذی یمیتنی ثم یحیین والذی اطمع ان یغفر لی خطیتی
یوم الدین لما حکی الله عن ابرهیم انه استثنی رب العالمین حکی عنه ایضا ما وصفه به مما یستحق العباده
لاجله ثم حکی عنه ما ساله عنه اما الاوصاف فخمسه اولها قوله الذی خلقنی فهو یهدین قیل الذی
خلقنی ولم اک شیا فهو یهدینی الی الرشاد اذا عبدته ولم اشرک به شیا ودخل الفا لان المبتدا موصول
بالفعل وان جعل الذی فی محل نصب علی الصفه فالفا لعطف جمله علی جمله وقیل الذی خلقنی فی الدنیا
علی فطرته فهو یهدینی فی الاخره الی جنته وقیل الذی خلقنی فهو یهدینی الی الرشد لا ما تعبدون وقال
صاحب الکشاف فهو یهدین الی کل ما یصلحه ویعنیه والا فمن هداه الی ان یغتذی بالدم فی البطن امتصاصا
ومن هداه الی معرفة الثدی عند الولاده والی معرفته دائرا ومن هداه الی کیفیه الارتضاع
والی غیر ذلک من هدایات المعاش والمعاد قال الامام انه تعالی اثنی علی نفسه بهذین الامرین
الذی خلق فسوی والذی قدر فهدی والخلق والهدایه بهما یحصل جمیع المنافع والانسان له قالب
من عالم الخلق وقلب من عالم الامر وترکیب القالب مقدم علی اعطا القلب یدل علی ذلک قوله تعالی فاذا سویته
اشاره الی تسویه القالب وتعدیله ونفخت فیه من روحی اشاره الی اللطیفه الربانیه التی من عالم الامر
وایضا قال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طین الایه وقال ثم انشاناه خلقا اخر اشاره الی الروح
الذی هو من عالم الامر ولاشک ان الهدایه من خواص الروح فقد ظهر بهذه الایات ان الخلق مقدم علی الهدایه
وظهر من هذا ان قوله الذی خلقنی فهو یهدین جامع لجمیع المنافع فی الدین والدنیا ذکر الخلق بلفظ الماضی
والهدایه بلفظ المضارع وان خلق الذات لا یتجدد فی الدنیا لما وقع نفی الامد المعلوم والهدایه تتکرر

کل

تتکرر کل وقت سوا کانت هدایه فی المنافع الدنیویه وذلک بان تحکم الحواس بتمییز المنافع من المضار او فی المنافع
الدینیه وذلک بان یحکم العقل بتمییز الحق عن الباطل والخیر عن الشر فبین بذلک انه تعالی هو الذی خلقه بسایر
ما تکامل به خلقه فی الماضی دفعه واحده وانه یهدیه الی مصالح الدین والدنیا بضروب الهدایات فی کل لحظه
ولمحه وثانیها قوله والذی هو یطعمنی ای طعام شا ویسقینی ای شراب شا وقیل والذی هو یطعمنی بلا طعام
ویسقینی بلا شراب یشبعنی ویروینی من غیر علاقه لقوله صلی الله علیه وسلم انی ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی
وقد دخل فیه کلما یتصل بمنافع الرزق فانه تعالی اذا خلق له الطعام وملکه فلو لم یکن منه ما یتمکن معه من اکله
والاغتذا به نحو الشهوه والقوه والتمییز لم تکمل هذه النعمه وذکر الطعام والشراب ونبه بذکرهما علی
ما عداه وثالثها قوله واذا مرضت فهو یشفین اسند المرض الی نفسه وان کان من الله تعالی لان قومه کانوا
یعدونه عیبا فاستعمل حسن الادب نظیرها قصه الخضر حیث قال فاردت ان اعیبها وقال فاراد ربک ان یبلغا
وقیل لما فیه من کراهه قال صاحب الکشاف وانما قال مرضت دون امرضنی لان کثیرا من اسباب المرض یحدث
بتفریط من الانسان فی مطاعمه ومشاربه وغیر ذلک ومن ثم قالت الحکما لو قیل لاکثر الموتی ما سبب اجالکم
لقالوا التخم قال الامام ان المرض انما یحدث باستیلا بعض الاخلاط علی بعض وذلک الاستیلا انما یحصل
بسبب ما بینها من التنافر الطبیعی اما الصحه فهی انما تحصل عند بقا الاخلاط علی اعتدالها وبقاوها علی
اعتدالها انما یکون بسبب قاهر یقسرها علی الاجتماع وعودها الی الصحه انما یکون ایضا بسبب قاهر
یقسرها علی الاجتماع والاعتدال بعد ان کانت بطباعها مشتاقه الی التفرق فلهذا السبب اضاف الشفا الیه
سبحانه وما اضاف المرض وعن جعفر الصادق واذا مرضت بالذنوب یشفینی بالتوبه ورابعها قوله
والذی یمیتنی ثم یحیین ادخل ههنا ثم للقطع والتراخی والمراد منه الاماته فی الدنیا والتخلیص عن
افاتها وعقوباتها والمراد من الاحیا الاحیا للمجازاه وقال اهل الاشارات یمیتنی عنی ویحیینی به
یمیتنی بالجهل ویحیینی بالعقل وخامسها قوله والذی اطمع ان یغفر لی خطیتی یوم الدین اسند
الخطیئه الی نفسه قیل خطیته قوله انی سقیم وقوله بل فعله کبیرهم هذا وقوله لساره هی اختی
زاد الحسن وقوله للکوکب هذا ربی وقیل هذه لیست خطیه ولا ذنب بل لکل واحد منها وجه
یصیر ابرهیم مثابا بها ماجورا فیکون اطمع بمعنی اتیقن ولا یجری علی ظاهره لانه شک وقیل خطیتی
خطیئه امتی فیکون الطمع علی اصله للشک وقیل تعبد ابرهیم بان یدعو بهذا الدعا کما تعبد بقوله
ولا تخزنی علی ظاهره لانه شک وقیل خطیتی خطیئه امتی فیکون الطمع علی اصله للشک وقیل تعبد
ابرهیم بان یدعو بهذا الدعا کما تعبد بقوله ولا تخزنی یوم یبعثون ومعلوم قطعا انه لا یخزی لکن
دعا الله بهذه الادعیه اظهارا للعبودیه ولیقتدی به غیره ویحتمل حمل ذلک علی ترک الاولی وقد یسمی
خطا فان من ملک جوهرا وامکنه ان یبیعها بالف دینار فباعها بدینار وقیل انه اخطا وترک الاولی
علی الانبیا جایز قال یغفر لی ای هو الذی اذا غفر کان غفرانه لی ولاجل امر عاید الیه
رب هب لی حکما والحقنی بالصالحین واجعل لی لسان صدق فی الاخرین واجعلنی
من ورثة جنة النعیم واغفر لابی انه کان من الضالین ولا تخزنی یوم یبعثون یوم لا ینفع مال
ولا بنون الا من اتی الله بقلب سلیم انه تعالی لما حکی عن ابرهیم علیه السلام ثناه علی الله ذکر بعد ذلک
دعاه ومسکنته وذلک تنبیه علی ان تقدیم الثنا علی الدعا من المهمات رب هب لی حکما قیل هو البیان عن
الشی علی ما یوجبه الحکمه الکلی بنبوه مقاتل فهما وعلما وقیل زدنی علما الی علم وحکمه والحکم الحکمه
والحقنی بالصالحین فی الاخری واجعل لی لسان صدق فی الاخرین ای ذکرا جمیلا وثنا حسنا وقبولا عاما
فی الامم الذین یاتون من بعدی وقیل اراد ان لا ینقطع النبوه من نسله وقیل اراد ان یجعل من ولده

من يقوم بالحق في اخر الزمان فاستجاب الله دعاه وجعل شجرة الانبيا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في اخر
الزمان من ذريته وكل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم لما طلب سعادة الدنيا
طلب بعده سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الاخرة بغنيمة
الدنيا وقيل جا بلفظ الوراثة لان المومنين يرثون منازل الكفار وقيل لان الوراثة اقوى سبب يقع به الملك وقيل
لانها تقع من غير تعب واغفر لابي لما فرغ من طلب السوالات الدنيويه والاخرويه لنفسه طلبها لاشد الناس
اختصاصا به وهو ابوه وقد ذكر المعنى الذي لاجله استغفار ابرهيم لابيه في سورة التوبه بما فيه الكفايه
ولا تخزني يوم يبعثون اي العباد او الضالين وقيل بسبب والدي اي ولا تخزني يوم يبعث الضالون
وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون كما ينفع في الدنيا يفدي ماله ويذب عنه بنوه وقيل المراد
بالبنين جميع الاعوان والاولى ان يقال اذا لم ينفع البنون الذين هم اشد تعلقا فغيرهم اولى ان لا
ينفع الا من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ماله الذي انفقه في طاعة الله وينفعه بنوه لانهم يشفعون فيه
قال صاحب الكشاف الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع وما ثوابها الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه
تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى
وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا غنى الا غنى من اتى بقلب سليم
لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثنا منقطعا
ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين
حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل
للاستثنا معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع الحسن سليم من الشرك مجاهد سليم
من الشك سعيد بن المسيب سليم صحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض الجنيد السليم في
اللغة اللديغ والمعنى كاللديغ من خوف الله الحسين بن الفضل سليم من افات المال والبنين وقيل سليم
من البدعة مطمين على السنة وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم
اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود
ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان ابرهيم عليه السلام ذكر في
صفة هذا اليوم امورا احدها قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقربت
الجنة للمتقين واظهرت الجحيم للكافرين يجوز ان يكون هذا على وجه الوعيد ويجوز ان تقاد بها
بالسلاسل كما جا في الاخبار انه يقال لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون وتزعمون انها
تشفع لكم وتقربكم الى الله تعالى هل ينصرونكم فتدفع عنكم او ينتصرون لانفسهم فهي في النار
معكم فكبكبوا ابن عباس جمعوا مجاهد دهوروا مقاتل قذفوا واصله كببوا فكررت
الكاف فيها هم والغاوون يعني الشياطين قتادة ومقاتل والكلبي كفرة الجن وجنود ابليس اجمعون
وهم اتباعه من اطاعه من الجن والانس قالوا اي الكفرة وهم فيها في النار يختصمون يخاصم
التابعون والمتبوعون يقول التابعون للمتبوعين غررتمونا حتى كذبتمونا ويقول المتبوعون
للتابعين بل ضللتم باختياركم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم بعد لكم برب العالمين

هذا

هذا من كلام التابعين واكدوا قولهم بالقسم وما اضلنا الا المجرمون اي كبراونا الذين دعونا
الى الضلال وامرونا به وقيل المجرمون الشياطين وقيل ابليس وقيل ذرية القابيل فما لنا من شافعين
من الاباعد ولا صديق حميم من الاقارب ينفعنا ويشفع لنا والحميم القريب وقيل الشفيق وقيل
حميم الرجل من يختصه من قولهم دعي فلان في الخاصة لا في العامة اي في الخاصة فلو ان لنا كرة رجعة
الى الدنيا فنكون من المومنين تمنوا حين لم ينفعهم ذلك ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا
الله واطيعون قالوا انومن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي
لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين قالوا لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
انه تعالى لما قص على محمد عليه السلام خبر موسى وابرهيم تسلية له فيما يلقاه من قومه اقتص عليه ايضا
نبا نوح وكان نباه اعظم من نباهم لانه كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذب به قومه
وقال كذبت قوم نوح قيل القوم مونثة وتصغيرها قويمة فلهذا ادخل التا في الفعل وقيل ادخل
التا للجماعة لقوله قالت الاعراب المرسلين يعني نوحا عليه السلام وحده لقوله تعالى يا ايها الرسل قال صاحب
الكشاف ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له
الا دابة وبرد وقيل انهم وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة
الرسل لا تختلف المعنى حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين عن الحسن قيل له يا ابا سعيد ارايت قوله تعالى كذبت
قوم نوح المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما ارسل اليهم رسولا واحدا قال ان الاخر جا بما جا به الاول
فاذا كذبوا واحدا فقد كذبوهم جميعا اذ قال لهم اخوهم لانه منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا
واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا الا تتقون الله
فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول امين على الوحي وعليكم غير خاين لكم وقيل امين الله ايتمنني
لرسالته وقيل صادق فيما بلغتكم وقيل امين عندكم قد عرفتموني بالامانة والصدق قبل اليوم
ولم اكن لاصدق فيما بيني وبينكم من الامور واكذب على الله فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في
طاعتي وما اسالكم عليه اي على ما انا ادعوكم اليه من اجر من مال وثواب ان اجري وثوابي
الا على رب العالمين فذلك ابدع فاتقوا الله واطيعون وكرره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم
مع تعليق كل منهما بصلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه منهم
قالوا اي قومه انومن لك واتبعك الواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد الارذلون
السفلة وقيل الاقلون مالا وجاها ابن عباس الحاكة عكرمة الحاكة والاساكفة وقيل الحجامون
وقيل الصنعة والخساسة وقيل المتكبرون وقيل انما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من
الدنيا وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال اتباع الانبيا
كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفا الناس واراذلهم قال ما زال اتباع الانبيا كذلك
قال نوح وما علمي بما كانوا يعملون انما لي منهم ظاهر امرهم وعلي ان ادعوهم وليس علي من خساسة
احوالهم ودناءة مكاسبهم شي ولم اكلف ذلك انما كلفت ان ادعوهم وقيل وما علمي واي شي علمي

والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله تعالى واطلاعه على سرائرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم
قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى
الله عنهم في قوله تعالى الذين هم اراذلنا بادي الراي قال صاحب الكشاف ويجوز ان يتغابى لهم نوح
فيفسر قولهم الاراذل بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة
عندهم ثم يبني جوابهم على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن
قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون قيل معناه اني لم
اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم وقيل الى ظاهرهم والله محاسبهم على ما في قلوبهم لو تشعرون ذلك
ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المومن رذلا
وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المومنين
اي بمبعدهم من عندي وليس من شهوتي وشاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطارد المومنين الذي صح
ايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يميز
به الحق من الباطل قالوا لئن لم تنته عما تقول لتكونن من المرجومين المشتومين قتادة المضروبين بالحجارة
ابن عباس ومقاتل من المقتولين قيل كل شي في القران من المرجومين فانه يعني به القتل الا التي في سورة
مريم لئن لم تنته لارجمنك فانه اراد لاشتمنك قال نوح رب ان قومي كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب
لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك
لاجل دينك ولاجلك ولكنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح فاحكم بيني وبينهم فتحا حكما والفتاح
الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني ومن معي من المومنين من عذاب
عملهم وقيل من عملهم لانه سبب العذاب فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد انجا نوح ومن
امن معه الباقين من قومه فاهلكناهم بالما ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية
تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سوا علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتبنون بكل ريع بكل مرتفع من المكان وقيل
الريع السبيل سلك اولم يسلك واصله في اللغة الزيادة مجاهد الريع فج بين جبلين ابن ابي نجيح
هو البنية الصغيرة وقيل المنظر عكرمة وادي مقاتل يسافرون ولا يهتدون الا بالنجوم فبنوا
على الطريق اميالا طوالا اعلاما ليهتدوا بها يدل عليه قوله اية اي علامة مجاهد ايضا الريع بنيان الحمام
دليله قوله تعبثون اي تلعبون وقيل اية علامة يجتمعون اليها للعبث بمن يمر في الطريق وقيل
جعل تفاخرهم بالابنية عبثا لا حاصل له وقيل المفعول محذوف تقديره اتبنون بكل ريع ابنية عظيمة
واية منصوب على انه مفعول له وتتخذون مصانع جمع مصنعة وهي ماخذ الما وقيل البنا على
الما وقيل ابنية كل بنا مصنعة وقيل قصور امشيدة وابنية محكمة وقيل حصونا لعلكم تخلدون
ترجون الخلود في الدنيا ابن عباس كانكم تبقون فيها خالدين وقيل تشبه حالكم حال من يخلد واذا
بطشتم سطوتم واخذتم بطشتم جبارين قتالين بغير حق قيل اذا انتقمتم انتقمتم انتقام الجبارين
بلا رافة ولا ابقا والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على

الغضب فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اعطاكم ما تعلمون والامداد اتباع
الثاني بما قبله شيا بعد شي على انتظام ثم ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات
وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا وقيل في الاخرى قالوا سوا علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت فان قيل لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر
والمعنى واحد اجيب بان المعنى ليس بواحد وبينهما فرق لان المراد سوا علينا افعلت هذا الذي
هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ من قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ
ان هذا الا خلق الاولين قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق بفتح الخا وسكون اللام ارادوا اختلاقهم
وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اي افتعلته قال الفرا العرب تقول للخرافات احاديث الخلق
والباقون بضم الخا واللام اي عبادة الاولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب
وقيل ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم
معتقدون وقيل ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الزمن
والدهر وقيل ان هذا الذي نحن فيه من اتخاذ الابنية في الريع والمصانع الا عادة الاولين وقيل ما
هذا الذي جيت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه من الاقوال فكذبوه فاهلكناهم بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون في ما هاهنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال
بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسو فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اتتركون في ما هاهنا اي في الدنيا امنين قيل يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا
يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك من الامن
والدعة فيما هاهنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا
ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل طلعها ثمرها هضيم قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال ونخل
بعد قوله وجنات والجنة تتناول النخل اول شي كما تتناول النعم الابل لذلك من بين الازواج
حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون بها الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل
قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر
تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم
يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو
اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم
وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفا وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون
فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني
اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الما وسلمت من
العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جا فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه

قيل ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين
بغير الف والباقون فارهين بالف والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة ابن عباس اشرين الضحاك
كيسين قتاده معجبين بصنعكم عبد الله بن شداد متخيرين لمواضع نحتها ابو عبيدة حاذقين بنحتها مجاهد
شرهين عكرمة ناعمين ابن زيد اقويا الكسائي بطرين ابو عبيدة مرحين الاخفش فرحين والعرب تعاقب
بين الحا والها مثل مدحته ومدهته ويجوز ان يكون فارهين وفرهين بمعنى واحد فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين المشركين استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا
على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري الذين يفسدون
في الارض ولا يصلحون اي فساد خالص مصمت ليس معه شي من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة
ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقله مجاهد وقتادة من
المخدوعين الكلبي وابو صالح عن ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب وقيل من السحر الرية
اي انما انت من اصحاب الرية يدل عليه قوله ما انت الا بشر مثلنا والسحت للحلقوم السقي والقوت
ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحموها في الشرب ولا تزاحمكم فيه ولا تمسوها بسوء بعقر واهلاك وضرب
عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف العذاب به لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها روي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب
فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا
اجمعين وكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم والعقر
ضرب الساق بالسيف وما يجري مجراها وقيل العقر الجرح فاصبحوا نادمين على عقرها حين راوا العذاب
وقيل اتاهم صالح بالمعجزات فامنوا به فلما مات ارتدوا ثم احياه الله فبعثه ثانيا اليهم فكذبوه فاتاهم
بالناقة فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين قال اني لعملكم من القالين قال رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله
اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اتاتون الذكران من العالمين
من الناس يعني اتاتون من بين اولاد بني ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اصنافهم وغلبة اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتهم وقيل اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من
الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد
بما خلق العضو المباح منهن بل انتم قوم عادون متجاوزون الحلال الى الحرام قال صاحب الكشاف
العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اتركبون مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته
عن نهينا وتقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه
من بلدنا قال لوط اني لعملكم يعني اللواط من القالين المبغضين اني لعملكم لقال كما تقول
فلان من العلما فيكون ابلغ من قولهم فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعرفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلي البغض الشديد كانه بغض يقلي

الفؤاد

الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلي من حيث الدين والتقوى ثم دعا لوط
عليه السلام فقال رب نجني واهلي مما يعملون اي من عقوبة عملهم وقيل اخرجني من بينهم حتى لا اراهم
وقيل نجني من مقاساة مخالطته وقيل اعصمني من عملهم فنجيناه واهله اجمعين عند نزول العذاب
وقيل فعصمناه واهله من ذلك الا عجوزا في الغابرين وهي امراة لوط بقيت في العذاب
والهلاك وقيل الا عجوزا في الغابرين فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة
عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثنا العجوز من الاهل وفي هذا الاسم
لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قيل في الغابرين صفة
للعجوز كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم اجيب بان معناه الا عجوزا
مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين الكافرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في
الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا
بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم
بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قرا ابن كثير ونافع وابن عامر اصحاب ليكة هاهنا
وفي ص بغير همزة والتا مفتوحة والباقون الايكة بالهمزة فيهما والجر والايكة الغيضة وهم قوم
شعيب بن زيد بعث الله نبيا شعيبا عليه السلام الى قومه واهل مدين واهل البادية وهم
اصحاب الايكة اذ قال لهم شعيب ولم يقل لهم اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب فلما ذكر
مدين قال اخاهم شعيبا لانه عليه السلام كان منهم قيل اصحاب الايكة غير اهل مدين فارسل
الله شعيبا الى امتين وقيل اصحاب الايكة كالبادية واصحاب مدين كالحاضرة وانما كانت دعوة
هولا الانبيا كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة للاخبار بان الحق الذي يدعون اليه
واحد وانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ
الاجر على الدعوة وتبليغ الرسالة اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين الناقصين حقوق الناس
في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اي العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوقهم وذكر
باعم الالفاظ الكيل في ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا ونهى عن
المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزايد وكان تركه عن النهي والامر دليل على انه ان فعله فقد
احسن وان لم يفعله فلا عليه ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا دخول الواو هاهنا لقصد معنيين كلاهما مناف
للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ثم قرره بكونه بشرا مثلهم وان
نظنك لمن الكاذبين اصلها ان المخففة من الثقيلة ولامها ان تفرقا على المبتدا والخبر لقولك ان زيد لمنطلق
فلما كان باب كان وباب ظن من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد
لمنطلقا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا قطعا جمع كسفة اي قطعة من السما من السحاب
او من المظلة ما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق

لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه ان كنت من الصادقين في انك مبعوث الينا فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السما قال شعيب ربي اعلم بما تعملون بعملكم وهو مجازيكم به وما علي الا الدعوه وقيل ان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السما فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشيه فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظله اي السحابه نحوها امر حوامن عذاب الظله ان ارادوا بالسما السحاب وان ارادوا المظله فقد خالف بهم عن مقترحهم انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين لما ختم ما اقتصه من خبر الانبيا ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو من وجهين الاول قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وذلك انه لفصاحته معجز فيكون ذلك امن رب العالمين او لانه اخبار عن القصص الماضيه من غير تعلم البته فلا يكون ذلك الا بوحي من الله وقوله بعده وانه لفي زبر الاولين كانه يولده لانه لما ذكر هذه القصص السبعه على ما هي موجوده في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يستغل بالتعلم والاستفاده دل ذلك على انه ليس الا من عند الله الى محمد صلى الله عليه وسلم وانه يعني القران لتنزيل اي لمنزل رب العالمين وذلك انه لفصاحته معجز نزل قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم نزل به بخفيف الزاي الروح الامين بالرفع والباقون مشدد الزاي الروح الامين بالنصب به بالقران والمراد بالروح الامين جبريل الذي هو امين على وحي الله الى انبيايه والتاديه على القرانين المتعدديه ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى لقوله سنقريك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين قيل متعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون يا محمد من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسه هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقيل متعلق بنزل فيكون المعنى نزله بلسان عربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به قال صاحب الكشاف وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربيه التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعده لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغه وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقدير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه يعني ذكر القران وخبره مقاتل يعني ذكر محمد ونعته لفي زبر الاولين اي في سائر الكتب السماويه وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفه في جواز القراه بالفارسيه في الصلوه على ان القران قران اذا ترجم بغير العربيه حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها

اولم يكن لهم ايه ان يعلمه علما بني اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغته وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون قال الامام هذا ذكر الحجه الثانيه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بيانه ان جماعه من بني اسرايل اسلموا ونصوا على مواضع في التوريه والانجيل ذكر فيها الرسول بصفته وقد كان مشركوا قريش يذهبون ويتعرفون منهم هذا الخبر وهذا ايدل دلاله ظاهره على نبوته لان تطابق الكتب الالهيه على نعته يدل قطعا على النبوه اولم تكن لهم انه قرا ابن عامر تكن بالتا ايه بالرفع فايه اسم وان يعلمه خبر والباقون بالياء ايه بالنصب فان يعلمه اسم وايه خبر وليست الاولى كالثانيه لوقوع النكره اسما والمعرفه خبرا والاولى ان يقال في يكن ضمير القصه وايه ان يعلمه جمله واقعه موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم ايه هي جمله البيان وان يعلمه بدلا عن ايه ويجوز مع نصب الايه تانيث يكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والمعنى اولم يكن لهم علم علما بني اسرايل ان النبي صلى الله عليه وسلم حق وان نبوته حق ايه اي علامه موضحه لان العلما الذين امنوا من بني اسرايل وجدوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوريه والانجيل عن ابن عباس بعث اهل مكه الى اليهود وهم بالمدينه يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوريه صفته فكان ذلك ايه لهم على صدقه ولو نزلناه يعني القران على بعض الاعجمين هو جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وفي لسانه عجمه واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزياده النسبه زياده تاكيد ولما كان من تكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجمي واعجم شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم فقراه عليهم بغير لغه العرب ما كانوا به مومنين وقالوا ما نفقه قولك كذلك سلكناه مثل هذا السلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم في الدنيا كما رات الامم المتقدمه وقيل في القيمه والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علما اهل الكتب المنزله قبله على ان البشاره بانزاله وتحليه المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يومنوا به وجحدوه وسموه شعرا تاره وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترايه ولو نزلناه على بعض الاعجمين الذين لا يحسنون العربيه فضلا ان يقدروا على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا او لتمحلوا لجحودهم عذرا او لسموه سحرا ثم قال لذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا امكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفه من الكفر به والتكذيب له وصفناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وموقع لا يومنون به من قوله سلكناه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لبيانه مكذبا بمجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مومن به فياتيهم بغته وهم لا يشعرون وليس معنى التعقيب في قوله فياتيهم فيقولوا ترادف رويه العذاب ومفاجاته وسوال النظره فيه في الوجود وانما المعنى ترتيبها في الشده كانه قيل لا يومنون بالقران حتى يكون رويتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاه فما هو اشد منه وهو سوالهم النظره ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شده الامر على المسي وانه يحصل له بسبب الاساه مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه فيقولوا عند

نزول العذاب هل نحن منظرون اي موخرون لنؤمن ونصدق قال مقاتل فلما وعدهم رسول
الله بالعذاب قالوا متى هو تكذيبا به فقال الله افبعذابنا يستعجلون فيقولون مرة امطر
علينا حجارة ومرة يقولون لن نؤمن لك الاية افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمعزولون ان متعناهم سنين في الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون في الدنيا ما اغنى عنهم
لم يدفع عنهم ما كانوا يمتعون بتمتعهم اي لا معنى لاستعجالهم العذاب فانه اذا اتاهم ولو بعد
العمر الكثير لم يغن عنهم تمتعهم بالدنيا ما قبل ذلك ولان العذاب ياتيهم ولو بعد حين فيل ان استعجالهم
بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير واقع ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال
في سلامة وامن وطيب عيش ثم قال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاوا اتكالا
على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك
ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وما اهلكنا من قرية بالعذاب
الا لها منذرون اي لم نهلك اهل قرية من القرى التي تقدمت في السورة وغيرها الا
لاهلها منذرون ينذرونهم ويذكرونهم ورسول يرشدونهم ويعظونهم وما كنا ظالمين فنعذبهم قبل
الاعذار والانذار وجمع المنذرين لان المقصود من القرية العموم والدليل عليه دخول
من وقيل المراد بهم النبي واتباعه المظاهرون له ذكرى منصوبة على المصدر اي تذكر وتخص
ذكرى ويجوز ان تنتصب بقوله منذرين كقولهم قعد القرفصاء رجع القهقرى وقيل منصوبة
بمعنى يذكرون اما لان انذر وذكر متقاربان وكانه قيل مذكرون بذكرى ويجوز ان يكون منصوبة
على الحال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة وقيل منصوبة لانها مفعول لها
على معنى انهم ينذرون لاجل ذكرى والعظة وقيل مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى
هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى وقيل جعلهم تفرغ لذى
لاسرافهم وامعانهم في التذكر واطنابهم فيه وقيل ذكرى متعلقة باهلكنا مفعول له والمعنى
وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم
ليكون اهلاكهم تذكرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير
ظالمين الا لها منذرون الجملة صفة لقرية وما تنزلت به اي بالقرآن الشياطين بل نزل
به الروح الامين كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين
على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل على الشياطين وما ينبغي لهم ان يصلح ان ينزلوا به وما
يستطيعوا ان ينزلوا بالقرآن على احد انهم عن السمع لمعزولون مرجومون بالشهب معزولون
عن استماع كلام السماء فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين وانذر
عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون
قيل امر بانذارا لاقرب فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبدء ثم بمن يليه وان
تقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربوا
في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربوا العباس وقيل امر بان لا ياخذه
ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف روى البخاري
ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم
من الله شيا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيا
وفي بعض الالفاظ سلوني من مالي ما شئتم واخفض جناحك لين جانبك لمن اتبعك من المومنين
وجناحا العسكر جانباه الطاير اذا اراد ان يحط كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض
للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب فان قيل
المتبعون للرسول هم المومنون والمومنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المومنين
قيل سماهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك وقيل اراد بالمومنين المصدقين
بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد
منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما
الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم اي انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض
لهم جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك فقل لهم اني بريء مما تعملون
من عبادة الاوثان ومعصية الرحمن وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في
كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله
كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قرا نافع وابن عامر
فتوكل بالفاء كذلك في مصاحف اهل المدينة والشام والباقون بالواو وتوكل على
العزيز الذي يقهر اعداك بعزته الرحيم الذي ينصرك برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو كالسبب والعلامة لتلك الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتقلبك في الساجدين ابن عباس ومقاتل حين تقوم الى الصلوة الحسن حين تخلو وقيل
حين تقوم من مقامك وتقلبك ويرى تقلبك في الساجدين عكرمة عن ابن عباس تقلبك في
اصلاب الانبيا من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا قتادة يرى تقلبك في صلاتك في الركوع
والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة والمعنى يراك وحدك ويراك في الجماعة وقيل
حين يراك ويرى تقلبك في تصفح احوال المتهجدين الساجدين من اصحابك لتطلع
عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لاخرتهم
انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم اعاد الشبهة المتقدمة واجاب
عنها من وجهين هل انبئكم على من تنزل الشياطين فانهم لا يتنزلون على الانبيا ولا يقدرون
على ان ينزلوا عليهم تنزل على كل افاك كذاب كاهن ساحر اثيم كثير الاثم كمسيلمة وطليحة وسجاح
وسطيح يلقون السمع يعني يستمعون من الملايكة هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون
الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى
اوليايهم واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون به كذبا كثيرا وهم الان محجوبون وقيل يلقي الشياطين
الكهنة يلقون اليهم شيا ويزيدون فيه الكذب وقيل الكفار يسمعون من الجن ما يوسوسون
به ويقبلونه وقيل اكثر الشياطين وقيل اكثر الكهنة والشياطين كاذبون قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر
الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين

معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت
حرف الجر على من فقدر الهمزة على حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك
اعلى زيد مررت يلقون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع ويجوز ان يكون في
محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع ويجوز ان لا يكون له محل بان يستانف كان قائلا قال
لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون السمع قال صاحب الكشاف فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وبين اخوات قلت اريد التفريق
بينهن بايات ليست في معناهن ليرجع الى المجي بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان
المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت عناية الله تعالى لها ومثاله ان يحدث الرجل
بحديث وفي صدره اهتمام بشي منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه
والشعراء مبتدا خبره قوله يتبعهم الغاوون اي لا يتبع الشعراء على باطلهم وكذبهم وفضول
قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون
والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الشياطين وقيل هم الذين يسرقون قلوب الناس بالباطل
واراد بهم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب ومسافع عبد مناف وابا عزة
الجمحي وامية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب
من قومهم يسمعون اشعارهم واهاجيهم قرا نافع يتبعهم بسكون التا والباقون بتشديدها
الم تر انهم في كل واد من اودية الكلام يهيمون الكسائي الهايم الذاهب على وجهه ابو عبيدة
الهايم المخالف للقصد ابن عباس في كل لغو يخوضون قتادة يمدحون قوما بباطل ذكر الوادي
والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة
حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا
التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله
فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين
قد درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم انه سبحانه استثنى الشعراء المومنين
الصالحين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وكعب بن زهير فقال
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اي في شعرهم وقيل في كلامهم
ودعابهم وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوا في توحيد الله والثناء عليه
والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة وصلحا الامة وانتصروا من المشركين من بعد ما ظلموا لان المشركين بدوا بالهجاء
اوعد شعرا المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله والمومنين
اي منقلب منصوب بقوله ينقلبون لا بقوله سيعلم لان ايا وساير اسما الاستفهام لا يعمل فيها
ما قبلها ومعنى الكلام انهم ينقلبون الى نار يخلدون فيها قال صاحب الكشاف ختم السورة باية
ناطقة بما لا شي اهيب منه ولا اهول ولا انكا لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين
وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي
منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف

الصالح يتواعظون بها

سورة النمل

وهي ثلث وتسعون اية والف ومايه وسبع
واربعون كلمة واربعة الف وسبع مايه وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات
القران وكتاب مبين هدى وبشرى للمومنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم
يوقنون عن ابن عباس في رواية انه قسم اقسم الله به وهو من اسمايه وعنه في رواية اخرى هو اسم
الله الاعظم قتاده اسم من اسما القران وقيل الطا من اللطيف والسين من السميع وقال اهل
الاشارة هي اشارة الى طهارة سر حبيبه عليه الصلوة والسلام قرا حمزة والكسائي بالامالة والباقون
بالتفخيم تلك اشارة الى ايات السورة اي ايات السورة ايات القران وكتاب مبين هو اللوح المحفوظ
وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو تنبيه للناظرين وقيل وكتاب مبين هو السورة او القران وابانتهما
انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة
الايات الى القران وكتاب مبين على سبيل التفخيم لها لان المضاف الى العظيم عظيم بالاضافة اليه
ونكر كتاب مبين ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وعطف
كتاب مبين على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى كقولك هذا فعل العالم والنحرير
الفاضل لان القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات
المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين قال صاحب الكشاف
لا فرق بين هذا وبين قوله في الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الا ما بين المعطوف والمعطوف
عليه من التقدم والتاخر وذلك جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب نحو قولك
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقيل القران والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله
عليه وسلم ووصفان لانه يقرا ويكتب فحيث جا بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جا بلفظ التنكير فهو الوصف
وان شئت قلت هما يجريان مجرى العباس وعباس فهو في الحالتين اسم علم هدى وبشرى في محل
النصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة ويجوز ان يكون
في محل الرفع على ان يكون بدلا من الايات او خبر مبتدا محذوف اي هي هدى وبشرى او
خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى وبشرى للمومنين بانها ايه في هذا اهم
ومستمرة الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون قال صاحب الكشاف
وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدايية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار
معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولا الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان
خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون اوليك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون لما بين ما للمومنين
من الهدى والبشرى اتبعه بما على الكفار من سوء العذاب كما في سورة البقرة ان الذين لا يومنون
بالاخرة زينا لهم اعمالهم اصحابنا اهل السنة اجروا الاية على ظاهرها بمقتضى قوله قل كل من
عند الله واما المعتزلة فانهم عدلوا عن الظاهر بمقتضى مذهبهم قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشياطين في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم
قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة والى الله تعالى مجاز وله طريقان
في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز
الحكمي والطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه
اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه

التكاليف الصعبة والمشاقة المتعبة فكأنه زين بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة ولكن متعتهم
وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى زين لهم ملابسة ظاهرة
للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات اعمالهم القبيحة حتى راوها حسنة فهم يعمهون
يتحيرون يترددون في ضلالتهم وقيل زينا لهم اعمال الخير التي امرناهم بها ووجب عليهم ان
يعملوها فهم يعمهون عنها يتحيرون فيها ويترددون والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال
عن الطريق وقيل يتمادون وقيل يلعبون اولئك الذين لهم سوء العذاب في الدنيا الاسر والقتل
يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا بالآخرة لكانوا من الشهداء
على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وحرمان الثواب والمنع من دخول الجنات
وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم وانك لتلقى لتؤتى القران وقيل لتاخذ وقيل لتلقن
من لدن حكيم اي حكيم عليم اي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد
ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه
اذ قال موسى لاهله اني انست نارا ساتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون اذ منصوب
بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذوا من اثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز
ان ينتصب بعليم اذ قال موسى لاهله في مسيره من مدين الى مصر قيل لم يكن مع موسى عليه
السلام غير امراته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو
قوله ساتيكم اني انست ابصرت نارا ساتيكم من النار بخبر اي بدلالة على الطريق وكان قد ضل
الطريق وقيل ساخبركم عنها بعلم او اتيكم بشهاب قبس قرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب بالتنوين
قبس بدل او صفة لما في الشهاب من معنى القبس والقبس النار المقبوسة يقال قبست منه
نارا اقبس قبسا فاقبسني اي اعطاني منه قبسا والباقون بالاضافة غير منون لان الشهاب
يكون قبسا وغير قبس وساتيكم منها بخبر ولعلي اتيكم منها بخبر لانه اخبر بهما لان الراجي يقول
اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة وجاء بسين التسويف عدة لاهله
انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة وجاء باو دون الواو على انه ان لم يظفر
بهذين المقصودين ظفر بواحد منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة
الله تعالى بانه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار
لحاجته جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة لعلكم تصطلون لتصطلوا اي لتستدفئوا من
البرد والصلاء النار العظيم فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما راها تهتز
كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انه لا يخاف لدي المرسلون فلما جاء موسى النار
التي ابصرها نودي جاءه النداء وهو الكلام المسموع ان بورك ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول
والمعنى قيل له بورك ولا يجوز ان تكون ان هي المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك
والضمير ضمير الشان لانه لا بد من قد ولا يصح ان يضمر قد لانها علامة لا تحذف بورك من
في النار ومن حولها مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة
في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ابن عباس وسعيد ابن
جبير والحسن يعني قدس من في النار وهو الله سبحانه عنى به نفسه عز وجل
وتاويل هذا القول انه قدس من ناداه من النار لا ان الله عز وجل في النار لانه منزه عن ان
يحل

يحل في شيء مجاهد من زائدة والمعنى بوركت النار وقيل المعنى بورك على من في النار او فيمن في
النار قال الفراء والعرب تقول باركه الله وبارك عليه وبارك فيه بمعنى واحد والتقدير
بورك فيمن في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف فهذه تحية من الله لموسى بالبركة كما حيا
ابرهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
فخرج في قوله بورك قولان احدهما قدس والاخر من البركة وقيل قدس من في النار انه كان فيها
لا على تمكن الاجسام لكن على معنى انه نادى موسى عليه السلام منها واسمعه كلامه من جهتها واظهر له
ربوبيته من ناحيتها روي انه مكتوب في التورية جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلا به
من جبال فاران فمجيئه تعالى من سيناء بعثته موسى عليه السلام منها ومن ساعير بعثته عيسى عليه
السلام منها واستعلاؤه من جبال فاران بعثته المصطفى صلى الله عليه وسلم منها فاران مكة وقيل
كانت النار نوره عز وجل وانما ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا والعرب تضع
احدهما موضع الاخر سعيد بن جبير كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله يدل عليه ما روى ابو موسى
الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النار
لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره ثم قرا ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان
الله رب العالمين وقيل معنى بورك من فيها وحواليها حدث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه
له واظهار المعجزات اليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها
ويبث اثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك
فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليه
من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم
وكفاتهم احياء وامواتا ومعنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة له بانه قد قضي امر عظيم
تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة ومن حولها ابن عباس والحسن الملائكة محمد بن كعب موسى
والملائكة وقيل موسى وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر
مريده ومكونه رب العالمين وقيل هذا من جملة ما نودي وانه سبحانه نزه نفسه عما لا يليق به من
الاوصاف وقيل انه كلام موسى لما دهاه الامر العظيم يا موسى انه الضمير في انه ضمير
الشان والشان انا الله مبتدا وخبر العزيز الحكيم صفتان للخبر وقيل الضمير يعود الى المنادي الذي
دل عليه ما قبل اي ان مناديك انا الله بيان لانا العزيز الحكيم صفتان له وهذا تمهيد لما اراد
ان يظهره على يده من المعجزات يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية
الحكيم الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك معطوف على بورك لان المعنى نودي ان
بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار
وقيل له الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني
انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر فلما راها تهتز
تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقيل شبهها بالجن ولى موسى مدبرا اعرض عنها
وجعلها تلي ظهره ولم يعقب ولم يرجع ولم يلتفت يقال عقب الرجل اذا رجع يقاتل بعد ان
ولى وقيل معناه لم ينتظر لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون المعنى لا يخاف

المرسلون في الموضع الذى يوحى فيه اليهم لان المرسلين اخوف من الله من غيرهم قوله تعالى
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو فانى غفور رحيم لما اطلق نفى الخوف على الرسل كان ذلك مظنة لطرو
الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اى فرطت منهم صغيرة مما يجوز على الانبيا كالذى فرط
من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزه القبطى ويوشك ان يقصد
بها التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى
رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ابن جريج قال الله لموسى انما اخفتك لقتلك النفس الحسن وكانت
الانبيا تذنب فتعاقب ثم تذنب والله فتعاقب ابن جريج معنى الايه لا يخيف الله سبحانه الانبيا
عليهم السلام الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فقوله تعالى الا على هذا
التاويل استثنا صحيح وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حال من ظلم من الرسل
وغيرهم من الناس وفى الايه متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها فمن ظلم ثم بدل
حسنا بعد سو فانى غفور رحيم وقيل ثم بدل متصل بالاول والتقدير وان بدل حسنا بعد
سو وقيل الاستثنا منقطع والتقدير لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف على الظالمين ثم استثنى
فقال الا من ظلم اى كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنا بعد سو فذلك مغفور له وليس بخائف
وقيل انما معنى الايه الا من ظلم فعليه الخوف فاذا تاب ازال الله عنه الخوف قوله تعالى وادخل
يدك فى جيبك تخرج بيضا من غير سو فى تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
وادخل يدك فى جيبك عطف على والق عصاك الجيب حيث جيب من القميص اى قطع انما امر بادخال
يده فى جيبه لانه كان عليه حينئذ مدرعة من صوف ليس لها كم تخرج بيضا من غير سو برص وآفة
فى تسع ايات الى فرعون ونحو فقلت الى الطعام فقال فريق منهم تحسد الانس الطعاما
وقيل فى تسع متعلق بقوله والق عصاك وادخل يدك اى والق عصاك وادخل يدك فى جيبك فى
تسع ايات اى فى جمله تسع ايات وعدادهن وقيل تقديره هذه ايه فى تسع ايات انت مرسل بهن
الى فرعون وقومه فترك ذكر مرسل لدلالة الكلام عليه وقيل من تسع ايات لعطى تمامها وقيل مع تسع
ايات لان الايات كانت احدى عشر ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسه والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم قوله تعالى
فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة منيرة ظاهرة بينة يقال ابصر النهار اضا جعل الابصار
للايات وهو فى الحقيقه لمتاملها لانهم لابسوها وكانوا بسببها نظرهم وتفكرهم فيها وقيل مبصرة
تجعلهم بصاير وقيل جاعلة لهم بصاير وقيل يبصر الحق من الباطل وقيل يبصر من ينظر اليها وقيل
فاعل بمعنى مفعول كما دافق وعيشة راضيه قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها ولم يقروا والجحود
الانكار مع العلم يقال جحد حقه وبحقه جحدا وجحودا والجحد ايضا قلة الخير وقيل البا زايده
وقيل با السبب اى انوا الحجر عنهم بسبب الايات اى بسبب ردهم ايات الله وتكذيبهم جاملها
واستيقنتها الواو للحال وقد بعدها مضمرة اى وقد استيقنتها انفسهم انها من عند الله
ظلما وعلوا اكبرا وترفعا عن الايمان بما جاء به موسى وفايدة ذكر انفسهم انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها
فى قلوبهم وضمايرهم والاستيقان ابلغ من الايمان والمعنى وجحدوا بها ظلما وعلوا اى ترفعا عن
الايمان بما جابه موسى وهم يعلمون انها من عند الله واى ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن
انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من

اي كان

اى كان الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرة قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمن علما
وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين ولقد اعطينا داود وسليمان علما
طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا وقيل علما بالدين والحكم وقيل فهما وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم
وقيل علم منطق الطير وقيل علم الكيميا وهو ضعيف بل ليس بشى وقالا اى داود وسليمن
الحمد لله الذى فضلنا على كثير وعطفه بالواو دون الفا وان كان الموضع موضع الفا كقولك اعطيته
فشكر ومنعته فصبر مشعر بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشى من مواجبه فاضمر ذلك
ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمه فيه والفضيله
وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يوت علما ومن لم يوت مثل علمهما وفيه
انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الايه دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته
واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجل القسم وان من اوتيه فقد اوتى فضلا على كثير من
عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة
الانبيا الا لمدانا تهم لهم فى الشرف والمنزله لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمه
الفاضله لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيه التذكير بالتواضع
وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس
افقه من عمر قوله تعالى وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شى ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت
على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وورث
سليمان داود النبوة والملك والعلم دون ساير اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة
عشر ابنا مقاتل كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من داود عليه السلام واقضى منه
وكان داود اشد تعبدا منه وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال سليمان يا ايها الناس علمنا
منطق الطير المنطق استعارة فى غير بنى ادم وحسن ههنا لان سليمان فهم معنى صوت الطير فجرى
فى حقه مجرى النطق وقيل كانت الطير تكلمه معجزة له كقصة الهدهد وقيل يجوز ان يسمى
صوت الطير منطقا لان لبعضها كلاما مفهوما كالببغا وقيل لما فهم مرادها باصواتها سمى
منطقا والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد وقالت العرب نطقت
الحمامه وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم
بعضه من بعض من معانيه واغراضه يحكى ان سليمان مر على بلبل فى شجرة يحرك راسه
ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول اكلت
نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وطاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول من لا يرحم لا
يرحم فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله
وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامه فقال
تقول سبحان ربى الاعلى مل سماه وارضه وصاح قمرى فقال يقول سبحان ربى الاعلى

من سماه وارضه وصاح قمري فقال يقول سبحان ربي الاعلى والحدا تقول كل شي هالك الا وجهه
والقطا تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعه تقول سبحان المذكور بكل مكان واوتينا من كل
شي اراد كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شي تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة
في العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شي وقيل من كل شي من علم كل شي احتجنا
اليه وقيل من كل شي يوتي الانبيا وقيل من كل شي يطلبه طالب حاجه وقيل من كل شي من الخيرات وقيل
فهم ما يسبح به الطير فحسب وقيل من كل شي يوتي البشر ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل
الشكر والحمد كما قال رسول الله انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله
فخرا فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين اجيب من وجهين احدهما ان يريد
نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا وكلم اهل طاعته
على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد وفد واحتاج ان يرجح في
عين واحد الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتايب وحشر
لسليمان وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسير له فهم يوزعون يحبس اولهم
على اخرهم حتى يجتمعوا وذلك انه عليه السلام جعل على كل صنف منهم وزعه ترد اولها على اخرها
لئلا يتقدموا في المسير اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم وذلك للكثرة العظيمه ابن عباس يوزعون يدفعون مقاتل يساقون السدي يوقفون
واصل الوزع الكف والمنع ومنه الحديث ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران
وقال الشاعر عاتبت المشيب على الصبى وقلت الما يصح والشيب وازع روي ان معسكر
سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة
وعشرون منها للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلثمايه صريحة وسبع مائة سرية فامر الريح العاصف فحملته وامر
الرخا فسيرته فاوحى الله اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك
انه لا يتكلم احد من الخلق بشي الا جات الريح فاخبرتك به ونسجت الشياطين لسليمان عليه السلام
بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان له منبر يوضع في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلثة الف كرسي من ذهب وفضه يقعد الانبيا عليهم السلام على كراسي الذهب
والعلما على كراسي الفضه وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلله الطير
باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح
ومن الرواح الى الصباح روي ان سليمان ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر الحراث
اليه فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فحملته الريح كلامه والقته في اذن سليمان
فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك وانما مشيت اليك لان لا تتمنى ما لا تقدر
عليه لتسبيحه واحده يتقبلها الله خير مما اوتي آل داود فقال الحراث اذهب الله
همك كما اذهبت همي حتى اذا اتوا اي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل وانما عدي بعلى
اما لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا واما ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره
من قولهم اتى على الشي اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي

عليه
صح

الاحين

قالت

قالت نملة تمشي وكانت عرجا مثل الذيب في العظم فنادت النمله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لما وصف النمل بالمخاطبه وهي من افعال العقلا وصفها كما يوصف العقلا لا يحطمنكم سليمان وجنوده
في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقه نهي لهن عن البروز والوقوف فصار كقول القايل لا ارينك
ها هنا اي لا تحضر هذا الموضع عن قتاده انه دخل الكوفه فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شيتم
وكان ابو حنيفه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اذكرا كانت ام انثى فافحم فقال ابو
حنيفه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نمله ولو كانت ذكرا لقال قال
نمله وذلك ان النمله مثل الحمامه والشاه في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامه نحو قولهم
حمامه ذكر وحمامه انثى والحطم الكسر وقيل لا يحطمنكم جواب للامر ويجوز ان يكون نهيا بدلا من الامر
والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقه لا ارينك ها هنا
اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجا بما هو ابلغ ويجوز عجبت من نفسي ومن اشفاقها وهم لا يشعرون ابن
عباس اصحاب سليمان لا يشعرون بكلام النمله مقاتل اصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم لانها علمت
انه ملك لا بغي فيه وانهم لو علموا بالنمل ما وطوهم فتبسم سليمان ضاحكا منصوب حال موكده لان تبسم
بمعنى ضحك وقيل معنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه اي تجاوز حد التبسم الى الضحك
وكذلك ضحك الانبيا قال المفسرون تبسم سليمان تعجبا مما قالت وقيل من ثنايها عليه وقيل الحجابه بما دل
من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها
وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا قال بعض العلما هذه الايه من عجايب القران لانها بلفظة
يا نادت انها نبهت النمل عسى ادخلوا امرت مساكنكم نصت لا يحطمنكم حذرت سليمان خصت وجنوده
عمت وهم لا يشعرون عذرت من قولها وقال رب اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي عندي والفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر
والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمه الراجعه الى الدين فانه اذا كان تقيا
نفعهما بدعايه وشفاعته وبدعا المومنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك
وروي ان النمله حست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوى فامر سليمان الريح فوقفت لئلا
يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوه وان اعمل صالحا عطف على قوله ان اشكر اي الهمني
ان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك الجنه في عبادك الصالحين في جملة الانبيا ولا يدخل احد الجنه
الا برحمتك   وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه
عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به
وجيتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا في السموات والارض ويعلم
ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وتفقد الطير اي طلبها
وتعرفها وبحث عنها فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي قرا ابن كثير وعاصم والكسايي مالي
بفتح اليا والباقون بسكونها قيل المعنى ما للهدهد لا اراه تقول العرب مالي اراك كيبا
اي ما لك فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم وقيل نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم
يبصره فقال مالي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح
له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسال عن صحة ما لاح له

وبحو قولهم بخفا لا ابل امرسا وذكر من قصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بنا
بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين
والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخا فحملتهم فلما وافى الحرم اقام به ما شا الله
ان يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة الف ناقة وخمسة الف ثور وعشرين الف شاه
وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على
جميع من ناواه ويبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا ياخذه في الله لومة
لايم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به وصدقه
قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال زها الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغايب فانه سيد
الانبيا وخاتم الرسل وان اسمه لمثبت في زبر الانبيا فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم احب ان
يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن وكان الهدهد دليله على الما وكان
يرى الما من تحت الارض كما يرى احدكم كاسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الما وبعده
ثم يجي الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما فتفقده لذلك وحين نزل
سليمان قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما فانظر الى طول الدنيا
وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا
هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير
فقال عفير اليمني ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان
قال عفير ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والريح
فمن اين انت قال عفير من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان
لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كله وتحت
يدها اثني عشر الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر
الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلوة اذا احتاج الى الما قال عفير ان صاحبك
ليسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان عليه
السلام الا وقت العصر فلما نزل سليمان ودخل وقت الصلوة وطلب الهدهد وذلك
انه نزل على غير ما فسال الانس عن الما فقالوا ما نعلم ها هنا ما فسال الجن والشياطين فلم يعلموا
فتفقد الهدهد ففقده قال ابن عباس وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع
الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك
ما ادري اين هو وما ارسلته مكانا فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا
او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين ثم دعا بالعقاب سيد الطير فقال علي بالهدهد
الساعة فرفع العقاب نفسه دون السما حتى التزق بالهوا فنظر الى الدنيا كالقصعة بين
يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب
نحوه يريده فلما راى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسو فناشده فقال بحق الله الذي
قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركه وقال ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال
وما استثنى قال بلى او لياتيني بعذر مبين ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر
تلقاه النسر والطير فقالوا له اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما
قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى قال او لياتيني بعذر مبين ثم طار الهدهد

والعقا

والعقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبي الله
فلما قرب الهدهد منه رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان
فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه ثم ساله فقال ما الذي ابطا
بك عني فقال الهدهد ما اخبر الله في كتابه ثم ساله تعذيبه ان يودب بما يحتمله حاله ليعتبر به
ابنا جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس
وقيل ان يلقى للنمل ياكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه
صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه
قال صاحب الكشاف فان قلت قد حلف على ثلاثة اشيا فحلفه على فعله لا اشكال فيه ولكن كيف صح
حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول او لياتيني بسلطان مبين
قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قوله ليكونن احد الامور يعني ان
كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية
على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او
لياتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان قرا ابن كثير لياتينني بنونين والباقون بنون واحدة
فمكث قرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان والمعنى لم يلبث الا يسيرا حتى جا فقال
سليمان ما الذي ابطا بك فقال احطت بما لم تحط به اي علمت شيا من جميع جهاته مما لم تعلم الهم الله
الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلا له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما
بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو
فطنة العلما قيل وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في
زمانه احد اعلم منه وجيتك من سبا قرا ابن كثير وابو عمرو نصبا غير مصروف والباقون خفضا
منونا وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبا رجل من العرب قتادة هي ارض
باليمن فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب الاكبر صرف ثم سميت مدينة
مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن ادد ويحتمل ان تراد المدينة
والقوم بنبا بخبر له شان من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن
الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصنعة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه
صحة المعنى وسداده يقين صادق واني وجدت امراة هي بلقيس بنت شراحيل تملكهم اي اهل
سبا وكان ابوها ملك اليمن كله قد ولد اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك
وكانت هي وقومها يعبدون الشمس واوتيت من كل شي يحتاج اليه الملوك من الابنية
والالة والعدة ولها عرش عظيم سرير ضخم حسن وكان مقدمه من ذهب مفضض بالياقوت
الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلله بالوان الجواهر وله اربع قوايم قايمة من ياقوت
احمر وقايمة من ياقوت اخضر وقايمة من زمرد وقايمة من در وعليه سبعة ابيات على
كل بيت باب مغلق وقال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا
وطوله في الهوى ثلاثون ذراعا وقال مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا
وطوله في الهوى ثمانون ذراعا وجدتها اي بلقيس وقومها يسجدون للشمس من

ثم يبتدى ح

دون الله الحسن كانوا مجوسا وزين لهم الشيطان اعمالهم التى كانوا عليها من سجودهم للشمس
فصدهم الشيطان عن السبيل اى عن سبيل التوحيد والحق الذى يجب ان يسلكوه اذ لا سبيل غيره
فهم لا يهتدون الى الحق الا يا اسجدوا واقرا الكسائى الا با التخفيف على معنى الا يا هولا اسجدوا وا
جعله امرا من الله مستانفا وحذف هولا اكتفا بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعا من العرب الا يا ارحموا
الا يا تصدقوا علينا يريدون الا يا قوم فعلى هذه القراة اسجدوا فى موضع جزم على الامر والوقف
على الا يا اسجدوا وقرا الباقون الا يا اسجدوا با التشديد على معنى وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا
يسجدوا لله فان فى موضع نصب ويسجدوا نصب بان لله الذى يخرج الخبء الخفى المخبو فى السموات
والارض من خبات الشى اذا اخفيته وقال المفسرون خبء السموات المطر وخبء الارض النبات
والمعنى يعلم الغيب فى السموات والارض وقيل فى بمعنى من تقديره يخرج الخبء من السموات
والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون قرا الكسائى وحفص عن عاصم بالتا فيهما والباقون
باليا الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد يجحد سته
ويعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى السموات والارض جلت قدرته
ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذى الفراسة الناظر بنور الله ان دقايق كل صنعة ولطايف
كل فن من العلوم انما هو بالهام الله وسجود التلاوة واجبة فى القراتين جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى
ذم للتارك وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه
قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ثم ان سليمان عليه السلام اخر امر الهدهد الى ان يتبين له حقه
من باطله فسوفه بالنظر فى ذلك قال سليمان سننظر من النظر الذى هو التامل والتصفح واراد
صدقت ام كذبت الا ان من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك
الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر فلم يوثق به اى قال سليمان
سنعرف اصدقت فيما اخبرت فتكون معذورا فى غيبتك ام كنت من الكاذبين فيما اخبرت به
فيحل بك ما توعدتك ثم ذكر ما يعرف به صدق الهدهد فقال اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم اطرحه
اليهم لانه لا يشاله ايصاله هذه ثم تول تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بسمع
منك قيل امره بالتولى حسن ادب ليتنحى حسب ما يتادب به مع الملوك وقيل فيه تقديم وتاخير
اى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وقيل معنى ثم تول عنهم اسرع الانصراف وقيل
معنى فانظر فانتظر ماذا يرجعون قيل يردون وقيل يجيبون وقيل يرجعون بينهم فى الكلام
من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول قيل دلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى
الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمن بن داود
الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على واتونى مسلمين
ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله فى كتابه انه وانه قيل كان سليمان ابلغ الناس فى
كتابه واقله املا قتاده وكذلك الانبيا عليهم السلام كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون
فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم فكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون قرا عاصم وابو عمرو وحمزه
باسكان الها وقالون يختلس كسرتها فى الوصل والباقون يشبعونه فيه اليهم على لفظ

الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه
بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك فاخذ الهدهد
الكتاب واتى به بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعا على ثلثة ايام فوافاها فى قصرها
وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت راسها
واوت الى فراشها فاتاها الهدهد وهى نايمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها مقاتل
حمل الهدهد الكتاب على منقاره فطار حتى وقف على راس بلقيس وحولها القادة والجنود فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المراة راسها فالقى الكتاب فى حجرها ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة
الشمس يقع الشمس فيها حين يطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجا الهدهد تلك الكوة فسدها بجناحه
فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب
وكانت كاتبة قارية عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رات الخاتم ارعدت وخضعت
لان ملك سليمان عليه السلام كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل هذا الكتاب هو اعظم ملكا منها لان
ملكا رسله الطير انه لملك عظيم فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فجات حتى قعدت على سرير
ملكها وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر الف قايد مع كل قايد مائة الف مقاتل قال قتاده
ومقاتل كان اهل مشورتها ثلثمايه وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الف فجاوا فاخذوا مجالسهم
فقالت لهم بلقيس يا ايها الملوا انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم الا تعلوا على واتونى مسلمين كتاب كريم قتاده حسن مضمونه وما فيه وقيل وصفته بالكرم لانه من
عند ملك كريم وقيل مختوم عن النبى صلى الله عليه وسلم كرامة الكتاب ختمه وعن انس لما اراد النبى
صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى العجم قيل له ان العجم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما
فكانى انظر الى بياضه فى كفه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به
وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم انه من سليمان هو استيناف وتبيين لما القى
اليها كانها لما قالت انى القى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا على واتونى مسلمين اى ان الكتاب من عند سليمن وان المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا على اى لا تتكبروا على كما يفعل الملوك واتونى مسلمين منقادين طايعين
قالت يا ايها الملوا افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون قالت بلقيس
يا ايها الملوا افتونى فى امرى اشيروا على فى ما عرض لى واجيبونى فيما اشاوركم فيه جعلت
المشورة فتوى وذلك جايز لسعة اللغة والفتوى الجواب فى الحادثة والحكم بما هو صواب
اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى فى السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم
فيما حدث من الراى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع ارايهم
استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة امرا وقاضية
حتى تشهدون تحضرون اى لا ابت امرا الا بمحضركم قالوا نحن اولوا قوة واولوا
باس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تامرين قالوا الى الملا من قومها مجيبين لها نحن اولوا قوة
اى قوة الاجساد وقوة الالات والعدد وقوة فى القتال واولوا باس شديد عند الحرب
والامر اليك اى الامر موكول اليك ايتها الملكة ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك
والراى رايك فانظرى ماذا تامرين فان امرتنا بالحرب والقتال قاتلنا وان امرتنا بالصلح
صالحنا وقيل ارادوا نحن من ابنا الحرب لا من ابنا المشورة وانت ذات الراى والتدبير

فانظري ماذا ترين نتبع رايك   قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون لما احست
منهم الميل الى المحاربه رات من المصلحة الميل الى الصلح والابتدا بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا
ما ذكروه واريتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا وغلبة افسدوها خربوها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة اي اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسو غايتها وكذلك يفعلون قيل من تمام كلامها ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا
تتغير لانها في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك من الروايات وقيل هو تصديق من الله لقولها ثم ذكرت بعد
ذلك حديث الهديه وما رات من الراي السديد قيل ان بلقيس كانت امراة لبيبة اريبة قد سيست
وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه
حتى اعمل على حسب ذلك واختبره بها املك هو ام نبي فان يكن ملكا قبل الهديه وانصرف وان لم يكن ملكا
لم يقبل الهديه ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فاهدت اليه وصفا ووصائف ابن عباس البستهم
لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى مجاهد البس الغلمان لباس الجواري والبس الجواري لبسة الغلمان
مقاتل مايه وصيف وماية وصيفة مجاهد مايتي غلام ومايتي جاريه الكلبي عشرة غلمان وعشرة جواري
وهب وغيره خمسماية غلام وخمسماية جاريه واهدت لبنات الذهب في اوعية الديباج وقال
وهب عمدت بلقيس الى خمسماية غلام عليهم ثياب الجواري وعليهن الاساور والاطواق والقرطه
راكبي خيل مغشاه بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسماية جاريه
على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضه وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذرا يتيمة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب
ودعت رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راي وعقل
وكتبت معه كتابا بنسخة الهديه وقالت ان كنت نبيا فميز بين الغلمان والجواري واثقب الدرة
ثقبا مستويا وادخل خيطا الخرزة وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام
فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام
الرجال ثم قالت للمنذر انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه
ملك ولا يهولنك منظره وانا اعز منه وان رايته بشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله
ورد جوابه فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان عليه السلام
فاخبره الخبر كله فامر سليمان عليه السلام ان يضربوا لبنات الذهب والفضه ففعلوا ثم امرهم
ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضه
وان يجعلوا حول الميدان حايطا شرفها من الذهب والفضه ففعلوا ثم قال اي الدواب
احسن مما رايتم في البر والبحر فقالوا يا نبي الله انا راينا دواب في بحر كذا وكذا
منمرة منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة
فاتوا بها فقال شدوها على يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان عليه السلام في مجلسه
على سريره ووضع له اربعة الف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا
صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحش والسباع والطير والهوام فاصطفوا
فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنى القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب
التي لم تر اعينهم تروث على لبنات الذهب والفضه تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا

روى ان سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضه امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا
على قدر موضع اللبنات التي معهم فلما راوا الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة
خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان ثم جاوا فلما راوا الشياطين نظروا الى منظر
عجيب فقال لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم وكانوا يمرون على كل كردوس من الجن والانس
والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم سليمان عليه السلام
نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراكم فاخبره رئيس القوم بما جاوا له واعطوه كتاب
الملكة فنظر فيه ثم قال اين الحقه فاتي بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فاخبره بما في الحقه
ثم قال ان فيها درة يتيمة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب
الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بثقبها فسال سليمان الجن والانس فلم يكن
عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فجاءت الارضة واخذت شعرة
في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير
رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضا
انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت في الثقب حتى خرجت من الجانب
الاخر فقال سليمان عليه السلام ما حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز
عليه السلام بين الجواري والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجاريه
تاخذ الما من الانيه باحدى يديها ثم تجعله على الاخرى ثم تضرب على الوجه والغلام كان ياخذ
الما من الانيه يضرب به وجهه وكانت الجاريه تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد
وكانت الجاريه تصب الما صبا وكان الغلام يحدر على يديه حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان
الهديه فذلك قوله واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون
فلما جا سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون
ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون فلما جا رسولها
بهديتها قال سليمان اتمدونني قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بنونين وياء في الوصل وروى
المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف وعاصم وابن عامر والكسائي
اتمدونن بغير ياء في الوصل والوقف وحمزة بنون واحدة مشددة ووقف على اليا
اتمدونني بمال خطاب للرسل فمن جعلهم جماعة ومن جعل الرسول رجلا واحدا او امراة
قال هذا خطاب للرسول والمرسل واتباعه فجمع وغلب الخطاب على الغيبة وهو
القياس لنكر عليهم ارسالهم بالمال اليه وهو يدعوهم الى الله والى الاسلام فما اتاني الله من النبوة
والملك والنعم خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم اي بما يهدى اليكم وقيل بهديتكم هذه
تفرحون اعظاما منكم لها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومك بما صحبك من
الهديه ويحتمل ان التقدير ارجعها من الرجع لا من الرجوع فحذف المفعول
وقوله ارجع دليل على ان الرسول كان واحدا وقيل المخاطب هاهنا الهدهد اي
ارجع اليهم قايلا لهم فلناتينهم بجنود وعلى هذا احتمل ان يكون الفاعل في قوله فلما جا سليمان
الهدهد ايضا قال لهم اتمدونني بمال وهذا الوجه متكلف قيل المعنى ان ما عندي
خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والمعنى الاوسع
واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي ان يمد بمال ويصانع به بل انتم

قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم ولا ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية بل انتم وجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا تعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قيل بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها فلناتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة اي لا يقدرون ان يقاتلوهم ولنخرجنهم منها من ارضنا وملكها اذلة وهم صاغرون ذليلون ان لم ياتوني مسلمين قال وهب لما رجع رسل بلقيس اليها من عند سليمان عليه السلام قالت بلقيس والله ما عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرته شيئا فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعل في اخر سبعة ابيات بعضها في اخر بعض في اخر قصر من سبعة قصور لها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص اليه احد ولا يرينه حتى اتيك ثم امرت مناديا فنادى في اهل مملكتها يوذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان عليه السلام في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدى بشيء حتى يكون هو الذي يسال عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فراى رهجا قريبا منه فقال ما هذه قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان

قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم اقبل سليمان على جنوده فقال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها لعله اوحي الى سليمان استيثاقها من عرشها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها قتادة لانه اعجبته صفته لما وصفه الهدهد فاحب ان يراه ابن زيد اراد عليه السلام ان يختبر عقلها فامر بتنكيره وتغييره لينظر هل تثبته اذا راته ام تنكره وقيل اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي ابن عباس الداهية الضحاك الخبيث ربيع الغليظ الفراء القوي الشديد الكسائي المنكر قيل كان اسمه ذكوان انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له عليه السلام مجلس يقضي فيه كل غداة الى نصف النهار وقيل من وقت الفجر الى طلوع الشمس واني عليه اي على حمله لقوي امين على ما فيه من الجواهر قال سليمان اريد اسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب قيل هو جبريل وقيل ملك من الملائكة ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطا العفريت ابن لهيعة هو الخضر وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم وقيل

هو اللوح المحفوظ واتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل قبل ان يرتد اليك طرفك تحريك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر قال صاحب الكشاف ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك روي ان اصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه ونظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان سعيد بن جبير يعني قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مد بصرك قتادة قبل ان ياتيك الشخص من مد البصر وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى امثله بين يديك مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا قتادة هو ايضا ان يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به فلما راه يعني راى سليمان العرش مستقرا محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف قال سليمان هذا اشارة الى احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين من فضل ربي ابتداني بالمنة من غير استحقاق ليبلوني ليمتحنني فينظر مني الشكر او خلافه ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام والافضال على من يكفر نعمته

قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون قال سليمان عليه السلام نكروا غيروا لها عرشها عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فزيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا اعلاه اسفله واسفله اعلاه ومقدمه موخره ننظر اتهتدي الى عرشها فتعرفه ام تكون من الذين لا يهتدون من الجاهلين الذين لا يهتدون وقيل اتهتدي الى التوحيد وتستدل بعرشها على قدرة الله ونبوتي وقيل لمعرفته وقيل للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين او للايمان بنبوة سليمان اذا شاهدت تلك المعجزة الظاهرة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس وانما حمل سليمان عليه السلام على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي عليه اسرار الجن ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا ان يزهدوه فيها فاساءوا الثناء عليها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار فاراد سليمان عليه السلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح

فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين

فلما جاءت بلقيس قيل لها اهكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة صدر الكلام بهمزة الاستفهام ولم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت بلقيس كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به فلم تقر بذلك ولم تنكر وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وعلم سليمان كمال عقلها وبطلان ما قال الشياطين ان في عقلها شيئا واوتينا العلم قيل هذا من كلام سليمان وملائه وذلك ان بلقيس لما سئلت عن عرشها ثم اجابت بقول لها كانه هو الظاهر ان سليمان وملاه قالوا انها قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان بالايات التي تقدمت

عند ارسال الرسول وهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم من قبلها
بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عند الله قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا الله على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيها طايعة
من قبل مجيها وكنا مسلمين طايعين خاضعين لله تعالى وقيل هذا من قول بلقيس لما رات عرشها عند
سليمان قالت عرفت هذه واوتينا العلم بصحة نبوة سليمان الايات المتقدمة من قبل هذه الاية
وذلك بما اخبرت من امر الهدهد والرسل وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان
جئناك وصدها اى وصد بلقيس عن التقدم الى الاسلام ما كانت تعبد من دون الله اى
عبادة الشمس ونشوها بين الكفار ويكون ما في محل الرفع على انه فاعل صد وقيل معناه وصد
سليمان بلقيس عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقيل صد بمعنى منع اى ومنع
سليمان ما كانت تعبد من دون الله وحال بينه وبين بلقيس وقيل وصدها الله تعالى ذلك بتوفيقها
للاسلام فعلى الوجهين محل ما نصب انها كانت من قوم كافرين استيناف قيل لها ادخلى الصرح روى
ان سليمان عليه السلام لما اقبلت بلقيس تريد امر الشياطين فبنوا له صرحا قصرا من زجاج كانه الما بياضا
واجرى تحته الما والقى فيه كل شي من دواب البحر السمك وغيره ثم وضع له سريرا في صدرها فجلس عليه
وعكفت عليه الانس والجن والطير وانما امر ببناء هذا الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر
الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد له غلاما فلا ننفك من العبودية فارادوا ان يزهدوه بها
فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعرا الساقين لان امها كانت من الجن فاراد عليه السلام ان يعلم
حقيقة الحال وينظر الى قدميها وساقيها فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلى الصرح فلما راته
حسبته لجة اى معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام
فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعرا الساقين فلما راى سليمان عليه السلام ذلك
صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد مملس مستو من قوارير وليس ببحر فلما جلست قالت يا
سليمان انى اريد اسالك عن شى قال سلى قالت اخبرنى عن ما رو الا من ارض ولا سما وكان سليمان
عليه السلام اذا جاءه شى لا يعلمه سال الانس عنه فان كان عندهم علم ذلك والا سال الجن
فان علموا والا سال الشياطين فسال الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك مر الخيل فلتجرى ثم
املا الانية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل قالت صدقت ثم قالت اخبرنى عن لون الرب
فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا او صعق عليه فقامت عنه وتفرقت عنه جنوده وجا الرسول
عليها السلام فقال يا سليمان يقول لك ربك ما شانك قال يا رب انت اعلم بما قالت قال
فان الله يامرك ان تعود الى سريرك وترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها
فتسالهم وتسالها عما سالتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه قال لها عما سالتنى قالت سالتك
عن ما رو الا من ارض ولا سما فاجبت قال وعن اى شى سالتنى ايضا قالت ما سالتك عن شى
الا هذا فسل الجنود فقالوا مثل قولها انساهم الله ذلك وكفى سليمان الجواب ثم ان سليمان عليه
السلام دعاها الى الاسلام وكانت قد رات حال العرش والصرح فاجابت قالت رب
انى ظلمت نفسى بالكفر الذى تقدم واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ظلمت نفسى
فى ظنى ان سليمان قصد اغراقى قيل لما اسلمت اراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره ما
راى منكرة شعر ساقيها وقال ما اقبح هذا فسال الانس ما يذهب عنها قالوا المواسى قالت
بلقيس لم يمسنى حديد قط فكره سليمان عليه السلام المواسى وقال انها تقطع ساقيها فسال

الجن

الجن فقالوا ما ندرى ثم سال الشياطين فتلكاوا عليه ثم قالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة
البيضا فاتخذ والها النورة والحمام واستنكحها سليمان عن النبى عليه الصلوة والسلام اول
من اتخذ الحمامات سليمان فلما الزق ظهره الى الجدر فمسه حرها قال اوه من عذاب الله قيل
فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا له بارض اليمن
ثلثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا ثم كان سليمان عليه السلام يزورها فى كل شهر
من بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلثة ايام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى
الشام وولدت له فيما ذكر عن وهب زعموا ان سليمان عليه السلام قال لبلقيس لما
اسلمت وفرغ من امرها اختارى رجلا من قومك ازوجكه قالت ومثلى يا نبى الله ينكح
الرجال وقد كان فى قومى من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك
ولا ينبغى لك ان تحرمى ما احل الله لك فقالت زوجنى ان كان لا بد من ذا تبع ملك همدان
فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة امير جن
اليمن فقال اعمل لذى تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذى تبع الصنايع باليمن ثم لم يزل
بها ملكا يعمل له فيها ما اراد حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول وتبينت الجن موت
سليمان عليه السلام اقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ باعلى
صوته يا معشر الجن ان سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا
فيهما بالمسند نحن بنينا سلحين داس وبينا صرواح ومرواح وبينون وبيلرم وهنيدة
وقلتوم وهل حصون باليمن بناها الشياطين لذى تبع واو صارخ بتهامة لترحنا باللون اماره
ثم رفعوا ايديهم وانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك
قال انما طايركم عند الله بل انتم قوم تفتنون ان اعبدوا اى بان اعبدوا الله فاذا هم فريقان
مومن وكافر ومصدق ومكذب يختصمون فى الدين وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه
قبل ان يومن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معى قال لهم صالح عليه السلام يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة العافية والرحمة والاستعجال طلب التعجيل بالامر
وهو الاتيان به قبل وقته كانوا يقولون بجهلهم ان العقوبة التى يعدنا صالح ان وقعت
على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم
تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون
الله بالتوبة من كفركم قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا تشاءمنا واصله تطيرنا بك وبمن معك وذلك ان
المطر امسك عنهم فى ذلك الوقت وقحطوا فقالوا اصابنا هذا الضر من شومك وشوم من
معك وانما ذكر التطير على عادة العرب فى نسبتهم الشوم الى السانح وهو الطاير الذى
ياتى من جانب اليد الشومى وهى اليسرى كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان
مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطير استعير لما كان سببهما
من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله
لا طايرك اى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طايرك الذى تتشاءم به

باب البلاء والعقوبة

وتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال صالح طائركم عملكم من الخير والشر
وما يصيبكم من الخصب والجدب عند الله بامره وهو مكتوب عليكم وسهمكم لازم في اعناقكم وليس
ذلك الي ولا علمه عندي وقيل طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو
قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم بل انتم قوم تفتنون تختبرون بالخير والشر الكلبي
تفتنون حتى تجهلوا انه من عند الله محمد بن كعب تعذبون بذنوبكم وقيل تمتحنون بارسالي اليكم لتثابوا
على طاعتي ومتابعتي وتعاقبوا على معصيتي ومخالفتي وقيل يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وكان في المدينة
يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط من ابناء اشرافهم وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لان
الرهط في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة
الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم قدار بن سالف مصدع
بن دهر قيل بن مهرج اسلم رهمي دهيم دعمي دعيم قبال صداف وهم الذين سعوا في عقر
الناقة وكانوا عتاة قوم صالح يفسدون في الارض بالكفر ولا يصلحون اي شانهم الافساد الصرف
الذي لا يخلط بشيء من الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن
لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون قالوا تقاسموا يحتمل ان يكون امرا اي قال
بعضهم لبعض تحالفوا بالله فموضع تقاسموا جزم على الامر وقيل هو فعل ماض خبر في محل الحال
على اضمار قد اي قالوا متقاسمين بالله لنبيتنه قرا حمزة والكسائي لتبيتنه ولتقولن بضم
التاء واللام على الخطاب والباقون بالنون فيهما اي لنقتلن صالحا واهله والبيات مباغتة
العدو ليلا وذلك انهم تواطؤوا على ان يظهروا لقومهم انهم مسافرون فيسيرون اياما ثم
ياتون صالحا واهله فيقتلونهم ليلا سرا فلا يتركون احدا من بيتهم منزله حتى لا ينم عليهم ثم ينكرون
ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله اي اهلاكهم اي لم نتعرض لاهله
فكيف كنا نتعرض له وما حضرنا موضع هلاكه فضلا عن توليناه وانا لصادقون في قوله ما
شهدنا مهلك اهله قرا ابو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام وحفص عنه بفتح الميم وكسر اللام وهما
جميعا بمعنى الهلاك والباقون بضم الميم وفتح اللام ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاهلاك
وان يكون موضعا وزمانا وقيل وتحلف انا لصادقون في قولنا ما شهدنا مهلك اهله
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين
ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا
لا احدهما ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ومكروا مكرا غدروا غدرا حين قصدوا تبييت
صالح والفتك به ومكرنا مكرا اي وجزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون بمكرنا
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم
من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ابن عباس رضي الله عنهما ارسل
الله عز وجل الملائكة ليلا فامتلات بهم دار صالح فاتى التسعة الدار شاهرين سيوفهم
فرمتهم الملائكة بالحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم خرجوا مسرعين الى صالح فسلط الله عليهم
صخرة فقتلتهم مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم

الرد

فيهما

السدي خرجوا ليأتوا صالحا فحفروا لهم حفرا من الارض يكمنون فيه فانهار عليهم وقومهم وقد مضت
القصة انا قرا عاصم وحمزة والكسائي بفتح الالف على ان تكون في محل الرفع بدلا من العاقبة
او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او في محل النصب على معنى لانا او على انه خبر كان اي
كان عاقبة مكرهم التدمير بتكرير كان والباقون بالكسر على الاستئناف اي انا دمرناهم التسعة
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون فتلك بيوتهم اي بيوت ثمود خاوية خالية منصوبة على انها حال بما ظلموا بظلمهم ان في
ذلك فيما فعل بثمود لاية لعبرة لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون اوامر
الله ان يتركوها قيل كانوا اربعة الاف خرج بهم صالح عليه السلام فسمي حضرموت
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم تجهلون اتاتون الفاحشة الفعلة القبيحة الشنعة وانتم تبصرون وقيل من
بصر القلب اي وانتم تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر
ولا الانثى للانثى وقيل وانتم تبصرون اي يبصر بعضكم بعضا لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها مجاهرين
بها لا يستترون عتوا منهم وتمردا وخلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وقيل وانتم تبصرون اثار العصاة
قبلكم وما نزل بهم ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فان قيل تفسير
تبصرون تعلمون ولعله بل انتم قوم تجهلون يستلزم ان يكونوا علماء جهلاء اجيب بانه اراد بل
انتم قوم تفعلون فعل الجهلاء مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة
التي كانوا عليها وقوله بل انتم قوم اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة فقيل تجهلون لان
المخاطبة اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتطهرون من القاذورات
كلها فينكرون هذا العمل القذر يقولون هذا القول استهزاء منهم قدرناها قرا ابو بكر
عن عاصم قدرناها بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما بمعنى واحد اي قضينا عليها انها من الغابرين
اي الباقين في العذاب وقيل قدرناها جعلناها من الغابرين وانما قال ذلك لان جرمها على
مقدار جرمهم فلما كان تقديرها كتقديرهم في الشرك والرضى باعمالهم الفاحشة جرت
مجراهم في انزال العذاب بها قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
الله خير اما يشركون قيل هو خطاب للوط عليه وان يحمد الله على هلاك كفار قومه وان يسلم
على من اصطفاه الله ونجاه الله من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متصل بما قبله امره الله بالتحميد على هلاك كفار الامم الخالية والسلام على
الانبياء واشياعهم الناجين وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات
الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام
على عباده الذين اصطفى وفيه تعليم وحسن توقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين
والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله
من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر
هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل
عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح

والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان آلله خير قاله الزاما للحجه فانه معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا
حتى يوازن بينه وبين ما هو خالق كل شي ومالكه وانما هو الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا
عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يوثر عاقل شيا على شي الا لداع يدعو على ايثاره من زياده خير
ومنفعه فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يوثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا
على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير
الزايد قرا ابو عمرو وعاصم يشركون باليا من تحت اخبارا عن الكفار والباقون بالتا خطابا لهم والمعنى الله
خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الايه قال بل الله خير وابقى
واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق ذات
بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم قوم يعدلون ام في قوله اما يشركون متصله لان المعنى
ايهما خير وام في قوله امن خلق منقطعه بمعنى بل والهمزه لما قال الله خير ام الالهه قال بل امن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شي وانزل لكم لاجلكم من
السما ما مطرا وقيل ما العيون لانها من السما فانبتنا نقل الاخبار عن الغيبه الى التكلم لتاكيد معنى
اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروايح
والاشكال مع حسنها وبهجتها بما واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى
الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ان تاتي ذلك منكم محال ولذلك قوله بل هم بعد الخطاب
بقوله وانزل لكم وقوله ما كان لكم ابلغ في تخطية رايهم فانبتنا به بالما حدايق جمع حديقه وهي البستان
المحاط عليه من الاحداق وهو الاحاطه ذات بهجة حسن لان الناظر يبتهج به وقيل ذات لان المعنى
جماعه حدايق ذات بهجه كما يقال النسا ذهبت االه مع الله يعينه وقيل ايجوز ان يكون مع الله اله اخر
لا يقدر على شي منه وقيل اغير الله يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون عن سنن الصواب
وقيل يعدلون يشركون وقيل يعدلون به او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا
االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اي اكثرهم جهال فلجهلهم يشركون امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السو ويجعلكم خلفا الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون المضرور الحاله المحوجه
الى الالتجا والاضطرار افتعال من الضرور يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر
الذي احوجه مرض او فقر او نازله من نوازل الدهر الى الالتجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس
هو المجهود امن يجيب المضطر اذا دعاه فان قيل قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب اجيب بان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهيه فقط والحكم المثبت للماهيه
يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من افراد الماهيه وايضا انه تعالى وعد بالاجابه ولم يذكر انه
يجيب في الحال قال صاحب الكشاف الاجابه موقوفه على ان يكون المدعو به مصلحه ولهذا لا يحسن
دعا العبد الا شارطا فيه المصلحه واما المضطر فيتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم
على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحه فبطل التناول على العموم
وهذا انما على مذهبه ويجعلكم خلفا الارض اي في الارض سكانها يهلك قرنا وينشي اخرين وقيل
اراد بالخلافه الملك والتسلط االه مع الله قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو باليا من تحت والباقون
بالتا وما مزيده اي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقله تستعمل في معنى النفي
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله

ع

المطر

عما يشركون في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم بين يدي رحمته قدام المطر امن يبدو الخلق
ثم يعيده ومن يرزقكم من السما والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اي يبدوا
الخلق باعترافكم ثم يعيده لان من قدر على الابتدا اقدر على الاعاده ومن يرزقكم من السما والارض النبات
قد ازيحت عللهم بالتمكين من المعرفه والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السما الما ومن الارض
النبات قل هاتوا برهانكم على شرككم بعد اقراركم بتفرده بخلق هذه الاشيا ان كنتم صادقين في دعواكم
ان مع الله الها اخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان
يبعثون نزلت في المشركين سالوا رسول الله عن وقت قيام الساعه قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله رفع الله على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار
كان احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم
ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه وانما دعت الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي
نكتة سريه حيث استخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليول المعنى الى قولك
ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله
منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسها فقيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قال
صاحب الكشاف هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى
ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات
والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقه وارادة المتكلم بعبارة واحده حقيقة ومجازا غير صحيحه على ان قولك
من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام وتسويه والايهامات
مزاله عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بيس خطيب القوم
انت والاول ضعيف والثاني صحيح وما يشعرون اي من في السموات والارض ايان متى يبعثون وقيل
الكفار وما يشعرون وعن عايشه رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم الفريه والله تعالى يقول
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله قيل اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لييلا
يامن احد من عباده مكره بل ادارك علمهم في الاخره بل هم في شك منها بل هم منها
عمون قرا ابن كثير وابو عمرو بل ادرك بسكون اللام وفتح الهمزه والباقون بكسر اللام وتشديد
الدال وفتح الرا بعد الالف بل وضع للاعراض عما قبله واثبات ما بعده وقد يجي حرف ابتدا
يدل على ترك ما قبله والاخذ في غيره كما في الايه وكذلك بل هم في شك منها وادارك اصله تدارك
ادغمت التا في الدال ومعنى ادارك تتابع واستحكم وقيل المعنى ان استحكام العلم وتكامله بان القيامه
كاينه لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفتها وهم شاكون جاهلون وذلك قوله تعالى بل هم في
شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم
الى الجميع كما يقول بنو فلان فعلوا كذا وكذا وانما فعله ناس منهم فان قيل ان الايه سيقت لاختصاص
الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشي منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون
به فكيف لايم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن
من المعرفه اجيب بانه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكاين ووقته
الذي يكون فيه وهو وقت جزا اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام
العلم به وقيل ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم به كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على
سبيل الهزء وذلك حيث ضلوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا

وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادراك علمهم وادارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى
وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسر الحسن باضمحل علمهم وهذه
الاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة
كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف
المذاهب وتضليل بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق
والباطل ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه
لا يخطر بباله حقا وباطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن
دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا هو الذي جعلهم كالبهايم لا يتدبرون ولا يتبصرون **قوله تعالى**
وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا وآباونا اينا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباونا من قبل ان
هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وقال الذين كفروا اي
مشركي مكة اذا كنا قرا نافع بهمزة واحدة على الخبر اينا بهمزة ومدة الالف وابن كثير وابو عمرو وابدا اسا
مهموز غير ان ابا عمرو يمد وابن كثير لا يمد وعاصم اذا اانا بهمزتين فيهما والباقون اذا بهمزة ومدة
اينا بنونين وكسر الالف استبعد الكفار ان يبعث الاجساد والرميم من القبور واستحلوا ذلك
فذكر الله ذلك عنهم والعامل فيما دل عليه اينا لمخرجون وهو نخرج ولم يعمل لمخرجون في اذا لان قبله
ثلاثة امور همزة الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود
ودليل على كفر موكد مبالغ فيه والضمير في اينا لهم ولابايهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباهم
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قدم هذا في هذه الاية على نحن واباونا وفي اية اخرى
قدم نحن واباونا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وان
الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اعادة البعث هو الذي تعمد بالكلام
وفي الاخرى على اعادة المبعوث بذلك قال صاحب المفتاح قال في سورة المومنين لقد وعدنا
نحن واباونا هذا افتراه بعد المرفوع وما تبعه المنصوب اعني هذا في موضعه وقال في سورة
النمل لقد وعدنا هذا نحن واباونا فقدم هذا لكونه فيها اهم يدلك على ذلك ان الذي
قبل هذه الاية اذا كنا ترابا واباونا والذي قبل الاولى اذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة
المنظور فيها هناك اي المومنين هي كون انفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها هنا اي
النمل هي كون انفسهم وكون ابايهم ترابا لا جزء هناك من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة انها
ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتنا بالقصد الى ذكره فصيره
هذا العارض اهم ان هذا الا اساطير الاولين مكتوب كتب واتى عليه السنون والدهور
فلم يسنح خروج الى الوجود بعد العدم لا حقيقة لمعناه قل يا محمد لهولا الكفار سيروا
بلاد من تقدمكم وتعرفوا احوال من كذب الرسل وكذبوا بالبعث تجدوا ديارهم خالية وابدانهم
بالية فاحذروا ولا تكذبوا فيحل بكم مثل ما حل بهم وقيل عين الرسل وقت عذابهم فكان كما
عنوا وصدقتم فيما عنوا اوقته دليل على الصدق فيما لم يعنوا وقيل معنى سيروا في الارض
اقروا القران فان احوالهم مذكور فيه فعبر عن التطواف في الارض والبلاد واراد بالمجرمين
الكافرين قال صاحب الكشاف وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرايم
وتخوف عاقبتها **قوله تعالى** ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك

لذو

لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من
غايبة في السما والارض الا في كتاب مبين صبر رسوله عليه الصلوة والسلام على ما ناله من
هولا الكفار ولا تحزن عليهم اي على تكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق صدر مما يمكرون
من مكرهم وكيدهم ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس وينصرك عليهم ويقولون متى هذا
الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل وخرج الكلام مخرج الجمع لرجوع ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين يحذرون الكفار ويخذرونهم قل يا محمد لهولا الكفار
عسى ان يكون ردف لكم اي عسى ان يكون بعض العذاب الذي تستعجلون ردف لكم دنا منكم وقيل
جا بعدكم وقيل قرب منكم وقيل دنا لكم وقيل تبعكم من القتل والاسر والسنين والجدب والبعض
مدخر ليوم البعث والنشور واللام في لكم للتاكيد كالبا في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وما الاتجال للشك بعل وانما يعنون بذلك
اظهار وقارهم وانهم لا يتعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم
فعلى ذلك جرى وعده ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بترك المعاجلة بالعذاب على المعاصي
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولا يعرفون حق النعمة ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وان ربك
ليعلم ما تكن يستتر وتخفي صدورهم اي صدور قريش وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم
ومعاقبتهم بذلك وما من غايبة سمى الشي الذي يغيب ويخفى غايبة وخافية وكانت التا فيهما بمنزلتها
في العافية والعاقبة ويجوز ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة كانه قال وما من شي شديد
التغيب والخفا في السما والارض الا في كتاب مبين ظاهر بين لمن نظر فيه من الملايكة اي قد
علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المحفوظ **قوله تعالى** ان هذا القران يقص على بني اسرايل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم
فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون لما تم الكلام في اثبات
المبدا والمعاد ذكر بعد ما يتعلق بالنبوة ولما كانت العمدة الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم هي القران بين اولا كونه معجزا فقال ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه
يختلفون من امر الدين قيل ان المراد به عيسى وامه وعزير وذكر محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اختلفوا
فيهم والله بين امرهم ودينهم في القران بيانا شافيا وقيل قد اختلفوا في المسيح وتحزبوا فيه احزابا
ووقع بينهم التناكر في اشيا كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه
لو انصفوا واخذوا به اسلموا وانه اي وان القران لهدى ورحمة للمومنين لمن آمن
منهم وانصف من بني اسرايل ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرايل في الدنيا بحكمه فيما
حرفوه من الكتاب وبدلوه وقيل يحكم في القيامة فيجازي المحق بحقه والمبطل بباطله وقيل
يقضي بالقتال وهو العزيز فلا يرد قضاوه ولا يغالب العليم بمن يقضي له ومن يقضي عليه وقيل
العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله لعله ظهور
حجته على رسالته امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعدا الدين وعلل التوكل فقال انك على
الحق المبين الذي لا يتعلق به الظن فيثق بالظفر من الله والغلبة على الاعدا فان صاحب الحق حقيق بالوثوق
بصنع الله وبنصرته وانه لا يخذل انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للتوكل وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ

رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشنيع ذلك
بالعداوة والاذى قلّ امر ذلك ان تعالى توكل متوكل بشأنه بان اتباعهم امر قد يئس منه
فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله ولم يتقبلوا المقصود منه كان سماعهم كلاسماع كانت
حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع ولذلك شبههم بالصم الذين ينعق
بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث كانوا يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم
هداة بصراء الا الله تعالى اذا ولوا مدبرين تأكيد لحال الاصم لانه عن الداعي بان
يتولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته قرأ ابن كثير يسمع بياء مفتوحة ورفع
الصم فاعلا ونصب الدعاء مفعولا والباقون بضم التاء وكسر الميم ونصب الصم والدعاء
مفعولين وما انت بهادي قرأ حمزة تهدي العمي بتاء مفتوحة ونصب العمي على الفعل ههنا
وفي الروم والباقون على الاسم بياء مكسورة وجر العمي ان تسمع اي ما تجدي اسماعك ولا تنفعه
الا من يؤمن باياتنا وترك العناد وقيل لا يسمع الا من يطلب الحق بالنظر في اياتنا ويصدق
بها فهم مسلمون مخلصون
واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون واذا وقع القول عليهم قيل واذا وجب السخط
والغضب وقيل اذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل اذا حق القول عليهم انه
لا يؤمنون وقيل اذا قرب الساعة وقيل القول الواقع قوله يوم يأتي بعض ايات ربك الاية
وقيل هو قوله ولكن حق القول مني لاملان جهنم اخرجنا لهم دابة من الارض هي من اشراط
الساعة تكلمهم ابن عمر واذا وقع القول عليهم اي على الكفار اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم قيل حين لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا
تدخل واما القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على
الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو ما بين الركن الاسود
الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة
عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى
تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى
ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلوة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها
بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في
الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن وللكافر يا كافر عن حذيفة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا
يفوتها هارب تسم المومن بين عينيه وتكتب بين عينيه مومن وتسم الكافر وتكتب بين
عينيه كافر ومعها عصى موسى وخاتم سليمان وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المومن بالعصا
وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مومن وهذا يا كافر
عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين خنزير واذنها
اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة
هر

ياتي م

عز وجل خ

تعرا خ

هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصى موسى وخاتم سليمان
عليهما السلام ولا يبقى مومن الا نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فيفشو تلك النكتة حتى يضيء لها وجهه
ولا يبقى كافر الا نكتت وجهه بخاتم سليمان عليه السلام فيفشو تلك النكتة فيسود لها وجهه حتى ان الناس
يتبايعون في الاسواق بكم يا مومن بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان
انت من اهل النار وذلك قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم عن ابن عمر تخرج الدابة ليلة جمع والناس
يسيرون الى منى فتحمل الناس بين نبها وعجزها فلا يبقى منافق الا خطمته ولا مومن الا مسحته وعن ابي هريرة
قال رسول الله تخرج دابة الارض من اجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد
وهي دابة ذات وبر وقوائم وعن عبد الله بن عمرو انه ضرب ارضا بالطائف برجله وقال من ههنا
تخرج الدابة التي تكلم الناس ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات
وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام
وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة لا تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل
ذلك وتخرج من اجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذا الارض تضطرب
تحتهم وتحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على معنى تكلمهم بان الناس والباقون بكسرها
على معنى تكلمهم تقول لهم ان الناس قوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم
يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول
عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون انه تعالى بين بالبينات الباهرة والايات الظاهرة كمال العلم وكمال القدرة
ثم فرع عليها القول بامكان الحشر ثم بين الوجه في كون القران معجزا ثم فرع عليه نبوة محمد عليه السلام
ثم تكلم فيما يتعلق بالقيمة وانما قدم اثبات النبوة عليه لان ما يتعلق بامور القيامة لا يمكن
اثباته الا بقول النبي الصادق ويوم نحشر نجمع من كل امة فوجا زمرة ممن يكذب باياتنا من في قوله
من كل امة للتبعيض وفي ممن يكذب للتبيين لقوله من الاوثان فهم يوزعون اي يحبس اولهم
على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار ابن عباس يوزعون يدفعون وهذه عبارة عن كثرة
العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك ولذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة
الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة ولذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار
حتى اذا جاءو يوم القيامة الى المحشر قال الله لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوها حق
المعرفة والواو للحال كانه قال اكذبتم بها من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها
حقيقة بالتصديق او بالتكذيب وقيل الواو للعطف اي اجحدتموها ومع جحودها لم تلقوا
اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا
يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه اماذا كنتم تعملون حين لم تتفكروا
فيها هو تبكيت وتقريع اي لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك كانه قال
كل عمل سواه تفليس تعمل وقيل اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والمعصية وانما خلقتم
للايمان والطاعة ووقع القول عليهم اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا بظلمهم بشركهم فهم لا ينطقون
لان افواههم مختومة وقيل فهم لا ينطقون بحجة وعذر ثم انه تعالى بعد ان خوفهم باحوال

النبوه

القيامه ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر والنبوه مبالغه في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الايه اما وجه دلالته على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقلب من النور الى الظلمه ومن الظلمه الى النور لا يحصل الا بتدبير قاهر غالبه واما وجه دلالته على النبوه والحشر فلانه لما ثبتت قدرته في هذه الصوره ثبت انه يقدر على القلب من الحيوه الى الموت مره ومن الموت الى الحيوه اخرى واما وجه دلالته على النبوه فلانه لما ثبتت قدرته في هذه الصور ثبت تعالى يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين وفي بعثة الانبيا والرسل الى الخلق منافع عظيمه فما المانع من بعثتهم الى الخلق لتحصيل تلك المنافع فقد ثبت ان هذه الايه الواحده كافيه في اقامة الدلاله على تصحيح الاصول الثلاثه التي هي منشا كفرهم واستحقاقهم العذاب جعل الابصار للنهار تنبيها على كمال هذه الصفه فيه ولم يقل والنهار لتبصروا كما قال جعل لكم الليل لتسكنوا لان السكون في الليل هو المقصود من الليل اما الابصار في النهار فليس هو المقصود بل هو وسيله الى جلب المنافع الدينيه والدنيويه واما قوله ان في ذلك لايات لقوم يومنون خص المومنين بالذكر وان كانت ايات للكل من حيث انهم خصوا بالقبول والانتفاع ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وكل اتوه داخرين هذه علامات اخرى لقيام القيامه ينفخ في الصور هي النفخه الاولى روي انه سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال صلى الله عليه وسلم قرن ينفخ فيه مجاهد كهيئة البوق وقيل بلغة اهل اليمن وعلى هذا اكثر المفسرين يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كيف انتم وصاحب القرن قد التقمه وحنى جبهته ينتظر متى يومر فينفخ فيه قتاده هو جمع صوره وصور وصور مثل سوره وسور للبنا والمجد وجمعها سور وسور ومعنى الايه وننفخ في صور الخلق وقد ورد في كيفية نفخ الصور حديث جامع عن ابي هريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يومر قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قلت كيف هو قال عظيم والذي بعثني بالحق نبيا ان عظم داره فيه كعرض السما والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخه الاولى نفخة الفزع والثانيه نفخة الصعق والثالثه نفخة القيام لرب العالمين فيامر الله تعالى اسرافيل عليه السلام بالنفخه الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات والارض الا من شا الله فيامرهم فيمدها ويطيلها وهو الذي يقول الله عز وجل ما ينظر هولا الا صيحة واحده ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينه الموبقه في البحر تضربها الامواج وتلقيها الرياح او كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح وهي التي يقول الله عز وجل يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه قلوب يومئذ واجفه فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربه من الفزع حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملائكه تضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم فبيناهم كذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فراوا امرا عظيما لم يروا مثله ثم نظروا الى السما فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانكسفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشي من ذلك قال ابن هريره يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل

حين

الا ان يطول عليهم ثم يامر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله

حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قال اولئك الشهدا وانما يصل الفزع الى الاحيا وهم احيا عند ربهم يرزقون وقاهم الله عذاب ذلك اليوم وامنهم وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه فهو الذي يقول الله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعه شي عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد فيمكثون في ذلك البلا ما شا الله فاذا اجتمعوا جا ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات اهل السما والارض الا من شئت فيقول الله عز وجل وهو اعلم من بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل واسرافيل وبقيت انا فيقول ليمت جبريل وميكائيل فيقول اي رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت اني كتبت الموت على كل من تحت عرشي فيموتان ثم ياتي ملك الموت الى الجبار فيقول اي رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقيت انا فيقول ليمت حملة عرشي فيموتون فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت انا فيقول انت خلق من خلقي خلقتك لما رايت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكان اخرا كما كان اولا ثم طوى السما كطي السجل للكتاب ثم قال انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد ثم يقول تبارك وتعالى جل ثناوه وتقدست اسماوه لله الواحد القهار يوم تبدل الارض غير الارض والسموات يبسطها بسطا ثم يمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم يزجر الله الخلق زجره واحده فاذا هم في هذه الارض المبدله في مثل ما كانوا فيه من الاول من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ما من تحت العرش كمني الرجال ثم يامر الله السحاب ان تمطر اربعين يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا ويامر الله الاجساد ان تنبت كنبات الطراثيث وكنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت قال الله ليحيى حملة العرش فيحيون ثم يقول الله ليحيى جبريل وميكائيل واسرافيل فيحيون فيامر الله اسرافيل فياخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الله الارواح فيوتى بها تتوهج ارواح المومنين نورا والاخرى ظلمه فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يامر الله اسرافيل ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كانها النحل قد ملات ما بين السما والارض فيقول الله ليرجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح الخياشيم ثم تمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنهم سراعا فانا اول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون حفاة عراة غرلا مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر ففزع ذكر بلفظ الماضي وان لم يقع بعد لنكته هي الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كان لا محاله واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخه الاولى حين يصعقون الا من شا الله ان لا يفزع وقد ذكر انهم الشهدا وقيل الا من ثبت الله قلبه من الملائكه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعن جابر منهم موسى لانه صعق مره وقيل انهم الذين في الجنه من الحور وغيرهن وكذلك من في النار لانهم خلقوا للبقا وكل من الاحيا الذين ماتوا ثم احيوه اتوه قرا حمزه وحفص عن عاصم اتوه بفتح التا مقصورا على الفعل بمعنى جاوه عطفا على قوله ففزع والباقون اتوه ممدودا مضمومة التا على مثال فاعلوه كقوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامه فردا والجمع باعتبار المعنى داخرين صاغرين والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخه الثانيه ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامده وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي انه خبير بما تفعلون وترى يا محمد الجبال جامده قايمه مستقره مكانها من جمد في مكانه اذا لم يبرح وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في روية العين كالواقفه فاذا نظر الناظر اليها حسبها واقفه ثابته في مكانها وهي تمر مر السحاب اي تمر مرا

حسبنا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها صنع الله
من المصادر المؤكدة لقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى
ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة
والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشيا التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال
صنع الله الذي اتقن كل شي وقيل صنع الله نصب على الاغرا اي اعلموا وابصروا اتقن كل شي احسن واحكم
انه خبير بما يفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يفعلون باليا من تحت والباقون بالتا

من جا بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم في النار
هل تجزون الا ما كنتم تعملون فله خير منها يصل اليه وهو الثواب وقيل فله افضل منها لانه ياتي بحسنة
فيعطى عشر امثالها وقيل يريد الاضعاف وان العمل ينقضي والثواب يدوم ويبقى وشتان ما بين فعل
العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس
الحسنة كلمة الشهادة قال صاحب الكشاف يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة
احكامه للاشيا واتقانه لها واجرايه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون
عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جا بالحسنة الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا
الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضمامه ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجز بعض كانما افرغ
افراغا واحدا والامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصادر اذا جا عقيب كلام جا كالشاهد
بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة
الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه باسم التعظيم كيف تلاها بقوله اتقن كل شي ومن
احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وهم من فزع يومئذ امنون قرا
عاصم وحمزة والكسائي فزع يومئذ بالتنوين يومئذ بفتح الميم والباقون باضافة فزع الى يومئذ ومن
قرا بالتنوين يحتمل من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من الرهب والرعب
لما يرى من الاهوال ومن العظايم فلا يخلو منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والاثار ما
يدل عليه ويحتمل من فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امنون يتعدى
بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جا بالسيئة فكبت يقال كببت الرجل اذا القيته لوجهه
يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار لقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون
ويجوز ان يكون ذكر الوجه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكسين هل تجزون الا ما كنتم
تعملون اي الاجزا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم
عند الكب باضمار القول

انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله
كل شي وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل
انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون
لما بين المبدا والمعاد والنبوة ومقدمات القيامة واحوالها وصفة اهل القيامة من
الثواب والعقاب وذلك كمال ما يتعلق باصول الدين ختم السورة بهذه الخاتمة فقال
قل يا محمد انما اعبد رب هذه البلدة اي ان اخص رب هذه البلدة بالعبادة ولا اتخذ له شريكا
كما فعلت قريش والبلدة مكة الذي اي رب هذا البيت حرمها اختصها من بين جميع البلاد
باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده حرمها جعلها حرما امنا
لا يسفك فيها دم حرام ولا يظلم فيها احد ولا يهاج صيدها ولا يختلى خلاها قال صلى الله عليه وسلم

امن م

حين خرج من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الي
الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيما لها وتقريبا الى الاعلى انها موطن
نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف
والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم واللاجي اليها امن وله كل شي خلقا وملكا جعل دخول كل شي تحت ربوبيته وملكوته
كالتابع لدخولها تحتها وامرت ان اكون من المسلمين من الحنفا الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القران من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده
من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل من الوحي فانما
يهتدي لنفسه اي فله ثواب اهتدايه ومنفعة اهتدايه راجعة اليه لا الي ومن ضل اخطا
طريق الهدى ولم يتبعني فقال ما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله
ثم امر ان يحمد الله اي قل يا محمد لمن ضل الحمد لله الذي سيريكم اياته في الدنيا قيل منها الدخان
وانشقاق القمر وقد اراهم ذلك وقيل سيريكم اياته في السماء وفي انفسكم وفي الرزق وقيل
القتل ببدر وقيل سيريكم اياته في الاخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا وقيل فيلجيكم الى المعرفة
والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا ينفعهم المعروف في الاخرة وما ربك بغافل عما تعملون
قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتا على معنى قل لهم والباقون بالتا على انه وعيد لهم
بالجزا على اعمالهم

مكية كلها الا اية منها وهي قوله ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد فانها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة قال
ابن عباس والحسن وعطا وعكرمة انها مكية كلها وقال مقاتل ان فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يومنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله
ان الذي فرض عليك القران نزلت بالجحفة وهي ثمان وثمانون اية والف واربع ماية واحدى واربعون
كلمة وخمسة الف وثمان ماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك من
نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون من نبا مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبر موسى وفرعون
اي يتلو عليك جبريل بامرنا بالحق الصدق الذي لا يجوز فيه الكذب وقيل باخبار صحيح لقوم يومنون
لينتفعوا به وقيل لمن سبق في علمنا انه يومن لان التلاوة انما تنفع هولاء دون غيرهم وقيل يجوز ان
يكون لقوم من صلة الحق اي بالحق لهولاء اي ليكون لهم حقا وصدقا يومنون به

ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
انه كان من المفسدين ان فرعون علا في زمانه واستكبر وتجبر وبغى وتعظم وطغى وغلب
وجاوز الحد في الظلم والعسف في الارض اي في ارض مملكته وجعل فرعون اهل ارض مملكته
شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه وقيل يشيع بعضهم
بعضا في طاعته وقيل جعل اهلها شيعا اي اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا
في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية وقيل فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة
وهم بنو اسراييل والقبط وقيل شيعا فرقا يكرم طايفة ويهين اخرى فيكون القبط احد
الشيعة وهم شيعة الكرامة يستضعف طايفة منهم هم بنو اسراييل يذبح ابناءهم ويستحيي
نساءهم يستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من
يستضعف انه كان من المفسدين في الارض بالكفر والقتل واستعباد الاحرار وفيه بيان

تفسير

ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق كان او كذب

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ونريد ان نمن جملة معطوفة على ان فرعون علا لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا ونريد حكاية حال ماضية وقيل يجوز ان يكون حالا من يستضعف اي ان فرعون يستضعف طايفة منهم ونحن نريد ان نمن عليهم فان قيل كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيا كان ولم يتوقف الى وقت اخر اجيب بانه لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم عطف على نمن اي ونريد ان نجعلهم ايمة مقدمين في الدين والدنيا وقيل ايمة انبيا وكان بين موسى وعيسى الف نبي من بني اسرايل وقيل قادة في الخير ودعاة في الدين وولاة في الارض لقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لمصر واموالها بعد فرعون واهله كما قال كم تركوا من جنات وعيون الاية وقيل الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فيه فوطاه ومهده ومعنى التمكين لهم في الارض اي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث ينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم قرا حمزة والكسائي وخلف ويرى بيا مفتوحة واما لة الالف التي بعد الرا فرعون وهامان وجنودهما بالرفع اي يرى فرعون وهامان وجنودهما من الطايفة الذين يستضعفونهم ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم والباقون بنون مضمومة وكسر الرا وفتح اليا

واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين لما قال ونريد ان نمن ابتدا في هذه الاية بذكر اوايل نعمه في هذا الباب فقال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ان اسقيه اللبن قيل الوحي كان قبل الولادة وقيل بعدها وهو الظاهر فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني من القتل لانه اذا كان صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه وقيل اوحى الله اليها ان ارضعيه كل يوم مرة وكل ليلة مرة فاذا بلغ اشهرا وخفت ان يطلب اكثر ويبكي فيفطن لبكايه فالقيه في اليم البحر قيل هو نيل مصر ولا تخافي من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف ولا تحزني والخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار فنهيت عنهما جميعا انا رادوه بيان لنفي الخوف والحزن اومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملاها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين

فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فالتقطه وجد من غير طلب ال فرعون ليكون لهم اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سوا بسوا ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجي والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه بالاسد ليكون لهم عدوا مخالفا لدينهم وحزنا لزوال ملكهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شي فليس خطاهم في تربية عدوهم ببدع وقيل كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم قيل التقطه جواري

امراة فرعون وقيل ابنة فرعون برصا برئت في الحال وقيل البرصا كانت امراة فرعون فبرئت وقيل التقطه ال فرعون

وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وقالت امراة فرعون وهي اسية بنت مزاحم وكانت من بني اسرايل تزوجها فرعون لا تقتلوه قالت الغواة من قوم فرعون هو الصبي الذي يحذر منه فاذن لنا بقتله فهم بذلك فقالت امراة فرعون اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي روي في حديث لو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم مثل ما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم بصحته وروي ان امراة فرعون قالت لفرعون لعل هذا الصبي من قوم اخرين ليس من بني اسرايل قرة عين خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع قيل تعظيما كما للشرط لا تقتلوه عسى ان ينفعنا في بعض امورنا وخدمتنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصا ولعلها توسمت في سيمايه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك وهم لا يشعرون حال وذو الحال ال فرعون والتقدير فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطر عظيم في التقاطه ورجا النفع منه وتبنيه قوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطاهم قال صاحب الكشاف وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بمحاسن النظم وقيل وهم لا يشعرون قيل هو من كلام امراة فرعون اي يتخذه ولدا وبنو اسرايل لا يشعرون وقيل والناس لا يشعرون انه لغيرنا وقيل لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون انه المطلوب للذبح

واصبح فواد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون واصبح فواد ام موسى اي صار وحصل وقيل رمته ليلا فاصبح فوادها فارغا والوجه الاول فارغا قيل فارغا من كل شي الا من ذكر موسى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقيل فارغا لا حزن فيه ثقة بوعد الله انا رادوه اليك وقيل فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافيدتهم هوا وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها الحسن فارغا من ذكر الوحي والوعد اي انساها عظم البلا ان كادت ان مخففة من الثقيلة اي ان القصة كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشي المنفلت لتقر وتطمين وقيل تبدي بالوحي وقيل بالبكا وقيل البا زايدة والتقدير لتبديه وقيل المفعول مقدر اي لتبدي القول به بسبب موسى لولا ان ربطنا على قلبها قويناه بالصبر والتقوى وقيل بالايمان والعصمة وقيل ربطنا على قلبها بان ذكرها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف اي لابدته لتكون من المومنين المصدقين بوعد الله غير شاكين وهو قوله انا رادوه اليك قيل ويجوز واصبح فواد ام موسى فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون

وتعطفه وقالت ام موسى لاخته قصيه اتبعي اثره واستعلمي خبره فبصرت اى فقصته فبصرت به ابصرته وقيل صارت بصيرة بموضعه لان بصر لا يتعدى عن جنب عن مكان جنب صفه موصوف محذوف اى عن مكان بعيد وقيل عن جنب وعن جنابه بمعنى بعد وهم لا يشعرون وهم لا يحسون بانها اخته وقيل انها تقصه وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وحرمنا اى منعنا والتحريم استعارة للمنع لان من حرم الشى فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور ومحجور وذلك لان الله تعالى منعه ان يرضع ثديا فكان لا يرضع ثدى مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المراة التى ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى او الرضاع من قبل قصصها اثره فقالت اخت موسى وكان استمامر بهم هل ادلكم هل لكم حاجة ان ادلكم ارشدكم على اهل بيت يكفلونه يكفلون موسى لكم من احلكم وسببكم وهم اى اهل بيت له لموسى ناصحون غير مقصرين فى تربيته وارضاعه روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان خذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام انها لتعرفه وتعرف اهله فالهمها الله فقالت انما اردت للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد فقال فرعون صدقت فسالها فرعون ان تاتى بمن يكفل موسى فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها وارتضع منها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك قالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها النفقة وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعدها بالرد فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اى ولتتيقن وتثبت علمها ويتمكن ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط من ام موسى حين ما سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا وقيل يجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم والمعنى ان الرد انما كان لهذا الغرض الدينى وهو علمها بصدق وعد الله ولكن اكثر الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يزاد عليه وذلك اربعون سنة روى انه لم يبعث نبى الا على راس اربعين سنة حكما حكمة اى سنة فان حكمة الانبياء سنتهم وعلما اى التورية وقيل حكما نبوة وعلما فقها وفهما وقيل علما بشرايع دينه وقيل اتيناه سير الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل وكذلك نجزى المحسنين اى كما فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه اى يعبدون الله عبادة خالصة عن الالتفات الى الغير ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ودخل المدينة قيل هى مصر وقيل مدينة بقرب مصر السدى كان موسى فى وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مداين مصر فقال لها منف ثم علم موسى

بركب

بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك المدينة فى وقت القايلة وهو حين الغفلة وقيل بين المغرب والعشاء وقال ابن اسحق المدينة مصر نفسها وكان موسى فى هذا الوقت قد بدت منه مجانبة لفرعون وقومه بما يكرهون فكان مختفيا بنفسه متخوفا منهم فدخل متنكرا حذرا مغتفلا للناس ابن زيد بل كان فرعون قد نابذه واخرجه من المدينة وغاب عنهم سنين فنسى امره وجاء هو والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وقيل كان يوم عيد لهم مشغولون بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل فوجد فيها فى المدينة رجلين يقتتلان هذا من شيعته اى من بنى اسرائيل اى ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل وهذا من عدوه اى من القبط وقيل هذا من شيعته اى مسلم وهذا من عدوه اى كافر قوله هذا على الحكاية المراد العرب تشير بهذا الى الغايب قال جرير هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الى قطينا فاستغاثه الذى من شيعته قيل هو السامرى على الذى من عدوه اى ساله ان يغيثه قيل كان القبطى خباز فرعون وكان يسخر الاسرائيلى بحمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل بحمل الخبز على ظهره وقيل كانا يقتتلان فى الدين فوكزه فدفع موسى القبطى باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف اى غضب موسى على القبطى لكفره وعتوه فضربه بجمع كفه وقيل دفع صدره بيده وقيل عقد بيمينه عقد ثلاث وتسعين فضربه وقيل ضربه بعصاه فقضى عليه فقتله وقيل اماته والقاضية الموت وكل شى فرغت منه فقد قضيته وفاعل قضى موسى ويحتمل ان يكون هو الله ويحتمل ان يكون هو الله اى قضى الله عليه الموت ويحتمل فقضى الوكز عليه قال موسى هذا القتل الذى وقع من غير قصد من عمل الشيطان لانه حمله على ذلك حين اغراه ولانه قتله قبل ان يوذن له فى القتل انه اى ان الشيطان عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال موسى رب انى ظلمت نفسى لانى قتلته قبل ان يومر بقتله فاغفر لى لانه ذنب استغفر منه عن ابن جريج ليس لنبى ان يقتل ما لم يوذن فغفر له اجاب الله دعاءه فغفر له انه هو الغفور لذنوب العباد الرحيم بهم قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين ويجوز ان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمنى بحق ما انعمت على من المغفرة فلن اكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين ويجوز ان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمنى بحق ما انعمت على من المغفرة واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه فى جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلى المودية الى القتل الذى لم يحل له وقيل معناه بما انعمت على من القوة فلن استعملها الا فى مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بنى اسرائيل فاصبح فى المدينة خايفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين فاصبح فى المدينة خايفا على نفسه من قتل القبطى ان يوخذ به يترقب يتوقع وقوع مكروه به وهو الاستقادة منه وقيل يترقب الاخبار هل وقفوا على ما كان منه وقيل خايفا من الله يترقب المغفرة وقيل خايفا من قومه ينتظر ان يسلمه قومه فاذا الذى استنصره اى فاجاه الذى استنصره بالامس يستصرخه يساله ان يصرخه والاستصراخ الاستغاثة

مشتق من الصراخ يقال انى صارخ الامير فاصرخه اى فاغاثه والمعنى الاسرائيلى الذى استنصره
بالامس يستغيثه على قبطى اخر اراد ان يسخره ايضا قال موسى له قيل للقبطى انك لغوى بتسخيرك وظلمك
وقيل قال موسى للاسرائيلى انك لغوى اى مغوى كالاليم والوجيع والمعنى انك لمضل حين قتلت
بالامس رجلا بسببك وتدعونى اليوم الى اخر وقيل الغوى بمعنى الغاوى والمعنى انك يا اسرائيلى
غاو فى قتالك من لا تطيق دفع شره عنك فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى
بالقبطى الذى هو عدو لموسى والاسرائيلى قال الاسرائيلى يا موسى اتريد ان تقتلنى وكان قوم فرعون
لم يعلموا من قاتل القبطى الا انهم اتوا الى فرعون فقالوا ان بنى اسرائيل قتلوا رجلا منا فخذ لنا بحقنا
فقال فرعون ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لاخذ لكم حقكم فبينما هم يطوفون ولا يدرون
من القاتل وقعت هذه الخصومه بين الاسرائيلى والقبطى فى اليوم الثانى فلما قال الاسرائيلى لموسى
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس انطلق القبطى الى فرعون فاخبره ان موسى هو الذى قتل الرجل
فامر فرعون بقتل موسى فعلم بذلك رجل من شيعة موسى فاتاه فاخبره بذلك فى قوله وجاء رجل من
اقصا المدينه يسعى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس اى القبطى المقتول ان تريد الا ان تكون
جبارا قتالا تقتل الناس على الغضب وقيل الجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر
فى العواقب ولا يدفع بالتى هى احسن وقيل الجبار المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله فى الارض اى
ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين فى كظم الغيظ وترك القتل الحسن هو من قول القبطى اى قال
القبطى يا موسى اتريد ان تقتلنى لانه كان اشتهر ان اسرائيليا قتل قبطيا وجاء رجل قيل هو مؤمن
من آل فرعون وكان ابن عم فرعون من اقصى المدينه يسعى فى محل الرفع على ان يكون صفة لرجل
او فى محل النصب على ان يكون حالا عن رجل لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينه واذا
جعل من اقصى المدينه صله لجاء لم يجز فى يسعى الا الوصف لانه حينئذ لم يتخصص رجل فلا يصح الحال
عنه قال ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون فى امرك ليقتلوك والايتمار افتعال
من الامر وهو التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشى او يشير
عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك فاخرج انى لك من الناصحين اى ناصح لك من
الناصحين لانه لا يتقدم الصله على الموصول فخرج موسى منها من المدينه بعد انذار الرجل
اياه خائفا على نفسه من آل فرعون يترقب التعرض له فى الطريق وان يلحق اى ينتظر هل يلحق
طلب فيؤخذ وقيل معنى يترقب يلتفت وقيل يترقب ان يضل السبيل قال موسى رب نجنى خلصنى
من القوم الظالمين واجعلنى بحيث لا يلحقونى ولا يلحقونى مشتق من النجوة وهى المكان الذى لا ينال له
كل احد ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا
لا نسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير
فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ولما توجه موسى اى قصد بوجهه والتوجه الاقبال على
الشى تلقاء حذاء مدين والتلقاء ايضا مصدر مثل اللقاء قال املت خيرك هل تاتى مواعده فاليوم قصر عن
تلقائه الامل ومدين قرية شعيب قال المفسرون خرج موسى من مصر خائفا بغير زاد ولا ظهر
وكان بين مصر ومدين ثمانية ايام ولم يكن لموسى بالطريق علم فقال موسى عسى ربى ان يهدينى
سواء السبيل وسطه وقصده ومعظم نهجه وقيل خرج خائفا يعيش بورق الشجر قيل كان هناك

ثلاث طرق فاخذ موسى فى اوسطها واخذ من كان فى طلبه الاخرين وقالوا ان المريب لا ياخذ فى اعظم الطرق
ومشى فى الطريق ثمانى ليال حافيا ما له طعام الا ورق الشجر وقيل لم يقصد مدين ولكنه اخذ طريقا
الى حيث يأمن فيه فاتفق ذهابه الى مدين لامر قدره الله وقيل اتاه جبريل بالعصا وامره بالمسير الى مدين
ولما ورد موسى الى ماء مدين ماء اهل مدين الذى يسقون منه وقيل ماء مدين بئر كان يشرب منها
اهله ويسقون انعامهم ومواشيهم وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم الامه اى فى مكان اسفل من مكانهم امرأتين اشار بذلك
تنحيهما من الامة تذودان تطردان وتمنعان مواشيهما عن الماء وهى تنازع اليه قيل انما كانتا تذودان
لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقى وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط
اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لسترهما قال موسى لهما ما خطبكما ما شأنكما
وحقيقته ما مخطوبكما اى ما مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطبا كما سمى المشؤون شأنا فى قولك ما شأنك
يقال شأنت شأنه اى قصدت قصده وقيل ما شأنكما لا تسقيان غنمكما وقيل ما شأنكما واقفتين
استنكارا لخروجهما من غير محرم قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء قرا ابو عمرو وابن عامر يصدر بفتح
الياء وضم الدال اى حتى يرجع الرعاء والباقون بضم الياء وكسر الدال اى حتى يرد الرعاء غنمهم
عن الماء والرعاء جمع راع قيل لا نسقى توقيا عن الاختلاط بالرجال وقيل نحن امرأتان لا
نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يسقى ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا
نحن الى ان نسقى قالتا ذلك اعتذارا لخروجهما من غير محرم وقيل تعريضا لموسى ان يعينهما على السقى
وكان على تلك البئر صخرة عظيمة فاذا فرغ الرعاء من سقيهم اعادوا الصخرة فتاتى المرأتان الى فضول
حياض الرعاء فتسقيان غنمهما فسقى موسى لهما قيل ذهب موسى الى بئر اخرى عليها صخرة
لا يقتلعها الا جماعة من الناس فاقتلعها وسقى لهما قاله عمر بن الخطاب وشريح وقيل زاحم
القوم على الماء ودفعهم عنه حتى سقى لهما قال صاحب الكشاف والمعنى انه وصل الى ماء مدين وقد
ازدحم عليه امة من الناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى امرأتين ضعيفتين من ورائهم مع
غنيمات لهما مترقبتين لفراغ الامة فما اخطأت همته فى دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب
وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقى فى مثل تلك الزحمة
بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع
ارادة اقتصاص امره وما اوتى من البطش والقوة وما لم يغفله على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب فى الخير وانتهاز فرصه وبعث على ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
ولما كان الغرض هو الفعل لا المفعول ترك المفعول فى يسقون وتذودان ولا نسقى الا ترى انه عليه
السلام انما رحمهما لانهما كانتا على الذياده وهم على السقى ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم
ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء المقصود السقى لا المسقى قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب فى ذلك انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ولا بد لنا من تأخير السقى الى ان يفرغوا
وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام ابدتا اليه عذرهما فى توليهما
السقى بانفسهما فان قيل كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقى الماشيه
قلت الامر فى نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون فى ذلك والعادات
متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل

الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى موسى بعد سقيهما الى الظل اى جعل ظهره يلي ما كان
يليه وجهه الى الظل عن الشمس قيل ظل شجرة وكانت هناك سمرة وقيل صار الى القبلة وقيل الى ظل
جدار لا سقف عليه فقال موسى رب انى لما انزلت الى لاى شىء انزلت الى قليل او كثير غث او سمين
فقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ولم يصرح بسواله وطلب فى هذا الكلام
ما ياكله ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره
ورئيت خضرة البقل فى بطنه قيل ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الى من خير
الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السنى
وفرحا به وشكرا له فجاءته احداهما اى فلما سقى غنمهما رجعتا الى ابيهما واخبرتا اباهما بما راتا
من موسى وقيل لما اسرعتا فى الاياب ذلك اليوم خلاف سائر الايام سالهما ابوهما عن السبب
فاخبرتاه بما كان من موسى فارسل احدى ابنتيه فجاءته احداهما تمشى على استحياء فى موضع
الحال اى مستحيية مستترة بكم درعها وعن عمر رضى الله عنه سترت وجهها بيدها الحسن
فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتى لا يحسن المشى بين ايدى الرجال
والكلام معهم قيل انها الصغرى واسمها صفورا وهى التى تزوجها موسى قالت لموسى ان ابى
يدعوك يعنى شعيبا ليجزيك اجر ما سقيت لنا اى ليكافيك على سقيك ايانا والاجر جزاء العمل
فاجابها موسى فتبعها موسى فهبت الريح والزقت ثوبها بجسدها فكره موسى ان يرى ذلك منها
فقال لها امشى ورائى ودلينى على الطريق ان اخطات فانا من بنى يعقوب لا ننظر الى اعجاز النسا
فلما جاء موسى شعيبا وقص عليه القصص ذكر احواله مع فرعون قال شعيب لا تخف نجوت من
القوم الظالمين يريد فرعون وآله فانه لا يد لهم على مدين ولا سلطان لفرعون بارضنا علاء
قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين قالت احداهما
وهى التى ذهبت به يا ابت استاجره يرعى الغنم باجر ان خير من استاجرت اى خير من استعملت على
عمالك القوى الامين فقد جربنا قوته برفع الحجر ونزحه الدلو وجربت امانته حيث منعنى عن
المشى قدامه قيل القوى فى بدنه الامين فى عفافه ابن عباس القوى فيما ولى الامين فيما استودع
قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين اى اريد ان ازوجك
احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى نفسك مدة ثمانى حجج اى على ان تكون اجيرا لى ثمانى سنين من اجرته
اذا كنت له اجيرا لقولك ابوته اذا كنت له ابا وثمانى حجج ظرفه ويجوز ان يكون من اجرته كذا اذا
اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله اجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به اى رعيه ثمانى
حجج قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يصح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم
يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواضعة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد
انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك فان قلت كيف جاز ان يمهرها اجارة نفسه فى رعيه
الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابى حنيفة كيف منع ان تزوج امراة بان يخدمها
سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد او
قلت الامر على مذهب ابى حنيفة كما ذكرت واما الشافعى فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض
الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى
تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه هذه المدة

واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى افعل هذا اذا فعلت
ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه
اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشرا
فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمك هو ولا احتمه
عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك فى هذه المدة
فاكلفك ما يصعب عليك وقيل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه ستجدنى
ان شاء الله من الصالحين فى حسن العشرة والوفا بالعهد قيل يريد بالصلاح حسن المعاملة
ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة وهذا شرط
للاب وليس بصداق وقيل صداق والاول اظهر لقوله تاجرنى ولم يقل تاجرها وانما قال
ان شاء للاتكال على توفيقه ومعونته قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت
فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل قال موسى لشعيب ذلك مبتدأ بينى وبينك خبره وهو
اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم
بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت على نفسى ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال موسى ايما
الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل قال موسى لشعيب ذلك مبتدا بينى وبينك
خبره اى اجل من الاجلين اطولهما الذى هو العشر او اقصرهما الذى هو الثمانى قضيت
وفيته اياه وفرغت من العمل فيه فلا عدوان على اى لا يسئل على والمعنى لا تعتدى على بان تلزمنى
اكثر منه قال صاحب الكشاف فان قلت تصور العدوان انما هو فى احد الاجلين الذى هو الاقصر
وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما انى ان طولبت
بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك
تقرير امر الخيار فانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا من غير تفاوت
بينهما فى القضاء واما التتمة فموكول الى رايى ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا
اكون متعديا وهو فى نفى العدوان عن نفسه لقولك لا اثم على ولا تبعة على والله على ما نقول
من النكاح والاجر والاجل وكيل حفيظ وشاهد ولما استعمل الوكيل فى موضع الشاهد والمهيمن
والمقيت عدى بعلى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا
قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما
اتاها نودى من شاطى الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب
العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف
انك من الامنين فلما قضى موسى الاجل روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل اى الاجلين قضى موسى قال اوفاهما واطيبهما عن مجاهد مكث عندهم بعد قضاء الاجل
عشرا اخر وهب اقام عندهم بعد ان دخل عليه امراته سنتين او جذوة قرا عاصم بفتح الجيم
وحمزة وخلف والوليد عن ابن عامر بضمها والباقون بكسرها كلها لغات ابن عباس الجذوة
قطعة حطب فيها نار ابو عبيدة قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب قال والتى على قبس من النار
جذوة شديدة عليه حرها والتهابها فلما اتاها نودى من شاطى الواد الايمن فى البقعة
المباركة من الشجرة من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطى الوادى
من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطى الوادى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على

الساطع كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ان ياموسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يريد موسى ياموسى اي ناديناه ياموسى اقبل
ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء واضمم اليك جناحك
من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف
ان يكذبون واضمم اليك جناحك من الرهب قرا حفص عن عاصم بفتح الرا وسكون الها وحمزه والكساي
وابو بكر عن عاصم بضم الرا وسكون الها الباقون بفتح الرا والها قيل ان موسى عليه السلام لما قلب الله
العصا حيه فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضه
عند الاعدا فاذا القيتها فكما تنقلب حيه فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقايك بها ثم اخرجها
بيضا ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضه عليك واظهار معجزه اخرى والمراد بالجناح اليد
لان يدي الانسان بمنزله جناحي الطاير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه وقيل يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حيه
حتى لا يضطرب ولا يرهب استعاره من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحه وارخاها والا فجناحاه
مضمومان اليه مستمران ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رويه
الحيه فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعله فيما امر به من ضم جناحه اليه
ومعنى واضمم جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين عبارتين
وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضا
وفي الثاني اخفا الغضب فان قلت قد جعل الجناح الذي هو اليد في احد الموضعين مضموما
وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك
فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى
وكل واحد من يمنى اليدين ويسراهما جناح فذانك برهانان قرا ابن كثير وابو عمرو فذانك
بالتشديد والباقون بالتخفيف التشديد تثنيه ذلك والتخفيف تثنيه ذاك جعل التشديد
النون عوضا من اللام فذانك برهانان بيانان ايتان اي العصا واليد حجتان من الله
لموسى على صدقه الى فرعون اي ارسلنا بهاتين البرهانين الى فرعون وقد سبق تفسيرها
بعد هذا الى قوله هو افصح مني لسانا اي احسن بيانا فارسله معي ردا قرا نافع ردا بفتح الدال
والنون بعدها منونا والباقون بسكون الدال وبعدها همزه يقال ردا ته اعنته والردء اسم ما يعان
به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفا به قال سلامه بن جندل وردء كل ابيض مشرفي
شحيذ الحد عضب ذي فلول اي اجعله معي رسولا ليكون عونا على تبليغ الرساله فيصدقني
قرا عاصم وحمزه بالرفع صفه لردا والباقون بالجزم جوابا نحو وليا يرثني سوا وليس
الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص
بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضه
فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا وفضل الفصاحه انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت
فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف
تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لان السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد

المجازي ان التصديق حقيقه في المصدق فاسناده اليه حقيقه وليس في السبب تصديق
ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشره والدليل
على هذا الوجه اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاهم موسى باياتنا
بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابانا الاولين وقال موسى ربي
اعلم بمن جا بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون العضد قوام
اليد وبشدتها تشتد اليد قال طرفه ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد
ويقال في الدعا بالخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك
باخيك سنقويك به ونعينك فاجاب الله الى ما ساله فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد
بشده العضد والجمله تقوى بشده اليد على مزاوله الامور واما لان الرجل شبه باليد
في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتده بعضد شديد ونجعل لكما سلطانا
حجه وبرهانا بالمعجزات الظاهره والايات الباهره التي تصحبكما فلا يصلون اليكما بمكروه
ولا يكون لهم عليكما قدره باياتنا قيل متعلق بنحو ما تعلق به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا
وقيل متعلق بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا وقيل فلا يصلون اي يمتنعون منهم
باياتنا وهو بيان للغالبون لا صله لامتناع تقديم الصله على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صله
وقيل انه حال كما تقول خرج فلان بسلاحه وقيل يحتمل ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما
عليه ومن لغو القسم فلما جاهم موسى باياتنا بينات واضحات قال فرعون وقومه ما هذا
الا سحر مفترى مختلق اي سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله وقيل سحر ظاهر افتراوه وقيل
سحر موصوف بالافترا كساير انواع السحر وليس بمعجزه من عند الله وما سمعنا بهذا الذي
تدعونا اليه في ابانا الاولين وقيل ما سمعنا ان احدا ادعى النبوه فصدق وقيل لطول
الفتره قالوا هذا القول وقيل ما سمعنا دعي اباونا ما تدعونا اليه وقيل ما سمعنا
بمثل هذا السحر في ابانا حال منصوبه عن هذا اي كاينا من زمانهم وايامهم اي ما حدثنا
بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم
لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان للكهان ان يخبروا بظهور موسى ومجيه بما جا به
وهذا دليل على انهم حجوا وبهتوا او ما وجدوا ما يدفعون به ما جاهم من البينات
الا قولهم هذا سحر وبدعه لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى من
عنده ومن تكون له عاقبة الدار اي ربي اعلم اني محق فيما ادعوكم اليه وانتم مبطلون
وقيل ربي اعلم بالانبيا قبلنا جوابا لهم من قولهم ما سمعنا بهذا في ابانا الاولين وقيل
ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن
العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم ما
جرت عادته بارسال الكاذبين وبعثه الساحرين انه لا يفلح الظالمون وعاقبه الدار
هي العاقبه المحموده والدليل عليه قوله تعالى اوليك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمه
والرضوان وتلقي الملايكه بالبشرى عند الموت فان قيل العاقبه المحموده والمذمومه كلتاهما
يصح ان تسمى عاقبه الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير

هذه التسميه دون خاتمتها بالتراجيب بان الله تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الاخرة وامر عباده ان
لا يعملوا فيها الا الخير ليبلغوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضع الله له
فقد حرف فاذا عاقبتها الاصليه هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من
نتايج تحريف الفجار قرا ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكه وهي قراءة
حسنه لان الموضع موضع سوال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات
الباهره سحرا مفترى والباقون بواو ووجه هذه القراءة انهم قالوا ذلك وقال
موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الاخر وبضدها
تتبين الاشياء وقرا حمزه والكسائي ومن تكون بالياء من تحت والباقون بالتا
وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبه
الظالمين وجعلناهم ايمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه لعنة
ويوم القيامة هم من المقبوحين ان فرعون كانت عادته كلما ظهرت حجة موسى ان يتعلق
في دفع تلك الحجه بشبهة يروجها على اغمار قومه وذكر ههنا شيين الاول قوله ما علمت لكم
من اله غيري وهذا امتناول نفي الهيه غيره واثبات الهيته بعينه الثاني قوله فاوقد لي
يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت
لكم من اله غيري قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيري كما قال تعالى
اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم
لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشي معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفا العلم
بوجوده لانتفا وجوده وعبر عن انتفا وجوده بانتفا العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره
وان الها غيره غير معلوم عنده مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى
كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول
ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى له لقد علمت ما انزل هولا الا رب
السموات والارض بصاير لما تكلف البنيان العظيم ولما تعب في بنايه ما تعب لعله يطلع الى اله
موسى فاوقد لي يا هامان على الطين وكان هامان وزيره المعنى اصنع لي الاجر فاجعل
لي صرحا قصرا عاليا الزجاج الصرح كل بنا متسع مرتفع وجا في التفسير ان فرعون لما امر هامان
ببنا الصرح جمع العمال والفعله حتى اجتمع خمسون الف بنا سوى الاتباع والاجرا وامر
بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه
بنيان احد قط فلما تم ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابه فرمى بها نحو السما فردت وهي ملطخه
بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله تعالى جبريل فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع
فوقعت قطعه على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت اخرى في البحر واخرى في
المغرب لعلي اطلع الى اله موسى لو كان فرعون عالما بصحة قول موسى لما تعب في بنايه ما تعب
ولم يقل لعلي اطلع الى اله موسى وان كان جاهلا جهلا مفرطا به وبصفاته حيث حسب انه
في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا اقعد في عليته وانه ملك [illegible] كما انه
ملك الارض ولا ترى بينه اثبت شهاده على افراط جهله وغباوته وجهل ملايه وغباوتهم

من انصرام اموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده
ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهايم بذلك ام
كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابه اليه ملطوخه بالدم فتهكم به بالفعل
كما جا التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله نظرا انه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على
القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بنا الصرح مناقضه لما
ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا
يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ
لي الاجر واتخذه لانه اول من عمل الاجر فهو يعلمه الصنعه ولان هذه العبارة احسن طباقا
لفصاحة القران وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه
بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التجبر والتعظم وقيل كان فرعون
يتعاطى مذهب الصابيين وانهم يعبدون النجوم ويزعمون ان الى استجابة الكواكب
لمن اراد ذلك طرقا من العبادات وان من ظفر باستجابة الشمس ملكته وصيرته من اعظم
من في عصره واكبرهم واراد ببنا الصرح رصدا يصعد اليه ويعلم كيفية احوالها وهل تجدد
حكم من احكامها واني لاظن موسى من الكاذبين واستكبر تعظم هو وجنوده في الارض اي ارض
مصر وما يليها بدعوى الالهيه والامتناع من اتباع الرسل والايمان بهم بغير الحق بغير حق
اوجب ذلك بل بالباطل وقيل بغير الحق الحق في محل النصب على الحال اي غير محقين والاستكبار
بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقه المتبالغ في كبريا الشان قال رسول الله فيما حكى
عن الله تعالى الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما القيته في النار وكل مستكبر سواه
فاستكباره بغير الحق وظنوا اي فرعون وقومه انهم الينا لا يرجعون للبعث والنشور وقرا نافع
وحمزه والكسائي بفتح اليا من الرجوع والباقون بكسرها من الرجع فاخذناه اي فرعون
وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر يا محمد بعين الاعتبار كيف كان عاقبة الظالمين فاخذناه
وجنوده من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبريا سلطانه شبههم استحقارا
بهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في
كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات
مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره واعلم ان كل مقتدر وان عظم
وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته وجعلناهم قيل معناه دعوناهم ايمة دعاة الى النار وقيل
انهم ايمة دعاه كما يدعى خلفا الحق ايمة دعاة الى الجنه وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا
دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغه في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا
ومنه قوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار
دعوتهم الى موجباتها من الكفر وقيل معناه وجعلنا قوم فرعون ايمة في الشر والضلال يقتدى
بهم فيها فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم يدعون الى النار الى اعمال توجب دخول
النار وقيل حذف المضاف من بعد اخرى الى اعمال اهل النار وجاز ان يكون الدعا
منهم وجاز ان يكونوا قد سنوا سنه سيئه والاول موافق لمذهب المعتزله والثاني لاهل
السنه والجماعة وقيل جعلنا بمعنى حكمنا اي حكمنا بكفرهم وقيل معناه اعلمناكم انهم ايمة يدعون الى النار

ويوم القيامة لا ينصرون لا يمنعهم احد من عذاب الله وقيل لا ينصرون كما ينصر الايمة الدعاة الى
الجنة وقيل لا ينصر بعضهم بعضا الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واتبعناهم في هذه لعنة
اي كل من ادركهم لعنهم وقيل لعنة عذابا ويوم القيمة تقديره ولعنة يوم القيامة فيل فحذف المضاف
وانتصب يوم القيامة على المفعول به وقيل هو عطف على محل في هذه الدنيا لقوله اذاما تلاقينا
من اليد او غدا وقيل ظرف للمقبوحين ومعنى من المقبوحين هم من المهلكين وقيل ويوم
القيامة هم من المطرودين المبعدين وقيل قبحه يقبحه اذا جعله قبيحا وهو سواد الوجوه
وزرقة العيون وقيل من المغلوبين وقيل من المعذبين قوله تعالى ولقد اتينا موسى
الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصاير للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
ثم بين تعالى ان الذي يجب التمسك به ما جا به موسى ولقد اتينا موسى الكتاب التوريه من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بصاير للناس نصب على الحال
جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد اتيناه
التورية انوارا للقلوب وهدى وهاديا الى الصراط المستقيم ورحمة ونعمة وقيل لانهم
لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون يتعظون ويعتبرون اي وجب عليهم
ان يتذكروا قال صاحب الكشاف ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي
فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم قوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين وما كنت بجانب الغربي بجانب المكان
الغربي وقيل جانب الجبل الغربي الواقع في شق الغرب وهو المكان والجبل الذي وقع
فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله في الالواح اذ قضينا الى موسى الامر اذ كلمنا موسى
وفرغنا اليه مما اردنا تعريفه وامضاه وقيل قضينا هلاك فرعون في الما وقيل الامر
المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي اليه وقيل من الشاهدين في ذلك الزمان والشاهدون
هم سبعون الذين اختارهم موسى للميقات حتى يقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر
موسى في ميقاته وكتب التورية له في الالواح وغير ذلك ولكنا انشانا بعد عهد الوحي
الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهم القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع
الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم وكسبناك العلم بقصص الانبيا
وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك
فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصارا
فاذا هذا الاستدراك شبيه بالاستدراك الذي بعده وقيل فتطاول العمر وفترت النبوة
كاد يخفى تلك الاخبار وهن وبلغ الشرايع دروس ولحق كثيرا منها التحريف وتمام
الكلام مضمر فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مميزا للحق مما اختلف فيه وقيل يحتمل ان يجعل

المعنى

المعنى وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان وكان بينك وبين موسى قرون تطاولت
اعمارهم وانت تخبر الآن عن تلك الاحوال اخبار مشاهدة وعيان بايحائنا اليك معجزة
لك وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمومنون تتلو عليهم تقرا عليهم اياتنا
تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا كنا مرسلين اي ولكنا ارسلناك
في اخر الزمان الى الخلق اجمعين وابصرناك بها وعلمناكها وقيل وما كنت ثاويا في مدين مع
موسى فتراه وتسمع كلامه واحواله وها انت تتلو عليهم اياتنا على امتك وما كنت بجانب
الطور بناحية الجبل الذي كلم عليه موسى اذ نادينا اي نادينا موسى وكلمناه خذ الكتاب
بقوة وقيل نادينا موسى يا نبينا حين اختار قومه سبعين رجلا قال ابو هريرة نادى الله يا
يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسلوني فاستجبت لكم قبل ان تدعوني ولكن رحمة من ربك
ولكن اوحينا اليك وقصصنا عليك وعلمناك ورحمناك رحمة من ربك لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسماية وخمسون سنة
ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم ولولا امتناعية جوابها محذوف ان تصيبهم
مصيبة عقوبة ونقمة وعذاب بما قدمت ايديهم من الكفر والمعصية والظلم التي استحقوا بها
العذاب فيقولوا الفا عاطفة فيقولوا ربنا لولا تحضيضية مقوله لقوله فيقولوا ارسلت
الينا رسولا فنتبع الفا جواب لولا التحضيضية لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على
الفعل والباعث والمحضض واد واحد والمعنى ولولا انهم اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم
من الكفر والظلم والمعاصي فيقولوا ربنا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من
المومنين محتجين بذلك لما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان ارسال الرسل انما هو ليلزموا الحجة
ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اي يقولوا ما جانا من بشير ولا نذير
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك قال صاحب الكشاف والمعنى ولولا انهم قايلون
اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين الينا بذلك لما ارسلنا
اليهم ثم قال فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال
الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها
سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية
معنى السببية ويوول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا
ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجيوا به
الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب
لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على كفرهم واستحكامه
ورسوخه فيهم ما لا يخفى لقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كان اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من
الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل وقيل لولا انهم يحتجون
بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة قوله تعالى فلما جاهم الحق من عندنا قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل
كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا

لك فاعلم انما يتبعون اهواهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى
القوم الظالمين فلما جاءهم اي اهل مكه الحق من عندنا يعني محمدا او القران بامرنا ووحينا قالوا اي
اهل مكه لولا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جمله واحده ومن قلب العصا
حيه وفلق البحر وغيرها من الايات فجاوا بالاقتراحات المبنيه على التعنت والعناد كما قالوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك قال الله تعالى اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم
ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفره في زمن موسى بما اوتي موسى من قبل
الكلبي وكانت مقالتهم اي مقالة اهل مكه تلك حين بعثوا الرهط منهم الى رووس اليهود بالمدينه
في عيد لهم فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبرهم اليهود انا نعته وصفته وانه في كتابهم
التوريه فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا اي الكفره في زمن موسى
سحران قرا عاصم وحمزه والكسائي سحران التوريه والفرقان قاله ابن عباس قتاده الانجيل
والقران اسمعيل بن ابي خالد التوريه والانجيل تظاهرا كل سحر منهما يقوى الاخر
اسند التظاهر الى السحرين توسعا في الكلام والباقون ساحران يعني موسى ومحمد قاله
ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير فعلى هذا هو من قول مشركي العرب مجاهد موسى
وهرون فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتدا الرساله قتاده محمد وعيسى فعلى
هذا هو من قول اليهود الذين لم يومنوا بنبينا وقالوا انا بكل كافرون يعنون ما تقدم
ذكره على اختلاف الاقوال فقال الله تعالى لنبيه قل يا محمد لكفار مكه ان صدقتم في اني
اختلقت القران وان موسى اختلق التوريه وادعينا انهما من عند الله هو اهدى منهما
مما انزل على موسى من التوريه ومما انزل علي من القران اتبعه ان كنتم صادقين هذا الشرط
من نحو ما ذكرت انه من الشرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب هو
اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم
به فان لم يستجيبوا لك ولم ياتوا بمثل التوريه والقران فاعلم انما يتبعون اهواهم فيما ارتكبوه
من الكفر والشرك لم يحملهم عليه حجه وانما يتبعون اهواهم ومن اضل ولا احد اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى ولا ارشاد ولا بيان جاء من عند الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين
واعلم ان الاستجابه تتعدى الى الداعي باللام والى الدعا بنفسه ويحذف الدعا اذا عدى الى
الداعي في الغالب ويحذف الداعي اذا عدي الى الدعا فيقال استجاب الله له واستجاب دعاه
ولا يكاد يقال استجاب له دعاه فان قيل الاستجابه تقتضي دعا ولا دعا ههنا اجيب بان قوله
فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعا اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق حجه الا اتباع الهوى
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلى
عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا
ويدرون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ولقد وصلنا انزلنا تنزيلا متصلا بعضه في اثر
بعض وقيل ولقد اتيناهم القران متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ
ونصايح وقيل توصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان وهو من وصل البعض بالبعض ويحتمل
ان يكون المراد منه انا انزلنا القران منجما مفرقا يتصل بعضه ببعض ليكون ذلك اقرب

الى التذكر فيكون هذا جوابا لقولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعه واحده كما اوتي موسى
كتابه دفعه واحده ويحتمل ان يكون المراد وصلنا اخبار الانبيا بعضها ببعض واخبار
الكفار في ثبينه هلاكهم بكثير المواضع للاتعاظ والازدجار ويحتمل ان يكون المراد بينا الدلاله
على كون هذا القران معجزا مره بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام الدلاله على النبوه اكد
ذلك بان قال ان الذين اتيناهم الكتاب من قبل القران او محمد هم به بالقران او بمحمد يومنون
نزلت في مومني اهل الكتاب قتاده نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعه حقه
فلما بعث الله محمدا امنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام مقاتل نزلت في اربعين رجلا
من اهل الانجيل جاوا من الحبشه مع جعفر وعن رفاعه نزلت في عشره وانا منهم وقد عرفت
ان العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل من حصل في حقه تلك الصفه كان داخلا في الايه
واذا يتلى عليهم اياتنا قالوا امنا به هذا يدل على تاكد ايمانهم انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان
كونه حقا من الله حقيق بان يومن به انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا
قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباهم القدما قراوا في الكتب الاول
ذكره وابناهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان
الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اوليك يوتون اجرهم مرتين مره لايمانهم بالكتاب
الثاني بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوريه والايمان بالقران وقيل بصبرهم على الايمان
بالقران قبل نزوله وبعد نزوله وقيل بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحو ذلك
كفلين من رحمته مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا ويدرون بالحسنه الطاع
السيئه المعصيه وقيل بالحسنه الحلم السيئه الاذى ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا
اللغو القبيح من القول اعرضوا وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركه
الحسن كلمة حلم من المومنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم وقيل لا نبتغي الجاهلين
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا
من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون قد تقدم سبب نزولها عند قوله ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث ابي هريره
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامه
فقال لولا ان تعيرني نسا قريش يقلن انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل
الله عز وجل انك لا تهدي من احببت قيل اجمع المفسرون انها نزلت في ابي طالب وفي
قوله احببت قولان احدهما من احببت هدايته والثاني من احببته لقرابته
ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين بمن قدر له الهدى وشاهد ايته
وقالوا ان نتبع نزلت في الحرث بن نعمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن يمنعنا من اتباعك ان العرب
تخطفنا من ارضنا لاجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فانزل الله الايه ومعناها ان
اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخالفتنا اياها والتخطف الانتزاع بسرعه فرد الله عليهم
قولهم فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي اولم نسكنهم حرما ونجعله مكانا لهم ومعنى امنا ذو امن
يامن الناس فيه وذلك ان العرب في الجاهليه كانت تغير بعضهم على بعض واهل مكه آمنون

في الحرم من السبي والقتل والغارة اي فكيف يخافون اذا اسلموا وهم في حرم آمن يجبى قرا نافع بالتا من فوق
والباقون بالياء تحت اليه الى الحرم اي يجلب ويحمل من النواحي ثمرات كل شي رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن
اكثر اهل مكة لا يعلمون ان الله هو الذي يفعل بهم ذلك فيشكرونه ومعنى الاية اذا كنتم امنين في حرمي تاكلون
رزقي وتعبدون غيري فكيف تخافون اذا عبدتموني وامنتم بي وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى
حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون هذا تخويف لاهل
مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت فكفرت بربها اعطاها عاشوا في البطر والاشر
فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وانتصاب الفعل
لقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف
الزمان اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى
كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم لم تسكن
من بعدهم الا قليلا من السكنى واكثرها خراب ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما
او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم وكل من سكنها من اعقابهم لم تبق
فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او
خربناها وسويناها بالارض بتخلف الاثار عن اصحابها حينا ويدركها الفنا وما كان عادة ربك
ان يهلك القرى بكفر اهلها في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها او قصبتها التي
هي اعمالها وتوابعها رسولا يتلو عليهم اياتنا الزاما للحجة وقطع المعذرة مع علمهم انهم لا
يومنون وقيل ما كان في حكم الله وسابق قضايه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام
القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون كافرون عاتون في الكفر وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون
بها زمانا قليلا وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى
لان بقاءه ابدي سرمدي افلا تعقلون ان الباقي الشريف خير من الفاني الخسيس افمن وعدناه
هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها قيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل
وقيل في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل وقيل في المومن والكافر وقيل في عمار والوليد بن
المغيرة افمن وعدناه وعدا حسنا اي ثوابا وقيل اي جنة ونعيمها فهو لاقيه مدركه ومصيبه
لا محالة اذ لا خلاف لوعدنا كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين من
الذين احضروا النار ونظيره قوله تعالى ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقيل من المحضرين للعرض
والحساب معاقبين بالنار وقيل من المحضرين من المشهورين فان الاحضار كالاشخاص يوجب السخط
والغضب ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق
عليهم القول ربنا هولا الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا يومئذ فهم لا يتساءلون ويوم يناديهم

ابن

اين ينادي الله المشركين يوم القيامة فيقول الله اين شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا
انهم شركاي في الالهية وكنتم تعبدونهم وتدعون انهم يشفعون لكم فاين هم قال الذين حق عليهم
القول اي وجب عليهم العذاب الكلبي هم ائمة الكفر ورؤساؤه وقيل الشياطين ربنا هولا مبتدا
الذين اغوينا صفته والعايد في الصلة الى الموصول محذوف تقديره الذين اغويناهم اغويناهم
خبر المبتدا والكاف صفة مصدر محذوف اي هولا اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا
اي اضللناهم كما ضللنا اقروا بالاضلال والدعا الى الشرك والكفر تبرانا اليك انكروا
امرهم المعبودين لعبادتهم اياهم ما كانوا ايانا يعبدون بامرنا بل كانوا يتبعون اهواهم
وقيل ما كانوا ايانا يعبدون بسلطان وحجة من قوله تعالى ما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل ما المصدر والتقدير تبرانا اليك مما كانوا ايانا يعبدون
فحذف من وقيل على ما كانوا ايانا يعبدون فحذف على وقيل الذين حق عليهم القول
الدعاهم الى الشرك ويكون الشركا غيرهم فيقولون هذا عند خوفا على انفسهم واشفاقا من
ان يزاد في عذابهم بسبب اغوايهم اياهم ربنا انا اغويناهم لا انا امرناهم بعبادتنا وقيل
المراد بالشركا الملئكة وعيسى وحمل قوله اغوينا على اضمار شرط اي ان اغوينا اغويناهم
كما غوينا ولكن لم يكن منا اغوا قال ومثله ان كنت قلته فقد علمته وهذا اوجه تعسف
وليس في الاية ذكر جواب المخاطبين فيحتمل انه حذف لان قوله بعد فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم يدل عليه او يدل عليه قوله فعميت عليهم الانبا وقيل ادعوا شركاكم اضاف اليهم في
هذه الاية لادعايهم انهم شركا الله اي ادعوهم ليخلصوكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم
يقدروا على ما دعوا اليه وقيل لم يجيبوهم بحجة وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
جواب لو مضمر اي لو انهم كانوا يهتدون لما راوا العذاب وقيل جوابه لما اتبعوهم وقيل
هذا تمني اي ودوا لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم عطف على الاول اي ويوم
ينادي الكفار ويسالهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت فخفيت واشتبهت عليهم الانبا
وقيل فعميت عليهم الانبا اي فصارت عليهم الانبا كالعمى لا يهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا
يسال بعضهم بعضا كما يتسال في المشكلات لانهم جميعا يتساوون في عمى الانبا عليهم والعجز
عن الجواب وقيل سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل
شيا من ذنوبه فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
لما بين حال المقدمين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا
ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر فقال فاما من تاب وامن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين الكاملين في الفلاح وعسى من الكرام تحقيق والله اكرم الاكرمين
وقيل يريد ترجي التايب وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان
الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في
الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ان المشركين من قريش قالوا لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم يعنون الوليد بن المغيرة وابا مسعود الثقفي فاجاب الله عما قالوا بقوله
وربك يخلق ما يشا فانه هو المالك المطلق المتفرد بالنفع والضر فهو يخلق ما يشا ويختار لا اعتراض
عليه ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما يشركون والمقصود ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال
مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله

وفيه

من الشرك

صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره من
النبوه وهو الله لا اله الا هو وهو الله وهو المستاثر بالالهيه المختص بها لا اله الا هو تقرير
لذلك كقوله الكعبه القبله لا قبلة الا هي وفيه تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل
المعلومات منزها عن النقايص والافات يجازي المحسنين على طاعتهم ويعاقب العاصين على
معصيتهم وفيه غاية تقوية القلب للمطيعين ونهاية الزجر والردع للمتمردين قبل الماسين
فساد طريقه المشركين من قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاي ختم الكلام ببيان هذا
التوحيد وبيان ان الحمد والثنا لا يليق الا به له الحمد في الاولى والاخره لان ايصال
النعم في الاولى والثواب في الاخره غير واجب على الله بل ينعم ويثيب تفضلا واحسانا
فله الحمد في الاولى والاخره والحمد في الاخره هو قول اهل الجنه الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين له الحكم في الدنيا
لان حكم كل واحد سواه انما ينفذ بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على المراه
حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعيه حكم سلطانهم ولا على الامه حكم الرسول وله
الحكم في الاخره لانه الذي يتولى الحكم بين عباده فيها واليه ترجعون اي والى حكمه وقضايه ترجعون
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله ياتيكم
بضيا افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامه من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون لما بين من قبل بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخره وله الحكم
واليه ترجعون فصل عقيب ذلك بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا فنبه على الوجه في كون الليل والنهار نعمتين متعاقبتين على الزمان
لان الانسان في الدنيا في حال التكليف مفتقر الى تحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا الراحه والسكون
بالليل فلا بد منها والحال هذه واما في الجنه فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم الى الليل فلذلك
يدوم لهم الضيا واللذات فبين الله ان القادر على ذلك ليس الا الله والسرمد الدايم المتصل
من السرد وهو المتابعه ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثه سرد وواحد فرد والميم مزيده
ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل
بليل تسكنون فيه اجيب بانه ذكر الضيا وهو ضو الشمس للمنافع لان المنافع التي تتعلق به
متكاثره ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزله ومن ثم قرن بالضيا افلا
تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن
بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه
ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثه لتسكنوا في احدهما وهو الليل
ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولعلكم تشكرون الله على نعمه
ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون كرر لان الايه الاولى لتقرير الاقرار
على النفس بالعجز والثانيه للتعجيز عن اقامة البرهان لما طولبوا به محض من الاسناد مع انه تقريع
بعد تقريع ونزعنا من كل امه شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله
وضل عنهم ما كانوا يفترون ونزعنا اخرجنا وميزنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم الذي
يشهد عليهم بما اجابوا به فيما دعوا اليه من التوحيد وانه قد بلغهم رسالة ربه نظيره قوله

فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم
اي حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني فعلموا ان الحق لله ان الالهيه لله اي علموا انه لا اله
الا هو وقيل فعلموا حينيذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولا لشياطينهم وضل عنهم اي وغاب
عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب وقيل بطل في الاخره ما كانوا
يفترون في الدنيا من الشركا ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه
من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبه اولي القوه اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ
الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قارون اسم اعجمي
مثل هرون غير منصرف للعجمه والعلميه ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وكان من قوم موسى اي من عشيرته
وفي نسبه الى موسى ثلثة اقوال احدها انه كان ابن عمه رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال عبد الله
بن الحرث وابن جريج وثانيها ابن خالته رواه عطا عن ابن عباس وثالثها انه عم موسى قاله ابن اسحق وقيل
معنى كونه من قومه انه امن به وقيل كان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرايل للتوريه
ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوه لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي فبغى عليهم ابن
عباس ان قارون جعل لبغيه جعلا على ان تقذف موسى بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما
قالت فاخبرته بقصتها وكان هذا البغيه الضحاك بغى بالكفر بالله قتاده بغى بالكبر عطا انه زاد في
طول ثيابه شبرا وقيل ملكه فرعون على بني اسرايل فظلمهم واتيناه من الكنوز اي الاموال المدخره
ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي ان مفاتحه صلته مفاتحه اسم لتنوء خبره والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم
وهو ما يفتح به وقيل مفاتحه خزاين امواله وقياس واحدها مفتح بفتح الميم ابو صالح كانت خزاينه
تحمل على اربعين بغلا لتنوء بالعصبه اي لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها يقال ناء به اذا نهض
به مثقلا بالعصبه بالجماعة الكثيره روي ان مفاتيح خزاين قارون وقر ستين بغلا غرا
محجله لكل خزانه مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود الابل عن ابن رزين لو كان
مفتاح واحد لكنوز الكوفه كان كافيا وقد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبه
واولي القوه اذ قال منصوب بتنوء له قومه من بني اسرايل لا تفرح لا تبطر ومنه قوله تعالى
انه لفرح فخور ولا تفرحوا بما اتاكم وقول القايل ولست بمفراح اذا الدهر سرني اراد لست باشر
لان السرور غير مكروه ولا مذموم ان الله لا يحب الفرحين الاشرين البطرين وذلك لانه لا يفرح
بالدنيا الا من رضي بها واطمان فاما من قلبه الى الاخره ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه
نفسه بالفرح وقيل لا تفرح لا تفسد ان الله لا يحب الفرحين المفسدين المتكبرين الذين لا يشكرون
الله على ما اعطاهم وابتغ في ما اتاك الله من الغنى والثروه في حال تمكنك وقدرتك بالمال
والبدن الدار الاخره بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه
وتجعله زادك في الاخره ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل ولا تترك
ان تعمل في دنياك لاخرتك حتى تنجو من عذاب الله وقال علي رضي الله عنه ولا تنس صحتك
وقوتك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الاخره الحسن ولا تنس ان تطلب فيها هايتك وغناك
ما احل الله لك منها وقيل قوتك وقوت اهلك وقيل هو الكفن لانه حظه من الدنيا عند خروجه
منها واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك وقيل واحسن فيما افترض عليك كما احسن الله

فيما انعم عليك ولا تبغ الفساد فى الارض بالظلم والبغى ان الله لا يحب المفسدين قال قارون انما
اوتيته على علم على فضل علم عندى علمنيه الله ورانى لذلك اهلا ففضلنى بهذا المال عليكم كفضلى
عليكم بالعلم وغيره وقيل هو علم الكيميا سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيميا
فعلم يوشع ثلثه وكالب بن يوقنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه
وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى الكيميا فعلم موسى اخته فعلمت
اخته قارون وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم عندى بالتصرف فى التجارات والزراعات وساير
المكاسب وقيل عندى معناه فى ظنى كما يقول الامر عندى كذا كانه قال انما اوتيته على علم ثم زاد
عندى اى هو فى ظنى ورايى هكذا اولم يعلم يجوز ان يكون اثباتا لعلمه ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
لما ذكر قارون ومن اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل
التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سوالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان
يعاقبهم عليها لقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم قتاده يدخلون النار بغير حساب
مجاهد الملايكه لا تسال عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم الحسن لا يسال عن ذنوبهم المجرمون ليعلم
ذلك من قبلهم وان سالوا سوال تقريع وتوبيخ فخرج على قومه فى زينته
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا
به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا
لخسف بنا انه لا يفلح الكافرون فخرج على قومه فى زينته الحسن فى ثياب حمر مجاهد على براذين بيض
عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات مقاتل على بغلة شهبا على سرج من ذهب عليه الارجوان
ومعه اربعة الف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن
يساره ثلثمائة جاريه عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب وقيل فى تسعين الفا عليهم
المعصفرات وهو اول يوم روى فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا اى
الذين همتهم الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون قيل تقديره يا قوم ليت لنا وقيل يا متمناى
تعال مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم نصيب كبير وقيل ذو جد من الدنيا عظيم
كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبه فى اليسار والاستغنا كما هو عادة
البشر قتاده تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوا فى سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا
الغابط هو الذى يتمنى نعمه صاحبه من غير ان يزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى ان تكون
نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطه قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتى قرون
ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ والجد وهو
البخت والدوله وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت وقال الذين اوتوا العلم
بفنا الدنيا وبقا العقبى والثواب والعقاب ويلكم اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل
فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعا على الرجل
بالاقتراف على الحث فى الفعل وقيل معناه هلكتم ان اثرتم الدنيا على الاخره ثواب الله خير

قبل قارون
من د

لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اى ولا يلقى هذه الكلمه التى تكلم بها العلماء وهى
ثواب الله خير وقيل ولا يلقى ثواب الله لانه فى معنى المثوبه او الجنه وقيل ولا يلقى السيره والطريقه
وهى الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على الطاعات وعن الزينه والشهوات والمعاصى وقيل
على ما قسم الله من القليل والكثير فخسفنا به وبداره الارض روى عن العلما باخبار القدما ان قارون
كان اعلم بنى اسرايل بعد موسى وهرون واقراهم للتوريه واجملهم واغناهم فبغى وطغى حتى هلك وكان
سبب بغيه كثرة المال وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا
فى اردتهم خيوطا اربعه فى كل طرف خيط اخضر لونه كلون السما فقال موسى يا رب لم امرت بنى اسرايل
بتعليق هذه الخيوط الخضر فى اردتهم فقال الله ان بنى اسرايل فى غفله وقد اردت ان اجعل لهم
علما فى ثيابهم يذكرون به اذا نظروا الى السما ويعلمون انى منزل منها كلامى قال موسى يا رب افلا
تامرهم ان يجعلوا اردتهم كلها خضرا فان بنى اسرايل يحقرون هذه الخيوط فقال تعالى يا موسى ان
الصغير من امرى ليس بصغير وان هم لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير
فدعا موسى بنى اسرايل وقال لهم ان الله عز وجل امركم ان تعلقوا فى اردتكم خيوطا خضرا
كلون السما لكى تذكروا ربكم اذا رايتموه ففعلت بنوا اسرايل ما امرهم به موسى عليه السلام
واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا من غيرهم فكان
هذا بدو عصيانه وبغيه فلما قطع موسى عليه السلام ببنى اسرايل البحر جعلت الحبوره لهرون عليه
السلام وهى رياسة المذبح فكان بنوا اسرايل ياتون بهديهم ويدفعونه الى هرون عليه السلام
فتنزل نار من السما فتاكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك واتى موسى عليه السلام
فقال يا موسى لك الرساله ولهرون الحبوره ولست فى شى من ذلك وانا اقرا للتوراة منكما
لا صبر لى على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما انا جعلتها فى هرون بل الله جعلها له فقال
قارون والله لا اصدقك فى هذا حتى ترينى بيانه فجمع موسى روسا بنى اسرايل فقال هاتوا
عصيكم فحزمها والقاها فى قبته التى كان يتعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم بالليل
فاصبحوا فاصبحت عصا هرون عليه السلام قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز
فقال موسى عليه السلام يا قارون ما ترى هذا فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع
من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابه التى بينهما وهو يوذيه
فى كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى عليه السلام حتى بنى دارا وجعل
بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفايح الذهب وكان الملا من بنى اسرايل يغدون
عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكوة على
موسى عليه السلام اتاه قارون فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على
درهم وعن كل الف شاة شاة وعن كل الف شى شيا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح
بذلك نفسه فجمع بنى اسرايل وقال لهم يا بنى اسرايل ان موسى قد امركم بكل شى فاطعتموه وهو
الآن يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شيت فقال امركم ان تجيوا بفلانه
البغى فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنوا اسرايل ورفضوه
فدعوها وجعل قارون لها الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال
لها انى امولك واخلطك بنساى على ان تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنوا اسرايل فلما كان
من الغد جمع قارون بنى اسرايل ثم اتى موسى عليه السلام فقال له ان بنوا اسرايل قد اجتمعوا ينتظرو

خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امراة جلدناه مائة ومن زنى
وله امراة جلدناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني
اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فقال لها موسى
يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل
التورية على موسى الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة بمن
ان اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل قارون لي جعلا على ان اقذفك بنفسي
فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه مر الارض بما
شئت فانها مطيعة لك فقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما
بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون
الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى
الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وصاحباه في كل ذلك
يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله وبالرحم وروي انه ناشده سبعين مرة وموسى لا يلتفت
اليهم لشدة غضبه ثم قال موسى عليه السلام يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم الارض واوحى الله
الى موسى ما افظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم اما وعزتي لو اياي دعوا لوجدوني
قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا انه يخسف به كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة
واصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه
وامواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وامواله الارض فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال
نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس العرب تعبر
باصبح وامسى واضحى عن الصيرورة والفعل فتقول فلان اصبح عاكفا واضحى معدما وامسى حزينا
اذا صاروا بهذه الاحوال وليس ثم من الصبح والضحى والمسى شيء بالامس يذكر الامس ولا
يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته
من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه ان القوم
تنبهوا على خطاهم في تمنيهم وفي قولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه
لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح هذا مذهب الخليل
وسيبويه وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت يعني اما
ترينه وراء البيت وقال هي كلمة تقرير كقول الرجل اما ترى الى صنع الله واحسانه مجاهد
معناه الم تعلم قتادة الم تر وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح
الكافرون الحسن هي كلمة ابتدا او تحقيق وقيل ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة
الى وي وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك
وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي كانه ومنهم من يقف على ويك ويبتدي
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي ويقتر اي لا يبسط الرزق على من يبسط
لكرامته عنده ولا يقدر على من يقدر لهوانه عليه لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنيناه
من المال لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها

جماعة

للذين

للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها
يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك
ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا تكبرا وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي عكرمة الفساد اخذ المال
بغير حق الكلبي الدعا الى غير عبادة الله والعاقبة المحمودة الجميلة للمتقين من جا
بالحسنة فله خير منها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون تقديره
ومن جا بالسيئة فلا يجزون الا ما كانوا يعملون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد
عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله
العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبع مائة وهو
معنى قوله فله خير منها قوله الا ما كانوا يعملون ليس المراد ان نفس ما كانوا يعملون جزاهم بل المراد
ما كانوا يعملون باعتبار جنسه اي ان كان سيئا فبالاساءة ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جا بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك
وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون لما شرح لرسوله امر القيامة واستقصى في ذلك شرح له ما يتصل باحواله عليه
الصلوة والسلام قيل ان الذي فرض عليك اي انزل او اعطى فرض عليك العمل بالقران وقيل اوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه اي ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليه
ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس
لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك مجاهد الى معاد الى مكة لان معاد الرجل بلده لانه لا ينصرف
ثم يعود الى بلده مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا ثم هاجر من وجهه ذلك
الى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة
بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابائه فاتاه جبريل
عليهما السلام فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله عز وجل يقول ان
الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي مكة ظاهرا عليها ووجهه ان يراد برده اليها
يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقهره اهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه قيل السورة
مكية فكان الله وعده بها وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر بها ويعيده
اليها ظاهرا ظافرا قال ابن عباس نزلت بالجحفة ليست بمكة ولا المدينة عكرمة الى القيامة
ابو صالح الى الجنة لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جا بالهدى
يعني نفسه عليه السلام وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعني
المشركين وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي القران وقيل متصل بقوله ان الذي فرض عليك القران وما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب لرادك الى معاد الا رحمة من ربك هذا محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك
الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من
ربك القي عليك الكتاب ولا تكونن ظهيرا للكافرين لما ترى من ضعفك في الحال وقوتهم

كلام

باب ٥

وقيل لا تكن من ظهرا لهم وهذا امر بالمعجز ولا يصدنك عن ايات الله عن العمل بايات الله بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزالها واذ يضاف اليه اسما الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من التهييج والالهاب اى ادع عليه السلام الدين بابيه وادع الى ربك الى عبادة ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا هو والوجه صلة وقد يعبر به عن الذات والصادق الادسه ابو العالية الا ما اريد به وجهه عن عبادة ابن الصامت يجا بالدنيا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان لكم منها قال فيميز ما كان لله تعالى منها ثم يومر بسايرها فيلقى في النار عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا ساله شيا فلم يعطه فقال له اسالك بوجه الله فقال له علي رضي الله عنه كذبت ليس بوجه الله سالتني انما وجه الله الحق الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى كل شيء هالك الا وجهه يعني الحق ولكن سالتني بوجه الخلق الضحاك كل شيء هالك الا الله والجنة والنار والعرش ابن كيسان الا ملكه له الحكم واليه ترجعون اى الى ثوابه وعقابه فيجازيكم جزاوفاقا

عنكبوت

مكية قال الحسن وقتادة وعطا وجابر بن زيد ومقاتل وروى العوفي عن ابن عباس وفي رواية عن ابن عباس انها مدنية وقال هبة الله المفسر نزل من اولها الى راس العشر بمكة وباقيها بالمدينة وقال غيره علس هذا انزلت العشر بالمدينة وباقيها بمكة وهي تسع وستون اية والف وتسع مائة واحدى وثمانون كلمة واربعة الف ومائة وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقوع الاستفهام بعد المد دل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها احسب الناس الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات فانك اذا قلت حسبت زيدا او ظننت الفرس لم يصح السكوت عليه ولم يكن معنيا ولكن يصح تعليقه بمضمون الجملة نحو قولك حسبت زيدا منطلقا وظننت الفرس جوادا فان قولك زيد منطلق والفرس جواد كلام تام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الحسبان او الظن فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على وجه الحسبان او الظن من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان او الظن حتى يتم غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان ههنا هو في قوله تعالى ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان تقديره احسب الناس تركهم غير مفتونين لقولهم امنا وهم لا يفتنون فان تقديره احسب الناس تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو المفعول الثاني فانه اذا قطعت النظر عن حسب يكون تركهم غير مفتونين مبتدا ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه فانك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير كاين ومستقر قبل اللام ولو ان قولهم ان يقولوا علة تركهم غير مفتونين لانا في صحة وقوعه خبرا عن مبتدا كقولك خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا وهم لا يفتنون في محل النصب على انه حال عن الضمير في ان يتركوا والفتنة الابتلا بالتكاليف الشاقة من مفارقة الاوطان ومجاهدة اهل الاوثان وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات واللذات وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبالمصابرة على اذى الكفار وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة

على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير مفتونين بل يفتنون بانواع الفتن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم وخلوص نياتهم ليتميز المخلص من غيره والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقيل نزلت في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله تعالى وقيل نزلت في اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الاية فكتبوا اليهم انه قد نزل فيكم اية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا احد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله فيهم الايتين وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته فانزل الله فيهم هذه الاية

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني اتباع الانبيا قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه عن ذلك دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم وليعلمن الكاذبين والله عالم بهم قبل الاختيار وعلمه قديم تام ولم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجدوا والمعنى فليظهرن الله ذلك حتى يوجد معلومه المعدوم فيعلم موجودا مقاتل فليرين الله الاخفش فليميزن الله الصادق وليميزن الكاذب قال العسى علم الله نوعان احدهما علم كل شيء كان فعلم انه كان والثاني علم كل شيء يكون فعلم انه يكون وقت كذا ولا يعلمه كاينا واقعا الا بعد كونه ووقوعه بيانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اى ونعلم المجاهدين منكم مجاهدين ونعلم الصابرين صابرين فكذلك ههنا فليعلمن الله ذلك موجودا كاينا وهذا سبيل علم الله الاستقبال قيل ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين

ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي ان يسبقونا لاشتماله على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والمعنى يعجزونا ويفوتنا بانفسهم فلا نقدر على الانتقام منهم ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون اى بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله وقيل من كان يرجو لقاء الله في القيامة ويطمع في ثوابه فان اجل الله لات اى ما وعد الله من الثواب كاين وقيل من كان يخاف الموت والمصير الى دار الجزا فليعمل خيرا ولا يتوان فيه فان اجل الله يعني الموت لات لا محالة وقيل لقاء الله مثال للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزا مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله

من كان يرجو لقا الله من كان يامل تلك الحاله وان يلقى الكرامة فيها من الله والبشرى فان اجل
الله وهو الموت لآت لا محاله فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاه ويحقق امله ويكتسب به
القربه عند الله وهو السميع العليم الذى لا يخفى عليه شى مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق
بالتقوى والخشيه فان قيل فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط اجيب بانه اذا
علم ان لقا الله عنيت به تلك الحاله الممثله والوقت الذى يقع فيه تلك الحال هو الاجل
المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقا الله فان لقا الله لات لان الاجل واقع فيه
اللقا كما يقول من كان يرجو لقا الملك فان يوم الجمعه قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم
الجمعه ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة الله و فى منعها ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد
لنفسه لان منفعه ذلك راجعة اليه وقيل جاهد الشيطان وقيل جاهد الكفار ومن كفر
فانما يكفر لنفسه فان الله غنى عن العالمين لا ينتفع بمن جاهد ولا يتضرر بمن كفر
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون
لنكفرن عنهم سياتهم الشرك والمعاصى بالايمان والتوبه ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى باحسن
اعمالهم وهو طاعة الله وقيل هو ادا الفرايض ويحتمل لنجزينهم احسن من الذى كانوا يعملون اى بالواحد
عشرا او بالواحد سبعين ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك
لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم امر فى معناه
وتصرفه يقال وصيت زيدا ان يفعل خيرا كما يقال امرته بان يفعل منه ومنه بيت الاصلاح
وذبيانه وصيت بنيها بان كذب القراطف والقروف ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم
بنيه اى وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد
عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصينا الانسان
بايتا والديه حسنا او بايلا والديه حسنا اى فعلا ذا حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا
للناس حسنا وقيل يجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيا
للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان الوصيه بهما داله عليه وما بعده مطابق
له فكانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى التفسير الاول
لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان اى وان جاهداك
وغالباك واستفرغا جهودهما على ان تشرك ما ليس لك به علم اى اى لا علم لك بالاهيته لعدمها
والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما
فى الشرك وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا ه على
ما ذكر ان كل حق وان عظم ساقط اذا جا حق الله فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق
الى مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزايكم وفيه شيان احدهما ان
الجزا الى فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى
الدنيا كما انى لا امنعهما رزقى والثانى التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات
والاستقامه فى الدين بذكر المرجع نزلت الايه فى سعد بن ابى وقاص فانه لما اسلم قالت له امه
وهى حمنه بنت ابى سفيان بن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف يا سعد بلغنى انك صبوت
فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح ولا اكل ولا اشرب حتى تكفر بمحمد وترجع الى ما كنت

عليه وكان احب ولدها اليها فابى سعد وصبرت هى ثلثة ايام لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل بظل
فاتى سعد النبى صلى الله عليه وسلم وشكى ذلك اليه فانزل الله هذه الايه والتى فى لقمن
والتى فى الاحقاف فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يترضاها ويحسن اليها ولا يطيعها فى الشرك
الى مرجعكم فانبيكم اى اوقفكم على اعمالكم فانها مكتوبه عندى ثم اجازيكم بها
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين اى فى زمرتهم بقبول توبتهم وجعلهم
اسوة سائر المومنين والصلاح من ابلغ صفات المومنين وهو متمنى انبيا الله قال الله حكاية عن سليمان
وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى ابرهيم وانه فى الاخرة لمن الصالحين
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولين جا نصر من
ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين مجاهد نزلت فى ناس كانوا
يومنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك عكرمه نزلت فى المومنين الذين اخرجهم المشركون
معهم الى بدر فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملايكه ظالمى انفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض وقد مضت القصه قتاده نزلت هذه الايه فى القوم الذين
ردهم المشركون الى مكه وهذه الايات العشر مدنيه الى هاهنا وسايرها مكيه مقاتل والكلبى
نزلت فى العباس ابن ابى ربيعه بن مغيره بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى وذلك انه اسلم
فخاف اهل بيته فهاجر الى المدينه قبل ان يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم فحلفت امه اسما بنت
مخرمه بن ابى جندل بن نهشل ان لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل كنا حتى
يرجع اليها فلما راها ابناها ابو جهل والحرث ابنا هشام وهما اخو عباس لامه جزعها وحلفهما
ركبا فى طلبه حتى اتيا المدينه فقال ابو جهل لاخيه عباس قد علمت انك احب الى امك من جميع ولدها
ولنت بارا بها وقد حلفت امك ان لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل كنا حتى ترجع
اليها وانت تزعم ان فى دينك بر الوالدين فارجع اليها فان ربك الذى تعبد بالمدينه هو ربك
بمكه فاعبده بها فلم يزالا به حتى اخذ عليهما المواثيق ان لا يحركاه ولا يصرفاه عن دينه
فاعطياه ما سال من المواثيق فتبعهما وقد صبرت امه ثلثة ايام ثم اكلت وشربت فلما خرجوا
من المدينه اخذاه واوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلده حتى تبرا من دين محمد عليه
السلام جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغى فانزل الله تعالى فيه ومن الناس وكان الحرث
اشدهما عليه واسواهما قولا فحلف عباس بالله لين قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه
فلما رجعوا الى مكه مكثوا احيانا ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم والمومنون الى المدينه فهاجر عباس
واسلم وحسن اسلامه ثم ان الله تعالى قذف الايمان فى قلب الحرث بن هشام فهاجر الى المدينه
وبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولم يحضر عباس فلقيه عباس يوما بظهر قبا ولم
يشعر باسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد اسلم فاسترجع عباس فبكى ثم اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فانزل الله وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا
خطا ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله اى فاذا امسهم اذى من الكفار
فى سبب اظهار دين الله جعل فتنة الناس اى اذى الكفار كعذاب الله اى كان ذلك صارفا
لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر وقيل وكما يجب ان يكون عذاب الله
صارفا وقيل ترك الايمان خوفا من عذاب الناس كما ينبغى ان يترك الكفر خوفا من عذاب الله
فعدل عذاب الدنيا الذى هو ساعة بعذاب الله الذى هو باق لا ينقطع ولين جا نصر من ربك

فتح وغنيمة ليقولن يعني هولاء المرتدين انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم
ما قدر احد ان يفتننا عنه فاشركونا فيما غنمتم واعطونا نصيبنا منه وهم كاذبون وانما
يقولون ذلك استكفافا لما يخافونه من ايقاع المومنين بهم ثم اخبر الله سبحانه انه اعلم بما في
صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما يكن صدورهم هولاء من النفاق وهذا
اطلاع منه للمومنين على ما ابطنوه قوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هذا وعد
للمومنين ووعيد للمنافقين اي حال الفريقين ظاهر عند الله الذي يملك الجزا

وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شي
انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة عما كانوا يفترون وقال
الذين كفروا من اهل مكة للذين امنوا اتبعوا سبيلنا امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا
عليها في دينهم ولنحمل خطاياكم امروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع
هذان الامران في الواقع ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا
قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل
عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شي يخفف عن المحمول عنه العذاب انهم لكاذبون في قولهم
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله انهم لا يقدرون على
الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين
لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشي لا بما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه
لا طريق لهم الى ان يفوا به وكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما
عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين
يعدون الشي وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اوزارهم واثقالا اي واثقال من اضلوا
وصدوا عن سبيل الله مع اثقالهم وقيل اثقالا اي اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا حملها
للمومنين وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم نظيرها ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
ومن اوزار الذين يضلونهم عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما داع دعا الى هدى فاتبع
عليه وعمل به فله مثل اجور الذين اتبعوه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا وايما داع دعا الى ضلالة
فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل اوزار الذين اتبعوه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا ثم قرا الحسن
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له اجرها
ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سن سنة الى ضلالة سيئة كان عليه
وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير ان ينتقص من اوزارهم شي وليسالن يوم القيامة عما
كانوا يفترون يكذبون في خداعهم هذا وقيل يفترون يسالون وهذا السوال سوال
تقريع

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما
فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ابن عباس بعث نوح عليه السلام لاربعين سنة وبقي في
قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش عليه السلام بعد الطوفان ستين سنة
حتى كثر الناس وفشوا قوله الف سنة الا خمسين عاما احكم من قولك تسعمائة وخمسين سنة
لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زايل
مع قوله الف سنة الا خمسين عاما فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد
الا ان قوله الف سنة الا خمسين عاما اخصر واعذب لفظا واملا بالفايدة وفيه نكتة اخرى

وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وكابده من طول المصابرة
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر
منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وجا المميز اولا بالسنة وثانيا
بالعام لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع
ذلك لغرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك فاخذهم الطوفان الما المحيط
والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما فانجيناه اي نوحا
واصحاب السفينة اولاده واصحابه وجعلناها اي السفينة حين استوت على الجودي
وقيل وجعلناها اي العقوبة اية وقيل القصة عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها

وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
وابرهيم منصوب باذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها
وقيل ابرهيم معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا اي ارسلنا ابرهيم وقت بلوغه
من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم
بالعبادة والتقوى ذلكم الاخلاص والتقوى وعبادة الله خير لكم من عبادة الاصنام
ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم وان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين
الجهل العميا علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتقولون
افكا مجاهد وتصنعون اصناما بايديكم فتسمونها الهة نظيره قوله تعالى اتعبدون ما
تنحتون ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يستطيعون ان يرزقوكم
شيا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه
ووحدوه واشكروا له على ما ابتداكم به من النعم اليه ترجعون الى توبه ترجعون

وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبوا
محمدا وقيل وان تكذبوني والاول اخبار من الله والثاني من الرسول فعلى الاول
وان تكذبوا محمدا فلا تضرونه بتكذيبكم فان الرسل قبله كذبتهم اممهم وما ضروهم وعلى
الثاني وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم اياي فان الرسل قبلي كذبتهم اممهم وما
ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم
امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته
وقيل وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في ساير الانبيا اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول
ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وقيل وهذه الاية والايات التي بعدها الى
قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم عليه السلام وان
يكون ايات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين
اول قصة ابرهيم واخرها واذا كانت من جملة قول ابرهيم فالمراد بالامم الذين قبله
قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جم مكذبة ولقد
عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السما وآمن به الف انسان منهم على عدد

سببه واعقابهم على التكذيب فان قيل فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض اجيب هي حكاية كلام الله
تعالى حكاه ابرهيم عليه السلام كما يحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج
في اكثر القران فان قيل اذا كان خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة والجمل
الاعتراضيه لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا ترى انك لا تقول مكة وزيد ابوه قايم
خير بلاد الله اجيب بان ايراد قصة ابرهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومنفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من
شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان
تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه من قبل وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم
من قبلكم لابد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم ساير الايات
الواطية عقبه من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلايله وهدم الشرك وتوهين
قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه قوله تعالى اولم يروا
كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قرا حمزة والكساي تروا بالتاء من فوق والباقون
بالياء وعلى القراتين عني بالكلام لما دله كيف يبدي الله الخلق كيف يخلقهم ابتدا من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة الى ان يتم الخلق ثم يعيد ليس بمعطوف على يبدي وليست الروية
واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت قوله تعالى قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشي النشاة الاخرة ان الله على كل شي قدير يعذب من يشا ويرحم من يشا
واليه تقلبون قل يا محمد ومن جعله كلام ابرهيم تقديره فاوحينا الى ابرهيم ان قل سيروا
في الارض اي انظروا في المخلوقات التي في الارض وابحثوا عنها كيف بدا الخلق على كثرتهم
واختلاف احوالهم هل تجدون لها خالقا غير الله فاذا علموا ان لا خالق سواه لزمتهم الحجة في
الاعادة وهو قوله ثم الله ينشي النشاة الاخرة اي ثم الله ينشيهم عند البعث نشاة اخرى قرا ابن
كثير وابو عمرو والنشاة بالمد والباقون بتسكين الشين وترك المد ثم الله ينشي ليس معطوفا على
بدا فان النظر لم يقع فيه كما وقع في قوله كيف بدا والجملة معطوفة على جملة قوله اولم
يروا كيف يبدي الله الخلق ويحتمل ان يراد بالابدا والاعادة والانشا ما يشاهد يتجدد
كل حين وكل سنة من النبات والاشجار والثمار فتكون الاعادة تحت الروية والنشاة الاخرى
تحت النظر ان ذلك على الله يسير ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه
من معنى يعيد دل بقوله النشاة الاخرة على انهما نشاتان وان كل واحد منهما انشاء
اي ابتدا واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة
انشا بعد انشا مثله والاولى ليست كذلك ان الله على كل شي قدير من الابدا والاعادة
والانشا قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى الافصاح باسمه تعالى مع ايقاعه مبتدا
في قوله ثم الله ينشي النشاة الاخرة بعد اضماره في قوله كيف بدا الخلق وكان القياس
ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشي النشاة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في
الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابدا بانه من الله احتج عليهم بان
الاعادة انشا مثل الابدا فاذا كان الله الذي لا يعجزه شي هو الذي لا يعجزه الابدا
فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة
الاولى هو الذي ينشي النشاة الاخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه

واوقع

واوقعه مبتدا يعذب من يشا بعدله ويرحم من يشا بفضله اي اعادتهم بعد
الموت للجزا على الاعمال بالعدل والفضل على وفق مشيته واليه اي والى حكمه
في دار الاخرة تقلبون تردون وترجعون قوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السما وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما انتم بمعجزين ربكم في الارض
بغايبين هربا من عقابه ولا من في السما بمعجزين ربهم في السما كقول حسان
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا اعني ومن يمدحه وينصره فاضمر من والى
هذا التاويل ذهب عبد الرحمن بن زيد قال لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل
السما في السما ان عصوه وقيل معناه وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه
وقضايه في الارض الفسيحة ولا في السما التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقولك ما فاتني
فلان بالبصرة ولا في بلدي هاهنا وهو معك في بلدك اي ولا بالبصرة لو صار اليها وقيل معناه
وما انتم بمعجزين ربكم كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج
والقلاع الذاهبة في السما كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل وما انتم بمعجزين
امر الله الجاري في السما والارض انه يجري عليكم فيصيبكم ببلا يظهر من الارض او ينزل
من السما وقيل هذا قول ابرهيم لقومه وفيهم نمرود وكان نمرود رام الصعود الى الجو
يوهم انه يحاول السما وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله تعالى والذين
كفروا بايات الله ولقايه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم
بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقايه بعد الموت اولئك
يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون وقيل وصف لحالهم لان المومن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر بباله
رجا ولا خوف وقيل شبه حالهم في انتفا الرحمة عنهم بحال من يياس من الرحمة وقيل يئسوا في
الدنيا لان الياس رفع الطمع وقد رفعوا طمعهم بانكارهم البعث وقيل يجب ان ييأسوا من رحمتي
قتادة ان الله ذم اقواما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمومن ان لا يياس من روح الله ولا من رحمته
وان لا يامن من عذابه وعقابه صفة المومن ان يكون راجيا لله خايفا قوله تعالى
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات
لقوم يومنون قيل فاعترض سبحانه بهذه الايات المتقدمة تذكرا وتحذيرا لاهل مكة
ثم عاد الى قصة ابرهيم فما كان جواب قومه جواب منصوب على انه خبر كان الا ان قالوا
في محل الرفع على انه اسم كان الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض او قاله واحد وكان الباقون
راضين وكانوا جميعا في حكم القايلين فانجاه الله من النار وجعلها عليه بردا وسلاما قال
كعب ما حرقت منه الا وثاقه وروي انه لم ينتفع احد ذلك اليوم بالنار لذهاب حرها ان في
ذلك فيما فعلوا به وفعلنا لايات لعلامات لقوم يومنون على انا نعاقبهم قوله
تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين وقال ابرهيم
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم قرا ابن كثير وابو عمرو مودة بالرفع وبالاضافة
بينكم قيل رفعه باضمار هي كانه قال هي مودة بينكم اي الفتكم واجتماعكم على الاصنام مودة

بينكم وقيل رفعه على ان يكون خبران في انما وما موصوله والمعنى ان الاوثان الذي اتخذتموها
من دون الله اوثانا مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة وحمزة وحفص وعاصم مودة
بينكم بالنصب مع الاضافه والباقون بالنصب منونا بينكم بالنصب على الظرف والعامل فيه مودة
على ان يكون نصب موده للتعليل اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا الاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم
عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وقيل نصب موده على
انه مفعول ثان لقوله اتخذ الهه هواه اى اتخذتم الاوثان سبب الموده بينكم على تقدير حذف
المضاف واتخذتم الاوثان مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم لقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ويحتمل ان يراد الاوثان نفس الموده مبالغه في الحيوة الدنيا
اى انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرا القاده
من الاتباع ويلعن الاتباع القاده لانهم زينوا لهم الكفر وقيل ثم يوم القيامه يقوم بينكما التعادي
والتباغض والتلاعن ومأواكم جهنم النار وما لكم من ناصرين يمنعهم عنها منعه
فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم فآمن لابرهيم لوط حين راى النار لم تحرقه
وقال ابرهيم اني مهاجر الى ربي اي من كوثى وهو سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الشام ومن ثمه
قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته ابن اخيه لوط وامراته سارة وابرهيم
عليهما السلام اول من هاجر العزيز الحكيم الذى لا يامره ولا يفعل الا على الوجه الذى اقتضاه
مشيته   ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ولم يذكر اسمعيل صريحا واكتفى بالدلالة
عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وعلو قدره والكتاب قصد به الجنس حتى
دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب التي هي التورية والانجيل والزبور والقرآن
ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من
العالمين اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر اى واذكر لوطا
اذ قال لقومه اينكم قرا الحرميان وابن عامر وحفص عن عاصم بهمزة مكسورة السابقة بالفاحشة
الحسن وتقطعون سبيل الولد باتيان الدبر وتاتون في ناديكم المنكر قيل المضارطه
وقيل تجامعون في ناديكم فعل المزاح وقيل السخريه بمن مر بهم وكل معصيه فاظهارها اقبح
من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحيا فلا غيبة له ويقال للمجلس ناد ما دام اهله فيه فاذا
قاموا عنه لم يبق ناديا   فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب وفي الرسالة
قال رب انصرني على المفسدين قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين
بانزال العذاب عليهم وقيل بان يمنع اذاهم عني   ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين اى ولما جاءت رسلنا اى الملائكه
ابرهيم بالبشرى اى ببشرى الولد اسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا اى الرسل انا مهلكوا اهل
هذه القريه اى قوم لوط واضافة مهلكوا الى اهل اضافه تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال
ان اهلها كانوا استمروا على الظلم وظلمهم لعزمهم   قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قال ابرهيم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكون
لوط فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من

هو

هو بري من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في
نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قالوا اى الرسل لابرهيم نحن اعلم بمن
فيها اى كل من فيها اى حال لوط وحال قومه وامتياز لوط منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل
ما يستاهلون فخفض على نفسك ومن عليك لننجينه قرا حمزة والكسائي لننجينه ومنجوك بالتخفيف فيهما
وابو بكر عن عاصم بالتشديد في الاول والتخفيف في الثاني والباقون بتشديد الحرفين فيهما
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القريه رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ولما ان جاءت ان صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا وجود
احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل كلما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشانهم وتدبير امرهم
ذرعه وطاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقه
كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما
لا يناله قصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة رجزا اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون
بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ولقد تركنا منها من القريه آية بينة هي منازلهم الخربه
وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون تركنا او بينة
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وارجوا وافعلوا
ما ترجون به العاقبه فاقيم السبب مقام المسبب وقيل امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه
من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة
الزلزلة الشديدة الصيحة لانها صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم وديارهم
فاكتفى بالواحد لانه لا يلتبس جاثمين باركين على الركب ميتين   وعادا وثمودا وقد
تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب
باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ما وصفنا
من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم
فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل الذي وجب عليهم سلوكه
وهو الايمان بالله ورسله وكانوا مستبصرين ذوي بصائر عقلاء متمكنين من النظر والفكر ولكنهم لم
يفعلوا وقيل وكانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى بين لهم على لسان الرسول
ولكنهم لجوا حتى هلكوا مجاهد وكانوا مستبصرين في الضلاله قتاده مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين وقارون عطف على وعادا وثمودا وما كانوا سابقين فائتين من
عذابنا بل ادركهم العذاب يقال لمن فات طالبه سبق   فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم
من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فكلا اخذنا بذنبه اى اخذنا
فعاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها الحصباء وهم قوم لوط ومنهم
من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم

نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير استحقاق وجرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر والعدوان فيه لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب اجلا ولم
ينفعه معبوده ضرب له هذا المثل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام اي مثل
من اشرك بالله الاصنام في الضعف وسوء الاختيار كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها كي ما يكنها
فلم يغن عنها بناؤها شيئا عند حاجتها اليه فان بيت العنكبوت لا يدفع عنها بردا ولا حرا كذلك هذه
الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا
في دينهم وتولوا من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الذي هو
بيتها الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان هذا
مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون وقيل يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس
الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر
وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا
دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون

ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم

ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء من وثن او صنم او ملك او جن او بشر وهذا توكيد
للمثل وزيادة حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه
جماد ليس معه مصحح للعلم والقدرة اصلا وترك عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل
شيئا الا بحكمة وتدبير

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون

وتلك الامثال اي مثل العنكبوت وبيتها وساير الامثال نضربها تنبيها للناس للاستدلال والتفكر فيها
وما يعقلها وما يفطن حقائقها ولا ينتفع بها الا العالمون الذين يضعون الاشياء مواضعها
كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون
من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفايدتها الا العالمون
لان الامثال والتشبيهات انما هي طرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حين تبرزها وتكشف عنها
وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه
وسلم العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه

خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين

انه تعالى لما امر الخلق بالايمان واظهر الحق بالبرهان ولم يات
الكفار بما امرهم به وقص عليهم قصصا وانذرهم على كفرهم بالاضلال وصفح لهم بالتمثيل ولم
يهتدوا بذلك الى سواء السبيل حصل ياس الناس عنهم سلى المومنين بقوله خلق الله السموات
والارض بالحق لا بالباطل والعبث ان في خلق السموات والارض لاية للمومنين خصهم بالذكر
لانتفاعهم بها

اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون

ثم انه تعالى سلى المومنين بالاية المتقدمة سلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية اي ان كنت تاسف على كفرهم اتل ما اوحي ليعلم ان نوحا
ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الحجج ولم ينقذوا قومهم من
الضلالة والجهالة فلهذا قال اتل وما عليهم ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ابن عمر يعني
القران ينهى عن الفحشاء والمنكر ودليل هذا التاويل ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك وقال
الاخرون هي الصلوة التي فيها الركوع والسجود قال ابن مسعود وابن عباس يقول في الصلوة

منتهى

منتهى ومزدجر عن معاصي الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله الا بعدا وقيل ان الانسان اذا ادى الصلوة كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها نهته عن الفحشاء
والمنكر هذا مقتضاها وموجبها وقيل انها تنهاه ما دام فيها وقيل معناه ينبغي ان تنهى الصلوة عن الفحشاء
والمنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لمن لم يطع الصلوة وطاعة الصلوة ان تنهى
عن الفحشاء والمنكر وعن جابر قيل لرسول الله ان فلانا يصلي بالليل ويسرق بالنهار فقال ان صلوته
لتردعه وعن انس كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله ثم لا يدع من الفواحش شيئا الا
ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلوته تنهاه يوما ما فلم يلبث ان تاب وحسن
حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم ان صلوته تنهاه يوما ما ولذكر الله اكبر اي ذكر
الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ولذكر الله اكبر من كل شيء سواه وقيل ولذكر الله في الصلوة
اكبر مما نهاك عنه من الفحشاء والمنكر وقيل ولذكر الله العبد ما دام في صلوته اكبر من ذكر العبد لله
قال اهل المعاني لان ذكر الله للعبد على حد الاستغناء وذكر العبد اياه على حد الافتقار
ولان ذكره تعالى دائم وذكر العبد موقت ولان ذكر العبد لجر نفع او دفع ضر وذكر الله سبحانه
اياه للفضل وقال ذو النون انك ذكرته بعد ان ذكرك وقال عطا لان ذكره تعالى
لك بلا علة وذكرك مشوب بالعلل ابو بكر الوراق لان ذكره تعالى اطلق لسانه بذكره له
ولان ذكر العبد مخلوق وذكره تعالى غير مخلوق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى ولذكر الله اكبر ذكر الله على كل حال احسن وافضل والذكر ان تذكره
عند ما حرم فتدع ما حرم وتذكره عند ما احل فتاخذ ما احل وعن معاذ بن جبل
قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ اين السابقون الذين
يستهترون بذكر الله ومن احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعنه ما عمل ادمي عملا انجا
له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا ولو ضرب بسيفه
قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وعن ابي الدرداء قال الا اخبركم بخير اعمالكم واحبها
الى مليككم وانماها في درجاتكم وخير لكم من ان تغزوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربون
رقابهم وخير من اعطاء الدنانير والدراهم قالوا وما هو يا ابا الدرداء قال ذكر الله قال الله تعالى
ولذكر الله اكبر وقيل لسلمان اي الاعمال افضل قال اما تقرا القران ولذكر الله اكبر لا شيء افضل من
ذكر الله وعن معاذ بن جبل سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال ان تموت
ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وعن ابي هريرة قال رسول الله الدنيا ملعون ما فيها الا ذكر الله
قال الحكماء وانما كان الذكر افضل الاشياء لان ثواب الذكر قال الله فاذكروني اذكركم وعنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان اقترب الي شبرا اقتربت
اليه ذراعا وان اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعنه
وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مجلس قوم يذكرون
الله الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وعن ابي مالك ولذكر الله
اكبر قال ذكر الله العبد في الصلوة اكبر من الصلوة ابن عون معناه والصلوة التي انت فيها وذكر
الله فيها اكبر مما نهتك عنه الصلوة من الفحشاء والمنكر ابن عطا ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه المعصية
والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب وقيل ما تصنعون في الصلوة

وتلاوة القران فيجازيكم عليه **قوله تعالى** ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون بالخصلة التي هي احسن اي الطف وارفق وهو الجميل من القول والدعا
الى الله تعالى والتنبيه على ايات الله وحججه وقيل مقابل الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة
بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن ابن عباس قول لا اله الا الله مجاهد انها الكف عنهم اذا بذلوا
الجزية فان ابوا فقاتلوا الا الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فاولئك انتصروا
منهم وجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية سعيد ابن جبير اهل الحرب لا عهد لهم فجادلوهم
بالسيف ابن زيد الا الذين ظلموا منهم بالاقامة على الكفر بعد قيام الحجة عليهم وقيل الا الذين اذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا
تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين الجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة
ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف قتادة ومقاتل هذه الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقولوا امنا بالذي انزل
الينا هذا من جنس المجادلة بالتي هي احسن عن ابي نملة الانصاري بينا هو عند رسول الله جالس
جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله اعلم فقال اليهودي انها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوه ولا تكذبوه وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه
وان كان حقا لم تكذبوه ابو هريرة اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية فيفسرونها بالعربية
لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون **قوله تعالى** وكذلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا
الكافرون وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي كما انزلنا الكتب عليهم انزلنا ايضا
اليك الكتاب مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم فالذين
اتيناهم الكتاب يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يؤمنون به ومن هؤلاء
يعني اهل مكة من يؤمن به وهم مؤمنوا اهل مكة وقيل فالذين اتيناهم ممن كان قبلك يؤمنون به
ومن هؤلاء الذين بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به وما يجحد باياتنا الظاهرة مع ظهورها وزوال
الشبهة عنها الا الكافرون المتوغلون فيه المصممون عليه قتادة انما يكون الجحد بعد
المعرفة مقاتل هم اليهود وقيل كعب بن الاشرف واصحابه **قوله تعالى** وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا
العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وما كنت يا محمد تتلوا تقرا من قبل هذا الكتاب الذي
انزلناه عليك من كتاب كتابا من الكتب ولا تخطه بيمينك اي انت امي ما عرفك احد
قط بتلاوة كتاب ولا خط اذ لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرا ولا يكتب وليس به وقيل لارتاب
مشركوا اهل مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وانما ذكر بيمينك وهي الجارحة التي يزاول بها
الخط زيادة لتصوير ما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير
يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي وانما سماهم مبطلين لانهم

كونوا

كفروا به وهو امي لبعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا
اشد الريب فحين ليس بكاتب قارئ فلا وجه لارتيابهم وشيء اخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب
الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الله بالمعجزات هب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا
به من الوجه الذي امنوا به بموسى وعيسى عم ان المنزلين اي التورية والانجيل ليسا بمعجزين وهذا
المنزل اي القران معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به
وغير امي بل هو اي بل القران ايات بينات ابن عباس بل هو يعني محمدا عليه السلام والعلم بانه
امي ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم به وحفاظه وهما من خصائص القران كونه ايات
بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها
لم تكن معجزات ولم تكن تقرا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم
وقيل في صدور الذين اوتوا العلم يعني في صدور اهل العلم من اهل الكتاب يجدونه في كتبهم
وما يجحد باياتنا الواضحة الا الظالمون الا الكاملون في الظلم المتوغلون فيه المكابرون [illegible]
قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقالوا يعني كفار
مكة لولا انزل عليه اية قرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ايات على الجمع والباقون
اية على التوحيد ارادوا كايات الانبياء مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ونحو ذلك قل يا محمد
انما الايات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اتخير على الله اياته فاقول انزل علي اية كذا دون اية
كذا مع علمي ان الغرض من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم
هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اولم يكفهم اية معينة عن سائر الايات ان كانوا طالبين
للحق غير متعنتين انا انزلنا عليك الكتاب القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وفي
كل زمان ولا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان
دون مكان وزمان دون زمان ان في ذلك في هذه الاية الموجودة في كل مكان وفي كل زمان
الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون لقوم همهم الايمان لا التعنت وقيل
اولم يكفهم اي اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتحقق في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل
ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوها فيها بعض ما يقول
اليهود فلما ان نظر اليها القاها ثم قال عليه السلام كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان
رغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم فنزلت اية اولم يكفهم
قوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا
بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون شهيدا يشهد لي بالصدق باني رسول الله يعني
شهادته في قوله ولكن الله يشهد محمد رسول الله وقيل معناه في القران الذي بين
الله باعجازه صدقي في كفاية وشهادة صدق بيني وبينكم لمن طلب الدليل وقيل شهيدا بيني
وبينكم اني بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانتم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في
السموات والارض لا يخفى عليه فيهما شيء فيعلم امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم والذين امنوا
بالباطل الذي لا يجوز الايمان به وهو ابليس وقيل الصنم وقيل الذين صدقوا بالباطل وكفروا
بالله الذي يجب الايمان به والشكر على نعمه اولئك هم الخاسرون الهالكون المغبونون

في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان وهذا الكلام ورد مورد الانصاف لقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين ولقول حسان فشركما لخيركما الفدا ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون
نزل في النضر بن الحارث واصحابه حين قالوا فامطر علينا حجارة من السما وقالوا عجل لنا قطنا ولولا
اجل مسمى قد سماه في اللوح وبينه فيه لعذابهم على مشيئته مقتضى ارادته بن عباس يعني ما وعدتك
ان لا اعذب قومك بعذاب الاستيصال وان اوخر عذابهم الى يوم القيامة بيانه قوله تعالى
بل الساعة موعدهم الضحاك يعني مدة اعمارهم في الدنيا وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب عاجله
وليأتينهم العذاب بغتة فجاة لا يحسبونه اذا حضر الاجل المعلوم عنده وقيل لولا اجل مسمى سماه
لاعمارهم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم اجلهم بغتة فيعذبون عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون
بوقت مجيئه ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين عجب من جهلهم في استعجال العذاب
وقد اعد الله لهم جهنم وانها قد احاطت بهم وهم على شفير جهنم لم يبق الا ان يدخلوها وقيل لمحيطة
بهم في الاخرة اي ستحيط بهم عن قرب لان ما هو ات قريب وقيل كانها محيطة لما لزمهم كفرهم
وقيل لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وقيل هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي
توجب محيطة بهم يوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت
يغشاهم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله تعالى لهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل اي من كل الجهات لانها محيطة بهم ونقول قرا حمزة والكسائي ونافع بالياء اي ويقول الملك
والباقون بالنون لانه لما كان بامر الله جاز ان ينسب اليه ذوقوا ما كنتم الجزاء ما كنتم تعملون
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس
ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون يا عبادي قرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي باسكان الياء والباقون بفتحها ان ارضي قرا ابن عامر بفتح الياء والباقون باسكانها
واسعة فاياي فاعبدون فوحدون ومن غير طاعة مخلوق في معصيتي سعيد بن جبير اذا
عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة فهاجروا وجاهد ومقاتل والكلبي
نزلت في المستضعفين من المومنين الذين كانوا بمكة لا يقدرون على اظهار الايمان وعبادة الرحمن
يحثهم على الهجرة ويقول لهم ان ارض المدينة واسعة امنة مطرف ارضي واسعة رزقي لكم
واسع اخرجوا من الارض التي تحجون فيها عن رسول الله من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم
فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عصيت في المخاطب والتقدير
فاياي فاعبدوا فاعبدون والفا جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص قال صاحب الكشاف ان المومن
اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه
فيه اسلم قلبا واصلح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البلاد في ذلك تتفاوت
التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما جرب ونقل مثل مكة فانها عون على

من فوقهم

دن
فرار النفس عن عصيان الشهوة واجمع للقلب المتفلت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان
وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد
على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر كل نفس لما امر عباده بالحرص على العبادة
وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت
اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون وواصلون الى الجزاء ومن
كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده فلا يقيموا بدار الشرك ثم
الينا ترجعون للثواب والعقاب والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا لننزلنهم
من الجنة علالي قرا حمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء من ثوى بالمكان اذا اقام به يقال ثوى الرجل
اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه والباقون بالباء تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نعم اجر العاملين الذين صبروا على الطاعات ومفارقة الاوطان والهجرة لاجل الله وعلى اذى المشركين
وعلى المحن وعلى المصائب وعن المعاصي وعلى ربهم لا غيرهم يتوكلون وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين الذين
كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فقالوا يا رسول
الله وكيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فانزل الله
تعالى وكاين من دابة نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل ذات حاجة الى غذا لا
تحمل رزقها اي لا تطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم يوما فيوما اي لا يرزق
تلك الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقويا الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها
لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وهو السميع لاقوالكم
نخشى فراق اوطاننا العليم بما في قلوبكم وما اليه تصير اموركم عن بن عمر دخلت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده
وياكل فقال كل يا ابن عمر فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال عليه السلام لكني اشتهيه وهذه
صبح رابعة منذ لم اطعم طعاما ولم اجد فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت ربي
لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك
يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاين من دابة الحسن لا تدخر شيا لغد انما تصبح فيرزقها
الله سفيان بن عيينة ليس شي مما خلق الله تعالى يخبا الا الانسان والفارة والنملة
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الله يبسط
الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له ان الله بكل شي عليم ولئن سالتهم من نزل من السما ما فاحيى
به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون لما بين الله تعالى امر المشرك
مخاطبا معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومن بقوله يا عبادي الذين امنوا واتم الكلام
معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشركين وهذا طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان له
عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح اولا المفسد
فان لم يسمع يكون معرضا عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا
تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب
يوجب كآبة في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثنا الكلام والمفسد يسمع ان هذا الخطاب العجب منه

انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده هذا
الكلام ايضا داعيا الى سبيل الرشاد مانعا له من ذلك الفساد فكذلك الله تعالى قال مع المومنين
التعجب منهم ان سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يومنون الضمير في سالتهم لاهل
مكة فانى يوفكون فكيف تصرفون عن توحيد الله وان لا تشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات
والارض الله يبسط يوسع الرزق على من يشا من عباده ويقدر له ويضيق على من يشا فيعطيه
بقدر الكفاية قدر الرزق وقتره بمعنى ضيقه الضمير في يقدر له يرجع الى قوله من يشا فيحتمل
ان يكون بسط الرزق وقدره لواحد على معنى تعاقب الامرين على ذلك الواحد على حسب
مشيته ويحتمل ان يكون بسط الرزق لواحد وقدره لاخر على معنى يقدر لمن يشا فوضع الضمير
موضع من يشا اى من يشا منهم غير معين وكان الضمير مبهما مثله ان الله بكل شى عليم فيعلم ما
يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم لما قال الله يبسط الرزق لمن يشا ذكر اعترافهم بذلك
فقال ولئن سالتهم اى هذا سبب الرزق ووجود السبب من الله تعالى يدل على ان وجود
المسبب ايضا منه من نزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله اى معترفون
بذلك فان كفار مكة كانوا يقرون بان الله هو الخالق والرازق قل يا محمد الحمد لله على قيام
حجتي وصدق لهجتي وانما امره ان يقول الحمد لله على اقرارهم لان ذلك يلزمهم الحجة
فيوجب عليهم التوحيد قال صاحب الكشاف استعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
انه من اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركا عنه
ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة
الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه
من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وقيل لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون
لم حمدت الله عند مقالتهم وقيل لا يعقلون توحيد الله مع اقرارهم بانه الخالق الرازق
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو
كانوا يعلمون هذه ازدرا للدنيا وتحقير لامرها وكيف لا يحقرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الحيوة الدنيا الا لهو يعني ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا لهو ولعب اى كما يلهو
ويلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اى ليس فيها الا حيوة مستمرة
دائمة خالدة لا موت فيها وكانها في ذاتها نفس الحيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت
الياء الثانية واوا كما قال حيوة وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان
وفي بنا الحيوان زيادة معنى ليس في بنا الحيوة وهي ما في بنا فعلان من معنى الحركة والاضطراب
كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بنا دال
على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة
لو كانوا يعلمون ان الدار الاخرة هي الحيوان فلم يوثروا الحيوة الدنيا التي ما هي الا لهو ولعب
عليها فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
اشارة الى ان المانع من التوحيد هو الحيوة الدنيا والاشتغال بامرها بيان ذلك هو انهم اذا انقطع
رجاوهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا فاذا انجاهم
عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا فاذا ركبوا متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم
به وشرح من امرهم معناه لكفار مكة على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك

فاصابتهم

فاصابتهم شدة خافوا منها الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من خلص الدين لله من
المومنين حيث لا يذكرون غير الله ولا يدعون مع الله الها اخر لكشف الضر عنهم وفي تسميتهم مخلصين
ضرب من التهكم فلما نجاهم الله من الشرك وخلصهم من البحر الى البر وامنهم من الخوف عادوا الى الشرك
بالله ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قرا ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان اللام على معنى الامر والمعنى
وليتمتعوا في اعمارهم ونحوه قوله اعملوا ما شئتم والباقون بكسر اللام في ليتمتعوا فجعلوا اللام بمعنى
كي فتقديره لكي يكفروا ولكي يتمتعوا والمعنى اذا هم يشركون ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة
النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ بها لا غير على خلاف ما هو عادة المومنين المخلصين على الحقيقة اذا
انجاهم الله ان يشكروا نعم الله في انجاهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى
التمتع والتلذذ وقيل معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة
من غير نصيب في الاخرة فان قيل كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاوا وهو
ناه عن ذلك ومتوعد عليه اجيب بان هذا الامر للتهديد وان ذلك مسخط الى غاية مثاله ان
ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يودي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه
واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الابا والتصميم حردت عليه وقلت له انت وشانك وافعل
ما شئت ولا تريد بهذا حقيقة الامر كيف والامر بالشي طالب له وانت ناه عنه زاجر منه
ولكنك كانك تقول له فاذا ابيت قبول النصيحة فانت اهل لان يقال لك افعل ما شئت على
سبيل التهديد ونحوه قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار فسوف تعلمون وعيد وتهديد
لهم وهو قرينة تعين وقوع الصيغة للتهديد
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين لما ذكر الله حال المشركين
عند الخوف الشديد ودعوتهم الى الله تعالى ذكر حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة
فانها مسكنهم ومولدهم وهي حصن حصين لحصن الله تعالى حيث جعلها الله حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم يعني انكم في اخوف ما كنتم تدعون الله في امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا
متناقض لان دعاكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة
من الله لا غير فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله تعالى
كيف تكفرون بها وتعبدون الاصنام التي لا يحصل منها لا دفع الشدة والخوف ولا حصول
النعمة والامن اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون
وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتخطف الناس من حولهم
بالاسر والقتل واهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب
فذكرهم الله سبحانه هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يومنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه
النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم افبالباطل
يومنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم لما بين الله الامور على الوجه ولم يومن به احد منهم
بين انهم اظلم من يكون لان الظلم وضع الشي في غير موضعه فاذا وضع واحد شيا في موضع ليس هو
موضعه يكون ظالما فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم
الامكان اقوى من عدم الحصول لان كل ما لا يمكن لا يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن ولا يمكن
ان يكون لله شريك فمن جعل لله شريكا يكون اظلم فاذا ليس احد اظلم ممن افترى على الله كذبا باثبات

الشريك له فإن افتراهم على الله كذبا زعمهم أن له شريكا وتكذيبهم بما جاءه من الحق كفرهم بالرسول
والكتاب لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه حين سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول
لسمعه
المتثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الفكر والروية حتى يتبين لهم صدقه وكذبه أليس
تقريرا لثوائهم في جهنم وحقيقته أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فيه وجهان
الأول ألا يثوون في جهنم ولا يستوجبون الثواء وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا
بالحق هذا التكذيب الثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجراءة
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين أي والذين
قاتلوا فينا لأجلنا أعداءنا لنصرة ديننا لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل والذين جاهدوا في
الغزو لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل
الثغر فإن الله يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في
عز وجل
طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به أبو سليمان الداراني في قول الله عز وجل والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربهم إلى ما لا يعلمون ابن عباس والذين جاهدوا
في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا الضحاك والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على
الإيمان وقيل والذين جاهدوا بالصبر على المصائب والنوائب لنهدينهم سبل الوصول إلى المواهب
وقيل والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبل دخول الجنان سهل بن عبد الله والذين
جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال مثل السنة في الدنيا لمثل الجنة في العقبى من دخل
الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ولقائل أن يقول أطلق المجاهدة ولم يقيدها
بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فينا
في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لقوله
والذين اهتدوا زادهم وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب
والمغفرة في عقباهم — وهي ستون آية وثمان مائة وتسع عشرة كلمة
وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى
الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال المفسرون كانت في أرض فارس امرأة لا تلد إلا الملوك
الأبطال فدعاها كسرى وقال إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا
من بنيك فأشيري علي أيهم أستعمل فقالت هذا فلان أروغ من ثعلب وأحذر من صقر
وهذا فرخان أنفذ من سنان وهذا شهربراز هو أحلم من كذا فاستعمل أيهم شئت قال
فإني استعمل الحليم فاستعمل شهربراز فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب
مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس وبعث كسرى شهربراز فالتقيا
بأذرعات وبصرى وهما أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق عليهم ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنكم والنصارى أهل الكتاب ونحن أميون وقد ظهر
إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل
الله عز وجل الم غلبت الروم إلى آخر الآيات فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الكفار فقال أفرحتم
بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا

بذلك نبينا فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال كذبت يا أبا فصيل فقال أبو بكر رضي الله عنه
أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة على عشر قلائص مني
وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت ففعلوا ذلك وجعلوا
الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره وذلك قبل تحريم القمار وقيل العقود الفاسدة
من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وهو مذهب أبي حنيفة وقد
احتج على جواز ذلك بما عقد أبو بكر رضي الله عنه بينه وبين أبي بن خلف فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في
الأجل فخرج أبو بكر رضي الله عنه فلقي أبي بن خلف فقال لعلك ندمت قال لا فتعال أزايدك
في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف
أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن
أبي بكر فلما أراد أن يخرج أبي بن خلف إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال لا والله لا أدعك
حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي
جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
عند رأس سبع سنين من مناحبتهم هذا قول أكثر المفسرين وقال أبو سعيد الخدري ومقاتل
لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبوا أهل فارس ففرح المؤمنون
بذلك قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن
خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر رضي الله عنه حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن
وبنوا الرومية فقمر أبو بكر رضي الله عنه أبيا وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره أن شهربراز بعد ما غلب الروم
لم يزل يطأهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه
لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهربراز إذا أتاك كتابي فابعث إلي
برأس فرخان فكتب إليه أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان إن له نكاية في العدو فلا تفعل فكتب إليه
إن في رجال فارس خلفا منه فعجل علي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا إلى
أهل فارس إني قد نزعت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة
أمره فيها بقتل شهربراز وقال إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه فلما قرأ شهربراز
الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع إليه الصحيفة فقال ائتوني بشهربراز
فقدمه ليضرب عنقه قال لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف
قال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه
وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحائف
فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميا فإني ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خمسمائة ألف
رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه
أنه ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد
منهما سكين وجاء بترجمان بينهما فقال شهربراز إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا
وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعناه جميعا
فنحن نقاتله معك قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز الاثنين

فقتلا الرجمان جميعا بسكينيهما فاقبلنا الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى
وجا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبيه ففرح ومن معه فذلك قوله عز وجل
الم غلبت الروم وهذه الايه من الايات البينه الشاهده على صحة النبوه وان القران من عند الله
لانه انبا من علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله في ادنى الارض اى ارض العرب لان الارض المعهود
عند العرب ارضهم والمعنى غلبت الروم في ادنى ارض العرب منهم وهى اطراف الشام واداراضهم
على نيابه اللام مناب المضاف اليه في ادنى ارضهم الى العدو وهم مجاهد هى ارض الجزيره وهى ادنى
ارض الروم الى فارس بن عباس الاردن وفلسطين عكرمه اذرعات وكسكر وهم يعنى الروم
من بعد غلبهم اى من غلبة فارس اياهم والغلب والغلبه لغتان سيغلبون فارس في بضع سنين
واضافه غلبهم اضافة المصدر الى المفعول لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم لله الامر من قبل ان تغلب الروم ومن بعد
ما غلبت اى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها وهما مبنيان على الغايه والمعنى ان
غلبة الغالب وخذلان المغلوب بامر الله وقضايه قال صاحب الكشاف من قبل ومن بعد اى في
اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت
كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين
اخرا ليس الا بامر الله وقضايه وتلك الايام نداولها بين الناس ويومئذ ويوم تغلب الروم على
فارس ويحل ما وعدهم الله من غلبتهم يفرح المومنون بنصر الله على فارس لانهم اهل كتاب وبنصر الله
المومنين على الكافرين وقيل نصر الله اظهار صدق المومنين فيما اخبروا به المشركين من غلبه الروم
وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هولا
شوكة هولا وفي ذلك قوة الاسلام ينصر من يشا تارة ينصر من يشا تارة هولا وتارة هولا وهو
العزيز ينصر عليكم تارة الرحيم ينصرهم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وعد الله
مصدر موكد لقوله على الف دهم عرفا لان معناه اعترف له به اعترافا ووعد الله ذلك
وعدا لازما لا يخلف الله وعده ان الروم يظهرون على فارس ولكن اكثر الناس يعنى كفار
مكه لا يعلمون ان الله لا يخلف وعده في ذلك ثم وصف كفار مكه فقال يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا يعنى امر معايشهم وتجاراتهم وزراعاتهم وبنايهم وانهارهم وقيل يعلمون ما يشاهدونه
فعل الحيوانات وقيل ظاهرا من الحيوة الدنيا اى باطل وكل امور الدنيا باطل سوى
ما اريد به وجه الله وهم عن الاخرة هم غافلون وبها جاهلون ولها مضيعون لا يتفكرون فيها
ولا يعملون لما فيه وادنياهم وخربوا اخرتهم ذمهم الله تعالى انهم عقلا في امر الدنيا بله في امر الدين
وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب الحسن بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم
فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال
من النكته انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم
العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحيوة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها
وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعه والاعمال الصالحه وفي
تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن الاخرة هم غافلون وهم

الاولى مبتدا وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجمله خبر هم الاولى ويجوز ان
يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وايه كانت فذكرها منادى على انهم معدن الغفله عن
الاخرة ومقرها ومعلمها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم ما
خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
اولم يتفكروا في انفسهم اى في قلوبهم الفارغه من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زياده
تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صله للتفكر كقولك تفكر في
الامر واجال فيه فكره ومعناه اولم يتفكروا في انفسهم التى هى اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات
وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من
غرايب الحكم الداله على التدبير دون الاهمال وانه لا بد من ولا انتهايها الى وقت يجازيها فيه الحكيم
الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساة مثلها حتى يعلموا ان ذلك ان ساير الخلق
امرها كذلك جار على الحكمه والتدبير وانه لا بد لها من الانتها الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم
الاجل المسمى وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا ما خلق الله وقيل
معناه فيعلموا الان في الكلام دليلا عليه الا بالحق اى لم يخلق الله السموات والارض وما بينهما الا
بالحق اى ما خلقها باطلا وعبثا ولكن خلقها ليعتبر عباده ويستدلوا على وحدانيته وقدرته
قال صاحب الكشاف اى ما خلقها عبثا وباطلا بغير غرض صحيح وحكمه بالغه ولا لتبقى خالده
وانما خلقها مقرونه بالحق مصحوبه بالحكمه وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهى اليه وهو قيام
الساعه ووقت الثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والبا في قوله الا بالحق مثلها في قولك
دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام
غير منفك عنهما ولذلك المعنى ما خلقتهما الا وهى متلبسه بالحق مقترنه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها
اكثر مما عمروها وجاتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة
الذين اساوا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون اولم يسيروا في الارض اولم
يسافروا فينظروا مصارع الامم قبلهم كيف اهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا وانتقر لسيرهم في البلاد
ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتيه ثم اخذ يصف لهم احوالهم
وانهم كانوا اشد منهم اى الامم الذين كانوا من قبل قريش اشد قوة من قريش واثاروا الارض
اى حرثوها وقلبوها للزراعة والعمارة وعمروها يعنى اوليك المدمرين الذين من قبل
قريش اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكه واهل مكه اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة
ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما
يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنه وقيل وعمروها من العمر اى بقوا فيها
اكثر مما بقوا وقيل من العمرى اى سكنوا فيها وجاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كان الله
ليظلمهم اى فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان الله لا يظلم متعال ذلك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث اشركوا بالله والظلم وضع الشى غير موضعه ونقصان حق الغير واخذ
الشى قبل وقته والايه تحتمل المعانى الثلثه ثم كان عاقبة الذين اساوا السوأى ثم اخبر عن
عاقبتهم والسوأى تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا

الحساب
م

والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءى لكن وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوء العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين ان كذبوا اي بان كذبوا او لان كذبوا فحذف الجار وقيل ان كذبوا بايات الله بدل من السوءى اي عاقبة الذين اساءوا السوءى ان طبع الله على قلوبهم وسمعهم وكذبوا بايات الله وقيل ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك وقيل جوز ان يكون معناه اساءوا السوءى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوء الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام وكانوا بها يستهزءون الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون قرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم بالياء لان المتقدم ذكرهم غيبة والباقون بالتاء فيكون الكلام عائدا من الغيبة الى الخطاب والمراد بذكر الرجوع الجزاء على الاعمال والخلق بمعنى المخلوق

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا قال مجاهد يبلس يكتئب وقال قتادة ومقاتل والكلبي يياس وقيل يفتضح وعن ابن زيد المبلس الذي قد نزل به الشر والبلاء وقيل يبلس المجرمون ينقطع كلامهم وحججهم قال ابو عبيدة يسكتون وانشد يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا ولم يكن لهم للمجرمين من شركائهم من اوثانهم التي عبدوها من دون الله شفعاء ليشفعوا لهم وكانوا اي المجرمين بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم

ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتفرق المسلمون والكافرون والمسلمون وان لم يتقدم ذكرهم لكن ما بعدهم يدل عليهم الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون في روضة في بستان وهو الجنة وتنكير روضة لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ابن عباس يكرمون مجاهد وقتادة ينعمون وقيل الحبر السماع في الجنة فاذا اخذ اهل الجنة في السماع لم يبق شجرة الا وردت وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء الى الارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تنفجر انهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني رجل حبب الي الصوت فهل في الجنة صوت حسن قال اي والذي نفسي بيده ان الله سبحانه ليوحي الى شجرة في الجنة ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم تسمع الخلائق مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق مثلها قط فذلك افضل نعيم اهل الجنة فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح ان شاء الله والخوصانية المرهفة الاعلى الضخمة الاسفل وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك

في العذاب محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون لما ذكر الوعد والوعيد ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد فقال فسبحان الله المراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله عن السوء وقيل فسبحان الله اي فصلوا لله حين تمسون وهو صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلوة الصبح وعشيا متصل بقوله حين تمسون وهو صلوة العشاء الاخرة اي وسبحوه عشيا وحين تظهرون صلوة الظهر وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين قوله وحين تصبحون وعشيا ابن عباس يحمده اهل السموات والارض اي على المميزين من اهل السموات والارض يحمدوه سئل ابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم فسبحان الله حين تمسون الى قوله حين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون يخرج الحي الطائر من الميت البيضة ويخرج الميت البيضة من الحي الطائر ويحيي الارض ويخرج النبات من الارض بعد موتها يبسها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور تبعثون اي كاخراج الحي من الميت

ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون قد تقدم معنى قوله خلقكم من تراب ثم اذا للمفاجاة معناه ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض والمعنى ثم اذا انتم بشر ادميون عقلاء ناطقون تنتشرون تتصرفون فيما فيه قوام معايشكم وقيل هذا تقريب بين كونه ترابا وكونهم بشرا منتشرون وليس ثم تراخي الزمان ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لان حواء خلقت من ضلع ادم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال وقيل من انفسكم من جنسكم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لما بين الاثنين جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم مودة محبة ورحمة والفة بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم يود الرجل زوجه والمراة زوجها وفي التفسير ان المودة والرحمة بين الزوجين من الله وان الفرك من الشيطان وقيل هي المصاهرة والمخاتنة وقيل مودة بالكبير ورحمة على الصغير الحسن المودة الجماع والرحمة الولد يقال سكن اليه اذا مال اليه لقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول روي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد عجبت من امر وانه ليجهدني ان الرجل ليتزوج المراة وما راها وما راته قط حتى اذا ابتنى بها اصبحا وما شيء احب الى احدهما من الاخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك اي في خلق الازواج وقيل في خلق المودة والرحمة لايات لقوم يتفكرون لان خلق الانسان من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولان الانسان يجد بين الزوجين من المودة والرحمة ما لا يجد بين ذوي الارحام وليس ذلك بمجرد الشهوة فان الشهوة غير دائمة في نفسه فكان في كل ساعة بينهما فراق لو كان بالشهوة فالمودة والرحمة التي بها تدفع الانسان المكاره عن حرمه هي من الله لا يعلمها الا باب الفكر

ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين لما بين دلالة الانفس ذكر دلائل الافاق واظهرها خلق السموات والارض ولما اشار الى دلائل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس وهو اختلاف الالسنة والالوان واختلاف الالسنة اي لغاتكم واجناس النطق واشكاله خالف تعالى بين هذه حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك

من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية ويعروان الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي ان في ذلك لايات للعالمين لما كان خلق السموات والارض لم يحتمل الاحتمالات البعيدة التي يبق لها اصحاب الطبايع واختلاف الاصوات لذلك قال العالمين لعموم العلم بذلك وقد استدل بهذه الاية من ذهب الى ان اللغات توقيفية بان المراد بالالسنة اللغات لا الجارحة لان الاختلاف التي تعجب منه في اللغات لا الجارحة وعورض بان التوقيف يعارضه الاقدار على اللغات فان حمل الالسنة على اللغات حتى يكون التوقيف انه ليس حمله على القدر على اللغات حتى يكون الاقدار اية بل الحمل على القدرة اولى لانه مجاز اقرب والاقرب ارجح ولقايل ان يقول القدرة وان كانت اقرب لكن اللغات اظهر عرفا وما هو اظهر عرفا اولى مما هو اقرب اذا لم يكن بحسب العرف ظاهرا

ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون لما ذكر بعض صفات النفس اللازمة ذكر الصفات المفارقة من جملتها النوم ومن اياته منامكم بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم وطلب المعاش قد يكون بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم وطلب المعاش جميعا هذا ظاهر الاية وجمهور المفسرين على ان في الاية تقديما وتاخيرا التقدير منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار اعتبارا بسائر الايات في هذا المعنى قالوا وان وقع النوم بالنهار وابتغا الرزق بالليل فنادر والحكم للاغلب قال صاحب الكشاف هذا من باب اللف وترتيبه ومن الاية منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينتين الاولين بالقرينتين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشي واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون وقال في الاية الاولى لقوم يتفكرون وفي الثانية للعالمين لان المنام بالليل والابتغا بالنهار قد يظن الجاهل والعاقل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل للعالمين ولان اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغا من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم ولزوال الهما في بعض الاوقات والنظر في الالسنة والالوان دايم فاسند الاولين الى السماع والاخرين الى التفكر وقيل ان من الاشيا ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكر ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى مرشد يرشد فيفهم اذا سمعه من المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثلة كالاشكال الهندسية لكن خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر خامد الذكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق اية واما المنام والابتغا فقد يقع لكثير انهما من الافعال العباد وقد يحتاج الى مرشد بغير فكره لقوم يسمعون يلقون السمع وهم شهود حتى يسمعوا بالاذن الواعية [للنوم ح]

ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون لما قدم دلايل الانفس قدم دلايل الصفات التي للانفس واخر الاحوال المفارقة التي للافاق كما اخر دلايل الافاق بقوله ومن اياته اراءة البرق وبالوجهين من المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع بالمعيدي او سماعك بالمعيدي وقول القايل وقالوا ما تشا فقلت الهوى الى الاصباح اثر ذي اثيراي اول كل شي خوفا من الصاعقة ومن الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان

على المفعول قال صاحب الكشاف فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راوون فكانه قيل يجعلكم راين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ورد ذلك باسناد الجميع الى الله وقيل يجوز ان يكونا حالين اي خايفين وطامعين وينزل من السما ما مطرا فيحيي بالما الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون لما كان البرق والمطر ليسا بمطردين غير مختلفين بل هما مختلفان اذ كل منهما يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة ضعيفا فهو اظهر دلالة في العقل على الفاعل المختار قال لايات لقوم يعقلون

ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون لما ذكر بعض احوال الافاق التي هي المفارقة ذكر بعض احوالها اللازمة ومن اياته ان تقوم قيام السما والارض واستمساكهما بغير عمد بامره بقوله كونا قايمين اي باقيا منه تعالى واراد بقوله هذه اية ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الوضع الذي هما عليه من الامور الممكنة وكونهما في غير هذا الموضع وعلى غير هذا الوضع جايز فكان يمكن ان يخرجا منه فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا للجايز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار قال الامام ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الانفس بقوله خلقكم من تراب وخلق من انفسكم ازواجا ومن الافاق السما والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الالسنة والالوان ومن عوارضه المنام والابتغا ومن عوارض الافاق البرق والامطار ومن لوازمها قيام السما والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الاخر يوكده وقال ههنا ومن اياته ان تقوم وقيل قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ههنا تقوم ولا هناك ان يريكم لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان عين الفعل المستقبل وجعل مصدرا لان المستقبل ينبي في التجدد وفي البرق لما كان ذلك من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه الحرف المصدرية وقال ذكر ستة دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات والذكر في الاول وهو قوله ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخر وهو قوله ومن اياته ان تقوم السما والارض اما الاول فلان قوله بعد ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد فاذا قال ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السما والارض فنقول في الايات السماوية ذكر انها ايات للعالمين ولقوم يعقلون لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر الامر بعد سرد الدلايل يكون اظهر فلم يميز احد عن احد في ذلك وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة ثم اذا دعاكم دعوة وجر العطف بثم وما يكون يعلقه به انه اذا بين لكم كمال قدرته بهذه الايات ثم بعد ذلك يخبركم ويعلمكم بانه قال للعظام البالية اخرجوا من الاجداث احيا تخرجون احيا ثم اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القايل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت لابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدا او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السما والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما

قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك
يجوز ان يكون صاحبك تقول دعوته من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي قال
صاحب الكشاف فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا في قوله ثم اذا دعاكم وبين اذا في قوله اذا انتم قلت الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفا في جواب الشرط ومعنى الاية اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون من الارض **قوله تعالى** وله من في السموات والارض كل له قانتون
وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم قيل ومن اياته ان كل من في السموات والارض له قانتون منقادون لوجود افعاله
لا يمتنعون عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم مطيعون فيكون طاعة ارادة لا طاعة عبادة اي
خلقهم على ارادته قيل قائمون في القيامة وقيل مقرون بالعبودية وقيل مصلون فيكون
المراد به المؤمنين وهو اهون قيل الاعادة اهون اسهل وقيل ايسر وقيل اسرع
عليه مجاهد وابو العالية الاعادة اهون عليه من البداية وكل هين عليه وقيل اهون
بمعنى هين فالمعنى وهو هين عليه وقد يوضع افعل في موضع فاعل ومثله قولهم في الاذان
الله اكبر اي الله كبير قال الفرزدق ان الذي سمك السما بنا لنا بيتا دعائمه اعز واطول
وقال معن بن اوس المزني لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول اي واني
لوجل وقال غيره اصبحت امنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل وانشدوا
ايضا تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد اي بواحد روي
هذا عن الحسن وقتادة وقيل انه خاطب العباد بما يعقلون اي وهو اهون عليه ما يجب
عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد صنعة شي كان اسهل عليه
واهون من انشائها ويعتذرون للصانع اذا اخطى في بعض ما ينشئه بقولكم اول
الغزو اخرق ويسمون الماهر في صنعته معاود العنون انه عاودها كرة بعد اخرى
حتى مرن عليها وهانت عليه ابن عباس وهو اهون عليه اي على الخلق يصاحون بهم صيحة
فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا
ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونسا وهو اهون عليه معناه وان لعيك اهون عليه وانما
اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله وهو علي هين لان هنالك قصد
الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر
واما ها هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل
من الابتدا فلو قدمت الصلة لتغير المعنى واستعظمت الاعادة في قوله ثم اذا دعاكم حتى
كانها فضلت على قيام السما والارض بامره لانها في نفسها عظيمة وهونت بعد بقوله وهو
اهون لانها بالقياس الى الانشا وله اي ولله المثل الاعلى الصفة العليا التي ليست لغيره
وقد عرف ووصف في السموات والارض على السنة الخلايق والسنة الدلايل وهو انه
القادر الذي لا يعجز عن شي من انشا ولا اعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه
قوله وهو العزيز القاهر على كل مقدور الحكيم الذي يجري على كل فعل على قضايا حكمته
وعلمه ابن عباس يقول ليس كمثله شي قتادة مثله انه لا اله الا هو ولا رب غيره
قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم
في

فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون قيل ان العرب كانت تقول لبيك اللهم
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فانزل الله ضرب لكم مثلا اي ضرب الله لكم معاشر المسلمين
من انفسكم لذاته ولما جعلتم شريكا له سبحانه يقرب الامر في فهم ذلك عليكم هل لكم معاشر الاحرار مما
ملكت ايمانكم يعني من عبيدكم واماكم من شركا فيما رزقناكم من الاموال فانتم معاشر الاحرار والعبيد فيه
في ذلك الرزق سوا شرع حكم ما ليككم في اموالكم كحكمكم وتتصرفون فيه تصرفكم تخافونهم معاشر السادة
عبيدكم فيه فلا تمضون فيه حكما دون اذنهم خوفا من لايمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم انفسكم كما يخاف
بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم عن ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا بعد موتكم
وقيل تخافون هولا الشركا ان تقاسموكم اموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم
ترضوا بذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان يكونوا الهتكم التي تعبد ونها لي شركا وانتم وهم عبيدي وانا
مالككم جميعا فكما لا يجوز استوا المملوك مع سيده فكذلك لا يجوز استوا المخلوق مع خالقه وقيل معناه
هل يرضى احدكم ان يكون عبده شريكه في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه في ذلك سوا يخافه كما يخاف
غيره من شركائه لو كان من في قوله مما ملكت ايمانكم للتبعيض ومن في قوله من شركا مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيدكم ان يشاركوكم
بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السوا من غير تفضلة بين حر وعبد
ويهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار
فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب وما لك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده
له شركا كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة لقوم يعقلون
يتدبرون في ضرب الامثال **قوله تعالى** بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي
من اضل الله وما لهم من ناصرين بل اتبع الذين ظلموا الكفرة اهواءهم ما تميل اليه نفوسهم بغير علم جاهلين
لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شي
فمن يهدي اي من اضله الله لا يقدر احد ان يهديه وما لهم من ناصر عنهم لا من الاصنام التي عبدوها
ولا من غيره **قوله تعالى** فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من
المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ثم امر النبي صلى الله عليه
وسلم بتوحيده فقال فاقم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وامته اي فقوم
وجهك للدين وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته
عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره
وقوم له وجهه مقبلا به عليه حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله اي الزموا فطرة الله او
عليكم فطرة الله اي دين الله وانما اضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من
الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة
التي خلق الله عليها البشر وكذلك قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة اي على الايمان بالله
مجاهد وقتادة فطرة الله التي فطر الناس عليها الاسلام ابن قتيبة فرق ما بيننا وبين اهل القدر
في هذا الحديث ان الفطرة عند اهل القدر الاسلام والفطرة عندنا الاقرار بالله والمعرفة
به لا الاسلام ومعنى الفطرة ابتدا الخلقة فالكل اقروا حين قوله الست بربكم قالوا بلى ولست

واجد احدا الا وهو مقر بان له صانعا ومدبرا وان عبد سواه دونه وسماه بغير اسمه فمعنى الحديث
ان كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الاقرار الاول وهو الفطرة ثم يهود اليهود ابناءهم اي يعلمونهم
ذلك وليس الاقرار الاول مما يقع به حكم ولا ثواب فان الناس اجمعوا على انه لا يرث المسلم الكافر
ولا الكافر المسلم واجمعوا على ان اليهودي اذا مات له ولد صغير ورثه وكذلك النصراني والمجوسي
ولو كان معنى الفطرة الاسلام ما ورثه الا المسلمون ولا دفن الا معهم وانما اراد بقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة اي على تلك البداية اي اقروا له فيها بالوحدانية حين اخذهم في صلب ادم
فمنهم من جحد ذلك بعد اقراره وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اني خلقت عبادي حنفاء
وذلك لانه لم يدعهم يوم الميثاق الا الى حرف واحد فاجابوه وقيل فطرة الله التي فطر الناس
عليها قال صاحب الكشاف الفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد
ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا
عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه
كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشيطان عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه
السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق
الله اي لدين الله اي لا يصلح ذلك ولا ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير ظاهره نفي ومعناه النهي
عكرمة ومجاهد لا تغيير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه وذلك الدين القيم اي التوحيد المستقيم
وقيل ذلك اشارة الى الاسلام ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون توحيد الله وقيل لا
يعلمون لا يتفكرون فيعلموا ان لهم خالقا مدبرا منيبين اليه راجعين اليه من تاب يتوب اذا
رجع من بعد مرة وقيل منقطعين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ادوها في اوقاتها على شرائطها
ولا تكونوا من المشركين خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول عليه السلام
خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتخليص من الذين بدلوا
من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وكانوا شيعا فرقا كل واحد تشايع امامها فيما اراد
بعضهم يعبد صنما وبعضهم يعبد الشمس وبعضهم غيرها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل
هو الخوارج وقيل هم اهل البدع كل حزب منهم فرحين بما لديهم اي كل حزب منهم فرح بمذهبه
مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين
دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل وكل خليل غيرها ضم نفسه
وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق
منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون واذا مس الناس شدة من هزال او
مرض وقحط او غير ذلك دعوا ربهم منيبين اليه تائبين مقبلين بالدعاء اليه تاركين للاصنام
يعلمون ان لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم من الضر النازل بهم رحمة خلاصا من الشدة ليكفروا اللام
مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون نظيره اعملوا ما شئتم فسوف
تعلمون عاقبة امركم ووبال تمتعكم
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون ابن عباس والضحاك حجة وعذرا قتادة والربيع كتابا فهو اي فالسلطان يتكلم تكلمه
مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم
وبصحته بما كانوا اما مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون ما موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر
الذي بسببه يشركون وقيل يحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم

بالبرهان

بالبرهان الذي بسببه يشركون قوله تعالى شانه وإذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون رحمة نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بطروا بها
وان تصبهم سيئة شدة من قحط او ضيق او مرض بما قدمت ايديهم بشؤم عملهم وعصيانهم اذا هم يقنطون بيأسوا
انكر عليهم بانهم قد علموا انه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون من المعاصي
الذي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد عليهم رحمته قوله تعالى جود كرمه اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين
يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون اي كل من البسط والقدر من الله تعالى على حسب مشيئته فلا يجب
ان يستبعد منه احد بما غضب الاحزان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فات ذا القربى حقه صلة الرحم
والمسكين وابن السبيل حقهما نصيبهما من الصدقة خاطب من بسط عليه الرزق باداء حق الله من
المال وصرفه الى من يقرب منه في رحم وهو الذي لا يجب عليك نفقته وقيل هو الذي يجب عليك
نفقته اذا كان فقيرا ولهذا قال حقه والمسكين وابن السبيل بالمواساة والحقوق الواجبة
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذا القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقوقهم
من الغنيمة والفيء واحتج ابو حنيفة بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين وعند
الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم
ولما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وذكر ما يجب ان يترك
ذلك اي ايتاء حقوقهم خير للذين يريدون وجه الله من البخل وقيل خير لهم في القيامة يريدون
وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته او جانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
وجهه لقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان
متقاربان واولئك هم المفلحون قوله تعالى عز وجل وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا
يربو عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون قرا ابن كثير اتيتم مقصورا
ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وطاوس والضحاك وقتادة الربوا ههنا ان يهدي الرجل
للرجل الشيء يقصد ان يثيبه عليه اكثر منه ذلك الضحاك هذا ليس فيه اجر ولا وزر قتادة ذلك الذي
لا يقبله الله ولا يجزي به وليس فيه وزر الحسن الربوا ههنا الربوا المحرم ابراهيم النخعي انه الرجل
الذي يعطي قرابته المال ليصير به غنيا لا يقصد بذلك ثواب الله الشعبي انه الرجل يعطي من خدمه
لاجله لا لاجل الله ليربوا قرا نافع لتربوا بتاء مضمومة وسكون الواو اي لتربوا انتم في اجتلاب
اموال الناس واجتذابها والباقون بياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربوا فلا
يربوا عند الله اي لا يزكو ولا يضاعف لانكم قصدتم زيادة العوض ولم تقصدوا القربة فهو وهذه
الاية في معنى قوله يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء سمي ربا او زيادة وما اعطيتم اكلة الربوا من ربا
ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة
صدقة تبتغون به وجه الله خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو
الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار قتادة هذا الذي يقبل
الله ويضعف له عشر اضعافها واكثر من ذلك ومعنى قوله المضعفون اي اهل التضعيف لقول العرب
اصبحتم مسمنين اي سمنت ابلهم ومعطشين اذا عطشت ورجل مقو اذا كانت ابله قوية ومضعف اذا كانت
ضعيفة ومنه الخبيث المخبث اي اصحابه خبيثا وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة
وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله في صدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول انتم المضعفون

المعنى المضعفون
الذين يضعف لهم
الاجر

قوله تعالى كبرياؤه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدأ الذي خلقكم خبره اي الله هو فاعل هذه الافعال ثم قال هل من شركائكم اصنامكم التي زعمتم انهم شركاء الله من يفعل شيئا قط من ذلكم الخلق والرزق والاماتة والاحياء حتى يصح ما ذهبتم اليه سبحانه وتعالى عما يشركون ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم **قوله تعالى كبرياؤه** ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ظهر الفساد القتل والقطع الطرق والجذب والقحط وقلة الريع في الزراعات وقلة الربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع وكثرة المضار يقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر بما كسبت ايدي الناس بشوم ذنوبهم مقاتل هذا قبل ان بعث الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام امتلات الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله عز وجل محمدا عليه الصلوة والسلام رجع الراجعون من الناس عن الضلال والظلم البر اهل العمود والمفاوز والبراري والبحر اهل القرى والريف مجاهد اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر عكرمة العرب تسمي الامصار بحرا عطية البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف عطية اذا قل المطر قل الغوص ابن عباس اذا امطرت السماء تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ الحسن البحر القرى على شاطئ البحر ابن عباس وعكرمة ومجاهد ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه والبحر بالملك الجائر الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا لنذيقهم قرا قنبل عن ابن كثير بالنون والباقون بالياء اي ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها لنذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان نعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وقيل يجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فعلى هذا اللام في لنذيقهم مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال بعض اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم ان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن وانما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج من قبل ان ياتي يوم يعني القيامة لا مرد له من الله قيل من الله متعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها وقيل من الله يتعلق بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته فالمرد مصدر بمعنى الرد يومئذ يصدعون يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير **قال تعالى عز وجل** من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين فعليه كفره اي جزاء كفره قال صاحب الكشاف فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضامن كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يفرشون ويسوون المضاجع في القبور وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا عليه لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع على المومن لا تجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له اي ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله لا من عمله فانه لا يجب على الله ثواب

الذين امنوا وعملوا الصالحات اي جزاهم من فضله وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير ان المومن الصالح فضل الله في حقه ثابت قطعا بمقتضى وعده انه لا يحب الكافرين فيسويهم بالمومنين بل يفرق بينهم قال صاحب الكشاف انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومن اياته اي ومن ايات قدرته ان يرسل الرياح الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا مبشرات برحمته بالمطر وبصحة الابدان وخصب الزمان وليذيقكم اي ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الرياح وزكي الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها بامره وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية ولا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله ولتطلبوا من فضله من الربح في التجارة في البحر وقيل بالذهاب الى الجهاد في البحر ولعلكم تشكرون نعمة الله فيها ولتذيقكم يجوز ان يكون عطفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلنا **قوله تعالى عز وجل** ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين اجرموا اشركوا اي فكفر بهم قوم وامن قوم فانتقمنا من الذين اجرموا ونصرنا المومنين وكان حقا علينا بمقتضى الوعد نصر المومنين اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام او لا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المومنين تعظيم للمومنين ورفع من شانهم وقد توقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدي علينا نصر المومنين في العاقبة فكن لك نحن ناصروك ومظفروك على اعدائك ومن نادرات الحسن يعني انجى المومنين مع الرسل من عذاب الامم عن ابي الدرداء سمعت رسول الله يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله سبحانه ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا نصر المومنين **قوله تعالى كبرياؤه** الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين الله الذي يرسل الرياح فتثير فتهيج الرياح سحابا فيبسط الله السحاب في الهواء كيف يشاء مسيرة يوم او ايام من ناحية الجنوب او ناحية الشمال او ناحية الصبا او ناحية الدبور ويجعله كسفا اي فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا قطعا تارة قيل ويجعله كسفا قطعا ركب بعضه بعضا والكسفة القطعة من السحاب يغطي ما فوقها من بسيط الشمس قيل وفيه تقديم وتاخير تقديره فتثير سحابا ويجعله كسفا فيبسطه في السماء الضحاك كسفا في سماء دون سماء فترى الودق المطر يخرج من خلاله قيل في الدارين جميعا والمراد بالسماء سمت الراس وسقفها لقوله وفرعها في السماء فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اي اصاب به بلاد من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون لمجيء الخصب وزوال القحط وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله من باب التكرير والتاكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم باسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك وقيل من قبل ان ينزل من قبل المطر وقيل من قبل الارسال من قبل النبات ولم يتقدم ذكره ولذلك قرا ومصغرا اي النبات لان المطر يدل عليه وقيل من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم بالمطر وبالاستبشار لمبلسين ايسين وقيل ساكتين منقطعين **قوله تعالى عز وجل** فانظر الى اثر رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها

ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم الى اثر والباقون
الى اثار رحمة الله اى المطر واثرها او اثارها النبت كيف يحيي الارض بالنبات والاشجار وانواع
الثمار بعد موتها بعد ان صارت ترابا لا نبات بها ولا ثمار ان ذلك الذى يحيي الارض بعد موتها لمحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير من الابدا والاعاده والاحيا والاماته والبعث والنشور
ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون اى ولئن ارسلنا ريحا بارده مضره فافسدت ما انبتت
الغيث فراوا يعني كفار مكة الزرع والنبات فانه عن غير مذكور وقيل فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله
هى الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار رحمة الله النبات يقع على الكثير والقليل
لانه مصدر سمي به ما ينبت ولان اللام فيه هى اللام الموطيه للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب
القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ليه ذمهم الله تعالى لانه اذا احبس عنهم القطر
قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل
... زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومه كان عليهم ان يتوكلوا
على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا النعمه ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على
بلايه فكفروا وقال مصفرا لان تلك صفره حادثه وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فهم مسلمون الايتان قد فسرتا فى سورة النمل الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وهو العليم القدير قرا عاصم وحمزه ضعف بفتح
الضاد والباقون بضمها وهما لغتان والضم اقوى لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قرات على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني من ضعف الله الذى خلقكم من ضعف يعنى اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم
الضعف وخلق الانسان ضعيفا اى ابتدائكم فى اول الامر ضعافا وذلك حال الطفوله والنشا حتى بلغتم
وقت الاحتلام والشبيبه وتلك حال القوه الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو
الضعف بالشيخوخه والهرم وقيل من ضعف النطف لقوله من ماء مهين يخلق ما يشا وهذا الترديد فى
الاحوال المختلفه والتغيير من هيئة الى هيئة ومن صفة الى صفه اظهر دليل واعدل شاهد على انه
هو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون ويوم تقوم الساعة القيامه يقسم يحلف المجرمون ما لبثوا فى الدنيا غير ساعة وقيل
ما لبثوا فى قبورهم وقيل فيما بين فنا الدنيا الى البعث وفى الحديث ما بين فنا الدنيا الى وقت البعث
اربعون قالوا لا نعلم اهى اربعون سنه ام اربعون الف سنه وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم
وانما يقدرون فى وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك
كانوا يؤفكون اى كانوا مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق فى الدنيا وهكذا
يبنون امرهم خلاف الحق ومثل ذلك الافك كانوا يؤفكون فى الاغترار بما بين لهم الان انه ما كان
الا ساعه وقال الذين اوتوا العلم هم الانبيا والملايكه والمومنون لقد لبثتم فى كتاب الله فى اللوح
المحفوظ او فى علم الله وقضايه او فيما كتبه اى اوجبه بحكمته الى يوم البعث ردوا ما قالوه وحلفوا
عليه واطلعوهم على الحقيقه ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه والفا فى قوله فهذا الجواب شرط يدل عليه
الكلام كانه قال ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم

فيومئذ

فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون قرا عاصم وحمزه والكسائي بالياء لان التانيث غير
حقيقي والباقون بالتاء ابن عباس لا يقبل من الذين اشركوا معذرتهم ولا توبة ولا هم يستعتبون استعتبني فلان
فاعتبته اى استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله
غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم
والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بطاعة مثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الايات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير
راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله يسلوه
ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل ولئن
جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله
حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولقد ضربنا اى وصفنا للناس فى هذا القران من كل مثل صفة كانها
مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة البيان كصفة المبعوثين يوم القيامه وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولئن جئتهم اى المشركين المعاندين باية من ايات
او اية من القران فيه مثل ليقولن الذين كفروا بمحمد وبالمسلمين ان انتم الا مبطلون ما انتم على حق بل انتم
مبطلون وذلك لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة ثم قال كذلك اى مثل ذلك الطبع يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون اى قلوب الجهلة فاصبر يا محمد على اذاهم وعداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار
دينك على الدين كله حق ثابت لا بد من انجازه والوفا ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفه والقلق مقالة
الذين لا يوقنون اى لا يحملنك اذاهم وعداوتهم وعنادهم على ان يدخلك خفه وعجله لشدة غضب
لعترتك فيمنعك عن تبليغ الرساله وقيل معناه لا ياخذنك العجله فى امرهم فان الله سيعاقبهم وقيل
لا يستنزلنك عما انت عليه وقيل لا يستخفن حلمك ورايك الذين لا يومنون بالمعاد

لقمان

وهى اربع وثلثون ايه وخمس مايه وثمان واربعون كلمه والفان ومايه وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون
الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الكتاب
الحكيم ذى الحكمه وقيل وصف الكتاب بصفة الله على الاسناد المجازى وقيل يجوز ان يكون الاصل
الحكيم قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفه
المشبهه هدى ورحمة قرا حمزه بالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والباقون
بالنصب على الحال عن الايات والعامل فيهما ما فى تلك من معنى الاشاره للمحسنين الذين يعملون الحسنات
ويعبدون الله تعالى كانهم يرونه فان لم يكونوا يرونه فانه يراهم والحسنات هى التى ذكرها من اقامة
الصلوة وايتا الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذى يظن بك الظن كان قد راى
وقد سمعا حكى عن الاصمعي انه سيل عن الالمعي فانشده ولم يزد وقيل الذين يعملون جميع ما يحسن
من الاعمال ثم خص منهم القايمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها ومن
الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الايه فى رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا مجاهد
نزلت فى شرى القيان والمغنين والمغنيات الكلبي ومقاتل نزلت فى النضر بن الحارث كان يتجر
الى فارس فيشترى اخبار الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود

وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران اللهو
كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله الى ما نهى عنه نحو السمر بالاساطير
والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغنا
وتعلم الموسيقا وما اشبه ذلك واضافة اللهو الى الحديث للتبيين وهي بمعنى من وان يضاف الشي الى ما هو منه
كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث
والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جا في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما ياكل الحشيش ويجوز ان تكون
من للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو وقيل المراد بلهو الحديث الغنا كان ابن مسعود
يقول هو الغنا والذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمه
وقتاده وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ان اللهو الطبل الحسن ما الهى عن الله الضحاك الشرك عطا الباطل
وقيل يشتري بماله وحديث النضر ليضل قتاده يختار ويستحب وانما قيل لهذه الاشيا لهو الحديث لانها تلهي عن ذكر
الله ليضل ليصير امره الى الضلال وقيل ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمد وقيل
وضع ليضل موضع يضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محاله فدل بالرديف على المردوف عن سبيل الله بغير
علم اي يجعله مشتريا لهو الحديث بالقران قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال
بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي بالتجارة بصرا بها ويتخذها قرا حمزه
والكسائي وحفص عن عاصم ويتخذها بالنصب عطفا على قوله ليضل لقربه من المنصوب والباقون بالرفع عطفا على قوله
يشتري والضمير يرجع الى الايات اي ويتخذ الايات هزوا وقيل الى السبيل اي ويتخذ سبيل الله هزوا اولئك
لهم عذاب مهين   واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم
واذا تتلى عليه اياتنا اي القران ولى مستكبرا اعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن طاعة الرسول والاصغا اليه
كان لم يسمعها يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا ثقلا ولا وقر فيهما كان لم يسمعها حال
من مستكبرا كان في اذنيه وقرا حال من لم يسمعها وقيل حالان من الضمير في ولى اي اعرض اعراض من لم يسمعها وكاعراض
من في اذنيه وقر ويجوز ان يكونا استينافين والاصل في كان المخففه كانه والضمير ضمير الشان فبشره بعذاب اليم
في الدنيا والاخرة   ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو
العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى
وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شي ولا يعجزه يقدر على الشي وضده فيعطي النعيم من شا وهو الحكيم في
كل ما يشا على وفق حكمته   خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث
فيها من كل دابه وانزلنا من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم خلق السموات بغير عمد ترونها السموات غير
معمودة وهو استشهاد برويتهم للسموات غير معمودة على قوله بغير عمد ترونها كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح
تراني ولا محل لترونها لانها مستانفه وقيل هي في محل الجر صفه للعمد اي بغير عمد مرئيه اي انه عمدها
بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته   هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون
في ضلال مبين هذا الذي ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي ماذا
خلق الهتهم بكتهم بان هذه الاشيا العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني ما خلقته الهتكم حتى استوجبوا عندكم
العباده ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال   ولقد اتينا
لقمن الحكمه ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ولقد اتينا لقمان الحكمة العقل
والعلم والعمل به والاصابة في الامور وقيل هو لقمان بن باعورا وهب كان ابن اخت ايوب مقاتل ذكر ان

لقمن ابن خالة ايوب الواحدي وكان قاضيا في بني اسرايل واتفق العلما انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمه
فانه قال ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول وقيل خير لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة عن ابن عمر رضي الله
عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا اقول لم يكن لقمان نبيا ولكن عبدا صمصاما كثير التفكر حسن
اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة كان نايما نصف النهار اذ جاه ندا يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة
في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان عزم علي فسمعا
وطاعة فاني اعلم ان فعل ذلك بي عصمني واعانني فقالت الملايكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم
باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعدل فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن
يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملايكة
من حسن منطقه فنام نومه فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بعده فقبلها فلم يشترط ما
اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود
عليه السلام طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى واعطي الخلافة داود وابتلي بالبليه
والفتنه خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا نجارا سعيد بن المسيب كان لقمان خياطا مجاهد كان لقمان عبدا
اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين روي انه جا اسود الى سعيد بن المسيب يساله فقال له سعيد لا تحزن من
اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم
كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر ان اشكر لله قيل لان يشكر لله ويجوز ان تكون ان المفسرة فيكون
المعنى ان اشكر لله وتقديره قلنا له اشكر لله وقيل بدل من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لانه اذا شكر
يزيده الله قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم اي يعود منفعة شكره اليه ومن كفر لم يضر الله فانه غني عن العباد
وشكرهم حميد محمود في صنعه وجماله وان لم يحمده حامد   واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا
تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة له الا هي منه وبين من لا نعمة له البتة ولا يتصور
ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه   ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله
في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما
في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون انها نزلت في سعد بن ابي وقاص
وقد سبق في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن كلام وقع في اثنا وصية
لقمان لابنه وهو اعتراض وقع على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك وقيل
تقديره ان الشرك لظلم عظيم ونحن قد وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرناه ان لا يطيعهما في الشرك وجا
في كلام لقمان انه قال لابنه ان الله رضيني لك فلم يوصني بك ولم يرضك لي فوصاك بي حملته امه وهنا
على وهن ضعفا على ضعف وقيل شدة على شدة وقيل جهدا على جهد وقيل وهنا على وهن على حسب زيادته
في بطنها وثقله عليها تقديره حملته بوهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على
بدء وهنا في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان
الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ضعفا وثقلا وفصاله في عامين اي وفطامه بعد الولاده في انقضا عامين
ان اشكر لي تفسير لوصينا سفيان بن عيينه من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في
ادبار الصلوة فقد شكر الوالدين وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به
نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشي يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شي اي اطعهما فيما يامرانك
به كله وان حملاك على ان تجعل لي شريكا لم يحصل لك العلم بانه لي شريك لان ذلك مستحيل فلا تطعهما
على ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم

اي واذكر اذ قال لقمن وقيل اذ في محل
النصب باتينا اي اتينا لقمن الحكمة اذ قال
لابنه واسمه انعم وكنيته ... الشرك لظلم عظيم

واحتمال وبر وصله وما تقتضيه الكرم والمروه واتبع سبيل من اناب الي اي سبيل المومنين في دينك ولا تتبع
سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبيكم بما كنتم تعملون فاجازيك
على ايمانك واجازيهما على كفرهما
يابني انها ان تك مثقال حبه من خردل فتكن في صخره او في السموات
او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير علم بما تقدم حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما
في مراعاة حق الابوه وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخره انها ان تك
مثقال قرا نافع وحده برفع مثقال والباقون بنصبه قيل ان ابن لقمان قال لابيه ارايت لو كان حبه في قعر البحر اكان الله
يعلمها فاجابه بهذه الايه قاله السدي وقال مقاتل انه قال يا ابت ان عملت بالخطيه حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله
فاجابه بهذا فمن رفع مثقال كان ضمير القصه وانما انث مثقال لاضافته الى الحبه كما قال كما شرقت صدر القناه من الدم
ومن نصب كان الضمير للحبه من الاساة والاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماه كحبه الخردل وكانت مع
صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخره او حيث كانت في العالم العلوي والسفلي يات بها الله يوم القيامه فيحاسب
بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل شي خفي خبير عالم بكنهه وعن قتاده لطيف باستخراجها خبير
بمستقرها قتاده في صخره في جبل بن عباس هي صخره تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وخضرة السما
منها
يابني اقم الصلوه وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
واصبر على ما اصابك قيل يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن ويجوز ان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك قيل اي الصبر وقيل
ان ذلك الذي اوصيك به من عزم الامور مما عزمه الله على عباده اي امرهم به امرا حتما وقيل انه كذلك عزمه
اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنيه الا ترى
الى قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزايمه
وقولهم عزمه من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا
فعلت كذا فاذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحه في تركه وحقيقته انه من تسمية
المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى
الفاعل واصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه
الايه موذنه بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في ساير الامم وان الصلوه لم تزل قايمه عظيمه
الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها
ولا تصاعر خدك للناس ولا
تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات
لصوت الحمير قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم تصعر بتشديد العين من غير الف والباقون بالف من غير
تشديد يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد دا يصيب
البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون
ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه
حنه فتلقاه فيعرض عنك بوجهه عكرمه هو الذي اذا سلم لوى عنقه تكبرا قتاده لا تحتقر الفقرا وليكن
الفقير والغني عندك سوا عطا هو الذي يلوي شدقه المودة لا تعبس في وجوه الناس ولا تمش في الارض
مرحا خيلا وكبرا مصدر وقع موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن
غرضك في المشي البطاله والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئا الناس ان الله لا يحب كل مختال متكبر وقيل منان والاختيال
التكبر لنفسه طولا على غيره واقصد في مشيك حتى يكون مشيا بين المشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب

ونبه

ونبه الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بها المومن واما قول عايشه رضي
الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعه المرتفعه عن دبيب المتماوتين وعن
ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى واغضض اي واخفض من صوتك وقيل وانقص منه
واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شي نكر
اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمه وكذلك نهاقه
من استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل
الاذنين كما يكنى عن الشي المستقذر وقد عد من مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم
من اولي المروه ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجله فتشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلا الكلام عن لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعاره وان جعلوا
حميرا وصوتهم نهاقا مبالغه شديده في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه
وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان مجاهد والضحاك وقتاده اقبح لانه اوله زفير واخره شهيق امرهم بالاقتصار
في صوته بن زيد لو كان رفع الصوت خيرا ما جعله للحمير سفيان قال في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير
صياح كل شي تسبيح لله عز وجل الا الحمار وقيل لانه ينهق بلا فايده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يبغض ثلاثه اصوات نهقة الحمار ونباح الكلب والداعيه بالحرب وانما وحد صوت الحمير لان المراد ان يذكر
كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده قال لقمن ليس مال
كصحه ولا نعيم كطيب نفس ومر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال الست العبد الاسود الذي كنت راعيا
بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما الذي بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانه وترك ما لا يعنيني
وكان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فقال ايتني باطيب مضغتين فيها فاتاه باللسان
والقلب فقال اما كان شي اطيب من هذا قال لا فسكت عنه ما سكت ثم قال اذبح لنا شاة فذبح شاه
فقال الق اخبثها مضغتين فرمى اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتيني باطيب مضغتين فاتيتني باللسان
والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها مضغتين فالقيت اللسان والقلب فقال انه ليس باطيب منهما اذا طابا
ولا اخبث منهما اذا خبثا حكى انه سكر مولى لقمان يوما فخاطر قوما على ان يشرب ما البحيره فلما
افاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان وقال لمثل هذا كنت اخبيك فقال اخرج كرسيك واباريقك
ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على اي شرط خاطرتموه قالوا على ان يشرب ما هذه البحيره قال فان لها
مواد احبسوا عنها موادها قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها قال لقمان كيف يستطيع شربها
ولها مواد وقال لقمان ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع قيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي
ان راه الناس مسيا وقيل للقمان ما اقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش او على النقاش
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنه ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير لما استدل بقوله تعالى خلق السموات
بغير عمد على الوحدانيه بين بحكاية لقمان ان معرفة ذلك غير مختصه بالنبوه بل ذلك موافق للحكمه وما جاء
به النبي من التوحيد والصلوه ومكارم الاخلاق كلها حكمه بالغه ولو كان بعيدا محضا وجب قبوله
فضلا عن ان يكون موافقا للحكمه استدل على الوحدانيه بالحكمه لانا بينا مرارا ان الملك يخدم لعظمته
وان لم ينعم ويخدم لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقاه في الارض
رواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزل من السما ما ذكر بعد عامة النعم فقال سخر لكم ما في السموات

فذبح له شاة

الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والنبات والدواب وما لا نحصي واسبغ اكمل واوسع عليكم نعمه قرا نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم نعمه على الجمع ارادوا جميع ما انعم به والباقون نعمة على التوحيد والنعمة كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة ظاهرة يعلم بالمشاهدة وباطنة لا يعلم بالمشاهدة بل اكثرها لا يعلم اصلا لانكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فمجاهد ظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعدا وباطنة امداد من الملايكة ابن عباس اما الظاهرة فالدين والرياش واما الباطنة فما غاب عن العباد وعلمه الله مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة المعرفة القرطبي الظاهرة محمد عليه السلام والباطنة المعرفة وسع الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب عطا الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة محمد بن علي الترمذي النعمة الظاهرة قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي والباطنة قوله ورضيت لكم الاسلام دينا المحاسبي الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى الصد في الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة تضعيف الصنايع وقيل الظاهرة الجزا والباطنة الرضى سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تسوية الظواهر والباطنة تصفية السراير وقيل الظاهرة التبيين بيانه قوله تعالى ويبين اياته للناس والباطنة التزيين بيانه قوله تعالى وزينه في قلوبكم وقيل الظاهرة الرزق المكتسب والباطنة الرزق من حيث لا يحتسب وقيل الظاهرة المدخل للغذا والباطنة المخرج للاذا وقيل الظاهرة الجوارح والباطنة المصالح وقيل الظاهرة الخلق والباطنة الخلق وقيل الظاهرة النعيم بيانه قوله تعالى انعمت عليهم والباطنة التعليم قوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وقيل الظاهرة ما اعطى وحبا من النعما والباطنة ما طوى وزوى من انواع البلا وقيل الظاهرة الدعوة بيانه والله يدعو الى دار السلام والباطنة الهداية بيانه قوله تعالى ويهدي من يشا الى صراط مستقيم وقيل الظاهرة الامداد بالملايكة والباطنة القا الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة تفضيل الطاعات وهو انه ذكر طاعاتك واحدة واحدة واثنى عليك بها واثابك عليها بيانه قوله التايبون العابدون وقد افلح المومنون وان المسلمين والمسلمات الى اخرهن والباطنة اجمال المعاصي وذلك انه دعاك منها الى التوبة باسم الايمان من غير عدها وتفصيلها بيانه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون وقيل الظاهرة انزال القطار والامطار والباطنة ذكر الجنان وقيل الظاهرة تلاوة القران والباطنة معرفته وقيل الظاهرة ضيا النهار للتصرف والمعاش والباطنة نعمه عليك وانت في بطن امك وقيل الظاهرة الشهادة الناطقة والباطنة السعادة السابقة وقيل الظاهرة فتح المسالك والباطنة نزع الممالك عمن خالفك وقيل الظاهرة المقاربة العطايا والباطنة غفران الخطايا وقيل الظاهرة وضع الوزر ورفع الذكر والباطنة شرح الصدر وقيل الظاهرة فتح المسالك والباطنة نزع الممالك عمن خالفك وقيل الظاهرة ما كفر الله بالبلوى من الخطايا والباطنة الهدى والارشاد وقيل الظاهرة القول السديد والباطنة التاييد والتسديد وقيل الظاهرة ما كفر الله به الخطايا من الرزايا والبلايا والباطنة ما يعفو الله عنه ولا يواخذ به في الدنيا والعقبى وقيل الظاهرة ما بينك وبين خلقه من الانساب والاصهار والباطنة ما بينك وبينه من القرب والاسرار والمناجاة بالاسحار وقيل الظاهرة العلو بيانه قوله وانتم الاعلون والباطنة الدنو بيانه قوله اولئك المقربون وقيل الظاهرة الحواس الخمس والاعضا والجوارح الظاهرة وما ادرك بها من الامور الملايمة والباطنة العقل والقوى الباطنة والاعضا الباطنة وما ادرك بالقوى الباطنة والعقل وما ليس من شانه ان يدركه

الانسان

الانسان ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير نزل في النضر بن الحارث حين زعم ان الملايكة بنات الله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعا الشيطان اياهم الى عذاب السعير اي الى موجباته ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ لما بين حال المشرك المجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لامر الله عدى يسلم هاهنا بالى وفي موضع اخر باللام حيث قال بلى من اسلم وجهه لله فمعناه مع الى انه سلم الى الله نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه ومعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له اي يخلص دينه لله ويفوض امره اليه وهو محسن في عمله اي يعمل كانه يرى الله فان لم يكن يراه فان الله يراه فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالطرف الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه هذا من باب التمثيل مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صايرة الى الله ومن كفر ولم يسلم وجهه الى الله فلا يحزنك كفره فليس عليك منه تبعة الينا مرجعهم يوم الحساب فننبيهم بما عملوا فنجازيهم على اعمالهم ان الله عليم بذات الصدور بضماير القلوب وقيل بما في ضميرك من الحزن على كفرهم نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشي الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد الاية متعلقة بما قبلها من وجهين احدهما انه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة ذكر انهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي ان يكون الحمد كله لله لان خلق السموات والارض يحتاج اليه كل احد وكون الحمد كله لله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا والثاني ان الله تعالى لما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ولا يحزنك كفرهم اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك ولذ بهم يتبين عن قريب عند رجوعهم الينا ثم قال ولين سالتهم اي ليس صدقك وكذبهم لا يتبين الا ذلك اليوم بل هو بين قبل يوم القيامة لانهم معترفون بان خلق السموات والارض من الله وهذا تصديقك في دعوى الوحدانية وتبين كذبهم في الاشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب مكذبيك بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس علمهم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون واستعمال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القايل فلان يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره ما يعطي وما يمنع بل يريد ان له عطا ومنعا ومعنى ان الله هو الغني غير محتاج الى شي من ذاته وصفاته وافعاله ولا ينتفع به بل كل شي مفتقر اليه وفيهما منافع لكم فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفع حوايجكم واسباغ نعمه عليكم وقيل انه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص عن كفر الكافرين حميد في نفسه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير لما قال لله ما في السموات والارض وكان ذلك موهما بتناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما وتناهيهما بين ان في قدرته وعلمه عجايب ولطايف لا نهاية لها قيل سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فانزل الله بمكة ويسلونك عن الروح قل الروح الاية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك

ثم قال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما اتاك انا قد اوتينا التورية وفيها علم كل شي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد
كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل
الله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي بريت اقلاما والبحر قرا ابو عمرو والبحر بالنصب عطفا على اسم ان والباقون
بالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر ويجوز
ان يكون مبتدا او الواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا قال صاحب الكشاف فان قلت
كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى قوله يمده عن ذكر المداد لانه من قولك مد الدواة
وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا
ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلام الله
تعالى لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد لقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي وانما قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر لانه اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه ان الله عزيز
لا يعجزه شي حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شي ومثله لا تنفد كلماته عطاء بن يسار ان هذه الاية مدنية نزلت
بعد الهجرة كما ذكر غيره مكية انما امر اليهود وفد قريش ان يسالوا رسول الله عنه ويقولوا له وهو
بعد بمكة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وبعثها الا تتعذر عليه شي اي سوا في قدرته خلق نفس واحدة
وبعثها وخلق نفوس كثيرة وبعثها لا يتفاوت وذلك انه لما كانت تتفاوت النفوس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وهو منزه عنه ان الله سميع يسمع كل
صوت بصير يبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك البعض فكذلك الخلق والبعث

الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
وان الله هو العلي الكبير قيل لما قال الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض على وجه
العموم ذكر بعض ما فيهما على وجه الخصوص فقوله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر اشارة
الى ما في السموات وقوله بعد الم تر ان الفلك اشارة الى ما في الارض وقيل انه تعالى لما ذكر عجيب
البعث وكان من الناس من ينكر ويقول وما يهلكنا الا الدهر قال تعالى هذه الليالي والايام
التي تنسبون اليها الموت والحيوة هي بتقدير الله ولو قال قايل ان ذلك باختلاف سير الشمس
والقمر يقال ان الله سخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى كل يجري في فلكه ويقطعه الى وقت
معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع
جريهما الا حينيذ ذلك بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما
كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم حكمته وقدرته قال صاحب
الكشاف فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى امن تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك
هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما
ملايم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل
مسمى يريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس
مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر وكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذي ذكر

ووصف من عجايب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحيا القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي
يدعونه من دون الله بان الله بسبب ان الله هو الحق الثابت الهيته وان ما يدعون من دون
الله هو الباطل وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان وقيل ذلك الذي اوحينا اليك من
هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره هو الباطل وان الله هو العلي على كل
شي الكبير عن ان يشرك به

الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور بنعمة الله باحسانه
ورحمته وقيل بالريح لان الريح من نعم الله ليريكم من اياته من عجايب قدرته في البحر اذا
ركبتموها ان في ذلك لاية لكل صبار على بلايه شكور لنعمايه وهما صفتا المومن فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مومن واذا غشيهم اي علاهم او غطاهم
موج كالظلل جمع ظلة شبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جمع لان الموج ياتي شي بعد شي ويركب
بعضه بعضا كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام
والظلة كلما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما دعوا الله مخلصين له الدين يخلصون له الدعا
والطاعة ولا يدعون احدا سواه فلما نجاهم الى البر خلصهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط
في الظلم والكفر خفض من غلوايه وانزجر بعض الانزجار ابن عباس موف بما عاهد عليه
الله في البحر وقيل مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص
الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر ابن كيسان مومن مجاهد
مقتصد في القول مضمر للكفر الكلبي مقتصد في القول من الكفار لان بعضهم اشد قولا
واعلا ابن زيد المقتصد الذي على صلاح من الامر وقيل فمنهم مقتصد ثابت على عبادة الله ومنهم
جاحد فحذف لقوله وما يجحد باياتنا بعد وقيل فمنهم مقتصد جاحد فيكون الاقتصاد على
القول الاول مدحا وعلى الثاني ذما وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار والختر اشد
الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال
وانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر

لقوله ربه يا ايها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور لما ذكر الدلايل
من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى لانه تعالى لما كان واحدا وجب
التقوى البالغ فان من يعتقد ان الامر بيد اثنين لا يخاف احدهما مثل ما يخاف لو كان
يعلم ان الامر بيد واحد لا غير ثم اكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه
بين العباد وذلك لان الملك اذا كان واحدا ويعهد منه انه لا يعلم شيا ولا
يستعرض عباده لا يخاف منه مثل ما يخاف منه اذا علم ان له يوم استعراض واستكشاف
ثم اكد بقوله لا يجزي والد عن ولده لان المجرم اذا علم ان له عند الملك
من يتكلم في حقه لا يخاف مثل ما يخاف اذا علم انه ليس له من يتكلم في حقه ويقضي عنه
ما يخرج عليه ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد
وذكرهما جميعا فيه لطيفة وهي ان من الامور ما يبادر الاب الى التحمل عن الابن

كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر الى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد الى تحمله
عن الولد ومنها ما يبادر الولد الى تحمله عن الوالد والوالد لا يبادر الى تحمله عن الولد مثل
ما يبادر الولد كالاهانة فان من يريد احضار والد احد عند وال او قاض هون على
الابن ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بدله فاذا انتهى الامر الى الايلام يهون الاب
ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله هو بنفسه فقوله لا يجزى والد عن ولده في دفع الالام ولا مولود هو
جاز عن والده شيا في دفع الاهانة وفي قوله لا يجزى وقوله ولا هو جاز لطيفة اخرى وهي ان
الفعل يقال وان كان مرة لا ينبغي ولا يكون من شانه لان الملك اذا كان يخيط شيا يقال انه يخيط
ولا يقال انه خياط وكذلك من يحيك شيا ولا يكون ذلك صنعته يقال هو يحيك ولا يقال هو حائك
اذا علم هذا فنقول الابن من شانه ان يكون جازيا عن والده لما للوالد عليه من الحقوق والوالد
يجزى لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه ذلك فقال في الوالد لا يجزى وفي الولد ولا هو جاز
ان وعد الله حق اي وعد الله بالبعث والجزاء من الثواب والعقاب فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
بزينتها وغضارتها عن الاسلام والتزود للاخرة ولا يغرنكم بالله اي بحلمه وامهاله الغرور
الشيطان وهو الذي من شانه ان يغر والغرور فعول وهو من اسما المبالغة فقيل للشيطان غرور
لانه يغر كثيرا او يبالغ فيه وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة سعيد بن جبير الغرة
بالله هو ان يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لذنوبك غرة
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير سبب نزولها ان رجلا
من اهل البادية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدب
فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت فنزلت هذه الاية وروي ان
رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن الحارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني
عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حبوبي في الارض وقد ابطات عنا السما فمتى تمطر واخبرني
عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها ذكر او انثى واني علمت ما علمت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي
قد عرفته فاين اموت فنزلت الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم
الساعة روي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته
قال لقد اوتيت علما كثيرا وعلما حسنا ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة
الى خبير فقال هو لا خمس لا يعلمهن الا الله تبارك وتعالى روي انه بلغ ابن عباس ان يهوديا خرج
بالمدينة يحسب حساب النجوم فاتاه فساله فقال له ان شئت انباتك عن نفسك وعن ولدك فقال
انك ترجع الى منزلك وتلقى ابنا لك محموما ولا يمكث عشرة ايام حتى يموت الصبي وانت لا تخرج من الدنيا حتى
تعمى فقال ابن عباس وانت يا يهودي قال لا يحول على الحول حتى اموت قال فاين موتك يا يهودي
قال ما ادري قال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت قال فرجع ابن عباس
فلقي ابنه محموما فما بلغ عشرا حتى مات الصبي وسال عن اليهودي قبل الحول فقالوا مات
وما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره وينزل قرا عاصم ونافع وابن عامر بالتشديد ههنا
وفي الشورى والباقون بالتخفيف اي ويعلم متى ينزل الغيث فظاهر الاية يدل على ان الله
ينزل الغيث وليس فيه تعرض لعلم وقت نزول الغيث الا ان نضمر فيصير التقدير علم الساعة

قوله

وانزال

392

وانزال الغيث وكذلك قوله ويعلم ما في الارحام نضمر فيصير التقدير وعلم ما في الارحام من
الذكورة والانوثة وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ما تعمل في المستقبل من خير او شر ان جعلت ماذا
كلمة واحدة فمحله النصب بتكسب وان جعلت كلمتين فما رفع بالابتدا وذا خبره والفعل صلته والضمير مقدر
وما تدري نفس باي ارض تموت في حضر او سفر بر او بحر وقيل باي قدم من الشقاوة او السعادة
وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الحيل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت
حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق
الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد ان الله عليم بهذه الاشيا خبير فمن ادعى علم شي من
هذه الخمسة فهو كافر بالله قيل غير ثلاث ايات نزلت

سجده

بالمدينة وهي قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى تمام ثلث ايات وهي ثلثون
ايه وثلثمايه وثمانون كلمة والف وخمسمايه وثمانية عشر حرفا عن جابر بن عبد الله ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرا الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك بسم الله الرحمن الرحيم
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق

تنزيله ج

من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الم على انها اسم السورة مبتدا خبره
تنزيل الكتاب وان جعلت الم تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب على انه خبر مبتدا محذوف
اي ذلك تنزيل الكتاب وقيل هو مبتدا خبره لا ريب فيه وقيل هو مبتدا من رب العالمين خبره
لا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا
من رب العالمين ام يقولون افتراه اضراب تقديره كانه قال بل ايقولون افتراه ويشهد لوجاهة هذا القول
الاخير ان قولهم هذا انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من
تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك لا ريب
فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة وقعت
انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغايهم عن مثل ثلاث ايات ثم اضرب عن الانكار الى اثبات
انه الحق من ربك فان قيل كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم
افتراه اجيب بان معنى لا ريب فيه لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه
لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شي من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه
انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر يجوز
ان يتعلق بما قبله ويجوز ان يتعلق بفعل مضمر تقديره انزله لتنذر قوما ما اتاهم اي لم
ياتهم من نذير من قبلك قتادة كانوا امة امية لم ياتهم نذير من قبل محمد ابن عباس رضي الله
عنهما ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام والصلوة لعلهم يهتدون
الى الرشاد بانذارك ويرتدعون من كفرهم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا
تتذكرون يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما
تعدون لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد واقامة الدليل الله مبتدا
الذي خلق خبره ما لكم من دونه سوى الله من ولي يتولى امركم ويقوم بمصالحكم وقيل
اذا جاوزتم رضى الله لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم وقيل
ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر

المشفوع له فهو لقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير افلا تتذكرون ما علمتم انه خالق السموات
والارض لا اله غيره حتى ينصركم ولا يكون عندكم لهذه الاشيا الحقيرة قدر ومرتبة حتى يكون
لها شفاعة يدبر الامر لما بين الله الخلق بين الامر كما قال تعالى الا له الخلق والامر
والعظمة والكبريا تبين بهما فان من يملك مماليك كثيرة عظاما يكون له عظمة ثم اذا كان امره
نافذا فيهم يزداد في اعين الخلق عظمته وان لم يكن له نفاذ امر ينتقص من عظمته قيل معناه
يقضي القضا من السماء فينزله مع الملايكة الى الارض ثم يعرج الملك اليه في يوم من ايام
الدنيا فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من ايام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة
الف سنة من مسيرة الادمي وقيل يدبر امر الدنيا مدة ايام الدنيا فينزل القضا والقدر
من السما الى الارض ثم يعرج اليه ثم يعود الامر اليه والتدبير حتى ينقطع امر الامرا واحكام
الحكام وينفرد الله تعالى بالامر في يوم كان مقداره الف سنة وذلك في يوم القيامة
لان كل يوم من ايام الاخرة كالف سنة مجاهد يقضي الف سنة في يوم واحد ثم يلقيه
امرهم
الى الملايكة فاذا مضت قضى الف سنة اخرى ثم كذلك ابدا السدي الامر الوحي مقاتل
القضا وقيل امر الدنيا وقيل الامر اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ الله تعالى قضاه بجميع
ما يشا ثم يعرج اليه خبر ذلك في يوم واحد من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه السير المعروف
من البشر الف سنة لان ما بين السما والارض خمسمائة سنة وقيل ان الضمير في مقداره عايد على
التدبير يعني كان مقدار التدبير المنقضي في يوم الف سنة لو دبرها البشر وقيل ان الله تعالى
يدبر ويلقي الى الملايكة امور الف سنة من عدتنا وهو اليوم عنده فاذا فرغنا القى اليهم مثلها فالمعنى
ان الامور تنفذ عنده لهذه المدة ثم يصير اليه اخر الان عاقبة الامور اليه وقيل يدبر الامر
اي ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السما الى الارض ثم يعرج يصعد اليه جبريل بالامر في
يوم واحد من ايام الدنيا وقدره مسيرة الف سنة مما تعدون خمسماية نزوله من السما الى الارض
وخمسماية صعوده من الارض الى السما وما بين السما والارض مسيرة خمسماية عام لو سار احد
من بني ادم لم يسرع الا في الف سنة والملايكة يقطعون هذه المسافة في يوم واحد
فعلى هذا انزلت الاية في وصف مقدار عروج الملايكة من الارض الى السما ونزولهم من السما
الى الارض واما قوله اليه على هذا التاويل فانه اراد الى الملك الذي امره الله تعالى ان
يعرج اليه كقول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي وانما اراد ارض الشام وقال ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله اي الى المدينة ولم يكن الله بالمدينة ولا بالشام قال صاحب
الكشاف الامر المامور به من الاعمال والطاعات الصالحة ينزله مدبرا من السما الى الارض
ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريد ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة
عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه
قوله على اثره قليلا ما تشكرون ثم يعرج اليه اي يعرج الامر والتدبير اليه ويرجع ويعود اليه
بعد انقضا الدنيا وفنايها في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة واما قوله خمسين الف
سنة فانه اراد على الكافر جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين الف سنة وعلى المومن
كقدر صلوة مكتوبة صلاها في دار الدنيا ويجوز ان يكون ليوم القيامة اول وليس له اخر وفيه
اوقات شتى بعضها الف سنة وبعضها خمسين الف سنة فانه اراد على الكافر ويجوز ان يكون هذا اخبار
عن شدته وهوله ومشقته لان العرب تصف ايام المكروه بالطول وايام السرور والمحبوب بالقصر

قال صاحب الكشاف ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملايكته كل وقت من اوقات
هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان يبلغ المدة اخرها ثم يدبر ليوم اخر وهلم جرا
الى ان تقوم الساعة ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شي خلقه
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل
لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون لما ذكر عالم الاشباح والخلق بقوله خلق السموات
وعالم الارواح والامر بقوله يدبر الامر من السما الى الارض قال عالم الغيب يعني ما في الارواح والامر
والشهادة يعني ما في الخلق والاشباح وقدم العلم بالغيب لانه اقوى العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر
انه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة ثم قال الذي احسن كل شي خلقه وبدا
خلق الانسان من طين لما بين بالدليل الدال على الوحدانية من الافاق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما
ذكر الدليل الدال على الوحدانية من الانفس قوله الذي احسن كل شي خلقه قرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر خلقه ساكنة اللام على البدل فيكون المعنى احسن كل شي خلقه اي احسن خلق كل شي والباقون
خلق م
مفتوحة اللام على الفعل الماضي ابن عباس اتقنه واحكمه ثم قال اما ان است القردة ليست بحسنة ولكنه
احكم خلقها قتادة حسنه مقاتل علم كيف يخلق كل شي من قولك فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه وقيل احسن
كل شي حسنه لانه ما من شي الا وهو مخلوق على الوجه الذي تقتضيه الحكمة فجميع المخلوقات حسنة على هذا
الوجه الذي خلقه ولو فرض بخلافه لم يكن حسنه وبدا خلق الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله
ذريته وولده من سلالة من نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان اي تخرج منه وقيل للولد سلالة
من ما مهين ممتهن محتقر بل بمعنى مفعول ثم سواه يعني الانسان وقيل النسل اي خلقه معتدلا في
الشكل وقيل معتدلا في الطبع ونفخ فيه من روحه الروح ما يمتاز به الحي من الميت والاضافة
للتشريف كبيت الله وناقة الله وقيل من ريحه التي يحيى بها الانسان وجعل لكم السمع لتسمعوا
والابصار لتبصروا والافيدة لتعقلوا قليلا ما تشكرون اي تشكرون قليلا وقالوا اءذا
ضللنا في الارض اينا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
ثم الى ربكم ترجعون لما ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم وذكر الوحدانية
بقوله الله الذي خلق الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ذكر الحشر بقوله ائذا ضللنا فان هذه الاصول
الثلث جرت عادة الله بذكرها مرتبطا بعضها ببعض قيل الاية للعطف فانهم قالوا ائا محمد ليس برسول
وقالوا الاله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن وقالوا قيل القايل ابي بن خلف ورضاهم بقوله اسند اليهم
جميعا اي منكري البعث ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه
كما يضل الما في اللبن وقيل غبنا في الارض بالدفن فيه واصله من قول العرب ضل الما في اللبن اذا ذهب ويقال
ضللت الميت اذا دفنته قال الشاعر وآب مضلوه بعين جلية ائنا لفي خلق جديد نحيى كما كنا قبل موتنا
اي هذا عجب منكر والظرف في ائذا ضللنا انتصب بما يدل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بالبعث
والنشور كافرون جاحدون وقيل بسبب انكارهم البعث كافرون وقيل لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة
من تلقاء ملك الموت وما وراه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ من الكفر وهو انهم كافرون بجميع
ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت بالرجوع الى ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب والجزا وهذا معنى لقاء ربهم والتوفي استيفا النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهي ان يقبض كلها لا يترك منها شي من قولك توفيت حقي من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه

تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل طست يتناول منه حيث يشا

مقاتل والكلبي بلغنا ان اسم ملك الموت عزرائيل وله اربعة اجنحة جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وجناح له

في اقصى العالم من حيث يجي ريح الصبا وجناح له في الافق الاخر ورجل له بالمشرق والاخرى بالمغرب

والخلق بين رجليه وبين راسه وجسده كما بين السما والارض وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد لصاحبها

ياخذ منها ما احب من غير مشقة ولا عنا او مثل اللبنة بين يديه فهو يقبض انفس الخلق في مشارق

الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن ابن عباس قال ان خطوة ملك

الموت ما بين المشرق والمغرب عن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو

يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى

اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال الان زار بك عسكر الاموات وقيل ملك الموت يدعو الارواح

فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها **قوله تعالى** ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من

الجنة والناس اجمعين ولو ترى يجوز ان يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم ولو للتمني

كانه قال وليتك ترى المجرمون المشركون لقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى

الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله

له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي والغم ليشمت بهم وقيل يجوز ان يكون الخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت

اسوا حال ترى ويجوز ان يكون خطابا لكل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت

اليه اسا اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه ولو واذ للمضي وانما جاز دخوله للمضارع لان المرتقب من

الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا تقدر لترى مرئي خاص ليتناول جميع ما يشاهد منهم

من احوالهم الفظيعة كانه قيل ولو يكون منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا مطاطئوا رءوسهم عند

ربهم حيا وذلا ندامة للذي سلف من كفرهم ومعاصيهم في الدنيا ربنا ابصرنا يقولون على سبيل

الاستغاثة ربنا ابصرنا وسمعنا اي زال الان الشكوك في البعث والسوال فكشف عنا

الغطا وبصرنا اليوم حديد وقيل ربنا ابصرنا ما كنا مكذبين به وسمعنا منك تصديق ما اتتنا به

رسلك من البعث والنشور فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون الان ولو شينا لاتينا

كل نفس هداها رشدها وتوفيقها للايمان وهذا جواب لقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا

الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون بيانه انه تعالى قال لو رجعتكم الى الدنيا للايمان لهديتكم في الدنيا ولما

لم اهدكم تبين اني ما اردت وما شيت ايمانكم فلا ارد لكم وقوله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها

صريح في ان مذهبنا صحيح ان الله ما اراد الايمان من الكافر وما شا منه الا الكفر ثم قال تعالى ولكن حق

القول مني وقع القول مني وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك من كفرة الجن والانس اجمعين

قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون

فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم يحتمل ان يكون لقا منصوبا بذوقوا اي ذوقوا لقا يومكم بما نسيتم وعلى

هذا يحتمل ان يكون المنسي هو الميثاق الذي اخذ منهم بقوله الست بربكم قالوا بلى او بما في الفطرة

من الوجدان انه فنسي بالاقبال على الدنيا هذا اليوم والاشتغال بها ويحتمل ان يكون منصوبا بقوله نسيتم اي بما

نسيتم لقا هذا اليوم وذوقوا وعلى هذا الوجه فان قيل النسيان لا يكون الا في المعلوم اولا ولقا هذا

اليوم لم يكن معلوما لم يقل لما ظهرت براهينه فكانه ظهر وعلم ولما لم يوجد بعد الظهور ذكر بلفظ النسيان

اشا

اشارة الى انهم منكرين لامر ظاهر لمن ينكر امرا كان قد علمه هذا قيل اشارة الى اليوم اي لقا هذا اليوم وقيل

اشارة الى لقا يومكم هذا اللقا وقيل هذا اشارة الى ما هم فيه من نكس الروس والخزي والمعنى فذوقوا هذا

اي ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم بسبب نسيان اللقا انا نسيناكم تركناكم في النار وذوقوا عذاب

الخلد الدايم بما كنتم تعملون من الكفر وتكذيب الرسل **قوله تعالى** انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا

سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا او وعظوا بها خروا سجدا خوفا من

عذاب الله ولقايه وقيل اذا ذكروا بها دعوا الى الصلوات الخمس بالاذان اجابوا وسبحوا نزهوا الله ويثنون بحمد

ربهم بما يحمدونه فالبا للسبب وقيل حامدين والبا للحال وقيل اذا سجدوا قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون

عن الايمان به والسجود له ولا يانفون **قوله تعالى** تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا

وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون تتجافى ترتفع وتتنحى

عن المضاجع عن الفراش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين ربهم عابدين له خوفا لاجل خوفهم من سخطه

وطمعا وطمعهم في رحمته ابن عباس تتجافى جنوبهم لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما في الصلوة واما في قيام

او قعود او على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله عن مالك بن دينار سالت انسا عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم

فقال انس كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشا

الاخرة فانزل الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن انس بن مالك نزلت فينا معاشر الانصار تتجافى جنوبهم

كنا نصلي المغرب ولا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشا مع رسول الله ابو الدردا والضحاك انها صلوة العشا

والصبح في جماعة عن ابن عباس انها صلوة العشا كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينامون حتى يصلوها

وعن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله يقول اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جا مناد فنادى بصوت

رفيع يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع

فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس فلا تعلم نفس ما اخفي قرا حمزة اخفي ساكنة اليا اي

انا اخفي على انه للمتكلم وهو الله سبحانه وتعالى والباقون مفتوحة اليا على البنا للمفعول ما اخفي بمعنى الذي او بمعنى

اي قال الزجاج في هذا دليل على ان المراد بالاية التي قبلها الصلوة في جوف الليل لانه عمل يستتر الانسان به

فجعل لفظ ما يجازى عليه اخفي لهم من قرة اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب

ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله واخفاه عن جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم

ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح ورا ها جزا بما كانوا يعملون اي للجزا على اعمالهم في الدنيا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر ما اطلعتهم عليه اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون ابن مسعود ان في

التورية مكتوبا لقد اعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولا يخطر على قلب

بشر وما لا يعلمه ملك مقرب وانه لفي القران فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **قوله**

تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات

الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها

اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى

دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين

منتقمون افمن كان مومنا كمن كان فاسقا نزلت في علي ابن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة

ابن ابي معيط اخي عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع وكلام في شي فقال الوليد لعلي رضي الله عنه

اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا

وعن ابن مسعود رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطايه ولحافه من بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى اهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملايكة انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة ورهبة مما عندي حتى اهريق دمه

فى الكتيبه فقال له على رضى الله عنه اسكت فانك فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
وكان فاسقا محمولا على لفظ من ولا يستوون محمولا على المعنى بدليل قوله اما الذين امنوا واما الذين فسقوا
ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك فلهم جنات الماوى هى نوع من الجنات قال
الله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال تاوى اليها ارواح الشهدا وقيل هى عن يمين العرش نزلا ما نزلا الحسن وعطا هو
ما يعد للنازل بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم اى ملجاهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنته
ماواهم النار اى النار لهم مكان جنة الماوى للمومنين لقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى
عذاب الدنيا من مصايبها واسقامها وبلاياها يبتلى به الله العباد حتى يتوبوا عكرمه الحد ودعبد الله ابن
مسعود والحسن بن على وعبد الله بن الحرث القتل بالسيف يوم بدر مقاتل الجوع سبع سنين بمكه حتى
اكلوا الجيف والعظام والكلاب مجاهد عذاب القبر قالوا والعذاب الاكبر عذاب يوم القيامه لعلهم
يرجعون عن كفرهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات
الله فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سوا السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكر مستبعد
فى العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصه ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز
انا من المجرمين منتقمون اى انا من المشركين منتقمون اى لا ندع الانتقام من المشركين بالله تميز ابن المطيع
والعاصى قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل انا منهم منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين
عامة بالانتقام فقد دل على اصابة الظلم النصيب الادنى من الانتقام ولو قال منهم لم يفد هذه الفايده
ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقايه وجعلناه هدى لبنى اسرايل وجعلنا
منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية
وقيل الكتاب للجنس فلا تك فى مرية فى شك من لقايه قيل من لقا موسى الكتاب وقيل من لقايك موسى
ليلة الاسرا ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى موسى ابن عمران رجلا
ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوه وقيل من لقا موسى اياك وقيل اتينا موسى الكتاب فلقى من قومه
شدايد السدى من تلقيه كتاب الله بالرضى والقبول قال اهل المعانى لم يرد بالقا الرويه وانما
اراد مباشرة الحال وتبليغه رسالة الله وقبوله كتاب الله وقيل من لقا الله وقيل المعنى انا اتينا موسى
مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره وقيل فلا تكن فى شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره لقوله فان كنت فى شك مما
انزلنا اليك فسال الذين يقرون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقايك قوله وانك لتلقى القران من
لدن حكيم وقوله ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا وقيل فلقى موسى من قومه شدايد فلا تكن فى
شك من لقايك مثله وقيل من لقا موسى ربه قيل هذا مع قوله سبحانه لن ترانى بعيد لاجماع المفسرين على
ان المعنى لن ترانى فى الدنيا ولعل قايل هذا القول اراد فلا تكن فى مرية من لقا موسى ربه فى الاخرة اى سيلقاه وقيل
هذا اعتراض وهو يرجع الى ما تقدم من قوله بل هم بلقا ربهم كافرون تقديره ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبنى اسرايل وقوله فلا تكن فى مرية من لقايه متصل بقوله بل هم بلقا ربهم كافرون
اى فلا تكن فى مرية من لقايه وجعلناه اى وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لبنى اسرايل وقيل وجعلنا
موسى هدى لبنى اسرايل وجعلنا منهم من بنى اسرايل ايمه قيل هم علماوهم وقيل انبياوهم يهدون
الناس ويدعونهم الى ما فى التورية وقيل يدلونهم الى الطريق المستقيم بامرنا اى بامرنا اياهم بذلك وقيل

بامرنا

بامرنا لما صبروا لما صبروا وقرا حمزه والكساى لما بكسر الميم اى لاجل صبرهم والباقون بفتح اللام وتشديد الميم
اى حين صبروا وكانوا اى ايمه منهم باياتنا التورية وقيل بالايات التسع يوقنون يعلمونها علما لا يخالجه
شك ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامه فيما كانوا فيه يختلفون اى يحكم بين الانبيا واممهم
فيما اختلفوا وقيل يفصل بين المومنين والمشركين فيميز المحق من المبطل وقيل يفصل بتفرقة بين المومنين
والكافرين بالمنازل فالمومنون فى الجنة والكافرون فى النار اولم يهد لهم
كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لايات افلا يسمعون اولم يهد للعطف على
معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير فى لهم لاهل مكه وفاعل يهد ما دل عليه كم اهلكنا
لان كم لا تقع فاعله لا يقال جانى كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرى وقيل هذا الكلام كما
هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدما والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة قراة
بالنون من قبلهم من القرون اى عاد وثمود وقوم لوط يمشون اى اهل مكه يمرون فى متاجرهم
فى مساكنهم دیارهم وبلادهم ان فى ذلك لدلالات ومواعظ وعبرا افلا يسمعون ما يوعظون
فيرتدعوا اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم
وانفسهم افلا يبصرون اولم يروا انا نسوق الما اى ما المطر وقيل ما الانهار الى الارض
الجرز اليابسه اى التى جرز نباتها اى قطع اما لعدم الما واما لانه رعى وازيل ولا يقال للتى لا
تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وقيل الى الارض اليابسه الغبيره الغليظة التى لا نبات
فيها واصله من قولهم ناقة جرز اذا كانت تاكل كل شى تجده ورجل جروز اكول قال الراجز خب جروز
واذا جاع بكى وسيف جراز اى قاطع وجرزت الجراد الزرع اذا استاصلته وكان الارض الجرز
هى الارض التى لا يبقى على ظهرها شى الا افسدته ابن عباس هى ارض باليمن وقيل هى ما لا يصل اليه ما النهر
فيسوق الله اليه المطر وقيل لا يكفيه المطر فيسوق الله اليه السيل ويحتمل انها التى ينقطع نباتها فى الشتا
فاذا اصابها مطر الربيع نبتت فنخرج به اى بالما زرعا تاكل منه اى من الزرع انعامهم التبن والورق
والحشيش وانفسهم الحب والثمر افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على قدرته تعالى على احيا الموتى
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين الفتح النصر او الفصل بالخصومة من قوله
ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع
المشركون قالوا متى هذا الفتح قتاده قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح
ويحكم الله بيننا وبينكم فقال الكفار استهزا متى هذا الفتح اى القضا والحكم الكلبى يعنى فتح مكه
السدى يعنى يوم بدر لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا
عليكم وقيل اراد بيوم الفتح يوم القيامه الذى فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد ان كنتم صادقين
انه كاين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون
قال صاحب الكشاف فان قلت قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن سوالهم قلت كان غرضهم
فى السوال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزا فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سوالهم
فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزوا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وامنتم فلا ينفعكم الايمان ولا هم ينظرون
لانهم مضطرون ولا يستحقون به ثوابا فان قيل فمن فسر يوم الفتح بيوم فتح مكه او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره
الا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقا يوم فتح مكه وناسا يوم بدر اجيب بان المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم
فى وقت القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم بالمجرم وانتظر النصر عليهم وهلاكهم وقيل انتظر
الفرصة فيهم انهم منتظرون الغلبه عليكم وهلاككم وقيل منتظرون الفرصه فيك وقيل منتظرون الموت وقيل منتظرون بك

سورة الاحزاب ثلاث وسبعون اية مدنية

حروفها خمسة الاف وسبعمائة وستة وتسعون حرفا والف ومايتان وثمانون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامان ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ايذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر رضي الله عنه اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي عليه السلام عمر ان يخرجهم من المدينة وانزل الله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة اباسفيان واباالاعور وعكرمة والمنافقين عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله كان عليما بما يكون قبل كونه عليما بخلقه قبل خلقه جعل نداه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ وترك نداه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربا بمحله وتنويها بفضله قال صاحب الكشاف فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذلك لتعلم الناس انه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يومنون بالله والنبي **قوله تعالى** واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا قرا ابو عمرو بالياء من تحت والباقون بالتاء واتبع احكام الله التي يوحيها اليك دون احكام الجاهلية من الظهار والتبني وقيل ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وعيد لك ان الله كان بما تعملون خبيرا لم يزل عالما باعمالهم واعمالكم وقيل ان الله الذي يوحي اليك خبير بما يعملون يوحي اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة لكم الى الاستماع من الكفرة وبالياء معناه بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم **قوله تعالى** وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا وفوض امورك الى الله وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امره **قوله تعالى** ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللاي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ابن عباس سبب نزول هذه الاية اي قوله ما جعل الله لرجل من قلبين ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد الى شانه الاول فقالوا ذلك عنه فنفاه الله وقيل نزلت في ابي معمر جميل الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان

لما نسي نعله في يده الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله للمظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى يكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وفي هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب واحد فاما فيه ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة يومن قلب ويكفر قلب فنفاها الله تعالى وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الانسان بهذه الاية متى نسي شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي اذا نسي قلبه الواحد يذكره الاخر وما جعل ازواجكم اللاي قرا نافع وابن كثير اللاء دون يا وروي عن ابي عمرو اللاي بيا ساكنة دون همز وقرا ورش بيا مكسورة من غير همز والباقون مكسورة بهمزة بعدها يا تظاهرون قرا ابن عامر تظاهرون بتشديد الظاء والالف بعدها وقرا عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وانكرها ابو عمرو قيل وليس بمنكر لان لفظة ظاهر تقتضيه وقرا الكسائي وحمزة وابو بكر عن عاصم بفتح التاء والظاء مخففة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تظهرون بتشديد الظاء والهاء دون همز وهذه نزلت في اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وفي امراته يقول الله وما جعل نساءكم اللاي يقولون هن علينا كظهور امهاتنا في الحرام كما تقولون ولكنها منكم معصية وفيها كفارة وازواجكم لكم حلال والقصة والحكم يذكر في المجادلة وما جعل ادعياءكم يعني من تتبنونهم ابناءكم نزلت في زيد بن حارثة الكلبي من بني عبد ود كان عبد الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه قبل الوحي واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب في الاسلام فجعل الفقير اخا للغني ليعود عليه فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدي وكانت تحت زيد بن حارثة قال اليهود والمنافقون تزوج محمد امراة ابنه وينهى الناس عنها فانزل الله هذه الاية ذلكم قولكم بافواهكم ولا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد بن عبد الله والله يقول الحق اي لا يقوله الا ما هو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي السبيل اي لا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق ويهدي الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم الذين ولدوهم وبين ان دعاءهم لابائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل هو اقسط اعدل عند الله فان لم تعلموا اباءهم تنسبونهم اليهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم ان كانوا محرريكم وليسوا ابنيكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم ويجوز ان يكون ما تعمدت في محل الرفع على الابتدا والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي وقيل لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم قال عليه السلام ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وكان الله غفورا للمخطي رحيما في رخصته **قوله تعالى** النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا النبي اولى احق بالمومنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم حسب حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحكمه انفذ عليهم من حكمهم ابن عباس وعطا يعني اذا دعاهم النبي الى شيء ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم مقاتل يعني طاعة النبي اولى من طاعة بعضكم لبعض ابن زيد النبي اولى بالمومنين من انفسهم كما انت اولى بعبدك فما قضى فيهم من امر جاز كما ان كلما قضيت على عبدك جاز وقيل انه عليه السلام اولى بهم في امضا الاحكام واقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الحق والبعد عن الفساد وقيل انه اولى بهم من الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقالت الحكما النبي اولى بالمومنين من

انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم • والنبي عليه السلام يدعوهم الى ما فيه نجاتهم ابو بكر الوراق لان النبي عليه السلام يدعوهم الى العقل وانفسهم تدعوهم الى الهوى • وقيل لان انفسهم تحترس من نار الدنيا والنبي عليه السلام يحرسهم من نار العقبى • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شيتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما امرئ هلك وترك مالا فليرثه من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه • وازواجه امهاتهم يعني كامهاتهم في الحرمة وانما اراد بهذا تعظيم حقهن وحرمتهن وانه لا يجوز نكاحهن لا في حيوة الدنيا عليه السلام ان طلق ولا بعده وفاته هن حرام على كل مومن كحرمة امه يدل على هذا انه لا يحرم على الولد رؤية الام وقد حرم رؤيتهن على الاجنبيين ولا يرثنهم ولا يرثونهن فعلم انهن امهات المومنين من جهة التعظيم والاحترام وتحريم نكاحهن عليهم عن مسروق قالت امراة لعايشة رضي الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث • قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر شيا فانزل الله عز وجل هذه الاية فصارت المواريث بالقرابات • الكلبي اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله فمكثوا بذلك ما شا الله حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين الذين اخى رسول الله بينهم والمهاجرين في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الاية او في اية المواريث وفيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقربا من هولاء المومنين والمهاجرين اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتدا الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين • ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا قيل استثنا من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية يريد انه احق منه في كل نفع واحسان من ميراث او هبة او هدية او صدقة او غير ذلك الا الوصية لانه لا وصية لوارث والمراد بفعل المعروف التوصية وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتدلوا الى اوليايكم يعني المومنين والمهاجرين للولاية في الدين • وقيل اراد اثبات الميراث بالايمان والهجرة ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا يعني الا ان توصوا لذوي قراباتكم من المشركين فيجوز لهم الوصية وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا قول محمد بن الحنفية وقتادة وعطا وعكرمة بن زيد ومقاتل الا ان توصوا الى اوليايكم من المهاجرين مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وان المشرك لا يرث المسلم كان ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا في الكتاب اي القرآن وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة مسطورا مكتوبا لان في التورية اذا نزل رجل بقوم من اهل دينه فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوي قرابته قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا • ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما • لما امر الله تعالى النبي عليه السلام بالاتقا بقوله يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية التي حكى فيها الناس وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم اكده بوجه اخر وقال واذ اخذنا كانه قال اتق الله ولا تخف احدا غيره واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع • واذ اخذنا واذكر اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم • قتادة اخذ ميثاق النبيين اي يصدق بعضهم بعضا • مقاتل ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم وهذا الميثاق اخذ منهم حين اخرجوا من ظهر ادم كالذر ابي بن كعب لما اخذ ميثاق الخلق خص النبيين بميثاق اخر • وقيل واذكر حين اخذنا من النبيين

جميعا

جميعا ميثاقهم • بتبليغ الرسالة والدعا الى الدين • ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى خص هولا الخمسة بالذكر لفضلهم لانهم اصحاب الشرايع والكتب واولوا العزم وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه افضل هولا المفضلين قدم عليهم ليعلموا انه افضلهم • ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه كما قدم الاربعة الباقية بعضهم على بعض بحسب تقدم الزمان • قال صاحب الكشاف فان قلت وقد قدم عليه نوح عليه السلام في الاية التي هي اخت هذه الاية وهو قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى • قلت مورد هذه الاية على طريقة خلاف تلك الطريقة • وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة وكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبيا في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبيا المشاهير • عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال وذلك قول الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم قبلهم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي شديدا على الوفا بما حملوا وذكر المفسرين ان ذلك الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وانما اعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه ليسال الصادقين يعني انما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيامة الانبيا ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • وقيل ليسال المصدقين للانبيا عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله • وقيل ليسال يوم القيامة عند مواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من استشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فليشهد لهم الانبيا بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين • واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اخذ على الانبيا الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين • واعد للكافرين عذابا اليما وقيل معطوف على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ۝ لما سبق الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من احد ذكر ان واقعة اجتماع الاحزاب واشتداد الامر على الاصحاب كان الخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه كاف امره يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاتكم جنود وهم الاحزاب قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا عطفا على ريحا لم تروها وهم الملايكة ولم تقاتل يومئذ • روي ان الله تعالى بعث عليهم بالليل ريحا باردة وبعث الملايكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وقذف الله في قلوبهم الرعب وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا اتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال • حكي ان فتى من اهل الكوفة قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا • فقال حذيفة والله يا ابن اخي لقد

هو وكفى ويصم ساعة من الليل ق

رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق في ليلة باردة لم ارقبلها ولا بعدها
بردا اشد منه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من يقوم فيذهب
الى هولا فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل
ثم التفت الينا فقال مثله فاسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا
من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما يفعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل
من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان
فمسح راسي ووجهي ثم قال ائت هولا القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على سلاحي
ثم انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا فقطعت اطنابهم
وقلعت ابنيتهم وذهبت بخيولهم ولا تدع شيا الا اهلكته وابو سفيان قاعد يصلي فاخذت سهما
فوضعت في كبد قوسي فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في
كنانتي فلما راى ابو سفيان ما فعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بنا قام فقال يا معشر قريش
لياخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت قال سبحان الله ما تعرفني
انا فلان بن فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام
لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون
فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله
الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فساروا راجعين الى بلادهم وهزم الله تعالى الاحزاب
وهو قول الله عز وجل فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال فرجعت الى رسول الله وكاني امشي في حمام
فاخبرته الخبر فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه في سواد الليل قال وذهب عني الدفا فادناني
صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه وكان الله
بما تعملون من حفر الخندق ان قرات بالتا وبما تعمل المشركون وجنودهم من الجهاد له ان قرات بالياء
بصيرا **قوله تعالى** اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا • اذ جاوكم بدل من اذ جا
تكم جنود من فوقكم ومن البادي من قبل المشرق عليهم • مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري
في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود بني قريظة
ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهو ابو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور
السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير
عن ديارهم وذلك ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب • وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق
وهودة بن قيس وابو عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا الاحزاب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقال لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب
الاول والعلم الاول بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا بل دينكم وانتم اولى بالحق
منه قال فهم الذين انزل الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت
الى قوله وكفى بجهنم سعيرا • فلما قالوا ذلك لقريش سرتهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج اوليك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان
من بني غيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان
قريشا قد بايعوهم على ذلك واجمعوا فيه فاجابوهم فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان بن حرب وخرجت
غطفان وقايدها عيينة بن حصن في بني فزارة والحرث بن عوف المري في مرة ومسعر بن رخيلة فيمن بايعه
من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة
وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان اول مشهد
شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوميذ حر وقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا
خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة الاف
من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة • واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى
نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري
والنسا فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم وقد كان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع
كعب بحيي بن اخطب غلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي بن اخطب يا كعب
افتح لي فقال ويحك يا حيي انك امرو مشوم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه
الا وفا وصدقا قال ويحك افتح لي اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان غلقت دوني الا على جشيشتك
ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال يا كعب ويحك جيتك بعز الدهر وبحر طام جيتك بقريش
على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب
نقمى الى جانب احد وقد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جيتني
والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماوه برعد وبرق وليس فيه شي فدعني ومحمدا وما انا عليه فلم ار من محمد
الا صدقا ووفا فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه عهدا من
الله وميثاقا لين رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك
فنقض كعب بن اسد عهده وبرى مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم • سعد بن معاذ
احد بني الاشهل وهو يوميذ سيد الاوس وسعد بن عبادة وهو يوميذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله
بن رواحة اخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا احق
ما بلغنا عن هولا القوم فان كان حقا فالحنوا الي لحنا نعرفه ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كانوا على الوفا
فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله
وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال
سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحاب الرجيع خبيب بن عدي واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين
وعظم عند ذلك البلا واشتد الخوف واتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم
النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى
وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغايط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد

نسخه اعلم

بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك عن ملأ من رجال قومه فائذن لي فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون معه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصار فلما اشتد البلا على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا من معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع المشاهدة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشي امرك الله به لا بد لنا من عمل به ام امر تحبه فنصنعه ام شي تصنعه لنا قال لا بل لكم والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله لقد كنا نحن وهولاء القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهما قتال الا فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب ابن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا تهيئوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا والله ان هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احديهما قال اجل قال فاني ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك قال له علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي رضي الله عنه فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان قد اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي رضي الله عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه ۝ قالت عائشة ام المومنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرج منها ذراعه كلها وفي يده حربته ۝ وهو يقول ۝

۝ لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ۝ لا باس بالموت اذا حان الاجل ۝

فقالت امه الحق يا بني فقد والله اخرت ۝ قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد لو كان اسبغ مما هو وخفت عليه حيث اصاب السهم منه ۝ قالت فرمي سعد يومئذ بسهم قطع منه

الاكحل وزعموا انه لم ينقطع من احد قط الا لم يزل يبض دما حتى يموت رماه حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة ۝ فقال سعد عرق الله وجهك في النار ۝ ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ۝ وحكي ان صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور العدو ولا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقالت يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم ابن مسعود اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة لقد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تحولوا الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم وبلادهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا القوم حتى تاخذوا رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت بالراي والنصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت ان حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليهود اليكم يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى يهود بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان بعضنا احدث فيه حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى

نعيم بن مسعود بن عامر سبب انهزام الاحزاب خذلهم الله رضي الله عنه وجزاه الله خير الجزاء واحسنه بما فعل ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين

بلادكم والرجال في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل الذي قالت بنو قريظة قالت
قريش وغطفان نعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم لحق فما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة
انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان
انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم ❁ وبعث الله تعالى عليهم الريح في
ليالي شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين ❁ والحمد لله رب العالمين ❁ واذ زاغت مالت الابصار
عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها لكثرة الروع
وبلغت القلوب الحناجر فزالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق قالوا اذا انتفخت الرية من شدة الفزع
او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ❁ ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره
ويجوز ان يكون مثلا في اضطراب القلب ووجيبه وان لم تبلغ الحناجر حقيقة ❁ وتظنون بالله الظنونا
خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعفا القلوب الذين هم على حرف والمنافقون
الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن المومنون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان محمدا صلى الله
عليه واصحابه يستاصلون ❁ وظن المومنون انهم يبتلون قرا نافع وابو عمرو وعاصم الظنونا بالف
في الوصل والوقف لان الالف ثابتة في مصحف عثمان وساير مصاحف اهل البلدان وعلته تعليل رووس الاي
وابو عمرو في سائر الروايات وحمزة بغير الف في الحالين وصل ووقف والباقون بالالف في الوقف
دون الوصل لان العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم ومصاريعها فيلحق الالف في موضع الفتح عند الوقف
ولا يفعل ذلك في حشو الابيات فحسن اثبات الالف في هذه الحروف لانها رووس الاية تمثيلا لها بالقوافي وكذلك
الرسولا والسبيلا ❁ هنالك ابتلي اختبر المومنون ومحصوا ليعرف المومن من المنافق وزلزلوا حركوا زلزالا حركا
شديدا بليغا بالفتنة والتمحيص فتثبتوا على ايمانهم والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد ازعاج ❁ **قوله تعالى** واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ❁ واذ يقول عطف على قوله اذ جاوكم من
فوقكم المنافقون ❁ والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ❁ قيل
قايله معتب بن قشير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين امر بحفر الخندق عرضت صخرة صعبت على من كان يليها
فلما راى ذلك رسول الله عليه السلام نزل في الخندق واخذ معولا من سلمان فضرب تلك الصخرة ثلاث ضربات
تخرج مع كل ضربة كهيئة البرق فقال سلمان لقد رايت امرا عظيما فقال عليه السلام لذا وقد رايت ذلك
قال نعم والذي انزل عليك القران فقال عليه السلام لقد رايت في الضربة الاولى ابيض المداين وفي
الثانية قصور اليمن ❁ وفي الثالثة مداين الروم وليفتحن الله هذه على امتي فلما حصرهم الاحزاب واشتد
عليهم الحال قال معتب يعدنا ان يفتح علينا قصور الروم والفرس واليمن ولا يستطيع احدنا ان يذهب
الى الخلا فما وعدنا الله ورسوله الا غرورا باطلا **قوله تعالى** واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا
ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار وكان عهد الله مسولا ❁ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا
واذ قالت طايفة منهم اي المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه مقاتل هم بنو سالم السدي عبد الله بن ابي ابن
واصحابه يا اهل يثرب اسم المدينة وقيل يثرب ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام ❁ قرا حفص عن عاصم
مقام بضم الميم الاول والباقون بفتحها اي لا قرار لكم ها هنا ولا مكان فارجعوا الى منازلكم وامروهم بالهرب
من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان

ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم
بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى منازلهم بالمدينة
وهم بنو حارثة بن الحرث يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضايعة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو
ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله تعالى وقال وما هي
بعورة وانهم لا يخافون ذلك ان يريدون اي ما يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم هولا الجيوش الذين يريدون
قتالهم المدينة من اقطارها جوانبها ونواحيها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون منها عليهم
المدينة وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سيلوا عند ذلك الفزع
وتلك الرجفة الفتنة الشرك والردة الى الكفر لاتوها قرا ابن كثير ونافع وابن عامر لاتوها بالقصر اي لجاوها
وفعلوا ورجعوا عن الاسلام وكفروا والباقون بالمد اي لاعطوها ❁ ابن عباس في معنى الاية لو ان الاحزاب
دخلوا المدينة ثم امروهم بالشرك لاشركوا وما تلبثوا بها الا يسيرا ❁ قتادة معناه وما احتبسوا عن الاجابة
الى الكفر الا قليلا ❁ السدي وما تلبثوا بالمدينة بعد الاجابة الا يسيرا حتى يعذبوا ❁ وقيل لاتوها لاعطوها
وما تلبثوا بها وما لبثوا اعطاوها الا يسيرا ربما يكون السوال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة
بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملاهم هولا ورعبا وهولاء الاحزاب
كما لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر ❁ وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا وما تعللوا بشي
وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ❁ ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون عدوهم الادبار قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع
بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا والله ان لا يعودوا لمثلها فذكر الله تعالى لهم ما اعطوه من انفسهم ❁ قتادة
هم ناس كانوا قد غابوا وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا
الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم في ناحية المدينة ❁ مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا له اشترط لربك ولنفسك ما شيت فقال النبي عليه السلام
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا منه انفسكم
وازواجكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة
قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وكان عهد الله مسولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به يقال سالت فلانا حقي
اذا طلبته به وقيل مسولا عنه مجازى عليه ❁ قل يا محمد لهم لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف
انف او قتل لان الحذر لا يغني عن القدر وان ينفعكم الفرار بتقدير الله ومشيته لمنعتم بالتاخير واذا
لا تمتعون الا قليلا اي لم يكن ذلك التمتع الا زمانا قليلا ❁ وعن بعض المراونية انه مر بحايط مايل فاسرع
فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل **قوله تعالى** قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوا
او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ❁ قل يا محمد لهم من ذا الذي يعصمكم من الله من
عذاب الله ان اراد الله بكم سوا في الدنيا وقيل من عذاب الاخرة ❁ وقيل هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وظهورا
على عدوكم وجزيلا في الدنيا والاخرة فان قيل جعلت الرحمة قرينة السو في العصمة ولا عصمة الا من السو اجيب
بان معناه او يصيبكم بسو ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام فاجري مجرى قوله ❁ متقلدا سيفا ورمحا ❁
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا **قوله تعالى** قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين
لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط

الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ٥ قد يعلم الله المعوقين المثبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم • قتادة هولاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم • ابو سفيان واصحابه فخلوهم فانهم ٥
هالكون • مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل
انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا لنشفق
عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد
والجماعة • واما تميم فانهم يقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت يسمى به فعل متعد مثل احضر وقرب
ولا ياتون الباس الا قليلا اي ولا يحضرون الباس الحرب والقتال في سبيل الله الا قليلا للريا والسمعة
من غير احتساب • ولو كان ذلك لكان كثيرا • قيل ان هذا من جملة كلام القائلين لاخوانهم والمعنى ولا ياتي
اصحاب محمد الحرب الا قليلا لا يفارقون الاحزاب • وقيل انه ابتدا من الله تعالى اي يعوقون الناس
ويتخلفون بانفسهم في اكثر الاحوال الا قليلا ريا وسمعة وقيل الا قليلا كارهين • وقيل معناه لا ياتون الا اتيانا
قليلا وقيل صفة مصدر يحذف دون الا اتيانا قليلا • وقيل منصوب على اصل الاستثنا • وقيل الا قليلا يخرجون
مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما
قاتلوا الا قليلا اشحة جمع شحيح وهو البخيل عليكم بالخير والنفقة في سبيل وهو منصوب على الحال المعنى لا ياتون
الحرب الا بعد ما بخلا عليكم • وقيل بالغنيمة وقيل بالظفر • والغنيمة • وقيل بالقتال معكم ثم اخبر عن جبنهم فقال
فاذا جا الخوف اي اذا حضر القتال رايتهم ينظرون اليك في تلك الحال تدور اعينهم في رووسهم وقيل في احداقهم
يمينا وشمالا من الخوف والجبن كالذي كدوران اعين الذي يغشى عليه من الموت وقيل كما ينظر المغشي عليه من
سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك
الظنة والرهبة عليكم الى الخير وهو المال • والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجتروا عليكم سلقوكم اذوكم
بالكلام في الامن بالسنة حداد ذربة وقيل سلقوكم ضربوكم بالسنة • وقيل سلقوكم خاطبوكم اشد مخاطبة وابلغه
في الغنيمة يقال خطيب سلاق اذا كان بليغا في خطبته اشحة على الخير على الغنيمة والمال الذي ينفق في سبيل الله
وعلى رسول الله يطعن • قتاده يعني بسطوا السنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فانا قد
شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا فاما عند الغنيمة فاشح قوم واسوء مقاسمة • واما عند الباس
فاجبن قوم واخذله للحق اشحة على الخير يعني على الغنيمة اولئك لم يومنوا اي هم وان اظهروا الايمان فليسوا
بمومنين لنفاقهم فاحبط الله اعمالهم • مقاتل اي ابطل جهادهم لانه لم يكن في ايمان وكان ذلك الاحباط على الله
يسيرا قال صاحب الكشاف فان قلت هل تثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط • قلت لا ولكنه
تعليم لمن عسى ان يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب • وانما يعمل المنافق من الاعمال يجزى
عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو
الايمان وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبنا على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هبا
منثورا **قوله تعالى** يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسالون عن انبايكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا • ثم اخبر عنهم بما يدل على جبنهم فقال يحسبون اي يحسب
المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم ان الاحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا لم ينصرفوا عن قتالهم وان
يات الاحزاب كرة ثانية يودوا ويتمنوا من الخوف والجبن لو انهم بادون خارجون الى البادية في الاعراب
اي معهم يسالون كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبايكم وعن ما جرى عليكم وعلى هذا يسالون متصل بقوله
يودوا وقيل يسالون عن انبايكم استينافا اي منهم من كان في اطراف المدينة لم يحضر والخندق يسالون الناس

عن انبا العسكر متوقعين غلبة المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ولو كانوا يعني هولاء المنافقين
فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا ريا وسمعة من غير حسبة ولو كان ذلك
القليل لله لكان كثيرا **قوله تعالى** لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر وذكر الله كثيرا • قرا عاصم اسوة بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان اي لقد كان لكم في رسول
الله قدوة صالحة • والمعنى لقد كان لكم اية اقتدا لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم احد حتى كسرت
رباعيته وشج جبينه وقتل عمه وواساكم مع ذلك بنفسه لمن كان يرجو الله حض بهذه الاسوة المومنين
والمعنى ان الاسوة برسول الله انما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الاخر • وقيل يرجو ما عند الله من الثواب
والنعيم وقيل لمن كان يخشى الله ويخشى البعث لمن كان يرجو الله بدل من لكم وذكر عطف على كان اي لمن ذكر
الله كثيرا في الرخا والبلا والسرا والضرا **قوله تعالى** ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما • ثم ذكر المومنين وتصديقهم
موعود الله • ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله الا ان نصر الله قريب • ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سايرين اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم
اقبلوا للميعاد قالوا ذلك هذا اشارة للخطاب او البلا وما زادهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما
لقضايه وقدره لعلمهم انه كما صدق في البلا يصدق في النصر قيل فاعل زاد ما راوا وقيل نظرهم وقيل
مجي الاحزاب وقيل ما نزل بهم من الشدايد وقيل اجتماع الاحزاب عليهم وقيل تسليما بمعنى اسلاما اي ايمانا
واسلاما • وقيل الا ايمانا بالله وتسليما برسوله **قوله تعالى** من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا • ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شا او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما • من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فوفوا به • انس نزلت في عمي انس بن النضر غاب عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال غبت عن
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لين اشهدني الله قتالا ليرين الله ما اصنع فلما كان
يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني ابرا اليك مما جاء به المشركون واعتذر اليك مما صنع هولاء يعني
المسلمون ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال سعد والذي نفسي بيده اني لاجد ريح الجنة دون
احد فقاتلهم حتى قتل • قال انس فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف
وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته اخته ببنانه ونزل من المومنين
رجال صدقوا عايشة رضي الله عنها منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة عبد الله بن ابي نجيح ان طلحة بن عبيد
الله يوم احد كان محتضنا للنبي عليه السلام في الجبل وقد ظهر النبي عليه السلام فجاء سهم متوجه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فاصيب خنصره فقال حس ثم قال بسم الله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لو ان بها بدات لتخطفتك الملايكة حتى تدخلك الجنة • عايشة ام المومنين رضي الله
عنها اني لفي بيتي ورسول الله واصحابه في الفنا وبيني وبينهم الستر اذ اقبل طلحة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة • جابر سمعت
رسول الله من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة • وقيل صدقوا ما عاهدوا الله عليه
نزلت في متابعتهم ليلة العقبة • وقيل ما عاهدوا الله بعد بدر وهو بان قاتل حتى قتل او قاتل حتى
يقتل او ينصر فمنهم من قضى نحبه قيل نزلت في حمزة واصحابه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا بل هو عازم

على ان يفعله اذا اتفق له المشهد ۞ وقيل قضى نحبه مات حتف انفه ثابتا على عهده ومنهم من ينتظر الموت
ثاويا الصدق وقيل نحبه اجله وقيل نحبه عهده والنحب يأتي على وجوه منها النذر اي قضى نذره ومنها الخطر
اي فرغ من خطر الحيوة لان الحي على خطر ما عاش ۞ ومنها السير السريع سار بسرعة الى اجله ۞ ومنها النوبة اي
قضى نوبته ومنها النفس اي فرغ من انفاسه ۞ ومنها النصب اي فرغ من نصب العيش وجهده وهذا كله
يعود الى معاني الموت وانقضاء الحيوة ۞ قال صاحب الكشاف فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره
وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا او يحتمل الوفاء بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ۞ فان قلت فما حقيقة صدقوا ما عاهدوا الله عليه ۞ قلت يقال صدقني اخوك
وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب ۞ واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح
الجارة في اتصال الفعل ۞ فلا يخلو اما عاهدوا الله عليه ۞ اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار ۞ واما
ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه
ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه ولا المستشهد ولا من
ينتظر الشهادة ۞ ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوجب طلحة ۞ وفيه تعريض لمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب
ليجزي الله الصادقين بصدقهم جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراده وها بتبديلهم
كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
وكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ۞ وقيل اللام في
ليجزي الله متصل بعاهدوا الله اي عاهدوا الله ليجزي ۞ وقيل بما بدلوا اي وما بدلوا اما عاهدوا الله
عليه ليجزي ۞ وقيل بما وعدنا الله اي ما وعدنا الله ورسوله ليجزي الصادقين ۞ وقيل ابتلي المومنون
ليجزي الله وقيل امرنا لوقا ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين اي الكاذبين ان شاء قيل
ان من المنافقين من تاب من نفاقه فاستحق ان يتوب عليه ۞ وقيل ويعذب المنافقين بان لا يوفقهم
للتوبة من نفاقهم ان شاء فلا يستثنى من التوفيق لابن العذاب او يتوب عليهم ان تابوا وقيل ويعذب
المنافقين بنقض العهد ان شاء وهو ان يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم في الدنيا فيخرجهم من النفاق
الى الايمان ان الله كان غفورا لمن تاب رحيما بعباده المومنين **قوله تعالى** ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۞ ورد الله الذين كفروا
الاحزاب قريش وغطفان اي صدهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين بغيظهم اي لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا
لم ينالوا خيرا اي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيرا فخوطبوا على استعمالهم بغيظهم اي مغيظين كقوله
ينبت بالدهن بغيظهم ولم ينالوا خيرا حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى
او استينافا وكفى الله المومنين القتال بالريح والملائكة تكبر الملائكة في عسكرهم فلما سمعوا التكبير قالوا قد
بدا محمد بالسحر فانصرفوا لا يلوون على شي وكان الله قويا عزيزا **قوله تعالى** وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا يقتلون وتاسرون فريقا واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شي قديرا عدد الله تعالى في هذه الايات
نعمه على المومنين في هزم الاحزاب ۞ وان الله تعالى ردهم بغيظهم لم يشفوا منه شيئا ولا نالوا خيرا مرادا وكفى
كل مومن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقاتل الاحزاب وانزل الذين ظاهروهم يعني الذين
عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وهم بنو قريظة وذلك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف
صلى الله عليه وسلم والمسلمون عن الخندق ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه عليه السلام وقد غسلت شقه
فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ
اربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم ان الله يامرك يا محمد بالسير الى بني قريظة وانا عامد
الى بني قريظة فانهد عليهم فاني قد قطعت اوتادهم وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه برايته اليهم فابتدرها
الناس فسار علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى اذا دنا من الحصن سمع منها مقالة قبيحة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله
لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال
لو قد راوني لم يقولوا شيئا من ذلك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان
القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول
الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من اموالهم يقال له بير
انا فتلاحق الناس به فاتاه رجال بعد العشاء الاخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك
في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا
وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب ۞ وقد كان حيي بن اخطب دخل على بني
قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا بان
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد لهم يا معشر يهود انه قد
نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي كنتم تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم
واموالكم وابنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذا
فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ۞ ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا
حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء
والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم قال فان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت
وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد
سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك
قال ما بات منكم رجل قط منذ ولدته امه ليلة من الدهر حازما ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكان من حلفاء الاوس نستشيره في امرنا فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه

فرق لهم وقالوا له يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم فاشار بيده الى حلقه انه الذبح قال
ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم
يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب
الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطاه عنه قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا
بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه ثم انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
بيت ام سلمة ، قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك فقلت مم ضحكت
يا رسول الله اضحك الله سنك فقال تيب على ابي لبابة فقالت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت
قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد
تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح اطلقه ، ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد
ابن سعية واسد بن عبيد وهم من نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك
هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله وخرج في تلك الليلة
عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما راه
قال من هذا قال انا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله قال
لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه
حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من
ارض الله الى يومنا هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه
وبعض الناس كان يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة لا يدري اين يذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة
والله اعلم ، فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون
الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بني قريظة حاصر بني القينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم اياه عبد الله بن ابي
سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان
يحكم فيكم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم في خيمة امراة من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها
على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه قد قال لقومه حين اصابه
السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا
معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن الى مواليك فان رسول الله انما ولاك
ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد ان لسعد ان لا ياخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه
من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه
فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا
عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه
ان الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو

وهو معرض عن رسول الله اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان
تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث
امراة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها
خنادق ~~فاتيا خندقا~~ ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن
اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا من ثمانمائة الى تسعمائة
وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى
ما يصنع بنا فقال كعب افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وانه من ذهب منكم لا يرجع
هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو
الله وعليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه
الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من
يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت
عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي ،

، لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ، ولكنه من يخذل الله يخذل ،
، لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها ، وقلقل يبغي العز كل مقلقل ،

وروى عروة بن الزبير عن عايشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء قريظة الا امراة واحدة قالت
والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف
باسمها اين فلانة قالت انا والله قالت قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت حدث احدثته قالت
فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عايشة رضي الله عنها تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد
عرفت انها تقتل ، قال الواقدي واسم تلك المراة بنانة امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد
رمت عليه رحا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فضرب عنقها بخلاد بن سويد ، قال وكان علي
والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك ، عن الزهري ان الزبير
ابن باطا القرظي وكان يكنى ابا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث
اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني فقال
وهل يجهل مثلي مثلك قال اني قد اردت ان اجزيك بيدك قال ان الكريم يجزي الكريم ، قال ثم اتى ثابت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله عندي منة وقد احببت ان اجزيه
بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله وولده قال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اعطاني امراتك وولدك فهم لك قال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اعطاني مالك فهو لك ، قال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية يترايا فيها عذارى الحي كعب
ابن اسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي ابن اخطب قال قتل ، قال فما فعل مقدمتنا اذا
شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني
عمرو بن قريظة قال ذهبوا وقتلوا قال فاني اسالك بيدي عليك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما

في العيش بعد هولاء من خير فما انا بصابر الا بقدر فتله دلو ناضح حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه
فلما بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه قوله القى الاحبة قال تلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا ابدا فقال
ثابت بن قيس وفت ذمتي اني كريم واني صبور اذا ما القوم حادوا عن الصبر وكان زبير اعظم الناس منة على
فلما ذكروه بالاسلام استرق رسول الله كلما افكه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزي التاجري قالوا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم فسالته سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط
ابن قيس وكانت احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد صلت معه القبلتين وبايعته
بيعة النسا على رفاعة بن شموال القرظي وكان رجلا قد بلغ ولاذ بها وكان يعرفها فقالت يا نبي الله بابي انت وامي
هب لي رفاعة بن شموال فانه قد زعم انه سيصلي وياكل لحم الجمل فوهبه لها فاستحيته قالوا ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان
الرجال واخرج منها الخمس وكان للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس
وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا • وكان اول في وقع فيه السهمان واخرج منه الخمس فعلى
سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي ثم بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع
له بهم خيلا وسلاحا • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن حنافة
احدى نسا بني عمرو بن قريظة وكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك
فهو اخف علي وعليك فتركها • وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينا هو واصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا
لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما انقضى
شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم
انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسول الله اللهم ان كنت ابقيت من حرب
قريش على رسول الله شيا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه
ورجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضرب عليه في المسجد • قالت عايشة رضي الله عنها فحضره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكا عمر من بكا ابي بكر واني في
حجرتي وكانوا كما قال الله عز وجل رحما بينهم • قال علقمة اي امه كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان عينه لا تدمع على احد ولكنه اذا اشتد وجده فانما هو اخذ بلحيته قال محمد بن اسحاق لم يقتل
من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر وقتل من المشركين ثلاثة نفر • وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة
طرح عليه رحا فشدخته فقط • ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وقريظة قال الان نغزوهم
ولا يغزونا وكان كذلك حتى فتح الله على رسوله مكة وكان فتح بني قريظة في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة
فذلك قوله عز وجل وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم اي حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية
وهي ما تحصن به • ومنه قيل لقرن الثور صيصية ولشوكة الديك والحاكة صيصية • قال الشاعر
كوقع الصياصي في النسيج المدد • وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم
النسا والذراري واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها بعد يزيد بن رومان ومقاتل يعني خيبر
قتادة كنا نحدث انها مكة الحسن فارس والروم عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شي قديرا
قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن

١٦

سراحا جميلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما • يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله
يسيرا • قال المفسرون كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن سالنه شيا من عرض الدنيا
واذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرهن والى ان لا يقربهن شهرا
ولم يخرج الى اصحابه صلوات فقالوا ما شانه قال عمر رضي الله عنه ان شيتم لاعلمن لكم ما شانه فاتى النبي
عليه السلام فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى اذن له قال فجعلت اقول في نفسي اي شي اكلم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعله ينبسط فقلت يا رسول الله لو رايت فلانة وسالتني النفقة فصككتها صكة فقال ذلك
اجلسني عنكم فاتى عمر حفصة فقال لا تسالي رسول الله شيا ما كانت لك من حاجة فالي ثم تتبع نسا النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال لعايشة ايغرك انك امراة حسنا وان زوجك يحبك لتنتهن او لينزلن
فيكن القران قال فقالت له ام سلمة يا ابن الخطاب اوما بقي لك الا ان تدخل بين رسول الله وبين نسايه
من يسال المراة الا زوجها فنزل الله هذه الاية وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع
نسوة خمس من قريش عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت ابي
زمعة • وام سلمة بنت ابي امية • وصفية بنت حيي ابن اخطب الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية
وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتابعن واخترن اختيارها قتادة فلما اخترن
الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج • عن عايشة رضي الله عنها قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت علي من تسع وعشرين
فقال ان الشهر تسع وعشرون • ثم قال عليه السلام يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي فيه
حتى تستامري ابويك قالت ثم قرا علي هذه الاية حتى بلغ اجرا عظيما • قالت عايشة قد علم والله ان
ابوي لم يكونا يامراني بفراقه قالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة
روي ان عايشة رضي الله عنها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال صلى الله عليه وسلم انما بعثني
الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا • قال صاحب الكشاف اذا قال الزوج لها اختاري فقالت اخترت
نفسي او قال لها اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت
طلقة باينة عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او
الاشتغال بشي مما يدل على الاعراض • واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية
ان نوى الطلاق في التخيير كان طلاق والا فلا وهذا مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة
والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره • واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع اهل الامصار
وعن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا • وعن
علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة باينة • وروي انها ان اختارت زوجها فليس بشي
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا السعة في الدنيا وكثرة الاموال وزينتها فتعا
اصل تعال ان يقوله من كان في المكان المرتفع لمن كان في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله
الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن وباختياركن لاحد امرين • ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن
كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني • امتعكن متعة الطلاق والمتعة عند الشافعي

لين

فوجات عنقها فضحك النبي ... حتى بدا نواجذه فقام ابو بكر الى عايشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقول لا تسال النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن ... والله لا نسال رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده

واجبة لمفارقته في حيوة الزوج لا بسبب من المراة ولا مهر لها بان لم يجر في العقد تسمية صحيحة ولا فى

ولا فرض صحيح وهي مفوضة وطلقها قبل الدخول او لها كل المهر وذلك بان طلقها بعد الدخول

فانه يثبت لها المتعة في الصورتين ما يرى القاضي باجتهاده لا بقا في بحال الزوجين اذا تنازعا في

قدر الواجب فان تراضيا على شي فذاك ويستحب ان لا ينقص عن ثلاثين درهما وان زاد ما يراه الحاكم

على نصف المهر المسمى او مهر المثل وعند ابي حنيفة المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد

متعتها واجبة واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي لها

السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق قبل ما يفرض ويدخل

وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة

حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على

السعة وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا في الاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل

منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها واسرحكن اطلقكن سراحا

جميلا لا ضرار فيه ولا مشاجرة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات

منكن اجرا عظيما اي تريدن بصحبتي ما تردن من رضي الله وقيل جنته يا نسا النبي من يات منكن من

للبيان لا للتبعيض بفاحشة مبينة بمعصية ظاهرة وقيل نشوزا او سوء خلق وقيل زنا بينا

قال صاحب الكشاف الفاحشة المبينة البليغة من الفحش وهي الكبيرة والمبينة الظاهرة

فحشها والمراد كل ما اقترف من الكباير وقيل عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبهن

ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله يضاعف لها العذاب ضعفين اي ضعفي عذاب

غيرهن من النسا وتعظيما لهن كما جعل حد الحر ضعفي حد المملوك قيل هو في الدنيا وقيل هو في الاخرة

وقيل عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وقيل جعل العذاب ضعفين كما جعل الاجر مرتين وقيل انما

ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النسا كان اقبح منهن لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل

والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النسا مثل فضل نسا النبي صلى الله عليه

وسلم ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزا يتبع الفعل وكون الجزا عقابا يتبع كون الفعل

قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلا للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل

لان المعصية من العالم اقبح وكذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون حدا

على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا اي تضعيف العذاب على الله سهل وقيل يسيرا لا اعتراض عليه

وهو ايذان بان كونهن نسا النبي ليس بمغني عليهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب

فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قوله تعالى ومن يقنت منكن لله

ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ومن يقنت تطع منكن لله

ورسوله وقيل من تدم على طاعة الله ورسوله قتادة كل قنوت في القران طاعة قراه الجمهور

يقنت بالياء من تحت الا ما روي عن ابن عامر ويعقوب انهما قرا تقنت بالتاء وتعمل قرا حمزة والكسائي

وخلف وتعمل بالياء من تحت والباقون بالتاء صالحا نوتها قرا حمزة والكسائي وخلف بالياء والباقون

بالنون اجرها مرتين اي مثل ثواب غيرهن من النسا لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق

وطيب المعاشرة والقناعة وبوفوقهن على عبادة الله والتقوى واعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر

قوله تعالى يا نسا النبي لستن كاحد من النسا ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في

قلبه مرض وقلن قولا معروفا اظهر الله تعالى فضلهن على النسا بقوله لستن كاحد من النسا احد في الاصل بمعنى

واحد

واحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والجماعة ابن عباس ليس قدركن

مثل قدر غيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم ان اتقيتن فشرط عليهن التقوى بيانا وتنبيها

على ان فضيلتهن انما تكون بالتقوى لا بنفس اتصالهن برسول الله قال صاحب الكشاف معنى قوله لستن

كاحد من النسا لستن كجماعة واحدة من جماعات النسا اي اذا استقصيت امة النسا جماعة جماعة لم يوجد

منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا

بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق ان اتقيتن اي الله فضلكن على

ساير النسا بان جعلكن ازواجا لنبيه الذي هو اكرم خلقه عليه وذلك للتقوى فاكرمها وقيل ان

التكليف عليكن اشد كما ان ثوابكن اعظم وقيل تم الكلام على احد من النسا ثم استانف ان اتقيتن فلا

تخضعن بالقول اي في مخاطبة الاجانب وقيل فلا تلن بالقول للرجال فيطمع الذي في قلبه مرض

فجور وضعف ايمان وقيل نفاق وقيل ميل الى المعصية وقيل شهوة وقيل حب الزنا وقلن قولا

معروفا سديدا مستقيما صحيحا جميلا وقوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا خنثا مثل

المومسات فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وقلن قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة

من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج

الجاهلية الاولى واقمن الصلاة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

اهل البيت ويطهركم تطهيرا قرا نافع وعاصم وقرن بفتح القاف والباقون بكسرها فالفتح اصله اقررن

فحذف الرا الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وقيل من قاريقار اذا اجتمع ومنه

القارة لاجتماعها الاشتري الى قول عضل والديش اجتمعوا فكانوا قارة والكسر من وقر يقر وقارا

او من قر يقر حذفت الاولى من راي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن والمعنى ولا تخرجن

من بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتكسر والتغنج وقيل

هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى الشافعي هي ما بين عيسى ومحمد ابو

العالية من داود وسليمان وكانت المراة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيري خلوها فيه الكلبي

الجاهلية الاولى هو الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام وكانت المراة من اهل ذلك الزمان تتخذ

الدرع من اللولو فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض نفسها على الرجال فكان ذلك

في زمن نمرود والناس حينيذ كلهم كفار الحكم هي ما بين ادم ونوح عليهما السلام ثمان ماية سنة

وكان نساوهم اقبح ما يكون من النسا ورجالهن حسان فكانت المراة تريد الرجل على نفسه روي عكرمة

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تلا هذه الاية فقال ان الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام

وكان الف سنة وان بطنين من ولد ادم عليه السلام احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان

رجال الجبل صباحا وفي النسا دمامة وكان نسا السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى

رجلا من اهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ ابليس شيا مثل ما يزمر فيه

الرعا فجا بصوت لم يسمع الناس مثله قط فبلغ ذلك من حولهم فجاوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا

يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النسا للرجال وان رجلا من اهل الجبل هجم اليهم وهم في عيدهم ذلك

فراي النسا وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن

فهو قول الله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قتادة ما قبل الاسلام واقمن الصلوة

المفروضة واتين الزكوة الواجبة واطعن الله ورسوله فيما يامر وينهى امرهن امرا خاصا بالصلوة

والزكوة ثم جا به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل ساير

الطاعات من اعتنائها حق الاعتنا حرماه الي ما ورايها ثم بين انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا
يفارق اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الماثم وليتصونوا عنها بالتقوي انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس الاثم الذي نهي الله عنه استعار للذنوب الرجس اهل البيت اي يا اهل البيت • وقيل يعني اهل
البيت فاهل البيت نصب على النداء او على المدح قتادة الرجس السوء • ابن زيد الشيطان ويطهركم
تطهيرا من النجاسات الجاهلية • قيل ويطهركم تطهيرا معناه وتتصونوا عن الذنوب بالتقوي استعاد
للتقوي الطهر لان عرض المتقي عن الذنوب نقي مصون كالثوب الطاهر • وفي هذه الاستعارة ما ينفر
اصحاب النفوس السليمة والعقول المستقيمة عما نهاهم الله تعالى عنه ويرغبهم فيما امرهم به • قيل
عني يا اهل البيت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن خاصة • وانما ذكر الخطاب لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيهم واذا اجتمع المذكر والمونث غلب المذكر • عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انزلت
هذه الاية اي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم وتلا
واذكرن ما يتلي في بيوتكن من ايات الله والحكمة عن عكرمة في قول الله عز وجل انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ليس الذي يذهبون اليه انما هو في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة •
وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق والي هذا ذهب مقاتل قال يعني نسا النبي عليه الصلاة والسلام
كلهن ليس معهن رجل • وقال اخرون عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا وفاطمة والحسن والحسين
رضي الله عنهم • عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة
في وفي علي وحسن والحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا • وعن ام سلمة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه
فقال صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا
عليه فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كسا خيبري قالت وانا في
الحجرة اصلي فانزل الله هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت
فاخذ فضل الكسا فغشاهم ثم اخرج يده فالوي بها الي السما ثم قال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك الي خير انك
الي خير • قيل لعايشة رضي الله عنها ارايت خروجك يوم الجمل قالت انه كان قدرا من الله سبحانه وتعالى
فسالت عن علي رضي الله عنه قالت سالتني عن احب الناس كان الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج
احب الناس كان الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وجمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثوبا عليهم ثم قال اللهم اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت فقلت يا رسول الله انا من اهلك قال تنحي فانك الي خير • عن عبد الله بن جعفر الطيار رضي
الله عنه لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم هابطة من السما قال من يدعو مرتين قالت زينب
انا يا رسول الله قال ادعي لي عليا وفاطمة والحسين والحسن • قال فجعل حسنا عن يمينه وحسينا
عن يساره وعليا وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كسا خيبريا ثم قال اللهم ان لكل نبي اهلا وهولا اهلي
فانزل الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل
معكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانك فانك الي خير ان شا الله • وعن شداد دخل علي
واثلة بن الاسقع وعنده قوم فذكروا عليا فشتموه فشتمته فلما قاموا قال لي اشتمت هذا الرجل قلت
رايت القوم شتموه فشتمته معهم فقال الا اخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال
اتيت فاطمة اسالها عن علي فقالت توجه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست فجا رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ومعه علي وحسن والحسين كل واحد منهما على فخذ ثم لف عليهم ثوبه او قال كساه ثم تلا هذه الاية انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • ثم قال اللهم هولا اهل بيتي واهل بيتي احق
وقيل هم بنو هاشم • عن زيد بن ارقم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله في اهل بيتي مرتين
قيل لزيد من اهل بيته قال الذين يحرمون الصدقة ال علي وال عباس وال عقيل وال جعفر • عن
ابي الحمرا اقمت بالمدينة تسعة اشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجي كل غداة
فيقوم على باب علي وفاطمة فيقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا • عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الله الخلق قسمين فجعلني في خيرهما
قسما فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فانا خير اصحاب اليمين • ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة
ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا من خير السابقين • ثم جعل
الاثلاث قبايل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله عز وجل شعوبا وقبايل الاية فانا اتقي ولد ادم
واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • والمحققون على انها نزلت فيهم خمستهم وفي جميع
نسا النبي بدليل ما تقدم وما تاخر من الايات ولان امراة الرجل من اهل بيته بدليل قوله تعالى
في قصة ابراهيم عليه السلام رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت **قوله تعالى** واذكرن ما
يتلي في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا • ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط
الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلي في بيوتكن من ايات الله يعني القران والحكمة يعني السنة • وقيل
ما يتلي في بيوتكن من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه
وهو حكمة وعلوم وشرايع • وقيل واذكرن نعمتي عليكن اذ جعلتكن اهل بيت النبوة ومعدن نزول
الوحي وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل امرهن ان يتعظن به ويعملن بموجبه وقيل
الحكمة الكتاب والجمهور على انها السنن فيكون من باب قوله متقلدا سيفا ورمحا فانه لا يقال تلوت
السنة • قيل التلاوة لا تستعمل الا في قراة كتاب الله ان الله كان لطيفا باحبابكن له خبيرا باحوالكن
قال صاحب الكشاف لطيفا خبيرا باحوالكن حين علم ما يصلحكم وينفعكم في دينكم فانزله عليكم او علم
من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين **قوله تعالى**
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصايمين
والصايمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما ٥ ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القران ولم يذكر النسا بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية
مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال
ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه نخشي ان لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة فنزلت
هذه الاية • عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قلت للنبي عليه افضل الصلوة والسلام
يا رسول الله ما بالنا لا نذكر في القران كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذات يوم ظهرا الا نداوه على
المنبر وانا اسرح راسي فلففت شعري ثم خرجت الي حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول
على المنبر يا ايها الناس ان الله عز وجل يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات الي قوله اجرا عظيما

مقاتل بلغني ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نسا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شي من القران قلن لا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان النسا لفي خيبة وخسار • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير
كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية • المسلم هو الذي على دين الاسلام في قوله ان
الدين عند الله الاسلام • وقيل المسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند • وقيل المفوض
امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه لله • والمومن المصدق بالله ورسوله وما يجب ان يصدق به
وقيل المومن الذي كتب الله في قلبه الايمان • وقيل المصدق الله فيما وعد واوعد • والقانت القايم
بالطاعة الدايم عليها • وقيل الداعي • والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله • قيل وفي ايمانه وعهده
والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي • وقيل الصابر في البأسا والضرا • والخاشع المتواضع
لله بقلبه وجوارحه • وقيل الخايف وقيل المصلي الذي اذا صلى لم يعرف من على يمينه وشماله والمتصدق
الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل • وقيل من يتصدق في اسبوع بدرهم والصايم من صام البيض في
كل شهر وقيل من صام شهر رمضان والحافظ الذي حفظ فرجه عما لا يحل والذاكر من كان لا يكاد يخلو
من ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ
امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات • عن ابن عباس رضي الله عنه قال
جا اسرافيل الى النبي عليه السلام فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله عدد ما علم • وزنة ما علم • وملا ما علم • من قالها كتبت له ست خصال كتب من الذاكرين
الله كثيرا • وكان افضل ممن ذكره في الليل والنهار • وكان له غرس في الجنة وتحاتت عنه ذنوبه كما
يتحات ورق الشجر اليابسة وينظر الله عز وجل اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه • وقال مجاهد
لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قايما وقاعدا ومضطجعا قال عطا من فوض امره الى
الله فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات • ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل
في قوله والقانتين والقانتات • ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات
ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعن الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات اعد الله
لهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما لطاعاتهم • قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين
العطفين عطف اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين • قلت العطف الاول
نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان فاذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط
العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات **قوله تعالى** وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا • نزلت هذه الاية في زينب بنت
جحش واخيها عبد الله ابن جحش وكانت زينب بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى
زيدا في الجاهلية من عكاظ وكان من سبي الجاهلية فاعتقه وتبناه وكان زيد عربيا في الجاهلية مولى
في الاسلام فلما خطبت رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها على نفسه فلما علمت
انه يخطبها على زيد كرهت وابت وقالت انا ايم نسا قريش وابنة عمتك فلم اكن لافعل يا رسول الله ولا ارضاه
لنفسي وكذلك قال اخوها عبد الله وكانت زينب بيضا جميلة وكانت فيها حدة فانزل الله عز وجل وما كان لمومن
يعني عبد الله بن جحش ولا مومنة يعني زينب بنت جحش اذا قضى الله ورسوله اي قضا رسول الله لان قضا رسول

الله قضا هو قضا الله امرا من الامور • وقيل لا كان لاحد من اهل الايمان حين حكم الكتاب او السنة بامر
ان يختار غيره ولا يجوز له ان يفعل الا ما حكم الله به في القران وحكم رسوله في السنة ان يكون قرا اهل
الكوفة يكون بالياء والباقون بالتاء لهم الخيرة اي الاختيار ومن يعص الله فخالف الكتاب ورسوله فخالف
السنة فقد ضل عن الصواب والرشاد ضلالا مبينا غير خاف • فلما نزلت هذه الاية قالت زينب رضيت
يا رسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا
فدخل بها وساق اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين
مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر • وقيل نزلت هذه الاية في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
وكانت اول من هاجر من النسا فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد
ابن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده فانزل الله هذه الاية
قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا • وذلك
ان زينب مكثت عند زيد بن حارثة حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة
فابصرها قايمة في درع وخمار فاعجبته وكانها وقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف
فلما جا زيد ذكرت له ففطن زيد وكرهت اليه في الوقت فالقي في نفس زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى
رسول الله عليه السلام فقال اني اريد ان افارق صاحبتي قال ما لك ارابك منها شي قال لا والله يا رسول
الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
امسك عليك زوجك واتق الله ثم ان زيدا طلقها بعد ذلك فلما انقضت عدتها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لزيد ما اجد احدا اوثق في نفسي منك ايت زينب فاخطبها علي قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها
فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها
فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت بذلك وقالت
ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها
وما اولم على امراة من نسايه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فذلك قوله تعالى
واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بالاعتاق
وبما وفقك الله فيه وهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
يعني زينب بنت جحش ولا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا تطلق • وقيل واتق الله فلا
تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفي في نفسك تعلق قلبك بها او محبتها • قتادة مودة مفارقة
زيد لها • وقيل علمك بان زيدا سيطلقها وستنكحها لان الله قد اعلمه بذلك وتخشى الناس • ابن عباس
والحسن تستحي الناس • وقيل وتخاف لايمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها حين طلقها
والله احق ان تخشاه • ليس المراد ان النبي صلى الله عليه وسلم خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله احق ان
تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاجعل الخشية لله وحده كما قال
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله قال عمرو بن مسعود وعايشة والحسن ما
نزلت على رسول الله اية هي اشد عليه من هذه الاية • وعن عايشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه الحسن يقول لما جا زيد الى النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك فقال امسك عليك زوجك واتق

الله تقول فلم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا التاويل
مطابق للتلاوة وذلك ان الله احكم واعلم ابدا ما احفاه والله لا يخلف الميعاد ثم لم يجعل عز وجل الظهر من
شانه غير التزويج بقول زوجناكها فلو كان الذي اضمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة
طلاقها لكان لا يجوز على الله كتمانه مع وعد ان يظهره فدل على انه عليه السلام انما عوتب على قوله
امسك عليك زوجك مع علمه بانها ستكون زوجته وكتمانه ما اخبره الله به حيث استحيى واستحيا
ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امراتي والله اعلم • فهذا قول حسن قوي مرضي وان كان القول
الاخر لا يقدح في حال النبي صلى الله عليه وسلم لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه
الاشيا ما لم يقصد فيه الماثم فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجته من نكاحها زوجناكها فكانت زينب تفتخر
على نسا النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا اكرمكن وليا واكرمكن سفيرا اذ زوجكن اباوكن وزوجني
الله عز وجل عن محمد بن عبد الله بن جحش تفاخرت زينب وعايشة رضي الله عنها فقالت زينب انا
التي نزل تزويجي من السما فقالت عايشة انا الذي نزل عذري من السما حين حملني ابن المعطل
على الراحلة فقالت زينب وما قلت حين ركبتيها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت كلمة المومنين
عن الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة
تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السما وان السفير لجبريل • لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيايهم الذين تبنوهم اذا اقضوا منهن وطرا بالنكاح وطلقوهن او ماتوا عنهن الحسن
كانت العرب تظن ان حرمة المتبنى مشتبكة كاشتباك الرحم فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم
وازالهم ان حلايل الادعيا غير محرم عليهم لذلك قال وحلايل ابنايكم الذين من اصلابكم فقيد وكان
امر الله مفعولا كاينا لا محالة وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وفي
وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك
متخفيا في نفسك ارادة ان لا تمسكها وتخفي خاليا ما قاله الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو
العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفا خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى
لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من اخس شي له فيه همه قيل قضى منه وطره فالمعنى فلما لم يبق لزيد
فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وكان امر الله مفعولا
جملة اعتراضية اي وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه
من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم وزينب من نفى الحرج عن المومنين في اجرا ازواج المتبنين
مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علايق الزواج بينهم وبينهن **قوله تعالى** ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا • الذين
يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شي عليما ٥ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قيل فيما احل الله له وقيل فيما قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكدا ٥ كقوله ما كان على
النبي من حرج كانه قال سن الله ذلك سنة في الانبيا الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما
اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم الحراير والسراري وكانت لداود ماية
امراة وثلاثماية سرية ولسليمان ثلاثماية وسبعماية • وقيل سنة الله منصوب بنوع الخافض اي كسنة الله
وقيل فعل سنة الله • وقيل على الاغرا اي اتبعوا سنة الله في الذين خلوا في الانبيا الذين مضوا الان لانوا خذاكم

بما احل لكم • وقيل الاشارة بالسنة الى النكاح فانه من سنة الانبيا وكان امر الله قدرا مقدورا
ماضيا كاينا • قال ابن عباس وكان من قدره ان تلك المراة التي ابتلي بها داود عليه السلام
تلد ابنا مثل سليمان عليه السلام ويملك من بعده • الذين يبلغون يجوز ان يكون في محل خفض
على نعت الذين خلوا والرفع والنصب على المدح على هم الذين او اعني الذين ويخشونه عطف على
يبلغون ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله
حسيبا حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم عليها وقيل كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان تكون
الخشية من مثله • ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا الرجل منكم على الحقيقة فيحرم عليه نكاح
زوجته بعد فراقه اياها يعني زيدا وانما كان ابا القاسم والطيب والمطهر وابراهيم صلوات الله عليهم
ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين اي اخرهم ختم الله به النبوة فلا نبي بعده • عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال انا محمد وانا احمد وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي
نبي قرا عاصم خاتم النبيين بفتح التاء على الاسم اي اخر النبيين كقوله ختامه مسك والخاتم الطابع
والباقون بكسر التاء على الفاعل اي انه ختم النبيين بالنبوة قال صاحب الكشاف فان
قلت كيف كان اخر الانبيا وعيسى ينزل في اخر الزمان • قلت معنى كونه اخر الانبيا انه لا ينبا
احد بعده وعيسى نبي قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه
بعض امته وكان الله بكل شي عليما فالعلم بمصلحة عباده جعل محمدا اخر النبيين **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا اثنوا عليه بضروب الثنا
من التقديس والتهليل والتحميد والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الا
ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير
الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره
في الاحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل
والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال
وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وسبحوه قتادة وصلوا له بكرة يعني صلاة الصبح
واصيلا يعني صلاة العصر والعشايين • مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته • وهي كلمات يقولها الطاهر والجنب
والجنب **قوله تعالى** هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان
بالمومنين رحيما ان هو الذي يصلي عليكم بالرحمة • السدي قالت بنو اسرايل لموسى عليه السلام
ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى عليه السلام فاوحى الله اليه ان قل لهم اني اصلي وان صلاتي
رحمتي وقد وسعت كل شي • وقيل يصلي اي يشيع لكم الذكر الجميل في عباده • وقيل يبارك عليكم
وملايكته بالاستغفار والدعا ليخرجكم من الظلمات من الضلالة الى النور الى الهدى • ومن الشرك
الى الايمان • وقيل من ظلمات جهنم الى نور الجنان • وقيل من الجهل الى العلم والمعنى ليستديم من اول
الخروج من الظلمات الى النور لانهم حين يصلي الله عليهم وملايكته في الظلمات • وقيل يصلي يغفر لكم
وملايكته تستغفر لكم • وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديرها وسبحوه بكرة واصيلا ليخرجكم من
الظلمات الى النور هو الذي يصلي عليكم وملايكته • قال صاحب الكشاف لما كان المصلي من
شانه ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وتروفا كعايد المريض
في انعطافه عليه والمراة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والتروف • ومنه قولهم صلى

الله عليك اي يترحم عليك ويتراف • فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته يترحم ويتراف
فما تصنع بقوله وملايكته وما معنى صلاتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المومنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك ان
يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك
وسقاك الله وسقيتك • وعليه قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتراف حيث يدعوكم الى
الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ودليل على ان الصلوة المسندة الى الملايكة لا
تكون بمعنى الرحمة بل بمعنى الاستغفار فيكون استعمالا للفظ المشترك في المفهومين وهذا هو الحق ولا
حاجة الى التكلف والتعسف في حمل لفظ الصلوة على غير الرحمة وغير الاستغفار ردفا للاشتراك
قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما • روي انه لما نزل قوله تعالى ان
الله وملايكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا
فيه فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه اي يوم القيامة بسلام فيجوز
ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم ساير انواع التعظيم • وقيل تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني تسلم عليهم
الملايكة يوم القيامة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم • وقيل هو عند الموت والكناية مردودة الى
ملك الموت كناية عن غير مذكور وعن ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المومن قال
ربك يقريك السلام • وقيل سلام الملايكة عند دخول الجنة كما قال والملايكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم واعد لهم اجرا كريما ثوابا عظيم القدر وهو الجنة قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا شاهدا لامتك المومنين بتصديقهم وعلى
الكافرين منهم بتكذيبهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد والعدل في الحكم قال
صاحب الكشاف فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة
او عند ادايها قلت هي حالة مقدرة كمسئلة مررت برجل معه صقر صايدا به غدا اي مقدرا به
الصيد غدا ومبشرا للمومنين • ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله اي الى توحيده باذنه بامره لك
بالدعا وقيل باذنه بتوفيقه قال صاحب الكشاف قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه ماذون
له في الدعا فما فايدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل
والتيسير لان الدخول في حق الملك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا
لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعا اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرايع امر في
غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله وبيسره
ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا
في حد التعذر • وسراجا جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج
المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار منيرا وصفه بالانارة
لان من السرج ما لا يضي اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني • رسول بطي • وسراج لا يضي
وماىدة ينتظر عليها من يجي وسيل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر • وسراج فاتر • وقيل السراج القران
فيكون التقدير وتاليا سراجا • وقيل ذا سراج اي ذا كتاب منير قوله تعالى وبشر المومنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا • قال جابر بن عبد الله لما نزلت انا فتحنا لك الايات قالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله

هذه العادة فما لنا فانزل الله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي يعطيهم الزيادة على ما في مقابلة
الحسنة زيادة عظيمة قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا اي ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعونك اليه من مهادنتهم ومعناه الدوام والثبات
على ما كان عليه والتهييج ودع اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول اي ودع ان يوذيهم بضرر او قتل
وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او دع ما يوذونك به ولا تجازهم عليه حتى تومر • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقايل ان يقول
وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المومنين
لانه يكون شاهدا على امته وامته شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين
والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم
في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره
بقوله وتوكل على الله لان كل من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من
اناره الله برهانا على خلقه كان حديرا بان يكتفى عن جميع خلقه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن
سراحا جميلا اي اذا تزوجتم النسا المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن • قال
صاحب الكشاف النكاح الوطي وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم
الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان • قول الراجز • اسنمة الابال في سحابه سمى
الماء باسنمة الابال لانه سبب سمن الابال وارتفاع اسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في
معنى العقد لانه في معنى الوطي من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة
والقربان والتغشي والاتيان والظاهر ان لفظ النكاح في العقد حقيقة شرعية فانه في عرف الشرع لم يتبادر
عند اطلاق لفظ النكاح الى الفهم غير العقد وانما خص المومنات وان كان الذي نطقت به الاية يستوي
فيه المومنات والكتابيات تنبيها على ان اصل امر المومن ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مومنة عفيفة ويتنزه
عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدو الله ووليه فالتي في
سورة المايدة تعليم ما هو جايز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو بالمومن اولى
في نكاح المومنات وفايدة ثم نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح
وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى المدة في حالة الزوج ثم يطلقها • وعند الشافعي رحمه الله اذا خلا خلوة
يمكنه منها المساس لا يقوم مقام المساس • وعند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم حكم الخلوة الصحيحة
حكم المساس فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تحصونها عليهن بالاقرا والاشهر وهذا دليل على ان العدة حق
واجب للرجال على النسا تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته
فاكتالها ووزنته فاتزنته لا عدة على غير الموطوءة كما لا استبرا على امة لا يقربها مالكها فمتعوهن اي اعطوهن ما
يستمتعن به • ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاذا فرض لها صداقا فلها نصفه • قتادة هي
الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هو امر ندب والمتعة مستحبة ونصف المهر واجب وسرحوهن
وخلوا سبيلهن سراحا جميلا بالمعروف • وقيل طلقوهن للسنة • وقيل اخرجوهن من منازلكم اذ ليس
لكم عليهن عدة • وقيل سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب • وقيل في الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح
غير واقع خلافا لاهل الكوفة • عن حبيب ابن ابي ثابت كنت قاعدا عند علي ابن الحسين رضي الله
عنهما فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة بنت فلان فهي طالق قال اذهب فتزوجها فان الله عز وجل بدا

بالنكاح قبل الطلاق • وقال يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن • ولم يقل اذا طلقتموهن
ثم نكحتموهن ولم يروينا • وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح قوله
تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت
نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ٥ اجورهن مهورهن لان المهر اجر لانه عوض
عن منفعة البضع وايتاوها اما اعطاوها عاجلا • واما فرضها وتسميتها في العقد وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك مثل صفية بنت حيي وريحانة وجويرية ومارية وبنات عمك بنات العباس وابي
طالب وغيرهما وبنات عماتك من نسا عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من نسا بني زهرة
اللاتي هاجرن معك هاجرن دار الشرك كما هاجرن ووحد العم والخال وجمع العمات والخالات لان بني
العم وبني الخال كثر دورها في الكلام فحسن التخفيف ولم يكثر تماد ورهما مع العمة والخالة فجات على الاصل
قال صاحب الكشاف فان قلت لم قلت اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك
وما فايدة هذه التخصيصات • قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكي
كما اختصه بغيرها من الخصايص واثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولا وافضل من
ترك التسمية وان وقع العقد جاز اوله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها وسوق المهر لها عاجلا افضل
من ان يسميه ويوجل وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت
سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشتري من شق الجلب
والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان لهم عهد
فالمسبي منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان في الله تعالى ما يطلق الاعلى الطيب
دون الخبيث كما ان رزق يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرايبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه • وفي قوله كما ان رزق الله يجب
اطلاقه على الحلال دون الحرام دسيسة اعتزالية عن ام هاني قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الى قوله هاجرن معك قالت
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقا وامراة مومنة اي واحللنا لك امراة مومنة ان وهبت
نفسها للنبي بغير مهر ان اراد النبي ان يستنكحها فلا ذلك خالصة خاصة لك من دون المومنين
فليس لامراة ان تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولي ولا مهر الا للنبي عليه السلام وهذا من
خصايصه في النكاح كالتخيير والعدد في النسا وكان ينعقد النكاح للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة
من غير ولي ولا شهود ولا ينعقد لاحد نكاح بلفظ الهبة وهو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه
واجاز اهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة اذا احضر الولي والشهود • ابن عباس لم يكن عند النبي صلى الله
عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم تكن امراة عنده الا بعقد نكاح او ملك يمين وانما قال الله ان وهبت
على طريق الشرط والجزا قال الاخرون بل كانت عنده موهوبة • قتادة وهي ميمونة بنت الحرث الشعبي
زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار علي ابن الحسين والضحاك ومقاتل ام شريك بنت جابر من بني
اسد عروة بن الزبير خولة بنت حكيم من بني سليم • فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت
هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها • وفي الهبة اراد استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه
احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تم قال

قلت

قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الخطاب
قلت الايذان بانه مما خص به واوثر وجيء على لفظ النبي صلى الله عليه وسلم للدلالة على ان
الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها
طلب نكاحها والرغبة فيه • وقال الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جايز لقوله تعالى واللاتي
اتيت اجورهن • وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح عقد موبد
فهما متنافيان خالصة مصدر موكد كوعد الله • وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والعاقب والعافية والكاذبة
قد علمنا ما فرضنا اوجبنا عليهم على المومنين في ازواجهم مجاهد يعني اربعا حتى لا يجاوزها • قتادة
هو ان لا نكاح الا بولي وشاهدين وما ملكت ايمانهم يعني الولايد والاما لكيلا يكون عليك حرج هذه
راجعة الى اول الاية يعني انا احللنا لك ازواجك بالمهر وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون
عليك حرج قال صاحب الكشاف والدليل على انها اي خالصة • وردت في اثر الاحلالات الاربع
مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها • قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المومنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك
حرج متصلة بخالصة لك من دون المومنين • ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب
فرضه على المومنين في الازواج والاما وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة
في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه بفعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك
ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك
اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وكان الله غفورا للواقع في الحرج ولمن قام بهذه الاحكام
ولم يتعدها رحيما حيث وسع الامر على عباده ٥ قوله تعالى ترجي من تشا منهن وتووي
اليك من تشا ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما ٥ لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل
بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شي رقيبا ٥ ترجي توخر قراه
حمزة والكسايي وحفص عن عاصم ترجي بغير همزة والباقون بالهمزة وهما لغتان بمعنى وتووي تضم
وتقرب • ابن زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلبت
بعضهن زيادة النفقة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية التخيير وامره الله عز
وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله ورسوله
على انهن امهات المومنين ولا ينكحن ابدا وعلى انه يووي اليه من يشا ويرجي منهن من يشا ويرضين به
قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن او فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة او ساوى بينهن
ويكون الامر في ذلك اليه يفعل ما يشا وهذا من خصايصه عليه السلام يرضين بذلك كله ٥
واخترنه على هذا الشرط • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله من ذلك ليسوي بينهن
في القسم الا امراة منهن اراد طلاقها فرضيت بترك القسم لها وجعلت يومها لعايشة رضي الله تعالى عنها
وهي سودة بنت زمعة ابو رزين • قال لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل
لنا من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية فكان ممن ارجى منهن سودة وجويرية
وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شا كما شا • وكان ممن اوى اليه عايشة وحفصة
وام سلمة وزينب كان يقسم بينهن سوا لا يفضل بعضهن على بعض فارجى خمسا واوى اربعا • مجاهد

يعني تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد * ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء الحسن تترك من شئت وتنكح من شئت من نساء امتك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتركها * وقيل وتقبل من تشاء من المومنات التي يهبن انفسهن اليك فتؤويها اليك فتترك من تشاء فلا تقبلها * عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تعير النساء اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اما تستحي امراة ان تعرض نفسها على رجل بغير صداق فنزلت هذه الاية * قالت عايشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله ان ربك ليسارع لك في هواك وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض وذلك لانه اما ان يطلق واما ان يمسك واذا امسك ضاجع او يترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها ومن ابتغيت ممن عزلت اي ومن طلبت واردت اصابتها ممن عزلتها فاصبتها وجامعتها بعد العزل فلا جناح عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من شاء منهن في وقت نوبتها فلا يطاها ويطا من يشاء منهن في غير نوبتها وله ان يرد الى فراشه من عزلها فلا جناح عليه فيما فعل تفضيلا له على ساير الرجال وتخفيفا عنه ابن عباس يقول ان من ماتت من نسايك اللاتي عندك احد وخليت سبيلها فقد احللت لك ان تستبدل بها من شئت من النساء اللاتي احللت لك ولا يصلح لك ان تزداد على عدد نسايك اللاتي عندك ذلك الذي ذكرت ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين اي ذلك ادنى الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا ساوى بينهن في الايوا والارجا والعزل والابتغا وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما يريد وما لا يريد الا مثل ما للاخرى وعلم ان هذا التفويض من عند الله وتوجبه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم من امر النساء والميل الى بعضهن * وكان الله عليما حكيما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بما سبق وتحذير كلهن تاكيد لئلا يرضين [illegible] ... وعيد لمن لم يرض بما دبره الله من ذلك وفوض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواخي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه لا تحل اهل البصرة بالتا من فوق والباقون بالياء لك النساء ومن بعد يعني من بعد هولاء النساء التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب غيره منهن ولا غيره ان يتجاوز النصاب * وقيل هولاء النصاب التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك لما اخترن الله ورسوله والدار الاخرة قصر عليهن هذا قول ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك معناه لا تحل لك من النساء الا اللاتي احللناها لك وهو قوله انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد اللاتي احللناها لك بالصفة التي تقدم ذكرها * سيل ابي بن كعب ارايت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يمنعه من ذلك وما يحرم ذلك عليه فقيل قوله لا تحل لك النساء من بعد فقال انما احل الله له ضربا من النساء فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية * ثم قال له لا تحل لك النساء من بعد * وقال ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من يشاء من قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثماية * مجاهد وسعيد بن جبير معناه لا تحل لك النساء من غير المسلمات واما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ولا ينبغي ان يكن امهات المومنين * ابو رزين لا تحل لك النساء من بعد يعني الاماء بالنكاح ولا ان تبدل بهن من ازواج * مجاهد وابو رزين ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى والمشركين ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك من السبايا

والاماء الكوافر * وقال الضحاك يعني ولا ان تبدل بازواجك اللاتي هن في حبالك ازواجا غيرهن بان يطلقهن وينكح غيرهن فحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق النساء اللاتي كن عنده اذ جعلهن امهات المومنين وحرمهن على غيره حين اخترنه فاما نكاح غيرهن فلم يمنع منه بل احل له ذلك لو شاء يدل عليه ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال ابن زيد كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يعطي هذا امراته هذا وياخذ امراته فقال الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك ازواجه بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته الا ما ملكت يمينك * ولا باس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحراير فلا * عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امراتك وابادلك بامراتي فتنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في ان تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه متوغل في التنكر وتقديره معروفا اعاجيبك لهن * روي ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة رضي الله عنها فدخل بغير اذن فقال له النبي فاين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميرا الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه والله اعلم

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما * ان تبدوا شيا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ان هذه الاية تضمنت قصتين احداهما الاذن في امر الطعام والجلوس والثانية امر الحجاب واكثر المفسرين على انها نزلت في شان وليمة زينب * قال انس بن مالك انا اعلم الناس بشان اية الحجاب ولقد سالني عنها ابي بن كعب لما ابنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امي ام سليم بحيس في تور من حجارة فامرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو اصحابه الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون فياكلون ويخرجون ثم يجي قوم فياكلون ويخرجون فقلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فاطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه لكي يخرجوا معه فمشى رسول الله منطلقا نحو حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالت وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك ثم رجع فاتى حجرة نسايه فسلم عليهن فدعون له ورجع الى بيت زينب فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون في البيت وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته خرجوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وضرب بيني وبينه سترا ونزلت هذه الاية * قتادة ومقاتل كان هذا في بيت ام سلمة دخلت عليه جماعة في بيتها فاكلوا ثم اطالوا الجلوس فتاذى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

واستحيا منهم ان يامرهم بالخروج والله لا يستحيي من الحق فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثنا على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين منتظرين اناه وقت ادراكه ونضجه قال ابن عباس نزلت في ناس يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت هذه الاية ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام فانتشروا فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستانسين ولا طالبين الانس لحديث نهوا ان تطيلوا الجلوس يستانس بعضهم لبعض لاجل حديث يحدثه به او تستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وموجبه وهو مجرور معطوف على ناظرين اي ولا غير مستانسين لحديث وقيل هو منصوب على ولا تدخلوا مستانسين ولابد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيا منه ۰ ولما كان الحيا مما يمنع الحيي عن بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء عن عايشة رضي الله عنها حسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم ۰ وقال فاذا طعمتم فانتشروا ۰ واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم نسا النبي متاعا حاجة فاسالوهن المتاع من ورا حجاب ۰ عن انس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسايه فاتى امراة عرس بها حديثا فاذا عندهم قوم فانطلق النبي عليه السلام ايضا فاحتبس وقضا حاجته ثم جا وقد ذهبوا فدخل وارخى بيني وبينه سترا قال فحدثت ابا طلحة فقال ان كان كما تقول لينزلن في هذا شي فنزلت اية الحجاب وعنه قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت اية الحجاب ۰ وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يفعل وكان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلا الى ليل قبل المصانع وهو صعيد افيح فخرجت سودة بنت زمعة وكانت امراة طويلة فراها عمر وهو في المجلس فقال عمر قد عرفتك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب ۰ فانزل الله عز وجل اية الحجاب ۰ وروي ان عمر رضي الله عنه مر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن مع النسا في المسجد فقال لهن احتجبن فان لكن على النسا فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فلم يلبثوا الا يسيرا حتى انزل الله اية الحجاب ۰ وروي ان عمر رضي الله عنه امر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فنزل واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب ۰ ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وقيل في سبب نزول الحجاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها وكانت معهم فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب وعن انس قال كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فجئت يوما لادخل فقال مكانك يا بني قد حدث بعدك ان لا يدخل علينا احد الا باذن وما كان لكم وما ينبغي وما يصح لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم اي ان نكاح ازواجه بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان عند الله عظيما وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلو منه فكره ومن الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا ينكح من بعده ۰ وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس تنفس الصعدا وانتحب فعلى نحيبه مما

ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى تتفق من بقايها بعده وحصولها تحت يد غيره ۰ وعن بعض الفقها ان زوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ۰ وروي انها نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة بنت ابي بكر ان تبدوا شيا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جا به على اثر ذلك ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واحزن لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن ولا نسايهن ولا ما ملكت ايمانهن ۰ واتقين الله ان الله كان على كل شي شهيدا ۰ لما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من ورا حجاب فانزل الله الاية اي لا اثم في ان لا يحتجبن من هولا ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جات تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابايك ابراهيم واسماعيل واسحاق واسماعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنايهما وتماغير محارم واتقين الله ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وهذا النقل يدل على فضل تشديد اي واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحفظن فيه وفيما استثني منه ما قد رتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليتصل عنكن علمكن ان الله على كل شي من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا في علمه الاحوال قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ۰ هذه الاية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر منزلته منه وطهر بها سو فعل من استصحب في جهته فكرة سو في امر ازواجه ونحو ذلك يصلون على النبي اي يثنون ويترحمون عليه والظاهر انه تعالى يترحم عليه ويغفر له والملايكة يدعون ويستغفرون له فيكون اطلاقا للفظ المشترك على معنيين مختلفين وهو الصحيح عن ابن عباس بن كرن يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ترحموا عليه وادعوا له وسلموا تسليما وحيوه بتحية الاسلام ۰ عن كعب ابن عجرة لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد عن ابي سعيد الخدري قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك قال قولوا ۰ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم ۰ وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله عز وجل ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ۰ عن عبد الله اذا صليتم الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام المسلمين وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبط الاولون

والاخرون • اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد • روي
انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني ما اخبرتكم به ان الله تعالى وكل بي ملكين
فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذلك
الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك فقال الله تعالى
وملائكته جوابا لذلك الملكان امين • والصلوة على النبي واجبة فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره ومنهم
من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل
دعا اوله واخره • ومنهم من اوجبها في العمر مرة • وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط الصلوة في كل ذكر لما ورد في الاخبار وابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه لا يرونها شرطا
والشافعي رضي الله عنه جعلها ركنا في الصلوة في التشهد الذي يسلم فيه • واما الصلوة على غير النبي عليه
السلام فغير النبي لا يحسن صلوته على غير النبي الا على اله تبعا وقيل القياس جواز الصلوة على كل
مومن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم • وقوله صلى
الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع
لقوله اللهم صل على محمد واله فلا كلام فيها • فاما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فمكروه لانه صار
شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يودي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم • **قوله تعالى** ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا • ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في الذين طعنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي • عكرمة نزلت
في المصورين الذين يرمون تكوين خلق مثل ما خلق الله وفي بعض الاخبار يقول الله عز وجل ومن اظلم
ممن اراد ان يخلق مثل خلقي فليخلق حبة او ذرة • وقال عليه الصلاة والسلام لعن الله المصورين
وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا يد الله مغلولة • وقالوا
ان الله فقير • وقالت النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة • وقال المشركون الملائكة
بنات الله والاصنام شركاوه • قتادة في هذه الاية ما زال اناس من جهلة بني ادم حتى تعاطوا اذى
ربهم • وقيل معنى يوذون الله يلحدون في اسمايه وصفاته • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما حكى عن ربه شتمني ابن ادم ولم ينبغي له ان يشتمني واذاني ولم ينبغي له ان يوذيني فاما شتمه
اياي فقوله اني اتخذت ولدا • واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني • وقال
اهل المعاني يوذون اولياء الله مثل قوله واسال القرية • وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قفل من تبوك فبدا له احد هذا جبل يحبنا ونحبه فكنى عن الاهل فاراد الله المبالغة في النهي عن اذى
اوليايه فجعل اذاهم اذاه • ورسوله ابن عباس حين شج في وجهه وكسرت رباعيته • وقيل له ساحر
وشاعر ومعلم ومجنون • وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في الذين طعنوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نكاحه صفية بنت حيي • وقيل ترك سنته ومخالفة شريعته • قال
صاحب الكشاف فيه وجهان احدهما ان يعبر باذاهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر
والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم من
انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما وحقيقة الايذا صحيحة في رسول الله صلى الله عليه
وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة وقد عرفت انه لا محذور في ان تجعل العبارة

الواحدة

الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة وجعله مجازا فيهما غير صحيح لانه ان اراد جعله مجازا في كل واحد منهما
فلا يكون مستقيما اما اولا فانه حقيقة في احدهما فلا يكون مجازا فيه واما ثانيا فلانه يلزم استعمال
اللفظ في المفهومين المجازيين وهذا لا يجوز عند من لا يجوز استعماله في المفهوم الحقيقي والمجازي
وان اراد جعله مجازا فيهما من حيث المجموع فلا يصح لانه لم يكن بين المفهوم الحقيقي والمجموع علاقة معتبرة
وقال صاحب الكشاف ان يراد يوذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا بالقتل والجلاء والا
بالنار والعذاب الاليم واعد لهم عذابا مهينا يهينهم • **قوله تعالى** والذين يوذون
المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • بغير ما اكتسبوا من غير ان
عملوا شيا اوجب اذاهم • وقيل يرمونهم بما ليس فيهم فقد احتملوا بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ظاهرا
الحسن وقتادة اياكم واذى المومن فانه حبيب ربه احب الله فاحبه وغضب لربه فغضب الله
له وان الله يحفظه ويوذي من اذاه • مجاهد يعني يقفونهم ويرمونهم بغير ما عملوا • مقاتل نزلت
في علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وذلك ان ناسا من المنافقين كانوا يوذونه ويسمعونه •
وقيل في شان عايشة رضي الله عنها • الضحاك والسدي والكلبي نزلت في الزناة الذين
كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيرون المراة فيدنون
منها فيغمزونها فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاما ولكن لم يكونوا
يومئذ تعرف الحرة من الامة لان زيهن كان واحدا انما يخرجن في درع واحد وخمار الحرة والامة
سوا فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل الاية
ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاما • **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وكان الله غفورا رحيما •
يرخين ارديتهن وملاحفهن فيتقنعن بها ويغطين بها وجوههن ليعلم انهن حراير فلا يتعرض
لهن ولا يوذين فذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وكان الله غفورا لما سلف منهم
من ترك الستر رحيما بهن اذ سترهن وصانهن • ابن عباس وعبيدة امر الله تعالى نساء المومنين ان
يغطين روسهن ووجوههن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة • قال انس مرت جارية بعمر بن
الخطاب رضي الله عنه متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحراير القي القناع •
قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا • ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض فجور وهم الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب والباطل
وذلك ان ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قتلوا
وهزموا وكانوا يقولون قد اتاكم العدو ونحوها • وقال الكلبي كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار
وان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لنغرينك لنسلطنك عليهم بان نامرك بقتالهم وقيل وتداعى
بهم فقيل له جاهد الكفار والمنافقين • وقال يوم الجمعة اخرج يا فلان من المسجد فانك منافق وقم
يا فلان فانك منافق ثم لا يجاورونك فيها اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا حتى يخرجوا منها وقيل حتى
يهلكوا • وقيل الا قليلا اي الا زمانا قليلا ريثما يرحلون ويتلقطون انفسهم وعيالهم فسمى ذلك اغراء وهو
التحريش على سبيل المجاز ملعونين مطرودين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل
حرف الاستثنا على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يوذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب
على اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها • وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه ثم لا يجاورونك

الاقلا اذا ملعونين ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ٭ قال صاحب الكشاف اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفا وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك ٭ قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكن جعل جوابا للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالة عن حال المعطوف عليه اينما ثقفوا اصيبوا ووجدوا واين اخذوا وقتلوا تقتيلا ٭ قتادة ان المنافقين ارادوا ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فاوعدهم الله في هذه الاية فكتموها ٭ عن انس كان بين رجل وبين ابي بكر شي فنال الرجل من ابي بكر رضي الله عنه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الدم في وجهه فقال ويحكم ذروا لي اصحابي واصهاري احفظوني فيهم لان عليهم حافظا من الله ولم يحفظني فيهم تخلا الله منه ومن تخلا الله منه يوشك ان يؤخذ ٥ **قوله تعالى** سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ٥ سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في كل الذين ينافقون الانبيا ان يقتلوا حيث ما ثقفوا او عن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا وان ولن تجد لسنة الله تبديلا مثل المعنى لا يبدل الله سنته بل يجري مجرى واحدا في الامم وقيل معناه لا يقدر احد على تغيير سنة الله وتبديلها **قوله تعالى** يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ٥ يسالك الناس اي المشركون عن الساعة عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود كانوا يسالون امتحانا لان الله تعالى قد عمي وقتها في التوراة وفي كل كتاب قل انما علمها عند الله امر الله رسوله عليه السلام ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم يطلع عليه ملك ولا نبي وما يدريك ثم بين الله لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب ٥ **قوله تعالى** ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا ٭ خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ٭ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ٭ وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ٭ ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ٥ ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا دائما لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يمنعهم ٭ يوم تقلب وجوههم تصرف وجوههم في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة ٭ وقيل تقلب وجوههم معناه تغير وجوههم عن احوالها وتحول عن احوالها ٭ وقيل تطرح وجوههم في النار ملعونين منكوسين ٭ وخص الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة ٭ ويوم منصوب بيقولون ٭ وقيل منصوب باذكر مقدرا ويقولون حال يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فنتخلص من هذا العذاب اي تمنوا الايمان حين لا ينفع والالف في اخر هذه الايات لموافقة ما قبلها وما بعدها مراعاة للفواصل ٭ وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا قادتنا وكبراءنا رؤساءنا في الشرك والضلالة ٭ قرا ابن عامر ساداتنا بالالف بعد الدال وكسر التا على جمع الجمع والباقون بغير الف وفتح التا فاضلونا السبيلا اي تلهدنا من غير حجة وبيان فحادوا بنا عن قصد السبيل ٭ مقاتل هم المطعمون يوم بدر ٭ ربنا اتهم ضعفين من العذاب ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم ٭ وقيل عذاب الدنيا والاخرة والعنهم وابعدهم عن رحمتك لعنا كثيرا اذا كانوا متواترا لا ينقطع قرا عاصم كبيرا بالبا من تحت والباقون بالثا كثيرا يدل على شدة اللعن وعظمه وكثيرا التكثير العدد لقوله تعالى ويلعنهم اللاعنون ٭ وقوله اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ٭

قراءة

فبراه الله فطهره الله مما قالوا اي احذروا ان تكونوا مؤذين للنبي صلى الله عليه وسلم كما اذى بنو اسرائيل موسى فبراه الله فاظهر الله براته مما قالوا فيه وكان موسى عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة ٭ وقيل محببا مقبولا ٭ وقيل وجيها لم يسال شيا الا اعطاه ٭ عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض فكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع ان يغتسل معنا الا انه ادر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوءة موسى عليه السلام ٭ روى الحسن وابن سيرين في هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شي استحيا منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل وقالوا انما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة فاراد الله تعالى ان يبرئه مما قالوا وان موسى عليه السلام خلا يوما وحده فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله اقبل على ثوبه لياخذه فعدا الحجر بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرائيل فنظروا الى احسن الناس خلقا واعدلهم صورة وان الحجر قام فاخذ ثوبه فلبسه فطفق بالحجر ضربا وقال الا قاتل اناس بني اسرائيل وكانت براءته التي براه الله منها ٭ وقيل كان ايذاؤهم اياه ادعاءهم عليه قتل اخيه هرون عليهما السلام ٭ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال صعد موسى وهرون عليهما السلام الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل انت قتلته وكان اشد حبا لنا منك والين لنا منك فاذوه بذلك فامر الله الملائكة حتى حملته فمروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل انه قد مات فبراه من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع احد من خلق الله على قبره الا الرخم فجعله الله اصم ابكم ٭ وقال ابو العالية ان قارون استاجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على راس الملا فعصمها الله وبرا موسى من ذلك واهلك قارون وقد مضت القصة ٥ **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ٭ يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ٥ قولا سديدا قصدا حقا صوابا عدلا مستقيما ٭ عكرمة هو لا اله الا الله ٭ مقاتل بن حيان يعني قوله في شان زينب وزيد ولا ينسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم اذا فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلب من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها ٭ وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجي بها صالحة مرضية وهذه الاية مقررة لما قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه **قوله تعالى** انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ٭ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ٭ العرض على اعيان هذه الاشيا فالهمن الله خطابه وانطقهن ٥ وقيل عرضها على من فيها من الملائكة وقيل عرضها على اهلها كلها دون اعيانها وهذا كقوله واسال القرية وباب الامانة اكثر المفسرين الامانة هي الطاعة والفرايض التي عرضها على عباده عرضها على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله

ان لا يقوموا بها وقالوا نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا فقال الله تعالى لادم عليه السلام اني
عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال
ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم عليه السلام وقال بين اذني وعاتقي فقال الله عز
وجل اما اذا تحملت فسا عينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه
واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قالوا
فما لبث ادم عليه السلام الا مقدار ما بين الظهر والعصر حتى اخرج من الجنة • مجاهد الامانة الفرايض وحدود
الدين • ابو العالية هي ما امروا به ونهوا عنه • زيد بن اسلم وغيره هي الصوم والغسل من الجنابة
وما يخفى من شرايع الدين • عن ابي الدردا رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء
بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس بوضوئهن وركوعهن وسجودهن
ومواقيتهن واعطا الزكوة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مومن وصام
رمضان وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا وادا الامانة قالوا يا ابا الدردا وما ادا الامانة قال
الغسل من الجنابة فان الله عز وجل لم يامن ابن ادم على شي من دينه غيره • عن ابي بن كعب قال
من الامانة ان المراة اوتمنت على فرجها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله تعالى من
الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد
امانة والرجل امانة والايمان لمن لا امانة له • وقيل امانات الانسان والوفا بالعهود فحق
على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس ٥
السدي هي ايتمان ادم ابنه قابيل على اهله وولده وخيانته اياه في قتل اخيه وذكر القصة الى ان قال
عز وجل لادم يا ادم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي بيتا بمكة فاته فقال
ادم عليه السلام للسما احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وقال للجبال فابت فقال
لقابيل فقال نعم تذهب وترجع فتجد اهلك كما يسرك فانطلق ادم عليه السلام وحج وقد قتل قابيل
قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الى قوله ظلوما جهولا • يعني قابيل
حين حمل امانة ادم ثم لم يحفظ له اهله وقال الاخرون • وحملها الانسان يعني ادم ثم اختلفت عباراتهم
في معنى الظلوم والجهول فقال ابن عباس والضحاك ظلوما لنفسه جهولا غرا بامر الله تعالى وما احتمل
من الامانة • قتادة ظلوما للامانة جهولا عن حقها الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري
ما العقاب في ترك الامانة • الحسن بن الفضل انه كان ظلوما جهولا عند الملايكة لا عند الله قال
صاحب الكشاف انا عرضنا الامانة يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان
احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا
انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم يمتنعوا
على مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئة مختلفة واشكال متنوعة كما قال اتينا طايعين
فاما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان
عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد
بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الادا وعرضها على الجمادات وابائها واشفاقها
واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل الامانة ومحتمل لها يريد انه لا يوديها الى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للموتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون
ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها • ونحوه قولهم لا يملك مولاه

لمولاه نصرا يريدون انه يبذل له النصر ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل • ومنه قول القايل

" اخوك الذي لا يملك الحس نفسه • وترفض عند المحفظات الكتايف "

اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك
لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يوده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنا فابين ان يحملنها وحملها الانسان
فابين ان لا يودينها وابى الانسان ان لا يكون محتملا لها لا يوديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لادا الامانة
وبالجهل لاخطايه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداوها والثاني انه ما كلفه الانسان وبلغ من عظمه
وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال
به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف
لها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جا في القران الا على طرقهم
واساليبهم من ذلك قولهم • لو قيل للشحم اين تذهب • لقال اسوي العوج " وكم لهم من امثال
على السنة البهايم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن
قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهو به اانس
وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفا بها
فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى
مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
وجه وكل واحد من الممثل به والممثل شي مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الاية فان عرض
الامانة على الجماد واباه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف يصح بنا التمثيل على المحال وما مثل هذا
الا ان يشبه شيا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الاية وفي قولهم للشحم اين تذهب ونظايره
مفروض والمفروضات يتخيل في الذهن كما ان المحققات مثلت في حال التكليف في صعوبته وثقل محمله
بحال المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب الله ٥
قيل اللام متصلة بقوله عرضنا وقيل بجميع ما في السورة • وقيل هي لام التعليل على طريق المجاز لان
التعذيب مال حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب ما للضرب اي حملها الانسان ليقع تعذيب
المنافق والمشرك ثم قدم التعذيب على التوبة لان حكم الامانة لزوم الضمان على الخاين فيها ولان من حكمها
حصول الاجر للامين الباذل لحفظها فكان التعذيب على الخيانة لازم والاجر على الحفظ احسان والعدل
قبل الاحسان • وكان الله غفورا للظلوم لان الله وعد عباده بان يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذي
هو الشرك كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا رحيما على الجهول
لان الجهل محل الرحمة والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والماب • والحمد لله على كل حال •

سورة سبا مكية

وقال الضحاك وابن السايب ومقاتل فيها اية مدنية وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم
وهي اربعة الاف وخمسماية واثنا عشر حرفا وثمانماية وثلاثة وثلاثون كلمة • وخمس وخمسون اية •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد
في الاخرة وهو الحكيم الخبير • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم
الغفور الحمد المستغرق لانواعه لله الجامع لجميع صفات الجمال والجلال والاكرام المنعم على الخلايق نعمة
الايجاد والابقا والابدا والاعادة الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة • قال

صاحب الكشاف كل نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثني عليه من اجله ۝ ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما يقال احمد اخاك الذي كساك وحملك يريد احمده على كسوته وحملانه ۝ ولما قال وله الحمد في الاخرة علم انه المحمود على نعم الاخرة وهي الثواب فقوله الحمد لله الذي له ما في السموات اشارة الى الحمد الى نعمة الابداء والابقاء في الدنيا وله الحمد في الاخرة اشارة الى الحمد على نعمة الاعادة والابقاء في دار البقاء ۝ ولما كان نعم الابداء مرتبة ظاهرة ذكرها فقال الذي له ما في السموات وما في الارض ۝ ولما كان نعم الاعادة غير مرتبة غائبة عنا لم يذكرها فقال وله الحمد في الاخرة لتقاس نعم الاخرة على نعم الدنيا كما ان الاعادة تقاس على الابداء لظهور الابداء وخفاء الاعادة ۝ وذكر الحمد في الاخرة ليعلم وصلها بدوامها وفناء العاجلة ۝ قيل وله الحمد في الاخرة يحتمل ان تكون الالف واللام للاستغراق ايضا وتكون الاية مفيدة لان الحمد المستغرق بجميع انواعه في الاخرة ايضا له لانعامه وافضاله وتمام ظهور قدرته وغير ذلك من صفاته ويحتمل ان يكون للعهد والاشارة الى قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ۝ او الى قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده قال صاحب الكشاف فان قلت ۝ ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب واما الحمد في الاخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطش بالماء البارد ۝ ولا يخفى ان الحكم بوجوب الحمد في الدنيا لانه على نعمة متفضل بها وعدم وجوبه في الاخرة لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها باطل لانه لا يجب على الله شيء فان نعم الدنيا والاخرة كلها على سبيل التفضل والاحسان وايضا الاية غير دالة على وجوب الحمد فانها اخبار عن ثبوت الحمد لله في الدنيا والاخرة حمده الناس او لم يحمدوه وهو الحكيم الذي يعلم الامور على وجه الصواب الذي هو مطابق لارادته ومشيته ويحكم امور الدارين ويدبرهما على احسن النظام واتقنه الخبير بكل كائن يكون ۝ قال الامام الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فان من يعلم امرا ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فالفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم ۝ والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اي في الابداء خلق كما ينبغي وخبير اي بالابداء يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر والى ماذا يصير كل احد فهو حكيم في الابداء خبير في الانتهاء ثم بين تعالى كمال خبرته بقوله يعلم ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض والبذور والكنوز والدفاين والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من النجوم والنبات وماء العيون والعلل والدواب وغير ذلك ۝ وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وانواع العباد قدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا ۝ واما تقديم ما يلج في الارض على ما يخرج منها وتقديم ما ينزل من السماء على ما يعرج فيها فظاهر ۝ قال الامام وما يعرج فيها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا الان كلها الى الغاية ۝ فلو قال وما يعرج اليها يفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه وهو الرحيم ۝ وهو مع كثرة فضله وسبوغ نعمه الرحيم بالانزال حيث نزل الرزق من السماء الغفور للمفرطين في اداء واجب شكرها عند ما تعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند العروج

يكون صح

قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ۝ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ۝ ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها قوم روي ان قائل هذه المقالة ابو سفيان بن حرب قال واللات والعزى ما ثم ساعة تاتي ولا قيامة ولا حشر فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقسم بربه مقابلة لقسم ابي سفيان ردا وتكذيبا لما قاله وايجابا لما نفاه لا تاتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجي الساعة واستبطاء لما وعدوه من قيامها وقيل انما قالوه على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجاب الاتيان مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به لان عظمة حال المقسم به يؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلا كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ عالم الغيب ۝ قرا نافع وابن عامر عالم بالرفع وابن كثير وعاصم وابو عمرو بالجر وحمزة والكسائي علام بالجر ولام مشدد قبل الالف من كسر فعلى معنى الحمد لله عالم الغيب او علام الغيب ومن رفع جاز ان يكون عالم الغيب خبر مبتدا محذوف تقديره هو عالم الغيب ۝ ويجوز ان يكون ابتداء خبره لا يعزب عنه وعلام ابلغ من عالم وقرا الكسائي وحده لا يعزب بكسر الزاي ۝ قال صاحب الكشاف هل للوصف الذي وصف به المقسم به اختصاص لهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يعزب عنه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما يطلبه من وجه الاختصاص مجيئا ظاهرا ۝ فان قلت الناس انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم يمين من هو في معتقدهم مفتري على الله كذبا كيف يكون مصححا لما انكروه ۝ قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من الثواب والمسيء لا بد له من العقاب ۝ وقوله ليجزي متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له مثقال ذرة مقدار اصغر من نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة ولا اكبر قرا نافع اصغر واكبر بالفتح عطفا على ذرة والباقون بالرفع عطفا على قوله مثقال ذرة الا في كتاب مبين الا في اللوح المحفوظ وانما كتب جريا على عادة المخاطبين لا لمخافة نسيان وليعلم انه لم يقع عليه خلل وان اتى عليه الدهور والاحقاب لكن ليجزي الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم حسن ۝ وقيل بلا من وقيل يتبع الكرامة ۝ وقيل كريم على من يعطيه الله وهو الجنة ۝ والذين سعوا في اياتنا في ابطال ادلتنا والتكذيب بكتابنا معاجزين مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا اولئك لهم عذاب من رجز اليم ۝ قرا ابن كثير وحفص عن عاصم اليم بالرفع على نعت عذاب والباقون بالجر على نعت الرجز والرجز سوء العذاب

قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ۝ ويرى بالرفع اي ويعلم الذين اوتوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان تكون الاية مكية وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ۝ وقيل ويرى في محل النصب عطفا على قوله

فان قلت صح

ليجزي اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجي الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين
كذبوا ويتولوا ويجوز ان يريد ليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه الحق فيزدادوا حسرة وغما الذي انزل
اليك من ربك هو المفعول الاول كقوله ويرى هو الحق هو فصل الحق المفعول الثاني اي القران الذي
هو الحق ويهدي اي القران الى صراط العزيز الحميد ٥ دين الله الذي هو الاسلام قوله تعالى
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ٥ افترى
على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد ٥ افلم يروا الى
ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
ان في ذلك لاية لكل عبد منيب ٥ لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتاتينكم
وبين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المومن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب
على السيئات بين حال المومن والكافر بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم بلى وربي لتاتينكم فقال
المومن الذي انزل اليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هذا الذي يقوله باطل ومن غاية اعتقادهم
او عنادهم في ابطال ذلك قالوا ما قالوا ٥ وقال الذين كفروا يعني كفار مكة هل ندلكم
قالوها على جهة التعجب والهزء اي قالها بعضهم لبعض كما يقول الرجل لمن يريد هل ادلك اضحوكة
ونادرة ٥ فلما كان البعث عندهم من البعيد المحال جعلوا من يخبر بوقوعه في حيز من يتعجب منه
والعامل في اذا فعل مضمر قبلها فيما قيل تقديره ينبئكم بانكم تبعثون اذا مزقتم ٥ ويصح ان يكون
العامل ما في قوله انكم لفي خلق جديد من معنى الفعل لان تقدير الكلام ينبئكم انكم في خلق جديد اذا
مزقتم ٥ والمعنى وقال الذين كفروا منكرين للبعث بعضهم لبعض متعجبين منه هل ندلكم على رجل يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم قطعتم وفرقتم كل ممزق كل تفريق وصرتم رفاتا وترابا
انكم بالكسر والحكاية لجازة يقول لكم انكم لفي خلق جديد افترى همزة الاستفهام دخلت على همزة
الوصل فسقطت همزة الوصل لان القياس اسقاطها وانما لم تسقط في السحر لمانع وهو خوف التباس
الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة
اي جنون ان كان لا يعتقد خلافه ٥ قال الامام وفي هذه لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان
يظهر كذبه فلهذا اقسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال يفتري او مجنون احترازا من ان يقول قائل كيف تقول
بانه مفتر مع انه جاز ان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق يمنع تسمية القائل مفتريا وكاذبا
في بعض المواضع ٥ الا ترى ان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له كذبت يقول ما كذبت
وانما سمعت من فلان انه جاء فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن فهو احترزوا
عن تبيين كذبهم وكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون الا فيما ادنى درجة
ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى وقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا
وقوله في الضلال البعيد في مقابلة قوله به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب
الى الصادق ايذاء اعظم لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم في الجواب واما الجنون
فلان نسبة الجنون الى القائل دونه في الايذاء فانه لا يشهد عليه بانه يعذب ولكنه ينسبه الى
عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من سمى المهتدي ضالا يكون هو
الضال ومن سمى الهادي ضالا يكون اضل والنبي صلى الله عليه وسلم كان هادي كل مهتد ٥ قال
صاحب الكشاف فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان
البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل ٥ فان قلت كان ذلك

الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباوه بالبعث شايعا عندهم فما معنى قولهم هل
ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول
قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحاجي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك
والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا اعموا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
فيعلموا انهم حيث ما كانوا واين ما ساروا امامهم وخلفهم السماء والارض محيطان بهم لا يقدرون ان ينفذوا
من اقطارهما وان يخرجوا عنهما وانا القادر عليهم لا يعجزني ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا قطعة من السماء وقرا حمزة والكسائي يشا يخسف يسقط ثلاثتها بالياء والباقون بالنون ٥
لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر
الى ما بين ايديهم من السماء والارض لاية دلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له لان المنيب
لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شي من البعث ومن عقاب من يكفر به قوله
تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات
وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ٥ انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم
من اناب واصاب ومن جملتهم داود كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ٥ وبين ما اتاه
الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا بتقدير قولنا
يا جبال او يكون بدلا من اتينا بتقدير قلنا يا جبال ٥ وقيل فضلا نبوة وكتابا هو الزبور وصوتا
حسنا وقوة وشدة وسخرنا الجبال والطير اوبي من التاويب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه
في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع ٥ وقيل سبحي معه اذا سبح ٥ ابن مسعود هي بلسان الحبشة
وقيل نوحي معه والطير تساعدك على ذلك وكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها
وعكفت عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم ٥ ويقال ان داود
عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما سبح ثم انه قال
ليلة من الليالي في نفسه لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده احد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف
الليل وهو على الجبل دخلته وحشة فاوحى الله الى الجبال ان انسي داود قال فاصطكت الجبال بالتسبيح
والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه ملك فاخذ بعضده
حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفرجت
له الارض حتى انتهى به الى الحوت فوكزه برجله فتنحت عن صخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج
منها دودة تنشز فقال له الملك ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع ٥ وقال القتيبي
اصله من التاويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا ٥ قال ابن مقبل ٥

٥ لحقنا بحي اوبوا السير بعدما ٥ دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح ٥

كانه اراد اوبي النهار كله بالتسبيح معه ٥ وقيل سيري معه كيف شا والطير نصب بالعطف على محل
الجبال ٥ وقيل منصوب على انه مفعول معه ٥ وقيل منصوب بالعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير
قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال واتينا داود منا فضلا
تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة
الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا
دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان ولا جماد ولا ناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع
على ارادته ٥ والنا له الحديد جعلناه في يده لينا كالشمع يعمل منه ما يريد من غير نار ولا ضرب

بمطرقة ۝ وكان سبب ذلك على ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته
ان يخرج للناس متنكرا فاذا راي رجلا لا يعرفه تقدم اليه فسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود
وليكم هذا اي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو في ذلك يوما من الايام اذ قيض الله عز
وجل له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود عليه السلام تقدم اليه على عادته فسأله فقال له الملك
نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم
عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال
فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد فصار في يده مثل الشمع وعلمه صنعة الدروع
فكان يتخذ الدروع وانه اول من اتخذها ويقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة الاف درهم
فياكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقرا والمساكين ۝ ويقال ان ما لان له الحديد في
يده لما اعطي عليه السلام من القوة ان اعمل سابغات دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد
اي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق ۝ وهو اول من اتخذ الدروع وكانت قبل
ذلك صفائح والسرد صنعة الدرع ونسجها ومنه قيل لصانعه السراد والزراد واصله الوصل
والنظم ۝ ومنه قيل للخراز سراد وللمثقب والاشفى مسرد ۝ ويكون المعنى اجعل ثقوب طرفي الحلق
على قدر المسامير ۝ وقيل لا توسع الحلق فتنفذ السهم والطعن ۝ وقيل السرد المسمار ۝ ابن الهيصم
الدرع التي عملها داود وكانت بغير مسمار لانها كانت معجزة له مستمرة لما كان بين داود وبين عيرنا
فوقع منا انا قدر اينا ما بقي من الدروع التي عملها داود عليه السلام وكانت بلا مسامير ۝ ويرون
ايضا فابن قوله والنا له الحديد ۝ وقيل السرد الدرع وهو من اسمايه واعملوا صالحا خطاب لداود
عليه السلام وجمع لان المراد هو واهله والعمل الصالح قيل هو الشكر هاهنا ۝ ابن عباس قوله
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ۝ وحكي ان داود عليه السلام جعل العبادة والصلوة
بينه وبين اهله منقسمة فلم يبق واحد منهم كان في الصلوة ليلا ونهارا اني بما تعملون بصير فاجازيكم
عليه احسن جزاء ۝ قوله تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له
عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا ال
داود شكرا وقليل من عبادي الشكور لما ذكر المنيب الذي هو داود عليه السلام ذكر سليمان
الذي هو ايضا منيب قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ۝ وذكر ما استفاد هو الانابة
ولسليمان الريح قرا ابو بكر عن عاصم بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة والباقون بالنصب اي وسخرنا
لسليمان الريح غدوها شهر اي جريها بالغداة شهر ورواحها شهر وجريها بالرواح مسيرة شهر قال
اهل التفسير يعني غدوها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل مسيرة
شهر تحمل بسريره في يوم واحد مسيرة شهرين ۝ وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب
فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان عليه السلام ۝ اما من الجن واما من الانس ۝ نحن نزلناه وما
بنيناه ۝ ومبنيا وجدناه ۝ غدونا من اصطخر فقلناه ۝ ونحن رايحون منه ان شا الله فبايتون
بالشام ۝ الحسن لما شغلت نبي الله سليمان عليه السلام الخيل حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله
له الله مكانها خيرا منها ۝ واسرع الريح تجري بامره كيف شا غدوها شهر ورواحها شهر فكان يغدوا
من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل واسلنا له عين القطر واذبنا له عين النحاس
اسيلت له ثلاثة ايام كما يسيل الما وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله تعالى لسليمان

مسيرة

عليه السلام ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ يمل ويعدل منهم عن امرنا الذي امرناه
من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير في الاخرة ۝ وقيل في الدنيا ۝ وذلك ان الله سبحانه وتعالى
وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان عليه السلام ضربه ضربة احرقته يعملون
له ما يشاء من محاريب مساجد ومساكن وقصور والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت ۝
قال عدي بن زيد ۝ كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهره مستنير ۝
وكان مما عملوه له من ذلك بيت المقدس وقصته وصفته على ما ذكره اهل البصر بالسير ان ربنا تبارك
وتعالى بارك في نسل ابراهيم عليه السلام حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمن داود عليه
السلام لبث فيهم ثلاثين سنة بارض فلسطين وهم كل يوم يزدادون كثرة فاعجب داود بكثرتهم فامر بعدهم
فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا وايسوا ان يحيط علمهم بعدد بني اسرائيل فاوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام قد وعدت اباك ابراهيم وامرته بذبح ولده فصدقني واتم امري ان ابارك له في ذريته
حتى يصيروا اكثر من عدد نجوم السماء وحتى لا يحصيهم العادون واني قد اقسمت ان ابتليهم ببلية
يقل منها عددهم وتذهب عنك اعجابك بكثرتهم وخيره بين ان يعذبهم بالجوع والقحط ثلاث
سنين وبين ان يسلط عليهم عدوهم ثلاثة اشهر وبين ان يسلط عليهم الطاعون ثلاثة ايام فجمع
داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وخيره فيه فقالوا له انت اعلم بما هو ايسر
لنا وانت نبينا فانظر لنا غير الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو امر فاضح فان كان ولا بد فالموت
فامرهم داود عليه السلام ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا
الى الصعيد بالذراري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله ان
يرحمهم وذلك في صعيد بيت المقدس قبل بنا المسجد قال وارتقى داود فوق الصخرة فخر
ساجدا يبتهل الى الله تعالى فارسل فيهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة ما لم يستعرعوا من
دفنهم الا بعد مرة شهرين فلما اصبحوا من اليوم الثاني سجد داود وسجدوا معه مع طلوع الشمس
فلم يرفعوا روسهم حتى كشف عنهم الطاعون قالوا فلما ان شفع الله تعالى داود في بني اسرائيل في ذلك
المكان جمع داود بني اسرائيل بعد ثلاث فقال ان الله سبحانه وتعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا
له شكرا قالوا وكيف تامرنا قال امركم ان تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجدا
لا يزال فيه منكم وممن بعدكم ذاكرا فلما ارادوا ان يتخذوا البنا جاء رجل صالح فقير يختبرهم كيف
اخلاصهم ونيتهم فقال لبني اسرائيل ان فيه حقا انا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عنه فقالوا
له يا هذا ما احد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا
تضايقنا فيه فقال انا اعرف حقي وانتم لا تعرفون فقالوا له اما ان ترضى وتطيب نفسا والا اخذناه
كرها فقال لهم او تجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود قال فرفعوا امره الى داود عليه السلام
فقال داود عليه السلام ارضه فقالوا له بكم ناخذ يا نبي الله قال خذوه بماية شاة قال الرجل
زد فقال داود عليه السلام بماية بقرة قال زد قال بماية من الابل قال زدني فانما تشتريه
لله تعالى فقال داود عليه السلام اما اذ قلت فاحتكم اعطكه قال تشتري مني بحايط مثله
زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال تشتريه لله فلا تبخل قال سل ما شيت اعطكه وان شيت اواجرك
نفسي قال او تفعل ذلك يا نبي الله قال نعم اذا شيت قال انت اعز على الله من ذلك ولكن تبني حوله
جدارا ثم تملاه ذهبا وان شيت ورقا قال داود عليه السلام هو هين فالتفت الرجل
الى بني اسرائيل وقال هذا هو التايب المخلص ثم قال له داود عليه السلام يا نبي الله لان يغفر الله عز وجل

لي دنيا واحداً احب الي من كل شي وهبته لي ولكن كنت اختبركم قال فاخذ داود في بناء بيت المقدس
وكان داود عليه السلام ينقل الصخور الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة فاوحى
الله سبحانه وتعالى الى داود عليه السلام ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك للدماء فلست
ببانيه اذ لم اقض ذلك على يدك ، ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء
واقضي اتمامه على يده ويكون صيته وذكره لك باقيا فصلوا فيه زمانا وداود حينئذ ابن سبع
وعشرين ومائة سنة فلما صار من ابناء الاربعين ومائة سنة توفاه الله تعالى واستخلف سليمان عليه
السلام فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة
بعمل يستصلحها فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض الصافي من معادنه وامر
ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط
وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا
يستخرجون الذهب والفضة من معادنها والدر الصافي من البحر ، وفرقا يقلعون الجواهر من
اماكنها ، وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب من اماكنها فاتي بذلك من شي لا يحصيه الا
الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الصناعة المرتفعة وتصييرها الواحا واصلاح تلك
الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان
عليه السلام تلك الاصوات فدعا الجن فقال هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت
فقالوا يا نبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فارسل اليه من ياتيك
به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولساير الجن بالحديد ، وكان اذا
طبع احدهما بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه احد جني ولا شيطان الا انقاد له باذن
الله عز قدرته فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه وهو في بعض جزاير البحور فادوه الطابع
فلما نظر اليه كاد يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان عليه السلام فسال سليمان عليه
السلام رسله عما احدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله انه كان يضحك في الاحايين من الناس
فقال له سليمان عليه السلام ما رضيت بتمردك علي في ترك المجي الى طابعي حتى تسخر بالناس فقال
يا نبي الله اني لم اسخر منهم غير ان ضحكي كان تعجبا مما كنت اسمع واري في طريقي فقال سليمان عليه السلام
وما ذاك قال اعلم اني مررت برجل على شط نهر ومعه بغلة يريد سقيها وجرة يريد ان يستقي فيها
فسقى البغلة وربطها باذن الجرة فنفرت البغلة وجرت الجرة فكسرتها فضحكت من حمق الرجل حيث
توهم ان الجرة تحبس البغلة ، ومررت برجل جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له يسمعه
يشترط معه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربع سنين وبينه وبين نزول الموت به فضحكت من غفلته وجهله
ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من امر السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في
موضع تراثها ذهبا كثيرا في الدهور الخالية تراثها تموت جوعا وتحت فراشها ذهب كثير لا
تعلم بمكانه ثم تخبر الناس عن امر السماء فضحكت منها ، ومررت برجل في بعض المدن وقد
كان به داء فيما قبل فاكل البصل فبرا من دايه فصار يتطبب الناس ، فكان لا ياتيه احد يساله عن
علة الا امره باكل البصل وانه لا ضرر حتى ان صرخ ليصل الى الدماغ فضحكت منه ، ومررت
ببعض الاسواق فرايت الثوم وهو افضل الادوية كلها يكال كيلا ورايت الفلفل وهو احد السموم
القاتلة يوزن وزنا فضحكت من ذلك ، ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله عز وجل
ويسالونه الرحمة والمغفرة فقام منهم قوم فقاموا وجاء اخرون فجلسوا فرايت الرحمة قد نزلت عليهم

فاحطات الذين كانوا من اهل المجلس فقاموا فغشيت الذين جاوا فجلسوا فضحكت تعجبا للقضاء
والقدر ، فقال له سليمان عليه السلام هل عرفت في كثرة تجاربك وجولانك في البر والبحر
شيا ينحت به هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا تصويت ، قال نعم يا نبي الله اعرف حجرا
كاللبن ابيض يقال له السامور غير اني لا اعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطيور شي هو احيل
ولا اهدى من العقاب فمر بعقاب ان يجعل فراخه في صندوق من حجر معه يوما وليلة ثم يسرح
العقاب ويترك فراخه في الصندوق فانه ياتي بذلك الحجر فيضرب ظهر الصندوق حتى يثقبه
به ليصل الى فراخه قال فامر سليمان بعقاب مع فراخه فصيرهن في صندوق من حجر يوما وليلة ثم
سرح العقاب دون الفراخ فمر العقاب وجاء بذلك الحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى
وصل الى فراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى اتوه به قدر ما علم ان فيه كفاية واستعمل
ذلك في ادوات الصياح فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذي يستعمل في نقش الخواتيم
وثقب الجواهر الى اليوم وهو حجر ثمين عزيز ، قال فبنا سليمان عليه السلام المسجد بالرخام
الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص
سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بانواع الفيروزج فلم يكن
يوميذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه
جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شي فيه خالص لله تعالى فاتخذ ذلك اليوم الذي
فرغ منه عيدا ، قالوا ومن اعاجيب ما اتخذ سليمان عليه السلام ببيت المقدس ان بنا بنيانا
وطين حايطه بالخضرة وصقله فكان اذا دخله الورع البار استبان خياله في ذلك الحايط ابيض
واذا دخله الفاجر استبان خياله فيه اسود فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور
والخيانة ، ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس كان من مسها من اولاد الانبيا
لم يضره مسها ومن مسها من غيرهم احترقت يده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجوا
ان يكون قد اعطاه الثالثة ، ساله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه ، وساله ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فاعطاه اياه ، وساله ان اتي هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه
كهيئة يوم ولدته امه وانا ارجوا ان يكون قد اعطاه ذلك ، قالوا فلم يزل بيت المقدس على
ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه
وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وساير الجواهر فحمله معه الى دار مملكته
من ارض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها
سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعايه بصلوات ابي داود الا فتحت الابواب ففتحت ففرغ له
سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تاتي ساعة
من ليل او نهار الا والله عز وجل يعبد فيها ، وتماثيل اي صور كانوا يعملون له تماثيل من صفر ونحاس وشبه
وزجاج ورخام في المساجد تماثيل الملائكة والنبيين والصالحين لكي اذا رآهم الناس مصورين
عبدوا اعبادتهم وجفان اي وقصاع واحدها جفنة كالجوابي كالحياض التي يجبى فيها الماء اي
يجمع واحدها جابية ، قال الاعشى ،

، تروح على آل المحلق جفنة ، كجابية الشيخ العراقي تفهق ،

الحسن وجفان كالجوابي مثل حياض الابل ، ويقال انه كان يجمع على جفنة واحدة الف رجل ياكلون

بين يديه • وقد وردا انها كانت ثابتات لا يحملن ولا يحركن من اماكنهن لعظمهن ولا ينزلن ولا يعطلن
وكانت باليمن • ومنه قيل للجبال رواسي • اعملوا اي وقلنا اعملوا آل داود شكرا يعني اعملوا بطاعة
الله يا آل داود شكرا له على نعمه وشكرا في محل المصدر على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى
اشكروا من حيث ان العمل فيه للمنعم شكر له • وقيل انتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوا
على وجه الشكر لنعمائه • وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدي طريق الشكر • وقيل انتصب على
الحال اي شاكرين • وقيل يجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به • ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون
لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة • وقليل من عبادي الشكور • قرا حمزة بسكون اليا
والباقون بفتحها والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعترافا وكدحا اكثر اوقاته • ابن عباس من يشكر على احواله كلها • السدي من يشكر
على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر • روي ان داود عليه السلام قد جزا ساعات الليل والنهار
على اهله فلم يكن تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي فعمهم الله
سبحانه وتعالى في هذه الاية اعملوا آل داود شكرا ○ قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ○ قال اهل التفسير كان سليمان عليه السلام يجرد في بيت
المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه
فادخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت في بيت المقدس
شجرة فيقول لها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لها لاي شي انت فتقول لكذا وكذا
فيومر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت لدوا كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم
اذ راى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شي نبتت قالت لخراب هذا المسجد
فقال سليمان عليه السلام ما كان الله تعالى ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وهلاك بيت
المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب
وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا وانهم يعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا
على عصاه فمات عليه السلام • ابن زيد قال سليمان عليه السلام لملك الموت صلوات الله عليهما
اذا امرت بي فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين
فبنا صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكا على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه
وهو متكئ على عصاه • وفي رواية اخرى ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه قد
اتاني من الله ما ترون وما مر علي يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر وقد احببت ان يكون
لي يوم واحد يصفو لي من الكدر ولا اغتم فيه وليكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له
وامر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيا يسوه ثم اخذ عصاه
بيده وصعد فوق قصره واتكا على عصاه ينظر في ممالكه اذ نظر الى شاب حسن الوجه عليه
ثياب بيض قد خرج عليه من جوانب قصره فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام كيف
دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله اما منعك البواب والحجاب اما هبتني حيث دخلت
قصري بغير اذني فقال انا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب ولا اهاب الملوك ولا اقبل الرشا
وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن • قال سليمان عليه السلام فمن اذن لك في دخوله قال ربه
فارتعد سليمان عليه السلام وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال

جئت

جئت لا قبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان يصفو لي ولا اسمع فيه ما يغمني قال
يا سليمان انك اردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه ذلك اليوم لم يخلق في ايام الدنيا
فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له • قال فامض لما امرت به قال فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ
على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه اين ما كان وكان للمحراب كوى بين يديه
وخلفه فكان الشيطان الذي يريد ان يدخل يقول الست جلدا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب
فيدخل حتى يخرج من الجانب الاخر فدخل شيطان من اوليك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في
المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع صوت سليمان عليه السلام ثم رجع
فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فاخبر الناس ان سليمان عليه
السلام قد مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجدوا منساته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكلتها
الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا
على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة • وكانت الجن تعمل بين يديه وينظرون اليه ويحسبون
انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلوته • فقيل ذلك ما دلهم على موته
الا دابة الارض وهي الارضة تاكل منساته وهي العصا واصلها من نسات الغنم اذا زجرتها وسقتها
فلما خر سقط على الارض تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي ما عملوا
مسخرين وهو ميت وهم ينظرون انه حيا • وقيل تبينت الجن اي علمت لانها كانت تتوهم باستراقها
السمع انها تعلم الغيب فعلمت حينيذ خطاها في ظنها والله اعلم ○ قوله تعالى لقد كان
لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور • فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشي
من سدر قليل • ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور • وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين • فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث • ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور ○ لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام بين
حال الكافرين بانعمه بقصة اهل سبا • قرا حمزة وحفص عن عاصم مسكنهم بفتح الكاف من غير الف
والكسائي وخلف بكسر الكاف والباقون مساكنهم • روي انه قال رجل يا رسول الله اخبرني عن
سبا ما كان رجلا كان او امراة او ارضا او جبلا او واديا • فقال صلى الله عليه وسلم ليس
بارض ولا امراة ولكنه كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد فتيامن منهم ستة وتشام
اربعة فاما الذين تيامنوا فكندة • والاشعريون • والازد • ومذحج • وانمار • وحمير •
فقال رجل ومن انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاموا فعاملة • وجذام • ولخم
وغسان • ومن قرا بالفتح وترك الصرف جعله اسما للقبيلة • ومن صرف وكسر ونون جعله
اسما للحي او اسما لرجل وكل جائز حسن • اية دالة على وحدانية الله وقدرته جنتان بدل من
اية بستانان عن يمين من اتاهما وشمال كلوا • وقيل لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا على ما انعم
عليكم وتم الكلام هاهنا • ثم ابتدا فقال بلدة اي هذه بلدة طيبة ليست بسبخة •
ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية • وان
كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هو الا ان ينظروا الى بيوتهم فتموت الدواب
وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على راسه فيخرج حين يخرج وقد امتلات تلك

الفقة من انواع الفاكهة ولم يتنا ولم منها شيا بيده فذلك قوله تعالى بلدة طيبة الهوا • ورب غفور
الخطا كثير العطا فاعرضوا وهب بعث الله عز وجل الي سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الي الله تعالى •
وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم الذي
تزعمون فليحبس عنا هذه النعمة ان استطاع فذلك قوله سبحانه وتعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل
العرم والعرم السد والمسناه التي تحبس الما واحدها عرمة واصلها من العرامة وهي الشدة
والقوة ابن عباس ووهب وغيرهما كان هذا السد بسقي جنتيهم وكان فيما ذكر حدثه بلقيس
وذلك انها لما ملكت وجدت قومها يقتتلون على ما وادبهم فجعلت تنهاهم ولا يطيعونها فتركت
ملكها وانطلقت الي قصرلها فنزلته فلما كثر الشر بينهم وندموا اتوها فارادوها ان ترجع الي
ملكها فابت فقالوا لترجعن او لنقتلنك فقالت انكم لا تطيعون وليست لكم عقول فقالوا
انا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجات فامرت بواديهم فسد والعرم وهو المسناة بلغة
حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار وحفت به ما العيون والامطار وجعلت له ابوابا ثلاثة
بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم
فلما جا المطر اجتمع اليها السيل واودية اليمن فاحتبس السيل من ورا السد فامرت بالباب الاعلى
ففتح تجري ماوه في البركة • وامرت بالبعر فالقي فيها فجعل بعض البعر يخرج اسرع من بعض
فلم يزل يضيق تلك الانهار ويرسل البعر في الما حتى خرجت جميعا معا وكانت تقسمه بينهم على ذلك
حتى كان من شانها وشان سليمان ما كان وبقوا على ذلك بعدها فكانوا يسقون من الباب
الاعلى من الباب الثاني ثم من الباب الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة فلما
طغوا واعرضوا وكفروا سلط الله عليهم جردا يسمى الخلد فنقبه من اسفله فغرق الما جناتهم وخرب
ارضهم قال وهب وكانوا يزعمون يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم ذلك فارة فلم يتركوا
فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جا زمانها وما اراد الله بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون
فارة حمرا الي هرة من تلك الهر فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت
عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى وهنته السيل وهم لا يدرون ذلك فلما جا السيل
وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل وفرقوا ومزقوا
حتى صاروا مثلا عند العرب فقالوا تفرقوا ايدي سبا واياد سبا فذلك قوله فارسلنا عليهم سيل
العرب وقيل العرم المطر الشديد من العرامة وهو التمرد والعصيان وقيل العرم جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة وقيل العرم اسم الوادي وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط • قرا ابو عمرو ويعقوب بالاضافة والباقون بالتنوين وهما متقاربتا
كقول العرب في بستان فلان اعناب كرم • واعناب كرم • فيضيف احيانا الاعناب الي الكرم
لانها منه ويصون احيانا الاعناب ثم تترجم بالكرم عنها اذ كانت الاعناب ثمر الكرم ذواتي اكل ثمر
خمط اراك • وقيل كل شجرة • وقيل كل شجرة ذات شوك وقيل هو كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا
يمكن اكله • وقيل شجرة الغضاة واثل • ابن عباس هو الطرفا • وقيل هو شجر يشبه الطرفا اعظم منه
واجود عودا • الحسن الاثل الخشب • قتادة ضرب من الخشب • وقيل هو السمر • ابو عبيدة
هو النضار وشي من سدر قليل • قال صاحب الكشاف والاثل وشي من سدر معطوفان على اكل
لا على خمط لان الاثل لا اكل له • قتاده بينها شجر القوم من خير الشجر اذ صيره الله تعالى من شر الشجر
باعمالهم وكانوا يستظلون بالشجر ويا كلون البربر وثمر السدر وابوا ان يجيبوا الرسل عليهم السلام

وتسمية

وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم • الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا له
الذي فعلنا بهم جزيناهم بما كفروا واي بكفرهم ومحل ذلك نصب بوقوع الجزاء عليه تقديره جزيناهم ذلك
بما كفروا وهل يجازي • قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بالنون وكسر الزاي ونصب الكفور واختاره ابو
عبيد وقال لقوله جزيناهم ولم يقل جوزوا والباقون بيا مضمومة وفتح الزاي ورفع الكفور ومعنى
الاية وهل يجازي مثل هذا الجزا الا الكفور مجاهد يجازي يعاقب • وقيل المومن يكفر سياته بحسناته
والكافر يحبط عمله فيجازي بجميع ما يفعله من السوء • قال صاحب الكشاف وجه اخر وهو ان الجزا
عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة والاخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة
في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم • وقيل وهل يجازي الا الكفور بمعنى وهل يعاقب
وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزا والجزا
عام للكافر والمومن لانه لم يرد الجزا العام انما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم
وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازي الا الكافر والمومن لم يصح
ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السوال مضمحل • وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جا عليه كلام
الله تعالى الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها يعني قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة تظهر الثانية من الاولى بقربها منه • وقيل ظاهرة
للسابلة لم تبعد عن مساكنهم حتى تخفى عليهم • الحسن كان احدهم يغدو فيقيل في قرية ويروح فياوي
الي قرية اخرى • وكانت المراة تخرج معها مغزلها وعلى راسها مكتلها ثم تمتهن مغزلها فلا تاتي بيتها
حتى تملا مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن والشام كذلك ابن عباس قرى ظاهرة يعني قرى عربية
بين المدينة والشام سعيد بن جبير هي القرى التي بين مارب والشام مجاهد هي السروات وهب
هي قرى صنعا وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا
من منزل الي منزل ومن قرية الي قرية ولا ينزلون الا في قرية ولا يغدون الا من قرية لا يخافون
جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاجون الي حمل زاد ولا ما سيروا فيها اي وقلنا لهم سيروا فيها قيل
ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسوت لهم اسبابه وكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه ليالي واياما
اي وقت شيتم امنين ان شيتم بالليل وان شيتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات
او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم
واياما مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا ولا تحتاجون
الي زاد ولا ما فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كان جنا تنا ابعد مما هي كان اجدر
ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها
الرواحل ونتزود فيها الازواد فعجل الله تعالى لهم الاجابة • قرا ابن كثير وابو عمرو ربنا بعد على وجه
الدعا والسوال من التبعيد وهي رواية هشام عن قرا الشام • ويعقوب ربنا برفع رب باعد
بفتح العين والدال على الخبر استبعدوا اسفارهم بطرا منهم واشرا • وقرا الباقون ربنا بنصب رب
لانه منادي مضاف باعد بالالف وكسر العين والدال على الدعا ففعل الله ذلك بهم وظلموا انفسهم حيث
عدوا النعمة نقمة والاحسان اساة فجعلناهم احاديث عظة وعبرة يتحدث الناس بهم ويتعجبون من
احوالهم يضرب بهم المثل فقالوا تفرقوا ايدي سبا وصاروا ايادي سبا • ومزقناهم وفرقناهم في البلاد
كل ممزق كل تفريق اي غاية ما يكون من التفريق وتبديد الشمل اما غسان فلحقوا بالشام واما انمار
فبيثرب واما جذام فبتهامة • واما الازد فبعمان • ان في ذلك فيما ذكر لايات لمواعظ وعبرا

وكانت بين بلدهم وبين بلاد الشام اربعة آلاف وسبعمائة قرية بعضها على الطريق وبعضها على الاطراف

بخزم حم

لكل صبار على الطاعة وعلى المعاصي شكور للنعم **قوله تعالى** ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يومن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شي حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قرا عاصم وحمزة والكسائي صدق بتشديد الدال اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا والباقون بالتخفيف اي صدق عليهم في ظنه بهم او صدق يظن ظنا نحو فعليك جهدك ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها عليهم اي على اهل سبا مجاهد على الناس كلهم فاتبعوه اي فاتبع اهل سبا وقيل الناس الا فريقا من المومنين قلل المومنين لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له لابليس عليهم على الذين صار ظنه فيهم صدقا من سلطان تسلط وجبر واكراه وقيل حجة وبرهان وقيل تسليطا بالوسوسة والاستغوا الا لنعلم الا لنري ونميز ونعلمه موجودا ظاهرا كاينا من يومن بالآخرة ممن هو منها في شك قال صاحب الكشاف الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان تتميز المومن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقيل الاستثنا منقطع اي لكن ابتلينا المكلفين بوساوسه لنعلم وقيل متصل وتقديره ما خلينا بينهم وبين وساوسه الا لنعلم من يومن بالآخرة ممن هو منها في شك اي لنظهر المسلم من الكافر والمطيع من العاصي فيقع الثواب والعقاب بعد ظهور الافعال منهم وان كان الله عالما بذلك وقيل لنعلم عندكم كما قلنا وهو اهون عليه عندكم وقيل معنى لنعلم ليكون ايمان المومن بها وشك الشاك فيها كما تقول ما علم الله مني هذا اي لم يكن مني وقيل لنعلم اولياونا وقيل معنى لنعلم لنميز وقيل لنعلم ايمان المومن وشك الشاك موجودين كما علمناه غيبا وربك على كل شي حفيظ محافظ وفعيل ومفاعيل متاخيان قل يا محمد لهولا المشركين ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسم الله تعالى كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون الى الله تعالى وانتظروا استجابتهم لدعايكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم ووصفهم فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير ونفع وشر وضر في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما في السموات والارض من شرك شركة في الخلق ولا في الملك وما له اي لله منهم من ظهير عون يعينه على تدبير خلقه يعني انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبد كما يعبد والمفعول الاول لزعمتم الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف الهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعمتم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا يجوز ان يكون من دون الله مفعولا ثانيا لزعمتم لان قولك الذين زعمتم من دون الله لا يلتيم كلاما ولا لا يملكون لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وما لو قالوه لم قالوا ما هو حق وتوحيد **قوله تعالى** ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى ان زيدا الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على

احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الكاينة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة لها او لا تنفع الشفاعة الكاينة لمن اذن له اي لشفيعه وقيل هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وهذا التكذيب لقولهم هولا شفعاونا عند الله والمعنى ان كل من زعمتم آلهة من دون الله لا يملكون مثقال ذرة ولا تنفع شفاعتهم الا باذن لمن اس وكانه قال ولا هم شفعا على الحد الذي ظننتم قوله الا لمن اذن له قيل معناه لمن اذن له ان يشفع فيه وقيل معناه لمن اذن له ان يشفع هو والاولى ان يحمل عليهما لان الاذن اذا انفرد للشافع فلا شك ان المشفوع فيه معين له واذا انفرد للمشفوع فيه فالشافع لا محالة عالم معين لذلك قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة وابن كثير ونافع وابن عامر بفتحها واختلف فيها عن عاصم حتى اذا فزع قرا ابن عامر ويعقوب بفتح الزاي والفا والباقون بضم الفا وكسر الزاي قال ~~هذا الكلام~~ صاحب الكشاف فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شي وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا من الراجين للشفاعة والشفعا هل يوذن لهم او لا يوذن لهم وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قايل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا من الزمان فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى واختلف اهل التفسير في هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة منهم وما السبب الذي من اجله فزع عن قلوبهم فقال قوم هم الملايكة ثم اختلفوا في سبب ذلك فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله تعالى عن عبد الله بن مسعود اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع اهل السما صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيخرون سجدا فاذا علموا انه وحي فزع عن قلوبهم فيرد اليهم فينادي اهل السموات بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق وعنه مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا تكلم بالوحي سمع اهل السما للسما صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم قال يقول الحق فينادون الحق الحق وقال بعضهم انما يفزعون من قيام الساعة قال الكلبي كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فترة زمان طويل لا يجري فيها الرسل خمسماية وخمسين عاما فلما بعث الله محمدا عليه السلام كلم الله عز وجل جبريل بالرسالة الى محمد عليه السلام فلما سمعت الملايكة الصوت ظنوا انها الساعة قد قامت فصعقوا لما سمعوا فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل اهل سما فيكشط عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا عليه الصلاة والسلام عند اهل السموات من اشراط الساعة فلما بعثه الله فزع اهل السموات لا يشكون الا انها الساعة وقال الضحاك ان الملايكة المعقبات الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم اذا ارسلهم الرب عز وجل فانحدروا سمع لهم صوت شديد فيحسبون الذين هم اسفل من الملايكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من الساعة وهذا تنبيه من الله واخبار ان الملايكة مع هذه الصفة لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد الا ان يوذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا وحيه كان هذا حالهم

فكيف تشفع الاصنام • وقال اخرون بل الموصوف بذلك المشركون • قال الحسن وابن زيد
يعني اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة
ماذا قال ربكم في الدنيا فاقروا به حين لا ينفعهم الاقرار يدل على ذلك قوله تعالى في اخر السورة ٥
ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت • وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى ٥ **قوله تعالى** قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ٥ امر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امرهم بان يتولى الاقرار والاجابة عنهم بقوله من يرزقكم اذ ليس لهذا
الكلام جواب غير هذا او قيل لذلك للاشعار بانهم مقرون بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان
الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته
ولانهم ان يفوهوا بان الله يرزقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون
عليه من لا يرزقكم الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء ام من يملك السمع والابصار حتى
قال فسيقولون الله فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقولون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يلعثمون
عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحو قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا • وامر ان يقول لهم بعد الالزام والالجام
الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين •
هذا على جهة الانصاف في الحجة كما يقول القائل لصاحبه احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق ٥
وصاحبه كاذب والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد ان احد الفريقين لمهتد والاخر ضال
فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم باحسن من
تصريح التكذيب • قال صاحب الكشاف معناه ان احد الفريقين من الذين يتوحدون
الرازق من في السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال • وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او
مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه كما تقدم من التقرير البليغ
دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين • ولكن التعريض
والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم • وفل شوكته
بالهوينا • ومنه بيت حسان • اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفداء •
وانما دخل على في الاول وفي الثاني لان صاحب الحق والهدى كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث
شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه ولا يدري اين يتوجه ٥ **قوله تعالى** قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون • هذا الكلام ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام
على انفسهم اي المخاطبين والعمل الى المخاطبين • وان اراد بالجرائم الصغائر والزلات حتى لا يخلوا منها مؤمن
وبالعمل الكفر والمعاصي العظام **قوله تعالى** قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح
العليم قل يا محمد لهؤلاء المشركين يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح يقضي ويحكم بيننا بالحق من غير ظلم ولا
ميل وهو الفتاح الحاكم العدل العليم بعلم المحق من المبطل • وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء
الجنة واولئك النار ٥ **قوله تعالى** قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز
الحكيم قل يا محمد لهؤلاء المشركين اروني الذين الحقتموهم اي الاصنام به بالله شركاء اراد ان يريهم الخطأ
العظيم في الحاق الشركاء بالله سبحانه وتعالى وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس

اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما ابطله بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز
الحكيم • كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشأن
كما قال في قوله قل هو الله احد **قوله تعالى** وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ٥ لما بين ادلة التوحيد وابطال الشرك شرع في الرسالة وما ارسلناك
الا كافة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الامم • وقيل الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة
بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس
في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة
قال صاحب الكشاف ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال
المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار • وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع
حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب
الخطائين • وقيل معناه كافا للناس يكفهم عما هم عليه من الكفر ويدعوهم الى الاسلام والهاء فيه للمبالغة
بشيرا للمؤمنين • ونذيرا للكافرين • ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحملهم جهلهم على مخالفتك
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون • لما قال قل يجمع بيننا ربنا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين •
قل يا محمد لهؤلاء المشركين لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي هذا موقت بوقت
لا يتغير لكم بأجل فانه كائن لا محالة • قيل ميعاد يوم هو يوم الموت عند النزع والسياق • وقيل
يوم القيامة والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان واضافته الى ٥
اليوم للتبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية • قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا
فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم
تفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه **قوله تعالى** وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين • قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له
اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا
ما كانوا يعملون ٥ لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام • وقال
الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن المنزل عليك لان القرآن يشتمل على الكل • ولا بالذي بين يديه
ما نزل قبل القرآن من كتب الله تعالى • يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم
يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه
من كتب الله تعالى في الكفر فكفروا بها جميعا • وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا
ان يكون القرآن من الله تعالى وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة • ثم اخبر عن حالهم
في مآلهم فقال عز وجل ولو ترى يا محمد اوأي مخاطب اذ الظالمون اي المشركون موقوفون عند ربهم
يرجع بعضهم الى بعض القول يتلاومون ويجاوب بعضهم بعضا وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها

بينهم لرايت العجب فحذف الجواب • يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين استكبروا اي المتكبرين
الروس المتقدمون المتبوعون • لولا انتم لكنا مومنين • اي لولا دعاوكم الي الكفر لكنا مومنين بمحمد وبما جاء
به • قال الذين استكبروا انحن صددناكم عن الهدي بعد اذ جاءكم اولي الاسم اي بحرف الانكار لان الغرض
انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من
قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اخترنا لكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم الهدي
بل كنتم مجرمين بل انتم بانفسكم كفرتم اذ لم يكن لنا عليكم من سلطان • واذ واذا وان كانتا من الظروف
اللازمة الظرفية وقعت اذ مضافا اليها لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان
اي بعد ما اضيف الزمان الي الجمل في قولك جيت بعد اذ جا زيد وحينيذ ويوميذ وكان ذلك اوان
الحجاج امير وحين خرج زيد • وقال الذين استضعفوا المالكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم عن
الهدي ان يكونوا هم السبب في كذبهم واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين • ان ذلك من انفسهم كبر عليهم
الذين استضعفوا وقالوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار فابطل الذين استضعفوا اضراب
الذين استكبروا باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دايبا ليلا ونهارا
وحملكم ايانا علي الشرك واتخاذ الانداد • ومعني مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع
في الظرف باجرايه مجري المفعول به واضافة المكر اليه كما اضيف المكر الي المفعول به • وقيل
جعل ليلهم ونهارهم ماكرين علي الاسناد المجازي ذكر قال الذين استكبروا بغير عاطف لان الذين
استضعفوا مر اولا كلامهم فجي بالجواب محذوف العاطف علي طريق الاستيناف وذكر وقال
الذين استضعفوا بالعطف لانه كلام اخر للمستضعفين حي به فعطف علي كلامهم الاول واسروا الندامة
الضمير للظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون التايل الذين استضعفوا وللذين استكبروا وان
يندم الذين استضعفوا علي ضلالهم واتباعهم المضلين ويندم الذين استكبروا علي ضلالهم واضلالهم
واسروا الندامة لما راوا العذاب • قيل معناه اخفوها لان الندامة في القلب • وقيل اظهروها
وهو من الاضداد اي ظهرت اثار الندامة علي اسرة وجوههم • وقيل تقابثوا اسرار من قوله واسروا
النجوي لما راوا العذاب اي الجحيم • وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح
للتنويه بذمهم وللدلالة علي ما استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون • اي هل يجزي المشركون
الاعمالهم الذي هو جعلهم لله اندادا الا ان الجزاء دين قضي • ويجوز ان يكون تعدي بنفسه هل يجزون الا ما
كانوا يعملون بحذف الجار وجواب لما محذوف **قوله تعالى** وما ارسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين • قل
ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وما ارسلنا في قرية من العربي
من نذير نبي ينذرهم الا قال مترفوها متنعموها انا بما ارسلتم به بزعمكم كافرون جاحدون هذه
تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم مما مني به قومه من التكذيب والكفر بما جا والمنافسة
بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك علي المومنين والاستهانة
بهم من اجله • وقوله اي العريقين خير مقاما واحسن نديا • وانه لم يرسل قط الي اهل قرية من نذير
الا قالوا له مثل ما قال اهل مكة لرسول الله صلي الله عليه وسلم وكادوه بنحو ما كاد اهل مكة برسول
الله صلي الله عليه وسلم وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم علي امر الدنيا واعتقدوا
انهم لو لم يكرموا علي الله تعالي لما رزقهم ولولا ان المومنين هانوا علي الله تعالي لما حرمهم فعلي قياسهم ذلك
قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم علي الله من ان يعذبهم نظرا الي احوالهم في الدنيا • وقد ابطل

الله حسابهم فقال قل يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اختبارا وابتلاء لا كرامة لمن يبسطه
علي حسب مشيته • وربما وسع علي الكافر وضيق علي المومنين • وربما عكس وربما وسع عليهما وربما
ضيق عليهما • وليس يدل ذلك علي العواقب والمنقلب ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ان ذلك لا يدل علي
العواقب والمنقلب **قوله تعالى** وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي الا من
امن وعمل صالحا فاوليك لهم جزا الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون • والذين يسعون في
اياتنا معجزين اوليك في العذاب محضرون • قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له وما
انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين • ثم بين فساد استدلالهم بقوله وما اولادكم ولا اموالكم
بالتي تقربكم عندنا زلفي يعني قولكم نحن اكثر اموالا فنحن احسن عند الله حالا ليس استدلالا صحيحا لان المال
لا يقرب الي الله تعالي اي وما اموالكم اي وما جماعة اموالكم ولا اولادكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك
ان الجمع المكسر عقلاوه وغير عقلايه سوا في حكم التانيث عندنا زلفي اي لا تقربكم عندنا منزلة ولا درجة
والزلفي والزلفة كالقربي والقربة ومحلها النصب اي يقربكم قربة كقوله وانبتكم من الارض نباتا
الا من امن استثنا من كم في يقربكم والمعني ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفقها
في سبيل الله • والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة
وقيل الاستثنا منقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فاوليك لهم جزا الضعف فعلي هذا فاوليك لهم
جزا الضعف خبر من امن • وقيل يحتمل ان يقدر اموال بعد الا اي وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم الا
اموال من امن واولاده فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فاوليك لهم جزا الضعف من اضافة
المصدر الي المفعول اصله فاوليك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزا الضعف • ومعني جزا الضعف ان
يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وهم في الغرفات • قرا حمزة في الغرفة علي واحدة والباقون في
الغرفات امنون • والذين يسعون في اياتنا في ابطال اياتنا وحجتنا وكتابنا معاجزين سابقين
معاندين ماونين يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم ويعجزوننا اوليك في العذاب محضرون • قل يا
محمد للمشركين ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده اي المومنين ويقدر له وليس هذا تكرارا
لان الاية للكفار وهذه للمومنين • وقيل الاولي معناها يوسع علي واحد ويضيق علي اخر • والثانية
معناها يوسع علي من يشا من عباده وان يشا يضيق عليه من بعد التوسعة فالاولي في شخصين وهذه
في شخص • الا تري الي قوله ويقدر له • وقيل يقدر في الاولي من قوله قدر عليه رزقه اي ضيق
وهذه من القدرة التي هي الاستطاعة • وقيل ويقدر علي ان يخلف عنه اذا انفقه في سبيل الله
وما انفقتم من شي فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه • اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا
ينفد • واما اجلا بالثواب الذي هو كل خلف دونه • سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير
فهو يخلفه • الكلبي ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير والبر من نفقة فهو يخلفه اما ان يعجله
في الدنيا • واما ان يدخره في الاخرة • عن ابي هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله عز
وجل قال لي انفق انفق عليك • عن ابن ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ينادي مناد كل ليلة
لدوا للموت • وينادي اخربوا للخراب • وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفا • وينادي
مناد اللهم هب للممسك تلفا • وينادي مناد ليتهم اذ خلقوا ذكروا فيما خلقوا له • روي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال لصهيب انك رجل لا تمسك شيا قال اني سمعت الله يقول وما انفقتم من
شي فهو يخلفه • عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل معروف صدقة
وما وقي الرجل به عرضه فهو صدقة وما انفق المومن من نفقة فعلي الله خلفها الا ما كان من نفقة في

بنيان او معصية • قيل ما يعطي الشاعر او ذو اللسان المتقي هو الذي يتقي الرجل به عرضه • مجاهد
اذا كان في يد احدكم شي فليقتصد ولا يتاول لهذه الاية وما انفقتم من شي فهو يخلفه فان الرزق
مقسوم فلعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه • ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه وربما
انفق الانسان ماله اجمع في الخير ولم يزل عايلا حتى يموت ولكن ما كان من خلف فهو منه • عن
ابي امامة انكم لتاولون هذه الاية على غير تاويلها وما انفقتم من شي فهو يخلفه • وسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط
اقتصدوا • وقال عليه السلام ما عال من اقتصد • عن ابي الدردا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فقه المرء رفقه في معيشته • وهو خير الرازقين • قيل انما جاز الجمع لانه يقال رزق
السلطان الجند وفلان رزق عياله كانه قال وهو خير المعطين • وقيل وهو خير الرازقين واعلام
رب العزة ان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله
فهو من رزق الله اجراه على ايدي هولاء وهو خالق الرزق وخالق المرزوق • وخالق الاسباب التي بها
ينتفع المرزوق بالرزق • وعن بعض السلف الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهٍ
لا يجد وواجد لا يشتهي • **قوله تعالى** ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملايكة اهولاء اياكم كانوا
يعبدون • قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون
لما بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبيا وحال قومه كحال من تقدم من
الكفار • وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال
ويوم نحشرهم جميعا اي المكذبين بك ومن تقدمك ثم نقول للملايكة اهولاء يعني بني مليح لانهم
زعموا انهم يعبدون الملايكة وانهم بنات الله • وقيل يعني المشركين فان غاية ما في تقربهم اليه
انهم يقولون نحن نعبد الملايكة اياكم كانوا يعبدون • وهذا الكلام خطاب للملايكة وتقريع للعابدين
قال صاحب الكشاف وارد على المثل السائر • اياك اعني واسمعي يا جاره ••
ونحو قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • وقد علم سبحانه وتعالى
كون الملايكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السوال الوارد على طريق التقريع • والمقصود
ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتوبيخهم ابلغ وخجلهم اعظم وهو انفحم
الزم • ويكون اقتصاص ذلك عظة لمن سمعه وجاز المن اقتص عليه • قالوا سبحانك اي قال
الملايكة سبحانك فتتبرا الملايكة فيقول سبحانك تنزيها لك ان نعبد غيرك معك انت ولينا
ربنا ومعبودنا ونحن العابدون والعابد لا يستحق ان يعبد • وقيل معناه اتخذناك وليا
واتخذتنا اوليا فانت ولينا ونحن اولياوك ونحن لم نتخذ هولا اوليا فليس بيننا ولاية وان زعموا
انهم اتخذونا اوليا لان الولاية تكون من الجانبين • قال صاحب الكشاف والموالاة خلاف
المعاداة • ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه • وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة
من العدو وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا • والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا
موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم
لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حالته منافية لذلك • بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون
ابليس وذريته واعوانه في معصيتك جعلوا اطاعتهم في عبادة غير الله عبادة لهم • وقيل ابليس والجن
صورت لهم صور قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملايكة فاعبدوها فكانوا يعبدون الجن على زعم
انهم الملايكة • وقيل انهم عبدوا الملايكة بامر الجن فلما عبدوهم بامرهم فكانهم عبدوا من امرهم بذلك

وقيل

وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم اي اكثر الانس
بهم بالجن مومنون مصدقون • **قوله تعالى** فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون • ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا
ينفعهم فاليوم اي يوم نحشرهم لا يملك بعضكم لبعض نفعا شفاعة ولا ضرا ولا عذابا فان الامر في
ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب
والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف • والناس فيها مخلى بينهم يتضا[رون] (دون)
ويتنافعون • والمراد انه لا ضار ولا نافع يوميذ الا هو • ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول
للذين ظلموا معطوفا على لا يملكوا • واراد بالذين ظلموا الكفار المنكرين للمعاد بدليل ذلك قوله
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون • وقيل يقول صلة تقديره ونذيقكم عذاب النار [illegible]
في معنى الحق كما في قوله سيروا فيها • وقيل تقول لهم الملايكة ذوقوا عذاب النار • **قوله**
تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم
وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين • اراد ان
يبين فساد اعتقادهم وشدة عنادهم فانهم بين ان اعلا من يعبدونه الملايكة وهم لا يتاهلون للعبادة
كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية لنا لان نكون معبودين لهم ولا النفع ولا الضر كما قال
تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاما
من التوحيد وتلا عليهم ايات الله الدالة عليه فان في كل شي ايات دالة على وحدانيته انكروها
وقالوا ما هذا الا رجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم ويصير لذلك
سيدكم وقالوا ما هذا يعني القران الا افك مفترى كذب مضاف الى الله ليس من عند الله تعالى
وهذا الكلام قال المشركون بعضهم مع البعض وقال الذين كفروا للحق اي امر النبوة كله ودين الاسلام
لما جاءهم ان هذا اي الحق الا سحر مبين ظاهر لا يخفى فمرة جعلوه افكا مفترى • ومرة جعلوه سحرا قيل يجوز
ان يكون الرمي بالافك من قول الروسا المتبوعين والرمي بالسحر من قول الاتباع لافتراق اللفظين ويحتمل
انهم كانوا يقولون القران في نفسه سحر عجيب لانه من محمد اضافه الى الله قال صاحب الكشاف وفيما
في اللامين من الاشارة الى القايلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلا[م]
عن انكار عظيم وغضب شديد • وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون
بجراتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على
انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا • **قوله تعالى** وما اتيناهم من
كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير • وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير • تاكيد لبيان تقليدهم يعني يقولون عند ما تتلى عليهم الايات البينات
هذا رجل افترى وما هذا المتلو الا افك مفترى من غير كتاب يدرسونه ولا رسول ارسل اليهم والا (يات)
البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك فبمجرد التقليد الباطل
يستجيل رد الايات البينات • وقيل وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما
ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون • وقيل وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتب ولا ارسال
رسول كما اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة
متعلق كما يقول اهل الكتب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرايع ونستندون الى رسل من رسل الله

ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم من الامم والقرون الخالية كما كذب هولا المشركين
وما بلغ هولا المشركين معشار عشر ما اتيناهم يعني مكذبي الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر وكثرة
الاموال فحين كذبوا رسلهم فكيف كان نكير انكاري وتغييري عليهم بالتدمير والاستيصال ولم تغن عنهم
استظهارهم بما هم به مستظهرون • فما بال هولا يجدر كفارا لامة عذاب الامم الخالية **قوله تعالى**
قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد • ذكر الاصول الثلاثة في هذه الاية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلايل قل يا محمد لهولا المشركين
انما اعظكم امركم واوصيكم بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم لله
اي لاجل الله اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده • واما القيام الذي
لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة مثنى اثنين اثنين وفرادى
واحدا واحدا والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا
متفرقين اثنين اثنين وواحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما جا به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل منهما
حاصل فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما
عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل
ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلا
ومجاري احوالهم لان الناظر يتجلى له الشبهة احيانا منفردا واحيانا يستعين بغيره فيما يحتمل ان يكون ذاهبا
عن درك الصواب فيه • والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي
البصاير ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب
ولا يسمع الا نصرة المذهب واراد بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا
والاخرة جميعا لا يتصدى لادعا مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي افتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري
ما الافتضاح وما رقبة العواقب • واما عاقل لبيب راجح العقل مرشح للنبوة مجتبى مصطفى من اهل الدنيا
لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شي لا بينة له عليه وقد علمتم
ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم قولا
وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب
الصدق على الكذب فاذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه ان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين ان محمدا ما هو الا
نذير لكم بين يدي عذاب شديد ما بصاحبكم يجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة
ويجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد • لما ذكر انه
ما به من جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب ما فيه مشقة
وعنا شديدا لا لغرض دنيوي اذا لم يكن ذلك فيه ثواب اخروي يكون مجنونا فالنبي صلى الله عليه وسلم
بدعواه النبوة يجعل نفسه في معرض الهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعاديه ولا يطلب منهم اجرا
في الدنيا فهو يفعله للاخرة والكاذب في الاخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا
لكنه ليس بمجنون فهو نبي صادق قل يا محمد لهولا المشركين ما سالتكم من اجر على تبليغ الرسالة والنصح
فهو لكم اي ما سالتكم لكم كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيا ولكنه
يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن • وقيل معناه الذي سالتكم من اجر فنفعه راجع اليكم وهو
ان تقبلوا مني ما ينجون به لا اسالكم اجرا سوى هذا • وقيل يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما

اسالكم

اسالكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا • وفي قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته
واياهم فهو لكم جزا الشرط الذي هو قوله ما سالتكم من اجر تقديره اي شي سالتكم من اجر كقوله
ما يفتح الله للناس من رحمة • وهو على كل شي شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني ما اطلب الاجر على تبليغ الرسالة
وعلى نصيحتكم ودعاوكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شي **قوله تعالى** قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب • قل جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد • قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فيما يوحي الي ربي انه سميع قريب • معناه قل يا محمد لهم ان ربي يقذف بالحق في
قلوب المحقين فهي تتعلق بما قبلها من حيث انه تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو
الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد • واكده بقوله قل ما سالتكم عليه من اجر فهو لكم وكان من
عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه كما قال تعالى االقي الذكر عليه
من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق في القلوب • اشارة الى ان الامر بيده
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد • ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سوال باطل يذكر عليه وهو ان من
يفعل شيا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل الذي لا يوجد لمرجح لا يكون عالما وانما ذلك فعل اتفاق كما اذا اصاب
السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشا وهو عالم بما يفعله
وعالم بعواقب الامور فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب وهو علام الغيوب • وقيل
معناه انه يقذف بالحق على الباطل كما قال في سورة الانبيا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
وعلى تعلق الاية بما قبلها ايضا ظاهر • وذلك من حيث براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم دحضت قال
ان ربي يقذف بالحق الذي مضى على باطلكم • وقوله علام الغيوب على هذا الوجه فيه معنى لطيف وهو
ان البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يتم الا على التوحيد والرسالة • واما الحشر فعلى وقوعه لا
برهان غير اخبار الله عنه وعن احواله واهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد بخلاف
التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق اي على الباطل اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة
قال علام الغيوب اي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله
علام الغيوب • وقيل ان ربي يقذف يرمي ويأتي بالحق فالوحي ينزله من السما فيقذفه
الى الانبيا علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف وهو خبر مبتدا
محذوف • قل يا محمد لهولا المشركين جا الحق يعني القران والاسلام • وقال الباقر يعني السيف وما
يبدي الباطل وما يعيد يعني ذهب الباطل وزهق فلم يبق له بقية يبدي بها ولا يعيد وهذا
كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق • قال صاحب الكشاف
الحي اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابدا ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا
في الهلاك • والمعنى جا الحق وزهق الباطل الحسن وما يبدي الباطل وهو كل معبود من دون الله تعالى
لاهله خيرا في الدنيا ولا يعيد بخير في الاخرة • قتادة الباطل ابليس اي ما يخلق ابليس احدا ولا يبعثه
ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها
بعود معه ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد
وقيل اي شي ينشي ابليس ويعيد فجعله للاستفهام المبني والباعث هو الله وقيل للشيطان باطل لانه صاحب
الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل يا محمد لهولا المشركين ان ضللت ان اخطات
عن الحق والرشاد كما تزعمون فانما اضل على نفسي اي وبال ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي

بتوفيق الله وتوفيقه انه سميع قريب يسمع دعائي فاستجاب بفضله • قال صاحب الكشاف فان قلت
اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي • وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل على نفسي • قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما
عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهدايه
ربها تعالى وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته
مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع يسمع قول كل ضال ومهتد ويسمع اذا ناديته
واستعديت به عليكم قريب ياتيكم من غيرنا حر ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي **قوله تعالى**
ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ولو ترى محمد وقد اي ولو ترى اذ فزعوا
لرايت امرا عظيما وحالا هائلة • ولو ترى اذ فزعوا من عذاب الدنيا قيل وقت الموت وقيل
يوم بدر • وقيل في القبر • وقيل وقت البعث وقيام الساعة فلا فوت فلا يفوتون الله ولا
يسبقونه فلا نجاة واخذوا من مكان قريب يعني بعذاب الدنيا • وقيل من الموقف الى النار اذا
بعثوا وقيل من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا • وقيل من صحرا بدر الى القليب • وقيل من تحت
اقدامهم اذا خسف بهم بالبيدا • عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة
تكون بين اهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره
ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المغرب وقيل الى المدينة حتى ينزلوا
بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون اكثر من ثلاثة الاف ويبقرون منها
اكثر من مائة امراة ويقتلون منها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون
ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين
فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم • ويحل جيشه الثاني
بالمدينة فينهبونها ثلاثة ايام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيدا
بعث الله عليهم جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله
بهم فذلك قوله تعالى في سورة سبا ولو ترى اذ فزعوا الاية فلا ينفلت منهم الا رجلان احدهما
بشير والاخر نذير وهما من جهينة فلذلك جا القول • وعند جهينة الخبر اليقين ٥
واخذوا من مكان قريب لانهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه
قال صاحب الكشاف ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد
بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه واخذوا عطف على
فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم • وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا
قوله تعالى وقالوا امنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد • وقد كفروا به من قبل
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد • وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا
في شك مريب ٥ وقالوا اي كفار مكة حين عاينوا العذاب في الدنيا او في الاخرة وقت الياس
امنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم لوروده في قوله ما بصاحبكم من جنة واني من اين لهم التناول
تناول سهل بشي قريب • اي من اين لهم تناول التوبة وقيل ما يتمنون • ابن عباس يتمنون الرد وليس
بحين رد وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين
ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشي من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع

تناولا سهلا لا تعب فيه • قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وخلف التناوش بالمد والهمز الواو
المضمومة كما همزت في اجوه وادور • وعن ابي عمرو التناوش بالهمزة التناول من بعد من قولهم
ناشت اذا ابطات واخرت • قال الشاعر •
• تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور ٥ •
والباقون بغير همز من التناول يقال نشته نوشا اذا تناولته قال الراجز ••
• فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا •
وتناوش القوم في الحرب اذا تدانوا وناش بعضهم بعضا • وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه
وسلم من قبل اي من قبل نزول العذاب • ويقذفون بالغيب من مكان بعيد عطف على قد كفروا
على حكاية الحال الماضية اي ويرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بالغيب والظنون لا باليقين وهو
قولهم ساحر بل كاهن بل شاعر هذا قول مجاهد • وقال قتادة يعني يرجمون بالظن يقولون
لا بعث ولا جنة ولا نار • وقيل يعني كانوا يتكلمون بالغيب ويانون به من مكان بعيد
وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم
لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد
شي مما جاء به الشعر والسحر وابعد شي من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وحيل
بينهم • ابن عامر والكسائي وحيل بينهم وسيق الذين باشمام الضم للحا والسين • والباقون بالفتح وبين
ما يشتهون يعني الايمان والتوبة • وقيل ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار والفوز بالجنة
وقيل ما يشتهون من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا • كما فعل باشياعهم من كفرة الامم ومن
كان مذهبه مذهبهم من قبل حين لم ينفع ايمان الياس يعني الامم المهلكة وقيل اصحاب الفيلة انهم كانوا
في شك مريب مشكل من اريب في الليل كما تقول عجب عجيب • وقيل في شك موجب لصاحبه ما يريبه من
مكروه • قال صاحب الكشاف مريب اما من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب
الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب في الاول منقول
ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب في الثاني منقول من الشك الى الشك ٥ •
كما تقول شعر شاعر ٥ • والله اعلم بالصواب ٥ واليه المرجع والماب • والحمد لله وحده •

سورة فاطر مكية

• وهي ثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا • وسبعمائة وسبعة وتسعون كلمة وست واربعون اية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا
اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شي قدير ٥ فاطر السموات
مبتدئها ومبتدعها • عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم
الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها • جاعل الملائكة رسلا برسلهم الى الانبياء والى
ما شا من الامور اولي اجنحة اي اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة ومعنى ان من الملائكة
خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة
اربعة يزيد في الخلق ما يشا • ابن عباس يزيد في خلق الملائكة الاجنحة • الحسن ومقاتل يزيد في
الاجنحة ما يشا • قال صاحب الكشاف يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته ٥
وحكمته • والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك

اقوي للطيران واعون عليه ٥ فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه
فما صورة الثلاثة ٥ قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمده بقوة او لعله
لغير الطيران ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام له ستماية جناح ٥
ابن شهاب يزيد في الخلق ما يشا حسن الصوت ٥ وقيل الوجه الحسن والشعر الحسن ٥ وقيل الخط
الحسن قتادة الملاحة في العينين ٥ والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال
صورة وتمام في الاعضا وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراة في القلب ٥
وسماحة في النفس وطلاقة في اللسان ٥ ولباقة في التكلم وحسن تات في مزاولة الامور وما
اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ٥ **قوله تعالى** ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ٥ لما بين كمال القدرة ونفوذ المشية ونفاذ
الامر قال ما يفتح الله للناس من رحمة نعمة فلا ممسك لها لا يستطيع احد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من
بعده استعير الفتح للاطلاق والارسال شامل قوله فلا مرسل له من بعد مكان لا فاتح له يعني
اي شي يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمايه التي لا
يحاط بعددها وتنكير رحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد
يقدر على امساكها وحبسها واي شي يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه والضمير في لها وله راجع الى
الحالين الى ما المتضمن معنى الشرط وهما لغتان الحمل على المعنى كما في لها وعلى اللفظ كما في له والمتكلم
على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث ٥ ولان الاول
فسر بالرحمة حسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير ويحتمل ان يكون تفسير
الثاني مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه
ورحمته ٥ وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه
كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد هدايه ٥ وقوله فباي حديث بعده يومنون بعد اياته
وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك كما يشا ٥
قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فاني توفكون ٥ وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الا(مور)
لما بين ان الحمد لله ٥ وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال
فامرهم بذكرها وليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط بل به وبالقلب وحفظها عن الكفران
وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله تعالى
ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم ٥
والناس يتخطفون من حولكم ٥ وعنه نعمة الله العافية هل من خالق غير الله ٥ قرا حمزة والكسائي غير
بالخفض على الوصف لفظا والباقون بالرفع على الوصف محلا ٥ ونعمة الله على الناس مع كثرتها على قسمين
نعمة الايجاد فقوله هل من خالق اشارة اليها ونعمة الابقا فقوله يرزقكم اشارة اليها ثم بين انه لا اله
الا هو لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال تعالى فاني توفكون اي كيف تصرفون عن الظاهر فكيف
تشركون المنحوت بمن له الملكوت وهذه الاية حجة على القدرية لانه تعالى نفى خالقا غيره وهم يثبتون معه
خالقين كثيرين ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا
اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا
له او جعلته كلاما مبتديا بعد قوله هل من خالق غير الله تقديره هل من يرزقكم من خالق غير الله يرزقكم

فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله ٥ قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدا وهو
الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة ٥ واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد
فيهما بالرزق من السما والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من
السما المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث
ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم تساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو
ذهبت بقولك ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فاني توفكون ٥ فمن اي وجه تصرفون عن التو(حيد)
الى الشرك ٥ وان يكذبوك لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة
فنعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان له في
الانبيا قبله اسوة ٥ ثم جا بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المصدق
بالثواب والمكذب بالعقاب **قوله تعالى** يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد ٥ والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والبعث والجزا والثواب والعقاب
حق صدق كاين لا خلف فيه فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الحياة الدنيا والبقا فيها ولا يذهلنكم التمتع بها
والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة فانها عن قريب زايلة ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان يمنيكم المغفرة
مع الاصرار على المعصية ويقولون لكم اعملوا ما شيتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة
ان الشيطان لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار ٥ وقال ان الشيطا(ن)
لكم عدو ويسعى طاقته في فسادكم ولا يسره صلاحكم اخبرنا الله تعالى ان الشيطان لنا عدو مبين ٥ واقتص
علينا قصته وما فعل بابينا ادم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده
ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو
اعرق في العداوة منه وانتم تعاملوه معاملة من لا علم بحاله فاتخذوه عدوا فعاملوه معاملة الاعدا
ولا تطيعوه ولا تقبلوا قوله في عقايدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته
في سركم وجهركم انما يدعوا حزبه اي غرضه من دعايه اياهم ان يكونوا من اصحاب السعير ٥ ثم انه تعالى لخص
سرامره وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يوم به دعوة حزبه وشيعته ومبتغى خطواته هو ان يوردهم
موارد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ٥ الذين كفروا ثم كشف الغطا وقشر اللحا ليقطع
الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد ٥ والذين امنوا وعملوا الصا(لحات)
لهم مغفرة واجر كبير اي من اجاب الشيطان حين دعاه وكفر بالله فله عذاب شديد لانه صار من حزبه
والذين امنوا وعملوا الصالحات فلم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير في الجنة
قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ٥ لما بين حال الذين كفروا وحال الذين امنوا وعملوا
الصالحات وما من احد يعترف انه يعمل السيات الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد
هو الذي يتبع الشيطان وهو محمد وقومه الذين اشبهوا بهم الجن فاتبعوها والذي له الاجر العظيم نحن الذي
كنا على ما كان عليه اباونا قال تعالى لنبيه افمن زين له سوء عمله وموه عليه وحسن له سوء عمله اي قبيحه
فراه حسنا اي زين له ذلك الشيطان بالوسواس ونفسه بميله الى الشهوة وترك النظر في الحجة المودية
الى الحق وخلق الله ذلك في قلبه كمن لم يزين له سوء عمله وراى الحق حقا والباطل باطلا فيكون المشبه به ٥

محذوف نظيره قوله افمن هو قائم على كل نفس ﴿ وقوله امن هو قانت اناء الليل ﴿ ونحوهما فان الله يضل نكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ وقيل معناه افمن زين له سوء عمله فاضله الله تعالى كمن هداه دليله قوله تعالى فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ وقيل جوابه تحت قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فيكون معناه افمن زين له سوء عمله فاضله الله ذهب نفسك عليه حسرة اي تتحسر عليه دليله قوله تعالى فان الله يضل من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقيل فيه تقديم وتاخير مجازه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ومعنى الاية لا تغتم بكفرهم وهلاكهم اذ لم يومنوا نظيره قوله تعالى فلعلك باخع نفسك حسرات مفعول له يعني ولا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ﴿ وقيل عليهم بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق عليهم بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على صنعهم قيل هم اليهود عاندوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقيل هو ابليس وسوء عمله اغواؤه ﴿ وقيل نزلت في العاص بن وايل والاسود بن المطلب ﴿ وقيل في ابي جهل **قوله تعالى** والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴿ اسند الارسال والسوق الى الله تعالى على وجه الحقيقة واسند الاثارة الى الرياح وذكرها بلفظ المضارع اما اسناد الارسال والسوق الى الله تعالى على وجه الحقيقة ﴿ واما ذكرهما بلفظ الماضي فلان ما اخبر الله تعالى بوقوعه بمثابة الكاين الواقع ﴿ واما اسناد الاثارة الى الرياح فللملابسة واما ذكرها بلفظ المضارع فليحكي الحال التي يقع فيها اثارة الرياح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية ﴿ وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال سيتغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا ﴿

﴿ باني قد لقيت الغول تهوي ﴿ بسهب كالصحيفة صحصحان ﴿

﴿ فاضربها بلا دهش فخرت ﴿ صريعا لليدين وللجران ﴿

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة ﴿ وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه كذلك الكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات ﴿ روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قالوا نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه ﴿ وقيل يحيي الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق ﴿ **قوله تعالى** من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿ والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو يبور كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ﴿ فبين ان لا عزة الا لله ولاوليايه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين فرد الله تعالى عليهم بقوله من كان يريد العزة اي من اراد ان يعلم لمن العزة بالحقيقة فان العزة لله ومن اراد ان يكون في الدارين عزيزا فليطع الله فان العزة لله جميعا

وقيل

وقيل معناه من كان يريد العزة فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشي لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ﴿ ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ﴿ ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اليه اي الى الله تعالى ومعناه الى محل القبول والى حيث لا يملك فيه الحكم الا الله عز وجل وهو كما تقول ارتفع امرهم الى القاضي يصعد الكلم الطيب يعني لا اله الا الله وكلا ذكر من ذكر الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب ﴿ والعمل الصالح يرفعه قال هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها ملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل فاذا لم يكن معه عمل صالح لم يقبل منه والعمل الصالح يرفعه اي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فلا يقبل القول الا بالعمل الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر لا اله الا الله والعمل الصالح اداء فرايضه فمن ذكر الله تعالى ولم يود فرايضه رد اليه كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته العمل فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بان الله عز وجل يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ودليل هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله قولا بلا عمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية وجاء في الخبر طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وفي هذا المعنى يقول الشاعر ﴿﴿ شعر

﴿ لا ترض من رجل حلاوة قوله ﴿ حتى يصدق ما يقول فعال ﴿

﴿ فاذا وزنت مقاله بفعاله ﴿ فتوازنا فاخاء ذاك جمال ﴿

ابن المقفع ﴿ قول بلا عمل كثريد بلا دسم ﴿ وسحاب بلا مطر ﴿ وقوس بلا وتر ﴿ وقيل معنى يرفعه يجعله رفيعا ذا قدر ورفعة كما تقول ثوب رفيع ومرتفع ﴿ وقيل العمل الصالح الخالص ﴿ يعني ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والاعمال ﴿ قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي خالصا ثم قال ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والريا ﴿ وقيل معناه الكلم الطيب يرفع العمل فلا يرفع ولا يقبل عمل الا ان يكون صادرا عن التوحيد ﴿ وقيل معناه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الله والذين يمكرون يعملون السيات ﴿ قال صاحب الكشاف فان قلت فعل مكر غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فيم نصب السيات ﴿ قلت هي صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيات او اصناف المكر السيات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الراي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته ﴿ او قتله ﴿ او اخراجه ﴿ كما حكى الله تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك لهم عذاب شديد دايم في الاخرة ومكر اوليك اي الذين يمكرون السيات اي مكر اوليك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد ﴿ وقيل يضيع دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴿ وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله **قوله تعالى** والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ﴿ لما ذكر دلايل الايات من السموات وما يرسل فيها من الملايكة ﴿ والارض وما يرسل فيها من الرياح ﴿ شرع في دلايل الانفس

خ

قال عبد الله بن مسعود اذا حدثناكم حديثا اتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده الحمد لله لا اله الا الله والله اكبر تبارك الله اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن حتى يحيى بهن وجه الرحمن عز وجل ثم قرا عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال كعب الاحبار ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزاين رواه ... باسناد صحيح الى كعب الاحبار رحمه الله

اصفهاني مختصرا

ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا قتادة زوج بعضكم بعضا
قيل ثم لترتيب الاخبار وقيل ثم قدر خلقكم من نطفة ثم لم يكن خلقكم الا بالتزوج فجعلكم ازواجا وما
تحمل من انثى اي ولد في بطنها ولا تضع الا بعلمه تعالى في موضع الحال اي الا معلومة له قال
الامام اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم
حاله احد كيف هو والام الحاملة لا تعلم منه شيئا وما يعمر من معمر يمد في عمر معمر فيبلغ الهرم والكبر
ولا ينقص من عمره الا في كتاب يميته قبل الهرم والكبر قال صاحب الكشاف فان قلت
ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وانما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه
فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير
وخلافه فمحال فكيف يصح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه
ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة
الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا
بحق وما تنعمت بلد ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان
ولا ينقص الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة
وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز
به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال
الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر
وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي
على آخره قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة الا في كتاب
ابن عباس في لوح محفوظ ويجوز ان يراد بالكتاب علم الله او صحيفة الانسان **قوله تعالى**
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير اكثر المفسرين على ان المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والايمان
والكافر والمؤمن وما يستوي البحران هذا عذب فرات طيب اعذب العذب سائغ مريء سهل الانحدار
لعذوبته هني شرابه وهذا ملح اجاج يحرق بملوحته قال صاحب الكشاف ثم قال على سبيل
الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من عطاياه ونعمه ومن كل واحد من البحرين تأكلون لحما طريا
شهيا يعني السمك وتستخرجون من الملح دون العذب حلية يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل يخرج
اللؤلؤ منهما لان في البحر عيونا عذبة يخرج اللؤلؤ عند التمازج وتنعقد وقيل تنعقد من ماء السماء
وقيل لا بد من عيون الملح والعذب حتى يمكن اخراجها وقيل انها يخرجان من العذب تلبسونها
تتخذ نساؤكم منها ملابس وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء
ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن التي اشتق منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن

الماء كانها تقشره كما تمخره وقيل وترى الفلك فيه معه اخر جواري مقاتل هو ان ترى سفينتين
احدهما مقبلة والاخرى مدبرة وهذه تستقبل تلك وتلك تستدبر هذه تجريان بريح واحدة لتبتغوا
من فضل الله ولم يجر لله ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم
تشكرون على فضله اذا انجاكم من هوله قال صاحب الكشاف ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع
من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم مبتدأ الله ربكم له الملك اخبار مترادفة وقيل الله ربكم
خبران له الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من
لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقيل يجوز في حكم الاعراب ايقاع الله صفة لاسم
الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه ان تدعوهم اي الذين تدعون من دونه
يعني اسم الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون
ما تدعون لهم من الالهية فانه لا لسان لهم وقيل معناه ما اجابوكم الى ملتمسكم وقيل
ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم يتبرؤن منكم ومن عبادتكم حين يخلق لها لسانا ولسانا
وقيل يعني الملائكة يتبرؤن منكم ويقولون بل كانوا يعبدون الجن وقيل ما يظهر من الاصنام
ما يدل على بطلان كلام الكفار بمنزلة النطق منها بالبراءة كما نال دلالتها على التوحيد تسبيحها ولا
ينبئك ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد به ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين له والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير
بما اخبرت به **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز لما كثر دعاء النبي عليه السلام الى الاسلام
واصرار الكفار على الكفر والامتناع قالوا لعل الله يحتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها وهددنا
على تركها تهديدا شديدا فقال يا ايها الناس انتم الفقراء انتم مبتدأ والفقراء خبره وانما عرف الخبر
مع ان اصله التنكير لانه قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت
الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقر اضعف
كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء الى الله في الدنيا ليرزقكم وفي
الآخرة ليغفر لكم والله هو الغني عن خلقه الحميد لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني
نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد
ليدل على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على
السنة مؤمنيهم ان يشأ يذهبكم بيان لغناه اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيئته فانه غير محتاج الى ابقائكم
ويأت بخلق جديد زيادة بيان لغناه اي ان كان يتوهم متوهم ان ابقاء الخلائق لكمال الملك وعظمته
فلو اذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمله واتم
واكمل ثم قال وما ذلك الاتيان والاذهاب على الله بعزيز ممتنع قيل وهذا تهديد على كفار مكة
وغضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته وجفاهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم

وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا ۞ **قوله تعالى** ولا تزر وازرة وزر
اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ۞ لما بين الحق بالدلائل القاطعة والبراهين
الساطعة وذكر ما يدعوهم الى النظر فيه قال لا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس ذنب نفس فالنبي
صلى الله عليه وسلم لو كان يأتي بما في دعائه لكان مذنبا وهو معتقد انكم لا تحملون ذنبه فهو يبين في
دعوته والله تعالى غني عن عبادتكم فتفكروا واعلموا ان ضلالكم لا يحمل احد وزركم وليس كما يقول الكافر
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الوزر الاثم والثقل والوازرة صفة للنفس والمعنى لا تحمل نفس اثمة اثم
نفس اخرى فان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها التي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ
جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار ۞ قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل ولا تزر
نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة
وزرها لا وزر غيرها ۞ سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم فقال ولا تزر وازرة وزر اخرى طوعا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم كرها
وقيل قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم في المضلين الضالين وانهم يحملون اثقال
الاضلال مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم اثقالهم هي اثقال ضلالهم
واثقالا مع اثقالهم اثقال اضلالهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل
اثقالكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وان تدع نفس مثقلة بذنوبها غيرها الى حمل اوزارها
لا يحمل منه شيء وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى تدل على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ
نفس بغير ذنبها وقوله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء يدل على انه لا غياث يومئذ لمن استغاث
من الكفار حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض حملها لم تجب ولم تغث ولو كان ذا قربى
وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ام او ولد او اخ والمدعو وان لم يكن له ذكر لكن يدل عليه وان
تدع مثقلة وانما لم يذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو واستقام اضمار العام وان لم يصح ان يكون العام
ذا قربى للمثقلة لانه من العموم الكائن على البدل انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او
المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه
صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله سرا واقاموا
الذين اقاموا الصلوة اداموها في مواقيتها الخمسة وغاير بين اللفظين بمضارعة الاول ومضي الثاني
لان اوقات الخشية دائمة واوقات الصلوة معينة منقضية يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من
قومك على تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى تطهر من دنس المعاصي
بالاعمال الصالحة فانما يتزكى لنفسه لان ثواب ذلك له وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة
لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب ووعيد للمشركين بالعقاب ۞ قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشأ
يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم
ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم ۞ **قوله تعالى** وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما
انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت

الذين

الذين كفروا فكيف كان نكير ۞ لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلا
بالبصير والاعمى فالمؤمن بصير حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى ۞ والظلمات والنور والظل والحرور
مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل الذين دخلوا
في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم يكون بالنهار
والحرور يكون بالليل والنهار قيل بالليل ۞ قال صاحب الكشاف فان قلت لا المقرونة
بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي فان قلت
هل من فرق بين هذه الواوات ۞ قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها ضمت وترا الى وتر
وقيل وما يستوي الاعمى والبصير يعني العالم والجاهل ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان
ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وما يستوي الاحياء ولا الاموات يعني المؤمنين والكفار
قيل الفائدة في تكثير الامثلة هاهنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمات والنور والظل
والحرور والاحياء والاموات ان المؤمن بصير والكافر اعمى ثم البصير وان حد البصر ولكن
لا يبصر شيئا ان لم يكن في ضوء فذكر الايمان والكفر مثلا فقال الايمان نور والمؤمن بصير والبصير
لا يخفى عليه النور ۞ والكفر ظلمة والكافر اعمى فله ظلمات بعضها فوق بعض ثم ذكر مثالهما ومرجعهما
مثلا وهو الظل والحرور فالمؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حرور ۞ ثم قال
تعالى وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثلا اخر في حق المؤمن والكافر فوق الاعمى والبصير
فان الاعمى يشارك البصير في ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت
ويدل على ما ذكرنا انه اعاد الفعل حيث قال اولا وما يستوي الاعمى والبصير وعطف الظلمات
والنور والظل والحرور ثم اعاد الفعل وقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات وكرر كلمة النفي بين
بين الظلمات والنور وبين الظل والحرور وبين الاحياء والاموات ولم تكرر بين الاعمى والبصير
وذلك لان التكرير للتأكيد والمنافاة بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة فالظلمة
تنافي النور وتضاده والعمى والبصر كذلك ۞ واما الاعمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد
قد يكون بصيرا فهو بعينه يصير اعمى فالاعمى والبصير لا منافاة بينهما الا من حيث الوصف والظل
والحرور بينهما منافاة ذاتية لان المراد من الظل عدم الحر ولما كانت المنافاة بينهما اتم اكد
بتكرار النفي واما الاحياء والاموات وان كان كالاعمى والبصير من حيث ان الجسم الواحد يكون حيا
محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت لكن الاعمى والبصير يشتركان في ادراك ما ولا كذلك
الحي والميت وقدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخر في مثلين وهو البصر والنور
وذلك لان الكفار قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقتهم
كالظلمة ثم لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق فاهتدى به منهم قوم صاروا بصيرين وطريقهم
كالنور وقال وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعد الى الايمان فلما كان الكفر
قبل الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المؤمن قدم المتقدم ثم لما ذكر المآل والمرجع
قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تعالى سبقت
رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك
الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الاحياء اي المؤمنين الذين امنوا بما انزل الله والاموات
الذين تليت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد ايمان من امن فاخرهم عن المؤمنين
قابل الاعمى بالبصير والظل بالحرور بلفظ الواحد وقابل الاحياء والاموات بلفظ الجمع فيهما وقابل الظلمات

بلفظ الجمع بالنور بلفظ الواحد لانه في الاعمى والبصير والظل والحرور قابل الجنس بالجنس
ولم يتعرض للافراد لان في العميان واولي الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين يساوي فردا
من الجنس الاخر كالبصير الغريب في موضع والاعمى الذي يرسخ في ذلك الموضع قد يقدر الاعمى
على الوصول الى مقصد ولا يقدر البصير اليه اذ قد يكون الاعمى عنده من الادراك ما يساوي به البليد
البصير فالتفاوت بينهما في الجنسين مقطوع به فان جنس البصير خير من جنس الاعمى واما الاحياء
والاموات فالتفاوت بينهما اذ ذاك ما من ميت مساوي في الادراك حيا من الاحيا فذكر ان الاحيا
لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد بالفرد واما الظلمات والنور فالحق واحد
وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما ذكر ان البعض يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم
الاصنام التي على صور الملائكة الى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد
ان الله يسمع من يشا فيهديه الى الايمان ولا يسمع من يشا ان لا يسمع فيضله فالكل بمشيته تعالى وهذا
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فانه لما بين له انه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال هولا لا يسمعهم الا الله تعالى
فانه يسمع من يشا ولو كان صخرة صما وما انت بمسمع من في القبور فما عليك من حسابهم من شي ان انت
الا نذير بين انك لست بمدبر امر تلقا نفسك انما انت نذير باذن الله وارساله انا ارسلناك بالحق
حال من احد الضميرين يعني محقين او محقا او صفة للمصدر اي رسلا مصحوبا بالحق او صفة لبشير ونذير
على معنى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ثم قال وان من امة الا خلا فيها نذير حيث
يعلم ان غيرهم كان في النذارة مثله محمد الا ذي القوم وقيل نذيرا منهم يبلغهم والمراد بالامة اهل
العصر وفي الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما اثار النذارة باقية واذا كانت اثارة
النذارة باقية لم يخل من نذير الى ان يندرس وحين اندرس اثار نذارة عيسى لبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم ولما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية
على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات بالشواهد على صحة النبوة
وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشيا
في جنس الرسل اسند المجي بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي الزبر والكتاب وفيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا بانواع العذاب فكيف كان انكاري
بالعقوبة **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك
انما يخشى الله من عباده العلما ان الله عزيز غفور هذا استدلال بدليل اخر على وحدانيته وقدرته
ذكر على طريقة الاستخبار وما تقدم وهو قوله والله الذي ارسل الرياح على طريقة الاخبار الم تر ان
الله انزل من السما ما فاخرجنا به بالما ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين
والعنب وغيرها مما لا يحصر وقيل الوانها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال اي ومما خلقنا
من الجبال جدد خطط وطرائق واحدها جدة نحو مدة ومدد يقال جدة الحمار للخطة السودا على ظهره
وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
معطوف على بيض كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب عكرمة
هي الجبال الطوال السود قال صاحب الكشاف فان قلت الغربيب تاكيد الاسود يقال اسود
غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون

الذي يعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمومن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن
الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانها
كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض
مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال وتمام الكلام ها هنا اي ومن هذه الاشيا مختلف الوانه
كاختلاف الثمرات ثم ابتدا فقال انما يخشى الله من عباده العلما الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف
الله فيخشاه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لانه تعالى قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم فبين
ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل نعم العالم اذا ترك
العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم لعمل وقيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانه ظهر من ابي بكر خوف حتى عرف فيه وكلم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانزل
الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلما وفي الحديث اعلمهم بالله اشدهم له خشية مسروق كفى
بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعمله اتى رجل الشعبي فقال افتني ايها العالم فقال الشعبي
انما العالم من خشي الله وتقديم المفعول في هذا الكلام يفيد ان الذين يخشون الله من بين عباده هم
العلما دون غيرهم اما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله فانه لما قال الم تر فانه بمعنى الم تعلم ان الله انزل من
السما ما وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه وما خلق الله من الفطر المختلفة الاجناس وما
يستدل به عليه وعلى صفاته اتبعه انما يخشى الله من عباده العلما كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك
ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي عليه السلام انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم
ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية الدالة على عقوبة المشركين وقهرهم واثابة المومنين والعفو عنهم
والمعاقب المثيب حقه ان يخشى **قوله تعالى** ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور
شكور لما بين العلما وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه ان
الذين يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم ودابهم وعن مطرف هي اية القرا وعن الكلبي
ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم وعن عطا هم المومنون واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية روي
انه قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لي لا احب الموت قال الك مال قال
نعم قال فقدمه قال لا استطيع قال فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره
احب ان يتاخر معه يرجون خبر ان تجارة طلب ثواب بالطاعة ليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة
ينتفي عنه الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عند الله اجورهم وهي ما يستحقونه من الثواب ويزيدهم
من فضله متعلق بقوله ليوفيهم اي ليوفيهم اجورهم من فضله لا باستحقاقه ويزيدهم وقيل يجوز ان يجعل يرجون
في موضع الحال على معنى وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق
في سبيل الله ليوفيهم اجورهم من فضله ويزيدهم من فضله وخبر ان الذين يتلون انه غفور شكور على معنى
انه غفور لهم شكور لاعمالهم اي مثبت لاعمالهم **قوله تعالى** والذي اوحينا اليك من الكتاب
هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير لما بين الاصل الاول الذي هو التوحيد
بانواع الدلائل من قوله الله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل
ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة قال والذي اوحينا اليك من الكتاب اي القران وحينئذ يكون من للتبيين

فالناس منهم بربر وحبش وطماطم في غاية السواد وصقالبة وروم في غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى في الاية الاخرى واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ابن كثير

وقال سفيان الثوري عن ابي حيان عن رجل قال كان يقال العلماء ثلثة عالم بالله وعالم بامر الله وعالم بالله ليس بعالم بامر الله وعالم بامر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبامر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض والعالم بالله ليس بعالم بامر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض والعالم بامر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل ابن كثير

او الكتاب الجنس وحينيذ يكون من للتبعيض هو الحق مصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق اي موافقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب • وقيل يحل ما تقدمه من الكتب صادقه لان فيها الوعد به • وقيل مصدقا باعجازه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعباده لخبير بصير ٥ **قوله تعالى** ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو ولباسهم فيها حرير • وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ٥ اتفق المفسرون على ان المراد من الكتب القران والذين اصطفينا من عبادنا الذين اخذوا بالكتب وهم المومنون والظالم والمقتصد ٥ والسابق كلهم منه • وقيل معناه انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثنا وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله تعالى الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهدا على الناس واختصهم بكرامة الانتما الى افضل رسول الله وحمل الكتاب الذي ٥ هو افضل كتب الله تعالى ثم قسمهم الى الظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيا وسابق من السابقين وقيل انه تعالى قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاوهم بالبينات والزبر والكتب المنير • ثم قال ان الذين يتلون كتب الله فاثني على التالين لكتبه العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من ساير الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اوليك المذكورين يريد بالذين اصطفينا من عبادنا اهل الملة الحنيفية قيل ثم مردود الى ما قبله من كتب الله في قوله لما بين يديه اي قبله من الكتب السالفة اي انزلنا تلك الكتب ثم اورثنا هذا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز ان يكون ثم بمعنى الواو اي واورثنا كقوله ثم كان من الذين امنوا اي وكان ومعنى اورثنا اعطينا لان الميراث عطا وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه تاخر عن الميت • ومعناه اخرنا القران من الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له • وفي هذه اكرامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم اورثنا وقال لساير الامم ورثوا الكتاب الاية يعني القران الذين اصطفينا من ٥ عبادنا وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ثلاث طبقات ورتبهم على ثلاث درجات فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه • قيد اللفظ وعلق الظلم بالنفس فلذلك ساغ ان يكون من اهل الاصطفا مع ظلمه فان قيل ما وجه الحكمة في تقدم الظالم وتاخير السابق وانما يقدم الافضل • فالجواب عنه ان يقول انما اخر السابق ليكون اقرب الى الجنات والثواب • وكما قدم الصوامع والبيع في سورة الحج على المساجد التي هي افضل بقاع الارض لتكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب وتكون المساجد اقرب الى ذكر الله تعالى ٥ ومنهم من قال انما فعل ذلك لان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشيا بالذكر قدموا الادنى على الافضل كقوله تعالى ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم • وقال يولج الليل في النهار • وقال يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور • وقال تعالى خلق الموت والحياة • وقيل قدم الظالم ليلا ييس من رحمته واخر السابق ليلا يعجب بعمله ٥ وقال جعفر الصادق رضي الله عنه بدا بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه بصرف كرمه وان الظلم لا يورث في الاصطفاية • ثم ثنا بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين ليلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص • وقيل قدم الظالم لانه لم يكن له شي يتكل عليه الا رحمة الله تعالى فاعتمد على الله واتكل على رحمته • واتكل المقتصد على حسن ظنه بربه واتكل

السابق على حسناته وطاعاته • محمد بن علي الترمذي الاصطفا اوجب الارث لا الارث اوجب الاصطفا والاصطفا جمع بين الظالم والمقتصد والسابق والظالم بنفسه على الظاهر سابق في ميدان الاصطفا لذلك قدمه وازال العلل عن العطايا قيل صح النسبة ثم اجع في الميراث • ابو بكر الوراق انما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان للاحوال ثلاث معصية وغفلة • ثم توبة وقربة • فاذا عصى ٥ دخل في حيز الظالمين • واذا تاب دخل في جملة المقتصدين • واذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة اتصل بالله ودخل في عداد السابقين • عن ابي الدردا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الاية • فقال اما السابق فيدخل الجنة بغير حساب • واما المقتصد ٥ فيحاسب حسابا يسيرا • واما الظالم لنفسه فيحبسون في المقام اي المحشر ثم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه تلا هذه الايات ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية فقال سابقنا اهل جهادنا ومقتصدنا اهل حضرنا وظالمنا اهل بدونا سيلت عايشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قالت كلهم في الجنة • اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله • واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم جعلت نفسها مع السائلين • مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم • قتاده تجدوا في الدنيا على ثلاثة منازل وعند الموت ايضا قال الله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة الى قوله المقربون • ابن عباس السابق المومن المخلص والمقتصد المراي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها عايشة رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن • وقيل الظالم لنفسه الذي مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذي لم يصب كبيرة والسابق بالخيرات الذي لم يعص الله والتايب من الذنب كمن لا ذنب له • الحسن السابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسياته • والظالم الذي ترجح سياته على حسناته • سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل • وعنه ايضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاده ومعاشه والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده • وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى وقيل الظالم المسلم والمقتصد المومن والسابق المحسن • وقيل الظالم المراي في جميع افعاله والمقتصد من تكون اعماله بعضها رياء وبعضها اخلاصا والسابق المخلص في افعاله كلها • وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا كان او حراما والمقتصد من يجتهد في طلب الحلال والسابق الذي يترك الدنيا جملة واعرض عنها ابو عثمان الحيري الظالم من وحد الله بلسانه واطاعه بجوارحه واخلص له عمله • وقيل السابقون الاولون هم المهاجرون الاولون والمقتصدون عامة الصحابة والظالمون التابعون • ابن عطا الظالم الذي يحبه من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى • والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلبا ولا مرادا لغلبة سلطان الحق عليه • وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظواهره • وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار • والمقتصد الذي يعبده طمعا للجنة والسابق الذي يعبده له لا لسبب • وقيل الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب • وقيل الظالم الذي يجزع عند البلا • والمقتصد الذي يصبر على البلاء

والسابق الذي يتلذذ بالبلا وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده
على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة ورؤية المنة وقيل الظالم الذي اعطي
فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وقيل الظالم غافل والمقتصد
طالب والسابق واجد وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من
استغنى بربه وقيل الظالم التالي للقران والمقتصد القاري له العالم به والسابق القاري
لكتاب الله العالم بكتاب الله العامل به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تاذين المؤذن والمقتصد
الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيم وقيل الظالم الذي يحب نفسه
والمقتصد الذي يحب ربه والسابق الذي يحبه ربه وقيل الظالم مريد والمقتصد مراد والسابق
مطلوب وقيل الظالم مدعو والمقتصد ماذون له والسابق مقرب وقيل الظالم عيوف
والمقتصد الوقف والسابق حليف ابن حبيب الظالم ينتصف ولا ينصف والمقتصد ينصف
وينتصف والسابق ينصف ولا ينتصف ذو النون المصري الظالم الذي يذكر الله بلسانه
والمقتصد الذي يذكر بقلبه والسابق الذي لا ينسى ربه الانطاكي الظالم صاحب الاقوال
والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال ذلك الاصطفا وقيل السبق هو الفضل
الكبير جنات عدن رفع الابتدا يدخلونها خبر وضمير الفاعل يعود الى الثلاثة وقيل يعود على الذين
اصطفينا وقيل المقتصد والسابق فمن جعل الظالم الكافر وقيل الى السابق وحده لان ذلك معلوم
قطعا قرا ابو عمرو يدخلونها بضم اليا وفتح الخا والباقون بفتح اليا وضم الخا جمعهم الله في دخول الجنة
عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم ظالم لنفسه الاية قال كلهم في الجنة عن ابي عثمان
الزهري قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا الاية فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق
بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو
الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن
الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح
المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا
سابق الحديث فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما
يتوب عليهم ولقد نطق القران بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه
بالخدع ومعنى باذن الله بتيسير الله وتسهيله فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق
قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من
القليل يحلون فيها من حليت المراة فهي حال ولولوا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي
يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لساير الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل
ان ذلك الذهب في صفا اللولو ولولوا بتخفيف الهمزة الاولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان
ادنى اهل الجنة حلية عدلت حليته حلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل افضل من حلية اهل
الدنيا جميعا وقالوا الحمد لله اي ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ابن عباس حزن الدنيا
عكرمة حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وقيل حزن الموت وقيل حزن الجنة والنار
لا يدري الى ايهما يصير الثمالي حزن ابليس ووسوسته دون حزن القطيعة الكلبي

الحزن الذي يحزننا في الدنيا من امر يوم القيامة وقيل حزن الحساب والعذاب وقيل حزن اهوال
الدنيا واحوالها وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة النصراباذي ما كان حزنهم
الا تدبيرا احوالهم وسياسة انفسهم فلما نجوا منها حمدوا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا
حتى هذا عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم
ولا في محشرهم ولا في نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة
بمعنى الاقامة فقال امت اقامة ومقامة لا نبرح منها ولا نفارقها من فضله لا باستحقاقنا ولا بالوجوب
عليه قال صاحب الكشاف من فضله من عطايه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفوا
وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وهذا كلام ساقط
مخالف للعقل والنقل لا يمسنا فيها نصب وجع وتعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال واعياء وفتور
عن الضحاك في قوله عز وجل الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال اذا دخل اهل الجنة الجنة استقبلهم
الولدان والخدم كانهم اللولو المكنون فيبعث الله ملكا من الملايكة معه هدية من رب العالمين وكسوة من
كسوة الجنة فيلبسه فيريد ان يدخل الجنة فيقول الملك كما انت فيقف ومعه عشر خواتيم من خواتيم الجنة
هدية من رب العالمين فيضعها في اصابعه مكتوب في اول خاتم منها طبتم فادخلوها خالدين وفي الثاني
مكتوب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود وفي الثالث مكتوب رفعت عنكم الاحزان والهموم
وفي الرابع مكتوب وزوجناكم الحور العين وفي الخامس مكتوب ادخلوها بسلام امنين وفي السادس مكتوب
اني جزيتهم اليوم بما صبروا وفي السابع مكتوب انهم هم الفايزون وفي الثامن مكتوب صرتم امنين لا تخافون
ابدا وفي التاسع مكتوب رافقتم النبيين والصديقين والشهدا وفي العاشر مكتوب في جوار من لا يؤذي
الجيران ثم يقول الملك ادخلوها بسلام امنين فلما دخلوا بيوتهم قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن الى قوله لغوب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير والذين كفروا لهم نار جهنم
لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا الا انهم ماتوا
موتة ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم كذلك مثل ذلك الجزا نجزي قرا ابو عمرو بضم اليا وفتح الزاي
ورفع كل على تسمية غير الفاعل والباقون بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب كل وهم يصطرخون يستغيثون
فيها ويدعون ويصيحون فيها افتعال من الصراخ ويقال للمغيث صارخ وللمستغيث ايضا صارخ والصراخ
الصياح بجهد وشدة كصرخة حبلى واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا يقولون ربنا اخرجنا
من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاين زيادة غير الذي كنا نعمل زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح
مع الاعتراف به واما وهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه فيضمحل بظهور حالهم في الكفر وارتكاب
الشرك وقيل انهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى يعني يجابون بقوله
اولم نعمركم زمانا يتذكر فيه من تذكر اي اطلنا اعماركم وجعلناها مدة يمكنكم التذكر فيها والاعتبار
قتادة والكلبي ثماني عشرة سنة الحسن اربعون سنة ابن عباس ستون سنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودي اين ابنا الستين وهو الذي قال الله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه

من تذكر ٥ وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر ستين سنة فقد اليه في
العمر وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك وقال
عليه السلام معترك منايا امتي ما بين الستين الى السبعين وما بينهما وان كل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح
شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وجاءكم النذير اي الرسول وقيل القرآن وقيل الشيب
وجاءكم النذير عطف على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير
فذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير يعينهم **قوله تعالى** ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور ٥ تقديره لا وام العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى قال وجزاء سيئة سيئة
مثلها ولا يزاد عليها فلو قال قايل الكافر ما كفر بالله الا ايام معدودة فكان لا ينبغي الا مثل ذلك الايام
فقال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه ما في الصدور ٥ وكان يعلم من الكافر ان في
قلبه يمكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبده انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا
علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها ٥ وقيل عليم بذات
الصدور فلا تضمروا فيها ما يكرهه سبحانه ٥ وقيل ان الله عليم بذات الصدور فلو اخرجكم لعدتم الى ما كنتم عليه لقوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **قوله تعالى** هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا تقرير لقطع حجتهم فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير
الذي كنا نعمل فقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اشارة الى ان التمكين والامهال مدة يمكن فيه
التذكير وجاءكم النذير اي اتيناكم عقولا وارسلنا اليكم رسولا يؤيد العقول بالدليل المنقول
زاد على ذلك بقوله وهو الذي جعلكم خلايف يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة يجمع خلايف والخليف
خلفاء والمعنى انه جعلكم خلايف في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح
لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ولا تكفروه ثم اوعد الكفار فقال فمن كفر منكم وغمط مثل
هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع اليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة
الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتا لكونه ممقوتا في كل قلب
وهو خطاب للناس ٥ وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت
من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا بغضا هو اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا تبارا وهلاكا وخسرانا
بالجنة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه
قال اخبروني عن هولاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا
بخلقه دون الله ام لهم شركة مع الله في خلق السموات والمعنى قل للمشركين ان خلقوا شيئا من الارض او من
السماء فاروني ام اتيناهم كتابا ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك
الكتاب وقيل الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم كتابا من قبله وقيل
ام انزلنا كتابا فيه ان لله شركاء وقيل اتيناهم كتابا بان الله لا يعذبهم بل ان يعد اي ما يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا وهو قولهم هولاء شفعاؤنا عند الله اي كفرهم عن تقليد محض ووعد كاذب **قوله
تعالى** ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا ٥ لما بين الله ان لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على جزء من الاجزاء بين ان الله تعالى قادر بقوله يمسك السموات

والارض

والارض ان تزولا ٥ ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل
على هذا قوله في اخر الاية ان الله كان حليما غفورا ٥ ما ترك تعذيبهم الا حلما منه والا كانوا يستحقون
اسقاط السماء وانطباق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات بقيامة الساعة حلما ويحتمل الاية وجها اخر
وهو ان يكون من باب التسليم واثبات المطلوب على تقدير التسليم على الشفاعة ولا عبادة لهم وهب
انهم فعلوا شيئا من الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم
كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم ٥ ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد
هذا قوله ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره
لم يخلق شيئا من الاشياء ٥ وان قالوا كفرنا بان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق ولا شريك له وكان الله حليما
غفورا حيث لم يعجل في اهلاكهم بعد اصرارهم على اشراكهم غفورا يغفر لمن تاب برحمته وان استحق العقاب
وعن عبد الله بن مسعود انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعب قال وما سمعته يقول
قال سمعت كعب يقول ان السماء تدور في قطبة مثل قطبة الرحا في عمود على منكب ملك فقال
له عبد الله وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب كعب ما ترك يهوديته بعد ان الله عز وجل يقول
ان الله يمسك السموات الاية ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لزالت **قوله تعالى**
واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا
نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد
لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان
الله كان بعباده بصيرا ٥ لما بلغ قريشا ان اهل الكتب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم والله لين اتانا رسولا لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم كذبوه فانزل الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
اي من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم ٥ وقيل ليكونن اهدى من الامة
التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا ٥ اي ما زادهم مجيء الرسول الا نفورا تباعدا عن الحق اسناد زاد الى مجيء
النذير اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا ٥ وقيل استكبارا منصوب على انه
مفعول له والمعنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض ٥ وقيل استكبارا حال يعني مستكبرين
ومكر السيء معطوف على استكبارا حال يعني مستكبرين ٥ ومكر السيء معطوف على استكبارا اي تكبروا عن الايمان ٥
ومكروا السيء في دفع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العمل القبيح وقيل هو اجماعهم على الشرك وقيل
السيء في دار الندوة وقيل هما مصدران ويجوز ان يكون مكر السيء معطوفا على نفورا ومكر السيء اصله
وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومعنى
يحيق يحيط وينزل ولقد حاق بهم يوم بدر فقتلوا وفي الحديث ان كعبا قال لابن عباس قرات في التوراة
من كفر حفرة وقع فيها قال ابن عباس انا وجدت ذلك في القران ولا يحيق المكر السيء الا باهله ٥ عن الزهري
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر
السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال الله تعالى

ولا تبغوا ص

وقال محمد بن كعب القرظي ثلث من فعلهن
لم ينج حتى ينزل به من مكر او بغى او نكث
وتصديقها في كتاب الله ولا يحيق المكر
السيء الا باهله [illegible]

ومن نكث فانما ينكث على نفسه • قرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع اليا والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق والباقون باشباع الحركة فهل ينظرون • يعني مشركي مكة الا سنة الاولين اي انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا اي ان عادة الله التي هي الانتقام ممن كذب الرسل لا يبدلها ولا يحولها اي ولا يغيرها وان ذلك الامر مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم • وقيل معناه اقرؤوا القران فتعرفوا ما حل بمن قبلكم وكانوا اشد منهم من اهل مكة قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من احد في السموات ولا في الارض انه كان عليما بهم قديرا عليهم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها قيل اراد بالدابة الناس دون غيرهم وقيل على العموم بشوم ذنوبهم • قال قتادة في هذه الاية قد فعل الله بهم ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك الله ما على ظهرها من دابة الا ما حمل في سفينة نوح وقال ابن مسعود كاد الجعل يعذب بذنب بني ادم وقيل يحبس عنهم المطر فيهلك كل شي ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى قيل الى يوم القيامة فاذا جاء اجلهم اي ذلك المعين فان الله كان بعباده بصيرا فيؤاخذهم ويجازيهم ويعد بالجزا والله اعلم

سورة يس عليه السلام

وهي ثلاثة الاف حرف وتسعماية وعشرون كلمة • وثلاثة وثمانون اية • وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شي قلبا وان قلب القران يس • وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في القران سورة يشفع قاريها ويغفر لمستمعها وهي يس • وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان من قرا سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ويصدق ذلك التجربة والله اعلم •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين • على صراط مستقيم قرا حمزة والكسائي بامالة اليا في يس غير مفرطين والجمهور بالفتح • ونافع وسط في ذلك عن سعيد بن جبير انه اسم من اسما محمد صلى الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين • ابن عباس معناه يا انسان بالحبشة وعنه ايضا بلغة طي وعطا بالسريانية ابو العالية يا رجل • والقران الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين جواب لقول الكفار لست مرسلا وهو خبر انك على صراط مستقيم خبر بعد خبر • وقيل صلة للمرسلين • قال صاحب الكشاف فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة • وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم • قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان فيه ذلك على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه •

قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم • لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون • قرا ابن عامر وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب على المصدر كانه قال نزل تنزيلا او على المدح اعني والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف يعني هو تنزيل العزيز الرحيم • لتنذر متعلق بالارسال اي ارسلت لتنذر قوما ما انذر اي لم تنذر اباؤهم في الفترة اي قوما غير منذر اباؤهم على الوصف • ونحو قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك • وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير • والمراد اباؤهم الاقربون فان اباءهم الابعدون اباؤهم المنذرون لا محاله وقيل ما موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على انه مفعول

ثان لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا • وقيل ما مصدرية اي لتنذر قوما انذار ابائهم فهم غافلون • فعلى النفي متعلق به اي لم ينذر اباؤهم فهم غافلون على ان عدم انذار ابائهم هو سبب غفلتهم وعلى الاثبات متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر فهم غافلون كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فهو غافل قال صاحب الكشاف فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الاي الاخر • قلت لا مناقضة لان الاي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم واباؤهم القدما من ولد اسماعيل وكانت النذارة فيهم • فان قلت ففي احد التفسيرين ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما يصنع به قلت اريد اباؤهم الادنون دون الاباعد • **قوله تعالى** لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون • لقد حق قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر وانهم ممن شا الله موتهم على الكفر • وقيل حق القول اي وجب السخط لانهم لا يؤمنون • وقيل حق القول كقوله حقت كلمة العذاب على اكثرهم لان بعضهم قد امنوا والذين حق القول عليهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون على ان عدم ايمانهم مسبب على تحقق القول عليهم **قوله تعالى** انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون • نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين • وذلك ان ابا جهل حلف لين راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه واخبرهم بما فعل سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال لو الله ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون مغلولون واصل الاقماح غض البصر ورفع الراس يقال بعير مقمح اذا رفع راسه وغض بصره قيل هذا على هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل انما اراد منعناهم عن الايمان وعن ما اراد والموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك • وفي الخبر ان ابا دويب كان يهوي امراة في الجاهلية فلما اسلم اتته المراة واسمها ام مالك فراودته عن نفسه فابا • وانشد يقول

> فليس كعهد الدار يا ام مالك • ولكن احاطت بالرقاب السلاسل •
> وعاد الفتى كالكهل ليس بقايل • سوى العدل شيا فاستراح العواذل •

اراد منعنا بموانع الاسلام عن تعاطي الزنا والفسق • عكرمة انا جعلنا في اعناقهم اغلالا يعني ظلمات وضلالات كانوا فيها • قال صاحب الكشاف مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوايهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون روسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله تعالى • قيل ان كل هذا بفعل الله ومشيته فهي الى الاذقان اي الاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها • وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطي راسه ويوطي قذاله فلا يزال مقمحا قال صاحب الكشاف فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي • قلت الوجه ما ذكرت ان الضمير للاغلال • والدليل عليه قوله فهم مقمحون • الا ترى كيف الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من

التعسف وترك الظاهر الذي يدعو المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل
اللجلج **قوله تعالى** وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وسوآء عليهم االنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قرا حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين في الحرفين
والباقون بالضم فيهما فاغشيناهم اي فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تبصر
الهدى قيل فاغشيناهم فاعميناهم مجاهد فالبسنا ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون الحق والرشاد
وسوآء عليهم االنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون **قوله تعالى** انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم انما ينفع انذارك لا انه ينذر الكل من اتبع الذكر اي القرآن
وخشي الرحمن بالغيب فبشره اجره بمغفرة واجر كريم اي الجنة قال صاحب الكشاف فان قلت
قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم نفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه النفية لو
كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان
معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية
بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشعون ربهم
قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين
لما بين الرسالة التي هي الاصل الثاني ذكر الحشر الذي هو الاصل الثالث وقيل لما ذكر الانذار والبشارة
ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرين والمبشرين وقيل
انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى ان نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم الحسن
احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم ما استن به
بعدهم نظيره قوله ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت
قيل وآثارهم ما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتب صنفوه او حبيس حبسوه او بنا بنوه من مسجد
او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم
وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها وقيل
هي آثار المشائين الى المساجد المغيرة بن شعبة والضحاك نزلت في بني عذرة كانت منازلهم بعيدة من
المسجد فشق عليهم حضور الصلوات فانزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني خطاهم الى المسجد جابر بن عبد
الله قال اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حول المسجد خالية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتانا
في ديارنا فقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا يا رسول الله بعد علينا المسجد
والبقاع حول المسجد خالية فقال يا بني سلمة دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا ان نكون بحضرة المسجد
لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال وعن انس وآثارهم الخطا يوم الجمعة وعن عمر بن عبد
العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح وكل شيء احصيناه علمناه وعددناه
وبيناه في امام مبين في لوح محفوظ **قوله تعالى** واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا
الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم
ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون واضرب لاجلهم مثلا وقيل واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا
اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية وعلى الاول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل
لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب القرية مرسلون وانذروهم لا انذرتكم وذكر التوحيد

وخوفوا

وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني يقول لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله
الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلا باس واضرب لنفسك مثلا اي مثل لهم عند
نفسك مثلا حيث جاءهم المرسلون ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت جئتهم واحدا وقومك
اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤوا قرية وانت بعثت الى العالم واضرب لهم مثلا مثل لهم مثلا من قولهم عندي من
هذا الضرب كذا من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل
اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه
بدل من اصحاب القرية انطاكية اذ جاءها المرسلون رسل عيسى الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق ارسل اليهم
رسولين من الحواريين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال
امعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب
فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك لنطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت
باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يقال له سلاحن
وقيل اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الاصنام فانهي الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما
قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المريض باذن الله قال
وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا اله سوى
الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك قال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما
في السوق وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرسولين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها
وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله عز وجل فغضب الملك وامر بهما فاخذا
وحبسا وجلد كل واحد مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان بعث عيسى عليه السلام راس الحواريين شمعون
الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به ورفعوا خبره الى
الملك فدعاه فرضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في
السجن وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال بيني وبين ذلك الغضب
قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من ارسلكما الى هاهنا
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك قال لهما شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى
جاؤوا بغلام مطموس العينين موضع العينين كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا
بندقتين من الطين فوضعتا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك
ان انت سالت الهك حتى يصنع صنعا مثل هذا فيكون الشرف لك ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك
سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل
بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه
على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان هاهنا ميتا مات منذ سبعة ايام
ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤوا بالميت وقد تغير واروح فجعلا
يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال لهم اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت
مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء
فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى
صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله اثر في الملك اخبره الحال ودعاه فآمن وكان الملك فيمن

امن وكفر اخرون • وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه علي قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو علي باب المدينة الاقصي فجا يسعي اليهم يذكرهم ويدعوهم الي طاعة المرسلين فذلك قوله تعالي اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقوينا بثالث برسول ثالث • قرا ابو بكر عن عاصم فعززنا مخففا اي فغلبنا من عزيز برسول ثالث وهو شمعون • وانما اسند الارسال اليه تعالي لان عيسي عليه السلام انما بعثهم بامره تعالي وكانوا من حملة الرسل فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون وانما لم يذكر المعزوز به لقوله فعززنا لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتي عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الي غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك الحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر بالرفع لان الا انتقض النفي فلا يبقي لما المشبهة بليس شبه فلا يبقي له عمل • ولما كان الاول ابتدا اخبار قالوا انا اليكم مرسلون • والثاني جواب عن انكار قال انا اليكم لمرسلون قوله ربنا يعلم جار مجري القسم التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله • وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد علي طريق التوكيد والتحقيق مع قوله وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر المستوي بالايات البينة الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم • مقاتل حبس عنهم المطر فقال هذا بشؤمكم قال صاحب الكشاف وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شي مالوا اليه واشتهوه وقبلته طباعهم ويتشاموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا او بشوم هذا كما حكي الله تعالي عن القبط ان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه • وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة قالوا هذه من عندك قتادة ان اصابنا شي كان من اجلكم لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة • وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب اليم • قالوا طائركم معكم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم • قتادة اعمالكم الضحاك حظكم من الخير والشر معكم ان ذكرتم وعظتم ودعيتم الي الاسلام جوابه محذوف اي قلتم هذا القول ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآاين ذكرتم بالف بينهما بمعني اتطيرون ان ذكرتم بل انتم قوم مسرفون في الكفر والشرك مجاوزون الحد ممن ثم اتاكم الشوم لا من قبل رسل الله عزوجل وتذكيرهم • وقيل بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله سبحانه وتعالي قوله تعالي وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون • وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون • أأتخذ من دونه آلهة لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون • وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي هو حبيب النجار وهب كان رجلا سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصي باب من ابواب المدينة وكان مؤمنا اذا اصبح تحمع كسبه اذا امسي فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بنصف فلما بلغه ان قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون • كلمة جامعة في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الاخرة • قتادة لما انتهي حبيب الي الرسل قال لهم تسالون علي هذا من اجر قالوا لا فقال حبيب ذلك الكلام وكان حبيب في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله فقيل له وانت تخالف دينا وتتابع دين هؤلاء الرسل فتؤمن بالههم فقال وما لي لا اعبد ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح

حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه • ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا تري الي قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الي ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم علي الصحيح الذي لا معدل عنه أأتخذ من دونه سواه آلهة يعني الاصنام ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون من العذاب لا تقبح الا ممن مبتداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا علي عبادته عبادة اشيا ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعا عنده ولم يقدروا علي انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفي علي ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعوا ايماني تشهدوا لي به • قوله وجاء من اقصي المدينة رجل قدم المجرور علي الفاعل علي خلاف الاصل لانه اهم بيان ذلك انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام علي سوء معاملة اهل القرية الرسل وانهم اصروا علي تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين علي باطلهم فكان مظنة ان يلقي السامع علي مجري العادة تلك القرية قائلا اما كان فيها رجل ما اسواها منبتا ويبقي مجيلا في فكره اكانت تلك القرية بحافاتها كذلك او كان هناك قطر داب او قاص منبت حين نظر المساق الحديث هل يذكر فكان لهذا الفهم فكما جاء موضع له صالح ذكر وقيل لما قال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد يدفع عنه • وقال عبد الله بن مسعود وطئوه بارجلهم حتي خرجت قصبته من دبره • وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتي قتلوه • وقال الحسن حرقوه حرقا حلقه وعلقوه من سور المدينة • وقبره في سوق انطاكية قوله تعالي قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • قيل لما قتل قيل له ادخل الجنة قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالي بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين • وقيل معناه البشري بدخول الجنة وانه من اهلها • قال صاحب الكشاف فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان • قلت مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسالة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الي القول وعظمه لا الي المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب علي تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمني علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا • وفيه تنبيه عظيم علي وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهالة والرؤف علي من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعا عليه الا تري كيف تمني الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام وقيل يجوز ان يتمني ذلك ليعلموا انهم كانوا علي خطا عظيم في امره وانه كان علي صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وما في قوله بما غفر لي يجوز ان يكون مصدرية اي بمغفرة لي وان تكون موصولة اي بالذي غفر لي ربي من الذنوب وان تكون استفهامية اي باي شي غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتي قتل • قال صاحب الكشاف الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثبات الالف جائزا يقال علمت بما صنعت هذا وبم صنعت

قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ❁ فلما قتل حبيب غضب الله تعالى له وعجل لهم النقمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن اخرهم ❁ المعنى ان الله تعالى كفى امرهم بصيحة واحدة ولم ينزل لاهلاكهم جندا من السماء كما فعل يوم بدر والخندق وما كنا منزلين ❁ قيل تكرار مفيد للتوكيد ❁ وقيل ما بمعنى الذي والتقدير من جند مما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا عن اخرهم فاذا هم خامدون ميتون ❁ قال صاحب الكشاف وما كنا منزلين معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا لانه بنى على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا ❁ **قوله تعالى** يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ❁ بدا الحسرة على العباد كانما قيل للحسرة تعالى فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ❁ ويجوز ان يكون من الله على سبيل الاستعارة في تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه ❁ وقيل يا حسرة على العباد من كلام حبيب وقيل من كلام القوم حين عاينوا العذاب امنوا وقالوا يا حسرة على العباد اي على الرسل فلم ينفعهم ايمانهم والحسرة الندم على ما فات لا يمكن تلافيه وقيل الحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا ❁ وقيل استهزاؤهم بالرسل حسرة لهم ❁ وقيل تم الكلام على العباد ثم استانف فقال ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ❁ وضمير المفعول في ياتيهم يجوز ان يكون عايدا الى قوم حبيب اي ما ياتيهم من رسول من الرسل الثلاثة الا كانوا به يستهزءون على قول الحسرة عليهم ❁ ويجوز ان يكون عايدا الى الكفار المصرين **قوله تعالى** الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ❁ وان كل لما جميع لدينا محضرون ❁ لما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين الم يروا يعني الم تعلم اهل مكة وهو معلق على العمل في كم لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت كم للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم حكي عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بيس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه قيل انهم اليهم لا يرجعون اي اهلكوا اهلاكا لا رجوع لهم الى الدنيا ❁ وقيل انهم اليهم لا يرجعون اي الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة يعني اهلكناهم وقطعنا نسلهم وان كل لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ❁ ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة ❁ ونعم ما قال القايل ❁❁

❁ ولو انا اذا امتنا تركنا ❁ لكان الموت راحة كل حي ❁
❁ ولكنا اذا امتنا بعثنا ❁ ونسل بعدها عن كل شي ❁

قرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد والباقون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع كقولك سالتك لما فعلت اي الا فعلت ومن خفف جعل ان للتحقيق وخففه وما صلة مجازه وان كل جميع لدينا محضرون والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا عن المضاف اليه كقولك مررت بكل قايما ❁ والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة ❁ وقيل محضرون معذبون والكل يفيد معنى

الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال جاءوا جميعا ❁ **قوله تعالى** واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ❁ وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليا كلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ❁ سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ❁ لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال واية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الله الموتى احييناها اي بالمطر استيناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسيات مطلقا لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ❁ ونحوه ❁ ولقد امر على اللييم يسبني ❁ واخرجنا منها حبا جنس الحبوب فمنه اي فمن الحب ياكلون ❁ قدم الظرف اي فمنه للدلالة على ان الحب هو الشي الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك اية رفع بالابتدا لهم خبره ويجوز ان يرتفع بالابتدا لهم صفتها الارض خبرها ويجوز ان ترتفع الارض بالابتدا واية لهم الخبر تقدم لتعداد الايات ❁ وجعلنا فيها في الارض جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليا كلوا من ثمره ❁ قرا حمزة والكسائي بضم الثا والميم والباقون بفتحهما والضمير لله تعالى والمعنى ليا كلوا مما خلقه الله من الثمر وقيل ثمر الما لان الما اصل الجميع ❁ وقيل ثمر ما ذكر وقيل ثمر ذلك ❁ ويحتمل ثمر كل واحد منها ❁ وما عملته قرا اهل الكوفة بلا ها والباقون بها ❁ قيل ما نافية وما عملته ايديهم بمعنى الجحد والمعنى ولم تعمله ايديهم اي وجد وهما معمولة ولا صنع لهم فيها ❁ وقيل بمعنى الذي والمعنى ليا كلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وانا اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله تعالى وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم ❁ وقيل بمعنى المصدر اي ومن عمل ايديهم واصله من ثمرنا على تقدير عود الضمير الى الله تعالى كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من المتكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ❁ سبحان الذي خلق الازواج الاشكال والاصناف مما تنبت الارض الحبوب والثمار والحشيش والاشجار ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من الطرق ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلايق الحيوان والجماد وما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم **قوله تعالى** واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❁ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ❁ لما استدل باحوال الارض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي دلالة المكان والزمان متناسبة لان المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ونحوه في قوله تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت حيث استدل بالزمان والمكان هناك ايضا لكن المقصود اولا هناك اثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير ❁ وها هنا المقصود اولا اثبات الحشر سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله ❁ وقيل السلخ الاخراج يقال سلخت الشاة من الاهاب ❁ والشاة مسلوخة والمعنى اخرجنا النهار من الليل اخراجا لم يبق معه شي قيل اخرجنا الشمس منه فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها يعني الى مستقر لها قال ابن عباس لا تبلغ مستقرها حتى ترجع الى منازلها ❁ قال قتادة الى وقت

واجل لها لا تعدوه • وقيل الى انتهاء امرها عند انقضا الدنيا • وقيل الى ابعد منازلها في الغروب
وقيل لمستقرها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا انقطع مسيره او
لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع
فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه • وقيل لحد لها من مسيرها كل يوم في مراى عيوننا وهو المغرب
وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة • وعن ابن عباس
انه قرا لا مستقر لها وهي قراءة ابن مسعود اي لا قرار فهي جارية ابدا ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب
الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباط ما هو الا تقدير العزيز الغالب
بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علما بكل معلوم والقمر قراه نافع وابو عمرو وابن كثير بالرفع على الابتدا
لانك شغلت الفعل عنه وقيل بالعطف على الليل يريد ومن اياته والباقون بالنصب بفعل يفسره قدرناه
ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا
مسيره منازل وقيل قدرناه منازل وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر في كل ليلة واحدة منها لا يتخطاها
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلة
او ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل وهي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانوا المستمطرة
واسماؤها • الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعه • الهنعه • الذراع • النثره • الطرف
الجبهة • الزبره • الصرفه • العوا • السماك • الغفر • الزبانى • الاكليل • القلب • الشوله • النعائم
البلده • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبيه • فرغ الدلو المقدم • فرغ
الدلو المؤخر • الرشا • فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم • والعرجون
عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقيل هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والقديم
المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول
فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر يعني انهما يسيران دائبين ولكل واحد حد لا يعدوه ولا يقصر دونه فاذا جا سلطان
هذا ذهب ذاك واذا جا سلطان ذاك ذهب هذا فاذا اجتمعا وادرك كل واحد صاحبه قامت القيامة
ولا الليل سابق النهار معناه ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار واتيتهما قسما من الزمان وضرب
له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير
على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد
وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال
الامر على هذا التدبير الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس
من مغربها وانما جعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع
فلكه في شهر تقريبا فيها فكانت الشمس جديرا ان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر
خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير
للشموس والاقمار على ما سبق في فلك يسبحون يجرون **قوله تعالى** واية لهم انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون • وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون
الا رحمة منا ومتاعا الى حين • لما بين الله سبحانه وتعالى باحيا الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم
يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر جزاء يتوسطها ويسيرها كما يسير في البر وهذا جنيد كعوله
وحملناهم في البر والبحر • ويؤيد هذا قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه ان المراد الابل

فانها كسفن البراري • وقيل لما بين سباحة الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحر
وقيل ان الامور التي انعم الله بها على عباده منها ضرورية ومنها تابعة والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق
الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان • ولولا احياها لما عاش والليل
والنهار في قوله واية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس
والقمر وحركتها لو لم يكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول اثنين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة
اثنين احدهما الفلك الذي يجري في البحر فيستخرج ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر • وثانيها الدواب التي في البر كالفلك في البحر
في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون • فان الدواب مزينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة • وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • فيكون اسند الا عليهم
بالضروري والتابع واية لهم انا حملنا ذريتهم قرا ابن عامر ونافع على الجمع وكسر التا والباقون على الافراد
وفتح التا في الفلك المشحون المؤقر المملو وهو حمل الابا في السفينة والابنا في الاصلاب وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته وحمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح
وخلقنا لهم من مثله مثل سفينة نوح ما يركبون وهي السفن كلها • وقيل من مثله اي مثل الفلك ما يركبون
من الابل وهي سفاين البر وان نشا نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم ولا مغيث لهم • وقيل لا اغاثة يقال
اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الغرق الا رحمة منا ومتاعا وليتمتع بالحيوة الى حين اي حين انقضا
اجلهم اي اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق **قوله تعالى** واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون لما عد الايات بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل
واية لهم انا حملنا ذريتهم وكانت الايات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى ولم يفدهم اليقين
قال فلا اقل من ان يحترزوا العذاب وان لم يقطع بصدق قول المخبر فقال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين
ايديكم من امر الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها قاله ابن عباس مجاهد
ما بين ايديكم ما ياتي من الذنوب وما خلفكم ما مضى من الذنوب • الحسن ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم
وما خلفكم ما بقي منه • قتادة ما بين ايديكم يعني وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من امر
الساعة • مقاتل ما بين ايديكم عذاب الامم الخالية وما خلفكم عذاب الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجا
رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين تقديره واذا قيل لهم اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اعرضوا **قوله تعالى** وما تاتيهم من اية من ايات
ربهم الا كانوا عنها معرضين اي دابهم وعادتهم الاعراض عند كل اية وموعظة من في قوله من اية لتاكيد
النفي ومن في قوله من ايات ربهم للتبعيض **قوله تعالى** واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال
الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشا الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين • اشارة الى انهم يخلون
ما على المكلف التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله يتوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولم
يشا اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي مكة حين قال لهم فقرا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم
وقالوا لو شا الله لاطعمكم فلا نعطيكم شيا حتى ترجعوا الى ديننا قيل كانت الزنادقة من كفار مكة يسمعون
المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون لو شا الله لاغنى فلانا ولو شا لاعزه ولو شا لكان كذا
فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم
المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله تعالى لانهم معطلة لا يؤمنون

بالصانع وعن ابن عباس كانوا بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه
نحن ان انتم الا في ضلال مبين • وقيل قول الله لهم وقيل حكاية قول الله لهم وقيل هو من جملة جوابهم للمؤمنين
يعني ان انتم الا في ضلال مبين في اتباعكم محمدا ومخالفتكم لدينا **قوله تعالى** ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين هو اشارة الى ما اعتقدوه ان التقوى به في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا
والانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا الاتابع فيه لان الوعد لا حقيقة له ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين • يعنون وعد البعث وقيل انما ذكر بلفظ الوعد دون الوعيد لانهم زعموا ان لهم الحسنى
عند الله ان كان الوعد حقا **قوله تعالى** ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون • ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم جميع لدينا محضرون • ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى من الثلث نفخة
الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون ويخاصم بعضهم بعضا • قرا ابن كثير
وورش يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد • ونافع من غير ورش ساكنة الخاء مشددة الصاد • وابو عمرو
بالاخفاء وحمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد اي يغلب بعضهم بعضا بالخصام والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد
والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم
وساير ما يخاصمون فيه ويتشاجرون • ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون
في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون فلا يقدرون توصية على ان يوصي بعضهم بعضا وقيل ان يوصوا
في شيء من امور الدنيا ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون
بحيث تفجوهم الصيحة ونفخ في الصور هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث فاذا هم من الاجداث من
القبور جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يخرجون وقيل يعدون من النسلان وهو الاسراع في
السير قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من منامنا • ابن عباس وابي ابن كعب وقتادة انما يقولون
هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون • وقال اهل المعاني ان الكفار اذا
عاينوا جهنم وانواع عذابها صار ما عذبوا في القبور في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا
ثم قالوا هذا ابتدا ما وعد الرحمن خبر وما مصدرية او موصولة • ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد
وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق عليكم • وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا
واناهد اما وعد الرحمن فكلام الملايكة • وعن ابن عباس والحسن كلام المتقين • وقيل كلام الكفار يتذكرون
ما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا • قال صاحب الكشاف فان قلت اذا جعلت ما
مصدرية كان المعنى هذا اما وعد الرحمن وصدق المرسلون على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد
والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة • **قلت** تقديره هذا الذي وعده
الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال
ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سوال عن الباعث فكيف طابق ذلك جوابا
قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها
قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس
بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النايم من مرقده حتى يهمكم السوال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر
ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة

واحدة

واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون **قوله تعالى** فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ما منصوب المحل على انه مفعول او بنزع الجار **قوله تعالى** ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون • هم وازواجهم في ظلال على الارايك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • سلام
قولا من رب رحيم • قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بسكون الغين والباقون بضم الغين • ابن عباس في شغل
اي افتضاض الابكار • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عادوا ابكارا
الكلبي في شغل عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم • وكيع
في السماع وضرب الاوتار يحيى بن معاذ اي الاصوات احسن قال من امير انس في مقاصير قدس بالحان
تحميد في مكان مجيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر • ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وفي ضيافة
الله • وقيل شغلهم بعشرة اشيا • ملك لا عزل فيه • وشباب لا هرم فيه • وصحة لا سقم معه • وعز لا ذل معه
وحياة لا موت معها • وراحة لا شدة معها • ونعمة لا محنة معها • وبقا لا فناء معه • ورضى لا سخط معه • وانس لا
وحشة معه • وقيل شغلهم في الجنة بسبعة انواع منه الثواب لسبعة اعضاء فاما ثواب الرجل فقوله ادخلوها
بسلام امنين • وثواب اليد قوله يتنازعون فيها كاسا • وثواب الفرج قوله وحور عين • وثواب
البطن كلوا واشربوا هنيئا الاية • وثواب اللسان قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين • وثواب
الاذن قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما • وثواب
العين قوله وتلذ الاعين • طاوس لو علم اهل الجنة عمن شغلوا اما هناهم ما اشتغلوا به • وسئل بعض الحكما
عن قوله عليه السلام ان اكثر اهل الجنة البله قال لانهم في شغل بالنعيم عن المنعم ثم قال من رضي بالجنة
عن الله فهو ابله • وقيل في شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من دخل الجنة التي هي دار المتقين ووصل
الى نيل تلك الغبطة • وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها للمرتضين من عباده
ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتقصي من مشاق التكليف ومضايق
التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب
فاكهون متنعمون متلذذون ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة هي المزاحة والفكه
المتنعم هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركونهم
في ذلك الشغل والفكه في ظلال • قرا حمزة والكسائي وخلف ظلل جمع ظلة والباقون في ظلال بالالف
وكسر الظاء جمع ظل على الارايك يعني السرر في الحجال واحدتها اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش
فيها لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • ابن عباس يسالون مقاتل يتمنون ويريدون • وقيل من
ادعى شيئا فهو له بحكم الله لانهم ما يدعون الا ما يحسن • سلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال
لهم قولا من رب رحيم من جهة رب رحيم • والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملايكة او بغير واسطة
مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه • ابن عباس والملايكة يدخلون عليهم بالتحية
من رب العالمين • وقيل ما يدعون مبتدا سلام خبر بمعنى ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه
وقولا مصدر مؤكد كقولهم ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم • عن النبي عليه السلام بينا
اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع نور فقد سطع لهم نور فيرفعوا رءوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من
فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم **قوله تعالى**
وامتازوا اليوم ايها المجرمون • الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين •
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم • ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم
توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون • اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم

عن كريب انه سمع اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا هل
مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة
نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر
مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل
كثيرة ومقام في ابد في دار سلامة وفاكهة
وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم
يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا
ان شاء الله قال القوم ان شاء الله تعالى

بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون امتازوا انفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة حين يحشر المؤمنون ويساربهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
يقال مازه فامتاز وامتازوا ابن عباس تفرقوا قتادة اعتزلوا عن كل خير الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا
يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز
من بعض الم اعهد اليكم يا بني ادم لما ذكر الله حال المؤمنين والمجرمين اي الكافرين كان لقائل ان يقول ان الانسان
كان ظلوما جهولا والجهل من الاعذار فقال الله ذلك عند عدم الانذار وقد سبق ايضاح السبيل بايضاح
الرسل وعهدنا اليكم وبينا لكم ما ينبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي العهد الوصية وعهد اليه اذا اوصاه قيل
وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل اليهم من دلائل السمع وقيل العهد ما عهد اليكم في قوله واذ
اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم وقيل اعهد اليكم بارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى الم امركم الم اوصكم
ان لا تعبدوا الشيطان ان لا تطيعوه في معصية الله تعالى انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وان اعبدوني
هذه الشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن فانه صراط مستقيم اذ لا صراط اقوم منه قال
صاحب الكشاف ونحو التنكير فيه ما في قول كثير

لئن كان يهدي برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير

اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا
صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد
هذا بعض الصراط المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق
المعوج الذي يودي الى الضلال والتهلكة كانه قيل اقل احوال هذا الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد
فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده
هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل الشيطان منكم يا بني ادم جبلا
خلقا كثيرا قرا نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ويعقوب بضم الجيم والباء وتشديد اللام
وابن عامر وابو عمرو بضم الجيم وجزم الباء مخففا والباقون بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكلها لغات معناه
الخلق والامة افلم تكونوا تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه جهنم التي كنتم توعدون
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد فخاصم فيقال له هولاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا
فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلف فيحلف ثم يصمته الله وتشهد ارجله ثم يدخله النار وبرد
انهم يجحدون يخاصمون تشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم ويروى يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه
ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول عضو من الانسان ينطق بعد ختم الافواه فخذه من رجله الشمال وعنه عليه
الصلاة والسلام قال تجيئون يوم القيامة على افواهكم الفدام وان اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اعميناهم في الدنيا فاستبقوا
الصراط فتبادروا الى الطريق فانى يبصرون وقد طمسنا على اعينهم ابن عباس ومقاتل وعطا وقتادة
ولو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا
رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم السدي والحسن ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون

الطريق حينئذ قال صاحب الكشاف الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط
لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او تضمين معنى ابتدروا
او يجعل الصراط مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا
الطريق المنهج الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا
كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا
ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف
كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه
لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من ساير الطرق
والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم اي اقعدناهم في منازلهم قردة وخنازير والمسخ تحويل الصورة والمكانة والمكان واحد كالمقام
والمقامة اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع
وقيل ولا يرجعون الى ما كانوا عليه ابن عباس لمسخناهم حجارة قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمنا
ومن نعمره ننكسه لما ذكر ان قوله الم اعهد اليكم قطع الاعذار بسبق الانذار شرع في قطع عذر اخر وهو ان
الكافر يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا ولو عمرنا لما وجد منا تقصير فقال الله تعالى افلا يعقلون
انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم وقد عمرناكم مقدار ما تتمكنون من البحث بالادراك كما قال
تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ثم انكم علمتم ان الزمان كلما تغير عليكم يزداد ضعفكم
تضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لم يكن لهذه الزيادة فايدة قرا عاصم وحمزة ننكسه
بتشديد الكاف والباقون بفتح النون وضم الكاف مخففا اي نرده الى ارذل العمر شبه حال الصبي الذي
هو اول الخلق وقيل نصيره بعد القوة الى الضعف وبعد الزيادة الى النقصان وبعد الجدة والطراوة
الى البلى والخلوقة فكانه نكس حاله قال صاحب الكشاف ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس
ما خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه متزايدا وينتقل
من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه
فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ثم يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف
ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على
ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقران مبين لتنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين لما ذكر الاصلين الوحدانية
والحشر ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القران الشعر على
معنى ان القران ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل
على معنى فمن عن ان يعتقد صدقه فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه
واين نظم الكلام الذي ليس للشعر عن نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم
الا ان هذا لفظ عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو
اراد قرض الشعر لم يتات ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة

لا يسبقوا الي الصح

ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتاتى له
قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول العباس بن مرداس • اتجعل نهبي ونهب العبيد •
بين الاقرع وعيينه • فقالوا يا رسول الله انما قال بين عيينة والاقرع • فاعادها فقال
بين الاقرع وعيينة • فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه فقبل راسه صلى الله عليه وسلم وقال صدق
الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له • وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت
كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا •
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله انما قال الشاعر • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا •
فقال ابو بكر او عمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له • عن قتادة
وما علمناه الشعر قال بلغني ان عايشه رضي الله عنها سيلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل
بشي من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشي من الشعر الا ببيت اخي بني قيس
طرفة • ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • وياتيك بالاخبار من لم تزود •
فجعل صلى الله عليه وسلم يقول ويا تيك من لم تزود بالاخبار • فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول
الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي ان هو يعني القران الا ذكر وقران اي ذكر من الله عز وجل يوعظ به
الانس والجن كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرى في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات
الشياطين لينذر قرا اهل المدينة والشام والبصرة الا ابو عمرو بالتاء وفي الاحقاف للنبي صلى الله
عليه وسلم والباقون بالياء للنبي او للقران من كان حيا عاقلا مومنا في علم الله تعالى لان الكافر والجاهل
ميت الفواد ويحق القول ويجب العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع منهم الايمان لانه
تعالى ختم على قلوبهم **قوله تعالى** اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون • ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون • ثم انه تعالى اعاد الوحدانية
والدلايل الدالة عليها اولم انا خلقنا لهم لبني ادم مما عملت ايدينا يعني عملناه من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة
انعاما قال صاحب الكشاف مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليته غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة
والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون
ضابطون قاهرون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون في الانتفاع
بها لا يزاحمون وذللناها سخرناها لهم وهذا من جملة النعم الظاهرة وانه تعالى لو لم يذللها لهم لم يقدر
عليها احد على تذليله وتسخيره فمنها ركوبهم اي مركوبهم كما يقال ناقة حلوب اي محلوب ومنها ياكلون من لحومها
ولهم فيها منافع من اصوافها وجلودها واوبارها واشعارها ومشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب
او الشرب افلا يشكرون نعم الله استفهام بمعنى الامر **قوله تعالى** واتخذوا من دون الله الهة
لعلهم ينصرون • لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ٥ اشارة الى زيادة ضلالهم ونهايتها فانه
كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع لعلهم ينصرون
اي ليمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك ولا يستطيعون نصرهم اي خاب املهم والامر على خلاف ما توهموا
وتوقعوا وهم لهم جند محضرون معدون لعذابهم لانهم معا وقود في النار فلا يدفع بعضهم لبعض النار
لانهم يجعلون وقود النار **قوله تعالى** فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون هذا
ايضا اشارة الى زيادة ضلالهم فانه كان الواجب عليهم الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه
في دعواه وطاعته فيما امر ونهاه شكرا لنعمه تعالى فان بعثته من اعظم المنن فاعرضوا عنه وكذبوه فلا يحزنك

تكذيبهم

تكذيبهم وقوله في الله ان له شريكا وولدا وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون • وقد تم الكلام
هاهنا ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من عداوتهم ومكرهم وكيدهم وما يعلنون من تكذيبهم وقولهم في الله
ان له شريكا • وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون فنجازيهم على ما يسرون وعلى ما يعلنون • وقيل قولهم تهديد لهم
بالقتل ووعيدهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحول بينك وبينهم **قوله تعالى** اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب لنا مثلا ونسي خلقه • قال من يحيي العظام وهي رميم قل
يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم • الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انما امره اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون • فسبحان الذي بيده ملكوت السموات والارض كل شي واليه ترجعون
ابن عباس الانسان هو عبد الله ابن ابي سعيد • ابن جبير هو العاص ابن وايل السهمي • الحسن هو امية بن خلف
قتاده هو ابي ابن خلف الجمحي • روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي ابن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وايل
والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي ابن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال
واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي
هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فانزل الله هذه الايات وهذا اشارة
الى زيادة ضلالهم في الحشر فبين الله ضلالهم في الاصول الثلاثة التوحيد بقوله واتخذوا من دون الله
والرسالة بقوله ولا يحزنك قولهم • والمعاد بقوله اولم ير الانسان نبه الله تعالى انكارهم البعث تقبيحا
لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحوده النعم وعقوق الايادي وتوغله
في الخسة وتغلغله في القحة حيث تره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شي وامهنه وهو النطفة
المذرة الخارجة من الاحليل الذي قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله
ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحل ويقول من يقدر
على احيا الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشا
من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراها • وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه
فصيح كما قال تعالى اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين • وضرب لنا مثلا ونسي خلقه انكر
نسيان الذهول • ويحتمل ان يكون نسيان الترك خلقه اي خلقنا اياه مصدر مضاف الى المفعول
قال من يحيي العظام تفسير لقوله وضرب لنا مثلا وانما سمي من يحيي العظام وهي رميم مثلا لما دل
عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله تعالى على احيا الموتى • وقيل انما سمي مثلا
لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيز الله تعالى وتشبيها
له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه وهي رميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبر المونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الاية
من يثبت الحيوة في العظام ويقال ان عظام الميتة نجسة لان الموت يوثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها
واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب • ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يورث
فيها الموت ويقولون المراد باحيا العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس
قل يا محمد يحييها الذي انشاها خلقها اول مرة وهو بكل خلق عليم لا يخفى عليه اجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر
يعلم كيف يخلق لا يتعاصى شي من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وجلايلها
ودقايقها بجمعه وتعديده خلقه كما كان الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الذي من بدايع خلقه وعجايب صنعه

ولطايف حكمته وشواهد قدرته انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفايها به و
الزناد التي يوري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار ❁ ابن عباس هما شجرتان من اراد منهم النار
قطع منها غصنين مثل السواكين يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فيخرج منها النار باذن الله
تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ❁ وقيل كل شجرة فيها نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون
فذلك زنادهم اوليس الذي خلق السموات والارض مع عظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماة
بالاضافة الى السموات والارض ❁ وقيل على ان يخلق مثلهم على ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس
به بلى اي يقولون بلى لانهم مضطرون من جهة العقل ان يقولوا بلى لكن ان اجابوك والا فقل بلى اذ ليس له جواب
غير ذلك وهو الخلاق الكثير المخلوقات ❁ العجيب المصنوعات العليم بالكليات والجزئيات وبالامور الماضية
والحوادث المستقبلة انما امره اذا اراد شيا اي وجود شي ان يقول له كن فيكون على ما قدر واراد ❁ فسبحان
تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجب من ان يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شي ملك
كل شي اي هو مالك كل شي والمتصرف فيه على حسب مشيته ومقتضى ارادته والملكوت الملك بابلغ الالفاظ
وقيل الملكوت عالم الغيب كما ان الملك عالم الشهادة واليه ترجعون ❁ اما الى الجنة واما الى نار ❁ والله اعلم

سورة الصافات

وهي ثلاثة الاف وثمان مائة وستة وعشرون حرفا وثلاثمائة وستون كلمة ومائة واثنتان وثمانون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ❁ والصافات صفا ❁ فالزاجرات زجرا ❁
فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ❁ اقسم سبحانه بطوايف
الملايكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون ❁ ابن عباس ومسروق
والحسن وقتاده يعني صفوف الملايكة كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة ❁ وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها في
الهوا واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد وقيل الصافات الطير لقوله تعالى والطير صافات ❁ وقوله
تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ❁ والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلوة
والحرب فالزاجرات زجرا يعني الملايكة تزجر السحاب وتسوقه ❁ قتاده هي زواجر القران ❁ وقيل الزاجرات
كلما زجر عن معاصي الله فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها يعني جبريل والملايكة يتلون كتب الله
ويجوز ان يريد بالتاليات كل من تلا كتب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في
التهجد وساير الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله
والدارسات او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد ويتلوا الذكر مع
ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل ❁ وقيل هو قسم بالله على تقدير ورب الصافات ❁ قال صاحب
الكشاف فان قلت ما حكم الفا اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان يدل على ترتب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب كانه قال الذي صبح فغنم فاب ❁ واما على
ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل ❁ واعمل الاحسن فالاجمل ❁ واما على ترتب
موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفا العاطفة
ينساق امر الفا العاطفة في الصفات ❁ فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت
ان وجدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب
الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملايكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفا
تفيد ترتبا لها في الفضل ❁ اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ❁ واما على العكس وكذلك ان اردت

العلى

العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت
ترتب الموصوفات في الفضل اعني الطوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات اكثر
فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية ❁ وبالتاليات
كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة ❁ وقيل بادغام التا في الصاد والزاي ❁ ان الهكم لواحد
جواب القسم رد على من قال اجعل الالهة الها واحدا رب السموات والارض وما بينهما خبر بعد خبر او خبر
مبتدا محذوف ورب المشارق اي مطالع الشمس وذلك ان الله خلق للشمس ثلاثمائة وستين مشرقا وثلاثمائة
وستين مغربا على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب
في واحد يومين والمراد بالمشرقين والمغربين في قوله رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الصيف
والشتاء ومغرباهما ❁ **قوله تعالى** انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان
مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة
فاتبعه شهاب ثاقب ❁ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب قرا عاصم برواية ابي بكر بزينة منونة
الكواكب نصبا بمعنى تزينها الكواكب ❁ وقيل اعني الكواكب وحمزة وعاصم في ساير الروايات بزينة منونة الكواكب
خفضا على البدل اي بزينة بالكواكب ❁ والباقون بزينة الكواكب مضافة الدنيا الغربي منكم والزينة مصدر
كالنسبة واسم لما يزان به الشي كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت
المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب ❁ وان اردت
الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان
به وان يراد ما زينت به الكواكب ❁ ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ❁ وقيل يجوز ان يراد
اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وحفظا اي وحفظناها
حفظا او وجعلناها ايضا حفظا ❁ قال صاحب الكشاف وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب
زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خبيث خال عن الخير كما قال ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ❁ ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان
زيناها بالكواكب لا يسمعون الضمير لكل شيطان لانه في معنى الشياطين ❁ قرا اهل الكوفة يسمعون بالتشديد
اي يتسمعون ادغم التا في السين ❁ مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون والباقون بالتخفيف والتسمع
تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع لا يسمعون لا يصح ان يكون صفة لكل شيطان لان الحفظ من شياطين
لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له ولا يصح الاستيناف ايضا لان سايلا لو سال لم يحفظ من الشياطين
فاجيب بانهم لا يسمعون او لا يتسمعون لم يستقم بل يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال
المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا ❁ وقيل ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت
اللام كما حذفت في قولك جيتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القايل
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ❁ ورد هذا بان كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده
فاما اجتماعهما فمنكر واجب صون القران عن مثل هذا التعسف ❁ وفرق بين سمعت فلانا يتحدث
وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه فان المعدي بنفسه يفيد الادراك والمعدى
بالى يفيد الاصغا مع الادراك الى الملا الاعلى فقيل الكتبة من الملايكة في السماء لانهم يسكنون السموات
والجن والانس هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض ❁ ابن عباس اشراف الملايكة ويقذفون يرمون ويطردون
من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا طردا مفعول له اي ويقذفون
للدحور او مدحورون على الحال وقيل القذف والطرد متقابلان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا

ولهم عذاب واصب دايم ٭ نظيره قوله تعالى وله الدين واصبا ابن عباس واصب شديد
الكلبي موجع ٭ وقيل خالص يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من
العذاب دايم شديد موجع خالص الا من خطف من في محل الرفع بدل من الضمير الذي هو فاعل في يسمعون
اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة فسمع الملايكة فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب كوكب ثابت
مضي فوق لا تخطيه بقتل او بحرق او بخبل وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه
طمعا في السلامة ٭ وقيل المراد كواكب البحر **قوله تعالى** فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون ٭ واذا ذكروا لا يذكرون ٭ واذا راوا اية يستسخرون
وقالوا ان هذا الا سحر مبين ٭ المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة
التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضا والقدر فافتتح هذه السورة باثبات ما يدل
على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما
بينهما وخلق المشارق والمغارب فلما احكم في هذا الباب فرع عليه اثبات القول بالحشر والنشر
والقيامة وهذه المسألة تتعلق بطرفين اثبات الجواز العقلي واثبات الوقوع ٭ اما الاول
فالاستدلال عليه من وجهين ٭ احدهما ان يقال انه قادر على ما هو اصعب واشق منه فوجب ايضا
ان يقدر عليه ٭ والثاني ان يقال انه قدر عليه في احدى الحالتين ٭ والفاعل والقابل باقيين
كما كانا فوجب ان تبقى القدرة عليه في الحالة الثانية والله تعالى ذكر هذين الطريقين في
بيان ان القول بالبعث والقيامة ممكن ٭ اما الطريق الاول فهو المراد من قوله فاستفتهم اهم
اشد خلقا والتقدير كانه قال استفت يا محمد هولا المنكرين اهم اشد خلقا ام من خلق السموات
والارض وما بينهما وخلق المشارق وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولا شك انهم يعرفون
بان خلق هذا القسم اشد واشق في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلايل المذكورة في اثبات
التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحيوة
في هذه الاجساد اولى ونظير هذه الدلايل قوله تعالى في اخر يس اوليس الذي خلق السموات والارض ب
قادر على ان يخلق مثلهم ٭ وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ٭ واما الطريق الثاني
فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب ٭ والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحيوة لما صارت
حية في المرة الاولى ٭ والاله قادر على خلق هذه الحيوة في هذه الاجسام ٭ ولولا كونه تعالى قادرا
على هذا والا لما حصلت الحيوة فيه لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع
زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة امر ممكن ٭ ولما تعالى امكان
هذا المعنى بهذين الطريقين من وقوعه بقوله قل نعم وانتم داخرون ٭ وذلك لانه ثبت صدق
الرسول لاجل ظهور المعجز عليه ٭ والصادق اذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا
تقرير نظم هذه الاية ولنذكر تفسير الفاظ هذه الاية ٭ اما قوله فاستفتهم يعني انه لما ثبت بالبراهين
القاطعة والحجج الساطعة انه تعالى خلق السموات والارض وما بينهما استفت هولا المنكرين وقل لهم
اهم اشد خلقا ام هذه الاشيا التي بين كونه تعالى خالقا لهم ولم يحك عنهم انهم اقروا ان هذه الاشيا
اصعب لان ذلك كالمعلوم بالضرورة ولا حاجة الى ان يحكى عنهم تسليم ان الامر كذلك انا خلقناهم من
طين لازب يعني انا لما قدرنا على خلق الحيوة في ذواتهم وجب ان نبقى قادرين على خلق الحيوة فيهم ثانيا
لما بينا ان حال القابل والفاعل ممتنع التغير ٭ وفيه دقيقة اخرى وهو ان القوم قالوا كيف يعقل تولد
الانسان لا من النطفة ولا من الابوين فكانه قيل لهم انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات

والارض

والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله وبتكوينه فلابد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث
لا من الابوين فاذا اعترفتم بذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير النطفة ومن
غير الابوين ٭ وايضا فقد اشتهر عند الجمهور ان ادم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحيوة
في الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحيوة الى هذه الذات ٭ قال صاحب الكشاف الهمزة وان خرج
الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم
والضمير لمشركي مكة ٭ وقيل نزلت في ابي الاشد ابن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا
يريد ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين
المردة وغلب اولي العقل على غيرها فقال من خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عده هذه الاشيا
فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفا المعقبة ٭ وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان
اكتفا ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا
ام الذي خلقناه من ذلك واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وقوة
واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلايق
العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم
بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بان الطين
اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا اذا كنا
ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث ٭ قراه
حمزة والكساي وخلف عجبت بضم التا اي بلغ من عظم اياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهولا لجهلهم وعنادهم يستسخرون من اياتي ٭ وقيل عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون
ممن يصف الله بالقدرة عليه ٭ قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى
وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشي والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة ٭ قلت
فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جا في الحديث
عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته لكم وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شي
وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود
وكان يقرا بالضم ٭ وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت ٭ وقيل معناه انهم قد حلوا محل من يتعجب منهم وفي
الخبر ان الله ليعجب من الشاب اذا لم يكن له صبوة ونحوها وسيل جنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا
يعجب من شي ولكن الله تعالى وافق رسوله عليه السلام فقال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله
والاخرون بالتا المفتوحة على خطاب النبي عليه السلام ومعناه بل عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون
من تعجبك واذا ذكروا وعظوا لا يذكرون لا يتعظون ٭ واذا راوا اية من ايات الله البينة كانشقاق
القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية ٭ وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخروا وقالوا ان هذا
الا سحر مبين اي ما هذا الذي نراه الا سحر مبين ظاهر **قوله تعالى** ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اينا لمبعوثون او اباونا الاولون قل نعم وانتم داخرون ٭ فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ٭ او اباونا معطوف
على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى
ايبعث ايضا اباونا على زيادة الاستبعاد يعني انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل ٭ قرا ابن عامر وقالون
باسكان الواو هنا وفي الواقعة يعني واباونا او بمعنى الواو والباقون بفتح الواو قل نعم تبعثون وانتم

داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة صيحة واحدة وهي النفخة
الثانية وهي قيل النفخة ۵ وقيل القيامة وقيل لا يرجع الي شي انما هي مبهمة يوضحها خبرها فاذا هم ينظرون
احيا وقالوا قيل يعني الملايكة ۵ وقيل يعني الكفرة اي قال الكفرة بعضهم مع بعض ۵ وقيل يا ويلنا هذا يوم الدين
كلام الكفرة وهذا يوم الفصل كلام الملايكة للكفرة جوابا ۵ هذا يوم الدين اي يوم الجزا اي يجازي باعمالنا
علي تقديران يكون كلام الكفرة اي تجازون باعمالكم علي تقديران يكون كلام الملايكة هذا يوم الفصل
القضا والفرق بين فرق الهدي والضلال الذي كنتم به تكذبون ۵ **قوله تعالى**
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الي صراط الجحيم ۵
احشروا خطاب من الله للملا او خطاب للملايكة بعضهم مع بعض الذين ظلموا كفروا وازواجهم وضرباهم
ابن عباس اشباههم ۵ ضحاك ومقاتل قرنا وهم من الشيطان كل كافر مع شيطانه في سلسلة قتادة
والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا ۵ الحسن وازواجهم المشركات
وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا فاهدوهم نادعوهم ۵ ابن عباس دلوهم وعرفوهم ۵ ابن
كيسان قدموهم ۵ والعرب تسمي السابق هاديا ومنه قيل للرقبة هادية ۵ وقيل فاهدوهم فعرفوهم
طريق النار حتي يسلكوها هذا التحكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا علي خلاف ذلك
في الدنيا متفقا متعاضدين متناصرين **قوله تعالى** وقفوهم انهم مسئولون ۵ ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون ۵ واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون ۵ قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين ۵
قالوا بل لم تكونوا مومنين ۵ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ۵ فحق علينا قول
ربنا انا لذائقون ۵ فاغويناكم انا كنا غاوين ۵ فانهم يوميذ في العذاب مشتركون ۵ انا كذلك نفعل
بالمجرمين ۵ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ۵ ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون ۵ وقفوهم واحبسوهم انهم مسئولون ۵ ابن عباس عن لا اله الا الله ۵ ضحاك عن خطاياهم
القرظي عن جميع اقوالهم وافعالهم ۵ عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزول قدما ابن ادم بين يدي
ربه عز وجل يوم القيامة حتى يسال عن خمس خصال عن شبابه فيما ابلاه ۵ وعن عمره فيما افناه وعن
ماله من اين كسبه ۵ وفيما انفقه ۵ وفيما عمل فيما علم ۵ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عبيده فيوقفه بين يديه فيساله عن جاهه
كما يساله عن ماله ما لكم لا تناصرون لا تنتقمون ولا ينصر بعضكم بعضا بقوله خزنة النار للكفار
وهذا جواب ابي جهل حين قال يوم بدر نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون ۵ قد اسلم بعضهم
بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ابن عباس مستسلمون خاضعون ۵ الحسن منقادون
الاخفش ملقون بايديهم قال اهل المعاني مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعا ولا منه امتناعا كحال
الطالب للسلامة في ترك المنازعة ۵ واقبل بعضهم علي بعض يعني الروسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون
قالوا اي الاتباع للروسا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين ۵ لما كان اليمين اشرف العضو
وامتنها وكانوا يتيمنون بها فيما يصلحون وفيما يسحون وفيما يقولون وفيما يعملون ويزاولون اكثر
الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشومي كما سموا اختها اليمني وتيمنوا بالسانح وتطيروا
من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور
باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شي وجعلت اليمين لكاتب
الحسنات ۵ والشمال لكاتب السيات ۵ ووعد المحسن ان يوتي كتابه بيمينه والمسي ان يوتاه بشماله
استعيرت لجانب الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فضده عنه واضله وجا

فيبعض

في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من
جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب
والعقاب ۵ ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر علي نفسه وعلي من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يود
زكوة ۵ فان قيل قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن
المجاز ۵ اجيب بان المجاز قد يغلب استعماله في المفهوم المجازي فيصير حقيقة واليمين في هذا
القبيل فيعتبر المجاز منه ۵ وقيل يجوز ان يجعل اليمين مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا علي الضلال وتقسرونا عليه ۵ مجاهد عن الصراط المستقيم ۵ وقال اهل
المعاني من جهة النصيحة والبركة والعمل الذي يتيمن به **قوله تعالى** قالوا يعني الروسا
بل لم تكونوا مومنين ۵ بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه وما كان لنا عليكم من سلطان فنجبركم
ونقهركم ۵ بل كنتم قوما طاغين فكفرتم بطغيانكم ۵ فحق علينا وعليكم قول ربنا اي قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين ۵ انا جميعا لذائقون العذاب ۵ ولو حكي الوعيد كما هو لقال
انكم لذائقون ولكنه عدل به الي لفظ المتكلم لانهم يتكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل
لقد زعمت هوازن قل مالي ۵ ولو حكي قولها لقال ۵ قل مالك ۵ ومنه قول المحلف للحالف
احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف علي المحلف فاغويناكم
فاضللناكم ودعوناكم الي الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي علي الرشد انا كنا
غاوين ضالين فاردنا اغواكم لتكونوا امثالنا فانهم اي الروسا المتبوعين والاتباع جميعا يوميذ يوم
القيامة في العذاب مشتركون انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالكافرين انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون عنها ويصرون علي الشرك ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** بل جا بالحق وصدق المرسلين ۵ انكم لذائقون
العذاب الاليم ۵ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ۵ الا عباد الله المخلصين ۵ اولئك لهم رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون ۵ قال الله ردا عليهم بل جا محمد صلى الله عليه وسلم وصدق المرسلين
لقوله مصدقا لما بين يديه ۵ انكم ايها الكافرون لذائقون العذاب الاليم ۵ ولا تجزون
الا مثل ما كنتم تعملون جزاء سيا بعمل سي ۵ الا عباد الله المخلصين استثنا منقطع ۵ اي ولكن عباد الله
المخلصين ۵ اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه
فسر الرزق المعلوم بالفواكه جمع الفاكهة ۵ وهي كل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت الذي يحفظ الصحة
يقال فلان يتفكه بهذا الطعام يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن القوت لحفظ الصحة
لان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد وكل ما ياكلونه ياكلونه علي سبيل التلذذ ۵ وقيل اراد رزق معلوم
منعوت بخصايص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر ۵ وقيل معلوم الوقت ۵ قتادة
الرزق المعلوم الجنة ۵ وقيل وقوله في جنات بالياء وهم مكرمون معظمون يحيون **قوله
تعالى** في جنات النعيم علي سرر متقابلين ۵ يطاف عليهم بكاس من معين بيضا لذة
للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ۵ وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون
واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون ۵ قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين ۵
ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون ۵ قال هل انتم مطلعون ۵ فاطلع فراه في سوا الجحيم
في جنات النعيم علي سرر متقابلين ۵ والتقابل اتم للسرور والانس وقيل لا ينظر بعضهم الي قفا بعض ۵

يطاف عليهم بكاس اى آنية شراب • يقال للزجاجة التي فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا •
قال • وكاس شربت على لذة • وعن الاخفش كل كاس في القران هي الخمر • وكذا التفسير ابن عباس
من معين من خمر جارية في انهار ظاهرة للعيون • وقيل من خمر معين وهو الجاري على وجه
الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الما قال الله تعالى وانهار من خمر • وقيل معين يجوز
ان يكون فعالا من المعين وهو الاسراع والشرب من امعن في الامر اذا اشتد دخوله فيه يعني
خمرا شديد الجري سريعة بيضا صفة للكاس اي صافية في نهاية اللطافة لان اثنا ان يوصف
باللون كانها نفس اللذة وفيها اي هي نابس اللذة يقال لذ الشي فهو لذ ولذيذ • ووزنه فعل كقولك
رجل طب • قال القايل
• ولذ لطعم الصرخدي تركته • بارض العدي من خشية الحدثان •
لا فيها غول اي اثم • قال قتاده وجع البطن • الحسن صداع • مجاهد وابن كيسان مغص • الشعبي
لا تغتال عقولهم فتذهب بها • وقيل الغول فساد يلحق في خفا يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد
عليه امره في خفيه • ومنه الغول والغيلة وهي القتل خفية • وقيل الغول من غاله يغوله غولا
اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم ولا هم عنها
ينزفون • قراحمزة والكسائي وخلف بكسر الزاي بمعناه لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون منها
يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا سكر وزال عقله • قال الشاعر •
• فلثمت فاها اخذا بقرونها • شرب النزيف ببرد ما الحشرج •
اي السكران والباقون بفتح الزاي بمعناه لا ينفد شرابهم يقال انزف الرجل فهو منزوف
اذا فنيت خمره • قال الحطيه • حيث قال •
• لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبيس الندامى كنتم آل ابجرا •
ومعناه صار ذا نزف • ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها
دخلا في القشع والكب والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او
صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم • او غير ذلك • ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده
وافرده بالذكر • وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين • غاضات الجفون قصرن اعينهن عن
غير ازواجهن فلم ينظرن الا اليهم ازواجهن عين نجل العيون حسانها • واحدها عينا يقال رجل اعين
وامراة عينا ورجال ونسا عين كانهن بيض مكنون مستور مصون • الحسن وابن زيد شبههن ببيض
النعام يكنها بالريش من الريح والغبار • وبها تشبه العرب النسا وتسميهن بيضات الخدور • وقيل
شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وهو معنى قول ابن عباس • فاقبل عطف على يطاف عليهم والمعنى
يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب • قال •
• وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام •
فيقبل بعضهم على بعض يتسالون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جي به ماضيا على عادة في اخباره
قال قايل منهم اني كان لي قرين في الدنيا مجاهد كان شيطانا • وقال اخرون كان من الانس
مقابل كانا اخوين • وقيل كانا شريكين احدهما فطروس وهو الكافر والاخر يهودا وهو المومن
وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف واضرب لهم مثلا رجلين يقول ايك لمن المصدقين بالبعث
ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزا • وقيل لمسوسون مربوبون
يقال دانه ساسه • ومنه الحديث العاقل من دان نفسه • قال يعني ذلك القايل هل انتم مطلعون الى

النار لاريكم ذلك القرين • قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار • وقيل القايل الله عز وجل
لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار • وقيل بعض الملايكة تقول لاهل الجنة هل تحبون تطلعوا فتعلموا
اين منزلتكم من منزلة اهل النار فاطلع هذا المومن فراه اي قرينه في سوا الجحيم في وسط النار •
قوله تعالى قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين • افما نحن بميتين
الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين • ان هذا لهو الفوز العظيم • لمثل هذا فليعمل العاملون • قال له
تالله ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحو ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية كدت لتردين ما اردت الا ان تهلكني والارداء الاهلاك • ولولا نعمة ربي عصمة
ربي ورحمته لكنت من المحضرين معك في النار افما نحن معطوف على محذوف • تقديره انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين ولا معذبين فهذا يقوله المومن على جهة التوبيخ لقرينه الكافر بما كان ينكر • وقيل تقوله
اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت على طريق الاستفهام • افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين
فتقول لهم الملايكة لا وانما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون
وقيل المعنى ان هذه حالة المومنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى
بخلاف الكافر فانهم فيها يتمنون فيه الموت كل ساعة • وقيل لبعض الحكما ما شر من الموت قال الذي يتمنى
فيه الموت ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه • وقيل هو من قول الله عز وعلا
تقريرا لقولهم وتصديقا لهم • قيل تم كلامه لقرينه ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون • وقيل هذا ايضا
من كلامه قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم • طلعها كانه رءوس الشياطين • فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون •
ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم • ثم ان مرجعهم لالى الجحيم • انهم الفوا اباءهم ضالين • فهم على اثارهم يهرعون
لما تمت قصة المومن وقرينه رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا حاصلا ام شجرة
الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشي وحاصل
الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله
حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة
الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم
كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير
نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار
الكافرين ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم والزقوم ثمرة شجرة كريهة
الطعم جدا من قولهم تزقم هذا الطعام اي تناوله على كره ومشقة شديدة انا جعلناها فتنة للظالمين
الكافرين محنة وعذاب لهم في الاخرة وابتلا لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة
والنار تحرق الشجر • قال ابن الزبعري لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان
بربر وافريقيه هو الزبد والتمر فقال تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج في
اصل الجحيم قعر النار الحسن اصلها في قعرجهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها الطلع للنخلة فاستعير لما يطلع
من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية كانه رءوس الشياطين شبه برءوس الشياطين
دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه
شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون
جاوا بصورته على اقبح ما يقدر وا هوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة

الحسنة • قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • وهذا تشبيه تخييلي • وقيل اراد بالشياطين
الحيات • والعرب تسمي الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطانا • وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا
منتنا مر منكر الصورة يسمى ثمره روس الشياطين • وما سمت العرب هذا بروس الشياطين الا قصدا
لاحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا بالثالث تشبيه به فانهم لاكلون منها من الشجر اي من
طلعها فمالئون منها بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد والملي حشو الوعا بما لا يحتمل زيادة عليهم ثم ان
لهم عليها لشوبا خلطا ومزاجا • مقاتل شرابا من حميم ما حار شديد الحرارة • ومعنى حرف التراخي
في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وجهان • احدهما انهم يملون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق
بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الابد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب
بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجا بثم للدلالة
على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ثم ان مرجعهم لالى
الجحيم اي ثم انهم تذهب بهم من مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم ٥
فياكلون الى ان يمتلوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين
انهم الفوا اباءهم وجدوا اباءهم ضالين • فهم على اثارهم يهرعون يسرعون علل استحقاقهم للوقوع
في تلك الشدايد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اباءهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا • وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة **قوله تعالى** ولقد ضل
قبلهم اكثر الاولين • ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • الا عباد الله
المخلصين • ثم انه تعالى ذكر لرسوله عليه السلام ما يوجب التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ٥
في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبل قومك قريش اكثر الاولين فارسلنا فيهم منذرين انبياء حذروهم
العواقب فكذبوهم ويجب ان يكون لك اسوة بهم حتى تصبر كما صبروا وتستمروا على الدعا الى الله تعالى
وان تمردوا فانه ليس عليهم الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المكذبين
الا عباد الله المخلصين اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم • وقيل اخلصهم الله
لدينه **قوله تعالى** ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون • ونجيناه واهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين • وتركنا عليه في الاخرين • سلام على نوح في العالمين • انا كذلك نجزي
المحسنين • انه من عبادنا المومنين • ثم اغرقنا الاخرين • لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية
وسوء عاقبة المكذبين اتبع ذلك ذكر نوح ودعايه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب
قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبريا
والمعنى انا اجبنا احسن الاجابة واوصلناه الى مراده وبغيته من نصرة على اعدايه والانتقام منهم
بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم • وهو الغرق والطوفان واهوال السفينة وقيل
تكذيب قومه اياه واستذلالهم وجعلنا ذريته هم الباقون وحدهم وقد فني غيرهم • فقد روي انه مات
كل من كان معه في السفينة غير ولده • وقيل هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة • قتادة
الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاث اولاد سام ابو العرب وحام ابو السودان
من المشرق الى المغرب • ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج • ابن عباس لما خرج نوح عليه
السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنسا الا ولده ونساهم وتركنا عليه اي ابقينا له
ثناء حسنا وذكرا جميلا في الاخرين فيمن بعده من الانبيا والامم سلام اي وتركنا عليه في الاخرين من
الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك

قرات سورة انزلناها في العالمين يعني الدعا بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها
كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملايكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم • وقيل
وتركنا عليه ثناء حسنا وتم الكلام ثم قال الله تعالى سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين
اي ساير المحسنين فنجيهم ونثني عليهم كما انجينا نوحا واثنينا عليه انه من عبادنا المومنين • علل مجازاة
نوح بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا
ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مومنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ثم اغرقنا الاخرين • يعني قومه الكافرين المكذبين
قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم • اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون • فما ظنكم برب العالمين • فنظر نظرة في النجوم فقال اني
سقيم • فتولوا عنه مدبرين • فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضربا
باليمين • فاقبلوا اليه يزفون • قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون • قالوا ابنوا له
بنيانا فالقوه في الجحيم • فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين • وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين •
رب هب لي من الصالحين • وان من شيعته ممن شايع نوحا على التصلب في دين الله ومصابرة ٥
المكذبين لابراهيم يحتمل ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشيا • ابن عباس وان من اهل
دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم
الفان وستماية واربعون سنة • والظرف يتعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه
على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع افات
القلوب • وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فتناولها كلها
ومعنى المجي بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجي مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون • ما الذي تعبدون • وقيل لاي شي تعبدون فان السوال وقع عن الغرض لا عن الجنس
ايفكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم
المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون
مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون
حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب العالمين اذ القيتموه • وقد عبدتم غيره
وقيل فما ظنكم برب العالمين انه من اي جنس من اجناس الاشيا حتى شبهتم به هذه الاصنام اي لا يشبهه شي
وقيل فما ظنكم بما هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم
عبادته الى عبادة الاصنام • وقيل فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف لا يعاقبكم وقد عبدتم غيره فنظر
نظرة في النجوم وذلك حين طلبوا منه ان يخرج معهم الى عيد لهم فاراد ان يتاخر للامر الذي هم به
فقال اني سقيم ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه
وذلك انه كان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على اصنامهم فيقربون لهم القرابين ويضعون
بين ايديهم من الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه
مقاتل كانت الاصنام اثنان وسبعين صنما من خشب وحديد ورصاص وشبه وفضة وذهب وكان كبيرهم
من ذهب في عينيه ياقوتتان فقالوا لابراهيم عليه السلام ان لا تخرج معنا الى عيدنا فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم ابن عباس مطعون • الحسن مريض الضحاك سا سقم كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون • وقيل
سقيم مما في عنقي من الموت • وقيل سقيم مما ارى من احوالكم القبيحة • وقيل سقيم لعلة عرضت له وانما نظر

في النجوم مستدلا على ذلك حمى كانت تاتيه والصحيح انه لم يكن سقيما لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لقد كذب ابراهيم ثلاث كذبات ما منها واحدة الا وهو يماحل ويماصل عن دينه • قوله
اني سقيم • وقوله بل فعله كبيرهم • وقوله لسارة هي اختي • وقيل الذي قاله ابراهيم معاريض من الكلام
وقد نوي به ان من في عنقه الموت سقيم • ومنه المثل كفى بالسلامة داء • وقول لبيد •

• فدعوت ربي بالسلامة جاهدا • ليصحني فاذا السلامة داء •

وقد مات رجل فجاة فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في
عنقه • وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فتولوا عنه مدبرين الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه السلام
على الاصنام فكسرها ووضع الفاس على عاتق الصنم الكبير وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على اصنامهم
قبل ان يرجعوا الى منازلهم فدخلوا عليها فاذا هي مكسورة فذلك قوله عز وجل فراغ الى الهتهم فذهب اليهن
في خفية من روغة الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاي • الا تاكلون
اظهارا لضعفهم وعجزهم ما لكم لا تنطقون استهزا بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا
كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم وقيل فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى
ضاربا ضربا باليمين ضربا قويا شديدا لان اليمين اقوي على العمل من الشمال • وقيل باليمين بسبب
القسم الذي سبق منه وذلك قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين • وقيل
بالقوة والمتانة فاقبلوا اليه الى ابراهيم يزفون يسرعون • الحسن ومجاهد يزفون • زفيف النعام
حمزة يزفون بضم اليا وكسر الزاي من ازف اذا دخل في الزفيف • وقيل من ازفه اذا حمله على الزفيف
اي يزف بعضهم بعضا • قال ابراهيم عليه السلام لهم على وجه الحجة اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون اي وعملكم وفي هذه الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى حيث قال وما
تعملون وعلى انها مكتسبة للعباد حيث اثبت لهم عملا فابطل مذهب القدرية والجبرية بهذه الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته • وقيل وما تعملون اي اصنامكم
وقيل ما تعملون من الاصنام كالخشب والذهب والفضة قالوا ابنوا له لاجله بنيانا فاما قيل بنوا
له حائطا من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملوه من الحطب واوقدوا فيه
النار فالقوه في الجحيم في معظم النار الشديد الوقود • وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم
واراد وا به كيدا مكرا وحيلة لما غلب عليهم بالحجاج فجعلناهم الاسفلين المقهورين • والمعنى ان
الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذل لهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله عز وجل
والهمه ما الهمهم به الحجر وبهتهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاسفلين الاذلين لم يقدروا
عليه • وقال ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى مرضات ربي وهو المكان الذي امره بالذهاب
اليه • وقيل اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال
اني مهاجر الى ربي • وقيل ذاهب الى ربي بديني وعملي سيهدين الى مقصدي • وقيل انما قال ذلك حين
طرح في النار • اي ذاهب الى ما قضى علي ربي • وقيل معناه اني ميت كما يقال لمن مات ذهب الى الله
وقيل سيهدين الى الخلاص من النار وقيل الى الجنة • وقيل الى قول حسبي الله ونعم الوكيل وقيل سيثبتني على
الهدى • وقيل سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام
كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه
على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجا
والطمع لقال كما قال موسى صلى الله عليه وسلم عسى ربي ان يهديني سوا السبيل رب هب لي ولدا من ٥

الصالحين • لان لفظ الهبة غلب في الولد • وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هارون نبيا • قال عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب • ووهبنا له يحيى الايات •
قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شا الله من الصابرين • فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلا المبين •
وفديناه بذبح عظيم • وتركنا عليه في الاخرين • سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين • انه من
عبادنا المومنين • وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين • وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين • فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على ثلاث ان الولد غلام ذكر وانه
يبلغ اوان الحلم اي بغلام يبلغ درجة الحلما • وان الصبي لا يوصف بالحلم والحليم لا يعجل بالعقوبة مع القدرة
وقيل بغلام عليم في صغره حليم في كبره • وقيل حليم في صغره واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه
ابوه الذبح فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين • ثم استسلم لذلك • وقيل ما نعت الله الانبيا عليهم
السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده • ولقد نعت الله تعالى به ابراهيم في قوله ان ابراهيم
لاواه حليم • ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي مع ابيه
في اشغاله وحوائجه • وقيل قوي على ان يسعى معه في منافعه • وقيل يمشي مع ابيه • وقيل بلغ ان يسعى
في عبادة الله وطاعته • وقيل بلغ مبلغ الرجال قيل معه لا يجوز ان يتعلق ببلغ لاقتضايه بلوغهما
معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه قال فلما بلغ معه
السعي الى الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق
الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعا فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده
وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من
رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسر على احتمال تلك البلية العظيمة • والاجابة بتلك الجواب الحكيم • قال
يا بني اني ارى في المنام اي اني في المنام فقيل له اذبح ابنك ورويا الانبيا وحي كالوحي في اليقظة فلهذا
قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرويا كما يقول الممتحن وقد راي انه راكب في سفينة ٥
رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة • وقيل راي ليلة التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك بذبح
ابنك هذا فلما اصبح روي في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي
يوم التروية فلما امسى راي مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة • ثم راي مثله في الليلة الثالثة
فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر • وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ
حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة • حمزة والكسائي
وخلف ماذا تري بضم التا وكسر الرا ماذا تريني من صبرك وجزعك وقيل ماذا تبصر من رايك
وتبديه • وقيل ماذا تشير والباقون بفتح التا والرا • قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف
الجار كما حذف من قوله • امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية
المامور به امرا ستجدني ان شا الله من الصابرين على البلا اختلف السلف من علما المسلمين في الذي امر ابراهيم
عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اتفاق اهل الكتابين على انه كان اسحق فقال قوم الذبيح اسحاق واليه
ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس ابن عبد المطلب
رضي الله عنهم ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقسم
ابن ابي مرة وعطا ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وهي رواية عكرمة وابن جبير

من ابن عباس وقال اخرون هو اسماعيل والي هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر
ابن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع ابن انس ومحمد بن كعب القرظي
والكلبي وهي رواية عطا وابي الجوزا ويوسف عن ابن عباس قال المفدي اسماعيل وزعمت اليهود انه اسحاق
وكذبت اليهود وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح بالاجماع لم نعدل
الي غيره فاما الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسحاق فعن الاحنف بن قيس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اراد ان يذبح اسحاق وعن صفوان بن سليم وزيد بن
اسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اسحاق الذي اراد ابراهيم ان يذبحه وعن انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشفع اسحاق بعدي فيقول يا رب صدقت بنبيك وجدت بنفسي للذبح فلا تدخل النار
من لم يشرك بك شيا فيقول الله تبارك وتعالى وعزتي لا ادخل النار من لم يشرك بي شيا وعن
ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خيرني بين ان يغفر لنصف امتي او اختبي
شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان يكون اعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت
منها دعوتي ان الله عز وجل لما فرج عن اسحاق عليه السلام كرب الذبح قيل يا اسحاق سل تعط فقال اما والذي
نفسي بيده لا تعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة
واما ما روي عنه عليه السلام ان الذبيح اسماعيل فعن الصنابحي قال كنا عند معاوية ابن ابي سفيان
فذكروا الذبيح اسحاق او اسماعيل فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه
رجل فقال يا رسول الله عد علي مما افا الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله فقيل يا امير المومنين
وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لله عز وجل لين سهل الله عز وجل له امرها
ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بماية من الابل ففداه بماية
من الابل والثاني اسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار في هذا الباب فاما حجة القايلين بانه اسحق
من القران فهو ان الله تعالى اخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الي الشام
مع امراته سارة وابن اخيه لوط وقال اني ذاهب الي ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي
من الصالحين وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان يصير له ام اسماعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة
دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رويا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه
السعي وليس في القران انه بشر بولد الا باسحاق واحتج من قال انه اسماعيل من القران بما روي
عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل وانا
لنجد ذلك في كتاب الله وذلك ان الله تعالى يقول حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحاق ومن
ورا اسحاق يعقوب يقول يا ابن ويا ابن ابن فلم يكن يامر بذبح اسحاق وله فيه من الله تعالى الموعود
فلما لم يذكر الله تعالى اسحاق الا بعد انقضا الذبح ثم بشر بولد اسحاق علمنا ان الذبيح اسماعيل قال
القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا الشي ما كنت
انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الي رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى
من علما اليهود فساله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال اي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال
اسماعيل ثم قال والله يا امير المومنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم
الذي كان من امر الله فيه والفضل الذي ذكره الله عز وجل منه لصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك
ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم واحتجوا ايضا بان قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في ايدي بني
اسماعيل الي ان احترق البيت واحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين

بالكعبة وكان القرنان ميراثا لولد اسماعيل عليه السلام عن ابيهم فلم يزاحمهم على ذلك ولد اسحاق عليه
السلام وهم الروم وكانوا اكثر عزا وامنع من العرب وهذا ادل دليل على ان الذبيح اسماعيل وقال
الاصمعي سالت ابا عمرو ابن العلا عن الذبيح كان اسحاق او اسماعيل فقال لي يا اصيمع اين ذهب عنك عقلك
واين كان اسحق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة والذي بنى البيت مع ابيه ابراهيم عليهما السلام كما قال
عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل والمنحر بمكة لا شك فيه وسيل ابو سعيد الضرير
عن الذبيح فانشد وجعل يقول

ان الذبيح هديت اسماعيل ... نطق القران بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا ... وابانه التفسير والتاويل
ان كنت امته فلا تنكر له ... شرفا به قد خصه التفضيل

قال صاحب الكشاف فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله تعالى قلت لم يشاوره ليرجع
الي رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلا الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن
عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلا وهو كالمستانس
به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله وان المفاوضة بالذبح ما يستسمح وليكون سنة في المشاورة
فقد قيل لو شاور ادم الملايكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة
قلت كما اري يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الي ابيه وكما وعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبيا وذلك لتقوية
الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان
على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احداهما فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله ورضيا به
يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا
اخلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما
اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله قتادة في اسلما اسلم هذا
ابنه وهذا نفسه وتله للجبين اي صرعه واضجعه وكبه على وجهه للذبح تواضعا على مباشرة الامر
بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن
في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف تقديره
فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا كان كما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلا
العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان
الله الذي ليس وراه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خوله الله من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا لهو البلا المبين الاختبار المظهر فيما يوجب النعمة او النقمة
وكذلك يقال للنعمة بلا وللمحنة بلا لانها سميت باسم سببها المودي اليها وقيل البلا المبين الاختبار البين
الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح
عظيم والذبح المهيا لان يذبح عن ابن عباس رضي الله عنهما الكبش الذي ذبحه ابراهيم عليه السلام هو
الذي قربه ابن ادم هابيل فتقبل منه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة
اربعين خريفا مجاهد سمي عظيما لانه متقبل الحسين ابن الفضل لانه كان من عند الله ابو بكر الوراق
ولانه لم يكن عن نسل وانما كان بالتكوين وقيل لانه فدا عبد عظيم وقال اهل المعاني قيل له عظيم

لانه يصغر مقدار عوض من الكباش بالاضافة اليه • واكثر المفسرين على انه كان كبشا من الغنم اعين اقرن
املح • الحسن فادي اسماعيل الا تيس من الاروى اهبط عليه من ثبير • فان قيل قد اوحي الى ابراهيم
عليه السلام في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح • وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح
منه الذبح • وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح اجيب بانه قد
بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه • ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة
ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت
فيه الشفرة وفرى الاوداج • وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل
ولا قبل اوان الفعل في شي كما يسبق الى بعض الاوهام حتى تشتغل بالكلام فيه فان قيل الله تعالى هو
هو المفتدي اليه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه اسند الفداء الى السبب
الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قيل اذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم
الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل • اجيب بانه قد علم بمنع الله تعالى ان
حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله تعالى له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك
الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسماعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه • فان قيل فاي
غاية في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان
اجيب بان الغاية في ذلك ان يوجد ما منع منه في ابتداء حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور والجاد
المامور به من كل وجه وتركنا عليه على ابراهيم سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين • ولم يقل ههنا انا
كما في غيره لانه قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية و
بقي من القصة شي وسايره ذلك وقع بعد تمام القصة انه من عبادنا المؤمنين **قوله تعالى**
وبشرناه باسحاق نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين • فان قيل فرق بين هذا وبين
قوله فادخلوها خالدين • وذلك لان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معها
فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة ٥
وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحل وهذا المبشر به
الذي هو اسحاق حين وجد لم يوجب النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا
حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم تكن
صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه
لا سبيل الى ان يكون موجوده او مقدره وقت وجود البشارة باسحاق لعدم اسحاق • اجيب
بان هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف
وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحاق نبيا بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل
البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل
الثناء والتعريض لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين • قتادة بشره الله بنبوة اسحاق بعد ما امتحنه
بذبحه وهو جواب من يقول الذبيح اسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحاق قالوا لا يجوز ان
يبشره الله بمولود ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه من انه سيكون نبيا • ابن عباس وبشرناه
باسحاق نبيا قال بشرى نبوة بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه وعلى اسحاق
اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين •
وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه • وقوله وظالم

لنفسه

لنفسه مبين قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين • وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب
لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر
وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاتب بسوء فعله ويعاتب على ما
اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه • وقيل على الغلام المبشر به وعلى اسحاق وهو ما رزقنا
من الذرية الصالحة التي توجد قرنا بعد قرن الى قيام الساعة • وقيل خرج من صلب اسحاق الف نبي
اولهم يعقوب وآخرهم عيسى • وقيل وجعلنا فيهما وفي نسلهما البركة والزيادة يقول بارك الله
فيك وعليك • وقيل معنى باركنا بقينا عليهما ثمنا والبركة البقاء ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين كانوا ظاهر الكفر **قوله تعالى** ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم • ونصرناهم فكانوا هم الغالبين • وآتيناهما الكتاب المستبين • وهديناهما
الصراط المستقيم • وتركنا عليهما في الآخرين • سلام على موسى وهرون • انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين • ولقد مننا انعمنا على موسى وهرون بالنبوة ونجيناهما وقومهما
بني اسرائيل من الكرب العظيم من الغرق حيث اغرقنا فرعون وقومه • وقيل من سلطان
فرعون وقومه وعسفهم ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه اي القبط وآتيناهما الكتاب المستبين المستنير البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اي اثبتناهما عليه وتركنا عليهما في الآخرين • سلام على
موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين **قوله تعالى** وان
الياس لمن المرسلين • اذ قال لقومه الا تتقون • اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين
الله ربكم ورب آبائكم الاولين • فكذبوه فانهم لمحضرون • الا عباد الله المخلصين • وتركنا عليه
في الآخرين • سلام على الياسين • انا كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين • ابن مسعود
الياس هو ادريس • والى هذا ذهب عكرمة • وقال هو في مصحف عبد الله • وان ادريس
لمن المرسلين • وتفرد عبد الله بن مسعود وعكرمة بهذا القول • وقال آخرون هو نبي من
انبياء بني اسرائيل • ابن عباس هو عم اليسع • وقيل هو الياس بن ياسين بن العيزار بن هرون
اخي موسى بن عمران لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله بالايمان به • وقيل
معناه الا تتقون الله اتدعون اتعبدون بعلا وهو اسم صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم
بعلبك • مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة اهل اليمن • وهي رواية سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عباس سمعت اعرابيا يقول لآخر من بعل هذه الناقة
يعني من صاحبها قال الفراهي بلغة هذيل وقيل كان من ذهب • وكان طوله عشرين ذراعا وله
اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان يدخل في جوف
بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام
وتذرون وتتركون احسن الخالقين فلا تعبدونه • الله ربكم قرا حمزة والكسائي وخلف
ويعقوب الله بالنصب ربكم ورب آبائكم بنصبها على البدل والباقون برفعها على الاستئناف
فكذبوه فانهم لمحضرون في العذاب والنار الا عباد الله المخلصين من قومه فانهم نجوا من العذاب
وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين بالمد فانه اراد آل محمد صلى الله عليه وسلم عن بعضهم
وقيل اراد آل الياس وهو اليق بسياق الآية ومن قرا الياسين فقد قيل انها لغة في الياس مثل

اسماعيل واسماعين وميكايل وميكايين وميكال وقيل هو جمع اراد الياس واتباعه من المؤمنين لقولهم
الاشعرون والمهلبون قال الكسائي العرب تثني وتجمع الواحد كقول الشاعر قدني من نصر
الخبيبين قدين وانما هو ابو خبيب عبد الله بن الزبير وقال اخر جزاني الزهدمان
جزا سوء وانما هو زهدم انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين **قوله تعالى**
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون مصبحين داخلين في الصباح اي تمرون
على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افلا تعقلون فما فيكم عقول تعتبرون بها
قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فامنوا فمتعناهم الى حين اذ ابق هرب ابن عباس الاباق الفرار الى حيث لا يهتدي الطالب فشبه
يونس بالعبد الابق من مولاه وقيل ابق خرج وقيل فرغ وقيل تباعد الى الفلك المشحون المملو وقيل
المجهز ابن عباس ووهب كان عليه السلام قد وعد قومه العذاب فلما تاخر العذاب عنهم
خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق
من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس عليه السلام
فقالوا الا نلقيه في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فوقعت القرعة على يونس عليه السلام فقال
انا الابق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله فساهم فقارع والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة
فكان من المدحضين المقروعين المغلوبين وحقيقة المدحض المزلق عن مقام الظفر والغلبة فالتقمه
فابتلعه الحوت فاوحى الله اليه اني جعلت بطنك ليونس سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو مليم داخل
في الملامة فقال رب لام مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم فلولا انه كان من المسبحين المتنزهين
الذاكرين لله تعالى قبل ذلك في الرخا بالتسبيح والتقديس ابن عباس من المصلين مقاتل من المصلحين
المطيعين قبل المعصية وهب من العابدين سعيد ابن جبير يعني قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين الحسن ما كان له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا للبث في بطنه الظاهر
لبثه فيه حيا الى يوم القيامة وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة الكلبي
لبث فيه اربعون يوما الضحاك عشرون عطا سبعة وقيل ثلاثة الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه
بعيد الوقت الذي التقم فيه روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس و
يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فنبذناه فطرحناه بالعراء الكلبي وجه الارض مقاتل
ظهر الارض مقاتل بن سليمان بالبراز من الارض الاخفش بالفضا العرا جنبا الارض الواسعة السدي
بالساحل والعرا الارض الخالية عن الشجر والنبات ومنه قيل للمجرد العريان قال الشاعر

رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

وهو سقيم عليل مما حل به روي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي له وقيل
عنده كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي شجرة من يقطين القرع ابن عباس والحسن ومقاتل
كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض ولا يستقل على الساق وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع
والحنظل سعيد بن جبير هو كل شي ينبت ثم يموت في عامه وقيل هو تفعيل من قطن بالمكان
اذا اقام به لان منه زايل لا اقامه ثابت مقاتل بن حيان وكان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف

وما روي عن قتادة رحمه الله
بعيد لان المقام مقام التنفيس
فالمناسب تقاعد في بطن الحوت
حيا والا ملا الفرق بين كونه
تحت التراب وبين كونه في بطنه
فليتامل لمحرره غفر الله
الكريم ولوالديه وعلمائه
التبد وعفى عنه
الله

اليه

اليه فيشرب من لبنها وقيل هو الدبا ونايرة الدبا ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل
باغصانها وافطر على ثمارها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت على
شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر وقيل معنى انبتنا عليه شجرة انبتناها فوقه مظلة له
كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه يجوز ان يكون قبل حبسه في بطن الحوت وهو ما سبق من
ارساله الى قومه من اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى
غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما
فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا الى مائة الف او يزيدون في مراى الناظر اذا راها
الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة ابن عباس معناه ويزيدون
قال الشاعر فلما اشتد امر الحرب فينا تاملنا رياحا او رزاما
اي ورزاما مقاتل بل يزيدون ابن عباس مبلغ الزيادة على مائة الف عشرون الفا الحسن
والربيع بضع وثلاثون الفا ابن حيان سبعون الفا فامنوا عند معاينة العذاب فمتعناهم الى
حين الى اجل مسمى اي الى حين انقضا اجالهم **قوله تعالى** فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون
اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما
يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال
الجحيم فاستفتهم معطوف على فاستفتهم في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم باستفتا قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض
ثم امره باستفتائهم على وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله سبحانه الاناث ولانفسهم الذكور
في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة للبنات ووادهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن
ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة من خواص الاجسام والثاني
تفضيل انفسهم على ربهم تعالى حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما
ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك
انوثة او شكلك شكل النسا للبس لقابله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف
فكرر الله تعالى الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في اياته وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات
والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ان
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون
اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فاستفتهم فاسئل يا محمد اهل مكة
الربك البنات ولهم البنون وذلك ان جهينة وبني سلمة ابن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون حاضرون خلقنا اياهم
فطعنوا قوله تعالى اشهدوا خلقهم وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه

ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم
يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر وقيل المعنى انهم يقولون
ذلك كالقايل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله اي لم يقولوا عن قياس ولا عن مشاهدة بل عن كذب محض يقولون ولد
الله وانهم لكاذبون في هذا وفي ساير ما يتدينون به اصطفى البنات قرا نافع في بعض
الروايات لكاذبون اصطفى موصولة على الخبر والحكاية عن قول المشركين مجازة ليقولون ولد
الله ويقولون اصطفى البنات على البنين ثم رجع الى الخطاب والباقون بقطع الالف لانه الف
استفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة
على حالها مثل استكبرت واستغفرت واذهبتم ونحوها ما لكم كيف تحكمون اي شي لكم في هذه الدعوى
كيف تحكمون لربكم بما لا ترضونه لانفسكم افلا تذكرون انه واحد لا ولد له لا ذكرا ولا انثى
ام لكم سلطان حجة نزلت عليكم من السما وخبر بان الملايكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل
عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات
صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقوالهم شديد واما الاساليب التي وردت
عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزا وتهكم وتعجيب
من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا
وجعلوا يعني مشركي مكة بينه بين الله وبين الجنة يعني الملايكة نسبا وهو زعمهم ان الملايكة
بنات الله تعالى سمي الملايكة جنة لاجتنابهم عن الابصار والمعنى جعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبين
الملايكة واثبتوا بذلك جنسية جامعة لله وللملايكة وقيل سمي الملايكة جنة لانهم قالوا الجنس واحد
ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله
فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم
وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من
صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله
ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في
غير هذا المقام وقره وكناه ابن عباس قالوا الحي من الملايكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس هم بنات الله
تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منها الملايكة تعالى الله عما
يقول الظالمون علوا كبيرا الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه ولقد
علمت الجنة انهم يعني قايلي هذا القول لمحضرون في النار واذا فسرت الجنة بالشياطين يجوز ان يكون
الضمير في انهم للشياطين والمعنى ولقد علمت الشياطين انهم لمحضرون يعني ان الله تعالى يحضر الشياطين
النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركا في وجوب الطاعة لما عذبهم سبحان الله عما يصفون
نزه نفسه عن الولد والوالد والاخ والصاحب والشريك الا عباد الله المخلصين استثنا منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثنا وبين ما وقع منه ويجوز
ان يقع الاستثنا من الواو في يصفون اي يصفه هولا بذلك ولكن المخلصين برا من ان يصفوه به
فانكم وما تعبدون اي الاصنام هذا الخطاب لاهل مكة متصل بقوله فاستفتهم قيل عليه اي على الله ٥
ومعناه فانكم وما تعبدون من الالهة ما انتم جميعا بفاتنين على الله الا من هو صال الجحيم اي ما انتم بمضلين
الا من هو صالي الجحيم اي الا من هو في علم الله واراد به انه سيدخل النار ومعنى فاتنين على الله مفسدين عليه

باغوايهم واستهوايهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وقيل الواو في وما
تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته وكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل
وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان
معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها
ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال
الا من هو ضال باضلال الله تعالى صال الجحيم داخل النار ذكر عند عمر بن عبد العزيز القدر فقال
عمر بن عبد العزيز لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطية وان في ذلك لعلما في كتاب الله
جهله من جهله وعرفه من عرفه ثم قرا فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم
وقال فصلت هذه الاية بين الناس وعن ابي عامر قال لي عمر بن عبد العزيز من فيه الى
اذني ما تقول في الذين يقولون لا قدر قلت ارى ان يستتابوا فان تابوا والا ضربت
اعناقهم فقال عمر بن عبد العزيز ذلك الراي فيهم والله لو لم تكن الا هذه الاية لكفى بها فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وقيل بفاتنين اي بمهلكين وقيل الفاتن الداعي الى الضلال
بتزيينه الا من هو صال الجحيم داخل النار والمعنى الا من اضله الله وقيل الا من تولاكم وقيل الا من
قدر الله له ان يصلى الجحيم وقيل الا من علم الله انه يصلى الجحيم ٥ **قوله تعالى** وما
منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا
ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون وما منا احد الا له مقام
معلوم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله

انا ابن جلا وطلاع الثنايا ... بكفي كان من ارمى البشر

اي بكفي رجل مقام معلوم في العبادة والانتها الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع راسه ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح ابو بكر
الوراق الا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف والرجا والمحبة والرضا السدي في القربة
والمشاهدة وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوة وقيل اجنحتنا في الهوى منتظرين ما نومر
وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمومنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ
نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلاتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المنزهون
وقيل المصلون وقيل المنزهون الممجدون لمن اين استحقينا العبادة عند الكفار قال
صاحب الكشاف والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملايكة
حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علمت الملايكة وشهدوا ان المشركين
مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوا عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
عباد الله المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله عز وجل
احدا من خلقه وتضلون الا من كان مثلكم ممن علم الله بكفرهم لا لتقديرهم وارادته تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة
وما نحن الا عبيد اذلا بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته
وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين
وكما يجب على العباد لربهم وهذا الكلام صحيح الا قوله ممن علم الله بكفرهم لا لتقديرهم وارادته انهم من اهل ٥
النار فانه باطل لا دلالة عليه في الاية والصحيح ممن علم الله لتقديره وارادته انه من اهل النار لا لكفره تعالى الله

عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وقيل قوله وما منا الا له مقام معلوم هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون مشركي مكة يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين • الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين وما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فكفروا به اختصار تقديره فلما اتاهم ذلك الكتاب كفروا به نظيره قوله او يقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم واخرهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين • وابصرهم فسوف يبصرون • افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين • وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين • لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اردفه بما يقوي قلب الرسول فقال ولقد سبقت الاية • فبين ان وعيد نصرهم قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كلمتنا هي قوله لاغلبن انا ورسلي • وقوله انهم لهم المنصورون • وان جندنا لهم الغالبون • وانما سماها كلمة وهي كلمات جمع لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة واحدة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها • وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب • ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة فتول عنهم فاعرض عنهم • واغض عن اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال • ابن عباس الى الموت • السدي الى يوم بدر • وقيل الى يوم القيامة وابصرهم اي انظر اليهم اذا عذبوا • وقيل ابصر حالهم بقلبك • وقيل وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة • وقيل انظرهم فسوف يبصرون ما انكروا • وقيل فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصر والتاييد والثواب في العاقبة • والمراد بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك • وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنفيس عنه فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوعدهم العذاب قالوا متى هذا الوعد فانزل الله تعالى هذه الاية فاذا نزل بساحتهم بناحيتهم وفنائهم فساء فبئس صباح المنذرين الكافرين مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع

وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي يحس لها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل • عن انس في قوله تعالى فساء صباح المنذرين قال لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زروعهم ومعهم مساحيهم فلما راوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذر والا لساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثنى وتولى عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيد الوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة سبحان ربك اضيف الرب الى المخاطب اعني رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفا وتكريما له صلى الله عليه وسلم رب العزة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما يقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق وقيل يريد انه ما من عزة لاحد من الملوك ولا من غيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء قال صاحب الكشاف اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه • وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون • والتسليم على المرسلين • والحمد لله رب العالمين • على ما قيض لهم من حسن العاقبة • والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم • ومودعات قرانه المجيد • وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه من مجلسه • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين • وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين • وعن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية

وهي ثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا • وسبعمائة واثنتان وثمانون كلمة • وخمس وثمانون اية وقيل ست وثمانون اية • وقيل ثمان وثمانون اية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق سبب نزولها ابن عباس ان قريشا شكوا رسول الله الى ابي طالب فقال فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها الجزية العجم قال كلمة • قال كلمة واحدة قال ما هي قال لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزلت فيهم ص والقران الى قوله ان هذا الا اختلاق واختلفوا في معنى ص ابن ابي طلحة عن ابن عباس قسم اقسم الله تعالى به • عطاء عن ابن عباس انه صدق محمد صلى الله عليه وسلم • الضحاك صدق الله • وعن ابن عباس ايضا صادق فيما وعده الزجاج معناه الصادق الله تعالى • قتادة انه اسم من اسماء القران اقسم به • ابو سليمان الدمشقي انه اسم حية راسها تحت العرش وذنبها تحت الارض السفلى وقال اظنه عن عكرمة الحسن وابن ابي اسحاق صاد بخفض الدال من المصاداة اي عارض القران بعملك وقابله به فاعمل باوامره وانته عن نواهيه • وقرا عيسى عن عمر

صاد بفتح الدال ومثله قاف ونون لاجتماع الساكنين حركها الى اخف الحركات وقيل على الاغرا وقيل
في صاد ان معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى امنوا به قال صاحب الكشاف صاد على
الوقف وهي اكثر القراة وقري بالكسر والفتح لالتقا الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف
القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر الله لافعلن
بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانه بمعنى السورة وقد صرفها من قرا صاد بالجر والتنوين
على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها
الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القران
بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقران ذي الذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان ٥
ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في
اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر
انه لكلام معجز والثاني ان يكون ص خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد
يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور
بالسخا والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين
كفروا في عزة وشقاق واستكبار عن الاذعان والاعتراف بالحق وشقاق لله ولرسوله اذا جعلتها
مقسما بها وعطفت عليها والقران ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد
السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل
الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور
وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص
الانبيا والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتها وتفاقمها وقيل ان صاد جواب
كقوله والقران كقولك وجب والله نزل والله حق والله وقيل ان صاد قسم جوابه كم اهلكنا من قبلهم
من قرن ومعناه لكم فلما طال الكلام حذفت اللام ومثله والشمس وضحاها قد افلح فان المعنى
لقد افلح غير انه لما اعترض بينهما كلام تبعه قوله قد افلح وقيل ان كل الا كذب الرسل وقيل ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار قال الفرا لا نجده مستقيما في العربية لتاخره جدا عن قوله والقران
وقيل ان جوابه محذوف تقديره والقران ذي الذكر ما الامر كما تقول الكفار ويدل
على هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق بل الذين كفروا في عزة حمية جاهلية
ومكر وشقاق فراق وخلاف وعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب لما وصفهم الله
تعالى بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم اهلكنا وعيد لذي العزة والشقاق من قبلهم من قرن
فنادوا بالاستغاثة والايمان والتوبة ولات حين مناص وليس بوقت فرار ولا نزو
وارتفاع وهب ولات بالسريانية وليس وقيل انما هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تا التانيث
كما زيدت على رب وثم فقيل ربت وثمت للتاكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان
ولم تبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه
وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التا وخص بنفي الاحيان وحين مناص منصوب

بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه انما ينتصب نحو بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ٥
ويرتفع بالابتدا اي ولا حين مناص كاين لهم وعند الخليل وسيبويه ان النصب على ولات حين
مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصل لهم نقلا عن ابي عبيد
ان التا داخلة على حين اي تحين قال صاحب الكشاف لا وجه له واستشهاد ه بان التا ملتزقة
بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشيا خارجة عن قياس الخط مناص مفعل من
ناص مثل مقام اي منجا وفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص ابن
عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا
حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص وعجبوا ان
جاءهم منذر رسول منهم من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة
على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين
قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه
الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل
الذي لا وجه لصحته روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح المؤمنون
فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا
الوليد ابن المغيرة وهو اكبرهم سنا وابو جهل بن هشام وابي وامية ابنا خلف وعمير بن وهب
ابن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وعبد الله بن ابي امية والعاص بن وايل والحرث
ابن قيس وعدي ابن قيس والنضر ابن الحرث وابو البختري ابن هشام وقرظ بن عمرو
وعامر بن خالد ومخرمة بن نوفل وزمعة ابن الاسود ومطعم بن عدي والاخنس ابن
شريق وحويطب ابن عبد العزى ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والوليد بن عتبة ٥
وهشام ابن عمرو بن زمعة وسهيل بن عمرو فقال لهم الوليد امشوا الى ابي طالب فقالوا
له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعلت هولا السفها يريد الذين دخلوا في الاسلام وجيناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فدعاه فقال له يا ابن اخي هولا قومك يسالونك السوا فلا تمل كل
الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسالوني قال ارفضنا وذكر الهتنا وندعك
والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا
اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا اكيف يسع الخلق كلهم اله واحد
ان هذا الشي عجاب اي عجيب بليغ **قوله تعالى** وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على
الهتكم ان هذا الشي يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق اانزل عليه الذكر من
بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
وانطلق الملا اي اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله بالجواب
العتيد قايلين بعضهم لبعض امشوا او امشوا واصبروا على الهتكم واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا
الامر لشي يراد اي يريده الله ويحكم بامضايه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع الا الصبر وقيل
ان هذا الامر لشي من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشي يراد اي يطلب
ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا

فيما جرى بينهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول وقيل يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا واكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاول كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقيل وانطلق الملا منهم ان امشوا يعني الى ابي طالب فاشكوا اليه ابن اخيه واصبروا واثبتوا على الهتكم ما سمعنا بهذا الذي يقول محمد في الملة الاخرة قال ابن عباس والقرظي والكلبي ومقاتل يعنون النصرانية لان النصارى تجعل مع الله الها وقال مجاهد وقتادة يعني ملة قريش زماننا وقيل ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة على ان يجعل في الملة الاخرة حالا من هذا او لا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب اانزل عليه الذكر اي القران من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري من القران يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولون على سبيل الحسد بل لما يذوقوا بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة نظيرها في الزخرف اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها التي يقسمها على ما يشاء ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكان عندهم الحكمة التي يميزون بها من هو حقيق باتاء النبوة دون من لا حق له فليرتقوا في الاسباب في المعارج والطرق والحبال التي يتوصل بها الى العرش فليأتوا بالوحي الى من يختارون ويشاؤون وهذا امر توبيخ وتعجيز قال صاحب الكشاف الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله عز وجل وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خساهم خسية عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي جند ما هنالك ما صلة مهزوم مغلوب ممنوع عن الصعود الى السماء من الاحزاب اي من جملة الاجناد قال اكثر المفسرين يعني هؤلاء الملا الذين يقولون هذا القول جند مهزوم مقهور وانت عليهم مظفر منصور قال قتادة وعد الله عز وجل بمكة انه سيهزمهم فجاء تأويلها يوم بدر من الاحزاب اي كالقرون الماضية الذين قهروا واهلكوا قال صاحب الكشاف ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قليل فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما

ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ثم قال مسليا ومعزيا للنبي صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده ابن عباس ذو البناء المحكم العسى تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد الضحاك وملك ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد واصل هذا ان البيت من بيوتهم تثبت باوتاده قال في ظل ملك ثابت الاوتاد الضحاك ذو القوة والبطش الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مد بين اربعة اوتاد كل رجل منهم الى سارية وكل يد منه الى سارية فيتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت مقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشده بالاوتاد الكلبي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد فيرسل عليه العقارب والحيات عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قتادة وعطا كان له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعلوا الجند المهزوم منهم هم هؤلاء وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب

بوا

فوجب عليهم ونزل بهم عذابي وما ينظر هؤلاء يعني كفار مكة وقيل اشارة الى جميع الاحزاب الا صيحة واحدة يعني نفخة القيامة وقد روي هذا التفسير مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لها من فواق ابن عباس وقتادة من رجوع الوالي قراد مجاهد نظرة الضحاك مثنوية وفيه لغتان بضم الفاء وهي لغة تميم وبالفتح وهي لغة قريش قرا حمزة والكسائي وخلف من فواق بالفتح والباقون بالضم قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد وفرق الاخرون بينهما فقال الفراء وابو عبيدة والمؤرخ الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة وذهبوا به الى افاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو ان تحلب الناقة ثم تترك ساعة الى ان يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق فاستعير في معنى الانتظار ومنه ليسيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط فواق ناقة في سبيل الله حرمه الله عز وجل على النار يعني اذا جاءتهم لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ابن عباس كتابنا وعنه ايضا القط الصحيفة التي احصت كل شيء ابو العالية والكلبي لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه قالوا على جهة الاستهزاء عجل لنا قطنا يعنون كتابنا عجله لنا في الدنيا قبل يوم الحساب الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا وما كتب لنا من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحرث وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو الذي قال الله سأل سائل بعذاب واقع عطا لقد نزلت فيه بضع عشرة اية من كتاب الله سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي يقول الفراء القط في كلام العرب الحظ ومنه قيل للصك قط قال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز مجاهد قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط واصل الكلمة من القطة قوله سبحانه وتعالى اصبر على ما يقولون واذكر

عبدنا داود ذا الايد انه اواب ۝ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ۝ والطير محشورة
كل له اواب ۝ وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب ۝ كانه قال لنبيه اصبر على ما يقولون
وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبيا الله تعالى قد اولاه ما
اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه
عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه
الدائم ۝ وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها ۝ فما الظن بكم
مع كفركم ومعاصيكم ۝ وقيل قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن
نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته
على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة
في الدين والعبادة المضطلع بمشاقه وتكاليفه انه اواب مطيع تواب رجاع الى مرضات الله تعالى
انه اواب تعليل لذي الايد ذاك على ان الايد القوة في الدين ۝ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بتسبيحه
ابن عباس وكان عليه السلام يفهم تسبيح الحجر والشجر بالعشي والاشراق وهو وقت الاشراق حين
تشرق الشمس اي تضي ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها وطلوعها يقول شرقت الشمس
ولما تشرق عن ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا ادري ما بالعشي والاشراق حتى حدثتني ام هاني بنت
ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى وقال
يا ام هاني هذه صلوة الاشراق ۝ ابن عباس انزل في نفسي من صلوة الضحى شي حتى طلبتها في القران
فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق ۝ عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم
صلاها بعد ۝ وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس رضي الله عنهما اني لا اجد في كتاب الله صلاة بعد
طلوع الشمس فقال ابن عباس انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى في قصة داود عليه السلام يسبحن
بالعشي والاشراق وليس الاشراق طلوع الشمس انما هو صفاوها وضوها ۝ وقيل هو من اشرق القوم
اذا دخلوا في الشروق ۝ وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهايه بالشروق
يسبحن في معنى مسبحات على الحال ۝ وانما اختير يسبحن دون مسبحات لدلالته على حدوث التسبيح
من الجبال شيا بعد شي وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح والطير اي وسخرنا
له الطير محشورة مجموعة في مقابلة يسبحن لكن لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة
على الحدوث شيا بعد شي جي به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرون على ان الحشر
يوجد من حاشرها شيا بعد شي والحاشر هو الله تعالى لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة
كل اي كل واحد من الجبال والطير له لداود اواب مطيع وقيل له اي لاجل تسبيحه يسبح لانها كانت تسبح
بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى
فعله رجوعا بعد رجوع ۝ واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته
من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير في له لله اي كل من داود والجبال
والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا قوينا ملكه ملك داود عليه السلام ۝ ابن عباس
كان داود عليه السلام اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل
ابن عباس الذي شد الله ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا من بني اسرايل استعدى على
رجل من عظمايهم فاجتمعا عند داود عليه السلام فادعى المستعدي على الاخر بقرة وعجز عن اقامة
البينة فاوحى الله الى داود عليه السلام في منامه ان اقتل الرجل المستعدى عليه فقال هذه رويا ولست

اعجل

اعجل حتى انتبت فاوحى الله اليه مرة اخرى ان يقتله فلم يفعل ۝ فاوحى الله اليه الثالثة في اليقظة
ان يقتله او تاتيه العقوبة من الله فارسل داود عليه السلام الى الرجل فقال ان الله قد اوحى الي ان
اقتلك فقال له الرجل اتقتلني بغير بينة ولا ثبت ۝ قال له داود نعم والله لانفذن امر الله تعالى فيك
فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكن باني قتلت
ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه ۝ واتيناه
الحكمة يعني النبوة والزبور وعلم الشرايع والاصابة في الامور ۝ ابو العالية العلم الذي لا يرده
العقول ۝ وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب ۝ الفصل التمييز بين الشيين وقيل
للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس
المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص
الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطي صاحبه مظان
الفصل والوصل فلا تقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا
بما بعده ولا والله اعلم وانتم حتى تصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك ۝ وكذلك مظان العطف وتركه
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ۝ وقيل الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وفصل
الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل ۝ والصواب والخطا
وهو كلامه في القضا والحكومات وتدابير الملك والمشورات ابن مسعود والحسن والكلبي
ومقاتل وابو عبد الرحمن السلمي يعني علم الحكمة والبصر بالقضا وكان لا يتتعتع في القضا بين الناس
وهي احدى الروايات عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه البينة على المدعي واليمين
على من انكر وهو من الفصل بين الحق والباطل ۝ شريح الشهود ۝ والايمان ۝ الشعبي سمعت زيادا
يقول فصل الخطاب الذي اعطي داود عليه السلام اما بعد وهو اول من قالها لانه تفتتح اذا تكلم
في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه
وبين ذكر الله عز وجل بقوله اما بعد وقيل الخطاب القصد الذي فيه اختصار ۝ ومنه جا في
صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر **قوله تعالى** وهل
اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سوا الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه
وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ۝ فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته
وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وكان الانصار رضي الله عنهم يواسون المهاجرين
بمثل ذلك واختلف العلما في اخبار الانبيا وسيرهم عليهم السلام في سبب امتحان الله نبيه داود عليه
السلام بما امتحنه من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة
ابايه ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام وساله ان يمتحنه نحو الذي امتحنهم ويعطيه نحو الذي
كان اعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن اشياخهم ودخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان
داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة
ربه ويوما يخلو فيه بنسايه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب

فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي • فأوحى الله عز وجل إليه أنهم ابتلوا ببلايا
لم تبتل بها فصبروا عليها • ابتلي إبراهيم بنمرود وبذبح ولده • وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره •
وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف وإنك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام رب فابتلني بمثل
ما ابتليتهم • وأعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى الله عز وجل إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس
فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما
هو كذلك إذ جاءه الشيطان تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين رجليه
فمد يده ليأخذها • وفي بعض الروايات فمد يده إلى ابن له صغير فلما أهوى إليها طارت غير بعيد
من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة
فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود عليه السلام أين تقع فيبعث إليها من يصيدها
فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبي • وقال السدي رآها تغتسل
على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله
فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا وزوجها في
غزاة نعت البلقاء وأمير الجيش أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب إلى أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع
كذا وقدمه قبل التابوت وكان من تقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على
يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضا أن ابعثه إلى
عدو كذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود
عليه السلام فهي أم سليمان • قيل هذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء
المسلمين فضلا عن بعض الأنبياء • وعن سعيد بن المسيب • أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
من حدثكم بحديث داود على ما ترويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي
أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به • وقال إن كانت القصة
على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله
تعالى عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه • فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس • والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله عز وجل لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه
إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب • وقيل إن أهل زمان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة رجل
يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام
فقيل له إنك مع عظم منزلتك • وارتفاع مرتبتك • وكبر شأنك • وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن
تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر
على ما امتحنت به • وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة
أخيه المؤمن مع كثرة نسائه • وهل أتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من
الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم يقع على الواحد
والجمع كالضيف قال الله حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول
ضافه ضيفا وقوله الخصم جمع ولهذا قال إذ تسوروا المحراب • قوله خصمان يعني فريقين خصمين
والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحو قوله هذان خصمان اختصموا إن هذا
أخي قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض قيل فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان أجيب بأن معناه
أن التحاكم بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون • فإن قيل فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم

جميعا

جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان • أجيب بأنه لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة
الخصم صحت التسمية به إذ منتصب بمحذوف تقديره • وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا المحراب فصعدوا
سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذرّاه إذا علا ذروته
إذ دخلوا بدل من إذ تسوروا ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه • روي أن الله تعالى بعث إليه ملكين
في صورة إنسانين وطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب
فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسين ففزع منهم • ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة
أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما لجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم
فجاؤوه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله
لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف يا داود خصمان أي نحن خصمان فهو خبر مبتدأ محذوف بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر قاله ابن عباس • السدي ولا تسرف • المؤرج لا تفرط
والشطط والإشطاط مجاوزة الحد وأصل الكلمة من قولهم شطت الدار وأشطت إذا بعدت واهدنا
إلى سواء الصراط وسط الطريق ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه إن هذا أخي بدل من هذا أو خبر
لإن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله سبحانه وتعالى
وإن كثيرا من الخلطاء إن هذا أخي على التمثيل لا على التحقيق على معنى كونهما على طريقة واحدة وجنس واحد
كقوله تعالى إنما المؤمنون إخوة • وقيل إن المتسورين كانا أخوين من بني إسرائيل من الأب والأم
وإن أحدهما كان ملكا والآخر لم يكن ملكا فنبها داود عليه السلام على ما فعل به له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا
تورّي عن النساء بالظباء والشاء والبقر وهو كثير في أشعارهم الحسين بن الفضل هذا التعريض
للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بقر • وإنما هو كقول الناس ضرب زيد عمرا وظلم زيد
عمرا واشترى بكر دارا وما كان هناك ضرب ولا ظلم ولا شراء • فقال أكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلني أكفلها • ابن كيسان اجعلها كفلي أي نصيبي وعزني غلبني في الخطاب • الضحاك يقول
إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني • قيل أراد جاءني بحجاج لم أقدر أن أرد عليه ما أراد
به • وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل • وقيل أراد خطبة المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا
أي غلبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا وإنما
جاء على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا
أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه
وحيائه وأدعى إلى التنبيه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك
المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له
بإنكارها عليه ولا يصرح وأن يحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استقبح حال صاحب الحكاية
فاستقبح حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما
وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة وإنما كان ذلك
على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا
بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل
له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون نعجة فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على
الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيرا

من الخلطاء وانما حض هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قيل انما يستقيم طريقة
التمثيل اذا فسر الخطاب بالجدال فان فسر بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم • اجيب بان الوجه مع هذا
التفسير ان يجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله •
• يا شاة ما قنص لمن حلت له • فرميت غفلة عينه عن شاته •
وشبهها بالنعجة من قال • كنعاج الملا تعسفن املا • لولا ان الخلطا يا باه الا ان يضرب داود الخلطا
ابتدا امثالهم وقصتهم • فان قيل الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا
منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم • اجيب بانه تصوير للمسالة وفرض لها فصوروها في انفسهم
وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت
تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها
لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطاها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها قال داود عليه السلام
لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه بسؤال نعجتك مصدر مضاف
الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه
على وجه السؤال والطلب • فان قيل كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع
كلامه اجيب بان ذلك لم يقل الا باعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القران لانه معلوم وان كثيرا من
الخلطا الشركا ليبغي بعضهم على بعض والخلطا الشركا الذين خلطوا اموالهم والواحد خليط وهي الخلطة
وقد غلبت في الماشية • والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير
مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب
واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا
ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة
لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شي عنده وفي مائة وعشرين
بين ثلاثة ثلاث شياه وفي هذه الخلطة عليهما شاة تجب على ذي النعجة اذا جزء من مائة جزء من الشاة عند
الشافعي وعند ابي حنيفة لا شي عليه • وقصد بذكر الخلطا في هذا ذلك المقام الموعظة الحسنة والترغيب
في ايثار عادة الخلطا الصلحا الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتدا الذي عليه الكثير
مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطا اسوة الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فليسوا كذلك وقليل ما هم ما للابهام وفيه تعجب من قلتهم • قال صاحب
الكشاف وان اردت ان تتحقق فايدتها وموقعها فاطرحها من قول امرء القيس وحديث ما على
قصره وانظر هل بقي له معنى قط • قال السدي ان احدهما لما قال ان هذا اخي الاية فقال
داود عليه السلام للاخر ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولاخي هذا نعجة واحدة وانا اريد ان
اخذها منه فاكمل نعاجي مائة وهو كاره قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وذلك ان رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف واصله والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك
هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امراة ولم يكن لاوريا الا امراة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل
حتى قتل وتزوجت امراته قال فنظر داود عليه السلام فلم ير احدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك
قوله وظن داود اي ايقن لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما
فتناه ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل فاستغفر ربه وخر راكعا اي ساجدا عبر
بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة

على ان الركوع يقوم مقام السجود • الحسين بن الفضل سالني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن
قوله تعالى وخر راكعا واناب هل يقال للراكع خر قلت لا قال فما معنى قوله في الاية قلت معناه وخر
بعد ان كان راكعا اي سجد • عن ابي سعيد الخدري قال رايتني اكتب سورة ص والقران ذي الذكر
فلما اتيت على هذه الاية وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب رايت فيما يرى النائم
كان القلم خر ساجدا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يقول كما قال ويسجد كما سجد فتلاها فسجد وامرنا ان نسجد فيها • وعنه قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رايت الليلة كاني تحت شجرة والشجرة تقرا ص فلما
بلغت السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها اجرا • وحط عني بها وزرا • وارزقني
بها شكرا • وتقبلها مني كما تقبلها من عبدك داود • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجدت
انت يا ابا سعيد قلت لا يا رسول الله قال انت كنت احق بالسجدة من الشجرة ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة • وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا
حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى
وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة
والتنصل روي ان داود عليه السلام سجد فمكث اربعين ليلة ساجدا باكيا حتى نبت الزرع من دموعه
على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده رب داود زل زلة ابعد مما بين المشرق
والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق من بعده
فجاءه جبريل عليه السلام من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي
هممت به فقال داود عرفت ان الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت ان
الله تعالى عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال
جبريل عليه السلام ما سالت ربك عن ذلك ولين شيت لافعلن قال نعم فعرج جبريل عليه السلام وسجد
داود فمكث ما شا الله ثم نزل فقال قد سالت يا داود ربك عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود
ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول
ان لك في الجنة ما شيت وما اشتهيت عوضا • روي انه لا يرفع راسه الا للصلوة مكتوبة
او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى بلت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع
وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له
يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرايل فلما غفر له حاربه فهزمه
وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب ان اول من يشرب الكاس
يوم القيامة داود وابنه **قوله تعالى** يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب • وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار • ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب • لما تم الكلام في شرح
هذه القصة اردفها ببيان انه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلائل على فساد
القول المشهور في تلك القصة لانه من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دما المسلمين

واعيا في انتزاع ارواحهم منهم ثم تذكر عقيبه ان الله تعالي فوض خلافة الارض اليه ياداود انا جعلناك
خليفه تخلف من تقدمك من الانبيا في الدعا الي الله وفي سياسة الناس • وقيل جعلناك خليفه علي
الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلطان علي بعض البلاد ويملكه عليها • ومنه قولهم خلفا الله في
ارضه • وفيه دليل علي ان حال داود بعد التوبة بقيت علي ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين
الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوي هوي النفس في قضايك وتجزم ما يتصرف
فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوي فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلايله التي
نصبها في العقول وعن شرايعه التي شرعها واوحي بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب • وقيل متعلق بلهم اي لهم
عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله تفسير ان متابعة الهوي
توجب الضلال عن سبيل الله لان متابعته تفضي الي الاستغراق في اللذات الجسمانية والاستغراق
فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانهما حالتان
متضادتان فيقدر ما تزايد احدهما تناقص الاخري والضلال عن سبيل الله يوجب سو العذاب
وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا وهذه الاية دالة علي صحة الحشر بيانه انه تعالي خلق
في هذا العالم اما للاضرار وهو باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم او للانتفاع او لا لهذا ولا لذاك
والثاني باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فتعين ان يكون للانتفاع والانتفاع
لا يكون في حيوة الدنيا لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة
القليلة لا يليق بالحليم الكريم الرحيم فتعين ان يكون الانتفاع في حيوة الاخرة • ذلك ظن الذين كفروا
ذلك اشارة الي خلقها باطلا والظن بمعني المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين
كفروا والذين كفروا وان كانوا معترفين بان الله خلق السموات والارض لكن انكارهم للبعث والحياة
والثواب والعقاب معض الي ان يظنوا ان خلقها باطل لان الحشر والجزا والثواب والعقاب هي
التي سبقت اليها الحكمة في خلق العالم من رايها لمن جحدها جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم
فقد سفه الخالق سبحانه وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره وكان اقراره بكونه خالقا كلا
اقرار فويل للذين كفروا من النار • ام نجعل ام منقطعة ومعني الاستفهام فيها للانكار والمراد انه لو بطل
الجزا كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقي وفجر ومن سوي بينهم كان سفيها
ولم يكن حكيما كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته اي ليتدبروا اياته وتدبر الايات
التفكر فيها والتامل الذي يودي الي معرفة ما فيها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من
اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طايل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها
الحسن قد قرا هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتي
ان احدهم يقول والله لقد قرات القران فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يري للقران
عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هو لا بالحكما ولا الورعة
لا كثر الله في الناس مثل هولا • اللهم اجعلنا من العلما المتدبرين • واعذنا من القرا المتكبرين

قوله تعالي ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب • اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد • فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتي توارت بالحجاب • ردوها علي فطفق مسحا
بالسوق والاعناق • ولقد فتنا سليمان والقينا علي كرسيه جسدا ثم اناب • قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب • فسخرنا له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب

واليه

والشياطين كل بنا وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد • هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب
وان له عندنا لزلفي وحسن ماب • ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف
انه اواب علل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبه او مسبحا موبا للتسبيح مرجعا له •
لان كل موب اواب والصافن من الخيل القايم علي ثلاث قوايم وقد اقام الرابعة علي طرف الحافر
والصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص • وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع
لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمينة في مواقفها •
واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها • الكلبي غزا سليمان بن داود عليهما السلام اهل دمشق
ونصيبين فاصاب منها الف فرس • مقاتل ورث سليمان من ابيه داود عليهما السلام الف
فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة • الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة قالوا
فصلي سليمان عليه السلام الصلوة الاولي وقعد علي كرسيه وهي تعرض عليه فعرضت عليه منها تسعما
فتنبه لصلوة العصر فاذا الشمس قد غابت وفاتته الصلوة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم
بذلك فقال ردوها علي فردوها عليه فطفق مسحا اي فاخذ يمسح بسوقها واعناقها بالسيف
ويبحرها تقربا الي الله تعالي وطلبا لرضاه حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك قربانا منه ومباحا
له كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مايه فرس فما في ايدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك
المايه • الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله عز وجل مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف يشا •
وكان يغدو من ايليا فيقيل بغرمين ارض باصطخر ويروح من فرين فيبيت بكابل ابن عباس
سالت علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه الاية فقال ما بلغك في هذا يا ابن عباس فقلت له
سمعت كعب الاحبار يقول ان سليمان عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الافراس والنظر اليها
حتي توارت الشمس بالحجاب ردوها علي يعني الافراس وكانت اربعة عشر فردوها عليه فامر بضرب
سوقها واعناقها بالسيف فقتلها • وان الله سلبه ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها فقال
علي رضي الله عنه كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض الافراس ذات يوم لانه اراد جهاد عدو
حتي توارت الشمس بالحجاب • فقال بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوها
عليه حتي صلي العصر في وقتها وان انبيا الله تعالي لا يظلمون ولا يامرون بالظلم ولا يرضون بالظلم
لانهم معصومون مطهرون فذلك قوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد • قال
القتيبي الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها • قال النبي صلي الله عليه وسلم من
سره ان تقوم له الرجال صفونا فليتبوا مقعده من النار اي وقوفا الجياد الخيار السراع من الخيل
وغيرها واحدها جواد فقال اني احببت حب الخير يعني الخيل والعرب تعاقب بين الراء واللام
فيقول انهملت العين وانهمرت وختلت الرجل وخترته اذا خدعته • مقاتل حب الخير يعني المال
وهي الخيل التي عرضت عليه عن ذكر ربي اي الصلوة نظيرها لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتي
توارت يعني الشمس كناية عن غير مذكور كقول لبيد • حتي اذا القت يدا في كافر •
يعني الشمس بالحجاب وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورايه ردوها علي فطفق
مسحا بالسوق والاعناق • وقيل حبسها في سبيل الله وكوي سوقها واعناقها بكي الصدقه • ويقال
للكية علي الساق علاط • وللكية علي العنق وهاف • الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها
ويكشف الغبار عنها حبا لها ردوها علي متعلق بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما
هو جواب كان قايلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسوال اقتضا ظاهرا وهو اشتغال

حا

نبي من انبيآء الله بامر الدنيا حتي تفوته الصلوة عن وقتها ۰ ولقد فتنا سليمان قيل فتن سليمان عليه السلام
بعد ما ملك عشرين سنة ۰ وملك بعد الفتنة عشرين سنه ۰ السبقي كان من فتنته انه ولد لسليمان ولد
فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من السخرة وما نحن فيه من البلا
فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان بذلك فامر السحاب حتي حملته الريح وعدا ابنه في
السحاب خوفا من معرة الشيطان فعاقبه الله تعالي بخوفه من الشيطان ومات الولد فالقي ميتا
علي كرسيه فهو الجسد الذي قال الله تعالي والقينا علي كرسيه جسدا فتنبه في خطاه في ان لم يتوكل
فيه علي ربه وخاف من الشيطان فاستغفر ربه وتاب اليه ۰ وعن ابي هريرة رضي الله ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال قال سليمان لاطوفن الليلة علي سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد
في سبيل الله تعالي فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل ان شا الله وطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جات بشق ولد والذي نفس محمد بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون ۰ وقيل كانت سبب فتنة سليمان عليه السلام انه امر ان لا يتزوج امراة الا من بني اسرايل
فتزوج امراة من غيرهم فعوتب علي ذلك وهذا ونحوه مما لا باس به ۰ واما ما يروي من حديث
الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته عن وهب بن منبه سمع سليمان
عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشان لم يكن للناس
عليه سبيل لمكانه في البحر ۰ وكان الله عز وجل قد اتي سليمان عليه السلام في ملكه سلطانا
لا يمتنع عليه شي في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الي تلك المدينة تحمله الريح علي ظهرها
حتي نزل بها بجنوده من الانس والجن فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا
فاصطفاها لنفسه ودعاها الي الاسلام فاسلمت علي جفا منها وقلة فقه واحبها سليمان عليه السلام
حبا لم يحبه شيا من نسايه وكانت علي منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقا دمعها فشق ذلك علي سليمان
عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقا قالت ان ابي اذكره
واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك ۰ فقال سليمان عليه السلام فقد ابدلك الله
به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه ۰ وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله
قالت ان ذلك لكذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين
فصوروا صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي
عني بعض ما اجده في نفسي فامر سليمان عليه السلام الجن فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتي لا تنكر
منه شيا فمثلوه لها حتي تنظرت الي ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فازرته وقمصته
وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان عليه السلام من دارها تغدوا عليه في
ولايدها حتي تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان عليه
السلام لا يعلم بشي من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك اصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن
باب سليمان اي ساعة اراد دخول شي من بيوته دخل حاضرا كان سليمان او غايبا فاتاه فقال يا نبي
الله كبر سني ودق عظمي ونفد عمري وقد حان مني ذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر
فيه من مضي من انبيآء الله تعالي واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير
امورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من انبيآء الله فاثني علي كل نبي
بما فيه وذكر ما فضله الله تعالي به حتي انتهي الي سليمان عليه السلام فقال ما كان احلمك في صغرك
واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك ۰ وابعدك من كل ما تكره في صغرك

ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتي ملا غضبا فلما دخل سليمان داره ارسل
اليه فقال يا اصف ذكرت من مضي من انبيآء الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلي كل حال من امرهم
فلما ذكرتني جعلت تثني علي بالخير في صغري وسكت عما سوي ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت
في اخر امري قال ان لغير الله ليعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوي امراة قال في داري قال
في دارك قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت الذي قلت الا عن شي بلغك ثم رجع
سليمان عليه السلام الي داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولايدها ثم امر بثياب الطهرة
فاتي بها ثياب لا يغزلها الا الابكار ولم يمسها امراة ذات الدم فلبسها ثم خرج الي فلاة من الارض
وحده فامر برماد ففرش له ثم اقبل تايبا الي الله تعالي حتي جلس علي ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه
تذللا لله عز وجل وتضرعا اليه يدعو ويبكي ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول ماذا ابلاك
عند ال داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم واوطانهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه ذلك
حتي امسي ثم رجع الي داره وكانت ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهبه او اراد اصابة امراة
من نسايه وضع خاتمه عندها حتي يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضع
يوما من تلك الايام عندها خاتمه كما كان يصنعه ثم دخل مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر وكان
اسمه صخرا علي صورة سليمان لا ينكر منه شيا فقال يا امينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج
حتي جلس علي كرسي سليمان عليه السلام وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان فاتي الامينة
وقد غيرت حاله وهيبته عند كل من يراه فقال يا امينة خاتمي فقالت ومن انت قال انا سليمان
ابن داود فقالت كذبت لست سليمان بن داود وقد جا سليمان فاخذ خاتمه وهو جالس علي
سريره في ملكه فعرف سليمان عليه السلام ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف علي الدار من
دور بني اسرايل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون له انظروا
الي هذا المجنون اي شي يقول يزعم انه سليمان بن داود ۰ فلما راي سليمان عليه السلام ذلك عمد
الي البحر وكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الي السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسي باع
احدي سمكتيه بارغفة وشوي الاخري فاكلها فمكث كذلك اربعين يوما عدة ما كان عبد ذلك الوثن
في داره فانكروا علما بني اسرايل حكم الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال اصف يا معشر بني اسرايل
هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم قال امهلوني حتي ادخل علي نسايه واسالهن هل
انكرن منه في خاصة امره ما انكرنا في عامة امر الناس وعلانيته فدخل علي نسايه فقال ويحكن قد
انكرتن من امر ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع منا امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال
انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الي بني اسرايل فقال ما في الخاصة اعظم
مما في العامة فلما بلغ اربعون صباحا طار الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته
سمكة واخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك اذا كان العشي اعطاه سمكتيه
فاعطي السمكة التي اخذت الخاتم وخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الي
السمكة الاخري فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده فوقع ساجدا
وعكفت عليه الطير والجن واقبل عليه الناس وعرف الذي كان دخل عليه لما كان احدث في داره
فرجع الي ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين فقال ايتوني بصخر فطلبته له الشياطين حتي اخذته
فاتي به فجاب له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخري ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف
في البحر قال صاحب الكشاف ولقد ابي العلماء المتقون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين

جدا

لا يمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يتعوا في تغيير الاحكام وعلى نسا الانبيا
حتى يفجروا بهن قبيح • واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرايع الا ترى الى قوله من محاريب
وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه • والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا • قال سليمان رب
اغفر لي قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبيا والصالحين في تقديمهم امر دينهم
على امور دنياهم وهب لي ملكا لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون لاحد من بعدي ابن دوي ابن كيسان لا يكون لاحد
من بعدي انك انت الوهاب المعطي عطا يريد هب لي ملكا لا اسلبه في باقي عمري كما سلبته في ماضي عمري
مقاتل بن حيان كان سليمان عليه السلام ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح
والطير يدل عليه ما بعده • وقيل انما سال ذلك ليكون له علما على المغفرة وقبول التوبة حيث اجاب الله
دعاه ورد عليه ملكه وزاد فيه • وقال عمرو بن عثمان الصدفي اراد به ملك النفس وقهر الهوى
يؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايتم سليمان وما اعطاه الله من ملكه فانه لم
يرفع طرفه الى السما تخشعا لله عز وجل حتى قبضه • وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
قد عرض لي الشيطان في مصلاي الليلة فاخذته فاردت ان احبسه حتى اصبح فتذكرت اخي سليمان
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فتركته • فسخرنا له الريح تجري بامره رخا لينة طيبة حيث اصاب
قصد وشا تقول العرب • اصاب الصواب • فاخطا الجواب • اي اراد الصواب • والشياطين
اي وسخرنا له الشياطين كل بنا وغواص يستخرجون له اللالي من البحر وهو اول من استخرج اللولو من
البحر واخرين مقرنين في الاصفاد اي مشددين في القيود واحدها صفد • هذا عطاونا
فامنن فاعط من قوله ولا تمنن تستكثر • والعرب تقول من علي بعنف اي اعطنيه الحسن ان الله لم
يعط احدا عطية الا جعل فيها حسابا الا سليمان عليه السلام فان الله تعالى اعطاه عطا هنيئا •
فقال هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب • قال ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة •
مقاتل هو في امر الشياطين خل من شئت منهم وابق من شئت في وثاقك ولا تبعة عليك فيما تتعاطاه
وان له عندنا لزلفى وحسن ماب مصيره **قوله تعالى** واذكر عبدنا ايوب اذ نادى
ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب • ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب • وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب • واذكر عبدنا ايوب عطف بيان اذ بدل اشتمال منه اذ نادى ربه اني
مسني باني مسني الشيطان حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه بنصب فيه
اربع لغات بضمتين وبفتحتين وفتح النون وسكون الصاد وضم النون وسكون الصاد والمعنى
واحد اي بتعب ومشقة وبلاء ض مقاتل بنصب في الجسد وعذاب في المال وقيل العذاب (اي قال مقاتل)
الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب • قال صاحب الكشاف فان قلت
لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيايه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على
ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب
قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب
نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله تعالى في دعايه مع انه فاعله ولا يقدر
عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه
على الكراهة والجزع فالتجى الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر

الجميل • وهب ذكر في سبب ابتلايه انه استعان رجل ايوب على ظلم يدراه عنه فلم يعنه فابتلي •
الكلبي كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه • وقيل اعجب بكثرة ماله فابتلي اركض برجلك
حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وحرك هذا مغتسل فيه اضمار معناه فركض فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل اي هذا ما تغتسل بارد وشراب اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظا
وينقلب ما بك قلبه اي دآ وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الدا
من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى • وقيل ضرب برجله اليمنى فظهرت عين ما حار فاغتسل منها ثم
باليسرى فنبعت بارده فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب
رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له وليتذكر اولوا الالباب لانهم اذا سمعوا
ما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلا وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف
على اركض بيدك ضغثا حزمة صغيرة من حشيش فاضرب به امراتك ولا تحنث انا وجدناه صابرا
كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برا فحلل الله تعالى يمينه باهون شي عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمخدج قد خبث بامة
فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد
من المائة اما اطرافها قايمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها
ابطات عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا
قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة
فذكرت له ذلك فحلف • وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر بري فعرضت له بذلك
وقيل سالته ان تقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا **قوله تعالى**
واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار • قرا ابن كثير عبدنا على الواحد والباقون عبادنا ابراهيم واسحاق •
ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرا عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على
عبدنا وهي اسحاق ويعقوب اولي الايدي ذوي القوة في العبادة والابصار البصاير في الدين والعلم
كان الذين لا يعملون عمل الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون
في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه •
تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع
كونهم متمكنين منهما انا اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار
فسر خالصة بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفا وانتفا الكدورة عنها قرا نافع بخالصة
ذكرى الدار فاضاف خالصة الى ذكرى والباقون بالتنوين والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا
يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكر الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكرهم الاخرة دايبا ونسيانهم
اياه ذكر الدنيا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبيا وديدنهم
وقيل ذكرى الدار الثنا الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم • ومعنى اخلصناهم بخالصة
اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين ابنا جنسهم
الاخيار جمع خير او خير على التخفيف كالاموات جمع ميت او ميت **قوله تعالى** واذكر اسمعيل
واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار • واذكر يا محمد اسمعيل واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع
وذا الكفل وكل اي كلهم فان التنوين عوض من المضاف اليه من الاخيار **قوله تعالى** هذا ذكر

وان للمتقين لحسن مآب • جنات عدن مفتحة لهم الابواب • متكين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب • وعندهم قاصرات الطرف اتراب • هذا ما توعدون ليوم الحساب
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد • هذا ذكر اي نوع من الذكر وهو القران لما اجري ذكر الانبيا
واممهم وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا اخر وهو ذكر
الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما تقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في
باب اخر • ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في اخر هذا وقد كان كيت وكيت
والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار • قال هذا وان للطاغين
وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا • ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبيا وان
للمتقين لحسن مآب • جنات عدن عطف بيان لحسن مآب مفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من
معنى الفعل وفي مفتحة ضمير جنات لهم الابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم
ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال متكين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
وعندهم قاصرات الطرف اتراب كان اللذات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد
وانما جعلن على سن واحد لان التحاب بين الاقران اثبت • وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن
كاسنانهم • هذا ما توعدون • قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء من تحت والباقون بالتاء ليوم
الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزي كل نفس ما عملت ان هذا لرزقنا
ما له من نفاد هلاك **قوله تعالى** هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس
المهاد • هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج • هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم
صالوا النار • قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار • قالوا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار • وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار • اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار • ان ذلك لحق تخاصم اهل النار • هذا اي الامر هذا الذي
ذكرناه وان للطاغين للكافرين لشر مآب ثم بين شر مآب بقوله جهنم يصلونها يدخلونها فبئس
المهاد شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يستقر عليه النائم هذا اي هذا العذاب فليذوقوه ثم ابتدا
فقال هو حميم وغساق • وقيل حميم خبر هذا فقد يرتفع هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل هذا
فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه • قرا حمزة والكسائي وخلف
وحفص غساق مشددا والباقون مخففا والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد
اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها • ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم
النار مجاهد ومقاتل هو البارد الذي قد انتهى برده • ابن زيد هو المنتن بلغة الطخارية
وقيل بلغة الترك • محمد بن كعب هو عصارة اهل النار • قتادة والاخفش هو ما يغسق من قروح
الكفرة والزناة بين لحومهم وجلودهم اي يسيل • قال الشاعر •

• اذا ما تذكرت الحياة وطيبها • الي جرى دمع من العين غاسق •

وقيل الحميم يحرق بحره • والغساق يحرق ببرده • وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل
المغرب • ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق • الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله
تعالى ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة واخر قرا اهل البصرة واخر بضم الهمزة على جمع اخرى لانه نعته بالجمع
فقال ازواج مثل كبرى وكبر والباقون على الواحد والمعنى على الجمع ومعناه واخر من شكل مثل هذا

المذوق

المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة ازواج اصناف من العذاب • والمعنى على الواحد
وعذاب اخر او مذوق اخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق
واخر هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام
ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة • ابن عباس ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع
قالت الخزنة للقادة هذا يعني الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتم • وقيل
هذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا
معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء من القادة على اتباعهم تقول لمن يدعو له مرحبا
اي اتيت رحبا من البلاد ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم يدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو
عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحو قوله كلما دخلت امة لعنت اختها • وقيل هذا
كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعيتم به علينا انتم احق
به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا اي شرعتم وسببتم الكفر لنا والضمير للعذاب او لصليهم
ومعنى تقديمهم العذاب لهم هو عمل السوء • قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت
ايديكم ولكن الرؤسا لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا
فجعل الرؤسا هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة
لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه • قال صاحب الكشاف فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا
بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون
هذا جوابا لهم قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤسا احق به منا لاغوائكم
ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كالرجل يقوم لقوم بعض المنادي فيتكلم فيقيل
للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوا فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم
نرتكب ذلك فبئس القرار اي قرارنا وقراركم والمرحب والرحب السعة ومنه رحبة المسجد ابو عبيدة
يقول العرب للرجل لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك الارض اي لا اتسعت العتبي معنى قولهم مرحبا واهلا
وسهلا اي اتيت رحبا وسعة واتيت سهلا لا حزنا واتيت اهلا لا غربا فانس ولا تستوحش وهي في
مذهب الدعاء كما تقول لقيت خيرا فلذلك نصب • قال النابغة •

• لا مرحبا بغد ولا اهلا به • ان كان تفريق الاحبة في غد •

قالوا اي الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه فزده عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقوله كقوله عز وجل ربنا اتهم ضعفين من العذاب • وجاء في التفسير عذابا
ضعفا حيات وافاعي • وقالوا يعني كفار قريش اي الطاغين وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا
يعنون فقرا المسلمين كنا نعدهم من الاشرار الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على
خلاف دينهم وكانوا عندهم اشرارا في الدنيا • اتخذناهم قرا اهل البصرة والكوفة الا عاصما
بوصل الالف بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم اشرارا والباقون بفتح الهمزة
وقطعها على الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار بهم • وقوله ام زاغت
عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار
كانهم ليسوا فيها بل زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة
وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا
اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم والتحقير وان

اي يضاعفا ويصير اذا ضعفين • ونحو قوله لكل ضعف هو لا اضلونا • فاتهم عذابا ضعفا

ابصارنا كانت تعلوا عنهم وتعجبهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم • وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم • واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر والاستفهام كقولك انها لابل ام شاة وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة ومن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها والضمير في وقالوا للصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم • وقيل الاستفهام معناه التعجب او التوبيخ ابن كيسان يعني ام كانوا امنا ولا نعلم نحن بذلك فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك الذي ذكرت وحكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين فقال هو تخاصم اهل النار في تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤسا لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك **قوله تعالى** قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار • انه تعالى لما حكي في اول السورة ان محمدا عليه السلام لما دعى الناس الى ان الاله واحد والى انه رسول حق من عند الله والى ان القول بالقيامة حق فاولئك الكفار اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا بقوله • ثم انه تعالى ذكر قصص الانبيا لوجهين • الاول ليصير ذلك حاملا لمحمد عليه السلام على التاسي بالانبيا عليهم في الصبر على سفاهة القوم والثاني ليصير ذلك رادعا للكفار عن الاصرار على الكفر والسفاهة وداعيا الى قبول الايمان • ولما تمم الله ذلك الطريق اردفه بطريق اخر وهو شرح نعيم اهل الثواب وشرح عقاب اهل العقاب فلما تمم الله هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث فقال قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين وما من اله الا الله واقول لكم ان دين الحق توحيد الله عز وجل وان تعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شي • وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب المستغفرين **قوله تعالى** قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون • ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين • اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين • فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين • قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين • قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين • قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين • قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين • ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين • قل يا محمد لمشركي مكة هو اي القول بان الاله واحد وبان نبوته صلى الله عليه وسلم ثابتة • وقيل هذا الذي اتيتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك • نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة • ابن عباس يوم القيامة نظيرها قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم • نبا عظيم انتم عنه معرضون • ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبي به من الملا الاعلى يعني الملايكة اذ يختصمون في شان ادم وهو قولهم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها • عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ربي اتدري فيم يختصم الملا الاعلى فقلت لا

فقال اختصموا في الكفارات والدرجات فاما الكفارات فاسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة • واما الدرجات فافشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ما كان لي من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله عز وجل ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين • اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضا الفعل اليه وقيل هو مرفوع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك اذ يختصمون متعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم اذ قال بدل من اذ يختصمون • والمراد بالملا الاعلى اصحاب القصة الملايكة وادم وابليس لانهم كانوا في السما وكان التقاول بينهم لان التقاول الذي بين الله وبينهم انما هو بواسطة ملك فكان المقاول بالحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملايكة وادم وابليس وهم الملا الاعلى • والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين • فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين على وجه التكرمة والتبجيل لا على وجه العبادة • فسجد الملايكة كلهم اجمعون كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافاد معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات الا ابليس استكبر وكان من الكافرين • قيل اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شيت • وقيل وبجوز ان يراد وكان من الكافرين في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قيل التثنية في اليد دليل على انه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة انما هما صفتان من صفاته تعالى مجاهد اليد ها هنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت كقوله تعالى ويبقى وجه ربك • اي ويبقى ربك قيل هذا تاويل غير قوي لانه لو كان بمعنى الصلة لكان لابليس ان يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لادم عليه السلام في الخلق مزية على ابليس استكبرت الف استفهام دخلت على الف الخبر ام كنت من العالين المتكبرين عن السجود لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض • **قال** صاحب الكشاف الوجه الذي استكبر له ابليس السجود لادم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجدة لغير الخالق وانضم الى ذلك ان ادم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار وراى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملايكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله تعالى وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبريا وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشي هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملايكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه • وفيه اني

فقال سل قلت اللهم انى اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا اردت بقوم فتنة فتوفنى غير مفتون واسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك
صح

خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملايكة بان سجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة
السنية وابتلا للملايكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له ۝ وقيل معنى خلقت
بيدي لما خلقت بغير واسطة من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال
انا خير منه ۝ وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ۝ ومعنى الهمزة التقرير قال ابليس
انا خير منه اي لو كان من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين
والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة من الاولى وهي خلقتني من نار لما سجدت له مجرى المعطوف
عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها قال الله تعالى لابليس فاخرج من
الجنة ۝ وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود
بعد ما كان ابيض ۝ وقبح بعد ما كان حسنا ۝ واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم مطرود معذب
مرجوم لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة ولان الشياطين يرجمون بالشهب وان
عليك لعنتي الى يوم الدين يدل على ان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع فانه كيف ينقطع وقد قال
تعالى فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ۝ ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين
اقترن له باللعنة ما ينسى عنه اللعنة فكانها انقطعت قال ابليس رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال الله تعالى لابليس فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي الوقت الذي يقع فيه النفخة
الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزايه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله عز وجل
معين لا يستاخر ولا يستقدم ۝ قال ابليس فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره لاغوينهم ۝
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ۝ قال فالحق والحق اقول ۝ قرا عاصم وحمزة وخلف برفع الاول
ونصب الثاني على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي والحق اقول اعتراض ۝
بين المقسم به والمقسم عليه وهو لاملان ۝ وقيل معنى فالحق مني واقول الحق والباقون بنصبهما على ان
الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان ۝ والحق اقول اعتراض بين المقسم به
والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله تعالى
ان الله هو الحق المبين ۝ او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه ۝ وقيل نصب الاول على الاغراء
وقيل انه اتبع قسما بعد قسم لاملان جهنم منك ممن تبعك وهم الشياطين ۝ وممن تبعك منهم من ذرية
ادم اجمعين تاكيد للضمير في منهم او للكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين
والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين ۝ وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت
في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم ۝ قل يا محمد لمشركي مكة
ما اسالكم على تبليغ الرسالة والوحي وقيل كناية عن غير مذكور من اجر وما انا من المتكلفين
الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي
احتل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه ۝ وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ۝ ويتعاطى ما لا ينال
ويقول ما لا يعلم ۝ ولتعلمن نباه اي نبا ما ياتيكم عند الموت ۝ وقيل يوم القيامة ۝ وقيل
عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره ۝ وانه الحق والصدق ۝ وفيه تهديد ۝ والله سبحانه اعلم ۝

سورة الزمر مكية

الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ۝ وهي اربعة الاف وسبعماية

وثمانية احرف ۝ والف ومايه واثنتان وتسعون كلمة وخمس وسبعون اية ۝ عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر ۝ قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ۝ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ تنزيل الكتاب مبتدا
اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب من الله صلة التنزيل كما تقول نزل
من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
تقديره هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة ۝ والكتاب القران قوله تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص ۝ بالحق اي ملتبسا
بالحق والصدق والصواب يعني كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع
التكاليف حق وصدق يجب اعتقاده والعمل به والمصير اليه ۝ وقيل انا انزلنا اليك الكتاب بـ
على دليل حق دل على ان الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان الفصحا عجزوا عن معارضته ۝
ولو لم يكن معجزا لما عجزوا عن معارضته فاعبد الله لما بين ان الكتاب ملتبس بالحق اردف ببيان بعض
ما فيه من الحق وهو الامر بعبادة على سبيل الاخلاص التي هي المطلوب من خلق الجن والانس مخلصا محضا
له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر ۝ وقيل الدين الطاعة الا لله الدين الخالص
اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شايبة كدر لاطلاعه على الغيوب
والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن جلب منفعة او دفع مضرة ۝ قتادة الدين الخالص
شهادة ان لا اله الا الله الحسن الاسلام قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ۝ لما بين ان راس العبادات
ورئيسها الاخلاص في التوحيد اردفه بذم طريقة المشركين ۝ فقال والذين اتخذوا من دونه
والذين يحتمل المتخذين وهم المشركون فالضمير في اتخذوا راجع الى الذين ويحتمل المتخذين وهم الملايكة
وعيسى والاصنام فالضمير في اتخذوا راجع الى المشركين ولم يجر ذكرهم لان الذين هم المتخذين ولكنه
مفهوم والراجع الى الذين محذوف والمعنى الذين اتخذهم المشركون اوليا ۝ والذين اتخذوا في موضع
الرفع على الابتدا والخبر على الاول ان الله يحكم بينهم او يقولوا المضمر قبل قوله ما نعبدهم ۝ وعلى الثاني
ان الله يحكم بينهم ۝ واذا جعل الخبر ان الله يحكم بينهم يكون القول المضمر ۝ قيل ما نعبدهم في موضع الحال
اي قايلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك والضمير في بينهم
لهم ولاوليايهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملايكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
التي نحتوها وعبدوها من دون الله عز وعلا يعذبهم بالاصنام حيث يجعلهم واياها حصب جهنم قتادة
وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض ومنزل من السماء ماء قالوا
الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عند الله فالضمير
في بينهم عايد اليهم والى المسلمين ۝ والمعنى ان الله يحكم بين المتنازعين من الفريقين يوم القيامة ۝ وقيل
اختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واوليك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون
شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ۝ لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا سبحانه هو الله الواحد القهار ۝ يعني من اصر على الكذب والكفر
بقي محروما عن الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاوثان بانها الهة مستحقة للعبادة مع علمهم ۝
بانها جمادات خسيسة والعلم الضروري حاصل بان وصفهن الاشيا بالالهية كذب محض واما الكفر
فيحتمل ان يكون المراد منه الكفر الراجع الى الاعتقاد والامر هاهنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية واعتقادهم

فهو بها جاهل وكفو ويحتمل ان يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية التعظيم وهي لا تليق الا بمن ينعم غاية الانعام وهو الله تعالى وهذه الاوثان لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال بعبادة هذه الاوثان لا مدخل موجب كفران نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى والمراد من هذه الكلام اقامة الدلايل القاهرة والبراهين الباهرة على كونه منزها عن الولد فانه لو اراد ان يتخذ ولدا كما زعموا الاصطفى والمراد من هذا الكلام اقامة الدلايل على ما هو اكمل الاولاد وهو الابن فكيف نسبتم اليه البنت • قال صاحب الكشاف وكذبهم قولهم في بعض ما اتخذ وامن دون الله اوليا بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى امما يخلق ما يشا • يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح منه لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويخصهم ويقربهم كما يخص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملايكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفا ما شا من خلقه وهم الملايكة الا انهم لجهلكم به حسبتم اصطفاهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفادين مبتالغين في الافترا على الله سبحانه وملايكته غالين في الكفور سبحانه ثم نزه ذاته عن ان يكون احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاوليا ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه الواحد الحقيقي الذي يمتنع ان يتكثر بالاجزا • والافراد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان يكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة القهار الغلاب لكل شي ومن الاشيا الهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اوليا وشركا • **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار • الاية المتقدمة دلت على انه تعالى بين كونه منزها عن الولد بكونه هو الواحد القهار اي الكامل القدرة فلما بنى تلك المسئلة على هذا الاصل عقبها بما يدل على كمال القدرة وايضا انه تعالى طعن في الهة الاصنام فذكر عقبها الصفات التي باعتبارها تصلح الالهية وهي خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريها لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك فهار لا يغالب والتكوير الكف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها قيل معناه ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشي مكانه هذا واذا اغشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللبس على اللابس • ومنه قول ذي الرمة • في وصف السراب •

• تلوي الثنايا باحقيها حواشيه • لي الملاء بابواب التفاريج •

وقيل ان كل واحد منها يغيب الاخر اذا طرى عليه فشبه في تغييبه اياه بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار • وقيل ان هذا ايكر على هذا اكرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض قتاده يغشي هذا هذا ويغشي هذا هذا انظيره قوله يغشي الليل النهار المورج يدخل هذا على هذا او هذا على هذا نظيره قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مجاهد يدهوده • الحسن وابن حيان والكلبي ينقص من الليل فيزيد في النهار وينقص من النهار فيزيد في الليل **قوله تعالى** خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك

لا اله الا هو فاني تصرفون • ثم انه تعالى ذكر الدلايل العلويه بذكر الدلايل الماخوذة من العالم السفلي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها فهما ايتان من جملة الايات التي عددها دالة على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفايت للحصر من نفس ادم • وخلق حوا من قصيراه • الا ان احداهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة والاخرى لم تجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهي من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلقة بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها بزوج • وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم الله بعد ذلك حوا وانزل وانشا وجعل لكم وقيل جعلها لكم منزلا وروزقا وقيل وصى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السما حيث كتب في اللوح كل كاين يكون • وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما وقد انزل الما فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج اصناف ذكرا وانثى من الابل والبقر • والضان والمعز • والزوج اسم لواحد معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر • قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال وقد خلقكم اطوارا • ابن زيد يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا اي من بعد الخلق الاول الذي خلقكم من ظهر ادم عليه السلام في ظلمات ثلاث البطن والرحم والمشيمة ذلكم الله هذه افعاله هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره **قوله تعالى** ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور • المعنى ان الله تعالى ما كلف المكلفين لجلب منفعة او لدفع مضرة فانه تعالى غني عنكم وعن ايمانكم وانتم الفقرا اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر يعني وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى بالكفر الجبايي ان المجبرة يقولون ان الله تعالى كفر العباد وان من جهة ما خلقه حق وصواب • قال ولو كان الامر كذلك لكان قد رضي بالكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ينافي الاية • وايضا لو كان الكفر بقضا الله لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضا الله واجب • وحيث اجمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضا الله • وليس ايضا برضا الله اجاب الاصحاب بان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بحسب الغالب للمومنين • قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا عينا يشرب بها عباد الله • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر معناه ولا يرضى لعباده المومنين الكفر وذلك لا يضر • وبان يقال الكفر بارادة الله ولا يقال يرضى الله لان الرضا عبارة عن المدح عليه والثنا بفعله قال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة اي يمدحهم ويثني عليهم • وبان الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الارادة وبانه ثبت ان الرضا هو الارادة ولكن قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام فيخصصه بالايات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر وان تشكروا تومنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم نافع وعاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه باختلاس ضمة الهاء • وعن هشام اسكانها وعنه وصلها بواو والباقون يصلونها بواو اي يرضى الشكر لكم ويثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور **قوله تعالى** واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل

عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۰ لما بين فساد القول بالشرك وبين ان الله تعالى يجب ان يعبد بين في هذه الاية ان طريقة هولاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانه اذا مسهم نوع من انواع الضر يرجعوا في طلب الازالة الا الى الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله عند حصول الضر لانه هو القادر على ايصال الخير ودفع الشر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم ان يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقتهم في هذا الباب متناقضة واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه مخلصا راجعا اليه مستعينا به ثم اذا خوله اعطاه ۰ ومنه قيل المال والعطا خول وللعبيد خول ۰ قال ابو النجم

۰ اعطى فلم يبخل ولم يبخل ۰ كوم الذرى من خول المخول ۰

قال صاحب الكشاف وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم خايل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ۰ ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول ما خال يخول اذا اختال وافتخر ۰ وفي معناه قول العرب ۰۰ ان الغني طويل الذيل مياس ۰۰ نسي ما كان يدعو اليه من قبل نسي ما كان يدعو اليه من قبل في حال الضر ۰ وقيل نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه ۰ وقيل نسي به الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من قولك وما خلق الذكر والانثى ۰ وجعل لله اندادا يعني الاوثان السدي يعني اندادا من الرجال نطيعهم في معصية الله ليضل يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلالة عن سبيل الله ۰ والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض ۰ قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۰ ليس المراد به الامر بل الزجر اي انك ان تمتعت بكفرك قليلا تكون من اصحاب النار

قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ۰ لما شرح الله صفات المشركين الضالين وتمسكهم بغير الله اردفه بشرح احوال المومنين المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله تعالى ولا اعتماد لهم الا على فضل الله تعالى امن هو قانت ۰ قرا نافع وابن كثير وحمزة امن بتخفيف الميم والباقون بتشديدها على ان تكون الميم في ام صلة ويكون معنى الكلام الاستفهام وجوابه محذوف تقديره امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام كمن لا يشرح الله صدره او يقول امن هو قانت كمن جعل لله اندادا ۰ وقيل ام تكون بمعنى العطف على الاستفهام تقديره فهذا خير امن هو قانت لدلالة الكلام عليه ومن خفف فله وجهان ۰ احدهما ان تكون الهمزة في امن بمعنى حرف النداء تقديره يا من هو قانت فالعرب تنادي بالالف كما تنادي بيا فتقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وثانيهما ان تكون الالف في امن الف استفهام ومعنى الاية اهذا كالذي جعل لله اندادا فاكتفي بما سبق اذا كان معنى الكلام مفهوما فمن مبتدا خبره محذوف امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكلام قبله ۰۰ ابن عمر القنوت قراءة القران وطول القيام ۰ ابن عباس الطاعة واناء الليل ساعاته ساجدا وقايما يحذر الاخرة مقاتل نزلت في عمار بن ياسر ۰ وابي حذيفة بن المغيرة ابن عبد الله المخزومي ۰ قل هل يستوي الذين يعلمون العاملين من علم الديانة والذين لا يعلمون كانه جعل من لا يعمل غير عالم ۰ وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم لا يعقلون في الدنيا فخفض عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلما ويجوز ان يرد على سبيل كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون ۰ وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي ۰ وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى

في المعاصي ويرجو فقال هذا متمن ۰ واما الرجا فقوله فتلا هذه الاية انما يتذكر اولوا الالباب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلما والجهال لا يعرفه ايضا الا اولوا الالباب ۰ قيل لبعض العلما انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلما يجتمعون عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند ابواب العلما ۰ فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المنافع فطلبوه ۰ والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه

قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ۰ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۰ لما نفى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بان امر رسوله بان يخاطب المومنين بانواع من الكلام النوع الاول قوله قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم والمراد انه تعالى امر المومنين بان يضموا الى الايمان التقوى وهذا من ادل الدلايل على ان الايمان يبقى مع المعصية ولما امر المومنين بالاتقا بين لهم ما في هذا الاتقا من الفوايد فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف ۰ وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ۰ قال صاحب الكشاف فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالمعنى بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا وارض الله واسعة اي لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبيا والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم مجاهد واهجروا واعتزلوا الاوثان ۰ مقاتل يعني ارض الجنة ۰ وقيل للذين كانوا في بلاد المشركين فامروا بالهجرة عنه قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ۰ انما يوفى الصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير اجرهم بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير ۰ ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف ۰ قتادة لا والله ما هنالك مكيال ولا ميزان ۰ عن النبي صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم القيامة فيوتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ۰ ويوتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ۰ ويوتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ۰ ويوتى باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما تذهب به اهل البلا من الفضل ۰ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة ۰ والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قيل كيف عطف امرت على امرت وهما واحد اجيب بانهما ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي والامر به ليحرز القايم به قصب السبق واذا اختلف وجها الشي وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانه زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في استطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع

والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير اللام في قوله وامرت ان اكون من المومنين وامرت ان اكون
اول من اسلم ۞ وقيل ان اكون اول من اسلم ۞ وقيل ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول
من خالف دين اباىه وخلع الاصنام وحطمها ۞ وقيل ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وقيل
ان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتديا بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي
صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون ۞ وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة
على السبب بالمسبب يعني ان الله تعالى امرني ان اخلص له الدين من الشرك والريا وكل شوب بدليل العقل
والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك
حين دعوه الى دين اباىه **قوله تعالى** قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم
من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين ۞
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون ۞ ولا تكرار في
قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين ۞ وقوله بل الله اعبد مخلصا له ديني لان الاول
للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص ۞ والثاني اخبار بانه يخص الله عز
وجل وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة
واخر في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب
عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ۞ قال صاحب الكشاف والمراد بهذا الامر الوارد على
وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين ۞ قل ان الخاسرين الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها
وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم ۞ وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المومنين الذين
لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو امنوا وقد وصف خسرانهم بغاية
الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين ۞ حيث استانف الجملة وصدرها بحرف
التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ۞ لهم من فوقهم ظلل اطباق
وسرادقات من النار ودخانها ومن تحتهم ظلل فراش ومهاد من نار ۞ وانما سمي الاسفل ظللا لانها ظلل
لمن تحتهم نظيرها قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم ۞ وقوله احاط بهم سرادقها وقوله وظل من يحموم ۞ وقوله انطلقوا الى ظل ذي
ثلاث شعب ذلك العذاب يخوف الله به عباده يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عباد فاتقون عما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة ۞ **قوله تعالى**
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب ۞ افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها
الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ۞ لما ذكر وعيد عبدة الاصنام ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز
عن الشرك ليكون الوعيد مقرونا بالوعد فيحصل كمال الترغيب والترهيب الطاغوت الشيطان او
الشياطين لكونه مصدرا ۞ وفيه مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان
البنا بنا مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص
اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد هنا الجمع وانابوا رجعوا الى عبادة الله لهم البشرى

الدين

الدنيا بالجنة والثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله عز وجل
يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون
قال الله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات
فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه واراد بهم الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم
وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا
نقادا في الدين يميزون بين الاحسن والحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب
اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته
المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر واتبعها دليلا وامارة ۞ وان لا يكن في
مذهبك كما قال القائل ۞ ولا تكن مثل عير قيد فانقادا ۞ يريد المقلد ۞ وقيل
يستمعون القران وغيره فيتبعون القران ۞ وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص
والعفو ۞ والانتصار والاغضا ۞ والابدا والاخفا لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى ۞ وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم ۞ وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو
فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ۞ ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ۞ ويبتدي الذين
يستمعون القول يرفعه على الابتدا وخبره اولئك ۞ افمن حق اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب
فانت تنقذه فهي جملة شرطية الشرط فيه من حق عليه كلمة العذاب والجزا فانت تنقذه
دخل عليها همزة الانكار والفا فا الجزا ثم دخلت الفا التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب
تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت
لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالاية على هذا جملة واحدة ووجه
اخر وهو ان تكون الاية جملتين الاولى افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه ۞ والثانية افانت تنقذ
من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب ۞ وهم
في الدنيا منزلة ايقادهم من النار ۞ وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله هو الذي يقدر على الانقاذ
من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا يقدر
ان يخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية يعني بنيت بنا المنازل التي على الارض وسويت تسويتها ۞ عن
ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون
الكوكب الدري في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا
لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين تجري من تحتها الانهار كما تجري
من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله نصب على المصدر لان قوله لهم غرف في معنى
وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما ما فسلكه
ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى
لاولي الالباب ۞ انه تعالى لما وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بوصف
يوجب اشتداد النفرة عنها ۞ قوله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع عيونا في الارض ۞ الشعبي والضحاك
كل ما في الارض من السما نزل انما ينزل من السما الى الصخرة ثم يقسم منها العيون والركايا ثم يخرج به اي
بالما زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك ۞ وقيل اصنافه من بر وشعير وسمسم
وغيرها ثم يهيج يبس لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب فتراه

مصغرا ثم يجعله حطاما ممااثا وربما يكسر ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا **قوله تعالى** افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين • افمن شرح الله فسح الله صدره للاسلام فهو على نور بيان من ربه • قتادة النور كتاب فيه ناخذ واليه ننتهي تقديس • افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كمن اقسى قلبه • عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح • قلنا يا رسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت • قيل انها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه مقاتل • افمن شرح الله صدره للاسلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ابو جهل وذووه من الكفار اولئك في ضلال مبين • عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا الحوائج من السمحاء فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي • عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله ويحب كل قلب خاشع حزين رحيم يعلم الناس الخير ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل ويبغض كل قلب قاس لاه ينام الليل كله فلا يذكر الله ولا يدري اترد عليه روحه ام لا • عن مالك بن دينار قال ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة والعرق بين من وعن في هذا انك اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش **قوله تعالى** الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد • ابن عباس قالت الصحابة يا رسول الله لو حدثتنا فنزلت الله نزل ايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث كتابا بدل من احسن الحديث وقيل حال منه متشابها يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف وقيل متشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت • مثاني جمع مثنى وهو المردد المكرر سمي القران مثاني لانه ثني فيه الاخبار والاحكام والحدود وثني في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة • وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك • ولما كان الكتب جملة ذات تفاصيل صح وصفه بالجمع وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القران اسباع واخماس وسور وايات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني وقيل يجوز ان يكون كقولك برمة اعشار • وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى

متشابهة

متشابهة مثانيه وفائدة التثنية والتكرير ان النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر تضطرب وتشمئز وتستوفز منه اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه وتعالى التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وبايات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين ثم اذا ذكروا الله عز وجل ورحمته وجوده بالمغفرة تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة ولما ضمنت تلين سكنت واطمانت عديت بالى كانه قيل سكنت واطمانت الى ذكر الله تعالى لينة غير متقبضة راجية غير خاشية • وانما اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان اصل امره الرافة والرحمة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤوفا رحيما • وانما ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لانه اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من ايات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله تعالى ومن امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم عن عبد الله بن عروة ابن الزبير • قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان • وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القران قال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق • وروي انه وعظ موسى عليه السلام قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى عليه السلام فقال قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ليشرح لي عن قلبه وعن النبي عليه السلام اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وعنه عليه السلام اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار ذلك اشارة الى الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد وفيه رد على القدرية **قوله تعالى** افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة • وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون • فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون • افمن يتقي يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره سوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه • وقيل المراد بالوجه الجملة مجاهد

يجر على وجهه في النار • عطا يرمي به منكوسا في النار • فاول الشي منه تمس النار وجهه • مقاتل هو ان الكافر يرمي به في النار مغلولة يده الى عنقه • وفي عنقه صخرة ضخمة مثل الجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه بحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال التي في يده وفي عنقه • قيل هذه الاية في ابي جهل • وقيل وقال لهم خزنة النار للظالمين ذوقوا ما كنتم اي وبال ما كنتم تكسبون • كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم امنون رافهون اذ فوجيوا من مامنهم فاذاقهم الله الخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلا وما اشبه ذلك من نكال الله في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون **قوله تعالى** ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون • قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون • قرانا عربيا حال موكدة كجاني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف وانما لم يقل مستقيما او غير معوج لفايدتين • احديهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا وثانيتهما ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان • مجاهد غير ذي لبس وسئل عثمان ابن عفان رضي الله عنه غير متضادا ابن عباس رضي الله عنهما غير مختلف السدي غير مخلوق • بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن لعلهم يتقون الكفر والتكذيب **قوله تعالى** ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • قال صاحب الكشاف واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما يقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده ثم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي اخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلى بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضايعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبيته ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مومل للثواب في اجله فيه صلة شركا كما تقول اشتركوا فيه متشاكسون مختلفون متنازعون متشاحون والتشاكس والتشاحن الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاحنت اسنانه وقيل متشاكسون سيئة اخلاقهم يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس اذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس • المورج متشاكسون متماسكون يقال تشاكسني فلان اي ماسكني ورجلا سالما • قرا ابن كثير وابي عمرو ويعقوب سالما بالالف • قيل اختير سالما لصحة التفسير فيه وذلك ان السالم الخالص وهو ضد المشترك والباقون سلما بفتح السين واللام من غير الف واختير لانه هو الذي لا ينازع فيه هل يستويان مثلا اي صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفاتهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود وسواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم فيشركون به غيره **قوله تعالى** انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون • كان مشركوا قريش يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص

وشماتة بالفاني انك يا محمد ميت عن قليل وانهم ميتون قال الكسائي انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كاين فكان قد كان قتادة نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم انفسكم ثم انكم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طايل تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادة اغوتنا الشياطين واباونا الاقدمون • وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار تخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمومنون الكافرين تبكيتهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام عن ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين • ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون • فقلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا • وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن النخعي لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا • **قوله تعالى** فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين • والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون • لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين • ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون • ثم انه تعالى بين نوعا اخر من قبايح افعالهم فقال فمن اظلم ممن كذب افترى على الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق الذي هو الصدق بعينه اي بالقران اذ جاءه فاجاه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما تفعل اهل النصفة فيما يسمعون • اليس في جهنم مثوى منزل ومقام للكافرين • اي لهولاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق السدي يعني جبريل عليه السلام جاء بالقران وصدق به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول • ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه الى الخلق • وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وامن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله • ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون • فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الصفة وقيل بريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وابو العالية والكلبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه • قتادة ومقاتل والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المومنون واستدلا بقوله تعالى اولئك هم المتقون • عطا والذي جاء بالصدق الانبياء عليهم السلام وصدق به الاتباع ويكون الذي بمعنى الذين على طريق الجنس كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم وقوله ان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الحسن هو المومن صدق به في الدنيا وجاء به يوم القيامة يدل عليه انه صالح السمان قرا والذي جاء بالصدق وصدق به مخففة قال هو المومن جاء به صادقا وصدق به • مجاهد هم اهل القران يجيئون به يوم القيامة يقولون هذا الذي اعطيتمونا فعملنا فيه اولئك هم المتقون • لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله

عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون • واضافة الاسوء والاحسن الى الذين
عملوا ليست من اضافة افعل الى الجملة التي تفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير
تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان • واما التفضيل فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من
الصغاير والزلات المكفرة هو عندهم الاسوء لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه
هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوء وحسنهم بالاحسن والله اعلم
قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له
من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام • لما ذكر ان لهم ما يشاؤن عند
ربهم وجرت العادة بان المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة قطع الله مادة هذه الشبهة
بقوله تعالى اليس الله بكاف عبده وذكر بلفظ الاستفهام • والمراد تقرير ذلك في النفوس
والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بحاجات العباد قادر على دفعها واصال الخيرات والراحات
وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى يمنعه بخله وحاجته عن اعطاء ذلك المراد فالظاهر انه سبحانه وتعالى
يدفع الافات ويزيل البليات ويوصل اليه كل المرادات فلهذا قال اليس الله بكاف عبده ولما ذكر
الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه اي لما ثبت ان الله كاف
عبده كان التخويف بغير الله عبثا باطلا • قرا حمزة والكسائي وخلف عباده بالجمع والباقون عبده
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم اذ دخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية
وتقريرها • ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة
الاوثان وقالوا انك تعيب الهتنا وتذكرها بسوء فوالله لتكفن عن ذكرها او ليخبلنك او
تصيبنك بسوء من دونه اراد الاوثان ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدي الله فما
له من مضل رد على القدرية اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدايه وفيه وعيد
لقريش • ووعد للمؤمنين بانه ينتقم من اعدايهم لهم وينصرهم عليهم **قوله تعالى**
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم • لما اطنب في وعيد المشركين • وفي وعد المؤمنين عاد الى اقامة الدليل على ترتيب
طريقة عبدة الاصنام وهذا الترتيب على اصلين الاول اعتراف المشركين بوجود الاله العالم
القادر الحليم الرحيم • واليه اشار بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض والثاني ليقولن
الله والثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واليه اشار بقوله قل افرايتم امر
بان تقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير افرايتم ما تدعون من
دون الله اي هذه الاصنام التي تعبدون من دون الله ان ارادني الله الذي خلق السموات
والارض بضر بشدة وبلاء من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل هل هن اي الاصنام كاشفات
عني ضره او ارادني الله برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هن ممسكات رحمته حتى اذا القمهم
الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة • قرا ابو عمرو ويعقوب كاشفات وممسكات بالتنوين
والباقون بالاضافة • قل حسبي مقاتل فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا فانزل الله قل حسبي
الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون • وفيه تهكم وانما قال كاشفات وممسكات على التانيث
بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لان اللات والعزى ومنات اناث انهن لضعفهن وتعجزها

زيادة تضعيف وتعجيزها عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين
والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى
ومنات اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • لما اورد الله تعالى عليهم هذه الحجة التي
لا دافع لها قال بعده على وجه التهديد • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها وجهتكم
من التدارك التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث
للزمان وهما للمكان وحق الكلام فاني عامل على مكانتي وانما حذفه للاختصار ولما فيه من زيادة
الوعيد والايذان بان حال النبي عليه السلام لا يقف ويزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره
ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا
عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث
ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليايه وبذل ذليل من اعدايه من ياتيه عذاب يخزيه صفة
للعذاب اي عذاب مخزٍ له وهو يوم بدر ويحل عطف على ياتيه عليه عذاب مقيم صفة لعذاب
اي عذاب دايم وهو عذاب النار **قوله تعالى** انا انزلنا عليك الكتاب للناس
بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل • ان الرسول صلى الله عليه
وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فلعلك باخع نفسك على اثارهم • فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات فلما اطنب الله تعالى في هذه الايات في افساد مذاهب المشركين تارة بالدلايل
والبينات وتارة بضرب الامثال • وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام يزيل ذلك
الهم العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انا انزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف المبين
لنفع الناس ولاهتدايهم وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على انه صدق من عند
الله فمن اهتدى فلنفسه فنفعه يعود عليه ومن ضل فانما يضل على نفسه فان ضرره يعود اليه
وما انت عليهم بوكيل اي لست مامورا بالايمان على سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم
وذلك لتسلية الرسول في اصرارهم على الكفر **قوله تعالى** الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون • ثم انه تعالى بين ان الهداية والضلال من الله تعالى لان الهداية
تشبه الحيوة واليقظة • والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحيوة واليقظة والموت والنوم
لا يحصل الا بتخليق الله تعالى وايجاده فكذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله ومن عرف هذه
الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب فيصير
التنبيه على هذه الدقيقة سببا لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم • الله يتوفى
الانفس حين موتها وعند الموت الا انه يمسك الانفس التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهي
النايمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها معناه انه يتوفى
الانفس التي نامت ولم تمت عند منامها فيمسك التي قضى عليها الموت اي النفس التي يتوفاها حين
موتها يمسكها ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى الى اجل مسمى يعني ان النفس التي يتوفاها عند
المنام ولم تمت يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة الى اجل مسمى وذلك الاجل هو وقت
الموت • قال الامام النفس الانسانية عبارة عن جوهر روحاني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في
جميع الاعضاء وهو الحيوة ووقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الوقت

وفي وقت النوم ينقطع ضوء وتعلقه عن ظاهر البدن ولا ينقطع عن باطن البدن فالنوم والموت من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر القديم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة اوجه • احدها ان يقع ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة • وثانيها ان ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فالموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بخواص وصفات معينة ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر العليم الحكيم • واليه اشار بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الدليل يدل على ان الواجب على العاقل ان يتفكر فيعلم ان الذي يستحق ان يعبد هو الاله الموصوف بهذه القدرة والحكمة ولا يشتغل بعبادة الاوثان التي هي جمادات لا شعور لها ولا ادراك • **قوله تعالى** ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون • اعلم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها آلهة تنفع وتضر وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله فنحن ان نعبدها لاجل ان يصيروا اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فاجاب الله عنه بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء تقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطلبوا تلك الشفاعة من هذه الاصنام او من هؤلاء الاشخاص الذين هؤلاء الاصنام تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات فلا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها وكذلك الثاني لان في يوم القيامة لا يملك احد شيئا فلا يقدر على الشفاعة احد فكان الاشتغال بعبادة الله الذي له الشفاعة اولى من الاشتغال بعبادة غيره والى هذا اشار بقوله قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون • وهذا تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون متصل بما يليه اي له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة لا اله الا هو • ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهو ضعيف لانا نسلم انه سبحانه ما لم ياذن في الشفاعة لم يقدر احد على الشفاعة • **قوله تعالى** واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون • هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهو انه اذا ذكر الله وحده فقيل لا اله الا الله وحده لا شريك له اشمأزت • ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت • قتادة كفرت واستكبرت • الضحاك نفرت • الكسائي امتعضت • المؤرج انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار • واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان • وذلك حين القى الشيطان في امنية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة النجم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى اذا هم يستبشرون يفرحون لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها • وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاشمئزاز والاستبشار اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار • **قوله تعالى** قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون • عن منذر الثوري قال كنت عند

الربيع ابن خثيم فدخل عليه رجل ممن شهد قتل الحسين رضي الله عنه ممن كان يقاتله فقال خثيم لما علقها يعني الرؤوس ثم ادخل يده في حنكه تحت لسانه فقال والله لقد قتلتم صفوة لو ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبل افواههم واجلسهم في حجره • ثم قرأ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون • **قوله تعالى** ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما على الارض من شيء اكنت مفتديا به فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا انه نازل بهم في الآخرة السدي ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات وهذا وعيد لكنه لفظاعته وشدته • وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والمعنى ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم قال سفيان وقرأ هذه الآية ويل لاهل الرياء • ويل لاهل الرياء • وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له اتجزع قال اخشى آية من كتاب الله • وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه • وبدا لهم سيئات ما كسبوا اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه • وقيل اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء ما كانوا به يستهزؤون اي جزاء هزئهم • **قوله تعالى** فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون • قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين • ثم اذا خولناه اعطيناه نعمة منا التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم مني اني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق وقيل على علم من الله بأني اهله وقيل على علم مني بوجوه الكسب والضمير في اوتيته راجع الى شيء من النعمة لان قوله نعمة منا معناه شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان تكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي اي النعمة فتنة • الحسين بن الفضل بل كلمته التي قالها فتنة فقيل بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة بل ابتلاء وامتحان لك استشكر ام تكفر ذكر الضمير اولا على المعنى وانث آخرا على اللفظ ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وانما عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو لان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض وما في الاعتراض من دعاء رسول الله ربه بامر منه • وقوله انت تحكم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله تعالى في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت • وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب • وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في

اكامها واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الاجملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك
قام زيد وقعد عمرو ⁕ وفي هذا التسبيب لطف فانك تقول زيد مومن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه
فهذا استبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول انه كافر فاذا مسه ضر التجا اليه فتجي بالفا مجيك به ثمه ⁕ كان
الكافر حين التجا الى الله التجا المومن اليه مقيم كفره مقامه الايمان وتجريه مجراه في جعله سببا في الالتجا
فانت تحكي ما عكس فيه الكافر ⁕ الاترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الذي اوتيته فتنة او الكلمة التي قالها فتنة ⁕ قد قالها الضمير في قالها راجع الى
قوله اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول الذين من قبلهم يعني قارون والذين كانوا قبل قارون
او قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه من هولا من مشركي قومك فاصابهم اي الذين من قبلهم سيات
ما كسبوا اي جزا ما كسبوا والذين ظلموا من هولا المشركين سيصيبهم سيات ما كسبوا اشد ما اصاب
اوليك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين
وما هم بمعجزين قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يومنون اي بسط لهم الرزق فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله هو القابض
والباسط لا قابض ولا باسط الا هو ⁕ قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ⁕ وانيبوا الى ربكم واسلموا
له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون ⁕ واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ⁕ ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب وان كنت لمن الساخرين
او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين ⁕ او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين ⁕ بلى قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ⁕ قيل عني بها قوما
من المشركين ⁕ قال ابن عباس نزلت في اهل مكة قالوا يزعم محمد انه من قتل النفس التي حرم
الله وعبد الاوثان لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي
حرم الله فانزل الله هذه الاية ⁕ عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي
يدعوه الى الاسلام فارسل وحشي الى محمد صلى الله عليه وسلم كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم
انه من قتل او اشرك او زنا يلق اثاما ⁕ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ⁕
وانا قد فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة فانزل الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الاية
قال وحشي هذا شرط شديد فلعلي لا اقدر على هذا فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال وحشي اراني في شبهة بعد فلا ادري يغفر لي ام لا فهل غير ذلك
فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا
فجا واسلم فقال المسلمون هذه له خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة ⁕ قتادة ذكر لنا ان ناسا
اصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جا الاسلام اشفقوا ان لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الاية
ابن عباس نزلت في عياش ابن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر كانوا قد اسلموا ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هولا صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب
عذبوا فنزلت هذه الايات ⁕ وكان عمر بن الخطاب كاتبا فكتبها بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي
ربيعة والوليد ابن الوليد والى اوليك النفر فاسلموا وهاجروا ⁕ عن عمر رضي الله عنه لما اجتمعنا الى
الهجرة اتعدت انا وعياش ابن ابي ربيعة وهشام بن العاص وقلنا الميعاد بيننا المناصف منصاة بني

عفار فمن حبس منكم لم ياتها فقد حبس فليمض صاحبه فاصبحت عندها انا وعياش وحبس عنا هشام
وفتن فقد افتتن فقدمنا المدينه فكنا نقول ما الله قابل من هولا توبة قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا
عن ذلك لبلا اصابهم في الدنيا فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الى قوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين ⁕ قال عمر كتبتها بيدي كتابا ثم بعثت بها
الى هشام قال هشام فلما قدمت على خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها انزلت
فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل هشام باجنادين في
ولاية ابي بكر رضي الله عنه ⁕ وقيل نزلت في قوم كانوا يرون اهل الكباير من اهل النار فاعلمهم
الله انه يغفر الذنوب جميعا لمن شا عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا معاشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نرى او نقول انه ليس شي من حسناتنا الا وهي مقبول حتى نزلت هذه الاية اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير والفواحش
قال فكنا اذا راينا من اصاب شيا منها قلنا قد هلك فنزلت هذه الاية فلما نزلت كففنا
عن القول في ذلك فكنا اذا راينا احدا اصاب منها شيا خفنا عليه وان لم يصب منها شيا رجونا
له اسرفوا على انفسهم جنوا على انفسهم بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرا ابو عمرو بكسر
النون والباقون بفتحها ⁕ واراد بالاسراف ارتكاب الكباير والاية عامة للناس اجمعين قيل
دخل عبد الله بن مسعود المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر الاغلال والنار فجاء حتى قام على راسه
وقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الاية ⁕ عن زيد بن اسلم ان رجلا كان في الامم الماضية يجتهد في العبادة فيشدد في العبادة على
نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات فقال اي رب ما لي عندك قال النار فقال اي رب
فاين عبادتي واجتهادي قال انك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا فاليوم اقنطك من رحمتي
عن اسما بنت يزيد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ⁕ عن ابي الجوزا قال ما علمت احدا من اهل العلم ولا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم يقول لذنب ان الله لا يغفر هذا ⁕ عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعت النبي عليه السلام يقول ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى اخر الاية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ومن اشرك الا ومن اشرك قال علي رضي الله عنه
ما في القران اية اوسع من يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا الاية ⁕ وعن ابن مسعود
ان اكبر اية في كتاب الله فرجا يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية ⁕ الزهري دخل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا عمر قال ان بالباب شابا قد احرق فوادي وهو يبكي فقال له رسول الله ما يبكيك قال ذنوب كثيرة
وخفت من جبار غضبان علي قال اشركت بالله يا شاب قال لا قال اقتلت نفسا بغير نفس قال
لا قال فان الله عز وجل يغفر لك ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والارضين السبع والجبال الرواسي
قال يا رسول الله ذنب من ذنوبي اعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع قال ذنبك اعظم ام العرش
قال ذنبي قال ذنبك اعظم ام الكرسي قال ذنبي قال ذنبك اعظم ام الهك قال بل الله اجل واعظم فقال ان ربنا
لعظيم ولا يغفر الذنب العظيم الا الاله العظيم ⁕ قال اخبرني عن ذنبك قال اني استحيي من وجهك يا رسول
الله قال اخبرني عن ذنبك قال اني كنت رجلا نباشا انبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية

من بنات الانصار فنبشت قبرها فاخرجتها من كفنها ومضيت غير بعيد اذ غلبني الشيطان على نفسي فرجعت
فجامعتها ومضيت غير بعيد اذ قامت الجارية فقالت الويل لك يا شاب من ديان يوم الدين يوم
يضع كرسيه للقضا ياخذ للمظلوم من الظالم تركتني عريانة في عسكر الموتى واوقفتني جنبا بين
يدي الله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب في قفاه ويقول يا فاسق اخرج ما اقربك من
النار قال فخرج الشاب تائبا الى الله عز وجل حتى اتى عليه ما شا الله ثم قال يا اله محمد وادم وحوا
ان كنت غفرت لي فاعلم محمدا واصحابه والا فارسل نارا من السما فاحرقني بها في الدنيا ونجني من
عذاب الاخرة • قال فجا جبريل عليه السلام وله جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب فقال
السلام يقريك السلام قال هو السلام واليه يعود السلام قال يقول انت خلقت خلقي قال بل هو الذي
خلقني قال يقول انت ترزقهم قال لا بل هو الذي يرزقني قال يقول انت تتوب عليهم قال لا بل هو الذي
يتوب علي قال فتب على عبدي فلان فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وتاب عليه وقال
ان الله هو التواب الرحيم • وانيبوا اي واقبلوا وارجعوا الى ربكم بالطاعة واسلموا واخضعوا له
من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
من السعادة ان يطول عمر المرء ويرزقه الله الانابة • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه القران كله حسن ومعنى الاية ما قال الحسن التزموا طاعته
واجتنبوا معصيته فان الذي انزل على ثلاثة اوجه ذكر القبيح لتجتنبه • وذكر الادون لئلا يرغب
فيه وذكر الحسن لتوثره • السدي الاحسن ما امر الله به في الكتاب • ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم
المتشابهات الى عالمها من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة اي من قبل ان يفجاكم العذاب وانتم لا تشعرون
اي وانتم غافلون لا تحسون شيا لفرط غفلتكم ان تقول نفس يعني لان لا تقول نفس كقوله ان تميد بكم
وان تضلوا ونحوهما ونكر نفسا لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر وقيل يجوز ان يراد نفس
متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد • او بعذاب عظيم • وقيل يجوز ان يراد التكثير
يا حسرتا يا نداماتا واحزنا والتحسر الاغتمام على ما فات سمي بذلك لانحسارة عن صاحبه بما يمتنع
عليه استدراكه وبلا في الامر فيه والالف في حسرتا هي يا المتكلم وانما اريد يا حسرتي على الاضافة
ولكن العرب تحول اليا التي هي كناية اسم المتكلم في الاستغاثة الفا فتقول يا ويلتا يخرجون على لفظ الدعا
وانا الحقوا بها الها • وانشد الفرا •

• يا من حباه بمار ناجية • اذا اتي قرنته للساسه •

وربما الحقوا بها اليا بعد الالف لتدل على الاضافة فيكون جمعا بين العوض والمعوض منه على ما فرطت
قصرت في جنب الله في جانب الله يقال انا في جنب فلان • وجانبه وناحيته وفلان لان الجنب
والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وجانبه يريدون في حقه • قال سابق البربري •

• اما تتقين الله في جنب وامق • به كبد حرى عليك تقطع •

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى
قوله • ان السماحة والمروة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي
الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر
المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله قال معنى في ذات الله • قال صاحب الكشاف فان قلت
فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله

فما معنى فرطت في الله • قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سوى ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى
فرطت في طاعة الله وعبادته وما اشبه ذلك وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت • سعيد
ابن جبير في حق الله • مجاهد في امر الله • الحسن في طاعة الله • وقيل في سبيل الله ودينه والعرب
تسمي السبب والطريق الى الشي جنبا يقول تجرعت في جنبك غصصا وملايا اي بسببك
واجلك • قال الشاعر •

اني جنب بكر قطعتني ملامة • لعمري لقد كانت ملامتها ثنا •

وقيل في الجانب الذي يودي الى رضى الله عز وجل وثوابه • والعرب تسمي الجانب جنبا •
قال الشاعر • الناس جنب والامير جنب • يعني الامير من جانب والامير من جانب •
وان كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله وكتابه ورسله والمؤمنين به قتادة لم يكفه
ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر باهل طاعته وان كنت في محل النصب على الحال كانه قال فرطت
وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي عن ابي صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل فترك علمه واخذ
في الفسق فاتاه ابليس فقال له لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم تب فاخذ في الفسق وكان
عنده مال فانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذما كان فقال من انت قال انا ملك
الموت جيت لاقبض روحك فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله • ذهب عمري في طاعة
الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم • فانزل الله تعالى خبره في القران
او تقول لو ان الله عطف على قوله تقول في قوله ان تقول نفس يا حسرتا • هداني لكنت
من المتقين • او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين • فاكون
في نصب فاكون انه جواب لو • وقيل انه رد على موضع الكرة وموجب الكرة في المعنى اي لو ان
لي ان اكون • كقول الشاعر • انشده الفرا •

• فما لك منها غير ذكرى وحسبة • وتسال عن ركبانها اين يمموا •

فنصب فتسال على موضع ذكرى لان معنى الكلام فما لك منها الا ان تذكر • ومنه قوله تعالى
او يرسل رسولا عطف يرسل على موضع الوحي في قوله الا وحيا وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا
بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغوا الروسا والشياطين ونحو ذلك ونحو لو هدانا الله لهديناكم
بلى قد جاتك اياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي وجاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت
عن قبولها وكنت من الكافرين • فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله
لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية • قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القراين
الثلاث فيفرق بينهن • واما ان يوخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القراين • واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة
ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جا عليه وهو انه حكى اقوال النفس
على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها على ما اقتضى الجواب ولما كان لو ان الله هداني فيه معنى ما
هديت صح ان تقع بلى جوابا له وان كان غير منفي • قوله تعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين • وينجي الله الذين اتقوا
بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون • ان هذا نوع اخر من تقرير الوعيد والوعد اما الوعيد
فقوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اي وصفوه بما لا يجوز عليه
وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هولا شفعاونا • وقالوا لو شا الرحمن ما عبدنا

وقالوا والله امرنا بها وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول
ثاني ان كان من رؤية القلب • اليس في جهنم مثوى للمتكبرين • وينجي الله الذين اتقوا بمفازاتهم
قرا اهل الكوفة الا حفصا بالالف على الجمع • وقرا الباقون بغير الالف على الواحد فاهنا هو
الفوز ومعنى الاية بنجاتهم من العذاب باعمالهم الحسنة يقال فاز بكذا اذا نجا به وظفر بمراده
لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون معنى المفازة كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء
والحزن عنهم اي بسبب منجاتهم من قوله فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة لان النجاة من اعظم
الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح • ولهذا فسر ابن العباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة
ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه
مفازة لانه سببها ولا محل لقوله لا يمسهم السوء على تقدير ان يكون تفسيرا لقوله بمفازة لانه كلام مستانف
ومحله النصب على الحال على تقدير ان يكون لسبب مفازتهم ٥ **قوله تعالى** الله خالق
كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك
هم الخاسرون • له مقاليد اي مفاتيح خزاين السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد
مثل منديل ومناديل اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر
امرها هو الذي يملك مقاليدها • ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ٥
وقيل لا واحد من لفظها • وقيل مقليد • ويقال اقليد واقاليد ويقال هي فارسية معربة اصلها اكليد
والذين كفروا بايات الله متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازاتهم اي ينجي الله المتقين
بمفازاتهم والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء
كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل
متصلا بما يليه على ان كل شيء من السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه • والذين كفروا وجحدوا
ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون • روي انه سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني
احد عنها قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر • وسبحان الله وبحمده • واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله • هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
من قالها اذا اصبح اوامسى عشر مرات اعطاه الله ست خصال • اما اولها فيحرس من ابليس وجنوده
والثانيه يحضره اثنا عشر ملكا • والثالثه يعطى قنطارا من الجنة • والرابعة يرفع له درجة
والخامسه يزوجه الله زوجة من الحور العين • والسادسه يكون له من الاجر كمن قرا القران
والتوراة والانجيل وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته
مات شهيدا • عن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد
فقال يا علي سالت عظيما المقاليد ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله
الا الله والله اكبر • سبحان الله • والحمد لله • استغفر الله • ولا قوة الا بالله هو الاول • والاخر ٥
والظاهر والباطن • له الملك وله الحمد • يحيي ويميت بيده الخير • وهو على كل شيء قدير •
من قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله تعالى خصالا ستا اولهن يحرسه من ابليس
وجنوده فلا يكون له عليه سلطان • والثانيه يعطى قنطارا في الجنة اثقل في ميزانه من جبل
احد والثالثه يرفع الله له درجة لا ينالها الا الابرار • والرابعه يزوجه الله من الحور العين
والخامسه يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها في رق منشور يشهدون بها يوم القيامة ٥ •

والسادسه كان كمن قرا التوراة والانجيل والزبور والفرقان • وكمن حج واعتمر فقبل الله حجه وعمرته
وان مات من يومه او شهره او ليلته طبع بطابع الشهداء • فهذا تفسير المقاليد وتاويله ان هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه • والذين كفروا
بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون **قوله تعالى** قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون • ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين • بل الله فاعبد وكن من الشاكرين • وذلك حين دعي الى دين ابائه فقال له المشركون
استلم ببعض الهتنا ونؤمن بالهك • افغير منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد
بامركم وقيل منصوب بما يدل عليه جملة قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي
اعبد غير الله والاصل تامرونني بنون واحدة خفيفة على الحذف والتخفيف • وقرا اهل الشام ٥
بنونين على الاصل • والباقون بنون مشددة على الادغام • ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الذي عملته قبل الشرك وقيل معناه لئن طالبت غيري في السر
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين • فان قيل الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التو
اجيب بان معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والى الذين من قبلك
مثله • وقيل اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا
اللام في لئن اشركت موطية للقسم المحذوف واللام في ليحبطن لام الجواب • وهذا الجواب
ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط • وهذا الكلام مع علم الله ان رسله لا يشركون و
لا يحبط اعمالهم انما صح على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها للالزام • ومعنى قوله لتكونن من الخاسرين
الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة في الاخرة وقيل يجوز ان يكون غضب الله على الرسول
اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين • رد لما امر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم به من استلام
بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل
تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين لله على نعمة الايمان • وعلى ان جعلك سيد ولد ادم ٥
ويجوز ان ينصب الله في بل الله بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون • ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • واشرقت
الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون •
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون • لما حكى الله عن المشركين انهم امروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعبادة الاصنام ثم اقام الدلايل على فساد قولهم وامر الرسول بان يعبد الله ولا يعبد شيئا
سواه بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال وما
قدروا الله حق قدره حين اشركوا به فان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في
نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والمراد من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ٥
ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة
حقيقة او جهة مجاز والارض جميعا قبضته اي ملكه يوم القيامة بلا مانع ولا منازع ولا مدعي وهو اليوم

ايضا ملكه • نظيرها قوله مالك يوم الدين • ولمن الملك اليوم • وقيل هذا كما يقال خراسان في قبض
فلان ليس انها في كفه وانما معناه ملكه • والسموات مطويات بيمينه للطي معاني منها الادراج كطي القراطيس
والثواب بيانه قوله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتب • ومنها الاخفا كما يقال طويت فلانا
عن اعين الناس واطو هذا الحديث عني اي استر ومنها الاعراض يقال طويت عن فلان اي اعرضت
عنه • ومنها الافنا تقول العرب طويت فلانا بسيفي اي افنيته وانما ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار
وقيل هو بمعنى القوة • وقيل اليمين القسم لانه حلف انه يطويها ويفنيها • عن عبد الله بن مسعود جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع
والجبال على اصبع والبحر على اصبع • والخلايق على اصبع والجبال على اصبع ثم يقول هكذا بيده
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال وما قدروا الله حق قدره • وعنه جا
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات
يوم القيامة على اصبع • والارضين على اصبع • والجبال على اصبع • والشجر على اصبع • والثرى على
اصبع • وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا مما
قال الحبر تصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
وانما ضحك افصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علما البيان من غير
تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شي من ذلك • ولكن فهمه وقع اول شي واخره على الزبدة
والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة • وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان
ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجرا العبارة
في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب
ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله عز وجل في القران وساير الكتب السماوية
وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي المزالون الا
من قلة عنايتهم بالبحث والتفتيش حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه لما خفي عليهم
ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة
الا هو وكم اية من ايات التنزيل وحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضيم
وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس في هذا العلم في عير ولا نفير
ولا يعرف قبيلا منه من دبير • والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا
وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع
وتاكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجي الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة
ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والمعنى والارضون
جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة
كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته يريد انهما لا تفيان الا
باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته • واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى
ان الارض بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى
يوم نطوي السما كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه • قال صاحب الكشاف ومن استروح
من علمانا هنا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قايله ثم يتلي جمعه لكلام
الله المعجز لفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلما

قوله

قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين سبحانه وتعالى
عما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركا ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض اي ماتوا وهي النفخة الاولى الا من شا الله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية من اولئك الذين لم يشا الله ان يصعقهم قال هم الشهدا
متقلدين اسيافهم حول العرش تتلقاهم ملايكة يوم القيامة الى المحشر بنجايب من ياقوت ازمتها
الدر برحايل السندس والاستبرق نمارقها الين من الحرير مد خطاها مد ابصار الرجال يسيرون
في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا الى ربنا وانظروا كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم الهنا
واذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه • وعن انس بن مالك تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قالوا يا رسول الله من الذي
استثنى الله عز وجل قال هو جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت فيقول يا ملك الموت خذ
نفس اسرافيل فيقول يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربنا تباركت وتعاليت ذا الجلال
والاكرام بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول يا ملك الموت خذ نفس ميكايل فيا خذ نفس ميكايل
فيقع كالطود العظيم فيقول يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام
بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول
تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدايم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل
لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال
والاكرام • وعن جابر في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا
الله قال موسى عليه السلام ممن استثنى الله تعالى فلا يصعق وذلك انه قد صعق مرة يدل عليه
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يهودي بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر
قال فرفع رجل من الانصار يده فصك بها وجهه وقال يقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شا الله فاكون اول من يرفع راسه فاذا موسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري ارفع
راسه قبلي او كان ممن استثنى الله وقال كعب الاحبار هم اثنى عشر حملة العرش وجبريل وميكايل
واسرافيل وملك الموت الضحاك هم رضوان • والحور العين • ومالك والزبانية • قتادة الله اعلم
بمثناه • الحسن الا من شا الله يعني الله وحده عقارب النار وحياتها • ثم نفخ فيه اخرى يحتمل الرفع والنصب
اما الرفع فعلى قراه فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة • واما النصب فعلى قراة من قرا نفخة واحدة
والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذف لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة
بذكرها في غير مكان فاذا هم قيام من قبورهم ينظرون الى البعث • وقيل ينتظرون امر الله
يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب • وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم
واشرقت واضات الارض بنور ربها قال اكثر المفسرين بضوء ربها وذلك حين يبرز الرحمن
لفصل القضا بين خلقه فما يتضارون في نوره الا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا
دخن فيه • الضحاك بحكم ربها • السدي بعدل ربها • ويقال ان الله عز وجل يخلق في القيامة
نورا يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به • ويقال ان الله تعالى يتجلى للملايكة فتشرق الارض
بنوره واراد بالارض عرصات القيامة • قال صاحب الكشاف قد استعار الله عز وجل
النور للحق والقران والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك • والمعنى واشرقت الارض

فياخذ نفس اسرافيل

بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيات وينادي
عليه بانه مستعار واضافته الي اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الي الارض لانه يزينها حيث
ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين القسط ويحكم بالحق بين اهلها ولا تري ازين للبقاع من العدل
ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجوز فيها غير ربها ثم
ما عطف علي اشراق الارض من وضع الكتاب والمجي بالنبيين والشهدا والقضا بالحق وهو النور المذكور
وتري الناس يقولون للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضات الدنيا بقسطك كما يقولون
اظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح
الاية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب يعني صحايف الاعمال ولكنه اكتفي باسم الجنس
وقيل اللوح المحفوظ وجي بالنبيين والشهدا ابن عباس الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة
السدي الذين استشهدوا في طاعة الله وقيل هم الحفظة يدل عليه قوله تعالي وجات كل نفس معها
سايق وشهيد وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون

قوله تعالي وسيق الذين كفروا الي جهنم زمرا حتي اذا جاوها فتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا
قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب علي الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس
مثوي المتكبرين وسيق الذين كفروا اسوقا عنيفا علي وجوههم الي جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها علي اثر بعض كل امة علي حدة الاخفش يعني جماعات في تفرقة واحدها زمرة حتي اذا جاوها
فتحت ابوابها السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة قرا اهل الكوفة فتحت وفتحت علي التخفيف
والباقون شددها علي التكثير وقال لهم خزنتها توبيخا وتقريعا لهم الم ياتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب وهي قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين علي الكافرين قيل لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس
مثوي المتكبرين **قوله تعالي** وسيق الذين اتقوا ربهم الي الجنة زمرا حتي اذا
جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين وتري الملايكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وحشر
الذين اتقوا ربهم فاطاعوه ولم يشركوا به شيا الي الجنة زمرا طبقات مختلفة شهدا وزهادا
وعلما وقرا وغيرهم وقيل ركبانا حتي اذا جاوها حتي هي التي تحكي بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها
هي الشرطية وجزاها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه علي انه شي
لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها اي مع
فتح ابوابها والواو فيه واو الحال اي وقد فتحت ابوابها فادخل الواو وها هنا لبيان انها كانت
مفتحة قبل مجيهم وحذفها من الاية الاولي لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيهم وقيل زيدت الواو
ها هنا لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة فزيدت الواو فرقا بينهما وتسمي واو الثمانية
لان من عادة قريش انهم يعدون العدد من الواحد الي الثمانية فاذا بلغوا الثمانية زادوا
فيها واوا فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية يدل عليه قوله عز وجل سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما وقال تعالي التايبون العابدون الحامدون فلما بلغ الثامن من الاوصاف
قال والناهون عن المنكر ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارا وقيل زيادة الواو

في

في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله علي غضبه وعقوبته وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم قال صاحب الكشاف من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها خالدين
جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوي الطاهرين لانها دار
طهرها الله تعالي من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما
ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا
الوهاب الكريم صفة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود قتادة اذا قطعوا النار حبسوا علي قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
بعضهم من بعض حتي اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وعن علي رضي الله عنه انه سيل عن هذه الاية وسيق الذين اتقوا ربهم الي الجنة فقال
سيقوا الي باب الجنة حتي اذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان
فعمدوا الي احديهما فتطهروا فيها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تتغير ابشارهم بعدها ابدا ولن تشعث
اشعارهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الي الاخري فشربوا منها فاذهبت ما في
بطونهم من اذي او قذي وتلقاهم الملايكة علي ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ويلقي كل غلمان صاحبهم يطيفون به فعل الولدان بالحميم جا من الغيبة يقولون ابشر
بما اعد الله لك قد اعد لك كذا فينطلق غلام من غلمانه يسعي الي ازواجه من الحور العين
فيقول هذا فلان باسمه الذي كان يدعي في الدنيا قد قدم فيقلن انت رايته فيقول نعم فيستخفهن
الفرح حتي يخرجن الي اسكفة الباب ويجي فيدخل فاذا سرر موضونة واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم ينظر الي تاسيس بنيانه فاذا هو قد اسس علي جندل اللولو
بين احمر واخضر واصفر وابيض من كل لون ثم يتكي علي اريكة من ارايكه ثم يرفع طرفه الي سقفه
فلولا ان الله عز وجل قدره له لالم ان يذهب بصره انه مثل البرق فيقول الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فتناديهم الملايكة ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض يعني بارض الجنة وهو قوله تعالي ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قيل الارض عبارة عن المكان
الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومثوا وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم
فيها كما يشاون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معني قوله حيث نشا وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلت
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة علي الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشا
ولا يحتاج الي جنة غيرها فنعم اجر العاملين ثواب المطيعين وتري الملايكة حافين محدقين
محيطين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا متعبدين به لان التكليف يزول
في ذلك اليوم وقضي بينهم اي بين العباد كلهم بين اهل الجنة والنار بالحق اي ادخال بعضهم
النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضا بينهم بالحق دخول اهل الجنة بالفضل ودخول اهل النار بالعدل
وقيل بينهم اي بين الملايكة علي معني ان فضل الله في حقهم ليس علي السوال التفاضل بحسب ارادته
تعالي لا علي حسب تفاضلهم في اعمالهم كما قاله صاحب الكشاف والقايل ذلك المقضي بينهم
اما جميع العباد واما الملايكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله علي قضايه بيننا بالحق
وانزال كل منا منزلته التي اتاه الله بمقتضي مشيته عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلي الله

عليه وسلم قرا على المنبر آخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين • فنسال الله العظيم ان يوفقنا لطاعته

سورة المؤمن مكية

قيل ويقال لها سورة الطول • وحكي عن ابن عباس وقتادة ان فيها آيتين نزلتا بالمدينة وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله • والتي بعدها • قال الزجاج وذكر ان الحواميم كلها نزلت بمكة وهي اربعة آلاف وستمائة وستون حرفا والف ومائة وتسع وتسعون كلمة وخمس وثمانون آية • عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القران وعن ابن عباس لكل شي لباب ولباب القران الحواميم • وعن الخليل بن مرة مرسلا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحواميم سبعة وابواب جهنم سبعة جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم • فتجيء كل حاميم منهن يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقراني • عن سعيد بن ابراهيم قال كن الحواميم يسمين العرايس • وعن انس انه قال لكل شي ثمرة وان ثمرة القران ذوات حواميم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وعن ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال عليه الصلاة والسلام مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب • ابن سيرين قال راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا آل حاميم • فاما فضايل هذه السورة خاصة فعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حاميم المؤمن لم يبق نبي ولا صديق ولا مؤمن ولا شهيد الا صلوا عليه واستغفروا له

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير • قيل حاميم اسم من اسماء الله عز وجل اضيفت هذه السورة اليه كانه قيل سورة الله لشرفها وفضلها فقيل آل حاميم وان كان القران كله سورة الله فان هذا كما يقال بيت الله وحرم الله وناقة الله قال الكميت • حيث قال •

وجدنا لكم في آل حاميم آية • تاولها منا تقي ومعرب •

عن ابن عباس هو اسم الله الاعظم • وعنه الر وحم ون • حروف الرحمن مقطعة • قتادة حم اسم من اسماء القران مجاهد فواتح السور • القرظي اقسم الله بحلمه وملكه ان لا يعذب احدا عاذ اليه لا اله الا الله مخلصا من قلبه • الشعبي شعار السورة عطا الخراساني الحاء افتتاح اسم الله حليم وحميد وحي وحنان وحكيم • والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان يدل عليه • ما روى انس بن مالك انه قال سال اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لغتنا فقال صلى الله عليه وسلم بدو اسما وفواتح سور • الضحاك والكسائي معناه ما هو كائن كانهما ارادا الاشارة الى حم بضم الحاء وتشديد الميم • قرا حمزة والكسائي وخلف بكسر الحاء والباقون بالفتح • ومنهم من قرا بسكون الميم ومنهم من فتحها لالتقا الساكنين واختار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرا ومنع الصرف للتانيث والتعريف • وقيل للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل تنزيل الكتاب اي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله قابل التوب ممن قال لا اله الا الله التوب والتوب والاوب اخوات في معنى الرجوع شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله

ذي الطول عمن لا يقول لا اله الا الله والطول الغنى والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه ويطول اذا افضل • الضحاك ذي المن • قتادة ذي النعم السدي ذي السعة الحسن ذي الفضل ابن زيد ذي القدرة • واصل الطول الانعام الذي يطول مدته على صاحبه يقال اللهم طل علينا اي انعم وتفضل • ومنه قيل للنعم طايل يقال ما حظيت عنه بطايل وما حظيت منه بطايل قيل لم اجد منه منفعة • قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف • قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق • ورب العرش • واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر • والوجه ان يقال لما صودف بين هولا المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل • ولقايل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف من شديد العقاب لتزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما تعرف سحادليه من عناد ليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجما الغفير على نية طرح الالف واللام وما سهل ذلك الا امن اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال هذه النكتة هي قد تعمد تنكيره وابهامه الدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شي ادهى منه وامر لزيادة الانذار • ويجوز ان يقال هي النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال والواو في وقابل التوب نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التايب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاء للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول عن ثابت قال كنت الى جانب سرادق مصعب بن الزبير في مكان لا تمر فيه الدواب وقد استفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • فمر رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوب اقبل توبتي • قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب اعف عني عقابي قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل علي قل يا شديد العقاب اعف عني فلم ار شيا • وقال اهل الاشارة غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا ذي الطول فضلا لا اله الا هو اليه المصير فردا والتوب يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون جمع التوبة مثل دومة ودوم وعومة وعوم • عن يزيد الاصم ان رجلا كان ذا باس وكان يوفد الى عمر بن الخطاب لباسه وكان من اهل الشام وان عمر رضي الله عنه فقده فسال عنه فقال يا امير المومنين تتابع في هذا الشراب فدعا عمر رضي الله عنه كاتبه فقال اكتب فكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو • بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير • وختم الكتاب ودفعه الى رسوله وقال لا تدفع الكتاب اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له ان يقبل الله عليه بقلبه وان يتوب عليه فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقراها

ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذر في عقابه فلم يزل يرددها على نفسه حتى جعل يبكي ثم نزع عن ذلك وحسنت توبته وحاله فلما بلغ عمر رضي الله عنه امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم ذا زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه ٥

قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب ٥ لما قرر ان القران كان انزله ليهتدي به في الدين ذكر احوال من يجادل لابطاله واخفاء امره فقال ما يجادل في ايات الله ويخاصم ويماري في ايات الله بالانكار لها والطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فالمراد الجدال بالباطل فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ عنها فاعظم جهاد في سبيل الله ٥ ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في ايات الله قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله ٥ قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا يرجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذتهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه ٥ وقيل فلا يغررك تقلبهم بقيتهم في البلاد للتجارات وبقاؤهم فيها مع كفرهم فان الله يمهلهم ولا يهملهم ٥ نظيره لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبيس المهاد الايه ٥ ثم قال تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب والكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالمخالفة والعداوة من بعدهم من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا ويزيلوا به الحق فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم ان اخذتهم فكيف كان عقاب ٥ فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب

قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار كذلك حقت معناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء اي قريش لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ٥ ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة ويجوز ان يكون في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ٥

قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ٥ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ٥ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم

ذل

انه تعالى لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة للمؤمنين كانه قال يقول ان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا يبالي بهم ولا يلتفت اليهم ولا يهتم وزنا فان حملة العرش معك والحافون بما حول العرش ينصرونك ٥ ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام مسيرة ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التي تليها ٥ مجاهد بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور ٥ ابن عباس لما خلق الله حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من اعوانهم مثل جنود سبع سموات وسبع ارضين وما في الارض من عدد الحصى والثرى فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله ٥ فلما قالوا لا حول ولا قوة الا بالله استقلوا عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ٥ وروي شهر بن حوشب عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا وانما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع ٥ عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام ٥ وفي الخبر ان الله عز وجل امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة فهذه صفة حملة العرش ٥ قيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام ٥ وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ٥ ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال ان العرش احوف الخلق من الله ٥ وان بعض السنة لتنطق بهذه الكلمات ٥ اعوذ بالله من غضب الله ٥ واعوذ بالله من سخط الله ٥ واعوذ بالله من نقمة الله ٥ واعوذ بالله من كيد الله ٥ ويؤمنون به ٥ قال صاحب الكشاف فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك كما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام ٥ ولقائل ان يقول لا نسلم انه لا طريق الى معرفته الا هذا ويستغفرون للذين امنوا قال صاحب الكشاف روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم ٥ وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض ربنا اي يقولون ربنا ويقولون المضمر يحتمل ان يكون حالا ويحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون

موضوع الحال سأله وسعت كل شيء رحمة وعلما منصوبان على التمييز فالرحمة والعلم وسعا كل شيء في المعنى والاصل
وسع رحمتك وعلمك كل شيء ولكن عدل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى ذي الرحمة والعلم واخرجا
منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك دينك وقهم عذاب الجحيم ٥ عن مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله
الملائكة ووجدنا اغش عباد الله للعباد الشيطان ٥ قال يحيى بن معاذ الرازي لاصحابه حين
قرا هذه الاية افهموا فما في العالم جنة ارجى منه ٥ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن في
محل النصب عطفا على هم في وادخلهم صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجي فيقال لم يعملوا مثل
عملك فيقول كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ٥ وقهم السيئات انواع العذاب ٥ وقيل
جزاء السيئات بحذف المضاف والسيئات تعم الصغائر والكبائر المتوب عنها والكبائر التي لم
يتب عنها ٥ والاصل عدم تخصيص الكبائر بالكبائر المتوب عنها ومن تق السيئات بالتكفير عنها فقد
رحمته وذلك هو الفوز العظيم ٥ **قوله تعالى** ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ٥ هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب ٥
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ٥ انه تعالى عاد الى احوال الكافرين المجادلين
في ايات الله ٥ وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين
انهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي نزل بهم ويسالون الرجوع الى
الدنيا لتلافي ما فرط منهم فقال ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر
والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة وقد مقتوا انفسهم
حين عاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله انفسكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
اكبر من مقتكم اليوم انفسكم عند طول العذاب بكم اذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى
انه يقال لهم يوم القيامة كان مقت الله انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى
الايمان فتابون قبوله وتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم
هوى انفسكم الامارة ٥ الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله ٥ وقيل لمقت
الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض لقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اذ تدعون
تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا
بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين واحييتنا اثنتين او موتتين وحياتين قيل اراد
بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء اجالهم وبالاحياتين الاحياة الاولى واحياة
البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ٥ ابن عباس
وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها
ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان ٥ السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم
فسئلوا ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الاخرة ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح ان يسمي
خلقهم امواتا اماتة ٥ قلت كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ٥ وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة

ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان
معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين
وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله عنه فاعترفنا
بذنوبنا ٥ قال صاحب الكشاف كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا ٥ قلت
قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي
فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من النار من سبيل
فنصلح اعمالنا ٥ نظيرها فهل الى مرد من سبيل ومعنى خروج على التنكير نوع من الخروج سريع او بطيء
من سبيل قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج الى سبيل اليه ٥ وهذا كلام من غلب عليه الياس
والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ٥ ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم
اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك
به ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم في الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه فاجيبوا
ان لا سبيل الى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده في الدنيا كفرتم
وانكرتم ان يكون الالوهية له خالصة وقلتم اجعل الالهة الها واحدا وان يشرك به غيره تؤمنوا
تصدقوا ذلك المشرك ٥ قيل معناه وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا لو كانوا يردون تؤمنوا
تصدقوا المشرك فلذلك ذكره بلفظ الاستقبال ٥ نظيره قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه ٥ فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير يدل على الكبرياء والعظمة وعلى ان
عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته هو الذي يريكم اياته من
الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء رزقا مطرا لانه سببه
وما يتذكر وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من ينيب يتوب من الشرك ويرجع الى الله عز وجل
فان المعاند لا سبيل الى تذكيره واتعاظه ٥ ثم قال للمنيبين فادعوا الله فاعبدوا الله مخلصين له
الدين الطاعة والعبادة من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم
قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده
لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ٥ اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ٥ ثلاثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله
الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا رفيع الدرجات اي رافع طبقات
الثواب للانبياء والمؤمنين في الجنة ٥ ابن عباس يعني رافع السموات وهو فوق كل شيء وليس فوقه
شيء ٥ قيل رفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان يبلغ العرش وهي دليل على
عزته وملكوته وعن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ٥ ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه
وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه ٥ وقيل هي درجات الثواب التي ينزلها اولياءه في
الجنة ذو العرش خالقه ومالكه يلقي الروح ينزل الوحي سماه روحا لانه يحيي به القلوب كما تحيى
بالارواح الابدان من امره من قوله وقيل بامره على من يشاء من عباده لينذر الله او الملقى عليه وهو
الرسول او الروح يوم التلاق ٥ يوم القيامة لان الخلائق تلتقي فيه ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه
يوم يلتقي اهل السماء واهل الارض ٥ قتادة ومقاتل تلتقي فيه الخلق والخالق ميمون بن مهران يلتقي
الظالم والمظلوم والخصوم ٥ وقيل تلتقي العابدون والمعبودون ٥ وقيل تلتقي المرء مع عمله يوم هم بارزون

خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف
ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم
من اعمالهم واحوالهم شيء وهم مبتدأ بارزون خبره قال صاحب الكشاف فان قلت
قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا
فما معنى قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى
لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا
يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد
القهار لمن الملك اليوم حكاية لمن يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب عنه ومعناه انه ينادي مناد
فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار الحسن هو السائل وهو المجيب لانه
يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه لله الواحد القهار الذي قهر خلقه بالموت وعن ابن مسعود
يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول
ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب فاول ما يبدؤون به من الخصومات الدماء لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك
اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت والظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد
وان الحساب لا يبطئ لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلهم في وقت
واحد وهو اسرع الحاسبين ابن عباس اذا اخذ في الحساب لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا
فيها **قوله تعالى** وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين
يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير وانذرهم يوم الآزفة القيامة سميت
بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو آت قريب قيل ويجوز ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة
وهي مشارفتهم دخول النار قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكأن قد • اي قرب

ونظيره هذه الآية ازفت الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر اي فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها
فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة
كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا كاظمين عليها مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا
هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا
عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها
بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين
وقيل الكاظم الممسك للشيء على ما فيه ومنه كظم قربته اذا شد رأسها فهم قد اطبقوا افواههم على ما في قلوبهم
من شدة الخوف والكظم تردد الغيظ والحزن والخوف في القلب حتى يضيق به ويقول العرب للبئر
الضيقة وللسقاية المملوءة كاظمة وكاظمة ومنه الحديث كيف بكم اذا اتخذت مكة كظائم ويجوز
ان يكون كاظمين حالا عن قولهم وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين
ما للظالمين من حميم قريب وصديق وحبيب ومشفق ولا شفيع يطاع فيشفع فيهم قال صاحب الكشاف
المطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت

ما

ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول
الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك
لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر
يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا
من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله تعالى واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان
الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله وما للظالمين
من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل
التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما
يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة
ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد
على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف
بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه وما معي سلاح احارب به
فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة عن الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى
مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف
يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع
موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة
للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل
كما يفعل اهل الريب ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر اليها مجاهد
هي نظر الاعين الى ما نهى الله تعالى عنه قتادة هي همزه بعينه واغماضه فيما لا يحب الله تعالى
ولا يرضاه قال صاحب الكشاف ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي
الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار
هو في قوله هو الذي يريكم آياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق
ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته وما تخفي
الصدور والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والذين يدعون من
دونه يعني الاوثان لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف
بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي قرأ اهل المدينة يدعون بالتاء من فوق ومثله ما روى
هشام عن اهل الشام والباقون بالياء ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما
تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما
يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر **قوله تعالى** اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما
كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب انه تعالى لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة اردفه ببيان تخويفهم باحوال الدنيا
فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم فصل
والفصل وان كان الاصل ان يقع بين معرفتين لكن لما كان اشد مضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف
واللام اجري مجراه منهم قوة قرأ ابن عامر منكم بالكاف والباقون منهم قوة وآثارا في الارض يريد حصونهم

وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم اواراد واكثر اثارا كقوله متقلدا اوسيفا
ورمحا فلم ينفعهم ذلك اخذهم الله بذنوبهم فاخذهم الله بذنوبهم • وما كان لهم من الله من عذا
الله من واق ينفعهم ويدفع عنهم ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب • ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا **قوله**
تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين • الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابنا الذين امنوا معه واستحيوا نساهم وما كيد الكافرين
الا في ضلال • وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض
الفساد • وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب • ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وسلطان حجة مبين ظاهر وهي المعجزات الى فرعون وهامان وقارون فقالوا هو
اي موسى ساحر كذاب • فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا • فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا
قالوا يعني فرعون وهامان وقارون وقومه اقتلوا ابنا الذين امنوا معه قتاده هذا قيل
غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان • فلما بعث اليه موسى اعاد القتل
عليهم واستحيوا نساهم ليضروهم بقتل الابنا واستحيا النسا عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد
الكافرين وما مكر فرعون وهامان وقارون واحيالهم الا في ضلال في ضياع وذهاب
باطل لم تجد عليهم اي انهم باشروا واقتل ابناهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضا الله باظهار من خافوه فما
يغني عنهم هذا القتل الثاني • وكان فرعون قد كف عن قتل الابنا فلما بعث موسى عليه السلام
واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى
وما علم ان كيده ضايع في الكرتين جميعا • وقال فرعون لملايه ذروني اقتل موسى وليدع موسى
ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا كانوا اذا هم فرعون بقتل موسى كفوه بقولهم ليس بالذي
تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون
اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان
فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جا به ايات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خبث ومكر وجربز
وكان قتالا سفاكا للدما في اهون شي فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يهدم ملكه ولكنه كان
يخاف اذا هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله فليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوة
ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه
الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان يبدل دينكم الذي انتم عليه لسحره وكانوا يعبدونه
ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك والهتك او ان قرا ابو عمرو واهل المدينة والشام وان بغير
الف والباقون بالالف يظهر في الارض الفساد • قرا اهل المدينة والبصرة يظهر بضم اليا وكسر
الها الفساد بالنصب على انه مفعول ومثله روى حفص عن عاصم واختيار ابي عبيد قال لقوله ان
يبدل دينكم فكذلك يظهر ليكون الفعل معا على نسق واحد والباقون بفتح اليا والها ورفع الفساد
والفساد انتقاص الامر واراد فرعون به تبديل الدين وعبادة غيره وقيل الفساد في الارض التغاير
والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا
وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر
من الفتن بسببه وان يظهر معناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا ولما سمع موسى بما اجراه فرعون
من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله ربي وربكم قوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به

فيعوذوا

فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره
من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو
اقبح استكبار وادله على دناة صاحبه ومهانة نفسه • وعلى فرط ظلمه وعسفه لا يومن بيوم الحساب
لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر • والتكذيب بالجزا • وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة •
والجراة على الله تعالى وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها **قوله تعالى** وقال رجل مومن من ال
فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
كذبه وان يك كاذبا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب • يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله اذ جانا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد • وقال رجل مومن من ال فرعون غير انه كان امن بموسى عليه السلام يكتم ايمانه
من فرعون وقومه خوفا على نفسه • السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله تعالى عنه
فقال وجا رجل من اهل المدينة يسعى • وقيل كان اسرايليا • ومعنى الاية وقال رجل مومن يكتم ايمانه
من ال فرعون فقدم من ال فرعون على يكتم لشدة الاختصاص اي يكتم ايمانه من ال فرعون لامن موسى
وقومه • ابن عباس واكثر العلما اسمه حزبيل • وهب اسمه حزبال ابن اسحاق حزبل • وقيل اسمه حبيب
وقيل سمعان • والظاهر انه من ال فرعون فان المومنين من بني اسرايل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل
عليه قول فرعون ابنا الذين امنوا معه • وقوله المومن من ينصرنا من باس الله اذ جانا دليل
ظاهر على انه يتنصح لقومه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت
شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعا التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها
الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يقتصر في تصحيح قوله على بينة واحدة بل قال
ولقد جاكم بالبينات من ربكم من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج
لهم الى الاعتراف وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم • ولك ان تقدر مضافا فالمحذوف اي وقت
ان يقول • والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره •
وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج
على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا وان يكون كاذبا فعليه كذبه
اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له وانما
قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه لانه احتاج في
مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم
من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبوله منهم فقال
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه
ولا يردوا عليه • وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه
يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه
وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من وراه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا
القبيل • وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف مشرك • السدي قال كذاب على الله وقيل
اراد يصبكم كل الذي يعدكم من العذاب • والعرب تذكر البعض وتريد به الكل • كقول لبيد

• تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها •

اي كل النفوس • قيل ان الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا ياخذله واهلكه ولم يستقم

له امر فتخلصون منه وانه لما كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات ۵ وقيل لما تولي ابو بكر من رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقيه حين فرغ فاخذ بمجامع ردايه فقالوا انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباونا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورايه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتي ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مومن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر رضي الله عنه قاله ظاهرا ۵ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين مستعلين علي بني اسرايل في الارض ارض مصر يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا وان امركم علي انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاكم ولا يمنعكم منه احد قال فمن ينصرنا من باس الله اذ جانا لانه منهم وليعلموا ان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ۵ قال فرعون ما اريكم من الراي والنصيحة الا ما اري لنفسي اي ما اشير عليكم براي الا بما اري من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح ۵ الضحاك ما علمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطيان علي ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسي ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر علي الاشارة **قوله تعالي** وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ۵ مثل داب قوم نوح وعاد وثمود ۵ والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ۵ ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد ۵ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ۵ ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاكم به حتي اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ۵ الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله علي كل قلب متكبر جبار ۵ وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب لانه لما اضافه الي الاحزاب وفسر الاحزاب بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يبين ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر علي الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغني عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم ۵ وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ۵ مثل داب اي دوب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الكفر والتكذيب وساير المعاصي ۵ وكون ذلك دايبا دايما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزا دابهم ومثل داب قوم نوح منصوب بانه عطف بيان لمثل يوم الاحزاب لان اخرما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الي اعلام فسري ذلك الحكم الي اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد لان تدميرهم كان عدلا وقسطا لان عقاب العصاة مقتضي عدله كما ان ثواب المطيعين مقتضي فضله وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد ۵ وحيث نكر الظلم كانه نفي ان يريد ظلما ما لعباده ۵ ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد اي يوم ينادي المنادي بالشقاوة والسعادة الا ان فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقي بعدها ابدا والا ان فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وينادي الناس بعضهم بعضا وينادي اصحاب الاعراف واهل الجنة اهل النار واهل النار اهل الجنة وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود ولا موت وينادي كل قوم باعمالهم ۵ ويجوز ان يكون

نصايحهم

نصايحهم بالويل والثبور ۵ يوم تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب الي النار ۵ مجاهد فارين عن النار غير معجزين ما لكم من الله من عاصم ناصر يمنعكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاكم يوسف بن يعقوب من قبل موسي وقيل من قبل الرجل المومن بالبينات ۵ قال وهب ان فرعون موسي هو فرعون يوسف عمر الي زمن موسي عليه السلام ۵ وقال الباقون هو غيره وهو يوسف ابن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وفرعون موسي غير فرعون يوسف بن يعقوب بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاكم به حتي اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا هذا القول من عند انفسكم من غير برهان وقلتم هذا القول تقدمة عزم منكم علي تكذيب فاذا جاكم رسول جحدتم وكذبتم بنا علي حكمكم الباطل الذي استننتموه وليس قولهم ان يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الي تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الاضلال المبين يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه ۵ الذين يجادلون بدل من هو مسرف وانما جاز ابدال الذين وهو جمع من هو مسرف وهو واحد لانه لا يريد مسرفا واحدا وكانه قال كل مسرف في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر ذلك الجدال اي جدال الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان ۵ وقيل كبر من هو مسرف وهو واحد لفظا وجمع معني فحمل البدل علي معناه والضمير الراجع اليه في كبر علي لفظه وليس ببدع ان يحمل علي اللفظ تارة وعلي المعني اخري ۵ وله نظاير وقيل يحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ۵ قال صاحب الكشاف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه ولقايل ان يقول لم يجعل الفاعل محذوفا بل مضمرا والمرجوع اليه مذكور معني وهو جايز نحو قوله تعالي علي ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب ۵ وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة علي خروجه من حد اشكاله من الكباير كذلك يطبع الله يختم الله بالكفر علي كل قلب ۵ قرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين والباقون بالاضافة وقرا بالتنوين وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزها ومنبعها كما تقول رات العين وسمعت الاذن ۵ ونحو قوله تعالي فانه اثم قلبه وان كان الاثم صاحب القلب ۵ وقيل يجوز ان يكون علي حذف المضاف اي علي كل ذي قلب متكبر يجعل الصفة لصاحب القلب ۵ **قوله تعالي** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الي اله موسي واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بلغ انه بلغ في التيه والحماقة الي ان قصد الصعود الي السموات يا هامان ابن لي صرحا قصرا بناء ظاهرا لا يخفي علي الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشي اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات طرقها وابوابها وما يودي اليها وكل ما اداك الي شي فهو سبب اليه كالرشا ونحوه وفايدة تكرير الاسباب الابهام ثم الايضاح ثم انه اذا ابهم الشي ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده علي نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم اوضحه فاطلع ۵ قرا حفص عن عاصم فاطلع بالنصب علي جواب لعل بالفا تشبيها للترجي بالتمني والباقون برفع العين نسقا واني لاظنه اي وقال فرعون واني لاظن موسي كاذبا فيما يقول ان له ربا غيري ارسله الينا وكذلك ومثل ذلك التزيين والصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين والصاد هو الله تعالي لانه خالق كل ما دخل في الوجود من المحدثات حقيقة او الشيطان علي وجه التسبيب بوسوسته

وما كيد فرعون الا في تباب في خسار وضلال **قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد ٥ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار ٥ من عمل سيئة فلا يجزي الا
مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ٥ تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار ٥ لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله
وان المسرفين هم اصحاب النار ٥ فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ٥
هذا من بقية كلام الرجل المومن من ال فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان لموسى والتمسك بطريقته
واعلم انه نادى قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجمال
وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجمال فهو قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد
بقوله اتبعون طريقة التقليد لانه قال بعده اهدكم والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير
يوصف بانه هداه سبيل الرشاد نقيض الغي ٥ وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون
وقومه سبيل الغي ٥ واما التفصيل فهو قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا فان اهدكم سبيل الرشاد
فاجمل لهم ثم فسر وفصل فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه
يتشعب ما يودي الى سخط ويجلب الشقاوة في العاقبة ٥ والمعنى انما هذه الحيوة الدنيا متعة
وبلاغ ينتفعون بها مدة يسيرة ثم تزول عنكم وان الاخرة هي دار القرار والدوام والمقصود ان
الاخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم الباقي خير من المنقضي الفاني افتتح بذم
الدنيا وثنى بتعظيم الاخرة والاطلاع على حقيقتها ٥ وانما هي الوطن والمستقر عن بعض العارفين
لو كانت الدنيا ذهبا فانيا ٥ والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف
فان والاخرة ذهب باق ٥ واعلم ان الاخرة كما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم فكان
الترغيب في نعيم الجنان ٥ والترهيب عن عذاب النيران من اقوى وجوه الترهيب والترغيب
ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف وبين كيف يحصل الجزاء
له في الاخرة واشار فيه الى ان جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يجزي
الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق ٥ فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر
ساعة يوجب عقاب الابد ٥ اجيب بان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وايمانا فلهذا السبب
يكون الكافر على عزم ان يبقى ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه موبدا بخلاف الفاسق فانه
يعتقد فيه كونه جناية ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم قلنا ان عقاب
الفاسق منقطع ٥ واما الذي يقوله المعتزلة من ان عقاب صاحب الكبيرة موبد فباطل لان مدة تلك
الكبيرة منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دائما بل منقطع فمقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف
قوله من عمل سيئة فلا يجزي الا مثلها ٥ قال الامام واعلم ان هذه الاية اصل كبير في علم الدين فيما يتعلق باحكام
الجنايات فانها تقتضي ان يكون المثل مشروعا وان يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم يقول ليس للاية
بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي شي فلو حملناه على رعاية المماثلة في شي معين مع ان هذا المعين
غير مذكور في الاية صارت الاية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الاية
عاما مخصوصا وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص فالتخصيص اولى
فوجب ان يحمل هذه الاية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواضع التخصيص ٥ واذا ثبت هذا فان الاحكام
الكثيرة في باب الجنايات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفريعها على هذه الاية ثم بين

ان

ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان جزاء الحسنة غير مقصور على المثل بل هو خارج عن الحسبان
فقال ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واقع
في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح
فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة والكثرة والسعة وهذا يدل على ان جانب الرحمة ٥
والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد وجب ان
يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ويا قوم ثم استانف ذلك الرجل
المومن النداء فنادى في المرة الثالثة وقال ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى الايمان الذي
هو سبب النجاة وتدعونني الى النار اي الى الشرك والكفر الذي هو سبب دخول النار فان قيل
لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني اجيب بان تكرير النداء فيه زيادة
تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة ٥ وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم
ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره
وغمهم غمه وينزلوا على نصيحته لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام في نصيحة ابيه يا ابت ٥ واما المجي بالواو
العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول
الواو ٥ واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال
هداه الى الطريق وهداه له ٥ تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم بربوبيته والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك ما ليس باله كيف يصح ان يعلم الاها لا جرم سياقه على مذهب
البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق
ووجب بطلان قومه او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم ان تعتدوا اي كسب ذلك
الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم
نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل
كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع كذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار
لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا
انما تدعونني اليه ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق
المعبود بالحق اي تدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما يدعون اليه
والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لصح من دعائكم في
الدنيا ولا في الاخرة اي انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره ولا في الاخرة اذا انشاه الله
حيوانا تبرا من الدعاء اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الاخرة
او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما سمي الفعل المجازي عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان ٥ قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي وان مردنا مرجعنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار
قتادة المسرفين المشركين مجاهد المسرفين السفاكين للدماء بغير حلها ٥ عكرمة الجبارين المتكبرين
فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا ما اقول لكم اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ٥ وافوض
امري الى الله وذلك لانهم توعدوه بمخالفته دينهم ان الله بصير بالعباد عالم باموره من المحق منهم ومن
المبطل ٥ **قوله تعالى** فوقاه الله سيات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ٥ فوقاه

الله سيات شدايد ما مكروا مكرهم وما سموا به من الحاق انواع العذاب باعدايهم • قتاده يجامع
موسي قبطيا وحاق بآل فرعون اي نزل بآل فرعون سو العذاب في الدنيا الغرق وفي الاخرة النار
النار يعرضون بدل من سو العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون وفي هذا الوجه تعظيم
للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها • يقال عرض الامام الاساري علي السيف اذا قتلهم
قتادة غدوا وعشيا صباحا ومسا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم
السدي هو انهم لما هلكوا جعلت ارواحهم في اجواف طيور سود فهي تعرض علي النار كل يوم مرتين تغدو
وتروح الي النار حتي تقوم الساعة • ويوم تقوم الساعة ادخلوا • قرا اهل المدينة واهل الكوفة
فاذا كان يوم القيامة قال الله ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم • عكرمة ومحمد بن كعب
هذه الاية تدل علي عذاب القبر لان الله تعالي ذكر عذاب الاخرة فقال ويوم تقوم الساعة ادخلوا
قرا اهل المدينة واهل الكوفة الا ابا بكر ويعقوب بقطع الالف وكسر الخا من الادخال والباقون بوصل
الالف وضم الخا من الدخول **قوله تعالي** واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفا
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها
ان الله قد حكم بين العباد • وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب • قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في
ضلال • واذكر وقت يتحاجون اي الاتباع والروسا في النار فيقول الاتباع الضعفا للذين
استكبروا اي الروسا المستكبرين انا كنا لكم تبعا في الدنيا اي تابعا كالخدم في جمع خادم والتبع يكون
واحدا وجمعا في قول نحاة البصرة وواحده تابع • وقال نحاة الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر وجمعه
اتباع • وقيل اراد ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال
الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد قضي بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار • وقال الذين في النار الضعفا والذين استكبروا لخزنة جهنم ولم يقل لخزنتها لان
في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا قيل ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم • بير جهنام بعيدة القعر
وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر علي لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في
علمه بالشعر • وفيها اعتي الكفار واطغاهم فلعل الملايكة الموكلين بعذاب اوليك اجوب دعوة لزيادة
قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
اي الخزنة قالوا اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا ورآهم اوقات الدعا والتضرع رسلكم بالبينات
بالبراهين والمعجزات • وقيل الم يخبركم الرسل ان عذاب جهنم مخلد لا تخفيف فيه ولا انقطاع قالوا
اي الكفار بلي قد اتانا رسلنا بالبينات قالوا اي الخزنة فادعوا انتم فانا لا نجترئ علي ذلك وقيل
فادعوا اذا انتم ربكم وقيل فادعوا انتم ما شيتم فلا استجابة لدعايكم • وقيل هذا استهزاهم وما دعا
الكافرين الا في ضلال لانه لا ينفعهم • وقيل لا يسمع ولا يجاب وهذا الكلام يجوز ان يكون من
كلام الخزنة • ويجوز ان يكون استينافا من الله **قوله تعالي** انا لننصر رسلنا والذين
امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سو الدار
انا لننصر رسلنا بالحجة والغلبة والانتقام من الكفرة والذين امنوا وينصر الذين امنوا في الحيوة الدنيا
ابن عباس بالغلبة • الضحاك بالحجة في الدين والعذر في الاخرة • وقيل بالانتقام من اعدايهم في الدنيا
والاخرة السدي قد كانت الانبيا والمومنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون • وذلك لان تلك
الامة التي تفعل ذلك بالانبيا والمومنين لا يذهب حتي يبعث الله قوما فينتصر بهم لاوليك الذين قتلوا منهم

وقال بعضهم اراد بقوله رسلنا محمد عليه السلام كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات • ابو العالية
يريد الله ان يفلح حجتهم في الدنيا والاخرة ويوم يقوم الاشهاد اي في الحيوة الدنيا والاخرة يعني
انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر علي مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا
من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدايهم ولو بعد الشهود فيشهد للانبيا بالتبليغ وللمومنين
بالتصديق • وللكافرين بالتكذيب • يوم لا ينفع الظالمين بدلا من الاول • قرا الكوفيون ونافع
بالتا والباقون بالتا الظالمين معذرتهم اي لا تقبل منهم عذرهم • قيل يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها
لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون • ولهم اللعنة
البعد من رحمة الله • ولهم سو الدار شر المنقلب **قوله تعالي** ولقد اتينا موسي الهدي
واورثنا بني اسرايل الكتاب • هدي وذكري لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار • ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ٥ ولقد اتينا موسي الهدي اي جميع
ما اتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرايع واورثنا وتركنا علي بني اسرايل علي سبيل
الوراثة من بعده الكتاب اي التوراة هدي ارشادا وذكري وتذكرة وانتصابهما علي المفعول
له وعلي الحال لاولي الالباب • لاصحاب العقول الصافية الخالصة عن نزغات الشيطان وهم
المومنون العاملون بما فيه فاصبر يا محمد علي اذي المشركين ان وعد الله حق في اظهارك واهلاك
اعدايك حق يعني ان نصر الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد لموسي وما اتاه من اسباب
الهدي والنصر علي فرعون وجنوده وابقاوه اثار هداه في بني اسرايل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك
علي الدين كله ومبلغ ملكك امتد مشارق الارض ومغاربها فاصبر علي ما يجرعك قومك من الغصص فان
العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلا كلمتك حق واستغفر لذنبك واقبل علي التقوي واستدرك
الفرطات بالاستغفار وسبح بحمد ربك ودم علي تنزيه ربك والثنا عليه بالعشي والابكار • الحسن يعني صلاة
الفجر وصلاة العصر ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم اي ما في قلوبهم
والصدر موضع القلب فكني به عن القلب تسمية للشي باسم موضعه • ولهذا قيل للموضع الشريف من المجلس
صدر الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة والا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك
ودفعوا اياتك خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت امرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او
ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا او بغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او
ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه اي الذي حسدوك عليه امر ليس بمدركيه ولا نايليه
لان ذلك فضل من الله يوتيه من يشا وليس بالتمني • مجاهد معناه ان في صدورهم الا عظمة ما هم ببالغي
تلك العظمة لان الله عز وجل مذلهم • وقيل ما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم
من الرياسة او النبوة او دفع الايات • وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلي الله عليه
وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر
ويرد الملك الينا وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله عز وجل فانزل الله هذه الاية فسمي الله
تمنيهم ذلك كبرا ونفي ان يبلغوا اذلك متمناهم فاستعذ بالله فالتجي اليه من كيد من يحسدك ويبغي
عليك • وقيل فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم **قوله تعالي** لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة

على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها بحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان
الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شي قليل مهين فمن قدر على خلقها
مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم قيل من خلق الناس من خلق
الدجال ولكن اكثر الناس اي اليهود لا يعلمون فيخاصمون المومنين في امر الدجال رد على اليهود
حين عظموا امره قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسي قليلا ما يتذكرون ۰ بالتاكيد قراهم بالياء الا اول الايات واخرها خبر عن قوم ضرب
الاعمى والبصير مثلا للمسي والمحسن قوله تعالى ان الساعة لاتية لا ريب فيها
ولكن اكثر الناس لا يومنون لا يصدقون بها قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ۰ وقال ربكم ادعوني اي
وحدوني واعبدوني دون من دوني استجب لكم اجبكم واغفر لكم واثبكم هذا قول اكثر المفسرين يدل
عليه سياق الاية والدعا بمعنى العبادة كثير في القران ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم الاية والاستجابة الاثابة ۰ الحسن وقد سيل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على
الله ان تستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ۰ وعن الثوري انه قيل له ادع
الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعا ۰ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا هو العبادة ثم تلا
هذه الاية وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعاي ۰ وقيل ان
الذين يستكبرون عن عبادتي توحيدي وطاعتي سيدخلون ۰ قرا ابن كثير بضم الياء وفتح الخاء ۵
واختلف فيه عن ابي عمرو وعاصم والباقون بفتح الياء وضم الخا جهنم داخرين صاغرين ۰ عن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع ۰ وعن كعب اعطى الله
هذه الامة ثلاث خصال لم يعطهن الانبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي يقول
ادعوني استجب لكم ۰ وقال لنا ادعوني استجب لكم ۰ وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير
للدعا بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ۰ ذلكم الله ربكم خالق كل
شي لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون ۰ الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسما بنا وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
الله الذي جعل خلق لكم الليل لتسكنوا لتستريحوا فيه من تعب النهار وتخلوا بانفسكم فتحاسبها والنهار مبصرا
من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار ۰ قال صاحب الكشاف فان قلت لم قرن
الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان
من حيث المعنى لان كل واحد منهما يودي مودى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد
المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن
لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة عن المجاز ان الله لذو فضل على الناس بخلق الليل والنهار وقيل لذو فضل على الكافر
بتاخير العذاب ولما كان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازنه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة
لم يقل لمفضل لمتفضل وانما قيل اكثر الناس ولم يقل اكثرهم لان في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم
وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ۰ ان الانسان لربه لكنود
ان الانسان لظلوم كفار ۰ ذلكم الله المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق

كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شي وانشايه
لا يمتنع عليه شي والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تؤفكون تصرفون عن عبادته
الى عبادة الاوثان ۰ كذلك اي كما افكتم عن الحق مع قيام الدلايل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات
الله يجحدون ۰ قال صاحب الكشاف ثم ذكر ان كل من جحد بايات الله فلم يتاملها ولم يكن فيه همة
طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا الله الذي جعل لكم الارض قرارا هذه ايضا دلالة اخرى على
تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض قرارا مستقرا والسما بناء قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم
لان السما في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وصوركم فاحسن صوركم صورة الانسان
احسن الصور قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان ۰ وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهايم
كقوله في احسن تقويم ورزقكم من الطيبات اللذيذات ۰ وقيل الحلالات ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين قوله تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له
الدين الحمد لله رب العالمين هو خبر والمبتدا مضمر تقديره ۰ الله هو الحي الذي لا يموت
لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والريا الحمد لله قايلين الحمد
لله رب العالمين ۰ ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين
قوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين ۵ ۰ قل يا محمد لهولا المشركين ۰ وذلك حين دعي الى الكفر اني
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي ۰ قيل هو العقل وقيل هو القران
وقيل الوحي ۰ قال صاحب الكشاف فان قلت انما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة
الاوثان بادلة العقل حتى جاته البينات من ربه ۰ قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية
لادلة العقل وموكدة لها ومضمنة ذكرها واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة
السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية قوله تعالى هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم
من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون ۰ هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون ۰ ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك
لتكونوا شيوخا ۰ ومنكم من يتوفى يموت من قبل بلوغ الاشد ۰ وقيل من قبل كونه شيخا ۰ وقيل من قبل هذه
الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت ۰ وقيل يوم القيامة ولعلكم تعقلون ۵
وحدانية الله وقدرته وما في ذلك من الحجج والعبر فاذا قضى امرا اراد كون شي فانما يقول له كن فيكون
اي فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحيا والاماتة وساير ما ذكر من
افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون
شي واسرعه ۵ قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون ۰ ذكر
الجدال في هذه السورة مكررا في ثلاثة مواضع فيحتمل ان يكون في ثلاثة اقوام او ثلاثة اصناف
ويحتمل ان يكون التكرير للتاكيد ۰ ابن زيد هم المشركون ۰ وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية
عن محمد بن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فانا لا ادري فيمن نزلت الم تر الى الذين يجادلون
الى قوله لم نكن ندعوا من قبل شيا الى اخر الاية عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سيهلك من امتي اهل الكتاب واهل اللبن فقال عقبة الله ومن اهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله

يجادلون الذين امنوا قال ومن اهل اللبس فقال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات
وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين امنوا ° وما اهل اللبس
فلا احسبهم الا اهل العمود وليس عليهم امام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان ° قال محمد بن جرير اهل العمود
الجي العظيم ° **قوله تعالى** الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون °
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون ° في الحميم ثم في النار يسجرون ° ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ° ذلكم بما
كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ° ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين ° الذين كذبوا بالكتاب بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب والايات
والمعجزات فسوف يعلمون ° اذ الاغلال في اعناقهم جمع بين سوف وبين اذ وبينهما تضاد لان المتوقع
في حكم الموجود ولان اكثر الفاظ الغيب مدة جات بلفظ الماضي تحقيقا ° المبرد اذا اضارت
زمانا قيل سوف لان العلم وقع منهم بعد ثبوت الاغلال والمعنى علموا اجس الاغلال الذين كانوا سمعوا
وعد وعيدا حين الوجود ° واستشهد بقول ابي ذويب ° حيث يقول °

° ادمن لم تحتذ بي اخان الهدام اثم الحليف °

لان القول كان بعد فقدهما ° قال صاحب الكشاف فان قلت فما قوله فسوف تعلمون
اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة
لما كانت في اخبار الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال
والسلاسل يسحبون في الحميم يجرون في الماء الحار ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود
ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار
مملوءة بها اجوافهم ° ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اي اجرنا من نارك
انا عايذون بجوارك ° ثم قيل لهم اي تقول لهم الخزنة اين ما كنتم تشركون من دون الله اي الاصنام التي
كنتم تعبدون قالوا ضلوا عنا اي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وقيل اشتغلوا بانفسهم
وقيل ضاعوا عنا ولم يصل الينا ما كنا نرجوا من النفع والشفاعة بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
يستحق العبادة ° وقيل تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا
شي فاذا هو ليس بشي اذا اختبرته فلم تر عنده خيرا وقيل انكروا وقيل جحدوا وقيل فيه اضمار اي لم نكن ندعوا
من قبل شيئا يسمع ويبصر ويضر وينفع ° الحسين بن الفضل لم نكن نصنع من قبل شيئا ضاعت عبادتنا فلم نكن نصنع
شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين عن الحجة وعن الايمان وعن طريق الجنة ° وقيل كذلك
يضل الله الكافرين ° مثل ضلال الهتهم منهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا
ذلكم العذاب ° وقيل الاضلال بما كنتم تفرحون تبطرون وتستكبرون في الارض بغير الحق بالباطل
وبما كنتم تمرحون تفرحون وتختالون وتنشطون وقيل ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح
بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم
قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فيها فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق والدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى فلهذا قال مثوى المتكبرين ولم يقل مدخل المتكبرين
قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا
يرجعون ° فاصبر يا محمد ان وعد الله بهلاك الكفار حق كاين فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد
معنى الشرط وكذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمنك او نتوفينك

عطف

عطف على نرينك فالينا يرجعون ° جزا نتوفينك وجزا نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذلك او ان نتوفينك ° قبل يوم بدر فالينا يرجعون °
يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام ومنه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون **قوله تعالى** ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جا امر الله
قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ° ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا عليك
خبرهم في القران وسميناهم لك فانت تعرفهم ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم ولم نسمهم لك قيل
بعث الله عز وجل ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرايل واربعة الاف من ساير الناس وعن
علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الايات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتي باية الا
باذن الله يعني ياذن له في الاتيان بالاية فمن لي بان اتي باية مما تقترحونه الا ان يشا الله وياذن
في الاتيان بها فاذا جا امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة ° وقيل امر
الله بالعذاب قضي بالحق اي اهلكوا وقيل قضي بالحق اي لم يظلموا اذا عذبوا ابن بحر امر الله الاية التي اقترحوها
ويقع الاضطرار عندها وخسر هنالك المبطلون الكافرون المعاندون الذين اقترحوا الايات
وقد اتتهم الايات فاقترحوها وسموها سحرا **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون ° ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك
تحملون ° ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ° لما بسط الكلام في تقرير الوعيد عاد الى
ذكر ما يدل على الوحدانية والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على عباد الله الذي يحق له العبادة
جعل خلق لكم الانعام ° الزجاج الابل خاصة ° وقيل الازواج الثمانية لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا
تاكلون ° ولكم فيها منافع في اوبارها واصوافها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم تحمل عليها اثقالكم في اسفاركم من بلد الى بلد وعليها وعلى الانعام وعلى الفلك تحملون °
قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا
منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تاكلون ومنها تركبون ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين
او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل
واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ° ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون °
وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر ° فان قلت هلا قيل وفي
الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ° قلت معنى الايعا ومعنى الاستعلا كلاهما مستقيم
لان الفلك وعا لمن يكون فيها حمولة له يستقلها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق
قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته وهي اكثر من ان تحصى فاي ايات الله تنكرون انها ليست من عند الله
فاي جات على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في
الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب فاي اغرب لابهامه **قوله تعالى** افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم

لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون • فينظروا إنما سلكوه من
سبيلهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم عددا وأشد قوة في الأبدان وآثارا في الأرض
يعني مصانعهم وقصورهم • وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما نافية أو مضمنة معنى •
الاستفهام ومحلها النصب ما كانوا موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم
أو كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا يعني الأمم بما عندهم من العلم أي أعجبوا بجهلهم فظنوه علما ولم
يلتفتوا إلى ما أتاهم الرسل من العلم وقيل أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك
علمهم في الآخرة • وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة
ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى • وما أظن الساعة قائمة • ولئن رددت إلى ربي لأجدن
خيرا منها منقلبا • وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب
بما لديهم فرحون • وقيل أراد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان • وكانوا إذا سمعوا بوحي الله
دفعوا وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم • وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت
إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا • وقيل يجوز أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم
من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب
لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم • وقيل يجوز أن يراد فرحوا بما عند الرسل
من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين
مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • وقيل يجوز أن يجعل الفرح للرسل ومعناه
أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم
واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم وقيل
يجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال عز وجل يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات
وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها
واستهزؤوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا عاينوا بأسنا
عذابنا الشديد • ومنه قوله بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين •
أي بالأصنام فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا لأنه إيمان الجاء واضطرار أي فلم يصح ولم يستقم أي ينفعهم
إيمانهم • قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت أما قوله
فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم قوة • وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير
لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء • وقوله فلما رأوا بأسنا تابع
لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا
بأس الله عز وجل سنة الله مصدر بمنزلة وعد الله • وما أشبهه من المصادر المؤكدة أي سن الله سنة
فيهم وهي عذاب الكفار وعدم الانتفاع بالإيمان وقت البأس • وخسر هنالك هنالك مستعار •
للزمان الكافرون المكذبون أي حين أو وقت رؤية البأس • وكذلك قوله وخسر هنالك
المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر أو وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق • والله أعلم •

سورة حم السجدة

ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة • وأربع وخمسون آية •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • وبه نقتفي •
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم
فهم لا يسمعون • حم إن جعلت اسما للسورة كانت في محل الرفع على الابتداء تنزيل خبره وإن جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف أي هذا تنزيل ويجوز أن يكون كتاب مبتدأ من الرحمن
الرحيم صفة تخصص الكتاب بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ الكتاب خبره فصلت آياته ميزت وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك قرآنا عربيا
قيل شغل فصلت بقوله آياته حتى صارت الآيات بمنزلة الفاعل فنصب القرآن بوقوع البيان عليه
وقيل هو نصب على الاختصاص والمدح أن أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت
وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا • وقيل منصوب على إعادة الفعل
أي فصلنا قرآنا عربيا لقوم يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فقيل لقوم متعلق بقوله تنزيل أي تنزيل من الرحمن الرحيم لأجل قوم
يعلمون • وقيل بفصلت أي فصلت آياته لقوم يعلمون • وقيل صفة لقرآن مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا
عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات • بشيرا ونذيرا نعتان للقرآن
أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين فأعرض أكثرهم يعني أهل مكة عن قبوله وأبى عنه
فهم لا يسمعون • لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي • ولقد سمعه ولكنه
لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه وقيل لا ينتفعون به وقيل إذا تلاه النبي لا يسمعون •
قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون • وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في أكنة في أغطية مما تدعونا
إليه من التوحيد والإسلام فلا نفقه ما تقول قال مجاهد كالجعبة للنبل • وفي آذاننا وقر ثقل وصمم
فلا نسمع ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤيسوه من قبولهم لدينه وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن قبول
الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه
ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين فجعل خلافهم ذلك ساترا وحاجزا لا يجتمعون ولا
يتوافقون من أجله ولا يرى بعضهم بعضا فاعمل بما يقتضيه دينك إننا عاملون بما يقتضيه ديننا
مجاهد فاعبد إلهك فإنا عابدون إلهنا قال صاحب الكشاف فإن قلت هل لزيادة من في
قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة • قلت نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن
حجابا حاصل وسط الجهتين • وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة
المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها • **قوله تعالى** قل إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين •
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون • لما حكى الله تعالى عنهم هذه الشبهة أمر الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل إنما أنا بشر مثلكم بيان هذا الجواب
كأنه يقول إني لا أقدر على أن أحملكم على الإيمان جبرا وقهرا فإني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم
إلا بأن الله تعالى أوحى إلي وما أوحى إليكم فأنا أبلغ هذا الوحي إليكم ثم بعد ذلك إن شرفكم الله بالتوفيق
قبلتموه وإن لم يوفقكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي ثم بين أن خلاصة ذلك الوحي ترجع
إلى أمرين العلم والعمل • أما العلم فالأصل والرئيس والأصل فيه معرفة التوحيد وذلك لأن الحق هو
أن الله واحد وهو المراد من قوله إنما إلهكم إله واحد وإذا كان الحق ذلك وجب علينا أن نعترف به

وهو المراد من قوله فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقوله تعالى فاستقيموا
اليه معناه فاستقيموا له وحروف الجر يقام بعضها مقام البعض وقيل معناه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ
الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واعلم ان التكليف له ركنان الاعتقاد والعمل
والاعتقاد الرئيس والراس فيه التوحيد فلما امر بذلك انتقل الى وظيفة العمل والراس والرئيس فيه
الاستغفار فلهذا قال فاستغفروه من ذنوبكم التي سلفت ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة
امره بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ووجه النظم في هذه الاية
ان العقول والشرايع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة بامرين التعظيم لامر الله تعالى
والشفقة على خلق الله تعالى وافضل ابواب التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدا واذا كان هذا التوحيد
اعلا المراتب واشرفها كان ضده وهو الشرك اخس المراتب وارذلها ولما كان افضل انواع المعاملة
مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكوة اخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق
الله تعالى اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى اثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاث
اولها ان يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله فويل للمشركين وثانيها كونه
ممتنعا من الزكوة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكوة
وثالثها كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم
بالاخرة هم كافرون وتمام الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة ان الانسان له ثلاثة
ايام امس واليوم والغد اما معرفة انه كيف كانت الاحوال بالامس في الازل فهو بمعرفة الازلي
الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الاحوال في اليوم الحاضر فهو بالاحسان
الى اهل العالم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيامة
فاذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم
الله عليه بالويل فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ابن عباس
لا يؤتون الزكوة لا يشهدون ان لا اله الا الله وهي زكوة الانفس الحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة
ولا يؤمنون بها ولا يرون ايتاءها واجبا الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة
وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقد كان اهل الردة بعد
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اما الصلاة فنصلي واما الزكوة فلا تغصب اموالنا فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه والله لا افرق بين شيء جمع الله بينه والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله
لقاتلتهم عليه مجاهد والربيع يعني لا يزكون اعمالهم وقال الفراء هو ان قريشا كانت تطعم الحاج
فحرموا ذلك على من امن بمحمد عليه السلام وهم بالاخرة هم كافرون قوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين
فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع من قولك
مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه مقاتل غير منقوص ومنه المنون
لانه ينقص منه الانسان اي قوته مجاهد غير محسوب وقيل غير ممنون عليهم به السدي نزلت
هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه
قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا

ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء
للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم لما امر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه على انه لا يجوز اثبات الشركة بينه تعالى وبين
هذه الاصنام في الالهية والعبودية وذلك بان بين كمال قدرته وحكمته في خلق السموات
والارض في مدة قليلة فمن هذا صفته كيف يجعل هذه الاصنام الخسيسة شركا له في الالهية والعبودية
قل اينكم قرا ابن كثير اينكم بهمزة وما بعدها خفيفة ساكنة بلا مد ابو عمرو ونافع في رواية قالون
على هذا الوجه لكنهما يمدان والباقون بهمزتين بلا مد اي اينكم استفهام بمعنى الانكار وذكر
منهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو ليكفرون بالذي خلق الارض في يومين وثانيهما
اثبات الشركاء والانداد له والكفر المذكور اولا مغاير لاثبات الانداد له ضرورة عطف
احدهما على الاخر قيل الكفر الاول هو انه تعالى لا يقدر على نشر الموتى فلما نازعوا في ثبوت هذه
القدرة فقد كفروا بالله وقيل انهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بعثة الانبياء وذلك
قدح في الصفات المعتبرة في الالهية وهو كفر بالله وقيل انهم كانوا يضيفون اليه الاولاد
وذلك ايضا قدح في الالهية وهو يوجب الكفر فالحاصل انهم كفروا بالله لاجل قولهم الاشياء
واثبتوا الانداد ايضا لله لاجل قولهم بالالهية تلك الاصنام واحتج تعالى على فساد قولهم في الامرين
المذكورين فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه
تعالى هو الذي خلق الارض في يومين وتمم بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات باسرها في
يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشياء العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر
وكيف يعقل انكار قدرته على التكليف وبعثه للانبياء وكيف يعقل جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا
له في العبودية والالهية ذلك اي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في
يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف اثبتم له اندادا من الخشب والحجر ثم انه تعالى لما اخبر
عن كونه خالقا للارض في يومين اخبر انه اتى بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك
فالاول قوله وجعل فيها رواسي من فوقها لانه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين
التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى خلق هذه الجبال الثقال
فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك
وحافظ وما ذاك الحافظ والمدبر الا الله والنوع الثاني مما اخبر الله تعالى في هذه الاية قوله
وبارك فيها والبركة كثرة الخير اي فبارك في الارض بما خلق فيها من الخيرات الكثيرة ومنافعها
السدي انبت شجرها وقدر فيها اقواتها الحسن والسدي يعني ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم مجاهد
وقتادة خلق فيها بحارها وانهارها واشجارها ودوابها في يوم الثلاثاء والاربعاء عكرمة والضحاك
وقدر في كل بلدة من الارض ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد
فالسابري من سابور والطيالسة من الري والحبر اليمانية من اليمن الكلبي الخبز لاهل قطر
والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك اقواتها في اربعة ايام يعني ان هذا مع الاول
اربعة ايام كما تقول تزوجت امس امراة واليوم ثنتين واحدهما التي تزوجتها امس ويقال انبتت
والبسط في خمسة والبصرة في عشرة فالخمسة من جملة العشرة فنجد الله تعالى الاخر على الاول واجمله في

الذكر سوا اي ربعة ايام سوا فذلك لمدة خلق الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام
كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم
الثلاثا ويوم الاربعا • قال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين
سوا نصب على المصدر اي استوت سوا اي استوا للسايلين عن ذلك قتادة والسدي من
سال عنه فهكذا الامر فقوله للسايلين متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت
الارض وما فيها • وقيل للسايلين متعلق بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل السايلين اليه خوا بحهم المحتاجين
اليها من المعايشين • قال صاحب الكشاف وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج
وقال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل في يومين واي فايدة في هذه الفذلكة • قلت
اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت
المخايرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام فكانت في اربعة ايام سوا فايدة ليست
في يومين وهي الدلالة على انها ايام كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد
يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما • ابن
زيد قدر ذلك على قدر مسايلهم لانه لا يكون من مسايلهم شي الا قد علمه قبل ان يكون • وقال
اهل المعاني سوا للسايلين وغير السايلين يعني بين امر خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن لا يسال
ويعطي من ساله ومن لا يساله ثم استوى اي ثم عمد الى السما الى خلق السما وقصد تسويتها والاستوا من
صفة الافعال يدل عليه قوله الى السما من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
عليه شي ومن الاستوا الذي هو ضد الاعوجاج ونحو قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله
تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم تعلق ارادته الموافقة للحكمة فتوجه الى خلق السما بعد خلق الارض وما
فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك وهي دخان قيل كان عرشه على الما فاخرج من الما دخانا فارتفع
فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السما من الدخان المرتفع
فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي جيا بما خلقت فيكما من المنافع واخرجاها واظهرها للخلق •
ابن عباس قال الله تعالى للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض شققي انهارك
واخرجي ثمارك قالتا اتينا طايعين ولم يقل طايعتين لانه ذهب به الى السموات والارض ٥
ومن فيهن تقديره اتينا بما فينا طايعين فلما وصفها بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل •
قال صاحب الكشاف ومعنى امر السما والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما
فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع
وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبني الامر فيه على ان الله تعالى كلم السما والارض
وقال لهما ايتيا شيتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته
في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب والجواب • ونحوه قول القايل
قال الجدار للوتد لم تشقني • قال الوتد اسل من يدقني ٥ لم تتركني وراي الحجر الذي ورايي
فان قلت لم ذكر الارض مع السما وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السما بيومين
قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحو ثم دحاها بعد خلق السما كما قال عز وجل والارض بعد ذلك
دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان ياتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وايتي يا سما مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول كما تقول اتى عمله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان
يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريد وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض

قرارا للسما وكون السما سقفا للارض • وطوعا او كرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من
تاثير قدرته محال كما تقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شيت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين او مكرهتين فقضاهن قيل هن راجع الى السما الى السما على المعنى كما
قال طايعين ونحوه اعجاز نخل خاوية • وقيل هن ضمير مبهم مفسر بسبع سماوات والفرق بين
النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس
والجمعة • وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فقضاهن
سبع سموات في يومين اي اتمهن وفرغ من خلقهن • واوحى في كل سما امرها ما امر به فيها ومن مرة
من خلق الملايكة والنيران وغير ذلك • وقيل امرها شانها وما يصلحها • قتادة والسدي يعني خلق فيها
شمسها وقمرها ونجومها وخلق في كل سما خلقها من الملايكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم
وقيل معناه واوحى الى اهل كل سما من الامر والنهي ما اراد • وزينا السما الدنيا بمصابيح كواكب وحفظا
قيل وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب • وقيل حفظا منصوب على انه مفعول له على المعنى كانه
قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا • وقيل حفظناها حفظا • ذلك تقدير العزيز الغالب غير
المغلوب • العليم بمواقع الامور

قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شا
ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون • فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا
من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة
اخزى وهم لا ينصرون • فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون بما كانوا يكسبون • ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون • اعلم ان الكلام في الوجه انه انما ابتدا
من قوله انما الهكم اله واحد واحتج عليه بقوله قل اينكم لتكفرون • وحاصله ان الاله الموصوف
بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به • وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة كاله ولما تمم
تلك الحجة قال فان اعرضوا فقل انذرتكم • وذلك ان وظيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان ٥
بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينيذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان اعرضوا
فقل انذرتكم • والمعنى فان اعرضوا عن قبول هذه الحجة الباهرة التي ذكرناها واصروا على التقليد ٥
والعناد فقل انذرتكم خوفتكم صاعقة اي يصيبكم صاعقة ونعته عذابا شديد الوقع كانها صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاتهم يعني عادا وثمود الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي قبلهم وبعدهم
واراد بالرسل من بين ايديهم الرسل الذين ارسلوا الى ابايهم من قبلهم ومن خلفهم اي ومن بعد الرسل
الذين ارسلوا الى ابايهم وهو الرسول الذي ارسل اليهم هود وصالح فالكناية في قوله ومن بين ايديهم
راجعة الى عاد وثمود وفي قوله ومن خلفهم راجعة الى الرسل وقيل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من
كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عز وجل عن ٥
الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة • ويقول
استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة • الحسن انذروهم من وقايع الله تعالى فيمن قبلهم
من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى
فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم • وقيل معناه اذ جاتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم ان
لا تعبدوا الا الله • قيل ان مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم

لا نعبد والا الله • وقيل ان هي المفسرة والقول مقدر اي وقالوا لا نعبد والا الله قالوا اي القوم
الذين جاتهم الرسل لو شا ربنا ارسال الرسل لانزل ملايكة فلم يحاشك في امرهم فانا بما ارسلتم به على
زعمكم كافرون جاحدون ومعناه فاذا انتم بشر ولستم بملايكة فانا لا نومن بكم وبما جيتم به وقوله
ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون • روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما
بالشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام
هاشم • انت خير ام عبد المطلب • انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا • وتضلل ابانا • فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رئيسنا • وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة
تختارهن من اي ابنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرا بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل من الرحمن الرحيم •
الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود • فامسك عتبة على فيه
وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال ابو جهل يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا
بنا اليه فانطلقوا اليه فاتاه ابو جهل فقال والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت
الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب
عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد تعلمون اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
فقصصت عليه القصة فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا بسحر قرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت عنه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب • فاما عاد قوم
هود فاستكبروا وتعظموا في الارض على اهلها بغير الحق بما لا يستحقون به التعظيم • وقيل استعلوا في
الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق الولاية وقالوا من اشد منا قوة • وذلك انهم كانوا ذوي اجسام
طوال وخلق عظيم • فانه قد بلغ من قوتهم ان الرجل ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده • وقالوا من اشد
منا قوة لا احد اشد منا قوة اي اغتروا بقوتهم وشوكتهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة اوسع قدرة وكانوا باياتنا يجحدون وهو معطوفة على قوله فاستكبروا • قال صاحب الكشاف
فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في المبنية وهي نقيضة الضعف • واما القدرة فما لاجله يصح
الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله تعالى لا يوصف بالقوة الا على
معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة • وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شي واحد
قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال • والقوة الشدة والصلابة في البنية
وحقيقتها زيادة القدرة فما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال الله اقوى منهم على معنى انه الذات
على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع
الوديعة فارسلنا عليهم على عاد ريحا صرصرا عاصفة تصرصر اي تصوت في هبوبها • وقيل صرصرا
باردة شديدة الصوت والهبوب واصله من الصرير ضوعف كما نهنهت وكفكفت • وقيل ان النهر الذي
سمي صرصرا انما سمي بذلك لصوت الما الجاري فيه • وقيل باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبنا الصر
وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض في ايام نحسات متتابعات شديدات نكدات مشومات عليهم
ليس فيها من الخير شي قرا اهل الكوفة وابن عامر نحسات بكسر الحا والباقون بسكونها نحس نحسا نقيض سعد

سعد او هو نحس ونحس اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر • الضحاك فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين جابر ابن عبد الله اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر
وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد الله بقوم شرا حبس عنهم المطر وارسل عليهم كثرة الرياح لنذيقهم عذاب
الخزي اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب
خزي كما تقول فعل السو تريد الفعل السيي والدليل عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد
المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى الفرق بين قولك هو شاعر وله شعر
شاعر وهم لا ينصرون لا يمنع العذاب عنهم • واما ثمود فهديناهم فبينا سبيل الخير والشر لهم وقيل
فاعلمناهم الهدى من الضلالة وقيل دللناهم على طريق الرشاد والضلالة كقوله تعالى وهديناه
النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الكفر على الايمان • وقيل فاختاروا الضلالة والدخول
فيها على الدخول في الرشد فاخذتهم صاعقة مهلكة العذاب الهون اي الهوان • قيل صاعقة العذاب
داهية العذاب الهون وقارعته والهون وصف به العذاب مبالغة او ابدل له منه • وقيل
هي النار • وقيل هي صيحة كانت من السما • وقيل الموت وقيل العطش بما كانوا يكسبون من شركهم وتكذيبهم
ونجينا الذين امنوا لما ذكر الله الوعيد اردفه بالوعد فقال ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
الاعمال التي اتى بها قوم عاد وثمود **قوله تعالى** ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
حتى اذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
لما بين كيفية عقوبة هولا الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل منهم تمام الاعتبار
في الزجر والتحذير • قرا نافع نحشر بالنون اعدا الله بالنصب اضاف الحشر الى نفسه اي نحشر الله
اعدا الله الكفار من الاولين والاخرين ووجهه انه معطوف على قوله ونجينا فيحسن ان يكون على وفقه
في اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتقين وحشرناهم والباقون باليا على فعل ما لم يسم فاعله ورفع
اعدا الله وهذه القراة موافقة لقوله فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى النار قتادة والسدي
يحبس اولهم على اخرهم اي تستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار وقيل يمنعون
من التفرق حتى اذا ما جاوها ما مزيد للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيهم النار لا محالة ان
يكون وقت ايمانهم به شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم بما كانوا يعملون • السدي
وعبيد الله اراد بالجلود الفروج • وانشد بعض الادبا لعامر ابن جوية ••
• المر يسعى للسلامة والسلامة ما حسبه •
• او سالم من قد تثنى جلده وابيض راسه •
وقال جلدهم كناية عن فرجه وقالوا اي الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي من الحيوان لقوله والله على كل شي من المقدورات والمعنى
ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الذي قدر على انطاق كل حيوان وهو خلقكم اول مرة اي خلقكم وانشاكم
اول مرة ويعيدكم واليه ترجعون • وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم
من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون تستخفون بالحيطان والحجب عند ارتكاب
الفواحش وما كان استتاركم هذا خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم

بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم ولهذا استترتم • عن ابن مسعود قال اني لمستتر باستار الكعبة اذ جاء ثلاثة نفر ثقفي وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتحدثوا الحديث بينهم • فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر اذا رفعنا انه يسمع واذا خفضنا لم يسمع • وقال الآخر ان كان يسمع اذا رفعنا انه يسمع اذا خفضنا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم • وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اهلككم فاصبحتم من الخاسرين • وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزال عليه ان عليه من الله تعالى عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سر مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وذلك رفع على الابتداء ظنكم خبره الذي ظننتم بربكم صفة لظنكم ارداكم خبر بعد خبر • وقيل ظنكم بدل من ذلكم وارداكم هو الخبر • عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي وانا معه حين يذكرني • وقال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل • فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي • فان يصبروا فالنار مثوى لهم فلم ينفعهم الصبر • وقيل فان يصبروا عن التشكي والاستغاثة • وقيل فان يصبروا على المهم كقوله ان امشوا واصبروا على آلهتكم وان يستعتبوا يسترضوا ويطلبوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها • ونحوه قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص • والمعتب الذي قد قبل عتابه واجيب الى ما سأل فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك ٥

قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين • وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون • فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون • ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون • وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين • لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اي وقدرنا لهم يعني لمشركي العرب فقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة • وقيل سلطنا وبعثنا ووكلنا لهم قرناء نظراء من الشياطين • وقيل اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة وما خلفهم من امر الآخرة فدعوهم الى التكذيب به وانكار البعث وقيل ما بين ايديهم ما تقدمهم من اعمالهم وما خلفهم وما هم عازمون عليها وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في امم محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم • وقال الذين كفروا من مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ والغوا فيه بالمكاء والصفير وتخليطه في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ • الضحاك اكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول • السدي صيحوا في وجهه • مقاتل ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام في وجوههم حتى يلتبسوا عليهم قولهم فيسكتوا كانت قريش توصي بذلك بعضهم بعضا لعلكم تغلبونه فيسكت او ينسى

فلنذيقن الذين كفروا قيل يريد بالذين كفروا ابا جهل واللاعبين والآمرين لهم باللغو خاصة وقيل يريد به الذين كفروا عامة لينطوي واحد ذكرهم • وقد ذكر اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته • عن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوأ والتقدير اسوأ جزاء الذين كانوا يعملون • النار عطف بيان للجزاء • وقيل خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد اي موضع المقام ابدا اي النار في نفسها دار الخلد • الزجاج هو كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا يجحدون يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو • وقال الذين كفروا يعني يقولون يوم القيامة ربنا ارنا • قرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر عن عاصم باسكان الراء ههنا خاصة والباقون بكسرها اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس • وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس • وقيل ارنا بالسكون معناه اعطنا اللذين اضلانا • وحكي عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه • واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهاء الايتاء في معنى الاعطاء واصله الاحضار نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما ونطأهما انتقاما منهما واذلالا لهما ليكونا من الاسفلين اسفل منا اي في الدرك الاسفل من النار لانهما سنا المعصية ٥

قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون • نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم • لما بسط الكلام في الوعيد اردفه بهذا الوعد الشريف وقد ذكر ان الكمالات النفسانية يقين وعمل صالح فان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله • وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال اهدنا الصراط المستقيم • واليه الاشارة بقوله ثم استقاموا وليس المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية • قيل المراد من الاستقامة الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة • وقيل المراد بها الاستقامة في الاعمال الصالحة • عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم استقاموا لم يلتفتوا الى اله غيره اي لم يشركوا بالله شيئا • وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب • وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه اخلصوا العمل لله ٥ • وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض • الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته • مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله • قتادة وابن زيد استقاموا على عبادة الله وطاعته • ابن سيرين لم يعوجوا • سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا • مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا • مقاتل بن حيان استقاموا على ان الله ربهم • ربيع اعرضوا عما سوى الله • فضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية • وقيل استقاموا سرا كما استقاموا قولا • وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الآية • امتي ورب الكعبة • وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى • قتادة اذا قاموا من قبورهم • وكيع

والبشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وفي وقت البعث ۰ الا تخافوا بمعنى اي او مخففة
من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير البيان ۰ ابو العالية لا تخافوا على صنيعتكم ولا تحزنوا على
مخلفتكم مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم في دنياكم من اهل وولد
ودين فانا نخلفكم في ذلك كله ۰ السدي لا تخافوا على ما امامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم ۰ عطا ابن ابي رباح
لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم ۰ وقال اهل التحقيق ۰ ثم استقاموا بالوفا على سنن
الجنا فتتنزل عليهم الملايكة بالرضا ان لا تخافوا من العنا ولا تحزنوا على الفنا وابشروا بالبقا الذي
كنتم توعدون من اللقا ان لا تخافوا فلا خوف على اهل الاستقامة ولا تحزنوا فان لكم انواع الكرامة
وابشروا بالجنة التي هي دار السلامة ۰ لا تخافوا فعلى دين الله استقمتم ولا تحزنوا فبحبل الله اعتصمتم ۰
وابشروا بالجنة وان اذنبتم واجرمتم ۰ لا تخافوا فطال ما رهبتم ۰ ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم
وابشروا بالجنة التي بها رغبتم ۰ لا تخافوا فانتم اهل الايمان ۰ ولا تحزنوا فانتم اهل الغفران ۰
وابشروا بالجنة التي هي دار الرضوان ۰ لا تخافوا فانتم اهل الشهادة ۰ ولا تحزنوا فانتم اهل السعادة
وابشروا بالجنة التي هي دار الزيادة ۰ لا تخافوا فانتم اهل النوال ۰ ولا تحزنوا وانتم اهل الوصال
وابشروا بالجنة التي هي دار الجلال ۰ لا تخافوا فقد امنتم الثبور ۰ ولا تحزنوا فقد ان لكم الحبور
وابشروا بالجنة التي هي دار السرور ۰ لا تخافوا فسعيكم مشكور ۰ ولا تحزنوا فذنبكم مغفور ۰
وابشروا بالجنة التي هي دار الثواب والحبور ۰ لا تخافوا فطال ما كنتم من الخايفين ۰ ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين
وابشروا بالجنة التي عجز عنها وصف الواصفين ۰ لا تخافوا فلا خوف على اهل الايمان ۰ ولا تحزنوا فلستم من
اهل الحرمان ۰ وابشروا بالجنة التي دار الامان ۰ لا تخافوا فلستم من اهل الجحيم ۰ ولا تحزنوا
فقد وصلتم الى الرب الرحيم ۰ وابشروا بالجنة التي هي دار النعيم لا تخافوا فقد زالت عنكم المخافة
ولا تحزنوا فقد سلمتم من كل افة ۰ وابشروا بالجنة التي هي دار الضيافة ۰ لا تخافوا العزل
من الولاية ۰ ولا تحزنوا على ما تقدم من الجناية وابشروا بالجنة التي هي دار الهداية
لا تخافوا حلول العذاب ۰ ولا تحزنوا من هول الحساب ۰ وابشروا بالجنة التي هي دار الثواب
لا تخافوا فانتم سالمون عن العقاب ۰ ولا تحزنوا وانتم واصلون الى الثواب ۰ وابشروا بالجنة فانها نعم المآب
لا تخافوا فانتم اهل الوفا ۰ ولا تحزنوا فلستم من الجفا ۰ وابشروا بالجنة فانها دار الصفا
لا تخافوا فقد سلمتم من العطب ۰ ولا تحزنوا فقد نجوتم من الوصب ۰ وابشروا بالجنة فانها دار الطرب
فذلك قوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ۰ نحن اولياؤكم تقول لهم الملايكة
الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم انصاركم واحباركم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ۰ السدي
نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة ۰ مجاهد نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا
وفي الاخرة قال قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لن نفارقكم حتى
ندخلكم الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون تريدون وتسالون وتتمنون ۰ نزلا اي
جعل ذلك نزلا رزقا من غفور رحيم **قوله تعالى** ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ۰ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم ۰ ولا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ۰ واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ۰ لما قال المشركون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ومرادهم انا لا نقبل قولك ولا نلتفت الى دليلك ثم ذكروا طريقة اخرى في السفاهة وقالوا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ۰ وذكر الله الاجوبة الثانية الكافية في دفع هذه الشبهات

واذا

واذا له هذه الضلالات ۰ بين ان القوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك المواظبة
على التبليغ والدعوة الى الدين الحق فانه اكمل الطاعات ۰ وراس العبادات فعبر عن هذا المعنى فقال
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ۰ قيل ان السعادات تامة وفوق التام
فالسعادة التامة ان يكتسب من الصفات الفاضلة ما لاجلها يصير كاملا في نفسه فاذا فرغ منها اشتغل
بعدها بتكميل الناقص وهو فوق التام فقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى الاول
وقوله ومن احسن قولا اشارة الى الثاني ۰ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ابن سيرين والسدي
وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين الله وجعل الاسلام
نحلة له ۰ مقاتل هم جميع الايمة والدعاة الى الله ۰ عكرمة هو المؤذن ۰ ابو امامة الباهلي وعمل صالحا يعني
صلى ركعتين بين الاذان والاقامة ۰ عن عايشة رضي الله عنها اني لاري هذه الاية نزلت في المؤذنين
والاية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون موحدا معتقدا الدين الاسلام عاملا بالخير داعيا
اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل السنة والجماعة الدعاة الى دين الله ۰ وقال انني من
المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده ۰ كما تقول هذا
قول ابي حنيفة تريد مذهبه ۰ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا هاهنا صلة معناه ولا تستوي الحسنة
والسيئة معناه ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك
حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدايك ۰ ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة
فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك ۰ مثل ان يذمك فتمدحه
او يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ۰ قريب صديق
فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ۰ مقاتل نزلت في ابي سفيان
ابن حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا ۰ نظيره قوله
تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ۰ ابن عباس امر الله عز وجل في هذه الاية
بالصبر عند الغضب ۰ والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان
وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم ۰ وما يلقاها يعني هذه الخصلة والفعلة التي هي مقابلة الاساءة
بالاحسان الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم في الخير والثواب ۰ وقيل ذو وجد
وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن لانه على تقدير كان قايل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتي هي
احسن ۰ قال صاحب الكشاف فان قلت كان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي
حسنة ۰ قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع
بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها ۰ الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة ۰ واما ينزغنك من الشيطان
نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس ۰ والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وقيل ايد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ اعتصم بالله من شره وامض
على شانك ولا تطعه ۰ انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنزغ الشيطان ۰ وقيل واما ينزغنك
من الشيطان نزغ في امالي ايامهم ومنول استيصالي شانهم فاستعذ بالله **قوله تعالى**
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ۰ لما بين في
الاية المتقدمة ان احسن الاقوال والاعمال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلايل الدالة على التوحيد

والقدرة والحكمة تنبيها على ان الدعوة الى الله عبارة عن تنوير الدلايل الدالة على معرفة الذات
والصفات فهذه تنبيهات شريفة مستفادة عن تناسق هذه الاية وكان العلم بهذه اللطايف احسن علوم
القران فقد عرفت ان الدلايل الدالة على هذه المطالب العاليه العالم بجميع ما فيه من الاجرام
والابعاض مبداها هنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس والقمر وانما قدم ذكر الليل على
ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم مقدم على الوجود فهذا كالتنبيه على
صورة هذه الاشياء والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كثرت منافعهما واسجدوا لله
الذي خلقهن لان عبادة الخالق احق واولى من عبادة المخلوق وقيل هن في خلقهن عايد الى
الايات • وقيل عايد الى الليل والنهار والشمس والقمر وانما انث اجرا على طريق جمع التكسير ولم يجر
على طريق التغليب للمذكر على المونث لانه فيما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون فاعبدوه وحده فان من
عبد مع الله غيره لا يكون عابدا له فان استكبروا عن عبادة الله ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا
الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد
المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد • وقوله عبادة عن الزلفى والمكانة
والكرامة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ان يسبحون ويحمدون ويكبرون وهي المولدابها
وكلها تسبيح وقيل يصلون وهم لا يسامون لا يملون قيل التسبيح منهم كالتنفس من الناس موضع
السجود اخر هذه الاية عند الجمهور • وعن مسعود والحسن ان موضعه ان كنتم اياه تعبدون

قوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير • لما ذكر الايات الاربع الفلكية
وهي الليل والنهار والشمس والقمر اتبعها بذكر اية ارضية • فقال ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة دارسة لا نبات فيها الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت
قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز
والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرف النبات كانها بمنزلة المختال في زيه • وهي قبل ذلك
كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثه ان الذي احياها اي الارض بعد موتها بانزال المطر •
عليها لمحيي الموتى عند البعث والنشور انه على كل شي من الاحيا والاماتة والابدا والاعادة
قدير

قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار
خير ام من ياتي امنا يوم القيامة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير • ان الذين كفروا بالذكر
لما جاهم وانه لكتاب عزيز • لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ••
لما بين ان الدعوة الى دين الله اعظم المناصب • واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله انما تحصل
بذكر دلايل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات
ويجادل ذكر الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في ادلتنا يقال
الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل القران عن جهة
الصحة والاستقامة • ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه • مجاهد يلحدون
في اياتنا بالمكا والتصدية واللغو واللغط قتادة يكذبون في اياتنا • السدي يعاندون
ويشاقون • ابن زيد يشركون ويكذبون • مقاتل نزلت في ابي جهل لا يخفون علينا فنلقيهم في النار
وعيد على التحريف والالحاد • افمن يلقى في النار ابو جهل • خير ام من ياتي امنا يوم القيامة عثمان بن عفان
رضي الله عنه • وقيل عمار بن ياسر رضي الله عنه اعملوا ما شيتم امر وعيد وتهديد انه بما تعملون بصير

عند ربك

فيجازيكم

فيجازيكم عليه • ان الذين كفروا بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا بالذكر والقران
لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله لما جاهم • وانه اي القران لكتاب عزيز كريم على الله
منيع محمي بحماية الله تعالى لا ياتيه الباطل مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة
من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به • السدي الباطل الشيطان من بين يديه ولا من خلفه فلا
يستطيع ان يغير او يزيد او ينقص • سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه
وقيل لا ياتيه ما يبطله ويكذبه من الكتب المتقدمة بل هو موافق مصدق لها ولا يجي بعده كتاب
يبطله وينسخه • وقيل من بين يديه لفظه ومن خلفه تاويله تنزيل من حكيم حميد • والله اعلم •

قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب اليم • ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي قل هو للذين امنوا
هدى وشفا • والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اوليك ينادون من مكان بعيد •
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك
منه مريب • من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وما ربك بظلام للعبيد • لما هدد
الملحدين في ايات الله رجع الى امر رسوله بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب
ما حكاه عنهم في اول السورة انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله تعالى فاعمل اننا عاملون
فقال ما يقال لك • يعني ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة بعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ان ربك لذو مغفرة لمن تاب
وذو عقاب لمن اصر • وقيل ان ربك لذو مغفرة للرسل وذو عقاب لاعدايهم • ويحتمل ان يراد
ما يقال لك الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب
اليم • فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته • ويخافه اهل معصيته والمقصود تخويف العصاة وتسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ظهر من الكلام في تفسير هذه السورة ان المقصود هو ذكر الاجوبة
عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل
اننا عاملون فتارة ينبه على فساد هذه الطريقة وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن يومن بهذا
القران ولمن يعرض عنه واستمر الكلام الى هذا الموضع على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم
انه تعالى ذكر جوابا اخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه • فقال ولو جعلناه
قرانا اعجميا كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا
الاعتراض والتعنت • وقالوا لولا فصلت اياته بينت اياته بلساننا حتى نفقهها فانا قوم عرب
ما لنا وللعجمية اعجمي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقران اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه
عربي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان • قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهو امة العرب • قلت هو على ما يجب
ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب اليه
عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد
او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق اليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضا اخر • الا تراك تقول
وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير • ولو قلت واللابسة قصيرة
جيت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في مرض وراهما
قل يا محمد هو اي القران هدى ارشاد الى الحق وشفا لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يومنون

قيل هو في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك • قل هو للذين آمنوا هدى وشفا
وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر فيكون عطفا على عاملين والأخفش يجيزه • وقيل والذين لا
يؤمنون مرفوع على أنه مبتدأ والتقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ
وفي آذانهم منه وقر وهو أي القرآن عليهم عمى لا يبصرون به مراشدهم وقيل عمى القلب أولئك ينادون
أي الذين لا يؤمنون ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم في
ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء وقيل أولئك ينادون
خبر لقوله إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم • وسئل عمرو بن عبيد إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
أين خبرها فقال عمرو معناه من التفسير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وإنه لكتاب
عزيز من مكان بعيد مثل لقلة استماعهم وانتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون إلى الإيمان
والقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة • ولقد آتينا موسى الكتاب هذا أيضا متعلق بما قبله
كأنه قيل إنا لما آتينا موسى الكتاب اختلفوا فيه فقبله بعضهم ورده آخرون فكذلك آتيناك هذا
الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا
إليه فاختلف فيه فقال بعضهم حق وقال بعضهم هو باطل ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك في
تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهي العدة بيوم القيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم
لقضي بينهم في الدنيا ولفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم وإنهم أي الذين لا يؤمنون لفي شك منه مريب
موقع لهم • وقيل الكلام على قوله فاختلف فيه أي اختلفت اليهود في كتابهم كما اختلف قومك في القرآن
ثم رجع إلى القول في العرب فقال ولولا كلمة سبقت من ربك الآية • من عمل صالحا فلنفسه
فنفسه نفع • ومن أساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فلا يعذب غير المسيء قيل ذكر
بلفظ المبالغة لمكان العبيد فإنه جمع وقيل كأنه جواب قائل إنه ظلام • وقيل من ظلم وعلم أنه يظلم فهو
ظلام • **قوله تعالى** إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من أكمامها وما تحمل من
أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد • وضل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط
لما هدد الكفار في الآية المتقدمة بقوله ومن أساء فعليها ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم
القيامة فكأن سائلا قال ومتى يكون يوم القيامة فقال إليه يرد علم الساعة أي لا سبيل للخلق إلى
معرفة ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله إليه يرد علم الساعة وهذه الصفة تفيد الحصر أي لا يعلم وقت الساعة
بعينه إلا الله تعالى وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في
أوقاتها المعينة ليس إلا لله سبحانه ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين أحدهما قوله وما تخرج
من ثمرة من أكمامها • والثاني قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه • قيل إن المشركين قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فخبرنا عن الساعة متى قيامها وليس كنت ما تعلم فإنك لست بنبي
فأنزل الله عز وجل هذه الآية وما تخرج من ثمرة صلة • قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات بالجمع
والباقون ثمرة على الواحد من أكمامها أوعيتها واحدها كمة وهي كل ظرف لمال وغيره ولذلك سمي قشر الكفرات
التي تنشق عن الثمرة كمة • ابن عباس يعني الكفرى قبل أن تنشق فإذا انشقت فليست بأكمام وما تحمل من أنثى
ولا تضع إلا بعلمه يقول إليه يرد علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج أي وما يحدث شيء من خروج
ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام
والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك • والباء في بعلمه للحال ويوم يناديهم لما ذكر القيامة

أردفه بشيء من أحوال القيامة فقال ويوم يناديهم أي ينادي الله المشركين أين شركائي الذين
تزعمون أنها آلهة قالوا يعني المشركين • وقيل الأصنام • وقيل يحتمل أن يكون القول راجعا إلى العابدين
والمعبودين أيضا آذناك أعلمناك • وقيل أسمعناك ما منا من شهيد أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا
وسمعنا نشهد بأنهم شركاؤك وما منا إلا من هو موحد لك • وقيل ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا
عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد
بما أضافوا إلينا من الشرك ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا
أيقنوا ما لهم من محيص مهرب • **قال** صاحب الكشاف فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كان
منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا • قلت يجوز أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن
على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن
أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علموا من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء الإيذان
ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت لا يسأم الإنسان
أي لا يمل الإنسان يعني الكافر من دعاء الخير ومسألته إياه ربه أي من طلب السعة في المال والنعمة
وإن مسه الشر فيؤوس من روح الله قنوط من رحمته • **قوله تعالى** ولئن أذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة • ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ • وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض
ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض • قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل
ممن هو في شقاق بعيد • لما بين من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بإثبات
الشركاء والأضداد لله في الدين تبرؤوا عن تلك الشركاء في الآخرة بين أن الإنسان في جميع الأوقات
متبدل الأحوال متغير النهج فإن أحس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وإن أحس ببلاء ومحنة ذل ثم بين أن الذي
صار آيسا قانطا لو عاودته النعمة يأتي بالأقاويل الفاسدة والمذاهب الباطلة ولئن أذقناه رحمة
منا عافية ونعمة من بعد ضراء شدة وبلاء مسته أصابته ليقولن هذا لي أي وإذا فرجنا عنه بصحة بعد
مرض أو سعة بعد ضيق ليقولن هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل
وأعمال بر • وقيل هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وما أظن الساعة
قائمة أي وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم أن لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
قايسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وعن بعضهم الكافر في أمنيتين
أما في الدنيا فيقول لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى • وأما في الآخرة فيقول يا ليتني كنت ترابا
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن فلنخبرن الذين كفروا بما عملوا بحقيقة ما عملوا من الأعمال
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا
غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك • وإذا أنعمنا على الإنسان
هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط
فنسي المنعم وأعرض عن شكره ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم • وإن مسه الشر الضر
والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه
وهو من صفات الأجرام ويستعار الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب ونأى بجانبه في
معناه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكر في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان

الشيء وجهته يترل منزلة الشيء بنفسه ومنه قوله نفيت عنه مقام الذيب اي ونفيت عنه الذيب
ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الي حضرته
والي جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته وكانه قال ونأي بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه
وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثني عطفه وتولي بركنه قل يا محمد ان كان القران من عند الله تعالي ثم كفرتم به
يعني ان ما انتم عليه من انكار القران وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها علي اليقين
وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من
عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فلا كما ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم
الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع
منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتي يتبين
لهم انه الحق اولم يكف بربك انه علي كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط
لما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة واجاب عن شبهات المشركين وتموهات
الجاحدين قال سنريهم اياتنا في الافاق يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض
السدي في الافاق يعني ما يفتح لمحمد صلي الله عليه وسلم من الافاق وفي انفسهم مكة قتادة في الافاق
يعني وقايع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر عطا في الافاق يعني اقطار الارض والشمس من الشمس
والقمر والنجوم والنبات والاشجار والانهار والبحار والامطار وفي انفسهم من لطيف الصنعة
وبديع الحكمة وسبيل الغايط والبول حتي ان الرجل لياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج ما ياكل ويشرب
من مكانين قال صاحب الكشاف يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلي الله عليه وسلم من الخلفا
من بعده ونصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا
من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفا الارض قبلهم ومن الاظهار علي الجبابرة والاكاسرة
وتغليب قليلهم علي كثيرهم وتسليط ضعفاهم علي اقويايهم واجرايه علي ايديهم امورا خارجة من المعهود
خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار الارض المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقرا
يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله واثامهم علي عجايب لا تري وقعة من وقايعهم
الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوي معها اليقين ويزداد بها الايمان حتي يتبين لهم ان دين
الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة
الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق
ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل قيل ان الحق يعني ما يريهم ويفعل من ذلك هو الحق وقيل انه يعني الاسلام
وقيل محمد عليه السلام وقيل القران اولم يكف بربك في موضع الرفع علي انه فاعل وانه علي كل شيء شهيد
مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا علي انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك
لما قوي هذه القوة ولما نصر حامله هذه النصرة وقيل اولم يكف الانسان من الزاجر والرادع من المعاصي
كون الله شهيدا عليه وقيل اولم يكف بربك شهيدا لا يخلف ما وعد الا انهم في مرية شك من
لقاء ربهم البعث والحساب وقيل المخاطبة والمحاسبة الا انه تعالي بكل شيء محيط
عالم بجملها وتفاصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها سبحانه وتعالي

وهي ثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا وثمان ماية وست وستون كلمة وثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك والي الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم الكلام في حم قد سبق عسق قيل انه قسم اقسم الله تعالي به وهو من اسمايه وقيل انها
حروف من اسمايه ثم فيها اقوال عكرمة ان العين علم الله والسين سناؤه والقاف قدرته ابو الجوزا
العين فيها عذاب والسين فيها مسخ والقاف فيها قذف عطا العين من عدو مقهور والسين
استيصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الارض سعيد بن جبير العين
من عالم والسين من قدوس والقاف من قاهر السدي العين من العزيز والسين من السلام
والقاف من القادر قتادة انها اسم من اسما القران وفصل حم من عسق خلاف كهيعص قيل لتقدم
حم قبله واستقلال هذه بنفسها ولهذا عدي اثنين ابن عيسي انما فصلت هذه من سايرها بذكر
عسق لان جميعها ذكر الكتاب بعد علي التصريح الا هذه فانه دل عليه دلالة التضمين بذكر الوحي الذي
يرجع الي الكتاب كذلك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والي الرسل من قبلك
الله يعني ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحي الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك
الي رسله علي معني ان الله تعالي كرر هذه المعاني في القران وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ
واللطف العظيم لعباده من الاولين والاخرين ولم يوحي اليك ولكن علي لفظ المضارع ليدل
علي ان ايحا مثله عادته قرا ابن كثير بفتح الحا علي البنا للمفعول ورافع الله علي هذه القراة ما دل عليه
يوحي كان قايلا قال من الموحي فقيل الله كقراة من قرا يسبح له بفتح البا والباقون بكسرها العزيز الحكيم
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم من
فوقهن لان اعظم الايات وادلها علي الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف
الملايكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمي فلذلك
قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدي الانفطار والعوقانية وقيل ان كلمة الكفر جات من الذين
تحت السموات وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جات الكلمة ولكنه بولغ في ذلك
فجعلت موثرة من جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره
في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق روسهم الحميم فجعل الحميم موثرا في اجزايهم الباطنة وقيل من فوقهن من
فوق الارض ويستغفرون لمن في الارض يدل علي جنس اهل الارض وهذه الجنسية قايمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز
ان يراد به هذا وهذا او قد دل الدليل علي ان الملايكة لا تستغفر الا لاوليا الله وهم المومنون فما اراد الله
الا اياهم الا تري الي قوله في سورة المومن ويستغفرون للذين امنوا وحكايته عنهم قال صاحب الكشاف
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين
لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران
في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الي ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك
لذو مغفرة للناس علي ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله
تعالي تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما علي احدهما فكانه قيل تكاد
السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريايه والملايكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون
حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته علي عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في
الارض خوفا عليهم من سطواته واما علي الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك علي تلك الكلمة الشنعا

يصهر به ما في بطونهم

والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي تضيفها اليه الجاهلون به حامدون
له على ما اولاهم من الطاعة التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل
الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرف في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق ۝
وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم الا ان الله هو الغفور الرحيم ۝ قال الحكماء هيب وعظم في الابتداء
ثم بشر والطف في الانتهاء **قوله تعالى** والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما
انت عليهم بوكيل ۝ والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم يحفظ اعمالهم
ويحصي عليهم افعالهم ليجازيهم بها ۝ وقيل حفيظ رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها
ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده ۝ وما انت عليهم يا محمد بوكيل ولا مفوض اليك امرهم ان عليك الا البلاغ
قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم
الجمع لا ريب فيه ۝ فريق في الجنة وفريق في السعير ۝ وكذلك اي ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة
الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت عليهم بوكيل ولكن نذير لهم لان هذا المعنى ۝
كرره الله عز وجل في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول
به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار
وقيل ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا
بلسانك لتنذر ام القرى مكة اي اهلها ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يقال انذرته كذا
وانذرته بكذا وقد عدي الاول اي لتنذر الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى
المفعول الثاني ويوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع
بين الارواح والاجساد ۝ وقيل يجمع بين كل عامل وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق منهم في الجنة
فضلا وهم المؤمنون وفريق في السعير عدلا وهم الكافرون ۝ عن عبد الله بن عمرو بن العاص وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على ابيه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابض
على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى
هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في
الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة
ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم
قبل ان يستقروا نطفا في الارحام وقبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب اذ هم في الطينة منجدلون فليس
بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة ۝ فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا
قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار
يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى ۝ ۝
قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير ۝ المراد تقرير قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله اي لا يقدر على حملهم على الايمان
ولو شاء الله ذلك لفعله لانه اقدر منك ولكنه جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا ولكن يدخل من يشاء
في رحمته يدل على انه تعالى هو الذي ادخلهم في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ۝ يعني انه تعالى ما
ادخلهم في رحمته **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على
كل شيء قدير ۝ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب ۝ ام اتخذوا
معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله

فالله جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل سوى الله ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو اي ومن
شأن هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ۝ وما اختلفتم فيه من شيء من امور الدين والدنيا فحكمه
الى الله فعله عند الله وقيل كانوا اعلمه الى كتاب الله وسنة رسوله لقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
وقيل فحكمه الى الله ۝ وقد بين ذلك في القرآن اما ظاهرا منصوصا واما مضمنا فيه تضمينا وتقريب المآخذ
او تضمينا وتقريب المآخذ ۝ قال مقاتل اهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن بعضهم به فاخبر ان حكمهم الى الله يحكم
يوم القيامة للمحق على المبطل فيصير المحق الى النعيم والمبطل الى الجحيم ۝ وقيل يحكم في الدين بالظهور للمؤمنين
عليهم وقتلهم واسرهم ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين ۝ واليه انيب ارجع في كفاية
شرهم ۝ وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره ۝ وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه
الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي ۝ قال صاحب الكشاف فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين
في احكام الشريعة ۝ قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول وهو ممنوع **قوله تعالى**
فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ۝ له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ۝ فاطر
قيل من جملة اخبار ذلكم ۝ وقيل خبر مبتدأ محذوف السموات والارض جعل لكم خلق لكم من انفسكم
من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم
يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات فيه اي في الرحم وقيل
في البطن ۝ وقيل في الزوج ۝ وقيل في هذا الوجه من الخلقة ۝ وقيل في هذا التدبير وهو ان جعل للناس
والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين
والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وانما قال يذرؤكم فيه اي في هذا التدبير
ولم يقل يذرؤكم به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث كما قال ولكم في القصاص حياة ليس
كمثله شيء ۝ قيل المثل صلة زائدة معناه ليس كهو شيء فادخل المثل توكيدا كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به ۝ قال صاحب الكشاف قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته
قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص
اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه
قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه ۝ يريدون ايفاعه وبلوغه ۝ وفي حديث رقيقة بنت صيفي
في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب
الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كمثله شيء وبين قوله ليس كالله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما
عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان
فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا
آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة
التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من **قال** ۝ وصاليات ككما يؤثفين ۝ ومن **قال**
فاصبحت مثل كعصف مأكول ۝ وقيل الكاف صلة زائدة معناه ليس مثله شيء ۝ واعلم ان علماء الاصول
اختلفوا ان المجاز على تقدير وقوعه في اللغة هل هو واقع في القرآن ۝ فنفاه الظاهرية واثبته الباقون

وهو المختار من نحو المختار • قوله تعالى ليس كمثله شي فانه مجاز بالزيادة لان كمثله موضوع لمثل مثله فاطلق
واريد به مثله فيكون مجازا بالزيادة فانه اريد مجموع المضاف مع المضاف اليه ومنعت الظاهرية التجوز
فيه فان قوله تعالى ليس كمثله شي فهو حقيقة في نفي التشبيه ومعناه ليس كذاته شي فان المثل هو العين
ومثله قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به اي بنفسه • ويقال مثلك لا يقول هذا اي نفسك واجيب
عنه بان قولهم ليس كمثله شي نفي للتشبيه حقيقة ليس بمستقيم لانه لو كان نفيا للتشبيه حقيقة لتناقض واللازم
باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة انه حينئذ يكون التقدير ليس مثل مثله شي فيلزم التناقض ضرورة
انه مثل مثله • والمثل في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به زايد ليس هو العين لانه المشارك
في الصفات حقيقة فلا يكون العين فان قيل قوله تعالى ليس كمثله شي سلب كلي فلم يقتض ثبوت الموضوع
فيجوز ان ينفي مثل المثل لنقيض نفي الموضوع فيمكن اثبات مثل المثل فيكون مناقضا لقولنا ليس مثل مثله شي
والنفي هكذا اي نفي مثل المثل لعدم المثل للمبالغة مجاز وانتم تنفونه والجواب ان قوله تعالى ليس كمثله شي
محمول على المعنى ويلزم منه نفي المثل مطلقا بطريق برهاني وهو الاستدلال بنفي اللازم على نفي الملزوم
فان مثل المثل لازم للمثل فيلزم من نفي مثل المثل نفي المثل لان نفي اللازم يلزمه نفي الملزوم • وقوله
تعالى ليس كمثله شي سلب كلي والموضوع فيه شي لانه اسم ليس شي من الا وهو نكرة في سياق النفي فيكون
للعموم • وقوله كمثله خبر ليس معناه مثل مثله فان الكاف بمعنى المثل فيكون التقدير ليس شي من الاشيا
مثل مثله ومثل المثل من قبيل الاوصاف فيكون على تقدير ثبوته يستدعي ذاتا يوصف به ٥
والمحمول هو الوصف اذا عرف فنقول يلزم من قوله تعالى ليس كمثله شي نفي مثله مطلقا اي نفي مثله
عينا وذهنا لانه لو كان له مثل ذهنا او عينا يكون هو مثل مثله اذا عرفت ان مثل المثل لازم للمثل
لكن ليس هو مثل مثله لقوله تعالى ليس كمثله شي فانه يقتضي نفي مثل مثله عن كل شي فيقتضي نفي مثل مثله
عنه ايضا فظهر من هذا انه اذا حمل هذا الكلام على المفهوم الحقيقي يلزم نفي المثل على ابلغ الوجوه لا يقال
لو حمل هذا الكلام على المفهوم الحقيقي لم يحصل المقصود وهو بيان تفرده في ذاته ونفي المثل عنه لان
نفي مثل المثل لا يوجب نفي المثل بل لو كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم المحال لانه يلزم نفيه تعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا الاية • لانه تعالى مثل لمثله لانا نقول نفي مثل المثل يستلزم نفي المثل لان مثل المثل
لازم للمثل ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم • قوله بل لو كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم المحال لانه يلزم
نفيه تعالى عما يقول الظالمون • قلنا اذا كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم نفي هذا الوصف اعني وصف
مثل المثل من الله تعالى لا نفيه تعالى ولا محذور في نفي هذا الوصف عنه فان نفي هذا الوصف اما بنفي الموصوف
او بنفي المثل ونفي الموصوف ممتنع لذاته فيكون بنفي المثل بل محال ان يتصف بهذا الوصف فان اتصافه
بهذا الوصف يستدعي ان يتصور له مثل ولا يتصور له مثل فان المثل هو المشارك في الحقيقة ويمتنع
مشاركة شي له في الحقيقة فيمتنع ان يكون مثلا لمثله • وما قيل ان مثل المثل لا يتوقف على ثبوت
المثل في الخارج بل على ثبوت مثله في الذهن وثبوت مثله في الذهن غير محال كلام ساقط فان حقيقته
تعالى يمتنع ان تقع فيه اثنينية وكثرة فان الفرد الاحد الحقيقي الذي لا مشاركة لشي معه في الحقيقة فلا يتصور
له مثل وهو السميع البصير فقوله ليس كمثله شي نفي التشبيه وقوله وهو السميع نفي للتعطيل واثبات
لصفات الكمال والتعريف فيهما يفيد ان هاتين الصفتين على سبيل الكمال ليس الا لله فهذا هو المراد
من هذا الحصر له مقاليد السموات والارض • والمراد من الاية المتقدمة انه تعالى فاطر السموات
والارض والاصنام ليست كذلك وايضا فهو خالق انفسنا وازواجنا وخالق اولادنا منا ومن
ازواجنا والاصنام ليست كذلك وايضا له مقاليد السموات والارض والاصنام ليست كذلك

يريد مفاتيح الرزق من السموات والارض فمقاليد السموات الامطار • ومقاليد الارض النبات
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر لان مفاتيح الارزاق انه بكل شي من البسط والتقدير عليم **قوله**
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي
اليه من ينيب • وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى
لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ٥ لما عظم الله وحيه الى محمد صلى
الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم • ذكر في هذه الاية تفصيل
ذلك اليوم فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم يا محمد من الدين ما وصى به نوحا
وابراهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود من لفظ الاية وانما خص هولا الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر
الانبيا واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبيا
ابراهيم وموسى وعيسى ثم فسر المشروع الذي اشترك هولا الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه
وبيوم الجزا وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد التكاليف والاحكام الفرعية لانها تختلف متفاوتة
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • ومحل ان اقيموا الدين اما نصب بدل من مفعول
شرع والمعطوفين عليه • واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين
ونحو قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة ولا تتفرقوا فيه قيل معناه لا تقولوا ابا لالهة الكثيرة كما
قال يوسف عليه السلام اارباب متفرقون خير ام الله الواحد • وقال تعالى وما ارسلنا من
رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • واحتج بعض العلما بقوله شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول الامر مبعوثا بشريعة نوح • واجيب عنه
بانه عطف عليه ساير الانبيا وذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها كبر على المشركين
عظم عليهم وشق ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله • والتوحيد • ورفض الاوثان • الله يجتبي اليه يجتلب
اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشا اجتباءه ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة • ابن عباس اهل الكتاب دليله ونظيره في سورة المنفكين الا
من بعد ما جاءهم العلم اي من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة
الانبيا وقيل من نعت محمد وصفاته بغيا بينهم انما فعلوا ذلك للبغي وطلب الدنيا سه محملتهم الحمية
النفسانية الاهبية الى ان ذهب كل طايفة الى مذهب ودعا الناس اليه وقبح ما سواه طلبا
للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف • ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب
الى اجل مسمى وهو يوم القيامة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من
بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدهم من بعد الامم الخالية
مجاهد معناه من قبلهم اي من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى لفي شك من كتابهم مريب
لا يومنون به حق الايمان • وقيل كان الناس امة واحدة مومنين بعد ان اهلك الله اهل الارض
اجمعين بالطوفان فلما مات الابا اختلف الابنا فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم • وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركين اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب والانجيل

الهوى ميلان النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع

قوله تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير • والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد • الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد • الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز فلذلك فادع اي لاجل ذكر من التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتب صح ان الله انزله اي الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض ونظيره **قوله** ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وامرت لاعدل بينكم في الحكومة اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد لحجة بيننا لان المتحاججين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا في المعاد لفصل القضاء بيننا واليه المصير فينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام في المقاولة لا المقاتلة ومعناه لا حجة بيننا وبينكم في مواقف المقاولة بل السيف بيننا وبينكم والذين يحاجون يخاصمون في دين الله ونبيه • من بعد ما استجيب اي استجاب له الناس واسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته • وقيام حجته ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا • حجتهم داحضة باطلة زائلة عند ربهم وعليهم غضب بكفرهم ولهم عذاب شديد في النار • قتادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق • وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام • **قوله تعالى** الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والميزان اي العدل • وقيل الاحكام • وقيل هو عين الميزان في زمن نوح عليه السلام ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة بالحق متلبسا مقترنا به بعيدا من الباطل • وقيل بالحق اي على وفق الحكمة • وقيل بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك • وقيل معنى انزال الميزان الهامه الخلق للعمل به وامره بالعدل والانصاف كقوله انزلنا عليكم لباسا • علقمة الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بالكتاب • وما يدريك لعل الساعة قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي ومجازها الوقت • الكسائي اتيانها قريب • وقيل في تاويل البعث ووجه توقف ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى • ويطفف لمن طفف • يستعجل بها بالساعة الذين لا يؤمنون بها استهزاء • وقيل طمعا في ان يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها وقتا معينا • ثم يمضي الوقت فلا يقع فيصير حجة لهم عليه • والذين امنوا مشفقون خائفون منها ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة • الا ان الذين يمارون يخاصمون في الساعة في قيام الساعة لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها • وقيل يشكون في وقوعها • وقيل يدخلهم المرية فيخفونها المماراة الملاجة • لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه • الله لطيف بعباده برهم بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم • وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لم يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته • ابن عباس حفي بهم • عكرمة بار بهم • السدي

رفيق بهم • مقاتل لطيف بالبر والفاجر منهم حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم • القرظي لطيف بهم في العرض والمحاسبة • الصادق في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات • والثاني لم يدفعه اليك بمرة واحدة • الحسين ابن الفضل في القران يعني حيث هو الذي لطف باوليائه حتى عرفوه ولو لطف باعدائه لما جحدوه • محمد بن علي الكتاني اللطيف بمن لجا اليه من عباده اذا ايس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه • وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب • وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل • وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير • وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه • وقيل هو الذي لا يخاف الاعداء ولا يرجي الا فضله • وقيل هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة دون الطاقة • وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل الذي لا يرد سائله ولا يؤيس امله • وقيل هو الذي يعفو عن يهفو • وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه • وقيل هو الذي يعين على الخدمة ثم يكثر المدحة • وقيل هو الذي اوقد في اسرار عارفيه من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا وانزل عليهم من سحائب رحمته ماء ثجاجا يرزق من يشاء كما يشاء موسعا ومقترا قليلا وكثيرا حلالا وحراما في خفض ودعة • في كد وعناء ومن شاء في بلده ومن شاء في الغربة • ومن شاء بحساب • ومن شاء بغير حساب • قال صاحب الكشاف فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من من الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فينظر لبعض العباد صنف من البر لم ينظر مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب •

قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير • ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور • لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم بين انه لا بد لهم من ان يسعوا في طلب الخيرات والاحتراز عن القبائح فقال من كان يريد حرث الاخرة يعني يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحد عشرا الى ما شاء الله سمي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز • قتادة يريد من عمل لاخرته نزد له في حرثه ومن اثر دنياه على اخرته لم يجعل له نصيب في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا شيء الا رزقا قد فرغ منه وقسم له ولم يذكر في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في الماب • قال الامام ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انه لا يصح • والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتى الا بالقاء البذر الصحيح في الارض والبذر جميع الخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله تعالى ام لهم شركاء لما بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة

هر

لحات

والشقاوة فقال ام لهم معنى الهمزة في امر التقرير والتقريع شركا شياطين شرعوا من الدين ما لم ياذن
به الله اي شركاوهم شياطينهم الذين دينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون
غيرها وهو الدين شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاوهم
اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم اتخذوها شركاء الله قتادة تضاف اليهم لهذه الملابسة ونارة
الى الله سبحانه وتعالى ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم
عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل يوم القيامة حيث قال بل الساعة
موعدهم وقيل ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين
اي بين المشركين وشركايهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين المشركين يوم القيامة مشفقين
مما كسبوا من الكفر والشرك وهو واقع بهم اي وباله واقع بهم وواصل لهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا
والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنة هي اطيب بقاع في الجنة وانزهها لهم ما يشاؤن
عند ربهم منصوب بالظرف اي لهم ما يشاؤن اي لهم عند ربهم في روضات الجنات ما يشاؤن ذلك
اي اعطا هذه الاشيا هو الفضل الكبير ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله قرا نافع وعاصم وابن
عامر يبشر بضم اليا وفتح البا وكسر الشين مشددة والباقون بضم اليا وسكون البا وكسر الشين
مخففة الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اهله والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به
عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث
الله رسولا وقيل الاصل ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده قل لا اسالكم انه تعالى لما اوحى الى محمد
صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف واودع فيه ما يحتاج المكلفون اليه من التوحيد والتكاليف
والتشويق والمعاد ورتب الثواب على الطاعة والتوحيد والعقاب على المعصية والشرك قال قل
يا محمد لهم لا اسالكم عليه اي لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ المال والجاه ولا نفعا عاجلا ولا مطلوبا
حاضرا لئلا يتوهم ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب من هذا التبليغ حظا من الحظوظ ابن عباس
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق وليس في يديه لذلك
سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن اخيكم تنوبه نوايب وحقوق وليس في يديه
لذلك سعة اجمعوا له من اموالكم ما لا يضركم فتاتونه به فيستعين به على ما ينوبه ففعلوا ثم اتوا به فقالوا
له يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله على يديك وتنوبك نوايب وحقوق وليست لك عندها
سعة فراينا ان نجمع لك من اموالنا فناتيك به فتستعين به على ما ينوبك وها هو ذا فنزلت هذه
الاية قتادة اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسال على ما يتعاطاه اجرا
فانزل الله هذه الاية يحثهم على مودته ومودة اقربايه صلوات الله عليه وعليهم الا المودة في القربى
يجوز ان يكون استثنا متصلا اي لا اسالكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا
في الحقيقة لان قرابته قرابتهم وكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم
اجرا قط ولكن اسالكم ان تودوا اقرباي الذين هم قرابتكم ولا توذوهم وانما لم يقل الا مودة القربى او الا
المودة للقربى بل قال الا المودة في القربى ليكون القربى مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان
مودة ولي فيهم هوا وحب شديد يريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليس في بصلة للمودة بل اللام
اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف كقولك المال في الكيس وتقديره الا المودة
ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى
واختلف العلما في معنى الاية عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم على ما

ابلغكم من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله تعالى وتتقربوا اليه بطاعته والى هذا ذهب
الحسن البصري فقال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه والطاعة والعمل الصالح
وروى طاوس والشعبي والوالبي والعوفي عن ابن عباس قال لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه انزل الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى يعني ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم
ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني فانكم قومي واحق من اجابني واطاعني واليه ذهب ابو مالك
وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة وقال بعضهم معناه الا ان تودوا اقربائي
وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ثم اختلفوا في قرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذين امر الله تعالى بمودتهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناها والدليل عليه اي على هذا ما روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه شكوت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل
الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمايلنا وذريتنا خلف ازواجنا وشيعتنا
من ورايهن وعن ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ايتيني بزوجك وابنيك فجاءت
بهم فالقى عليهم فدكا ثم وضع يده عليهم فقال اللهم آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد فانك حميد
مجيد قالت فرفعت الكسا لادخل معهم فاجتذبه وقال انك على خير ومن ابي هريرة قال نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سالمتم
روي انه لما جي بعلي بن الحسين اسيرا فاقيم على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال الحمد لله الذي
قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين اقرات القران قال نعم قال قرات آل حم
قال قرات القران ولم اقرا آل حم قال ما قرات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال
وانكم لانتم هم قال نعم وقيل هم ولد عبد المطلب يدل عليه ما روي انس بن مالك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجنة انا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل
بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه
غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب
الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا اسلام يدل عليه قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى وقوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى وقوله
تعالى وآت ذا القربى حقه وعن ابن عباس قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكانهم فخروا فقال ابن عباس
او العباس شك الراوي لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال
يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي
قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك
فاويناك المكذبوك فصدقناك المخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب
وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
عن ابن عباس بن عبد المطلب انه قال يا رسول الله ما بال قريش يلقى بعضها بعضا بوجوه تكاد ان تسايل
من الود ويلقونا بوجوه قاطبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او يفعلون ذلك قال نعم والذي بعثك

بالحق فقال انا والذي بعثني بالحق لا يؤمنوا حتى يحبوكم لي وقيل هذه الاية منسوخة وانما نزلت بمكة
وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامرهم فيها بالمودة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه وعززوه واحب
الله ان يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قالوا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين فانزل الله تعالى قل ما اسالكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فهي منسوخة بهذه الاية وبقوله
قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين
وقوله ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون والى هذا
القول ذهب الضحاك ابن مزاحم والحسين بن الفضل قال الثعلبي وهذا قول غير قوي ولا مرضي لان ما
حكينا من اقاويل اهل التاويل في هذه الاية لا يجوز ان يكون واحدا منها منسوخا وكفى قبحا بقول من زعم
ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيت نبيه منسوخ والدليل على صحة مذهبنا فيه
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات على حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات
على حب ال محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب ال محمد مات تائبا الا ومن مات على حب
ال محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر
ونكير الا ومن مات على حب ال محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات
على حب ال محمد فتح له في قبره بابان من الجنة الا ومن مات على حب ال محمد جعل الله زوار قبره ملائكة
الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال محمد جاء
يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا
الا ومن مات على بغض ال محمد لم يشم رائحة الجنة قال الامام ال محمد هم الذين يؤول امرهم اليه
وكل من كان مال امرهم اليه اشد واكمل كانوا هم الال ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين رضي
الله عنهم كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل
المتواتر فوجب ان يكونوا هم الال وايضا اختلف الناس في الال فقيل هم الاقارب وقيل
هم امته فان حملناه على القرابة فهم الال وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا
ال فثبت انه على جميع التقديرات هم الال واما غيرهم هل يدخلون تحت لفظ الال فمختلف فيه وايضا لما
نزلت هذه الاية قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما
فثبت ان هولاء الاربعة اقارب النبي عليه السلام واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد
التعظيم ويدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الا المودة في القربى ووجه الاستدلال به ما سبق
الثاني لا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة وكان يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها
وثبت بالنقل المتواتر عن النبي عليه السلام انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك
وجب على كل الامة مثله لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ولقوله
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ولقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
الثالث ان الدعاء للال منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الال
فكل ذلك يدل على ان حب ال محمد صلى الله عليه وسلم واجب قال الشافعي رضي الله عنه

يا راكبا قف بالمحصب من منى ۞ واهتف بساكن خيفها والراكض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى ۞ فيضا كما نظم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب ال محمد ۞ فليشهد الثقلان اني رافضي

وقوله الا المودة في القربى فيه نصيب عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون اولئك
المقربون في جنات النعيم فكل من اطاع الله كان مقربا عند الله فيدخل تحت قوله الا المودة في القربى
والحاصل ان هذه الاية تدل على حب ال محمد وحب اصحابه وهذا قول اصحابنا اهل السنة والجماعة الذين
جمعوا بين حب العترة وبين حب الصحابة وسمعت بعض المذكرين قال انه عليه السلام قال
مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجا وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم ونحن الان في بحر التكليف محتاجون الى السفينة الصحيحة والنجوم الزاهرة فالسفينة حب
ال محمد والنجوم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرجو من الله تعالى السلامة والسعادة
في الدنيا والاخرة ومن يقترف حسنة يكتسب حسنة طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف السدي
حسنة مودة في ال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم
والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة دل ذلك على انها تناولت المودة
تناولا اوليا كان سابق الحسنات لها توابع ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع والشكور في
صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها على وجه التفضيل

قوله تعالى

ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات
الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين
امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد انما ابتدا الكلام
في اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله وهو قوله كذلك يوحي اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى وصل الى
هاهنا ثم حكى هاهنا شبهة وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال ام يقولون افترى ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله سبحانه
الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك قال مجاهد يعني يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق
عليك اذاهم قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم انه لو افترى على الله لفعل به ما اخبر
في هذه الاية ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل قال صاحب الكشاف فان يشا الله يجعلك من المختوم
على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في
مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله عز وجل
والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله
اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على
انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم ابتدا فقال ويمح الله فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع
كما حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع الانسان اي ومن عادة الله تعالى ان يمحو الباطل ويحق الحق
ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني
لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ويجوز ان يكون
عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق
الذي انت عليه بالقران وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم انه عليم بذات الصدور وبما في صدرك
وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشي وقبلته
عنه فمعنى قبلته منه اخذته وجعلته مبدا قبولي ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته

عنه والتوبة ان يرجع من المعصية بالندم اليه والعزم على ان لا يعاود • وعن علي رضي الله عنه
التوبة اسم يقع على ست معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته • وقيل لابي بكر الوراق متى يكون الرجل تائبا • قال اذا رجع الى الله فراقبه
واستحيا وخاف نقمته فيما عصاه والتجا الى رحمته فرجاه وذكر حاله في حين ما بكاه وندم على مكروه اتاه
وشكر ربه فيما هداه • وفهم عن الله وعظ فوعاه • وحفظ تجهله فيما اوصاه • سئل المحاسبي عن التائب
فقال من راى نفسه من الذنوب معصوما وللخيرات موفقا وراى الفرح من قلبه غائبا والحزن فيه
نائبا • واحب اهل الخير واهانه اهل الشر • وراى القليل من الدنيا كثيرا • والكثير من عمل الاخرة قليلا
وراى قلبه فارغا من كل ما ضمن له • مشتغلا بكل ما امر به • السري السقطي التوبة صدق العزيمة على ترك
الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب • والندامة على ما فرط من العيوب • والاستقصاء في
المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع • وقيل ملاك التوبة اصلاح القوت • وسئل يحيى بن معاذ عن
التائب فقال من كسر شبابا بدعن راسه • وكسر الدنيا على راس الشيطان • ولزم الفطام حتى اتاه
الحمام • سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة • وسئل
ابو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تجد حلاوة في قلبك • رويم التوبة
ترك المعاصي نية وفعلا • والاقبال على الطاعة نية وفعلا • سئل جنيد عن التائب فقال من تاب
عما دون الله • شاه الكرماني اترك الدنيا وقد تبت • وخالف هواك وقد وصلت • ويعفو
عن السيئات اذا تابوا يمحوها • وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله افرح بتوبة
عبد المؤمن من الضال الواجد • ومن العقيم الوالد • ومن الظمآن الوارد • فمن تاب الى الله تعالى
توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه • ويعلم ما تفعلون • قرا حمزة والكسائي
وخلف بالتاء من فوق والباقون بالياء لانه بين خبرين عن قوم قال قبله عن عباده وقال بعده
ويزيدهم من فضله • ويستجيب الذين امنوا بالطاعة اي يطيع الذين امنوا ربهم جعل الاستجابة فعل
الذين امنوا وقيل ويستجيب الذين امنوا جعل الاستجابة فعل الله وهو الاصوب والاعجب لانه
وقع بين فعلين لله الاول قوله يقبل والثاني ويزيدهم والمعنى ويجيب الله الذين امنوا اذا دعوه
وقيل معناه ويجيب دعاء المؤمن بعضهم لبعض • وعن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ بالشام فقال
انتم المؤمنون وانتم اهل الجنة والله اني لارجو ان يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم وذلك
بان احدهم اذا عمل لاحدكم العمل قال احسنت بارك الله فيك ويقول الله عز وجل ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اذا دعوا استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم من فضله
على مطلوبهم • وعن ابراهيم ابن ادهم نفعنا الله ببركاته انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب • قال
لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام • ويستجيب الذين امنوا والكافرون لهم
عذاب شديد في الاخرة **قوله تعالى** ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في
الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير • وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته وهو الولي الحميد • ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير • وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وما انتم بمعجزين في
الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • لما قال في الاية المتقدمة انه يستجيب الذين امنوا
ورد عليه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم انه يدعو فلا يرى اثر الاجابة فكيف

الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين امنوا فاجاب الله تعالى عنه بقوله ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض واقدموا على المعاصي ولما كان ذلك محذورا اما بسط لبغوا من البغي
وهو الظلم نزلت الاية في قوم من اهل المدينة تمنوا سعة الدنيا والغنى قال الخباب بن الارت
فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله
عز وجل ولو بسط الله وسع الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لطغوا ولعصوا ابن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس شقيق بن ابراهيم في قوله
ولو بسط الله لو رزق الله العباد من غير كسب وتفرغوا عن المعاش والكسب لطغوا ولبغوا وسعوا في
الارض فسادا ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمة منه وامتنانا ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء
نحل واحدا اغنى وواحدا افقر انه بعباده خبير بصير قتادة في هذه الاية كان يقال خير
الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي
زهرة الحياة الدنيا وكثرتها • وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عليه السلام عن ربه عز وجل قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاسرع شيء الى نصرة اوليائي
اني لاغضب لهم كغضب الليث الحرد وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن
يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه وما تعبد لي عبدي المؤمن بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال
عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان سالني
اعطيته وان دعاني استجبت له وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادة ولو اعطيته
اياه دخله العجب فافسده وان من عبادي المؤمنين لما يصلحه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وان من
عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه
الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده
ذلك اني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وهو الذي ينزل الغيث اي المطر سمي به لانه يغيث الناس
عن الاصمعي مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا فسالت عجوزا منهم كم اتاكم المطر فقالت غثنا
ما شئنا من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ويبسط مطره نظيره وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي
رحمته وقيل ينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب عن قتادة ذكر لنا
ان رجلا اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اشتد القحط وقنط الناس قال مطرتم
ثم قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي يتولى عباده باحسانه
الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن اياته خلق السموات والارض هذه اية اخرى تدل على الهيته
وما بث في محل الرفع عطفا على المضاف ويجوز ان يكون في محل الجر عطفا على المضاف اليه قال
صاحب الكشاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان
ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما
هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله اناس منهم ومنه قوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران
فوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي
على الارض سبحان من خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم احياهم بعد الموت اذا يشاء
اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قدير وما اصابكم
من مصيبة غم والم ومكروه فبما كسبت ايديكم فهو عقوبة للاثام والاجرام التي كسبتموها ويعفو عن كثير

من الذنوب فلا يواخذكم بها • قرا اهل المدينة والشام بما بغير فا وكذلك هي في مصاحفهم والباقون
فبما بالفا وكذلك هو في مصاحفهم على تضمين ما معنى الشرط • الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله اكثر • وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
اصابكم من مصيبة الاية قال وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا
فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنه في الدنيا
فالله احلم من ان يعود بعد عفوه • وعن الحسن دخل على عمران بن الحصين في مرضه الشديد الذي اصابه
فقال رجل منا اني لابد ان اسالك عما ارى من الوجع بك فقال عمران يا اخي لا تفعل فوالله ان احبه الي
احبه الى الله • قال الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير هذا مما كسبت
يداي وعفو ربي مما بقي • وراي على كف ظهر شريح قرحه فقيل له يا ابا امية ما هذا قال بما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير • ابن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم هذا بذنب اصبته
منذ اربعين سنة • وقيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلا ازالوا اللوم عمن اساء اليهم • قال انهم علموا ان
الله عز وجل انما ابتلاهم بذنوبهم • قال الله وما اصابكم الاية • وعن انس بن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا • واذا اراد الله تعالى بعبد
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة • ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب
لم يكن الله ليغفره له او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها • وعن الضحاك ما تعلم رجل القران ثم نسيه الا بذنب
ثم قرا وما اصابكم الاية • ثم قال واي مصيبة اعظم من نسيان القران • وما انتم بمعجزين في الارض
اي فايتين فلا يعجزكم امر اراده • وما لكم من دون الله من ولي يحفظكم ولا نصير يدفع عنكم العذاب
اذا حل بكم نسال الله العافية الحسنى **قوله تعالى** ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام
ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور • او يوبقهن بما
كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص • فما اوتيتم من شي فمتاع
الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون • والذين يجتنبون كباير
كباير الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون • والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم
شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون • والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون • ومن اياته الجواري
يعني السفن واحدها جارية وهي السايرة في البحر • قال الله تعالى حملناكم في الجارية • في البحر كالاعلام
اي الجبال • مجاهد القصور واحدها علم • قال الخليل كل شي مرتفع عند العرب فهو علم •

• قالت الخنسا ترثي اخاها صخرا •

• وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •

ان يشا يسكن الريح فيظللن من ظل يظل وظل نحو ضل يضل وضل • رواكد ثوابت ووقوفا على ظهر الما
ان في ذلك لايات لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمايه وهما صفتا المومن المخلص فجعلهما كناية عنه
وهو الذي وكل همته بالنظر في ايات الله فهو يستملي منها العبر • او يوبقهن يهلكهن • والمعنى انه ان
يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى بليتين • اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على ظهر البحر ويمنعهن
من الجري • واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير فلا
يعاقب عليها • يوبقهن عطف على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه • قلت

معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم • وقيل ويعف عن كثير من الذنوب فلا يجازي
عليها في الدنيا • وقيل ولا في الاخرة • ويعلم قرا اهل المدينة والشام ويعلم بالرفع على الاستيناف كقوله
تعالى في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء • والباقون بالنصب على الصرف كقوله تعالى ويعلم الصابرين
صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم • وقيل النصب للعطف على تعليل محذوف
تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في
القران منه قوله تعالى ولنجعله اية للناس • وقوله خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل
نفس بما كسبت • قال الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزا تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك
وان شيت واكرمك على وانا اكرمك وان شيت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في
كتابه قال واعلم ان النصب بالفا والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله
والحق بالحجاز فاستريحا • فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزا صار اقوى قليلا
لانه ليس بواجب ان يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه
اجازوا فيه هذا على ضعفه • ولا يجوز ان يحمل القراة المشهورة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام
ولا وجهه • ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات
المشكلة ما لهم من محيص من محيد من عذابه • وما اوتيتم من شي ما متضمن لمعنى الشرط فجاءت الفا
في جوابها اي وما اوتيتم من شي من رياش الدنيا وقماشها فمتاع الحيوة الدنيا وليس من زاد المعاد
اي ينفعكم مدة حيوتكم في الدنيا وهو نفع يسير • وما عند الله مبتدا غير متضمن لمعنى الشرط فكذلك
لم يجي الفا في جوابها خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون • يريد منافع الاخرة المعدة للمومنين
المتوكلين خير لانه امتع واللذ وابقى لانه دايم لا ينقطع والذين يجتنبون • عطف على للذين امنوا
وكذلك ما بعده كباير • قرا حمزة والكسائي وخلف هاهنا وفي سورة النجم كبير على الواحد وفسروه
بالشرك • عن ابن عباس والباقون كباير على الجمع في السورتين • وقد تقدم الاختلاف في معنى الكباير
والفواحش • السدي يعني الزنا • مقاتل موجبات الحدود • واذا ما غضبوا هم يغفرون اي هم الاخصا
بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول احلام الناس والمجي بهم وايقاعه مبتدا
واسناد يغفرون اليه لهذه الفايدة ومثله هم ينتصرون • والذين استجابوا لربهم اجابوه الى ما دعاهم
اليه من الطاعة واقاموا الصلوة المفروضة اي الصلوات الخمس في مواقيتها بشرايطها وامرهم شورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى امرهم شورى بينهم اي ذو شورى يعني اذا كان بينهم اجتمعوا وتشاوروا
فاثنى الله تعالى عليهم ان لا ينفردون براي حتى يجتمعوا عليه • وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا الارشد
امرهم وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى ومما رزقناهم
ينفقون يتصدقون • وقيل ينفقون من الحلال ويحتمل ينفقون معترفين بانه من رزق الله فان الكافر
ايضا ينفق مما رزقه الله لكنه جاحد • قيل نزلت هذه الايات في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين
لامه الناس على انفاق ماله كله وحين شتم فحلم • وعن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر مال مرة فتصدق
به كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فانزل الله عز وجل وما اوتيتم من شي
فمتاع الحيوة الدنيا الى قوله ومما رزقناهم ينفقون حض بها ابا بكر وعم من اتبعه • والذين اذا اصابهم
البغي الظلم هم ينتصرون ينتقمون من ظالمهم من غير ان يعتدوا • وعن مقاتل هذا في المجروح ينتصر
من الجارح فيقتص منه • قال ابراهيم النخعي في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا
قوله تعالى وجزاء سيية سيية مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين

ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في
الارض بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل
الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اوليا ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه
بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساوي
عدل فلهذا قال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي جزاء السيئة وان كان ماذونا مشروعا باسم السيئة وان
لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة ابن ابي نجيح هو ان يجاب قايل الكلمة القبيحة بمثلها فاذا قال
اخزاك الله يقول اخزاك الله السدي اذا شتمك بشتيمة فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدي عن
سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثوري ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ان شتمك رجل
فتشتمه وان يفعل بك تفعل به فلم اجد عنده شيا فسالت هشام ابن حجير عن هذه الاية فقال الجارح
اذا جرح يقتص منه وليس هو ان يسبك فتسبه قال ابن عيينة وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة
مثل هشام بن حجير فمن عفى فلم ينتقم ابن عباس رضي الله عنه فمن ترك القصاص واصلح بينه وبين
خصمه بالعفو والاغضا مقاتل فكان من الاعمال الصالحة فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في
العظم عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على
الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فذلك قوله عز وجل
فمن عفى واصلح فاجره على الله فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله انه لا يحب الظالمين يدل على ان الانتصار
لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتدا خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من
الظالمين وهو لا يشعر ابن عباس الذين يبدءون بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول
فاوليك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعايب والمعنى اخذ
حقه بعد ان ظلم فاوليك ما عليهم من سبيل الى لومه وقيل ما عليهم من اثم انما السبيل باللوم والاثم
على الذين يظلمون الناس يبتدءون الناس بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون
عليهم بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر على الظلم والاذى وعفى ولم ينتصر وفوض امره الى الله
ان ذلك الصبر والمغفرة منه لمن عزم الامور اي من الامور التي ندب اليها وقيل من الثابت الذي لا
ينسخ والعزم الاقدام على الامر بعد الروية والفكر وقيل عزم الامور حقيقتها والعايد الى المبتدا اي منه
محذوف لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس
الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها
اذ ضيعها الجاهلون قيل العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو
مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى ومن يضلل الله بخلق
الضلال فيه فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد اضلاله اياه ويهديه ويمنعه
من عذاب الله وترى الظالمين الكافرين لما راوا العذاب اي يرون فجا بلفظ الماضي تحقيقا
يقولون هل الى مرد من سبيل هل الى رجعة الى الدنيا من حيلة فنؤمن بك وتراهم يعرضون عليها
اي على النار وانث العذاب حملا على المعنى وهو النار وقيل على جهنم خاشعين خاضعين متواضعين
متذللين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقيل يتعلق من الذل ينظرون اي من الذل

ينظرون

ينظرون من طرف اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى
السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينيه منها كما يفعل في نظره
الى المحاب وقيل ينظرون من طرف خفي اي ينظرون الى النار بعين ضعيفة وطرف ساقط وقيل
الطرف الخفي عين القلب لانهم يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه
تعسف وقيل من طرف خفي ذليل وقيل ينظرون الى النار ببعض ابصارهم لانهم يجزعون من النظر اليها
بجميع ابصارهم وقيل غضوا من ابصارهم وقيل ينظرون من تحت اشفارهم وقال الذين امنوا
اي ويقول الذين امنوا يوم القيامة اذا راوهم على تلك الصفة وقيل يقولون في الدنيا وقيل
هذا تعليم للمؤمنين ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم لا ينتفعون بانفسهم واهليهم يوم القيامة
الا ان الظالمين في عذاب مقيم دايم قيل هذا من تمام كلامهم وقيل هذا تصديق من الله لهم
وما كان لهم من اوليا ينصرونهم من دون الله اي يحولون بينهم وبين عذاب الله ومن يضلل الله فما له
من سبيل طريق الى الوصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قوله تعالى
استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان
اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا يهب
لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما انه عليم قدير
لما بسط الكلام في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال استجيبوا لربكم بالايمان والطاعة
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله من متعلق بالامر بلا مرد له اي لا يرده الله بعد ما حكم به او متعلق
بياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجا مفر وحرز يومئذ وما لكم
من نكير انكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيا مما اقترفتموه ودون
في صحايف اعمالكم فان اعرضوا عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا مسلطا بحفظهم على الايمان وتمنعهم
من الكفر وقيل حسيبا وقيل بايانهم كفيلا ان عليك الا البلاغ اي ليس عليك الا تبليغ الرسالة وقد
بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة نعمة وخصبا وسعة في الرزق اراد بالانسان الجمع لا الواحد
كقوله ولا تصبهم سيئة فرح بها بطرا لاجلها وذهب اعجابا بها فلم يشكر من اسداها وان تصبهم سيئة محنة
وقحط وضيق بما قدمت ايديهم بسبب اثامهم واجرامهم فان الانسان كفور يعد المصايب ويجحد النعم
وقيل يسخط من قضا الله ولم يرض عقوبته وهو من كفران النعمة وقيل هذا خاص والمراد به الكفور بالله
ولهذا ذكر بلفظ المبالغة والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلا وينسى
النعم ويغمطها لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم
النعمة والبلا كيف اراد يخلق ما يشا من غير اعتراض عليه يهب لمن يشا من عباده اناثا على حسب
مشيته ويهب لمن يشا الذكور فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا
ويعقم اخرين فلا يهب لهم ولدا قط قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدم الاناث اولا على
الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر
البلا في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيته
وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاوه لا ما يشاوه الانسان فكان
ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاوه الانسان اهم فالاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت

العرب بهم
العرب معن بلا ذكر البلا واخر الذكور فلا اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقا بالتقديم بتعريف
لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون
عليكم ثم اعطي بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن
ولكن لمقتضى اخر فقال او يزوجهم ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فخلق منه الذكر
والانثى ومعنى يزوجهم يجمعهم وقيل يقرنهم من قول العرب ٥ زوجت ابلي اذا قرنت الصغير بالقوي
مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية ٥ ابن الحنفية تلد غلاما وجارية ويجعل
من يشا عقيما لا بنين له ولا بنات ٥ ابن عباس الاية خاصة في الانبيا عليهم السلام يهب لمن يشا
اناثا لوطا عليه السلام لم يولد له ذكر وانما ولدت له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعني ابراهيم
عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ولد له بنون
وبنات ويجعل من يشا عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام ٥ انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين
ما يشا ٥ **قوله تعالى** وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشا انه علي حكيم ٥ وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى صراط
مستقيم ٥ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور ٥ لما بين تفرده
وعلمه اتبعه ببيان انه كيف يخص انبيايه بوحيه وكلامه ٥ وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر
ان يكلمه الله الا على احد ثلاث احد اوجه ٥ اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب
او المنام كما اوحى الى ام ابراهيم وموسى عليهما السلام في ذبح ولده ٥ مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه
السلام في صدره اما على ان يسمعه كلامه من غير واسطة وهذا ايضا وحي بدليل انه تعالى اسمع
كلامه موسى من غير واسطة مع انه سماه وحيا قال تعالى فاستمع لما يوحى الي ٥ واما ان يرسل رسولا
من الملايكة فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي الى الرسول البشري وطريق الحجران يقال وصول الوحي من الله
الى البشر اما ان يكون من غير واسطة مبلغ او بواسطة مبلغ والاول اما ان يسمع عين كلام الله والبه
الاشارة بقوله الا وحيا ٥ واما ان سمع عين كلام الله واليه الاشارة بقوله او من ورا حجاب ٥ واما
الذي يكون بواسطة مبلغ فهو المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فهذه اقسام ثلاثة
على كل واحد منها وحي الا انه تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لان ما يقع في القلب على سبيل الالهام
فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى فهذا هو الكلام في تمييزهن الاقسام الثلاثة بعضها من
بعض قيل وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن
ورا حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا
موحيا او مسمعا من ورا حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي
كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام
وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول عليه السلام بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول
قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من ورا حجاب معناه او اسماعا من ورا
حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف ان يرسل عليه على معنى ٥ وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من ورا حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان
يسمع من ورا حجاب ٥ قرا نافع او يرسل بالرفع على الابتدا فيوحي باسكان اليا والباقون بالنصب
في يرسل فيوحي عطفا بهما على محل الوحي لان معناه ٥ وما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او يرسل

انه علي متعال عما لا يليق به من الاوصاف حكيم يدبر ما يريد ليجري افعاله على وفق الحكمة فيكلم تارة
بواسطة ٥ واخرى بغير واسطة اما الهاما ٥ واما خطابا ٥ وكذلك اوحينا اليك اي كما اوحينا الى سائر
الانبيا اوحينا اليك بان ارسلنا اليك جبريل عليه السلام ٥ ويحتمل انه اشارة الى الحلال الثلاث
لانه عليه السلام كان في بدو الاسلام يرى الرويا ٥ وسمع من ورا الحجاب الكلام ليلة المعراج
واتاه جبريل على الدوام روحا يريد ما اوحى الله تعالى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم
كما يحيى الجسد بالروح ٥ قيل روحا من امرنا القران سماه روحا لان حيوة الاديان به ٥ وقيل روحا
رحمة ابن عباس نبوة ٥ السدي وحيا ٥ الكلبي كتابا ٥ ربيع جبريل عليه السلام ٥ ما كنت تدري قبل
الوحي ما الكتاب ولا الايمان يعني شرايع الايمان ومعالمه ٥ ابو العالية الدعوة الى الايمان ٥ الحسين
ابن الفضل اهل الايمان من يومن ومن لا يومن محمد بن اسحاق الايمان في هذا الموضع الصلوة
دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم ٥ وقيل الايمان اسم يتناول اشيا بعضها الطريق اليه العقل وبعضها
الطريق اليه السمع ٥ فعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى
كسبه بالوحي ولكن جعلناه نورا وحد الكناية وهما الاثنان الايمان والقران لان الفعل في
كثرة اسمايه يضبطه الفعل الا ترى انك تقول اقبالك وادبارك يعجبني فتوحد وهما اثنان
ابن عباس ولكن جعلناه الايمان ٥ السدي القران ٥ نورا نهدي به من نشا من عبادنا
وانك لتهدي ترشد وتدعو الى صراط مستقيم ٥ صراط الله الذي له ما في السموات وما في
الارض الا الى الله تصير الامور ٥ وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه ٥ وسلم تسليما كثيرا دايما

سورة الزخرف مكية

وهي ثلاثة الاف واربعمايه حرف ٥ وثمانماية وثلاثة وثلاثون كلمة ٥ وتسع وثمانون اية ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وبه التوفيق والاعانة ٥ **قوله تعالى**
حم والكتاب المبين ٥ انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ٥ اقسم الله بالكتاب المبين وهو القران
ان جعلناه قرانا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه
اي اقسم الله بالقران انه جعله بلسان العرب ليعقلوه ٥ وقيل اقسم ان الله جعله قرانا عربيا وليس
بمفترى كما زعمه بعضهم وهذا اولى لان كونه عربيا غير مشكوك فيه المبين البين الذي انزل
عليهم لانه بلغة ٥ واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين ٥ وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من
طرق الضلالة ٥ وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة ٥ وقيل يجوز ان يكون الكتاب
عاما والكناية في جعلناه غير مذكور لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ٥ ويحتمل ان يقال
الكتاب لما كان للجنس اشتمل على القران فصار كالمتقدم ذكره لجواز الكناية عنه ٥ وقيل تقديره
ورب الكتاب ٥ وقيل الكتاب اللوح المحفوظ ابن بحر الكتاب الخط واقسم به تعظيما لنعمته فيه وفي
القسم بالشي تعظيم لذلك الشي وتوكيد لما يقسم عليه انا جعلناه قيل بيناه بلغة العرب ٥ وقيل
وصفناه وقيل قلناه ٥ وقيل جعلناه سميناه كقوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا ٥ قال صاحب الكشاف جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه
معدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور ٥ قرانا عربيا غير عجمي لعلكم تعقلون ٥
لكي تفهموا معناه وما شرع لكم فيه فيكون تماما ٥ وقيل لعلكم تتفكرون يعني العرب ٥ وقيل
لعل للطمع اي لتتوجوا محمدا صلى الله عليه وسلم ان تسمعوا فتعقلوا فتومنوا ٥ فنسال الله حسن العاقبة

قوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ❁ وانه عطف على القسم اي القران وقيل علم الساعة ❁ وقيل عمل بني ادم في ام الكتاب اللوح المحفوظ الذي عند الله منه نسخ ❁ قتادة اصل الكتاب وجملته ❁ ابن عباس اول ما خلق الله عز وجل القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة ❁ اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا **قوله تعالى** افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ❁ مجاهد والسدي افنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم ❁ قتادة وابن زيد معناه افنمسك عن انزال القران ونترككم من اجل انكم لا تؤمنون به فلا ننزله ولا نكرره عليكم ❁ قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعايدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ما شاء الله من ذلك ❁ الكلبي افنترككم سدى لا نامركم ولا ننهاكم ❁ الكسائي افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون ❁ قال صاحب الكشاف افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض ومنه قول الحجاج ❁❁ ولاضربنكم ضرب غرايب الابل ❁❁ وقال طرفة ❁

❁ اضرب عنك الهموم طارقها ❁ ضربك بالسيف قونس الفرس ❁

والفا للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرانا عربيا لتعقلوا وتعملوا بمواجبه صفحا اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا ان كنتم ❁ قرا اهل المدينة والكوفة الا عاصما ان بكسر الالف على معنى اذ كقوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ❁ وقوله ان ادخلن مخلصا والباقون بالفتح على معنى لان كنتم اراد واعني المضي كما تقول في الكلام اسبك ان حرمتني يريد ان حرمتني قوما مسرفين مشركين مجاوزين الحد وامر الله تعالى ❁ **قوله تعالى** وكم ارسلنا من نبي في الاولين ❁ وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ❁ والمعنى ان عادة الامم مع الانبيا الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزا هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لان المصيبة اذا عمت خفت وما ياتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك والضمير في منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عنهم بطشا وقوة ومضى اي سلف في القران في غير موضع مثل الاولين اي ذكرهم وصفتهم وسنتهم وعقوبتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان يسير مسير المثل وهذا وعد لرسوله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم **قوله تعالى** ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ❁ الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ❁ والذي نزل من السما ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ❁ والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ❁ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ❁ وانا الى ربنا لمنقلبون قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون ❁ وقد تقدم ايضا ذكر الانبيا والضمير في ولين سالتهم يحتمل ان يرجع الى الانبيا ويحتمل ان يرجع الى المشركين وهو الاقرب بين تعالى بانهم مقرون بان خالق السموات

والارض وما بينهما هو الله العزيز العليم ❁ قال صاحب الكشاف فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله عز وجل فما وجهه ❁ قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ❁ والذي نزل من السما ما بقدر بمقدار يسلم معه البلاد ولم يكن طوفانا فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ❁ اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احيا والذي خلق الازواج الاصناف كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبونه يقال ركبوا الانعام وركبوا الفلك ❁ وقد ذكر الجنسين فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل ما تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم اذا استويتم عليها وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا ذلك ❁ لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين ضابطين قاهرين يقال اقرن الشي اذا اطاقه وحقيقته اقرنه وجد قرينه وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينه للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة قيل وهو من القرن كانه اراد وما كنا له مقاومين في القوة وانا الى ربنا لمنقلبون ❁ كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا ❁ فلما كان الركوب مباشرة امر محظور واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الركوب ❁ وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضايه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقا الله باصلاح من نفسه والحذر ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله تعالى وهو غافل عنه ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنايه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف ولا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ❁ قتادة يعلمكم في هذه الاية كيف تقولون اذا ركبتم في الفلك تقولون بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ❁ فاذا ركبتم الابل قلتم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ❁ واذا نزلتم من الفلك والانعام تقولون اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين **قوله تعالى** وجعلوا له من عباده جزا ان الانسان لكفور مبين ❁ ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ❁ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين ❁ وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون ❁ لما قال ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزا والمقصود منه التنبيه على عقولهم وسخافة رايهم ومعنى من عباده جزا ان قالوا الملايكة بنات الله ❁ فجعلوهم جزا له وبعضا منه كما يقول الولد بضعة من والده وجزء منه قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني ولان المعقول من الولد ان ينفصل منه جزء من اجزايه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل والمعنى انهم اثبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده ❁ وقيل ان الجزء في

لغة العرب اسم للاناث • قال صاحب الكشاف وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث
منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة • ثم صنعوا بيتا وبيتاه •

• ان اجزات حمرة يوما فلا عجب • زوجتها من بنات الاوس مجزئة •

• والبيت الاخر •

• ان اجزات حرة يوما فلا عجب • قد تجزي الحرة المذكار احيانا •

قال الزجاج لا ادري اموله هذا البيت ام عرفي • وقيل معنى هذه الاية معنى قوله وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا • قتاده المراد بالجزء الاصنام وفرعون وغيرهم حمن عبد
من دون الله اي جزءا ندا تعلى هذا التاويل يضعف الكفر في امر الاصنام وفي امر الملايكة وعلى التاويل
الاول فالاية كلها في امر الملايكة ان الانسان لكفور لجحود للنعمة مبين ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه
واثبات التشريك له كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من
شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون
الذكور على انهم انفر خلق الله على الاناث مقتهم لهن وقد بلغ بهم المقت الى ان وادوهن كانه قيل
هوان اضافة اتخاذ الولد جائز وصفا وتمثيلا اما يستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه
اثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما قال الامام انه تعالى رتب هذه
المناظرة على احسن الوجوه وذلك انه بين ان اثبات الولد لله محال فان الولد لابد وان يكون جزءا
من الوالد وما كان له جزء كان مركبا ممكنا وبتقدير ثبوت الولد يمتنع كونه بنتا لان الابن افضل من
البنت • فلو قيل انه اتخذ لنفسه البنات واعطا البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل
من حال الاله وذلك محال ببديهة العقل وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم
لما ذكرت في قوله ويهب لمن يشاء الذكور • واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له
مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملايكة جزءا لله سبحانه وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا
يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس • ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت
لك بنت اغتم وازبد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملو من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل
اكثر الافعال الناقصة معناها اومن ينشا قرا اهل الكوفة الا ابا بكر ينشا بضم اليا وفتح النون والتشديد
الشين على ما لم يسم فاعله والباقون بفتح النون وتخفيف الشين والمعنى او جعل للرحمن من هذه الصفة المذمومة
صفته وهو انه ينشا في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء
ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امراة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة
عليها وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا ابو عمرو واهل الكوفة عباد بالالف والباقون عند
الرحمن اناثا فقد جعلوا اي كفروا ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله سبحانه الولد ونسبوا اليه اخس النوعين
وجعلوهم من الملايكة الذين هم عباد الرحمن المخصوصون بانواع الكرامات من الله فاستخفوا بهم واحتقروهم
ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث اشهدوا احضروا خلقهم وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان
يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا يتطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر
يوجب العلم فلم يبق الى ان شاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا على الملايكة
من انوثتهم ويسألون وهذا وعيد • **قوله تعالى** وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون • ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون • بل قالوا انا وجدنا

اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون • وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون • قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين • انه تعالى حكى عنهم نوعا
اخر من كفرهم وشبهاتهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي ما عبدنا الاصنام وقيل ما عبدنا الملايكة وقيل
لو شاء الرحمن ما امرنا بعبادتهم كقولهم والله امرنا بها • قيل قالوا استهزاء معناه لو لم يشا لعذبنا عليه ما لهم بذلك
بكون الملايكة بنات من علم دلالة عقلية ان هم ما هم الا يخرصون يكذبون • وقيل ما لهم بذلك من علم اي لم اعلمهم
ما عندي من المشية في ذلك • قال صاحب الكشاف هما كفران ايضا مضمومان الى الكفرات وهما عبادتهم
الملايكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة • وما ذكره صاحب الكشاف في
غاية السقوط فان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون في عقبه يدل على ان ما قالوه غير مستند
الى علم والقول فيما يتعلق باصول الدين من غير علم باطل • وصاحب الكشاف معترف بهذا ثم قال
فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوا جادين لكانوا مومنين • قلت
لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة
بالكفر انهم جعلوا من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملايكة المكرمين
اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق ه
بالمحكيات • قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جد في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر
نطقوا بها على طريق الهزء فكان يلزم ان يجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا
تعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه
كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى • لان من قال
لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه يجوز تكذيب الناطق
جادا كان او هازئا • فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملايكة بنات الله من علم ان
هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشية الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر • ونحوه
قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم • ولقائل ان يقول قولهم ما لهم بذلك من علم يصح ان يكون دليلا على انهم قالوه على
وجه الاستهزاء شاهده قوله تعالى في البقرة اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين • اما
قوله على انه تعالى حكى عنهم على سبيل الذم الى ان قال من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء
فلقائل ان يقول ما نطقوا بالمحكيات • قبل هذا المحكي على طريق الهزء • ولا يلزم انهم اذا نطقوا بهذا
المحكي على سبيل الهزء وان يكون نطقهم بالمحكيات • قبله على طريق الهزء • فان المحكيات قبله كفرعقلا
ونقلا وما هو كفر قطعا لا يتوقف الحكم عليه بانه كفر على ان يكون النطق به على سبيل الاستهزاء بخلاف هذا
فان نقيضه كفر وهو من الايمان وما هو ايمان يكون النطق به على طريق الاستهزاء كفر واما قوله
يجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل فلقايل ان يقول نقيض هذا الكفر باطل لان ثبت
بالبرهان القطعي ان الكفر والايمان والخير والشر والطاعة والمعصية بمشية الله تعالى واختياره وانه
خالق اخر لبعض الممكنات كفر وضلال • فالتسوية بين هذا المحكي والمحكيات قبله تعويج الكتاب الذي
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبه الباطل • واما قوله ولو كانت هذه كلمة حق
نطقوا بها هزوا لم يكن لقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله

علي طريق الهزء كان الواجب عليه ان ينكر عليهم استهزاوهم ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الباطل بالحق
جادا كان او هازيا ولعاقل ان يقول كل قول يعتبر فيه العلم اذا قاله قايل وليس له به علم لم يعتبر
قال الله تعالي اذا جاك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل الرسول
والمعني انهم عبدوا الاصنام والملايكة اتيناهم كتابا فيه جواز عبادة الاصنام فهم به بذلك الكتاب
مستمسكون اخذون عاملون استفهام انكار وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره اشهدوا خلقهم ام
اتيناهم كتابا فيه ان الملايكة اناث بل قالوا لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا
علي امة دين من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه وقيل
علي نية وحالة حسنة وانا علي اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون لمتبعون اي قلدوا
اباءهم من غير حجة قيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة وابي سفيان بن حرب لابي جهل وعتبة وشيبة
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها متنعموها الذين اترفتهم النعمة ابطرتهم
النعمة فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه انا وجدنا اباءنا علي امة
وانا علي اثارهم مقتدون هذه تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم اي هذا داب كل قوم وان تقليد الاباء
والكبرا داء قديم قل قرا ابن عامر قال بالالف وهي رواية حفص عن عاصم والباقون قل علي الامر اولو
جيتكم باهدي من دين وجدتم عليه اباكم فلو قالوا انا ثابتون علي دين ابائنا لا ننفك عنه وجواب
لو مقدر تقديره اتقتدون علي دين ابائكم والمعني ان جميع الانبيا دعوا اممهم الي ترك التقليد قالوا
اي المترفون انا بما ارسلتم به كافرون وان جيتنا بما هو اهدي واهدي فانتقمنا منهم اهلكناهم هلاك
استيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين للرسل **قوله تعالي** واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون بل متعت هولا واباءهم حتي جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا
سحر وانا به كافرون واذ قال ابراهيم لابيه وقومه واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم لابيه وقومه
انني برا بري وهو مصدر ولذلك استوي فيه الواحد والاثنان والمذكر والمونث وضع
موضع النعت مما تعبدون الا الذي فطرني قيل في محل النصب علي انه استثنا منقطع كانه قال
لكن الذي فطرني فانه سيهدين وفي محل الجر علي ان يكون بدلا من المجرور بمن كانه قيل انني برا مما تعبدون
الا من الذي فطرني فان قيل كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما تعبدون من وجهين احدهما
ان ذات الله تعالي مخالفة لجميع الذوات وكانت مخالفة لذوات ما تعبدون والثاني ان الله تعالي
غير معبود بينهم والاوثان معبودة اجيب بانهم كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وقيل الا صفة
بمعني غير علي ان ما في مما تعبدون موصوفة تقديره انني برا من الهة تعبدونها غير الذي فطرني
فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فان قيل ما معني قوله سيهدين علي التسويف اجيب
بانه قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فيدلان علي استمرار الهداية في الحال والاستقبال
وجعلها اي وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني برا مما تعبدون الا الذي
فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله عز وجل ويدعو الي توحيده لعل من
اشرك منهم يرجع بدعا من وجد منهم وعن ووصا بها ابراهيم بنيه مجاهد وقتادة يعني لا اله الا الله
وقيل يعني وجعل وصية ابراهيم عليه السلام التي وصي بها ويعقوب بن زيد يعني قوله اسلمت لرب
العالمين لعلهم يرجعون من كفرهم الي طاعتهم ويتوبون بل متعت هولا يعني اهل مكة وهم من عقب

ابراهيم عليه السلام بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة
الشيطان عن كلمة التوحيد اي بل متعت هولا واباءهم في الدنيا ولم اهلكهم ولم اعاجلهم بالعقوبة علي
كفرهم حتي جاءهم الحق القران الصحاك الاسلام ورسول مبين الرسالة واضح بما معه من الايات
البينة يبين لهم الاعلام والاحكام وهو محمد صلي الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر لاتيانه
له وقيل بحرحيلة خفية توهم معجزة وانا به كافرون **قوله تعالي** وقالوا لولا نزل
هذا القران علي رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون
قال صاحب الكشاف فان قلت قد جعل مجي الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما
جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو
اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضاه فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتي جاءهم الحق
ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضايها التنبيه ثم ابتدا قصتهم
عند مجي الحق فقال ولما جاءهم جاوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الي شركهم معاندة
الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه والاصرار علي افعال الكفرة والا
علي حكمة الله تعالي في تخير محمد صلي الله عليه وسلم من اهل زمانهم وقالوا لولا نزل هذا القران علي رجل من
القريتين يعني من احدي القريتين مكة والطايف عظيم ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة
وكان يسمي ريحانة قريش وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من الطايف مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد
ياليل قتادة الوليد بن المغيرة المخزومي وابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي ما زالوا ينكرون ان
يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القري جاوا بالانكار
من وجه اخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القران ذكر له علي وجه الاستهانة وارادوا
بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن قولهم ان العظم من كان عند الله عظيما قال
الله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم
وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها والمتولين لقسمة الله التي لا يتولاها
الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته اهم يقسمون رحمة ربك نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاؤون والمعني
قسمنا بينهم معيشتهم فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا قال صاحب
الكشاف ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم
وان الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم
ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقويا وضعفا واغنيا
ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في
اشغالهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي ليتسخر الاغنيا باموالهم
الاجرا الفقرا بالعمل ويستخدمونهم ليكون بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا هذا بماله وهذا بعمله
قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا هذا عبد هذا وقيل يسخر بعضهم من بعض وقيل يتسخر بعضهم بعضا
حتي يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الي منافعهم ويحصلوا الي مرافقهم ولو وكلهم الي انفسهم وولاهم
تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كان في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا علي هذه الصفة
فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبري ورافته العظمي وهو الطريق الي حيازة حظوظ
الاخرة والسلم الي خلود دار السلام ثم قال ورحمة ربك خير يريد وهذه الرحمة وهو دين الله تعالي

وما يتبعه من الفوز في المآب • خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا **قوله تعالى** ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون • وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك
للمتقين • ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي مجتمعين على اختيار الدنيا على الاخرة • وقيل
مجتمعين على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة
اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه سقفا من فضة • قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين على
الواحد ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم • والباقون بضم السين والقاف
على الجمع يقال سقف وسقف مثل رهن ورهن • وقيل هو جمع سقيف • وقيل هو جمع سقوف جمع الجمع
ومعارج مصاعد ومراقي ودرجا وسلاليم • ومعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج عليها يظهرون
اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها • يقال ظهرت على السطح اذا علوته • ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب • نظيره بيت من زخرف
ويجوز ان يكون معناه من فضة وزخرف فلما نزع الخافض نصب وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
شدده عاصم وحمزة وهشام هنا بخلاف عنه على معنى وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وخففه الباقون
على معنى وكل ذلك فاللام حينئذ هي الفارقة بين ان المخففة والنافية • لما قال حين سماهم مجمعون فقلل امر
الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة
قال صاحب الكشاف اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا
عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة • وجعلنا لهم زخرفا وزينة من كل
شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة
وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة • وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة • **قوله تعالى**
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون • حتى اذا جانا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين • ولن ينفعكم
اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون • ومن يعش يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه
ولم يرج ثوابه • وقيل ومن يعش يعرض عن ذكر الرحمن اي القران كقوله صم بكم عمي القرظي يولي
ظهره عن القران • وقيل من لم ينظر في حجج الله بالاعراض منه عنها الا نظرا ضعيفا • وقيل
يعش عنه لاظلامه عليه لجهله • ومعنى عشوت الى الشيء نظرت اليه ببصر ضعيف وكان القياس الى ذكر
الرحمن فقيل لان المعنى حدث له العشو عن ذكر الرحمن • وفيه ضعف الا ان يحمل على ترك ذكر الرحمن
وقيل عن ذكر الرحمن عن معرفة الله تعالى وطاعته لانه لا يذكر الا من عرفه واطاعه • وقيل يحتمل
ان المراد به من سول فيهم واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن • نقيض اي نضمه اليه ونسلطه
فهو له قرين • وانهم اي وان الشياطين ليصدونهم يعني الكافرين عن السبيل • ويحسبون انهم مهتدون
حتى اذا جانا قرا اهل العراق الا ابا بكر على الواحد يعنون الكافر والباقون جاآنا على التثنية اي
الكافر وقرينه • قال الكافر للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين • اي المشرق والمغرب
فغلب كما قيل العمران والقمران • وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء كقوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين • وبعد المشرقين تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب
من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما فبئس القرين • ابو سعيد الخدري

اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير الى النار • ولن ينفعكم اليوم في
الاخرة اذ ظلمتم اشركتم في الدنيا انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم في العذاب
مشتركين كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك
ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته • وذلك ان يحمل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك
على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني تباعد القرين • وقوله انكم في العذاب مشتركون
تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
وهو الكفر • وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لانكم انتم وقرناؤكم مشتركون في العذاب
كما كنتم مشتركين في الكفر • **قوله تعالى** افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في
ضلال مبين • فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون • او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعا قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا
تصميما على الكفر وتماديا في الغي ان لا يضيق صدرك فان من سبق في علم الله تعالى بكفره واراد الله كفره
وحقت عليه كلمة العذاب لا يسمع ولا يهتدي فانهم صم عمي وانت لا تسمع الصم ولا تهدي العمي ومن كان
في ضلال مبين • والهمزة للانكار انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم فاما نذهبن
بك ما فيه بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فاما نذهبن بك
فنقبضك الينا قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم • وقيل ان نرينك ما نعدهم من العذاب
فانا منهم منتقمون • اشد الانتقام في الاخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون • وقيل فانا منهم
منتقمون بعد موتك • الحسن الله اكرمه بان لم يره تلك النقمة • وقيل واما نذهبن بك من مكة
فانا منهم منتقمون يوم بدر او نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم يوم بدر فانا عليهم مقتدرون
قيل اراد به المشركين فينفذ بهم في حياتك فانتقم منهم يوم بدر • الحسن وقتادة يعني به اهل الاسلام
من امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في امته الا الذي يقر به عينه وابقى النقمة بعده وليس من
نبي الا وقد راى في امته العقوبة • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ما يصيب امته بعده فما رؤي
ضاحكا مستبشرا حتى قبضه الله تعالى • **قوله تعالى** فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على
صراط مستقيم • وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون • واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون • والمعنى وسواء عجلنا لك النصر والظفر والانتقام او اخرناه
الى اليوم الاخر • فاستمسك بالذي اوحي اليك اي بالقران واتله حق تلاوته • وامتثل اوامره واجتنب
نواهيه انك على صراط مستقيم فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في
المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت
الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تاخيره وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لشرف لك ولقومك
من قريش • نظيره قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم شرفكم وسوف تسالون عنه يوم القيامة
وعن حقه واداء شكره على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين • عن عبد الله بن مسعود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ملك فقال يا محمد واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا
قال قلت على ما بعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن ابي طالب • واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا سمينا وحكمنا من دون الرحمن سوى الرحمن الهة يعبدون مع الله • وقيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو لم يسالهم لانه اعلم منهم وليس المراد بسوال الرسل حقيقة السوال لا حالية ولكنه مجاز على النظر

في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا
نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وهذه الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال
على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والاطلال • وقول من قال
سل الارض من شق انهارك • وغرس اشجارك • وجنى ثمارك • فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم
فلم يشكك ولم يسال • وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل • وعن
الفراء انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سال الانبياء ما اجابوه به عنك ۵ **قوله
تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين •
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون • وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب
لعلهم يرجعون • وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون • فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون • ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون • ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا
القي عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين • فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما ۵
فاسقين • فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين • فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين • المقصود
من اعادة قصة موسى وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لان كفار قريش
طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيرا عديما للمال والجاه فبين الله تعالى ان موسى صلى الله
عليه وسلم بعد ان اورد المعجزات الباهرة التي لا شك في صحتها اورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها
كفار قريش فقال اني غني كثير المال والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي واما موسى فانه فقير مهين • وليس له بيان ولسان • والرجل الفقير كيف يكون رسولا من
عند الله الملك الكبير الغني • فثبت ان هذه القصة تقرير احد الامرين احدهما ان الكفار
والجهال ابدا يحتجون على الانبياء بهذه الشبهة الركيكة التي ذكرها كفار مكة وهي قولهم لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين • وقد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم والثاني
ان فرعون على غاية علوه في الدنيا صار مقهورا فيكون الامر في حق اعدائك هكذا ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وهي المعجزات التي كانت مع موسى الى فرعون وملائه فقال موسى اني رسول رب العالمين
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وبها يستهزءون ويكذبون • ويقولون انها سحر وتخييل واذا
للمفاجاة وانما جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في
محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجأوا وقت ضحكهم • وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها قرينتها وصاحبتها
التي كانت قبلها • **قال** صاحب الكشاف فان قلت اذا جاءتهم اية واحدة من جملة التسع فما اختها
التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات • **قلت** اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة
منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة
كما تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قروتهم رجلا رجلا
فان **قلت** فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فيكون
كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة • **قلت** الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات
بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه • وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم

فيه التقارب اليسير ان تختلف اراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك
فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض • وربما اختلفت اراء الرجل الواحد
فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك • ومنه بيت الحماسة •
• من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يسري بها الساري •
ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت
ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ۵ واخذناهم
بالعذاب السنين والطوفان والجراد وغيره لعلهم يرجعون عن كفرهم في سبيل الوجوب ۵ •
قال صاحب الكشاف ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان • فان **قلت** لو اراد رجوعهم
لكان قلت • قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه احداثه • فان كان ذلك
على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن
الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه وهذا بناء على اصله الفاسد • وقد عرفت ان
الارادة غير الطلب • وان الايمان والكفر • والخير والشر • والطاعة والمعصية كلها بارادة
الله تعالى • ولو اراد الله رجوعهم لرجعوا • وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك • اي **قال**
فرعون وقومه لما عاينوا العذاب لموسى عليه السلام يا ايها الساحر العالم الكامل الحاذق وانما
قالوا هذا تعظيما وتوقيرا منهم له عليه السلام لان السحر عندهم كان عظيما وصفة ممدوحة وقيل
معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره كقول العرب خاصمته فخصمته اي غلبته بالخصومة وفاضلته
ففضلته • ويحتمل انهم ارادوا به الساحر على الحقيقة عيبا منهم اياه فلم ينكر عليهم موسى عليه السلام
في مخاطبتهم اياه بذلك رجاء ان يؤمنوا ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك
اننا لمهتدون • قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه • وبما عهد معزوم على نكثه معلق
بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر منافية لقولهم اننا لمهتدون • وقيل كانوا يقولون ۵
للعالم الماهر ساحرا لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده
عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من
كشف العذاب عمن اهتدى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ينقضون عهدهم ويصرون
على كفرهم وينادون في عيهم ونادى فرعون في قومه • جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى
انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير
اللص اذا امر بقطعه • ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنهم في
جموع القبط وكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل • ومعظمها
اربعة • نهر الملك ونهر طولون • ونهر دمياط • ونهر تنيس • تجري من تحتي اي بين يدي في جناني
وبساتيني قيل كانت تجري تحت قصره • وقيل تحت سريره لارتفاعه • ابن عباس حولي • عطا في
قبضتي وملكي • الحسن تجري بامري • ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب
على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا افلا تبصرون ملكي وقوتي وعجز موسى
ام انا خير اكثر المفسرين على ان ام بمعنى بل • وليس بحرف عطف معناه بل انا خير • **وقال** الفراء
وقوم من اهل المعاني الوقف على قوله ام وعنده تمام الكلام • وفي الاية اضمار تقديره افلا تبصرون
ام تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير يعني موسى عليه السلام وقيل

تقديره افلا تبصرون ام تبصرون اي حين ام ابصرتم ثم استانف فقال انا خير • قال صاحب الكشاف
ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصرا • وهذا من انزال السبب منزلة المسبب • ويجوز
ان تكون منقطعة على بل انا خير منه والهمزة للتقدير • وذلك انه قدم اسباب الفضل
والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادي بذلك وملا به مسامعهم ثم قال
انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين ولا
يكاد يبين • وقيل يحتمل ان التقدير اهو خير من هذا الذي له ملك مصر والانهار تجري
من تحته • ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين يفصح بكلامه وحجته لعيه • والرتة
التي في لسانه يريد انه ليس معه من العدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في
نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللكن • والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء فلولا
القي عليه ان كان صادقا اسورة اهله واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه
لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب • قرأ
حفص اسورة جمع السوار والباقون اساور بالالف على جمع الاسورة وهو جمع الجمع • مجاهد
كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ليكون ذلك دلالة لسيادته وعلما
لرياسته • فقال فرعون هلا القي رب موسى عليه اسورة من ذهب • او جاء معه الملائكة مقترنين
متتابعين يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له لما وصف نفسه بالملك والعز ووازن
بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان
صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره • فاستخف قومه القبط اي
طلب منهم الخفة في الطاعة • وقيل الاسراع اليها • فاطاعوه • وقيل استخف قومه حمل فيه كلامه
فخفوا في طاعته • وقيل استجهلهم فاطاعوه • وقيل وجدهم جهالا فاطاعوه • وقيل فاستفزهم وحقيقته
حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم • وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز • فلما اسفونا اغضبونا
منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاة رحمة للمومن واخذة
اسف للكافر • ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا اطوارهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا
وانتقامنا وان لا نحلم عنهم • الحسين بن الفضل خالفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا
قرا حمزة والكسائي بضم السين واللام قال الفراء سلفا اي فريق قد سلف • وحكي عن القاسم
ابن معن انه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس • والباقون بفتح السين واللام جمع سالف مثل
حارس وحرس وراصد ورصد • وخادم وخدم ومعناهما الماضون المتقدمون من الامم
والمعنى فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم
بمثل افعالهم ومثلا وعبرة وحديثا عجيب الشان سايرا مسير المثل يحدثون به • ويقال لهم مثلكم
مثل قوم فرعون • وقيل عبرة للاخرين لم يجي بعدهم • وقيل سلفا لكفار هذه الامة الى النار ••

قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا االهتنا خير ام هو
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون • ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون • وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا
صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين • انه تعالى ذكر انواعا كثيرة من
كفرياتهم في هذه السورة واجاب عنها بالوجوه الكثيرة • فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا

وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • وثالثها قوله قالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم • ورابعها وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم • وخامسها
هذه الاية ولما ضرب ابن مريم مثلا في خلقه من غير اب فشبه بادم في خلقه من غير اب ولا ام
اذا قومك منه يصدون ويقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت
النصارى عيسى الها • وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى
الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام • وقد ذكر قصته في الانبياء • والمعنى ولما ضرب عبد
الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا
منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعنوا الحجة ثم
فتحت عليهم • قرا اهل المدينة والشام وجماعة من الكوفيين بضم الصاد اي من اجل هذا المثل
يصدون عن الحق ويعرضون عنه • وقيل من الصديد وهو الجلبة • والباقون بكسر الصاد
قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ويعكفون ويعكفون • وودت الشاة
تدر وتدر وشد عليه يشد ويشد • ونم الحديث ينمه وينمه • ابن عباس معناه يضجون • سعيد
ابن المسيب يصيحون • ضحاك يعجون • قتاده يجزعون • القرظي يضجرون • وقالوا االهتنا خير ام هو
قتادة يعنون محمدا عليه السلام فنعبد محمدا ونطيعه ونترك الهتنا • السدي وابن زيد ام هو
يعنون • عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا
مع عزير والملائكة وعيسى في النار • قيل وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست خيرا
من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل
الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لداد شداد
الخصومة دابهم اللجاج كقوله قوما لدا • وذلك ان قوله انكم وما تعبدون من دون الله ما اريد
به الا الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعري بخبثه وخداعه وخبث
دخلته لما راى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة
مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال
وحب المغالبة والمكابرة فتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون • فدل به على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء
وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا
الها ونحن نعبد الملائكة فنزلت خير ام هو في هذا القول تفضيل لالهتهم على عيسى لان المراد
بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القران يعني الهتنا خير ام هو الا جدلا
قرا عاصم وحمزة والكسائي استفهاما بهمزتين الثانية مطولة والباقون استفهاما واحدا
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل • ثم قال
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم
قالوا انا قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل • فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة • وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى
شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما ينصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل ان هو
ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب

كما خلقنا ادم وشرفناه بالنبوة وجعلناه صيرناه مثلا عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرايل ولو نشاء
لقدرتنا على عجايب الامور وبدايع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملايكة يخلفونكم في الارض
كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى بن مريم بن انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا
ان الملايكة اجسام لا يتولد الا من اجسام ● وذات القديم متعالية عن ذلك ● وقيل ولو نشاء لجعلنا
لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملايكة في الارض يخلفون يكونون خلفا منكم فيعمرون الارض ويعبدوني
ويطيعوني وانه اي وان عيسى لعلم للساعة بنزوله على ذهاب الدنيا واقبال الاخرة ● وفي الحديث
ينزل عيسى بن مريم عليه بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال ● فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر والامام يؤم بهم فيتاخره
الامام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ● ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من امن به ● وقيل وانه اي وان القران ومعنى الاية
وان القران لعلم للساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن من المرية وهي الشك اي فلا تشكن بها اي
فيها واتبعوني اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي ● وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يصدنكم يصرفنكم الشيطان عن دين الله انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته اذ اخرج اباكم من
الجنة ونزع عنه لباس النور ● **قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جيتكم
بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم ● فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم ● ولما جاء
عيسى بالبينات بالمعجزات او بالايات الانجيل قال عيسى لبني اسرايل قد جيتكم بالحكمة بالنبوة ● وقيل
بما يفصل بين الحق والباطل ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو امر الدين لا امر الدنيا وقيل
تختلفون فيه من احكام التوراة فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي خالقي وربكم خالقكم ورازقي
وانا عبد مخلوق محتاج الى الرزق فاعبدوه هذا صراط مستقيم يجوز ان يكون من تمام كلام عيسى ويجوز
ان يكون استينافا من الله تعالى فاختلف الاحزاب الفرقة المتحزبة بعد عيسى ● وقيل اليهود
والنصارى من بينهم من بين النصارى ● وقيل فيما بينهم ● وقيل من بين اليهود والنصارى وقيل
من زيادة ● وقيل من بينهم من بين انفسهم لم يوقروا به ● وقيل الاحزاب هم الذين امنوا به اي
اختلف الاحزاب من بين الناس فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب ظلموا الغزو ابنه في
سورة مريم من عذاب يوم اليم ● اي القيامة **قوله تعالى** هل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون ● الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ● يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ● الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ● ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
تحبرون ● يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب ● وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم
فيها خالدون ● وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ● لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ●
هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان
قيل اما ادى قوله بغتة مودى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه ● اجيب بانه لا لان معنى وهم لا
يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون ● ويجوز ان تاتيهم
بغتة وهم يظنون ● الاخلاء على المعصية في الدنيا يومئذ يوم القيامة منصوب بعدو اي ينقطع
ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا الخلة المتصادقين في
الله فانها الخلة الباقية المزداده قوة اذا راوا ثواب التحابب في الله والتباغض في الله ● وقيل الا

المتقين

الا المتقين المتحابين في الله على طاعة الله المجتنبين اخلاء السوء ● عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال في هذه الاية خليلان مومنان وخليلان كافران ● فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا
كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب
لا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما فيقول
ليثن احد كما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ● ويامرني بالخير
وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب ● قال يموت احد
الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ● ويامرني بالشر وينهاني
عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول بيس الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب وقيل نزلت في
ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ● يا عبادي حكاية لما ينادي به المتقون اي يقال لهم يا عبادي
المتقين المتحابين في الله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ● الذين امنوا صفة لعبادي لانه منادى
مضاف اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين ● مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعهم
الذين امنوا فييأس الناس منها غير المسلمين ادخلوا الجنة ● وقيل الذين امنوا فيقال هذا ابتداء ادخلوا
الجنة خبر اي يقال لهم ادخلوا الجنة ● وقيل الذين امنوا صفة للمتقين ● وقيل مبتدا اخبره يطاف عليهم
وقوله ادخلوا الجنة متصل بقوله يا عبادي وهو اعتراض بين المبتدا والخبر والمبتدا اعتراض بين
المنادى والمنادى به انتم وازواجكم قيل الحور ● وقيل النساء المسلمات تحبرون تسرون سرورا
يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم ● وقيل تكرمون اكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة اي فيها طعام من ذهب اي
صحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو الكوز لا عروة له اي من ذهب ايضا ● وفيها اي وفي الجنة
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهذا حصر الانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب ● واما مستلذة
في العيون ● قال القفال جمع بهذين اللفظين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل
لم يخرجوا عنه ● وتلك اشارة الى الجنة المذكورة في قوله ادخلوا الجنة وهي مبتدا والجنة التي بعدها
خبر التي اورثتموها صفة الجنة ● وقيل الجنة صفة للمبتدا اعني تلك التي اورثتموها خبر المبتدا وقيل
التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر يتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه
الاول يتعلق باورثتموها وشبهت في بقايها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة لكم فيها فاكهة
كثيرة يتعللون بها بعد الطعام والشراب منها اي ما اشتهيتم منها تاكلون ● وهذا رد على من زعم
على ان لا اكل في الجنة ● عن ثوبان انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينزع رجل في الجنة
من ثمرها الا انبت الله مكانها مثلاها في التبعيض اي لا ياكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها
فهو مزينة في الثمار ابدا موفرة بها الاشجار عريانة من ثمرها كما في الدنيا **قوله تعالى**
ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ● وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون ● لقد جيناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون
ام ابرموا امرا فانا مبرمون ● ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل
لما ذكر الوعد للمتقين ● اردفه بالوعيد للمجرمين ● ان المجرمين المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر
لا يخفف عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم في العذاب
مبلسون ايسون ● والمبلس الساكت سكوت يايس من فرج ● وعن الضحاك يجعل المجرم اي المشرك

ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة ابو بكر

نا

في تابوت من نار ثم يرد م عليه ينبقي فيه خالدا لا يرى ولا يرى • وما ظلمناهم بالعذاب ولكن
كانوا هم الظالمين انفسهم بكفرهم • هم فصل عند البصريين • عماد عند الكوفيين • ونادوا يعني المجرمين
يا مالك خازن النار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا اي يميتنا ربك
فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون لابثون • مقيمون في العذاب ابدا لا تتخلصون عنه ○
لا بموت ولا بثبور • وقيل هذا يمس منهم لاطمع لانهم يعلمون انه لا خلاص لهم • قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا
مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون • لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل اي جاءكم رسلنا بالحق
المحض الذي لا باطل معه • ويجب ان يكون في قال ضمير الله تعالى • لما سالوا مالكا ان يسال الله القضا
عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون لان مع الباطل
الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا عدل من الخطاب الى الغيبة والمعنى ام ابرموا ام احكموا يعني
مشركي مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون محكمون كيدنا
كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون • وكانوا يتنادون فيتناجون
في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم الذي حدثوا به انفسهم وغيرهم في مكان
خال ونجواهم الذي تكلموا به فيما بينهم بلى نسمع سرهم ونجواهم ونطلع عليهما ورسلنا ايضا لديهم يكتبون •
يعني الحفظة وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء
في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ○ **قوله تعالى**
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين • سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون •
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ○ • وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح
توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى
طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل
لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة
عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها
فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيها على ابلغ الوجوه
واقواها • وقيل معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم فانا اول الموحدين المؤمنين بالله
في تكذيبكم والجاحدين لما قلتم من ان له ولدا • ابن عباس يعني ما كان للرحمن ولد وانا اول
الشاهدين له بذلك والعابدين له جعل ان بمعنى النفي والجحد يعني ما يكون وما ينبغي له ولد ثم ابتدا
فانا اول العابدين • وقيل فانا اول الانفين • وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول من يعبد ذلك
الولد ولكن ليس له ولد • وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اعبد الله على هذه الصفة لكن ليس له ولد ولم
يثبت فليس الى اعتقاده سبيل وهذا تعريض الكلام كما قال وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ولكن لست باول العابدين فليس لله ولد وهذا ○
الوجه مطابق لظاهر اللفظ موافق للحق ولا محذور فيه وهذا كما يقال ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة
متساويين لكن لم تنقسم الخمسة بمتساويين فلم يكن زوجا سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون • ثم نزه ذاته المقدسة موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد
ليدل على ان اتخاذ الولد من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره
فذرهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيامة

وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض في الباطل واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انهم من الذين ختم الله على قلوبهم واضلهم ومن يضلل الله فلا هادي له ○ **قوله تعالى**
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم • ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف
في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك
قلت جواد في طي وجواد في تغلب والمعنى وهو المعبود الذي يعبد في السماء ويعبد في الارض • وفيه نفي
الالهة التي تعبد في الارض وهو الحكيم في تدبير خلقه على احسن الوجوه العليم بصلاحهم **قوله
تعالى** وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
تبارك اما يعتبر فيه معنى الثبات والبقاء واما يعتبر فيه كثرة الخير • وعلى التقديرين لم يكن بين عيسى
وبينه تعالى مجانسة ومشابهة اما الاول فلانه تعالى دايم البقاء واجب الوجود وعيسى لم يكن كذلك
فلا يكون بينهما مجانسة • واما الثاني فلانه من خزائنه خلق السموات والارض وما بينهما ولم يكن عيسى
كذلك فلا يكون مجانسا له ولا يكون ولدا • وعنده علم الساعة • لما شرح كمال قدرته شرح كمال علمه فقال
وعنده علم الساعة والمقصود التنبيه على ان من كان كاملا في ذاته وقدرته وعلمه امتنع ان يكون من هو
عاجز فاصر في العلم ولدا له واليه ترجعون • قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء من تحت والباقون
بالتاء ○ **قوله تعالى** ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد ○
بالحق وهم يعلمون • قيل اراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة ومن في محل الخفض ومعنى
الاية ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الشفاعة الا لمن شهد بالحق فامن على علم وبصيرة • وقيل اراد
بالذين يدعون الاوثان والمعبودين من دون الله ومن في محل الرفع والمعنى ولا يملك المعبودون
من دون الله الشفاعة الا من شهد بالحق وهم عيسى وعزير والملائكة يشهدون بالحق وهم يعلمون حقيقة
ما شهدوا به **قوله تعالى** ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يوفكون اي ولئن
سالت يا محمد العابدين • وقيل المعبودين • وقيل جميعا من خلق العابدين • وقيل المعبودين • وقيل
هما جميعا ليقولن الله فانى يوفكون يصرفون عن الحق الى الباطل وقيل فانى يكذبون • والمقصود ○
التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق العابدين والمعبودين هو الله فكيف اقدموا مع هذا الاعتقاد
على عبادة المخلوق اصناما او غيرها **قوله تعالى** وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون • قرا عاصم وحمزة وقيله بكسر اللام على معنى وعنده علم الساعة
وعلم قيله وهذا العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن
اعتراضا • ومع تنافر النظم والباقون بفتح اللام والاوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف
القسم وحذفه ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب ان هؤلاء
قوم لا يؤمنون • والضمير في قيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم
لدعائه والتجائه اليه • فاصفح عنهم وعن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل سلام اي تسلم
منكم ومتاركة • وقيل معروف ثم نسخ بالقتال • وقيل قد يكون ذلك مع الامر بالقتال حتى حسب اختلاف
الاحوال • وقيل قل ما تسلم من شرهم واحلم عنهم • وقيل خيرا بدل سرهم ودعهم وقيل هو مما ندب اليه
في مواضع قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقيل من شان
العرب ختم كل امر يبلغون اخره بالسلام كانهم يقولون انهينا ما اردنا وتخلصنا منه والسلام •
فسوف يعلمون • وعيد لهم من الله تعالى وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم • قرا اهل المدينة ○
والشام بالتاء من فوق • والباقون بالياء • والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب ••

سورة الدخان مكية

وهي الف واربعماية واحد وثلاثون حرفا وثلاثماية وست واربعون كلمة وتسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين بل هم في شك يلعبون الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتدا المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها والكتاب المبين القران انا انزلناه جواب القسم في ليلة مباركة ليلة القدر قتادة وابن زيد هي ليلة القدر انزل الله تعالى القران في ليلة القدر من ام الكتاب الى السما الدنيا ثم انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والاعوام وقيل هي ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المومنين البراة في هذه الليلة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا يومها فان الله عز وجل ينزل لغروب الشمس الى سما الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة ماية ركعة ارسل الله اليه ماية ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يومنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او شاحن او مدمن خمر او مصر على الزنا وما اعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين منها ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم جملتان مستانفتان ملفوفتان فسرتا جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الاية فيها يفرق كل امر حكيم يفرق كل امر حكيم محكم الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر من شهر رمضان كل اجل وعمل ورزق وما يكون في تلك السنة ابو عبد الرحمن السلمي يدبر امر السنة في ليلة القدر امرا اي انزلنا امرا من عندنا وقيل امرا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد بالامر الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشي وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد

الضميرين

الضميرين في انا انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه امرين امرنا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل انا كنا مرسلين قيل بدل من قوله انا كنا منذرين رحمة من ربك مفعولا له ووصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الاية كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وجل لان المقصود في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه رب السموات والارض قرا اهل الكوفة رب السموات بالجر بدلا من ربك والباقون بالرفع على انه بدل من قوله هو السميع العليم وقيل هو مبتدا ان كنتم موقنين كانوا يقرون بان السموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قال ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر سخاوه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين بل هم في شك يلعبون ثم رد الله تعالى ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب **قوله تعالى** فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فارتقب فانتظر ويقال ذلك في المكروه والمعنى فانتظر يا محمد عذابهم فحذف مفعول فارتقب لدلالة ما ذكر بعده عليه وهو قوله هذا عذاب اليم وقيل يوم تاتي السما مفعول به مرتقب يقال رقبته فارتقبته نحو نظرته فانتظرته بدخان مبين عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص في قوله عز وجل يوم تاتي السما بدخان مبين انه دخان ياتي يوم القيامة فياخذ بانفاس الكفار والمنافقين واسماعهم وابصارهم وياخذ المومنين منه شبه الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا ايها الناس اتقوا الله من علم شيا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله اعلم فان الله سبحانه قال لنبيه عليه السلام قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وساحدثكم عن ذلك ان قريشا لما ابطات عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم سبع سنين كسني يوسف عليه السلام فاصابهم من الجهد والجوع ما اكلوا العظام والميتة والجلود وجعلوا يرفعون ابصارهم الى السما فلا يرون الا الدخان من ظلمة ابصارهم من شدة الجوع فاتاه ابو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جيت تامرنا بالطاعة وصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع لهم فانهم لك مطيعون قال الله تعالى انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب فدعا فكشف عنهم فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فهذه خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم وقيل بل هو دخان يجي قبل قيام الساعة فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالراس الحنيذ ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس له خصاص قالوا لم يات بعد وهو ات وهذا قول ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي يدل عليه ما روي عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم تملا ما بين المشرق والمغرب تمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن عبد الله بن ابي مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى اصبحت قلت لم قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى اصبحت ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وهذا عذاب الى قوله مومنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قايلين ذلك انا مومنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب قال الله تعالى انى لهم الذكرى اي لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول البلا وحلول العذاب والمعنى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون الى كفركم قتادة عايدون في عذاب الله وقيل انكم عايدون اي ثم ما تنكشف عنكم العذاب يعودون الى شرككم لا تلبثون عقب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال واذا اتت السما بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى وهو يوم بدر انا منتقمون الحسن هو يوم القيامة وروي عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وانا اقول هي يوم القيامة انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم يوم نبطش منصوب بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان يحجب عن ذلك ٥ **قوله تعالى** ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين لما بين ان كفار مكة يصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة في قوم فرعون فقال ولقد فتنا اي امهلنا ووسعنا على قوم فرعون في الرزق فكان له ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الاثام وقيل ابتليناهم بارسال موسى اليهم ليومنوا فاختاروا الكفر على الايمان وقيل فتنا قبلهم قوم فرعون اي سلبناهم ملكهم واغرقناهم وجاءهم رسول كريم على الله وعلى المومنين وهو موسى بن عمران وقيل شريف وسط في قومه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا هي ان المفسرة لان مجي الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وقيل هي المخففة من الثقيلة معناه وجاءهم لان الشان والحديث ادوا ادفعوا الي عباد الله يعني بني اسرايل ولا تعذبوهم فقوله عباد الله مفعول به يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرايل وقيل يجوز ان يكون ندا العباد اي الله على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي

عليكم من الايمان وقبول طاعتي ودعوتي واتباع سبيلي اني لكم رسول امين تعليل لقوله ادوا الي عباد الله امين على الوحي غير متهم في ارادة الخير لكم وان لا تعلوا ان هي مثل الاولى في وجهيها لا تعلوا لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه وقيل لا تستكبروا على نبي الله وقيل لا تطغوا ولا تعلوا على الله فتفتروا وتخالفوا امره اني اتيكم بسلطان مبين ببرهان مبين بين في نفسه واضح موضح لدين الله ٥ الذي هو الصراط المستقيم فتوعدوه بالقتل فقال واني عذت التجات الى ربي وربكم ولذت به وتوكلت عليه ان ترجمون من ان تقتلوني رجما بالحجارة وقيل من ان تشتموني وتنسبوني الى السحر وقيل عذت بالله من ان ترجموني فلا تقدرون على قتلي من قوله لا تخافا انني معكما وقيل المجاز قوله عذت بربي استعذت بالله واقسمت عليه ان يفعل كذا وقيل اني عايذ بربي وربكم متكل على ان يعصمني منكم ومن كيدكم غير مبال بما كنتم تتوعدونني من الرجم والقتل وان لم تومنوا لي وان لم تصدقوني فيما اخبركم به عن الله فاعتزلون فدعوني وخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان واليد وقيل يريد ان لم تومنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يومن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الى بشركم واذاكم فليس جزا من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه شاكيا قومه ان هولا بان هولا اي دعا ربه بان هولا قوم مجرمون مشركون قيل كان دعاوه اللهم عجل لهم ما يستحقونه ٥ باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين واما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين فاسر بعبادي قيل القول مضمر بعد الفا فقال اسر بعبادي وقيل فاسر جواب شرط محذوف كانه قيل ان كان الامر كما يقول فاسر بعبادي اي فاسر ببني اسرايل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه اذا علموا بخروجكم من مصر فقد دبر الله ان يتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا واترك البحر اذا قطعته انت واصحابك رهوا ساكنا على حالته وهيئته قال الاعشى

تمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الاعجاز تتكل

اي مشيا ساكنا على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الما وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم عز وجل وقيل الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون مهلكون بالما بعد خروجك من البحر كم تركوا كم عبارة عن الكثرة من جنات بساتين كثيرة الاشجار وعيون نابعة بالما سعيد بن جبير عيون الذهب وزروع فنون الاقوات وانواع الاطعمة اي كانوا اهل ريف وخصب خلاف حال العرب ومقام مجلس كريم شريف واما سماه كريما مجلس الملوك مجاهد وسعيد بن جبير هي المنابر قتادة كريم حسن ونعمة تنعم في عيش كانوا فيها فاكهين لاعبين لاهين ناعمين فكهين اشرين بطرين معجبين بذلك كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم من قرابة ولا دين ولا ولا وهم بنو اسرايل كانوا مسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم وقيل الكاف في كذلك في محل الرفع على الامر كذلك فما بكت عليهم السما والارض اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السما والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس والمومن اذا مات بكت عليه السما والارض اربعين صباحا عطا بكاوها حمرة اطرافها السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السما وبكاوها حمرة اطرافها محمد بن سيرين قال اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين سليم القاص مطرنا دما ايام قتل الحسين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا وله بابان

في السما باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله وكلامه • فاذا مات فقداه وبكيا عليه • وتلا هذه الاية فما بكت عليهم السما والارض وذلك انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السما من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب • ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا الا غربة على مومن ما مات مومن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السما ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السما والارض • ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر وقال جرير • تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ٥ • وقالت الخارجة •

• ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف •

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكا عليه • وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكى مصلى المومن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السما تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السما والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية بحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السما والارض • وعن الحسن فما بكى عليهم الملايكة والمومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين موخرين عن العذاب ولا طرفة عين • مقاتل لم ينظروا بعد الايات التسع اي لما جا وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر ولم يمهلوا الى الاخرة بل عجل لهم في الدين ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين • اي استعباده ابناهم واستخدامه لهم وقيل هوا ولادهم من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم وقيل من العذاب المهين • واقعا من جهة فرعون انه كان عاليا متكبرا من المسرفين ٥ ••

قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين • واتيناهم من الايات ما فيه بلا مبين ولقد اخترناهم يعني موسى وبني اسرايل على علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقا بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض العالمين على العالمين يعني عالمي زمانهم • وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبيا منهم واتيناهم من الايات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى • وغير ذلك من الايات العظام التي لم يظهر الله سبحانه وتعالى في غيرهم مثلها ما فيه اي اتيناهم معجزات موسى وساير انبيا بني اسرايل ما فيه بلا نعمة مبين ظاهر لان الله تعالى يبلونا بالنعمة كما يبلونا بالمحنة • قتاده نعمة بينة حين فلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى ابن زيد ابتلاهم بالرخا والشدة وقرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة ٥ ••

قوله تعالى ان هولا ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين • فاتوا باباينا ان كنتم صادقين • افهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين • ان هولا يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي انه قيل لهم انكم تموتون موتة يتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان يتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى وما نحن بمنشرين بمبعوثين بعد الموت • يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا باباينا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كنتم صادقين • ان نبعث احيا بعد الموت فعجلوا لنا احيا من مات من اباينا بسوالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم

النشور • وقيل لم يجبهم الله تعالى بل اوعدهم • وانما لم يجبهم لان البعث الموعود انما هو في دار الجزا يوم الجزا والذي كانوا يطلبونه بعث في الدنيا وحالة التكليف وبينهما تغاير اهم خير ام قوم تبع • قتاده هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان اذا كتب كتابا كتب باسم الذي ملك برا وبحرا وصحا وريحا وذكر ان كعبا يقول ذم الله قومه ولم يذمه • وكانت عايشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا قال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت • عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبع نبيا كان او غير نبي • وقيل نظروا الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا يشركان بالله شيا • وقيل لملوك اليمن التتابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس • ومعنى قوله اهم خير في القوة والمنفعة كقوله عز وجل اكفاركم خير من اوليكم بعد ذكر ال فرعون • وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الخالية اهلكناهم انهم كانوا مجرمين • يجوز ان يكون اهلكناهم خبرا عن الذين من قبلهم • ويجوز ان يكون استينافا يعود الى قوم تبع والذين من قبلهم فيكون التقدير اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم خبر انهم كانوا مجرمين كافرين بكون البعث ٥

قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين • ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين لاعبين عابثين لاهين • ما خلقناهما الا بالحق بسبب الحق • وقيل للحق وهو الجزا والحساب • وذلك يقتضي البعث والنشور • وقيل الباللحال اي محقين وقيل بالحق ضد اللعب • ولكن اكثرهم لا يعلمون انه خلق لذلك ٥

قوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين • يوم لا يغني مولى عن مولى شيا ولا هم ينصرون • الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم • ان يوم الفصل يعني يوم القيامة يفصل بين الحق والمبطل • وقيل يفصل بين الولد والوالد والرجل وزوجته • والمرء وخليله • ميقاتهم اجمعين • وقت موعودهم كلهم يوم لا يغني لا يدفع ولا يمنع مولى كان من قرابة او غيرها عن اي مولى كان شيا من اغنا اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله ويجوز ان ينصب على الاستثنا انه هو العزيز على اعدايه الرحيم لاوليايه

قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سوا الجحيم • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم • ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون • روي انه لما نزل اذ ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم • قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الفاجر الكثير الاثام • وعن ابي الدردا انه كان يقري رجلا فكان يقول طعام اليتيم فلما اكثر عليه ابو الدردا قوله طعام الاثيم وراه لا يفهم • قال قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جايز اذا كانت موديه معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رحمه الله القراة بالفارسية على شريطة وهي ان يودي القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيا قالوا وهذه الشريطة انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز لفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رضي الله عنه مثل قول صاحبيه في انكار القراة

بالفارسية كالمهل اي دردي الزيت يدل عليه قوله يوم تكون السما كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان
وقيل هو ذايب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر يغلي في البطون ٥ قرا ابن كثير وحفص بالياء
من تحت على ان يكون الفعل للمهل والباقون بالتا لتا نيث الشجرة كغلي الحميم اي غليا كغلي الحميم اي الماء
الحار الذي انتهي غليانه خذوه ثم يقول الله للزبانية خذوه اي الاثيم ٥ فاعتلوه سوقوه وادفعوه الي النار
يقال عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالعنف ٥ والدفع والجذب ٥ وقيل قودوه بعنف وغلظة وهو ان
يوخذ بتلبيب الرجل فيجر الي حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي ٥ قرا ابو عمرو واهل الكوفة
بكسر التا والباقون بضم التا الي سوا الجحيم ٥ وسطها ومعظمها ٥ وقيل وسطها الذي يستوي المسافة اليه
من جميع اطرافه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ٥ والحميم مصبوب فوق راسه ياخذ جميع بدنه
من خارج ٥ والزقوم في جوفه من داخل ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل صبوا
فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق روسهم الحميم لان الحميم هو الموصوف لا عذابه ٥ قلت
اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله
صبت عليه صروف الدهر من صبب ٥ وكقوله افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به
الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب ذق انك انت العزيز الكريم ٥ على سبيل الهزء والتهكم بمن كان
يتعزز ويتكرم على قومه ٥ وقيل انك الذي تطلب العز والكرم بمعصية الله في قومك ٥ وقيل هو
على الضد اي الذليل المهين ٥ روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا
اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان يفعلا بي شيا ٥ قرا الكسائي انك بالفتح على معنى لانك
والباقون بالكسر على الاستيناف ان هذا اي يقال لهم ان هذا العذاب او الامر هو ما كنتم
به تمترون تشكون وتتمارون وتجادلون لدفعه اذا انذرتموه ٥ **قوله تعالى**
ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك
وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم
عذاب الجحيم ٥ فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ٥ فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ٥
فارتقب انهم مرتقبون ٥ ان المتقين في مقام قرا اهل المدينة والشام بضم الميم من المقام على
المصدر اي في اقامة وقيل هو موضع الاقامة والباقون بفتح الميم وهو موضع القيام والمراد
المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم امين ٥ قيل كريم ٥ والامين ضد الخاين فوصف
به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى من المكاره في جنات وعيون
بدل من مقام امين يلبسون من سندس وهو ما رق من الحرير او الديباج واستبرق وهو ما غلظ
منه وهو تعريب استبر ٥ واذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا
بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرايه على اوجه الاعراب ٥ متقابلين في مجالسهم ٥ وقيل
يتقابلون اذا جاءهم من الحور العين ٥ وقيل من التبود اي يقبل بعضهم بعضا ويتوادون من غير
عداوة ولا منافسة كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك وزوجناهم اي وكما اكرمناهم بجنات
وعيون ولباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين ٥ وقيل الكاف منصوب على مثل ذلك
اثبناهم وزوجناهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يعني سوى الموتة الاولى وبعدها وضع
الا موضع بعد كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف ٥ يعني بعد ما فعل اباوكم ٥
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من
الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى

موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان
كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها ٥ ووقاهم عذاب الجحيم فضلا عطا من
ربك اي كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار ٥ فضل من ربك ذلك الفضل هو الفوز العظيم
فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين ٥ فانما يسرناه سهلناه حيث انزلناه
عربيا بلسانك بلغتك لعلهم يتذكرون واجب عليهم ان يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم
مرتقبون ما يحل بك يتربصون بك الدواير ٥ وهذا وعد للمتقين ٥ ووعيد للمشركين ٥ ٥

سورة الجاثية مكية

وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتاده والجمهور ٥ وحكي عن ابن عباس وقتادة انهما
قالا هي مكية كلها الا اية وهي قوله قل للذين امنوا يغفروا وهي الفان ومايه واحد وتسعون حرفا
واربعماية وثمان وثمانون كلمة ٥ وسبع وثلاثون اية ٥ **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم ان جعلتها اسما مبتدا
مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تنزيل حم تنزيل الكتاب من الله صلة للتنزيل وان جعلت
حم تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا والمعنى القران كلام الله العزيز في انتقامه
الحكيم في تدبيره ٥ وليس كما زعم المبطلون انه شعر او كهانة او يقوله محمد ٥ **قوله تعالى**
ان في السموات والارض لايات للمومنين ٥ وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون ٥
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السما من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح
ايات لقوم يعقلون ٥ يجوز ان يكون على ظاهره وان تكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وما
يبث عطف على خلقكم المضاف ولا يكون معطوفا على كم الذي هو مضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور
يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك ٥ وزيد وهذا ابوك وعمرو ٥ وكذلك ان اكدوه كرهوا
ان يقولوا مررت بك انت وزيد وما يبث من دابة ايات قرا حمزة والكسائي ويعقوب ايات بكسر
التا وكذلك التي بعدها ردا على قوله لايات وتوحيد الريح والباقون برفعهما قال صاحب
الكشاف قري ايات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو
في السوق ٥ واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سوا نصبت او رفعت فالعاملان
اذا نصبتها ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا
رفعتها فالعاملان الابتدا وفي عملت الرفع في ايات والجر في واختلاف والمعنى ان المنصفين من العباد
اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله عز
وجل واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الي حال وهيئة الي هيئة وفي خلق ما على الارض
من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في ساير الحوادث التي تتجدد
في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة الارض بها بعد موتها ٥ وتصريف الرياح
جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق
قوله تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون
تلك اشارة الي الايات المتقدمة اي تلك الايات ايات الله نتلوها عليك في محل النصب على الحال
اي متلوة عليك بالحق محقين وقيل نخبرك بها بالحق لا بالباطل ٥ وقيل لاجل الحق الذي قصدناه ٥ وقيل
المراد بالحق هو ان صحتها معلومة بالدلايل العقلية اي بسبب الاعجاز والعامل في الحال ما دل عليه تلك من

معنى الاشارة ونحن هذا بعلي شيخا • فباي حديث بعد الله اي بعد حديث الله وهو كتابه وقرانه كقوله
الله نزل احسن الحديث واياته حججه وادلته يومنون • قرا اهل الكوفة والشام بالتا من فوق
واختلف فيه عن عاصم ويعقوب والباقون بالياء **قوله تعالى** ويل لكل افاك اثيم
يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيا اتخذها
هزوا اولئك لهم عذاب مهين • من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيا ولا ما اتخذوا من دون
الله اولياء ولهم عذاب عظيم • هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم • لما بين
الايات للكفار وبين انهم باي حديث بعدها يومنون اذا لم يومنوا بها مع ظهورها اتبعه بوعيد
عظيم لهم فقال ويل لكل افاك كذاب اثيم مبالغ في اقتراف الاثام يسمع ايات الله اي القران تتلى عليه
اي يسمع النبي يقرا ايات الله فحذف المفعول الاول تتلى عليه حال من ايات الله ثم يصر يقبل على كفره ويقيم
عليه واصله من اصار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات
والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في نضر بن الحارث وما كان
يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة فيمن كان مضارا لدين
الله ومعنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا كمعناه في قول القايل • يرى غمرات الموت ثم يزورها •
وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها • واما زيارتها والاقدام
على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي مستبعد في
العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه كان مستبعدا في
العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها
والضمير ضمير الشان كما في قوله • كان ظبية تعطو الى ناضر السلم • ومحل الجملة النصب على الحال
اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم • قيل هذا استهزاء وقيل اخبره خبرا يظهر اثره على بشرته من
الترح واذا علم من اياتنا شيا • واذا سمع من اياتنا شيا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا
ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله عز وجل على محمد صلى الله
عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحمل واذا علم من اياتنا شيا يمكن
ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك
نحو اعتراض ابن الزبعرى في قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته محمد صلى الله عليه
وسلم • وقوله خصمتك اولئك • اشارة الى كل افاك اثيم لهم عذاب مهين مذل مخز • ثم وصف كيفية
ذلك العذاب المهين • فقال من ورائهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال

• اليس ورائي ان تراخت منيتي • ادب مع الولدان ارجف كالنسر •

ومنه قوله عز وجل ومن ورائهم اي ومن قدامهم والاولى ان يحمل عليهما اي من خلفهم ومن قدامهم جهنم
ولا يغني ولا يدفع عنهم ما كسبوا اي كسبهم المال والاولاد شيا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله من
الاصنام اولياء ولهم عذاب عظيم • فان قيل انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين فما الفايدة في
قوله بعده ولهم عذاب عظيم • قلنا كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب
وكونه عظيما يدل على كونه بالغا الى اقصى الغايات في الشدة هذا اي القران هدى اي هذا القران
كامل في الهداية كما تقول زيد الرجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والذين كفروا بايات ربهم لهم
عذاب من رجز اشد العذاب اي لهم عذاب من اشد العذاب **قوله تعالى** الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وسخر لكم ما في السموات

وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون • ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك
على وجه الارض فذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثة اشيا • الرياح التي تجري على وفق المراد • وخلق
وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك • وخلق الخشبة على وجه يبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص
فيه وهذه الاحوال الثلاثة لا يقدر عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه
الله الذي سخر لكم البحر سهل لكم ركوب البحر لتجري الفلك فيه بامره لتسخيره ذلك لكم دون غيره
ولتبتغوا من فضله بالتجارة وبالغوص على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك
من منافع البحر ولعلكم تشكرون • ولتشكروني على هذه النعم • وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
اي لولا ان الله تعالى اوقف اجرام السموات والارض في مقارها واحيازها لما حصل الانتفاع لكم جميعا
واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده اي انه تعالى مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه • وقيل يجوز ان يكون منه خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا
منه وقيل يجوز ان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدا قوله ما في السموات وما في الارض
جميعا منه • وقيل يجوز ان يكون ما في الارض مبتدا ومنه خبره • ان في ذلك في تسخير القوي
للضعيف لايات لقوم يتفكرون في خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما وفي تسخيرها لنا •
قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم الى ربكم ترجعون • لما علم عباده دلايل التوحيد والقدرة
والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق الفاضلة والافعال الحميدة فقال قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمه وقيل لا يتوقعون وقايع الله باعدايه من
قولهم لوقايع العرب • وقيل لا ياملون الاوقات التي وقتها الله عز وجل لثواب المومنين ووعدهم
الفوز فيها • القرظي والسدي نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة
كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال • ابن عباس ومقاتل نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وذلك ان رجلا من بني غفار كان يشتمه فهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يبطش به
فانزل الله هذه الاية وامره بالعفو عنه • ابن عباس لما نزلت من ذا الذي يقرض الله • قال
يهودي بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتمل على
سيفه وخرج في طلبه فجا جبريل الى محمد عليه السلام فقال ان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله واعلم يا محمد ان عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وطلب اليهودي فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طلبه فلما جا قال يا عمر ضع سيفك قال صدقت يا رسول الله اشهد انك ارسلت
بالحق قال فان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم والذي
بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي ليجزي • قرا اهل الكوفة والشام الا عاصما لنجزي بفتح النون
وكسر الزاي وفتح اليا والباقون بفتح اليا على وجه الخبر عن الله لذكر الله قبل ذلك قوما وجه
تنكيره وهم معارف مدح لهم وثنا عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم قوما مخصوصين لصبرهم واغضايهم على
اذى اعدايهم من الكفار وعلى ما كانوا تجرعوه من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه من عمل صالحا ذكر الحكم العام فلنفسه اي فلها الثواب • ومن اسا فعليها العقاب
ثم الى ربكم ترجعون **قوله تعالى** ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين • واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم

العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • انه تعالى بين انه انعم نعما كثيرة على بني اسرائيل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد • والمقصود ان يبين ان طريقة قوم النبي صلى الله عليه وسلم كطريقة من تقدم • ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم والحكمة والفقه • وقيل فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات الحلالات يعني المن والسلوى واللذيذ من الطعام وفضلناهم على العالمين حيث لم نوت غيرهم مثل ما اتيناهم • وقيل على عالمي زمانهم • وقيل خصصناهم بكثرة الانبياء من بين سائر الامم واتيناهم بينات ايات ومعجزات من الامر من امر الدين • وقيل بينات من الامر يعني احكام التوراة فما اختلفوا فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف من العلم وانما اختلفوا البغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • وقيل اراد بالاختلاف اختلافهم في اوامر الله ونواهيه في التوراة بغيا بينهم وحسدا الا عن جهل يكون به الانسان معذورا ٥ **قوله تعالى** ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون • انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين • هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون • امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالعدول عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له سوى اظهار الحق وتقرير الصدق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر اي طريقة ومنهاج من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل القاطعة والحجج الساطعة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك ولا توالهم انما توالي الظالمين من هو ظالم مثلهم انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ان اتبعت اهواءهم • وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي الظالمين وهم الكافرون يوالون الظالمين مثلهم وينصرونهم وقيل هم متفقون على عداوتك والله ولي المتقين اي موالي المتقين وما بين الفضل بين الولايتين • ولما بين الله تعالى هذه البيانات قال هذا بصائر للناس اي هذا القران بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى من الضلالة • ورحمة من العذاب لقوم يوقنون • اي للذين امنوا وايقنوا • ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من وجه اخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان • قال الامام ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على شيء اخر سواء كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير افيعلم المشركون هذا ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين • الذين اجترحوا اكتسبوا السيئات والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم • ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهم الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول • ظننت زيدا ابوه منطلق • قرا اهل الكوفة الا ابا بكر سواء نصب اجري سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا ابن جملة والباقون بالرفع والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هولاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هولاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله تعالى ورضوانه

واولئك

واولئك على الياس من رحمة الله تعالى والوصول الى هول ما اعد لهم • وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات • وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه • وقيل معناه المومن في الدنيا والاخرة مومن والكافر في الدنيا والاخرة كافر نزلت هذه الاية في نفر من مشركي مكة قالوا للمومنين لان كان ما يقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا • وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح • وعن بشير بن ابي طلحة قال بت عند الربيع بن الخثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليلته حتى اصبح ما يجوز هذه الاية الى غيرها ببكاء شديد • وعن ابراهيم بن الاشعث كنت كثيرا ما ارى الفضيل بن عياض يردد من اول الاية الى اخرها هذه الاية ويبكي ويقول — يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت

قوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون • لما بين ان المسلم والكافر لا يستويان في درجات السعادة اتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذا القول وخلق الله السموات والارض بالحق ولو لم يبعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق ولتجزى معطوف بالحق لان فيه معنى التعليل وقيل معطوف على معلل محذوف تقديره وخلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون **قوله تعالى** افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون • وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ثم عاد الى شرح احوال الكفار وقبائح طرايقهم فقال افرايت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الاله وقبلوا متابعة الهوى فكان هو مطواعا لهوى النفس متبع ما يدعو اليه فكان يعبده كما يعبد الرجل الهه ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله ولا يحل ما احل الله تعالى انما دينه ما هويت نفسه يعمل به لا يحجزه عن ذلك تقوى • وقيل افرايت من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما يهوى سعيد ابن جبير كانت قريش تعبد العزى وهو حجر ابيض حينا من الدهر • وكانت العرب تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيا احسن من الاول رموه او كسروه او القوه في بير وعبدوا الاخر فانزل الله عز وجل هذه الاية • مقاتل نزلت في الحرث بن قيس السهمي احد المستهزئين وذلك انه كان يعبد ما يهواه بنفسه سفيان بن عيينة انما عبدوا الحجارة لان البيت حجارة • الحسين بن الفضل في هذه الاية تقديم وتاخير تقديره افرايت من اتخذ هواه الهه • الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار • ابن عباس ما ذكر الله تعالى هوى في القران الا ذمه • عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال — ما عبد تحت السماء ابغض الى الله من هوى ٥ وقال — عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع • واعجاب المرء بنفسه • عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت —

والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ۞ مثل الفاري لنحت الجبل بالاظافير حتى تنقطع الاوصال
اهون من مخالفة الهوى اذا تمكن في النفوس ۞ سيل ابن المقفع عن الهوى ۞ فقال هوان سرقت
نونه ۞ ونظمه الشاعر ۞ نون الهوان من الهوى مسروقة ۞ واسير كل هوى اسير هوان
۞ وقال اخر ۞
۞ ان الهوى لهو الهوان بعينه ۞ فاذا هويت فقد لقيت هوانا ۞
۞ واذا هويت فقد تعبدك الهوى ۞ فاخضع لحبك كاينا من كانا ۞
۞ لعبد الله بن المبارك ۞
۞ ومن البلا وللبلا علامة ۞ ان لا يرى لك عن هواك نزوع ۞
۞ العبد عبد النفس في شهواته ۞ والحر يشبع تارة ويجوع ۞
۞ وهذا لابي العتاهية ۞
۞ فاعص هوى النفس ولا ترضها ۞ انك ان اسخطتها زانكا ۞
۞ حتى متى تطلب مرضاتها ۞ وانما تطلب عدوانكا ۞
۞ ابو بكر الدريدي ۞
۞ اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ۞ وكان اليها للخلاف طريق ۞
۞ فدعها وخالف ما هويت فانما ۞ هواك عدو والخلاف صديق ۞
۞ وقال ۞
۞ والنفس ان اعطيتها مناها ۞ فاغرة نحو هواها فاها ۞
سيل سهل بن عبد الله التستري عن الهوى فقال للسايل هواك داوك ۞ فان خالفته فدواوك
وهب اذا عرض لك امران شككت في خيرهما فانظر ابعدها من هواك فاته ۞ واضله الله
على علم منه بعاقبة امره ۞ وقيل اضله الله خذله ۞ وقيل على علم من الله بضلالته في سابق علمه ۞
وقيل على علم المراد به المعاند لان ضلالته على علم وختم على سمعه في هذه الاية ۞ قدم ذكر السمع على
القلب ۞ وفي سورة البقرة على العكس ۞ قال الامام والفرق ان الانسان قد يسمع كلاما فيقع
في قلبه منه اثر مثل ان جماعة من الكفار كانوا يلقون على النبي صلى الله عليه وسلم انه شاعر وكاهن
وانه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه واما
كفار مكة فهم كانوا يبغضونه بسبب الحسد الشديد فكانوا يسمعون اليه ولو سمعوا كلامه
ما فهموا منه شيا نافعا ففي الصورة الاولى كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس ۞ وفي
الصورة الثانية كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى البدن ۞ فلما اختلف الشان لا جرم ارشد
الله تعالى الى هذين القسمين بهذين الترتيبين الذين نبه عليهما ۞ ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام
قال فمن يهديه من بعد الله اي بعد ان اضله الله افلا تذكرون ايها الناس ۞ ثم انه تعالى حكى
عنهم شبهتهم في انكار القيامة وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا اي ونحيا اولادنا
وقيل يموت بعض ويحيى بعض ۞ وقيل يكون موتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك ۞ وقيل يصيبنا
الاثنان الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة ۞
قال الامام الذي خطر ببالي انه تعالى قدم ذكر الحيوة فقال ان هي حياتنا الدنيا ثم قال
بعدها نموت ونحيا يعني ان تلك الحيوة منها ما يطرا عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما
لم يطرا الموت عليها بعد وذلك في حق الذين هم احيا لم يموتوا بعد ۞ واما شبهتهم في انكار الاله القادر

الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر ۞ يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك
الموجبة لامتزاجات الطبايع ۞ واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحيوة واذا
وقعت على وجه اخر حصل الموت فالموجب للحيوة والموت تاثيرات الطبايع وحركات الافلاك ولا حاجة
في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهولا جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة ثم قال
وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ۞ والمعنى ان قبل النظر ومعرفة الدليل الاحتمالات باسرها قايمة
فالذي قالوه يحتمل وضده ايضا يحتمل وذلك هو ان يكون القول بالبعث والقيامة حقا وان يكون القول
بوجود الاله الحكيم حقا فانهم لم يذكروا شبهة قوية ولا ضعيفة في ان هذا الاحتمال الثاني باطل ولكنه
خطر ببالهم ذلك ۞ الاحتمال الاول فجزموا به واصروا عليه من غير حجة وبينة فثبت انه ليس لهم علم ۞
ويقين وجزم في صحة القول الذي اختاروه بسبب الظن وميل القلب اليه من غير موجب وهذه الاية
من اقوى الدلايل على ان القول بغير حجة وبينة قول باطل فاسد وان متابعة الظن منكر عند الله ۞
ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا باباينا ان كنتم صادقين
سمي قولهم حجة لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم وقيل لانه
في حسابهم وتقديرهم حجة وقيل لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما
ليس بحجة ۞ والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة ۞ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار هو الذي يهلكنا فيميتنا ويحيينا فقال الله تعالى
في كتابه وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فيسبون الدهر فقال
الله عز وجل يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار ۞ وعنه
صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لا يقل ابن ادم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر ارسل الليل
والنهار فاذا شيت قبضتهما ۞ وعنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ۞ قال
ابو عبيد القاسم بن سلام في تفسير هذا الحديث ان هذا مما لا ينبغي لاحد من الاسلام ان يجهل وجهه
وذلك ان من شان العرب ان يذموا الدهر ويسبوه عند المصايب والنوايب فيقولوا اخنى عليهم
الدهر ونحوتهم الايام ۞ واتى عليهم الزمان ۞ وما اشبه ذلك حتى ذكروها في اشعارهم ۞ قال
عمرو بن قميئة في ذلك ۞
۞ شعر ۞
۞ رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى ۞ فكيف بمن يرمي وليس برامي ۞
۞ فلو انها نبل اذا لاتقيتها ۞ ولكنني ارمى بغير سهام ۞
۞ على الراحتين مرة وعلى العصا ۞ انوء ثلاثا بعدهن قيامي ۞
قال ابو عبيد تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله هو الدهر ان الله عز وجل ياتي بالدهر
والشدايد والمصايب فاذا سببت وقع السب على الله لانه فاعل هذه الاشيا وقاضيها ومدبرها
الحسين بن الفضل مجازه فان الله مدهر الدهر من غير الميسور ومن لديه المعسور ودليل هذا
التاويل ما روي ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره ابوه عبد الله بن عمر وقال
له اياك يا بني وذكر الدهر وانشد لابي علي البلوي ۞ ولا تجالب البلوى فلا تشتم الدهرا ۞
۞ ولكن متى ما يبعث الله باعثا ۞ على معشر يجعل مياسرهم عسرا ۞
ان حجتهم على انكار البعث ان قالوا الوضح ذلك فاتوا باباينا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث
قل الله يحييكم ثم يميتكم لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مكيت الزموا
ما هم معترفون به من ان الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار

ان اضغوا واصغوا الي داعي الحق وهو جمعهم الي يوم القيامة • ومن كان قادرا علي ذلك كان قادرا علي الاتيان بابايهم وكان اهون شي عليه ثم يجمعكم الي يوم القيامة لاريب فيه في يوم القيامة • وقيل في الجمع اي لا ترتابوا فيه • وقيل قد قامت الدلايل علي صحة البعث فلم يبق فيه ارتياب • ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله علي البعث لاعراضهم عن التدبر والتفكر في الدلايل **قوله تعالي** ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يوميذ يخسر المبطلون • وتري كل امة جاثية كل امة تدعي الي كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون • هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون • فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين • واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلي عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين • لما احتج بكونه قادرا علي الاحيا في المرة الثانية في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة نصب علي الظرف والعامل فيه يخسر ويوميذ بدل منه ومعني يوميذ حينيذ يخسر المبطلون من لا حجة له وتري كل امة جاثية باركة مستوفزة علي الركب من هول ذلك اليوم • ابن عباس جاثية مجتمعة • قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثي • وقيل باركة جلسة المدعي عند الحاكم وقيل مستوفزة لا تصيب الارض الا ركبتاه واطراف انامله • وقيل متميزة وقيل خاضعة والجثو للكفار خاصة • وقيل عام يقال جثي يجثو اذا جلس علي ركبتيه كل امة رفع علي الابتدا تدعي الي كتابها الي صحايف اعمالها فاكتفي باسم الجنس كقوله • ووضع الكتاب فتري المجرمين مشفقين مما فيه • اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا محمول علي القول هذا كتابنا ينطق عليكم يبين لكم وضع النطق موضع البيان بالحق بالعدل • ولما كانت الاضافة تكون للملابسة وكان الكتاب لا بسهم ملابسة اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه • واما ملابسته اياه فيقال فلانه مالكه والامر ملايكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملايكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم • فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين • واما الذين كفروا جواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن اياتي تتلي عليكم والمعني الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلي عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم تعظمتم عن الانقياد والايمان بها وكنتم قوما مجرمين كافرين **قوله تعالي** واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين • ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون • فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين • وله الكبريا في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ قرا حمزة والساعة بالنصب عطفا علي وعد الله والباقون بالرفع عطفا علي محل ان واسمها قلتم ما ندري ما الساعة اي شي الساعة ان نظن الا ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثنا لنفي د اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوي الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين • وبدا لهم سيات ما عملوا اي نتايج اعمالهم او عقوبات اعمالهم والجزا لقوله وجزا سيية سيية مثلها • وحاق بهم احاط بهم ولزمهم ما كانوا به يستهزءون جزا استهزايهم • وقيل اليوم ننساكم نترككم في النار كما نسيتم تركتم الايمان بيومكم هذا • وقيل كما تركتم

علي

عن لقا يومكم هذا وهي الطاعة • وقيل نجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم بلقا يومكم ولم تخطروه ببال كالشي الذي يطرح نسيا منسيا • ومعني اضافة اللقا الي اليوم كمعني اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقا الله في يومكم هذا او لقا جزايه هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين تنصركم وتدفع عنكم ممن كنتم تتعززون بهم في الدنيا ذلكم العذاب بانكم • بسبب انكم اتخذتم ايات الله اي ما كان يتلي عليكم هزوا تنزلونها منزلة الهزء والذي لا يقبل عليه ولا يتدبر فيه وغرتكم الحيوة الدنيا اغتررتم بما مد لكم فيها من الحيوة السريعة الانقضا وما وسع عليكم من اسباب دنياكم فاليوم لا يخرجون منها لانهم فيها خالدون ولا هم يستعتبون لا يطلب رضاهم • وقيل لا يطالبون بالتوبة • وقيل لا يردون الي الدنيا • وقيل ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه • وقيل لا يراجعون الكلام بعد دخول النار • وقيل لا يقبل منهم العتبي وهو اعطا الرضي فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين • فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض والعالمين • فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد علي كل مربوب وكبروه فقد ظهرت اثار كبريايه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم وقيل ختم السورة بكلمة الاخلاص • وقيل قولوا الله عرفهم كيف يحمدون ربهم وله الكبريا في السما والارض اي العظمة والجلال • وقيل استحقاق التعظيم في اعلا المراتب له وحده وهو العزيز في سلطانه الحكيم فيما امر ونهي وخلق وقضي ۝ وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الاحقاف مكية

وهي الفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا • وثمانماية واربع واربعون كلمة • وخمس وثلاثون اية •

قوله تعالي بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم • ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمي والذين كفروا عما انذروا معرضون • الا بالحق اي الا خلقا متلبسا بالحق واقامة الصدق وقيل بالعدل في الخلق • وقيل لتدل علي وحدانية الله تعالي وقيل بالصدق • وقيل الا للبعث • وقيل الا بالحق معناه الا لاجل الرحمة والفضل والاحسان وان الاله يجب ان يكون فضله زايدا واحسانه راجحا ووصول المنافع الي المحتاجين اكثر من وصول المضار اليهم • الجبايي هذا يدل علي ان كل ما في السموات والارض من القبايح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده والا لزم ان يكون خالقا لكل باطل وذلك ينافي قوله وما خلقنا هما الا بالحق لان ذلك تصرف من الله تعالي في ملك نفسه وتصرف المالك في ملك نفسه يكون بالحق لا بالباطل والذي يقرر ما ذكرنا ان قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما يدل علي كونه خالقا لكل اعمال العباد من جملة ما بينهما فوجب كونها مخلوقة لله ووقوع التعارض في الاية الواحدة محال فلم يبق الا ان يكون المراد ما ذكرنا • فان قيل افعال العباد اعراض والاعراض لا توصف بانها بينهما • فنقول حينيذ سقط ما ذكرتموه من الاستدلال والاية دالة علي صحة البعث والقيامة لانه لو لم يتحقق البعث والقيامة بطل استيفا حقوق المظلومين من الظالمين وبطل توفر الثواب للمطيعين وتوفر العقاب علي الكافرين وهو ينافي قوله الا بالحق واجل مسمي اي باجل مسمي ينتهي اليه وهو يوم القيامة • وهذا يدل علي انه تعالي ما خلق هذا العالم ليبقي مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل ثم انه تعالي يفنيه ثم يعيده فيقع الجزا في الدار الاخرة فالاجل المسمي هو الوقت الذي عينه الله لافنا الدنيا • والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهايه اليه معرضون اي مع نصب هذه الدلايل ومع ارسال الرسل • ومع انزال الكتاب • ومع مبالغة الرسل في الترغيب

والبشارة والترهيب والانذار هولاء الكفار معرضون عن هذه الدلايل مصرين على الكفر وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال لا الاعراض عن الدليل **قوله تعالى** قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات والارض ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين لما قرر الاصل الدال على التوحيد واثبات العدل والرحمة والبعث والقيامة بني عليه التفاريع الاول الرد على عبدة الاصنام فقال قل يا محمد لهولاء المشركين ارايتم ما تدعون من دون الله اي تدعونه الها وقيل تعبدونه من الاصنام وقيل الملايكة والجن وعيسى اروني اخبروني ماذا خلقوا من الارض هل خلق واحد منهم شيا من الارض ام لهم شرك في السموات في خلقها وملكها ايتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب اي القران يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم الكلبي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين تقول العرب لهذه الناقة اثارة من سمن اي من بقية عكرمة ومقاتل رواية عن الانبيا واصل الكلمة من الاثر وهو الرواية يقال اثرت الحديث اثره اثرا واثارة كالشجاعة والجلادة والصلابة فانا اثره ومنه قيل للخبر اثر قال الاعشى

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والاثر

مجاهد رواية ياثرونها عمن كان قبلهم وقيل اثارة ميراث من علم وقيل خاصة من علم وقيل تبينه وقيل مناظرة من علم لان المناظرة في العلم مثيرة لمعانيه وقيل اجتهاد من علم ان كنتم صادقين في دعواكم فاتوني به **قوله تعالى** ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعايهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم انه تعالى بين فيما سبق ان القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة لها على الخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر ثم اردفه بدليل اخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهو انها جمادات فلا تسمع دعا الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين فالدليل الاول اشارة الى نفي القدرة والثاني الى نفي العلم فاذا انتفيا لم يصح عبادته ببديهة العقل ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعا السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعونه من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احدهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة وهم عن دعايهم غافلون لا يسمعون ولا يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني ادم اذ قد مثلها عبدتها بالملوك والامرا التي تخدم واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا يتولاهم في الدنيا بالاستجابة وكانوا بعبادتهم كافرين جاحدين وعنهم متبرين بيانه قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ووصفهم بترك الاجابة والغفلة طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحو قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد وقيل واضحات مبينات وهي القران قال الذين كفروا

للحق

للحق اللام فيه مثلها في قوله للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي لاجل الحق ولاجل الذين امنوا والمراد بالحق الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين ومن عنادهم وظلمهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كان تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات قل يا محمد لهولاء الكفار ان افتريته على سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيا اي افتريته على الله كما زعمتم فلا تملكون دفع عذابه عني ولا نفع لي من قبلكم وقيل ان افتريته عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافترا عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون على دفع شي من عقابه عني فكيف افتريته واتعرض على الله لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزا افاضتهم وهو الغفور لمن تاب من شركه واسلم وامن الرحيم لم يعجل بالعقوبة وهذا استعطاف وحكم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله لا تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافترا عليه

قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين قل ما كنت بدعا بديعا من الرسل مثل خف وخفيف ونصف ونصيف اي لست باول مرسل فلم تنكرون نبوتي هل انا الا كالانبيا وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قيل معناها وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون فرحا شديدا وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحدا وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما تقوله من تلقا نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فبين له امره ونسخت هذه الاية فقالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وعن خارجة بن زيد بن ثابت اخبره ان ام العلا امراة من الانصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته انهم اقتسموا المهاجرين سكناهم قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي غسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لعثمان بن مظعون رحمة الله عليك ابا السايب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله قد اكرمه قالت فقلت بابي يا رسول

الله ممن قال انا هو فقد جاه اليقين وما رأينا الا خيرا فوالله اني لارجو له الجنة والله ما ادري وانا رسول الله ماذا يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا قالوا وانما قال هذا حين لم يخبر بغفران ذنبه وانما غفر الله عز وجل له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته بسنتين وشيء • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النايم وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه وهم بمكة الى متى يكون في هذا البلا الذي نحن فيه ومتى نهاجر الى الارض التي اريت فسكت عنه السلام فانزل الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اانزل في مكاني او اخرج الى الارض التي رفعت لي • وقيل معناه ولا ادري ما يفعل بي ولا بكم والى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا الحسن في قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فقال اما في الاخرة فمعاذ الله قد علم انه في الجنة حين اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اخرج كما اخرجت الانبيا من قبل ام اقتل كما قتلت الانبيا من قبل ولا ادري ما يفعل بكم امتي المكذبة او المصدقة ام امتي المرمية بالحجارة من السما قذفا ام مخسوف بها خسفا • ثم انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يقول سيظهر دينكم على الاديان • ثم قال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبره الله بما يصنع به وما يصنع بامته وهذا قول السدي • الضحاك وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تومرون به وتنهون عنه • قال صاحب الكشاف • فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم • قلت اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان يكون استفهامية مرفوعة ان اتبع الا ما يوحى الي ولم يوح الي في هذا الباب شيء وما انا الا نذير مبين اقتصر على ما قص الله عليه من الانذار لكم • **قوله تعالى** قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • قل يا محمد لهولاء الكفار ارايتم اخبروني ان كان اي القران من عند الله • وقيل ان كان محمد من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قتادة والضحاك وابن زيد هو عبد الله بن سلام على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فامن به واستكبرتم • عن انس جا عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة • والولد ينزع الى ابيه او امه قال اخبرني جبريل عليه السلام انفا قال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملايكة اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب • واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ما الرجل نزعه وان سبق ما المراة نزعته • قال اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر • دليل هذا ما روى سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد

شهد

الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله • وقال اخرون هو موسى بن عمران روى الشعبي عن مسروق في هذه الاية قال والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة وانما كانت محاجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فانزل الله هذه الاية ومثل القران التوراة فشهد موسى عليه السلام على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على القران وكل منهما يصدق الاخر • وقيل هو ابن يامين • وقيل نبي من بني اسرائيل جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين • ويدل على هذا المحذوف • قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والواو في قوله تعالى وكفرتم للعطف على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو في قوله واستكبرتم للعطف على شهد شاهد • واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم • على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قوله ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت في انك اخذت ضميمين فقطعتهما على مثليهما • والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله ثم كفرتم به • واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم • ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين • هذه شبهة اخرى لقوم في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • قيل وقال الذين كفروا من اليهود للذين امنوا لو كان دين محمد خيرا ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه قاله اكثر المفسرين • قتادة نزلت في ناس من مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان ويختص الله برحمته من يشا الكلبي وقال الذين كفروا يعني اسدا وغطفان للذين امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم ورذال الناس قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به اي بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين • ومن قبله اي ومن قبل القران كتاب موسى اماما يوتم به • ورحمة لمن امن وعمل به ونصبا عن الحال • وقيل للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقرا مثل عمار وصهيب • وابن مسعود فلو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هولاء • وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا • فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وفلانة • وقيل كان اليهود يقولون عبد الله بن سلام واصحابه والعامل في اذ في قوله اذ لم يهتدوا به محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به • وقولهم حينئذ الان وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم • فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه • وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين • ومن قبله كتاب موسى مبتدا • ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قايما • ومعنى اماما قدوة يوتم به في دين الله وشرايعه كما يوتم بالامام • ورحمة لمن امن به وعمل بما فيه • وهذا القران كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لسانا عربيا • حال من ضمير الكتاب في مصدق

ليس

والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة • وقيل يجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي • وهو الرسول • لينذر • قرا اهل المدينة والشام والبزي بخلاف عنه ويعقوب على خطاب النبي عليه السلام والباقون بالياء خبرا عنه وقيل عن الكتاب الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية • وبشرى قيل في محل الرفع عطفا على الكتاب تقديره هذا الكتاب مصدق وبشرى • وقيل في محل النصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له •

قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون • ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها • وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة • قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين • اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون • ووصينا الانسان بوالديه حسنا • قرا اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها • قرا اهل الكوفة وابن ذكوان بضم الكاف في الحرفين والباقون بالفتح وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره • وحمله وفصاله ففطامه ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع حولان كاملان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر • ابن اسحاق حمله تسعة اشهر وفصاله من اللبن احد وعشرين شهرا • والمراد منه الرضاع لا الفطام • ولما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده • وفيه فائدة • وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال • ووقته • حتى اذا بلغ اشده نهاية قوته وقامته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة • قيل وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيه قوته وعقله وتمييزه • وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين • وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين • وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة • السدي والضحاك نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص • وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر • فلما بلغ ابو بكر الصديق رضي الله عنه اربعين سنة امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال لربه اني تبت اليك واني من المسلمين • وعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا في ابي بكر رضي الله عنه اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده • قال رب اوزعني الهمني ووفقني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي والنعمة التي استودع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه • وان اعمل صالحا ترضاه • قيل هو الصلوات الخمس واصلح لي في ذريتي بان تجعلهم مؤمنين صالحين • وقيل معناه اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم • ونحو يجرح في عراقيبها نصلي • قيل فاجاب الله سبحانه وتعالى ابا بكر رضي الله عنه في اولاده فاسلموا ولم يكن من الصحابة احد اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته الا ابا بكر رضي الله عنه وعنهم اني تبت اليك واني من المسلمين من المخلصين • اولئك الذين يتقبل قرا حمزة والكسائي وحفص نتقبل بالنون ونتجاوز ونصب احسن عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة فنثيبهم عليها ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم بها والباقون بهما بالياء

المضمومة فيهما ورفع احسن في اصحاب الجنة في جملة اصحاب الجنة ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ووعد ووعدهم فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون • وهو قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات

قوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين • اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين • ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون • والذي قال لوالديه مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني قرا الفاء بنونين مخففين وروى هشام عن اهل الشام بنون واحدة مشددة ان اخرج من قبري حيا بعد فناي وبلاي وقد خلت مضت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يستصرخان الله ويستغيثان به عليه ويقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعا عليه بالثبور • والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الذي تعداني وتدعواني اليه الا اساطير الاولين • ابن عباس وابو العالية والسدي ومجاهد نزلت هذه الاية في عبد الله • وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قال له ابواه اسلم والحا عليه في دعايه الى الايمان فقال احيوا الى عبد الله بن جدعان وعامر ابن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون • قال محمد بن زياد كتب معاوية الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الاية فسمعت عايشة رضي الله عنها فقالت والله ما هو به ولو شيت لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله • والذي يدل على صحة ما قالته عايشة رضي الله عنها ان الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن رضي الله عنه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم • اولئك الذين حق عليهم القول في امم وجب عليهم العذاب قوله في امم نحو قوله في اصحاب الجنة قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين • ولكل من الجنسين المذكورين درجات منازل ومراتب مما عملوا من الخير والشر ومن اجل ما عملوا من الخير والشر عند الله يوم القيامة فيجازيهم عليها • ابن زيد في هذه الاية درج اهل النار يذهب سفالا ودرج اهل الجنة علوا • فان قيل كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات • اجيب بانه يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتماله على الفريقين وليوفيهم قرا اهل مكة والبصرة وعاصم وهشام بالياء والباقون بالنون اعمالهم اي جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا ناصب الظرف القول المضمر قبل اذهبتم اي ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به • ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها • قيل يجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها • واستمتعتم

بها • قرأ ابن كثير ويعقوب أأذهبتم بالاستفهام • فقرأ ابن ذكوان بهمزتين محققتين وهشام
بهمزة وأخرى ممدودة والباقون بالخبر وهما صحيحان فصيحان لأن العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك
الاستفهام فيه فيقول أذهبت ففعلت كذا وكذا وذهبت ففعلت وفعلت فاليوم تجزون عذاب
الهون الهوان بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون • عن ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر كان آخر عهده
بإنسان من أهله وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة رضي الله عنها فلما قدم من غزوة فأتاها فإذا
بمسح على بابها • ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها • فلما رأت فاطمة
رضي الله عنها ذلك ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى فهتكت الستر ونزعت القلبين من
الصبيين رضي الله عنهما فقطعتهما فبكى الصبيان فقسمته بينهما نصفين فانطلقا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ثوبان
اذهب بهذا إلى ابني فلان أهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج
فإن هؤلاء أهل بيتي لا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا • وعن أبي هريرة إنما كان طعامنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسودان الماء والتمر والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ولا ندري
ما هي • وعن أبي بردة الأشعري عن أبيه قال أي بني لو شهدتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه
وسلم إذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن إنما كان لباسنا الصوف • وعن قتادة
ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لو شئت كنت أطيبكم طعاما • وألينكم لباسا
ولكني أستبقي طيباتي • وذكر لنا أنه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله قال هذا لنا
فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه
وسلم دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون
لها رقاعا قال أنتم اليوم خير أو يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة
ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير
فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم
تفسقون ٥ **قوله تعالى** واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم • قالوا
أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله وأبلغكم
ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم • تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين • ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون • لما أورد أنواع الدلائل في إثبات التوحيد والنبوة وكان أهل مكة
بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها ولذلك قال
في حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الأمر
كذلك بين أن قوم عاد كانوا أكثر أموالا وقوة وجاها منهم ثم إن الله سلط العذاب عليهم بسبب
كفرهم فذكر هذه القصة ها هنا ليعتبر بها أهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوا من الدنيا
ويقبلوا على طلب الدين فلهذا المعنى ذكر الله هذه الآية في هذا الموضع وهو مناسب لما تقدم

واذكر

واذكر يا محمد أخا عاد يعني هودا عليه السلام إذ أنذر قومه بالأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء وهو من احقوقف الشيء إذا اعوج • ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة
مقاتل كان منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة إليها تنسب الجمال فيقال
إبل مهرية ومهاري وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا
من قبيلة • الضحاك الأحقاف جبل بالشام • مجاهد هي أرض حسمى • قتادة ذكر لنا أن عادا كانوا
حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر • ابن زيد هي ما استطال من الرمل
كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا • الكلبي أحقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمان الغرق كان
ينضب الماء من الأرض ويبقى أثره • الخليل هي الرمال العظام • الكسائي هي ما استدار من الرمل
وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى منذر أي مضت الرسل من بين يديه أي من قبل هود ومن خلفه
والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم • وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو إنذاره • ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله • والذين بعثوا في زمانه
ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا أعلمت • وقد خلت النذر بقوله
أنذر قومه • ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر
قومه وبين ألا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم
وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم • قالوا أي قوم هود أجئتنا
لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا إلى دينك وهذا الإفك فأتنا بما تعدنا من العذاب الذي تتوعدنا
به من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت من الصادقين فيما تقول قال هود إنما العلم عند الله
بوقت مجيء العذاب لا عندي وأبلغكم ما أرسلت به أي الذي أمرت بتبليغه إليكم وليس فيه
تعيين وقت العذاب • قال صاحب الكشاف فإن قلت من أين طابق قوله إنما العلم عند الله
جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا • قلت من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب
ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به ريح • فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم
حكمة وصوابا إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم
ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار
والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا
إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه أي رأوا ما يوعدون به وقيل
منهم قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح عارضا سحابا
عرض في أفق من السماء مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا وإضافة مستقبل وممطر مجازية
غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة • بل هو القول قبله مضمر
والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب أليم تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية بإذن ربها
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني
أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام
وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله تغير لونك فيقول إني أخاف أن يكون مثل
قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا • فأصبحوا لا ترى قرأ عاصم وحمزة ويعقوب يرى بياء مضمومة

مساكنهم رفعا، قال الكسائي معناه لا يرى شي الا مساكنهم، وقال الفراء لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما يرى مساكنهم لانها قائمة والباقون بتا مفتوحة مساكنهم نصبا على معنى لا ترى يا محمد الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين اي من اجرم مثل جرمهم وهذا تحذير لمشركي العرب، قال صاحب الكشاف فاين اضافة الرب الى الريح الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته يعاضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما ان نافية اي فيما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع، ومثله مجيب اي مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من بسط الاجسام وقوة الابدان وطول العمر وكثرة المال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون منصوب بقوله فما اغنى عنهم وانما جرى مجرى التعليل لاستوا مودى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساته وضربته اذ اسا لانك اذا ضربته وقت اساته فانما ضربته فيه لوجود اساته فيه الا ان اذا وحيث غلبتا دون ساير الظروف في ذلك بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزون جزا استهزايهم

قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون، فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون، ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر وعاد وسدوم ونحوها وصرفنا الايات الحجج والبينات لعلهم يرجعون عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكنا فخوف اهل مكة فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا، الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة اي اتخذوهم شفعا يتقربا بهم الى الله حيث قالوا هولا شفعاونا عند الله واحد مفعولي اتخذوا راجع الى الذين اتخذوا والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى والمعنى فهلا منعهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا غابوا عنهم وعن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده واثر افترايهم على الله الكذب من كونه ذا شركا

قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم، يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اوليا اولئك في ضلال مبين، اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شي قدير، لما بين ان الانس منهم من امن ومنهم من كفر وان مومنيهم معرض للثواب وان كافريهم معرض للعقاب، واذ صرفنا املنا اليك نفرا واقبلنا بهم نحوك وقيل الجانهم وقيل وفقناهم بصرفنا اياهم عن بلادهم اليك والنفر دون العشرة ويجمع انفارا، وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا احد من انفارنا فلما حضروه اي حضر النفر من الجن القران اي فلما كان بمسمع منهم، وقيل حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا بعضهم لبعض انصتوا واسكتوا واستمعوا القران حتى كان يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم فلما قضي فرغ من تلاوة القران واستماع الجن ولوا الى قومهم منذرين مخوفين داعين بامر النبي صلى الله عليه وسلم، وروي انه لما مات ابو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى الطايف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر من ثقيف وهم يوميذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو

وثمود وارض حجر

وقيل معه زيد بن حارثة

ابن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم ودعاهم الى الله عز وجل وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لين كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولين كنت تكذب على الله ما ينبغي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ييس من خير ثقيف، وقال لهم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه فيتذمرهم عليه ذلك فلم يفعلوا واغروا به سفهاهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به صلى الله عليه وسلم حتى اجتمع عليه الناس والجاه الى حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفها ثقيف ومن كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفها ثقيف، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المراة من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمايك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا ارحم الراحمين، انت رب المستضعفين، وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني، او الى عدو ملكته امري، ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي، ولكن عافيتك هي اوسع الي، اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك، او يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك، فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اي اهل البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له وما يدريك ما يونس بن متى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه ويديه ورجليه فيقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا لقد خبرني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف راجعا الى مكة حين ييس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من اهل نصيبين اليمن، وكان سبب ذلك ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السما ورجموا بالشهب قال ابليس ان هذا الذي حدث في السما لشي حدث في الارض فبعث سرايا ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث ركب من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا وادي نخلة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القران فاستمعوا اليه وقالوا انصتوا، وقيل بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القران فصرف اليه نفر من الجن من نينوى وجمعهم له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا، ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فاطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله رضي الله عنه ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها

وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق
الي وقال انمت قلت لا والله ولقد هممت مرارا ان استغيث الناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا
قال لو خرجت لم آمن ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفري
ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة
فقالوا يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث ۝ فقلت يا رسول
الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها
حبها يوم اكل ۝ فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل بينهم فتحاكموا الي
فقضيت بينهم ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله معي اداوة
فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور ۝ قال قتادة
وذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم وقال
اظهروا فقالوا ان هولاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد الجن ۝ ابن عباس كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى
قومهم ۝ وقال اخرون وكانوا التسعة ۝ وقيل وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا
باسم ربك ۝ قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ذهب بعضهم الى انهم كانوا هودا
ولهذا قالوا من بعد موسى قال ابن عباس كانت الجن لم تسمع امر عيسى ولذلك قالوا من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه من الكتب يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ۝ يا قومنا اجيبوا داعي الله اي محمدا وامنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم قيل لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم
ونحوها ونحو قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم فقيل لا ثواب للجن الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب ۝ واليه ذهب ابو حنيفة والصحيح
انهم في حكم بني ادم لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه
هرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحو قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا
وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين ۝ اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن قيل لم يتعب وقيل لم يعجز ۝ وقيل لم تذهب وجه الحكمة عليه في خلقه من قولك
عييت بهذا الامر اذا لم تعرف وجهه وتحيرت فيه بقادر في محل الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله
قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وما في حيزها ۝ قال الزجاج لو قلت
ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء
من البعث وغيره لا لرويتهم ولان المعنى اليس الله بقادر على ان يحيي الموتى بلى جواب النفي انه على كل شيء من
الاحياء والاماتة قدير ۝ **قوله تعالى** ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ فيقال لهم اليس هذا بالحق اي هذا الجزاء
حق لا باطل ۝ وقيل معناه اليس هذا مستحق لكم قالوا بلى وربنا اعترفوا وحلفوا عليه اليس هذا بالحق
محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ۝ والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده ۝ وقولهم وما نحن بمعذبين
قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ۝ اولوا العزم اولوا الجد والثبات

والصبر

والصبر والحزم والصواب من الرسل اي من رسل الله الذين انت من جملتهم ۝ وقيل العزم توطين النفس على الفعل
مع البصيرة ۝ والمحققون على ان جميع رسل الله اولوا العزم ۝ ومن في الاية للتبيين لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان ابن زيد كل الرسل كانوا ذوي عزم لم يتخذ الله رسولا الا كان ذا عزم وانما دخلت من للتجنيس
لا للتبعيض كما يقال اشتريت الاكسية من الخز والاردية من البز ۝ وقيل كل الانبياء اولوا العزم الا يونس عليه
السلام وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله في عقبه ۝ اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده ۝ الكلبي هم الذين امروا بالقتال فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة بالبراءة وجاهدوهم
وقيل اولوا العزم اثني عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء اني مرسل عذابي
على عصاة بني اسرائيل فشق ذلك عليهم ۝ فاوحى الله اليهم ان اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت
بني اسرائيل وان شئتم انجيتكم وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينزل بهم العذاب
وينجي بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل وانزل باولئك العذاب وذلك ان سلط الله عليهم ملوك الارض فمنهم من
نشر بالمناشير ۝ ومنهم من سلخ جلد راسه ووجهه ومنهم من رفع على الخشب ۝ ومنهم من احرق بالنار صلوات
الله عليهم اجمعين ۝ وقيل هم ستة موسى ۝ وابراهيم ۝ ونوح ۝ وهود ولوط ۝ وشعيب ۝ وهم المذكورون على
النسق في سورة الاعراف والشعراء وقيل اصحاب الشرائع وهم خمسة نوح وابراهيم ۝ وموسى ۝ وعيسى ۝ ومحمد ۝
صلى الله عليه وسلم ۝ مقاتل اولوا العزم ستة نوح صبر على اذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم صبر على النار ۝ واسحاق صبر على الذبح ۝ ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره
ويوسف صبر في البير والسجن ۝ وايوب صبر على الضر ۝ الحسن البصري هم اربعة ۝ ابراهيم ۝ وموسى
وداود ۝ وعيسى ۝ فاما ابراهيم فعزمه انه قيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ۝ ثم انه ابتلي
في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به ۝ واما موسى فعزمه
حين قال له قومه انا لمدركون ۝ قال كلا ان معي ربي سيهدين ۝ واما داود فعزمه ان اخطا
خطيئة فنبه عليها فبكى اربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة وقعد تحت ظلها ۝
واما عيسى فعزمه انه لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها ۝ وقال
الله تعالى في ادم ولم نجد له عزما ۝ وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت فكان الله تعالى يقول
لرسوله صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اي كن صادقا فيما ابتليت
به مثل صدق ابراهيم عليه السلام ۝ واثقا بنصر مولاك مثل ثقة موسى فاهما لما سلف من هفواتك
مثل اهتمام داود ۝ زاهدا في الدنيا مثل عيسى ۝ قتادة نوح وابراهيم وعيسى وموسى ۝ ابو العالية كانوا
ثلاثة ابراهيم ۝ ونوح وهود ۝ ومحمد رابعهم صلى الله عليهم وسلم امره ان يصبر كما صبروا ولا تستعجل
لهم لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون
من العذاب في الاخرة لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار يعني في جنب يوم القيامة ۝ وقيل
لانه ينسيهم هول ما عاينوا قدر مكثهم في الدنيا بلاغ اي هذا او عظم به كفاية في الموعظة ۝ وهذا
تبليغ من الرسول ۝ وقيل هذا القران بلاغ ۝ وما ذكر فيه من البيان بلاغ بلغكم به محمد صلى الله
عليه وسلم عن الله عز وجل فهل يهلك بالعذاب اذا انزل الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر
الله وعن الاتعاظ به ۝ والعمل بموجبه ۝ وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ۝

سورة محمد عليه السلام

مدنية وهي الفان وثلاثمائة وتسعة واربعون حرفا وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة ۝ وثمان وثلاثون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر
عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك
يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم
ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم
الذين كفروا بتوحيد الله وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام وصدوا غيرهم
عن الدخول في الاسلام وهم مشركو قريش اضل اعمالهم اي ابطلها ولم يجعل لها ثوابا فكانها لم تكن
ابن عباس هم المطعمون يوم بدر مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن
الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم الاسلام
وقيل هو عام في كل من كفر وصد قال صاحب الكشاف اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها
ضالة ضائعة وليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها
ويعتني بامرها وقيل جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوا
في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ
الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره
عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا يعني اصحاب محمد عليه السلام مقاتل هم ناس من
قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وامنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان
بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا
يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي في قولهم وهو الحق من ربهم
وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سيئاتهم غفرها وسترها
عليهم واصلح بالهم حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من
النصر والتاييد ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الاضلال لاعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله وتكفير السيئات واصلاح البال للذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد بسبب
ان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم وقيل ذلك خبر مبتدا
محذوف تقديره الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون الجار والمجرور في محل الرفع الاول وفي محل
النصب على الثاني والباطل ما لا ينتفع به مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء
البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم او امثال الناس او امثال
المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم قال صاحب الكشاف
فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا
لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا
لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
وقدم المصدر فانيب منابه الفعل مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد
لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب
ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان
وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون تضرب

رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكر في قوله بما كسبت ايديكم على ان في
هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز
العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في
قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموهم من
الشيء الثخين وهو الغليظ وقيل اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض وقيل قهرتموهم وغلبتموهم
فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعلهما
مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم
وبين ان يفادوهم وحكم اسارى المشركين عند الشافعي رحمه الله ان يكون للامام ان يختار احد اربعة
على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن
وعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله احد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون
في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم
لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه
الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره حيفة ان يعودوا حربا
للمسلمين حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها والاثقال التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها
وقيل اوزارها اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا وقيل
حتى تتعلق بالضرب والشد وقيل بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا
يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم تبق لهم شوكة وقيل
اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون
ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى للمشركين شوكة واذا علق
بالمن والفداء فالمعنى انه يمن ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء
بما ذكرنا من التاويل ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم وقيل الامر ذلك وقيل افعلوا ذلك
ولو يشاء الله لانتصر منهم فاهلكهم وكفاكم امرهم بغير قتال او بغيركم اوبالملائكة او بتسليط اضعف خلقه
عليهم وقيل ولو يشاء الله لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق
او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اي ليبلو المؤمنين بالكافرين ليظهر المحق من
المبطل فيجازيكم على ما يظهر ويعلم المجاهدين منكم والصابرين والذين قتلوا في سبيل الله قرا ابو
عمرو ويعقوب وحفص بضم القاف وكسر التاء مخففة من غير الف والباقون قاتلوا بالالف من المقاتلة
وهم المجاهدون فلن يضل اعمالهم قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى
الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل
فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا
فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون سيهديهم في الدنيا الى الطاعات وفي العقبى الى
الدرجات يعني الشهداء وقيل يثبتهم على الهداية يعني المجاهدين وقيل سيهديهم الى جواب منكر ونكير

في القبر ويصلح بالهم امر معاشهم في الدنيا وقيل حالهم في النعيم وكرر لان الاول سبب النعيم والثاني نفس النعيم ۰ وقيل يصلح قلوبهم بنزع الغل منها ۰ وقيل يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ۰ ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي بين لهم منازلهم فيها حتى يهتدوا الى مساكنهم ودرجاتهم التي قسم الله لهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها احدا كانهم سكانها منذ خلقوا وان ليأتي منزله منها اذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشكل عليه ذلك وانه اهدى الى درجته وزوجته وخدمه منه الى اهله ومنزله في الدنيا المورح بمعنى طيبها لهم والعرف الريح الطيبة تقول العرب عرفت المرقة اذا طيبتها بالملح والابازير ۰ وقيل عرفها حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والارف والعرف الحدود ۰

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ۰ يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي تنصروا رسول الله ودينه ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ۰ ويثبت اقدامكم على الاسلام وفي مواطن القتال والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا ۰ وقال ابن عباس فتعسا لهم بعدا لهم ۰ ابو العالية سقوطا ۰ وقال الضحاك خيبة ۰ ابن زيد شقاء ۰ ابن جرير حزنا وبلاء وهو نصب على المصدر على سبيل الدعاء ۰ واصل التعس في الناس والدواب وهو ان يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ويقال تعسه الله فتعس فهو متعس وضده لعا اذا ارادوا قيامه وقد جمعهما الاعشى في بيت واحد يصف ناقته ۰ فقال ۰

بذات لوث عفرناة اذا اعثرت ۰ فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا ۰

واضل اعمالهم معطوف على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم ذلك الاضلال والابعاد بانهم كرهوا ما انزل الله تعالى اي القران ۰ وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال ۰ واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم فاحبط الله اعمالهم

قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم ۰ دمر الله عليهم اي اهلكهم ودمر عليهم اهلك عليهم وما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها اي امثال الهالكة لان التدمير يدل عليها ۰ وقيل امثال العاقبة المذكورة وقيل امثال السنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا ذلك الذي ذكرت وفعلت بان الله مولى الذين امنوا وليهم وناصرهم وحافظهم ۰ قال صاحب الكشاف فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق منا قض لهذه الاية ۰ قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم ۰ واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا ايا ما قلائل ۰ وياكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من الذبح والنحر ۰ والنار مثوى لهم منزل ومقام

قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم ۰ وكاين من قرية من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك من اهل قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم قال ابن عباس لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ۰ ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه

الاية

الاية ۰ افمن كان على بينة حجة وبرهان وعقل وبيان من ربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كمن زين له سوء عمله وهم كفار مكة ابو جهل والمشركون الذين زين لهم الشيطان سوء عملهم اي الشرك واتبعوا للحمل على اللفظ في له سوء عمله ۰ وعلى المعنى في واتبعوا اهواءهم ۰

قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون ۰ فيها انهار من ماء غير آسن ۰ وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين ۰ وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ۰ قال صاحب الكشاف ۰ فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار ۰ قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار ۰ اي كمثل جزاء من هو خالد في النار ۰ فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية ۰ قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه ۰ وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها ۰ ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد والتي وعد المتقون في محل الجر صفة الجنة وعد المتقون صلة التي فيها انهار داخل في حكم الصفة كالتكرير لها ۰ الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ۰ ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير منتن يقال اسن ياسن واجن ياجن اسونا واجونا اذا تغير طعمه وريحه ۰ قرا ابن كثير بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان ۰ وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعام ۰ وانهار من خمر لذة تانيث لذ وصف بمصدر لم تدسها الارجل ۰ ولم تدنسها الايدي ۰ والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ۰ عن كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ۰ ونهر مصر نهر خمرهم ۰ ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ۰ ولهم وللمتقين فيها في الجنة من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار يعني المتقين الذين هم في الجنة كمن هو خالد في النار فاستغني بدلالة الكلام عليه ۰ وقيل مثل الجنة التي فيها هذه الانهار والثمار كمثل النار التي فيها الحميم ۰ ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم ۰ كمثل اهل النار في العذاب الاليم ۰ وسقوا ماء حميما ۰ شديد الحر اذا ادني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم

قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ۰ ومنهم اي ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون من الصحابة ماذا قال محمد آنفا الآن والساعة على جهة الاستهزاء قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فيسمع المنافقون قوله فلما خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء وتهاونا منهم بقوله ۰ قال ابن عباس في قوله تعالى قالوا للذين اوتوا العلم انا منهم وقد سئلت فيمن سئل قال قتادة هؤلاء المنافقون دخل رجلان رجل عقل عن الله وانتفع بما سمع ۰

التسوية

ورجل لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع • وكان يقال الناس ثلاثة فسامع عاقل وسامع غافل تارك
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا اهواهم والذين اهتدوا وابتغى المومنين زادهم
هدى اي زادهم الله هدي واتاهم تقواهم اي الهمهم ذلك ووفقهم سعيد بن جبير واتاهم ثواب
تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو قوله ان تطوهم
من قوله رجال مومنون • ونسا مومنات بغتة فقد جا اشراطها • اماراتها وعلاماتها • وقيل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منها خاتم الانبيا منها • وانشقاق القمر • والدجال • وعن الكلبي كثرة
المال والتجارة • وشهادة الزور • وقطع الارحام • وقلة الكرام • وكثرة اللئام وقوله فقد
جا اشراطها متصل باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول وقيل اشراطها اذ لها وحج كونها واحدها
شرط • واصل الاشتراط الاعلام • ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها •
ومنه الشرط في البيع ونحوه • ويقال اشترط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له فانى لهم
يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ اذا جاتهم الساعة بغتة • نظيره وانى لهم التناوش من مكان بعيد

قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
والله يعلم متقلبكم ومثواكم • ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى
لهم طاعة وقول معروف • فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها • لما ذكر حال المومنين والكافرين قال اذا علمت ان الامر كما
ذكر من سعادة المومنين الموحدين • وشقاوة الكفار والمنافقين • فاثبت على ما انت عليه من العلم
بوحدانية الله على التواضع • وهضم النفس بالاستغفار لذنبك ولذنوب المومنين والمومنات
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره • واخواتها كثيرة • الحسين بن الفضل فازدد
علما على علمك • وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضجر ويضيق صدره من طعن الكافرين
والمنافقين فيه فانزل الله قوله فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك على احد
سواه • ابو العالية وعن ابن عيينة هو متصل بما قبله معناه فاعلم انه لا ملجا ولا منجا عند قيام الساعة
الا الله • وقيل معناه فاعلم انه لا حاكم في ذلك اليوم الا الله نظيره مالك يوم الدين • واستغفر لذنبك
ليستن امتك بسنتك • وقيل واستغفر لذنبك من التقصير الواقع لك في معرفة الله وللمومنين والمومنات
عن عبد الله بن سرجس دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال
ولك فقال رجل من القوم استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم قرا واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات • وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول
من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمومنين والمومنات فانها صدقة والله يعلم متقلبكم
منصرفاتكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار • وقيل متقلبكم ان يسعى ويحيى وان ليستغفر
وليستريح متقلبكم في اصلاب الابا الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض ابن
كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم في القبور • ابن جرير متقلبكم منصرفكم لاشغالكم
ومثواكم مضجعكم بالليل لا يخفى عليه شي من ذلك • ابن عيينة وقد سيل عن فضل العلم فقال
الم تسمع قوله تعالى حين بدا به • فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا وقال اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال

[margin note] وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي وفي الصحيح انه كان يقول في اخر الصلوة اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت الهي لا اله الا انت وفي الصحيح انه قال يا ايها الناس توبوا الى ربكم فاني استغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت ذلك اهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون وفي الاثر المروي قال ابليس وعزتك لا ازال اغويهم ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروا ابن كثير

بعده فاحذروهم • وقال واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد **ويقول**
الذين امنوا اشتياقا منهم الى الوحي وحرصا على الجهاد وكانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه
بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة بامر الجهاد • فاذا انزلت سورة محكمة مبينة غير متشابه
لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه • قتادة كل سورة فيها ذكر
القتال فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل
ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة • وقيل هي
المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم نسخ بعد ذلك او بقي غير منسوخة رايت الذين في
قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك شزرا بتحديق شديد كراهة منهم عن الجهاد • وجبنا عن لقا
العدو ونظر المغشي عليه اي كنظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته
الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد وتهديد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه
الدعا عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف • اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل
هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف او منا طاعة وقول معروف
حسن • وقيل هو متصل بالكلام الاول • واللام في لهم بمعنى البا • والمعنى فاولى بهم طاعة لله ولرسوله وقول
معروف • او منا طاعة وقول معروف بالاجابة والطاعة فاذا عزم الامر جد الامر والجد والعزم لاصحاب
الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور • اي اذا جد
الامر وعزم عليه وامروا بالقتال فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد وفي اظهارهم الايمان
والطاعة وواطات قلوبهم فيه السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم لغة اهل الحجاز • واما بنو تميم فيقولون
عسى ان يفعل عسى ان يفعلوا ولا يلحقون الضماير • وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة
الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ ان تفسدوا في الارض يعني هل يتوقع منكم الافساد في الارض والمعنى
انكم لما عهد منكم احقابا ان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم • ورخاوة عقدكم في الايمان
يا هولا ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح
من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا • وقيل ان
توليتم اعرضتم عن القران وعن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان تفسدوا في الارض بالمعصية
والبغي وسفك الدما وترجعوا الى ما كنتم عليه في جاهليتكم من الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام
واكرمكم بالالفة ومن الافساد في الارض بالغارة والنهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات • قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم
الحرام • وقطعوا الارحام • وعصوا الرحمن • اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم للارحام فاصمهم عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم عن طريق الهدى • وقيل يجوز ان يريد بالذين
امنوا المومنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد
رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها • افلا يتدبرون القران ويتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي • ثم قال ام على قلوب اقفالها • ام بمعنى بل وهمزة
التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر • قتادة اذن والله يجد وا في القران زاجرا
عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا • وتنكير قلوب فيه وجهان • ان
يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضافة الاقفال
الى القلوب لاختصاصها بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح • وعن خالد بن معدان قال ما من

[margin note] عن ابي عمر البصري عن سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وبه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ظهر القول وخزن العمل وايتلفت الالسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ابن كثير

الناس احد الا وله اربعة اعين عينان في وجهه لدنياه ومعيشته وعينان في قلبه لدينه وما
وعد الله له من الغيب وما من احد الا وله شيطان متبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عاتقه فاغر فاه
الى ثمرة قلبه فاذا اراد الله بعبد خيرا ابصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله له من الغيب
فعمل به واذا اراد الله بعبد شرا طمس عليهما فذلك قوله تعالى ام على قلوب اقفالها عن عروة
ابن الزبير تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال
شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال كلام الشاب في نفس عمر
رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به

قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك
بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم قتادة ان الذين ارتدوا على ادبارهم
هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه ويجدونه مكتوبا عندهم ابن
عباس والضحاك هم المنافقون من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر
وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول زين لهم ركوب العظائم من السول واملى لهم قرأه
ابو عمرو بضم الالف وفتح الياء على ما لم يسم فاعله والباقون بفتح الالف واللام بمعنى واملى الله لهم اي مد لهم
في الامهال والاملاء في ذلك الاضلال والاملاء بانهم يعني بان اليهود قالوا للذين كرهوا ما انزل الله يعني
المنافقين وقيل عكسه اي قال المنافقون لليهود وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن
معكم سنطيعكم في بعض الامر وهو التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبلا اله الا الله وقيل
بعض الامر ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين اليهود او المنافقين للمشركين سنطيعكم في
التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى بعض الامر في بعض ما يامرون
به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بكسر الهمزة على المصدر
والباقون بفتحها على جمع سر اي لو اذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم اذا
توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم عند الموت ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد
على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من
كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاونة المشركين وارتكاب المعاصي وكرهوا
رضوانه ما يرضاه من الطاعة ونصرة المؤمنين والايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط
اعمالهم

قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء
لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلوا اخباركم ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ان لن يخرج الله
اضغانهم احقادهم على المؤمنين واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واظهارهم
على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم واعلمناكهم
وذلك انكم عليهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن
انس ما خفي على رسول الله بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا
في غزوة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا على جبهة كل واحد منهم
مكتوب هذا منافق واللام في فلعرفتهم هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف
واللام في لتعرفنهم واقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول ابن عباس في معنى القول

الحسن في فحوى القول القرظي في مقصد القول ومعزاه وقيل في لحن القول في نحوه واسلوبه
ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب
وقيل اللحن ان يلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية
قال ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يعرفه ذوو الالباب
وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب قيل للحن وجهان صواب وخطا فاما الصواب
فالفعل منه لحن يلحن لحنا فهو لحن اذا فطن للشيء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض والفعل من الخطا لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام
عن جهته وفي الخبر انه قيل لمعاوية ان عبيد الله بن زياد يتكلم بالفارسية فقال اليس ظريفا من
ابن اخي ان يلحن في كلامه اي يعدل به من لغة الى لغة والله يعلم اعمالكم ويراها ظاهرها وباطنها
ويميز خيرها من شرها ولنبلونكم نفعل بكم فعل المبتلي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
اي نعلمهم عيانا كما نعلمهم غيبا فان المجازي يقع على ما يظهر منهم والمجاهدون هم الغزاة وقيل
الزاهدون في الدنيا والصابرون على الجهاد وقيل عن الدنيا ونبلوا اخباركم ما يخبر به من اعمالكم
وما يحكى عنكم وقيل اسراركم وقيل ما ستفعلونه وعن الفضيل اذا قرا هذه الآية بكى وقال
اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا هتكت استارنا وفضحتنا

قوله تعالى ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا
وسيحبط اعمالهم يعني المطعمين يوم بدر وشاقوا الرسول عادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما
ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول قيل نزلت في قوم امنوا ثم ارتدوا لن يضروا الله بارتدادهم
وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دنياهم يرجون بها الثواب لا لها بسبب كفرهم برسول الله ومعاداتهم
له باطلة وهم قريظة والنضير وقيل سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة
الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن
اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بمعصيتهما مقاتل لا تمنوا على رسول الله فتبطلوا
اعمالكم ابن عباس بالرياء والسمعة والشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل الحسنات كما
تاكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

قوله تعالى ان
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم ولا يسئلكم اموالكم ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون
لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم مقاتل نزلت في رجل سال النبي صلى الله عليه وسلم عن
والده وقال انه كان محسنا في كفره فقال هو في النار فولى الرجل وهو يبكي فدعاه فقال والدك
ووالدي ووالد ابراهيم في النار فنزلت هذه الآية الكلبي نزلت في رؤساء اهل بدر فلا تهنوا ان
تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وتدعوا الكفار الى الصلح وانتم
الاعلون عليهم اي الاغلبون عليهم الاقهرون قيل حال وقيل استيناف ووعد والله معكم بالنصر
قتادة لا تكونوا اول الطائفتين صرعت الى صاحبتها بالموادعة ولن يتركم من وترت الرجل اذا
قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم وحقيقته افردته من قريبه او من ماله من الوتر وهو الفرد

عن ابن عمر رض قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبولا حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقال الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها ابن كثير

فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام • ومنه قوله عليه السلام
من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا • ابن عباس وقتادة والضحاك
وابن زيد لن يظلمكم • مجاهد لن ينقصكم اعمالكم • بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله • انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو ينقطع ان في اسرع مدة ابن بحر ينقضيان عن غير عقبي • وقيل ذات لعب
ولهو الا ان الغالب امر الناس فيها اللعب واللهو وان تومنوا بالله ورسوله وتتقوا الشرك
يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم اي جميعا انما يقتصر منكم على ربع العشر • وقيل لا يسالكم اموالكم لنفسه
وقيل لا يسالكم اموالكم انما ذلك ماله وهو المنعم باعطايه • ثم قال ان يسالكموها فيحفكم فيجهدكم
ويلح ويلحف عليكم والاحفا المبالغة وبلوغ الغاية في كل شي يقال احفاه في المسلة اذا لم يترك شيا من
الالحاح واحفا شاربه استاصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج
لله تعالى اي يظهر ضغنكم بطلبه اموالكم • وقيل الضمير للبخل لانه سبب الاضغان ها انتم هولا موصول بمعنى
الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون • او انتم يا مخاطبون هولا الموصوفون • ثم استانف
وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل
الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطا واضغنتم انكم تدعون الى اداء ربع
العشر فمنكم ناس يبخلون به • ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر
بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يامر بذلك ولا يدعو اليه لحاجة
اليه • والله الغني الذي لا يحتاج في شي الى شي فهو الغني عن انفاقكم لا حاجة به الى مالكم • وانتم
الفقرا المحتاجون في كل شي من امور دينكم ودنياكم عاجلا واجلا • وان تتولوا معطوف على قوله
وان تومنوا وتتقوا اي وان تعرضوا يا اهل مكة عن دينه وطاعته واتباع رسوله والانفاق في
سبيله يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير
متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل يستبدل قوما غيركم اقام مقامكم قوما اخرين
اطوع منكم ثم لا يكونوا امثالكم في خلاف توليكم ان توليتم • وليس فيه يريد به الحالة الاولى لانهم كانوا
على احسن حال • وقيل في جميع الاحوال • وقيل انهم العرب والقوم المستبدل بهم الملايكة ورد
بان القوم لا يقع على الملايكة • وقيل اهل اليمن • وقيل الانصار • وقيل كندة والنخع • وعن الحسن العجم
وعن عكرمة فارس والروم • وعن ابي هريرة قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا رسول الله من هولا الذين ذكر الله في القران ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا
وكان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذ
سلمان رضي الله عنه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله
رجال من ابناء فارس • وحسبنا الله ونعم الوكيل • ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

سورة الفتح مدنية

كلها باجماعهم وهي الفان واربعماية وثمانية وثلاثون حرفا • وخمسماية وستون كلمة • وتسع وعشرون اية •
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • انا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا • قيل فتح مكة
وقيل فتح الروم وغيرها • وقيل المراد بالفتح صلح الحديبية • وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف

والسنان

والسنان • وقيل الفتح الحكم • والمختار من هذه الاقاويل فتح مكة وقيل فتح الحديبية • وقيل فتح الاسلام
بالاية والبيان • والحجة والبرهان • ابن عباس سبب نزولها انه لما نزل قوله تعالى وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم • قالت اليهود • وكيف يتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية قال الاكثرون ان الفتح كان يوم الحديبية • قال البراء بن
عازب نحن نعد الفتح بيعة الرضوان • قال الشعبي هو فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر واطعموا نخل خيبر • وبلغ الهدي محله • وظهرت الروم على فارس • ففرح المومنون بظهور
اهل الكتاب على المجوس • وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين
اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم • واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد
الاسلام • قال مجاهد يعني بالفتح ما قضى الله امن نحر الهدي بالحديبية • وحلق راسه • وقال
ابن قتيبة انا فتحنا لك اي قضينا لك قضاء عظيما • ويقال للقاضي الفتاح • قال الفراء والفتح قد
يكون صلحا ويكون اخذ الشي عنوة ويكون بالقتال • وقال غيره معنى الفتح في اللغة فتح المنغلق
والصلح الذي جعل مع المشركين بالحديبية كان منسدا متعذرا حتى فتحه الله • الاشارة الى
قصة الحديبية • روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في النوم
كان قايلا يقول لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين فاصبح تحدث الناس برويياه وامرهم برويا
وامرهم بالخروج الى العمرة فذكر اهل العلم بالسيرة انه خرج واستنفر اصحابه الى العمرة وذلك في
سنة ست ولم يخرج بسلاح الا السيوف في القرب وساق هو واصحابه البدن فصلى الظهر بذي الحليفة
ثم دعا بالبدن فجللت ثم اشعرها وقلدها وفعل ذلك اصحابه واحرم ولما بلغ المشركون خروجه فاجمع
رايهم على صده عن المسجد الحرام وخرجوا حتى عسكروا ببلدح وقدموا مايتي فارس الى كراع الغميم وسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دنا من الحديبية وهي بير فسمي المكان باسم البير • قالوا بينها وبين مكة
تسعة اميال فوقفت به راحلته فقال المسلمون حل حل يزجرونها فابت فقالوا خلات القصوى والخلا
في الناقة مثل الحران في الفرس فقال ما خلات ولكن حبسها حابس الفيل اما والله ما تسالوني خطة فيها تعظيم
حرمة الله الا اعطيتهم اياها حرها فقامت فولى راجعا عوده على بدء حتى نزل على ثمد من اثماد الحديبية
قليل الما فانتزع سهما من كنانته فغرزه فيها فجاشت لهم بالرواء • وجاء بديل بن ورقا في موكب فسلموا
وقالوا جيناك من عند قومك وقد استنفروا لك الاحابيش ومن اطاعهم لا يخلون بينك وبين البيت
حتى يبيد خضراهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جينا لنطوف بهذا البيت فمن صدنا عنه قاتلنا
فرجع بديل فاخبر قريشا فاخبرهم فبعثوا عروة بن مسعود فكلمه بنحو ذلك فاخبر قريشا فقالوا نرده في
عامنا هذا ويرجع من قابل فيدخل مكة ويطوف بالبيت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
ابن عفان فقال اذهب الى قريش فاخبرهم انا لم نات لقتال احد وانما جينا زوارا لهذا البيت
معنا الهدي ننحر وننصرف فاتاهم فاخبرهم فقالوا لا كان هذا ابدا ولا يدخلها العام وبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال لا نبرح حتى نناجزهم فذلك حين دعا المسلمين
الى بيعة الرضوان فبايعوه تحت الشجرة • وفي عددهم يوميذ اربعة اقوال • احدها الف
واربعماية • قاله البراء وسلمة بن الاكوع وجابر ومعقل بن يسار • والثاني الف وخمسماية •
روي عن جابر ايضا وبه قال قتادة • والثالث الف وخمسماية وخمس وعشرون رواه العوفي عن
ابن عباس • والرابع الف وثلاثماية • قاله عبد الله بن ابي اوفى قالوا وضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشماله على يمينه لعثمان فقال انه ذهب في حاجة الله ورسوله وجعلت الرسل تختلف بينهم

فاجمعوا علي الصلح فبعثوا سهيل بن عمرو في عدة رجال فصالحه كما ذكر في براة فاقام بالحديبية
بضعة عشر يوما وقيل عشرين ليلة ثم انصرف فلما كان بضجنان نزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا
فقال جبريل يهنيك يا رسول الله وهناه المسلمون • وقيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول
الله صلي الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجي به علي لفظ الماضي علي عادة رب
العزة في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة • وفي ذلك من الفخامة والدلالة
علي علو شان المخبر ما لا يخفي • والاولان يحمل علي الجميع اذ لا محذور فيه ليغفر لك الله ما تقدم
جعل الفتح علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة للمغفرة واتمام النعمة • وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك الفتح ونصرناك علي عدوك لنجمع لك بين عز الدارين
والاغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون الفتح من حيث انه جهاد للعدو وسببا للغفران والثواب
والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به • فاذا ظفر به •
وحصل في اليد فقد فتح فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة • وعن ابن
عباس رموا الي المشركين حتي ادخلوهم ديارهم • وعن الكلبي ظهروا عليهم حتي سالوا الصلح ٥
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا ٥
بالحديبية • قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسي
ابن عقبة اقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا
الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلي الله عليه وسلم فقال بيس الكلام
هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراحة ويسلوكم القضية
ويرغبوا اليكم في الامان • وقد راوا منكم ما كرهوا • ما تقدم من ذنبك وما تاخر
يريد جميع ما فرط منك • وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية • وما بعدها • وقيل ما تقدم
من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد • وقيل الفتح ليس بسبب المغفرة وانما التقدير
انا فتحنا لك فاستغفر لذنبك ليغفر لك الله • ومثله اذا جاء نصر الله والفتح فسبح • واستغفره
وقيل يجمع لك المغفرة مع الفتح ويتم النعمة عليك • وقيل ان اللام لام القسم اي ليغفرن الله
فلما حذفت النون كسرت اللام •• وانشد في المعني ٥
• اذا قال قطني قلت لست حلفه • لتغني عني ذا انايك اجمعا ٥ •
وقيل المغفرة سبب للفتح اي لمغفرتنا لك فتحنا لك ما تقدم من ذنبك اي تقدم النبوة وما
تاخر بعدها • وقيل قبل الفتح وبعده • وقيل ما تقدم من ذنب ادم وحوا وما تاخر من ذنوب
امتك وقيل ما وقع وما يقع علي طريق الوعد مغفور وقيل اول ذنوبك واخرها • ووجد
لانه اشارة الي الجنس • وقيل هذا علي وجه المبالغة • ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد
علي يدك ويهديك صراطا مستقيما ويثبتك عليه وينصرك الله نصرا عزيزا ذا عز لا ذل
بعده ابدا • وقيل معزا وقيل ممتنعا علي غيرك مثله • وقيل عزيزا لا نزيله ولا يبلغه احد
قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما • ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ••
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دايرة
السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض

لما قال تعالي وينصرك الله نصرا عزيزا • بين وجه النصر وذلك لانه تعالي قد ينصر رسله بصيحة يهلك
بها اعداءهم او رجفة تحكم عليهم بالفنا او بصبر وقوة وثبات • قلت يرزق المومنين ليكون لهم
بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة كالهيبة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم ٥
السكون بسبب الصلح ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة عن القتال ليزدادوا
ايمانا ويقينا مع ايمان وتبس • وقيل ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله • وقيل صبرا مع اجتهادهم • عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلي الله عليه وسلم التوحيد فلما امنوا بالله وحده
انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الي ايمانهم • وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا
فيزدادوا ايمانهم • وقيل انزل السكينة ليلا ينزعج قلوبهم لما يرد عليهم فسلموا لقضا الله وكانوا قد
اشتد عليهم صد المشركين لهم عن البيت حتي قال عمر رضي الله عنه علام نعطي الدنية في ديننا فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني ثم اوقع الله الرضي
بما جري في قلوب المسلمين فسلموا واطاعوا ليزدادوا ايمانا وذلك انه كلما نزلت فريضة زاد
ايمانهم ولله جنود السموات والارض اي كل من في السموات والارض ملك له وعبيد بمنزلة الجند
له ولو شا نصرة نبيه لانتصر به كما ينتصر بالجند ولكنه اختاركم لذلك فاشكروه • وقيل جنود ٥
السموات الملايكة وجنود الارض الانس والجن • وقيل كلها جنود من حيث انها تدل علي الوحدانية
قال صاحب الكشاف ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها علي بعض كما يقتضيه علمه وحكمته
ومن قضيته ان سكن قلوب المومنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضي ذلك ليعرف
المومنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك وكرهوه وكان الله عليما بما فيها حكيما بجلبها ليدخل المومنين والمومنات
الاية سبب نزولها انه لما نزل قوله تعالي انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله قال
اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم هنيا لك يا رسول الله ما اعطاك الله فما لنا فنزل الله ليدخل ٥
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم قبل ان يدخلهم
الجنة ليدخلوها معرين من الاثام • وكان عند الله اي في الدار الاخرة • وقيل في حكم الله كما تقول
هذا عند ابي حنيفة جايز اي في حكمه فوزا عظيما • وقيل اللام في ليدخل متعلقة بفتحنا ولم تدخل الواو
لان التقدير انا فتحنا ليغفر • انا فتحنا ليدخل المومنين • وقيل متصل بانزل تقديره ليزدادوا ٥
ايمانا ليدخل المومنين فيكون بدلا من قوله ليزدادوا وابدل الاشتمال • وقيل متصل بقوله ليزدادوا
اي ليزدادوا وليدخل وقيل بالمعني تقديره ولله جنود السموات والارض ولم ينصرهم وانتصر
بالمومنين • ليدخل المومنين ويعذب المنافقين هو عطف علي يدخل • قال مقاتل لما سمع عبد الله
ابن ابي بذلك انطلق في نفر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لو اما لنا عند الله فنزلت ويعذب
المنافقين والمنافقات • والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء وهو ظنهم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الي اهليهم ابدا • وقيل ظنهم ان لله شريكا • وقيل ظنهم ان لن يبعث الله احدا
السوء عبارة عن رداة الشي وفساده • والصدق عبارة عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي
الصالح من الافعال فعل صدق • وفي المسخوط الفاسد فعل سوء عليهم دايرة السوء اي تدور عليهم وتعود
اليهم ضرر ما دبروا اي ما يظنونه ويتربصونه بالمومنين فهو حايق بهم واير عليهم والسوء ٥
بالضم المصدر وهو الضلال والدمار • قرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين والباقون بفتحها
اي الدايرة التي تذمونها وتسخطونها هي عندهم دايرة سوء وعند المومنين دايرة صدق والسوء

والسوء كالكره والكره والضعف والضعف من شأن أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً وكانت الدائرة محمودة وكان حقها أن لا يضاف إليها إلا على التأويل الذي ذكر. وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة. وغضب الله عليهم انتقم منهم ولعنهم أبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم هيأها لهم وساءت مصيراً أي جهنم **قوله تعالى** ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً. فيدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء وكان الله عزيزاً في أمره حكيماً في فعله **قوله تعالى** إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً. شاهداً على أمتك يوم القيامة. وقيل شاهداً لهم بعملهم. وقيل شاهداً للأنبياء بالتبليغ. وقيل مبيناً لهم ومبشراً للمؤمنين. ونذيراً للكافرين. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه كلها بالياء والباقون بالتاء على معنى قل لهم. قيل الأخير للناس والخطاب للنبي عليه السلام ولأمته ويعزروه ويوقروه بالنصرة والعون والتعزير النصر مرة بعد أخرى وقيل تطيعوه وتجلوه وتعظموه قيل الضمير في تعزروه وتوقروه يعود إلى الله تعالى قال الله إن تنصروا الله ينصركم قال الله لا ترجون لله وقاراً عظمة. وقيل الضمير فيهما يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم أي تعظموا النبي وتدعونه باسم الرسول وباسم النبي وتسبحوه أي وتسبحوا الله وتنزهوه. وقيل تصلوا له. وهذا لله خالصة واستحسنوا الوقف على تؤوقروه لهذا بكرة غداة وأصيلاً عشياً. وقيل دائماً **قوله تعالى** إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً. إن الذين يبايعونك بيعة الرضوان بالحديبية على الموت وأن لا يفروا سميت بيعة لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة وكان البيعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يبايعون الله مكأنهم بايعوا الله لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم يد الله فوق أيديهم. لما قال إنما يبايعون الله أكده توكيداً على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح وصفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول عليه السلام كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله قيل يد الله في الوفاء فوق أيديهم. وقيل يد الله في الثواب فوق أيديهم وقيل يد الله في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم بالطاعة. وقيل قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم قال **المفضل** المعنى راجع إلى ما جرت به العادة من التصافق بالأيدي في المبايعات وأيضاً هو من **قوله** عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى العليا المعطية أي الله يعطيهم ما يكون له به الفضل عليهم. وقيل ملك الله فوق ملكهم فمن نكث نقض العهد ولم يف به فإنما ينكث على نفسه أي يرجع ذلك النقض عليه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم. ومن أوفى بما عاهد عليه الله أي أتى به وافياً غير منتقص. وقيل عاهد عليه الله في إيمانه فسيؤتيه. قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبان عن عاصم بالنون والباقون بالتاء أجراً عظيماً جزيلاً وهو الجنة ونعيمها أدخلنا الله إياها

قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً. ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً. لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فإن قوماً من الأعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم أنه يهزم فإنهم قالوا أهل مكة يقاتلون من باب المدينة فكيف يكون حالهم إذا دخلوا بلادهم وأحاط العدو بهم فاعتذروا. ابن عباس هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والديل وأسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حرباً فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم سيقول لك المخلفون سموا مخلفين لأن الله سلبهم التوفيق لما لم يخلصوا نياتهم خلفهم. وقيل المخلف الذي لا يؤبه به من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا أي لم يكن لنا من يخلفنا في أموالنا وأهلينا فخفنا الضياع عليها وعلى أموالهم فاستغفر لنا سل الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك وإن كان عن غير عذر يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. يعني قولهم استغفر لنا. وقيل هو قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم علموا أن المانع حدث بينهم كذبهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس كما يقولون. وإنما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم للاستغفار أيضاً ليس بصادر عن حقيقة. قل فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه إن أراد بكم ضراً قرأ حمزة والكسائي ضراً بضم الضاد والباقون بالفتح خلاف النفع وبالضم سوء الحال. وقيل هما لغتان أي إن أراد بكم ما يضركم من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعاً من ظفر وغنيمة. وقيل معناه استغفاري لكم مع خبث نيتكم لا يدفع عنكم عذاب الله بل كان الله رد على قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً أي إنما خلفكم ظنكم أن المشركين يستأصلون الرسول والمؤمنين فلا يرجع منهم أحد منهم إلى أهله إما أن يقتلوا أو يهزموا فيتبددوا في البلاد وزين ذلك في قلوبكم أي زينه الشيطان. وقيل قوي في قلوبكم وظننتم ظن السوء من علو الكفار وانتشار الفساد. وكنتم قوماً بوراً هلكى. وقيل فاسدين من بار كالهالك من هلك بناءً ومعنى. ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع باير كعائذ وعوذ. والمعنى وكنتم قوماً فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه. ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين أقيم مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيراً لأنها نار مخصوصة كما نكر ناراً تلظى **قوله تعالى** ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً. يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمقتضى مشيئته ومشيئته المغفرة للمؤمنين. وتعذيب الكافرين. ومشيئته موافقة لحكمته وكان الله غفوراً رحيماً رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر التائب بإحباط الشرك **قوله تعالى** سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً. أوضح الله كذبهم

بعدا حيث كانوا عند ما يكون السفر الي مغانم ليا خذ وها هي مغانم خيبر وعد اهل الحديبية ان
مغانم خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر ولم يغب منها احد الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول
الله صلي الله عليه وسلم لسهم من حضر وذكر الزهري ان غنايم خيبر كانت بين اهل الحديبية من حضر
منهم خيبر ولمن غاب ولمن حضرها من غيرهم من الناس • وكان انصراف رسول الله صلي الله عليه
وسلم من الحديبية في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم من سنة ست ثم خرج في
بقية المحرم الي خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة وجعلها لهم خاصة •
وروي انه عليه السلام قال خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فلما سمع
هولاء المنافقون بوعد رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابه غنايم خيبر قالوا ذرونا نتبعكم فمنعهم
النبي صلي الله عليه وسلم لان الله امره ان لا يخرج الي خيبر الا اهل الحديبية لتكون الغنيمة لهم عوضا
عن مغانم مكة اذا انصرفوا عنهم علي صلح يريدون ان يبدلوا كلام الله هو قوله لا يخرج الي خيبر
الا اهل الحديبية • وقيل هو قوله لن تتبعونا ولم يكونوا مومنين بوعد الله المسلمين ما وعدهم ولكن
استيذانهم الي خيبر كان فعل من يريد تبديل كلام الله فقال لنبيه قل لن تتبعونا هو نفي وليس
بنهي لان الله قال ذلك ولا يبدل القول لديه • وقيل الي خيبر فقط • وقيل عام في غزواته كذلكم قال
الله من قبل قبل انصرافهم الي المدينة • وقيل تهيايهم الي خيبر • وقيل كلام الله هاهنا هو قوله قل
لن تخرجوا معي ابدا • وقيل ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك ان وعدهم بان يعوضهم من
مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا فسيقولون بل تحسدوننا ان يامركم
به الله بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنايم وتشاركم في الغنيمة بل كانوا لا يفقهون لا
يفهمون الا قليلا • وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وقيل لا يفقهون من كلام الله الا شيئا قليلا • وقيل لا يعلمون ان لا تبديل لكلام الله • وقيل
الاستثنا من واو الضمير ونصب علي اصل الاستثنا وهم الذين اسلموا منهم والاضراب الاول
اي بل تحسدوننا معناه رد ان يكون حكم الله ان لا تتبعونا واثبات الحسد • والاضراب
الثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الي المومنين الي وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة
الفقه ○ **قوله تعالي** قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الي قوم اولي باس شديد
تقاتلونهم او يسلمون • فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا
اليما • قل يا محمد للمخلفين من الاعراب الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الي قوم اولي باس
شديد • قيل هم هوازن وغطفان • وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم في تبوك
وقيل يدعوهم ابو بكر رضي الله عنه الي بني حنيفة مع مسيلمة الكذاب • وقيل يدعوهم عمر الي فارس
وقيل المخلفون عن تبوك وكانوا ثلاثة اصناف صنف لم يغزوا ونزل فيهم سنعذبهم مرتين ثم
يردون الي عذاب اليم • وصنف اسلموا وهم الذين اعترفوا بذنوبهم وصنفهم واخرون مرجون
لامر الله وهم المعنيون بهذه الاية فالداعي في الاول والثاني رسول الله صلي الله عليه وسلم
وفي الثالث ابو بكر وفي الرابع عمر رضي الله عنه لانهم بقوا الي هذه المدة • وقيل الخلق جميعا داخلون في
هذه الاية • ولذلك الكفار جميعا وقيل الي قوم اولي باس شديد • يعني بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب
واهل الردة التي حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين
لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس
يقبل منهم الجزية • وعند الشافعي رحمه الله لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس وهذا دليل علي اصابة

ابي بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الي حرب في ايام رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته
وكيف يدعوهم رسول الله صلي الله عليه وسلم مع قوله تعالي قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعني يسلمون ينقادون لان الروم نصاري وفارس مجوس
يقبل منهم اعطا الجزية • فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول
الله صلي الله عليه وسلم • قلت ان صح ذلك فالمعني لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم علي ما انتم عليه
من مرض القلوب والاضطراب في الدين • او علي قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول
الله صلي الله عليه وسلم الا متطوعين • لا نصيب لهم في المغنم والمعني تقاتلونهم او هم يسلمون وقيل
الي ان يسلموا فما حذف ان رفع الفعل فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا في الدنيا الغنيمة وفي الاخرة الجنة
وقيل الغنيمة تحسب فيمن حملهم علي المنافقين وحمل الداعي غير النبي عليه السلام لانهم اذا اظهروا الايمان
لزم الخلق والمومنين اجراهم مجري المخلصين • وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم ○
عذابا اليما في الاخرة **قوله تعالي** ليس علي الاعمي حرج ولا علي الاعرج حرج ولا علي المريض
حرج • ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار • ومن يتول يعذبه عذابا
اليما • ابن عباس قال اهل الزمانة وكيف بنا يا رسول الله فانزل الله ليس علي الاعمي حرج اثم في التخلف
لانه كالطاير المقصوص لا يمتنع علي من قصده ولا علي الاعرج من العلة اللازمة احدي الرجلين او كليهما
ولا حرج ولا علي المريض الذي لا قوة له حرج عذر الله اهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الي الحديبية
بهذه الاية ومن يطع الله ورسوله فيما امره ونهاه يدخله جنات تجري من تحتها الانهار • قرا نافع وابن
عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء فيهما ومن يتول يعرض عن الطاعة يعذبه
عذابا اليما **قوله تعالي** لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في
قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا • ومغانم كثيرة تاخذونها وكان الله عزيزا
حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمومنين
ويهديكم صراطا مستقيما واخري لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله علي كل شي قديرا •
لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هم الذين تقدم ذكرهم • وقيل ذلك عام في كل
من بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا خاص في بيعة الرضوان وسميت بيعة الرضوان لقوله
لقد رضي الله عن المومنين • والشجرة كانت سمرة • وقيل سدرة • وروي انها عميت عليهم من قابل
فلم يدروا اين ذهبت فعلم ما في قلوبهم من صحة العقيدة ونصرة الرسول عليه السلام فانزل السكينة
الصبر عليهم وسكون النفس الي صدق الوعد وقوة القلب حتي اطمانت الي طاعة رسول الله صلي
الله عليه وسلم واثابهم جازاهم فتحا قريبا • فتح خيبر • وقيل فتح مكة • وعدا ومغانم كثيرة تاخذونها
وهي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم • ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم
وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وكان الله عزيزا حكيما • وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ○
هي ما اصابوه مع النبي صلي الله عليه وسلم وبعده الي يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر •
وكف ايدي الناس عنكم ايدي قريش كفهم الله بالصلح • قتادة ايدي اليهود هموا ان يقتلوا
عيال المسلمين الذين خلفوهم بالمدينة فكفهم الله عن ذلك • مقاتل انهم اسد وغطفان حلفا اهل
خيبر جاءوا لينصروا اهل خيبر فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا عنهم • روي ان اسدا وغطفان
باعتيا لاهل المدينة فكفهم الله عن ذلك عنكم قيل علي اهله • وقيل عن عيالكم ولتكون هذه الكفة
اية للمومنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم الفتح عليهم • وقيل هذه

العنيمة المعجلة آية دلالة على ما وعدهم من الغنائم وقيل ولتكون هذه الغنيمة دلالة للنبوة لانه
وعدهم فتح خيبر في طريق الحديبية • وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه
ورؤيا النبي وحي فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة • ولتكون
آية عطف على المعنى لان تقرير الآية وعدكم الله مغانم ليجازيكم على ما كان منكم ولتكون آية
للمؤمنين • ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم هداية ويثبتكم صراطا مستقيما • واخرى معطوفة
على هذه اي فعجل لكم هذه الغنائم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ٥
لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها • اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها ٥
وغنمكموها وقيل وعدكم الله مغانم اخرى بنصره اياكم على الكفار لم تقدروا عليها بعد وقد احاط بها
علما انها ستصير اليكم وهي غنائم فارس والروم • وقيل لم تقدروا على فتحها فيما مضى قد احاط الله بها
قدر على تمكينكم منها وفتحها لكم • وكان الله على كل شيء قديرا • ويجوز في اخرى النصب بفعل
مضمر تفسيره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط الله بها • واما لم تقدروا عليها ٥
صفة لاخرى ويجوز ان يكون اخرى مرفوعة بالابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا عليها قد احاط
الله بها خبر المبتدأ ويجوز الجر في اخرى باضمار رب ولتكون آية للمؤمنين يجوز ان يكون كلاما معترضا
ومعناه ولتكون الكفاية للمؤمنين فعل ذلك قيل ويجوز ان يكون المعنى وعدكم الله المغانم فعجل هذه الغنيمة
وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار
عن الغيوب معجزة وآية • ويزيدكم بذلك هداية وايقانا **قوله تعالى** ولو قاتلكم
الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا • وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان
الله بما تعملون بصيرا • هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في
رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ٥ ولو قاتلكم الذين كفروا
يعني قريشا يوم الحديبية لولوا الادبار لانهزموا اي لم يكن قتال ولو كان قتال لكان بعده ثم لا يجدون
وليا ينصرهم ولا نصيرا يلي امرهم سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو
قوله لاغلبن انا ورسلي اي سن سنة قديمة فيمن مضى من الامم اي من قاتل نبيا غلب • وقيل سنة الله
في نصرة من آمن من الانبياء بالعناد • وقيل سنته ان كل قوم قاتلوا انبياءهم انهزموا ولن تجد لسنة
الله في نصرة رسله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينكم وبينهم ٥
المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة • وعن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة
هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي عليه السلام واصحابه فاخذهم
واستحياهم فانزل الله هذه الآية • عن عبد الله بن مغفل المزني كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحديبية في اصل الشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم
فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم عليه السلام هل كنتم في عهد احد او جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم
لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الآية • وقيل كف ايديهم بان امركم ان لا تحاربوا المشركين وكف
ايديهم عنكم بالقاء الرعب في قلوبهم • وقيل بالصلح من الجانبين وقيل ان عكرمة بن ابي جهل خرج
في خمسمائة رجل فقال عليه السلام لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد انا سيف

الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على جند فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد فهزمه حتى ادخله جوف مكة فانزل الله هذه الآية • وسمي خالد يومئذ سيف الله ٥
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة
قال القفال يجوز ان يكون جميع ما روي ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي كف ايديكم عن القتال
ببطن مكة محفوظ للقتال وبطن مكة هو الحديبية لانها من ارض الحرم وقيل ببطن ارض مكة
والحرم كله مكة وقيل اظفاره دخولهم بلادهم بغير اذنهم • وقيل اظفركم عليهم بفتح مكة • وقيل
بقضاء العمرة • وقيل هذه الآية نزلت بعد فتح مكة وكان الله بما تعملون بصيرا • قرأ ابو عمرو
يعملون بالياء من تحت والباقون بالتاء هم الذين كفروا يعني قريشا وصدوكم عام الحديبية
عن المسجد الحرام ان تطوفوا به للعمرة والهدي وصدوا الهدي معكوفا قيل صدوكم مع الهدي
معكوفا حال وهو معكوف ممنوع • وقيل مجموع • وقيل موقوف • ان يبلغ محله منحره اي لا يبلغ
وقيل معكوفا عن ان يبلغ اي منحره وينتهي الا سوقه الى ما سيق له والمحل اسم الزمان والمكان
من حل يحل اذا وجب • وقيل محل هدي العمرة مكة ومحل هدي الحج منى • والهدي جمع هدية ولم
يؤنث لم الجمع اذا لم يكن بينه وبين واحده الا الهاء جاز تذكيره وتانيثه • قال صاحب الكشاف
ومحله مكانه الذي يحل فيه اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة رحمه الله على ان المحصر محل هديه
الحرم • فان قلت فكيف حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحروا هديهم بالحديبية
قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه
في الحرم • فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله • قلت المراد المحل
المعهود وهو منى • ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا
اي لم تعرفوهم باعيانهم انهم مؤمنون ان تطؤوهم بدل اشتمال من الرجال والنساء • وقيل من الضمير
المنصوب في تعلموهم اي ان توقعوا بهم وتقتلوهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة
قال • ووطئتنا وطأ على حنق • وطء المقيد ثابت الهرم •
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشدد وطاتك على مضر • وقيل ان قوله صلى الله عليه وسلم
وان آخر وطأة وطئها الله بوج من هذا الآن وج واد بالطائف وكان آخر وقعة النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل ان تطؤوهم بخيلكم ورجلكم فتقتلوهم بسيوفكم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة
عيب مفعلة من عره اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه • ابن زيد اسم ابن اسحاق غرم الدية • وقيل الكفارة
لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله ايمانه الكفارة دون الدية
قال الله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ولم يوجب على قاتله خطأ
دية والمعنى انه كان بمكة قوم من المؤمنين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن
فقيل ولولا كراهة ان يهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فتصيبكم ٥
باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم • وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه بغير علم متعلق
بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم • ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دل عليه الآية من كف
الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع
التعذيب ليدخل الله في رحمته مؤمنيهم • وقيل ليدخل الله في رحمته دينه الاسلام من يشاء ان يدخل
في دينه الاسلام من اهل مكة لو تزيلوا امتازوا اي تميز بعضهم من بعض من زاله يزيله • وقيل تفرقوا
من قوله فزيلنا بينهم لعذبنا الذين كفروا من اهل مكة فيكون من للتبعيض • وقيل هم الصادون فتكون

من زيادة عذابا اليما بالقتل والسبي • وقيل يجوز ان يكون لو تزيلوا تكريرا للولا رجال مومنون لمرجعهما الي معني واحد ويكون لعذبنا جواب لهما • وقيل فتصيبهم منهم معرة هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم وفعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز • قال قتادة في هذه الاية ان الله يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المومنين عن مشركي مكة • عن حسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما انه سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قول الله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما • قال هم المشركون من اجداد رسول الله صلي الله عليه وسلم وممن كان بعدهم في عصرهم كان في اصلابهم المومنين • فلو تزيل المومنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا اليما **قوله تعالي** اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية • فانزل الله سكينته علي رسوله وعلي المومنين والزمهم كلمة التقوي وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شي عليما اذ جعل يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبنا الذين كفروا وصدوهم عن المسجد الحرام في وقت جعل الذين كفروا • وقيل منصوب باذكر مضمرا في قلوبهم اي قلوب الذين كفروا الحمية الانفة حمية الجاهلية حين صدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه عن البيت • ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ولا برسالة النبي صلي الله عليه وسلم • والحمية فعلية من قول القايل حمي فلان انفه • يحمي حمية ومحمية • قال المتلمس •

• الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما •

اي يمتنع • فانزل الله سكينته ووقاره علي رسوله وعلي المومنين • فيوقروا وحلموا وصبروا والزمهم كلمة التقوي اي الاخلاص • وقيل كلمة التقوي بسم الله الرحمن الرحيم • ومحمد رسول الله • ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتاده والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدي • وبن زيد كلمة التقوي لا اله الا الله عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وعن علي رضي الله عنه والزمهم كلمة التقوي لا اله الا الله والله اكبر • وهو قول ابن عمر عطا بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل شي قدير • الحسن كلمة التقوي هي الوفا بالعهد ومعني اضافتها الي التقوي انها سبب التقوي واساسها • وقيل كلمة اهل التقوي وقيل سمعنا واطعنا ومعني الزمهم واجب عليهم وقيل الزمهم الثبات عليها وكانوا احق بها واهلها من غيرهم لان الله تعالي اختار لدينه من هم خيار امته وكان المومنون احق بكلمة التقوي لتقدم انذارهم لولا ما سلبوهم من التوفيق • قيل ان الذين كانوا قبلنا لا يكون لاحد ان يقول لا اله الا الله في اليوم والليلة الا مرة واحدة لا يستطيع ان يقول اكثر من ذلك وكان قايلها يمد بها صوته حتي ينقطع النفس التماس بركتها وفضلها وجعل الله لهذه الامة ان يقولوها متي شاوا وهو قوله والزمهم كلمة التقوي وكانوا احق بها من الامم السالفة وكان الله بكل شي عليما فيجري الامور علي وفق مشيته • وقيل هو انتقام الله لهم **قوله تعالي** لقد صدق الله ورسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفي بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشدا علي الكفار رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود • ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوي علي سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما • راي رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل خروجه الي الحديبية

كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين • وقد حلقوا وقصروا فقص الرويا علي اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم • وقالوا ان رويا رسول الله صلي الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت لقد صدق الله ورسوله الرويا بالحق صدقه في رويا ولم يكذبه تعالي الله عن الكذب فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق متعلق بصدق اي صدقه فيما راي وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق • وقيل متعلق بالرويا حالا منها اي صدقه الرويا ملتبسة بالحق الذي هو من اسمايه علي معني انها لم تكن من اضغاث الاحلام • ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل • وقيل بالحق الذي هو من اسمايه لتدخلن المسجد الحرام جواب القسم المذكور وعلي الاول لتدخلن جواب قسم محذوف • قيل راي في المنام رويا ولها ثلاثة اوجه احدها انه راي رويا تعبيرها دخول مكة علي الصفة المذكورة في القران • والثاني انه راي يدخل المسجد الحرام مع اصحابه محلقين روس البعض ومقصرين البعض خايفين • والثالث انه راي في المنام ان ملكا قال له لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون • ثم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اخبر اصحابه فلما صدوا عن البيت واظهر رسول الله صلي الله عليه وسلم الرغبة في الانصراف علي الصلح قال بعضهم لبعض اليس كان يعدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ناتي البيت فنطوف به فاجابه بعض هل اخبركم انكم تاتونه العام قال لا قال فانكم تاتونه وتطوفون بالبيت فانزل الله لقد صدق الله ورسوله الرويا بالحق بتحقيقه ما اراه وهو ان يكون ما اراه كما اراه • ومعني لتدخلن المسجد الحرام اي محرمين بالعمرة ان شا الله حكاية لقول الملك الذي قال له في المنام فاخبر الله ان ذلك كان منه وبامره وانه محقق هذه البشارة فاخرج بهذا القول الاستثنا من ان يكون علي سبيل التعليق لانجاز الوعد • وقيل علق الله تعالي عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين باداب الله ومقتدين بمشيته • وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله تعالي عن رسوله انه قال ذلك ولهذا استثنا تادبا بادب الله حيث قال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله • وقيل يريد لتدخلن جميعا ان شا الله ولم يمت منكم احدا • الحسين بن الفضل يجوز ان يكون الاستثنا من الدخول لان بين الرويا وتصديقها سنة فمات منهم في السنة اناس • والمراد لتدخلن المسجد الحرام كلكم ان شا الله امنين • وقيل يجوز ان يكون الاستثنا واقعا علي الخوف والامن لا علي الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك • كقوله عليه السلام عند دخول المقابر • وانا ان شا الله بكم لاحقون فالاستثنا واقع علي اللحوق دون الموت • وقيل ان بمعني اذا اي اذ شا الله كقوله ان كنتم مومنين • وان اردن تحصنا • محلقين روسكم ومقصرين بعض روسكم فعلم من تاخير ذلك ما لم تعلموا من ان الصلاح كان في الصلح • وقيل ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الي العام القابل فجعل من دون ذلك من قبل دخولهم المسجد الحرام • وتحقيق رويا رسول الله صلي الله عليه وسلم وفتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المومنين الي ان تيسر الفتح الموعود • ابن زيد فتح خيبر فتح الله عليهم حين رجعوا من الحديبية فقسمها رسول الله صلي الله عليه وسلم علي اهل الحديبية كلهم الا رجلا واحدا من الانصار كان قد شهد الحديبية وغاب عن خيبر وهو ابو دجانة وقيل فتحا قريبا هو صلح الحديبية عن الزهري ما فتح في الاسلام اعظم من صلح الحديبية لانه انما كان القتال حين التقي الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب وامن الناس بعضهم بعضا فالتقوا فتفاوضوا في الحديث والمناظرة فلم يكلم احد بالاسلام يعقل شيا الا دخل فيه فلقد دخل في تلك السنتين في الاسلام

مثل من كان في الاسلام قبل ذلك واكثر هو الذي ارسل رسوله تاكيد لبيان صدق الله في الرويا لانه لما كان
موسلا لرسوله ليهدي لا يريد ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سببا للضلال بالهدي
بالبيان الواضح • وقيل بالقران • وقيل بشهادة ان لا اله الا الله ودين الحق اي الاسلام ليظهره ليعليه على
الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة اديان المشركين • والجاحدين واهل الكتاب ولقد
حقق ذلك سبحانه لانه ليس من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون • وظهروا على بلادهم او على بعضها وظهورهم
على بعض بلادهم ظهور عليهم ولا يري دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة • وقيل هو عند نزول
عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر • وقيل ليظهره محمدا اي ليطلعه على كل الفرايض فيكون ظاهرا
له كاملا • وقيل ليظهره بالحجة والبرهان • وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين
على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويعتض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى
بالله شهيدا انك نبي صادق فيما تخبر • ونصب شهيدا على التفسير • وقيل على الحال والقطع • وقيل
كفى بالله شهيدا على ما وعد كاين الحسين شهد على نفسه انه سيظهر دينك وشهادته له ما اتاه من
المعجزات • محمد اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله • واما مبتدا ورسول
الله عطف بيان • والذين معه اي اصحابه عطف على المبتدا اشداء خبر عن الجميع • ويجوز ان يكون
استينا فاحمد مبتدا رسول الله خبره والذين معه مبتدا اشداء خبره • ويجوز ان يكون والذين
معه في محل جر عطفا على قوله بالله • فيكون لقوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين • ويحتمل الرفع
من هذا الوجه فان الباء زيادة • والتقدير وكفى الله • ويجوز ان يكون والذين معه في محل النصب
لقوله تراهم كما يقول زيدا رايته • فينتصب بفعل مضمر والجمهور على ان قوله والذين معه الصحابة
وقيل هم الانبياء اجمعون • فيكون التقدير محمد رسول الله والذين معه رسل الله فيحسن الوقف على معه
ومعنى اشداء على الكفار يغلظون على من خالف دينهم • وان كانوا اباءهم وابناءهم • والظاهر ان المراد
بالذين معه اصحابه اشداء جمع شديد على الكفار وغلاظ على الكفار ولا تاخذهم فيهم رافة رحماء جمع رحيم
بينهم متعاطفون متوادون بعضهم على بعض • كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
واغلظ عليهم • بالمومنين راوف رحيم • عن الحسن بلغ من شدتهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من
ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا
الا صافحه وعانقه • والمصافحة لا يختلف فيها الفقهاء • واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك
التقبيل وقال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيا من جسده • وقد رخص ابو يوسف
في المعانقة ومن حق المومنين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا
على من ليس على ملتهم ودينهم • ويتحاموا ويعاشروا اخوانهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف
الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السمحة تراهم ركعا الفين • سجدا اي ساجدين اي يكثرون الصلوة
يبتغون فضلا من الله ان يصفح عن تقصيرهم ويدخلهم الجنة ورضوانا ان يرضى عنهم ويتقبل اعمالهم
التي اتوا بها على قدر امكانهم سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر السجود • والمراد بها السمة التي تحدث في
جبهة السجاد من كثرة السجود • وقيل هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا
في الدنيا • وقيل استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر • وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع • سيل مجاهد عن قوله سيماهم في وجوههم
اهو الاثر يكون بين عيني الرجل قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة البعير وهو اقسى قلبا من الحجارة
ولكنه نور في وجوههم من الخشوع • وقال ابن جريج هو الوقار والبهاء • ابن عطية • هو التهجد وصفرة الوجه

والاثر السهر • الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى • عكرمة وسعيد بن جبير هو اثر التراب
على جباههم • ابو العالية يسجدون على التراب لا على الاثواب • سفيان الثوري يصلون بالليل
فاذا اصبحوا راى ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه
بالنهار • وكان كل واحد من العليين علي بن الحسين زين العابدين • وعلي بن عبد الله بن العباس ابو الخلفا
يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير ذلك
مثلهم في التوراة اي ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشان في التوراة والانجيل • ثم ابتدا فقال
كزرع يريد هم كزرع • وقيل تم الكلام عند قوله في التوراة ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل فهما مثلان
ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة ابهمت بقوله كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هولا مقطوع مصبحين شطاه فراخه يقال اشطا الزرع اذا افرخ • انس شطاه نباته • ابن
عباس سنبله حين يتسلع نباته عن حباته • ابن زيد اولاده • مجاهد والضحاك ما يخرج بجنب الحقلة
فينموا ويتم • عطا جوانبه • مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فقد شطاه • السدي هو ان
يخرج معه الطاقة الاخرى • الكسائي طرفه • الفرا اشطا الزرع ان ينبت سبعا او ثمانيا • او عشرا
الاخفش فراخه يقال اسطا الزرع مستشطي اذا افرخ وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم يعني انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون • قتاده مثل اصحاب محمد عليه السلام في
الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
فازره قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ فغلظ وقوي فاستوى تم وتلاحق نباته وقام على سوقه
اصوله يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار • يعني ان الله تعالى فعل ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
ليغيظ بهم الكفار • قيل تعليل عليه تشبيههم بالزرع من نمايهم وترقيهم في الزيادة والقوة • وقيل
تعليل لوعد الله الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم في الدنيا غاظهم
ذلك • ومن في منهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن الحسن في قوله محمد رسول الله
قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر اشداء على الكفار عمر بن الخطاب • رحماء بينهم عثمان بن عفان
تراهم ركعا سجدا علي ابن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير • وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد وسعيد وابو عبيدة سيماهم في وجوههم من اثر السجود • وقال هم المبشرون • اولهم
ابو بكر واخرهم ابو عبيدة ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل قال نعتهم في التوراة والانجيل
كزرع كمثل زرع قال الزرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه •
فازره عمر بن الخطاب • فاستغلظ عثمان بن عفان يعني استغلظ عثمان بن عفان • فاستوى
على سوقه علي بن ابي طالب يعني استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال المومنون ليغيظ
بهم الكفار قول عمر لاهل مكة لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم رضوان الله عليهم اجمعين • وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات • قال ابو العالية في هذه الاية وعملوا الصالحات يعني احبوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورين فيها فبلغ ذلك الحسن فارتضاه واستصوبه منهم • قال
ابن جرير يعني من الشطا الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الى يوم القيامة
ورد هم منهم على معنى الشطا لا على لفظ الزرع لذلك قال منهم ولم يقل منه مغفرة واجرا عظيما • قيل هذا
الوعد لهولا الذين ذكروا في الاية وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان سائر المومنين قد وعدهم الله المغفرة

سورة الحجرات

وهي الف واربعمائة وستة وسبعون حرفا وثلثمائة وثلاث واربعون كلمة وثماني عشرة اية

رب يسر بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه لا تقدموا من غير ذكر المفعول فيفيد شموله لكل ما يخطر بالبال مما تقدم وقيل لم يقصد قصد مفعول ولا حذفه ووجه النهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم سبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه قال صاحب الكشاف الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القران والعلماء له امثل وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهذا الذي يسميه اهل البيان تمثيلا وتحرير هذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكم الله ورسوله به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور ابن عباس لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وعطية عنه لا تتكلموا بين يدي كلامه عن جابر بن عبد الله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في الذبح يوم الاضحى واليه ذهب الحسن البصري لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وعن عائشة رضي الله عنها لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا وعن عبد الله بن الزبير قدم وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع وقال عمر امر الاقرع فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فارتفعت اصواتهما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا قتادة نزلت في ناس كانوا يقولون لو انزل في كذا لوضع كذا وكذا فكره الله تعالى ذلك منهم مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسان رسوله عليه السلام الضحاك يعني في القتال وشرائع الدين يقول لا تقضوا امرا دون الله ورسوله عطاء الخراساني نزلت في قصة بئر معونة وقتل الثلاثة الذين نجوا الرجلين المسلمين الذين اعتزيا الى بني عامر واخذوا ما معهما وكانا من اهل العهد فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق اليه فقال بئسما صنعتم هما من اهل ميثاقي وهذا الذي معكم من كسوتي قالوا يا رسول الله انهما زعما انهما من بني عامر فقلنا هذان من قبل اخواننا فقتلناهما لذلك واتاه المسلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قود لهما لانهما اعتزيا الى عدونا ولكنهما نديهما فوداهما رسول الله عليه السلام وانزل الله في ذلك الاية حين قتل الرجلين ابن زيد لا تقطعوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك بين يدي العلماء فانهم ورثة الانبياء دليل هذا التأويل ما روى عطاء عن ابي الدردا

رأى

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر رضي الله عنه فقال اتمشي امام من هو خير منك في الدنيا والاخرة ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين خير وافضل من ابي بكر رضي الله عنه وقيل انها نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سئل الرسول عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وزجروا ان يقول احد في شيء من دين الله قبل ان يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا تطلبوا منزلة فوق منزلته وقيل لا تفتاتوا على رسول الله شيئا حتى يقضيه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام واتقوا الله في التقديم فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدم المنهي عنه وعن جميع ما يقتضي مراقبته الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العاب فنهاه اولا عن عين ما قارفه من بعد وتشنيع ثم امره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لاقوالكم عليم باعمالكم وحق مثله ان يتقى ويراقب

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس الرسول عليه السلام من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالوه عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا نطق ونطقتم لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم ولا تجهروا له بالقول لانكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله وتعزروه وتوقروه وقيل ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض معناه ولا تنادوه باسمه يا احمد يا محمد كما ينادي بعضكم بعضا ولكن فخموه واحترموه وقولوا له قولا لينا وخطابا حسنا بتعظيم وتوقير يا نبي الله يا رسول الله نظيره قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ان تحبط اعمالكم كي لا تبطل حسناتكم منصوب المحل على انه مفعول له وقيل متعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي بخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وقيل متعلق بنفس الفعل

ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي هو لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل
كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وتخليص
الفرق بين القولين ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي
عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حاله ثم يعلل له منهيا عنه وعند البصريين
تعلق المفعول له بالثاني من النهيين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى اتوني افرغ عليه قطرا
وعند الكوفيين بالعكس وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط ۵
والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وانما هلكت ۵ ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم ۵ ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك
واحبط عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء
في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرص لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الامال
وقد دلت الاية على امرين هايلين احدهما ان فيما يرتكب من يومن من الاثام ما يحبط عمله والثاني
ان في اثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المومن ان يكون في تقواه كالماشي في
طريق شائك لا يزال يحترز ويتقي ويتحفظ وانتم لا تشعرون انه محبط قيل نزلت الاية في
ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم انسانا جهر بصوته
وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتادى بصوته فانزل الله الاية فقعد ثابت في الطريق
يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون نزلت في وانا
رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي وانا اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابتا البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي
فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى اذا خرجت عطفه وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى
عني رسول الله فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم
الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله
لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال
انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت
من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهولاء وما يصنعون ثم قال
ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا
ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا رضي الله عنهما واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة
بعد موته في المنام انه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية
من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره
حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان علي دينا حتى يقضي
وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد
ابا بكر رضي الله عنهما بتلك الرويا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد
موت صاحبها الا هذه ۵ وعن ابي هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا

ارفع

ارفع صوتي الا كاخي السرار حتى القى الله ۵ وعن عمر رضي الله عنه انه ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه ۵ وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم ۵ وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاهانة
لان ذلك كفر والمخاطبون مومنون ۵ وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه
غير مناسب لما يهاب به العظما ويوقر الكبرا فيتكلف الغض منه ۵ ورده الى حد يميل به الى
ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي رفع الصوت الذي لا يتادى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما
اشبه ذلك ففي الحديث انه قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس
وكان العباس اجهر الناس صوتا ۵ يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه ۵
فاسقطت الحوامل لشدة صوته ۵ وفيه يقول نابغة بن جعد ۵

۵ زجر ابي عروة السباع ۵ اذا اشفق ان يختلطن بالغنم ۵

زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه ۵ وروي عن الحسن
رضي الله عنه انها نزلت فيمن يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمحله والخطاب للمومنين على ان ينهى المومنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ ۵
عليهم واشق ۵ وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقتدي به ضعفة المسلمين ۵ وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض
وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم ان لا يكلموه الا بالهمس والمخافتة ۵ وانما نهوا عن جهر
مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ۵ ان الذين
يغضون يخفضون اصواتهم عند رسول الله اجلالا ۵ اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ۵
اي اختبرها واخلصها واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ۵ ابن عباس اكرمها ۵ ۵
قال صاحب الكشاف من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو
مضطلع به غير وان عنه ۵ والمعنى انهم صبر واعلى التقوى اقويا على احتمال مشاقها ۵ وقيل وضع
الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم
للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف ۵ واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كاين له ومختص
به ۵ قال انت لها احمد من بين البشر وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع
المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي ليثبت فيظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة
التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب
وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله
تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اذهب الشهوات والامتحان افتعال من محنه ۵ وهو
اختبار بليغ ۵ او بلاء جهيد ۵ قال ابن عمرو كل شيء جهدته فقد محنته ۵ وانشد ۵

۵ اتت رذايا باديا كلالها ۵ قد محنت واضطربت اطلالها ۵

قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان فيهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار ۵
وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة

من مبتدا او خبر معرفتين معا ٥ والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستود عنها هو جزاوهم على عملهم وايراد الجزا نكرة مبهما امره ناظر في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضا لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم ٥ وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هولا ٥ لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لطاعاتهم ٥ ان الذين ينادونك يعني وفد بني تميم من وراء الحجرات والورا الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلله من خلف او قدام ٥ ومن لابتدا الغاية ٥ وان المناداة نشات من ذاك المكان ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت افرق بين الكلامين بين ما يثبت فيه وما يسقط عنه ٥ قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوزان يجمعهما الورا ٥ وفي الثاني لا يجوز لان الورا يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجمع على الجهة الواحدة مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من ورا الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلق بغير تعيين واختصاص ٥ والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم من ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة ٥ الحجرات جمع حجرة وهي الرقعة من الارض المحجورة بحايط يحوط عليها ٥ وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة كالغرفة والقبضة ٥ والمراد حجرات نسا النبي صلى الله عليه وسلم وكان لكل منهن حجرة ومناداتهم من وراها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من ورا هذه وبعض من ورا تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورايها وانهم نادوه من ورا الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته ٥ والفعل وان كان مسندا الى جميعهم يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع ابن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلا فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم قيل ان اعراب تميم لما جاوا نادوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين ٥ وان ذمنا شين ٥ قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي من بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري وقد صادفوا وقت الظهيرة ووافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهله قايلا ٥ فلما راتهم الذراري اجهشوا اليهم يبكون ٥ وكان لكل امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه عليه السلام فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال يا رسول الله ان الله يامرك ان تجعل بينهم وبينك رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة اني لا احكم بينهم وعمي حاضر وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور اري ان يفادي نصفهم ويعتق نصفهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادي نصفهم واعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عليه محرر من ولد اسماعيل فليعتق منهم ٥ فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الاية ٥ وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى ذلك الرجل فان يكن نبيا نكن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاوا الى حجرة النبي عليه السلام فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك ٥ وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصايحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسايه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ٥ ومنها التعريف باللام دون الاضافة ٥ ومنها ان شفع ذمهم باستجفايهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التميز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر هذه الاية ٥ فتامل كيف ابتدي بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ٥ ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثنا على الذين يخافون ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله تعالى على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من ورا الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره على ان يجهر له بالقول على خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هولا من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب ٥ كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ٥ ولو انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان ينازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ٥ وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر ٥ وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج ٥ قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ٥ ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز ٥ والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله عليه السلام اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتها اليها ٥ فان قلت فاي فايدة في اليهم ٥ قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا والقولهم من كذب كان شر اله ٥ خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا ٥ وقيل خيرا لهم في دينهم بما ينالون من الثواب في تعظيم نبي الله وفي دنياهم بما يكون في ذلك من الدلالة على دفور عقلهم باستعمال السكينة والوقار والله غفور اي مع هذا بليغ الغفران لمن تاب منهم رحيم في قنوطها واسع المغفرة والرحمة فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هولا ٥ سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ان الذين ينادونك من ورا الحجرات قال هم الجفاة من بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ٥ والله اعلم ٥

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٥ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم

ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم • هذه السورة فيها ارشاد المؤمنين
الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله او مع الرسول عليه السلام او مع غيرهما من ابناء الجنس وهم على
صنفين اما ان يكون على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق
والداخل في طاعتهم السالك لطريقتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غايبا عنهم فهذه خمسة اقسام
احدها يتعلق بجانب الله • وثانيها يتعلق بجانب الرسول • وثالثها بجانب الفاسق ورابعها
بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغايب • فذكر الله في هذه السورة خمس مرات يا ايها الذين
امنوا وارشد في كل مرة الى مكرمة مع قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ثانيا يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبيان وجوب احترام النبي
صلى الله عليه وسلم • وقال ثالثا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا لبيان وجوب
الاحتراز عن الاعتماد على اقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم • وبين ذلك عند تفسير قوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا • وقال رابعا يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من
قوم وقال ولا تنابزوا لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم والازدراء بحالهم ومنصبهم
وقال خامسا يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم • وقال
ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن حال
غيبته وذكر ما لو كان حاضرا لتادى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان الابتداء بالله
ثم برسوله ثم يذكر ما يفضي الى القاء الفتنة بين المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق
والاعتماد عليه فانه اهم ثم بالمؤمن الحاضر ثم بالمؤمن الغايب فانه لا يودي الى حد يفضي الى
التقابل • الا ترى ان الله تعالى ذكر عقيب نبا الفاسق اية الاقتتال فقال وان طايفتان من
المؤمنين اقتتلوا نزلت الاية في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا
به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون
قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا
صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه
ونودي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا ان يكون انما رده من الطريق كتب
جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد اليهم في خفية مع عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه
وقال له انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم ترى فيهم غير ذلك
فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشاء
فاخذ صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فاسق ونبا شاع في الفساق
والانبا كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة
ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه • ولما كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع
مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة • قيل ان جاءكم بحرف الشك • وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا
على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا كيلا تصيبوا لقتل والقتال
قوما براءتها له يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا على ما فعلتم على مجالسكم نادمين
والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع
وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزوم لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندم
وهو لزام الشريب ودوام صحبته وذكر بعض العلماء في هذه الاية انه خبر الواحد العدل يجب العمل به
لان الله امر بالتثبت في خبر الفاسق • ولو تثبتنا في خبر العدل لسوينا بينهما • وقيل ان الوليد كان ثقة عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فاسقا بكذبه فخبر الواحد متردد حتى يخرج عمله • وقيل ان الوليد لم يقصد
الكذب لانه ظن لما اجتمعوا لاكرامه انهم اجتمعوا بقتله والظاهر ان التثبت معلل بالفسق فاذا انتفى ولم
يتحقق علة اخرى للتثبت وجب قبول الخبر بدون التثبت ولا شك ان العدل انتفى عنه الفسق ولم يتحققوا
فيه علة اخرى للتثبت فوجب قبوله من غير التثبت والوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان لامه وهو
الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال
هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا الباطل وتفتروا الكذب
فان الله تعالى يخبره انباكم ويعرفه احوالكم فتصبحوا لو يطيعكم الجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستانفا
لادائه الى تنافر النظم ولكن متصل بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز
المجرور وكلاهما مذهب سديد • والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها وهو انكم
تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب الفعل المطواع لغيره
التابع له فيما يرتئيه المحدي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم لوقعتم في الجهل والهلاك يقال فلان
يتعنت فلانا اي يطلب ما يودي به الى الهلاك واعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على
ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان
وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصولون ويرعهم جدهم في التقوى
عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اعنى عن
ذكر البعض صفتهم المفارقة بصفة غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا
الخواص • وقيل لو يطيعكم في كثير من الامر فيحكم برايكم ويقبل قولكم لعنتم لاثمتم وهلكتم وفيه معناه ولكن
رسول الله والراي معه لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لنالكم المكروه اي لو عمل برايكم لكان مخطئا في افعاله
كما لو قبل من الوليد فقبل وقتلتم واخذ المال واخذتم لعنتم لاثمتم وقيل معناه لو فعل جميع ما تختارون
وتريدون لنالكم ضرر وقيل لغويتم وهلكتم • وقيل لو يطيعكم جاء على الاصل لان الطاعة موافقة الداعي
غير ان المستعمل في حق الاكبر الاجابة وفي حق الادون الطاعة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم قيل بنصب الادلة وقيل حسنه وزينه بتوفيقه له • وقيل بما وعد عليه من النصر والفتح
في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرى • والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان فانتم تطيعون رسول الله
وتاتمون به فيقيكم الله بذلك العنت • وكره اليكم الكفر اي قبح الكفر والفسوق والكذب والخروج
من امر الله وارتكاب الكبائر وقيل الفسوق الكبائر والعصيان الصغائر ثم انتقل من الخطاب الى الخبر
فقال اولئك هم الراشدون والخطاب في كاف اولئك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اولئك المستثنون
هم الراشدون الذين تداصابوا طريق الحق ولم يضلوا عن الهدى وفايدته تقدم خبران على اسمها الفضائل.

الي توبيخ بعض المؤمنين علي ما استهجن منهم من استتباع راي رسول الله صلي الله عليه وسلم لارايهم فوجبت
تقديمه لانصباب الغرض اليه وانما قيل يطيعكم دون اطاعكم للدلالة علي انه كان في ارادتهم استمرار
عمله علي ما يستصوبون وانه كلما عن لهم امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان
يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده فوجد منه مستمرا • فان قيل كيف موقع لكن وشريطتها
مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا اجيب بانها مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث
المعني لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم فوقعت لكن في حاق موقعها
من الاستدراك وقيل الكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان
ومحجته بركوب الكباير والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العاند
واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة علي طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة
وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشاده • وانشد •

• وغير مقلد وموشمات • صلين الضوء من صم الرشاد •

فضلا مفعولا له لفعل الرشد • فان الرشد فعل الله • كما ان الفضل فعل الله • ويجوز ان يكون فضلا
مفعولا له للتحبيب والتزيين والتكريه لان الكل تفضل الله لا بفعلهم واختيارهم والجملة التي هي
اوليك هم الراشدون اعتراض وقيل يجوز ان يكون منصوبا عن فعل مقدر كانه قيل جري ذلك او كان
ذلك فضلا من الله وقيل يجوز ان يكون مصدرا من غير فعله علي ان يوضع موضع رشدا لان رشدهم
فضلا من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعني الافضال والانعام • والله عليم باحوال
المسلمين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم في تدبيره حين يفضل وينعم علي من يشا من عباده •

قوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما
علي الاخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفي الي امر الله فان فات فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله
يحب المقسطين • انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون • قال
اكثر المفسرين وقف رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم علي مجلس من مجالس الانصار وهو علي
حماره فبال حماره فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال اليك عنا حمارك فقد اذاني نتنه فقال عبد الله
ابن رواحه والله لحمار رسول الله صلي الله عليه وسلم اطيب منك ريحا فغضب لعبد الله بن ابي رجل من قومه
وغضب لعبد الله بن رواحه رجل من قومه فغضب لكل واحد منهما اصحابه حتي استبوا وتجالدوا بالايدي
والجريد والنعال ولم يقدر رسول الله صلي الله عليه وسلم علي امساكهم فانزل الله هذه الاية فلما نزلت
قراها رسول الله صلي الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض واقبل بشير بن النعمان الانصاري
مشتملا علي سيفه فوجدهم قد اصطلحوا فقال عبد الله بن ابي اعلي تشتمل بالسيف يا بشير قال نعم
والذي احلف به لو جيت قبل ان تصطلحوا لضربتك حتي اقتلك • فانشد عبد الله بن ابي يقول

• هذا البيت •

• متي ما يكن مولاك خصمك جاهدا • تضام ويصرعك الذين تصارع •

قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن
حقي منك عنوة لكثرة عشيرته • وان الاخر دعاه ليحاكمه الي نبي الله صلي الله عليه وسلم فابي ان
يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتي تدافعا وحتي تناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف
الكلبي انها نزلت في حرب بن سمير وحاطب وكان سمير قتل حاطبا فجعل الاوس والخزرج
يقتتلون الي ان اتاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامر نبيه والمومنين ان

يصلحوا بينهم • السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين
زوجها شي فرقي بها الي علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي
والنعال فانزل الله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا • والقياس اقتتلتا لكن حمل علي المعني
دون اللفظ لان الطايفتين في معني القوم والناس فاصلحوا بينهما بالدعا الي كتب الله تعالي
والرضا بما فيه لهما وعليهما فان بغت تعدت احديهما علي الاخري وابت الاجابة الي حكم
كتاب الله تعالي لها وعليها والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا التي تبغي حتي تفي وترجع
الي امر الله في كتب الله الذي جعله عدلا بين خلقه والفي الرجوع • وتد سمي به الظل والغنيمة
لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الي المسلمين • فان فات
رجعت الي الحق فاصلحوا بينهما بالعدل بحملها علي الانصاف والرضا بحكم الله وهو العدل واقسطوا
واعدلوا بينهما في ترك الهوي والميل وقيل اقسطوا ايها الناس فلا تقتتلوا بتمانع الحق ان الله يحب المقسطين
العادلين في القول والفعل القتال • واقسطوا خطاب للمصلحين والمعني حذوا بالصفح والعفو
والفضل بينكم من قوله تعالي ان تبروهم وتقسطوا اليهم • وفي الاية جواز قتال الباغي بالسلاح
وفي هاتين الايتين دليل علي ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالي سماهم اخوة مومنين •
مع كونهم باغين عاصين يدل علي ذلك ما روي الحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سيل وهو القدوة في قتال اهل البغي من اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا
فقيل امنافقون قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا
علينا • عن ابن عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يا بن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن
بغي من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز علي جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب
هاربها ولا تقسم فيها • وعنه رضي الله عنه وجدت في نفسي من شي ما وجدته من امر هذه الامة
ان لم اقاتل هذه الفية الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كافت وقبضت عن
الحرب تركت ولا يخلوا الفيتان من المسلمين في اقتتالهما • اما ان يقتتلا علي سبيل البغي منهما
جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان
لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقاما علي البغي صير الي مقاتلتهما • واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت
عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما
علي مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم يعملا علي شاكلة ما هديتا ونصحتا به من اتباع الحق بعد
وضوحه لهما فقد لحقتا بالفيتين الباغيتين • واما ان يكون احدهما الباغية علي الاخري فالواجب
ان يقاتل فيه البغي الي ان يكف ويتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل
وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغيه من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفية ما جنت
وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان
الضمان يلزمها اذا تابت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها
فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل عند محمد ظاهر منطبق علي لفظ التنزيل وعلي قول
غيره وجهه ان يحمل علي كون الفية قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل
الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعات القسط
وانما قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان يقتتلا
باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كان فالذي يجب علي المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات

البين وتسكين الدما بمداواة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ يجب المقاتلة ۞ واما الضمان فلا يجب وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين ۞ واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر بالتقوى الله عز وجل على عقب النهي عن التقدم بين يديه انما المومنون اخوة في الدين والولاية فاصلحوا بين اخويكم اذا اختلفا واقتتلا هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المومنين ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق اما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من الاخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان تصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه ۞ قال ابو عثمان الحيري اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وسئل الجنيد عن الاخ فقال هو انت في الحقيقة الا انه غيرك في الشخص ۞ وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه البنيان فيستر عليه الريح الا باذنه ولا يوذيه بقتار قدره الا ان يغرف له ولا يشتري الفاكهة لبنيه فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا الجار ولا يحفظه منكم الا القليل وانما خص الاثنان بالذكر لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجميع اكثر منه في شقاق الاثنين ۞ وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج ۞ والمعنى ليس المومنون الا اخوة وانهم خلص لذلك وانهم متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا واقطعوا ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه لعلكم ترحمون اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ۞ يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ٥ يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ واصحابه مجالسهم منه فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد ۞ وكان الرجل اذا

جا

جا فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو ۞ فلما فرغ ثابت من الصلاة وقام منها اقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم يتخطا رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح ۞ فقال له الرجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل وقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه فاستحيا فانزل الله هذه الاية ۞ الضحاك نزلت في وفد تميم الذي ذكرناهم في صدر السورة استهزوا بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى في الذين امنوا منهم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي رجال من رجال والقوم اسم جمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال ۞ لقول زهير ٥ ۞

۞ وما ادري وسوف اخال ادري ۞ اقوم ال حصن ام نساء ۞

وقيل القوم الرجال لانهم القوام بامور النساء ۞ قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء ۞ وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير ۞ وقيل لتسميته بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت قوما او ابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية ۞ واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاد للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسايهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيودي ذلك وان اوجده واحد الى تكثرة السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور به ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضماير وتقوى القلوب وعلمهم بذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله ۞ وقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه ۞ وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا قيل نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من ام سلمة وذلك انها

ربطت حقويها بسبيبة وهو ثوب ابيض ومثلها السبب وسدلت طرفها خلفها فكانت
لسان كلب فكان هذا اسخر منها وقال انس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام
ام سلمة بالقصر وقيل نزلت في عايشة رضي الله عنها اشارت بيدها في ام سلمة انها قصيرة
وروى عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي ابن اخطب اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية يا بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض واللمز الطعن والضرب
باللسان وقيل اللمز العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب ابن يزيد اللمز يكون باللسان
والعين والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم
بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير
بسيرتكم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه
كي لا يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها
الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال
لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد
المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة الف
او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك
السيف او السوط قال الضحاك فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وما منا رجل الا له اسمان او ثلاثة فكان اذا دعا الرجل
الرجل باسم قلنا يا رسول الله انه يغضب من هذا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب قتادة وعكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر
الحسن كان اليهودي والنصراني اذا اسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني
فنهوا عن ذلك ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل بالسيئات ثم تاب
منها ورجع الى الحق فنهى الله ان يعير بما سلف من عمله بئس الاسم الذكر من قولهم طار اسمه
في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع
بين الناس الا ترى الى قوله اشاد بذكره كانه قيل بئس الاسم الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب
ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق قيل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا
ذلك فتستحقوا اسم الفسوق وقيل معناه بئس الاسم الذي تسميه بقولك يا فاسق بعد ان
علمت انه امن قال صاحب الكشاف وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح
الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه
وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا
التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول
للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة ومن لم يتب عما نهو
عنه فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن نزلت في
رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويخف
في حوائجهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم
سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه
فلم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا قالا ولم قال غلبتني عيناي
فقالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلب لنا منه طعاما واداما فجاء
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطك وكان
اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان
اليهما فاخبرهما بذلك فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة
فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع سلمان قالوا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عنه
هل عند اسامة ما امر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا
هذا لحما فقال ظللتم تأكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا يقال جنبته الشر اذا ابعدته عنه وحقيقته جعلته منه في جانب فيعدى الى
مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه
اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك
البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم قال صاحب
الكشاف فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت
مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك
ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة
بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا
بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف
منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها
ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك
اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر
فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المؤمن دمه وعرضه وان يظن به ظن
السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل
واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا كان
اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد
روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له ان بعض الظن اثم ذنب يستحق صاحبه العقاب
ومنه قيل لعقوبته اثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال

قال

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة ... اصاب النوى قبل الممات اثامها

والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا يقال تجسس الامر اذا تطلبه

وبحث عنه بفعل من الجس ٥ كان التلمس بمعنى التطلب من اللمس بمعنى اللمس من الطلب وقد
جا بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السما ٥ والتجسس يقارب التحسس الذي هو التعرف
من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحا والجيم ٥ قيل التجسس عما يكتم ويواري
ومنه الجاسوس ٥ والتحسس بالحا بحث الاخبار والبحث عنها ٥ ومعنى الاية خذوا ما ظهر ودعوا
ما ستر ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه ٥ وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا
ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ٥ وعن يزيد بن وهب
قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا
عن التجسس فان ظهر لنا شي اخذنا به ٥ وعن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف
انه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة فبينما هما يمشيان اذ تبينت لهما سراج في بيت
فانطلقا يوممانه فلما دنيا منه اذا باب مجاف على قوم لهم اصوات مرتفعة ولغط فقال
عمر رضي الله عنه واخذ بيد عبد الرحمن وقال اتدري بيت من هذا فقلت لا ادري قال
هذا بيت ربيعة ابن اميه بن خلف وهم الان شرب فما ترى قال عبد الرحمن ارى انا
قد اتينا ما نهى الله عنه فقال ولا تجسسوا وقد تجسسنا فانصرف عمر رضي الله عنه وتركهم
وعن ابي قلابه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث ان ابا محجن الثقفي شرب الخمر
بيته هو واصحابه فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل
فقال ابو محجن يا امير المومنين ان هذا لا يحل لك وقد نهى الله تعالى عن التجسس فقال
عمر ما يقول هذا فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم صدق يا امير المومنين هذا
تجسس فخرج عمر رضي الله عنه وتركه ٥٥ وروي زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خرج ذات ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فبينما اذ شبت
لهما نار فاتيا الباب واستاذنا ففتح الباب فدخلا فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد
الرجل قدح فقال عمر رضي الله عنه للرجل فقال وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير
المومنين فقال له عمر ومن هذه منك قال امراتي ٥ قال فما القدح قال ماء زلال
قال للمراة وما الذي تغنين ٥٥ فقالت اقول ٥

٥ تطاول هذا الليل واسود جانبه ٥ وارقني ان لا حبيب الاعبه ٥
٥٥ فوالله لولا خشية الله والتقى ٥ لزعزع من هذا السرير جوانبه ٥
٥ ولكن عقلي والحيا يردني ٥ واكرم بعلي ان تنال مراكبه ٥

ثم قال الرجل ما بهذا امرنا يا امير المومنين بل قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال
عمر صدقت وانصرف ٥ ولا يغتب بعضكم بعضا سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فاما ان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته ٥ وقال معاذ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا
فقالوا ما ياكل الا ما اطعم وما يرحل الا ما رحل وما اضعفه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اغتبتم اخاكم فقالوا يا رسول الله وغيبة ان نحدث بما فيه فقال حسبكم
ان تحدثوا في اخيكم بما فيه ٥ وعن ابي هريرة ان رجلا من عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فراوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما اعجز فلانا فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اكلتم لحم اخيكم واغتبتموه ٥ ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ٥
قال قتادة كما انك كاره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها فكذلك فاكره لحم
اخيك وهو حي وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افضع وجه
والحشه ٥ وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما
هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ٥ ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار
بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ٥ ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل
لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ٥ ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وانتصب
ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب على الاخ فكرهتموه ٥ ولما قررهم الله عز وجل بان
احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه ٥ عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار
عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم
له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما نظيره من الغيبة والطعن في اعراض
المسلمين ٥ واتقوا الله ان الله تواب رحيم ٥ واتقوا الله فيما نهاكم عنه وتوبوا اليه عما سلف
وقيل واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه ٥ والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم
تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التايبين والمبالغة في التواب الدلالة على
كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه
عنه ٥ او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه
قال بعض اهل العلم بينا انا نايم اذا انا بجيفة زنجي وقايل يقول لي تاكل قلت
يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما قلت فيه لا خيرا ولا شرا
قال لكنك استمعت ورضيت فكان بعد لا يغتاب احدا ولا يدع احدا ان يغتاب
عنده احدا ٥ وحكي عن بعض الصالحين انه قال كنت قاعدا في المقبرة الفلانية
فاجتاز بي شاب جلد فقلت هذا وامثاله دبال على الناس فلما كان تلك الليلة رايت
في المنام كانه قدم الى جنازة عليها ميت وقيل لي كل من لحم هذا وكشفا عن وجهه فاذا
ذلك الشاب فقلت انا لم اكل من لحم الحيوان الحلال منذ سنين فكيف اكل هذا فقيل
لي فلم اغتبته اذا فانتبهت حزينا فكنت اوي الى تلك المقبرة سنة واحدة فرايت الرجل
فقمت اليه لاستحل منه فنظر الي من بعيد وقال تبت قلت نعم قال ارجع الى مكانك
وروي انه جا ماعز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه زنا فاعرض عنه حتى
اقر اربع مرات فامر برجمه فمر النبي صلى الله عليه وسلم برجلين يذكران ماعزا فقال
احدهما هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما
حتى مر على جيفة حمار شايل رجله فقال صلى الله عليه وسلم انزلا فاصيبا منه فقالا
يا رسول الله غفر الله لك وتوكل لمن الجيفة قال فما اصبتما من لحم اخيكما انفا اعظم
عليكما انه الان في انهار الجنة ينغمس فيها ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون لحومهم ووجوههم فقلت من هولا يا جبريل
قال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم ٥ وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغيبة اشد من الزنا ٥ وقيل وكيف ذلك قال ان الرجل ثم يتوب فيتوب
الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ٥ وقال رجل لابن سيرين

اني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال اني اكره ان احل ما حرم الله • ومن عيسي بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه ارايتم لو ان احدكم راي اخيه المسلم قد كشفت الريح عن ثيابه اكنتم تستردونه قالوا سبحان الله اذ كنا نستره قال بل كنتم تكشفون ما بقي ضربه مثلا لهم يسمعون للرجل سية فيذكرون الشر من ذلك **قوله تعالى** يا ايها انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير •• يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر ادم وانثي حوا • وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بما يدلي به الاخر سوا بسوا فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب • قيل نزلت في ثابت بن قيس • وقوله الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت بن قيس فقال انا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم تنظر اليهم فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واسود واحمر قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوي فانزل الله تعالي في ثابت هذه الاية وفي الذي لم يفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الاية • مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بلالا حتي علي ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتي لا يري هذا اليوم • وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا • وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره • وقال ابو سفيان بن حرب اني لا اقول شيا اخاف ان يخبره به رب السما فاتي جبريل عليه السلام فاخبره بما قالوا فافزوا فانزل الله هذه ونهاهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدرا بالفقرا • يزيد بن شجرة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم يمر ببعض اسواق المدينة واذا غلام اسود قايم ينادي عليه ليباع فيمن يزيد وكان الغلام يقول من اشتراني فعلي شرط فقيل ما هو قال لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم فاشتراه رجل علي هذا الشرط فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة مكتوبة ففقده ذات يوم فلم يجده فقيل له مريض فقال لاصحابه قوموا بنا نعوده فقاموا معه فعادوه فلما كان بعد ايام قال لصاحبه ما حال الغلام • قال يا رسول الله ان الغلام لما به فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ودخل عليه وهو فيما به فقبض علي تلك الحال فتولي رسول الله صلي الله عليه وسلم غسله وتكفينه ودفنه فدخل علي المهاجرين والانصار من ذلك امر عظيم • فقالوا هاجرنا ديارنا واموالنا واهالينا فلم ير احد منا في حيوته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام • وقال الانصار اويناه ونصرناه وواسيناه باموالنا فاثر علينا عبدا حبشيا فعند ذلك الله رسوله صلي الله عليه وسلم فيما تعاطاه من امر الغلام واراهم الله فضل التقوي وانزل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وهي روس القبايل وجمهورها • فنيل ربيعة ومضر والاوس والخزرج واحدها شعب بفتح الشين • والشعب الطبقة الاولي من الطبقات الست التي عليها العرب • وهي الشعب •• والقبيلة • والعمارة • والفخذ والفصيلة • فالشعب يجمع القبايل • والقبيلة تجمع العماير • والعمارة تجمع البطون • والبطن يجمع الافخاد • والفخذ يجمع الفصايل خزيمة شعب وكنانة قبيلة • وقريش عمارة • وقصي بطن • وهاشم فخذ • والعباس فصيله • وسميت الشعوب

عن ابي هريرة رضي قال سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة رضي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الي صوركم واموالكم ولكن ينظر الي قلوبكم واعمالكم رواه مسلم

لان القبايل تشعبت منها • وقيل الشعوب من العجم والقبايل من العرب • والاسباط من بني اسرايل • وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الي احد بل ينتسبون الي المداين والقري والارضين والقبايل العرب الذين ينتسبون الي ابايهم لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده فلا يعتزي الي غير ابايه لا ان تتفاخروا بالابا والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالي فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم • قتادة ان اكرم الكرم التقوي والام اللوم الفجور • وقال النبي صلي الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله • وقال عمر رضي الله عنه كرم الناس دينه وتقواه واصله عقله • وحسبه ماله • ومروته خلقه • وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنا • وكرم الاخرة التقوي • ان الله عليم بكم وباحوالكم خبير بعملكم **قوله تعالى** قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا ان الله غفور رحيم •• لما قال تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقي لا يكون الا بعد حصول التقوي • واصل التقوي الايمان واتقا الشرك • قالت الاعراب امنا ولنا النسب الشريف مع الايمان الذي هو اصل التقوي • قال الله تعالي لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم قل للاعراب لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا • السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله تعالي في سورة الفتح وهم اعراب مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا بالله ليامنوا علي انفسهم واموالهم فلما استنفروا الي الحديبية تخلفوا فانزل الله تعالي قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا فان الايمان هو التصديق القلبي مع الثقة وطمانينة وليس لكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا مخافة السبي والقتل فان الاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمومنين باظهار الشهادتين ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاخبر ان حقيقة الايمان التصديق بالقلب • وان الاقرار باللسان • واظهار شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا دون الاخلاص الذي محله القلب وان الاسلام غير الايمان يدل علي ذلك ان سعد بن ابي وقاص روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اعطي رهطا • وترك رجلا لم يعطه شيا • وسعد جالس فيهم فقال سعد ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو اعجبهم الي فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا • فقال رسول الله او مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما اعلم منه فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فسكت قليلا ثم غلبني ما اعلم منه • فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم او مسلما اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار علي وجهه • واعلم ان الاسلام الدخول في السلم وهو الطاعة والانقياد والمتابعة يقال اسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال اشتي اذا دخل في الشتا • واصاف اذا دخل في الصيف • واربع اذا دخل في الربيع • واقحط اذا دخل في القحط • فمن الاسلام ما هو طاعة علي الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله تعالي لابراهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين • وقوله تعالي فاخرجنا من كان فيها من المومنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • ومنه ما هو الانقياد باللسان دون

القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا بيانه قوله تعالى ۵ ولما يدخل الايمان في قلوبكم
قال صاحب الكشاف فاعلم انما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو
اسلام وما واطا فيه القلب واللسان فهو ايمان ۵ فان قلت ما وجه قوله قل لم تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا ۵ والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا
اسلمنا او قل لم تومنوا ولكن اسلمتم ۵ قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع
ما انتحلوه ۵ فقيل قل لم تومنوا ۵ وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين
لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تومنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه
على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين ۵ اولئك هم الصادقون تعريضا
بان هولاء هم الكاذبون ۵ ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تومنوا
عن ان يقال لا تقولوا امنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان
ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ۵
ليكون خارجا مخرج الدعوى والزعم كما كان قولهم امنا كذلك ۵ ولو قيل ولكن اسلمتم لكان
خروجه في معرض التسليم لهم ۵ والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به ۵ فان قلت قوله
ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة
متجددة ۵ قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم ولما
يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا
حين لم يثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله
لم تومنوا ۵ وما في لما من معنى التوقع دال على ان هولاء قد امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله
ظاهرا وباطنا سرا وعلانية لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم ۵ يقال الته السلطان حقه اشد
الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا ۵ وحكى الاصمعي عن ام هشام
السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات ۵ وقرا ابو عمرو ولا
يالتكم بالالف اعتبارا بقوله ۵ وما التناهم من عملهم من شي ۵ يقال الت يالت

قال الشاعر ۵

ابلغ بني ثعل عني مغلغلة ۵ جهد الرسالة لا التا ولا كذبا ۵

والباقون يلتكم من لات يليت ليتا ۵ كقول روبة ۵ حيث يقول

وليلة ذات ندى سريت ۵ ولم يلتني عن سراها ليت ۵

ومعناهما لا ينقصكم ولا يظلمكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور للذنوب ۵ رحيم بالعباد

قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ۵ قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما
في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم ۵ ثم بين حقيقة الايمان فقال انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي ثم لم يشكوا في وحدانية الله سبحانه وتعالى ۵
ولا نبوة انبيائه صلى الله عليهم وسلم ولا فيما امنوا به بل ايقنوا واخلصوا وارتاب مطاوع رابه
اذا اوقعه في الشك مع التهمة ۵ والمعنى امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن
صدقوه واعترفوا بان الحق ۵ قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي
للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما يثبت من افادة

الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب ۵ قلت الجواب
على طريقين ۵ احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين
بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد فسقط به
على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المومنون حقا بالبعد
عن مثل الموبقات ۵ ونظيره قوله تعالى ثم استقاموا ۵ والثاني ان الايقان وزوال الشك
لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف بكلمة التراخي
اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد
منويا وهو العدو والمحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز
ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها والمجاهدة بالمال نحو ما
صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوات ۵ وكل ما يتعلق بالمال
من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا
في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد ۵ وقيل هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان
حق وجد وثبات يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله اتعلمون
الله بدينكم ومنه تجهيلهم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم ۵

قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ۵
ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ۵ ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما
تعملون ۵ يقال من عليه بيد اسداها كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا
يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع
بها حاجته لا غير من ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما
وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة ۵ وذلك ان الكائن من الاعراب قد سماه الله اسلاما
ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال
الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هولاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد
به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حدثكم
المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان
على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون
وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم للايمان
فلله المنة عليكم ۵ ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ۵ قرا ابن كثير
بالياء من تحت والباقون بالتاء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني ان الله
عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شي فكيف
يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم فانه عالم بكل شي لا يختلف علمه بالنسبة الى
كل معلوم ۵ والله اعلم بالصواب ۵ وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ۵

سورة ق مكية

ويقال لها سورة الباسقات روى العوفي وغيره عن ابن عباس انها مكية ، وكذلك
قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور ، وحكي عن ابن عباس انها آية
مدنية وهي قوله ولقد خلقنا السموات والارض الآية وهي الف واربعمائة وتسعون حرفا
وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة ، وخمس واربعون آية ۝ قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا شيء عجيب ، الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا سواء سوا الا لتقاربهما في اسلوب واحد ، ابن عباس قاسم من
اسماء الله اقسم به ، قتادة اسم من اسماء القرآن ، القرظي افتتاح اسماء الله قدير وقادر
وقاض وقريب ، وقاهر وقابض ، الشعبي فاتحة السورة ، وعكرمة والضحاك
هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء السماء منه وعليه كنف السماء ، وما وجد الناس من
زمردة فهو مما سقط من ذلك الجبل وهي رواية ابي الجوزاء ، عن ابن عباس قال وهب ان
ذا القرنين اتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له ما انت فقال انا قاف
قال فما هذه الجبال التي حولك قال هي عروقي وليست مدينة من المداين الا وفيها عرق منها
فاذا اراد الله تعالى ان يزلزل تلك الارض امرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الارض
فقال له يا قاف فاخبرني بشيء من عظمة الله عز وجل فقال ان شان ربي لعظيم تقصر عن الصفات
وتقصر دونه الاوهام قال فاخبرني بادنى ما يوصف منها قال ان ما ورائي ارضا مسيرة
خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضه بعضا لولا ذلك الثلج لاحترقت من حر جهنم ، قال
زدني قال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة
مائة الف ملك واولئك الملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤوسهم فاذا اذن الله
لهم بالكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الى قوله
وقال صوابا يعني لا اله الا الله ، قال الفراء سمعت من يقول قاف قضي ما هو كائن ،
ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تعدهما ، وقيل معناه قل يا محمد ، وقيل
هو قرب الله من عباده بيانه قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، ابن عطاء اقسم
الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله ۝
والقرآن المجيد ذي المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب ان جاءهم منذر مخوف منهم قد عرفوا حسبه ونسبه ۝
وصدقه وامانته ووساطته فيهم وعدالته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه
مترفقا عليهم خايفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه ، واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان
ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به
من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل
شيء وابداعه واقرارهم بالنشاة الاولى ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون
هذا شيء عجيب ائذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار
ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم هذا
اشارة الى الرجع اي شيء عجيب ائذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك

رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم
والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم
ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن ، واذا كان الرجع بمعنى المرجوع
يكون ناصب الظرف ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث ، والله اعلم ۝ ،
قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، بل كذبوا
بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج ، افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ، فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات
لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ، قد علمنا رد لاستبعادهم
الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى فتاكله من عظامهم
واجسادهم ، وقيل قد علمنا ما يبلى منهم وما يبقى الا العصعص لا تاكله الارض كما جاء في الحديث
كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب ومنه يركب وابدان الانبياء والشهداء ايضا لا تبلى ، وقال
السدي هو الموت ، اي قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن ان يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الاشياء المقدرة ، وقيل حافظ
لما اودعه وكتب فيه ، بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع
من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات لما جاءهم في اول وهلة من
غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وخرج فيقولون
تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد ، سئل ابن عباس عن
المريج ، فقال الشيء المنكر ، اما سمعت قول الشاعر ۝ ،

فجالت والتمست به حشاها ، فخر كانه خوط مريج ۝

الوالبي عنه امر مختلف ، العوفي عنه امر ضلالة ، سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس ،
قتادة من ترك الحق مرج عليه امره ، والتبس عليه دينه ، ابن زيد مختلط ، وقيل
فاسد وقيل متغير ، وكل هذه الاقاويل متقاربة ، واصل المرج الاضطراب والقلق يقال
قد مرج امر الناس ، ومرج الدين ، ومرج الخاتم في اصبعي وخرج اذا قلق من الاضطراب
وفي الحديث مرجت عهودهم واماناتهم ، وقيل الحق القرآن ، وقيل الاخبار بالبعث
افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم كيف بنيناها ورفعناها بغير عمد وزيناها ۝
بالكواكب ، وما لها من فروج شقوق وفتوق واحدها فرج ، ابن زيد الفروج الشيء
المتفرق ، وقيل المسقوف المتقارب بعضه من بعض ، الكسائي ليس فيها تفاوت واختلاف
يعني انها ملسا سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والارض
مددناها بسطناها ودحوناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج ۝
صنف بهيج يبتهج به لحسنه اي يسر بنظره تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة ليتبصر به ، وذكرى ليتذكر كل
عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدايع خلقه يعني تبصيرا وتذكيرا وتنبيها له لان من قدر
على خلق السموات والارض والنبات قدر ان يبعثهم وانزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع
فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد وتدخر وتقتات
فاضاف الحب الى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع ، وربيع الاول

حق اليقين ، وحب الزرع ونحوها والنخل باسقات طوالا في السماء ، وقيل بسوقها استقامتها
في الطول سعيد بن جبير مستويات الحسن مواقر وحوامل ، يقال للشاة اذا ولدت
سقت وحملها السقب على الحال لها طلع ثمر وحمل سمي بذلك لانه يطلع نضيد منضود متراكب
متراكم بعضه فوق بعض ، اي نضيد بعضه على بعض ، مسروق نخل الجنة نضيد من
اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال والدلا ، وانهارها تجري من غير اخدود ، رزقا
اي جعلناها رزقا للعباد ، قال صاحب الكشاف رزقا اي انبتناها رزقا لان الانبات
في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لرزقهم واحيينا به بلدة ميتا قد جف
نباتها وتهشم فانبتنا فيها فاهتزت بالنبات وحييت كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء ، والله اعلم

قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان
لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ، افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس
من خلق جديد ، كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اي قومه كقوله
من فرعون وملايهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل
واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى واخوان لوط
اي قوم لوط وسماهم اخوانه لان بينهم نسبا قريبا فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخويف وتهديد لكفار مكة افعيينا بالخلق
الاول اي اعجزنا عنه وتعذر علينا فعجزنا بالاعادة والخلق الثاني عيي بالامر اذا لم يهتد
لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني
بل هم في لبس شك من خلق جديد وهو البعث ثم قال انهم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول
واعترافهم بذلك في طية الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس في خلطة وشبهة
قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف
الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى خارج عن العادة
فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر وتنكير
خلق جديد له شان عظيم وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد
على لبس في مثله

قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ
في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ، القيا في جهنم
كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب ، الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب
الشديد ، قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدي وقد
قدمت اليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ، يوم نقول لجهنم هل
امتلات وتقول هل من مزيد ، ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به تحدث به نفسه
فلا يخفى علينا سريره والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال
الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا او همس به ويجوز

ان

ان تكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه ، قال واكذب النفس اذا حدثتها ، ونحن اقرب
اليه اي اعلم به واقدر عليه وهو مجاز ، والمراد قرب علمه منه ، وانه يتعلق بمعلومه منه
ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته وكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان
وقد جل عن الامكنة ، وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة
ومعقد الازار ، قال ذو الرمة ، والموت ادنى لي من الوريد ،
وحبل الوريد عرق العنق ، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين والحبل هو الوريد فاضيف
الى نفسه لاختلاف اللفظين لان الحبل هو العرق شبه بواحد الحبال ، الاشعري الى قوله
كان وريده رشاء خلب ، والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في
مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه ، وقيل سمي وريدا لان الروح ترده
واضافة الحبل الى الوريد وهو نفسه للبيان كقولهم بعير سانية ، وقيل يراد حبل العاتق
فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا
اذ منصوب باقرب ، وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظروف متقدمة ومتاخرة ،
والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الا
من كل قريب حين يتلقى المتلقيان اي يتلقى وياخذ المتلقيان الملكان الموكلان الحفظة
وكل الله تعالى بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان
اثره الزاما للحجة ، احدهما عن يمينه يكتب الحسنات ، والاخر عن شماله يكتب السيئات
فذلك قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ولم يقل قعيدان ، قال اهل البصرة
لانه اراد عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، فاكتفى باحدهما عن الاخر ، كقول الشاعر ،
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
والقعيد والقاعد كالسميع والسامع ، والعليم والعالم ، والقدير والقادر ، وقال
اهل الكوفة اراد قعود اورده الى الجنس ، فوضع الواحد موضع الجمع كالرسول في اثنين ، قال
الله تعالى انا رسول رب العالمين ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك منك على ثنيتيك قلمهما لسانك وريقك مدادهما
وانت تجري اطنه فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ، وعنه صلى الله عليه وسلم كاتب
الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل ، وكاتب الحسنات موكل على
كاتب السيئات ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ، قال الحسن ان الملائكة يجتنبون
الانسان عند غائطه وعند جماعه ، ابو الجوزاء ومجاهد يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه ،
وقال عكرمة لا يكتبان عليه الا ما يوجر عليه او يوزر فيه ، الضحاك مجلسهما تحت
الشعر على الحنك ومثله ، روي عوف عن الحسن ، وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله
تعالى في اول الصحيفة خيرا وفي اخرها خيرا الا قال لملائكته اشهدوا اني قد غفرت لعبدي
ما بين طرفي الصحيفة ، وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده المؤمن ملكين
يكتبان عمله فاذا مات قال الملكان الموكلان به اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فلان

لسان

فيأذن الله لنا فنصعد الى السما فيقول الله تعالى ملوي من ملائكتي فيسبحون فيقولان فنفوسه في الارض فيقول الله ارضي مملوة من خلقي يسبحون فيقولان فاين نكون فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة ٥ ما يلفظ ما يتكلم من قول الا لديه عنده رقيب حافظ عتيد حاضر والعتيد بمعنى المعتد من قوله انا اعتدنا ۵ والقرب تعاقب بين التا والدال لقرب مخرجهما فيقولوا عندت واعددت وهدد وهددت وكبت وكبد ۵ قال صاحب الكشاف فحين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهو ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض الصحايف يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد ٥ بذلك مع علمه باحاطة الله تعالى بعلمه من زيادة لطف له في الانتها عن السيات والرغبة في الحسنات ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب ۵ يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس ۵ وجات سكرة الموت لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم انما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم ٥ وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجات سكرة الموت ونفخ في الصور سكرة الموت غمرته وحيرته وشدته الذاهبة بالعقل كالسكر الذي يغلب على فهم الانسان من الشراب والنوم بالحق بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان والباء في بالحق للتعدية ۵ يعني واحضرت سكرة ٥ الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله وقيل حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته ۵ وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذايقة الموت ويجوز ان تكون البا مثلها في قوله تنبت بالدهن ۵ اي وجات ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر ۵ وقيل الحق هو الله مجازه ۵ وجات سكرة امر الله بالموت ۵ عن ابي وايل لما كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقضي قالت عايشة رضي الله عنها ۵ هذا البيت ۵

۵ لعمرك ما يغني الثرا عن الفتى ۵ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ۵ ۵

فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا بنية لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجات سكرة الموت بالحق ذلك الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريقة الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب وقيل تكره ۵ الحسن تهرب ۵ الضحاك تروغ ۵ عطا الخراساني تميل ۵ مقاتل بن حيان تنكص واصل الحيد الميل يقال حاد عن الشي حيدا وحيدا اذا ملت عنه ۵ وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح ابن كيسان فقال والله ما سن عاليه ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين ابن عبد الله بن عبد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد الذي وعد الله تعالى الكفار ان يعذبهم فيه والاشارة الى مصدر نفخ وجات في ذلك اليوم كل نفس معها سايق يسوقها الى المحشر وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير او شر ۵ وروي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب فقرا الاية فقال السايق يسوقها الى امر الله والشاهد يشهد عليها ۵ الضحاك السايق

من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل ۵ ابو هريرة السايق الملك والشاهد العمل ٥ وقال الاخرون هما جميعا من الملائكة فقيل ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سايق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة اي يقول الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا كان الغفلة غطا وغطي به الجسد كله وقيل كان الغفلة غشاوة غطي بها العينين فلا تبصر شيا فكشفنا عنك غطاك ۵ اي فاذا كان يوم القيامة تيقظت وزالت عنك الغفلة والغطا فبصرك اليوم حديد فتبصر ما لا تبصره من الحق فرجع بصرك الكليل عن الابصار لغفلتك حديدا قويا نافذا ثابتا ترى ما كان محجوبا عنك ۵ مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين يوزن حسناتك وسياتك ۵ وقيل اراد بالبصر العلم اي علمك حين لم ينفعه العلم وابصر حين لم ينفعه البصر ۵ وقال قرينه الملك الموكل به هذا ما لدي عتيد معد محضر ٥ ۵ مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من بني ادم قد احضرته واحضرت ديوان اعماله ۵ وقيل قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد هذا ما الذي هو لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم ۵ والمعنى ان ملكا يسوقه واخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغواي واضلالي وما في قوله ما لدي ان جعلتها موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والقيا في جهنم خطاب من الله للملكين السايق والشهيد ۵ اي قال الله للملكين القيا في جهنم ۵ وقيل يجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين ۵ احدهما ان ينزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما فيكون عبر به تكرار القول فيه فكانه يقول الق الق فناب القيا مناب التكرار للتاكيد ۵ والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي ۵ وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين ۵ قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين وهو جيد حسن فيقول ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفرا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليلي ۵ قال امرو القيس ٥ ۵

۵ خليلي مرا بي على ام جندب ۵ نقضي لبانات الفواد المعذب ۵

وقال ۵ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ۵ وقال الاخر ۵

۵ فقلت لصاحبي لا تحبسانا ۵ بنزع اصوله واجتز شيحا ۵

۵ قال الفرا وانشدني ابو ثروان ۵

۵ فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ۵ وان تدعاني احم عرضا ممنعا ۵

وعن الحجاج انه كان يقول ۵ يا حرسي اضربا عنقه ۵ ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجرا للوصل مجرى الوقف كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله عاص معرض عن الحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه قط ۵ وقيل مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم معتد ظالم متخط للحق مريب مشكك ۵ قتاده شاك في الله سبحانه وفي دينه ومعناه انه داخل في الريب الذي جعل في محل النصب بدلا من كل كفار فالقياه تكريرا للتوكيد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ۵ واراد بقوله مناع

للخير انه كان يمنع بني اخيه من الاسلام ويقول لين دخل احد كم محمد لا انفعه بخير ما عشت قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد ربنا ما اطغيته ما اطللته وما اغويته القرطبي ما اكرهته على الطغيان • ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق فيتبرا شيطانه عنه • ابن عباس ومقاتل قال قرينه يعني الملك • وذلك ان المغيرا بن الوليد يقول للملك الذي كان يكتب السيات ربنا انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما ٥ اعجلته • سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل واما اخليت الجملة الثانية عن الواو وادخلت على الاولى لان الجملة الثانية استانفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قيل فاين التقاول ها هنا • اجيب بانه لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين • وقول قرينه ما قال له قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان قايلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي • والمعنى لا تختصموا في دار الجزا وموقف الحساب فلا فايدة في اختصامكم ولا طايل تحته وقد قضيت ما انا قاض وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في القران حذرتكم وانذرتكم ما يبدل القول لدي فلا تبديل لقولي ولوعيدي ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم ما يبدل القول لدي هو قوله ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • قال الفرا ما يكذب عندي لعلمي بالغيب • وما انا بظلام للعبيد فاعاقبهم بغير جرم واجزي بالحسنى • قال صاحب الكشاف والبا في بالوعيد مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • وقيل معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به • فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الاخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب • قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الاخرة • فان قلت كيف بظلام على لفظ المبالغة • قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفي ذلك • يوم نقول انتصاب يوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر • ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم • واي هذا اشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف ٥ قرا نافع وابو بكر عن عاصم يقول باليا والباقون بالنون لجهنم هل امتلات لما سبق من وعيد اياها انه يملاها من الجنة والناس اجمعين • وهذا السوال من الله سبحانه وتعالى على طريق التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاهل عذابه والتنبيه لجميع عباده ٥ وتقول جهنم هل من مزيد يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الاستزادة اي هل من مزيد فازاده

ويحتمل

قال قرينه رح

ويحتمل ان يكون جحدا اي ما من مزيد وانما صح هذا الوجهين جميعا لان في الاستفهام ضربا من الجحد وطرفا من النهي • قال صاحب الكشاف وسوال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتنبيهه • وفيه معنيان • احدهما انها تمتلي مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شي ولا يزاد على امتلايها لقوله لاملان جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد • ويجوز ان يكون هل من مزيد استكبارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا للعصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد • واما اسم مفعول كالمبيع قال ابن عباس ان الله قد سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • فلما بعث الناس وسيق اعدا الله الى النار زمرا جعل يقتحمون في جهنم فوجا فوجا لا يلقى في جهنم شي الا ذهب فيها ولا يملاها شي فقالت الست قد اقسمت لتملاني فوضع قدمه عليها ثم نقول لها هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات فليس في من مزيد • قال ابن عباس ولم يكن يملاها شي حتى وجدت مس قدم الله فتضايقت فما فيها موضع ابرة • ومعنى القدم قوم يقدمهم الله الى جهنم يملاها بهم قد سبق في علمه انهم صايرون اليها وخالدون فيها سيل الخليل عن معنى هذا الخبر فقال هم قوم قدمهم الله للنار • وقال عبد الله بن المبارك هم قوم قدمهم الله المتاكين قد سبق في علمه انهم من اهل النار • وكل ما تقدم فهو قدم • قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم يعني اعمالا صالحة قدموها • والرجل العدد الكثير من الناس ومنهم يقال رايت رجلا من الناس ومر بي رجل من الجراد ويصدق هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في سياق الحديث ولا يظلم الله من خلقه احدا فدل ان الموضوع الملقى في النار خلق من خلقه • وقال بعضهم اراد قدم بعض ملايكته ورجله فاضافه اليه لقوله تعالى واسال القرية

قوله تعالى

وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ • من خشي الرحمن بالغيب وجا بقلب منيب • ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود • لهم ما يشاون فيها ولدينا مزيد • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ٥ وازلفت وادنيت الجنة للمتقين حتى يروها قبل ان يدخلوها غير بعيد منهم نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث او على حذف الموصوف اي شيا غير بعيد • ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد • وعزيز غير ذليل • هذا ما توعدون • اي يقال لهم هذا ما توعدون في الدنيا على السنة الرسل لكل اواب تواب رجاع الى الطاعة • ابن عباس وعطا اواب مسبح من قوله تعالى يا جبال اوبي معه • الحكم بن عيينة هو الذاكر لله في الخلا • الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها • قتادة المصلي • مقاتل المطيع • عبيد بن عمير هو الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله تعالى • ابو بكر الوراق هو المتوكل على الله في السرا والضرا لا يهتدي الا الى الله تعالى • المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه • القاسم هو الذي لا يشتغل الا بالله • حفيظ ابن عباس هو الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها • قتادة حفيظ لما استودعه من حقه ونعمه • ابن عباس ايضا الحافظ لامر الله • الضحاك المحافظ على نفسه المتعهد لها • عطا هو الذي يذكر الله في الارض

ينا

القفرآء • السعي هو المراقب • ابو بكر الوراق الحافظ لاوقاته وهماته وخطراته • سهل بن
عبد الله الحافظ على طاعات الله تعالى ولاوامر الله • وهذا ما توعدون جملة اعتراضية
لكل اواب بدل من المتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ••
هذا اشارة الى الثواب • او الى مصدر وازلفت من خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع
لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ • ولا يجوز ان يكون في حكم
اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده
ويجوز ان يكون مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجميع • ويجوز ان
يكون منادى كقولهم • من لا يزال محسنا احسن اليه • وحذف حرف الندا
للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غايب لم يعرفه وكونه معاقبا
الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي خشيه ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غايب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه • وقيل في الخلوة
حتى لا يراه احد • وانما قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي
وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما انه اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي غايب
ونحوه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات
ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله • لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب • وقيل
منيب مقبل الى طاعة الله تعالى • ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا بحرمته
مواليا له متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه • ادخلوها بسلام اي يقال لهم ادخلوها
سالمين من العذاب وزوال النعم • وقيل بسلام مسلما عليكم • يسلم الله عليكم وملايكته
ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود
لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه •
وقال جابر وانس هو النظر الى وجه الله بلا كيف • وقيل السحاب يمر باهل الجنة
فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد • وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد • ابن عباس اثروا • الضحاك طافوا • مجاهد ضربوا
النضر وخوا • الفراء خرقوا • المورج تباعدوا • ومنه قول امري القيس •
•• لقد نقبت من الافاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب ••
والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب • قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلا[د]
من حذر الموت • وجالوا في الارض كل مجال • وقيل فنقبوا في البلاد ساروا فيها
طلبا للمهرب • ودخلت الفاء للتسبيب هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه • وقيل اريد فنقبت اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد
القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم هل من محيص من الله او من الموت
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد • ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه
وادبار السجود • ان في ذلك اي في القرون التي اهلكت • وقيل فيما ذكر في هذه
السورة لذكرى تذكرة وعظة لمن كان له قلب اي عقل فكنى عن العقل بالقلب لانه موضعه

وسمعه

وسمعه • قتادة لمن كان له قلب حي نظيره لينذر من كان حيا • السلمي كل قلب خاضع لله
لا يغفل عنه طرفة عين • يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى
اذا احضر امر من امور الاخرة لم يدر ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا • وقلب قد احتشى باهوال
الاخرة حتى اذا احضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الاخرة • وقيل
معناها ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب مستقر لا ينقلب عن الله في السراء والضراء
وقيل له قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع اي استمع القران
تقول العرب الق الي سمعك اي استمع • الحسن بن الفضل وجه مسامعه ونحوها الى الذ[كر]
كما يقال اصغى اليه وهو شهيد حاضر القلب بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب
قتاده وهو شهيد على ما يقرا ويسمع في كتاب الله من نعت محمد عليه السلام • وقيل
وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله سبحانه وتعالى • وقيل وهو بعض الشهدا
في قوله لتكونوا شهدا على الناس • ولقد خلقنا السموات والارض • عن ابن عباس ان
اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن خلق السموات والارض قال خلق الله الارض
يوم الاحد ويوم الاثنين • وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثا • وخلق الشجر والنبات
والما يوم الاربعا • وخلق السموات يوم الخميس • وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة
فقالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استرا[ح]
يوم السبت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب من اعيا وتعب • قيل ان الذي
وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ • فاصبر على ما يقول اليهود
ويأتون به من الكفر والتشبيه •• وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث
فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم • وقيل هي منسوخة باية السيف
وقيل الصبر مامور به في كل حال • وسبح بحمد ربك حامدا ربك • عطا الخراساني يعني قل
سبحان الله • والحمد لله • وقيل وصل بامر ربك وتوفيقه قبل طلوع الشمس اي صلاة الصبح •
وقبل الغروب صلاة العصر • وعن ابن عباس وقبل الغروب صلاة الظهر والعصر • ومن الليل
فسبحه يعني صلاة العشايين • مجاهد من الليل كله يعني صلاة الليل في اي وقت • وادبار
السجود التسبيح في ادبار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة • وقيل النوافل
بعد المكتوبات • قال عمر بن الخطاب • وعلي بن ابي طالب • وابو هريرة رضي الله عنهم
والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي رحمهم الله السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان
قبل الفجر • وعن ابن عباس قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب
ادبار السجود • وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد
المغرب ركعتين قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين • قال انس يقرا في الركعة الاولى قل يا ايها
الكافرون • وفي الاخرى قل هو الله احد • مقاتل وقتها ما لم يغب الشفق • مجاهد هو التسبيح
باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات • ابن زيد هو النوافل ادبار المكتوبات
قرا ابو عمرو وعاصم والكسائي وابن عامر ويعقوب بفتح الالف والباقون بالكسر • وقال
بعض العلما في قوله قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر • وقبل الغروب الركعتان قبل المغرب • وقال
انس كان ذوو الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب

عن دعان مولي حبيب بن مسلمة رايت اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يهنون اليها كما يهنون
الي المكتوبه يعني الركعتين قبل المغرب • قتادة ما ادركت احدا يصلي الركعتين قبل المغرب
الا انسا وابو برزة الاسلمي • قوله تعالى واستمع يوم يناد المنادي من مكان
قريب • يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج • انا نحن نحيي ونميت والينا المصير • يوم
تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير • نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر
بالقران من يخاف وعيد • واستمع يا محمد لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك
تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه يوم ينادي المنادي منصوب بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وينادي المنادي اسرافيل ايتها
العظام البالية • والاوصال المتقطعة • واللحوم المتمزقة • والشعور المتفرقة ان الله
عز وجل يامركن ان تجتمعن لفصل القضا • وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبريل ينادي
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض واقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا • وقيل باثني عشر يوم يسمعون بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الاخيرة
بالحق متعلق بالصيحة • والمراد به البعث والحشر للجزا ذلك يوم الخروج من القبور
انا نحن نحيي الخلق ونميت اي نميتهم في الدنيا والينا المصير بالبعث في الاخرة • يوم تشقق
تتصدع الارض عنهم سراعا جمع سريع حال من المجرور في عنهم ذلك حشر جمعهم علينا يسير •
هين • تقديم علينا يدل على الاختصاص • يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر
على كل شي الذي لا يشغله شان عن شان • كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقول المشركون من تكذيبك وتكذيب البعث والافترا على ربك هذا تهديد
لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وما انت عليهم بجبار بمسلط تقهرهم على
الاسلام انما بعثت مذكرا منذرا محذرا فذكر بالقران من يخاف وعيد • قالوا
ابن عباس قال المومنون لو ذكرتنا يا رسول الله • فانزل الله سبحانه وتعالى فذكر بالقران
من يخاف وعيد • خص الخايفين لانتفاعهم • والله اعلم بالصواب ••

سورة والذاريات مكية

وهي الف وثلاثماية وتسعة وثمانون حرف • وثلثماية وستون كلمة • وستون اية •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • وبه التوفيق

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا • فالجاريات يسرا • فالمقسمات امرا • انما توعدون
لصادق • وان الدين لواقع • والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يوفك عنه من افك
والذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره • قال الله سبحانه وتعالى تذروه الرياح
يقال ذرت الريح التراب واذرت • عن الاعرج بلغنا ان مساكن الرياح تحت اجنحة
الكروبين حملة العرش فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برووس الجبال
ثم تقع من رووس الجبال فتقع في البر • فاما الشمال فانها تمر بجنة عدن فتاخذ من عرف طيبها
فتمر على ارواح الصديقين ثم تاخذ حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وتاتي الدبور
حدها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل • وياتي الجنوب حدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس

وياتي الصبا حدها من مطلع الشمس الى كرسي نعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد
هذه • فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر • والجاريات يسرا السفن يسرا اجريا
ذا يسر اي ذا سهولة • والمقسمات امرا الملايكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها
او تفعل التقسيم مامورة بذلك • مجاهد تتولى تقسيم امر العباد • جبريل للغلظة • وميكاييل
للرحمة • وملك الموت لقبض الارواح • واسرافيل للنفخ • وعن الحسن المقسمات يقسم الله بها
ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الكواكب لانها تنشي
السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب
فان قيل ما معنى الفا على التفسيرين • اما على الاول فمعنى التعقيب في انه اقسم بالرياح
فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك الذي تجريه بهبوبها فبالملايكة التي تقسم الارزاق
باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه • واما على الثاني فلانها تبتدي في
الهبوب فتذرو التراب والحصا فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر
انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق
كعيشة راضية والدين الجزا والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك الطرايق مثل حبك
الرمل والما اذا ضربته الريح • وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسيره •
قال زهير •
مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مايه حبك •
والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرايق • ويقال ان خلقة السما كذلك • وعن الحسن
حبكها نجومها • والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرايق الوشي • وقيل حبكها صفاقتها
واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها • واذا اجاد الحايك الحياكة قالوا
ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق • انكم يا اهل مكة لفي قول
مختلف في القران انه سحر وشعر واساطير الاولين • وفي محمد من مصدق ومكذب
ومعتر ومنكر وانه ساحر وشاعر ومجنون • الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا
انما هو مختلف متناقض • وقيل نزلت في المقتسمين يوفك يصرف عنه القران او الرسول
اي عن الايمان بهما من افك من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم فحرمه كقوله
لا يهلك على الله الا هالك • وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل
انه مافوك عن الحق لا يرعوي • وقيل يصرف عن هذا القول اي من اجله وبسببه عن
الايمان من صرف • وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون له انه
ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد • وقد تكون عن
بمعنى من اجل • ويجوز ان يكون الضمير لما يوعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان
وقوع امر القيامة حق • ثم اقسم بالسما على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم
جاحد ثم قال يوفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المافوك • والله اعلم ••

قوله تعالى قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون • يسالون ايان
يوم الدين • يوم هم على النار يفتنون • ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
قتل الخراصون الكذابون • ابن عباس المرتابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا
عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام

الرياح

وقال مجاهد هم الكهنة دعا عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره • واصله الدعا
بالقتل والهلاك • ثم جرى مجرى لعن وقبح • وقتل الخراصون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب
القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هولا الخراصون الذين هم في غمرة غفلة
وشبهة وجهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به • يسلون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزا
يعني متى يوم القيامة استهزا منهم بذلك وتكذيبا ولم يقع ايان ظرفا لليوم لان الاحيان
لا تقع ظروفا الا للحدثان فيكون معناه ايان وقوع يوم الدين • يوم هم الذي وقع في
الجواب منصوب بفعل مضمر دلت عليه السوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز
ان يكون يوم مبنيا على الفتح لاضافته الى الجملة التي هي غير متمكن وهي قوله هم على النار
يفتنون • واذا كان مبنيا على يكون محله النصب بالفعل المضمر الذي هو يقع وقيل
محله الرفع على تقدير هو يوم هم على النار يفتنون • والمعنى قال الله تعالى يقع هذا
الجزا في يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ويحرقون وينضجون بالنار كما يفتن
الذهب بالنار • ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة • قيل ومجاز لفظه
على هاهنا انهم يوقفون على النار • وقيل هو بمعنى البا ذوقوا فتنتكم في محل النصب على الحال
اي مقولا لهم ذوقوا فتنتكم هذا اي هذا العذاب مبتدا الذي خبره اي هذا العذاب
الذي كنتم به تستعجلون • ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب

قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون اخذين بما اتاهم ربهم انهم
كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالاسحار هم يستغفرون
وفي اموالهم حق للسايل والمحروم • ثم ذكر حال المتقين فقال ان المتقين في جنات وعيون
اخذين قابلين ما اتاهم كل ما اعطاهم راضين به اي انه ليس في ما اتاهم الا ما هو متلقى
بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب • ومنه قوله ويأخذ الصدقات اي يقبلها
ويرضاها • سعيد بن جبير يعني اخذين بما امرهم ربهم عاملين بالفرايض التي اوجبها عليهم انهم
كانوا قبل ذلك قبل دخولهم الجنة محسنين • قد احسنوا اعمالهم في الدنيا • وقيل قبل
نزول الفرايض محسنين في اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم
ما مزيدة • والمعنى كانوا يهجعون في طايفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك
ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا • ويجوز ان يكون ما مصدرية اي كانوا
قليلا من الليل هجوعهم • ويجوز ان يكون موصولة اي كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
فيه • وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفرط الهجوع وهو الغرار
من النوم • قال • قد حصت البيضة راسي فما • اطعم نوما غير تهجاع •
وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة • وزيادة ما المؤكدة
لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين • محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا
العتمة • انس يصلون ما بين المغرب والعشا • مطرف كل ليلة تاتي عليهم لا يصلون
فيها لله تعالى اما من اولها واما من وسطها • الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما
نشطوا فلا ينامون الى السحر وبالاسحار هم يستغفرون • فاذا سحروا اخذوا في الاستغفار
كانهم اسلفوا في ليلهم الجرايم • وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقا
بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه • ابن عمر يصلون

الضحاك يصلون صلاة الفجر • وفي اموالهم حق للسايل الذي يسال الناس ويستجدي والمحروم
الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان • قالوا فما هو قال الذي لا يجد
ولا يتصدق عليه • وقيل المحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم • وقيل
المحارف الذي لا يكاد يكسب • عكرمة المحروم الذي لا ينمي له مال • زيد بن اسلم
هو المصاب ثمره او زرعه او ماشيته • محمد بن كعب القرظي صاحب الجايحة • ثم قرا انا
لمغرمون بل نحن محرومون • عن ابي قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجا سيل فذهب بماله
فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحروم واصله في اللغة الممنوع
من الحرمان وهو المنع • عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا انس ويل للاغنيا
من الفقرا يوم القيمة يقولون يا ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول
وعزتي لاقربنكم ولابعدنهم فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم حق للسايل والمحروم

قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين • وفي انفسكم افلا
تبصرون • وفي السما رزقكم وما توعدون • فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون • قيل متعلق بقوله انما توعدون لصادق • وان الدين لواقع • وفي الارض
ايات للموقنين تدلهم على ان الحشر كاين • كقوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة الى ان قال ان الذي احياها لمحي الموتى • وقيل متعلق بافعال المتقين فانهم خافوا
الله فقطعوه واظهروا الشفقة على عباده • وكان لهم ايات في الارض وفي انفسهم على اصابتهم
الحق في ذلك • فان من يكون له في الارض الايات العجيبة تكون له القدرة التامة فيحيي
ويبقي • ومن له في انفس الناس حكم بالغة ونعم سابغة يستحق ان يعبد ويترك الهجوع تعبدا
واذا بالغ العبد عبادته بالغة حدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير • واذا علم
ان الرزق من السما لا يبخل بماله • وفي الارض ايات يدل على الصانع وقدرته وحكمته
وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها
المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاه • فمن سهل وجبل وبر
وبحر • وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان
النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الانواع والطعوم والروايح تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوايج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة • والدواب المنبثة في
برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام
وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة
فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا اية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا
مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم • وفي انفسكم في حال ابتدايها وتنقلها من حال الى حال
وفي بواطنها وظواهرها من عجايب الفطر وبدايع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك
بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق
ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطايفها من الايات الساطعة • والبينات
القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وساير الجوارح وتاتيها لما خلقت

له وما سوي في الاعضا من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسي شي منها جا العجز واذا
استرخي اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين • ابن الزبير وفي انفسكم افلا تبصرون سبيل
الغايط والبول • ابن شريك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين • ولو شرب
لبنا محضا خرج دما فتلك الاية في النفس • ابو بكر الوراق تحويل الحالات وضعف القوى
وقهر المنه • وعجز الاركان • وفسخ الضريمة • ونقض العزيمة • وفي السماء رزقكم هو المطر
لانه سبب الاقوات • سعيد بن جبير هو الثلج والمطر اللذان بهما تخرج الارض النبات
الذي هو سبب الاقوات • وقيل معناه وفي المطر سبب رزقكم فسمي المطر سما لانه
عن السما نزول • قال الشاعر •

• اذا سقط السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •

وعلى رب السما رزقكم في بمعني علي كقوله في جذوع النخل والرب مقدر كقوله وسيل
القرية • ونظيره قوله • وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها وما توعدون من خير
او شر • الضحاك • وما توعدون من الجنة والنار • ابن سيرين وما توعدون الساعة
وقيل ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب في
السما فورب السما والارض انه اي الذي ذكرت من امر الرزق لحق مثل • قرا حمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم والباقون بالنصب على انه لحق حقا
مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتح بنا لاضافته الى غير متمكن وما مزيد بنص الخليل وهذا
كقول الناس ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع وقيل ما انك هاهنا والضمير في انه اشارة الي
ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم والى ما توعدون •

قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون • فراغ الى اهله فجا بعجل سمين • فقربه اليهم قال الا تاكلون
فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم • فاقبلت امراته في صرة فصكت
وجهها وقالت عجوز عقيم • قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم • قال فما خطبكم
ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند
ربك للمسرفين • فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم • اشارة الى تسلية قلب النبي صلى الله عليه
وسلم ببيان ان غيره من الانبيا عليهم السلام كان مثله واختار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين
وكون النبي عليه السلام على سنته في بعض الاشيا وانذار لقومه ما جرى من الضيف
من انزال الحجارة على المذنبين المضلين • هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اي ما كان
من شانهم والعرب تقول للمخاطب اذا اخبر عن خبر ماض هل اتاك خبر كذا وان علم انه لم
ياته • وقيل هل هاهنا بمعني قد اي قد اتاك • وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
به القوم اي هل يمكنهم ان يقولوا اتاك حديث ابراهيم من غير وحي به اليك • وبالجملة هل اتاك
تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي ضيف للواحد
والجمع كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر رضافه ابن عباس ومقاتل كانوا اثني
عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل عطا كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر سماهم ضيفا
لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم وقيل لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين

ابن

ابن عباس سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين عبد العزيز • الكتاني كانوا مكرمين عند الله
وقيل ان ابراهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امراته وعجل لهم القرى اذ دخلوا انتصب بالمكرمين
اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فيما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر فقالوا سلاما قال سلام
قوم اي انتم قوم منكرون غربا لا نعرفكم • وقيل انما انكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان
ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك البلاد لانه علم للاسلام • وقيل اراد
انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر
او راي لهم شكلا وحالا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون
فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه • ومن ادب المضيف ان
يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره فجا
بعجل سمين قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم البقر • فقربه اليهم قال الا تاكلون
الهمزة فيه للانكار انكر ابراهيم عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس منهم فاضمر منهم خيفة
انما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوا ابن عباس وقع في نفسه
انهم ملائكة ارسلوا للعذاب • قال الملائكة لابراهيم عليه السلام لا تخف انا رسل الله وقيل
ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وكانت في الدار فصدقهم وامن
فبشروه بغلام باسحاق باجماع من المفسرين الا مجاهدا وحده انه قال المبشر به في الاية
اسماعيل عليم يعلم اذا بلغ والعليم المبالغ في العلم • فاقبلت امراته في صرة في صيحة ولم يكن
ذلك باقبال من مكان الى مكان بل معناه فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني فحمل في صرة
النصب على الحال فجاءت سارة ابن عباس اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها
وجدت حرارة الدم فضحكت فلطمت وجهها من الحيا • وقيل صرتها قولها اوه • وقيل
يا ويلي عكرمة رنتها • وقيل فضحكت فلطمت بيسط يديها • وقيل فضربت باطراف اصابعها
جبهتها فعل المتعجب • وقالت عجوز انا عجوز عقيم فكيف الد • وقيل قالت اتلد عجوز ولها
تسع وتسعون سنة وكانت في شبابها عقيما • قالوا اي الملائكة كذلك اي مثل ذلك الذي قلنا
واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله
العليم بعباده • روي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور • قال
ابراهيم فما خطبكم فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون اي ارسلتم لامر جليل وشان عظيم فما ذاك
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي لاهلاكهم وهم قوم لوط ومدينتهم سدوم لنرسل عليهم حجارة
من طين يريد السجيل وهي طين مطبوخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من
السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به • وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب
وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم
في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها في القرية فالضمير فيها للقرية
ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المؤمنين يعني لوطا ومن امن به قيل هم لوط وابنتاه • وقيل
كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين من ذهب الى
ان الايمان هو الاسلام احتج بهذه الاية تقدير الاحتجاج انه تعالى استثنى المسلم من المؤمنين
حيث قال فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • اي غير اهل بيت

يدل على ذلك قوله من المسلمين وغير هاهنا بمعنى الا اي فما وجدنا فيها الا اهل بيت من المسلمين
لان غيرا اما بمعنى الصفة او بمعنى الا او بمعنى ثالث والثالث باطل بالاتفاق والاول ايضا
باطل والا يلزم الا يوجد فيها غير بيت من المسلمين فتعين الثاني فيكون معناه فما وجدنا فيها
الا اهل بيت من المسلمين فيكون الاستثناء مفرغا فيكون المستثنى منه ما تقدم ذكره او غيره
والاصل عدمه اذ لا دلالة عليه فتعين ما تقدم ذكره وهو قوله من المؤمنين فيكون المسلم
مستثنى من المؤمنين فيلزم اتحاد الايمان والاسلام • والجواب ان غاية ما ذكر
ان المؤمن يصدق على المسلم ولا يلزم من صدق المؤمن اتحاد مفهوم الاسلام والايمان فان الكاتب
يصدق على الاسود في شخص اسود كاتب ولا يلزم من ذلك اتحاد مفهوم الكتابة والسواد
وتركنا فيها في القرية اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم اي يعتبر بها الخائفون دون
القاسية قلوبهم قيل انها اسود منتن ابن جريج هي صخر منضود فيها • والله سبحانه اعلم •

قوله تعالى وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين • فتولى
بركنه وقال ساحر او مجنون • فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم •
وفي موسى معطوف على وفي الارض ايات للموقنين • وقيل معطوف على قوله وتركنا فيها
اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله • علفتها تبنا وماء باردا ٥
فتولى فاعرض عن الايمان وادبر بركنه بقوته وقومه يعني المنعة والعشيرة المورخ بجانبه
وجميع بدنه وهو كناية عن المبالغة في الاعراض • وقيل بميله عن الحق والركن ما ركن اليه
الانسان من مال وجند وقوة • وقال فرعون هو اي موسى ساحر او مجنون • فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم اتى بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو
حال من الضمير في فنبذناهم • قال صاحب الكشاف فان قلت كيف وصف نبي الله
يونس بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم • قلت موجبات اللوم
تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها ٥
وكذلك مقترف الصغيرة • الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى ادم ربه لان الكبيرة
والصغيرة يجمعها اسم العصيان كما يجمعها اسم القبيح والسيئة ٥

قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم • ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم •
العقيم وهي التي لا تلقح شجرا • ولا تنشئ سحابا ولا رحمة فيها ولا بركة وهي ريح الهلاك
فعن علي رضي الله عنه النكباء • وعن ابن عباس الدبور • وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من
شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالشيء البالي الذي اتت عليه الايام والليالي وقيل
الرميم الرماد • وقيل التراب المدقوق • وقيل العظم البالي • وقيل الهشيم من النبات
وقيل ما رمته الماشية بمرمها وهي الشفة والمعنى ما يترك من شيء هبت عليه من انفسهم ٥
واموالهم وانعامهم الا اهلكته

قوله تعالى وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين • فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون • فما استطاعوا من
قيام وما كانوا منتصرين • وفي ثمود قوم صالح اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • يعني وقت فني اجالهم
تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا فاستكبروا عن امر ربهم عن امتثاله فاخذتهم
الصاعقة • قرا الكسائي الصعقة بسكون العين من غير الف والباقون بالالف وكسر العين
الصعقة المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وهي النازلة نفسها • يقال كل صاعقة

في

في القران فهي عذاب وهم ينظرون اليها نهارا اي يعاينونها فما استطاعوا من قيام فما قاموا
بعد نزول العذاب بهم وما قدروا على نهوض به ولا دفاع وما كانوا منتصرين ممتنعين منا
ولا ممتنعين من العذاب • قتادة ما كانت قوة يمتنعون بها من امر الله تعالى ٥ • والله اعلم

قوله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين • قرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي وخلف وقوم بالجر اي وفي قوم نوح والباقون بالنصب على معنى
واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه • وقيل واذكر قوم نوح • وقيل مردود على
هم في قوله فاخذتهم الصاعقة اي واخذت قوم وهو ضعيف من قبل عاد وثمود وقوم
فرعون انهم كانوا قوما فاسقين كافرين عاصين ٥

قوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون • والارض فرشناها فنعم الماهدون
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون • ما تقدم كان بيانا للحشر وهذا بيان للوحدانية
والسماء بنيناها بايد بقوة والايد والاود القوة • وانا لموسعون لقادرون من الوسع
وهو الطاقة • والموسع القوي على الانفاق • الحسن لموسعون الرزق على خلقنا بانزال
المطر • الضحاك لاغنياء يدل عليه قوله تعالى وعلى الموسع قدره • القتيبي
ذو والسعة على خلقنا • وقيل لعالمون احاط علمنا بكل شيء • وقيل جعلنا بينها وبين
الارض سعة • والارض فرشناها بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون نحن
ومن كل شيء اي من كل من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى • الحسن ومن كل شيء خلقنا زوجين
صنفين ونوعين مختلفين • كالسماء والارض • والشمس والقمر • والليل والنهار •
والبر والبحر • والسهل والجبل • والشتاء والصيف • والجن والانس • والكفر والايمان
والشقاوة والسعادة • والحق والباطل • والذكر والانثى • والموت والحياة •
والدنيا والاخرة • والجنة والنار ٥ كل اثنين منها زوج • والله تعالى فرد لا مثل
له لعلكم تذكرون اي ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لكي تذكروا
وتعلموا ان خالق الازواج فرد فتعبدوه ولا تعبدوا غيره

قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين • ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون • اتواصوا به بل هم
قوم طاغون • فتول عنهم فما انت بملوم • وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين • وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون • ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين • فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون • فويل للذين
كفروا من يومهم الذي يوعدون • ففروا الى الله اي اهربوا من معصية الله وعذابه الى
طاعته وثوابه بالايمان ومجانبة العصيان • ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته
ابو بكر الوراق ففروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن • عثمان بن عفان رضي الله عنه
اخرجوا الى مكة • الحسين بن الفضل احترزوا من كل شيء دونه فمن فر الى غيره لم يمتنع منه
الجنيد الشيطان داع الى الباطل ففروا الى الله يمنعكم منه • ذو النون ففروا من الجهل الى العلم
ومن الكفر الى الشكر • عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الى ربكم • الواسطي فروا الى ما سبق
لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم • سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه من
العذاب نذير مبين منذر • وقيل نذير عالم من قولهم نذرت اذا اعلم • قيل المعنى نذير من الله

ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين من الاشراك والتكرار للتاكيد والاطالة
في الوعيد ابلغ ، وقيل الاول متصل بالمعصية والثاني بالشرك ، واذا اختلفا لا يكون تكرارا
والمعنى يا محمد ففروا الى الله تعالى لذلك الامر مثل ذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته
ساحرا او مجنونا ، ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان يكون الكاف منصوبا باتى لان ما النافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم
رسول الا قالوا ساحر او مجنون اي رموا الانبياء من فرط جهلهم بامرين بينهما تضاد لان الساحر لا
يكون الا فطنا لبيبا والمجنون من ذلك بالضد ، اتواصوا به اي بهذا القول يعني اتواصى
الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا
به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل هم قوم طاغون بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان الحامل عليه
فتول فاعرض عنهم عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج
فما انت بملوم في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ وذكر ولا تدع
التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين بان تزيد في علم المؤمنين ، وان لم يتذكر بها
الكافرون ، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ليوحدون فيوحد المؤمنون منهم ومن سواهم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اي الا لامرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتي
ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، ابن عباس الا ليقروا الي بالعبودية
طوعا وكرها ، فان قيل كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيته
اجيب بانهم قد تذللوا لقضائه الذي قضى عليهم لان قضاه جار عليهم لا يقدرون على
الامتناع منه اذا نزل بهم ، وانما خالفه من كفر به في العمل بما امره به ، فاما التذلل
لقضائه فانه غير ممتنع مجاهد الا ليعرفون وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده
وتوحيده ودليل هذا التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم الايات ، الكلبي الا ليوحدون
فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخا ، واما الكافر فيوحده في الشدة دون الرخا
بيانه فاذا ركبوا في البحر دعوا الله الاية ، عكرمة الا ليعبدون ويطيعون فاثيب العابد
واعاقب الجاحد ، الضحاك وسفيان هذا خاص لاهل عبادته يدل عليه قراة ابن عباس
وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون ، ثم قال في اية اخرى ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس ، وقال بعضهم معناه وما خلقت السعدا من الجن والانس
الا لعبادتي ، والاشقيا منهم الا لمعصيتي هذا معنى قول زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من
الشقاوة والسعادة ، الحسن بن الفضل هو الاسعاد الظاهر وليس هذا على القدر
لانه لو قدر عليهم عبادته لما عصوا ولما عبدوا معه غيره فقط ، وانما هو كقوله عز وجل
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون ، ثم قال قليلا ما تشكرون ،
وقليل من عبادي الشكور ، ووجه الاية في الجملة ان الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق
جبلة واختيار وانما خلقهم لها خلق تكليف واختبار ، فمن وفقه وسدده اقام العبادة
التي خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل لما خلق له ، لقوله صلى الله عليه وسلم اعملوا
فكل ميسر لما خلق له ، ما اريد منهم من رزق اي ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع
عبيدهم ، فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما
مجهز في تجارة ليفي ربحا او مرتب في فلاحة ليغل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب

او محتسب او مستق او طابخ او خابز او ما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب
المعيشة وابواب الرزق ، فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم
ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم
وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي وما اريد ان يطعمون ، ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين الشديد القوة المقتدر والمبالغ في القوة والقدرة ، ابن عباس المتين
الصلب الشديد ، فان للذين ظلموا اشركوا من اهل مكة ذنوبا دلوا عظيما ، سعيد بن جبير
سجلا مجاهد سبيلا ، النخعي طرفا ، عطا وقتاده عذابا ، الحسن دولة ، الكسائي حظا ،
الاخفش نصيبا ، والذنوب في اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ، قال الراجز ،

لنا ذنوب ولكم ذنوب ، فان ابيتم فلنا القليب ،

ثم يستعمل في النصيب كقول علقمة ، حيث قال ،

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ، فحق لشاس من نداك ذنوب ،

وقال اخر ، لعمرك والمنايا طارقات ، لكل بني اب منهم ذنوب ،

مثل ذنوب اصحابهم من كفار الامم الخالية فلا يستعجلون بالعذاب ، والمعنى
فان للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب
من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرايهم من القرون ، فانما امهلوا مع ذنوبهم
لاجل ذنوبهم فويل للذين كفروا من اهل مكة من يومهم يوم بدر ، وقيل يوم القيامة ،

سورة والطور مكية

وهي الف وخمسماية حرف وثلثماية واثنتا عشرة كلمة ، وتسع واربعون اية ،
بسم الله الرحمن الرحيم ، والطور ، وكتاب مسطور ، في رق منشور ، والبيت
المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ، يوم
تمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا ، يسمى كل جبل طورا ، ولكنه عنى سبحانه وتعالى بالطور
هاهنا الجبل الذي كلم عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة وهو بمدين وكتاب
مسطور مكتوب في رق جلد منشور وهو الصحيفه ، الكلبي ما كتب الله تعالى بيده لموسى
من التوراة وموسى يسمع صرير القلم فكان كلما مر القلم بمكان حرقه الى الجانب الاخر ،
وكان كتابا له وجهان ، وقيل اللوح المحفوظ ، وقيل القران ، ونكره لانه كتاب مخصوص
من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها ، وقيل دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم
القيامة منشورة واخذ بيمينه واخذ بشماله ، قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا ، واذا الصحف نشرت ، وقيل ما كتب الله تعالى في قلوب
اوليايه من الايمان ، بيانه قوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان ، وقيل ما كتب الله
الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة ، والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل
وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء
كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة يطوفون به ويصلون فيه
ثم لا يعودون اليه ابدا ، وخازنه ملك يقال له رزين ، وقيل كان بيت المعمور في
الجنة فحمل الى الارض لاجل ادم ثم رفع الى السماء ايام الطوفان ، وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم

قدم مكة حرسها الله تعالى فارادت عايشة رضي الله عنها ان تدخل البيت ليلا فقال
لها بنو شيبة ان احدا لا يدخل ليلا ولكنه نخليه لك نهارا فدخل عليها النبي عليه الصلوة
والسلام فشكت اليه انهم منعوها ان تدخل البيت فقال انه ليس لاحد ان يدخل البيت
ليلا ان هذه الكعبة بحيال البيت المعمور الذي في السما يدخل ذلك البيت المعمور سبعون الف
ملك لا يعودون اليه ابدا الى يوم القيامة لو وقع منه حجر لوقع على ظهر الكعبة ولكن انطلقي
انت وصواحبك فتصلين في الحجر ففعلت فاصبحت وهي تقول قد دخلت البيت
على رغم من رغم الحسن والبيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس
يعمره الله كل سنة اول مسجد وضع للعباد في الارض والسقف المرفوع السما سميت سقفا
لانها للارض كالسقف للبيت شاهده قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا
والبحر المسجور مجاهد والضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن الكعب والاخفش الموقد المحمي بمنزلة
التنور المسجور ومنه قيل للمسعر مسجر شاهدهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تركبن البحر الاجاج الا حاجا او معتمرا او مجاهدا في سبيل الله فان تحت البحر نارا وتحت النار
بحرا وتحت البحر نارا في نار وقال عليه السلام البحر نار في نار وروى سعيد
ابن المسيب ان عليا رضي الله عنه قال لرجل من اليهود اين جهنم فقال البحر فقال ما اراه
الا صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت وتفسيرهما من الاخبار ما روي في الحديث
ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا فيسجر بها نار جهنم قتادة المسجور المملوء
ابن كيسان المجموع ماؤه بعضه الى بعض ابو العالية اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب
روى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس الفارغ قال خرجت امة لتستسقي فرجعت فقالت
ان الحوض مسجور اي فارغ وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما المسجور المحبوس
الربيع بن انس المختلط العذب بالملح وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
هو بحر تحت العرش مسيره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين وهو ما غليظ يقال له بحر
الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم ان عذاب
ربك لواقع لنازل ما له من دافع جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم النبي عليه السلام
في اسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا
والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي وكان اول ما دخل قلبي
الاسلام فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي
العذاب وعن هشام بن حسان انطلقت انا ومالك بن دينار الى الحسن فانتهينا اليه
وعنده رجل يقرا فلما بلغ هذه الاية ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى الحسن وبكى
اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه يوم تمور تضطرب وتجي وتذهب وقيل
تدور كدوران الرحى وتتكفا باهلها تكفا السفينة وتموج بعضها في بعض واصل المور الاضطراب
والاختلاف وقيل المور تحرك في تموج وهو الشي يتردد في عرض كالداعصة في الركبة
وتسير الجبال سيرا فتزول عن اماكنها وتصير هبا منبثا منثورا والله سبحانه اعلم

قوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون
يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ويل يومئذ للمكذبين

تاكيد

تاكيد للوعيد والفا لمعنى الجزا اي اذا وقع الجزا والعذاب فويل يومئذ للمكذبين
الذين هم في خوض في باطل يلعبون غافلين جاهلين ساهين لاهين غلب الخوض في الاندفاع
في الباطل والكذب منه قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وكنا نخوض مع الخايضين
وقيل في خوض في انكارهم البعث وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا يلعبون
من غير بيان وحجة وقيل في اسباب الدنيا يلعبون من غير فكر في ثواب وعقاب
وقيل معناه يسرعون الى المعاصي وقيل تشاغلهم بكفرهم لعب عاقبته العذاب يوم
يدعون يدفعون الى نار جهنم دعا ويزعجون اليها ازعاجا والدع الدفع العنيف وذلك
ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار
دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا من النار قالت
لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا يعني لانكم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد افهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعنى ام انتم
لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن
الخبر وهذا تقريع وتهكم وقيل عنفوا بمثل ما كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه
وسلم من السحر وتسكين البصر والاخذ بالاعين وقيل لهم الموته هذا او حلته ام غطي على ابصاركم
فلا تبصرون اصلوها ادخلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا اي انتم لازمون لها على كل حال
من الجزع والاستغنا والتصبر وترك الجزع وهو خبر في صفة امر تقديره الجزع وترك
الجزع سوا وقيل سوا جزع هل دون اي سوا عليكم الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما
كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى
عليه الصابر جزا الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزا ولا عاقبة له ولا منفعة
فلا مزية له على الجزع **قوله تعالى** ان المتقين في جنات ونعيم
فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيا بما كنتم تعملون متكين
على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شي كل امري بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة
ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم
لولو مكنون واقبل بعضهم على بعض يتسالون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله
علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ان المتقين في
جنات اية جنات ونعيم اي نعيم بمعنى الكمال في الصفة وقيل في الجنات ونعيم مخصوصة
بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين نصب على الحال اي ذوي فاكهة كثيرة متلذذين
معجبين ناعمين بما اتاهم ربهم بايات الله اياهم ووقاهم ربهم عطف على قوله في جنات او على
اتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم
ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا يقال لهم كلوا واشربوا اكلا
وشربا هنيا او طعاما وشرابا هنيا اي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون على سرر مصفوفة
قد صف بعضها الى بعض تقابل بعضها بعضا وقيل موصول بعضها ببعض وقيل مرمولة بالذهب
والفضة والصف نضد الشي على الولا وقيل تقديره متكين على نمارق مصفوفة
على سرر فحذف لان الاتكا يدل على التكاة وزوجناهم بحور عين والمعنى جعلنا ذكران اهل

دكم

الجنة ازواجا بالحور العين ومعناه الباء انهم صاروا بسببهن ازواجا وقيل زوجت به لغة والحور جمع الحوراء لا يقال للمذكر احور وذهب بعضهم الى ان الحور نساء المومنين في الدنيا وهذا خلاف الاية وان قال حرف في الحسن مثالس وتونس فهذا قرب والذين امنوا معطوف على حور اي قرناهم بالحور العين وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان المومنين واتبعناهم قرا ابو عمرو وبالنون والالف ذرياتهم بالالف وكسر التاء فيهما لقوله الحقنا بهم وما التناهم ليكون الكلام على نسق واحد والباقون واتبعتهم بالتاء من غير الف ثم اختلفوا في ذرياتهم فقرا ابن كثير واهل الكوفة الحقنا بهم ذريتهم الاولى بغير الف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء الثانية ابن عامر بالالف فيهما وهو اختيار يعقوب والباقون بغير الف فيهما وكسر التاء الثانية فقيل معنى الاية والذين امنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم المومنين في الجنة بدرجاتهم وان كانوا لم يبلغوا باعمالهم درجات اباهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم وهذه رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل والذين امنوا واتبعتهم الذرية التي بلغت الايمان بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس فاخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابائهم من غير ان ينقص الاباء من اجور اعمالهم شيئا فذلك قوله تعالى وما التناهم من عملهم من شي يعني الاباء وهو راجع الى قوله والذين امنوا والالت النقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسببه ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضيلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم ومعنى تنكير الايمان الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشي من الايمان لا يوهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقيل والذين امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله واتبعناهم ذرياتهم اعتراض فيها وما التناهم وما نقصناهم اي وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شي وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم على سبيل التفضل وعن النبي عليه السلام اذا دخل اهل الجنة الجنة فيسال عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول لقد عملت لي ولهم فيومر بالحاقهم به وعن علي رضي الله عنه سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال النبي عليه السلام ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم الاية كل امري بما كسب من الخير والشر

رهين مرهون فيوخذ بذنبه ولا يوخذ بذنب غيره قال صاحب الكشاف كل نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عمله بدين عليه فان عمل صالحا فكها واخلصها والا اوبقها وامددناهم اعطيناهم وزدناهم في وقت دون وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون من انواع النعمان يتنازعون فيها ويتناولون فيها وقيل يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا انا فيه خمر لا لغو فيها وهو الباطل مقاتل لا فضول فيها ابن المسيب لا رفث فيها ابن زيد لا سباب فيها ولا تخاصم القتيبي لا يذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا قال اي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن والساقي فيها الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم اضياف الله ولا تاثيم اي فعل يوثمهم وهو تفعيل من الاثم لانهم لا ياثمون في شربها وقيل لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يوثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زايلة وهم حكماء علماء ويطوف عليهم للخدمة غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم من بياضهم وصفائهم لولو مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى وقيل مخزون مصون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه كلهم لبيك لبيك وعن الحسن رحمه الله انه كان اذا تلى هذه الاية ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لولو مكنون قالوا يا رسول الله الخادم كاللولو فكيف بالمخدوم قال كما بين القمر ليلة البدر والكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خايفين من عذاب الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم عذاب النار وهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انا قرا نافع والكسائي بفتح الالف بمعنى لانه والباقون بالكسر على الابتداء كنا من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة ونساله الوقاية انه هو البر اللطيف المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سيل اجاب

قوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن

اكثرهم لا يعلمون • واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن
الليل فسبحه وادبار النجوم ۝ فذكر يا محمد اي فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ۝
وزد التذكير والموعظة فما انت بنعمة ربك برحمة ربك وعصمته بكاهن يسجع
القول ولا مجنون كما زعموا ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون • ولا تبال به فانه
قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر • والمجنون
مغطى على عقله • وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد
هذين ام يقولون يعني هولاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث
الدهر ونكفينا امره بموت او حادثة متلفة فيموت ويتفرق اصحابه • وذلك انهم قالوا
ننتظر به الموت فيهلك كما هلك من الشعراء زهير والنابغة وفلان وفلان وانما هو
كاحدهم وان اباه توفي شابا • ونحن نرجوا ان يموت موته كموت ابيه والمنون
يكون بمعنى الموت وبمعنى الدهر سميا بذلك لانهما ينقصان ويقطعان الاجل • وريب
المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر • قال •

• امن المنون وريبه تتوجع ۝ •

وقيل المنون الموت • وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت
قطوع ولذلك سميت شعوب • قل يا محمد لهم تربصوا فاني معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي • ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض
في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون في الجاهلية
اهل الاحلام ويوصفون بالعقل • وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم يومنوا وقد
وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها التوفيق ام هم قوم طاغون
اي بل هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد ام يقولون تقوله اختلقه من تلقا
نفسه ليس كما يقولون بل لا يومنون استكبارا ولكفرهم وعنادهم يرمون بهذا المطاعن
مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه • وما محمد الا واحد من العرب
فليأتوا بحديث مثل القرآن يشبهه ان كانوا صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله
من قبل نفسه فان اللسان لسانهم وهم مستوون في البشرية واللغة والقوة • ام خلقوا
ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شي من غير مقدار • ابن عباس
من غير رب • وقيل من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون • ولا يقوم لله عليهم حجة الستوا
خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله عطا • ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا
سدى لا يومرون ولا ينهون • وهذا كقول القايل فعلت كذا وكذا من غير شي
يعني لا لشي ام هم الخالقون لانفسهم حيث لا يعبدون الخالق • ام خلقوا السموات والارض
بل لا يوقنون • اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون
ولا يوقنون • وقيل معناه بل لم يخلقوا شيا منها لا يوقنون اي لا يتدبرون في الايات
فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض وساير المخلوقات • وقيل بل لا يوقنون وعد الله
فهانت عليهم المعاصي • ام عندهم خزاين ربك • ابن عباس المطر والرزق فلا يحتاجون الى من
يرزقهم • عكرمة النبوة حتى يردوا النبوة من شاوا • وقيل علم ما يكون حتى يختاروا
لها من اختاره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون المسلطون الجبارون • عطا الارباب

القاهر

القاهر الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم • وفيه
لغتان السين والصاد • قرا قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف والباقون
بالصاد • ام لهم سلم سبب ومصعد ومرقى يرتقون فيه الى السما يستمعون فيه الوحي ۝
فيدعون انهم سمعوا هناك ان الذي هم عليه حق فهم مستمسكون به • فلذلك قال
فليات مستمعهم ان ادعوا ذلك بسلطان مبين حجة بينة • وقيل سلم منصوب الى السما
يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملايكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا اما هو كاين
من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة
واضحة بصدق استماع مستمعهم ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لاحلامهم حيث
اختاروا لله ما يانفون عنه • ام تسألهم اجرا جعلا على ما جيتهم به وعلى تبليغ الرسالة
ودعوتهم اليه فهم من مغرم غرم واداية مثقلون مجهودون • والمغرم ان يلتزم الانسان
ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك • ام عندهم الغيب
اي علم الغيب ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من امر القيامة
والبعث والثواب والعقاب باطل غير كاين • قتادة لما قالوا نتربص به ريب المنون
انزل الله تعالى ام عندهم الغيب فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله عليه وسلم والى ما يوول
امره • ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه • ويخبرون الناس به •
القتيبي فهم يكتبون اي يحكمون • والكتاب الحكم • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين
تحاكما اليه ساقضي بينكما بكتاب الله اي بحكم الله عز وجل • وقيل فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا
نبعث وان بعثنا لا نعذب • ام يريدون كيدا مكرا بك في دار الندوة فالذين
كفروا هم المكيدون الممكور بهم بعود الضرر اليهم وبحيق المكر بهم دونك • وذلك انهم قتلوا
ببدر • وقيل هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته • ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب
الله تعالى • سبحان الله عما يشركون • قال الخليل ما في سورة الطور من ذكر ام كله
وليس بعطف • وان يروا كسفا قطعة • وقيل قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر
من السما ساقطا يقولوا لشدة طغيانهم وقوة معاندتهم وفرط عنادهم وشقاوتهم لو اسقطنا
عليهم كسفا من السما يقولوا سحاب مركوم بعضه على بعض يمطرنا ويسقينا وهذا جواب
لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء • وقولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا فقال
لو فعلنا هذا لقالوا سحاب مركوم • فذرهم حتى يلاقوا اي لا ينفع انذار هولاء • فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون • يموتون • قرا عاصم وابن عامر يصعقون بضم اليا
وفتح العين اي يهلكون • والباقون بفتح اليا والعين وهما لغتان مثل سعد وسعد يقال
صعقه فصعق وذلك عند نفخة الاولى نفخة الصعق • يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا اي لا يدفع
مكرهم عنهم عذاب الله ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله • وان للذين ظلموا اشركوا
عذابا دون ذلك • البرا بن عازب هو عذاب القبر • ابن عباس هو القتل ببدر • مجاهد
الجوع والقحط • وقيل مصايب الدنيا التي تصيبهم من الاوجاع وذهاب الاموال والاولاد
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم • واصبر لحكم ربك لبلايه فيما ابتلاك به من قومك
وقيل لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة فانك باعيننا بمنظر ومراى منا
مثل اي بحيث نراك ونكلوك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة • الا ترى الى قوله

وليصنع على عيني • وقيل بعلمنا • وقيل بحراستنا وحفظنا والكل متقارب • والمعنى انك مراعى محفوظ محروس لا يصلون اليك بمكروه • وسبح بحمد ربك حين تقوم من النوم حين صلوة الصبح • وقيل من اي مكان قمت • فان كان المكان خيرا ازددت ثنا وحسنا وان كان غير ذلك كان كفارة له • عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جلس في مجلس كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك • ومن الليل فسبحه اي صل صلاة العشا وقيل المغرب والعشا • وقيل يريد صلاة الليل • وقيل هو التسبيح بالليل اذا انتبه من نومه وادبار النجوم • واذا ادبرت النجوم من اخر الليل • قال علي وابن عباس وجابر وانس رضي الله عنهم ركعتي الفجر • وقيل صلوة الفجر فريضة • وقيل المراد ٥ الامر بقول سبحان الله وبحمده في من الاوقات • وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ٥

سورة والنجم مكية

وهي الف واربعماية وخمسة احرف • وثلثماية وستون كلمة واثنتان وستون اية •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالافق الاعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين او ادنى ٥ • ابن عباس النجم الثريا اذا هوى اذا سقطت وغابت • والعرب تسمي الثريا نجما وهو اسم غالب لها • وان كانت في العدد نجوما • الديريدي هي سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد منها خفي يمتحن الناس به ابصارهم • ومنه قول العرب • اذا طلع النجم عشا • ابتغى الراعي كسا ٥ • مجاهد يعني نجوم السما كلها حين يغرب لفظه واحد • ومعناه الجمع لقول الراعي ٥ • فباتت تعد النجم في مستحيره ٥ • ومنه سمي الكوكب نجما لطلوعه • وكل طالع نجم يقال له نجم التي اذا طلع اذا هوى غرب او انتثر يوم القيامة • عكرمة انه النجم الذي يرجم به اذا هوى انقض • الضحاك النجم من نجوم القران اذا نزل ثلاث ايات واربع ايات وسورة وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنة • والعرب تسمي التفريق تنجيما اذا هوى نزل • وقيل النجم النبات ومنه قوله تعالى والنجم والشجر ٥ يسجدان اذا هوى سقط على الارض لانه مما ليس له ساق • جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السما ليلة المعراج والهوي السقوط والنزول يقال هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا • وروى عروة بن الزبير عن رجال من اهل بيته قالوا كانت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عتبة بن ابي لهب فاراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه فقال يا محمد هو يكفر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك • وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره بذلك ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني

اخاف

اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا احمالهم وفرشوا لعتبة في اعلاها فبا تو حوله فجا الاسد فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه وضرب عتبة بين ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات مكانه • فقال في ذلك حسان بن ثابت ٥ •

• من يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع •

ما ضل صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم • وما غوى والضلال نقيض الهدى • والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد • وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى اي بالهوى • والعرب تعاقب بين عن وبين البا فيقيم احدهما مكان الاخرى اي وما اتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه ان هو الا وحي يوحى ما هو الا وحي من عند الله يوحى اليه • ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبيا • ويجاب بان الله اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى • علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها الى جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الما الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السما ثم قلبها • وكانت شدته ايضا انه ابصر ابليس وهو يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه في اقصى جبل بالهند • وكانت شدته ايضا صيحته بثمود فاصبحوا جاثمين • وكانت شدته ايضا هبوطه من السما الى الانبيا وصعوده اليها في اوحى من رجعة الطرف ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه وكانت حراله رايه وحصافة عقله ان الله عز وجل ايتمنه على تبليغ الرسالة والوحي الى جميع رسله • ابن عباس ذو مرة ذو منظر حسن • قتادة ذو خلق طويل حسن • فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كانت يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل على صورة دحية • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها • فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد عليه السلام مرتين مرة في الارض ومرة في السما • وقيل فاستوى جبريل وهو يعني محمدا والاكثر كلام العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا الموضع ان يظهروا الكناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقل ما يقولون استوى وفلان • وانشد الفرا ٥ •

• الم تر ان النبع يصلب عوده • ولا يستوي والخروع المتقصف •

والمعنى ولا يستوي هو والخروع • ونظيره قوله تعالى ايذا كنا ترابا واباونا فعطف بالاباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن • والقايل ان يقول ترابا قايم مقام نحن ومعنى الاية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا ٥ عند مطلع الشمس في السما • وقيل استويا في القوة والصعود الى السما • وقيل استويا في العلم بالوحي • وقيل استوى جبريل اي ارتفع وعلا الى السما بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم دنى فتدلى ثم دنى جبريل من محمد عليهما السلام فتعلق عليه في الهوى • ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير • والدوالي الثمر المعلق قال • تدلى عليها بين سب وخيطة • ويقال هو مثل القرلى ان راي خيرا تدلى • وان لم يره تولى • فكان قاب قوسين

عن تبيين والقاب والقيب والقادة والقيد والقيس المقدار وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة

وقال وقد جعلتني من خزيمة اصبعا

وتقديره قوله فكان قاب قوسين فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون وقال بعضهم في معناها ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض ثم فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي واهوى اليه فكان منه قاب قوسين او ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو ولكنه سائغ حسن لان التدلي يدل على الدنو والدنو على التدلي وانما تدلى للدنو ودنا للتدلي وقال اخرون معناه ثم دنا الرب تعالى من محمد عليه السلام فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى واصل التدلي النزول الى الشي حتى يقرب منه فوضع موضع القرب قال لبيد فتدليت عليه قافلا وعلى الارض غيابات الطفل هذا معنى قول انس ورواية ابي سلمة عن ابن عباس سمع انس بن مالك يحدث عن ليلة المسرى انه عرج جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السما السابعة ثم علا به ما لا يعلمه الا الله تعالى حتى جا سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة حتى كان منه قاب قوسين او ادنى ودنو الله تعالى من العبد ودنو العبد منه بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطا المنية لا بالمكان والمسافة والنقلة كقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني وقال بعضهم معناه ثم دنى جبريل عليه السلام من ربه عز وعلا وكان منه قاب قوسين او ادنى وهذا قول مجاهد يدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملائكة الى الله عز وجل جبريل عليه السلام وقال الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود وكان منه قاب قوسين او ادنى وقيل ثم دنا محمد عليه السلام من ساق العرش فتدلى اي جاوز الحجب والسرادقات لا بعله مكان وهو قائم باذن الله كالمتعلق بالشجر لا يثبت قدمه بمكان وهذا معنى قول الحسين بن الفضل وقال اهل المعاني هذا اشارة الى تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة واصله ان الحليفين والمحبين في الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفا والوفا والعهد خرجا بقوسيهما والصقاسهما يريدان بذلك انهما متظاهران متحاميان يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقيل هذا تمثيل الشي من الشي وهو مستعمل في امثال العرب واشعارهم وقال شقيق بن سلمة وسعيد بن جبير وعطا وابو اسحاق والهمداني فكان قاب قوسين اي قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شي وهي لغة بعض اهل الحجاز او ادنى بل اقرب وقال بعض المحققين انما قال او ادنى لانهم لم يرد ان يجعل لذلك حدا محصورا وسئل ابو العباس بن عطا عن

من

هذه الاية فقال كيف اصف لك مقاما انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن الا محمد صلى الله عليه وسلم وربه عز وجل

قوله تعالى

فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الى عبده محمد عليه السلام الحسن والربيع وابن زيد معناه فاوحى جبريل الى عبد الله الى رسول الله ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه وقيل اوحى جبريل الى عبده ما اوحى ربه سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ابو الحسين النوري فاوحى اليه سرا بسر لسر من سر في سر وفي ذلك يقول القايل حيث يقول

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه سر يقابله نور تحير في بحر من التيه

ما كذب الفواد اي فواد محمد صلى الله عليه وسلم ما راى بل صدقه واختلفوا في الذي راه فقال قوم راى جبريل واليه ذهب ابن مسعود وقال اخرون هو الله سبحانه وتعالى ثم اختلفوا في معنى الروية فقال بعضهم جعل بصره في فواده فراه بفواده ولم يره بعينه وقال قوم بل راه بعينيه الحسن يحلف بالله تعالى لقد راى محمد عليه السلام ربه تعالى ابن عباس كان يقول ما كذب الفواد ما راى راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى وقال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله رايت ربك قال رايته مرتين بفوادي ولم اره بعيني ثم تلى ما كذب الفواد ما راى ومثله روى ابن الحنفية عن ابيه وابو العالية عن ابن عباس وعن عبد الله بن شقيق قلت لابي ذر لو رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالته قال وكم كنت تساله قال كنت اساله هل راى ربه قال قد سالته فقال رايت نورا اني اراه ولذلك روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى قال رايت نورا ومثله روى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس وقد ورد في هذا الباب حديث جامع عن الشعبي عن عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى مرتين ربه وقال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى عليه السلام والروية لمحمد صلى الله عليه وسلم فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ثم قال ان الله تعالى قسم رويته وكلامه بين محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام فكلم موسى وراه محمد صلى الله عليه وسلم قال الشعبي فاخبرني مسروق انه قال لعايشة رضي الله عنها يا اماه هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل قط قالت انك لتقول قولا لتقف منه شعري قال قلت رويدا والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الى قوله تعالى قاب قوسين او ادنى فقالت رويدا اين يذهب بك انما راى جبريل عليه السلام في صورته من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار ومن حدثك انه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الاية ومن حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد كتم شيئا

من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول ان الله بلغ ما انزل اليك من ربك الاية • قال
عبد الرزاق فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال ما عايشة عندنا باعلم من ابن عباس • افتمارونه
على ما يرى • قرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه بفتح التا من غير الف على
معنى افتجحدونه واختاره ابو عبيد قال لانهم لم يماروه وانما جحدوه ويقول العرب
مريت الرجل حقه اذا جحدته والباقون افتمارونه بضم التا والالف بعد الميم على معنى
افتجادلونه من المرا وهو الملاحاة والمجادلة • واشتقاقه من مري الناقة كان
كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه • وقيل افتمرونه افتغلبونه في المرا من ماريته
فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقول غلبته على كذا على ما يرى ولقد راه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ربه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب
الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل وكانت في حكمها • وقيل راى النبي جبريل
نزلة اخرى • وذلك ان جبريل راه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها
مرتين مرة بالافق الاعلى في الارض • ومرة عند سدرة المنتهى في السما وهذا قول
عايشة رضي الله عنها واكثر العلما وهو الاختيار لانه قرن الروية بالمكان فقال
عند سدرة المنتهى • ولانه قال نزلة اخرى وتقديرها ولقد راه نازلا نزلة اخرى
ووصف الله تعالى بالمكان والنزول الذي هو الانتقال محال ولانه قال نزلة اخرى ولم
يرو في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى ربه قبل ليلة المعراج فراه تلك الليلة مرة
اخرى ويدل لما روي عن مسروق ان عايشة رضي الله عنها قالت من زعم ان محمدا صلى
الله عليه وسلم راى ربه فقد اعظم الفرية على الله قال وكنت متكيا فجلست وقلت يا ام
المومنين انظريني ولا تعجليني ارايت قول الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى • ولقد راه بالافق
المبين قالت انما هو جبريل عليه السلام راه على صورته التي خلق عليها مرتين مرة حين هبط
من السما الى الارض سادا اعظم خلقته ما بين السما الى الارض ومرة عند سدرة المنتهى قالت
وانا اول من سال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال هو جبريل عند من صلة قوله
راه سدرة المنتهى شجرة النبق سمي بها لانه اليها ينتهي علم كل عالم سال ابن عباس كعبا عن سدرة
المنتهى فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق
وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله • ابن مسعود سميت بذلك لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها
وما يصعد من تحتها من امر الله اذا انتهى ما يصعد اليها من الارض فتقبض منها واذا انتهى ما يهبط
من فوقها اليها فتقبض منها فسميت المنتهى لانه ينتهي اليها كل ما من امر الله ولا يعدوها والى هذا
ذهب الضحاك • وقيل انه ينتهي اليها كل من مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها
وعن ابي هريرة رضي الله عنه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة فقيل له هذه
سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك • فاذا هي شجرة يسير الراكب في
ظلها سبعين عاما لا يقطعها وهي شجرة يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن قوله مصفى والورقة
منها مغطية للامة كلها عن اسما بنت ابي بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى
قال يسير الراكب في ظلها مائة عام ويستظل في الفنن منها مائة الف راكب فيها فراش من
ذهب كان ثمرها القلال مقاتل شجرة لو ان ورقة منها وضعت في الارض لاضات لاهل الارض
تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان • ولو ان رجلا ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان

الذي

الذي ركب منه حتى يقتله الهرم وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد عندها جنة
الماوى • ابن عباس هو عن يمين العرش وهي منزل الشهدا نظيرها فلهم جنات الماوى اي ياوي
اليها ارواح الشهدا • اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم • وتكثير لما يغشاه فقد علم بهذه العبارة
ان ما يغشاها من الخلايق الدالة على عظمة الله وجلاله اشيا لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها
الوصف • الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت • وقيل يغشاها الجم الغفير من الملايكة
يعبدون الله تعالى • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت كل ورقة من ورقها
ملكا قايما يسبح الله • عن ابي هريرة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى السدرة
فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملايكة من حب الله امثال الغربان يقعن على الشجر • وعنه صلى
الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر • وعن ابن مسعود يغشاها فراش من ذهب
ما زاغ البصر ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مال يمينا وشمالا ولا جاوز الحد
قداما اي اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما
عدل عن روية العجايب التي امر بروتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر بروييته
لقد راى النبي صلى الله عليه وسلم من ايات ربه الاية التي هي كبراها واعظمها هي ما
راى ليلة المعراج في مسراه وعوده وهذا يدل على قوله لنريه من اياتنا • والسلم
قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى • الكم
الذكر وله الانثى • تلك اذا قسمة ضيزى • ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل
الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس • ولقد جاءهم من ربهم الهدى
ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى • وكم من ملك في السموات والارض لا تغني
شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى • ان الذين لا يومنون بالاخرة
ليسمون الملايكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني
من الحق شيا • فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى • لما قرر الرسالة
ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك افرايتم
اللات والعزى ومنات الاخرى هي اصنام كانت لهم وهي مونثات فاللات
كانت لثقيف بالطايف وقيل كانت بنخلة يعبدها قريش وهي نخلة من لوي لانهم كانوا
يلوون عليها ويعكفون للعبادة • وقيل يلوون عليها اي يطوفون قيل اللات ماخوذ من
الله الحقت بها التا فانثت كما قيل عمرو للذكر ثم قيل للانثى عمره • وكما قيل عباس
وعباسه • وكذلك سمى المشركون اوثانهم باسما الله • فقالوا من الله اللات ومن العزيز عزى
والعزى مجاهد هي شجرة لغطفان يعبدونها واصلها تانيث وهي التي بعث اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد يقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك
لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها
واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي عليه السلام فقال قد قطعتها فقال
ما رايت قال لم ار شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول
فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا • الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم

سعد بن ظالم الغطفاني • وذلك انه لما قدم مكة فراى الصفا والمروة • وراى اهل مكة
يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة • وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم
اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا
فقال هذا الصفا وحجرا من المروة وقال هذه المروة فنقلهما الى نخلة فوضع الذي من
الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة فقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار • فاسندها
الى شجرة وقال هذا ربكم فاعبدوه فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة •
وبعث خالد بن الوليد فقطعها ومناة • قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بالمد والباقون
بالقصر وهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة • وعن ابن عباس لثقيف وكانها سميت مناة
لان دما النسايك كانت تمنى عندها اي تراق ومناه مفعله من النوكانهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله
تعالى وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاوهم لرؤسايهم واشرافهم • ويجوز ان يكون الاولية والتقدم
عندهم اللات والعزى • الكم الذكر وله الانثى كانوا يقولون ان الملايكة وهذه الاصنام
بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاوهم عند الله تعالى مع وادهم البنات
فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى • وقيل ان المراد اللات والعزى ومنات اناث
وقد جعلتموهن لله شركا • ومن شانكم ان تحقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن
لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هولا الاناث اندادا لله سبحانه وتسمونهن الهة تلك
اذا قسمة ضيزى قرا البزي عن بكر بن كثير بالهمز والباقون بغير همز ابن عباس
وقتادة يعني قسمة جايرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما
فعل ببيض وتسلم اليا يعني قسمة جايرة جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لانفسكم
مجاهد ومقاتل عوجا • الحسن غير معتدلة • ابن سيرين غير مستوية ان يكون لهم الذكر
ولله الاناث • الضحاك ناقصة • سفيان منقوصة • ابن زيد مخالفة • الكسايي
يقال منه ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا • وضاز يضاز ضازا اذا ظلم
ونقص ان هي اي ما هذه الاسما التي سميتموها ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم
تدعون الالهية لما هو ابعد شي منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون
من دونه الا اسما سميتموها هذا على تقدير ان يكون هي ضمير الاصنام وقيل هي ضمير
الاسما وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسما الالهة • يعني ما تدعون
الاسما الا سميتموها بهواكم وشهوتكم ما انزل الله بها من سلطان ليس لكم من الله على صحة
تسميتها برهان فتتعلقون به • ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته
بزيد ان يتبعون الا الظن الا ظن ان ما هم عليه حق وان هولا شفعاوهم وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاهم من الهدى • والدليل على ان دينهم باطل ولقد
جاهم من ربهم البيان الهدى وانها ليست بالهة • وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار
ام للانسان ما تمنى ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى اشتهوهم الكفار
زعموا ان الاصنام تشفع لهم عند الله تعالى يعني ايظنون ان لهم ما يتمنون من شفاعة
الاصنام فليس كما ظنوا وتمنوا فانه ممتنع على الله في غاية البعد • وقيل هو قولهم ولين
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا

وقيل

وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى يعطي من شا ما يشا ويمنع من شا
ما يشا • وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي منهما • وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هولا
الكفار ويزعمون انهم بنات الله ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيا
الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى • ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية
الانثى اي كل واحد منهم تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون ان يتبعون الا الظن
وهو تقليد الابا وان الظن لا يغني من الحق شيا اي انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي وما هو
عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم • وقيل لا يقوم الظن مقام الحق اي العلم • وقيل
الحق هو الله • والمعنى لا يدفع من عذاب الله شي فاعرض يا محمد عن دعوة من تولى من ذاته
معرضا عن ذكرنا • اي القران وقيل الايمان ولم يرد الا الحياة الدنيا ولا تهتم لك عن
اسلامه ولم يسع الا لتحصيل الدنيا ذلك اي اختيارهم الدنيا وارادتهم الحياة الدنيا
والرضى بها مبلغهم من العلم منتهى علمهم وهو قليل حقير • وقيل اشارة الى تسمية الملايكة
اناثا • وقيل علموا ما يحتاجون اليه في معاشهم ونبذوا الاخرة وراظهورهم •
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى هذا متعلق بقوله
فاعرض والمعنى كلهم الى فاني مجازٍ محسنهم ومسيهم فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين

قوله تعالى

ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا
بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى • الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم
معناه ملكهم ليجزي • واللام في لله دل على ملكهم • وقيل خلق السموات والارض ليجزي
المحسن من المكلفين والمسي منهم • وقيل اللام لام العاقبة وهو متصل بقوله ان ربك
هو اعلم الاية • اي كان عاقبة ذلك ان يجازيهم على اعمالهم الذين اساوا بما عملوا العقاب
ما عملوا من السو • ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالاحسن من الاعمال • وقيل بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة • الذين يجتنبون قيل محل الذين نصب على الصفة للذين احسنوا
وقيل هم الذين يجتنبون كباير الاثم قيل هي الشرك والفواحش المعاصي • وقيل
كباير الاثم ما له حد في الدنيا والفواحش الزنا خاصة وهذه الاية مثل ما في
سورة النسا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه • الا اللمم قيل الا استثنا متصل واللمم
من الكباير والفواحش • والمعنى الا ان يلم بالفاحشة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم
ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وابي صالح ورواية عطا عن ابن عباس قال
هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم
تغفر جما واي عبد لك لا الما • وقال عبد الله بن عمر واللمم ما دون الشرك
وقال الاخرون هو استثنا منقطع اي لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكباير والفواحش
وقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم به • وذلك ان المشركين قالوا
للمسلمين انما كانوا بالامس يعملون معنا كما نعمل فانزل الله تعالى هذه الاية • وهذا قول
زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابيه ورواية الوالبي عن ابن عباس • وقال
بعضهم هو صغار الذنوب مثل النظرة والغمزة وهو من الم بالشي اذا لم يتعمق فيه ولم
يلزمه وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبي وابي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان
ورواية طاوس عن ابن عباس قال ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة رضي الله عنه

من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك
لا محالة • فزنا العينين النظر • وزنا اللسان المنطق • وزنا الشفتين التقبيل •
وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي • والنفس تمنى وتشتهي • والفرج يصدق
ذلك او يكذبه • فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم • وقال ابن الزبير
وعكرمة وقتادة والضحاك هو ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الاخرة وهي رواية العوفي
والحكم بن عيينة عن ابن عباس • وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه
حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي يكفره الصلوات ما لم يبلغ الكباير
والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه • وقال
مقاتل اللمم ما بين الحدين من الذنوب نزلت في نبهان التمار وقد مضت قصته في سورة ال
عمران • وقال عطا بن ابي رباح اللمم عادة النفس الحين بعد الحين • وقال سعيد ابن
المسيب هو ما لم على القلب اي خطر • وقال محمد بن الحنفية كلما هممت به من خير او
شر فهو لمم • شاهده الخبر المروي ان للشيطان لمة وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة
ولمة الملك الالهام • وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور
فان اعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب • وقال الفرا اللمم المتقارب من صغار
الذنوب واصل اللمم الالمام وهو ما يعمله الانسان مرة بعد المرة • والحين بعد الحين
ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته وانصرفت عنه المام الخيال
قال الاعشى • الم خيال من قتيلة بعد ما • وهي حبلها من حبلنا فتصرما •

قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى • افرايت الذي
تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى • ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم
الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى • وان ليس للانسان الا ما سعى • وان سعيه
سوف يرى • ثم يجزاه الجزا الاوفى ٥ ان ربك واسع المغفرة لا يتعاظمه ذنب يسع
جميع ذنوب العباد ولا يضيق عنها • ابن عباس واسع المغفرة لمن فعل ذلك ثم تاب هو اعلم
بكم اذ انشاكم من الارض ابتداكم منها قبل خلق اباكم من التراب • وقيل خلقكم من
الارض • واذ انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن يسمى جنينا لاجتنانه اي
استتاره • روى مسروق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان اليهود اذا هلك لهم صبي
قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبوا ما من نسمة
يخلقها الله عز وجل الا شقي او سعيد فانزل الله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم • ابن عباس فلا تمدحوها • مجاهد وزيد
ابن اسلم فلا تبروها • الكلبي ومقاتل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المداحين
فاحثوا في وجوههم التراب • قال صاحب الكشاف فلا تنسبوها الى زكا العمل
وزيادة الخير والطاعات او الى الزكا والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله المزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ادم • وقيل ان يخرجكم
من بطون امهاتكم وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الريا • فاما من اعتقد ان ما عمله من

العمل

العمل الصالح من الله عز وجل وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به المدح لم يكن من المزكين
انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة • وذكرها شكر • افرايت الذي تولى ابن عباس والكلبي
والسدي والمسيب بن شريك نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق
وينفق في الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن ابي السرح ما هذا الذي تصنع
يوشك ان لا يبقى لك شي فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله
تعالى وارجو عفوه • فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها
فاعطاه واشهد عليه • وامسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة والنفقة • فانزل
الله تعالى افرايت الذي تولى يعني يوم احد حين ترك المركز واعطى يعني صاحبه قليلا
واكدى قطع عطيته وامسك • واصله اكدى الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة
كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم فعاد عثمان
الى احسن من ذلك واجمل • مجاهد وابن زيد نزلت في الوليد بن المغيرة وكان
قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا له تركت
دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار كان ينبغي لك ان تنصرهم قال
اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيا من ماله ورجع
الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فاعطى للذي عاتبه • فانزل الله تعالى افرايت
الذي تولى ادبر عن الايمان واعطى قليلا صاحبه الضامن واكدى وبخل بالباقي •
مقاتل اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي قطعه فلم يقم عليه • عطا بن يسار
نزلت في رجل قال لاهله جهزوني انطلق الى هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال اين تريد فقال محمدا لعلي اصيب من خيره فقال
له الرجل اعطني جهازك وانا احمل عنك اثمك فنزلت فيه هذه الاية • وعن السدي ايضا
قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الامور • محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال
والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى ولم يومن به
المورج الكدي منع الخير ٥ • قال الحطيئة ٥ •
• فاعطى قليلا ثم اكدى بماله • ومن يبذل المعروف في الناس يحمد ٥ •
اعنده علم الغيب فهو يرى ان ما قال له صاحبه من احتمال اوزاره حق • ام لم ينبا لم يخبر
بما في صحف موسى اي التورية • وابرهيم الذي وفى ما ارسل به من تبليغ الرسالة والتشدد
مبالغة في الوفا • وقيل وفى بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل
وفا وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعبا النبوة والصبر على ذبح ولده
وعلى نار النمرود • وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه • وانه كان يخرج كل يوم
فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم • الحسن ما امر الله تعالى
ابرهيم عليه السلام بشي الا وفى به • ثم بين ما في صحف موسى وابرهيم فقال الا تزر
وازرة وزر اخرى • عن ابن عباس كان بين نوح وابرهيم عليهما السلام يوخذ الرجل
بجريرة غيره ياخذ الولي بالولي في القتل حتى ان الرجل يقتل بابيه واخيه وابنه وعمه ٥
وخاله والزوج يقتل بامراته والسيد يقتل بعبده حتى كان ابرهيم عليه السلام فنهاهم عن

ذلك وبلغهم ان الله لا يزر وازرة وزر اخرى ، الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد
عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه ، مجاهد وفى بما فرض عليه ، ربيع وفى برؤياه
عطا الخراساني استكمل الطاعة ، ابو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات فاتمهن وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون ، وعشرة في الاحزاب ان المسلمين
وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون ، وما ابتلي بهذا الدين احد فاقام بها كلها الا ابراهيم عليه
السلام ، عطا بن السائب بلغني ان ابراهيم عليه السلام قد عهد ان لا يسال مخلوقا شيا فلما قذف
في النار واتاه جبريل عليه السلام فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا ، فاثنى الله تعالى عليه
بقيامه بما قال ووفائه بما عاهد ، ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال
له اسلم قال اسلمت فطالبه الله تعالى بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده في كل ذلك
وافيا فقال وابراهيم الذي وفى اي ادعى الاسلام ثم صحح دعواه ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الا اخبركم لم سمى الله تعالى ابراهيم خليله الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وعنه صلى الله عليه وسلم انه قرا وابراهيم الذي وفى
بقلبه وقال اتدرون بما وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى عمله كل يوم باربع ركعات من اول
النهار وهي صلاة الضحى الا تزر مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان
وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع هو ان لا تزر كان قائلا يقول وما في
صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يؤاخذ احد بذنب غيره ، وان ليس
للانسان الا ما سعى اي وكان في صحف موسى وابراهيم ان ليس للانسان الا ثواب ما عمل من خير او
شر وما عمل غيره فليس له ولا عليه ، فان قيل صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله ه
الاضعاف ، اجيب بان سعي غيره كانه سعى بنفسه لكونه تابعا له وقايما بقيامه وبان سعي غيره
لا ينفعه اذا عمله لنفسه ، ولكن اذا نواه بحكم الشرع كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه ، وعن
ابن عباس وان ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان
الاية ، ثم يجزاه العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وجواز ان يكون الضمير
للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله ، واسروا النجوى الذين ظلموا ، ه ، ه

قوله تعالى وان الى ربك المنتهى ، وانه هو اضحك وابكى ، وانه هو
امات واحيا ، وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ، وان عليه النشاة
الاخرى ، وانه هو اغنى واقنى ، وانه هو رب الشعرى ، وانه اهلك عادا الاولى وثمودا
فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى ، والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى
فباي الاء ربك تتمارى ، هذا نذير من النذر الاولى ، ازفت الازفة ليس لها من دون
الله كاشفة ، افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون ه
فاسجدوا لله واعبدوا ، وان الى ربك المنتهى منتهى الخلق ومصيرهم وهو مجازيهم
باعمالهم ، وقيل منه ابتدا المنة واليه انتهى الامال يعني هذا كله في الصحف ، وقيل
يصير الى حيث لا ينفذ فيه حكم الا حكم الله ، وقيل معناه اذا انتهى الى الله فامسكوا ه
ومن تعاطى ذلك هلك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وان الى ربك
المنتهى قال لا فكرة في الرب ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم
وهم يتفكرون فقال فيم انتم قالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا

في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ، وانه اضحك من شاء من خلقه وابكى من شاء ، عن عائشة رضي
الله عنها قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا
ولضحكتم قليلا فنزل جبريل فقال ان الله تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم
فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتى جبريل عليه السلام فقال ايت هؤلاء فقل لهم ان الله
تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى ، قيل يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن
يجلب البكاء ، الضحاك اضحك الارض بالنبات ، وابكى السماء بالمطر ، وقيل اضحك
الاشجار بالنوار ، وابكى السحاب بالامطار ، ذو النون اضحك قلوب العارفين بشمس معرفته
وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته ، سهل اضحك المطيع بالرحمة
وابكى العاصي بالسخطة ، محمد بن علي الترمذي اضحك المؤمن في الاخرة وابكاه في الدنيا
بشار بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم ، وانه امات واحيى يعني امات في الدنيا
واحيى للبعث ، وقيل امات الاباء ، واحيا الابناء ، وقيل امات النطفة ، واحيا
النسمة ، وقيل امات الكافر بالنكرة والقطيعة ، واحيا المؤمن بالمعرفة والوصلة
قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه ، وقال القاسم امات عن ذكره ه
واحيا بذكره ، ابن عطا امات بعدله واحيا بفضله ، وقيل امات بالمنع والبخل
واحيا بالجود والفضل ، وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ه
تصب في الرحم يقال مني الرجل وامنى ، وقيل تقدر يقال منيت الشي اذا قدرته ومنه
سميت المنية لانها مقدرة ، وان عليه النشاة الاخرى الخلق الاخر يعيدهم احيا ،
وانه هو اغنى ، ابو صالح اغنى الناس بالمال ، واقنى اعطى القنية واصول الاموال
الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال ، واقنى بالابل والبقر والغنم
مجاهد والحسن وقتادة اخدم ، ابن عباس ارضى بما اعطى ، الحضرمي اغنى نفسه وافقر
الخلايق اليه ، ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل ، وقيل واقنى واعطى القنية وهي المال
الذي تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك ، وانه هو رب الشعرى ، وهو الكوكب
خلف الجوزا تتبعه يقال له مرزم الجوزا وهي التي تطلع وراها ويسمى كلب الجبار ،
وهما شعريان يقال لاحدهما العبور وللاخرى الغميصا واراد الشعرى العبور ، وكانت
خزاعة تعبده ، واول من سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبود
هذا ، وانه اهلك عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم ، وقيل الاولى القدما لانهم
اول الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف ، قرا اهل المدينة
وابو عمرو ويعقوب عاد الولى مدغما التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل
ضمتها الى لام التعريف ، وثمودا يعني قوم صالح فما ابقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم
اظلم واطغى لانهم كانوا يوذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا
يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاوه قريبا من الف سنة ، والمؤتفكة
المنقلبة وهي قرى قوم لوط الاربع التي ائتفكت باهلها اي انقلبت يقال افكه فائتفك
اهوى يعني اهواها جبريل الى الارض بعد ما رفعها الى السما فغشاها ما غشى يعني الحجارة ه
المنضودة المسومة وهذا تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر

المنضود فباي الآء ربك عليك تتمارى تتشكك وتجادل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للانسان على الاطلاق ، وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا اي القران ، وقيل محمد نذير انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم ، وقيل هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين ، والاولى على تاويل الجماعة ارسل اليكم كما ارسلوا الى قومهم ، وهذا كما يقال فلان واحد من بني ادم وواحد من الناس ازفت الازفه اي قربت الموصوفة بالقرب اي القيامة فانها موصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعه ، ليس لها للازفه نفس من دون الله كاشفة مظهرة مقيمة والها فيه للمبالغة بيانه قوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو ، وقيل ليس لها نفس كاشفة اذا وقعت الا الله بمانه لا يكشفها ، وقيل ليس لها الان نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعاقبة اي ليس لها من دون الله كشف وقيام ولا يقوم الا قامة الله اياها ثم قال لمشركي العرب ، افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزا ولا تبكون والبكا والخشوع حق عليكم ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وانتم سامدون ساخون مبرطمون ، وقيل ساهون لاهون غافلون لاعبون ، يقال دع عنا سمودك اي لهوك عكرمة السمود الغنا وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا ، الضحاك اشرون بطرون ، ابن عباس كانوا يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين ولهذا قيل ، الم تر كيف الفحل يخطر شامخا ، مجاهد غضاب مبرطمون ، فقيل له ما البرطمة قال الاعراض ، عن ابي هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية ، افمن هذا الحديث تعجبون بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسهم بكا معهم فبكينا لبكايه ، فقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة مصر على معصية ولو لم تذنبوا لجا الله بقوم يذنبون ثم يستغفر لهم ويدخلهم الجنة فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الالهة ، عن ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والنجم فسجد بها وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ، والله الموفق بمنه وكرمه

سورة والقمر مكية

وهي الف واربعماية وثلاثة وعشرون حرفا وثلثماية واثنتان واربعون كلمة ، وخمس وخمسون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا اهواهم ، وكل امر مستقر ، ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر ، فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شي نكر ، خاشعا ابصارهم ، يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر ، انشقاق القمر من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم واياته النيرة عن ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تومنوا قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ، وذلك بمكة قبل الهجرة ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما

من

من حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ، وقد روى حديث الانشقاق جماعة منهم عبد الله بن عمر وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عباس وانس بن مالك وعلى هذا اجمع المفسرون ، الا ان قوما شذوا وقالوا سينشق يوم القيامة ، وقد روى عثمان بن عطا عن ابيه مثل ذلك ، وهذا القول الشاذ لا يقاوم قول الجماعة المذكورين ، ولان قوله وانشق لفظ ماض وصرف اللفظ الماضي عن مفهومه الحقيقي الى المستقبل يفتقر الى دليل صارف وليس لهم ، وفي قوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا دليل على انه كان واقفا وقع به زادا ، وان يروا اي اهل مكة اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر مار ذاهب يزول ويبطل من قولهم مر الشي واستمر اذا ذهب ، وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره ، وقيل هو من استمر الشي اذا اشتد مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر المقر ، وقيل مستمر دايم مطرد وكل شي قد انقادت طريقته ودامت حالته ، قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات قالوا هذا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواهم ما مالت اليه طباعهم دون الحق الوا وقيل وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر من خير او شر مستقر اي لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها ، وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته ، وقيل وكل امر من خير او شر مستقر قراره ومنتهاه يثبته فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار ، قتاده وكل امر مستقر اي باهل الخير الخير وباهل الشر الشر ، مقاتل لكل حد منتهي ، وقيل لكل امر حقيقة ، الحسين بن الفضل يعني يستقر قرار تكذيبهم وقرار تصديق المومنين حتى يعرفوا حقيقته في الثواب والعقاب وقيل مراده كل ما قدر كاين واقع لا محاله ، وقيل كل امور من الامور التي امضيتها في خلقي مستقر قراره لا يزول ، ولقد جا اهل مكة من الانبا من القرون الموذع انبا القرون الخالية او انبا الاخرة وما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر اي ازدجار او موضع ازدجار ، والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وهو مفتعل من الزجر واصله مزتجر قلبت التا دالا حكمة بالغة تامة ليس فيها نقصان وهي القران وحكمة بدل من ما او خبر مبتدا محذوف اي هو حكمة فما تغن النذر اذا كذبوهم وخالفوهم فما يغني اوانكار وما منصوب به اي فاي غنا يغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم ، قيل نسختها اية القتال ، يوم يدع الداعي نصب يوم يخرجون او باضمار اذكر ، قيل الداعي اسرافيل الى شي نكر فظيع تنكره النفوس لا لعهدها بمثله وهو هول يوم القيامة وقيل هو النار خاشعا من الخارجين ، ابصارهم فاعل خاشعا قرا حمزة والكساي ويعقوب وخلف خاشعا بالالف على الواحد والباقون خشعا بلا الف على الجمع ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة والاحوال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة ، والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المايج بعضه في بعض جاوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين مسرعين مادي اعناقهم الى الداعي ، وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تبع بن عمرو بن سعد وقد ادى وعمرو بن سعد لي مطيع ومهطع ، وقيل قابضين ما بين اعينهم وقيل مايلين اذانهم

الي قول الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب مثله يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ٥ **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزا لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ٥ كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا اي قوم نوح عبدنا يعني نوحا ومعنى فكذبوا بعد كذبت كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين النبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا هو مجنون وازدجر اي زجروه عن دعوته ومقالته وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل وازدجر من جملة قيل قوم نوح اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه فدعا نوح ربه اني مغلوب مقهور فغلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي لا يمكنني مقاومتهم الا بنصرك فانتصر فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم قيل وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السما بما منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الما يعني ما السما والارض وانما قال فالتقى والالتقا لا يكون من واحد وانما يكون من اثنين فصاعدا لان الما يكون جمعا وواحدا على امر قد قضي عليهم في ام الكتاب قيل الامر قبل الاجساد وكان القدر قبل البلا وقيل على حالات مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السما كقدر ما اخرج من الارض سوا بسوا وحملناه يعني نوحا عليه السلام على ذات الواح ذكر النعت وترك الاسم اي على سفينة ذات الواح من الخشب ودسر مسامير واحدها دسار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه قيل ذات الواح من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي مودها بحيث لا يفصل بينها وبينها ولو جمع بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه تجري باعيننا اي بمراى منا مقاتل بن حيان بحفظنا مقاتل بن سليمان بوحينا سفيان بامرنا جزا مفعول له لما قدم من فتح ابواب السما وما بعده اي فعلنا ذلك جزا لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة الله سبحانه وتعالى ورحمته قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة مجاهد من كان يكفر عن الله تعالى ابن عباس انتصارا لنفسه الفرا جزا لكفرهم ومن بمعنى ما المصدر وقيل معناه عاقبناهم لله ولاجل كفرهم به ولقد تركناها اي السفينة اية عبرة حتى نظرت اليها اوائل من هذه الامة نظرا وكم من سفينة كانت بعدها صارت رمادا قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى

نظر

نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر متعظ وخائف معتبر مثل عقوبتهم فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري استفهام تعظيم لما مضى وتخويف لمن لا يومن بمحمد عليه السلام ولقد يسرنا سهلنا وهونا القران للذكر اي ليتذكر ويعتبر به ويتفكر فيه سعيد بن جبير يسرناه للحفظ هذا وليس من كتب الله تعالى كتاب يقرا كله ظاهرا الا القران فهل من مدكر متعظ معتبر وكرر لان كل واحد وقع مع قصة اخرى فلم يكن تكرارا للمعنى ولقد يسرنا استنباط معانيه وسهلنا علم ما فيه فهل من مدكر فيتذكر ما فيه وهل من طالب علم فيعان عليه وهذا حث على الذكر لانه طريق الى العلم ثم ختم قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما في كل واحد منها من التخويف والتحذير وبدايع ما حل بهم فيتعظ به تالي القران وحافظه ومن يستنبط معانيه ويتعظ به ٥ **قوله تعالى**

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس شوم وشر وكان يوم الاربعا مستمر شديد ماض على الكبير والصغير واستمر عليهم ودام حتى اهلكهم جميعا ولم يبق منهم نسمة تنزع تقلع الناس ثم ترمي بهم على رووسهم فيدق رقابهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل ابن عباس اصول نخل الضحاك اوراك نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط على الارض وواحد الاعجاز عجز مثل عضد واعضاد وانما قال ذلك اعجاز نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رووسهم من اجسادهم فتبقى اجساد بلا رووس والمعنى انهم كانوا يتساقطون على الارض اموات وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل منقعر وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حمله على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية ٥ ٥ **قوله تعالى** كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر االقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبيهم ان الما قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ٥ كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا نصب بفعل يفسره نتبعه منا واحدا ونحن جماعة كثيرة انا اذا ان فعلنا ذلك وتركنا دين ابائنا وتابعنا على دينه وهو واحد منا ادمي مثلنا لفي ضلال ذهاب عن الصواب وسعر ابن عباس عذاب الحسن شدة العذاب قتادة عنا سفيان بن عيينة هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاص السير منعب ٥ قال صاحب الكشاف فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملايكة وقالوا ابشرا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى

وقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إلا أنه بشر مثلنا واحدا أي أنتبع واحدا أو أراد وأوحدا من أمثالهم ليس بأشرفهم
وأفضلهم ۵ ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا ۵ أنزل عليه الوحي من بيننا
وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة ۵ بل هو كذاب أشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته
وطلبه التعظيم علينا على ادعائه النبوة ۵ سيعلمون غدا قرأ أهل الشام وحمزة بالتاء فهو من قول
صالح لهم ۵ وغيرهم بالياء من تحت ۵ فهو من قول الله عز وجل والمعنى في الغد التقريب على
عادة الناس من قولهم للعواقب إن مع اليوم غدا ۵ وإن مع اليوم أخاه غدا وأراد وإنه
وقت نزول العذاب بهم من الكذاب الأشر أي إذا جاءهم العذاب يوم القيامة علموا أنهم الكاذبون
لا صالح ۵ وسماه غدا للتقريب ۵ وشدة الوعيد وقيل غدا يريد به يوم العذاب في
الدنيا ۵ إنا مرسلوا الناقة أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا فتنة محنة
لهم ۵ وقيل امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على
أذاهم ۵ واصطبر افتعل من الصبر وأصل الطاء فيه تاء تحولت طاء لأجل الصاد
ونبئهم أن الماء قسمة مقسوم بينهم لها أي للناقة شرب يوم ولهم شرب يوم ۵ وإنما قال
بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور لهم أو للناقة أي كل شرب نصيب من الماء يحضر محتضر من
كانت نوبته ۵ فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها ۵ وإذا كان يومهم حضروا شربهم
مجاهد يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فإذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم قدار
ابن سالف وكان أشقر ۵ ولذلك قيل أحيمر ثمود فتعاطى فتناول الناقة بسيفه وقيل
فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فعقر الناقة ۵ ولذلك سمت العرب الجزار
قدارا تشبيها به ۵ وقيل فتعاطى الناقة فعقرها وقيل فتعاطى السيف فكيف كان
عذابي ونذر ۵ ثم بين عذابهم فقال إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم
كالشجر اليابس المتهشم المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة ۵ وما يحتظر به ييبس بطول الزمان
ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع ۵ فما سقط من
ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم ۵ قتادة يعني كالعظام النخرة المحترقة ۵ وعنه كحشيش
تأكله الغنم ۵ سعيد بن جبير التراب الذي يتناثر من الحائط ۵ ابن زيد هو الشجر البالي الذي
يهشم حتى ذرته الريح ۵ والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما ۵ ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ۵ **قوله تعالى** كذبت قوم لوط بالنذر ۵ إنا أرسلنا
عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ۵ ولقد أنذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر ۵ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ۵ ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ۵ كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم بالحصى ۵ وقيل هو الحجر نفسه ۵ الضحاك يعني صغار الحصى
والحاصب والحصب والحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف ۵ والمحصب الموضع الذي يرمى فيه
الجمار سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأهل المدينة حصبوا المسجد أي صبوا فيه الحجارة
ثم استثنى فقال إلا آل لوط أتباعه على دينه من أهله وأمته نجيناهم من العذاب بسحر يقطع من الليل
وهو السدس الأخير منه ۵ وقيل هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه
وأنشد مرت بأعلى السحرين تدأل ۵ وصرف لأنه نكرة أي بسحر من الأسحار ۵ ولو أراد
سحرا بعينه لقال بسحر غير منصرف يقال لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه ۵ نعمة إنعاما معفوا

له ۵ وقيل يعني كان ذلك وجعلناه نعمة من عندنا عليهم حيث أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم كذلك
كما جزينا لوطا وآله نجزي من شكر نعمة الله عز وجل بإيمانه وطاعته ۵ ولقد أنذرهم لوط عليه
السلام بطشتنا أخذتنا بالعذاب ۵ فتماروا شكوا بهم فتماروا وأكذبوا بالنذر بإنذاره متشاكين
وهو تفاعل من المرية ۵ ولقد راودوه عن ضيفه طلبوه وسألوه أن يخلي بينهم وبينه فطمسنا
أعينهم فمسحنا أعينهم وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق ۵ وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط
عليه السلام وعالجوا الباب ليدخلوا قالت قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل
ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فصفقهم
جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط فذوقوا
فقلت لهم فذوقوا عذابي ونذر على ألسنة الملائكة ۵ ولقد صبحهم جاءهم العذاب وقت الصبح
بكرة أول النهار وبكرة لقوله مشرقين مصبحين عذاب مستقر دائم عام استقر فيهم حتى يفضي
بهم إلى عذاب الآخرة ۵ وفائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ۵ ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكارا واتعاظا وأن يستأنفوا
تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ۵ وأن يقرع لهم العصا مرات
ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة ۵ وهكذا حكم التكرير
لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن ۵ وقوله ويل يومئذ للمكذبين
عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات ۵ وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون
تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان ۵ ۵

قوله تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز
مقتدر ۵ ولقد جاء آل فرعون النذر يعني موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم
ما أنذره المرسلون ۵ وقيل جمع نذير وهو الإنذار ۵ كذبوا بآياتنا التسع كلها فأخذناهم
بالعذاب أخذ عزيز لا يغالب مقتدر قادر لا يغلبه شيء ولا يعجزه شيء ۵ **قوله تعالى**
أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر ۵ سيهزم الجمع ويولون
الدبر ۵ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ۵ ثم خوف أهل مكة سبحانه وتعالى فقال
أكفاركم يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل
فرعون أي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفارهم مثل أولئك
بل شر منهم أم لكم براءة من العذاب في الزبر الكتب يعني أم أنزلت عليكم يا أهل مكة في الكتب
المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة أم يقولون
يعني كفار مكة نحن جميع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام ولا نقصد بسوء ۵ والمراد حزبنا ولا نفترق
جمعنا ۵ سيهزم الجمع ويولون الدبر أي الأدبار فوحدوا ۵ والمراد الجمع كما قيل كلوا في بعض بطنكم
تعفوا ۵ فصدق الله تعالى وعده وهزمهم يوم بدر ۵ مقاتل ضرب أبو جهل فرسه فتقدم يوم
بدر في الصف وقال لو نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه ۵ عكرمة لما نزلت سيهزم الجمع قال
عمر رضي الله عنه أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم
الجمع عرف تأويلها ۵ بل الساعة موعدهم موعد عذابهم ۵ والساعة أي عذاب يوم القيامة
أدهى أشد وأفظع ۵ والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وأمر أعظم بلية وأشد
مرارة من الهزيمة والقتل والأسر يوم بدر ۵ **قوله تعالى** إن المجرمين في

ضلال وسعر ۞ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ۞ ان المجرمين المشركين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران تسعر عليهم في الاخرة ۞ قيل في ضلال وسعر جنون جواب لقولهم انا اذا لفي ضلال وسعر ۞ يوم يسحبون يجرون في النار على وجوههم ذوقوا يقال لهم ذوقوا مس ۞ كقولك ذق الم السياط ۞ ووجد مس الحمى لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويولم سقر علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته النار وهي ممنوعة من الصرف للتعريف والتانيث ۞

قوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر ۞ وكل شي فعلوه في الزبر ۞ وكل صغير وكبير مستطر انا كل شي منصوب بفعل يفسره قوله الظاهر الذي بعده ۞ اي انا خلقنا كل شي خلقناه بقدر اي مقدرا محكما مرتبا على حسب مشيته ۞ وقيل مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ معلوما قبل كونه حاله وزمانه شاهده قوله ۞ وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم الحسن قدر الله لكل شي من خلقه قدره الذي ينبغي له ۞ الربيع هو كقوله قد جعل الله لكل شي قدرا اي اجلا لا يتقدم ولا يتاخر ۞ ابن عباس انا كل شي خلقنا له شكلا يوافقه ويصلح له فالمراة للرجل والاتان للحمار ۞ والرملة للفرس وثياب الرجال لا يصلح للنسا وثياب النسا لا تصلح للرجال وكذلك ما شاكلها على هذا ۞ وعنه خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق لهم الخير والشر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاوة ۞ وقيل هذا يعود الى العذاب اي بقدر ما لكم يعذبون ۞ وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر قيل معناه الامرة واحدة يعني الساعة ۞ وقيل الا كلمة واحدة سريعة التكوين معناه وما امرنا للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة يعني كن فيكون لا مراجعة فيها كلمح بالبصر لم يلبث كونه ۞ قيل نزلت الاية في القدرية ۞ عن ابي هريرة رضي الله عنه جات قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الايات ان المجرمين الى اخر السورة ۞ روي ان وفد نجران قالوا اما الارزاق والاجال فبقدر ۞ واما الاعمال فليس بقدر فانزل الله تعالى فيهم ان المجرمين في ضلال وسعر الى اخر السورة ۞ وعن عمرو بن زرارة عن ابيه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا ان المجرمين في ضلال وسعر الى اخر السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الايات في ناس يكونون في اخر امتي يكذبون بقدر الله تعالى ۞ وعن عطا بن ابي رباح قال اتيت بن عباس وهو ينزع في زمزم وقد ابتلت اسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال او قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الاية الا فيهم ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر اوليك شرار هذه الامة لا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ان اريتني احدا منهم فقات عينيه باصبعي هاتين عن ابي عبد الرحمن السلمي لما نزلت هذه الاية انا كل شي خلقناه بقدر قال رجل يا رسول الله ففيم العمل في شي نستانفه او في شي فرغ منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر سنيسره لليسرى ۞ وسنيسره للعسرى ۞ عن كعب نجد في التوراة ان القدرية يسحبون في النار على وجوههم ۞ وعن انس بن مالك رضي الله عنه تماروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية شديدة حتى كانما فقي في وجهه حب الرمان فقال فيم انتم قالوا تمارينا في القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر حتى هذه واشار باصبعه السبابة حتى ضرب على ذراعه الايسر ۞ وعن علي بن ابي طالب

رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر المقادير ودبر التدبير قبل ان يخلق ادم بالفي عام ۞ وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن ۞ وعن ابي فزارة قال بن عباس اذا كثرت القدرية بالبصرة استفكت باهلها ۞ واذا كثرت السبابة بالكوفة اسفلت باهلها وعن سعيد بن محمد الغساني لما اخذ ابو شاكر الديصاني بالبصرة واقر انه ديصاني وكان يظهر القول بالرفض والقدر فقيل له لم اخترت القول بالقدر والرفض ۞ قال اخترت القول بالقدر لاخرج افعال العباد من قدرة الله تعالى وانه ليس بخالقها فاذا جاز ان يخرج من قدرته شي جاز ان يخرج الاشيا كلها من قدرته ۞ واخترت القول بالرفض للتوصل بالطعن الى نقلة هذا الحديث فاذا بطل النقلة بطل المنقول ۞ وعن الداوردي قال لي ابو سهل اذا سلم عليك القدرية فرد عليهم كما ترد على اليهود وقل وعليك ۞ ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم السالفة ۞ فهل من مدكر متعظ معتبر ۞ وكل شي موصوف بانهم فعلوه في الزبر في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير منهم ومن اعمالهم ومن كل ما هو كاين مستطر مكتوب في اللوح المحفوظ محفوظ عليهم يقال كتبت واكتتبت وسطرت واستطرت ۞ وقرات واقترات ۞ ان المتقين في جنات ونهر وانهار واكتفي باسم الجنس فوحد لاهل روس الاي الضحاك يعني في ضيا وسعة ومنه النهار في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك مقتدر مقرب عند مليك منهم امره في الملك والاقتدار فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها ۞

سورة الرحمن جل وعلا مكية

وقيل مدنية ۞ وقيل فيها مكي ومدني ۞ وهي الف وستماية وستة وستون حرفا وثلثماية واحد وخمسون كلمة ۞ وثمان وسبعون اية ۞ وعن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شي عروس وعروس القران سورة الرحمن ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الرحمن ۞ علم القران ۞ خلق الانسان علمه البيان ۞ عدد الله عز وجل الاه فاراد ان يقدم اول شي ما هو اسبق قدما من ضروب الايه ۞ واصناف نعمايه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها ۞ وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة ۞ واعلاه منزلة ۞ واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها ۞ ولما كان معظم السورة في تعداد نعمايه افتتح بلفظ الرحمن واخر ذكر خلق الانسان عن ذكر تعليم القران ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله ۞ وكان المراد في انشايه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من ساير الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ۞ والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمايرها اخبار مترادفة ۞ واخلاوها من العاطف لمجيها على نمط التعديد كما يقول زيد اغناك بعد فقر ۞ اعزك بعد ذل ۞ كثرك بعد قلة ۞ فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه ۞ قيل نزلت حين قالوا وما الرحمن ۞ وقيل هو جواب اهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر ۞ وان هذا الا اختلاق اي الرحمن علم القران محمدا لا يعلمه

امته ۝ وقيل مكنهم من تعليمه بان تلوه عربيا ۝ وقيل من رحمته تعليم القران والتعليم تبيين ما يصير
به المتعلم عالما والاعلام احداث ما يصير به عالما ۝ وقيل معناه جعله آية يعتبر بها ۝ خلق الانسان
ابن عباس وقتادة يعني خلق ادم عليه السلام ۝ علمه اسما كل شي ۝ وقيل علمه اللغات كلها ۝ وكان
ادم يتكلم بسبعمايه الف لغة افضلها العربية ۝ وقال الاخرون اراد جميع الناس لان الانسان اسم
الجنس ۝ ثم اختلفوا في معنى البيان ۝ قتادة علمه بيان الحلال والحرام ۝ وبين له الخير والشر
وما ياتي وما يذر ليحتج بذلك عليه ۝ ابو العالية ومرة الهمداني وابن زيد يعني الكلام
الحسن والنطق والتمييز ۝ محمد بن كعب ما يقول وما يقال له ۝ السدي علم كل قوم لسانهم الذي
يتكلمون به ۝ يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم ۝ ابن كيسان خلق الانسان يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم علمه البيان بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والاخرين وعن يوم
الدين ۝ **قوله تعالى** الشمس والقمر بحسبان ۝ والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها
ووضع الميزان ۝ ان لا تطغوا في الميزان ۝ واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ۝ والارض
وضعها للانام ۝ فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام ۝ والحب ذو العصف والريحان ۝ فباي الاء ربكما
تكذبان ۝ الشمس والقمر يجريان بالحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما
ومنازلهما ۝ وفي ذلك منافع للناس عظيمة بهما يحسب الاوقات والاعمار والاجال
لولا الشمس والقمر والليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيا لو كان الدهر كله ليلا كيف يحسب
او كله نهارا كيف يحسب ۝ الضحاك يجريان بقدرته كحسبان الرحا يعني يدوران في مثل قطب الرحا
السدي باجل كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا ۝ نظيره كل يجري لاجل مسمى ۝ يمان يجريان
باجل الدنيا وقضايها وفنايها والحسبان قد يكون مصدرا حسبت حسابا وحسبانا مثل
الغفران والكفران والرجحان ۝ والنقصان والبرهان ۝ وقد يكون جمع الحساب مثل الشهبان
والركبان ۝ والقضبان والرهبان ۝ ونظم الاية الرحمن علم القران ۝ وتكون الشمس والقمر
وقيل هو مردود على البيان ۝ اي علمه البيان ان الشمس والقمر بحسبان ۝ ويقال
سعة الشمس ستة الاف فرسخ واربعماية فرسخ في مثلها ۝ وسعة القمر الف فرسخ في الف فرسخ
مكتوب في وجه الشمس لا اله الا الله محمد رسول الله ۝ خلق الله الشمس بقدرته واجراها
بامره ۝ وفي بطنها مكتوب لا اله الا الله رضاه كلام ۝ وغضبه كلام ۝ ورحمته كلام ۝
وعذابه كلام ۝ وفي وجه القمر مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله خلق الله القمر وخلق
الظلمات والنور ۝ وفي بطنه مكتوب لا اله الا الله خلق الخير والشر بقدرته يبتلي بهما
من يشا بخلقه فطوبى لمن اجرى الله الخير على يديه ۝ والويل لمن اجرى الله الشر على يديه ۝ والنجم
النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول ۝ والشجر النبت الذي له ساق يسجدان
ينقادان لله عز وجل فيما خلقا له لا يمتنعان تشبيها بالساجدين المكلفين في انقياده
وقيل سجودهما سجود ظلهما ۝ مجاهد وقتادة النجم الكوكب وسجوده طلوعه ۝ وقيل يسجدان
ولا نقف على سجودهما كما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم ۝ وقيل سجودهما حمل عزمهما على السجود ۝
وقيل سجودهما دلالتهما على التوحيد ۝ وقيل الشمس والقمر مبتدا اخبر بحسبان ۝ وقيل
خبر مقدر اي يجريان والجملتان استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان
الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له اخل في الجملة الاولى بالعاطف ثم جي به بعد تكبيت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد

الذين

الذين انكروا الرحمن والاءه كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال
الذي قدمته ۝ ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب
والتقارب بالعاطف والتناسب بين هاتين الجملتين التي وسطتهما العاطف ان الشمس والقمر
سماويان ۝ والنجم والشجر ارضيان بين القبيلين تناسب من حيث التقابل ۝ وان السما والارض
لا يزالان يذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى
فهو مناسب لسجود الشمس والقمر النجم والشجر ۝ والسما رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها
منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون
بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبريا شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان ۝ مجاهد
العدل ۝ الحسن وقتادة والضحاك هو الذي يوزن به ليتوصل به الى الانصاف
والانتصاف ۝ الحسين بن الفضل القران ۝ واصل الوزن التقدير ۝ واراد به كل ما يوزن
به الاشيا وتعرف مقاديرها من ميزان ومكيال وقرسطون ومقياس اي خلقه موضوعا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم ۝ وما تعبدهم به من التسوية والتعديل
في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا لئلا تطغوا ۝ وقيل هي ان المفسرة والمعنى على الاول
لئلا تميلوا او تظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان ۝ واقيموا الوزن بالقسط اي قوموا وزنكم
بالعدل ۝ ابن عيينة الاقامة باليد ۝ والقسط بالقلب ۝ ابو الدردا اقيموا لسان
الميزان بالقسط ولا تخسروا ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية
ونهى عن الطغيان الذي هو اعتدا وزيادة ۝ وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية ۝ وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ۝
قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك ۝ واوف كما تحب
ان يوفى لك ۝ فان العدل صلاح الناس ۝ والارض وضعها خفضها ۝ مدحوة على الما
للانام للخلق ۝ الحسن للجن والانس ۝ ابن عباس والشعبي لكل ذي روح فهي كالمهاد لهم
يتصرفون فوقها ۝ فيها فاكهة ۝ يعني انواع الفواكه يتفكه بها ۝ والنخل ذات الاكمام ۝
اوعية الثمر ۝ واحدها كم ۝ وقيل كل ما يكم اي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله
منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه ۝ الضحاك ذات الاكمام ذات
الغلف ۝ الحسن اكمامها ليفها ۝ قتادة رقابها ۝ ابن زيد الطلع قبل ان يتفتق ۝ والحب
ذو العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤوسه ويبس نظيره عصف ماكول ۝
ابن عباس العصف التبن ۝ مجاهد ورق الزرع ۝ ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع
الزرع العصف والعصيفة ۝ ابن كيسان العصف ورق كل شي خرج منه الحب يبدو اولا
ورقا ثم يكون سوقا ۝ ثم يحدث الله تعالى فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان
مجاهد هو الرزق وهي رواية عكرمة ۝ عن ابن عباس قال كل ريحان في القران فهو رزق
مقاتل بن حيان ۝ الريحان الرزق بلغة حمير ۝ سعيد بن جبير الريحان ۝ الربيع والضحاك
هو الطعام ۝ فالعصف التبن ۝ والريحان ثمرته ۝ الحسن وابن زيد هو ريحانكم هذا الذي
يشم ۝ الوالبي هو خضرة الزرع ۝ وقيل هو اللب اراد بهما ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى منه وهو الحب ۝ وقراة العامة
والحب ذو العصف والريحان كلها مرفوعا بالرد على الفاكهة ۝ ونصبها كلها ۝ ابن عامر على

معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشيا ، وقرا اهل الكوفة الاعا[مش] والريحان بالجر عطفا على العصف
ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو طعم الناس ، فباي
الا ربكما تكذبان ايها الثقلان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام
عليهما ، وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان ، وعن جابر بن عبد الله قرا علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن احسن منكم
ردا ما قرات عليهم هذه الاية من مرة فباي الا ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشي من نعمك
ربنا نكذب ، وقيل خاطبهم بلفظ التثنية على عادة العرب ، القتيبي الحكمة في تكرارها
ان الله عز وجل عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلق الاه ثم اتبع ذكر كل كلمة وصفها
ونعمة ذكرها بهذه الاية ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم على النعم ويقررهم بها ،
وهو كقولك لرجل احسنت اليه ، وتابعت عليه بالايادي وهو في كل ذلك ينكرك
ويكفرك ، الم تك فقيرا فاغنيتك ، افتنكر هذا ، الم تك عريانا فكسوتك افتنكر هذا ،
الم احملك وانت راجل افتنكر هذا ، الم تك خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تك صرورة
فحججت بك افتنكر هذا ، والتكرار شايع في كلام العرب حسن بليغ في مثل هذا الموضع ، الحسن
ابن الفضل رحمه الله ، التكرار لطرد الغفلة وتاكيد الحجة ، والله اعلم ،

قوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من
مارج من نار ، فباي الا ربكما تكذبان ، رب المشرقين ورب المغربين ، فباي الا ربكما تكذبان
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، فباي الا ربكما تكذبان ، يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان ، فباي الا ربكما تكذبان ، وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام
فباي الا ربكما تكذبان ، خلق الانسان يعني ادم من صلصال من طين يابس له
صلصلة كالفخار كالطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ، واختلاف التنزيل في هذا حيث
قال في موضع من تراب ، وفي اخر من طين ، وفي اخر من حما مسنون لا تناقض فيه
لانه بيان لكيفية خلقه على سبيل التفصيل لانه تعبد انه خلقه من تراب ، فانه الاصل
في خلقته ، ثم جعله طينا يخلط الما بالتراب ، ثم جعله حما مسنونا بادخال الهوا فيه
ثم جعله صلصالا كالفخار بنفوذ النار فيه ، وبالحقيقة خلق كل واحد من اشخاص
الانسان على هذا الوجه لكن خلقه ادم قديم فهذا امر عن طور اخر بخلاف بني ادم فان
خلقة كل واحد منهم بعد هذه المراتب متوقفة على اطوار اخر ، قال الله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشاناه خلقا
اخر فتبارك الله احسن الخالقين ، وخلق الجان ابا الجن قيل هو ابليس ، وقيل الجان
واحد الجن من مارج من لهب صاف خالص لا دخان فيه ، ابن عباس المارج هو لسان النار
يكون في طرفها اذا التهبت ، عكرمة هو احسنها ، مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب
الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت ، وهو من قولهم مرج امر القوم اذا
اختلط ، وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشي اذا اضطرب واختلط من نار بيان لمارج
كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا
تلظى ، رب المشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتا ، ورب المغربين مغرب الصيف ومغرب الشتا ،

مرج البحرين ارسل البحرين العذب والملح متجاورين يلتقيان لا فصل بين الماين في مراى العين
بينهما برزخ حاجز وحايل من قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته لا يبغيان لا يتجاوزان حد[هما]
ولا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة ولا يختلطان ولا يتغيران ، قتادة لا يطغيان
على الناس بالغرق ، الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانا الحاجز بينهما
قتادة ايضا بحر فارس والروم بينهما برزخ وهو الجزاير ، مجاهد والضحاك يعني بحر السما
وبحر الارض يلتقيان كل عام يخرج ، قرا نافع وابو عمرو ويعقوب بضم اليا وفتح الرا
على غير تسمية الفاعل ، والباقون بفتح اليا وضم الرا منهما اللؤلؤ الدر والمرجان هذا
الخرز الاحمر وهو البسذ ، وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغار ، قال صاحب
الكشاف ، فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح ، قلت لما التقيا وصارا
كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من
جميع البحر ولكن من بعضه ، وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله
بل من دار واحد من دوره ، وقيل لا يخرجان الا من ملتقى البحرين الملح والعذب
قال اهل المعاني وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب ، ولكن هذا جايز
في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما بالفعل دون الاخر ، كقوله تعالى يا
معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن ، الكلبي قال
وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها ، وقيل يخرج من ما السما وما البحر اللؤلؤ
وقال اهل الاشارة مرج البحرين ، احدهما معرفة القلب ، والاخر معصية النفس
في معرفة القلب ، ابن عطا بين العبد وبين الرب يخرجان ، احدهما بحر النجاة وهو القران
من تعلق به نجا والثاني بحر الهلاك وهو الدنيا من تمسك به وركن اليها هلك ، وقيل
بحر الدنيا وبحر العقبى بينهما برزخ وهو القبر ، قال الله تعالى ومن وراهم برزخ الى يوم
يبعثون لا يبغي احدهما على الاخر ، وقيل بحر العقل والهوى بينهما برزخ اذا اب الله يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان التوفيق والعصمة ، وقيل بحر الحياة وبحر الوفاة بينهما برزخ وهو الاجل ، وقيل
بحر الحجة والشبهة بينهما برزخ وهو النظر والاستدلال ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحق
والصواب ، وله الجوار السفن الكبار المنشات قرا حمزة وابو بكر عن عاصم بكسر
الشين المقبلات المبتديات اللاتي انشان جريهن وسيرهن ، وقرا الباقون بفتح الشين
اي المخلوقات المرفوعات المسخرات في البحر ، مجاهد المنشات ما رفع قلعه من السفن
كالاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل ،

قوله تعالى كل من عليها فان ،
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، فباي الا ربكما تكذبان ، والمعنى كل من
على الارض من حيوان كناية عن غير مذكور لقول الناس ما عليها اكرم من فلان يعنون الارض
وما بين لابتيها افضل من فلان يعنون حرتي المدينة فان ، قال ابن عباس لما نزلت هذه
الاية قالت الملايكة هلك اهل الارض فانزل الله سبحانه وتعالى كل شي هالك الا وجهه
فايقنت الملايكة بالهلاك ويبقى وجه ربك ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات
ومساكين مكة يقولون ان وجه ربي كريم يستعدي من الهوان ، ذو الجلال
والاكرام صفة الوجه ، والمعنى الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم
او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه

الصفة من عظم صفات الله تعالى ۝ وعن عبد الله بن سلام بعث الى النبي عليه السلام فقال
يا بن سلام ان الله سبحانه وتعالى يقول ذو الجلال والاكرام ۝ فاما الاكرام فقد عرفت فما الجلال
قلت بابي انت وامي يا رسول الله انا نجد في الكتب انها الحيطة المحيطة بالعرش قال
نكم بينها وبين الجبال التي يسكن الله عباده قال مد سبع مائة سنة قال فنزل جبريل عليه السلام
بتصديقه عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يصلي وهو
يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استجيب لك ۝
عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ۝ ۝ والله اعلم

قوله تعالى يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان ۝

فباي الاء ربكما تكذبان ۝ من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم ۝ ابن عباس يسئلونه المغفرة
ولا يسالونه الرزق واهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة كل يوم هو في شان اي كل
وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا ۝ مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا
ان الله لا يقضي يوم السبت ۝ عن عبد الله بن منيب تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية ۝ قلنا يا رسول الله وما ذاك الشان ۝ قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع اخرين ۝ عن ابن عباس ان اول ما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضا دفتاه
ياقوتة حمرا ۝ قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة
يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا ۝ فذلك قوله تعالى
كل يوم هو في شان ۝ مجاهد من شانه انه يجيب داعيا ويعطي سائلا ويفك عانيا
ويشفي سقيما ويغفر ذنبا ويتوب على قوم ۝ سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى
يومان ۝ احدهما هذه ايام الدنيا والاخر يوم القيامة ۝ والشان الذي فيه اليوم
الذي هو من الدنيا الاختبار بالامر والنهي ۝ والاحيا والاماتة ۝ والاعطا والمنع
وشان يوم القيامة الجزا والحساب والثواب والعقاب ۝ الحسن بن الفضل
هو سوق المقادير الى المواقيت ۝ ويقال شانه جل ذكره انه يخرج في كل يوم وليلة
ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الرجال الى الارحام ۝ وعسكرا من الارحام الى الدنيا ۝
وعسكرا من الدنيا الى القبور ۝ ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى ۝ الربيع يخلق خلقا ويميت
خلقا ويرزقهم ويكلؤهم ۝ وقيل يعتق رقابا ويقحم عقابا ۝ ويعطي رغابا ۝ وقيل
هو الجمع والتفريق ۝ ابو سليمان الداراني هو ايصاله المنافع اليك ۝ ودفعه المضار عنك
فلم تغفل عن طاعة من لا يغفل عن برك ۝ وكل يوم له الى العبيد بر جديد ۝ ۝
وحكي عن بعض الامرا انه سال وزيره عن معنى هذه الاية فلم يعرفه واستمهله الى الغد فرجع
الوزير الى داره كئيبا حزينا فقال له غلام اسود من غلمانه يا مولاي اخبرني ما اصابك
فزجره ۝ فقال له يا مولاي اخبرني فلعل الله يسهل لك الفرج على يدي فاخبره بذلك
فقال له عد الى الامير وقل له ان لي غلاما اسود ان اذنت له فسر لك هذه الاية ففعل
ذلك فدعا الامير الغلام وساله عن ذلك ۝ فقال ايها الامير شان الله تعالى ان يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل ۝ ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ۝ ويشفي سقيما
ويسقم سليما ۝ ويبتلي معافا ويعافي مبتلا ۝ ويذل عزيزا ويعز ذليلا ۝ ويفقر غنيا ويغني
فقيرا ۝ فقال الامير احسنت يا غلام قد فرجت عني ۝ ثم امر الوزير بخلع ثياب الوزارة

وكساها الغلام فقال يا مولاي هذا شان الله تعالى ۝ وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين
ابن الفضل فقال اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي ۝ قوله تعالى فاصبح من النادمين
وقد صح ان الندم توبة ۝ وقوله كل يوم هو في شان ۝ وصح ان القلم جف بما هو كائن الى
يوم القيامة ۝ وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف ۝ فقال
الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى
خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم ۝ وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل
ولكن على حمله ۝ واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا
ولي ان اجزيه بواحدة الف فضلا ۝ واما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤون
يبديها لا شؤون يبتديها ۝ فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه ۝ والله اعلم ۝

قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان ۝

يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لا تنفذون الا بسلطان ۝ فباي الاء ربكما تكذبان ۝ يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران ۝ فباي الاء ربكما تكذبان ۝ فاذا انشقت السما فكانت
وردة كالدهان ۝ فباي الاء ربكما تكذبان ۝ سنفرغ قرا حمزة والكسائي
وخلف بفتح اليا وضم الرا اعتبارا بقوله يسئله من في السموات والارض فاتبع الخبر الخبر
والباقون بفتح النون ۝ وضم الرا ۝ فان قيل الفراغ لا يكون الا عن شغل ۝ والله تعالى
لا يشغله شان عن شان ۝ فقيل هذا وعيد وتهديد من الله تعالى مستعار من قول
الرجل لمن يهدده سافرغ لك وما به شغل يريد ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني
عنه حتى لا يكون لي شغل سواه ۝ والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ۝ ۝
القتيبي والكسائي سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في امركم ۝ وقد يقول القائل
الذي لا شغل له وقد فرغت لي وفرغت لشتمي اي اخذت فيه واقبلت عليه ۝ الحسن ومقاتل
وابن زيد ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم
واوجبنا اليكم واخبرناكم فنحاسبكم به ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم ونوصل كلا الى
ما وعدناه فيتم ذلك ويفرغ منه ۝ ابن كيسان الفراغ للفعل هو التوفر عليه دون
غيره ۝ ايها الثقلان الجن والانس ودليله قوله في عقبه يا معشر الجن والانس سميا ثقلين
لانهم ثقل على الارض احيا واموات ۝ قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ۝ وقال
بعض اهل المعاني كل شي له وزن وقدر يتنافس به فهو ثقل ۝ ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان
واجده وصائده يفرح اذا ظفر به ۝ وقال النبي عليه السلام اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي فجعلها ثقلين اعظاما لحقهما ۝ وقال جعفر الصادق سمي
الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب ۝ يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله
ايها الثقلان ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى
فاذا هم فريقان يختصمون ۝ ان تنفذوا تجوزوا من اقطار السموات والارض اطرافها
وتهربوا من قضائي وتخرجون من ملكوتي ومن سماي وارضي فانفذوا واجوزوا وانما يقال
لهم هذا يوم القيامة ۝ الضحاك يعني هاربين من الموت فاخبرهم لا يجيرهم احد من الموت
ولا محيص لهم منه ولو نفذوا من اقطار السموات والارض كانوا في سلطان الله وملكه

ابن عباس يعني ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان
بينة من الله تعالى الا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان بقوة وقهر وغلبة واني
لكم هذا • ونحوه قوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء • ابن عباس وعطا لا تخرجون
من سلطاني • وقيل معناه الا الى سلطاني • قوله تعالى وقد احسن بي اي الي • يرسل
عليكما شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمه وهما لغتان وهو اللهب الخالص
الذي لا دخان فيه • مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار • الضحاك هو الدخان الذي
يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب • ونحاس قرا ابن كثير وابو عمرو بكسر السين عطفا على
النار والباقون بالرفع عطفا على الشواظ • سعيد بن جبير النحاس الدخان وهي رواية ابي
صالح وابن ابي طلحة عن ابن عباس رحمه الله • قال النابغة •
• يضي كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا •
قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم فلا دخان فيه • مجاهد وقتادة
هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس • مقاتل هي خمسة انهار
من صفر ذايب تجري من تحت العرش على رؤس اهل النار ثلاثة انهار على مقدار الليل ونهران على
مقدار النهار • عبد الله بن مسعود النحاس المهل • ربيع القطر • الضحاك دردي الزيت
الكسائي هو الذي له ريح شديد • فلا تنتصران تمتنعان • فاذا انشقت
انفرجت السما فصارت ابوابا لنزول الملايكة • بيانه قوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا فكانت فصارت وردة حمرا مشرقة • وقيل متغيرة بلون
الورد • قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها يومئذ لون احمر كالدهان كدهن
الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن • وقيل اسم ما يدهن
به كالحزام والادام • وقيل الدهان الاديم الاحمر • ابن عباس والضحاك وقتادة
والربيع يعني كلون الفرس الورد يكون في الربيع كميتا اصفر • فاذا اشتد اول الشتاء
يكون كميتا احمر فاذا انشقت السما يكون كميتا اغبر فشبه السما في تلونها عند انشقاقها
بهذا الفرس في تلونه • مجاهد وابو العالية كالدهن • قتادة الدهان
جمع الدهن والدهن الوان يشبه السما بالوانه • عطا كعصير الزيت يتلون في الساعة
الوانا • الحسين بن الفضل كصبيب الدهن يتلون • ابن جريج تذوب السما كالدهن
الذايب • وذلك حين يصيبها حر جهنم • مقاتل كدهن الورد الصافي المورج كالوردة الحمرا

قوله تعالى

فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان • فباي
الا ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام فباي
الا ربكما تكذبان • هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
ان • فباي الا ربكما تكذبان • الحسن وقتاده لا يسالون عن ذنوبهم لان
الله تعالى علمها منهم وحفظها عليهم وكتبت الملايكة عليهم • وهي رواية العوفي عن ابن عباس
وعنه ايضا لا تسال الملايكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده • والى هذا
ذهب مجاهد • وعن ابن عباس ايضا في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين • وقال
فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان • قال لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك
منهم ولكن يسالهم لم عملتم كذا وكذا • عكرمة انها مواطن يسال في بعضها ولا يسال في

بعضها • ابن عباس ايضا لا يسالون سوال شفا وراحة انما يسالون سوال تقريع وتوبيخ
ابو العالية لا يسال غير المذنب عن ذنب المجرم • انس بعض من الانس ولا جان اريد ولا
بعض من الجن • فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده
وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه انس لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسالون لانهم
يعرفون بسيما المجرمين • وهي سواد الوجوه وزرقة العيون يعرف المجرمون بسيماهم
فيوخذ بالنواصي والاقدام • الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من ورا
ظهره فيسحبون الى النار ويقذفون فيها • وقيل تسحبهم الملايكة تارة تاخذهم بالنوا
وتارة بالاقدام ثم يقال لهم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون المشركون يطوفون بينها
وبين حميم ما حار ان قد انتهى حره • قتادة قد انى طبخه • منذ خلق الله السموات والارض
والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم • وقيل يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم
وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم • كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع
فيه صديد اهل النار فينطلق بهم وهم في الاغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع اوصالهم
ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى
يطوفون بينها وبين حميم ان • ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته
وفضله وما في الانذار به من اللطف •

قوله تعالى

ولمن خاف مقام
ربه جنتان • فباي الا ربكما تكذبان • ذواتا افنان فباي الا ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان • فباي الا ربكما تكذبان • فيهما من كل فاكهة زوجان • فباي
الا ربكما تكذبان • متكين على فرش بطاينها من استبرق وجنى الجنتين دان • فباي
الا ربكما تكذبان • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • فباي
الا ربكما تكذبان • كانهن الياقوت والمرجان • فباي الا ربكما تكذبان
هل جزا الاحسان الا الاحسان • فباي الا ربكما تكذبان • ولمن خاف مقام
ربه اي مقامه بين يديه • وقيل موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة
بيانه قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين • وقيل قيام ربه عليه ان ربه قايم
عليه اي حافظ مهيمن • بيانه افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك
فلا يجسر احد على معصيته • مجاهد هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله
ذو النون علامة الخوف من الله تعالى ان يومنك خوفه من كل خوف • السري شيان معقودان
الخوف المزعج • والشوق المقلق جنتان بستانان من الياقوت الاحمر • والزبرجد الاخضر
ترابها الكافور والعنبر • وحماتها المسك الاذفر • كل بستان منها مسيرة مائة سنة في
وسط كل بستان دار من نور • محمد الترمذي جنة لخوفه ربه • وجنة لتركه شهوته • مقاتل
هما جنة عدن وجنة النعيم • ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين • وجنتان
من فضة للتابعين • وقيل الخطاب للثقلين كانه قيل ولكل خايفين منكما جنتان جنة
للخايف الانسي • وجنة للخايف الجني • وقيل جنة لفعل الطاعات • وجنة لترك المعاصي
لان التكليف دائر عليهما • وقيل جنة يثاب بها • واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله
تعالى وزيادة • ذواتا افنان جمع فن وهو من قولهم افتن فلان في حديثه اذا اخذ في فنون
منه • وخص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها التي تورق وتثمر

فيها ممتد الظلال ومنها مجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال الشاعر حيث يقول

ومن كل افنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش اخضر ناضر

الضحاك الوان الفاكهة مجاهد اغصان واحدها فنن عكرمة ظل الاغصان على الحيطان الحسن ذواتا ظلال وهو كقوله تعالى وظل ممدود الضحاك ايضا ذواتا اغصان وفضول وغصونها كالمعروشات تمس بعضها بعضا قتادة ذواتا فضل وسعة على ما سواهما ابن كيسان ذواتا اصول فيهما عينان تجريان ابن عباس بالكرامة والزيادة على اهل الجنة الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان حيث شاءوا في الاعالي والاسافل وقيل انهما تجريان من جبل مسك ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كان له في الدنيا عينان تجريان بالبكاء فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع على فرش جمع فراش بطائنها جمع البطانة من استبرق من ديباج ثخين اذا كانت البطانة من استبرق فما ظنك بالظهارة قيل هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل بطائنها من استبرق وظواهرها من نور حامد الفراء اراد بالبطائن الظواهر المورج هو بلغة القبط وقد تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة لان كل واحد منهما يكون وجها تقول العرب هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء الذي تراه قال عبد الله بن الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه قتلهم الله شر قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب يعني هربوا ليلا فجعل ظهور الكواكب بطونا قال القتيبي هذا من عجيب التفسير وكيف تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس اخفاؤه والظهارة ما ظهر منه ومن شأن الناس اظهاره وهل يجوز لاحد ان يقول لوجه المصلي هذا بطانته ولما يلي الارض ظهارته لا والله لا يجوز هذا وانما اراد الله ان يعرفنا لطفه من حيث نعلم فضل هذه الفرش فان ما يلي الارض منها استبرق واذا كانت البطانة كذلك فالظهارة اعلى واشرف ولذلك قول النبي عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من هذه الحلة فذكر المناديل دون غيرها لانها اخس ويصدق قول القتيبي ما حكينا عن عبد الله بن مسعود وابي هريرة رضي الله عنهما وجنى الجنتين ثمرهما دان قريب ينالها القائم والقاعد والنائم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لانهما لهم اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف غاضات الاعين قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك لم يطمثهن قرأ الكسائي برواية ابي عمر بضم الميم في الاولى وابو الحارث عنه في الثاني كذلك ومعناه لم يجامعهن ولم يفترعهن واصله من الدم ومنه قيل للحائض طامث كانه قال لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقيل لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد

من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس سهل من امسك طرفه في الدنيا عن اللذات عوض في الآخرة القاصرات كانهن الياقوت في صفاء الياقوت والمرجان في بياض المرجان وصغار الدر اشد بياضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه قيل ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب عن انس بن مالك رضي الله عنه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال هل تدرون ماذا قال ربكم عز وجل قالوا الله ورسوله اعلم قال هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان يقول الله هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي ابن المنكدر هل جزاء من انعمت عليه بالاسلام الا الجنة ابن عباس هل جزاء من عمل في الدنيا حسنا وقال لا اله الا الله الا الجنة في الآخرة السدي هل جزاء الذين اطاعوني في الدنيا الا الكرامة في الآخرة الصادق هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه الى الابد محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني كل من احسن احسن اليه وكل من اسا اسي اليه

قوله تعالى ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام

ومن دونهما جنتان يعني ومن دون الجنتين الاولتين الموعودتين لمن خاف مقام ربه جنتان اخريان ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد في الفضل ابن جريج هن اربع جنات للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان الكسائي يعني امامهما وقبلهما دليل هذا التأويل قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاوليين مدهامتان ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد والدهمة السواد اي الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاوليين الاشجار والفواكه فيهما عينان نضاختان ممتلئتان فياضتان فوارتان بالماء لا تنقطعان والنضخ اكثر من النضح الحسن وعطاء ينبعان ثم يجريان ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة ابن مسعود ينضخان على اولياء الله تعالى بالمسك والكافور سعيد بن جبير نضاختان بالماء والوان الفواكه انس ينضخ بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كما ينضخ طش المطر واصل النضخ الرش فيهما فاكهة ونخل ورمان

عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية
جنسان اخران كجبريل وميكال • وقيل لان النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودوا
فلم يخلصا للتفكه • ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لم يحنث • وخالفه صاحباه • فيهن خيرات اصلها خيرات فخففت كقوله عليه السلام
هينون لينون • واما خير الذي بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات والمعنى فاضلات
الاخلاق حسان الخلق • الكسائي ذكر الله تعالى الجنتين ثم جمعهن فقال فيهن خيرات حسان
جرير بن عبد الله مختارات • وقيل خيرات ليس بذربات ولا دفرات ولا بخرات
ولا متطلعات ولا متشوفات • ولا متسلطات • ولا طماحات • ولا طوافات
في الطرق • ولا يغرن ولا يوذين • وقيل ان اهل الجنة ياخذ بعضهن بايدي بعض ۝
ويتغنين باصوات لم يسمع الخلايق مثلها • نحن الراضيات فلا نسخط • ونحن المقيمات
فلا نظعن ابدا • ونحن خيرات حسان • حبينا لازواج كرام • عن عايشة رضي الله عنها
ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة • اجابهن المومنات من نسا الدنيا نحن المصليات
وما صليتن • ونحن الصايمات وما صمتن • ونحن المتوضيات وما توضاتن • ونحن
المتصدقات وما تصدقتن • قالت عايشة رضي الله عنها فغلبتهن والله • حور مقصورات
قصرن في خدورهن • وقيل محبوسات مستورات في الحجال يقال امراة قصيرة وقصورة
ومقصورة اذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج • في الخيام جمع الخيمة • ابن مسعود لكل امراة
خيمة طولها ستون ميلا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة من درة واحدة طولها
في السما ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمومن لا يراهم الاخرون • لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان • اي قبل اصحاب الجنتين • دل عليهم ذكر الجنتين • متكين نصب على الاختصاص
على رفرف ضرب من البسط • وقيل البسط وقيل الوسايد • وقيل كل ثوب عريض رفرف
ويقال لاطراف البسط • وفضول الفسطاط رفارف • ورفرف السحاب هيدبه
سعيد بن جبير هي رياض الجنة خضر مخصبة • قيل واحد الرفرف رفرفة والرفارف
جمع الجمع • وقيل الرفرف فضول المجالس والبسط • قتاده والضحاك مجالس خضر فوق الفرش
ابن عيينة وابن كيسان المرافق ابو عبيد حاشية الثوب • وعبقري منسوب الى عبقر تزعم
العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب • وقيل عبقري حسان هي الزرابي ۝ •
مجاهد هو الديباج • ابو العالية الطنافس المخملة الى الرقة • القتيبي كل ثوب موشى عند
العرب عبقري ابو عبيد هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي • قطرب ليس هذا بمنسوب
ولكنه بمنزلة قولك كرسي وكراسي • وبختي وبخاتي • الخليل كل جليل نفيس فاضل فاخر من الرجال
وغيرهم عند العرب عبقري • ومنه الحديث في عمر بن الخطاب رضي الله عنه • فلم ار عبقريا
يفري فريه • تبارك اسم ربك ذي الجلال • قرا اهل الشام بالواو والباقون بالياء

سورة الواقعة مكية

وهي الف وستماية وثلاثة احرف • وثلاث ماية وثمان وسبعون كلمة وست وتسعون اية
روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعوده في
مرضه الذي مات فيه فقال ما تشتكي قال اشتكي ذنوبي قال فما تشتهي قال اشتهي رحمة ربي

قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نامر بعطايك قال لا حاجة لي به قال
اندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن به قد امرتهن ان يقران سورة الواقعة فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة لم تصبه فاقة ابدا • وعن مسروق من
اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا اهل النار ونبا الدنيا والاخرة
فليقرا سورة الواقعة ۝ قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة • اذا رجت الارض رجا • وبست
الجبال بسا • فكانت هبا منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة ۝ • اذا وقعت الواقعة كقولك
كانت الكاينة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة ۝
فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه
اي نزل ما كنت ارتقب نزوله اذا منصوب بليس • كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ۝
وقيل منصوب بمحذوف اي اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة
تكذيب • فان كاذبة مصدر كالعافية والنازلة والعاقبة • الكسائي هو بمعنى الكذب
كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية • اي لا لغو • ومنه قول العامة عايذا بالله • اي معاذ الله
وقم قايما اي قم قياما • ولبعض نسا الاعراب • قترقص ابنها •
• قم قايما قم قايما • نصب عبدا نايما ۝ •
وقيل ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله عز وجل وتكذب
في تكذيب الغيب لان كل نفس حينيذ مومنة صادقة مصدقة • واكثر النفوس اليوم كواذب
مكذبات • كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده • وقوله لا يومنون به حتى يروا
العذاب الاليم • وقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة واللام
مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي • وقيل ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني
كالها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني • وقيل هي من قولهم كذبت فلانا نفسه
في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك مطيقه وما فوقه فتعرض له ولا
تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة • والانفس حينيذ تحدث صاحبها بما تحدث
به عند عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومييذ اضعف من ذلك واذل
الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث • والفراش مثل في الضعف خافضة اي هي خافضة
رافعة تخفض قوما الى النار وترفع اخرين الى الجنة اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات
العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس • واما لان الاشقيا يحطون الى الدركات
والسعدا يرفعون الى الدرجات • واما لانها تزلزل الاشيا وتزيلها عن مقارها
تخفض قوما وترفع بعضا حيث تسقط السما كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر • وتسير الجبال
سيرا فتمر في الجو مر السحاب • السدي ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا • ورفعت
الصوت فاسمعت من نأى • يعني انها اسمعت القريب والبعيد • ورفعت قوما كانوا مرتفعين
ووضعتهم الى اسفل سافلين • ابن عطا خفضت قوما بالعدل • ورفعت قوما بالفضل ۝
اذا رجت حركت الارض رجا تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شي فوقها من جبال وبنا من فوقهم
السهم يرتج في الغرض اي يهتز ويضطرب • الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت
من الفرق • وقيل فترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى تنهدم كل بنا عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال

واصل الرج في اللغة التحريك • يقال رججته فارتج فان ضاعفته قلت رجرجته فترجرج وفتت فتت وحت الجبال تبا فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول • والبسيسة عند العرب الدقيق او السويق يلت ويتخذ زادا اعطا اذهبت اذهابا • سعيد بن المسيب والسدي كسرت كسرا • الكلبي سيرت من وجه الارض تسييرا من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال مجاهد لتت لتا • الحسن قلعت من اصلها فذهبت بعد ما كانت صخرة صما نظيرها فقل ينسفها ربي نسفا • عطية بسطت بسطا كالرمل والتراب • ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة طويلة • فكانت هبا قال ابن عباس شعاع الشمس يدخل من الكوة • علي رضي الله عنه رهج الدواب • عطية ما تطاير من شرر النار • قتادة حطام الشجر منبثا متفرقا اذا رجت بدل من اذا وقعت • وقيل اذا رجت منصوب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع • وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة • يقال للاصناف التي بعضها مع بعض اويذكر بعضها مع بعض ازواج ٥ **قوله تعالى** فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة • واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة • والسابقون السابقون • اولئك المقربون في جنات النعيم • ثلة من الاولين • وقليل من الاخرين • على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين • يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق • وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون • وفاكهة مما يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون • جزاء بما كانوا يعملون • لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ٥ • ثم بين منهم • فقال عز من قائل فاصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة • الضحاك هم الذين كانوا على يمين ادم عليه السلام حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله سبحانه وتعالى لهم هولاء في الجنة ولا ابالي • وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم الحسن والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين على انفسهم باحسان • ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ما اصحاب الميمنة • وهذا كما يقال زيد ما زيد تريد زيد شديد • واصحاب المشامة الذين يوتون صحايفهم بشمايلهم • والعرب تسمي اليد اليسرى الشومى • ومنه الشام واليمن لان اليمن من يمين الكعبة والشام عن شمالها اذا دخل الحجر تحت الميزاب • وقيل هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار • وقيل هم الذين كانوا على شمال ادم حين اخراج الذرية • وقال الله تعالى لهم هولاء في النار ولا ابالي ٥ • • الحسن هم المشايم على انفسهم وكانت اعمارهم في المعاصي • ما اصحاب المشامة • وقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية • واصحاب المشامة اصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن • وتشومهم بالشمايل • ولتفولهم بالسانح وتطيرهم من البارح وكذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى • وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة اصحاب اليمن والشوم • لان السعدا ميامين على انفسهم بطاعتهم • والاشقيا مشايم عليها بمعصيتهم • والسابقون السابقون • ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين دليله قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار • وعن كعب في قوله الله عز وجل والسابقون السابقون هم اهل القران وهم المتوجون يوم القيامة جعلنا الله منهم

عثمان

عثمان بن ابي سودة السابقون اولهم رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب • ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بالتوبة فهذا صاحب يمين ورجل ابتكر الشر في حداثته ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال ابن عباس والسابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة • علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى الصلوات الخمس • عكرمة الى الاسلام • الضحاك الى الجهاد • القرظي الى كل خير ٥ • سعيد بن جبير هم المسارعون الى التوبة والى اعمال البر • نظيره قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم • ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون • الربيع بن انس السابقون الى اجابة الرسول عليه السلام في الدنيا • وهم السابقون الى الجنة في العقبى ابن كيسان السابقون الى كل ما دعاهم الله اليه وشمروا العبادة في طلب مرضات الله تعالى اولئك هم المقربون من الله في جنات النعيم • والسابقون السابقون فيه وجه والسابقون من عرفت حالهم • وبلغك وصفهم • وعبد الله عبد الله • وقول ابي النجم ٥ وشعري شعري • كانه قال انا ما انتهى ٥ وسمعت بفصاحته وبراعته • وقد جعل السابقون تاكيدا • اولئك المقربون خبرا وليس بذاك • ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون اولئك المقربون • والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة • اولئك المقربون في جنات النعيم قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم • روي انه اذا خرج رجل من السابقين المقربين من مسكنه في الجنة كان له ضوء يعرفه من دونه فيقول هذا ضوء رجل من السابقين المقربين • ثلة جماعة من الاولين اي من الامم الماضية • والثلة الامة من الناس الكثيرة • قال الشاعر • •

• • وجاءت اليهم ثلة خندفية • بجيش كتيار من السيل مزبد ٥ • •

وقليل من الاخرين يدل على الكثرة وهو من الثل وهو الكثير كان الامة من الامم وهو السبع كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين من الامم من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل من الاولين متقدمي هذه الامة ومن الاخرين متاخريها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي وقليل من الاخرين هذا في السابقين وثلة من الاخرين في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين ثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة منسوجة مشبكة بالذهب وبالجواهر قد ادخل بعضها في بعض مضاعفة كما يوضن حلق الدرع

• ومنه قول الاعشى ٥ •

• ومن نسج داود موضونة • تساق مع الحي عيرا فعيرا ٥ •

الضحاك موضونة مصفوفة • ابن عباس يقال اجر موضون اذا صف بعضها على بعض متكين خال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكين عليها متقابلين في الزيادة لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب • يطوف عليهم للخدمة ولدان غلمان مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان لا يموتون ولا يهرمون ولا يكبرون ولا ينقصون ولا يتغيرون وليسوا كخدم الدنيا يتغيرون من حال الى حال • سعيد بن جبير

مفرطفون والخلد القرط ۰ وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها
ولا سيات فيعاقبوا عليها لان الجنة لا ولادة فيها ۰ وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل
الجنة باكواب جمع كوب اي باوان بلا عرى وخراطيم واباريق ذوات الخراطيم جمع ابريق ۰
سمي بذلك لبريق لونه ۰ وكاس من معين خمر جارية لا يصدعون عنها لا يصدع رؤسهم عن شر
وقيل لا يصدعون بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها ۰ وقيل لا يفرقون عنها يقال صدعتهم
فانصدعوا ۰ وقيل لا يمنعون عنها ولا ينزفون اي لا ينزف عقولهم ۰ وقيل لا ينفد ما عندهم
لا يبولون يقال لكل ما استقصي عليه حتى تذهب كله نزف وانزف ۰ ابن عباس في الخمر اربع
خصال السكر والصداع والقيء والبول والله تعالى نزه خمر الجنة عنها كلها ۰ وقيل لا ينفد
شرابهم يقال انزف القوم اذا فني شرابهم ۰ وقيل انزف سكر قال لعمري لين انزفتم او صحوتم
وفاكهة مما يتخيرون يختارون ويأخذون خيره وافضله ۰ ولحم طير مما يشتهون يتمنون
ويجدون لذة وشهوة في اكله من غير قوم ۰ مما يحتمل جنس الطير كالدجاج والفرج وغيرذلك
ويحتمل ايجاد الالوان كالمطبوخ والمشوي ۰ ويحتمل اجزاء الطير ۰ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة لطيرا فيه سبعون الف ريشة فيجيء فيقع على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم
ينتفض فيخرج من كل ريشة لون ابيض من الثلج والين من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه
لون يشبه صاحبه ثم يطير فيذهب ۰ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين ۰ وقيل
للعطف على ولدان ۰ قرا حمزة والكسائي وحور بالجر عطفا على جنات النعيم كانه
قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور ۰ وقيل للعطف على اكواب ۰ لان معنى
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وحور اتبع الاخر الاول في الاعراب على اللفظ
وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن ۰ والباقون بالرفع وقيل هو مبتدا
وخبره فيها بعدهم كامثال اللؤلؤ المكنون المخزون في الصدف الذي لم تمسه ۰
الايدي ۰ جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم ۰ لا يسمعون فيها في
الجنة لغوا باطلا ۰ وقيل يمينا كاذبة ۰ وقيل صياحا وصخبا وعبثا ولا تاثيم اي
لا يقال لهم اثمتم واثاثم ۰ وقيل لا ياثمون انما يكون كقولك اكلت خبزا ولبنا لان
التاثيم لا يسمع ۰ الا قيلا سلاما سلاما الا قولا ذا سلامة ۰ والاستثناء منقطع اي لكن قيلا سلاما
يسمعون ۰ وقيل الا السلام عليكم من قوله تحيتهم فيها سلام وسلاما اما بدل من قيلا به ليدل
قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ۰ واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان
يقولوا سلاما سلاما ۰ والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام

قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود ۰

وطلح منضود ۰ وظل ممدود ۰ وماء مسكوب ۰ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة
وفرش مرفوعة ۰ انا انشاناهن انشاء ۰ فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب
اليمين ثلة من الاولين ۰ وثلة من الآخرين ۰ ثم رجع الى ذكر منازل اصحاب الميمنة
فقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر شجر نبق مخضود لا شوك فيه كانه
خضد شوكه اي قطع ونزع ۰ ومنه الحديث في المدينة لا يخضد شوكها ولا يعضد
شجرها ۰ الحسن لا يعقر الايدي ۰ قتادة هو الذي لا يرد الايدي منها شوك ولا بعد
الضحاك ومجاهد ومقاتل الموقر الذي يثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا

ثناه

ثناه وهو رطب ۰ وطلح شجر موز ۰ ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب ۰ الفرآء
وابو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك ۰ وقيل هو شجر ام غيلان ۰ وله نوار
كثير طيب الرائحة ۰ وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل ۰ حكي
ان رجلا قرا عند علي رضي الله عنه وطلح منضود ۰ فقال علي رضي الله عنه وما شان الطلح
انما هو طلع منضود ۰ ثم قرا طلعها هضيم ۰ فقيل انها في المصحف بالحاء افلا نحولها فقال
اي القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول منضود متراكم قد نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه
فليست له ساق بارزة ۰ مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها ثمر كله ۰ وظل ممدود
ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس دايم لا تنسخه الشمس ۰ الربيع
يعني ظل العرش ۰ عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة تقول العرب للدهر الطويل والعمر
الطويل ۰ والشيء الذي لا ينقطع ممدود ۰ قال لبيد ۰
غلب العزاء وكان غير مغلب ۰ دهر طويل دايم ممدود ۰
قوله وماء مسكوب مصبوب يجري دايما من غير اخدود يسكب لهم اين شاؤا وكيف
شاؤا لا يتعنون فيه ۰ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة بالازمان ۰ ولا ممنوعة بالايمان
القيمي لا محظور عليها كما يحظر على بساتين الدنيا ۰ وقيل لا ينقطع الثمرة اذا اجتنيت بل يخرج
مكانها مثلها ۰ وقيل ولا ممنوعة بالشوك او بعد التناول ۰ وفرش جمع فراش مرفوعة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسماية
عام ۰ ابو امامة الباهلي لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين
خريفا ۰ علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرفوعة على الاسرة ۰ وقيل اراد بالفرش
النساء ۰ والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا على الاستعارة لان الفراش محل
النساء ۰ مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء اهل الدنيا يدل على هذا قوله في عقبه
انا انشاناهن انشاء ۰ وعلى التفسير الاول اضمرلهن ۰ لان ذكر الفرش وهي المضاجع
دل عليهن انا انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة ۰ فاما
ان يراد اللاتي ابتدي انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن ۰ فجعلناهن ابكارا عذارى
عربا عواشق متحببات الى ازواجهن جمع عروب ۰ الحسن ملقة ۰ عكرمة غنجة ۰
ابن زيد شكلة بلغة مكة ۰ مغنوجة بلغة المدينة ۰ عن زيد بن حارثة حسان
الكلام ۰ وقيل هي الحسنة التبعل ۰ وكانت العرب تقول للمراة اذا كانت حسنة التبعل
انها لعروبة واحدها عروب ۰ اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين
وازواجهن ايضا كذلك ۰ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة
الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين ۰ واللام في لاصحاب اليمين
من صلة انشانا وجعلنا ۰ عن مجاهد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة ۰
رضي الله عنها وعندها عجوز من بني عامر فقال من هذه العجوز عندك يا عايشة قالت احدى
خالاتي يا رسول الله فقال ان الجنة لا يدخلها عجوز فبلغ ذلك من العجوز كل مبلغ فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له عايشة ما لقيت من العجوز فقال انها اذا دخلت
الجنة انشيت خلقا آخر ۰ وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت سالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشاناهن انشاء الاية ۰ فقال يا ام سلمة هن اللواتي

فيضن في دار الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد
في الاستواء ابن شريك انا انشاناهن انشاء هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها قالت واوجعاه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع عن الحسن ان امراة عجوزا كبيرة
اتت النبي عليه الصلاة والسلام فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال
يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبروها انها ليست يوميذ بعجوز ان الله عز وجل قال انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا عربا اترابا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قيل لما انزل الله تعالى على
رسوله عليه السلام ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر رضي الله عنه فقال
يا نبي الله ثلة من الاولين وقليل من الاخرين امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجوا
منا قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه فقال يا ابن الخطاب قد انزل الله تعالى فيما قلت
فجعل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة

قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم
وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث
العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا
الاولون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها
الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون
عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون قوله
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم ريح حارة وقيل في حر نار تنفذ في المسام
وحميم ماء حار متناهي الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم وقيل اليحموم جبل
في جهنم يستغيث الى ظله اهل النار لا بارد بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم
عذب نفي لصفة الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه
برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليتمحق ما في
مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في هذا شانا
ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي
هو لاضدادهم في الجنة انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين متنعمين فمنعهم عن الانزجار
وشغلهم عن الاعتبار وقيل وصفهم بالترفه لان عذاب المترف اشد الما وقيل مترفين
فيما حرم الله عليهم السدي مترفين مشركين وكانوا يصرون يقيمون ويداومون الاصرار
الاقامة على الشيء بخلاف التوبة على الحنث على الذنب العظيم وهو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المواخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا
تاثم وتحرج والحنث نقض العقد الموكد باليمين وقيل على الكذب وقيل اليمين الغموس
هو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت تقويته ما بعده وكانوا يقولون ائذا
متنا تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه لان قوله مبعوثون يدل

عليه

عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لمكان ان ولمكان الاستفهام وكل واحد منهما يمنع ان يعمل ما بعده
فيما قبله وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا من حرك الواو دخل همزة الاستفهام
على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن للفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي ومن سكن الواو
وجعله عطفا قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي يحشرون
الى مكان الحساب او زمان الحساب والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت
الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما يوم معلوم عند الله
وقيل لمجموعون في القبور الى ميقات المحشر ثم يقال لهم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون
بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لاكلون من الابتداء الغاية من شجر من لبيان الشجر
وتفسيره زقوم فمالئون منها من الشجر انث الضمير على المعنى البطون لان الله تعالى يسلط
عليهم جوعا شديدا فيملاون بطونهم باكلها رجاء زوال الجوع فاذا امتلاوا منه وجدوا
عطشا شديدا فيعرض عليهم الحميم فشاربون عليه اي على الشجر ذكر الضمير على اللفظ من
الحميم فشاربون شرب الهيم قرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها عن
الكسائي عن يحيى بن جريج انه قال ذكرت لجعفر الصادق قراءة اصحاب عبد الله شرب
الهيم بفتح الشين فقال اما بلغك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بديل بن ورقا
الخزاعي الى اهل منى في ايام التشريق فقال انها ايام اكل وشرب ويقال يعني بفتح الشين
والفتح والضم مصدران والهيم الابل العطاش عكرمة وقتادة هو داء بالابل
لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك ويقال لذلك الداء الهيام ويقال
جمل اهيم وناقة هيما والابل هيم قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيما لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
الضحاك وابن عيينة وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل وقيل الهيم
الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط
عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملاوا منه البطون
سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب
الهيم فشاربون شرب الهيم معطوف على شاربون عليه وليس هو عطف الشيء على
نفسه لانهما ليسا بمتفقين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة
وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانت
صفتين مختلفتين هذا نزلهم رزقهم الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم
كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي السفر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
نحن خلقناكم فلولا تصدقون فهلا تصدقون بالخلق الثاني وهو البعث تحضيض على التصديق اما بالخلق
لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم
مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا والله اعلم

قوله تعالى افرايتم ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون

ابن شهيد عن حر

نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين • على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون
ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون • افرايتم ما تحرثون • االنتم تزرعونه ام
نحن الزارعون • لو نشا لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون • انا لمغرمون بل نحن محرومون
افرايتم الما الذي تشربون • االنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون • لو نشا
جعلناه اجاجا فلولا تشكرون • افرايتم النار التي تورون االنتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشاون • نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ٥ لما قال نحن خلقناكم
قال المشركون الطبيعيون نحن موجودون من نطفة حدثت بحرارة كامنة
وقيل كل احد نطفة احد • فقال تعالى افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام
من النطف انتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون
نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمنا عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت
كما تقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط • نحن قدرنا على الاحيا
والاماتة وهما ضدان نقدر على الاحيا ثانيا • قرا اهل مكة قدرنا مخففا والباقون
مشددا وما نحن بمسبوقين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم فذلك قوله
عز وجل على ان نبدل امثالكم وننشيكم سبقته على الشي اذا اعجزته عنه وغلبته عليه
ولم تمكنه منه • فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون
على ذلك لا تغلبوني عليه • وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم
من الخلق وعلى ان ننشيكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها اي انا نقدر على الامرين
جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم • ويجوز ان يكون امثالكم
جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم • وننشيكم
في صفات لا تعلمونها • وقيل فيما لا تعلمون من الصور • مجاهد في اي خلق شينا
سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طير سود • وقيل نحن قادرون على احيائكم
وانشائكم ثانيا وان كنتم لا تعلمون النشاة الثانية • ولقد علمتم النشاة الاولى نطفة
ثم علقة الى تمام الخلقة • وقيل ولقد علمتم النشاة الاولى ولم تكونوا فلولا تذكرون
ان من قدر على شي مرة لم يعجز عنه مرة ثانية • افرايتم ما تحرثون تثيرون الارض
وتعملون فيها وتطرحون البذار • االنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا
يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت
وليقل حرثت • قال ابو هريرة الم تسمعوا قول الله تعالى افرايتم ما تحرثون
االنتم تزرعونه ام نحن الزارعون • لو نشا لجعلناه حطاما هشيما لا ينتفع به في
مطعم وغذا من حطم كالفتات والجذاذ من نبت وجد • وهو ما صار هشيما وتحطم وقيل
يعني تبنا لا قمح فيه فظلتم والاصل فظللتم فحذف احدى اللامين تخفيفا تفكهون تعجبون
الحسن تندمون على تعبكم ونفقاتكم وانفاقكم عليه وعلى ما سلف منكم من معصية
الله التي اوجبت لكم عقوبته حتى نالكم في زرعكم ما نالكم • عكرمة تلاومون ••
ابن زيد تفجعون • ابن كيسان تحزنون • وهو من الاضداد تقول العرب
تفكهت اي تنعمت • وتفكهت اي حزنت • قال الفرا تفكهون وتفكنون واحد والنون لغة عكل • وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك • ومنه قيل للمزاح فكاهة

رداعليهم مح

١

انا لمغرمون • قرا عاصم برواية ابي بكر والمفضل ءانا بهمزتين • والباقون على الخبر
والمعنى فظلتم تفكهون • وتقولون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك • مجاهد وعكرمة انا لمولع بنا • ابن عباس
وقتادة لمعذبون • والغرام العذاب • ابن ابي نجيح للغوى للشر • الضحاك
وابن كيسان غرمنا اموالنا وصار ما انفقنا غرما علينا • مرة الهمداني انا لمحاسبون
بل نحن قوم محرومون مجدودون لا حظ لنا ولا بخت • ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا
ممنوعون محارفون • والمحروم ضد المرزوق • قال انس بن مالك مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال
فلا تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شيت زرعت بالماء وان شيت زرعت بالريح
وان شيت زرعت بالبذر ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ما تحرثون الايات
افرايتم الما الذي تشربون اي الما العذب الصالح للشرب االنتم انزلتموه من المزن
السحاب واحدتها مزنة • وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ما ام نحن المنزلون
لو نشا جعلناه اجاجا ملحا شديد الملوحة زعاقا مرا لا تقدرون على شربه • قال صاحب
الكشاف • فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت
منه هاهنا • قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيهما بالاولى تعليق
الجزا بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها • وانما سرى فيها معنى الشرط
اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت
في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما مشهورا
مكانه فلان الشي اذا علم وشهر موقعه • وصار مالوفا ومانوسا لم يبال باسقاطه
على اللفظ استغنا بمعرفة السامع • الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول
خير لمن يقول له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حال حذفه
واثباته لشهرة امره • وناهيك بقول اوس ٥
• حتى اذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا •
وحذفه لم اراد فاذا حذفتها اختصارا وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق
بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونايب عنه وجايز
ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم
دون اية المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم • الا ترى انك انما تسقي ضيفك
بعد ان تطعمه • ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء بن سليمان المعري
• حيث قال •
• اذا سقيت ضياف الناس محضا • سقوا اضيافهم شبما زلالا ٥ •
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة • ولهذا انه قدمت اية المطعوم على اية
المشروب • فلولا تشكرون • افرايتم النار التي تورون تقدحونها وتخرجونها
من الزناد • والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر • ويسمون الاعلى الزند
والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة االنتم انشاتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ
والعفار ام نحن المنشيون الخالقون لها ابتدا نحن جعلناها اي النار التي في الدنيا تذكرة للنار

عون

الكبرى اي نار جهنم عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقد ابن ادم جزء من سبعين
جزا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافيتنا يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بسبعة
وستين جزا كلهن مثل حرها • وقيل تذكر النار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش
كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا
به • وقيل جعلناها تذكرة اي جعلنا خروج النار من الشجرة الخضراء تذكرة لقدرتنا ○
وقيل جعلنا النعم التي تقدمت تذكرة لحق الله وما يجب من طاعته ومتاعا بلغة ومنفعة
يتمتعون وينتفعون بها للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر الخالية البعيدة من
العمران والاهلين يقال اقوت الدار اذا خلت من سكانها • قال النابغة •

• اقوت وطال عليها سالف الابد ○ •

وقيل للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام لم اكل شيا • مجاهد للمقوين
يعني للمستمتعين بها من الناس اجمعين المسافرين والحاضرين يستضاء بها في الظلمة ويصطلى
بها في البرد وينتفع بها في الطبخ والخبز ويتذكر بها نار جهنم فيستجير بالله منها • الحسن بلغة
للمسافرين يتبلغون بها الى اسفارهم يحملونها في الخرق والجوالق • الربيع والسدي يعني للمرملين
المقوين الذين لا زاد معهم يوقدون نارا فيختبزون بها • ابن زيد للجائعين
يقول العرب اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيا • قطرب المقوي من الاضداد
بمعنى المفتقر • والغني يقال اقوى الرجل اذا اقويت دابته اكثر • واذا كثر ماله ○
قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم • فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك
وقيل اراد بالاسم الذكر اي تذكر ربك ○ • قوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون • تنزيل من رب العالمين • افبهذا الحديث انتم مدهنون •
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون • فلولا اذا بلغت الحلقوم • وانتم حينئذ تنظرون •
ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون • فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
ان كنتم صادقين ○ • لما ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق اتاه بكل ما ينبغي فاتاه
الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعملها على وجوهها والموعظة الحسنة وهي
الامور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة التي على احسن الطرق
فاتى بها وعجز الكل عن معارضته بشي ولم يومنوا والذي يتلى عليه ذلك ولا يومن لا يبقى
له غير انه يقول هذا البيان ليس لظهور المدعي بل لقوة ذهن المدعي وقوته على تركيب
الادلة وهو يعلم انه يغلب وقوة جداله لا لظهور مقاله • وربما يقول احد المناظرين
الاخر عند انقطاعه انت تعلم ان الحق بيدي لكن يستضعفني ولا ينصفني • وحينئذ لا
يبقى للخصم جواب غير القسم بالايمان التي لا مخارج عنها انه غير مكابر وانه منصف وذلك
انه لو اتى بدليل اخر لكان له ان يقول وهذا الدليل ايضا غلبتني فيه لقوتك
وقدرتك فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما اتاه الله عز وجل ما ينبغي قاله من
التفضيل عليهم فيما يعلم خلافه فلا يبقى الا ان يقسم فانزل الله انواعا من القسم بعد الدلائل
ولهذا اكثرت الايمان في اواخر التنزيل • وفي السبع الاخير خاصة فلا اقسم معناه ○
اقسم ولا مزيد مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب • وقيل معناه فليس الامر كما

تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القرآن التي تنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وقيل لمساقط النجوم ومغاربها • عطاء ابن ابي رباح منازلها • الحسن
انكدارها وانتثارها يوم القيامة • قرا حمزة والكسائي وخلف بموقع على الواحد
والباقون بمواقع على الجمع • قال صاحب الكشاف بمساقطها ومغاربها • ولعل
الله في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة • او للملائكة
عبادات موصوفة • ولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده ○
الصالحين ونزول الرحمة عليهم والرضوان فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم • وقيل اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك
من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف • وقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم • اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله
انه لقرآن كريم • واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته انه لقرآن
كريم حسن مكرم مرضي في جنسه من الكتب سمي كريما لان يسيره يغلب عسيره ○ •
وقيل نفاع جم المنافع كريم على الله تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله محفوظ
عن الشياطين • وعن جميع ما يشين • وقيل مصون من غير المقربين من الملائكة
لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها
ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح • وان جعلته صفة للقرآن
فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس • يعني مس المكتوب منه
ومن الناس من حمله على القراءة ايضا • وعن ابن عمر رضي الله عنهما احب الي ان لا يقرا
الا وهو طاهر • وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب
قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون • فاما في الدنيا فيمسه الكافر والمومن
والمنافق الرجس • الكلبي هم السفرة الكرام البررة • محمد بن الفضل لا يقراه الا
الموحدون • عكرمة كان ابن عباس ينهى عن ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة
القرآن • الفرا لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به • الحسين بن الفضل لا يعرف
تاويله وتفسيره الا من طهر سره عن الاوزار من الاقذار • الجنيد هم الذين طهر
سرهم عما سوى الله تعالى • وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث
والجنابات والنجاسات • وردوا الكتابة في قوله لا يمسه الى القرآن • وقالوا
اراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما جاء في الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو وظاهر الآية نفي ومعناها
نهي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن ونحوها • واستدلوا بهذه الآية على منع الجنب
والحائض والمحدث من مس المصحف وحمله • وقالوا لا يجوز لاحد حمل المصحف ولا مسه
حتى يكون على صفة يجوز له الصلوة • والى هذا ذهب جمهور الفقهاء الا ان ابا حنيفة رحمه الله
لا يمنع من حمله بعلاقته ومسه بحايل والاحتياط انه ممنوع منه لانه اذا حمله في جلده
فانما حمله بحايل دع هذا يمنع منه • وذهب الحكم وداود بن علي وحماد انه لا باس
بحمل المصحف ومسه على اي صفة كانت سوا كان طاهرا او غير طاهر مومنا كان او كافرا
الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمل المصحف • والدليل على انه لا يحمل المصحف ولا يمسه

الا طاهر ما روى ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان النبي عليه السلام لما بعثه
الى اليمن كتب في كتابه ان لا يمس المصحف ولا يمسه الا طاهر • وروى سالم بن عبد الله
ابن عمر عن ابيه ان النبي عليه الصلوة والسلام قال لا يمس القران الا وانت طاهر •
ولانه باجماع الصحابة • روي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سيل ايمس المصحف محدثا
فقال لا • وروي ان مصعب بن سعد ابن ابي وقاص كان يقرا في المصحف فادخل يده
تحت ذكره فاخذ ابوه المصحف من يده • وقال قم وتوضا ثم خذ • ولا مخالف لهما في
الصحابة وقال عطا لا يمسه الا المطهرون لا يقلب الورق من المصحف الا المتوضي
فاستدل المجوزون بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر وفيه بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية • واجاز الفقهاء ذلك
اذا دعت ضرورة اليه اذ حمله عذر عليه • واما الصبيان فلاصحابنا فيه وجهان
احدهما انهم ممنوعون منه كالبالغين • والثاني انهم لا يمنعون منه لمعنيين احدهما
ان الصبي لو منع من ذلك ادى ان يتلقن القران ولا يتعلمه ولا يحفظه لان وقت
تعلمه وحفظه حال الصغر • والثاني ان الصبي وان كانت له طهارة فليست بكاملة
لان النية لا تصح منه • فان جاز ان يحمله على طهر غير كامل جاز ان يحمله محدثا • تنزيل
صفة رابعة للقران اي منزل من رب العالمين • وقيل وصف بالمصدر لانه نزل
نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل • ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه
فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا افبهذا
الحديث اي بالقران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به • ابن عباس مكذبون • مقاتل كافرون • نظيره
قوله تعالى لو تدهن فيدهنون • ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق عليه ويدفعه
بالعلل المورح المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره وادهن وداهن واحد
واصله من الدهن • مجاهد يريدون ان تمالئوا فيه وتركنوا اليهم • وقال
بعض اهل اللغة مدهنون اي تاركون للحزم في قبول هذا القران • والمداهنون بامره
ومداهنة العدو وملاينته مكان ما يجب من مغالظته • وتجعلون رزقكم حظكم
ونصيبكم من القران انكم تكذبون • وقيل والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القران
انكم تكذبون به • الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله تعالى الا
التكذيب به • وقيل نزلت في الاستسقاء بالانواء • ابن عباس مطر الناس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس
شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله تعالى وقال بعضهم صدق نوء كذا وكذا
فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم • الى قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
الى النجوم • فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم عند خروجها من الجسد فاختزل الفاعل
لدلالة الكلام عليه وانتم حينئذ تنظرون الى امري وسلطاني • ابن عباس يريد
من حضر الميت من اهله ينظرون اليه متى تخرج نفسه • قال الفراء ذلك معروف
من كلام العرب ان يخاطبوا الجماعة بالفعل كانه لاهله واصحابه والمراد به بعضهم غايبا

كان او شاهدا فيقولون اقتلتم فلانا والقاتل منهم واحد ويقولون لاهل المسجد اذا اذوا
رجلا بالازدحام اتقوا الله فانكم تؤذون المسلمين • وقيل وانتم تنظرون الى الميت
وقيل الى سلطان الله وقدرته • وقيل وانتم تنظرون ان يحل بكم ما حل به ونحن اقرب اليه منكم
بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شي منه • قال عامر بن عبد قيس ما نظرت
الى شي الا نظرت الله سبحانه اقرب الي منه • وقيل يراه الله تعالى من غير مسافة • وقيل
ملك الموت ورسلنا اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الله وتدبيره وملك الموت ورسله
وقيل لا تبصرون لا تعقلون ولا تعلمون • فلولا ان كنتم غير مدينين مملوكين ومحاسبين
ومجزيين ترجعونها جواب لقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم • ولقوله فلولا ان كنتم غير
مدينين • قال الفراء ايهما اجيبا بجواب واحد ومعناهما واحد • وربما اعادت العرب
الحرفين بجواب واحد ومعناهما واحد فهذا من ذاك • ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم مني
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد • قال صاحب
الكشاف وترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين • وفلولا
الثانية مكررة للتاكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح • ونحن اقرب اليه للمحتضر
غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم والمعنى انكم في جحودكم افعال
الله واياته في كل شي ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافترا • وان ارسل اليكم رسولا
صادقا قلتم ساحر كذاب • وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب
يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم
يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت • المبدي المعيد •

قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم • واما
ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين • واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم • ان هذا لهو حق اليقين • فسبح باسم ربك العظيم
ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وفي البعث وبين درجاتهم • فقال فاما ان كان
المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول السورة •
فروح فله استراحة • ابن عباس ومجاهد فراحة • سعيد بن جبير ففرح • الضحاك
مغفرة ورحمة وريحان • ابن عباس مستراح • مجاهد وسعيد بن جبير رزق • مقاتل
هو بلسان حمير • يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه • الربيع بن خثيم وابن زيد
فروح عند الموت وريحان يخبوه في الاخرة • وقال الاخرون هو الريحان المعروف
الذي يشم • ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة
فيشمه ثم يقبض وجنة نعيم • ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار
القرار • الترمذي الروح الراحة في القبر والريحان الدخول في الجنة • بسام
ابن عبد الله • الروح السلامة والريحان الكرامة • وقيل الروح معانقة الابكار
والريحان مرافقة الابرار • الخراز الروح لكشف الغطا • والريحان الرؤية واللقا
وقيل الروح الراحة • والريحان النجاة من الاذى • وقيل الروح الموت على الشهادة
والريحان نيل السعادة • وقيل الروح لكشف الكروب • والريحان غفران الذنوب
وقيل الروح الثبات على الايمان • والريحان الامن والامان • وقيل الروح فضله

والريحان وصله • وقيل الروح تخفيف الحساب • والريحان تضعيف الثواب • وقيل الروح عفو بلا عتاب • والريحان رزق بلا حساب • ويقال روح للسابقين وريحان للمقتصدين وجنة نعيم للصالحين • وقيل الروح لأرواحهم • والريحان لقلوبهم والجنة لأبدانهم • والحق لأسرارهم • وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك لقوله إلا قيلا سلاما سلاما • قيل سلام لك أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله • وأما إن كان من المكذبين الضالين وهم أصحاب المشأمة فنزل من حميم • لقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين • وتصلية جحيم • وإدخال نار • إن هذا الذي أنزل في هذه السورة لهو حق اليقين أي الحق الثابت من اليقين • قتادة في هذه الآية إن الله عز وجل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن • فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة • وأما المنافق فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه • فسبح فصل باسم بذكر ربك وأمره • وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه • عن عقبة ابن عامر الجهني لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم • ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم •

سورة الحديد مكية

وهي رواية الحسن ومجاهد وعكرمة • وجابر ابن زيد وقتادة ومقاتل أنها مدنية • وهي رواية العوفي عن ابن عباس ابن السائب أنها مكية • وهي ألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وتسع وعشرون آية • عن العرباض ابن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية أفضل من ألف آية • يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • وبه التوفيق

سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم • له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير • هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم • جاء في فاتحة الحديد والحشر والصف على لفظ الماضي • وفي فاتحة الجمعة والتغابن على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن ما أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة • وبنفسه أخرى في قوله وسبحوه • وأصله التعدي بنفسه لأن معنى سبحه بعده عن السوء منقول من سبح إذا ذهب • واللام لا يخلو إما أن يكون مثل قوله نصحته ونصحت له • وإما أن يراد يسبح لله أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا • قيل بدا سورة بني إسرائيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع والأعلى بالأمر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والأمر ما في السموات والأرض ما يتأتى منه التسبيح • وكل شيء أي شيء يتأتى منه التسبيح لقوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم • وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والأرض مبتدأ وخبر والجملة لا يكون لها محل يحيي ويميت يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها ويجوز أن يكون مرفوعا

على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو يحيي ويجوز أن يكون منصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها • والمعنى يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء وهو على كل شيء قدير • هو الأول قبل كل شيء بلا حد ولا ابتداء كان هو ولا شيء موجود معه والآخر الذي يبقى بعد فناء كل شيء بلا نهاية • والظاهر الغالب العالي على كل شيء وكل شيء دونه • وقيل الظاهر بالأدلة الدالة عليه والباطن العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه • هذا قول ابن عباس ابن عمر الأول بالخلق والآخر بالرزق • والظاهر بالإحياء • والباطن بالإماتة • الضحاك هو الذي أول الأول وآخر الآخر • وأظهر الظاهر وأبطن الباطن • مقاتل بن حيان هو الأول بلا تأويل أحد • والآخر بلا تأخير أحد • والظاهر بلا إظهار أحد • والباطن بلا إبطان أحد • يمان هو الأول القديم • والآخر الرحيم • والظاهر الحكيم • والباطن العليم • محمد بن الفضل الأول ببره • والآخر بعفوه • والظاهر بإحسانه • والباطن بستره • أبو بكر الوراق الأول بالأزلية • والآخر بالأبدية • والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية • فإن قلت هذه الواوات محتجة • والمعنى هو الأول والآخر الظاهر الباطن لأن من كان منا أولا لا يكون آخرا • ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا • قال صاحب الكشاف الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية • والثالثة على أنه الجامع بين الصفتين الأوليين • ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء ولا يدرك بالحواس • وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة وكلامه إلى ما قبل الباطن صحيح • وفي الباطن باطل فإنه لا دلالة للفظ عليه ولا حجة من جهة العقل فيه • الحسين بن الفضل هو الأول بلا ابتداء • والآخر بلا انتهاء • والظاهر بلا اقتراب • والباطن بلا احتجاب • وقيل الأول السابق إلى فعل الخيرات • والمتقدم على كل محسن إلى فعل الإحسان • والظاهر الغالب القاهر لكل أحد • ومن ظهر على كل شيء فقد غلبه • والظاهر أيضا الذي يعلم الظواهر • ويشرف على السرائر • والظاهر أيضا الذي ظهر للعقول بالأعلام • وظهر للأرواح باليقين • وإن خفي عن أعين الناظرين • والباطن الذي عرف المغيبات وأشرف على المستترات • والباطن أيضا الذي خفي عن الظواهر فلم يدرك بالسرائر • السدي هو الأول ببره إذ عرفك توحيده • والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت • والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له • والباطن بستره إذ عصيته فستر عليك • ابن عطاء الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر بكشف أحوال العقبى حتى لا يشكوا فيها • والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه • والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه • وقيل الأول قبل كل معلوم • والآخر بعد كل مختوم • والظاهر فوق كل مرسوم • والباطن محيط بكل مكتوم • وقيل الأول بإحاطة علمه بذنوبنا قبل وجود ذنوبنا • والآخر بستره علينا في عقابنا • والظاهر بحفظه إيانا في ديننا • والباطن بتصفية أسرارنا وتنقية أذكارنا • وقيل هو الأول بالتكوين بيانه قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • والآخر بالتعيين بيانه قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية • والظاهر بالتبيين

بيانه قوله تعالى ليبين لكم والباطن بالتزيين بيانه وزينه في قلوبكم محمد بن علي الترمذي
الأول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف
الجنيد هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف
الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعبا عن هذه
الآية فقال معناها ان علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وقيل
هو الأول بالعطا والآخر بالجزا والظاهر بالثنا والباطن بالوفا وقيل هو الأول
بالبر والكرم والآخر بحطه العشم والظاهر بإسباغ النعم والباطن بدفع النقم
وقيل هو الأول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية
وقيل هو الأول بالإنعام والآخر بالإتمام والظاهر بالإكرام والباطن بالإلهام
وقيل هو الأول بتسمية الاسما والآخر بتكميل النعما والظاهر بتسوية الأعضا
والباطن بعرفان الآلا وقيل هو الأول بإنشا الخلائق والآخر بإفنا الخلائق
والظاهر بإظهار الحقائق والباطن بعلم الدقائق الواسطي لم يدع للخلائق
نفسا بعدما أخبر عن نفسه أنه الأول والآخر والظاهر والباطن الشبلي قال
وفي هذه الآية إشارة ساقطة فأين أول آخر ظاهر باطن وهو بكل شيء عليم
قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب
فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم هذا العنان هذا روايا الأرض
يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا
الله ورسوله أعلم قال إنها الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ قال هل تدرون ما
فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فوقها سما أخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع سموات
بين كل سماءين مسيرة خمسماية سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله
أعلم قال فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السما السابعة مثل ما بين السماءين
ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن فيها الأرض قال
فهل تدرون ما تحتها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسماية
عام حتى عد سبع أرضين كل أرض مسيرة خمسماية سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو دليتم
أحدكم بحبل إلى السابعة السفلى لهبط على الله سبحانه وتعالى ثم قرأ هذه الآية هو الأول
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ومعناه بالعلم والقدرة والخلق والملك
عن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت فاطمة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته
خادما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك
أن تقولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة
والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته
أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك
شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر يا رب العالمين

قوله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
ثم استوى على الارض يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج
فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وهو معكم أي بالعلم والقدرة

قوله تعالى له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير مستخلفين
فيه مملكين معمرين فيه يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه
لها وإنما مولكم إياها وخولكم للاستمتاع بها وجعلكم خلفا في التصرف فيها فليست هي
بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلا والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه
وقيل جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم
حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وأنفقوا بالإنفاق
منها أنفسكم وقيل جعلكم مستخلفين بالقيام بأدا حقوقه فالذين آمنوا بالله
ورسوله منكم وأنفقوا من ماله في الوجوه المندوب إليها لهم أجر كبير

قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين وما لكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم
كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي وما لكم كافرين بالله والرسول الواو
فيه واو الحال فهما حالان متداخلان ويدعوكم لتؤمنوا بربكم والمعنى وأي عذر لكم
في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إلى الإيمان وينبهكم عليه ويتلو عليكم
الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد أخذ وقيل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم في
ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه قاله مجاهد وقيل ميثاقكم بأن ركب فيكم
العقول وأقام الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول قرأ أبو عمرو بضم الهمزة
والقاف على وجه ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها فما لكم لا تؤمنوا إن كنتم مؤمنين
لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه وقيل إن كنتم مؤمنين يوما من الأيام
فالآن أحرى به الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والأعلام على حقيقة الإسلام وصحة
نبوة المصطفى عليه السلام **قوله تعالى** هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم هو الذي ينزل
على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات ليخرجكم الله بالقرآن وقيل بآياته
وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن
الله بكم لرؤوف رحيم **قوله تعالى** وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله
ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة
من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير وما لكم
أي شيء لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله وقيل أي شيء يمنعكم فيكون لا زيادة ولله ميراث
السموات والأرض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعني وأي غرض
لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله ثم بين فضل السابقين في الإنفاق والجهاد فقال لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح يعني فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في
دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح بعد
لوضوح الدلالة الشعبي من قبل الفتح هو صلح الحديبية قال وقال أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم يا رسول الله افتح هو قال نعم عظيم • اولئك الذين انفقوا من قبل الفتح اعظم درجة وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا • عن الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة واضحة وحجة بينة على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من اسلم • وكلا قرا ابن عامر كل بالرفع والباقون بالنصب اي وكل واحد من الفريقين من انفق قبل الفتح ومن انفق بعده وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات •

قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم • يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ۝ القرض هو الانفاق في سبيل الله تعالى شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه • وقيل استعار لفظ القرض اكراما للجزا • وقيل التطوع بالعبادات وقيل النفقة على الاهل والاولاد • وقيل جميع اعمال الخير • وقيل هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله • وقيل يكتب بالواحد عشرا وله اجر كريم • اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه • وقيل الجنة • وقيل يكرم على من ساله • وقيل كريم لانه لم يسال في طلبه • وقيل كريم صاحبه • وقيل يخلفه الله في الدنيا ويضاعفه عطفه على يقرض ۝ يوم ظرف لقوله وله اجر كريم • وقيل منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم يوم ترى المومنين والمومنات يسعى يمضي نورهم على الصراط بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا يوتونها من وراء ظهورهم ومن شمايلهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنبا لهم ۝ ومتقدما • وقيل اراد بالنور القران • قال عبد الله بن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم • فمنهم من يوتى نوره كالنخلة • ومنهم من يوتى نوره كالرجل القايم • وادناهم نورا من نوره على ابهامه • فيطفى مرة ويوقد مرة • قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المومنين من يضي نوره من المدينة الى عدن فدون ذلك حتى ان من المومنين من لا يضي نوره الا موضع قدميه • وقيل يوتون كتبهم بايمانهم • وقيل الباء بمعنى في اي في ايمانهم كتبهم ومنها نورهم • وقيل الباء بمعنى عن • والتقدير يسعى نورهم بين ايديهم وعن ايمانهم • وقيل بايمانهم بسبب صدقاتهم التي اعطوها بايمانهم لان الغالب في اعطاء الصدقات ان تكون باليمين • وقيل يسعى ثواب اعمالهم بشراكم وتقول لهم الملايكة بشراكم اليوم • قيل يجوز ان يكون البشرى اسما اي المبشر به جنات • ويجوز ان يكون مصدر التقدير بشراكم اليوم دخول جنات فحذف المضاف • تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم

قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ۝

ولكنكم

ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبيس المصير ۝ يوم يقول بدل من يوم ترى • المنافقون والمنافقات للذين امنوا اي يقولون لهم اذا راوهم وهم في صفا ونور والمنافقون خلفهم في ظلمة لا يبصرون مواقع اقدامهم • قرا حمزة انظرونا بفتح الهمزة وكسر الظا اي امهلونا والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء اي انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب يزف بهم وهولاء مشاة • وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به نقتبس نصب من نوركم • وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به • وقيل نقتبس من نوركم ناخذ من نوركم قبسا سراجا او شعلة • وقيل معنى نقتبس من نوركم نمش فيه معكم • قال المفسرون اذا كان يوم القيامة اعطى الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط • واعطى المنافقين ايضا كذلك خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم • وقال الكلبي بل يستضي المنافقون بنور المومنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا نور المومنين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم • يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم • قيل ارجعوا وراكم من حيث جيتم فالتمسوا اطلبوا هنالك لانفسكم نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا وقد علموا ان لا نور وراهم • وانما تخييب واقناط لهم • وقيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا طرد لهم • وتهكم بهم • اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس • وقيل ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان • فضرب بينهم بين المومنين والمنافقين بسور بحايط حايل بين الجنة والنار • وقيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره السور من قبله اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو الظلمة والنار • وعن ابن عباس وادي جهنم موضع السور • وعن عبد الله بن عمرو ان السور الذي ذكره الله في القران وادي جهنم • وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى فقال بعضهم ما يبكيك فقال من ها هنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم • عن شريح ان كعبا كان يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله فضرب بينهم بسور له باب الاية • ينادونهم اي ينادي المنافقون المومنين الم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا اي المومنين بلى ولكنكم فتنتم اهلكتم انفسكم ومحنتموها بالنفاق وتربصتم بالمومنين الدوائر • وقيل تربصتم بالايمان والتوبة • مقاتل وتربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت • وقلتم يوشك ان يموت محمد ونستريح • وارتبتم شككتم في التوحيد والنبوة • وغرتكم الاماني الاباطيل • ابو بكر الوراق طول الامل والطمع في امتداد الاعمار عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطوطا وخط خطا منها ناحية

فقال انه دون ما هذا اعذا مثل ابن ادم ومثل التمني وذلك الخط الامل بينهما وهو يتمنى اذ جاءه
الموت ، بلال بن سعد قال ذكرك حسناتك ، ونسيانك سياتك غرة حتى جاء امر الله اي الموت
وغركم الشيطان بالله الغرور بان الله عفو كريم لا يعذبكم ٥ ، قتادة كانوا على خدعة من
الشيطان وما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية بدل وعوض ، قرا
ابن عامر يؤخذ بالتاء من فوق والباقون بالياء ، ولا من الذين كفروا يعني المشركين
ماواكم النار هي مولاكم ، قيل هي اولى بكم ، وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي
يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرام اي مكان لقول القائل انه لكريم ، وقيل
هي صاحبتكم واولى بكم واحق بان تكون مسكنا لكم وقيل هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها
والمراد نفي الناصر على البتات ، ونحو قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ، ومنه قوله
تعالى يغاثوا بماء كالمهل ، وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار ٥ ،

قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل
من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم ٥
فاسقون ، الكلبي ومقاتل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة ، وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي
ذات يوم فقالوا اخبرنا عما في التوراة فان فيها العجايب فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين
الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص الاية ، فاخبرهم ان هذا القران احسن من غيره
وانفع لهم فكفوا عن سوال سلمان ما شا الله ثم عادوا ايضا فسالوا فقالوا حدثنا عما في التوراة
فان فيها العجايب فنزلت هذه الاية فعلى هذا يكون معنى الاية الم يان للذين امنوا في العلانية
وباللسان ، وقيل نزلت في المومنين ، قال عبد الله بن مسعود مل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث الاية
فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاية
فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا ووعظتنا فانزل الله تعالى هذه الاية ، وقال ابن مسعود ما
كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين ، فجعل المومنون يعاتب بعضهم بعضا
ابن عباس ان الله تعالى استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول
القران فقال الم يان للذين امنوا من انى الامر يانى اذا جاء اناه اي وقته ، وقيل كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ان تخشع ترق
وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل قرا نافع وحفص وعاصم برواية المفضل خفيفة الزاي
والباقون مشددة من الحق وهو القران ، مجاهد نزلت هذه الاية في المومنين بعد الهجرة
عن شداد بن اوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع من الناس الخشوع ولا يكونوا
يعني وان لا يكونوا محله النصب بالعطف على تخشع ، قال الاخفش وان شئت جعلته نهيا ٥
اي ولا يكونن كالذين اي نهيا لهم عن مماثلة الذين اوتوا الكتاب من قبل وهم اليهود والنصارى
فطال عليهم الامد الزمان والدهر والغاية بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم بعدان [illegible]
وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم ، واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا
لله تعالى ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفا والقسوة واختلفوا واحدثوا ما
احدثوا من التحريف وغيره ، قيل انه يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القران لانه جامع للحق ٥
للامرين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القران

كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ، وكثير منهم فاسقون ،
خارجون من دينهم رافضون لما في الكتابين ٥

قوله تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ، ان المصدقين ٥
والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم ، والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ، والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ٥ ، اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ، قيل هذا تمثيل لاثر
الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض ، وقيل كما يحيي الارض بعد موتها كذلك
يحيي الموتى وقيل كما يحيي الارض بعد موتها يحيي الكافر بالايمان ، وقيل كما يحيي الارض يلين ٥
القلوب القاسية ليتفكروا في الايات ، ان المصدقين والمصدقات ، قرا ابن كثير وعاصم
برواية ابي بكر والمفضل بتخفيف الصاد فيهما من التصديق يعني ان المومنين والمومنات
الذين صدقوا الله ورسوله والباقون بتشديدهما يعني ان المتصدقين والمتصدقات
فادغم التاء في الصاد ايضا ، وان الذين تصدقوا واقرضوا الله عطف على معنى الفعل في المصدقين
لان اللام بمعنى الذين ، واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا
والقرض الحسن ان يتصدقوا من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق ٥
الصدقة ، الحسن كل ما في القران من القرض الحسن التطوع ، يضاعف قرا ابن كثير
يضعف بالتشديد والباقون يضاعف بالالف ، وفتح العين ، اولئك هم الصديقون
يريد ان المومنين بالله ورسله هم عند الله من الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا
الى التصديق ، واستشهدوا في سبيل الله ، قال الضحاك هم ثمانية نفر سبقوا اهل الارض
في زمانهم الى الاسلام ، ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة ابن عبد
المطلب ، وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند
ربهم ، قيل تمام الكلام عند قوله الصديقون ، ثم قال والشهداء واراد بهم شهداء المومنين
خاصة والواو فيه واو الاستيناف ، وهذا قول ابن عباس ومسروق وجماعة من العلماء
وقال اخرون هي متصلة بما قبلها والواو فيها واو العطف ثم اختلفوا في معناها قال
الضحاك نزلت في المومنين المخلصين كلهم ، عن عبد الله ان الرجل ليقاتل ليرى مكانه
وان الرجل ليقاتل على الدنيا ، وان الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله ، وان الرجل ليموت على فراشه
فيكون شهيدا ثم قرا والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ،
جعلنا الله منهم بفضله ، مجاهد كل مومن صديق وشهيد ، ثم قرا هذه الاية يعني موصولة
ابن عباس في بعض الروايات اراد بالشهداء الانبياء خاصة لهم اجرهم ونورهم في ظلمة القيامة
قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ٥ ،

قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور ٥ ، اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة ٥
والتفاخر والتكاثر اي الحياة الدنيا لعب باطل لا حاصل له ولهو فرح ثم ينقضي وزينة منظر
يتزينون به وتفاخر بينكم يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد ، وقيل

لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيات وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر
الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار بن ياسر
رضي الله عنه لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس
ومشموم ومركوب ومنكوح فاكبر طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكبر شرابها
الما ويستوي فيه جميع الحيوان واكبر ملبوسها الديباج وهو نسج دودة واكبر المشموم
المسك وهو دم فارة ظبية واكبر المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واكبر المنكوح
النسا وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها مرادا به اقبحها ثم ضرب الله
تعالى لها مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الزراع نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما فيبلى ويفنى وفي الاخرة عذاب شديد قيل ان الكلام قد تم
عند قوله حطاما ثم استانف فقال وفي الاخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة
من الله ورضوان للمومنين وقيل واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب
الشديد والمغفرة ورضوان من الله قيل شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة
جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله
فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة
لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين

قوله تعالى

سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين
امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم سابقوا
مسابقة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السما والارض قال
السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول
لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله لان العرض اقصر الامتدادين
فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة
كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده على
المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله يوتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم

قوله تعالى

ما اصاب من مصيبة في
الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ما اصاب من مصيبة اي لم
يصب ولا يصيب مصيبة في الارض بالجدب والقحط وذهاب الزرع والثمر ولا في
انفسكم ابن عباس في الدنيا والدين وقيل الاوصاب والاسقام وضيق المعاش
وموت الاولاد وقيل اقامة الحدود وقيل في الارض طرف لاصاب
وقيل لمصيبة الا في كتاب في اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها نخلق المصيبة وقيل
من قبل ان نخلق الانفس وقيل من قبل ان نخلق الارض ان ذلك اي تقديره لذلك
واثباته في كتاب من قبل ان نبراها على الله يسير سهل هين وقيل ان خلق
ذلك وحفظه على الله هين عن الربيع دخلت على سعيد بن جبير في نفر فبكى رجل من القوم

فقال

فقال ما يبكيك قال ابكي لما ارى بك ولما تذهب بك اليه فقال فلا تبك فانه كان
في علم الله تعالى ان يكون الم تر الى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الاية ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تاسوا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا
ولا تفرحوا تبطروا بما اتاكم قرا ابو عمرو بقصر الالف اي جاكم والباقون بمدها اي اعطاكم يعني انكم
اذا علمتم ان كل شي مقدر مكتوب عند الله قل حزنكم على الفايت وفرحكم على الاتي لان من علم ان
ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك
من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله
عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن فاجعلوا للفرح شكرا وللحزن صبرا
والله لا يحب كل مختال منكم بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس لان من فرح بحظ من
الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قال جعفر الصادق
يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه
في يديك الموت الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال
الذين يبخلون يعني الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم
له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به
ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل واليه اشار بقوله ويامرون الناس بالبخل
ويرغبونهم في الامساك ويزينونه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته
مقاتل هم روسا اليهود بخلوا ان يبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يومن
به الناس فيذهب ماكلتهم فامروا قومهم بكتمانه تثبت عليه ومن يتول اي ومن
يتول عن اوامر الله عز وجل ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفايت
والفرح بالاتي ومن البخل وحمل الناس عليه فان الله هو الغني الحميد قرا نافع وابن عامر
باسقاط هو والباقون باثباته

قوله تعالى

لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز
اي ارسلنا الانبيا بالمعجزات الدالة على صدقهم وانزلنا مع الانبيا الكتب التي تتضمن
مصالح دينهم ودنياهم وقيل لقد ارسلنا رسلنا يعني الملايكة الى الانبيا لقوله وانزلنا
معهم لان الكتاب ما انزل مع الانبيا فان الانبيا نزل عليهم الكتاب اوليهم ولا نزل
معهم وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان اي العدل ابن زيد ما يوزن به
روي ان جبريل نزل بالميزان الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس
بالقسط ليتعامل الناس بينهم بالعدل وانزلنا الحديد ابن عباس نزل ادم عليه السلام
من الجنة ومعه خمسة اشيا من الحديد السندان والكلبتان والمنقعة والمطرقة
والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله انزل
اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد والنار والملح والما وعن الحسن رضي الله عنه
وانزلنا الحديد وخلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره
تنزل من السما وقضاياه واحكامه وقيل معنى وانزلنا الحديد جعلنا ذلك نزلا لهم
فيه باس شديد قوة شديدة يعني السلاح والكراع ومنافع للناس مما يستعملونه في مصالحهم

ومعايشهم اذ هو آلة لكل صنعة • وليعلم الله يعني ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا
ليعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف
والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعدا الدين بالغيب غايبا عنهم • ابن عباس ينصرونه
ولا يبصرونه ان الله قوي على الامتناع عزيز عن الامتناع عليه • قيل ان الله قوي عزيز
غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه منهم • وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا
بامتثال الامر الى الثواب **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون • ثم قفينا
على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ٥ • ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما اي ذرية نوح وابراهيم النبوة والكتاب اي والوحي •
وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة • وقيل والكتاب اي والكتاب
هو للجنس فمنهم اي فمن الذرية مهتد • وقيل فمن المرسل اليهم • وقد دل عليهم ذكر الارسال
والمرسلين • وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق • وكثير منهم فاسقون ٥ •
والغلبة للفساق • ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي ارسلنا رسولا بعد رسول على اثر نوح وابراهيم
ومن مضى من الانبيا ولا يعود هم في اثارهم الى الذرية لان الذرية باقية بعده ٥
وقفينا بعيسى بن مريم • وآتيناه الانجيل • قيل جاء دفعة واحدة • وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه اي اتبعوا عيسى عليه السلام وساروا بسيرته واتبعوا منهاجه رأفة • وهي اشد رقة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها من قبل انفسهم • والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة
في الدين مخلصين انفسهم للعبادة • ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع
راهب • كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها ما فرضناها ولا اوجبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثنا منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا
يريد اهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى طلبا لرضى الله وكثير منهم فاسقون الذين لم
يرعوا الرهبانية حق رعايتها وكفروا بدين عيسى وتهودوا وتنصروا ووردت الآثار فيه
قال بن مسعود كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام
عبد هل تدري من اين اتخذ بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم
الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل
الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهولا افنونا ولم يبق للدين
احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك
بدينه ومنهم من كفر • ثم تلا هذه الآية فآتينا الذين آمنوا يعني من ثبتوا عليها اجرهم وكثير منهم
فاسقون • ثم قال النبي عليه السلام يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله
ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع ٥ • وعن بن مسعود

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين
فرقة نجا منها ثلاث وهلك سايرهن • فرقة آزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه السلام
وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى •
فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم • قال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها
ومن لم يومن بي فاولئك هم الهالكون • قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الرهبانية
معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها
عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله تعالى وثوابه فما رعوها
حق رعايتها ولكن بعضهم • فآتينا المومنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم
فاسقون • وهم الذين لم يرعوها ٥ **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويغفر لكم والله غفور رحيم • لئلا يعلم اهل
الكتاب ان لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله ذو
الفضل العظيم • ابن عباس رضي الله عنه كتب الله عليهم القتال قبل ان يبعث محمد صلى
الله عليه وسلم فلما استخرج اهل الايمان ولم يبق منهم الا القليل وكثر اهل الشرك وذهبت
الرسل وقهروا اعتزلوا في الغيران فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طايفة منهم وتركوا
امر الله تعالى ودينه واخذوا بالبدعة والنصرانية واليهودية فلم يرعوها حق رعايتها
وثبتت طايفة على دين عيسى عليه السلام حتى جاءهم البينات وبعث محمد عليه الصلاة
والسلام وهم كذلك • فذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت ملوك الارض بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل بجل
وكان فيهم مومنون يقراون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله ويامرون بتقوى
الله • فقيل لملوكهم لو جمعتم هولا الذين شقوا عليكم واذوكم فقتلتموهم والا امروهم ان
يدخلوا فيما هم فيه فدعاهم ملكهم وجمعهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل
الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون منا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانة
ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم • وقالت
طايفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا
بارض فاقتلونا • وقالت طايفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث
البقول ولا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس احد من اوليك الا له حميم فيهم ففعلوا بهم ذلك
فمضى اوليك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في
مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح ونتخذ كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم ٥
بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله ابتدعوها هولا الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين
جاءوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها وكثير منهم فاسقون
الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل

من صومعته وجا سايح من سياحته وصاحب الدير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اجرين نصيبين من رحمته
لايمانهم بعيسى والانجيل وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويجعل لكم نورا تمشون
به يعني القران ۔ وقيل ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله
عز وجل يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم ۔ لئلا يعلم اهل
الكتاب الذين يتشبهون بهم ان لا يقدرون على شي من فضل الله ۔ وان الفضل بيد الله يوتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم ۔ لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيد ان لا ٥
يقدرون اي ان الشان لا يقدرون على شي من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم
لم يومنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط هذا اذا
كان ۔ يا ايها الذين امنوا خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب ۔ وان كان خطابا للذين امنوا
من غيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يوتكم ما وعد من
اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم
لانكم مثلهم في الايمانين لا يفرقون بين احد من رسله ۔ روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم عليه فدعاه فاستجاب
له وامن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن اسلم من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا
في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا اموالهم فاسوا بها المسلمين ۔
فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يومن من ٥
اهل الكتاب قوله تعالى يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من امن بكتابكم
وكتابنا فله اجره مرتين ۔ واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت
وروي ان مومني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المومنين بانهم يوتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم فنزلت ۔ وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امة فعلمها واحسن
تعليمها وادبها فاحسن تاديبها واعتقها وتزوجها فله اجران ۔ وعبد ادى حق الله وحق مواليه
ورجل من اهل الكتاب امن بما جاء به عيسى وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فله اجران ۔ قتادة
حسد اهل الكتاب المسلمين فانزل الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ۔ مجاهد قالت اليهود يوشك
ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فانزل الله تعالى لئلا يعلم
اهل الكتاب ۔ وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الاجر وقسم العمل فقيل
لليهود اعملوا فعملوا الى نصف النهار فقيل لكم نصف قيراط ۔ وقيل للنصارى اعملوا فعملوا
من نصف النهار الى العصر فقيل لكم قيراط ۔ وقيل للمسلمين اعملوا فعملوا من صلاة العصر الى غروب
الشمس بقيراطين فتكلمت اليهود والنصارى في ذلك فانزل الله لئلا يعلم اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

سورة المجادلة مدنية

وهي الف وسبعماية واثنان وتسعون حرفا ۔ واربعماية وثلثة وسبعون كلمة ۔ واثنتان وعشرون اية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ۔ وبه الاعانة ۔

قد سمع

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ۔
الذين يظاهرون منكم من نسائهم ثم يعودون ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ٥
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور ۔ والذين يظاهرون من
نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون
خبير ۔ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا
ذلك لتومنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ۔ قد سمع الله
قوله التي تجادلك تخاصمك وتحاورك اي تراجعك في زوجها وتجادلك
اي تسايلك وهي امراة من الانصار ثم من الخزرج ۔ واختلفوا في اسمها ونسبها ۔ ابن عباس هي
خولة بنت خويلد ۔ ابو العالية خولة بنت الدليم ۔ قتادة خويلة بنت ثعلبة المعابلا
خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية من بني عمرو بن عوف ۔ عطية عن
ابن عباس خولة بنت الصامت ۔ وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله
عنها ان اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وذلك انها
كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة في صلاتها فنظر الى عجزها فلما انصرفت ارادها فامتنعت
عليه وكان امرا فيه سرعة ولمم فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان
الظهار والايلا من طلاق الجاهلية ۔ فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت
لا تقل ذلك ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاساله فقال اني اجدني استحي منه ان
اساله عن هذا الحديث قالت فدعني اساله قال سليه فاتت النبي صلى الله عليه وسلم
وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني
وانا شابة غنية ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي ۔ وافنى شبابي وتفرق اهلي ۔ وكبر
سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شي يجمعني واياه فتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمت عليه ۔ فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا
وانه ابو ولدي واحب الناس ۔ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ۔ ٥
فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني اي كثر ولدي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في
شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي اللهم
فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فقامت عايشة رضي الله عنها
تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة
رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك ۔ اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي اخذه مثل السبات
فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فجا فتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله ٥
قوله التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع للكلام
فانه يصح ان يسمع كل مسموع بصير بحالها ۔ فانه يصح ان يبصر كل مبصر ومعنى قد في قوله
قد سمع التوقيع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراة المجادلة كانا يتوقعان ان يسمع
الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها ثم بين حكم الظهار وجعل فيه الكفارة

فقال سبحانه وتعالى الذين يظهرون ۔ وقالت عايشة رضي الله عنها تبارك
تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها ان المراة لتحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه اذ انزل الله تعالى قد سمع الله
قول التي تجادلك الايات ۔ فلما نزلت هذه الايات وتلاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له هل تستطيع ان تعتق رقبة قال اذا يذهب مالي كله الرقبة غالية
وانا قليل المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين
قال والله يا رسول الله اني ان لم اكل في اليوم ثلاث مرات كل بصري وخشيت ان تعشو عيني
فقال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله الا ان تعينني على ذلك
يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني معينك بخمسة عشر صاعا واجمع لها امرها
فذلك قوله تعالى الذين يظهرون منكم من نسايهم في منكر توبيخ للعرب وتهجين
لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون ساير الامم ما هن امهاتهم
بحفص امهات على خبر ما وهو منصوب فان نصبه ما الكسر ۔ والمعنى ان من يقول
لامراته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا الزوج بالام وجاعلها مثل الام وهذا
تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة
انما هن الامهات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات
لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات ۔ وكذلك ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم امهات المومنين لان الله تعالى حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك
في حكم الامهات ۔ واما الازواج فابعد شي من الامومة لانهن لسن بامهات على
الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات ۔ وانهم ليقولون منكرا من القول
لا يعرف صحته ۔ وزورا كذبا فكان قول المظاهر منكرا من القول لنكره الحقيقة وتنكره
الاحكام الشرعية ۔ وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق ۔ وان الله لعفو غفور لما سلف
عفو لمن تاب ولم يعد اليه ۔ والذين يظهرون من نسايهم اعلم ان الالفاظ التي يصير
بها المرء مظاهرا اصريح بحوانت علي كظهر امي او انت عندي كظهر امي ۔ وكذلك
اذا قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كفرج امي ونحوها ۔ وكذلك اذا قال
فرجك او راسك او ظهرك او صدرك او بطنك او يدك او رجلك علي كظهر امي فانه يصير
مظاهرا ۔ وكل ذلك يصير على قوله يدك او رجلك او راسك او بطنك طالق فانه يطلق
والخلاف في هذين الفرعين كالخلاف في الطلاق ۔ ومتى ما شبهها بامه او
باحدى جداته من قبل امه وابيه كان ذلك مظاهرا بلا خلاف ۔ وان شبهها
بغير الام والجدة من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالابنة والاخت والعمة والخالة
ونحوها كان مظاهرا على الصحيح من المذهب ۔ فصريح الظهار هو ان يشبه زوجته او عضوا
منها بعضو من اعضا امه او اعضا واحدة من ذوات محارمه وكنايته هو ان يقول انت علي
كامي او مثل امي ونحوهما فانه يعتبر فيه نيته ۔ فان اراد ظهارا كان مظاهرا ۔ وان لم
ينو ظهارا لا يصير مظاهرا وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره سوا كان حرا او رقيقا مسلما او ذميا
دخل بالمراة او لم يدخل بها او كان قادرا على جماعها او عاجزا عنه ۔ وكذلك
يصح الظهار من كل زوجة صغيرة كانت او كبيرة او عاقلة او مجنونة او رتقا او سليمة محرمة او غير محرمة

ذمية او مسلمة او في عدة يملك رجعتها ۔ وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصح ظهار الذمي ۔ وقال
مالك لا يصح ظهار العبد ۔ وقال بعض العلما لا يصح ظهار غير المدخول بها ۔ وقال المزني اذا
طلق الرجل امراته طلقة رجعية ثم ظاهر منها فانه لا يصح ثم يعودون ۔ اي والذين كانت
عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ۔ ثم يعودون لمثل ما قالوا وقيل
ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عايد اليه ۔ ومنه
المثل ۔ عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح فتحرير رقبة معناه على الاول
فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة
وعلى الاخر تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالها كما كانت قبل الظهار
وقيل معنى ما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول
منه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ۔ ويكون المعنى ثم يريدون العود
للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بالشهوة اعلم
ان الكفارة تلزم بالظهار والعود جميعا ولا يلزم باحدهما دون الاخر كما ان الكفارة في باب
اليمين تجب باليمين والحنث جميعا معا ۔ فاذا عاد في ظهاره لزمته الكفارة ۔ واختلف
الفقها في معنى العود فقال الشافعي رحمه الله العود الموجب للكفارة ان يمسك عن طلاقها
بعد الظهار ويمضي من ما يمكنه ان يطلقها فلم يطلقها ۔ وقال قتادة في قوله ثم يعودون
لما قالوا يريد ان يغشاها ويطاها بعد ما حرمها ۔ واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله ۔
قال ان عزم على وطيها ونوى ان يغشاها كان عودا وتلزمه الكفارة ۔ وان لم يعزم
على الوطي فانه لا يكون عودا ۔ وقال مالك رحمه الله ان وطيها كان عودا وان لم
يطاها لم يكن عودا ۔ وقال اصحاب الظاهر ان كرر اللفظ كان عودا وان لم يكرر
اللفظ لم يكن عودا وهو قول ابو العالية وظاهر الاية تشهد له وهو قوله تعالى
ثم يعودون لما ۔ اي الى ما قالوا فتحرير رقبة مومنة من قبل ان يتماسا لان الله تعالى
قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل واطلق في هذا الموضع ۔ ومن حكم المطلق
ان يحمل على المقيد من قبل ان يتماسا ان يجامعها فالجماع نفسه محرم على المظاهر حتى يكفر
فان وطي قبل التكفير فقد فعل محرما ولا يسقط عنه الكفارة بل ياتي بها على وجه القضا كما لو
اخر الصلوة عن وقتها فانه لا يسقط عنه ادايها بل يلزمه قضاوها ۔ وسوا كفر بالاعتاق
او بالصيام او الاطعام فانه يجب عليه تقديم الكفارة ولا يجوز له ان يطاها قبل
الكفارة ۔ وقال ابو حنيفة رحمه الله ان كفر بالاطعام جاز له ان يطاها ثم يطعم
ولم يخالف في العتق والصيام فهذا حكم وطي المظاهر قبل التكفير ۔ واما غير الوطي من التقبيل
والتلذذ فانه لا يحرم في قول اكثر العلما وهو قول الحسن والسفيان والصحيح من مذهب
الشافعي ۔ وقال بعضهم يحرم به جميع معاني المسيس لانه عام وهو احد قول الشافعي
رحمه الله ذلكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا
بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله تعالى ۔ والله بما تعملون خبير ۔
ممن لم يجد الرقبة ولا ثمنها ويكون مالكا للرقبة الا انه يحتاج اليها لخدمته او يكون مالكا
للثمن الا انه محتاج اليه لنفقته او نفقة من هو في بيته او كان له مسكن يسكنه فله
الانتقال الى الصوم ۔ وقال ابو حنيفة رحمه الله ليس له ان يصوم وعليه ان يعتق الرقبة

وان كان محتاجا اليها اولا ثمنها فان عجز عن الرقبة فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فان افطر في اثنايهما بغير عذر قطع التتابع وعليه ان يستانف شهرين متتابعين وان افطر لعذر المرض
او السفر فاختلف الفقها فيه فقال بعضهم لا ينقطع التتابع وله ان يبني ويقضي الباقي واليه ذهب سعيد
ابن المسيب والحسن وعطا ابن ابي رباح وعمرو ابن دينار والشعبي وهو احد قولي الشافعي وقال
اخرون ليس له ان يبني بل يلزمه ان يستانف ويبتدي وهو قول النخعي واصحابه والاصح من
قول الشافعي وان تخلل صوم الشهرين زمان لا يصح فيه الصوم عن الكفارة كالعيد وايام التشريق
فان التتابع ينقطع بذلك وتجب الاستيناف ولو وطي المظاهر في الشهر نظر فان وطي نهارا ابطل
التتابع وعليه الابتدا وان وطيها ليلا لم يبطل التتابع وقال ابو حنيفة سوا وطي ليلا او
نهارا فانه يبطل التتابع وعليه الابتدا ان يستانف صوم شهرين متتابعين فمن لم يستطع الصيام
وعدم الاستطاعة مثل ان يخاف من الصوم التلف او لحوق مشقة شديدة او مرض ظاهرة فاطعام
ستين مسكينا لكل مسكين مد من غالب قوت بلده او الخلاف فيه بين الفريقين كالخلاف في زكاة الفطر ذلك
البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتومنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي
شرعها من الظاهر وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله اوامره ونواهيه
التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يومنون بالله ورسوله عذاب اليم ٥

قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين
من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله
جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد الم تر ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيامة
ان الله بكل شي عليم ٥ ان الذين يحادون ان يخالفون الله ورسوله ويعادون ويشاقون
كبتوا اهلكوا واخزوا واخروا كما كبت الذين من قبلهم من اعدا الرسل قيل اريد كبتهم
يوم الخندق وقد انزلنا ايات بينات تدل على صحة النبي صلى الله عليه وسلم
وصحة ما جا به وقيل تقديم ايات في المحادين ليكون بينها اتصال وللكافرين
بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بقوله
للكافرين او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم من الارض لا يترك منهم احد غير
مبعوث وقيل مجتمعين في حال واحد كما تقول حي جميع فينبيهم بما عملوا تخجيلا لهم
وتوبيخا وتشهيرا لحالهم فيتمنون عند المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس
الاشهاد احصاه الله اي احصى الله ما عملوا احاط به عددا لم يفته منه شي ونسوه لانهم تهاونوا
به حين ارتكبوه لم يبالوه لضراوتهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات الامور وقيل نسوه لكثرته
وطول الزمان والله على كل شي شهيد لا يغيب عنه شي وقيل يشهد عليهم فلا يستطيعون
ردها دفعا الم تر الم تعلم وقيل تر من روية العين اي لم تر الدلايل على انه عالم وقيل
معناه تنبه ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من كان التامة اي ما يقع من
نجوى من تناجي ثلاثة وقيل ان شيت خفضت الثلاثة على نعت النجوى اي من اهل نجوى
ثلاثة فحذف الاهل وجعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وان شيت
اضفت النجوى الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم

الرابع هاهنا اسم للفاعل وكذلك السادس ولا ادنى من ذلك اي ولا اقل من ذلك
اي الثلاثة ولا اكثر اي من الخمسة الا هو معهم اينما كانوا من السماء والارض قال صاحب
الكشاف فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان
احدهما ان قوما من المنافقين تخلفوا للتناجي مغايظة للمومنين على هذين العددين
ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك
ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا وهو معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون
فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال
الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشيا بغير
سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه
قصد ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمجالس للتشاوري والمندوبون
لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طايفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل
الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته
الحال وحكم به الاستصواب الا ترى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك
الامر شورى في ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر الله تعالى الثلاثة والخمسة
وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل
على ما يلي هذا العدد ويقاربه الا هو معهم ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به
ولا يخفى عليه ما هم فيه وكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى سبحانه عن المكان
والمشاهدة ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شي عليم ٥

قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ٥
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاوك حيوك بما لم يحيك
به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير
ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون
المومنين وينظرون الى المومنين ويتغامزون باعينهم فاذا راى المومنون نجواهم
قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اقربايينا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل
او موت او مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون كذلك
حتى تقدم اصحابهم واقرباوهم فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله
هذه الاية المقاتلان نزلت في اليهود وكانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم
موادعة فاذا مر بهم رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون فيما بينهم
حتى يظن المومن انهم يتناجون بقتله او بما يكره فيترك الطريق عليهم من المخافة
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى
فانزل الله هذه الاية ابن زيد كان الرجل ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويساله الحاجة ليري الناس انه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
النبي عليه السلام لا يمنع ذلك من احد والارض حينيذ حرب على اهل البلد فكان ابليس

ان يذكرهم

يأتي القوم فيقول لهم انما تتناجون في حرب حضرت او جمع قد جمع لكم او امر بهم قد دنا
فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون
الى المناجاة التي نهوا عنها ويتناجون ٭ قرا حمزة ينتجون على وزن يفتعلون والباقون
يتناجون على وزن يتفاعلون بالاثم بما هو اثم والعدوان للمؤمنين ومعصية الرسول
ومخالفته ٭ واذا جاءوك يريد اليهود حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك
السام عليك يا محمد والسام الموت ٭ وكان عليه السلام يقول لهم وعليكم فسمعت
عايشة يوما فقالت عليكم السام والذام فقال عليه الصلاة والسلام الست تريني ما
ارد عليهم ٭ ثم قال اذا سلم عليكم كتابي فقولوا وعليك اي وعليك ما قلت ٭ فنزلت
هذه الاية ٭ وقيل السام السيف ٭ وقيل معناه ستسامون دينكم ٭ ابن بحر كانوا
يحيونه بتحية الجاهلية انعم صباحا وامثاله والله امرنا ان نسلم عليه والصلاة ٭
بما لم يحيك به الله ٭ والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ٭ ويا ايها الرسول
ويا ايها النبي ٭ ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ماله ان كان
نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول ٭ فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا
اي فيما لهم في الاخرة كفاية عن عذاب الدنيا يصلونها يدخلونها ويلزمونها فبئس
المصير المرجع جهنم نعوذ بالله منها ٭ **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
واتقوا الله الذي اليه تحشرون ٭ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا
وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٭ خطاب للمنافقين
الذين امنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ٭ ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم
فلا تتشبهوا بهم وليكن في تناجيكم بالبر ولا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا
بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون ٭ انما النجوى اللام للعهد ٥
والمعهود النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول بدليل قوله ليحزن الذين
امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليحزن الذين امنوا ويغيظوا
وليس التناجي او الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله بعلمه وقضائه وقدره
وقيل لا يضارهم شيئا الا ما اراد الله ٭ وقيل كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم
ان غزاتهم غلبوا ٭ وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم التناجي او الحزن او الشيطان
بذلك الموهم الا باذن الله الا بمشيئته ٭ وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على
الغزاة وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ٭ ابن
بحر امر الله بالتوكل ولم يتوكل عليه فقد اذن الله ان يحزن عقوبة له ٭ وقيل
في معنى قوله انما النجوى من الشيطان هو احلام النوم التي يراها الانسان في نومه
فيحزنه فيسال التوفيق في اليقظة والنوم بمنه وكرمه ٭ **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا
فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير
تفسحوا في المجلس توسعوا فيه فافسحوا اي وليفسح بعضكم على بعض من قولهم افسح عني اي تنح
ولا تتضاموا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ قتاده كانوا يتنافسون في مجلس

النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا ضيقوا مجالسهم عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فامرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض ٭ المقاتل كان النبي عليه السلام في
الصفه وفي المكان ضيق وكان يوم الجمعة ٭ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس
وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم
بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى
الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسحوا فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لمن حوله من المهاجرين والانصار والتابعين من غير اهل بدر قم يا فلان وانت
يا فلان فاقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك
على من اقيم من مجلسه ٭ وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم
فقال المنافقون للمسلمين الستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله
ما اعدل على هولاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فاقامهم واجلس
من ابطا عنه مكانهم فانزل الله تعالى هذه الاية ٭ الكلبي نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس وقد ذكرت قصته في سورة الحجرات فانزل الله تعالى في الرجل الذي لم يتفسح
له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس ٭ قرا عاصم في المجالس بالالف
والباقون تفسحوا في المجلس ٭ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم ٭
ابو العاليه والقرظي هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل
ياتي القوم في الصف فيقول لهم توسعوا فيابون عليه لحرصهم على القتال فامرهم
الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض ٭ وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما
الحسن رضي الله عنه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قاتل المشركين
وصف اصحابه للقتال تشاحوا على الصف الاول فيقول لاخوانه توسعوا لنلقى العدو
ونصيب الشهادة فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد والشهادة فانزل الله تعالى
هذه الاية يفسح الله لكم مطلق في كل ما ينبغي للناس فيه الفسحة من المكارم والرزق
والصبر والقبر وغير ذلك ٭ واذا قيل انشزوا فانشزوا قرا عاصم واهل المدينة
والشام بضم الشين فيهما والباقون بكسرهما وهما لغتان ٭ اي فاذا قيل لكم انهضوا للتوسعة
على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه
فانشزوا فانهضوا او قوموا او تحركوا وارتفعوا او توسعوا لاخوانكم ٭ وقيل معناه ٥
واذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والجهاد والذكر وعمل الخيرات اي حق كان فانشزوا
ولا تقصروا ٭ عكرمة والضحاك يعني اذا نودي للصلاة فقوموا لها ٭ وذلك
ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية ٭ ابن زيد هذا في
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ٭ واذا قيل انشزوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم فان له حوائج فانشزوا ولا تطيلوا المكث عنده يرفع الله الذين
امنوا منكم بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتثال اوامر الله تعالى واوامر رسوله

وقيامهم من مجلسهم وتفسحهم لاخوانهم والذين اوتوا العلم منهم بفضل علمهم وسابقتهم درجات
جنات فاخبر الله سبحانه وتعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك
المؤمنين متثابرون فيما ايتمروا • وان النفر من اهل بدر مستحقون بما عملوا من الاكرام
والله بما تعملون خبير ۝ • وعن ابن مسعود رضي الله عنهما انه كان اذا قرا هذه الاية
قال يا ايها الذين امنوا افهموا هذه الاية لترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول
يرفع الله المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات • وعن جابر بن عبد الله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة
وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على العالم درجة وفضل القران على سائر الكلام
كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على ادناهم • وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جاءه منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الانبياء درجة واحدة
حشرنا الله تعالى في زمرة الانبياء والعالمين العاملين بمنه وكرمه امين امين امين •

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ۝ •
ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ۝
فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون • فقدموا
بين يدي نجواكم امام مناجاتكم صدقة • ابن عباس رضي الله عنه وذلك ان الناس
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا حتى شقوا عليه واحفوا بالمسئلة فادبهم الله تعالى
وفطمهم عن ذلك بهذه الاية وامرهم ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة • مقاتل بن حيان
نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرون
مناجاتهم فامر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة • فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته
فاما اهل العسرة فلم يجدوا شيئا • واما اهل الميسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة • مجاهد نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه
وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه قدم دينارا فتصدق به •
ثم نزلت الرخصة وقال علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل
بها احد بعدي • يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
فانها فرضت ثم نسخت ذلكم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة عن علي رضي الله عنه
لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝
فقال لي ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد
نزلت ءاشفقتم اابخلتم وخفتم بالصدقة الفاقة ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم وتجاوز عنكم وخفف ورخص
لكم في ان لا تفعلوا قبل نسخ الصدقة • الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار • مقاتل
ابن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ فاقيموا الصلاة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله
اي فلا تفرطوا في الصلاة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون • ۝ •

قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم
ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون

اتخذوا

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين • لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما
يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم
ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ۝ • نزلت
في المنافقين تولوا اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من لعنه الله وغضب
عليه • وناصحوهم ونقلوا اليهم اسرار المؤمنين • ما هم منكم يا معشر المسلمين ولا منهم
ولا من اليهود • نظيره مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على
الكذب • اي يقولون والله انا لمسلمون • فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء المسلمين
وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت • وفائدة قوله وهم يعلمون ان الكذب
ان يكون الخبر غير المطابق لما في الواقع سواء علم المخبر او لم يعلم • فالمعنى انهم الذين يخبرون
وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس •
السدي ومقاتل نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي صلى الله عليه
وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل حجرة من حجره
وعنده نفر من المسلمين قد كاد الظل يقلص عنهم فقال لهم انه يدخل الان عليكم رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فاذا اتاكم فلا تكلموه فدخل عبد الله بن نبتل وكان
ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال علام تشتمني انت واصحابك
فلان وفلان نفر سماهم باسمائهم فحلف بالله ما فعل وقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت
فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الاية اعد الله لهم عذابا
شديدا نوعا من العذاب متفاقما شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون • يعني انهم كانوا في
الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه • وقيل هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة
اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة وقاية وسترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا
الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله عن طاعته والايمان به وكانوا يثبطون
من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم • وقيل صدوا المؤمنين
عن سبيل حكمه من القتل في امثالهم الكفرة فلهم عذاب مهين • انما وعدهم الله العذاب
المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب لن تغني لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئا ۝
قليلا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له في
الاخرة كاذبين على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك • ويحسبون انهم
في الدنيا على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم بسر يخفى عليكم السرائر والهم نفعا في
ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها
الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار
الى علم ما انذرهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك
بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه الا انهم هم
الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم في الدنيا
والاخرة استحوذ استولى عليهم الشيطان من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها

والحوذ السوق السريع يقال حوذت الابل احوذها حوذا واحوذتها مثله والاحوذي الخفيف في الشي لحذقه واستحوذ جا بالواو على اصله كما جا استروح واستصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ذكر الله اي ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم • اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون نعوذ بالله منه ومن حزبه ۝ **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين • كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز • لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ۝ • ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم • وقيل الاذلين الاسفلين الصاغرين في الدنيا بالقتل والسبي • وفي الاخرة بالعذاب والنار • كتب الله في اللوح المحفوظ وقضى الله لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما • وذلك ان المؤمنين قالوا لئن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولها فانا نرجوا ان يظهرنا الله تعالى على الروم وفارس • قال عبد الله بن ابي اتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله لهم اكثر عددا واشد بطشا من ذلك • فانزل الله كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا يمتنع عليه ما يريد غالب غير مغلوب • ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون • لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان الممتنع المحال ان تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون يوالون من حاد الله ورسوله اي يوالون اعدا الله ورسوله المشركين • والمقصود به انه لا ينبغي ذلك ان يكون وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعدا الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم • وبقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه • وبمقابلته اولئك حزب الشيطان باولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اوليا الله ومعاداة اعدائه بل هو عين الاخلاص • كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان وهي مؤمنة مخلصة • وقيل كتب في قلوبهم الايمان كقوله في جذوع النخل • وقيل حكم لهم بالايمان فذكر القلب لانه موضعه • وايدهم بروح منه وقواهم بنصر منه قاله الحسن • وقال السدي يعني بالايمان • وقيل بالقران وحججه • نظيره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا • ابن جرير بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة • وقيل ايدهم بجبريل قيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة السدي نزلت في عبد الله بن عبد الله بن ابي وذلك انه كان جالسا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الما فقال يا رسول الله ابق فضلة من شرابك فقال وما تصنع بها قال اسقيها ابي لعل الله يطهر قلبه ففعل فاتى بها اباه فقال ما هذا فقال فضلة من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال ابوه هلا

جيتني

جيتني ببول امك فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في قتل ابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن • ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر صكة سقط منها ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم او فعلته قال نعم قال فلا تعد اليه فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لو كان السيف مني قريبا لقتلته فانزل الله هذه الاية • عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد • او ابناءهم يعني ابا بكر دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم يعني مصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب • قتل خاله العاص بن هشام ابن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك حزب الله انصار حقه ودعاة خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الباقون في النعيم المقيم • حكي ان داود عليه السلام قال يا الهي من حزبك وحول عرشك فاوحى الله عز وجل يا داود الغاضة ابصارهم النقية قلوبهم السليمة اكفهم اولئك حزبي وحول عرشي فجعلنا الله منهم • والحمد لله حق حمده •

سورة الحشر مدنية

وهي الف وتسعماية وثلاث عشر حرفا • واربعماية وخمس واربعون كلمة • واربع وعشرون اية وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسمي هذه السورة سورة بني النضير لانها نزلت في بني النضير • ذكر المفسرون رضي الله عنهم ان جميعها نزلت فيهم ۝ • ۝ •

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • وبه التوفيق

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ۝ • ذكر ان اهل التفسير والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى اهل قبا ومعه نفر من اصحابه فصلى فيهم • ثم اتى بني النضير فكلمهم ان يعينهم في دية رجلين كان قد امنهما فقتلهما عمرو بن امية وهو لا يعلم فقالوا نفعل وهموا بالغدر به • وقال عمرو بن جحاش انا اظهر على البيت فاطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فنهض سريعا فتوجه الى المدينة فلحقه اصحابه فقالوا قمت ولم نشعر فقال همت يهود بالغدر فاخبرني الله بذلك فقمت وبعث اليهم رسول الله محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به وقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا اياما يتجهزون ۝ فارسل اليهم ابن ابي لا تخرجوا فان معي الفين من قومي وغيرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قال ابن ابي فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج فاصنع ما بدا لك

نكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون لتكبيره • وقال حاربت يهود ثم سار اليهم في اصحابه فلما
رآوه قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة فاعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان
وكان رئيسهم كعب بن الاشرف قد خرج الى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبر الله تعالى نبيه بذلك فبعث محمد بن مسلمة فاغره فقتله وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقطع نخلهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فاجلاهم عن المدينة فمضى بعضهم الى الشام وبعضهم الى خيبر
وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا • وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك منهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين
قالت بنو النضير والله انه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وهزم المسلمون ارتابوا ونافقوا واظهروا العداوة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا وحالفوهم
وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم دخل ابو سفيان في
اربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة
ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
فقتله محمد بن مسلمة الانصاري وكان اخاه من الرضاعة • وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة ونقض عهد حين اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر وعمر وعلي يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في
منصرفه من بئر معونة حين اعترض الى بني عامر فاجابوه الى ذلك واجلسوه وهموا بقتله
به وطرح الحجر عليه من الحصن • فلما قتل كعب اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الناس
بالسير الى بني النضير • وكانوا بقرية لهم يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب • وكان سيدهم قالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية
على اثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك • فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اخرجوا من المدينة قالوا الموت اقرب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب واذنوا
بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها • ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسلوا اليه اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي ثم كان
نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوا وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض
قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب ان يموت
قبله فارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة
من احبارنا فيسمعوا منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وارادوا الفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته

بما ارادوا اي بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك
النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فرجع النبي صلى الله
عليه وسلم فلما ان كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى
وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين سألوا نبي الله الصلح
فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك
وصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا السلاح وعلى ان يخلوا له ديارهم
وعقارهم وسائر اموالهم • ابن عباس صالحهم على ان يحمل كل اهل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من
متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم الباقي • الضحاك اعطى كل ثلاثة نفر حمل بعير او سقا ففعلوا
ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام اذرعات واريحا الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق
وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله تعالى
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم يعني بني النضير من ديارهم التي كانت
بيثرب • ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي عليه السلام من احد وكان فتح
قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر اللام في لاول متعلق باخرج
وهي اللام التي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي • وجئت لوقت كذا • والمعنى
اخرج الذين كفروا عند اول الحشر • ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام • الزهري
بنو النضير كانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فيما مضى • وكان الله قد كتب عليهم الجلاء • ولولا ذلك
لعذبهم في الدنيا وكانوا اول حشر في الدنيا حشروا الى الشام • ابن عباس رضي الله عنه
من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية • وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم يومئذ اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر فانزل الله لاول الحشر • الكلبي انما
قال لاول الحشر لانهم اول من حشر من اهل الكتاب ونفوا من الحجاز • مرة الهمداني
كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات
واريحا من الشام في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه • وقال قتادة
كان هذا اول الحشر • والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق الى المغرب تبيت معهم اذا باتوا
وتقيل معهم اذا قالوا وتاكل منهم من تخلف • يمان انما قال لاول الحشر لان الله تعالى فتح على نبيه
صلى الله عليه وسلم في اول ما قاتلهم ما ظننتم ايها المؤمنون ان يخرجوا من المدينة لشدة بأسهم
ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا اي بنو النضير انهم مانعتهم حصونهم
من بأس الله حيث دربوها وحصنوها فاتاهم الله اي فاتاهم امر الله تعالى وعذابه من
حيث لم يحتسبوا لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد
اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم
والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم • يخربون بيوتهم قرا ابو عمرو يخربون بالتشديد
لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن • وان بني النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها
ولكنهم خربوها بالنقض والهدم والباقون بالتخفيف من الاخراب اي يهدمون • وقالوا
الاخراب والتخريب بمعنى واحد بايديهم وايدي المؤمنين • الزهري وذلك انهم لما صالحهم
النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم
مما يستحسنونها او العمود او الباب فيهدمون بيوتهم فينزعونها ويحملونها على ابلهم ويخرب

ويخرب المؤمنون باقيها • ابن زيد كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الاوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا • الضحاك جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا هم ينقضون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين ويخربونها ثم يبنون ما خرب المسلمون • قال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل اعداؤهم ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ويرمون بالتي اخرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • قتادة كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها • وفي تقديم الخبر على المبتدا في قوله تعالى مانعتهم حصونهم دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وقذفه اثباته وركزه • ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ومعنى يخربونها بايدي المؤمنين انهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا فاتعظوا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال • ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار • قيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله تعالى ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم • فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار اي وان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة • نسال الله العفو والعافية

قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب • ذلك اي ما اصابهم ذلك الجلاء والتخريب بسبب انهم شاقوا الله ورسوله خالفوا الله ورسوله • ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب بناله العذاب الاليم •

قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا في حصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح امن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما انزل عليك الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلف المسلمون في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا • وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله تعالى هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه • وتحليل من قطع من الاثم واخبر ان قطعه وتركه باذن الله تعالى ٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير • فقال فيه حسان بن ثابت •

• وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير ٥ •

وفي

وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها بيان لما قطعتم • ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة وهي النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل وياء اللينة عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة • وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين • ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة • ابن زيد هي النخل كله من غير استثناء • العوفي هي لون من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج تغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم فكانت النخلة منها ثمنها وصيف واحب اليهم من وصيف • فلما راوا ذلك الضرب يقطع شق عليهم مشقة شديدة • وقالوا للمؤمنين تزعمون انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون وتخربون وتقطعون الشجر دعوا هذا النخل فانما هو لمن غلب عليها • وقيل هي النخلة القريبة من الارض او تركتموها قائمة على اصولها سوقها فلم تقطعوها ولم تحرقوها فباذن الله فقطعها باذن الله وبامره وليخزي الفاسقين • وليخزي اليهود ويذلهم ويغيظهم يعني ان الله تعالى اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رايتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاءوا واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمنجنيق وكذلك اشجارهم لا باس بقطعها مثمرة كانت او غير مثمرة • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما كان موضعا للقتال • وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال هذا قطعتها غيظا للكفار • وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب ٥

قوله تعالى ٥ وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير • ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ٥ وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب وما افاء الله على رسوله اي وما رده الله تعالى على رسوله ورجع اليه ومنه فيء الظل والفيء كالعود والرجوع يستعمل بمعنى المصير • وان لم يتقدم ذلك وقيل ما جعله الله له خاصة منهم من مال بني النضير فما اوجفتم عليه الايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم • والمعنى ان ما خول الله عز وجل رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلط الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ٥

ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة نفر كانت لهم خصاصة وهو ابو دجانة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة ولم يسلم من بني النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب
والثاني سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان اموال بني النضير مما افا الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله
سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وعن مالك بن اوس بن الحدثان
قال ارسل الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخلت عليه فقال انه قد حضر اهل ابيات
من قومك وانا قد امرنا لهم برضخ فاقسمه بينهم فقلت يا امير المومنين مر بذلك غيري قال
اقبضه ايها المرء فبينا انا كذلك اذ جاء يرفا مولاه فقال عبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان
وسعد يستاذنون فقال ائذن لهم ثم مكث ساعة ثم جا فقال هذا علي والعباس
يستاذنان فقال ائذن لهما فلما دخل العباس فقال اقض بيني وبين هذا الغادر الفاجر
الخاين وهما حينئذ يختصمان فيما افا الله على رسوله من اموال بني النضير فقال القوم اقض بينهما
يا امير المومنين وارح كل واحد منهما من صاحبه فقد طالت خصومتهما فقال
انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السموات والارض اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالوا قد قال ذلك ثم قال لهما اتعلمان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالا نعم قال فساخبركم بهذا الفي
ان الله تعالى خص نبيه بشي لم يعطه غيره فقال وما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب وكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فوالله ما احتازها
دونكم ولا استاثر بها دونكم ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله منه سنتهم ثم يجعل ما بقي في مال الله تعالى
ما افا الله على رسوله فقيل لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افا الله عليه وامره ان يضعه حيث
يضع الخمس من الغنايم مقسوما على الاقسام الخمسة وقيل ما افا الله على رسوله من اهل
القرى يعني من اموال الكفار اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة
وفدك وهي من المدينة على ثلاثة اميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله
عليه الصلاة والسلام يحكم فيها ما اراد فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها ثم نزلت
الله تعالى هذه الاية ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى قرابة
النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وبنو المطلب واختلف الفقها في وجه استحقاقهم
سهمهم من مال الفي والغنيمة فقال قوم انهم يستحقون ذلك بالقرابة ولا يعتبر فيهم الحاجة
وعدم الحاجة واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه واصحابه وقال اخرون انهم
يستحقون ذلك بالحاجة لا بالقرابة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه فاذا قسم ذلك
بينهم فضل الذكور على الاناث كالحكم في الميراث فيكون للذكر سهمان وللانثى سهم وقال
محمد بن الحسن يسوي بينهم ولا يفضل الذكور على الاناث اختلف العلما في حكم هاتين الايتين
فمنهم من قال هما واحد والثانية تفسير وبيان للاولى بين الله تعالى قسم المال الذي ذكره في
الاية ومنهم من قال بقوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى الغنايم التي ياخذها المسلمون

من اموال الكافرين عنوة وغلبة وكانت الغنايم في بدو الاسلام لهولا الذين سماهم
الله تعالى في سورة الحشر دون الغانمين الموجفين عليها ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة
الانفال واعلموا انما غنمتم من شي ومنهم من قال الاية الاولى بيان حكم اموال
بني النضير خاصة وقد جعلها الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى وما افا الله
على رسوله منهم والاية الثانية بيان حكم ساير الاموال التي اصيبت بغير قتال ولم يوجف عليها
بخيل ولا ركاب ومنهم من قال ما افا الله على رسوله من اهل القرى هي الجزية والخراج
واعلم ان جملة الاموال التي للايمة والولاة فيها مدخل على ثلاثة اصناف احدها ما اخذ
من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والثاني الغنايم وهي ما يحصل في ايدي
المسلمين من اموال الكافرين بالقهر والحرب والثالث الفي وهو ما رجع الى المسلمين
من اموال الكافرين عفوا وصفوا من غير قتال ولا ايجاف خيل وركاب مثل مال
الصلح والجزية والخراج والعشر الذي يوخذ من تجار الكفار اذا دخلوا او مثل ان يهرب
المشركون ويتركوا اموالهم او يموت منهم في دار الاسلام احد ولا يكون له وارث
فاما الصدقات فمصرفها ما ذكر الله عز وجل في قوله انما الصدقات للفقرا والمساكين
الاية واما الغنايم فانها كانت في بدو الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنع بها ما يشا كما قال تعالى قل الانفال لله وللرسول ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا انما
غنمتم من شي الاية فجعل اربعة اخماسها للغانمين يقسم بينهم فاما ما كان من النقود والعروض والامتعة
والثياب والدواب والكراع فانها تقسم بينهم ولا تحبس عنهم واما العقار فاختلف
الفقها فيه فقال مالك رحمه الله للامام ان يحبس الاراضي عنهم ويجعلها وقفا على مصالح
المسلمين وقال ابو حنيفة رحمه الله الامام مخير بين ان يقسمها بينهم وبين ان يحبسها عليهم
ويجعلها وقفا على مصالح المسلمين وقال الشافعي رحمه الله ليس للامام حبسها عليهم بغير
رضاهم وحكمها حكم ساير الاموال وهو الاختيار لان الله تعالى اخرج الخمس منها بعد ما اضاف
الجميع اليهم بقوله غنمتم فدل ان الباقي لهم وحقهم واما الخمس الباقي فيقسم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذي القرابة وسهم لليتامى وسهم للمساكين
وسهم لابن السبيل واما الفي فانه كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خمسة وعشرين سهما اربعة اخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
بها ما يشا ويحكم فيها ما اراد والخمس الباقي يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة واما بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الفقها في الاربعة الاخماس التي كانت له صلى الله عليه
وسلم من الفي فقال قوم انها تصرف على المجاهدين المترصدين للقتال في الثغور وهو احد
قولي الشافعي رحمه الله وقال اخرون تصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر
الانهار وبنا القناطر ونحوها يبدا بالاهم فالاهم وهو القول الاخر للشافعي رحمه الله واما
السهم الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خمس الفي وخمس الغنيمة فانه يصرف بعده
الى مصالح المسلمين بلا خلاف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والخمس مردود فيكم
وهكذا ما خلفه من المال غير موروث عنه بل هو صدقة تصرف عنه الى مصالح المسلمين
كما قال صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ما تركناه صدقة وكانت صفايا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من مال الفي الذي خصه الله بها ينفق منها على اهله نفقة سنة فما فضل جعله في الكراع

والسلاح في سبيل الله كما ذكرنا فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليها ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فجعل يفعل بها ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وليها عمر على ما ولي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابو بكر فلما استخلف عثمان ولاها عليا على سبيل التولية وجعله القيم فيها فجعل يليها على ما وليها
عمر على ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه وبالله التوفيق • عن مالك بن اوس
ابن الحدثان قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما الصدقات للفقرا حتى بلغ عليم حكيم •
ثم قال هذه لهولا ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه الاية • ثم قال هذه لهولا • ثم
قرا ما افا الله على رسوله من اهل القرى الاية حتى بلغ للفقرا المهاجرين • والذين تبوا الدار
والذين جاوا من بعدهم • ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة فليس احد الا له فيها حق • ثم
قال لئن عشت لياتين الراعي نصيبه منها لم يعرق جبينه فيها كيلا يكون الفي دولة بين
الاغنيا منكم كي لا يكون الفي الذي حقه ان يعطى الفقرا بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنيا يتكاثرون
به وقيل معناه كي لا يكون الفي دولة بين الروسا والاقويا والاغنيا فيغلب عليه الفقرا والضعفا
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها
ايضا بعد المرباع ما شا فجعل الله هذا لرسوله يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها خمس فاذا خمس
وقع بين المسلمين جميعا وقيل معناه كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤسا منهم كانوا
يستاثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون
اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم
اخذه واستاثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغرف يعني كي لا يكون الفي شيا يتداوله
الاغنيا بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقرا وما اتاكم اعطاكم الرسول من الفي والغنيمة فخذوه وما نهاكم
عنه اي عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم • الحسن يوتيهم الغنايم ويمنعهم الغلول والاحسن
ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفي داخل في عمومه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان القران صعب مستصعب على من تركه ميسر على من تبعه وطلبه
وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القران ومن تهاون بالقران
وحديثي خسر الدنيا والاخرة وامرتم ان تاخذوا بقولي وتكنفوا امري وتتبعوا سنتي فمن رضي
بقولي فقد رضي بالقران ومن استهزا بقولي فقد استهزا بالقران قال الله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وعن عبد الله بن مسعود انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه
فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرا علي بهذا اية من كتاب الله قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب
لمن خالف رسوله ٥ **قوله تعالى** للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين
تبوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم ٥ قيل للفقرا بدل من الله والرسول
والمعطوف عليهما ومنهم من منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما لان الله اخرج رسوله
من الفقرا في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم ولان الابدال

على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى • وقيل للفقرا بدل من المساكين
واعادة اللام لان العامل في البدل غير العامل في المبدل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقيل معناه
كي لا يكون ما افا الله على رسوله دولة بين الاغنيا منكم لكن يكون للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم هم الذين خرجوا وتركوا اوطانهم بمكة وقومهم اختاروا النبي صلى الله عليه وسلم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا لم يقصدوا سوى هذين وينصرون الله ورسوله اولئك هم
الصادقون في ايمانهم وجهادهم فهولا المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهل والعشاير
وخرجوا حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام على ما كانت فيه من الشدة حتى ذكر ان الرجل كان
يعصب الحجر على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع وكان الرجل ياخذ الحفرة في الشتا ماله دثار غيرها وقيل
كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقرا
وجعل لهم سهما في الزكاة ثم ذكر الله الانصار فقال والذين تبوا اي توطنوا معطوف على المهاجرين
الدار والايمان اي تبوا الدار واخلصوا الايمان كقوله • علفته تبنا وماء باردا وقيل تبوا الدار
وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك وقيل
اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار
الايمان ووضع المضاف اليه مقامه وقيل سمي المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
بالايمان وقيل اتخذوا المدينة دار للايمان والهجرة وهم الانصار اسلموا في ديارهم وابتنوا المساجد
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاحسن الله الثنا عليهم من قبلهم من قبل المهاجرين
ونظم الاية والذين تبوا الدار والايمان من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان
وقيل من قبل قدوم المهاجرين عليهم يحبون من هاجر اليهم يعني يحب الانصار المهاجرين فقلوبهم
حتى شاطروهم اموالهم وانزلوهم مساكنهم ومن كانت عنده امراتان نزل عن واحدة منهما لواحد
منهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حرارة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي مما اعطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين من الفي وقيل لا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج
اليه مما اوتي المهاجرون من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من
ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شي منه تحتاج اليه • وقيل مما اعطوا من
من الفضل والتقدم عليهم • وقيل ضيقا مما ينفقون عليهم • وقيل معناه هم راضون بما اوتوا
اي من حصته فما غنمهم بما اوتوا الامر حصته كثرة اموالهم وقيل لا يجدون في انفسهم مس حاجة
من فقد ما اوتوا فحذف المضافان ويوثرون اي ويوثر الانصار اخوانهم المهاجرين على انفسهم باموالهم
ومنازلهم ولو كان بهم خصاصة فاقة وحاجة الى ما يوثرون وذلك انهم قاسموهم ديارهم واموالهم
والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني
النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من
اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم
لكم شي من هذه الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فنزلت • وعن ابي هريرة جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فقال يا رسول
الله اني جايع فاطعمني فبعث النبي عليه السلام الى ازواجه هل عندكن شي فكلهن قلن والذي بعثك
بالحق ما عندنا الا الما • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فاتى به الى

منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيا قالت ما عندنا الا قوت الصبية قال فقومي عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيا ثم اسرجي وابرزي فاذا اخذ الضيف لياكل قومي كانك تصلحين السراج فاطفيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيا ثم قامت فابرزت واسرجت فلما اخذ الضيف لياكل قامت كانها تصلح السراج فاطفاته وجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتا طاويين فلما اصبحا غدوا الى رسول الله فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه لوم نفسه وكونها كزة حريصة على المنع وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها والبخل هو المنع نفسه ومنه قوله واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب على ما امرته به منه وخالف هواها بتوفيقه تعالى فاوليك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا والذين جاوا من بعدهم عطفا ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا بعد المهاجرين الاولين وقيل التابعون باحسان قيل الذين يومنون الى يوم القيمة وقيل الناس على ثلاثة منازل الفقرا المهاجرون والذين تبوا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجهد ان لا تكون خارجا من هذه المنازل يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ابن عباس امر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عايشة رضي الله عنها امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها ولا تجعل في قلوبنا غلا حقدا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم **قوله تعالى** الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لين اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون الم تر الى الذين نافقوا اظهروا خلاف ما اضمروا فان المنافق يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب وهم قريظة والنضير ومعنى لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا اوليايهم وبواخوانهم وكانوا معهم على المومنين في السر لين اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا على القتال وقيل في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة لين قوتلتم لننصرنكم اي لين قاتلكم محمد لننصرنكم لنعاوننكم احسن المعاونة والله يشهد انهم لكاذبون قيل سماهم كاذبين لما آل اليه امرهم فان الكذب يكون في الماضي والخلف يكون في المستقبل لان اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم اي هم لا يفون بما عاهدوا وهذه اللام الاول لام توطية القسم واللام الثاني لام القسم وصار الحكم للقسم دون جزا الشرط وقد تحذف لام التوطية اكتفا بلام جواب القسم عليه كقوله وان قوتلتم لننصرنكم اراد والين قوتلتم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل ولين نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون قلت معناه ولين نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لين اشركت ليحبطن عملك

وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولين نصرهم المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم وقيل لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين وقيل في قوله ولين نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون بعد قوله لا ينصرونهم انه دل على ان الله اذا اخبر عن شي لم يوجد المخبر خلاف ما اخبر به قبل ان يعاطوا نصرهم ما نصروهم وقيل اذا نصروهم ولوا الادبار يكون خذلانا لا نصرا لان النصر ضد المعاونة واجمال المظاهرة وقيل لا ينصرونهم اي لا يداومون على النصر وقيل لا ينصرونهم طايعين وان نصروهم كارهين وقيل النعل في قوله لين نصروهم لعز الذين اخبر انهم لا ينصرونهم وقيل ولين نصروا اليهود لها المنافقين والضميران مختلفان لانتم اشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية في صدورهم من الله لانه على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله ومعناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله وقيل يريد ان اليهود تخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس شديد وبخدع فكانوا يستجعون لهم مع اضمار الحنيفة في صدورهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون فان الفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة وهولا لو فقهوا لعلموا ان قوة النبي بقوة الله ثم اخرج بنو النضير فلم يخرجوا معهم وقوتل قريظة فلم ينصرهم منافق لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود وقيل اليهود والمنافقين الا كاينين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدار قرا ابن كثير وابو عمرو جدار بالالف على الواحد والباقون بضم الجيم والدال اي اذا اجتمعوا القتالكم لم يبرزوا على البراز فانما يقاتلونكم واحصونهم المحصنة بالسور والخندق او من وراء جدار بالنبل والحجارة فانما يهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله وقيل باسهم بينهم شديد يعني بعضهم فظ على بعض وبعضهم عدو لبعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا او لو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينهم قيل يريد ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحد قتادة اهل الباطل مختلفة اهواهم مختلفة شهادتهم مختلفة اعمالهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق مجاهد اراد ان دين المنافقين يخالف دين اليهود وهذا تشجيع للمومنين على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان العداوة لا تقع بين العقلا قيل القى الله في قلوبهم الرعب فتفرقوا بخلاف ما فعل بالمومنين من قوله والف بين قلوبهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان اسره وهيبه **قوله تعالى** كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزا الظالمين كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم هولا اليهود كمثل الذين من قبلهم وهم مشركو مكة ذاقوا وبال امرهم يوم بدر قريبا منصوب بمثل اي على وجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلا وبيل وخيم سي العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ابن عباس رضي الله عنه كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان

وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب من سورة الأنفال

قريبًا ذاقوا وبال امرهم الجلاء والنفي وقيل كمثل من اهلك الله من الامم وقيل نقدير ولين تمرومهم لبولن الادبار كمثل الذين من قبلهم قريبًا يوم بدر كمثل الشيطان ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود في تخاذلهم اي مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم واخلافهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة والمراد استغواوه قريشا يوم بدر وقوله لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم وقيل هذا عام في جميع الكفار في دعايه اياهم الى الكفار والمعاصي ووعده بالغرور ❁ ابن عباس في قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر كان راهب في الفترة يقال له برصيصا وكان قد تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فلم يستطع له بشيء فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي تصدى للنبي عليه الصلاة والسلام وجاءه في صورة جبريل يوسوس اليه على وجه الوحي فجاءه جبريل حتى دخل بينهما فدفعه بيده دفعة هينة فوقع من دفعة جبريل الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك فانطلق على صفة الرهبان فاتى صومعته فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلوته الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا في كل عشرة ايام فلما راى انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع فراه منتصبا يصلي على هيئة حسنة فناداه ما حاجتك فقال اني احببت ان اكون معك اقتبس من علمك واتادب بادبك ونجتمع على العبادة فقال برصيصا اني لفي شغل عنك ثم اقبل على صلاته واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما ثم انفتل فراه يصلي فلما راى شدة اجتهاده قال ما حاجتك فاعاد عليه القول فاذن له فصعد اليه فاقام معه حولا لا يفطر الا كل اربعين يوما ولا ينفتل من صلوته الا في كل اربعين يوما وربما زاد على ذلك فلما راى برصيصا اجتهاده اعجبه شانه وتقاصرت اليه نفسه فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق عنك فان لي صاحبا غيرك ظننتك اشد اجتهادا مما ارى وكان يبلغنا عنك غير الذي نرى فاشتد ذلك على برصيصا وكره مفارقته فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دعوات اعلمكها يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى فقال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا فاخاف ان يعلم الناس بهذا فيشغلوني عن العبادة فلم يزل به حتى علمه اياها ثم انطلق الى ابليس فقال والله اهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا فاعالجه قالوا نعم فقال لهم اني لا اقوى على جنيته ولكني سارشدكم الى من يدعو الله فيعافيه فقالوا له دلنا فقال انطلقوا اليه فسالوه فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل بالناس ذلك ثم يرشدهم الى برصيصا فيعافون الى ان انطلق الى جارية من بنات ملوك بني اسرائيل لها ثلثة اخوة فخنقها ثم جاء اليهم في صورة متطبب فقال اعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكني سارشدكم الى رجل تدعونه عندها فاذا جا شيطانها دعا لها قالوا من هو قال برصيصا قالوا فكيف لنا ان يقبلها منا وهو اعظم شانا من ذلك قال ان قبلها والا فضعوها في صومعته وقولوا هي امانة عندك فانطلقوا اليه فابى عليهم فوضعوها عنده ❁ وفي بعض الروايات قال ضعوها في ذلك الغار وهو غار الى جنب صومعته فوضعوها فجا الشيطان فقال له انزل اليها فامسحها بيدك تعافى وتنصرف الى

اهلها فنزل فلما دنا الى باب الغار دخل الشيطان فيها فاذا هي تركض فسقطت عنها ثيابها فنظر العابد الى شيء لم ير مثله حسنا وجمالا فلم يتمالك ان وقع عليها وضرب على اذنه فجعل يختلف اليها الى ان حملت فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتل هذه وتتوب فان سالوك عنها قلت جا شيطانها فذهب بها فلم يزل به حتى قتلها ودفنها ثم رجع الى صومعته فاقبل على صلوته اذ جا اخوتها يسالون عنها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جا شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فتفرقوا فسطروا لها اثرا فلما امسوا جا الشيطان الى كبيرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا من جبل كذا فقال هذا حلم وبرصيصا خير من ذلك فتتابع اليه ثلث ليال وهو لا يكترث فانطلق الى الاوسط كذلك ثم الى الاصغر بمثل ذلك فقال الاصغر لاخوته لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط وانا والله وقال الاكبر وانا والله فاتوا برصيصا فسلوه عنها فقال قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني قالوا لا والله واستحيوا وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وكذا وان ازارها الخارج من التراب فانطلقوا وحفروا عنها فروها فقالوا يا عدو الله لم قتلتها اهبط فهدموا صومعته ثم اوثقوه وجعلوا في عنقه حبلا ثم قادوه الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان عرض له فقال تقتلها ثم تكابر فاعترف فامر الملك بقتله وصلبه فعرض له الابيض فقال اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات ويحك ما اتقيت الله في امانة خنت اهلها اما استحييت من الله الم يكفك ذلك حتى اذا اقررت ففضحت نفسك واشباهك بين الناس فان مت على هذه الحالة لم تفلح انت ولا احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة حتى انجيك واخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي فسجد له فقال هذا الذي اردت منك فصارت عاقبة امرك ان كفرت اني بريء منك ثم قتل فضرب الله هذا المثل لليهود حين المنافقون ثم اسلموهم اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار الظرف مستقرا لدين فيها حال وذلك جزاء الظالمين ❁ ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير المنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله عز وجل امر نبيه ان يجلي بني النضير عن المدينة فدس المنافقون اليهم فقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم كنا معكم فان اخرجكم خرجنا معكم فاطاعوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجا نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله قال ابن عباس فكانت الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاحبار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأ الله تعالى جريجا الراهب مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان فظهروا للناس

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ❁ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس نكر النفس استقلالا للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال نفس واحدة في ذلك ما قدمت لغد نكر الغد لتعظيم

وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه واتقوا الله تكرير الامر بالتقوى للتاكيد وقيل
اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى
الوعيد ولغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل
يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل
عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي
نسوا حق الله وتركوا امره فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين حظ انفسهم ان يقدموا لها خيرا
ولم يسعوا لما ينفعهم عنده وقيل نساهم انفسهم اي فاراهم يوم القيمة من الاهوال
ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هذا
تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار
العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفايزون ولم يعرفوا ان اصحاب الجنة هم الفايزون
فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما يقال لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه
فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي
بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر **قوله تعالى**
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۵ لو انزلنا هذا القران مع امره ونهيه ووعده ووعيده وبيان
توحيده واثبات نبوة انبيائه وبيان المبدا والمعاد وذكر عجايبه على جبل وركبنا فيه العقل لرايته خاشعا
في صلابته ذليلا خاضعا منقادا متصدعا من خشية الله من خوف عذابه وقلوب بني ادم لم تلن ولم ترق
وقيل هذا امتنان على النبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران على جبل لما ثبت له
وتصدع لنزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له وقيل لو انزلنا هذا القران على جبل وجعل
تمييز الرايته خاشعا وهذا على وجه التمثيل والتخييل كما ذكر في قوله تعالى انا عرضنا الامانة الاية
وتدل عليه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وهذا توبيخ لمن لم يوثر القران في قلبه
مع الفهم والعقل لقسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القران وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى
امثاله في مواضع من التنزيل لعلهم يتفكرون في امثال الله **قوله تعالى** هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسما الحسنى
يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۵ قيل هذه الاية ترجع الى اول السورة وقيل
ترجع الى قوله من خشية الله وقيل هو جواب لمن شبهه بخلقه وقيل لما ذكر ما يدل على عظمته ۵
وكبريائه اخبر عن عظمته وكبريائه وربوبيته فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة وهي ما علموه وعاينوه وشاهدوه ۵ الحسن
السر والعلانية وقيل الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان اي المعدوم والموجود المدرك كانه
يشاهد وقيل الغيب الاخرة والشهادة الدنيا وقيل الغيب ما غاب عن الحواس والشهادة ما يدرك
بالحواس هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس الطاهر من كل عيب البليغ في النزاهة
عما لا يليق به ۵ قتادة المبارك ابن كيسان المجيد ونظيره السبوح وفي تسبيح الملايكة سبوح قدوس
رب الملايكة والروح السلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في

وصف

وصف كونه سليما من النقايص وفي اعطايه السلامة وقيل سلم من الاوصاف التي لا تليق به وقيل سلم
عباده من ظلمه المومن واهب الامن وقيل يومن عباده من الخوف وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته
عليهم ومصدق للمومنين ما وعدهم من الثواب وقابل ايمانهم ومصدق للكافرين ما اوعدهم من
العقاب ابن زيد هو الذي يصدق المومنين اذا وحدوه الحسين بن الفضل هو الداعي الى
الايمان والامر به والموجب لاهله اسمه القرظي هو المجير كما قال وهو يجير ولا يجار عليه
ابن عباس ومقاتل هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن من عقابه من الامان الذي هو ضد الخوف
كما قال وامنهم من خوف قال النابغة والمومن العايذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسعد المهيمن الرقيب على كل شي الحافظ له مفعل من الامن الا ان همزته
قلبت هاء ابن عباس ومجاهد وقتادة الشهيد الضحاك الامين المصدق عطا المامون على
خلقه يمان هو المطلع سعيد ابن المسيب القاضي وقيل الحدب المسبل عكرمة الدال
ابو عبيدة خمسة احرف في كلام العرب على هذا الوزن المهيمن المسيطر المبيطر المبيقر وهو الذاهب
في الارض وقيل اسم جبل ابن كيسان هو اسم من اسما الله في الكتب الله اعلم بتاويله العزيز الغالب
غير المغلوب وقيل لا يرام ولا يمتنع عليه ما يروم الجبار ابن عباس العظيم وجبروت الله
عظمته فعلى هذا صفة الذات وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح يقال جبرت العظم اذا
اصلحته بعد الكسر وجبرت الامر فانجبر وجبرته فتجبر ويكون لازما ومتعديا قال
العجاج قد جبر الدين الاله فجبر السدي هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد
محمد ابن كعب انما يسمى الجبار لانه جبر الخلق على ما اراد والخلق ادق شانا من ان يعصوا له طرفة
عين الا بما اراد وسيل بعض الحكما عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اراد امرا فعله وحكم
فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجز ولا يفكر فيمن دونه ان ادم احتبى من عز طاعته وان ابليس
لعن على كره الطاعة وقيل هو الذي لا تناله الايدي من قول العرب نخلة جبارة اذا طالت وفاتت
الايدي قال الشاعر بواسق جبارا ابت فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا
المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به واصل الكبر والكبرياء
الامتناع وقلة الانقياد قال الشاعر ۵

عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت ۞ بها كبرياء الصعب وهي ركوب

وقيل المستحق لصفات التعظيم سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق المقدر المقلب للشي بالتدبير
الى غيره كما قال يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وقال وقد خلقكم اطوارا البارئ المنشي
للاعيان من العدم الى الوجود وقيل المميز بعضه من البعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل
للمخلوقات بالعلامات المميزة والهيات المفرقة حتى يتميز بعضها من بعض يقال هذه صورة الامر
اي مثاله فالاول يكون خلقا ثم برا ثم تصويرا اذا ايمن وكمل له الاسما الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم ختم السورة بما فتحها به فسبحان الله على كل حال
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما على هذا المنبر يعني منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي عن ربه عز وجل فقال ان الله تعالى اذا كان يوم القيمة جمع السموات
والارضين في قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الله
الرحيم انا الله الملك انا الله القدوس انا السلام انا المومن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر
انا الذي بدات الدنيا ولم تك شيا انا الذي اعدتها اين الملوك اين الجبابرة وهذا اخر السورة

سورة الممتحنة مدنية

وهي الف وخمسمائة وعشرة احرف وثلثماية وثمان واربعون كلمة وثلاث عشرة اية والله اعلم

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سوا السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسو وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

نزلت في حاطب بن ابي بلتعه وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جيت قالت لا قال امهاجرة جيت قالت لا قال فما جا بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال لها فاين انت من شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة فاتاها حاطب بن ابي بلتعه حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم اي غريبا وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وعلمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت في شان حاطب ومكاتبته المشركين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي الى مفعوليه الاول عدوي والثاني اوليا والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد تلقون حال من ضمير لا تتخذوا

وقيل صفة الاوليا جرت على غير من هي له ولا حاجة الى الضمير البارز لانه فعل والضمير البارز شرط في الاسما دون الافعال او خبر اوليا ملقين اليهم بالمودة على الوصف لوجب الضمير البارز والالقا ايصال المودة والافضا لها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه مستوره وقيل استيناف اي انتم تلقون اليهم بالمودة وقيل الاستفهام مقدر اي اتلقون اليهم بالمودة الباء في بالمودة زايد موكد للتعدي مثلها ولا تلقوا بايديكم وقيل غير زايدة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذا قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم لمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وقد كفروا حال من لا تتخذوا او تلقون يكون من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم والحال انهم كفروا بما جاكم من الحق يعني النبي والقران يخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم وقيل حال من كفروا والرسول واياكم من مكة ان تومنوا تعليل ليخرجون ان يخرجون الرسول واياكم من مكة لاجل ايمانكم ذكر بلفظ المضارع يخرجون وان تومنوا لتصوير المعنى في الذهن ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدا ان كنتم اوليا وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وقيل ان كنتم خرجتم جهادا اي خرجتم من اوطانكم للجهاد هذا مؤخر في اللفظ مقدم في المعنى والتقدير ان كنتم خرجتم للجهاد ولطلب رضا الله فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا في سبيلي وابتغا مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وقيل بدل من تلقون اليهم بالمودة وقيل استيناف معناه اي طايل لكم في اسراركم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي وقد علمتم انا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم لان الاخفا والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله هذا الاسرار فقد ضل فقد اخطا سوا السبيل طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ويأخذوكم وياسروكم يكونوا لكم اعدا خالصي العداوة ولا ينفعكم القا المودة اليهم ولا يكونون لكم اوليا كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والسنتهم بالسوا بالسب والشتم وقد جمع بقوله يبسطوا بين الحقيقة والمجاز وبين المجازين وودوا وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فلا تودوهم ولا تناصحوهم فالمضمر لا يوادونكم ولا يناصحونكم فان موادة امثالهم ومناصحتهم خطا عظيم منكم ومغلطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا

قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ورد جواب الشرط مضارعا مثل الشرط وقال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واوليا لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون لها دونه والعدو واعز شي عنده ان يقصد اعز شي عند صاحبه لن ينفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يقول لا تدعونكم قراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم وموالاة اعدايهم ومظاهرتهم فلن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم التي عصيتم الله تعالى لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم فيدخل اهل طاعته والايمان به الجنة ويدخل اهل معصيته والكفر به النار يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا اخطا رايهم في موالاة الكفار ربما يرجع الى حال من والوه ولا تنظر بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا لتريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرا عاصم ويعقوب يفصل بفتح اليا وكسر الصاد مخففا وحمزة والكسائي وخلف بضم اليا وكسر الصاد مشددا

وابن عامر بضم الياء وفتح الصاد وتشديد الصاد والباقون بضم الياء وفتح الصاد مخففا والله بما تعملون بصير فيجازيكم باعمالكم **قوله تعالى** قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة حسنة في ابراهيم والذين معه والاسوة هي اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اذ قالوا لقومهم الكفار وهم قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وتبرؤا اليهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة باقية حتى ان ازالوه وامنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فامحوا عن الاخلاص والذين معه من المؤمنين وقيل كانوا انبياء اذ قالوا لقومهم المشركين انا براء جمع بريء منكم اي من قرابتكم ومما تعبدون من دون الله اي معبودكم كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا بالسيف حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم استثناء من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها يعني قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم واقواله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلموا ان تاسوا بابراهيم في هذه خاصته وتستغفروا للمشركين وقيل المعنى هلا قلت يا حاطب كما قال ابراهيم ومن كان معه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وذلك لموعدة وعدها اياه قال صاحب الكشاف فان قلت فوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار وما املك من الله من شيء من عذاب وقيل هدايته ومعرفته وتوفيق والاستثناء من المضمر مع ابراهيم وهو اقواله وقيل الاستثناء منقطع اي لكن قول ابراهيم لابيه فليس لكم به اسوة وقيل وفي هذه الاية دليل من على تفضيل نبينا وذلك انه حين امر الاقتداء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحيث امر بالاقتداء بابراهيم استثنى عليك توكلنا قيل هذا من تمام كلام ابراهيم اي قولوا ابراهيم ومن معه ربنا عليك توكلنا وقيل الاستثناء فاي تولوا وقيل خطاب لحاطب اي قلت يا حاطب هذا ثم نحن الى ما فعلت واليك انبنا اقبلنا واليك المصير المرجع وقيل ربنا عليك توكلنا متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امر من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليم ايهم لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا طاقة لنا به وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك وقيل لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل وقيل احفظنا من الشيطان لا تتبعهم فيضلونا واغفر لنا ربنا انك

انت العزيز الحكيم ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد فقال لقد كان لكم فيهم في ابراهيم والذين معه من المؤمنين اسوة حسنة لمن كان يرجو الله بدل من لكم ثم عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به فلما نزلت هذه الايات تشدد المؤمنون في عداوة اقربائهم المشركين من ابائهم وابنائهم وجميع اقربائهم ومقاطعتهم في الله واظهروا لهم العداوة والبراءة **قوله تعالى** عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فلما وجد الله من المؤمنين شدة وجدهم بذلك والصبر عليه وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم ثم وعدهم تيسير ما تمنوه عسى الله وعد من الله تعالى على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين اي يجعل بينكم ايها المؤمنون وبين الذين عاديتم منهم يعني مشركي مكة مودة والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وجعل المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ففعل الله ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب ولان لهم ابو سفيان وكانت ام حبيبة تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجري الحبشة فتنصر زوجها وحاولها ان تتبعه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ليخطبها له فقال النجاشي لاصحابها من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل ومهرها النجاشي اربع مائة دينار وساق اليه مهرها وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه **قوله تعالى** لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من جميع الكافرين فقال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا عطف على تبروا اليهم اي تعدلوا فيهم بالاحسان والبر ان الله يحب المقسطين والاقساط ان تعطوهم مثل ما تعطون اي وتعطوهم مما تملكون من طعام وغيره تقسطا تقول اقسطت اي اعدل وسلت القسط اي الجور وقيل اقسط اعطى قسطه وانصف اعطى نصفه اي نصيبه وعدي بالى ليضمنه معنى الاحسان وقيل انهتوا اليهم بالقسط والمعنى لا ينهاكم عن بر هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لشدتهم وجدهم في العداوة متقدمة لرخصته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يهاجر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم ابن عباس نزلت في خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وسراقة بن مالك بن جعشم وبنو مدلج وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا عبد الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما وذلك ان امها قتيلة بنت العزى قدمت المدينة بهدايا وهي مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي على في بيتي حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتحسن الامرة الهدايى وعطية العوينة

نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس • وقيل هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا •
وقيل هم النساء والصبيان • وعن قتادة نسختها اية القتال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
اي عن تولي هولاء وبرهم واخرجوكم من دياركم اي المشركين • وظاهروا على اخراجكم
ان تولوهم بدل من الذين قاتلوكم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لو اضعون الولاية
في غير موضعها

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن • فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم
بينكم والله عليم حكيم • وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون •• يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم المومنات سماهن مومنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم
يظهر منهن ما ينافي ذلك • وقيل لانهن مشارفات لثبات ايمانهن مهاجرات من دار
الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب
على ظنونكم صدق ايمانهن • ابن عباس معنى امتحانهن ان يستحلفهن ما خرجن من بغض
زوج وما خرجن رغبة من ارض الى ارض وما خرجن التماس دنيا وما خرجن الا حبا لله
ورسوله • وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى كان
بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده عليهم ومن اتى اهل مكة
من اصحابه فهو لهم ولم يردوه عليهم وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت
الحرث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
فاقبل زوجها مسافر من بني مخزوم قال المقاتلان هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان
كافرا فقال يا محمد اردد الي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاكم منا
وهذه طينة الكتاب ولم تجف بعد • فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخرجك بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا الا رغبة في
الاسلام فحلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك • فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء اذا امتحن ويعطي
ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر • الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما
تطمين فيه نفوسكم واذا استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به • فان
علمتموهن مومنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور
الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لاهن حل لهم
ولا هم يحلون لهن لانه لا حل بين المومنة والمشرك واتوهم واعطوا ازواجهن الكفار ما
انفقوا مثل ما دفعوا اليهن من المهر • سمي الظن الغالب علما في قوله فان علمتموهن مومنات
ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس بشرائطه جار مجرى العلم
وان صاحبه غير داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم • وفائدة قوله تعالى
الله اعلم بايمانهن ان لا سبيل لكم الى ما تطمين به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة

ايمانهن

ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يودي اليه الامتحان من العلم كاف في
ذلك وان تكليفكم لا يعدوه • ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن وان كان
لهن ازواج كفار في دار الكفر لانه فرق بينهما الاسلام اذا استبريت ارحامهن • قال
صاحب الكشاف ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هولاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي
مهورهن لان المهر اجر البضع • ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى
ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه • واما ان يراد ان ذلك
اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس • واما ان تبين
لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق • وبه احتج ابو حنيفة
رحمه الله على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا
وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا • ولا تمسكوا
قرا ابو عمرو وتمسكوا بالتشديد من التمسك والباقون بالتخفيف من الامساك
بعصم الكوافر اي ولا تمسكوا بعصم الكوافر • والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من
عقد وسبب • والكوافر جمع كافرة نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات
وامرهم بفراقهن يعني اياكم واياهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية •
قال ابن عباس رحمه الله يقول لا تاخذ بعقد الكوافر فمن كانت له امراة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها فقد انقطعت عصمتها منه وليست له بامراة • وان جاءتكم
امراة من اهل مكة ولها بها زوج فلا يعتدن به فقد انقطعت عصمته منها • قال
الزهري فلما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امراتين كانتا له بمكة
مشركتين • قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما
على شركهما بمكة • والاخرى ام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما فتزوجها ابو جهم بن حذافة رجل من قومها وهما على شركهما • واسئلوا ايها
المومنون الذين ذهبت ازواجهم فلحقن بالمشركين ما انفقتم عليهن من الصداق
من تزوجهن منهم • وليسئلوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم مومنات اذا تزوجن
فيكم من تزوجها منكم ما انفقوا اي ازواجهن المشركون من المهر • ذلكم اشارة الى جميع
ما ذكر في هذه الاية حكم الله يحكم بينكم كلام مستانف • وقيل حال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله بينكم والله عليم حكيم • قال الزهري ولولا العهد والهدنة
الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء
ولم يرد اليهم صداقا • وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت
هذه الاية اقر المومنون بحكم الله وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم
وابى المشركون ان يقروا بحكم الله تعالى فيما امروا به من اداء نفقات المسلمين فانزل
الله تعالى وان فاتكم سبقكم وانفلت منكم ايها المومنون شيء من ازواجكم لا يقاع شيء في هذا
الموضع فائدة هي ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في
هذا الحكم وتشديدا فعاقبتم فغزوتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وظفرتم وكانت
العاقبة لكم الموضع معناه فخلفتم من بعدهم وصار الامر اليكم • قال صاحب الكشاف
فعاقبتم من العقبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك

تبادة واوليك مهور نسا هولا اخوي بامر تتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فادوا الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار منكم مثل ما انفقوا عليهن من الغنيمة التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال صاحب الكشاف فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهن في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر قال ابن عباس رضي الله عنه وكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية ابن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل ابن هشام وكانت تحت هشام ابن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ۝ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال جاءت النساء يبايعنه فنزلت هذه الاية وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن فقالت هند ان ابا سفيان شحيح واني اصبت من ماله هنات ولا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند اوتزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادكن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة ابن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن وهو ان تقذف ولدا على زوجها وليس منه كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها التي تلده به بين الرجلين فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما يامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف فيما يامرهن به من المحسنات وينهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف وانما لم يقتصر على قوله ولا يعصينك فانه قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر الا بالمعروف تنبيها لك

على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب فقالت هند والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي فاقر النسوة بما اخذ عليهن عن اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطعتن فقلن رسول الله ارحم بنا من انفسنا قلت يا رسول الله صافحنا قال اني لا اصافح النساء وانما قولي لامراة كقولي لماية امراة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة قط الا يد امراة يملكها وعن الشعبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء وعلى يده ثوب قطري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن فيه ۝

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ۝ قوما غضب الله عليهم هم اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا يعني هؤلاء اليهود يئسوا من الاخرة ان يكون لهم فيها حظ وثواب لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المبعوث في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور من موتاهم ان يرجعوا اليهم احياء ويبعثوا وعن ابن عباس هم الكفار من اصحاب القبور من الاخرة فيكون من اصحاب القبور بيان للكفار مجاهد كما يئس الكفار من اصحاب القبور بيان الكفار حين دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله لانهم تيقنوا قبح حالهم وسوء منقلبهم ۝ والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وبه نقتدي

۝ سورة الصف مكية ۝

قال ابن يسار وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور انها مدنية ويقال لها سورة الحواريين وهي تسعمائة حرف ومايتان واحدى وعشرون كلمة واربع عشرة اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص عن عبد الله بن سلام قلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عملناه فانزل الله تعالى هذه السورة وقيل ان الرجل كان يجي الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول فعلت كذا وكذا وما فعل فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الضحاك كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وصبرت ولم يصبر فنزلت هذه الاية ابن عباس كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله تعالى دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فاخبرهم الله تعالى ان افضل الاعمال الايمان والجهاد وكره ذلك ناس منهم وشق عليهم الجهاد وتباطؤوا عنه فنزلت هذه الاية عن سعيد بن المسيب عن صهيب كان رجل يوم بدر قد اذى المسلمين ونكاهم فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فان فلانا ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر وعبد الرحمن يا رسول الله قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فانزل الله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ابن زيد نزلت في

رض

في المنافقين كانوا يعدون المومنين النصر ويقولون لو خرجتم خرجنا معكم ونصرناكم فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه فنزلت هذه الاية لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والم وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشي واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جا استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت والاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرايه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقا حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد • وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداوهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كبر مقتا هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه وقصد في كبر التعجب من غير لفظه • ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شي خارج عن نظايره واشكاله واسند كبر الى قوله ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت العقد على الرابه ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك ان الله يحب الذين يقاتلون عقيب ذكر مقت القول بلا فعل دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا صفا صافين انفسهم او مصفوفين ولا يزولون عن اماكنهم كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان مرصوص رص بعضه على بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استوا نياتهم في الثبات صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان **قوله تعالى** واذ قال موسى لقومه يا قوم لم توذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين اذ منصوب باذكر او وحين قال لهم كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يوذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحوده وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم روية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي توذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضيه علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان توذونني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من اذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم عن الدين والله لا يهدي القوم الفاسقين **قوله تعالى** واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين • انما قال عيسى يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم مصدقا ارسلت اليكم في حال تصديقي لما بين يدي لما تقدمني من التوراة ومبشرا وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وهو الذي لا يدم قيل ان الانبيا كلهم حمادون لله تعالى ونبينا احمد اي اكثر حمدا لله منهم وقيل ان الانبيا كلهم محمودون ونبينا احمد اي اكثر مناقبا واجمع للفضايل اي ان ديني التصديق بكتب الله وانبيايه جميعا ممن تقدم وتاخر • وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكما علما ابرار اتقيا كانهم من الفقه انبيا يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال ولا يجوز ان ينتصب باليكم لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى

الفعل فاذا وقعت صلاة لم يتضمن معنى فعل ولا تعمل فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ومن اظلم واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افترا الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعا عباده الى الحق هذا سحر مبين لان السحر كذب وتمويه يريدون ليطفيوا اصله ان يطفيوا كما جا في سورة براة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جيتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفا نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفيه والله متم نوره قرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة والباقون رفع متم نوره نصب ولو كره الكافرون • هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى بالقران • ودين الحق الملة الحنيفية التي هي الاسلام ليظهره على الدين كله على جميع الاديان المخالفة اي يعليه ويغلبه وقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وقيل يظهره بالحجج والبينات وقيل ليطلعه على جميع الاديان وما خالفها ولهاما به رسلهم حتى يكون عالما بذلك وقيل ليظهره على الدين كله بنزول عيسى ودخول اهل الارض قاطبة في الاسلام **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين • يا ايها الذين امنوا النداء للمخلصين وقيل عام كما في اول السورة هل ادلكم استفهام في اللفظ اخاف في المعنى على تجارة تنجيكم تخلصكم وتبعدكم من عذاب اليم قرا ابن عامر بالتشديد من التنجية والباقون بالتخفيف من الانجا تؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فبين ما هي فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر فلهذا اجيب بقوله يغفر لكم وتجاهدون عطف على تؤمنون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وانما جي على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان بالله ورسوله وجهاد في سبيل الله موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجا كانها وجدت وحصلت وقيل يغفر لكم جواب لقوله هل ادلكم ووجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت هذه الاية فمكثوا ما شا الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله بقوله يومنون وهذا يدل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجيت به ذلكم اي ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينيذ لانكم اذا علمتم ان الايمان والجهاد خير لكم واعتقدتم احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم قد ذكرنا انه جواب لقوله تؤمنون لانه خبر في معنى الامر ويدخلكم عطف على يغفر جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة ذلك الفوز العظيم واخرى اي ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الاجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب عاجل وهو فتح مكة • الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شي من التوبيخ على محبة العاجل

وبشر المومنين عطف على يومنون لانه في معنى الامر كانه قيل امنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن في الاجل وينصركم في العاجل وبشر يا رسول الله المومنين بذلك **قوله تعالى** يايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين فحرضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال يايها الذين امنوا كونوا انصار الله قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو كونوا انصارا لله منونة والباقون انصار الله بالاضافة اي دوموا على ما انتم عليه وانصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى من انصاري وجرى نافع يا من انصاري قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله ومعنى من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلافة اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب فامنت طايفة منهم بعيسى وكفرت به طايفة فايدنا مومنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة قيل الخطاب لاهل المدينة وهم الانصار وكانوا تسعين نفرا بايعوا رسول الله ليلة العقبة كما قال عيسى بن مريم للحواريين قيل معناه انا ادعوكم الى هذا كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري الى الله وقيل انصروا الله مثل نصره الحواريين لدين الله وقيل معناه من ينضم نصره الى نصرة الله قال الحواريون نحن انصار والله اي انصار الحق فامنت طايفة من بني اسرايل بعيسى وكفرت طايفة به فايدنا قوينا الذين امنوا على عدوهم ونصرناهم فاصبحوا ظاهرين غالبين قيل قاتل اصحاب عيسى بعد عيسى فنصرهم الله ولم يكن عيسى امر بالقتال وقيل ظاهرين بالحجة لا بالحرب وقيل حارب مومنوا اصحاب عيسى كافري اصحابه دفاعا عن دينهم فغلبت المومنون الكافرين وقيل فامنت طايفة من بني اسرايل بمحمد عليه الصلوة والسلام وكفرت طايفة **وعن** ابن عباس في قوله فاصبحوا ظاهرين اي قاتلوا ليلا فاصبحوا ظاهرين

سورة الجمعة مدنية

وهي سبعماية وعشرون حرفا ومائة وثمانون كلمة واحدى عشرة اية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ۞ قيل فايدة اعادة ذكر التسبيح في هذه السورة استفتاح السورة بتعظيم الله كما يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اجل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح هو الذي بعث في الاميين الى العرب الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرون من بين الامم والمعنى بعث رجلا اميا في قوم اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله يتلو يقرا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراة ولم يعرف بتعليم وقراة اي بغير تعلم ايه بينه ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية ويعلمهم الكتاب القران والحكمة السنة وان هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي وانهم كانوا من قبل محمد لفي ضلال لا ترى اعظم منه ضلالا واخرين معطوف على الاميين يعني هو الذي بعث في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين الذين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل هم اولاد الصحابة من ادركوا النبي وقيل هم العجم فانه لما نزلت قيل منهم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان بالثريا لناوله رجال من هولا وقيل هم الذين من بعدهم الى يوم القيمة وقيل واخرين في محل النصب عطفا على الضمير الذي هو مفعو

بعلم

يعلم اي يعلمهم ويعلم اخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مسندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الذي لا يمتنع عليه شي الحكيم الذي يضع كل شي موضعه على وفق مشيته ذلك اي بعث رجل من الامم رسولا وقيل انقياد الناس لامره وقيل الاسلام فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم الشامل للدنيا والاخرة **قوله تعالى** مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بيس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ قل يايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون مثل الذين حملوا التورية اي كلفوا العمل بما فيها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم والحكمة الاسفار جمع سفر وهي الكتب العظام شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بما فيها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به بالحمار حمل اسفارا فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله بيس المثل مثل القوم اي اليهود الذين كذبوا بايات الله الداله على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل بيس مثل القوم مثل الذين كذبوا بايات الله فحذف المضاف والذين في محل الرفع وان سيت جررت والمذموم محذوف كما حذف الممدوح في قوله نعم العبد والله لا يهدي لا يرشد القوم الظالمين قل يا محمد يايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اوليا الله يريد قولهم نحن ابنا الله واحباوه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا من دون الناس يعني محمدا واصحابه فتمنوا الموت اي ان كان قولكم حقا وزعمكم صدقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى ذكر كرامته التي اعدها لاوليايه ان كنتم صادقين انكم اوليا الله من دون الناس فان الموت يوصلكم اليه ولا يتمنونه اي الموت ابدا بما قدمت بسبب ما قدمت ايديهم من الكفر وتغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها منكم احد الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد كما تمالك احدا ان يتمنى وهي احدى المعجزات قال صاحب الكشاف ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتي مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قل يا محمد لليهود ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم وتفوتونه فانه ملاقيكم لا محالة ودخل الفا في الخبر لتضمن الذي هو نعت الاسم معنى الشرط ثم تردون بالموت الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم فيخبركم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه **قوله تعالى** يايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون يايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة يدل على ذلك ما روى الزهري عن السايب ابن يزيد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم موذن واحد لم يكن له موذن غيره وكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن على المسجد فاذا نزل اقام الصلوة ثم كان ابو بكر كذلك وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فامر بالتاذين الاول على دار له بالسوق يقال لها الزورا فكان يوذن له عليها فاذا جلس عثمان على المنبر اذن موذنه الاول فاذا نزل اقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه من يوم بيان لاذا وتفسير له وقيل من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة لقوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض عن النبي عليه السلام انما سميت الجمعة لان ادم عليه السلام جمع فيها خلقه وقيل لان الله فرغ فيه من خلق الاشيا فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوي وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل ان اول من سماها جمعة الانصار **عن** ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم

المدينة وقيل ان نزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم
ايضا مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونصلي ونشكره او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد
للنصارى فاجعلوا يوم العروبة لنا فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه
فذبح لهم اسعد بن زرارة رضي الله عنه شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة لقلتهم فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في
الاسلام فاما اول جمعة جمعها رسول الله باصحابه فقالوا اهل السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى
نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام صلى الله عليه
وسلم بقبا يوم الاثنين ويوم الثلثا ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الاسلام فخطب في هذه الجمعة وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله احمده
واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من
الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه
خير ما اوصى المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله تعالى لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون
من امر الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا
فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف
بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم
واجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله يوقي
مقته ويوقي عقوبته ويوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد
علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا
لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك
من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلهذا صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة وهو قول جمهور
العلما وقال الحسن هي مستحبة وليست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من الظهر فاذا تركها وصلى ركعتين من الجمعة
فقد ترك الركعتين من الظهر واقل ما يجزي من الخطبة الاولى ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا
اية من القران في الخطبة الاولى ويجب في الثانية اربع كالاولى الا ان الواجب بدل قراءة الاية الدعا هذا قول اكثر الفقها وقال
ابو حنيفة لو اقتصر على التسبيح او التحميد او التكبير اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم الخطبة ثم القيام
شرط في صحة الخطبة مع القدرة عليه في قول عامة الفقها الا ابا حنيفة فانه لم يشترطه فيها والدليل على ان القيام شرط في الخطبة
قوله تعالى وتركوك قايما وحديث ابن عمر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الخطبتين الا وهو قايم وللشافعي قولان في الطهارة
في الخطبة الجديد على انها شرط والقديم ليست بشرط وهو مذهب ابي حنيفة هذا بيان القول في اول جمعة جمعت في المدينة
وبعدها اول جمعة جمعت في الاسلام بقرية يقال لها جواثى من قرى البحرين فامضوا الى ذكر الله وعنه ما سمعت عمر قط يقراها
الا فامضوا الى ذكر الله وعنه انه كان يقراوها فامضوا الى ذكر الله وروى الاعمش عن ابراهيم كان عبد الله يقراوها فامضوا الى ذكر
الله ويقول لو قراتها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وهي قراءة ابي العالية وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولقد
نهوا ان ياتوا المسجد الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع قتادة انه كان يقول في هذه الاية
فاسعوا السعي ان تسعى بعملك وهو المشي اليها قال الشافعي السعي في هذا الموضع هو العمل فان الله تعالى يقول ان سعيكم لشتى وقال
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الى ذكر الله اي الى الصلوة وعن سعيد بن المسيب فاسعوا

الى ذكر الله موعظة الامام وقيل الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب
على مقدار يسمى ذكر الله كقوله سبحان الله والحمد لله جاز قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت
ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى خلفايه الراشدين واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في
حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من
ذكر الله على مراحل وذروا البيع يعني البيع والشرا لان البيع يتناول المعنيين جميعا وانما يحرم البيع عند الاذان الثاني وقال
الزهري عند خروج الامام الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا قيل واراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل
الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت
هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر
البيع والشرا فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الدنيا
واسعوا الى ذكر الله الذي لا شي انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه متقارب والبيع في ذلك وان كان
حراما فهو صحيح لان البيع لم يكن منهيا عنه في ذلك لعينه ولما هو داخل فيه ولا لما هو خارج لازم له بل انما هو منهي عنه بسبب
امر قارنه بطريق الاتفاق وهو ما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب
والوضوء بما مغصوب واعلم ان صلوة الجمعة واجبة على كل مسلم عاقل بالغ الا المراة والعبد والمريض مرضا يتضرر بحضوره
قال رسول الله تجب الجمعة على كل مسلم الا امراة او صبيا او مملوكا وقال صلى الله عليه وسلم تحرم التجارة عند الاذان يوم الجمعة
ويحرم الكلام عند الخطبة وتحل التجارة بعد يوم الجمعة ولا تجب الجمعة على اربع المريض والعبد والصبي والمراة فمن استغنى بلهو
او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وتجب الجمعة على اهل القرى اذا سمعوا النداء من المصر ووقت اعتبار سماع
الاذان ان يكون المؤذن صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد يعتبر كل قرية بالسور
التي يليها هذا مذهب الشافعي وقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على كل من كان على عشرة اميال من مصر وقال سعيد ابن
المسيب تجب على من اواه قال الزهري تجب على من كان ستة اميال ربيعة اربعة اميال مالك والليث ثلثة اميال وقال ابو
حنيفة لا تجب على اهل السواد سواء كانت قريبة او بعيدة حتى حكى ان محمد بن الحسن سيل هل تجب الجمعة على اهل زبارة وبينها
وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا ولا تقام الجمعة عنده الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى
الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه
لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جاير الحديث وقوله اربع الى الولاة الفي والصدقات والحدود والجمعات
فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز الا ان لا يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي
تنعقد بثلثة سوى الامام وقال الشافعي لا تنعقد الجمعة الا باقل من اربعين نفسا فكل قرية جمعت اربعين بالغين عاقلين احرارا
مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وجبت عليهم من غير اعتبار عدد والحجة على ابي حنيفة حديث ابن عباس اول
جمعة جمعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في قرية من قرى البحرين يقال لها جواثا وروي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى اهل البحرين صلوا الجمعة حيث ما كنتم والدليل على ان السلطان واذنه ليس بشرط في انعقاد الجمعة ما روي ان الوليد
ابن عقبة والي الكوفة ابطا يوما في حضور الجمعة فتقدم عبد الله بن مسعود وصلى بالناس الجمعة من غير اذنه وان علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه صلى الجمعة يوم حصر عثمان رضي الله عنه ولم ينقل انه استاذنه وان سعيد بن العاص والي المدينة لما
اخرج من المدينة صلى ابو موسى الاشعري الجمعة من غير استيذان ولا يجوز ان يصلي في بلد واحد الا جمعة واحدة فان
صليت ثانية بطلت وقال ابو يوسف اذا كان البلد جانبين جاز ان يصلي في كل جانب منه جمعة وقال محمد بن الحسن يجوز ان
يصلي في بلد واحد جمعتان استحسانا فاما الوعيد الوارد لمن ترك صلوة الجمعة من غير عذر فما روى جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين
اقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يشهدونها او ليطبعن الله على قلوبهم او ليكتبن من الغافلين او ليكونن من اهل النار وروي

انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ان الله افترض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا فمن تركها في حياتي او بعد مماتي وله امام
عادل او جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله الا ولا حج له الا ولا صوم له ومن تاب تاب الله عليه وعن ابي بكر
الصديق وعمران بن حصين رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه
فاذا اخذ في المشي كتب له بكل خطوة عمل عشرين سنة فاذا فرغ من الجمعة اجير بعمل مائتي سنة وعنه صلى الله عليه وسلم من اغتسل
يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في
الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب
بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وعنه صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي الى السماء رايت تحت العرش سبعين
مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد
الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل في الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه
اهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين يصبح حتى تغرب الشمس
شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم يسال الله تعالى شيا الا اعطاه اياه قال ابو هريرة قال
عبد الله بن سلام هي اخر ساعة في يوم الجمعة فقلت له كيف تكون اخر ساعة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم
وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال ابن سلام الم يقل النبي عليه السلام من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلوة حتى
يصليها قلت بلى قال فهو ذلك وعن انس بن مالك ابطا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما خرج قلنا احتبست
قال ذاك ان جبريل عليه السلام اتاني كهيئة المراة البيضاء فيها نكتة سوداء فقال ان هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد ارادها
اليهود والنصارى فاخطاوها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها مسلم يسال
الله فيها خيرا الا اعطاه اياه او ذخر له مثله يوم القيمة او صرف عنه من السوء مثله وانه خير الايام عند الله وان اهل الجنة
يسمونه يوم المزيد قلت يا رسول الله وما يوم المزيد قال ان في الجنة واديا افيح فيه مسك ابيض ينزل الله اليه كل يوم جمعة
فيضع كرسيه ثم يجاء بمنابر من نور فتوضع خلفه فتحف الملائكة ثم يجيء بكراسي من ذهب فتوضع ثم يجيء النبيون والصديقون والشهداء
والمومنون واهل الغرف فيجلسون ثم يسلم الله تعالى فيقول اي عبادي سلوا فيقولون نسالك رضوانك فيقول قد رضيت
عنكم فيسلونه منامهم فيعطيهم ما شاوا واضعافه فيعطيهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يقول
الم انجز لكم وعدي واتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي ثم ينصرفون الى غرفهم ويعودون كل يوم جمعة قلت يا جبريل وما
غرفهم قال من لولوة بيضاء او ياقوتة حمراء او زبرجدة خضراء منورة فيها انهارها فيها ازواجها مطردة فيها انهارها وعن
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ليلة الجمعة ويوم الجمعة اربعة وعشرون ساعة لله في كل ساعة ستماية الف عتيق
من النار فاذا قضيت الصلوة فرغ منها فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي الرزق
المطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من التجارة ولا
غيرها عنه وان يكون همهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا يستغصون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وهذا امر
اباحة وتخيير كقوله واذا حللتم فاصطادوا وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله ليس بطلب دنياكم ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل صلوة تطوع الحسن
وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم جعفر الصادق وابتغوا من فضل الله يوم السبت واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها عن جابر بن عبد الله اقبلت عير ونحن نصلي مع النبي عليه السلام الجمعة فانفض
الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلا انا فيهم فنزلت واذا راوا تجارة وروي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم
دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا
اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قيل ثمانية وقيل احدى عشر وقيل اثنا عشر وقيل
اربعون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وكانوا اذا

اقبلت

اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو عن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير المقاتلان بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن مناة
من الشام بتجارة وكان اذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر
او غيره فنزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب الطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا
منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله قايم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس فلم يبق في المسجد الا اثنى
عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا هولا لقد سومت لهم الحجارة من السما وانزل الله تعالى هذه الاية واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا
انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وتركوك قايما على المنبر وجهه بالهمزة اذا راوا تجارة متعلقة بنفع دنيوي
انفضوا اليها بل اذا راوا لهوا لا نفع فيه اصلا انفضوا اليها وتركوك قايما على المنبر قل ما عند الله خير من اللهو الذي لا نفع فيه
بل خير من التجارة التي فيها نفع في الجملة قدم اللهو على التجارة في الاخر والتجارة على اللهو في الاول فان المقام يقتضي هكذا
والله خير الرازقين لانه موجد الارزاق فاياه فاسلوا ومنه فاطلبوا وقيل لم يكن تفوتكم الرزق لو اقمتم لان الله خير
الرازقين **سورة المنافقين مدنية** وهي سبع مائة وست وسبعون حرفا ومائة ثمانون كلمة واحدى
عشرة اية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم
امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب
مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يوفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون ذكر اهل التفسير انها نزلت في عبد الله بن ابي ونظرائه وكان
السبب ان عبد الله خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في خلق كثير من المنافقين الى المريسيع وهو ماء لبني المصطلق طلبا
للغنيمة لا للرغبة في الجهاد لان السفر كان قريبا فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوه اقبل رجل من جهينة يقال
له سنان وهو حليف لعبد الله بن ابي ورجل من غفار يقال له جهجاه بن سعيد وهو اجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
لاستقاء الماء فدار بينهما كلام فرفع الغفاري يده فلطم الجهني فادماه فنادى الجهني يا آل الخزرج فاقبلوا ونادى الغفاري
يا آل قريش فاقبلوا فاصلح الامر قوم من المهاجرين فبلغ عبد الله بن ابي فقال وعنده جماعة من المنافقين والله ما مثلكم
ومثل هذا الرهط من قريش الا مثل ما قال الاول سمن كلبك ياكلك ولكن هذا فعلكم بانفسكم اويتموهم في منازلكم
وانفقتم عليهم اموالكم فقووا وضعفتم وايم الله لو امسكتم ايديكم لتفرقت عن هذا جموعه ولئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وكان زيد بن ارقم وهو غلام يومئذ لابويه اليه فقال لعبد الله انت الذليل القليل فقال انما كنت
العب فاقبل زيد بالخبر الى رسول الله عليه السلام فقال عمر دعني اضرب عنقه فقال اذن ترعد له انف كثيرة فان
كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة او عباد بن بشر فليقتله فقال اذن يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال انت صاحب هذا الكلام
فقال والذي انزل عليك ما قلت شيا من هذا وان زيدا لكذاب فقال من حضر لا نصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون
قد وهم فعذره رسول الله وفشت الملامة في الانصار لزيد وكذبوه وقال له عمه ما اردت الا ان كذبك رسول الله والمسلمون
مقتوا فاستحيا زيد وجلس زيد في بيته وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه فاتى رسول الله فقال بلغني انك
تريد قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعله فمرني به فانا احمل اليك راسه فاني اخشى ان يقتله غيري فلا تدعني
نفسي حتى اقتل قاتله فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نحسن صحبته ما بقي معنا وانزل الله تعالى سورة المنافقين
في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فارسل رسول الله الى زيد فقراها عليه وقال ان الله قد صدقك ولما اراد عبد الله بن
ابي ان يدخل المدينة جاءه ابنه فقال وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا يدخلها الا باذن رسول الله ليعلم اليوم من الاعز ومن

الاذل فشكي عبد الله الي رسول الله ما صنع ابنه فارسل رسول الله ان خل عنه حتي يدخل فلما نزلت السورة وبان كذبه قيل له
يا ابا حباب انه قد نزلت فيك ايات شداد فاذهب الي رسول الله ليستغفر لك فلوي راسه فذلك قوله لووا رووسهم وقيل ان الذي
قال له هذا عبادة ابن الصامت اذا جاك المنافقون يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا نشهد اي اذا حضروك شهدوا شهادة
موكدة بانك رسول الله وقيل معني يشهد يحلف ولهذا وقع بعده ان واللام وقيل معني نشهد نعلم انك لرسول الله ها هنا تم الخبر عنهم
ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطاة فيها قلوبهم والسنتهم ثم ابتدا فقال تعالي والله يعلم انك لرسوله
اي قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم نشهد وادعايهم
فيه المواطاة وقيل انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلي عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة
وقيل اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر علي
خلاف ما عليه حال المخبر عنه وقيل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما اظهروا لانهم اضمروا خلافه قال صاحب الكشاف
اي فايدة في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم
ان قولهم هذا الكذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان
قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجري الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول
الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة علي ان اشهد يمين ويجوز
ان يكون وصفا للمنافقين في استخفافهم بالايمان فصدوا عن سبيل الله اي فاعرضوا عن طاعة الله وقيل فصد
عزمهم علي الايمان انهم سا ما كانوا يعملون اي بيس العمل عملهم حين اظهروا خلاف ما اضمروا وحلفوا عليه كاذبين ذلك
اشارة الي قوله سا ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب انهم امنوا اي
اذا راوا المومنين ثم كفروا اذا خلا بعضهم الي بعض وقيل ذلك اشاره الي ما وصف من حالهم في النفاق والكذ
بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا
ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليهم من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع
هذا الرجل ان يفتح له قصور كسري وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل انهم امنوا اي نطقوا بالايمان عند
المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزا بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الي شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون وقيل اراد اهل الردة منهم فطبع علي قلوبهم حتي لا يدخلهم
الايمان جزا في نفاقهم فهم لا يفقهون لا يفهمون صحة الايمان واعجاز القران كما يفهمه المومنون واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم لاستوا خلقتها وحسن صورها وطول قامتها قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صحيحا صبيحا
فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في صفته وهم رووسا المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلي
الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلي الله عليه وسلم ومن حضر
يعجبون بهياكلهم فاذا قالوا سمع النبي صلي الله عليه وسلم قولهم قال الله تعالي وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم
خشب مسندة اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان
والخير بالخشب المسندة الي الحايط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع
وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الي الحايط فشبهوا به في عدم الانتفاع وقيل يجوز ان يراد بالخشب
المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الي الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب
في رايتهم لرسول الله صلي الله عليه وسلم او لكل من يخاطب قرا ابن كثير وابو عمرو والكسايي خشب بضم الخا وسكون السين
والباقون بضمهما جمع خشبة علي القراتين وموضع كانهم خشب رفع اعلانهم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا
محل له يحسبون من جبنهم وسو ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة مفعول اول يحسبون عليهم ثاني مفعول يحسبون اي يحسبون

كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم مثل ان نادي مناد في العسكر او انفلتت دابة او نشدت
ضالة ظنوا انهم يرادون لما في قلوبهم من الرعب وقيل انما ذلك لانهم علي وجل من ان ينزل الله فيهم امرا يهتك
استارهم ويبيح دماهم واموالهم ثم قال هم العدو مبتدا وخبر اي هم الكاملون في العداوة لان اعدا الاعدا
العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الدا الدوي فاحذرهم ولا تامنهم ولا تغتر بظاهرهم وقيل يجوز
ان يكون هم العدو المفعول الثاني ليحسبون كالوحد فيهم وانما قال هم ولم يقل هي نظرا الي الخبر كما ذكرنا
في هذا ربي وقيل يجوز ان يقدر مضاف محذوف علي معني يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعا عليهم وطلب
من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم وقيل تعليم للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك اني يوفكون كيف يصرفون عن الحق
تعجبا من جهلهم وضلالهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله اي اتاولوها واعرضوا بوجوههم اظهار
الكراهية واستكبارا قرا نافع لووا بتخفيف الواو والباقون بالتشديد لانهم قد فعلوها مرة بعد اخري
ورايتهم يصدون يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون لا يستغفرون **قوله تعالي** سوا عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ◦ سوا عليهم الاستغفار وعدمه
لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم ولان الله لا يغفر لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين **قوله
تعالي** هم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتي ينفضوا ولله خزاين السموات والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون حتي يتفرقوا ولا خزاين السموات والارض اي ان الله يرزق المهاجرين لا هولا وهو يرزق
المومنين والكافرين جميعا قيل خزاين الله مقدوراته التي يخرج منها ما يشا ولكن المنافقين لا يفقهون لا يفهمون
ان خزاين السموات والارض لله وقال الجنيد خزاين السما الغيوب وخزاين الارض القلوب وهو علام الغيوب
ومقلب القلوب وكان الشبلي ولله خزاين السموات والارض فاين تذهبون **قوله تعالي** يقولون
لين رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون يقولون
اي المنافقون عبد الله ابن ابي واصحابه والله لين رجعنا من غزاة بني لحيان ثم بني المصطلق وهو حي من هذيل
الي المدينة ليخرجن الاعز عني به نفسه منها من المدينة الاذل يعني به لعنه الله محمدا عليه افضل الصلاة
واكمل التحيات ولله العزة والغلبة والقوة ولرسوله الذي اعزه الله وايده وللمومنين الذين هم الاخصا بذلك
فعزة الله قهره من دونه وعزة رسوله اظهار دينه علي الاديان كلها وعزة المومنين نصره اياهم علي اعداهم
وهم ظاهرون وقيل عزة الله الولاية قال الله تعالي هنالك الولاية لله الحق وعزة الرسول الكفاية قال
الله تعالي انا كفيناك المستهزيين وعزة المومنين الرفعة والرعاية قال الله تعالي وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
وقال وكان بالمومنين رحيما وقيل عزة الله الربوبية وعزة الرسول النبوة وعزة المومنين العبودية وكان
جعفر الصادق يقول من مثلي ورب العرش معبودي من مثلي وانت لي وقيل عزة الله خمسة عز الملك والبقا وعز
العظمة والكبريا والبقا وعز الرسول خمسة عز السبق والابتدا وعز الانفراد والندا وعزه قدم السبق علي
الانبيا وعز الاجتبا والاصطفا وعز الظهور علي الاعدا وعز المومنين خمسة عز التاخير بيانه نحن الاخرون
السابقون يوم القيامة وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القران للذكر يريد الله بكم اليسر وعز التبشير بيانه
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوقير بيانه وانتم الاعلون وعز التكثير بيانه انهم اكثر الامم ولكن المنافقين
لا يعلمون ان العزة لله ولرسوله وللمومنين وانهم لا يقدرون علي اخراجهم من المدينة **قوله تعالي**
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يوخر الله
نفسا اذا جا اجلها والله خبير بما تعملون ◦ يا ايها الذين امنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في
تدبير امرها والتهالك علي طلب النما فيها بالتجارة والاغلال وابتغا النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولا

وسرورهم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمونتهم وتسوية ما يصلحهم من معايشكم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شي وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله قيل عن الصلوات الخمس نظيره لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي الاشتغال بالاموال والاولاد حتى الهي عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل عن ذكر القران الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وانفقوا مما رزقناكم اي اجعلوا المال فدا انفسكم وادوا الزكوة من ها للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت اي اسبابه اي من قبل ان يرى علامات الموت ويعاين ما ياس من الامهال ويضيق لهم الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول ويتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه ۔ وعن ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال فلم يود زكاته واطاق الحج فلم يحج الا سال الرجعة عند الموت فلا يعطاها فقالوا يا ابن عباس اتق الله فانما نرى هذا للكافرين يسال الرجعة فقال انا اقرا عليكم به قرانا ثم قرا هذه الاية الى قوله فاصدق واكون من الصالحين ۔ وعنه تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل فيقول رب لولا اخرتني امهلتني يجوز ان يكون لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني ويجوز ان تكون لولا بمعنى هلا فيكون استفهاما اي هلا اخرت موتي الى اجل قريب يعني مثل ما اجلت لي في الدنيا وقيل الى اجل قريب الى زمن قليل فاصدق فاتصدق وازكي واكون من الصالحين قيل هذه الاية نزلت في المنافقين واكون من الصالحين من المومنين وقيل الصلاح ههنا الحج والاية نازلة في المومنين قرا ابو عمرو واكون بالواو والنصب على جواب التمني او الاستفهام وانما حذفت الواو من المصحف اختصارا والباقون بالجزم عطفا لها على محل فاصدق لو لم يكن فيه الفا وذلك لان قوله فاصدق لو لم يكن فيه الفا كان جزما كانه قيل اخرتني اصدق واكن ولن يوخر الله نفسا نفي للتاخير على وجه التاكيد عن الموت اذا جا اجلها اذا انقضا اجلها المكتوب في اللوح المحفوظ والله خبير بما تعملون والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وانه عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعدا للقا الله قرا عاصم يعملون بالياء والباقون بالتاء

سورة التغابن مدنية

قال الجمهور منهم ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة الضحاك انها مكية عطا ابن يسار هي مكية الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة وهي يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم والثنتان بعدها وهي الف وسبعون حرفا ومايتان واحدى واربعون كلمة وثمانية عشر اية ۔ **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن والله بما تعملون بصير له الملك وله الحمد تقديم المجرورين تدل على معنى الاختصاص الملك والحمد لله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدي كل شي ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لانه متصف بالصفات الجميلة ومنه اصول النعم وفروعها واما ملك غيره فتسليط منه واسترعا وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شي قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر قيل ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا رواه الوالبي عن ابن عباس والاحاديث تعضده قال صلى الله عليه وسلم خلق فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى ابن زكريا في بطن امه مومنا وقال عليه السلام فيومر الملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد وقيل تم الكلام عند قوله خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن وهو مثل قوله والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه والله خلقهم والمشي فعلهم لو خلقهم كافرين ومومنين لما وصفهم بفعلهم فمنكم كافر ومنكم مومن والكفر فعل الكافرين والايمان فعل المومنين واحتج بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وبقوله عليه السلام اخبارا عن ربه اني خلقت عبادي كلهم حنفا ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويلها فروى ابو الجوزا عن ابن عباس فمنكم مومن يكفر ومنكم كافر يومن وقال ابو سعيد الخدري فمنكم كافر في حياته مومن في العاقبة ومنكم مومن في حياته كافر في العاقبة الضحاك فمنكم

كافر

كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم مومن في السر كافر في العلانية كعمار ودونه عطا ابن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانوا وقال الزجاج وهو احسن ما قيل فيها هو الذي خلقكم فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب اهل الدهر والطبايع ومنكم مومن بان الله خلقه والذي عليه جمهور الامة والايمة والمحققون من اهل السنة والجماعة هو ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وخلق المومن والايمان فعلا له والكافر يكتسب الكفر ويختاره بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه والمومن مومن ويختار الايمان بعد خلق الله تعالى اياه لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ولا يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدره الله عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز وخلاف المعلوم جهل والله منزه عن العجز والجهل لانهما على الله محالان لا يليقان به ومن سلك هذا السبيل سلم من الجبر واجاب الحق لقول لبيد

يا ناظري لدين ما الامر لا قدر صح ولا جبر

حكي ان قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت فيه الظنون واختلف فيه المحققون فالواجب علينا ان نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق من علمه قال صاحب الكشاف فمنكم كافر ومنكم مومن يعني فمنكم ات بالكفر وفاعل له ومنكم ات بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم الذين من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان ينظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مومن وقدم الكفر لانه الغالب عليهم والاكثر فيهم فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مومنا اما يطبق العقلا على ذم الواهب والتعنيف والدق في فروه كما يذمون القاتل بل الحاقهم باللوايم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفا وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداع الحكمة الى خلقها وسداد هذا الكلام وعدم دلالة اللفظ على مقصده ظاهر لا يحتاج الى التعريض له والله بما تعملون بصير باعمالكم فيجازيكم عليها **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بالحق بالعدل وقيل بالحق دون الباطل وقيل على وفق علمه وارادته وحكمته وصوركم فاحسن صوركم اي جعلكم احسن الحيوان كله وابهى بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال في احسن تقويم وقيل جعل صورة الانسان احسن صور الحيوان ولم يشارك بني ادم في صورته وشكله غيره من الموجودات وهذا معنى قوله عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته فاحسن صورته اي صورته التي صوره عليها وقيل الها تعود الى الله واضافته الى نفسه تعالى تقدس اجلالا لا لانم كبيت الله وناقة الله وقيل في قوله فاحسن صوركم زينه حسنه في العقل والحكمة ولم يرد استحلا الناظر فقد قيل الحسن ههنا قبول الطبع فان ابن ادم لو خير بين الصور لما اختار الا صورته قال صاحب الكشاف فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة يقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره

من المعاني على طبقات ومراتب فلا انحطاط لبعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي
عليها لا تستملح والا فهي داخله في حيز الحسن غير خارجه من حده الا ترى انك قد تعجب بصوره وتستملحها ولا ترى لها
ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن منها فتنبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتعلقك عليها
وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان بعلم ما في السموات والارض نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم
بعلمه ما يسر العباد وما يعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور وانه عالم بكل شي من الكليات والجزئيات غير خاف
عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترا على مخالفه ما امره ونهاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما
ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مومن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعبد غير الخالق **قوله تعالى**
الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا
ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد الم ياتكم الخطاب لكفار مكه نبا الذين كفروا من قبل يعني
الامم الماضية لقوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين فذاقوا الفا للتعقيب اي كفروا فذاقوا
وبال امرهم وبال كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في العقبى ذلك الوبال والعذاب بانه بسبب انه ان الشان
والحديث كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات فقالوا ابشر يهدوننا ولم يقل يهدينا لان البشر وان
كان لفظه واحدا فهو في معنى الجمع فانه اسم جنس يقع على الواحد والجمع انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان
يكون الاله حجرا فكفروا بالرسل وتولوا واعرضوا عن التفكر في البينات واستغنى الله اطلق ليتناول كل شي ومن
جملته ايمانهم وطاعتهم والله غني عن خلقه حميد في افعاله **قوله تعالى** زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل
بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير زعم ادعى الذين كفروا العلم الزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم
قال ولم ازعمك اذ ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قايم مقام المفعولين الذين كفروا اهل مكة ان لن يبعثوا ان الشان
لن يبعثوا قل يا محمد لهم بلى اثبات لما بعد ان وهو البعث اي ليس الامر كما زعمتم وربي لتبعثن اكد الاخبار باليمين ثم
لتنبؤن ولتحاسبن بما عملتم بعملكم وتجازون عليه وذلك اي البعث على الله يسير لا يصرفه عنه صارف **قوله تعالى**
فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يومن
بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم فامنوا بالله
ورسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا اي القران الذي هو بيان لكل شي والله بما تعملون خبير يوم منصوب
بقوله لتنبؤن وقيل منصوب بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله معاقبكم يوم يجمعكم وقيل منصوب باضمار
اذكر اي اذكر يوم يجمعكم الله ليوم الجمع اي ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون ذلك اليوم يوم التغابن وهو تفاعل
من الغبن وهو فوت الحظ والمراد والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا وقد ورد
في تفسير التغابن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخبر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد
مومن يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن
ليزداد حسرة قال المفسرون المغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة ويظهر يوميذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن
كل مومن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام وقيل التغابن هو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعدا منازل الاشقيا
التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعدا ونزول الاشقيا منازل السعدا التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقيا وفيه تهكم بالاشقيا
لان نزولهم ليس بغبن وقيل يوم التغابن يوم القيمة اي يتغابنون في المنازل عند الله فريق في الجنة وفريق في السعير
وقيل يغبن اهل الجنة اهل النار ويغبن المظلوم الظالم ابن كر التغابن من الغبن وهو الاخفا اي اليوم الذي اخفاه الله
ومنه المغابن ومنه الغبن للموضع الذي يخفى فيه الشي بن علي التغابن التفاوت في اخذ الشي بدون قيمته ومعنى ذلك
يوم التغابن وقد تغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في

امور الدنيا وان جلت وعظمت ومن يومن بالله يصدق بوحدانية الله ويعمل صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا
يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرا نافع وابن عامر ههنا وفي
السورة التي تليها نكفر وندخله بالنون والباقون بالياء **قوله تعالى** والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك
اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير مرجع المغبونين **قوله تعالى** ما اصاب من مصيبة الا باذن
الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شي عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين ما اصاب بني ادم من مصيبة من شدة ومرض وموت اهل او شي يقتضي هما مما يفعله الله وقيل عام في الظلم
والسرقة ومما يلون بين العباد الا باذن الله بارادته وقضايه كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يومن بالله
يصدق به ويعلم ان المصيبة من الله يهد قلبه بوقعه اليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وقيل يهد قلبه للاسترجاع فيقول انا لله وانا اليه راجعون فيصبر على البلا ويشكر على النعما وقيل يزد قلبه
هداية ويثبته عليها وقيل يحتمل ان يكون على القلب اي ومن يهد قلبه يومن بالله وقيل من صح ايمانه
يهد قلبه لاتباع السنة والله بكل شي عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فلا عليه لانه لم يكتب عليه
طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وقيل واطيعوا الله فيما يامركم واطيعوا الرسول فيما يودي عن الله وفي
سنته وقيل واطيعوا الله في الرضا بقضا الله واطيعوا الرسول فيما يامركم بالصبر وترك الجزع **قوله تعالى**
الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون بعث للمومنين على التوكل على الله والتقوي به في امرهم حتى ينصرهم الله
على من كذب وتولى **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما
استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
ازواجا عدوا لكم يعادونكم ويخاصمونكم ويطعن عليكم ومن اولادكم اولادا يعادونكم ويعقونكم ويجرعونكم الغصص
والاذى فاحذروهم الضمير للعدو وقيل للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم انهم عدو لكم فكونوا منهم على حذر
ولا تامنوا غوايلهم وشرهم نزلت في قوم ارادوا الهجرة فثبطهم عنها ازواجهم واولادهم قال ابن عباس كان الرجل
يسلم فاذا اراد ان يهاجر منعه اهله وولده وقالوا ننشدك الله ان تذهب وتدع اهلك وعشيرتك وتصير
بالمدينة بلا اهل ومال وانا قد صبرنا على اسلامك فلا نصبر على فراقك ولا نخرج معك فمنهم من يرق لهم ويقيم لذلك ولا
يهاجر واذا هاجر وراى الناس قد فقهوا في الدين هم ان يعاقبهم في تباطيهم به عن الهجرة ومنهم من لا يطيعهم ويقول لهم في
خلافهم اياه في الخروج لين جمعنا الله واياكم لا تصيبون مني خيرا ولا افعل فانزل الله هذه الاية وقال عطا بن يسار وعطا
الخرساني نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد فكان اذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا الى من
تكلنا الى من تدعنا فيرق ويقيم فانزل الله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يحملهم اياكم على المعصية
وترك الطاعة فاحذروهم ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا فلا تعاقبوهم على خلافهم وتثبيطهم اياكم وقيل قالوا لهم
اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لين جمعنا الله في دار الهجرة لم يصبكم بخير
فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا تكرار للتاكيد
والمراد بها واحد وقيل تعفوا تتركوا عتابهم فاصله المحو وتصفحوا تولوهم صفحة اعناقكم بالاعراض عن التوبيخ وتغفروا
تستروا ذنوبهم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة محنة وبلا واختبار يحملكم على الكسب من الحرام والمنع
عن الحق ويوقعكم في الاثم والعقوبة ولا بلا اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم قيل ادخل من
للتبعيض في ذكر الازواج والاولاد حيث اخبر عن عداوتهم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما
اموالكم واولادكم فتنة لانها لا تخلوا عن فتنة واشتغال القلب بها عن عبد الله بن مسعود لا يقولن احدكم

اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ
بك من مضلات الفتن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجا الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهما فوضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة
رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم في الاخرة وذلك اعظم من منفعتكم باموالكم
واولادكم فاتقوا الله ما استطعتم اي اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتنكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ما
استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به وتنهون
عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم
وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم
من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه بخلها
وحرصها وقد تقدم فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا على نيه واخلاص يضاعفه لكم يكتب لكم
بالواحدة عشرا وسبعماية الى ما شا من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يقبل القليل ويعطي الجزيل حليم
عن المعاجلة عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

سورة الطلاق

وتسمى سورة النسا القصرى وهي الف وستون حرفا ومايتان وتسع واربعون كلمة واثنتا عشرة اية

قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن
الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة
لله ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل
على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شي قدرا ● يا ايها النبي خص النبي صلى الله عليه وسلم بالندا ثم جمع
الخطاب فقال اذا طلقتم لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت
اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر
دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النسا اي
اذا اردتم تطليق النسا وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله فاذا قرات
القران فاستعذ بالله فطلقوهن لعدتهن وهو ان يطلقها طاهرا من غير جماع يعني فطلقوهن لعدتهن في حال
طهرهن من غير ان يكونوا جامعتموهن منذ طهرن تطليقة واحدة وهو طلاق السنة وقيل يقول طلقوهن فطهرهن
الذي يحصيه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قروهن وهذا للمدخول بها لان من لم يدخل بها
لا عدة عليها فاذا طلقها في طهر لم يجامعها فيه تقع طلاقه واصاب السنة فان طلقها حايضا وقع الطلاق ولم
يكن طلاق السنة ● وقال سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع لانه خلاف ما امروا اليه ذهب الشيعة فان طلقها
في طهرها ثلاثا فكرهه قوم وقالوا ليس بطلاق سنة لانه لم يدع للامساك موضعا وكان الشافعي والجمهور
يبيحونه ولا يكرهونه لان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته ثلاثا قال صاحب الكشاف فطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها
فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى ينقضي عدتهن وهذا احسن
الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى ينقضي العدة وكان احسن
عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلثة اطهار ● وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث
مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في

الاطهار

الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حايض ما هكذا امرك الله انما
السنة ان يستقبل الطهر استقبالا ويطلقها لكل قرء تطليقة ● وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها
حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شا فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وعند الشافعي لا حرمة بارسال
الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو غير محرم فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة
والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده والطلاق المخالف للسنة واقع
والمطلق اثم لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال ايلعبون بكتاب الله وانا
بين اظهركم ● وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال اذا عصيت وبانت منك امراتك
وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يوتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز عليه ذلك واختلف المفسرون فيمن
نزلت فيه هذه الاية عن قتادة عن انس قال طلق رسول الله حفصة فاتت الى اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النسا الاية وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من احدى نسايك وازواجك في الجنة وقال السدي نزلت في
عبد الله وذلك انه طلق امراته حايضا فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة
اخرى فاذا طهرت طلقها قبل ان يجامعها او يمسكها فانها العدة التي امر الله تعالى بها عن ابن عمر طلقت امراتي على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة اخرى فاذا طهرت فليطلقها ان شا
قبل ان يجامعها او يمسكها فانها العدة التي امر الله ان تطلق لها النسا وقال المقاتلان نزلت في عبد الله بن عمرو بن
العاص وعمرو بن سعيد وطفيل بن الحرث وعتبة بن غزوان عن حميد بن عبد الرحمن قال بلغ ابا موسى ان النبي صلى الله
عليه وسلم وجد عليهم فاتاه فذكر له ذلك فقال له رسول الله يقول قد زوجت قد طلقت وليس كذلك عدة المسلمين
طلقوا المراة في قبل عدتها وفي هذه الاية دليل واضح ان السنة والبدعة اعتبارهما في وقت الطلاق لا في عدد
الطلاق لان الله تعالى ذكر وقت الطلاق فقال فطلقوهن لعدتهن ولم يذكر عدد الطلاق وكذلك في حديث
ابن عمر الذي رويناه دليل ان الاعتبار بالوقت لا بالعدد لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق
يهتز منه العرش وقال ايما امراة سالت زوجها الطلاق في غير باس فحرام عليها ريح الجنة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق واحصوا العدة اي عدد اقرايها فاحفظوها
وقيل واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقرا مستقبلات لو امل لانقضاء فيهن ولا تخرجوهن حتى ينقضي عدتهن
من بيوتهن من مساكنهن واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى ينقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل
العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ولا يخرجن ومعنى الجمع بين اخراجهم
وخروجهن ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن
في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان
ياتين بفاحشة مبينة قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل معناه الا ان يطلقن على نشوزهن والنشوز
يسقط حقها في السكنى والفاحشة النشوز وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذاءتهن ● عن ابن عباس في قوله
تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال الا ان يبذوا على اهلها فاذا بذت عليهم فقد حل لهم اخراجها وتلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه استحق عقاب الله وقيل منع
نفسه ما كان الله جعله له وهي المراجعة لا تدري النفس وقيل لا تدري انت يا ايها النبي وقيل ايها المطلق لعل
الله يحدث بعد ذلك امرا اي مراجعة في الواحدة والثنتين ما دامت في العدة ● عن الشعبي قال دخلت على
فاطمة بنت قيس بالمدينة فسالتها عن قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته

الي رسول الله صلى الله عليه وسلم في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكني ولا نفقه وامرني ان اعتد في بيت ام مكتوم
وعن عبيد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو بن حفص بن المغيره المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه الي اليمن حين امره رسول الله على بعض اليمن فارسل الي امراته فاطمة بنت قيس بتطليقه كانت بقيت
لها من طلاقها وامر عياش بن ابي ربيعه والحرث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا لها والله ما لك من نفقه الا ان تكوني
حاملا فاتت النبي عليه السلام فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقه الا ان تكون حاملا واستاذنت في الانتقال فاذن
لها فقالت اين انتقل يا رسول الله قال عند بن ام مكتوم وكان اعمي تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هنالك حتى مضت
عدتها فانكحها النبي اسامة بن زيد فارسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذويب يسالها عن هذا الحديث فقالت
مروان ان بيني وبينكم القران قال الله لا تخرجوهن من بيوتهن الي قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قالت هذا لمن كانت
له مراجعة فاي امر يحدث بعد الثلث قال صاحب الكشاف الامر الذي يحدث الله ان يقلب قلبه من بغضها الي محبتها
ومن الرغبة عنها الي الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الي الندم عليه فراجعها والمعنى يطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضا عدتهن وقربن منه فانتم بالخيار بين
الامساك والمفارقة فامسكوهن برجعة تراجعوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن
فتبين منكم ويكن املك بانفسهن ولا تضاروهن فترك الضرار هو المعروف والضرار هو ان يراجعها في اخر عدتها
ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة عند الرجعة او الفراق عند الفراق وهذا الاشهاد
ليس بواجب على الصحيح في مذهب الشافعي لا في الرجعة ولا في الفراق بل مندوب وعلى الرجعة احب قيل فايدة الاشهاد
ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وليلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجيه ليرث منكم الحسن
من المسلمين قتادة من احراركم واقيموا ايها الشهود الشهادة لله لوجه الله خالصا وذلك ان لا يتهموا للمشهود له ولا
للمشهود عليه ولا الغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم لقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على
انفسكم ذلكم اي الحث على اقامة الشهادة لله لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر
ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية موكدة لما سبق من اجرا امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد
من الندم ويكون المعنى ومن يتق فطلق للسنة ولم يضار المعتده ولم يخرجها من مسكنها واحتاط واشهد يجعل الله له
مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا
يخطره بباله ولا يحتسبه ان اوفي المهر وادي الحقوق والنفقات وقل ماله عكرمة والشعبي والضحاك ومن يطلق
للسنة يجعل له مخرجا الي الرجعة ويرزقه من حيث لا يحتسب لا يرجوا ولا يتوقع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن من طلق ثلثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن بن عباس انه سيل عن ذلك فقال لم يتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت
منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال مخرجا من
شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها واكثر المفسرين على ان هذه الاية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي
وذلك ان المشركين اسروا له ابنا يسمى سالما فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان العدو اسر
ابني وشكا اليه الفاقة ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله واصبر
واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل ذلك فبينا هو في بيته اذ جاءه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب
ابلا واتي بها الي ابيه وكان فقيرا وقال الكلبي في رواية يوسف بن بلال قدم ابنه ومعه خمسون بعيرا فنزلت
ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب ما ساق اليه من الغنيمة مقاتل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الي ابيه
فانطلق ابوه الي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل مما اتاه ابنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم

نعم وانزل الله تعالى هذه الاية ابن مسعود ومسروق يجعل له مخرجا هو ان يعلم من قبل الله وان الله تعالى رازقه
وهو معطيه ومانعه الربيع يجعل له مخرجا من كل شي ضاق على الناس ابو العالية مخرجا من كل شدة الحسن مخرجا
مما نهاه عنه الحسين بن الفضل ومن يتق الله في ادا الفرايض يجعل له مخرجا من العقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من
حيث لا يحتسب عمرو بن عثمان الصدفي ومن يقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الي الحلال ومن
الضيق الي السعة ومن النار الي الجنة ابو سعيد الخراز ومن يبرا من حوله وقوته بالرجوع اليه يجعل له مخرجا
مما كلفه بالمعونه له علي بن صالح يجعل له مخرجا يسعه برزقه وقيل ومن يتق الله في الرزق وغيره بقطع العلايق يجعل له
مخرجا بالكفاية ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يقولها ويعيدها ويحكي ان رجلا اتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرا القران فقال لا فقال انا لا اولي من لا يقرا القران فانصرف الرجل واجتهد حتى
تعلم القران وجاء ليعود الي عمر فيوليه عملا فلما تعلم القران تخلف عن عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا
امير المومنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال اي اية اغنتك قال قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا وعن بن عباس قال رسول الله من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فيثق به ويسكن قلبه اليه في الموجود والمفقود فهو حسبه ان الله بالغ
امره قرا حفص عن عاصم بالغ امره بالاضافة والباقون بالغ بالتنوين امره نصب اي منفذ امره ممض في خلقه قضاه بالغ ما يشا
لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب قيل لما نزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب رسول الله عليه السلام حسبنا اذا توكلنا
عليه فنحن نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فانزل الله ان الله بالغ امره يعني فيكم وعليكم قد جعل الله لكل شي قدرا تقديرا وتوقيتا وحدا
واجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شي من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره
وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل قال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل او لم يتوكل عليه غير ان المتوكل عليه يكفر
عنه سياته ويعظم له اجرا الربيع ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه
ومن دعاه اجاب له دعاه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب الاية **قوله**
تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللاي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا واللاي يئسن
من المحيض فلا يرجون ان يحضن ان ارتبتم قيل ان شككتم ان الدم الذي يظهر منها لكبرها من الحيض او الاستحاضة فعدتهن ثلثة
اشهر وقيل ان ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما الحكم في عدتهن فعدتهن ثلثة اشهر قيل لما نزلت عدة النسا في سورة البقرة في المطلقة
والمتوفي عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان اناسا من اهل المدينة يقولون قد بقي من النسا ما لم يذكر فيهن شي قال
وما هو قال الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللاي يئسن من المحيض من نسايكم يعني القواعد اللاي قعدن عن المحيض
ان ارتبتم في حالهن وفي حكمهن وقيل ان ارتبتم ان تيقنتم وهو من الاضداد ويكون شكا ويقينا كالظن فعدتهن ثلثة اشهر واللاي لم يحضن
يعني الصغار فعدتهن ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن من المطلقات والمتوفي عنهن
ازواجهن فان اللفظ عام يشمل المطلقات والمتوفي عنهن ازواجهن عن عبد الله بن عتبة قال ارسل مروان عبد الله بن عتبة
الي سبيعة بنت الحرث يسالها عما افتاها به رسول الله فاخبرته انها عند سعد بن خولة توفي عنها في حجة الوداع وكان بدريا فوضعت
حملها قبل ان يمضي لها اربعة اشهر وعشر من وفاته فلقيها ابو السنابل حين تعلت من نفاسها وقد اكتحلت قال لعلك تريدين النكاح
انها اربعة اشهر من وفاة زوجك وخطبها قالت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ما قال ابو السنابل فقال النبي عليه السلام
قد حللت حين وضعت حملك وامرها ان تزوج فان ارتفعت حيضة المراة وهي شابة فاذا ارتابت احامل هي ام لا فان
استبان حملها فاجلها ان يضع حملها وان لم يستبن حملها فاجلها ان تضع حملها فقال بعضهم تتربص بها واقصي ذلك سنه وهذا
مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد كانوا يرون عن المراة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنه وروي ذلك عن عمر

وغيره واما اهل العراق فانهم يرون عدتها ثلث حيض بعد ما كانت حاضت مرة في عمرها وان مكثت عشرين سنه الى
ان تبلغ من الكبر مبلغا تياس من المحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلثة اشهر وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه اكثر
العلما وروي عن ابن مسعود واصحابه ومن يتق الله بطاعته يجعل له من امره يسرا يسر الله ويحلل له من عقده لسبب التقوى
قيل امر بالتقوي في احكام الطلاق ثلث مرات ووعد في كل مرة نوعا من الجزا فقال له او لا يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل
فيه وهو يكرهه ويتيح له محبوبه من حيث لا يتامل وقال في الثاني يسهل عليه الصعب من امره ويتيح له خيرا ممن طلقها
ان كان الطلاق من جهتها والثالث وعد عليه افضل الجزا وهو ما يكون في الاخرة من النعماء لذاي مما علم من حكم هولا
المعتدات وقيل ذلك المفروض المتقدم ذكره امر الله فرض الله انزله من اللوح المحفوظ اليكم ومن يتق الله في العمل بما
انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من الاسكان وترك الضرار والنفقه على الحوامل وايتا
اجر المرضعات وغير ذلك يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا **قوله تعالى** اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم
بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله
نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوي في قوله ومن يتق الله كانه
قيل كيف نعمل بالتقوي في شان المعتدات فقيل اسكنوهن يعني مطلقات نسايكم من حيث سكنتم من للتبعيض مبعضها
محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم
قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه من وجدكم بيان وتفسير لقوله من حيث سكنتم كانه قيل
اسكنوهن مكانا مسكنكم من سعيكم وطاقتكم حتى ينقضي عدتهن ولا تضاروهن ولا يودوهن لتضيقوا عليهن
مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من عدتهن واختلف الفقها في هذه
المسلة فذهب الشافعي ومالك والاوزاعي وابن ابي ليلي وابو عبيد ومحمد بن جرير الي ان المبتوته المطلقة ثلثا لا نفقه
لها ولها السكني واحتجوا بان الله عم السكني للمطلقات كلهن وخص بالنفقه اولات الاحمال خاصة فقال فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن وقال احمد وابو ثور لا سكني لها ولا نفقه واحتجوا بحديث فاطمة بنت قيس اخت الضحاك بن قيس حين ارسل
زوجها المخزومي طلاقها فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقه وقال انما النفقه اذا كان له عليها حق الرجعة فامر
ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واما سفيان واهل العراق فقالوا لها السكني والنفقه حاملا كانت او حايلا وهو قول عايشه
ويروي ان عايشه رضي الله عنها قالت لفاطمة بنت قيس اتق الله يا فاطمة فقد فتنت الناس انما اخرجك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانك كنت امراة لسنه فخشي لسانك على احمايك فاما نفقة المتوفي عنها زوجها فقال علي وابن عمر وشريح والنخعي
والشعبي وحماد بن ابي ليلي وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وعبد الله بن الزبير وجابر
ابن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة لا ينفق عليها الا من نصيبها فان ارضعن لكم اولادكم منهن فاتوهن اجورهن
على رضاعهن واتمروا بينكم بمعروف بقول وليقبل بعضكم على بعض اذا امروا بالمعروف الغرا ايتمروا اي همّوا الكساي
شاورواو قيل فان ارضعن لكم يعني هولا المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية
فاتوهن اجورهن حلهن في ذلك حلم الاظار ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز
عند الشافعي قبل الايتمار بمعني التامر كالاشتوار بمعني التشاور ويقال ايتمر القوم وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعني
وليامر بعضكم بعضا والخطاب للابا والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا يعاسر الام لانه ولدهما
معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم في الرضاع فابي الزوج ان يعطي المراة اجر رضاعها وابت
الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه فسترضع له اخري فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام على المعاسرة كما تقول
لمن تستقضيه حاجة فتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقي غير مقضيه وانت ملوم له للاب اي سيجد الاب غير معاسرة
ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر من سعته ما بلغه

وسعه

وسعه وقيل لينفق ذو سعة من سعته على قدر غناه ومن قدر ضيق عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي فلينفق
من ذلك الذي اتاه الله وان كان قليلا لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اعطاها من المال ريد به ما امر به
من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقيل
لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي بقدر عقلها فعلى هذا لا يكون متصلا بما قبلها وهو بعيد سيجعل
الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لفقرا ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق
عليهم وقيل وعد لفقرا الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا **قوله تعالى** وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها
عذابا نكرا فذاقت وبال امرها فكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله
يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم ايات الله مبينات
ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الي النور ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا وكاين من قرية عتت عصت وطغت وتمردت
واعرضت على وجه العتو والعناد عن امر ربها ورسله وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا للاستقصا
والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا عظيما فظيعا والمراد حساب الاخرة وعذابها وذاقت وبال امرها
وكان عاقبة امرها خسرا وجي به على لفظ الماضي كقوله ونادي اصحاب الجنه ونادي اصحاب النار ونحو ذلك لان
المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كاين فكان اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
وبيانه لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب اي العقول الخالصة الصافية
عن كدورات الهوي ونزغات الشيطان وقيل حاسبناها في الدنيا اي احصينا السيات واستقصينا عليهم
في الدنيا واثبتنا في صحايف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في الاجل ويجوز ان يكون عتت وما عطف
عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران رسولا بدل من
الذكر اعني جبريل لانه وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في معني انزال الذكر فصح ابداله منه وقيل اريد
بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمرسل اليه
واما لانه ذو مجد وشرف عند الله لقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر
وقيل اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها وقيل دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على
ارسل فكانه قيل ارسل رسولا وقيل اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل الذي انزل الله اليكم ذكرا
رسولا او ذكرا رسولا يتلو عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الكفر
الي نور الايمان وقيل من الجهل الي العلم وقيل من النار الي الجنة وقيل من الضلال الي الرشاد وقيل من
الباطل الي الحق ومعناهن متقارب ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا فيه معني التعجب والتعظيم لما رزق المومن من الثواب **قوله تعالى** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير
وان الله قد احاط بكل شي علما الله مبتدا الذي خلق خبره سبع سموات ومن الارض مثلهن في العدد قيل
ما في القران اية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الاية وقيل بين كل سما وسما مسيرة خمسماية عام وغلظ
كل سما كذلك يتنزل الامر بينهن بالوحي من السما السابعة الي الارض السفلي وقيل يجري امر الله وحكمه بينهن
وملكه ينفذ فيهن وقيل ان الارض واحد وقوله مثلهن في الخلق لا في العدد وليس في القران ما يدل على
انها سبع وقيل ان المراد بها الاقاليم السبعة والدعوة شاملة جميعها وقيل انها سبع ارضين منفصلة بعضها
بعض والحايل بين كل ارض وارض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الي الارض الاخري ولا تصل الدعوة اليهم

وقيل انها سبع ارضين متصلة بعضها ببعض متصلة لا فرجة بينها وقيل ان كل واحدة منها
الي الاخري مسيرة خمسماية عام كما جا في ذكر السما وفي كل ارض منها خلق حتي قالوا في كل ارض ادم
وحوي ونوح وابراهيم وهم يشاهدون السما من جانب ارضهم ويستمدون الضيا منها وقيل جعل الله نور
يستضيون به وقيل ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل
والنهار والشتا والصيف ويخلق الحيوان علي اختلاف هياتها وانواعها وينقلهم من حال الي حال ابن كيسان
هذا علي مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله والرياح والسحاب ۝ قتادة في كل ارض من ارضه
وسما من سمايه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله علي كل شي قدير واللام في
لتعلموا متعلق بخلق وقيل بيتنزل والاول اقرب وان الله قد احاط بكل شي علما لا يخفي عليه شي وعلما
مصدر من غير لفظ الفعل اي قد علم كل شي علما

سورة التحريم مدنية

وهي الف وسبعون
حرفا وماتيان وسبع واربعون كلمة وثنتا عشرة اية وتسمي سورة النبي

قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الي بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه
عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير ۝ ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان اذا صلي الغداة دخل علي نسايه امراة امراة وكانت قد اهديت لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما عكة من عسل
فكانت اذا دخل عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم مسلما حبسته وسقته منها وان عايشة رضي الله عنها انكرت
احتباسه عندها فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضرة اذا دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم علي حفصة
فادخلي عليها فانظري ماذا يصنع فاخبرتها الخبر وشان العسل فغارت فارسلت الي صواحبها فاخبرتهن الخبر وقالت
اذا دخل عليكن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلن انا نجد منك ريح مغافير وهو صمغ العرفط كريه الرايحة وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يكره ويشق عليه ان يوجد ريح منتنة لانه ياتيه الملك فدخل رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي سودة قالت فما اردت ان اقول ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم ثم اني فرقت عايشة فقلت يا
رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغافير قال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل رسول الله صلي
الله عليه وسلم علي امراة امراة وهن يقلن له ذلك ثم دخل علي عايشة فاخذت بانفها فقال لها النبي صلي الله عليه
وسلم ما شانك قالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا قالت جرست اذا نحلة العرفط
فقال لها والله لا اطعمه ابدا فحرمه علي نفسه وقال عطا بن ابي مسلم ان التي كانت تسقي رسول الله صلي الله عليه
وسلم العسل ام سلمة وعن عبيد بن عمير سمعت عايشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم تخبر ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة
ايتنا دخل عليها النبي صلي الله عليه وسلم فلتقل اني اجد ريح المغافير اكلت مغافير فدخل علي احدهما
فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود اليه فنزلت يا ايها
النبي لم تحرم ما احل الله لك الايات قالوا وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قسم الايام
بين نسايه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الي ابي حاجة نفقة لي عنده فاذن لي
ان ازوره واتيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلي الله عليه وسلم الي جاريته مارية
القبطية ام ابراهيم عليه السلام وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فاتت
حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا
وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها
في يومي وعلي فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلي الله

عليه وسلم

عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري
بهذا امراة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم قرعت حفصة
الجدار الذي بينها وبين عايشة رضي الله عنها ۝ فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية فقد اراحنا الله تعالي منها واخبرت
عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين علي ساير ازواج النبي صلي
الله عليه وسلم فغضبت عايشة رضي الله عنها فلم يزل نبي الله عليه السلام حتي حلف
ان لا يقربها ۝ فانزل الله تعالي يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل ومارية
وقال عكرمة نزلت في المراة التي وهبت نفسها للنبي صلي الله عليه وسلم
ويقال لها ام شريك فابي النبي صلي الله عليه وسلم ان يقبلها لاجل ان احله
معني تفسير لتحرم ۝ وقيل حال ۝ وقيل استيناف ۝ قال صاحب الكشاف
وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ۝ لان الله عز وجل انما احل
ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله ۝ فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة
مفسدة ۝ والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك به
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان ۝ احدهما قد شرع الله لكم الاستثنا
في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثني فيه ۝ ومنه حلا ابيت اللعن بمعني
استثني في يمينك اذا اطلقها ۝ وذلك ان يقول ان شا الله عقيبها حتي لا يحنث
والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ۝ ومنه قوله صلي الله عليه وسلم لا
يموت لرجل من المسلمين ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم ۝ وقول
ذي الرمة ۝ قليلا كتحليل الالي علة ۝ اصلها تحللة علي وزن تفعلة نقلت حركة
اللام الاولي الي الحا وادغم اللام في اللام ۝ اي قد بين الله تحليل ايمانكم بالكفارة
في المايدة ۝ وقول القايل لامته او امراته ۝ انت حرام علي يوجب الكفارة
سوا اطلق او قصد تحريم عينها ۝ وان نوي بقوله انت حرام الطلاق او الظهار في
الزوجة ۝ والعتق في الامة فما نواه من الطلاق او الظهار في المراة ۝ والعتق في الامة
وابو حنيفة يري حكم تحريم الحلال يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه
فاذا حرم طعاما فقد حلف علي اكله ۝ او امة فعلي وطيها او زوجة فعلي الايلا منها اذا لم يكن
له نية ۝ وان نوي الظهار فظهار وان نوي الطلاق فطلاق باين ۝ وكذلك ان نوي
ثنتين او ثلاثا ۝ وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالي ۝ ولا يدين في
القضا بابطال الايلا وان قال كل حلال علي حرام فعلي الطعام والشراب اذا لم ينو والا
فعلي ما نوي ۝ وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود ۝ وزيد رضي الله عنهم ان الحرام
يمين ۝ وعن عمر اذا نوي الطلاق فرجعي ۝ وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة
باينة ۝ وعن عثمان ظهار ۝ وكان مسروق لا يراه شيا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من
ثريد ۝ وكذلك عن الشعبي قال كذلك ليس بشي محتجا بقوله تعالي ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ۝ وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم
يحرمه فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت وهو قوله والله

لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم
على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها
وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين • وعن الحسن انه صلى الله عليه
وسلم لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين • وعن
مقاتل انه صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية • والله مولاكم سيدكم ومتولي
اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا على وجه الحكمة • وقيل
مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصايحكم لانفسكم • واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه • حفصة حديثا وهو تحريمه صلى الله عليه وسلم • فتابه على نفسه • وقوله
لا تخبري بذلك احدا • الكلبي اسر اليها ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما يكونان خليفتين على
امتي بعدي • سعيد بن جبير اسر النبي صلى الله عليه وسلم امر الخلافة بعده فحدثت
به حفصة • ميمون بن مهران اسر اليها ان ابا بكر رضي الله عنه خليفتي من بعدي • فلما
نبات به اخبرت بالحديث الذي اسر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبتها واظهره
الله عليه اي واطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على انها قد نبات به وافشته على عايشة
رضي الله عنها • وقيل اظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف
النبي عليه السلام اعلم حفصة بعضه اي ببعض الحديث تكرما قرا الكسائي عرف بالتخفيف
اي جازاها عليه من قولك للمسي لاعرفن لك ذلك • وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القران وكان جزاوه تطليقه اياها والباقون عرف بالتشديد
يعني انه عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم • حفصة بعض ذلك الحديث واخبرها
به واعرض عن بعض • يعني انه لم يعرفها اياه ولم يخبرها به • وقيل المعرف حديث
الامامة والمعرض عنه حديث مارية • الحسن ما استقصى كريم قط • قال
الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض مقاتل • اخبرها ببعض ما قالت عايشة ولم
يخبرها بالجميع عرف حفصة بعض الحديث • واعرض عن بعض الحديث بان ابا بكر
وعمر يملكان بعدي • فلما نباها اي فلما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بما اظهره
الله عليه قالت حفصة من انباك يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نباني العليم الخبير • وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت
والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله اباها • قوله

قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو
مولاه وجبريل وصالح المؤمنين • والملائكة بعد ذلك ظهير • عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تايبات عابدات
سايحات ثيبات وابكارا • ان تتوبا خطاب لحفصة وعايشة على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما • وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه
فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت
منها فقال يا عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعايشة فقد صغت
قلوبكما اي زاغت ومالت واستوجبتما التوبة • ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما
ان يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته • وقيل فقد وجب منكما ما يوجب

التوبة

ط

التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب
ما يحبه وكراهة ما يكرهه • وان تظاهرا عليه • وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط
في الغيرة وافشاء سره فلم يعدم هو من يظاهره • فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو الله ان بان
نصرته عزيمة من عزايمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره
بذكره مفردا له من الملايكة تعظيما له واظهارا لمكانته عند عز وجل وصالح المومنين
يعني كل من امن وعمل صالحا • سعيد بن جبير من بري منهم من النفاق • وقيل
الانبيا • وقيل الصحابة • وقيل الخلفا منهم المسيب بن شريك هو ابو بكر الصديق
رضي الله عنه • سعيد بن جبير عمر • عكرمة ابو بكر وعمر • عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وصالح المومنين • ابو بكر وعمر رضي الله عنهما • وقيل هو علي بن ابي
طالب رضي الله عنه • اسما بنت عميس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
وصالح المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه • قال صاحب الكشاف • فان
قلت صالح المومنين واحد ام جمع • قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا
الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا تفعله من صلح منهم • ومثله قولك
كنت في السامر والحاضر • ويجوز ان يكون اصله صالحوا المومنين بالواو فكتب
بغير واو على اللفظ • لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جات اشيا في المصحف
متبع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط • والملايكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات
من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المومنين ظهير فوج مظاهر
كانهم يد واحدة على من يعاديه • فما يبلغ تظاهر امراتين على من هو لاء ظهراوه • فان
قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملايكة ومظاهرتهم • وقد تقدمت نصرة الله وجبريل
وصالحي المومنين • ونصرة الله عز وجل اعظم واعظم • قلت مظاهرة الملايكة من
جملة نصرة الله • فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم
على جميع خلقه • عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات
قانتات معترفات مخلصات قانتات داعيات مصليات • تايبات عابدات
سايحات • يسيحن معه • وقيل صايمات • زيد بن اسلم وابنه مهاجرات • لانه لم يكن
في هذه الامة سياحة الا الهجرة • قيل والاية واردة في الاخبار على القدرة
لا عن الكون في الوقت لانه عز وجل قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن وهذا
كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم • فهذا اخبار عن القدرة
وتخويف لهم لان في الوجود من هو خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم • قال
صاحب الكشاف • فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه
الارض نسا خير من امهات المومنين • قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعصيانهن له وايذايهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات
بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على رضاه وهواه خيرا
منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله
في طاعة رسوله وانما اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار

لانها صفتان متنافيتان لا يجتمع فيها اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون. يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم
وادبوهم وقيل واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم تقوهم بذلك نارا
وقودها الناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب عليها يلي امرها وتعذيب
اهلها ملائكة غلاظ في اجرامهم غلظة شداد في قواهم شدة • وقيل انما لهم جفا وخشونة
لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله وهم الزبانية التسعة عشر واعوانهم من خزنة النار
لا يعصون ما امرهم في ما مضى ويفعلون ما يؤمرون في ما ياتي • وقيل معنى لا يعصون الله ما
امرهم انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى يفعلون ما يؤمرون
لا يتثاقلون ولا يتوانون فيه قال صاحب الكشاف فان قلت قد خاطب الله المشركين
المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة • وقال اعدت للكافرين • فما معنى مخاطبته به المؤمنين • قلت الفساق وان كانت
دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة • فقيل للذين امنوا قوا انفسكم
باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي
من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم
المنافقون • ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون • اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم
الاعتذار **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل
شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير • يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصفة التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح
صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية
للسيئات قال عمر وابي ومعاذ رضي الله تعالى عنهم التوبة النصوح ان تتوب ثم لا تعود الى الذنب
كما لا يعود اللبن الى الضرع • الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه عن
الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن • قتادة هي الصادقة الناصحة
سعيد بن جبير هي توبة مقبولة • ولا يقبل ما لم يكن فيه ثلث خوف ان لا يقبل ورجاء ان يقبل
وادمان الطاعات • سعيد بن المسيب توبة ينصحون بها انفسهم • القرظي يجمعها اربعة اشيا
الاستغفار باللسان • والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخلاق •
سفيان الثوري علامة التوبة النصوح اربع القلة والعلة والذلة والغربة • فضيل ابن عياض
هي ان يكون الذنب نصب عينه ولا يزال كانه ينظر اليه • ابو بكر الواسطي هي توبة لا لعقد
عوض لان من اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حظ نفسه
لا لله • ابو بكر الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت وان تضيق عليك نفسك كتوبة الثلاثة

الذين خلفوا • ابو بكر الدقاق المصري رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات • رويم
الراعي هي ان يكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه • رابعة توبة لما يتاب
منها • ذو النون علاماتها ثلاث قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام • شقيق هي ان يكون صاحبها
لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة ليبحوا من افاتها بالسلامة • سري السقطي لا تصح التوبة
النصوح الا بنصحه لنفسه والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله • جنيد
ان ينسى الذكر ولا يذكره ابدا لان من صحت توبته صار محبا لله تعالى ومن احب الله تعالى نسي
ما دون الله • سهل هي توبة اهل السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم حجر الله تعالى على كل صاحب بدعة ان يتوب • ابو الاديان هي ان تكون لصاحبها
دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح • فاذا كان كذلك كان توبته نصوح • وامارات التوبة
منه تلوح • فتح الموصلي علاماتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع والظما •
وقيل توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد
والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقيل التوبة النصوح علاماتها اربع السكون في الحركات
وقلة الاختلاط بالشهوات واللذات والطمانينة الى الطاعات في الخلوات ومراقبة عالم
الغيب والشهادات الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات • عسى ربكم
اطماع من الله لعباده • قيل انما جاء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجا وقيل
انما جاء على ما جرت به عادة اصحاب الهمم العالية وارباب المفاخر السنية من الاجابة بعسى
ولعل ان يكفر عنكم سيئاتكم لا يؤاخذكم به نوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم
نصب بيدخلكم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه تعريض لمن اخزاهم الله من اهل الكفر
والشرك والنفاق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم مثل حالهم المفضية الى الخزي
وقيل لا يخزي الله النبي في شفاعته ولا يقع خلف فيما وعد به المؤمنين وقيل تم الكلام على
النبي ثم استانف فقال والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم على الصراط وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا يقولون ذلك اذا اطفي نور المنافقين اشفاقا • الحسن الله متمم نورهم لهم ولكن
يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له • وقيل يقوله ادنى منزلة
لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواقع اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسئلون
اتمامه تفضلا • وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم
حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير • يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين بالاحتجاج • وقيل اذا اظهر منهم النفاق جاهدهم • الحسن جاهد
المنافقين باقامة الحدود عليهم وكان اكثر من يصيبه الحدود هم المنافقون واستعمل الغلظة
والخشونة على الكفار والمنافقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة • وقيل جهاد المنافقين
الغلظة والعبوس في الوجوه واغلظ عليهم بالقول والزجر والابعاد والهجر • وقيل باقتناصهم

قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا • وقيل ادخلا النار مع الداخلين
مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم
من غير ابقا ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة
صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلايق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب

والبعد وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبيا الله كحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا
وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناما من عذاب
الله . وقيل ضرب الله مثلا للطالحات والصالحات من النسا فقال ضرب الله مثلا للذين كفروا
امراة نوح واسمها واغلة وامراة لوط واسمها واهلة • وقال مقاتل والعه والهة كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما في الدين وما بغت امراة نبي قط • قال
ابن عباس ليس بخيانة زنا وانما خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما كانت امراة نوح تخبر الناس انه
مجنون وتطلع على سره فاذا امن بنوح احد اخبرت الجبابرة من قوم نوح به • واما امراة لوط فكانت
تدل على اضيافه فلم يغنيا عنهما بنوتهما من الله شيا • وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار
مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا • وقيل مع داخلي النار من اخوانكما من قوم نوح
وقوم لوط • قيل تخوف عايشة وحفصة رضي الله عنهما **قوله تعالى** وضرب الله مثلا
للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني
من القوم الظالمين • مثل حال المومنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا ينقص شيا من ثوابهم
وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها امراة اعدا اعدا الله الناطق بالكلمة
العظمي فقال وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون وهي اسية بنت مزاحم لما غلب موسى
السحرة امنت امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها وثبتت عليه اوتد يديها ورجليها باربعة
اوتاد والقاها في الشمس وامر بصخرة عظيمة فتلقي عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسد ليس فيه
روح فلم تجد الما من عذاب فرعون • الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى
الجنة فهي فيها تاكل وتشرب • قيل كانت امراة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا
عنها اظلتها الملايكة • وجعلت ترى بيتها في الجنة • ونجني من فرعون وعمله
ودينه • ابن عباس وعمله جماعة ونجني من القوم الظالمين الكافرين • قطع الله
بهذه الايات طمع من ركب المعصية ورجا ان ينفعه صلاح غيره • واخبر ان معصية
الغير لا تضره اذا كان مطيعا **قوله تعالى** ومريم ابنة عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين • ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون • اي وضرب الله للذين
امنوا مريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفا
على نسا العالمين • مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي
المومنين المذكورتين في اول السورة • وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر
الكفر ونحوه في التغليظ • ومن كفر فان الله غني عن العالمين • واشارة الى
ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل المومنتين • والا يتكلا على انهما زوجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض
بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه وتعريضاته في كل باب بالغة من اللطف والخفا
حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره • التي احصنت فرجها عن الرجال فنفخنا يعني

نخ

نفخ جبريل عليه السلام بامرنا فيه اي في جيب درعها • وقيل في فرجها • وقيل
في عيسى • ق ل صاحب الكشاف • وقد مر لي في هذا الطرف كلام ومن
بدع التفاسير ان الفروج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه
جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييب لانفسهن •
وصدقت بكلمات ربها وكتبه • اي جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها
بالصدق وهو معنى التصديق بعينه • قيل اراد بكلمات صحفه التي انزلها الله على ادريس
وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة • وقيل يجوز ان يراد جميع
ما كلم الله تعالى به ملايكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره • قرا ابو عمرو
ويعقوب وكتبه على الجمع وهي رواية حفص عن عاصم والباقون • وكتابه
على الواحد وهو الانجيل • وكانت من القانتين المطيعين • اي من القوم
القانتين • فلذلك لم يقل من القانتات • والقنوت صفة تشمل من قنت من
القبيلتين الذكور والاناث فغلب ذكوره على اناثه • ومن للتبعيض • وقيل يجوز
ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي
موسى عليهما السلام • وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا اربع • اسية بنت مزاحم امراة فرعون • ومريم
ابنة عمران • وخديجة بنت خويلد • وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل
عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام • وحسبنا الله ونعم الوكيل •

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر • ابن مسعود هي المانعة
من عذاب القبر • وهي الف وثلاثمائة حرف • وثلثماية وثلاثون كلمة • وثلاثون اية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو
على كل شي قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور •
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع
البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير • تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين • الذي
بيده الملك يوتيه من يشا وينزعه ممن يشا وهو المالك على كل موجود مالك الملك غير المملوك واليد
عبارة عن القدرة والتصرف والاستيلا على الشي • وقيل اليد صلة والملك ملك السموات والارض
وقيل النبوة يعز بها من اتبع النبي ويذل بها من خالفه واتبع هواه وهو على كل شي قدير من الانعام
والانتقام قادر على الكمال الذي خلق الموت والحياة وقدم الموت على الحياة لانه الى القهر اقرب كما
قدم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور • قتادة اذل الله تعالى
ابن ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء وجعل الاخرة دار جزا وبقا • وقيل قدمه
لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا كانت في حكم الموات كالنطفة والتراب ونحوهما ثم اعترضت
عليهما الحياة قال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه شي الا مات
وخلق الحياة على صورة فرس ابلق انثى وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوها مد
البصر • وهو فوق الحمار ودون البغل لا يمر بشي ولا يطا شيا ولا يجد ريحها شي الا حيا وهي التي اخذ

السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي ليبلوكم المعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم
فيما بين الحياة والموت سمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر
ايكم احسن عملا تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى من حيث انه يضمن معنى العلم فكانه
قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة
موقع الثاني من مفعوليه كما يقول علمته هو احسن عملا ولا يسمى هذا تعليقا لان التعليق ان يوقع
بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا لقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا تفصل
بعد سبق احد المفعولين من ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا
لافترقت الحالتان كما افترقت في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل ه
اصوبه واخلصه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص
ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
تلى تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ الى قوله ايكم احسن عملا ثم قال احسن عقلا واورع عن
محارم الله واسرعكم في طاعة الله قال صاحب الكشاف يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغرا ضه
والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي
هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت
على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض
المسبوق له الاية اهم • وعن ابى قتادة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ارايت قول الله ايكم
احسن عملا ما عنى به قال يقول ايكم احسن عقلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم احسن
عقلا ايكم اشد لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى ونهى عنه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا ••
فضيل ابن عياض رضي الله عنه والحسن ايكم ازهد في الدنيا زهدا واترك لها تركا • سهل ايكم احسن
توكلا على الله الفراء لم يوقع البلوى على اي لان فيما بين اي والبلوى اضمارا وهو كما تقول في الكلام
بلونكم لانظر ايكم اطوع ومثله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم وانظر ايهم فاي رفع على الابتدا
واحسن خبره وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق
وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل طباقا طبقا على طبق بعضها
فوق بعض جمع طبق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة كرحبة ورحاب سمع بعض الاعراب يذم رجلا
فقال شره طباق وخيره غير باق • قال سيبويه ونصب طباقا لانه مفعول ثان ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت قرا حمزة والكسائي من تفوت بغير الف وتشديد الواو والباقون من
تفاوت بالف ومعنى التباين واحد اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية
مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلايمه واصله من
الفوت وهو ان يفوت بعضه بعضا لقلة استوايها يدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنه
من تفرق وهذه الجملة صفة مشايعة لقوله طباقا واصله ما ترى فيهن من
تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن
من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك •
المتناسب واسند الخلق الى الرحمن لان خلقهن بمحض الرحمة والخطاب في ما ترى للرسول •
او لكل مخاطب فارجع البصر ثم متعلق بما ترى في خلق الرحمن من تفاوت على معنى •

التسبيب

التسبيب اخبر بانه لا تفاوت في خلقهن • ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما
اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر • ومنه فطر ناب البعير كما يقال
شق وبزل • ومعناه شق اللحم فطلع الضحاك اختلاف وشطور • عطية عيب
ابن كيسان تباعد • القرظي فروج ثم ارجع البصر بتكرير البصر فيهن ٥
ونصحا ومتتبعا للمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر اي ان رجعت البصر وكررت
النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع
اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك
طردا بالصغار والقادة وبالاعياء والكلال لطول الاحالة والترديد ومعنى
التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابة كثيرة بعضها في
اثر بعض • فان قيل فما معنى ثم ارجع امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة
الاولى • وبالنظرة الحمقاء • وان يتوقف بعدها ويجم بصره • ثم يعاود ويعاود الى ان
يحسر بصره من طول المعاودة • فانه لا يعثر على شيء من فطور • وقيل ثم ارجع البصر
وكرر النظر مرتين مرتين • ينقلب وينصرف ويرجع اليك البصر خاسئا خاسئا ذليلا
مبعدا او هو حسير يعني كليل منقطع لم يدرك ما طلب **قوله تعالى**
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين • واعتدنا لهم عذاب
السعير • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير • ولقد زينا سماء الدنيا
القربى لانها اقرب السموات الى الناس • والمعنى السماء الدنيا منكم بمصابيح بسرج سميت
بالكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بما يقاد المصابيح فقيل ولقد
زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة
وضممنا الى ذلك منافع اخرانا جعلناها رجوما للشياطين الذين اعداكم الذين
يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر • قتادة
خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين • وعلامات يهتدى بها
فمن تاول فيها ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم
به ومعنى كونها مراجم للشياطين • ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من
نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك وما ذاك الا كقبس يوخذ
من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب
ومنهم من يخبله وقيل وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون
واعتدنا لهم في الاخرة عذاب السعير مع ما جعلنا لهم في الدنيا من الشهب وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المر جومون
مخصوصين بذلك وبئس المصير **قوله تعالى** اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور
تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير • اذا القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار
العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها • قيل سمعوا لاهلها ممن تقدم

طرحهم فيها ولا نفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق • وقيل سمعوا للنار شهيقا صوتا كصوت
الحمار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه •
مجاهد تفور بهم كما يفور الحطب القليل في الما الكثير تكاد تميز من الغيظ تتفرق بعضها
من بعض على اهلها غضبا وانتقاما لله عز وجل وقيل جعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها
بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض
وشقة في السما اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج
قوم سالهم خزنتها الم ياتكم نذير رسول في الدنيا توبيخ يزدادونه عذابا الى عذابهم
وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله قد
جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا تكذبون هذا من جملة قول الكفار
وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم اهل نذير او وصف منذر
وهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جانا نذير ونظيره قوله انا رسول ربك
اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون قوله ان انتم الا في ضلال كبير من كلام الخزنة للكفار
على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا وقيل ارادوا بالضلال
الهلاك ويجوز ان يكون من كلام الرسل للكفار حكوه اي حكى الكفار للخزنة اي قال الرسل لنا فلم
نقبله وقالوا اي الكفار وهم في النار لو كنا نسمع من النذر ما جاونا به او نسمع الانذار سماع طالبين
للحق او نعقل عقل متاملين ما كنا في اصحاب السعير • انما ذكر السمع والعقل لان مراد التكليف
على ادلتها قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب
الحديث او على مذهب الراي كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان
ساير اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هولا فهو من
الناجين لا محاله • وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز
على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين • فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم
الرسل فسحقا فبعدا سعيد بن جبير هو واد في جهنم لاصحاب السعير • اي اعترفوا وجحدوا وافلا
ينفعهم **قوله تعالى** ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير • ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون الله ويتركون معصيته حيث لا يراهم
احد من الناس • وقيل بالغيب اي بقلوبهم ونياتهم لا كالذين قالوا بافواههم ما ليس في
قلوبهم • وقيل يخافونه ولم يروه • وقيل يخشون ربهم قبل المصير اليه لهم مغفرة من
ذنوبهم واجر كبير عظيم في الاخرة • واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبره
جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه فيقول بعضهم لبعض اسروا قولكم حتى لا يسمع اله محمد
قال اهل المعاني ان شئت جعلت من في قوله من خلق اسما للخالق • فقلت الا
يعلم الله الخالق ما في الصدور • وهو اللطيف الخبير • وان جعلته اسما للمخلوق فقلت
الا يعلم الله مخلوقه • عن المسيب قال بينا رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت
الريح فوقع في نفس الرجل فقال الا ترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق • فنودي
من خلفه الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير • حكي ان رجلا دخل غيطه فقال لو

دخلت هاهنا بمعصية من كان يراني فسمع صوتا ملا ما بين لابتي الغيطة • الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير **قوله تعالى** هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور • اامنتم من في السما
ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون
كيف نذير • ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير • هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا سهلا مسخرة لا تمتنع فامشوا في مناكبها المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان
يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك
ابن عباس وقتادة في جبالها • الضحاك في اكامها • مجاهد في طرقها وفجاجها •
الكلبي في اطرافها • الفراء في جوانبها • مقاتل في نواحيها • حيث اردتم فقد جعلها لكم ذلولا
لا تمتنع واصل المنكب الجانب • ومنه منكب الرجل والريح النكبا • وتنكب فلان • وكلوا
من رزقه واليه النشور اي تنشرون نهوضا بكم عن شكر ما انعم به عليكم • اامنتم من في
السماء • ابن عباس عذاب من في السماء ان عصيتموه • وقيل معنى الاية اامنتم في السما
وقدرته وسلطانه وعرشه ومملكته • وقيل انما قال من في السماء لانهم كانوا يعترفون
بانه اله السما ويزعمون ان الاصنام الهة الارض • وكانوا يدعون الله من جهة السماء
ينتظرون نزول امره بالرحمة والسطوة منها • قال المحققون معنى قوله من في السماء فوق
السما كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمباينة والتحيز ولكن بالقهر والتدبير •
وقيل معناه على السما كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل • ومعناه مالكها ومدبرها
والقايم عليها كما يقال فلان على العراق والحجاز • فلان على خراسان واصفهان
يعنون انه واليها واميرها • قال بعض المفسرين • واعلم ان الايات والاخبار الصحاح
في هذا الباب كثيرة وكلها الى العلو مشيرة • ولا يدفعها الا ملحد جاحد وجاهل معاند
والمراد بها والله سبحانه وتعالى اعلم توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه
بالعلو والعظمة دون ان يكون موصوفا بالاماكن والجهات والحدود والحالات
لانها صفات الاجسام وامارات الحدث • والله سبحانه كان ولا مكان فخلق الامكنة
غير محتاج اليها وهو على ما لم يزل عليه • الا ترى ان الناس يرفعون ايديهم في حال
الدعا الى السما مع احاطة علمه وقدرته ومملكته بالارض وغيرها احاطته بالسما الا ان
السما مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس • ومعدن المطهرين • والمقربين من ملايكته
واليها ترفع اعمال عباده • وفوقها عرشه وجنته ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور •
تتحرك باهلها • الضحاك تدور بهم وهم في قعرها • ابن كيسان تهوي بهم • ام امنتم
من في السما ان يرسل عليكم حاصبا ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط واصحاب الفيل فستعلمون
كيف نذير • اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم • ولقد
كذب الذين من قبلهم من قبل قومك فكيف كان نكير انكاري **قوله تعالى**
اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
انه بكل شي بصير • ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور • ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور • افمن يمشي

مكبا على وجهه اهدى ام من يمشي سويا على صراط مستقيم ۝ اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
باسطات اجنحتها وهي تطير وتقبض اجنحتها بعض انبساطها ۝ وقيل باسطات اجنحتها في الجو
عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها ۝ واما القبض
فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن
صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن
ما يحبسهن في حال البسط والقبض الا الرحمن بقدرته ۝ وبما دبر لهن من القوادم والخوافي
وهي الاجسام على شكل وخصائص تدبرها في الجري في الجو انه بكل شيء بصير ۝ يعلم كيف
يخلق وكيف يدبر العجائب ام من هذا ام من يشار اليه من الجموع ۝ الذي هو جند لكم ان
جند لكم التي ينصركم ويحول بينكم وبين عذاب الرحمن فامنتم عذابه ۝ وقيل معناه على شيء
من اصنامكم يدفع عنكم من عذاب الله ان الكافرون الا في غرور اي هم مغترون بغرور
الشيطان غير متمسكين بحجة وبرهان ۝ وقيل معناه من ينصركم سوى الرحمن ۝ ام من هذا
الذي يرزقكم ام من يشار اليه ۝ ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ۝ ويجوز ان
يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة
الهتهم فكانهم الجند الناصر الرازق ۝ ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
بل لجوا بل تمادوا في عناد وشراد من الحق لثقاله عليهم فلم يتبعوه ۝ وقيل في عتو تمادوا في
الضلال ونفور تباعد من الحق ۝ وقيل في استكبار عن الحق وعن الداعي اليه ۝ ونفور عنه
افمن يمشي مكبا جعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب ۝ والسواد ونحوه قشعت
الريح السحاب فانقشع ۝ وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ۝ قال
صاحب الكشاف ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه ۝ وانما اكب من باب انفض
والام ۝ ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب ۝ وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع
كب وقشع انكب وانقشع ۝ والمعنى يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض
وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا ۝ فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما
من العثور والخرور ۝ وقيل مستوي الجهة ۝ قليل الانحراف ۝ خلاف المعتسف الذي ينحرف
هكذا وهكذا على طريق مستو ۝ وقيل يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف
فلا يزال ينكب على وجهه ۝ وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي
له وهو مثل للمؤمن والكافر ۝ وقيل افمن يمشي مكبا على وجهه كان رأسه في الضلالة والجهالة
اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر ۝ قتادة هو الكافر اكب على معاصي الله
في الدنيا يحشره الله يوم القيامة على وجهه اهدى ام من يمشي سويا على صراط مستقيم وهو المؤمن
وقيل نزلت في ابي جهل وعمار وبن مسعود ۝ الكلبي عني به ابو جهل ۝ وبالسوي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ۝ وقيل حمزة بن عبد المطلب ۝ **قوله تعالى**
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ۝ قل هو
الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ۝ قل هو الذي انشاكم خلقكم ابتداء وجعل لكم

السمع والابصار والافئدة خص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف بها تحصل قليلا ما
تشكرون ۝ اي تشكرون شكرا قليلا ۝ وما زيادة ۝ وقيل القلة عبارة عن العدم ۝ قل هو
الذي ذراكم في الارض خلقكم في الارض صغارا واليه تحشرون اي الى دار الحساب والجزاء
تحشرون ۝ وقيل الى حيث لا يجري لغيره امر فيه ۝ ويقولون متى هذا الوعد اي ما وعدوا
من الخسف والحاصب ۝ وقيل البعث والنشور ان كنتم صادقين في وقوعه فبينوا
زمانه ۝ فان من عرف مجيء شيء عرف زمانه ۝ قل انما العلم عند الله اي علم وقت العذاب
وقيل علم الساعة لم يطلع عليه احد ۝ وانما انا نذير مبين ۝ اخوفكم بحججه والله اعلم ۝
قوله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون ۝ فلما راوه زلفة اي فلما راوا العذاب زلفة قريبا والزلفة القرب
وانتصابها على الحال ۝ وقيل انتصب بها على الظرف ۝ اي رأوه ذا زلفة ومكانا
ذا زلفة ۝ وقيل فلما راوا العذاب في الاخرة ۝ مجاهد العذاب بيدر زلفة اسم مصدر
وصف به يستوي فيه المذكر والمؤنث ۝ والواحد والتثنية والجمع سيئت اي ساءت
رؤية الوعيد وجوه الذين ۝ وقيل اخزيت وجوه الذين كفروا فاسودت وعلتها الكآبة
والغبرة وغشيتها الكسوف وكلحوا كما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض
العذاب ۝ وقيل اي وقال لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من
الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به ۝ وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون
انكم لا تبعثون ۝ وقيل تمنون وتسالون ۝ وقيل تدعون ان لا جنة ولا نار ۝
قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم ۝ كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ان اهلكني الله ۝ قل يا محمد لمشركي مكة
الذين يتمنون هلاكك ويتربصون بك ريب المنون ۝ ارايتم ان اهلكني الله فاماتني
ومن معي كما تتمنون فننقلب الى الجنة ۝ او رحمنا بالنصرة وابقانا واخر في اجالنا
واظهر الاسلام كما نرجوا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ۝ فانه واقع بهم على كل حالة
وقيل فمن يجير الكافرين اي فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون ۝
من عذاب النار لا بد لكم منه ۝ والمعنى انتم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال
للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون
الخلاص منه ۝ وقيل ارايتم ان اهلكني الله بعذابه ومن معي ۝ او رحمنا غفر لنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم ۝ ونحن مع ايماننا خائفون من عذابه لان له ان ياخذنا بذنوبنا
ويعاقبنا ويهلكنا لان حكمه جائز وامره نافذ وفعله واقع في ملكه فمن يمنعكم
من عذاب الله وانتم كافرون ۝ وقيل ان اهلكني الله ومن معي بالموت ۝ فمن
يجيركم بعد موت هداتكم والاخذين بحجزكم من النار ۝ وان رحمنا بالامهال
والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك ۝ وقيل ان اهلكني
الله ومن معي في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك
لكفرهم ۝ وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له ۝ نسأل التوفيق والهداية ۝
قوله تعالى قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في

ضلال مبين • قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ۞ • قل هو الرحمن آمنا
به آخر مفعول آمنا تعريضاً بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قال
آمنا ولم نكفر كما كفرتم • وعليه توكلنا قدم مفعول توكلنا أي وعليه توكلنا خصوصاً
لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم فستعلمون من هو في ضلال مبين
نحن أم أنتم قل يا محمد للمشركين إن أصبح ماؤكم غوراً غائراً ذاهباً في الأرض
لا تناله الأيدي والدلاء وصف بالمصدر كعدل ورضى • الكلبي ومقاتل يعني ماء زمزم وبئر
ميمون • الحضرمي وهي بئر عادية هدية فمن يأتيكم بماء معين ظاهر تناله الأيدي
والدلاء • ابن عباس بماء جار الموارح عذب بلغة قريش والله سبحانه وتعالى أعلم •

سورة ن مكية

وتسمى سورة القلم وسورة النون • والقلم مكية • وعن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما
الفاتية من المدني قوله تعالى إنا بلوناهم إلى قوله لو كانوا يعلمون • وقوله
فاصبر إلى قوله من الصالحين مدني • وهي ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً •
وثلثمائة كلمة • واثنتان وخمسون آية ۞ قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
ن والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون • وإن لك لأجراً غير ممنون •
وإنك لعلى خلق عظيم • فستبصر ويبصرون • بأيكم المفتون • إن ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • قرأ الكسائي ن والقلم بالإدغام دون غنة •
والكسائي ويعقوب عن نافع وأبو بكر عن عاصم بالإخفاء بين الإظهار والإدغام • والباقون
بسكون النون على أنه حرف منفصل حقه الوقوف عليه • مجاهد ومقاتل ومرة ۞
الهمداني وعطاء الخراساني • والسدي والكلبي هو الحوت الذي يحمل الأرض وهي رواية
أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن
ثم رفع بخار الماء فخلق منه السموات ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النون فتحرك
النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض • ثم قرأ
ابن عباس رضي الله عنه ن والقلم وما يسطرون • الكلبي ومقاتل اسمه بهموت • أبو اليقظان
والواقدي ليوثا • كعب لوثيا • وعن علي رضي الله عنه بلهوث • وعنه في تقضي
زجره حيث يقول •

مالي أراكم كلكم سكوتاً • والله ربي خالق البلهوثا ۞

وقيل هي آخر الحروف • وهي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال الر وحم ون
حروف الرحمن تبارك وتعالى مقطعة • الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة
وهي رواية ثابت اليماني عن ابن عباس • وقال فيه الشاعر ۞

إذا ما الشوق برح بي إليهم • ألقت النون بالدمع السجوم •

قال صاحب الكشاف والمراد هذا الحرف من حروف المعجم • وأما قولهم هو الدواة
فلا أدري أهو وضع لغوي أو شرعي • ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو علماً
فإن كان جنساً فأين الإعراب وأيهما كان فلا بد من موقع في تأليف الكلام • فإن قلت

هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن يجري وينونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة
كأنه قيل ودواة والقلم • وإن كان علماً أن يجره ويصرفه أو يفتحه للعلمية والتأنيث
وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علماً للبهموت الذي
يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة كذلك • ابن زيد فاتحة
السور عطا افتتاح اسمه نور وناصر ونصير • محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرته المؤمنين
بيانه قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين جعفر الصادق هو نهر في الجنة وهو القلم
وهو الذي يكتب به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السما والأرض وأقسم بالقلم تعظيماً
له لما في خلقه وتسويته من الدلالة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف
فقال لما خلق الله تعالى القلم وهو أول وهو أول ما خلقه نظر إليه فانشق بنصفين ثم قال
اجر فقال يا رب بما أجري قال بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك قال
عطا سألت أبا الوليد بن عبادة بن الصامت كيف كان وصية أبيك حين حضره الموت قال
دعاني فقال أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتق الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر
خيره إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب
قال يا رب وما أكتب قال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد
وقيل أراد بالقلم الخط والكتابة الذي امتن الله على عباده بتعليمه إياهم ذلك كما قال علم بالقلم
وما يسطرون يكتبون • وقيل ما تسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم
أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أي وسطرهم ويراد
بهم كل من يسطر أو الحفظة ما أنت بنعمة ربك الباء في بنعمة متعلق بمجنون منفياً كما هو متعلق بعاقل
مثبتاً في قولك أنت بنعمة الله عاقل مستوياً في ذلك النفي والإثبات استواءهما في قولك ضرب زيد
عمراً وما ضرب زيد عمراً وإعمال الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالاً واحداً ومحله النصب على الحال كأنه
قال ما أنت مجنون منعماً عليك بذلك ولم يمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زيادة لتأكيد
النفي والمعنى استبعاد ما كان تنسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً وأنه من إنعام الله عليه
بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل • وقيل يعني أنك لا تكون مجنوناً وقد
أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة • وقيل بعصمة ربك • وقيل هما كما يقال ما أنت مجنون والحمد لله • وقيل
معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك لقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك وإن لك على احتمال
ذلك من المشركين وإساءة القصة فيه والصبر عليه لأجراً ثواباً غير ممنون غير مقطوع ولا منقوص
كقوله عطاء غير مجذوذ • وقيل غير ممنون عليك بذلك وإنك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط
احتماله الممضاة من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم • ابن عباس ومجاهد دين عظيم ۞
الحسن كان خلقه آداب القرآن وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كان خلقه القرآن • قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله عز وجل وينتهي عما نهى الله قال
الله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين • الجنيد سمي خلقه عظيماً لأنه لم يكن له همة
شيء سوى الله • الواسطي لأنه جاد بالكونين عوضاً عن الحق • وقيل لأنه عاشرهم بخلقه • وباينهم
بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وبالصدق مع الحق • وقيل لأنه امتثل تأديب الله
إياه بقوله خذ العفو الآية • وقيل عظم خلقه حيث صغر الأكوان في عينه بعد مشاهدة
مكونها • وقيل سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه يدل عليه قوله بعثت لأتمم

بي مكارم الاخلاق وقال ادبني ربي فاحسن تاديبي وعن عايشة رضي الله تعالي عنها سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن الخلق درجة قايم الليل صايم النهار
وعن ابي الدردا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم احبكم الي الله احسنكم اخلاقا الموطيون اكنافا
الذين يالفون ويولفون وابغضكم الي الله المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاخوان فستبصر
ويبصرون يا محمد ويبصرون يعني الذين رموك بالجنون بايكم المفتون قيل بايكم المجنون وهو مصدر علي وزن
مفعول كما يقال ما لفلان مجلود ومعقول ومعفود اي جلاد وعقل وعقد اي بايكم الجنون فستبصر
ويبصرون قال الراعي حتي اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفواده معقولا اي عقلا
باي الفريقين المجنون ابفريقك يا محمد ام بفريقهم والمفتون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون
المجنون لانه فتن اي محن بالجنون وقيل لان العرب يزعمون انه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك
منهم والبا مزيد معناه ايكم المفتون وقيل بايكم المفتون وهو الشيطان ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله ما المجانين علي الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهم
العقلا سيميز بعضهم في الاخرة وقيل يكون وعدا ووعيدا وانه اعلم بجزا الفريقين **قوله تعالي** فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشا
بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلي عليه اياتنا قال
اساطير الاولين سنسمه علي الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين
ان اغدوا علي حرثكم ان كنتم صارمين فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث الباطل
وهي الكف عن التشدد عليهم وعيب الهتهم وهذا التهيج والهاب للتصميم علي معاصاتهم
نزلت في مشركي قريش حين دعوه الي دين ابايهم وكانوا قد ارادوه علي ان يعبد الله مدة والهتهم
مدة ويكفوا عنه غوايلهم ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع فيه هنون فيلينون ويصانعون
عطية والضحاك لو يكفر فيكفرون ابن عباس لو ترخص فيرخصون لك زيد ابن اسلم
لو تنافق وترايي فينافقون ويتراوون ابان لو تجانبهم فيجانبوك العوفي فتكذب فيكذبوك
الحسن لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم ابن كيسان لو تقاربهم فيقاربوك رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني لانه عدل به الي طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف
اي فهم يدهنون كقوله فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا علي معني ودوا لو تدهن فهم مدهنون
حسدا او ودا والهاك انهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه زعم
هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
بالباطل وقيل بالحق والباطل وكفي به من جره لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالي ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم واراد به الوليد بن المغيرة وقيل بن عبد يغوث وقيل الاخنس ابن
شريق مهين ضعيف حقير من المهانه ومن القلة والحقارة يريد القلة في الراي
والتمييز وقيل اراد الكذاب لانه حقير عند الناس ولان الرجل انما يكذب لمهانة نفسه
عليه قتاده مكثار في الشر هماز مغتاب ياكل لحوم الناس عياب طعان الحسن
هو الذي يغمز بناحية في المجلس كقولهم همزه ويلوي شدقيه في اقفية الناس مشا بنميم
مضرب نقال للحديث من قوم الي قوم علي وجه السعاية وقيل نمات يسعي بالنميمة
يفسد بين الناس مناع للخير ابن عباس يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام ويقول لين دخل

واحد

واحد منكم في دين محمد لا نفعته بشي ابدا وقيل بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق معتد مجاوز في الظلم
حده غشوم ظلوم اثيم كثير الاثام فاجر عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ابن عباس
فاتك شديد منافق عنيد ابن عمير اكول شروب قوي شديد يوضع في الميزان فلا يزن شعرة
الحسن فاحش الخلق سي الخلق بمان جاف فاسق لئيم الشعيره معاتل السمن الكلبي شديد في كفره وكل
شديد عند العرب فهو عتل واصله من العتل وهو الدفع من العنف بعد ذلك بعد ما عد له
من المعايب والنقايص زنيم دعي يلحق النسب ملصق بالقوم وليس منهم قال حسان
وانت زنيم نيط في ال هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش
ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتي نزلت
هذه الاية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفي وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا
علي كل معصيه ولان الغالب ان النطفه اذا خبثت خبث الناشي منها ومن ثم قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه الزنيم الذي لا اصل له وقيل هو الذي له زنمة كزنمة الشاة
وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلي معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله عن
ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية نعت فلم يعرف حتي قيل زنيم فعرف وكانت له زنيم في عنقه
يعرف بها عكرمة الزنيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها الشعبي هو الذي له علامه
في الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها سعيد بن جبير والقرظي وابو رزين هو الكذاب الهجين
المعروف بالشر المريب الوالي الزنيم الظلوم سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن العتل
الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس
رحب الجوف وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري
ولا عتل ولا زنيم قيل فما الجواظ كل جماع مناع قيل وما الجعظري قال الفظ الغليظ قيل
فما العتل الزنيم كل رحب الجوف وثير الخلق اكول شروب غشوم ظلوم وعن زيد ابن ارقم
في قوله عز وجل زنيم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تبكي السما من رجل اصح الله جسمه وارحب جوفه
واعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السما من الشيخ الزاني ما تكاد
الارض تقبله مجاهد في الزنيم كانت له اصابع ست في يده كل ابهام له اصبع زايد واكثر العلما
علي ان الزنيم الداعي للشر بيران كان قرا ابن عامر ويعقوب ءانا بالمد وحمزة وابو بكر عن عاصم
ءان بهمزتين والباقون بالخبر فمن قراها بالاستفهام فتقديره الان كان ذا مال كذب او اتطيعه
لان كان ذا مال وبنين وقيل الان كان ذا مال وبنين اذا تتلي عليه اياتنا قال اساطير الاولين
ومن قرا بالخبر فمعناه ولا تطع لان كان فيكون متعلقا بقوله ولا تطع لان كان تطيعه مع هذه المثالب لان
كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا وقيل يجوز ان يتعلق بما بعده علي معني لكونه متمولا
مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معني التكذيب وروي الزبيري عن
نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع
الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنا ونحو صرف الشرط الي المخاطب صرف
الترجي في قوله لعله يتذكر او يخشي سنسمه علي الخرطوم ابن عباس سنخطمه بالسيف
فجعل ذلك علامة باقية علي انفه ما عاش فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف بالقتال

قتادة سيلحق به شين لا يفارقه. العتيبي تقول العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عاراً لا يفارقه كما أن السمة لا تنمحي أثرها. أبو العالية ومجاهد سنسمه على أنفه ونسود وجهه فيجعل له علماً في الآخرة يعرف بسواد وجهه. الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه. محمد بن جرير سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم. قال صاحب الكشاف الوجه أكرم موضع من الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنفة في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف بها على أكرم موضع منه. ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها. وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة. النضر بن شميل معناه سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وهو تعسف إنا بلوناهم يعني أهل مكة اختبرناهم وامتحناهم بالقحط والجوع كما بلونا ابتلينا أصحاب الجنة بستاناً باليمن يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين يطأه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين إذا احتصد وأزروعهم وكل شيء تعداه المنجل فلم يجزه فإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط دون البساط فهو أيضاً للمساكين. وإذا اصرموا كان لهم كل شيء ينتثر أيضاً. فلما مات فورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم قالوا والله إن المال لقليل. وإن العيال لكثير فإنما إذا قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم يوماً ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا لم يقولوا إن شاء الله فغدا القوم بسدفة من الليل طايف من عذاب أصابها فأحرقها فأصبحت كالصريم. فذلك قوله تعالى إذ أقسموا حلفوا ليصرمنها ليجدنها وليقطعن ثمرها مصبحين إذا أصبحوا قبل أن تعلم المساكين. ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله تعالى. وإنما سمي استثناء وهو شرط لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد فطاف عليها طايف بلاء وعذاب. وهلاك من ربك وهم نايمون أي ليلاً ولا يكون الطايف إلا بالليل وكان ذلك الطايف ناراً أنزلت من السماء فأحرقتها. والحاكم نايمون فأصبحت كالصريم كالليل الأسود أي احترقت فاسودت. قال الشاعر.

تطاول ليلك كالجون البهيم. فما ينجاب عن صبح صريم.

وقيل كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل النهار أي يبست فذهبت خضرتها وقيل لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا أفرغه. الحسن أي صرم عنها الخير فليس فيها شيء. ابن كيسان كالحرة السوداء. ابن زيد كالأرض المصرمة. الأخفش كالصبح انصرم من الليل. المؤرج كالرملة انصرمت من معظم الرمل وأصل الصريم المصروم وكل شيء قطع من شيء فهو صريم. فالليل صريم. والصبح صريم لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. ابن عباس كالرماد الأسود بلغة خزيمة فتنادوا نادى بعضهم بعضاً

مصبحين

مصبحين أن اغدوا على حرثكم وإنما قال على ولم يقل إلى لأنه لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدواً عليه كما يقول غدا عليهم العدو. وقيل ضمن الغدو معنى الإقبال لغدي عليه بالجفنة وبراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين إن كنتم صارمين قاطعين لها.

قوله تعالى

فانطلقوا وهم يتخافتون. ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فانطلقوا أي مضوا إليها وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ألا يدخلنها أن مفسرة بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. والنهي على القول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوا مسكيناً من الدخول حتى تدخل لا أرينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين. ابن عباس على قدرة قادرين في أنفسهم. أبو العالية والحسن على جد وجهد. النخعي والقرظي ومجاهد وعكرمة على أمر مجمع قد أسسوه بينهم. معمر عن الحسن على فاقة. وقيل على حنق. السدي الحرد اسم الجنة. سفيان على حرد أي على حنق وغضب. أبو عبيدة والقتيبي على منع. والحرد والمحاردة المنع تقول العرب حاردت السنة إذا امتنعت خيرها ولم يكن فيها مطر. وحاردت الناقة إذا امتنعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم فادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان. وذلك أنهم طلبوا الحرمان للمساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة وقيل وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل قولهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع. وقيل لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله تعالى بأن حاردت جنتهم وحرم خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم. أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين. وعلى حرد ليس بصلة قادرين. فلما رأوا الجنة بخلاف ما تركوها. قالوا إنا لضالون. أي ضللنا طريق جنتنا وأنا لمخطئون الطريق. وليس هي جنتنا لما رأوا من هلاكها. وقيل لضالون بمنعنا حق المساكين. فلما تأملوا وعرفوا أنها جنتهم قالوا بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا ونفعها بمنعنا المساكين. وترك الاستثناء. قال أوسطهم أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه أعطني من سطات مالك. ومنه قوله تعالى أمة وسطا ألم أقل لكم لولا تسبحون هلا تستثنون. قال أبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله. وقيل هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين. وتوبوا من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة. فعصوه فعيرهم. والدليل سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. قالوا سبحان ربنا فنزهوه عن أن يكون ظالماً وأقروا على أنفسهم بالظلم

قالوا انا كنا طاغين • فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مفارقة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة • وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه • والتسبيح تنزيه له • وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم عن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا • فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر • ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين في منعنا حق الفقراء وتركنا الاستثناء • ابن كيسان طغينا نعم ربنا فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع ابانا • عسى ربنا ان يبدلنا • قرا ابو عمرو ونافع ان يبدلنا بالتشديد • والباقون بالتخفيف وهما لغتان وفرق قوم بينهما • فقال التبديل تغيير الشيء او تغيير حاله وعين الشيء قائم • والابدال رفع الشيء ووضع شيء اخر مكانه انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه • عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلغني ان القوم اخلصوا وعلم الله منهم الصدق فابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا • كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا • وقيل كذلك العذاب اي لنفعلن بهم مثل ما فعلنا بمن تعدى حدودنا • وخالف امرنا • ولعذاب الاخرة اكبر اشد واعظم منه لو كانوا يعلمون • لما لم تعلموا ما توعد بهم الى هذا العذاب

قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم • افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون • ام لكم كتاب فيه تدرسون • ان لكم فيه لما تخيرون • سلهم ايهم بذلك زعيم • ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين • ان للمتقين عن الشرك عند ربهم في الاخرة جنات النعيم ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا • نعيمها مقيم لا يبيد ولا يفنى بخلاف جنات الدنيا فانها فانية هالكة • افنجعل المسلمين كالمجرمين • كان صناديد قريش يرون وفور حظهم وقلة حظوظ المسلمين منها • فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا • واقصى امرهم ان يساوونا • فانزل الله تبارك وتعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين • استفهام انكار اي لا نجعل فان المسلمين ندخلهم الجنة والمجرمين اي الكافرين ندخلهم النار • ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج • ومن اين حكمتم بالتسوية بين المطيع والعاصي واي عقل اهتدى الى ذلك كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون تقرؤون • ما في ذلك الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون • يعني انا تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين • فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون • ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت • ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح • وتخير الشيء واختاره اخذ خيره • ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله • ام لكم ايمان عهود ومواثيق علينا بالغة مؤكدة عاهدناكم عليه ووعدناكم فاستوثقتم بها منا فلا ينقطع عهدكم الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في الظرف

اي

اي ايمان ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون • وقيل يجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه • وان لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت على الوفاء به ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا • ام اقسمنا لكم ان لكم لما تحكمون • سلهم ايهم بذلك الحكم اي بما يقولون • ان لكم لما تخيرون وتحكمون زعيم كفيل قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل باموره‍م الحسن الزعيم الرسول هاهنا • ام لهم شركاء اي ام لهم ناس شركاء في هذا القول ذاهبون • مذهبهم في هذا الحكم • وقيل ارباب تفعل هذا • وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعون • فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به • ولا عهد لهم عند الله ولا زعيم لهم يقوم به

قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون • يوم يكشف عن ساق عن امر شديد فظيع وهو اقبال الاخرة وذهاب الدنيا تقول العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج فيه الى جد وجهد ومعاناة ومقاساة للشدة شمر عن ساقه • فاستعير الساق في موضع الشدة • ويقال للامر اذا اشتد وتفاقم وظهر كشف عن ساقه وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق هكذا قيل اسفر وجه الامر واستقام صدر الراي

• قال الشاعر •

• تصف حربا كشفت لهم عن ساقها • وبدا من الشر الصراح •

قال صاحب الكشاف الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب • واصله في الروع والهزيمة • وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك • قال حاتم

• اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

• وقال ابن الرقيات •

• تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي • عن خدام العقيلة العذراء •

فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول الاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل • وانما هو مثل في البخل وانما من شبه فلضيق عطنه • وقلة نظره في علم البيان • والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة • ثم كان من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن وانما جاءت منكرة في التمثيل للدلالة على انه امر مبهم في الشدة

منكر خارج عن المالوف كقوله يوم يدع الداع الى شي نكر • كانه قيل يوم يقع امر فظيع
هايل وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يوم يكشف عن ساق عن شدة الامر وعن بن عباس
رضي الله عنه هي اشد ساعة في يوم القيامة • ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل ٥ •
وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان
والاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان • ومن احسن بعظم مصار فقد هذا العلم
علم مقدار عظم منافعه • ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في
الدنيا ولا يدعون اليه تعبدا او تكليفا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين
الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو
اي الاصحا فلا يابونه • ويابونه قيل وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون
مزاحوا العلل فيما تعبدوا به • وعن بن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم
اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض • وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة • ابراهيم التيمي وقد كانوا يدعون
الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة • سعيد بن جبير رضي الله عنه
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون • كعب الاحبار رضي الله عنه
والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجمعة • فذرني
فدعني ومن يكذب بهذا الحديث • بهذا القران يريد كله الي فاني
اكفيكه • كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه
فاني عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له • والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب
بالقران • فلا تشغل قلبك بشانه • وتوكل علي في الانتقام منه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به وبالقران
ثم توعدهم فقال سنستدرجهم سناخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون
استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه
واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة
ومستلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون • اي من الجهة التي
لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم
وتفضيلا على المومنين وهو سبب لهلاكهم • وقيل نعذبهم يوم بدر • وقيل
معناه سنريدهم حرمانا وخذلانا فيزدادون عصيانا وطغيانا
سفيان الثوري نصبغ عليهم النعم • وننسيهم الشكر العباد لم نف فهم في وقت
مخالفتهم فنسيتيقظوا • بل امهلناهم وامددناهم في النعم حتى زال عنهم خاطر
التذكير فكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة • الحسن رضي الله
عنه كم مستدرج بالاحسان اليه • وكم من مفتون بالثنا عليه • وكم من
مغرور بالستر عليه • فنسال الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا لطاعته •

قوله تعالى

واملي لهم ان كيدي متين • ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون • ام عندهم الغيب

فهم يكتبون • فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت • اذ نادى وهو
مكظوم • لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم • فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين • واملي لهم وامهلهم • كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله عز وجل • والافضال توجب
عليهم الشكر والطاعة • ولكنهم يجعلونه سببا للكفر • فلما تدرجوا به الى الهلاك
وصف المنعم بالاستدراج ان كيدي متين • سمى احسانه وتمكينه كيدا
كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة
ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب الى الهلاك • ام تسالهم اجرا
فهم من مغرم من غرامة اي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل
الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان • ام عندهم الغيب
عطف على قوله ام لكم كتاب ايمان الغيب اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما
يحكمون به • وقيل ام لانهم يعلمون الغيب فهم يكتبون ذلك علموا انك لست محقا
فيما اتيتهم به • ابن جرام عندهم الغيب الذي هو من اثبات اعجاز القران فهم يكتبون
كتابا مثله ياتون فيه بما في القران من الاخبار عما كان وعما يكون •
فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم • وقيل لحكم ربك
على تبليغ الوحي وتحمل الاذى • ولا تكن كصاحب الحوت في الضجر والغضب والعجلة
وهو يونس عليه السلام اذ نادى دعا ربه في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا
من كظم السقا اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة
فتبتلى ببلائه • وقيل مكظوم مجهود • وقيل مكروب • وقيل مغموم • وقيل
محبوس عن التصرف وهو من كظم غيظه اي حبسه • لولا ان تداركه نعمة حسن
تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه نعمة • وقيل عبادة سابقة • وقيل قوله
لا اله الا انت سبحانك • وقيل رحمة من ربه بقبول توبته لنبذ لطرح بالعراء
بالفضاء حيث لا شجر ولا ماء • وقيل العراء وجه الارض • وقيل العراء
ارض المحشر • قال صاحب الكشاف ونعمة ربه ان انعم عليه ٥
بالتوفيق للتوبة وتاب عليه • وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله
وهو مذموم • يعني اي حالة كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء • ولولا توبته
لكانت حالة على الذم • وقيل مذموم مذنب مبعد من الرحمة • وقيل مليم •
لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم • روي انها نزلت باحد حين حل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به • فاراد ان يدعوا على الذين
انهزموا • وقيل حين اراد ان يدعوا على ثقيف • فاجتباه ربه فاختاره للرسالة
وقيل جمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فجعله من الصالحين من الانبيا • وقيل حكم له بالصلاح • ابن عباس رضي الله عنه رد
الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ٥ **قوله تعالى** وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون • وما هو
الا ذكر للعالمين • وان مخففة من الثقيلة • واللام في ليزلقونك علمها فترا ناموا في رضي عنه

ليزلقونك بفتح اليا والباقون بضمه وهم لغتان يقال زلقه زلقه وازلقه ازلاقا
بمعنى واحد • ابن عباس ينفذونك بابصارهم لما سمعوا الذكر يقال زهق السهم
وزلق اذا انفذ • قتادة يزهقونك • الكلبي يصرعونك • وعنه يصرفونك
عما انت عليه من تبليغ الرسالة • عطية يرمونك المورخ يزلونك • النضر بن شميل
والاخفش يعينونك • عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك نظرا شزرا بتحديق
شديد يروعونك به وتظهرون العداوة • السدي يصيبونك بعيونهم • ابن زيد
ليمسونك • جعفر لياكلونك • الحسن وابن كيسان ليقتلونك • وهذا كما يقال
صرعني بطرفه • وقتلني • قال الشاعر

• ترميك مزلقة العيون بطرفها • وتكل عنك نصال ذي الرامي

• وقال اخر

• يتقارضون اذا التقوا في موطن • نظرا مزيل مواطئ الاقدام •

الحسن دوا اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية • وقيل ان الكفار ارادوا ان
يعينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا
ما راينا مثله ولا مثل حججه • وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت
البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي
المكتل والدراهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر • الكلبي كان
الرجل منهم يجوع ثلاثة ايام ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم كاليوم ابلا
ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قريبا حتى يسقط منها طايفة فسال الكفار هذا
الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فيفعل به مثل ذلك • فاجابهم
وانشد • • شعر •

• قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون •

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم لما سمعوا الذكر اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة
ويقولون انه لمجنون جرى في امره وتنفير اعنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم
جننوه لاجل القران • وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين • فكيف يجنن من جا بمثله

سورة الحاقة مكية

وهي الف واربعة وثمانون حرفا ومايتان وست وخمسون كلمة • واثنان وخمسون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • الحاقة ما الحاقة
وما ادراك ما الحاقة • كذبت ثمود وعاد بالقارعة • فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية • وجا
فرعون ومن قبله والموتفكات بالخاطية فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية
انا لما طغى الما حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية • الحاقة
القيامة • سميت حاقة لانها الساعة الواجبة الوقوع الثابتة • المجي التي هي اتية لا ريب فيها

ولان فيها حواق الامور وحقايقها من الحساب والثواب والعقاب • ولان التي تحق
فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها
وهو لاهلها • ولانها تحق الجزا على الاعمال التي تجب فيها • يقال حق عليه الشي اذا وجب
تحق حقوقا • قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين • والحاقة
رفع بالابتدا وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي تفخيما لشانها وتعظيما
لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها • وما ادراك واي شي اعلمك
ما الحاقة • يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا
يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع
الرفع على الابتدا وادراك متعلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام • كذبت ثمود
وعاد بالقارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسما بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف • والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها •
وقيل بالقارعة اي بالعذاب الذي نزل بهم حين وعدهم نبيهم حتى هجم عليهم فقرع
قلوبهم • فاما ثمود ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما
حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة
تكذيبهم فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وعصيانهم وهي مصدر كالعاقبة
وقيل هي نعت اي بفعلتهم الطاغية • دليله كذبت ثمود بطغواها • وقيل
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة • قتادة رضي الله عنه بالصيحة
الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح فاهمدتهم • وقيل بالرجفة • ابن
عباس رضي الله عنه بالصاعقة • واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت
لها صرصرة • وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد • وكثر فهي تحرق
لشدة بردها • عاتية شديدة العصف • والعتو استعارة • وقيل عتت
على خزانها فلم يطيعوهم وجاوزت المقدار • وقيل عتت على عاد فما قدروا على ردها
بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من
مكامنهم وتهلكهم • وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن • عن ابن عباس
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله تعالى نفحة من ريح الا
بمكيال • ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد • ويوم نوح عليه السلام
طغى على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل • ثم قرا بريح صرصر عاتية • انا لما طغى
الما حملناكم في الجارية • سخرها ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي
بالاقتدار سبع ليال وثمانية ايام • وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز
ذات برد ورياح شديدة وانما نسبت هذه الايام الى العجوز لان عجوزة دخلت سربا
وتوارت فيه فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع
العذاب من اليوم الثامن • وقيل سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتا • ولها
اسام مشهورة • الصن • والصنبر • والوبر • والامر • والموتمر • والمعلل • ومطفي
الجمر • وقيل مطفي الظعن حسوما • ابن عباس تباعا • مجاهد وقتادة متتابعة ليس

بها قرح وعلى هذا القول هو من حسم الكي وهو ان يتابع عليه بالمكواه • قتادة والكلبي
دايما • الضحاك كاملة لم تفتر عنهم حتى افنتهم • عطيه شوما كلها حسمت الخير عن اهلها
الخليل قطعا لدابرهم والحسم القطع والمنع • ومنه حسم الداء • وحسم الرضاع يمان والنضر
ابن شميل حسمهم فقطعهم واهلكهم وهو نصب على الحال • قال صاحب الكشاف
الحسوم لا يخلو اما ان تكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالكفور والشكور •
فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة
او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم
في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم • وان كان مصدرا فاما ان ينتصب
بفعله مضمرا اي يحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقوله ذات
حسوم • او يكون مفعولا له • اي سخرها عليهم للاستيصال فترى القوم فيها في تلك
الايام والليالي • وقيل في الريح • وقيل في بيوتهم وقيل في الطاغية من
جعلها اسم نفعه صرعى هلكى جمع صريع ساقط كانهم اعجاز نخل • وقيل اصول
نخل وهو ما يبقى على المكان بعد قطع الجذع خاوية ساقطة • وقيل خاوية الاجواف من خوى
بطنه اذا خلى وخوى المنزل في القحط وصفهم بعظم الاجسام وان الريح قطعتهم وبلغت روسهم وقيل
كان طولهم اثنا عشر ذراعا وقيل خالية الاجواف من الحياة • وقيل خاوية من الاحشا لان الريح اخرجت
ما في بطونهم وهذان القولان ضعيفان لان قوله خاوية جر صفة لنخل او يقال لخلوهم من الحياة
او من الاحشا شبههم بنخل خاوية فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس باقية • وقيل مصدر
كالطاغية اي فهل ترى لهم من بقا وجا فرعون ومن قبله • قرا ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح البا
ومن عنده من اتباعه واجناده والباقون بفتح القاف وسكون البا اي ومن تقدمه من القرون الخالية
والموتفكات • قرى قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بالخاطية بالخطا والخطية او الافعال ذات
الخطا العظيم والذنب الكبير فعصوا رسول ربهم • قيل فعصى قوم لوط لوطا • وقيل رسل ربهم • وقيل كل امة
رسولهم • وقيل رسالة ربهم فاخذهم اخذة رابية نامية غالية • ابن عباس شديدة وقيل زايدة
على عذاب الامم • انا لما طغى الما اي علا حتى تخرج بلا وزن ولا كيل وتجاوز الحد المعتاد • قتادة طغى الما
فوق كل شي خمسة عشر ذراعا حملناكم حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين
الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم بسبب ولادتهم لنجعلها اي لنجعل
نجات المومنين • واغراق الكفرة • وقيل لنجعل السفينة الجارية فانها بقيت الواحها دهرا
وقيل لنجعل سفينة اتخذت على مثالها • وقيل لنجعل هذه الحالات التي تقدمت لكم تذكرة عظة
وعبرة وتعيها وتحفظها اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل
وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك
اوعيت الشي في الظرف • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه حين نزلت
هذه الاية سالت الله تعالى ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيا بعد
وما كان لي ان انساه وانما قيل اذن واعيه على التوحيد • والتنكير للايذان بان
الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن
الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله تعالى وان ما
سواها لا يبالي بهم بالة وان ملوا ما بين الخافقين **قوله تعالى** فاذا نفخ

في الصور

فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة
وانشقت السما فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية • فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة هي النفخة الاولى لان عندها فساد العالم وحملت الارض
والجبال وما فيها فدكتا فكسرتا ودقتا دكة واحدة فصارت هبا منبثا وانما قال فدكتا ولم يقل فدككن لانه
جعل الارض كالشي الواحد فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وقعت جواب اذا فيومئذ بدل من اذا كرر لما طال
الكلام وانشقت السما قال صاحب الكشاف وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض
والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب
بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهبا منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا افترش وبعير ادك وناقة دكا ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة
فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة والملك
اسم الجنس يعني الملائكة قيل يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في فوقهم على المعنى قيل والملك اعم من الملائكة
الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها
تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها قيل ارجا السما وقيل ارجا الارض وقيل رجا الدنيا
وقيل على قطعها التي لم تنشق بعد ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الخلق يومئذ ثمانية اي ثمانية منهم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية ثمانية صفوف
لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقيل ثمانية املاك بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور
وبعضهم على صورة النسر وروي على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك والاربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من
خلق اخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون
تحاسبون والعرض عبارة عن المحاسبة والمسالة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر ليعرف احواله وفي الحديث يعرض
الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وخصومات ومعاذير واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة فعندها تطير
الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله قال صاحب الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل
واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت اي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا
الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه ان الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو بعد النفخة الثانية
قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ
تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته لا تخفى منكم خافية سريرة وحال كانت
تخفى في الدنيا بستر الله عليكم **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاوم اقرؤا كتابيه اني ظننت
اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية
واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني
ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يومن
بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون
فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول اخبار عن قول من اوتي كتابه بيمينه سرورا به يصوت به فيقول
منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك هاوم تعالوا اقرؤا كتابيه منصوب بهاوم عند الكوفيين وعند البصريين
لانه اقرب العاملين واصله هاوم كتابي اقرؤا كتابي فحذف لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا

قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقروا وامرئه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه
وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل
لا بأس بالوصل والاسقاط اني ظننت علمت وانما اجرى الظن مجرى لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات
والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت ملاق حسابيه اي معاين حسابي فلذلك استعد له عن
زيد بن ثابت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب ٥
وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فاين ابو بكر فقال هيهات هيهات زفته الملائكة الى الجنة وعن عائشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيمة الا ابا بكر رضي الله عنه فهو
في عيشة راضية مرضية كقوله من ماء دافق وقيل منسوبة الى الرضى كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف
ونسبة بالصيغة وقيل جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور
والاشجار وقيل مرتفعة المكان في السماء قطوفها دانية ثمارها دانية قريبة يتناولها القائم والقاعد والنائم والمضطجع
كلوا واشربوا هنيئا سالما من الافات والمكاره ولا تنغيص فيها ولا تكدير لها اي اكلا وشربا هنيا او هنئتم هنيئا على
المصدر بما اسلفتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا عن مجاهد ايام الصيام اي كلوا
واشربوا بدل ما امسكتم من الاكل والشرب لوجه الله وروي ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا اوليائي طالما
نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وقد غارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في
نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ٥ واما من اوتي كتابه بشماله فيقول اخبارا عن قول من اوتي
كتابه بشماله يا ليتني لم اوت كتابيه ٥ ان الشاب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل تنزع يده
من صدره الى خلف ظهره فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يقول ذلك لما يرى فيه من الفضائح
وقيل لم اوت كتابي بشمالي وقيل يا ليتني لم ابعث ولم احاسب ولم ادر ما حسابيه ولم ادر ما جرى عملي وقيل هو كتاب
البراءة من الله وقيل نزلت في ابي جهل وقيل في الاسود بن عبد الاسد فيكون هو سبب النزول والمعنى يعم جميع
الكفار يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث ولم القى ما القى وقيل يا ليت الموتة
التي متها في الدنيا كانت القاضية القاطعة من كل ما بعدها فلم ابعث بعده والقاضية موتة لا حياة بعدها
وقيل يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت
وشدته فتمناه عندها وقيل معناه يا ليتني مت فاسترحت ٥ ما اغنى عني الموت ولم يكن عنده في الدنيا اكره
من الموت ما اغنى عني ماليه نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار ٥
هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي
كنت احتج بها في الدنيا ثم يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه يروى انه يجتمع على الشخص الواحد من اهل النار
مائة الف من الزبانية فتتقطع في ايديهم فلا يرى في ايديهم منه الا الودك ثم يعاد خلقا جديدا فغلوه اجمعوا
يده الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه فيها وقيل اوقدوا النار واشووه بها وقيل اجعلوه يصلى وقيل ثم لا
تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار ثم في سلسلة
ذرعها طولها سبعون ذراعا ابن جريج بذراع الملك ٥ الحسن الله اعلم باي ذراع هو نوف الذراع سبعون
باعا كل باع ما بين الكوفة الى مكة او ابعد وحلقها لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب
الرصاص والذرع طول يد الانسان وانبساطها والذرع المصدر ايضا فاسلكوه فادخلوه قال ابن
عباس فيدخل في دبره ويخرج من منخريه وقيل يدخل في فيه ويخرج من دبره وعن عبد الله بن عمرو قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي
خمسمائة سنة لبلغت الى الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار

٥٤٩

قبل ان تبلغ اصلها او قعرها قال صاحب الكشاف سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها
وهو فيما بينها مرهق عليه مضيق لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان
تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله
في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى
ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل
على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك انه كان لا يؤمن بالله
العظيم جزاء على كفره وبخله ولا يحض على طعام المسكين اي لا يطعم ولا يامر به وفيه دليلان قويان على عظم الجرم في
حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض
بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل ٥ اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين
وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم والمعنى على بذل طعام
المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم صديق ينفعه وقيل قريب يعينه وقيل ماخوذ من الحميم وهو الماء الحار كانه
الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له وقيل حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه لقوله
ولا يسئل حميم حميما ولا طعام الا من غسلين صديد اهل النار فعلين من الغسل الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون ويجوز
ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون ٥ انه لقول رسول كريم ٥ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ٥ ولا بقول كاهن قليلا ما
تذكرون ٥ تنزيل من رب العالمين ٥ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ٥ لاخذنا منه باليمين ٥ ثم لقطعنا منه الوتين ٥ فما
منكم من احد عنه حاجزين ٥ وانه لتذكرة للمتقين ٥ وانا لنعلم ان منكم مكذبين ٥ وانه لحسرة على الكافرين ٥
وانه لحق اليقين ٥ فسبح باسم ربك العظيم ٥ فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اقسم بجميع المكونات
والموجودات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل الاجسام والارواح وقيل الانس والجن وقيل الخلق والخالق وقيل
النعم الظاهرة والباطنة وقيل ما في ظهر الارض والسماء وما في بطنها وقال جعفر ما تبصرون من صنعي في ملكي
وما لا تبصرون من بري باوليائي وقيل الجنيد ما تبصرون من اثار الرسالة والوحي على حبيبي محمد صلى الله عليه
وسلم وما لا تبصرون من الشرعة ليلة الاسراء وقيل ما اظهر الله تعالى عليه الملائكة واللوح والقلم وما
استأثر بعلمه فلن يطلع عليه احدا ٥ ابن عطا ما تبصرون من اثار الله تعالى وما لا تبصرون من اسرار القدرة
والاول الاحسن فانه اقسم بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر انه
اي ان هذا القران لقول رسول كريم اي تلاوة محمد وتبليغه اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة
من عند الله وقيل وحي جبريل كريم على الله وفي لفظ الرسول دليل على انه يبلغ عن الله وحكايته والقول يقع
على الحكاية ٥ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون قليلا ما تذكرون
قرأ ابن عامر وابن كثير يؤمنون ويذكرون بالياء من تحت والباقون بالتاء فيهما ما صلة وقليلا
صفة مصدر محذوف اي تؤمنون ايمانا قليلا وتذكرون تذكرا قليلا وقيل القلة في معنى العدم اي لا
يؤمنون ولا يتذكرون البته والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل
بينا انه قول رسول نزل عليه من رب العالمين ولو تقول علينا تخرص واختلق علينا بعض الاقاويل التقول افتعال
من القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب
والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه كما يفعل الملوك بمن
يكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده

ويضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره
وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يلحقه بالسيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا
بيمينه كما أن لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد
إذا قطع مات صاحبه وقيل من صلة معناه لعاقبناه وانتقمنا منه بالحق كقوله إنكم كنتم تأتوننا
عن اليمين من قبل الحق ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة وقيل معناه لأخذناه باليد اليمنى من
يديه وهو في معنى لأذللناه وأهنّاه وهذا كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض
من هو بين يديه وإهانته بعض أعوانه أخذ بيده ٥ قتادة الوتين حبل القلب ٥ مجاهد
الحبل الذي في الظهر وقيل هو حبل بين العلباء والحلقوم فما منكم من أحد عنه حاجزين مانعين
يحجز وشاع عقوبته وما يفعله به وإنما جمع وهو فعل واحد ردا على معناه والضمير في عنه
للقتل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدرون أن يحجزوا عنه القاتل ويحولوا بينه
وبينه والخطاب للناس وإنه لتذكرة للمتقين أي وإن القرآن لتذكرة للمتقين خصهم بالذكر
لانتفاعهم به وإنا لنعلم أن منكم مكذبين والخطاب للناس والمعنى أن منكم مكذبين ومنكم
مؤمنين صادقين فاكتفى بذكر أحدهما وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون
بالقرآن وإنه أي وإن القرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين إذا رأوا ثواب المصدقين به وقيل
خالفوهم وقيل إن التكذيب لحسرة على الكافرين وإنه وإن القرآن لحق اليقين أضاف إلى نفسه
لاختلاف اللفظين أي وإن القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى
لعين اليقين ومحض اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله العظيم الذي كل شيء
في جنب عظمته صغير ٥ **سورة المعارج مكية** وهي ألف واحد وستون حرفا ومائتان وست عشرة كلمة
وأربعة وأربعون آية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سأل سائل بعذاب واقع ٥
للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون
الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته
وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ٥ قرأ أهل المدينة والشام سال بغير همز
مثل قال والباقون بالهمز فهو من السؤال والباء في قوله به بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا أي عنه
قال علقمة ٥ فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب أي عن النساء ومعنى الآية سأل سائل
بعذاب واقع أي نازل كائن على من ينزل ولمن هو فقال الله مبينا مجيبا للكافرين قال الحسن
وقتادة كان هذا بمكة لما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إليهم وخوفهم بالعذاب
والنكال قال المشركون بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب سلوا محمدا لمن هو وعلى من ينزل ومن يقع
فبين الله تعالى وأنزل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وقيل الباء صلة وتضمن سأل معنى دعا أي
دعا داع بعذاب واقع للكافرين على الكافرين اللام بمعنى على وهو النضر بن الحارث حين دعا على نفسه
وسأل العذاب فقال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل
صبرا ولم يقبل منه الإسلام ولم يقبل يومئذ من الأسرى غيره وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعجل بعذاب للكافرين ومن قرأ سال فعلى وجهين أحدهما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون
سلت تسال وهما يتسايلان والثاني أن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل
مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن

قتادة

قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم
فإن قلت بما يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الأول متصل بعذاب صفة له أي بعذاب واقع
كائن للكافرين أو بواقع أي بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل أي هو للكافرين
من الله يتصل بواقع أي واقع من عنده وقيل متصل بدافع بمعنى ليس له دافع من الله من جهته إذا
جاء وقته ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو
والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح إليه في يوم أي إلى عرشه وحيث يهبط منه أوامره
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما يعد الناس والروح جبريل أفرده لتميزه بفضله وقيل
الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس ٥ ابن عباس ذي المعارج
ذي السموات ٥ ابن كيسان المعارج الفتق الذي بين كل سماءين وأرضين ٥ قتادة ذي الفواضل والنعم
سعيد بن جبير ذي الدرجات القرطبي ذي الفواضل العالية ٥ مجاهد معارج الملائكة وقيل
هو أرواح المؤمنين عند الموت وقيل هم قوم يشبهون الإنس ليس لهم إليه إلى محل الكرامة
والزلفى وقيل إلى حيث لا يكون لغير الله فيه حكم لا عقد ولا أمر ولا نهي وقيل في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة من سني الدنيا لو صعد غير الملائكة وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من أسفل الأرض
إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك
نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين
السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام محمد بن إسحق لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا
خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه الحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون
ألف سنة لا يدري أحدكم كم مضى وكم بقي إلا الله ٥ قتادة هو يوم القيمة الحسن هو يوم القيمة
وليس يعني أن مقدار طوله هذا دون غيره ولو كان كذلك لكانت له غاية يفنى فيها الجنة والنار
والجنة يقول موقفهم للحساب يعني يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا وذلك أن يوم
القيمة أوله وليس له آخر إلا أنه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وقيل معناه لو ولي محاسبة
العباد في ذلك غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة ٥ الكلبي لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة
والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا بعد ثم وإنا خبر كانه وقيل ليس له دافع من الله في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه وعن ابن عباس هو يوم القيمة جعله الله
على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة فإذا دان أهل الموقف يستطيلون ذلك اليوم وعن أبي سعيد
الخدري قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون عليه أخف
من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ٥ إبراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المؤمنين إلا كما بين الظهر
والعصر فاصبر على تكذيبهم إياك صبرا جميلا لا جزع فيه قيل هذا قبل أن أمر بالقتال فنسخ
وقيل غير منسوخ فإن الصبر الجميل الانتظار من غير استعجال وقوله فاصبر متعلق بسأل سائل لأن
استعجال النضر بن الحارث بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله عليه السلام والتكذيب بالوحي
وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عنه العذاب
لمن هو فإنما سأل عن طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل فمعناه جاء العذاب
لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام إنهم الكفار يرونه يرون العذاب الواقع ومن علق في
يوم بواقع يقول يرون يوم القيمة بعيدا يستبعدونه على جهة الإحالة ونراه قريبا هينا في قد

صنين

سنة

دنيا

عن بعيد علينا ولا ممتنع فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب من الامكان وقيل قريبا
لان ما هو آت قريب وقيل يظنونه بعيدا ونعلمه قريبا يوم يكون منصوب بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في
ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مضمر الدلالة واقع عليه وقيل يوم يكون السما كالمهل كان كيت وكيت
وقيل هو بدل عن يوم في من علقه بواقع كالمهل كعكر الزيت وقيل كالقار المذاب وعن ابن مسعود ه
كالفضة المذابة في تلونها ويكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانه وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المصبوغ اذا طيرته الريح ه مقاتل
كالصوف المنفوش ه الحسن كالصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا
مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هبا منثورا ولا يسال حميم حميما قريب قريبا لشغله بشان نفسه يبصرونهم
يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وليس في القيمة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس ه
فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يسايله ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه ابن
عباس يتعارفون مرة ساعة بالنهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك السدي يبصرونهم يعرفونهم اما
المومن فبياض وجهه واما الكافر فسواد وجهه يبصرونهم كلام مستانف كانه لما قال ولا يسل حميم
حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تسائلهم وانما جمع الضميران في
يبصرونهم وهما للحميمين لان المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم
صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
قرا نافع والكسائي بفتح الميم على الاضافة الى غير متمكن والباقون بالجر ببنيه وصاحبته زوجته ه
واخيه وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم ابو عبيدة فخذه ثعلب اباؤه الادنون قيل امرأته
الاقربين التي تؤويه تضمه انتماء اليه وقيل تأوي اليها عند الخوف اوليائه اليها عند النوائب مجاهد
قبيلته ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ذلك الافتداء من عذاب الله والمعنى يود لو يفتدي بجميع هؤلاء
المذكورين ثم ينجيه ذلك الافتداء من عذاب الله وثم للاستبعاد اي يتمنى لو كان هؤلاء
جميعا تحت يده وبذلهم في فدا نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه قوله تعالى كلا انها لظى
نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير
مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون كلا ردع للمجرم
عن الوداده وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء اي ليس كذلك اي لا ينجيه من عذاب الله شي ثم
ابتدا فقال انها لظى اي النار ولم يجر لها ذكر لان العذاب دل عليها وقيل يجوز ان يكون
ضمير القصة وقيل يجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر وقيل معناه حقا انها لظى فيكون متصلا
لظى اسم من اسماء جهنم وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقيل يجوز ان يراد اللهب نزاعة قرا
حفص عن عاصم بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والباقون
على انه خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كان الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث ه
لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة تنزع وتقلع وتبسط للشوى ه الكلبي لام الراس
ياكل الدماغ كله ثم يعود الدماغ كما كان ثم يعود لاكله فذلك دابها ه عطيه للجلود والهام

سعيد

سعيد بن جبير للعصب والعقب مجاهد الجلود الراس جميع شواه وهي جلدة الراس قال كبير ه
لاصبحت هدتك الحوادث هدة ه لها فشواة الراس باد قتيرها ه
ابراهيم بن مهاجر اللحم دون العظم الحسن الهام تحرق كل شي منه ويبقى فؤاده نضجا ابو صالح للحم الساق
ثابت البناني لمكارم وجهه ه لمكارم خلقه واطرافه ابو العالية لمحاسن وجهه يمان خلاعه ه
للاطراف من الاعضاء ه الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا ه الكسائي المفاصل
ابن جرير الشوى جمع شواه وهي من جوارح الانسان ما لم يكن مقتلا يقال رمى فاشوى اذا لم يصب ه
مقتلا تدعوا الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن الحق وتقول الي الي ابن عباس تدعوا الكافرين والمنافقين
باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما تلتقط الطير الحب ثعلب تدعوا اي تهلك تقول العرب دعاك الله
اي اهلكك الله ه الخليل انه ليس كالدعا ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم وفعلها بهم ما تفعل وجمع
المال فاوعى جعله في وعا وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة عليه وتشاغل به عن الدين
وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان اي الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين خلق هلوعا ه ابن
عباس حريصا على ما لا يحل له ه سعيد بن جبير شحيحا عكرمة ضجورا الضحاك والحسن بخيلا حريصا
قتادة وابن زيد جزوعا مجاهد شرها الضحاك ايضا هلوعا الهلوع الذي لا يشبع مقاتل ضيق القلب
ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ويسخطه ثم تعبده بانفاق
ما يحب والصبر على ما يكره عطا عجولا وقيل نجولا سهل متقلبا في شهواته وهواه ابن
عطا الهلوع الذي يرضى ما يحب ويلد والصبر على ما يكره عند الموجود ويسخط عند المفقود
الوراق يشا ما عند النعمة ودعا عند المحنة سهل ايضا اذا افتقر جزع واذا استغنى جزع ابو عبيدة
هو الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وقيل طموعا يرضيه القليل من الدنيا ويسخطه
مثله والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجوع وقيل الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند
مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير خفيفة عطيه عن ابن عباس هو الذي قال الله عز وجل
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله فلا يكون تفسيرا ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا
ناله خير بخل به ومنعه الناس الخير المال والغنى والشر الفقر والخير الصحة والشر المرض اذا صح الغنى
منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي قال صاحب الكشاف والمعنى ان الانسان
لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه محمول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري
غير اختياري لقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه
ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثنا المومنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وطلقوها
من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع
وجبن خالع ثم استثنى فقال الا المصلين الذين هم قيل هم الصحابة خاصة وقيل هم المومنون
عامة فانهم يغلبون فرط الهلع بحكم الشرع لتعبدهم ربهم ونفسهم بتقديره واستثنا الجمع من الواحد لان الانسان
اسم الجنس وهو في معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون مواظبون على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون
عنها بشي من الشواغل كما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة كان
عمله ديمة روي ان عقبة بن عامر قال لجماعة من الذين هم على صلوتهم يحافظون قالوا الذين لا
يزالون قال ولكن الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والذين في اموالهم حق معلوم يعني
الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه في اوقات معلومة للسائل الذي يسئل

والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين يصدقونه بأعمالهم
واستعدادهم له والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون وجلون قال الحسن يشفق المؤمن
أن لا تقبل حسناته واعترض بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون أي لا ينبغي لأحد وإن بلغ في الطاعة
والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون
أي يعفون عما حرم عليهم قال الحسن لفروجهم لثيابهم حافظون فلا يكشفونها على محرم إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم أي الجواري وما بمعنى من وقيل ما للمصدر أي ملك أيمانهم فإنهم غير ملومين
على ترك الحفظ فمن ابتغى وراء ذلك طلب منكحا سوى الزوجة والجارية ومعنى وراء ذلك أي الخارج
عن الحد المذكور فأولئك هم العادون المجاوزون من الحلال إلى الحرام والذين هم لأماناتهم
وعهدهم فيما بينهم راعون حافظون غير خائنين ولا ناقضين قيل الأمانة ما دل عليه العقول
والعهد ما أتى به الرسول والذين هم بشهاداتهم قائمون يقيمونها ولا يكتمونها ولا يغيرونها والشهادة
من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها
وإبطالها قال سهل قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا إله إلا الله فلا يشركون به في شيء من
الأقوال والأفعال والأحوال قرأ ابن عامر وحفص ويعقوب بشهاداتهم بالألف على الجمع والباقون
بشهادتهم والذين هم على صلاتهم يحافظون ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم ثم فالدوام يرجع إلى
أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها أولئك في جنات مكرمون يعني أهل هذه الأوصاف في
جنات مكرمون بفضل الله الذي يؤتيه من يشاء من عباده **قوله تعالى** فمال الذين كفروا قبلك
مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما
يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى
نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون قوله فمال الذين
كفروا أي فما للذين كفروا كقولك فما لك قوله في المنافقين فئتين وقوله فما لهم عن التذكرة معرضين
قبلك نحوك مهطعين مسرعين مقبلين عليك مادي أعناقهم مديمي النظر مطلعين نحوك والإهطاع الإسراع
عليهم وهو نصب على الحال عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة وأصله عزوة كأن كل
فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون وقيل عزين حلقا وفرقا عصبة عصبة
وجماعة جماعة متفرقين والمعزين جماعات واحدها عزة تثنيه وثنين ولدة ولدين وقلة وقلين

قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا ... كتائب جندل شتى عزينا

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حلق حلق متفرقون قال
ما لي أراكم عزين كان المشركون يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه ولا
ينتفعون به بل يكذبون به ويكذبون عليه ويستهزئون به وبأصحابه ويقولون لئن دخل هؤلاء
الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم فقال الله تعالى أيطمع كل امرئ
منهم أن يدخل جنة نعيم كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة أي لا يدخلونها ثم ابتدأ فعلل
ذلك بقوله إنا خلقناهم مما يعلمون أي من نطفة ثم من علقة ثم مضغة فلا يستوجب أحد
منهم الجنة لكونه لأن مادة الخلق واحدة بل يستوجبونها بالطاعة وقيل إنا خلقناهم من أجل ما

يعلمون

يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب فحذف أجل وقيل ما بمعنى من أي إنا خلقناهم ممن
يعلمون ويعقلون كالبهائم قال صاحب الكشاف كلا ردع لهم عن طمعهم في دخولهم الجنة ثم
علل ذلك بقوله إنا خلقناهم مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث وكأنه
قال كلا إنهم منكرون للبعث فمن أين يطمعون في دخول الجنة قال فإن قلت من أي وجه
دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم
مسوق على من ربك لقوله لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة قيل يجوز أن
يراد إنا خلقناهم مما لا يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم
وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم
عن أنس بن مالك قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا خطبنا يقول ما بال ابن آدم يتكبر
وقد خلقه أنه يخرج من مخرج البول مرتين ثم يقع في الرحم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يخرج من بطن أمه
فيلوث في بوله وخرئه حتى يقذر أحدنا نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق
يوما في كفه ووضع أصبعه فقال يقول الله تعالى يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل
هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي
قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقيل معناه فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم على أن نهلكهم حين عصوك ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله وأرضى منهم
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا ذلك فذرهم دعهم أمر تهديد يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا ويلهوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب قيل يوم بدر وقيل
يوم البعث يوم يخرجون قرأ أبو بكر عن عاصم بضم الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء من
الأجداث من القبور سراعا إلى إجابة الداعي كأنهم إلى نصب إلى شيء منصوب يقال فلان
نصب عيني قال ابن عباس إلى غاية وذلك حين سمعوا الصيحة الآخرة قال الكلبي إلى علم وراية قال أبو
العلاء سمعت بعض العرب يقول النصب الشبكة التي يقع فيها الصيد فيسارع إليها صاحبها مخافة
أن ينفلت الصيد منها قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم نصب بضم النون والصاد قال مقاتل والكسائي
يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى والباقون بفتح النون وسكون
الصاد يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم قال ابن عباس وقتادة
يسعون أبو العالية ومجاهد يستبقون الضحاك ينطلقون الحسن يبتدرون القرظي يشتدون
خاشعة ذليلة خاضعة أبصارهم بالعذاب قال قتادة سواد الوجوه ترهقهم ذلة يغشاهم
هوان ومنه غلام مراهق إذا غشي الاحتلام ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا
وهم يكذبون به وهو يوم القيامة

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي تسعمائة وتسعون حرفا
ومائتان وأربع وعشرون كلمة وثمان وعشرون آية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم
نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل
مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر أي بأن أنذر
حذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل والمعنى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه بأن قلنا له أنذر
أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لأن الإرسال فيه معنى القول من قبل أن
يأتيهم عذاب أليم قيل عذاب الآخرة وقيل الطوفان والغرق قال نوح يا قوم إني لكم نذير

مبين ان اعبدوا الله نحو ان امشوا في الوجهين واتقوه واحذروا عصيانه وعقابه واطيعون
فيما امركم به وانهاكم عنه يغفر لكم من ذنوبكم قيل من للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وقيل صلة اي يغفر لكم ذنوبكم وقيل للتبعيض اي يغفر لكم ما سبق من ذنوبكم وقيل بحسب ما يقع
من الاقلاع عنها وقيل ان المعنى يخرجكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى وهو الموت فلا يهلككم
بالعذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين بالعذاب الى اجل مسمى اي الى اجل تعرفونه كذلك وقيل
يؤخر اجالكم فلا يعاجلكم الى الاجل الذي كتب لكم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قال ويؤخركم
مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم
الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى
وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم انه
اذا اخبر اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في
اوقات الامهال والتاخير وقيل وعدهم اجلا لو عطيهم ان امنوا وعلم انهم لا يؤمنون الحسن اي ان
امنتم اخرتم بعد ذلك الى يوم القيمة لا يواخذكم بذنب في الدنيا قيل في الاية دليل على اثبات
اجلين لان الوعد بالاجل المسمى مشروط في العبادة والتقوى فلم لم يفعلوا املعوا بالعذاب
الاستيصال قبل الاجل الاقصى والله اعلم ان اجل الله اذا جاء حلول العذاب او بالموت لا يؤخر وقيل
اجل الله القيمة لو كنتم تعلمون جوابه لامنتم وقيل لو كنتم تعلمون لعلمتم ذلك **قوله** قال رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا ٥
اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد
خلقكم اطوارا ٥ قال نوح يشكو الى الله ما قاساه من قومه رب دعوت قومي ليلا ونهارا اي
دايما من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها وقيل دعوتهم احيانا بالليل واحيانا بالنهار روي انه كان
ياتي باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب الدار من على الباب فيقال انا نوح قل لا اله
الا الله وقيل المراد بالليل والنهار فرادى وجماعات فلم يزدهم دعاي الا فرارا نفارا وادبارا
وقيل لم يزدادوا الا تماديا في الغي واعراضا جعل الدعا فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا
عنه فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم
لتغفر لهم اي دعوتهم الى الايمان ليؤمنوا فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا
اذانهم كراهة استماع محاورتي ودعاي اياهم الى الله واستغشوا ثيابهم غطوا بها وجوههم
كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله
وقيل غطوا رؤسهم وسكروا عني حتى لا اعرفهم ٥ الحسن تعصوا ثيابهم وقاموا عني واصروا على الكفر
من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي
والاكباب عليها واستكبروا وتعظموا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وقبول كلامي وترفعوا
عن الاذعان للحق فقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وذكر المصدر اي استكبارا توكيد ٥
ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم اني دعوتهم جهارا ظاهرا يرى بعضهم بعضا ثم اني اعلنت
لهم الدعوة واسررت لهم اسرارا قال صاحب الكشاف فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم
دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان يكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف

قلت

قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتدا بالاهون والترقي في
الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما
وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لانه
اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعا جهارا اي مجاهرا فقلت استغفروا
امرتهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم
واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته وما يتبعهما من خير الدنيا
والاخرة كما قال واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السما ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
انه كان غفارا ٥ عن الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار
فقيل له ما رايناك استسقيت فقال عمر لقد طلبت المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السما عليكم مدرارا اي المطر عليكم مدرارا درارا كثيرا دايما ويمددكم باموال وبنين
يزدكم اموالا واولادا ذكورا ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا اي يجعل لكم بساتين واشجارا ويجعل
لكم مياها جارية في اساع وذلك ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس
الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فوعدهم الله ان امنوا ان
يرد عليهم ٥ الحسن ان رجلا شكا اليه الجدوبة فقال له استغفر الله واتاه اخر فشكا اليه الفقر
فقال له استغفر الله واتاه اخر فقال ادع الله ان يرزقني ابنا فقال استغفر الله واتاه اخر
فشكا اليه جفاف بساتينه فقال استغفر الله فقلنا له اتاك رجال يشكون اليك ابوابا ويسالون
انواعا واخرا فامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت من راي نفسي في ذلك شيا انما اعتبرت فيه
قول الله عز وجل اخبارا عن نوح عليه السلام انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا دايم
الغفران يرسل المظلة لان المطر منها ما نزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل
السحاب بارض قوم عليكم مدرارا اي كثير الدرور مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل
وامراة معطار ومتفال ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى لا تكونون
على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار
ابن عباس ومجاهد ما لكم لا ترجون لله عظمة سعيد بن جبير ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته منصور
عن مجاهد لا تبالون لله عظمة العوفي لا تعلمون لله عظمة ٥ قتادة لا ترجون لله عاقبة ابن زيد لا ترون
لله طاعة الكلبي لا تخافون لله ٥ ابن كيسان ما لكم لا ترجون في العبادة ان يثيبكم على توقيركم اياه
خيرا الحسن لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة ٥ سعيد بن جبير ايضا لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون
عقابا والرجا من الاضداد يكون املا وخوفا وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم
لا تؤمنون بالله والحالة هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم
اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغة ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر
قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله
انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا
فجاجا ٥ نبههم على النظر في انفسهم اولا لانه اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم العلوي ثم
السفلي وما سوي فيهما من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه فقال الم تروا كيف

خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا بعضها على بعض الحسن كل سما طبق لارضها الاولى للاولى
والثانية للثانية متوعلى الولا وطباقا جمع طبق وهي صفة لسبع وقيل نصب على المصدر اي طابقها طباقا
وقيل حال وجعل القمر فيهن في السموات وهو في سما الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طبقات
فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وجعل الشمس سراجا
يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما
هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى
من النور والله انبتكم من الارض نباتا قيل معناه خلق ادم من تراب وانتم اولاده وقيل جعل نشاكم ره
وانماكم بالغذا الذي من الارض ونباتا مصدر انبت بحذف الزوايد وقيل بتقديره فنبتم نباتا استعير
الانبات للانشا كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم كانوا نباتا
كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام
من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا وقيل نباتا
منصوب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم منها احيا يوم القيامة ثم اكده بالمصدر
كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها بساطا مبسوطة يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه
لتسلكوا منها لتتصرفوا فيها سبلا فجاجا وذهابا سبلا فجاجا طرقا بينة وقيل واسعة منفجة وقيل طرقا مختلفة وقيل
واسعة وقيل بعيدة وقيل السبل الطرق والفجاج ما اتسعت منها **قوله تعالى** قال نوح رب
انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا قال نوح رب
انهم عصوني فيما امرتهم به من التوبة والايمان واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي اتبع السفلة
رؤسهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد الذين اموالهم واولادهم لم يزدهم الا خسارا خسرانا وهلاكا
لانهم لم يقوموا بشكر ما انعم عليهم قيل وارسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم التي
لم يزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زايدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة
لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه قرا نافع وابن عامر وعاصم وولده بفتح الواو
والدال والباقون بضم الواو وسكون الدال وهما لغتان ومكروا مكرا كبارا معطوف على لم يزده
وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤسا ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم
لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لا تذرن الهتكم الى عبادة رب
نوح مكروا كبارا كبيرا وكبارا بالتخفيف وكبارا بالتشديد قيل كلها بمعنى واحد وقيل الكبار بالتشديد
اكبر من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف اكبر من الكبير ونحوه طويل وطوال وطوال **قوله تعالى**
وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا
تزد الظالمين الا ضلالا مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقالوا
اي رؤسهم للسفلة لا تذرن ودا كان هذه المسميات كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها
بعد قوله لا تذرن الهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث عن محمد
بن كعب كان لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا
عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال هل لكم ان اصور لكم في قبلتكم مثله اذا نظرتم اليه
ذكرتموه قالوا نكره ان تجعل في قبلتنا شيئا نصلي اليه قال فاجعله في موخر المسجد قالوا نعم فصوره
لهم من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره لهم ثم مات اخر فصوره لهم قال فتنقصت

الاشيا

الاشيا كما ينقصون اليوم واقاموا على ذلك ما شا الله من ان يقيموا ثم تركوا عبادة الله فاتاهم
الشيطان فقال لهم ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا من نعبد قال هذه الهتكم والهة ابائكم
الا ترونها مصورة في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا عليه السلام فدعاهم الى عبا
دة الله فقالوا لا تذرن الهتكم ولا سواعا وقيل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم تباع يقتدون
بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجا اخرون دب
اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وقال ابن عباس
كان نوح يحرس جسد ادم على جبل من الهند يحول بين الكافرين وبين ان يطوفوا بقبره فقال
لهم الشيطان ان هولا يفتخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد انا اصور لكم
مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا
فلما كان ايام الغرق دفن الطوفان تلك الاوثان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان
لمشركي العرب فاتخذت قضاعة ودا فعبدوها بدومة الجندل ثم توارثه بنو الاكابر فالاكابر حتى
صارت الى كلب فجا الاسلام وهو عندهم واخذ اعلى وانعم وهما من طي يغوث فذهبوا به الى مراد
فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية ارادوا ان ينزعوه من اعلى وانعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث
ابن كعب واما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الاكبر فالاكبر حتى صار الى همدان واما
نسر فكان لخثعم يعبدونه واما سواع فكان لال ذي الكلاع يعبدونه عطا وقتادة والمسيب
صارت اوثان قوم نوح للعرب وكان ود لكلب بدومة الجندل وكان سواع برهاط لهذيل وكان
سواع ليغوث لبني غطيف من مراد بالجرف وكان يعوق لهمدان وكان نسر لال ذي الكلاع
من حمير واما اللات فلثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر واما مناة
فكانت لقديد واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت
نائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا الواقدي كان ود على
صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر
على صورة نسر من الطير وقد اضلوا الضمير للرؤسا ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هولا الموصين
بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم وقيل وقد اضلوا اي الاصنام اي ضل بعبادتها
وبسببها كثير من الناس نظيره رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين عطف على قوله
رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النايبة عنه ومعناه قال
رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب
لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصلى في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما
على صاحبه الا ضلالا الا هلاكا وقيل عذابا وقيل عدولا عن الصواب دعا عليهم حين قال الله له
لن يؤمن من قومك الا من قد امن مما خطاياهم اي من خطاياهم وما صلة لتقديم مما خطاياهم
لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة
ما قال صاحب الكشاف وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة
من خطيئاتهم وان كان كبراهن وقد نعت عليهم ساير خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرقوا بينه وبين
في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان
خلا من الخطية الكبرى وفي ما قاله دسيسة اعتزالية اغرقوا فادخلوا نارا دخول الفاء دليل على اثبات
عذاب القبر لاجل التعقيب فقيل ذلك عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار واكلته السباع والطير

أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وقيل جعل دخول النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولأنه كائن لا محالة وكأنه قد كان عن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب والتنكير في نارا للتعظيم او لان الله اعد لهم على حسب خطياتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله لقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا

قوله تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ۝ من الكافرين ديارا اي احدا ابدا ومر في الارض فيذهب ويجي من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ۝ ابن عباس كان ينطلق بابنه الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي من سيفجر ويكفر محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال نوح هذا حين اخرج الله تعالى كل مؤمن من اصلابهم وارحامهم واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة واخبر الله تعالى نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ابو العالية والحسن لو اهلك الله اطفالهم معهم لكان عذابا من الله لهم ولكن الله تعالى اهلك ذريتهم واطفالهم بغير عذاب ثم اهلكهم والدليل عليه قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وقد علمنا ان الاطفال لم يكذبوا الرسل انما وقع العذاب على المكذبين

قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ۝ رب اغفر لي ولوالدي اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوى ولمن دخل بيتي مؤمنا داري ومنزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا الا هلاكا ودمارا ابن عباس كما استجاب الله دعاءه في الكافرين ولم يذر منهم احدا كذلك يستجيب في المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة فان قلت في الآية الاولى ضلالا وفي الثانية تبارا لان في الآية الاولى اضلهم كثيرا فجازاهم بالاضلال ضلالا ثم دمرتهم تدميرا

سورة الجن مكية

وهي ثمان مائة وسبعون حرفا ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمان وعشرون آية ۝

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ۝ قل يا محمد اي اخبر قومك ما ليس لهم به علم ثم بين فقال اوحي الي اخبرت بالوحي من الله انه الامر والشان ان بالفتح مع اسمه وخبره في محل الرفع لانه قام مقام فاعل اوحي استمع القران حذف لان ما بعده يدل عليه والاستماع طلب السماع بالاصغاء اليه نفر من الجن جماعة منهم وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فقالوا لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم يحمل بعدها البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قول الجن الا السين الاخيرتين وان المساجد وانه لما قام قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز عجبا مصدر وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظايره يهدي الى الرشد

يدعوا

يدعوا الى الصواب وقيل يهدي الى التوحيد والايمان فآمنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدا ولما كان الايمان بالقران ايمانا بالله عز وجل وبوحدانية الله تعالى وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا

قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا ۝ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ۝ وانه واخواته قرا اهل الشام والكوفة الا ابا بكر بالفتح عطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وكذلك البواقي والباقون بالكسر الا ما اتى عن ابن كثير وابي عمرو ويعقوب انهم فتحوا وانه لما قام عبد الله فقط تعالى جد ربنا اي ربنا الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود ابن عباس قدرة ربنا مجاهد وعكرمة جلال ربنا قتادة عظمة ربنا الضحاك فعل ربنا القرظي آلاء ربنا ونعمه على خلقه الاخفش ملك ربنا ابن كيسان ظهر ربنا على كل كافر بالحجة والجد لغة العظمة ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم ابن عباس لو علمت الجن ان في الانس جدا ما قالت تعالى جد ربنا والمعنى وصفه تعالى بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ بيان لذلك وهو استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدود وعن جعفر الصادق وابيه محمد الباقر والربيع بن انس ليس لله جد وانما قاله الجن بالجهالة فلم يؤاخذوا به ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وذلك انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله سبحانه بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا مجاهد وقتادة هو ابليس اي السفيه الذي ليس فوقه سفيه على الله شططا غلوا وقولا عظيما وكذبا وجورا وزورا والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران فتبين بالقران كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي ملكذوبا فيه وقيل نصب كذبا نصب المصدر لان الكذب نوع من القول

قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ۝ وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا ۝ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك قول الرجل من العرب اذا امسى في الارض القفر اعوذ بسيد هذا من سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار حتى يصبح مقاتل كان اول من تعوذ من الجن قوم من اهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب والجمهور على ان في الجن رجالا ونساء كما في الانس رجال ونساء وقيل رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ادميين ايضا وقوله من الجن متعلق بيعوذون كما يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكان اهل مكة يقولون اعوذ بالله من حذيفة بن بدر من جن هذا الوادي ابن بحر هو انقطاعهم الى الشيطان وحربه بالطاعة لهم والقبول لهم فزادوهم اي فزاد الجن والانس رهقا عظمة بذلك القول فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا لو اسدنا الجن والانس فذلك رهقهم وقيل فزاد الجن والانس رهقا باغوائهم واضلالهم واستعبادهم لهم ابن عباس اثما قتادة خطيئة سعيد جراءة مجاهد طغيانا ربيع فرقا ابن زيد خوفا الحسن شرا ثعلب خسارا والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في انهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش ان لن يبعث الله احدا بعد موته

قوله تعالى وانا لمسنا ۝

السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ٥ وانا لمسنا السماء اي طلبنا خبر السماء والمصير
الى حذف المضاف واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس متعرف وقيل اللمس طلب ادراك الملموس بحاسة اللمس
وهي اليد في الغالب والتجوز ظاهر الجسد والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها وهذا كلام
الجن بعضهم لبعض اي اتينا السماء ليستمع الى ما يكون فيها فوجدناها اي السماء وقيل ابوابها وقيل طرقها ملئت
حرسا حفظة وهو اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى
معناه لقيل شدادا او نحوه اخاف رجلا او ركبا عاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب
وقيل مصدر اي حرسها الملائكة حرسا شديدا وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتوقد من النار وانا كنا نقعد
منها من السماء مقاعد للسمع اي الاستماع من الملائكة ما يقولون فيما بينهم من الحوادث قبل اليوم فمن يستمع الآن
طلب السمع من السماء يجد له شهابا رصدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين
بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب ٥
بمعنى راصدا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله ويزجره عن الاستماع **قال** صاحب الكشاف فان قلت
كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث
بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره
في شعر اهل الجاهلية ۞ قال بشر بن خازم ۞

۞ والعير يرهقها الغبار وجحشها ۞ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ۞

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد
زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها
حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا
كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها
مقاعد للسمع اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وانا لا ندري ٥
وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم
ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا
من عذاب او رحمة وقيل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي عذاب وهلاك حين اشتدت حراسة السماء
ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وقيل شرا ارسال رسول يكذبونه وقيل لا ندري اراد الله رشدا بعث
هذا الرسول فيرشدهم ام اراد ان يكفروا به فيهلكهم **قوله تعالى** وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ٥ وانا لما سمعنا الهدى
امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ٥ وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار المتقون ومنا
دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وقيل هم المقتصدون في
الصلاح غير الكاملين وقيل ومنا دون ذلك اي الكافرون وقيل الصالحون اصحاب الخير ودون ذلك اصحاب
الشر كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي اهواء مختلفة ومذاهب متفرقة وفرقا شتى منا المؤمن
ومنا الكافر سعيد بن جبير الوانا شتى الحسن قددا مختلفين الاخفش ضروبا ابو عبيدة اصنافا المؤرج

دون

اجابنا

اجابنا النضر بن شميل مللا ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس الحسن في قوله عز وجل
مثلكم يعني قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة وواحد القدد قدة وهي الفرقة الاولى واصلها من
القد وهو القطع وقيل كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة وقيل كنا في طرائق مختلفة وقيل كانت
طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه ووصف
الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وانا ظننا تيقنا الظن بمعنى اليقين ان لن نعجز الله في
الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا حال اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين
منها الى السماء وقيل وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض اي اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي طلبنا وهذه
صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان
الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب وانا لما سمعنا الهدى يعني القرآن امنا به بالقرآن فمن يؤمن
بربه فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل
لا يخف بخسا نقصا ولا رهقا ظلما اي نقصا في الحسنات وزيادة في السيئات ويقال الرهق العذاب ههنا ٥
قال صاحب الكشاف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال
الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه ٥
قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقيل بخسا ولا رهقا
اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دليل على ان من حق من امن
بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد
فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم ذلة وقيل لا ان يؤخذ بذنب
غيره ولا ان يعاقب بغير جرم وقيل رهقا مكروها يغشاه وقيل ذهابا كله نظيره فلا يخاف ظلما ولا هضما ٥
قوله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون العادلون عن طريق الحق يقال اقسط الرجل
فهو مقسط اذا عدل قال الله واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقسط يقسط قسوطا اذا جار فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا اي قصدوا وتعمدوا وتوخوا ومنه تحري القبلة لمن عميت عليه رشدا صوابا من القول والفعل واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا **وعن** سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط
عادل قال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما
مشركا وتلا لهم واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال صاحب الكشاف وقد زعم
من لا يرى للجن ثوابا ان الله اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر
سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد **قوله تعالى** ٥
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا
صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وان مخففة من الثقيلة ماء غدقا لنفتنهم فيه من جملة الموحى
والمعنى واوحي الي ان الشأن والحديث لو استقاموا الانس والجن على الطريقة المثلى اي على طريق الحق والايمان ٥
والهدى وكانوا مؤمنين لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا قال عمر رضي الله عنه في هذه الاية اينما كان الماء
كان المال واينما كان المال كانت الفتنة لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم في الرزق ٥
وبسطنا لهم في الدنيا لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوه وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن ابي رباح
والضحاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطية ومقاتل والحسن قال والله كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه

كر

وقيل معناه وان لو استقاموا اهل الكفر على طريقة الكفر والضلالة وكانوا كفارا لاسقيناهم لاعطيناهم مالا كثيرا
ووسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع وزيد بن اسلم والكلبي
ويمان بن رئاب وابن كيسان وقيل لو كفروا لاسقيناهم ماء غدقا كناية عن الاهلاك بالماء كما كان لقوم نوح
لنفتنهم لنعذبهم به ولنختبرهم بذلك ابن عباس لو استقام اهل مكة على طريقة الاسلام وامنوا لاسقيناهم ماء غدقا
لهديناهم الى الصراط المستقيم هو مثل وقيل ان الثان والحديث الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما
كان عليه من عبادة الله عز وجل ولم يستكبر عن السجود لادم ولم يكفر وتبعه ولده لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء
الغدق اي الكثير لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه وقيل
معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او
لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه قرا اهل الكوفة ويعقوب والباقون بفتح النون وضم اللام
اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال
الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمين معنى ندخله يقال سلكه واسلكه صعدا مصدر صعد يقال
صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي
الله عنه ما تصعدني شيء كما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى قيل
معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها
لله خالصة ولعبادته الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا
كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يخلصوا له الدعوة اذا دخلوا
المساجد سعيد بن جبير وطلق بن حبيب ارادوا بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها العبد وهي سبعة القدمان
والركبتان واليدان والوجه ابن عطاء مساجدك اعضاؤك التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها
ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة ارباب فانه جمع لهذه
المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم وان جعلها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم الحسن وان المساجد لله يعني
الصلوات لله فلا تدعوا مع الله احدا اي افردوا له التوحيد واخلصوا له العبادة وقيل معناه فافردوها
لذكر الله وعبادته فلا تتخذوها متجرا ولا مجلسا ولا طريقا ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا قوله تعالى
وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا
املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من
اضعف ناصرا واقل عددا وانه قرا نافع وابو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها لما قام عبد الله يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي
الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع
والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه
قام يعبده وقيل يدعوه لا اله الا الله ويدعو اليه ويقرا القران في الصلوة ببطن نخلة وقيل اراد قيامه
لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما
راوا من عبادته واقتداء اصحابه وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره
وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعا ونهم

على

على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ابن عباس وسعيد بن جبير عنه هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم
بما راوا من طاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود وامتدادهم به في الصلوة واصل
اللبد الجماعات بعضها فوق بعض جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وتلبد الشعر اذا تراكم ومنه
سمي اللبد لتراكمه الحسن وقتادة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله
فابى الله الا ان يتم نوره وينصره ويظهره على من ناواه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا عاصم وحمزة قل على
الامر والباقون قال رسول الله للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا
اشرك به احدا وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله
ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا وقيل قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اني لا املك ضرا في دينكم ودنياكم ولا رشدا ولا نفعا وقيل ضرا غيا ولا رشدا
ولا هداية وقيل عذابا ولا نعيما وقيل موتا ولا حيوة والمعنى لا استطيع ان اضركم ولا انفعكم لاني عبد مثلكم بل الضار
النافع هو الله القادر على كل شيء قل اني لن يجيرني لن يمنعني من الله احد من عذاب الله مانع ان عصيته ولن اجد
من دونه ملتحدا مذهبا ومدخلا في الارض وقيل وليا وموئلا الحسن مستندا يوم القيمة والملتحد الموضع او
التي يميل اليه الانسان من اللحد والالحاد وهو الميل الا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله ورسالاته
فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه واما الكفر والايمان فلا املكهما وقل اني لن يجيرني من الله احد
جملة معترضة اعترض بها نفي التاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من
مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احدا ويجد من دونه ملاذا ياوي اليه وقيل الا بلاغا من الله ورسالاته
فان فيه الامن والجواب والنجاة وقيل لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولكن ابلغ بلاغا من الله انما انا مرسل ومبلغ لا املك
الا ما ملكت وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لا احد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه
ان لا ابلغ بلاغا ان لا فيما ما قبلهما ورسالاته عطف على بلاغا كانه قال لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى
الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ونقصان ومن
ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله فيما يدعو
اليه من التوحيد فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى تعلق بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة
ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم
القيمة فسيعلمون حينئذ من اضعف انصارا اضعف ناصرا واقل عددا وقيل حتى متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من
استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانهم لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قوله
تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا
من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم
واحصى كل شيء عددا قل هذا جواب لمشركي مكة حين استعجلوا العذاب وقالوا متى هذا الموعود انكارا له فقيل قل
يا محمد لهم انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون
لان الله لم يبينه لانه اراد اخفاءه ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون من العذاب في الدنيا وقيل هو يوم
القيمة ام يجعل له ربي امدا غاية يطول مدتها قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي
امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية
اي هو عالم الغيب فيل صفة لربي وقيل بدل وقيل عالم السر وقيل الغيب ما هو كائن لم يكن وقيل الغيب امر القيمة
ابن زيد الغيب القران فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا من خلقه فيعلمه الا من ارتضى من رسول يبين لمن ارتضى يعني

انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى قال صاحب الكشاف وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين يضاف اليهم وان كانوا مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والسحر لان اصحابها ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط ولا شك ان في هذا ابطال الكهانة والتنجيم واما ابطال الكرامات فليس في الاية ما يدل عليه فان الكرامات ليست باخبار عن الغيب فانه يسلك من بين يدي من ارتضى من رسول ومن خلفه ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا حفظة من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك قالوا هذا شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملك يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم قيل ليعلم الرسول انه اتاهم ولم يات غيره وقيل ليعلم الرسول ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ليعلم الجن وقيل ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد ابلغوا عن الله ما امرهم به وقيل ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة في الزيادة والنقصان وذكر العلم لذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين واحاط الفعل لله سبحانه بلا خلاف وهو عطف على قوله فلا يظهر على غيبه احدا بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا يبقى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه عددا حال اي وضبط كل شيء معدودا ومحصورا او مصدر في معنى الاحصاء

سورة المزمل مكية

وعن ابن عباس سوى اثنين منها قوله واصبر على ما يقولون والتي بعدها وقال ابن يسار ومقاتل فيها اية مدنية وهي قوله ان ربك يعلم انك تقوم وهي ثمانية وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلثون حرفا وماتيان وحمسون كلمة ن وقيل تسع عشرة اية وقيل عشرون اية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ۝ المزمل المتلفف بثوبه واصله المتزمل فادغم التاء في الزاي ومثله المدثر يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا تغطى به وزمل غيره اذا غطاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فذمه بالاشتمال على كسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامره بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله عز وجل فلا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترقى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك قال ابو عبد الله الجدلي سالت عائشة رضي الله عنها عن قول الله يا ايها المزمل ما كان تزميله ذلك قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قال ابو عبد الله فسالتها ما كان فقالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل الذي اراد يا ايها النائم قم فصل عكرمة يا ايها الذي زمل هذا الامر الذي حمله والمزمل الحامل وقيل خاطبه بالمزمل والمدثر في اول الامر لانه لم يكن ادى شيئا من تبليغ الرسالة قم الليل الا قليلا ثم بين فقال نصفه بدل من الليل الا قليلا استثناء من نصفه كانه قال قم اقل من نصف الليل او انقص منه من نصفه او زد عليه على نصفه والمعنى التخيير بين امرين النقصان من النصف او الزيادة على النصف وقيل يجعل نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص من النصف وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل قال صاحب الكشاف وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل

قم

قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون بين النصف والثلث والربع روي انه لما نزلت هذه الاية اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ حتى شق عليهم وانتفخت اقدامهم وامتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله علم ان سيكون منكم مرضى الاية وكان بين اول السورة واخرها سنة ۝ وقال سعيد بن جبير لما نزلت قوله يا ايها المزمل مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى في الاية فخفف عنهم بعد عشر سنين ۝ وقال مقاتل وابن كيسان كان هذا بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس ۝ وقال ابن عباس لما نزلت اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها واخرها سنة ۝ وروى ابو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون حتى خرج اليهم ۝ فقال يا ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فكتبت عليهم وانزلت بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فلما راى الله تعالى ما يتكلفون ويبتغون به وجه الله ورضاه رحمهم فوضع ذلك عليهم فقال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الاية فردهم الى الفريضة ورفع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به ۝ قال الحسن في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد فريضة ورتل القرآن الحسن اقرا القرآن قراءة بينة ۝ مجاهد ترسل فيه ترسلا وعنه بعضه على اثر بعض على تؤدة ۝ ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلث ايات واربعا وخمسا ۝ قتادة تثبت فيه تثبتا ابن كيسان تفهمه تاليا له وقيل فصله تفصيلا ولا تعجل في قراءته ۝ ابو بكر بن طاهر تدبر في لطائف خطابه وطالب نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه ۝ وقيل ترسل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا تهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه الا لعر في تتابعه ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت

نزيل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراها وسيلت عايشة
رضي الله عنها عن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كهذا الوارد
السامع ان تعد حروفه بعدها نزيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه
للقاري **قوله تعالى** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشية الليل هي
اشد وطا واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه
تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا • هذه الاية اعتراض
انا سنلقي عليك اي سننزل عليك قولا ثقيلا اي القران وما فيه من الاوامر والنواهي
التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وخاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض
ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران
لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه
ومجاهدة لنفسه • الحسن ان الرجل ليقرا السورة ولكن العمل به ثقيل • قتادة
ثقيل والله فرايضه • ابن عباس شديد • ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد
والحلال والحرام • محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين • الفرا ثقيلا ليس بالخفيف
السفساف لانه كلام ربنا • عبد العزيز بن يحيى مهيبا ومنه يقال للرجل العاقل
وزن راجح • سيل الحسين بن الفضل عن هذه الاية فقال معناها انا سنلقي عليك
قولا خفيفا على اللسان ثقيلا في الميزان • ابو بكر بن طاهر يعني قولا لا تحمله الا قلب
مويد بالتوفيق في نفس مزينة بالتوحيد القاسم في هذه الاية سماع العلم من العالم
مر واستعماله ثقيل لكنه ياتي بالفرج اذا استعمله العبد على حد السنة وتمام الادب
وقيل عنى بذلك ان القران عليه ثقيل محمله • ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل
في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيمة • وعن عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا • وعن ابن عباس كان اذا انزل
عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده • ان ناشية الليل اي ساعته كلها وكل ساعة منه
فهي ناشية سميت بذلك لانها تنشا ومنه نشات السحابة اذا بدت وانشاها الله وجمعها
ناشيات • وقيل الساعات الاول منه • وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين
المغرب والعشا ويقول اما سمعتم قول الله ان ناشية الليل هذه ناشية الليل
وقيل ناشية الليل النفس الناشية بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع
من نشات السحابة اذا ارتفعت وتنشا من مكانه ونشز اذا نهض وقيل قيام الليل
على ان الناشية مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما
روي عن عبيد بن عمير قلت لعايشة رضي الله عنها رجل قام من اول الليل اتقولين له
قام ناشية قالت لا انما الناشية القيام بعد النوم ففسرت الناشية بالقيام عن المضجع
وقيل الناشية العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وترتفع هي اشد وطا • قرا
ابن عامر وابو عمرو وطاء بكسر الواو وممدودا على المواطاة وهي ان يواطي قلبه
وسمعه وبصره ولسانه والباقون بفتح الواو مقصورا اي فراغا للقلب •
ابن عباس كانت صلوتهم اول الليل وهي اشد وطا يقول هو اجدر ان تحصوا
ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ
قتادة اثبت للخير واحفظ للقراة • الفرا اثبت قياما • القرظي اشد على المصلي من
صلوة النهار دليله قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر •
ابن زيد افرغ له قلبا من النهار لانه لم تعرض له حوايج ولا شي • الحسن اشد وطا
في الخير وامنع من الشيطان واقوم قيلا واصوب قراة وعبادة الليل اشد
نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة • قيل هي اشد وطا هي خاصة دون ناشية
النهار اشد مواطاة يواطي قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطي فيها
قلب القايم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد
موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص • وعن الحسن اشد موافقة بين السر
والعلانية لانقطاع روية الخلايق واقوم قيلا اصح قولا واشد استقامة
وصوابا بفراغ القلب • وقيل اقوم قيلا اعجل اجابة للدعا واشد مقالة
واثبت قراة لهدو الاصوات • ان لك في النهار تصرفا وتقلبا في مهماتك
وحوايجك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي
فراغ البال وانتفا الشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه
منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واشد للقراة لهدو الرجل وخفوت
الصوت وانه اجمع للقلب وامنع لنشر الهم من النهار لانه وقت
تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوايج المعاش والمعاد • وقيل فراغا
وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك • وقيل ان فاتك شي من الليل فلك في
النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكر ربك في ليلك
ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل
وتكبير وتحميد وتوحيد وصلوة وتلاوة قران ودراسة علم وغير
ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله
ونهاره • سهل بن عبد الله اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا
صلوتك توصلك بركة قراتها الى ربك وتقطعك عن كل ما سواه •
وتبتل اليه وانقطع اليه وانما قيل تبتيلا مكان تبتلا لان معنى تبتل
بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل • ابن عباس واكثر
الناس اخلص اليه اخلاصا • الحسن اجتهد اجتهادا • ابن زيد تفرغ لعبادته
زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله رب
المشرق قرا اهل الحجاز وابو عمرو وحفص رب بالرفع على الابتدا وعلى
المدح على اضمار هو والباقون بالجر على البدل من ربك • وعن ابن عباس
على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله
الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد فاتخذه وكيلا فيما يامرك
فتوفيقها اليه وهو مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو الذي
يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور • وقيل
وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار **قوله تعالى**

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ٥ واصبر على ما يقولون لله من الولد
والصاحبة والشريك ولك من الساحر والكاهن والمجنون واهجرهم
اي جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضا وترك
المكافاة ٥ عن ابي الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم ويضحك اليهم وان قلوبنا
لتقليهم ٥ وقيل هو منسوخ باية السيف **قوله** وذرني والمكذبين اولي
النعمة ومهلهم قليلا نزلت في صناديد قريش المكذبين المستهزئين اذا عرف
الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له
منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى ظهر
بمرادك ومشتغل الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينه
فان في ما يفرغ بالك ويحل همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان يذره واياه
الا ترك الاستكفا والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه
فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه
يتمكن من الوفا بافضى ما ندور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه والمعنى
دعني واياهم ولا تهتم بشانهم فاني اكفيكه اولي النعمة التنعم النعمة بالفتح التنعم
وبالكسر الثروة والانعام وبالضم المسرة وهذا وعيد للمطعمين يوم بدر وهم عشرة
سبق ذكرهم في الانفال وقيل هم بنو المغيرة ووصفهم بالنعمة توبيخا لهم على ترك
الشكر وتنبيها انه اعطاهم استغنا وهم ومهلهم قليلا الى يوم بدر فكان
بين نزول الاية وبين يوم بدر زمان يسير وقيل الى يوم القيمة
قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما
يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ٥ ان لدينا ما يضاد
نعمهم انكالا قيودا واغلالا اهانة لهم لا خوفا من فرارهم مقاتل انواعا من العذاب
والنكال القيود الثقال ٥ عن الشعبي اذا ارتفعوا استثقلت بهم الواحد نكل ونكل
وجحيما نارا عظيمة شديدة الحر والاتقاد وطعاما ذا غصة غير سائغ ياخذ بالحلق لا هو
نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع وعذابا اليما يخلص وجعه
الى القلب فلا يرى موكلا اليه امرهم مود ولا بينه وبينهم ٥ روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة فصعق يوم منصوب
بما في لدينا ترجف تتحرك وتضطرب والرجفة والزلزلة والزعزعة الشديدة
الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا مهيلا سايلا متناثرا اذا مسسته
تتابع من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه
الكثبة من اللبن **قوله تعالى** انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا الخطاب لاهل مكة انا ارسلنا
اليكم يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم يوم القيمة بالتصديق
والتكذيب والايمان والكفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى فعصى فرعون الرسول
انما نكره ثم عرف لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر
ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا صعبا شديدا

غليظا

غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرا لثقله ٥ والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر
العظيم والوبال ويقول العرب لمد ابل عليه الشرا بويع ٥ **قوله تعالى**
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السما منفطر به كان وعده مفعولا ٥
ان هذه تذكرة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ٥ فكيف تتقون اي فكيف لكم بالتقوى
في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم الى التقوى ولا تنفعكم التقوى اذا وقد
القيامة فيكون يوما ظرفا ٥ وقيل المعنى فكيف تقون انفسكم يوم القيامة وهوله وكيف
تنجون منه ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا فيكون يوما مفعولا به ٥ وقيل يجوز ان ينتصب
يوما بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء
تقوى الله خوف عقابه يوما يجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد
يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه الهموم اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه
الشيب ٥ قال ابو الطيب ٥
والهم يخترم الجسيم نحافة ٥ ويشيب ناصية الصبي ويهرم ٥
وذلك من هوله وشدته وذلك حين يقال لادم اخرج بعث النار من ذريتك
وقيل يجوز ان يوصف اليوم بالطول ٥ وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة
والشيب ٥ السما منفطر منشقة واهية وصف اليوم بالشدة ٥ وان السما على
عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق ٥ والمعنى ذات انفطار او
على تاويل السما بالسقف او السما شي منفطر به الباء في به مثلها في قولك فطرت
العود بالقدوم فانفطر به يعني ان السما تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشي
بما يفطر به ٥ وقيل السما مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها
من وقوعه كقوله ثقلت في السماوات والارض كان وعده من اضافة المصدر
الى المفعول والضمير لليوم ٥ ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر
له ذكر لكونه معلوما ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة وموعظة فمن شا
اتعظ واتخذ الى ربه سبيلا بالايمان والطاعة والتقوى والخشية ٥ ومعنى اتخاذ السبيل
اليه التقرب والتوسل بالطاعة ٥ **قوله تعالى** ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطايفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار
علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى واخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه
واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله هو خيرا واعظم اجرا ٥ واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ٥ ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى اقل من ثلثي الليل استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا
دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ونصفه وثلثه نصبهما اهل مكة
والكوفة على انك تقوم اقل من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما مر في اول
السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث ٥
وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين ٥ وخفضها الباقون عطفا على ثلثي الليل
اي تقوم اقل من ثلثي الليل واقل من نصفه وثلثه وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى

تم

من ثلثي الليل والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير
وطايفة عطف على المستكن في تقوم اي وتقوم طايفة من الذين معك اي جماعة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار اي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده
وتقديم اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير
والمعنى انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه اي علم ان لن تطيقوا قيامه الليل وقيل
الضمير الذي هو مفعول تحصوا المصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا
يتاتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم
بالغ منكم فتاب عليكم تجاوز عنكم ورجع لكم الى التخفيف عليكم قيل فتاب عليكم عبارة عن
الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى
انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التايب فاقرءوا ما تيسر من القران السدي
مايه اية الحسن من قرا مايه اية في ليلة لم يحاجه القران كعب من قرا مايه اية في ليلة كتب من
القانتين سعيد خمسين اية الحسن فاقرءوا ما تيسر من القران يعني في صلاة المغرب
والعشا وقيل عبر عن الصلاة بالقراة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع
والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول
ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس علم ان سيكون منكم مرضى قيل قد بين الحكمة في
النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في
سبيل الله قيل سوى بين درجة الضاربين في الارض للتجارة للمكتسبين المال
الحلال للنفقة على نفسه وعلى العيال ودرجة المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله
وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وعن ابن عمر يقول
ما خلق الله تعالى موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي
رحلي اضرب في الارض ابتغي من فضل الله فاقرءوا ما تيسر منه من القران قيل في صلاة المغرب
والعشا عن جعفر الصادق في هذه الاية ما تيسر لكم فيه خشوع القلب وصفا السر
واقيموا الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم
يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل اخر
اخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا قيل يريد ساير الصدقات المستحبة
وسماه قرضا تاكيدا للجزا وقيل يجوز ان يريد اداء الزكاة على احسن وجه من اخراج
اطيب المال واعود على الفقرا ومراعاة النية وابتغا وجه الله والصرف
الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير مما يتعلق بالنفس والمال تجدوه عند
الله هو خيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل
من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة واعظم اجرا لان الله يعطي المومن اجره
بغير حساب وقيل خيرا من الشح والمنع واستغفروا الله من تقصير وذنب وقع منكم
ان الله غفور لمن تاب رحيم لمن استغفر والله تعالى اعلم بالصواب

سورة المدثر مكية

وقال مقاتل فيها اية مدنية وهي قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة وهي الف وعشرة
احرف ومايتان وخمس وخمسون كلمة وست وخمسون اية **قوله تعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر سئل ابو سلمة بن عبد الرحمن عن
اي القران انزل قبل فقال يا ايها المدثر قيل او اقرا قال سالت جابر بن عبد الله اي
القران انزل قبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني جاورت بحرا فلما
قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي
وعن يميني وعن شمالي فلم ار شيا ثم نظرت الى السما فاذا هو على العرش في الهوا
فاخذتني وحشة فامرتهم فدثروني فانزل الله يا ايها المدثر حتى بلغ وثيابك فطهر
وعن جابر ان اول شي نزل من القران يا ايها المدثر وقال جابر اخر ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول جاورت بحرا فلما قضيت جواري اقبلت
في بطن الوادي فنادى مناد فنظرت عن يميني وشمالي وامامي وخلفي فلم ار شيا ثم ناداني
فنظرت فوقي فاذا هو جالس على عرش بين السما والارض فجثثت منه فرقا فقلت الى خديجة
فقلت دثروني وصبوا علي ما باردا فانزل الله يا ايها المدثر وعن الزهري سمعت ابا سلمة
بن عبد الرحمن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتر علي الوحي مرة فبينا انا
امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري قبل السما فاذا الملك الذي اتاني بحرا قاعد
على كرسي بين السما والارض فجثثت منه فرقا حتى هويت الى الارض فجيت الى اهلي فقلت زملوني
فانزل الله يا ايها المدثر وقال الزهري اول ما نزل اقرا في صحيح البخاري حدثنا يحيى
بن عبد الله بن بكر حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدا به رسول الله من الوحي الرويا الصادقة
في النوم وكان لا يرى الرويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو
بغار حرا فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم
يرجع الى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها حتى جا الحق وهو في غار حرا فجاءه
الملك فقال اقرا قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد
فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها
الخبر لقد خشيت على نفسي الحديث وهو ثابت والظاهر انه لما انزل عليه اقرا
رجع فتدثر فنزل يا ايها المدثر يدل عليه ما اخرج في الصحيحين من حديث جابر
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي الحديث المدثر لابس
الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

الانصار شعار والناس دثار وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا
كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه فقم من مضجعك وقيل
قم قيام عزم وتصميم وقيل فانه قيل يا ايها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار
وقيل معناه لا تنم عما امرتك به ولا تستعمل الهوينا فيه بل قم وارفض الراحه وبلغ الرسالة
وانذر الكفرة فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يومنوا والظاهر ان المعنى فافعل
الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو الوصف
بالكبريا وان يقال الله اكبر روي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر
فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد تحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفا
بمعنى الشرط كانه قيل ولا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة لان طهارة
الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمومن
الطيب ان يحمل خبيثا وقيل امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم
الذيول وذلك ما لا يومن معه اصابة النجاسة ابن عباس لا يلبسها على معصية ولا على
عذره قال غيلان بن سلمة الثقفي حيث قال
وانى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره اتقنع
والعرب تقول للرجل اذا وفى وصدق انه طاهر الثياب واذا غدر ونكث انه لدنس
الثياب ابي بن كعب لا يلبسها على غدر ولا اثم البسها وانت بر طاهر ابراهيم
وقتادة والضحاك والشعبي والزهري ويمان وثيابك فطهر من الذنب والاثم
والمعصية وقيل اراد طهر نفسك عن الذنوب فكنى عن الاثم بالثياب لانها تشتمل
عليه قال الشاعر
ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم بيض المسافر غران
اي انفس بني عوف السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه لطاهر الثوب واذا كان
فاجرا انه لخبيث الثياب الحسن والقرطبي وخلقك فحسن ابن عباس لا تكن
ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر ابن سيرين وابن زيد نق ثيابك واغسلها بالماء
وطهرها من النجاسة وذلك ان المشركين كانوا لا يتطهرون فامره بتطهير ثيابه وقيل
واهلك فطهر من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا
يحيى بن معاذ طهر قلبك من مرض الخطايا واشغال الدنيا تجد حلاوة العبادة فان من
لم يصح الجسم يجد شهوة الطعام وقيل طهر قلبك عما سوى الله والرجز فاهجر
اي والعذاب فاهجر ومعناه اهجر ما يودي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من الماثم
والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريا منه ابن عباس اترك الماثم مجاهد وعكرمة
وقتادة والزهري وابن زيد والاوثان فاهجر ولا تقربها الضحاك والشرك فاهجر
ابن كيسان والشيطان فاهجر وقيل اهجر ما اوجب لك العذاب من الاعمال وقيل
اسقط حب الدنيا من قلبك فانه راس كل خطية وقيل فنفسك فخالفها ولا تمنن تستكثر
مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا راءيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير
نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب
وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا

خاصا

خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاداب واحسن
الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته اكثر المفسرين فلا تعط شيا لتعطى
اكثر منه قتادة لا تعطي مالك طمعا لمجازات الدنيا ومقارضتها القرطبي لا تعط
مالك مصانعة الحسن ولا تمنن على الله بعملك فتستكثره الربيع لا يكثرن عملك في عينك
فانه مما انعم الله عليك واعطاك ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه في نفسك انما عملك
منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى عبادته فعليك بذلك الشكر اذ هداك له مجاهد
ولا تضعف ان تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اذا كان ضعيفا ابن زيد لا تمنن بالنبوة
على الناس فتاخذ عليها منهم اجرا وعوضا من الدنيا ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل
الصبر على اذى المشركين وقيل على اداء الفرايض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما
قبله وجعله صبرا على العطا من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول
على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها
لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة
العرب ثم العجم فاصبر عليه لله وقيل فاصبر على موارد القضا لاجل الله وقيل فارق الملالة
والسامة وقيل فاصبر على البلوى فانه يمتحن احباوه واصفياوه قوله
تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني
ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان
ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا ساُرهقه صعودا فاذا نقر الفا للتسبيب كانه قال
اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك نقر في الناقور
نفخ في الصور عن ابن عباس في قول الله عز وجل فاذا نقر في الناقور قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يومر فينفخ
فقال اصحاب رسول الله كيف نقول فقال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا
فذلك الفا للجزا وانتصب اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر
على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت
النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين نقر في الناقور والناقور فاعول
من النقر اي من شانه ان ينقر واصله التصويت كنقر الطاير النقر بمنقاره وقيل هي النفخة
الاولى وقيل الثانية يحيى الناس عندها وقيل الناقور الفلك فذلك يومئذ اشارة الى
وقت النقر وهو يومئذ يوم عسير خبره وقيل اشارة الى النقرة ويومئذ من صلته ويوم
عسير خبره على تقدير نقر يوم عسير لسد فيه الكلفة على الكافرين وقيل يجوز ان يكون
يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير غير
يسير توكيد وهو القليل الكلفة لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير
توكيد وهو القليل ليوذن انه لا يكون عليهم كما يكون على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين
وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين وتسليتهم ويجوز انه يراد انه
عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني ومن خلقت في بطن
امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد فيكون وحيدا حال من المخلوق لقوله ولقد جيتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة قيل نزلت في الوليد بن المغيرة ابن عباس وكان يسمى

الوحيد في قومه • وقيل يجوز ان يكون وحيدا حالا من الخالق اي ذرني ومن خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد • وقيل كان وليد بن المغيرة يلقب في قومه بالوحيد
ولعله لقب بعد ذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتفسير
له عن الغرض الذي كانوا يومئون به من مدحه والثنا عليه بانه وحيد قومه لرياسته
ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وسوانه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه
الله تعالى ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزا بدينه وجعلت له مالا ممدودا كثيرا
مبسوطا • وقيل مدا بالنماء من مد النهر ومده نهر اخر قيل كان له الزرع والضرع
والتجارة • ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال
وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتا وقيل الف دينار
ابن عباس تسعة الاف فضة • وعن ابن عمر في قوله عز وجل وجعلت له مالا ممدودا
غلة شهر بشهر • وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه • سعيد بن جبير
كانوا ثلثة عشر ولدا • مجاهد وقتادة كانوا عشرة • مقاتل كانوا سبعة كلهم
رجال حضور [illegible] معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل ولا تجارة لانهم مكفيون
لوفور نعمة ابيهم واستغنايهم عن التكسب وطلب المعاش لانفسهم فهو مستانس بهم
لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق
اليهم • وقيل يجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل
يسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه • قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان
من ماله وولده حتى هلك • ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بساطا • الجاه العريض
والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتمعا عما هو الكمال عند اهل
الدنيا • ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة
ابن عباس نمى المال بعضه على بعض كما تمهد الفرش فكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم
ولذلك لقب الوليد وريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد مالا وولدا وتمهيدا في الدنيا
استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه • لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان
يقول — ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه عما كان
يطمع فيه ويكون متصلا بالكلام الاول • وقيل قسم اي حقا فيكون ابتدا انه كان
لاياتنا عنيدا معاندا تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قايلا قال لم لا يزاد ٥
فقيل انه عاند ايات المنعم وكفر بذلك نعمته • والكافر لا يستحق المزيد • سارهقه
ساكلفه صعودا مشقة من العذاب لا راحة معها منها وقيل ساغشيه عقبة شاقة
المصعد • وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم صعودا هو جبل في النار من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده
ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت • ٥ • ٥

قوله تعالى انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس •
وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر
وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب
النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتا

ويزداد

ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر • انه فكر تعليل
للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنا والذل بعد العز في الدنيا لعناده ٥
ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب • واقطعه لبلوغه بالعناد واقصاه في تفكره وتسميته
القران سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه
ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا وتعلل ذلك بعناده ويكون
قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا
يقول في القران وقدر في نفسه ما يقوله وهياه وذلك ان الله تعالى لما انزل على النبي
صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي
عليه السلام في المسجد والوليد بن المغيرة في المسجد قريبا منه يسمع قراته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراته اعاد قراة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه
بني مخزوم فقال — والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من
كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو
ولا يعلا ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم ٥
فقال — ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال الوليد ما لي اراك
حزينا يا ابن اخي فقال ما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على
كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل
طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد
واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال تزعمون ان
محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط
متكهنا • فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه قط ينطق بشعر فقالوا اللهم لا قال
تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا لا • وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وعبس
فقال — ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو
ساحر وما يقوله سحر يوثر فذلك قوله تعالى انه فكر في محمد صلى الله عليه وسلم والقران
وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل لعن الزهري عذب كيف قدر على
طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر كلح قال صاحب
الكشاف فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي
كان منتحيه قريش او ثنا عليه على طريقة الاستهزا وهي حكاية لما كرروه • ومن قولهم
قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول
القايل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو
حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم
زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي به
وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزا به وقيل قدر ما يقوله

ثم نظر فيه ثم عبس لما عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر واستكبر عنه فقال ما قال ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما ﻫ
ومعنى ثم الداخلة على تكرير الدعا الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى قال صاحب الكشاف
فما معنى المتوسط بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفا بعد عطف ما قبله بثم
قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير
تلبث فان قلت فلم لا يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى
التوكيد من المؤكد فقال ان هذا اما هذا الذي يقرؤه محمد الا سحر يؤثر يروى ويحكى
عن مسيلمة وعن اهل بابل فارج البادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ان هذا
ما هذا الذي يقرؤه محمد الا سحر يؤثر يروى ويحكى عن مسيلمة الا قول البشر سأصليه
سأدخله سقر لم يصرفه لانه من اسما جهنم عن النبي صلى الله عليه وسلم سال موسى ربه عز وجل
فقال اي عبادك افقر قال صاحب سقر سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا لا تبقي شيا
يلقى فيها الا اهلكته واهلكته مجاهد لا يميت ولا يحيي يعني انها لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من
فيها ميتا ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم ولا تذرهم اي واذا اهلك لم تذرها لكا حتى يعاد
السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما الضحاك اذا احدث فيهم لم يبق منهم شيا واذا اعيد والم
تذرهم حتى تغنيهم ولكل شي فترة الا لجهنم لواحة للبشر مغيرة للجلود تقول العرب لاحته
الشمس ولوحته قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه
اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود ابن عباس وزيد بن اسلم محرقة للجلد الحسن
وابن كيسان يعني تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين لواحة
رفع على الاختصاص للتهويل اي هي لواحة عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها
تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صنفا من الملائكة ويحتمل ان يكون تسعة عشر نقيبا
ويحتمل ان يكونوا تسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين ولا يستنكر هذا فانه
فانه اذا كان ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلق كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض
الخلق عن ابن جريج حديث حدثنا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه نعت خزنة النار
فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة
الثقلين يسوق احدهم الامة على رقبته فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم عمرو بن دينار
ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر ابن عباس وقتادة
والضحاك لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة
يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل
من خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم عشرة على ظهري
وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
لا رجالا ادميين من حسبكم يطيقون ما لا يطاق الانس والجن فمن ذا يغلب الملائكة وما
جعلنا عدتهم في القلة الا فتنة بلية وضلالا للذين كفروا حتى قالوا فيهم ما قالوا
وقيل محنة ليظهر ما يقول لكل واحد منهم ويعتقده وقيل الا فتنة للذين كفروا التكذيبهم
بذلك وقول بعضهم انا اكفيكموه ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لانه مكتوب في التوراة ﻫ

والانجيل

والانجيل انهم تسعة عشر قال صاحب الكشاف فان قلت قد جعل افتتان الكافرين
بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء
الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا وانما
العدة انفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر
لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله تعالى وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم
عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمن وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب
لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه منزل من الله وازدياد
المؤمنين تصديقا لتصديقهم بذلك كما صدقوا بسائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل
الكتاب وتصديقهم انه كذلك ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب ولا يشك الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دلا على انتفا الارتياب
قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس
وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال وليخالف حال الشاكين
المرتابين من اهل النفاق والكفر وليقول الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
الحسين بن الفضل هذه السورة مكية ولو لم يكن بمكة نفاق البتة فالمرض في هذه الاية
الخلاف لا النفاق قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض
وهم المنافقون والسورة ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول
المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا
مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف
كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة اكثرهم شاكين
وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفا
الارتياب وقول الكافرين والمنافقين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفا الارتياب
يصح ان يكونا غرضين فكيف يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادة اللام معنى
العلة والسبب ولا يجب في العلة ان يكونا غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة
الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه ﻫ
كقوله هذه ناقة الله لكم اية وليس في الاية مثل ولكنهم استغربوا هذا العدد فهو استعارة
من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا
له والمعنى اي شي اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة
تسعة عشر لا عشرين سوا ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو
كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص وقيل اللام لام كي وقيل لام العاقبة
كذلك الكاف في كذلك في محل النصب ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال
والهدى اي مثل ذلك المذكور من الضلال والهدى يضل الله من يشا ويهدي من يشاء
وما يعلم جنود ربك جموع ربك الا هو وقيل جموع ملائكة ربك وقيل لا يعلم جميع الخلائق كثيتهم

وكيفيتهم وكميتهم الا الله تعالى وقيل وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد من
كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة
الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين ه
وايام السنة والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات
في الشريعة وقيل وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو ولا يعز عليه تتميم الخزنة
عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها قال مقاتل هذا جواب
ابي جهل حين قال اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر قال صاحب الكشاف وما جعلنا
اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وما هي الا ذكر متصل بوصف سقر وضميرها الا
تذكرة للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها

قوله تعالى

كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم
ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين
ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين كلا انكار بعد
بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون وقيل ردع للوليد تمادى الى اول
الكلام وقيل ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا والقمر والليل اذ ادبر ولى ذاهبا
قرا نافع وحمزة وخلف ويعقوب وحفص اذ ادبر بغير الف ادبر بالالف والباقون اذا بالالف
ودبر بغير الف واختاره ابو عبيد لانها اشد موافقة للحرف الذي يليه وهو قوله والصبح
اذا اسفر ودبر بمعنى ادبر وقطرب دبر اي اقبل من قول العرب دبر فلان جاء خلفي وكان
الليل دبر فكان الليل دبر خلف النهار ابو عمرو دبر لغة قريش والصبح اذا اسفر اضاء انها
لاحدى الكبر جواب القسم وقيل تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد الكبر جمع الكبرى جعلت الف
التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها اي ان سقر لاحدى الامور العظام
او لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في
العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء نذيرا اي انذارا للبشر
تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل نذيرا
حال وقيل متصل باول السورة يعني قم نذيرا قال صاحب الكشاف هو من بدع التفاسير
لمن شاء منكم ان يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عن الخير والطاعة بالشر والمعصية ان يتقدم
في محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه ومعناه مطلق لمن شاء التقدم والتاخر ان يتقدم او
يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهذا وعيد لهم كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين
الممكنين الذين ان شاؤوا تقدموا ففازوا وان شاؤوا تاخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت
رهينة اي عند الحساب مرهونة بعملها اما تخلصها او توبقها قال صاحب الكشاف
رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصد
الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم
بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة
ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما
اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق الا اصحاب اليمين فانهم لا يحاسبون ولا يرتهنون
بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم ويتجاوز عنهم كما وعدهم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله
الا اصحاب اليمين هم اطفال المسلمين لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن عايشة رضي الله
عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المؤمنين اين هم قال في الجنة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة وعن ابي جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين
مقاتل هم اهل الجنة الذين كانوا على يمين ادم يوم الميثاق حين قال لهم الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي
الحسن هم المسلمون المخلصون وعنه ايضا هم الذين كانوا ميامين على انفسهم ابن كيسان هم
المؤمنون الصالحون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم يمان هم الذين ثقلوا رهونهم
الحكيم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلهم في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم
يضرهم القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد الفضل والرحمة
دون الكسب والخدمة وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فانه غير ماخوذ
عن ابي عمرو البجلي كل نفس بما كسبت رهينة فاين الفرار من القدر وكيف الفرار على الخطر
في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا عن المجرمين المشركين وقيل يتساءلون
غيرهم عن المجرمين كقوله دعوته وتداعيناه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله
ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق
ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو
حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون
قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف
والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه قالوا لم نك من المصلين وقيل لم نعتقد وجوبها
وفرضها ولم نك نطعم المسكين لم نؤته ولم نامر به وكنا نخوض مع الخائضين اي وكنا نشرع في الباطل
وما لا ينبغي وقيل نكذب مع المكذبين وقيل ما غوى غاو الا وغوينا معه وقيل هو قولهم
محمد ساحر او شاعر او مجنون وكنا نكذب بيوم الدين قال صاحب الكشاف فان قلت لم يسالونهم
وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين ه
وقد عضد بعضهم اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب
دخول النار فان قلت اتريد ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم
بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا
انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا حتى
اتانا اليقين الموت وقيل البعث قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن
مسعود يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا
لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين
الحسن كنا نحدث ان الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته الحسن ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيمة اي رب عبدك فلان عبدك سقاني شربة
من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول اذهب فاخرجه من النار فيذهب فيتجسس النار حتى يخرجه منها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفعن رجل من امتي لاكثر من بني تميم قال صاحب الكشاف اي لو

جميعا

شفع لهم الشافعون من الملئكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين **قوله تعالى** فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة فمن شا ذكره وما يذكرون الا ان يشا الله هو اهل التقوى واهل المغفرة • فما لهم عن التذكرة معرضين عن التذكرة والعظة اي القران وساير المواعظ معرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما وقيل صاروا معرضين كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرا اهل الشام والمدينة بفتح الفا اي المدعوة المنفرة المحمولة على النفار والباقون بالكسر اي نافرة شديدة النفار كانها تطلب النفار من جمعها له وحملها عليه قيل نفرت واستنفرت بمعنى واحد فرت من قسورة من جماعة الرماة التي يتصيدونها وقيل هي الاسد يقال ليوث قساورة وهي فعولة من القسر اي القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة وهي من اسماء الاسد وعن ابن عباس هي غضب الرجال وعنه ركز الناس ركزا لناس واصواتهم عكرمة هي ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر والموعظة بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رايب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحس عليها بقابض وقيل جمع الرجال • زيد بن اسلم رجالا اقويا وكل ضخم شديد عند العرب فهو قسورة وقسور بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة تنشر وتقرا كالكتب التي يكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملئكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم يطو بعد وذلك انهم قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فاتنا بكتاب خاصة الى فلان وفلان من رب العالمين نومر فيه باتباعك • نظيره قوله تعالى لن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه • ابن عباس كان المشركون يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براته وامنه من النار • الكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى هذه الاية فعلى هذا اريد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة ولا بعد فيه كلا ردع عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الايات وقيل ليس كما يقولون ويريدون وقيل حقا ثم قال بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتا الصحف كلا ثم منعهم عن اعراضهم عن التذكرة • وقال انه اي القران تذكرة بليغة كافية مبهما امرها وليس بسحر فمن شا ذكره ان يذكره ولا ينساه وجعل نصب عينيه ذكره فان نفع ذلك راجع اليه • والضمير في انه وذكره للتذكرة وانما ذكر لانها في معنى الذكر والقران • وما يذكرون قرا نافع بالتا من فوق والباقون بالياء الا ان يشا الله الا بمشية الله تعالى لان ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى محارمه ويخاف عقابه فيومنوا ويطيعوا واهل المغفرة واهل ان يغفر لمن اتقاه وامن به • وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه قال ربكم عز وجل انا اهل ان اتقى • ولا يشرك بي غيري وانا اهل لمن اتقى ان يشرك ان اغفر له ••

سورة القيامة

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه • لا اقسم لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس ••

• لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر • عونة بن سلمى ••

• الا نادت امامك باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي •

وفايدتها توكيد القسم • وعن سعيد بن جبير انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله في بئر لا حور سرى وما شعر • قال صاحب الكشاف واعترضوا عليه بانها تزاد في وسط الكلام ولكن الجواب لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته • والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له يدلك عليه قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك • وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة • قال الفرا لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث ثم ابتدا القسم فقال اقسم بيوم القيمة • قال وكل يمين قبلها رد لكلام فلا بد من تقديم لا قبلها ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحدا واليمين التي تستانف • الا ترى انك تقول مبتديا والله ان الرسول لحق واذا قلت لا والله ان الرسول لحق فكانك كذبت قوما انكروه قال صاحب الكشاف فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يومنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطية للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه ها هنا المحذوف منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى • كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقيل اصله لاقسم اعتبارا بقراة ابن كثير ثم اشبع فظهر من الاشباع الف على ان اللام للابتدا واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم ويعضده انه في الامام بغير الف • الحسن انه اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة • والجمهور على انه اقسم بهما جميعا • وعن المغيرة بن شعبة يقولون القيمة القيمة وانما قيامة احدهم موته • وعن سفيان ومسعر عن ابي قيس شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته • وهذه هي القيمة الصغرى واما القيمة الكبرى فلا شك انها اتية ولا يعلم وقت اتيانها الا الله • ولا اقسم بالنفس اللوامة • سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السرا والضرا • مجاهد يندم على ما فات ويلوم عليه يقول لم فعلت ولو لم افعل • قتادة اللوامة الفاجرة • ابن عباس هي المذمومة • الفرا ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت الا ازددت فان كانت عملت شرا قالت ليتني لم افعل • الحسن هي النفس المومنة ان المومن والله ما نراه الا يلوم نفسه • وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه • وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة • وقيل النفس اللوامة النفس

المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى وقيل هي التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • وهو لتبعثن قيل نزلت في عدي بن ربيعة بن ابي سلمة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عدي بن ربيعة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني • عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من به او يجمع الله العظام فانزل الله ايحسب الانسان اي الكافر ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وبلاها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في ابعاد الارض فنحييه ونبعثه بعد الموت • يقال انه ذكر العظام واراد بها نفسه كلها لان العظم قالب الخلق ولن يستوي الخلق الا باستوائها • وقيل هو خارج على قول المنكر او نجمع الله العظام كقوله الاخر قال من يحيي العظام وهي رميم بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع • اي بلى قادرين على ان نجمع عظامه قادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع الله العظام على نا ليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه • وقيل على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل بل نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير او كظلف الخنزير وكحافر الحمار فلا يمكنه ان يعمل بها شيا ولكنا فرقنا اصابعه حتى ياخذ بها ما شاء ويقبض اذا شاء ويبسط اذا شاء فحسنا خلقه • القتيبي ظن الكافر ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام البالية فقال الله تعالى بلى قادرين ان نعيد السلاميات على صغرها ونولف بينها حتى نسوي البنان ومن يقدر على هذا فهو على جمع كبار العظم اقدر وهذا كرجل قلت له انراك تقدر ان تولف بين الحنظل في خيط وبين الخردل

قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر • بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب يقول الله تعالى وما اجهل ابن ادم ان ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد ان يفجر امامه ان يمضي قدما قدما في معاصي الله لا ينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمه والسدي • وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة يقول سوف اتوب حتى ياتيه الموت وهو على اشر احواله واسوا اعماله • الضحاك هو الامل يامل الانسان يقول اعيش واصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت • ابن عباس وابن زيد يكذب بما امامه من البعث والحساب • ابن كيسان يريد ان ياتيه القيمة والاخرة التي هي امامه فراها في دار الدنيا واصل الفجور الميل • ومنه قيل للكاذب والفاسق والكافر فاجر يميله عن الحق • السدي ايضا ليظلم على قدر طاقته • وقيل يركب راسه في هواه ويهيم حيث قاده نفسه • يسئل ايان يوم القيمة يسال سال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فبين الله تعالى له ذلك فقال تعالى فاذا برق البصر قرا نافع بفتح الراء من البريق اي لمع من شدة شخوصه والباقون بالكسر برق يبرق فرقا واصله من برق

الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وخسف القمر اظلم وذهب ضوءه ابن كيسان ويحتمل ان يكون بمعنى غاب كقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل جمع الشمس والقمر في ذهاب الضياء • عطا ابن يسار يجمعان يوم القيمة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى • وقيل وجمع الشمس والقمر اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار يقول الانسان يومئذ اين المفر بالفتح المصدر • كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا حرز ولا حصن ولا ملجا • السدي لا جبل وكانوا اذا فزعوا لجوا الى الجبل فتحصنوا به فقال الله لا جبل يومئذ يمنعهم وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر العباد اي استقرارهم وقيل مستقر الخلق واعمالهم وكل شي • مقاتل ان الى ربك الرجعى والى الله تصير الامور وقوله الا الى الله تصير الامور وقيل معناه لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه والى حكمه يرجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر ابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او طالح وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعد موته • مجاهد باول عمله واخره قتادة بما عمل قدم من عمل خير او شر وما اخر من العمل بطاعة الله فلم يعمل به • عطا بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره • زيد بن اسلم بما قدم من امواله • فصدق به لنفسه وما اخر خلف لورثته نظيره علمت نفس ما قدمت واخرت

قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره • لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة بل الانسان عكرمه ومقاتل والكلبي معناه بل الانسان على نفسه من نفسه رقبا يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به وهي سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجميع جوارحه قال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه • ابو العاليه وعطا بل الانسان على نفسه شاهدة والها في بصيرة للمبالغة ابان بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على سبيل المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله ايتنا مبصرة • وقيل بل الانسان على نفسه عين بصيرة • والمعنى انه ينبا باعماله وان لم ينبا ففيه ما يجري عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق فذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره يعني انه يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون • الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب معاذيره • مقاتل ولو ادلى بحجة او عذر لم ينفعه ذلك ومعنى الالقاء القول نظيره والقوا الى الله يومئذ السلم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون • الضحاك والسدي يعني ولو ارخى الستور ولو ارخى الباب • وقال الضحاك المعاذير الستور واحدها معذار قال صاحب الكشاف فان صح فلانه يمنع المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب والمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر وقيل المعاذير احالة بعضهم على بعض • لا تحرك به الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يفتر من قراءة القران مخافة ان ينساه وكان اذا نزل عليه جبريل بالقران

لم يفرغ جبريل بالقران من الاية حتى يقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم اولها وتحرك لسانه بها في
نفسه مخافة ان ينساها فانزل الله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما وانزل
سنقريك فلا تنسى وانزل لا تحرك به لسانك اي بالقران وقيل لا تحرك لا تبادر به الوحي لسانك لتعجل به اي
بتلاوته لتحفظه ولا تنساه، ان علينا جمعه في صدرك حتى تحفظه في صدرك• وقرانه عليك حتى تعيه
وقيل اراد بقوله وقرانه وجمعه في صدرك وهو مصدر كالرجحان والنقصان فاذا قراناه فاتبع قرانه اي ما
فيه من الاحكام ثم ان علينا بيانه بما فيه من الحلال والحرام• والمعنى لا تحرك لسانك تقرا الوحي ما دام
جبريل يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه
في صدرك واثبات قراته في لسانك فاذا قراناه جعل قراة جبريل قراته والقران القراة فاتبع قراته
فكن مقفيا له ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا
اشكل عليك شي من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسوال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على
العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه• كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة وانكارها عليه وحث على الاناه والتودة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة
كانه قال بل انتم تحبون يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شي ومن ثم تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة قرا نافع والكوفيون تحبون وتذرون بالتاء من فوق فيهما والباقون بالياء اي
يختارون الدنيا على العقبى نظيره في سورة الانسان ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
اتصال قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيمة من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة
وترك الاهتمام بالاخرة **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق
والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى
اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وجوه
يومئذ يعني يوم القيمة ناضرة ابن عباس حسنة• الحسن حسنها الله بالنظر الى ربها• مجاهد مسرورة
ابن زيد ناعمة• مقاتل بيض يعلوها النور• السدي مضيئة• يمان مسفرة• الفرا مشرقة بالنعيم•
الحاني بهجة• الفرا والاخفش يقال نضر الله وجه فلان ينضره نضرا فنضر وجهه ينضر نضرة ونضارة
قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي
فوعاها ونظير هذه الاية قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة الى ربها ناظرة تنظر
الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر
الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه
انيب• قال ابن عباس ينظر الى ربها عيانا• عكرمة واسمعيل بن ابي خالد واشياخ من اهل الكوفة تنظر
الى ربها نظر• الحسن ينظر الى الخالق وحق لها ان تنظر الى الخالق• العوفي ينظرون الى الله تعالى لا تحيط
ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم• وكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
دليل هذا قوله عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى خزائنه وازواجه وسرره ونعمته مسيرة
الف عام وان اكرمهم على الله لمن ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم•
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا
عز وجل حتى ينظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا روسكم فليس هذا بيوم عبادة وعن عمار بن ياسر

كان

كان من دعا النبي صلى الله عليه وسلم اسالك اللهم النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء
مضرة ولا فتنة مضلة• قال صاحب الكشاف كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم
انهم ينظرون الى اشيا لا تحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم
فان المومنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه
بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه
ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجا ومنه قول
القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما• وسمعت سروية مستجدية
بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم• عيينتي نويظرة الى
الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون
ولا يرجون الا اياه ولا يخفى ان ما ذكره من قوله ومعلوم انهم ينظرون الى اشيا لا تحيط
بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المومنين نظارة ذلك اليوم لانهم
الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يصلح ان يصرف اللفظ عن ظاهره وذلك
لانه يجوز ان يكون استغراقهم في النظر الى ربهم مانعا من النظر الى غيره فان اللذة في النظر اليه
اعظم من اللذة الى النظر الى غيره• ولئن سلم ان الوجوه يومئذ نظارة الى اشيا غيره
فيجوز ان يكون في بعض ذلك اليوم الى ربها ناظرة وحينئذ لا ينظر الى غيره• اعلم ان جميع
اهل السنة والجماعة يتمسكون بهذه الاية في اثبات ان المومنين يرون الله يوم القيمة
واما المعتزلة فلهم ها هنا مقامان• بيان ان ظاهره لا يدل على روية الله تعالى• والثاني
بيان التاويل اما المقام الاول فقالوا النظر المقرون بحرف الى ليس اسما للروية بل المقدمة
الروية وهي تقليب الحدقة نحو المراى التماسا لرويته• ونظر العين بالنسبة الى الروية
كنظر القلب الى المعرفة• وكالاصغا بالنسبة الى السماع• فكما ان نظر القلب مقدمة
للمعرفة والاصغا مقدمة للسماع فكذا نظر العين مقدمة للروية قالوا والذي يدل
على ان النظر ليس اسما للروية وجوه منها قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
اثبت الروية حال عدم الروية ومنها انه يقال نظرت الى الهلال فلم اره وقوله
تعالى الى ربها ناظرة معناه تنظر الى ربها خاصة ولا تنظر الى غيره• وقد تقدم الاحتجاج
والجواب عنه• وثانيهما بيان التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون النظر بمعنى
الانتظار، اي وجوه يومئذ ناضرة الى ثواب ربها منتظرة• يقال انما انظر
الى فلان في حاجتي• والمراد انتظر حاجة من جهته• وقال تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون
وقال فان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة والثاني ان يحمل الى على واحد الالاء
وحينئذ يكون المراد وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة اي منتظرة او يحمل على
حذف المضاف وهو الثواب وحينئذ يكون المراد الى ثواب ربها ناظرة لا يقال
التاويلان باطلان، اما الاول فلان الانتظار سبب الغم والاية مسوقة لبيان
النعم• واما الثاني فلان النظر الى الثواب لابد وان يحمل على روية الثواب
لان تقليب الحدقة نحو الثواب من غير الروية لا يكون من النعم البتة• واذا وجب
اضمار الروية لا محالة كان اضمار الزيادة من غير دليل لانا نقول الاية دالة على ان
الحال التي عبر عنها سبحنه وتعالى بقوله وجوه يومئذ ناضرة سابقة على حال الاستقرار

اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بدليل قوله وجوه يومئذ باسرة تظن ان
يفعل بها فاقرة اي تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة تقصم فقار الظهر
فان في حال الاستقرار اهل النار قد فعل بها الفاقرة واذا كانت تلك الحالة سابقة على
الاستقرار كان انتظار النعمة بعد البشارة بها سرورا يستتبع نضارة الوجه ومثل ذلك
الانتظار لا يكون مستدعيا للغم كما ان انتظار اكرام الملك وعطائه لا يكون موجبا للغم
اذا تيقن وصوله اليه وانتظار العذاب بعد الانذار بوصوله غم يستتبع بسارة الوجه
اي شدة عبوسته كانتظار عقاب الملك اذا تيقن عقابه ولا تحتاج الى اضمار الرؤية
في النظر الى الثواب بمعنى الانتظار لان النظر عبارة اما عن الرؤية او عن تقليب الحدقة
وتقليب الحدقة نحو الثواب بعد البشارة انتظار لوصوله من النعم لما بينا وجه استدلال
الاصحاب بهذه الاية ان النظر اما يكون عبارة عن الرؤية او عن تقليب الحدقة نحو المرئي
طلبا لرؤيته والاول هو المطلوب والثاني تعذر حمله على ظاهره فلا بد من حمله على
الرؤية التي هي النظر بالمعنى الثاني سببها واطلاق اسم السبب على المسبب من احسن
وجوه المجاز والجواب قولهم ليس النظر عبارة عن الرؤية قلنا ههنا مقامان المقام
الاول ان نقيم الدلالة على ان النظر الرؤية من وجوه منها ما حكى الله عن موسى انظر
اليك ولو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الاية ان موسى عليه
السلام اثبت لله جهة ولاقتضت مكانا وذلك محال ومنها انه جعل النظر امرا مرتبا
على الارادة فكان متاخرا عن الارادة فلا يكون النظر تقليب الحدقة المقام الثاني
وهو الاقرب الى الصواب سلمنا ان النظر تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته
لكنا نقول لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمل سببه وهو الرؤية اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وحمله على الرؤية اولى من حمله على الانتظار لان تقليب الحدقة
كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار فكان حمله على الرؤية اولى اما قولهم
النظر بمعنى الانتظار قلنا في الجواب مقامان الاول ان النظر بمعنى الانتظار ورد
في القران كثيرا ولكنه لم يقرن اصلا بالى قال تعالى انظرونا نقتبس هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله هل ينظرون الا تاويله والذي يدعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية
والدليل عليه ان وروده بمعنى الرؤية او بالمعنى التي يستعقب الرؤية ظاهر فوجب
ان لا يرد بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك واما قولهم تحمل الى على واحد الالاء فالجواب
ان الى على هذا يكون اسما للماهية التي يصدق عليها انها نعمة فيكفي في تحقق مسماه اي جزء
من اجزاء النعمة وان كان في غاية القلة والحقارة واهل الثواب يوم القيمة في النعم العظيمة
المتكاملة ومن كان حاله كذلك كيف يسر بانه يكون في توقع الشيء الذي يطلق عليه اسم
النعمة المقام الثاني هب ان النظر المعدى بالى جاء في اللغة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن
حمل هذه الاية عليه لان لذة الانتظار مع يقين الوجود كانت حاصلة في الدنيا ولا بد ان
تحصل في الاخرة شيء ازيد منه حتى يحسن ذكره في معرض الترغيب في الاخرة ولا يجوز ان يكون
ذلك قرب الحصول لان ذلك معقول بالعقل فيبطل ما ذكروه من التاويل واما التاويل الثاني
وهو ان يكون المراد الى ثواب ربها ناظرة فهذا ترك للظاهر قولهم انا صرنا اليه لقيام الدليل
العقلي والنقلي على ان الله لا يرى قلنا قد بينا في اصول الدين ضعف ذلك ووجوه يومئذ باسرة

والجواب ... الاية الكريمة
ادل دليل على الرؤية

عابسة كالحة متغيرة مسودة تظن تتوقع ان يفعل بها فاقرة فعل هو من شدته وفظاعته فاقرة
داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير واصلها من
الفقر والفقار يقال منه فقرته اذا كسر فقاره كما يقال راسه اذا كسر راسه قتادة الفاقرة
الشر كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم
من الموت الذي عنده ينقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين
اذا بلغت النفس التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي
هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل وقال من حضر اي
حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق هل من طبيب يرقيه ويداويه وقيل
ايكم يرقيه مما به قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا عن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم ينزل داء الا وانزل دواء جهله من جهله وعلمه من علمه
مقاتل بن سليمن هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة
او ملائكة العذاب ابو العالية يختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى بها وظن المحتضر
وايقن انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة عن ابن عباس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله يسلم بعضها على بعض عليك
السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه على
ساقه عند علز الموت الربيع بن انس الدنيا بالاخرة ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة
فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة اسمعيل بن ابي خالد عمل الدنيا
بعمل الاخرة الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة تجهز روحه الحسن ومجاهد اجتمع فيه
الحيوة والموت قتادة الشدة بالشدة الحسن ماتت رجلاه فلم تحملاه وكان عليهما جوالا
قتادة اما رايته اذا اضطرب برجله رجله الاخرى ابو مالك هو يبسها عند الموت عكرمة
خروج من الدنيا الى الاخرة مجاهد بلاء ببلاء القرطبي الامر بالامر زيد بن اسلم ساق
الكفن بساق الميت سعيد بن جبير تتابعت عليه الشدائد السدي لا يخرج من كرب الا جاء اشد منه
والعرب لا تذكر الساق الا في المحن والشدائد ابن عطا اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن
من الدنيا والاهل والولد وشدة القدوم على ربه لا يدري بما يقدم عليه كذلك قال
عثمان رضي الله عنه ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه لانه اخر منازل الدنيا واول
منازل الاخرة يحيى بن معاذ اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد
عند راسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن شماله فيقول الذي عند راسه
يا ابن ادم انقضت الاجال وانقطعت الامال ويقول الذي عن يمينه ذهبت
الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الاشغال وبقي الوبال
ويقول الذي عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال الى ربك يومئذ المساق المنتهى
والمرجع تسوق الملائكة روحه الى حيث امرهم الله تعالى فلا صدق اي الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف
على قوله يسئل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول ولا صلى ويجوز ان يراد فلا
صدق ماله بمعنى فلا زكاه قيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر
زيد بن اسلم هي مشية بني مخزوم واصله من المط وهو الظهر اي يلوي مطاه تبخترا وقيل اصله يتمطط

اي يتمدد والمط هو المد تجعلت احدي الطايريا وتمطى الانسان اذا قام الانسان من منامه فتمدد
وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض وجعل باسهم بينهم
يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى اهله يتبختر افتخارا بذلك • اولى لك فاولى اي
ويل لك وهو دعا عليه بان يليه ما يكره قيل هذا وعيد من الله على وعيد لابي جهل وهي كلمة موضوعة
للتهديد والوعيد وقيل معناه انك اولى واجدر بهذا العذاب واحق واولى يقال للرجل يصيبه مكروه
يستوجبه وقيل هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه واصله من الولي وهو القرب ومعنى الاية كانه يقول
لابي جهل الويل لك يوم تحيى والويل لك يوم تموت والويل لك يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار
وتخلد فيها • قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا
فقال له اولى فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك
ان تفعلا بي شيا واني اعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف عليهم وقال لا يعبد الله بعد اليوم فصرعه
الله شر مصرع وقتله اسوء قتلة • وذكر ان ابا جهل كان يقول لو علمت ان محمدا رسول الله ما اتبعه علاما
من قريش • وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لكل امة فرعون وفرعون هذه الامة ابو جهل
ايحسب الانسان ان يترك سدى • هملا لا يومر ولا ينهى يقال اسديت حاجتي اي ضيعتها وابل سدى
ترعى حيث شاءت بلا راع الم يك نطفة من مني يمنى قرا حفص عن عاصم بالياء والباقون بالتاء ثم كان علقة
فخلق فسوى خلقه فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذي انشا هذه الاشياء
بقادر على الاعادة قال رسول الله سبحانك اللهم وبلى سورة هل اتى ويقال لها

سورة الانسان

قال طايفة منهم مجاهد وقتادة انها مدنية كلها • ابن يسار ومقاتل وحكي عن ابن عباس مكية وقال
طايفة ان فيها مكيا ومدنيا ثم في ذلك قولان احدهما ان المكي منها اية وهي قوله ولا تطع منهم اثما او
كفورا وباقيها جميعه مدني قاله الحسن وعكرمة وثانيهما ان اولها مدني الى قوله انا نحن نزلنا عليك القران
تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها مكي وهي الف واربعة وخمسون حرفا ومايتان واربعون كلمة واحدى وثلاثون
اية **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم • هل اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيا مذكورا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله
اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم
فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه
شيا مذكورا اي كان شيا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب وقيل الانسان هاهنا ادم والحين
في الاية زمان محدود وهو اربعون سنة • ابن مسعود خلق الله ادم من تراب فاقام اربعين سنة ثم من طين
اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد ستين ومائة سنة ولو لم
يكن محدودا لما قال اتى على الانسان حين وقيل هو غير محدود وقوله على الانسان اي عليه في علم الله لم يكن
شيا مذكورا • وقيل المراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر
طايفة من الزمن الطويل الممتد لم يكن شيا مذكورا في محل النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل
اتى على الانسان حين من الدهر غير مذكور وقيل في محل الرفع على انه وصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد
عن ولده • روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا
فقال عمر ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف وروي